حكاية جينجي

الجزء الثاني

موراساكي شيكيبو

ترجمة: كامل يوسف حسين

حكايـة جينـجـي

الجـزء الثانـي

موراساكي شيكيبو

ترجمة

كامل يوسف حسين

© هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية.
فهرسة دار الكتب الوطنية أثناء النشر.

PL788.4 .G412 2011
Murasaki, Shikibu, b. 978?
[Genji monogatori]
حكاية جينجي / موراسكي شيكيبو؛ ترجمة كامل يوسف حسين.- ط. 2.- أبوظبي: هيئة أبوظبي للثقافة والتراث، دار الكتب الوطنية، 2011.

2 مج؛ سم.
ت د م ك: 978-9948-01-964-0
ترجمة كتاب: Genji monogatori
1. القصص اليابانية. أ. حسين، كامل يوسف. ب. العنوان.

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE

الطبعة الأولى 1432هـ 2011م

أبوظبي - الإمارات العربية المتحدة
ص.ب: 2380
publication@adach.ae
www.adach.ae

حكايـة جينـجـي

34

واكانا (1)

براعم الربيع (1)

تعني واكانا «البراعم الجديدة» أو إذا كانت مما يؤكل ربما شيئاً من قبيل «خضروات الربيع». وفي هذا الفصل تعد تاما كازورا مأدبة واكانا تكريماً لجينجي لدى بلوغه عامه الأربعين، وفيه يستخدم جينجي هذه الكلمة في قصيدة:

«تلك الشجيرات، المنتزعة من مثل هذا المروج السعيدة، قد تجتذب برعماً جديداً نحو مدى أطول من السنوات السعيدة بلا انتهاء».

على الرغم من أن واكانا تتكرر كعنوان لفصل «براعم الربيع 2»، فإن الإشارة الضمنية هي إلى حدث مختلف.

الصلة بالفصول السابقة

تأتي أحداث «براعم الربيع 1» عقب السياق الزمني لأحداث «غصن شجرة البرقوق»، حيث تبدأ في أواخر العام الذي يبلغ فيه جينجي التاسعة والثلاثين من العمر.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 39 عاماً.

نيافة الامبراطور المتقاعد، سوزاكو، 42 إلى 43 عاماً.

ابنته، سمو الأميرة الثالثة، في منتصف سنوات المراهقة (أونا سان نو ميا).

سمو ولي العهد، نجل سوزاكو، 13 إلى 15 عاماً.

الزوجة، أم ولي العهد (شوكيودين نو نايوجو).

المستشار ثم قائد الميمنة، نجل جينجي، 18 إلى 20 عاماً (يوجيري).

مراقب الميسرة، تابع أونا سان نو ميا، في خدمة جينجي أيضاً.

مرضعة أونا سان نو ميا الأقدم.

المشرف على حراسة بوابة الميمنة، الابن الأكبر لتونو تشوجو، في منتصف العشرينيات (كاجيواشي).

معالي المستشار (تو نوتشو جو).

معالي وزير الحرب، أخ لجينجي (هوتارو هايوبو كو نو ميا).

المستشار الكبير، مسؤول دار سوزاكو.

جلالة الامبراطور، نجل جينجي وفوجيتسوبو، 21 إلى 23 عاماً (رايزي).

جلالة الامبراطورة، 30 إلى 32 عاماً (أكيكونومو).

سيدة العاملين في القصر (أوبورو زوكيو).

سيدة الجناح الشرقي، 31 إلى 32 عاماً (موراساكي).

سيدة العاملين في القصر، زوجة هيجيكورو، 25 إلى 27 عاماً (تاما كازورا).

معالي وزير شؤون المراسم، والد موراساكي، 54 إلى 56 عاماً (شيكيبوكيو نو ميا).

تشوناجون، وصيفة أوبورو زوكيو.

حاكم إيزومي السابق، شقيق تشوناجون.

الزوجة كيريتسوبو، زوجة ولي العهد، ثم الملاذ، ابنة جينجي 11 إلى 13 عاماً (أكاشي نو نيوجو).

أمها، 30 إلى 32 عاماً (أكاشي نو كيمي).

ابنها، سمو الأمير الأول، يولد خلال هذا الفصل.

جدها، الراهب المستجد، حوالي 75 عاماً (أكاشي نو نيودو).

رسوله.

تشوناجون، وصيفة أونا سان نو ميا.

كوجيمو، أخت أونا سان نو ميا بالتبني ووصيفتها.

بدأ نيافة سوزاكو في الشعور بالتوعك بعيد زيارة جلالة الامبراطور لروكوجو. ولم تكن صحته في خير حالٍ قط، ولكنه في هذه المرة استشعر نذيراً جلياً. وعلى الرغم من توقه الذي استمر طويلاً إلى تكريس نفسه للحياة الدينية، فقد أحجم عن ذلك، كما أحجم عن كثير من الأمور الأخرى، فيما كانت الامبراطورة الأم[1] لا تزال على قيدة الحياة، ومن ثم فقد تخلى حتى الآن عن هذه الفكرة. وربما لاسترداد شجاعة الإقدام على تنفيذ هذه الفكرة ها هو الآن يتحدث عن الشعور كما لو كان لم يبق له الكثير من الوقت، وبدأ في إجراء استعداداته.

إلى جانب ولي العهد، كانت له أربع بنات، وكانت الأميرة الثالثة من بينهن الأقرب إليه والأعز على قلبه من الأخريات. وكان الامبراطور السابق[2] قد منح أمها، المعروفة باسم فوجيتسوبو[3]، لقب جينجي، وجاءت إليه، فيما كان ولياً للعهد، وكان يمكن أن تتطلع إلى تكريم أسمى، ولكنها كانت تفتقر إلى دعم فعال، ووجدت حضورها وسط مثل هذه الصحبة محنة كبرى، حيث أن أمها كانت مجرد تابعة حميمة، لا تنتمي إلى سلالة لها خصوصيتها، وفي غضون ذلك قدمت له الامبراطورة الأم سيدة العاملين في القصر، التي توارت كل الأخريات إلى جوار بهائها. وقد كانت هذه ضربة ساحقة. وبعد تخليه عن العرش، بدا أن المرارة وخيبة الأمل في الحياة تغلبانها، على الرغم من مواساته لها، حيث إنها ماتت. وكانت ابنتها في الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة من عمرها. والآن وهو يوشك أن يدير ظهره للعالم ويتقاعد في الجبال، كان مصدر قلقه الوحيد والغامر هو من الذي سيتولاها بالرعاية بعد رحيله.

كان العمل قد انتهى في المعبد الذي شيده في التلال الغربية[4]، وبينما مضت الاستعدادات لانتقاله قدماً، استعد كذلك للاحتفال ببلوغها. وقد أعطاها هي وحدها الأثير لديه من الأشياء الثمينة وقطع الأثاث في قصر، وكذلك كل ما له أهمية على الإطلاق. أما

(1) أمه، الزوجة كوكيدين الواردة في الفصول الأولى.

(2) سينداي، الذي سبق امبراطور كيريتسوبو (نيافته الراحل) والد جينجي.

(3) لا تظهر في الحكاية إلا من خلال هذه الإشارة. وكانت تقيم في الجناح نفسه الذي تقيم به فوجيتسوبو جينجي.

(4) يُشار إليه تقليدياً باسم نيناجي، الذي شيده في عام 888 الامبراطور يودا، في التلال الواقعة إلى الغرب من المدينة على نحو ما كانت آنذاك.

الباقي فكان من نصيب أبنائه الآخرين.

مضى ولي العهد لمقابلة أبيه، عندما سمع بأنه مريض فحسب، ولكنه كان يريد بالفعل الرحيل عن العالم. وصحبته أمه، الزوجة[1]. وعلى الرغم من أنها لم تكن أبرز الأثيرات لدى نيافته، إلا أنها حظيت بحسن الطالع الفذ، حيث أنجبت له ابناً، وتحدثا مطولاً عن الأيام الخوالي. ونصح ابنه بكل جانب من جوانب الحكم في البلاد. وكان ولي العهد ناضجاً على نحو ملحوظ بالنسبة لسنوات عمره، ومنحت الرعاية السامية التي حظي بها من الميمنة والميسرة[2] نيافته ثقة كبيرة بمستقبله. وقال: «بالنسبة لي فإنني سأغادر هذه الدنيا بلا ندم، لولا التفكير بما سيحدث لكل بناتي بعد رحيلي، والذي يحتمل أن يحول بيني وبين ذلك الوداع الأخير. وأنا أدرك من كل ما رأيته وما سمعته أن قدر المرأة، أحبت ذلك أم كرهته، هو أن تنحَّى جانباً باعتبارها قليلة العقل، وهذا شيء أستنكره بشدة. وعندما تكون البلاد تحت إمرتك، عليك التأكد من أنك ستفكر في الكيفية التي ستمضي بها أمورهن جميعاً. ومن يحظين برعاية طيبة بالفعل سأتركهن حيث هن، ولكن الثالثة منهن لا تزال صغيرة للغاية، وليس لها أحد غيري. ويساورني القلق من أنها قد تضيع تماماً عندما أغادرها». مضى يجفف دموعه خلال حديثه.

تقدم، في حرص، بالطلب نفسه إلى الزوجة، ولكن التنافس الذي كان قد ساد في الأيام التي تمتعت خلالها أم الأميرة الصغيرة بعطف خاص قضى على أي شعور بالود بينهما، وما كان يمكن للزوجة أن تكون حريصة على تقديم أي دعم أصيل لسموها، حتى وإن لم تعد تكرهها بصفة خاصة.

استبد القلق بنيافته حول هذا الأمر ليلاً ونهاراً. ومع اقتراب العام من نهايته، ساءت حالته، حتى لم يعد يخرج إلى ما وراء ستائره الحاجبة. وفي بعض الأوقات كان يعاني من أفاعيل إحدى الأرواح، ولكنه لم يكن في حقيقة الأمر مريضاً بصورة مستمرة، وعلى الرغم من ذلك فقد اعتقد أن هذا المرض هو مرضه الأخير. كان قد تخلى عن العرش، بالطبع، ولكن من كانوا رأوه لأول مرة خلال حكمه، والذين كان لا يزال مصدر سرورهم

(1) الزوجة شوكيودين، أخت هيجيكورو.

(2) من هيجيكورو وجينجي.

أن يخدمـوا مثـل هذا المولى النبيل والعطوف، حزنوا عليـه من أعماق قلوبهم. وكان هناك مبعوثون لا ينقطعون من روكوجو أيضاً. وكان نيافته سعيداً أشد السعادة لعلمه بأن جينجي نفسه سيجيء لزيارته.

عندما وصل المستشار، نجل جينجي، استدعاه نيافته ليُقبل عبر ستائره الحاجبة، وخاطبه متلهفـاً، قال: «وجَّه لي نيافته الراحل على فراش موته الكثير من التوجيهات الأخيرة، ومن بينهـا تحـدَّث بصفة خاصة عـن أبيك وعـن عاهلنا الحالي. غير أنني أنا نفسـي اكتشـفت، باعتباري امبراطوراً، حدود ما يمكنني القيام به، وبينما كان أبوك لا يزال يعني الكثير بالنسبة لي على الصعيد الشخصي، فقد جاءت هفوة صغيرة من جانبه لتجعله يستاء مني، أو هذا ما افترضه، حيث إنه ما من شـيء في السـنوات التي مرت منذ ذلك الحين أفضى به للإفصاح عن أي أثر لمثل هذا الشـعور. ومن شـأن أكثـر الرجال حكمة أن ينفجر غيظـاً، عندما تؤثر هفـوة فـي مصيره، ثم ينتقم مـن خلال الإقدام على حماقة، على نحو مـا تؤكد أمثلة عديدة من الأزمنة الغابرة. وقد كان الناس يتوقعون منه أن يفصح عن هذه الرغبة في وقت أو آخر، ولكنه في نهاية المطاف أحجم عن ذلك، بل إنه يعامل ولي العهد بمزيد من الحب. وكون الاثنين الآن تربطهما أفضل العلاقات هو شـيء أقّدره كثيراً، ولكنني لسـت شديد البراعة، وبالإضافـة إلـى ذلـك فإن الظلمة فـي قلب أب يمكنها بسـهولة إغوائي بجلـب العار على نفسـي[1]، ولذلك السـبب فإنني أفضل البقاء بعيداً عن الأمر كله في نهاية المطاف. وبقدر مـا يتعلـق الأمر بعاهلنا الحالي، فقـد قمت بكل ما طلبه نيافته الراحـل مني، وبالتالي فإنني سـعيد لرؤية عاهل يتألق نوره على نحو ما يتوهج سـناه في هذا العصر المتأخر، وهو يعزِّز شـرف سـلالتنا. لقد كان الماضي يعاودنـي منذ رحلة الخريف الماضـي، ويأتي معه حنين كبيـر لرؤية أبيك. ولابد له من القدوم من تلقاء نفسـه. أبلغـه بذلك!». وبينما كان يتحدث، مضى يذرف الدموع بين الحين والآخر.

رد المستشـار قائلاً: «لسـت أعرف شـيئاً عما يمكن أن يكون قد حدث منذ زمن بعيد. ومنـذ بلغت العمر الذي يؤهلني لخدمـة البلاد، لاحظت ما يدور في الدنيا من حولي، ولم

(1) الحب الذي يُعشي ناظري الأب ويؤثر على تقديره يمكن أن يغوي سوزاكو للإتيان بإيماءة غير مناسبة، مثل الإعراب صراحة عن شكره لجينجي.

يحدث مرة واحدة فيما يتعلق بأي أمر، هيناً كان أم عظيماً، أو في أكثر الأحاديث حميمية، أن سمعته يشير إلى أي واقعة واكبها سوء الطالع في الماضي. لكن ما يقوم به بالفعل هو أنه يعرب عن أسفه لأنه بعد الانسحاب كلية من خدمة البلاط لإرضاء ميله إلى السلام والسكينة، تمكن بصورة محدودة للغاية من تلبية رغبات نيافته الراحل بحيث بدا كما لو لم تكن تعنيه. وهو يقول: (لقد كنت أصغر من أن تكون لي فائدة خلال حكم نيافته، وكان هناك الكثير من المسؤولين الأكبر سناً والأكثر حكمة مني، ولم أستطع قط وضع نفسي تحت إمرته بصورة كاملة مثلما كنت أرغب. وأود أن أزوره الآن، وقد نحَّى جانباً عبء الحكم، ليعيش حياة أكثر هدوءاً، لكي نفتح قلبينا أحدنا للآخر، ولكن حتى في الوقت الراهن فإن منصبي لا يتيح لي الحرية، وفي غضون ذلك فإن الشهور والأيام تواصل الانقضاء)».

على الرغم من أن المستشار لم يكن قد بلغ العشرين من العمر بعد، فإنه كان مكتمل الهيبة، يؤثر مرآه في النفوس، ووسيماً إلى أبعد الحدود. تأمله نيافته عن كثب، وبدأ في التساؤل في دخيلة نفسه عما إذا لم يكن بالإمكان أن يعهد إليه برعاية ابنته التي يقلقه مستقبلها أشد ما يكون القلق. قال: «إنني أسمع أن بيتك الآن هو في دار معالي المستشار. ولم يكن بمقدوري قط أن أتبين جلية الأمر طوال الوقت، وكنت أتعاطف معك، وكانت الأخبار التي وصلتني موضع ترحيب. على الرغم من ذلك، فقد تمنيت في الوقت نفسه ولسبب آخر أنني لم أسمعها قط».

راح المستشار المندهش يتساءل عما عساه يكون معنى هذا الكلام. ومن الطبيعي أنه كان قد سمع بمدى القلق الكبير، الذي استشعره نيافته على ابنته، وكيف أنه لم يُخف أنه يأمل أن يجد راعياً مناسباً لها، لكي يتمكن في سلام من التخلي عن الدنيا. قال لنفسه: أحسب أن تلك هي جلية الأمر، لكنه لم يكن بمقدوره أن يظهر من خلال رده أنه قد فهم الأمر في التو. فاكتفى بالقول: «لديَّ القليل مما يمكنني تقديمه، ولن يرحب بي الكثيرون».

لدى انصرافه تجمعت الوصيفات، اللواتي كن يسترقن النظر إليه، ليتجاذبن أطراف الحديث حول روعة مظهره ومدى هيبته. صحن مندهشات: «ما أشد السرور الذي يبعثه مرآه في النفس!»، ولكن النسوة الحمقاوات الموغلات في العمر، من بينهن، أبدين

احتجاجهن، قائلات: «آه، أقبلن الآن! قلن كل ما يطيب لكنّ، ولكن ليس بوسعكن مقارنته بسموه، عندما كان في ذلك العمر!».

سمعهن نيافته، فقال: «نعم، هذا صحيح، لقد كان استثنائياً، والآن في اكتمال نضجه، فإنه يحظى بجاذبية تُذكِّر المرء بما يعنيه القول إن أحدهم يتألق ضياء. وعندما يكون جاداً ومهيباً، فإنه يكون له حضور بالغ التأثير، بحيث إن المرء لا يجرؤ على الاقتراب منه، وعندما يكون مسترخياً وفي حالة مزاجية مرحة، فإنه يكون أكثر عذوبة وجاذبية من أي إنسان في الدنيا. لا، ليس هناك مثيل له. فهو أعجوبة، وكل ما فيه ينطق بما لابد أنه جلبه إلى هذه الحياة من حيوات سابقة. لقد نشأ في القصر، وأحبه الامبراطور أكثر من الجميع، وفي الحقيقة فقد رعاه وفكر فيه أكثر من نفسه. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يظهر أي غرور قط، وإنما ظل شديد التواضع، بحيث إنه لم يصبح استشارياً إلا بعد أن بلغ العشرينيات من عمره[1]. وما لم أكن مخطئاً، فقد كان في الحادية والعشرين من العمر عندما أصبح في آن مستشاراً وقائداً. تأمل أي تقدم أحرزه ابنه بالمقارنة به! يبدو أن أبناءه قُدِّر لهم أن يتسنموا ذرى أرفع مما وصل هو إليه. وفي التعليم والتقدير السليمين حقاً لا يقل ابنه عنه إلا بمقدار محدود، وحتى إذا بالغت فمن المؤكد أن الشاب قد كبر ليحظى بسمعة متميزة».

كانت سمو الأميرة الثالثة بالغة العذوبة، وكان مرأى براءتها اليانعة يدفعه إلى القول: «لشد ما أتوق إلى تقديمك لمن هو جدير بك، لشخص يقدرك كثيراً، ويتجاهل ما لا زلت تفتقرين إليه، ويعلمك». استدعى مربياتها الأكثر حنكة معاً لمناقشة الاحتفال ببلوغها وما إلى ذلك، وبينما كانوا يتحدثون أشار بقوله: «لشد ما أتمنى أن يكون هناك من يأخذ بيد هذه الأميرة ويربيها مثلما فعل سمو ساكن روكوجو مع ابنة معالي وزير شؤون المراسم. لا يمكن أن يكون هناك مثل هذا الرجل في صفوف العامة، وعاهلنا الحالي لديه امبراطورته. وكل الزوجات الأخريات رفيعات المقام للغاية حقاً، ومن دون الرعاية المناسبة فإن وجودها في مثل هذه الصحبة لن يكون إلا في غير صالحها. وقد كان ينبغي أن ألمح للأمر في حديث مع ذلك المستشار[2] بينما كان لا يزال أعزب، فهو قدير للغاية على الرغم من

---

(1) لا تأتي الحكاية على ذكر هذا التعيين.

(2) «القائم بأعمال المستشار» («جون تشوناجون») في الأصل وبصورة متناثرة لاحقاً. وقد كان عدد التشوناجون ثابتاً، ولكن شاباً رفيع المنبت، مثل يوجيري، كان يمكن أن يُسند إليه هذا المنصب، حتى وإن لم يكن هناك شاغر

يفاعته، وأمامه مستقبل مشرق».

رددن بقولهن: «المستشار بالغ الجدية، وعلى امتداد تلك السنين تعلق فؤاده بتلك السيدة الشابَّة، وهو لم يشر قط إلى تطلعه لغيرها، والآن وقد ظفر بها، فإن تذبذبه حيالها سيكون أقل احتمالاً، وسمو الامبراطور الفخري، من خلال الحكم بما يُقال عنه، هو الذي يبقى سريع التأثر كعهده أبداً بما يبدو أن أي امرأة تقدمه. وفضلاً عن ذلك فإن المرء يدرك أنه يرغب بعمق في تحالف رفيع الشأن، وأنه لم ينس إلا قليلاً للغاية كاهنة كامو السابقة[1]، بحيث إنه لا يزال يكاتبها».

قال نيافته: «نعم، ولكن خياله الذي لا يعرف الهوادة هو على وجه الدقة ما يقلقني كثيراً». على الرغم من ذلك، فلابد من أن نيافته قد أحس بأنه يحسن صنعاً إذا قدمها لجينجي في نهاية المطاف، حتى إذا لم يُقدِّر لأناس بعينهم[2] احترامها، طالما أن جينجي يوافق على أن يكون أباً لها. قال: «حقاً إن أي شخص لديه ابنة يريد أن يراها وهي تتحول إلى سيدة لائقة قد يأمل في أن يجعلها تمضي حياتها معه. وما من أحد تمتد الحياة طويلاً أمامه في هذه الدنيا، وتلك هي الحياة التي يرغب المرء في أن تعيشها ابنة. وقد كان حرياً بي أن أرغب في أن أكون بقربه، لو أنني كنت امرأة، أو حتى أختاً. هكذا أحسست عندما كنا في مقتبل العمر. ولا عجب في أن النساء لا يمكنهن مقاومته». ولابد أن ذهنه كان منصرفاً إلى سيدة العاملين في القصر.

كان أحد أتباع ابنته، مراقب الميسرة وشقيق مربيتها الأقدم، قد أمضى وقتاً طويلاً في خدمة جينجي عن قرب. وكان هذا السيد المهذب مخلصاً لسموها كذلك، ومن هنا فإن المربية تجاذبت أطراف الحديث معه، في المرة التالية التي أقبل خلالها لزيارتها. وقد وصفت الأجواء التي ناقش فيها نيافته أمر ابنته، وطلبت منه إبلاغ سمو الامبراطور الفخري بالأمر، عندما تتاح له الفرصة للقيام بذلك. وقالت: «غالباً ما تظل ابنة الامبراطور بلا زواج، ولكنها بالتأكيد ستكون أكثر تمتعاً بالأمان مع شخص يهتم بها بطرق عديدة ويمنحها

مألوف.

(1) أساجاو.

(2) نساء جينجي.

الدعم الذي تطلبه. وما من أحد، باستثناء نيافته، يفكر فيها كثيراً، ولا يمكننا نحن أنفسنا أن نقوم بالكثير من أجلها، مهما حاولنا. ولا يرجع الأمر إلى أن كل شيء وقفُ عليَّ، ولكن يا له من عار بالنسبة لها أن تجد نفسها متورطة في وضع غير متوقَّع، وتصبح موضوع شائعة تتهددها بالخطر! بمقدوري خدمتها بشكل أفضل لو أن مستقبلها حُسم بشكل ما، بينما نيافته لا يزال على قيد الحياة. فحتى الفتاة ذات المحتد الأرفع تظل ألعوبة في يد القدر، ويتعين عليها احتمال الكثير من الأحزان. وطالما أن نيافته يؤثرها بهذه الطريقة على أخواتها، فإنه سيتوقع تعرضها لغيرتهن كذلك. وآمل أن أفلح في إخراجها من هذا كله، من دون أن ينالها ضرر».

رد المراقب قائلاً: «أتساءل عما يتعين القيام به، فسموه شديد الولاء، وهو يحنو على كل من عرفها على الإطلاق، أو من أدخلت السرور على نفسه، حتى عندما لا يكن لها شعوراً عميقاً، وهكذا فإنه في الوقت الراهن لديه الكثير من السيدات، ولكن يبدو حقاً أن هناك واحدة في النهاية تعني كل شيء بالنسبة له، بينما يبدو أن الأخريات يعشن حياة خاوية بشكل أو بآخر. وأياً كان مدى تميز هذه السيدة، فلست أدري كيف يمكنها أن تصر على الوقوف إلى جوار سموها، إذا كان قدر سموها أن تنضم إليه، كما تشيرين، ولكن على الرغم من ذلك فإنه يبدو لي أنه لا يزال هناك سبب لالتزام الحذر. ومع ذلك، فإنني أدرك أنه غالباً ما يتحدث ضاحكاً، في مجالسه الخاصة، عن الشعور بأنه يبني مجده في هذه الحياة ليشرف هذا العهد المتأخر بصورة تتجاوز ما يستحقه، فإنه عندما يتعلق الأمر بالنساء فإنه لم يفلت من التقريع أو من خيبة الأمل الشخصية. وإذ يطل شخص مثلي على هذا المشهد فإنه لا يملك إلا أن يوافق. وما من سيدة ممن وضعهن تحت جناحه غير جديرة به، ولكنهن يرتفعن كثيراً فحسب، وإنني أشك في أن أياً منهن تجلب معها مكانة شديدة السمو بحيث تكون نداً حقيقياً له. هكذا، وأخذاً في الاعتبار كل شيء، فإنني أتوقع أنه إذا مضت سموها إلى سموه، فإنهما سيكونان نعم الزوجين».

نقلت المربية هذا إلى نيافته، عندما سمحت لها الظروف بالقيام بذلك. وأوضحت الأمر بقولها: «عندما أشرت إلى هذا الأمر في حديثي مع سعادة المراقب رد بأن سمو الامبراطور الفخري سيرحب بالفكرة بلا شك، لأنها ستعني تحقيق الآمال التي طالما

تطلـع إليها، وأضاف إنه إذا وافقتم نيافتكم، فإنه سـينقل اقتراحكـم. كيف ترغبون نيافتكم فـي الماضـي بالأمـر قدماً؟ إن سـمو الامبراطور الفخري حسـاس، فيما يتعلـق بتدرجات المكانـة بين سـيداته، وهو شـديد الدقة لناحية الالتـزام بها، ولكن حتى امـرأة من العامة[1] قـد تعترض عندما تصل منافسـة جديدة لتشـاركها فيمـا يؤثرها زوجها بـه، ويمكن أن يقع أمر مؤسـف. ويبـدو أن هناك آخرين يطمحون إلـى خدمتها. ويتعين علـى نيافتكم التفكير في الأمر بعناية. صحيح أن سـموها في مرتبة لا تفوقها مرتبة، ولكنه فيما الدنيا على ما هي عليـه الآن، ويبـدو من المؤكـد أن هناك البعض ممـن يمضون في طريقهـم على نحو مرح ويعيشـون حسـبما طاب لهم، فإنهـا تعطي الانطباع بكونهـا ضعيفة للغاية وغيـر واعية بما حولهـا، وهنـاك الكثير مما يمكننا فعله لها. ويبدو أن الأمور تسـير على أفضل نحو، عندما يتبع من يتسمون بالكفاءة في المستوى الأدنى التعليمات العريضة، التي تأتي من المستوى الأعلى. ويحتمل أن تشعر سموها بالضياع، طالما أنها تفتقر إلى رعاية خاصة».

رد نيافتـه قائلاً: «تلك هي، بشـكل أو آخـر، خواطري، كما ترين. فبنـات الأباطرة، من أمثالـي، لا يعرفن الاسـتقرار علـى الدوام في الحيـاة بصورة سـعيدة، وبالإضافة إلى ذلك فإنـه ما إن تهب امرأة نفسـها لرجـل، فإنه ما من مكانة رفيعة يمكن أن تحميها من شـيء أو آخـر قد تأسـف لـه، على نحو يمكـن تفهمه، أو تجـده مزعجاً، وذلك هو السـبب في أنني ترددت إلى هذا الحدّ. ومن ناحية أخرى، فإنه عندما تفقد من هي في وضعها الإنسان الذي يعد الأكثر أهمية بالنسـبة لها[2]، بحيث يتعين عليها أن تواصل مسـيرتها من دونه، وتمضي متدبرة أمرها معتمدة على نفسـها، في وقت من الأوقات كان الناس مطيعين، ولا يحلمون البتـة بإتيـان ما يحظره العـرف، ولكنني أدرك أنه فـي هذه الأيام لا يعرف المرء أي سـخط غيـر متوقع قد يسـقط عليـه عقب ذلك. والابنـة التي كانت حتى الأمس فحسـب في الدار مع أبويها النبيلين، وتتمتع بكل حبهما واحترامهما، يقولون إنها اليوم قد يسـيئ إلى اسـمها أكثر الأشـخاص إثارة للضجر، ويسـيئون إلى شـرف أبيها الراحل، ويجللون بالعار ذكراه. وباختصـار فـإن الاختيـارات قد تكون متماثلة في السـوء. وما يسـمونه بحسـن الطالع في الحياة هو أمر لا سبيل إلى التنبؤ به، لأي شخص، وبأي درجة، وذلك هو ما يجعلني شديد

(1) جميع نساء جينجي هن من العامة (تادابيتو) مقارنة بأونا سان نو ميا.

(2) والدها في المقام الأول.

القلق. أياً كان الأمر، فإن المرأة ستلقى ما قُدِّر، كائناً ما كان، طالما أنها تحيا طائعة لمن هو مسؤول عنها، وإذا حل زمان للتردي، في وقت لاحق، فإنها على الأقل لن تكون مسؤولة عنه. وقد يبدو أنه لا بأس بأن تختار المرأة، في المقام الأول، عندما يتبين أنه اختيار موفق في نهاية المطاف، وعندما تشرفها النتيجة، ولكن كل ما أسمعه بالفعل يشير إلى أن أسوأ خطأ يمكن أن ترتكبه فتاة هو التصرف كيفما يحلو لها سراً، لا لشيء إلا لأمر تصادف أن أحدهم أبلغها به، من دون علم أبويها، أو إذن من أولئك الذين ينبغي أن تستأذنهم. فحتى بالنسبة لرجل مضجر للغاية من العامة يُعد ذلك أمراً من الحماقة والفظاعة إتيانه. ولا يتعلق الأمر بتجاهل رغباتها في هذا الصدد كلية، حيث أنه من الحماقة بالنسبة لها أيضاً أن تجد نفسها ملتزمة[1]، على نحو لا فكاك منه، بشخص لم ترغب في قبوله قط، حيث يسهل عندئذ تخيل حالتها المزاجية وسلوكها. أما فيما يتعلق بابنتي، التي تبدو لي طفولية على نحو مؤسف، فسيكون من سوء الطالع إلى أبعد الحدود إذا ما قُدِّر لأي منكن أن تأخذ بزمام الأمور، ثم يصبح الأمر معروفاً». جعل قلقه المفعم باليأس على ما سيؤول إليه أمرها بعد رحيله نساءها يشعرن بعدم الارتياح بصورة متفاقمة.

واصل نيافته الحديث: «لقد كنت أساير زماني إلى أن تتفهم الأمور بشكل أفضل، ولكن كما ترين لم يعد بمقدوري الصبر الآن، وقد أصبحت أخشى أنني قد لا أستطيع البتة القيام بما أردت القيام به. قلن ما طاب لكن، إن سمو المقيم في روكوجو يعرف ما هو مهم، وبما أنه ما من أحد يمكن أن يكون مسؤولاً أكثر منه، فلست أرى حاجة لأخذ عدد النسوة حوله في الاعتبار. في نهاية المطاف، يعتمد كل شيء على شخصية الرجل نفسه. وفي المهابة والكمال فإنه مثال تحتذيه الدنيا بأسرها، وهو جدير بأعلى درجات الثقة. من غيره هناك على أي حالة؟ من المؤكد أن معالي وزير الحرب رجل رائع. وهي وهو ينتميان إلى السلالة ذاتها[2]: وهو لن يتجاهلها أو يسيء إليها قط، ولكنه أكثر فتوراً في الهمة وتأنقاً في المظهر من أن يكون له الكثير من الجوهر، وربما يبدو أنه يُنظر إليه باستخفاف إلى حد ما. لا، لست أحسب أن مثل هذا الرجل يُعتمد عليه كلية. ثم هناك المستشار الكبير، الذي

(1) بسبب تصرف تقدم عليه إحدى وصيفاتها لصالح الخطيب.

(2) هو أخ غير شقيق لكل من سوزاكو وجينجي.

أدرك أنـه يتطلع إلى إدارة شـؤونها[1]. وبقدر ما يتعلق الأمـر بهذا الجانب، فإنني على يقين مـن أنـه سيحسـن صنعاً معها، ولكننـي على الرغم من ذلـك لا أملك إلا التسـاؤل، فرجل ينتمي إلى هذه المرتبة المتواضعة لا يمكن إلا أن يكون مخيباً للآمال. وفي الماضي كذلك كانت الجدارة البارزة هي التي تحسم هذه النوعية من الاختيارات. وأعتقد أنه سيكون شيئاً مؤسـفاً للغاية أن يتم التأثر كثيراً باحتمال الخدمة المخلصة والمفعمة بالولاء. والمشـرف على حراسة بوابة الميمنة[2] يتعذب كثيراً في غمار تولهه بها، أو هكذا تبلغني سيدة العاملين فـي القصر[3]، وفي مرتبة أكثر لياقة بقليـل قد يكون حرياً به أن يؤخذ في الاعتبار، ولكنه لا يـزال صغيراً للغاية ومتواضع المرتبة، وقد أفضى بـه طموحه الكبير إلى أن يظل بلا زواج، وفي غضون ذلك اكتسب أسلوباً فخوراً ومتكلفاً بصورة استثنائية. وتعليمه لا غضاضة فيه، وفـي نهاية المطاف فإنه سـيغدو من أعمـدة البلاد، ولكن على الرغم من أن مسـتقبله يبدو مشرقاً، فليس بمقدوري اعتباره جديراً بها». لم يدر أي طريق يسلك.

لم يبادر أحد على الإطلاق إلى مفاتحة نيافته فيما يتعلق بابنتيه الأكبر سناً، اللتين كان هو نفسـه أقل اهتماماً بهما، ولكن من الغريب أن حواراته السرية حول هذا الموضوع المتعلق بسموها قد ذاع أمرها، وغدا الكثير من النبلاء الآن متلهفين على الظفر بها.

أبلـغ المستشـار سـيدة العاملين فـي القصر، من خلال زوجتـه، أختها الكبـرى، بقوله: «لقـد ظل المشـرف على حراسـة البوابة بـلا زواج، وقد عقد العزم علـى ألا يتزوج إلا من أميرة. ومن ثم سيشـرفني ويسـعدني إذا نقلت ذلك إلى نيافته، عندما يطرح هذا الموضوع للحديث، وإذا اسـتدعى الشـاب بعد ذلك». وجعلها تنقل كل ما لديه ليقوله إلى نيافته في هذا الشأن.

عـرف معالي وزيـر الحرب، الذي كان قد خطب ود زوجة قائد الميسـرة[4] من دون أن يكلل بالتوفيق، أنها ستسمع بأمر من توجه إليها بعدها، ومن ثم فقد أمعن التفكير في الأمر

---

(1) لا يرد له ذكر آخر في الحكاية في غير هذا الموضع. وترقى رغبته في إدارة شؤونها (إيزوكاسا) إلى الرغبة في الزواج منها.

(2) كاشيواجي. لم تتم الإشارة إليه بهذا اللقب من قبل.

(3) أوبوروزوكيو.

(4) تاما كازورا، وقد تزوجت من هيجيكورو.

بعنايـة بالغة، خوفاً من أن يجعله اختيار سـيء يبدو رجلاً متسـماً بالحماقة. وما كان يمكن للأخبار المتعلقة بسموها إلا أن تثير مشاعر الرغبة المكثفة في الاستحواذ.

خشـي المستشار الكبير أشد الخشية فقدان سـموها، عندما انسحب نيافته إلى الجبال، فقد خدمه طويلاً عن قرب، كسـيد العاملين في قصره، ومن هنا فلابد أنه قد قام بكل ما في وسعه القيام به فيما يتعلق بموضوع سموها لإقناعه بالنظر إليه بعين العطف.

عندما كانت أخبار كهذه تصل إلى المستشار، الذي كان نيافته قد اتصل به بنفسه، وأتيح له أن يتملى ملامحه فيما هو يفعل ذلك، كان يتيه فخراً من جراء التفكير في أنه لو كان أبدى اهتماماً، فمن المؤكد أنه ما كان ليتعرض للرفض، ولكن محبوبته قد أسلمت قيادها له الآن للأبد، وخلال تلك السـنوات لم يتحول بعيداً عنها قط، حتى عندما كان يمكن أن يجد في المشـقة عـذراً له، فكيـف يمكنه الآن أن يتراجع فجـأة وينكص على عقبيه، ويكون سـبب تعاسـتها؟ حدَّث نفسـه قائلاً: لا، لو قُدِّر لي أن أربط أي إنسـانة على هذا القدر من السـمو بنفسـي، فلن يمضي شـيء على ما أريد له، ولن أحس بالراحة أبداً، ولن أعرف إلا الحزن. ولـم يكـن قد استسـلم للتهور قط، علـى أي حال، ولذا فقـد قمع انفعاله، ولـزم الصمت، ولكن فكرة ذهابها إلى شـخص آخر ظلت تثير اضطرابه، وأرهف أذنيه لسـماع أي شـائعة تدور حولها.

سمع ولي العهد بهذا كله بدوره. وأشار بقوله: «بدلاً من تحبيذ ما هو جذاب، على نحو فـوري، ينبغـي على نيافتكم، في المقام الأول، التفكير بما سـيعد قدوة حسـنة الطالع لكل العصور المقبلة. إن المنتمي إلى العامة، أياً كانت جدارته، يظل متواضع المرتبة، وإذا كنت تعتزم اختيار أحد العامة، فإن سمو ساكن روكوجو هو الذي يتعين تفضيله كوالد لها».

لـم تكن هذه أكثر من ملاحظة عابرة، في رسـالة حول أمور أخـرى، لكنها كان لها وقع جـاد، ولم يدهش لها نيافته، فرد قائلاً: «ذلك صحيـح تماماً، وقد أجدت للغاية التعبير عن مقصـدك». ولمـا كان الآن يـرى الـرأي عينه بصـورة متزايـدة، فقد بعث بمراقب الميسـرة للاطلاع على ما يراه جينجي في هذا الشأن.

كان جينجي يعرف بالفعل كل ما يتعلق بقلق نيافته على ابنته، فقال: «إنني أشعر بالأسف

مـن أجلـه. وعلى الرغم من ذلـك، إذا كان لديه وقت محدود في هـذه الدنيا، فهل يمكنني الرهان على البقاء بعده وقتاً طويلاً بما فيه الكفاية للموافقة على القيام برعايتها؟ وبافتراض أنني عشـت بعـده، كما يحتمل أن يحدث في المسـار الطبيعي للأمور، فإننـي لن أنظر أبداً إلـى أي مـن بناتـه بلامبالاة، وحيـث إنه قد أسـعده أن يفاتحني بشـأن إحداهـن على وجه الخصوص، فلسـوف أبدي مسـروراً اهتمامـاً خاصاً بها، ولكن مفارقات الحياة لا تسـمح بأي شيء مؤكد حتى في مثل هذه الحالة».

واصل حديثه: «على أي حال، إذا قُدِّر لي أن أصبح المصدر الوحيد المألوف والحميم لثقتهـا، فإننـي سـأحس بقدر أكبر من الأسـف عندمـا يحيـن أوان رحيلي عن هـذه الدنيا، وستشكل رابطة يؤلمني أن أفصمها. وعلى سبيل المثال، فإن المستشار يبدو صغيراً ويفتقر إلـى الثقل، ولكنه أمامه عمر مديـد، وفيما يتعلق بالمقدرة فإنه يعد بمنح البلاد قوة عظيمة. ونيافتـه لـن يكون موغلاً فـي الخطأ إذا وافق عليه. غير أنه بلا شـك فضل التـزام الكتمان، حيث إن الشاب شديد الجدية، ويبدو أنه رتب عواطفه في موضع آخر».

بـدا أنـه لا يرحب بالفكـرة، وهو الأمر الذي شـعر المراقب بالأسـف حيالـه، أخذاً في الاعتبار مدى الجدية التي فكَّر بها نيافته في قراره، ومن هنا فقد مضى قدماً لكي يسـتحضر بشكل شخصي أكبر ما الذي دفع نيافته للوصول إليه. رد جينجي مبتسماً: «إنه يحب سموها حباً جماً، وأتوقع أن يكون ذلك هو السر في أنه كلَّف نفسه عناء مثل هذا الجهد لدراسة كل شيء له علاقة بمستقبلها. ولكن الأمر بسيط، دعه يقدمها إلى جلالة الامبراطور، ولا شك فـي أنها سـتجد هناك من سـبقنها إلى الوصـول، وحظين بمكانة يعتد بهـا، ولكن هذا ليس مهماً، فهن لا يشـكلن عقبة، فمن وصلت متأخرة لا يتعين أن تخسـر بالضرورة. وفي حالة نيافتـه الراحـل، فإن الامبراطورة الأم مضت إليه أولاً، بينمـا كان لا يزال ولياً للعهد، ولكن نيافتهـا المترهبنة، التي لم تجئ إليه إلا بعد وقت طويل، انتزعت حظوتها لديه. وعلى نحو مـا أتفهـم الأمر، فإن الزوجة التي حملت بالأميرة المعنية كانـت أخت نيافتها المترهبنة[1]، ويقولـون إنهـا كانت تضاهيها فـي الجمال على وجـه التقريب. ولابد أن سـموها لديها ما يميزهـا عن معظم الناس، أخذاً في الاعتبار ابنة من هي من جهة الأم والأب». لابد أنه كان

(1) أختها غير الشقيقة، التي ولدتها خليلة.

فضولياً فيما يتعلق بها في نهاية المطاف.

كان العام الجديد بسبيله إلى أن يقبل. وفي قصر سوزاكو لم يرصد نيافته مؤشراً إلى التماثل للشفاء، وقرَّر على عجل إقامة احتفال بالبلوغ يكون أعجوبة العصور. فأمر بترتيب جناح كيدونو[1]، وما كان ليقبل بأي من أنسجة التويل والأقمشة المقصبة التي نستخدمها للأسرة التي تحيطها الستائر، والستائر القائمة وغيرها، فقد تطلع إلى قطع أثاث امبراطورة صينية، وأمر بصنع كل شيء ليتألق بعظمة رسمية. وكان قد دعا، منذ وقت طويل، معالي المستشار ليحكم نطاق خاصرتها، وعلى الرغم من تردد هذا النبيل المعتاد المفعم بالضجة، فقد أقبل في نهاية المطاف، حيث إنه لم يكن قد رفض أي مطلب لنيافته. وتمكن نبلاء الميمنة والميسرة[2] وكبار النبلاء الآخرين جميعاً من الحضور، حتى أولئك الذين لديهم أسباب مهمة للاعتذار عن عدم الحضور، وتجمع الأمراء الثمانية، وبالطبع كل الوصفاء الخصوصيين للامبراطور وولي العهد، حيث إن كل هذه الاستعدادات الرائعة كانت قد أصبحت شهيرة تماماً. وأحس جلالة الامبراطور وولي العهد بالحزن بصفة خاصة، لأنهما افترضا أن هذا الحفل سيكون آخر فعالية من هذا النوع لنيافته، وقدما العديد من الأشياء الصينية من مكتب الحجاب ومن الخزائن الامبراطورية. وكانت هناك مساهمات متألقة من روكوجو أيضاً. وفضلاً عن ذلك، فقد كان جينجي هو الذي وفَّر الهدايا والمكافآت وهدية المستشار الذي يتصدر الحفل.

من جلالتها أيضاً جاءت أثواب وصناديق أمشاط، أُعدت جميعها بإعزاز، وذلك الطاقم من أدوات تزيين الشعر، الذي يعود إلى تلك الأعوام كلها[3]، والتي صُقلت الآن على نحو جميل مجدداً، وإن لم يكن ذلك إلى مدى يجعلها تفقد طابعها الأصيل. وقدمتها في مساء اليوم، وأفصحت عن هوية من جاءت منه. لم يكن مبعوثها هو نائب سيد العاملين لديها فحسب، وإنما كان قد خدم نيافته كذلك، وأبلغته بأن يضعها أمام جلالته. غير أن هذه

(1) «سرادق السنديان»، مسكن منفصل في الركن الشمالي الشرقي من قصر سوزاكو التاريخي.

(2) الذين لا يعرف القارئ شيئاً عنهم.

(3) طاقم أدوات تزيين الشعر الذي كان سوزاكو قد أعطاه لها عندما التحقت بالامبراطور رايزي («مسابقة التصوير»).

القصيدة كانت في الصندوق[1]:

«هذا المشط البديع، المرحب به دوماً في شعري ليسترجع الماضي،

اكتسب منذ تلك الأيام الخوالي بهاء العمر»[2].

استدعى هذا، بالنسبة لنيافته، ذكريات مفعمة بالحياة. وكانت جلالتها قد علَّقت الأمل على أن هذه الهدية قد تحمل معها حسن طالعها، ولما كان المشط جليل القيمة حقاً، فقد ترك بدوره العنان لمشاعر قديمة لتنطلق من رده الذي يحمل التهنئة:

«لعلها تمضي، في أعقابك، إلى حسن طالع هاتيك السنوات العشرة آلاف

التي ينبئ بها هذا المشط البديع، إلى أن يكتسب بهاء الآلهة».

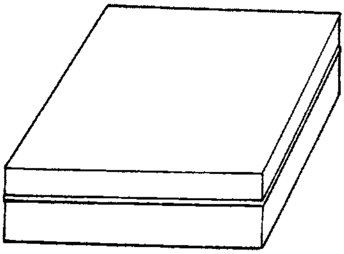
تجلَّد نيافته في مواجهة معاناة كبرى، واستجمع شجاعته، وبعد ثلاثة أيام من الحفل، حلق شعره لدخول الرهبنة أخيراً. والأمر محزن على الدوام عندما يحل ذلك التغير بأي أحد، ولذا فمن الطبيعي أن سيداته استشعرن الحزن العميق لحلوله بساحته. ولم تغادر سيدة العاملين في القصر جانبه، وغلبها حزن شديد للغاية، إلى حد أنه لم يدر كيف يدخل العزاء على نفسها. وقال: «هناك نهاية لدرب حب الأبوين في نهاية المطاف. ولكن هذا الوداع الذي يحزنك هكذا مؤلم للغاية حقاً». ورفع نفسه بحزم إلى مسند للذراع، وذلك على الرغم من أنه كان معرضاً لخطر داهم بفقدان سيطرته على نفسه، ثم قام كبير رهبان الجبل وراهبان مصاحبان له بأداء الطقوس. وكان الحفل، الذي يؤكد تخليه عن الدنيا وتنكره لها، والذي يرتدي فيه أثوابه الدينية، حزيناً للغاية. ولم يستطع حتى الرهبان، الذي تعد الدنيا خبثاً ونفاية بالنسبة لهم، الحيلولة دون انهمار دموعهم في ذلك اليوم، وبالطبع أسلم بناته وزوجاته وخليلاته والسيدات والنبلاء من كل المراتب أنفسهم للبكاء، الأمر الذي آلمه أشد الألم، حيث إن الأمر كله كان مخالفاً تماماً للسلام والسكينة اللذين تاق إلى الركون إليهما، باستثناء أن الأميرة الصغيرة كانت لا تزال تنتزع فؤاده من موضعه انتزاعاً. وكان هناك دفق مستمر من المبعوثين من القصر ومن مواضع أخرى للاستفسار

(1) القصيدة موجهة إلى سوزاكو، وليس إلى ابنته، حيث من المؤكد أنه سيراها.

(2) للمشط ارتباطات سحرية في الشعر، وتشير أسنانه العديد إلى سنوات كثيرة (طول العمر). ولغة القصيدة، شأن رد سوزاكو، تتسم باللباقة.

عن صحته.

جاء سمو قاطن روكوجو بدوره، عندما علم بأن نيافته يشعر بالتحسن قليلاً. وعلى الرغم من أنه كان يحظى بالتعويضات وما إليها، التي يحظى بها امبراطور متقاعد، فإنه لم يكن يصر على درجة المواكبة الرسمية التي تناسب مرتبته، وأبقى ركبه بسيطاً، على الرغم من التقدير الكبير الذي يتمتع به. ومضى بركبه إلى هناك في عربة متواضعة، كالمعتاد، وليس بصحبته إلا كبار النبلاء أولئك الذين يتوقع وجودهم معه.


علبة أمشاط

سُر نيافته كثيراً لقدومه، أخيراً، ونسي معاناته لكي يستقبله. وتخلى عن كل الرسميات، واستقدم جينجي، وأجلسه إلى جواره. أفعم التغير المحزن الذي حل به نفسه جينجي حزناً، فبكى أسفاً، واستغرق بعض الوقت في استعادة رباطة جأشه. وقال: «منذ حُرمت من نيافته الراحل، أدركت أنه ما من شيء يدوم، وتاقت نفسي إلى القيام بما قمت به لتوك، غير أنني بدلاً من ذلك ترددت في ضعف مرة إثر أخرى، إلى أن خجلت من تخاذلي لدى رؤيتي لك على هذا النحو أمامي. ما أكثر المرات التي حزمت فيها أمري على أنه بالنسبة لشخص مثلي ما من شيء يقف في طريقي جدياً! ومع ذلك فهناك على الدوام أمور عديدة للغاية تجعل مما لا يطاق، في نهاية المطاف، القيام بتلك الخطوة بالفعل». كان في وضع لا سبيل معه إلى بعث العزاء في نفسه والتسرية عنه.

كان نيافته أشد أسى من أن يغدو أكثر شجاعة، وبدموع منهمرة شرع في الحديث بصوت واهن للغاية عن قديم الأمور وجديدها. قال: «منذ سنين كنت أنتظر أن يحل أوان رحيلي في أي وقت، ولكني خطوت تلك الخطوة، لأنني كنت أخشى أنني إذا ترددت فإنني قد لا أخطوها أبداً. وعلى الرغم من ذلك، فلديَّ وقت محدود للغاية لممارسة الطقوس على النحو الذي أتمناه. لا، لسوف أصفي ذهني بعض الوقت، وأردد الاسم المقدس. ولما كان لديَّ القليل للغاية لأقدمه، فإنني أعرف حق المعرفة أنني قد بقيت كل هذا الوقت لأن تلك الرغبة أبقت عليَّ، ويقلقني التفكير في أنه حتى هذا اليوم فإنني لم أقم بممارسة الطقوس

على الإطلاق».

وصف مشاعره على امتداد السنين، وفيما هو يقوم بذلك تصادف أنه أشار بقوله: «إنني أكره ترك بناتي جميعاً، والبنت التي لم أجد أحداً لها بعد؛ تقلقني بصفة خاصة. لست أدري ماذا عساني أفعل».

أثار أسلوبه غير المباشر شفقة جينجي، ولم يستطع ترك اللحظة تمر، ذلك أنه على الرغم من كل شيء كان فضولياً فيما يتعلق بها، فرد قائلاً: «نعم، ذلك صحيح، فأميرة بلا رعاية شخصية معينة قد تجد نفسها في وضع مرتبك. وولي العهد، بحكم هويته، يثير في كل مكان الثقة المفعمة بالإخلاص بأنه أكثر أولياء العهود حكمة في هذا العصر، وإذا أوضحت موقفها له، فإنه بالطبع لن يهملها قطّ أو يعاملها باستخفاف، ولن تحتاج إلى القلق على مستقبلها. غير أنه لن يستطيع إلا القيام بذلك فحسب، وليس بما يزيد عليه، ولن يمكنه أن يؤثرها وحدها بعطفه، لدى وصوله إلى الحكم، مهما كانت دقة انصياع الحكومة لرغباته. والرجل الذي يُختار لرعاية امرأة بكل السبل سيكون جديراً بقدر أكبر من الثقة عندما يلتزم أحدهما بالآخر تمام الالتزام، ويأخذ على عاتقه أن يؤثرها ويحميها في كل الظروف التي تفرضها الحياة. وإذا لم يكن بمقدورك الكف عن القلق على مستقبلها، فينبغي أن تنتقي لها خيارات مناسبة، وتقرر بحرص بالغ من الذي ترغب في أن تعهد إليه برعايتها».

«إنني أوافق على ذلك تماماً، ولكنه ليس على الإطلاق بالأمر الذي يسهل القيام به. وأنا أدرك من قدوة الماضي أن العاهل، حتى ذلك الذي يكون في سمت تمتعه بسلطاته، يفضل عادة أن يختار نبيلاً وفي ذهنه تلك النوعية من الترتيبات على وجه الدقة. ومن ناحية أخرى فإنني أوشك على الرحيل عن هذه الحياة. وحتى إذا لم يكن هذا هو الوقت بالنسبة لي لأنطلق مطالباً بتلبية شروط، فإنها الوحيدة من بين كل من سأتركهم ورائي التي أرتبط بها ارتباطاً بالغ الخصوصية. ومن هنا فإنني أقلق كثيراً عليها من الجوانب كافة. وفي غضون ذلك فإن حالتي تزداد تفاقماً بانتظام، والأيام والشهور التي لن تعود قط تمضي سريعاً. وكما تدرك، فإن ذلك هو السبب في أنني يائس للغاية. وإنني أعرف أن طلبي لا يمكن أن يكون موضع ترحيب، ولكنني أود أن أطلب منك أن تأخذ هذه الأميرة الصغيرة في

ظل رعايتك الخاصة، وأن تتوصل بطريقتك الخاصة إلى تحديد من سيكون نداً جيداً لها. وكان يمكن طلب ذلك من المستشار عندما كان وحيداً، وأنا أشعر بخيبة الأمل لأن معالي المستشار سبق إليه».

«يمكن الاعتماد على المستشار الشاب في تقديم الخدمة المفعمة بالولاء، ولكنه يفتقر للخبرة. وأعتقد أن هناك العديد من الأمور التي لا يدركها حتى الآن. أرجو أن تغتفر لي جرأتي، ولكن لو قُدِّر لي أن أكرس نفسي لرفاهها، فإنها ستجد حياتها بلا تغيير مقارنة بما جعلتها عليه. يا للأسى، إن مصدر قلقي الوحيد هو أنني بما أنني بدوري أمامي وقت قصير، فإنني يحتمل أن أخذلها». وبهذه الكلمات قبل جينجي ما عُهد به إليه.


منضدة وجبة

لدى هبوط الليل قُدمت لمرافقي نيافته وكبار النبلاء الذين صحبوا جينجي في حضور هذين النبيلين العظيمين وجبة سريعة أقل اتساماً بالطابع الرسمي من اتسامها بالبساطة الرشيقة. مسحوا دموعهم المنسابة من عيونهم ليشاهدوا نيافته، وهو يتناول طعامه بطريقة غير مألوفة بالمرة من الوعاء الموضوع على مسند وجبة نبات الصبر أمامه[1]. وأعقبت ذلك لحظات عديدة مؤثرة، ولكنه سيكون من المضجر تسجيلها جميعها. وقد انسحب جينجي في وقت متأخر من تلك الليلة. وتلقى كل نبيل مكافأة تتناسب مع مرتبته. وصحب المستشار وسيد العاملين جينجي إلى داره. وقد جعل ثلج النهار حالة نيافته أسوأ، وداهمه شعور بالمرض الشديد، ولكن ذهنه غمرته السكينة الآن وقد سُويت مسألة ابنته.

في روكوجو، شعر جينجي إلى حد ما بالاكتئاب والتمزق. وكانت السيدة موراساكي[2]

(1) الوعاء هو الآنية الوحيدة لتناول الطعام التي يُسمح باستخدامها لمن أدى القسم المقدس.

(2) إن الطريقة التي يسميها بها الأصل هنا (موراساكي نو يوئي) تشكلِّ مفارقة حادة بينها وبين أونا سان نو ميا. فهي «المحبوبة الحقيقية» لجينجي (موراساكي)، بينما علاقته بأونا سان نو ميا هي علاقة تعوزها الحماسة. وفي نهاية المطاف، فإن طبيعتها الشخصية المميزة تمنحها المكانة في مواجهة المرتبة الرفيعة التي تتمتع بها أونا سان نو ميا. ومن هذا الموضع فصاعداً فإن مكانتها ستواصل الارتفاع على مهل، وسيدعوها النص باسم موراساكي نو

قد تناهى إليها حديث عن القرار، ولكنها كان من الصعب عليها تصديقه. وحدَّثت نفسها بأنه كان قد بدا على عجلة من أمره، عندما كان يتودد إلى كاهنة كامو السابقة، ولكنه تجنب المضي بالتودد إلى نهايته القصوى، بل إنها لم تكترث بسؤاله عن الأمر.

أثارت ثقتها التي لا تعرف التساؤل قلقه. فمضى يتساءل: على أي نحو ستحمل هذا الأمر؟ لن يتغير شعوري نحوها على الإطلاق، وفي حقيقة الأمر، فإنني سأحبها أكثر فحسب، إذا حدث ذلك. وعلى الرغم من ذلك أي شكوك ستحملها حيالي على الأقل إلى أن تبرهن التجربة على أنها ليست في موضعها؟ استبدَّ به القلق. بعد هذه السنين كلها لم يفرقهما شيء، وكانا شديدي التقارب، ولم يحب للحظة حجب الأشياء عنها، غير أنه في تلك الليلة رقد لينال قسطاً من الراحة، من دون أن يتفوه بكلمة واحدة.

في اليوم التالي، انهمر الثلج، واتشحت السماء بسمة مؤثرة بعمق. وتجاذبا أطراف الحديث عن الماضي والمستقبل. أشار بقوله: «نيافته ليس على ما يرام على الإطلاق، وقد عدته بالأمس. وكما تعلمين، فقد كان الأمر كله مؤثراً للغاية. وقد كانت فكرة ترك سمو ابنته الثالثة مصدر قلق كبير له، وحدَّثني بالأمر كله، فأحسست بأسف بالغ عليه إلى حد أنني لم أستطع الرفض. وأحسب أن الناس سيثيرون ضجة كبرى حول هذا الموضوع. وقد غدا الأمر كله محرجاً للغاية الآن وغير لائق كذلك، وعندما فاتحني في أول الأمر عن طريق شخص آخر، أفلحت على نحو ما في التملص. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في لقائنا وجهاً لوجه تحدَّث مطولاً للغاية، وبلهفة كبيرة، إلى حد أنني لم أستطع العثور على حجة وجيهة ولائقة هذه المرة. وهو يعتزم الإقامة بعيداً في التلال[1]، وعندما يقوم بذلك، سيحين الوقت بالنسبة لي لاحضارها إلى هنا. هل سيضايقك ذلك كثيراً؟ لن يتغير شيء بالنسبة لك بأي شكل، أياً كان ما سيحدث، لا تكرهيني لطفاً! إنها هي التي أشعر بالأسف من أجلها. وأنا أعتزم رعايتها على نحو لائق. طالما أن كل من يعنيهم الأمر تمضي أمورهم معاً..».

يوئي بصورة أكثر تواتراً.

(1) أومور ليست بحال «بعيدة» بالنسبة لأي ساكن حالي في كيوتو، كما أنها ليست موغلة في التلال، ولكنها كانت تبدو أكثر نأياً آنذاك، وعلى أي حال فإن العالم الديني الذي كان سوزاكو على وشك الالتحاق به كان يضفي الشعور بالبعد الشديد حقاً.

راح يتساءل كيف سيكون شعورها، هي التي بمزاجها العصبي كانت تعترض على أبسط ألوان ترفيهه الصغيرة، ولكن ردها لم يفصح عن شيء، فقد قالت: «يا له من شيء غير مألوف يطلبه منك! أما فيما يتعلق بي فلماذا أكرهها؟ لسوف أكون سعيدة تماماً طالما أنها لا تجد وجودي هنا مزعجاً. على أي حال، فقد يشجعها على تقبُّلي أنني قريبة أمها».

أذهل تواضعها جينجي. ألقى على مسامعها خطاباً بديعاً: «مثل هذا الإذعان الفائق في اعتداله يقلقني، أتساءل ما الذي يكمن وراءه. وعلى الرغم من ذلك، إذا كنت تقصدينه حقاً، وإذا كان بمقدوركما أن تسايري إحداكما الأخرى بصورة معقولة، فإنني سأحبك أكثر من أي وقت مضى. لا تكترثي بالهراء الذي يتناوله الناس في أحاديثهم. لا أحد يعرف قط أين تبدأ النميمة، ولكنها يمكن أن تسيء تفسير العلاقة بين الناس، وتترتب عليها أسوأ العواقب. وستكونين أكثر حكمة إذا التزمت بتعقلك، وحملت الأمور على ما هي عليه حقاً. لا تنزعجي لطفاً من دون سبب وجيه ولا تشعري بالغيرة التي لا مبرر لها!».

وأتاه هذا القول من قلب المجهول، ولم يستطع تجنبه، هكذا مضت تحدث نفسها. إنني أرفض التفوه بكلمة احتجاج قاسية. الأمر لا يبدو كما لو أنهما دبرا معاً أي مؤامرة عاطفية، أو كأنه لا يزال عرضة للإغواء. لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله حيال ذلك، ولن أدع الناس يدركون أن الحزن يستبد بي. وزوجة معالي وزير شؤون المراسم[1] تدعو دوماً بحلول كارثة بساحتي، بل إنها غيرى وممرورة على نحو مجنون بسبب ذلك الموضوع البائس المتعلق بالقائد[2]. لشد ما ستبتهج عندما تسمع بهذا الأمر!

كان قلبها، بلا شك، قلباً لا يعرف الختال، ولكنه بالطبع لا يزال يضم غوراً أو غورين معتمين. لم تكف في قرارة نفسها عن الحزن على أن براءتها ذاتها - الطريقة التي افترضت بها معتزة طوال كل هذا الوقت أن تقلباته لا تعنيها - ستكون مسلية الآن، لكنها في سلوكها ظلت صورة للثقة التامة.

أقبل العام الجديد. وفي قصر سوزاكو مضت ابنة نيافته تستعد للانتقال إلى روكوجو، وأحس خُطابها الآخرون بخيبة أمل بالغة. وكان جلالة الامبراطور من جانبه قد علق الآمال

---

(1) والدها.

(2) زواج تاما كازوا من هيجيكورو.

على أنها قد تجيء إلى القصر، ولكنه تخلى عن هذه الفكرة الآن وقد حُسم الأمر.

فـي هذا العام يبلغ جينجي الأربعين، ولـم يشـأ جلالة الامبراطور من جانبه تجاهل هذه المناسـبة. ووعـدت هذه الفعالية بأن تضم البلاط بكاملـه، وكانت بالفعل تثير جلبة كبرى، وذلـك علـى الرغم من أن جينجي، الذي لـم يحب قط المناسـبات الجادة، لـم يرد أن يكون له دور فيها.

في اليوم الثالث والعشرين من الشهر الأول، يوم الفأر، قدمت زوجة قائد الميمنة وجبة مـن براعـم الربيـع[1]. ولـم تكن قد أبلغته بشـيء عنها مسـبقاً، وأنجزت كل ترتيباتها سـراً، بحيـث وجد نفسـه متورطاً، ولـم يسـتطع الاعتـذار. وعلى الرغم من تواضعهـا، فقد كانت سيدة عظيمة للغاية بحيث لـم يكن لوصولها إلا أن يحدث ضجة كبرى.

كان المـكان هو الامتداد الغربي في الدار الرئيسـية للجانب الجنوبي الشـرقي. وكانت السـتائر، وسُـدل العتبـات العليا، وقطـع الأثاث الأخرى كلهـا جديدة. وبـدلاً من العرش المترف[2]، كانت هناك أربعون حصيرة وحشية وطنفسة ومسند للذراع، جميعها بديعة وفق رغبتهـا. وكان هناك زوج من الخزائن أيضـاً مطعّم بعرق اللؤلؤ يدعم أربع خزائن لملابس الصيف والشتاء، وإلى جوارها كانت هناك مرطبانات، صناديق أدوية، محابر، آنية للماء[3] لترتيب الخصلات الجانبية، وخزانة لأدوات ترتيب الشعر. وفي هدوء حرصت على التأكد من أن كل شيء جميل تماماً. كانت المنصات التي تحمل زهور عصائب الرأس من خشب قلب نبات الصبر وخشـب الصندل المحفـور بتصميمات جديدة، على نحو مدهش وعلى أحدث طراز، وصولاً إلى زركشتها الذهبية وألوانها، حيث إنها هي التي كانت ماهرة للغاية ومتأنقة منحت هذه الأشياء كلها لمسة لم تقع عليها عين من قبل. وحرصت في كل موضع على التوقف بعناية قبل الوصول إلى حد الإغراق والادعاء.

تجمـع الضيـوف، وحظي جينجـي بلحظة معها في طريقـه إلى اللحاق بهـم. ولابد أنه

(1) تحتفل تاما كازورا بهذه المناسبة في اليوم (يوم الفأر وهو اليوم الأول في الشهر الأول) الذي يمضي فيه أعضاء البلاط إلى الحقول لقطف البراعم الخضراء من النباتات التي تنمو أولاً في الربيع، وعددها سبع نباتات تقليدياً.

(2) قطعة أثاث «صينية» فخمة للضيف شبه الامبراطوري المكرم. «الأربعون حصيرة» وما إليها هي بمناسبة سنوات جينجي الأربعين.

(3) يوسورو تسوكي، أقداح ذات أغطية على منصات مرتفعة.

قـد عاودته جميع أنواع الذكريات. وبدا متألق الشباب شـديد الوسـامة إلى حـد أن المرء يرفض تصديق حسـاب السـنين، وكانت رشـاقته بالغة إلى حـد أنه لم يبد أبـاً أنجب أبناء. وعلى الرغم من أنها غمرها الخجل تماماً، حيث وجدت نفسها أمامه بعد مرور هذا الوقت كله، إلا أنها لم تبق على مسـافة كبيرة تفصلهما، وتجاذبا أطراف الحديث. كان معها ابناها الصغيـران الجميـلان، ولـم تكن هي نفسـها قد أرادت أن تظهر له ابنيـن ولدا بفاصل قصير للغايـة بينهما[1]، ولكن القائد أصر علـى انتهاز هذه الفرصة وهكذا فهاهما الآن، وقد لاحا ببراءة متماثلين في العباءات الرسمية والشعر المفروق بصورة متوازنة.

قـال جينجي: «إنني لا ألاحظ بنفسـي أنني أتقدم في العمر، لأنني أحس بنفسـي شـاباً، كعهدي أبداً، ولكنني يتم تذكيري بسنوات عمري من خلال احتفال أبنائي بي بهذه الطريقة، بين الحين والآخر. وقد أنجب المستشـار ابناً منذ بعض الوقت، ولكنه مسـتقل للغاية، ولم يسمح لي حتى الآن برؤيته. وأنا أستنكر يوم الفأر هذا على الرغم من ذلك، وقد كنت أول من أحصى سنوات عمري وصولاً إليه. وكان ينبغي أن أفضل نسيان الإيغال في العمر أكثر من هذا قليلاً!».

كانت سيدة العاملين في القصر قد نضجت، بصورة رائعة للغاية، واكتسبت ثقلاً جديداً في حضورها. وكانت رؤيتها مصدراً للسرور.

«أحضرت اليوم شجيرتي صنوبر انتزعتا من مروج تنمو فيها مثل هذه البراعم

لتبتهلا، لعل الأزل يبارك الصخرة العظيمة التي نبعتُ منها»[2].

هكذا قالت بأسلوبها المفعم بالأمومة الخالصة.

تنـاول جينجي بإجلال بعضاً مـن براعم الربيع، التي قُدِّمت في أربع صوان من خشـب الصبر، ثم رفع قدح خمره عالياً، وقال:

---

(1) يبدو أنها تحس بأنه من قبيل التباهي من جانبها أن تكون قد أنجبت ولدين بصورة متقاربة للغاية في السن من هيجيكورو، وبخاصة في ضوء الشعور القديم بينها وبين جينجي.

(2) في يوم الفأر وهو اليوم الأول من العام، كان الناس يمضون إلى الحقول، ليس لجمع النباتات الخضراء الجديدة فحسب، وإنما أيضاً لانتزاع شجيرات الصنوبر، التي تعد رمزاً لطول العمر. والشعر المرتبط بهذا اليوم يشير إلى هذين النشاطين كليهما. وهنا نجد أن «شجيرتي الصنوبر» هما ابناها، اللذان «أحضرت اليوم» (هيكي - تسوريتي) فيما الناس ينتزعون (هيكي) الصنوبرات. أما الصخرة العظيمة فالمراد بها جينجي.

«فلتبرعم هاتان الشجيرتان المنتزعتان من مثل هذه المروج السعيدة

نحو مدى أطول بلا انتهاء من الأعوام المكللة بالسعادة»[1].

وقال أشياء أخرى من هذا القبيل، وفي غضون ذلك وصل كبار النبلاء إلى الجناح الجنوبي.

تردد معالي وزير شؤون المراسم في القدوم، ولكنه وصل في نهاية المطاف، في وقت لاحق من ذلك الصباح، حيث إن الدعوة كانت قد وُجهت إليه، وحيث إنه كان مقرباً من جينجي[2]، وقد يحسن صنعاً بتجنب إعطاء الانطباع بأنه كان مستاء على نحو ما. وكانت الطريقة التي تباهى بها القائد المتأنق في مظهره وكل ما يتعلق به بصلته بسمو الامبراطور الفخري باعثة على الضيق حقاً. ولكن أحفاد معالي وزير شؤون المراسم جعلوا أنفسهم مفيدين بصورة تدعو للإعجاب على الجانبين كليهما[3]. وقدَّم المستشار، ومن بعده كل من يليق بهم أن يحذو حذوه، إلى جينجي سلال فاكهته الأربعين وأربعين صندوقاً مصنوعاً من خشب السرو تضم الأطعمة المفضلة. دارت أقداح الخمر، وتناول الجميع من براعم الربيع المعدة في حساء صاف رقيق. واستقرت أمام جينجي أربعة حوامل للوجبات من خشب قلب الصبر، وكانت كل الأقداح والأدوات الموضوعة عليها حديثة كأقصى ما يكون.

لم يتم استدعاء أحد من الموسيقيين، حيث كان نيافته لا يزال متوعكاً. وكان سعادة المستشار قد حرص على توفير الآلات الموسيقية النفخية، وقال: «لم يكن بالإمكان في الدنيا بأسرها أن يكون هناك احتفال أجمل من هذا أو أكثر مدعاة للاهتمام». وأعقب ذلك حفل موسيقي بعيد عن الصخب والضجيج. وكان قد تخير آلات موسيقية ذات نغم رائع فحسب. وكانت آلة الواجون الموسيقية هي المفضلة عنده، وكانت الموسيقى التي تنبعث منها عندما يعزف عليها مثل هذا العازف العظيم رائعة. وعندما لم يلتقطها أحد آخر، تجاوز

---

(1) «ابناك الصغيران يجعلانني شاباً من جديد». تتلاعب قصيدة جينجي من جديد (وإن يكن بطريقة مختلفة) بـ«هيكي» وأيضاً بـ«تسومو» (قطف [النباتات] و«مراكمة» [السنوات]).

(2) إنه والد موراساكي، ولكنه أيضاً حمو هيجيكورو السابق.

(3) تاما كازورا هي زوجة الأب، وموراساكي هي الخالة بالنسبة لأبناء هيجيكورو من زوجته السابقة، ابنة معالي وزير شؤون المراسم.

الاعتـذار المفرط مـن جانب مراقب الحراسـة[1]، الذي عزف عليها بشـكل جميل للغاية، وفـي حقيقـة الأمر على نحـو لا يقل عن عزف أبيـه. وتأثر الجميع بعزفـه، لأنه على الرغم مـن أن الابـن قد يرث مهارات أبيه حقاً، فإنه لم يبد ممكناً أن يحدث هذا إلى تلك الدرجة. وقـد جعلت مجموعة النمـاذج المرتبطة بكل مقام يعزفه والنقـل المكتوب من الصين من السـهل نسـبياً التمكن من المقطوعات المعنية[2]، بينما تنبعث موسـيقى رنانة ومؤثرة على نحو مدهش من الارتجال الناجح في صفوف الآلات الأخرى في تناغم بينها جميعاً. وقد قلـلَّ معاليه من إحكام شـد الأوتار، ودوزن آلته ليجعلهـا خفيضة الصوت لتواكب الآلات الأخـرى، بينما عزف ابنه نغمة عالية وعلى نحو عذب، متوصلاً إلى نتائج أدهشـت النبلاء الذين لم يكونوا قد سـمعوا شيئاً كهذا من قبل. ومضت آلة الكين إلى معالي وزير الحرب، وقد كانت من خزائن الامبراطور، وحظيت بتقدير أجيال من الأباطرة، وقرب النهاية منحها نيافته الراحل لابنته الأولى، التي كانت تعشـق الموسيقى كذلك، وأقنعها سعادة المستشار بأن تعيرها لكي تضفي على المناسبة اللمسة النهائية من التألق. وتأثر جينجي بذلك، وتذكر في إعزاز الكثير من المشاهد المنتمية إلى الماضي. وقد وجد معالي وزير الحرب، الذي لم يستطع كبح جماح دموع سكرى، اللحظة المناسبة لكي يسلم الآلة الموسيقية إلى جينجي نفسه. وقام جينجي الذي غمرته مشاعره الداعية للاعتذار بعزف مقطوعة واحدة نادرة. لا، على الرغم من أن الحفل الموسيقي لم يكن عظيماً على نحو رسمي، فإن ذلك المساء كان جميلاً كأقصى ما يمكن ما يكون. واستدعي المغنون إلى أعلى الدرج، حيث غنوا بصوت رائع إلى أن حل تغيير المقام[3]. وكلما أوغل الليل أكثر زادت عذوبة الموسيقى، حتى إنهم لـدى حلول الوقت الذي وصلوا فيه إلى «الصفصافة الخضراء»[4] كان حرياً بطائر الهازجة في مجثمه أن يتيه عجباً بمثل هذه التناغمات السـاحرة. وكانت المكافآت وما إليها جميلة

---

(1) كاشيواجي.

(2) «قطع سرية» (هيكيوكو) ترتبط بالمقامات المختلفة والمقطوعات الصينية، التي كُتبت لها الأنغام جميعها.

(3) كان المغنون (الذين قاموا بأداء التنغيم أو السوجا) وصفاء خصوصيين، وقد غنوا في هذه الحالة من أعلى الدرج المفضي من الجانب الجنوبي للمبنى إلى الحديقة. ومن المفترض أن «تغيير المقام» من مقام رايو إلى مقام ريتسو قد تضمن تغيراً ملحوظاً في الأداء.

(4) أغنية سايبارا تدور حول طيور هازجة تنسج قبعة «كاسا» من سعفات شجرة صفاف باكية.

بشكل خاص، بما أن الحفل كان ذا طبيعة خاصة[1].

بعث جينجي إلى سيدة العاملين في القصر بهدايا، عندما مضت إلى الدار عند انبلاج الفجر. «حيث إنني أعيش بعيداً عن أي اتصال، كأنما تخليت عند الدنيا، فلست أدري إلا بالكاد أن الشهور والسنين تمضي، وإنها لصدمة عندما تجعلين من الواضح للغاية كم منها قد انقضى. أقبلي لرؤيتي في بعض الأوقات لتري إلى أي حد أبدو أكبر سناً. وكما تعلمين، فإنني بالغ الأسف لأنني في عمري هذا نادراً ما تتاح لي حرية لقياك». وقد أعادت له الكثير من الذكريات، السعيدة والحزينة معاً، وكان محزناً للغاية ومخيباً للأمل أنه كان عليها أن تبتعد مسرعة من جديد بعد تلك اللمحة منها فحسب. وهي نفسها لم تشعر نحو أبيها الحقيقي ما يفوق ما تحس به أي ابنة نحو أبيها، ولكن الآن وقد استقرت في إطار حياتها الراهنة، فإن امتنانها لكل الاهتمامات الرقيقة التي كان جينجي قد أبداها نحوها قد زاد مع انقضاء الوقت.

هكذا فإنه بعد اليوم العاشر من الشهر الثاني انتقلت سمو الأميرة ابنة نيافته إلى روكوجو. وهنا أيضاً تم إسكانها على نحو رائع. فقد وضع فراشها الذي تحفّه الستائر في الامتداد الغربي، حيث كان جينجي قد تناول براعم الربيع، ورُتبت الغرف المخصصة لوصيفاتها على نحو جميل ومعد جيداً في الجناحين الموجودين في ذلك الجانب وعلى امتداد طرق الجسور، وجلبت قطع الأثاث من قصر سوزاكو أيضاً، تماماً على نحو ما يحدث عندما تمضي امرأة للانضمام إلى جلالة الامبراطور. ولا يحتاج المرء إلى وصف الاحتفال الذي واكب انتقالها الذي واكبته مجموعة كبيرة من كبار النبلاء. وقام على خدمتها كذلك المستشار الكبير، الذي كان قد تطلع إلى إدارة شؤون دارها. على الرغم من أن ذلك لم يكن مصحوباً بالسرور. ومضى سمو الامبراطور الفخري للقياها عندما جُلبت عربتها، وساعدها على الترجل منها، وهو الأمر الذي كان مختلفاً عما درج عليه العرف المستقر، فقد كان من العامة، في نهاية المطاف، وهي لم تذهب إليه على نحو ما تفعل الزوجة عندما تدخل القصر، كما أن الأمور لم تُنجز، في نهاية المطاف، تماماً مثلما تُنجز عندما يكون

(1) كانت المكافآت والهدايا المقدمة للضيوف محددة وفقاً للائحة تنظيمية في حالة الحفلات «العامة» (الحكومية، الامبراطورية). ولكنها كان يمكن أن تكون أعظم سخاء في الحفلات الخاصة.

العريس أميراً. وكانت صلة أحدهما بالآخر غير مألوفة إلى حد كبير.

حرص كل من جينجي ونيافته على إنجاز كل الأمور بأقصى قدر من التألق. عقب ذلك على امتداد ثلاثة أيام، وفي بعض الأوقات لم تكن سيدة جناح جينجي الشرقي تدري أين موضعها. وفي حقيقة الأمر أنه ما من شيء من هذا كان يعني أن القادمة الجديدة تكشف الآن بهاءها بصورة جديدة، ولكنها لم تكن معتادة على رؤية مكانتها وقد تعرضت للتحدي، ولم تستطع منع نفسها من الشعور بالتعاسة، حيث إن سمو الأميرة تمتد سنوات عديدة متألقة أمامها، ومن المستحيل النظر إليها باستخفاف. غير أنها لم تفصح عن أي من هذه المشاعر، وعندما وصلت سمو الأميرة بادرت إلى مساعدة جينجي بكل الطرق، إلى أن راح يحدِّث نفسه كم هي عزيزة عليه.

كانت سمو الأميرة لا تزال صغيرة حقاً، وكانت أيضاً صبيانية وغير ناضجة إلى حد بعيد. وتذكَّر نظرته إلى النبيلة موراساكي[1]، عندما عثر عليها لأول مرة واقترن بها، ولكنها كانت متألقة وجذابة، بينما هذه الفتاة طفولية فحسب. حسناً، هذا كله أفضل، هكذا حدَّث نفسه، فهي على الأقل لن تصر على الحصول على امتيازاتها كأميرة. وعلى الرغم من ذلك فقد وجدها كئيبة بصورة مزعجة.

مضى إلى سمو الأميرة بإخلاص كل ليلة من الليالي الثلاث الأولى، وتحملت موراساكي ذلك، لكنها عانت، حيث لم تكن معتادة على أي شيء من ذلك النوع، وحرصت بمزيد من الاخلاص أكثر من أي وقت مضى على تعطير أثوابه، ولكنها غالباً ما تداعت بصورة كئيبة إلى أحلام اليقظة، وبدت رقيقة جميلة في غمار ذلك. مضى جينجي يسائل نفسه: لماذا أستسلم لفكرة وضع أخرى إلى جوارها؟ كان قد سمح لضعف شهواني بأن يتغلب عليه، وذلك هو السر في أن هذا قد حدث. لم يختر نيافته المستشار، في نهاية المطاف، لا، على الرغم من شبابه. شغلته هذه الأفكار المريرة رغماً عنه، فانهمرت من عينيه. قال: «أرجو أن تتفهمي وتغتفري لي ابتعادي الليلة مجدداً. ولو أنني أهملتك بعد هذا، فإنني سأكره نفسي حقاً. وعلى الرغم من ذلك، فهناك مشاعر نيافته التي يتعين أخذها في الاعتبار».

---

(1) إشارة إلى الطريقة التي فكَّر بها جينجي في موراساكي عندما اكتشفها لأول مرة («موراساكي الصغيرة») باعتبارها قريبة لمحبوبته العظيم آنذاك، فوجيتسوبو.

أشفقت على حيرته، وردت بابتسامة صغيرة: «يبدو أنك أنت نفسك لا يمكنك أن تقرر ماذا عساك تصنع. فكيف يمكنني إذن توجيه النصح لك؟ أتساءل أي سبيل ستسلكه في نهاية المطاف». وأبت مناقشة هذا الموضوع، فتراجع خجلاً، وقد أسند ذقنه على يده. اجتذبت إليها محبرة، وكتبت:

«آه، لشد ما اعتقدت واثقة أن ما لدينا سيدوم أبداً

فيما مشاعرك في هذه الدنيا تنقلب وتتغير أمام ناظريَّ».

كانت قد كتبت هذه القصيدة بين بعض القصائد القديمة، فالتقطها وقرأها. وكانت سطحية بما فيه. ولكنه عرف ما الذي كانت تقصده بها. فرد بقوله:

«صحيح أن الحياة ينبغي أن تنتهي عندما تحل تلك اللحظة، لكن هذه الدنيا المتقلبة

لم تعرف قط مثل هذه الصلة التي تربطنا معاً».

لم يستطع إجبار نفسه على الذهاب، فقالت مصرة: «لا، لا، لن أدعك تفعل ذلك بي!». وهكذا مضى في ثيابه الجميلة، الرقيقة، والمعطرة على نحو بديع.

لابد أنها قد ساورها شعور غامر بعدم الارتياح، فيما هي ترقبه وهو يغادر. كانت هناك أوقات على امتداد السنين خشيت فيه من هذا على وجه الدقة. ولكنه بدا أنه يضع ذلك كله وراء ظهره، وقد وصلت أخيراً إلى الاعتقاد أن تلك هي الطريقة التي ستمضي بها الأمور دوماً. ثم حدث هذا ليطلق ألسنة الدنيا بأسرها من عقالها. وحدَّثت نفسها قائلة: لقد أخطأت في نهاية المطاف في الثقة فيه، ولن أتمكن أبداً من ذلك مجدداً.

تنهدت وصيفاتها إحداهن للأخرى على الرغم من إظهارها الشجاع للهدوء، قائلات: «لن يجدي هذا نفعاً! صحيح أنه لديه سيدات كثيرات، لكنهن جميعاً يسلمن بأن الصدارة هي لسيدتنا، وذلك هو السر في أن الأمور تمضي على نحو جيد تماماً. وعلى الرغم من ذلك، فإن هذه السيدة تقدِّر نفسها أكثر مما ينبغي كثيراً بحيث لن تحتمل ذلك! ويمكن أن تسوء العاقبة إذا تسببت أي حادثة صغيرة في إثارة المتاعب». تظاهرت سيدتهن بعدم ملاحظة أي شيء خارج عن المألوف، ومضت في الحديث معهن على نحو جميل للغاية حتى وقت متأخر من الليل.

لم يسعدها الاستماع إليهن وهن يتحدثن بمثل هذا التوجُّس، فقالت: «لسيدي بالفعل العديد من النساء الطيبات، ولكن ما من واحدة منهن تتمتع بالألق العصري الذي يريده، وقد شعر بأنه رأى الكثير منا جميعاً، فلعله أمر طيب أن سمو الأميرة قد أقبلت. ولابد أنني لا أزال في قرارة نفسي فتاة صغيرة لأنني أحب أن أكون قريبة منها، ولكن بدلاً من ذلك يبدو أن الناس يتحدثون كأنما هناك هوة بيننا، وأتمنى ألا يفعلوا ذلك. نعم، يمكن للمرء تخيل وقوع حادثة من نوع ما لو أنها كانت ندة لي في عيون الدنيا، أو ربما أقل مني مكانة، ولكن بدلاً من ذلك فإنها تحظى بأقصى قدر من الاحترام وبقدر كبير من التعاطف كذلك، ولست أدري كيف يمكن لأحد أن يمتنع عن الموافقة عليها».

تبادلت ناكا تسوكاسا وتشوجو والأخريات النظرات، وغمغمن مشيرات إلى أنها أطيب مما ينبغي. وكن قبل وقت طويل قد خدمن جينجي بصورة حميمية بصفة خاصة، ولكنهن قضين مؤخراً سنوات في خدمة سيدتهن، وكن مولعات للغاية بها. وجاءت رسائل من نسائه الأخريات، حاملة التساؤل حول الكيفية التي تأخذ الأمر بها، والتلميح إلى أنه الآن جاء دورهن ليشعرن بأنهن المحظوظات، حيث إنهن لم يكنّ يرينه كثيراً على أي حال. قالت لنفسها: لكنهن هن اللواتي يجعلنني أشعر بالبؤس بتخميناتهن! لماذا ينبغي أن أكون تعيسة بينما هذه الدنيا بعيدة عن اليقين بالفعل؟

أدركت على نحو مفعم بالذنب أن وصيفاتها سيتساءلن عن السر في سهرها حتى وقت متأخر على هذا النحو، فمضت إلى الفراش وسحبت الأغطية فوقها. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان الأمر صحيحاً، وهذه الليالي مفعمة بالوحدة، والضيق يستبد بها. تذكرت عندما كان بعيداً في سوما. حدَّثت نفسها: نعم، كان قد مضى بعيداً آنذاك، ربما للأبد، وكان كل ما يعنيها هو التأكد من أنه على قيد الحياة، بغض النظر عما حدث لي. لقد أحببته فحسب وحزنت عليه. ولو أنني وهو اختفينا في غمار ذلك الاضطراب فحسب، لكانت تلك هي نهاية الأمر. كانت ليلة هبت فيها الرياح، واشتد البرد، وجافاني النوم، وكانت هذه أيضاً محنة كبرى. وصاح ديك بائساً في أعماق الليل.

لم تكن ترغب في اتهامه، ولكن ربما يفسر حزنها السر في أنه حلم بها، لا لشيء إلا ليستيقظ منزعجاً، واجف القلب. وانتظر إلى أن صاح الديك، ثم غادر المكان، متظاهراً

بعـدم ملاحظـة أن الليـل لـم ينقض. كانت سـمو الأميـرة لا تزال صغيرة للغايـة إلى حد أن مربياتها كن لا يزلن قائمات على خدمتها غير بعيد عنها. شاهدته وهو يفتح الباب المزدوج ويمضـي مبتعـداً. تألق الجليد وحـده في الإطلالة الأولـى لنور الفجر، وبقـي عبيره بعده، فغمغمت مربية قائلة: «الظلام يغمر كل شيء»[1].

تناثر الثلج هنا وهناك في بقع صغيرة كانت لا تزال تتواصل مع بياض الحديقة[2]. دندن لنفسـه محدثـاً إيقاعاً على مصـراع «الثلج لا يزال يقبـع قبالة الجدار»[3]. لم يحدث شـيء كهذا، منذ وقت طويل، وعلى الرغم من ذلك فقد تظاهرت النسوة بالنعاس، وجعلنه ينتظر قبل أن يفتحن له المصراع.

قال: «اسـتغرقن وقتاً طويلاً للغاية! إنني أتجمَّد برداً». أحسب أن ذلك هو ما يصدر عن خوفهن منك. وعلى الرغم من ذلك فإنني لـم أقترف شـيئاً. نحّى أغطيتها جانباً، واجتذبت كميها المبتلين لتحجبهما. لم يرق دفئها البسـيط إلى ترحيب صريح، الأمر الذي ثبط همته وأبهجه في آن، وحدَّث نفسـه، متذكراً من غادرها لتوه: حديث عن أعظم سـيدة في البلاد، لا يمكنها القيام بذلك أبداً.

أمضـى يومـاً يتذكر لومها لرفضهـا أن تغفر له، وبعد ذلك لـم يسـتطع الذهاب إلى هناك مجدداً. وبدلاً من ذلك بعث برسـالة قصيرة إلى الدار الرئيسـية: «تركني الثلج هذا الصباح شاعراً بوعكة شديدة، وأنا أستمتع على نحو كسول بمباهج الدار».

«لقد أبلغت سيدتي». جاءه رد المربية شفهياً على هذا النحو.

يا له من رد! ينبغي أن أكره جعل نيافته يسمع بهذا الأمر. ولابد لي من تكتمه، في الوقت الراهن. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لـم يتمكن من هذا، فقد مضى يحدِّث نفسه، قائلاً: كنت أعرف هذا! الآن ماذا عساي أصنع؟ أزعجت رعونته حتى محبوبته.

استيقظ في الصباح، كالمعتاد، وبعث إلى سـمو الأميرة برسالة. وعلى الرغم من أنه لم

---

(1) كوكينشو 41، من نظم أوشيكوتشي نو مينسوني: «في ليلة ربيعية، الظلام يغطي كل شيء، فتظل براعم البرقوق محتجبة، لكن عبقها لا يمكن إخفاؤه».

(2) لأن جانباً كبيراً من الحديقة مكسو بالرمل الأبيض.

(3) بيت من قصيدة لباي جويي (هاكوشي مونجو 911).

يكن يجلها على نحو خاص، إلا أنه كتب إليها بعناية، على ورق أبيض، يقول[1]:

«ليس طريقاً متراميا ذلك الذي يمتد بين مكانك وموضعي،

غير أنني أعاني هذا الصباح من تناثر الثلج هذا»[2].

أرفق الرسالة بغصن خوخ مزهر، واستدعى رسولاً، وقال: «قدِّم هذه من طريق الجسر الغربي!»[3]، ثم جلس في أرديته البيضاء، متطلعاً إلى الخارج من الشرفة القريبة، وهو يعبث ببراعم بيضاء، ويحدِّق في غضون ذلك عالياً في سماء مضى نثار الثلج يهمي منها إلى القلة الوحيدة من رقائق الثلج الباقية في الأسفل[4]. وعندما أنشد طير الدّخلة أنشودته من أعلى غصن برقوق أحمر، أخفى براعمه، وغمغم: «كماي ذاتهما معطران»[5]. محدقاً في البعيد، على ذلك النحو، عبر الستائر الحاجبة المرفوعة، لم يبد على الإطلاق شبيهاً بأب أو شبيهاً بشخص يحمل لقباً بارزاً، حيث لا يرى المرء إلا الصبا والجمال.

عندما بدا أن ردها قد تأخر قليلاً، عاد إلى الداخل مجدداً، وأبرز زهوره، وقال: «هكذا ينبغي أن تكون رائحة الزهور. لو أن بمقدور المرء أن يمنح براعم الكرز هذا العبق فحسب، فإنني أشك في أن الناس سيكترثون بعد الآن بأي نوع آخر»[6]. ومضى قائلاً: «أحسب أن هذه تلفت النظر لأنه ليس هناك إلا القليل غيرها الآن مما يمكن النظر إليه. وأود أن أضعها إلى جوار براعم الكرز في أفضل أحوالها». وكان لا يزال يواصل على هذا النحو عندما وصل رد ملفوفاً على نحو مبهرج في ورقة قرمزية رفيعة، فغاص قلبه في صدره، حدَّث

(1) على نحو يتفق مع الثلج وبراعم الخوخ البيضاء التي رُبطت الرسالة بها.

(2) جوسينشو 479، من نظم فوجيوارا نو كاجيموتو: «تناثر الثلج هذا الذي يذوب بعيداً في السماء فؤاد من أضناه الهوى». قصيدة جينجي هي إعتذار عن عدم القدوم وتأكيد أنه سيجيء عندما يستطيع ذلك.

(3) حيث تقع غرف النسوة التابعات لأونا سان نو ميا.

(4) الثلج «الوحيد» الذي يتوق إلى سقوط المزيد مستمد من ياكا موتشي شو 284، من نظم أوتومو نو ياكاموتشي.

(5) من كوكينشو 32. «الآن وقد قطفتها، فكماي ذاتهما معطران، آه يا براعم البرقوق، ربما جلب وجودها الدّخلة إلى هنا ليشدو!» وبالنسبة لجينجي (الذي يتحدث بصورة شعرية) فإن أنشودة الدّخلة المبكرة تفصح عن انشغاله بأونا سان نو ميا.

(6) ربما يفسر جينجي انجذابه إلى أونا سان نو ميا، فعلى الرغم من جمال براعم كرز موراساكي، فإنها تفتقر إلى عطر أونا سان نو ميا (مرتبتها).

نفسه قائلاً: خطها يبدو خط فتاة صغيرة، وخير لي ألا أطلع عليه أحداً الآن. وليس مرد ذلك إلى أنني أرغب في الاحتفاظ برسائلها لنفسي، وإنما حقاً أخذاً في الاعتبار بهويتها فإنني قد أُلحق الضرر بها إذا لم ألزم الحرص. وترك الرسالة مفتوحة قليلاً، حيث أن محبوبته سيلحق الأذى مشاعرها فحسب إذا أخفاها، وألقت نظرة جانبية عابرة عليها من حيث رقدت مستندة إلى مرفقها:

«مجتازاً الريح في دفق سريع من الرقائق، فإن ثلج الربيع بالغ الخفة والنحول على نحو محزن لابد له من أن يذوب سريعاً في السماء»[1].

كان الخط طفولياً تماماً حقاً. وحدَّثت نفسها: ما من أحد في عمر سمو الأميرة ينبغي أن يكتب على ذلك النحو، وتظاهرت بأنها لم تره.

كان حرياً بجينجي لو أنه كان خط أي شخص آخر أن يشير بقوله: انظري إلى ذلك فحسب! ولكنه لم يستطع احتمال القيام بذلك، وقال فحسب: «لا داعي لخوفك!».

مضى إلى سمو الأميرة اليوم في ضوء النهار، وكان قد ارتدى ملابسه بعناية خاصة، ولابد أنه أثَّر في نفوس وصيفاتها، حيث إنهن لم يكن قد رأينه بالفعل من قبل. حدَّثت بعض الأكبر سناً وخبرة من بينهن، المربيات ومن إليهن، أنفسهن قائلات: مرآه على الأقل يبعث السرور في النفس، ولكن المتاعب ستحدث!

كانت سمو الأميرة، الصبيانية بصورة جذابة، قد عاشت وسط الفخامة الأكثر تباهياً وتأثيراً في النفس، ولكنها في يفاعتها هذه لم تكن في رأسها فكرة واحدة إلا بالكاد، وكانت بالغة النحافة إلى حد توشك معه على الاختفاء تحت طبقات أثوابها. ولم تكن خجولاً معه بشكل خاص، وكل ما هنالك أنها لم تنفر من رؤية وجه جديد عليها، مثلما يفعل الكثير من الأطفال، وظلت طريقة تعاملها معه هادئة. ومضى جينجي يحدِّث نفسه متأملاً: غالباً ما أحس الناس أن نيافته يفتقر، لسوء الطالع، إلى صرامة الرجال وعلمهم، وذلك على الرغم من أنه يتفوق في الأمور الأكثر خفة المتعلقة بالذوق والإحساس. ترى ما الذي كان يمكن أن يكون قد قصده بتنشئتها على هذه الدرجة من السذاجة؟ وعلى الرغم من

(1) ربما كانت القصيدة من إحدى مربيات أونا سان نو ميا أو وصيفاتها، وهي توجه اللوم إلى جينجي لعدم قدومه إليها.

ذلـك فإننـي أدرك أنها ابنتـه الأثيرة. كان الأمر كله مخيباً للأمل، ولكنـه نظر إليها بما يكفي مـن الرقـة واللطف، وكانت تقوم فـي إذعان بما يطلب منها، وعلى سـبيل الرد كانت تنطق بـكل مـا يرد على بالها كائناً ما كان. لا، ليس بمقدوره التخلـي عنها. ومضى يفكِّر: لو أنني كنت شـاباً لأحسسـت بالخذلان، ولكن خبرتي الواسعة جعلتني أكثر تسامحاً. إنني أعرف أن النسـاء يمكـن أن يكن على هذه الشـاكلة أو تلك، ولكنهن ما هن عليـه، وليس أكثر من ذلك. هناك ببساطة كل الأنواع منهن. وأحسب أن أي غريب سيظن أنها مثالية. نعم، سيدة جناحي الشـرقي تواصل إدهاشـي بعد كل سنواتنا معاً. ومن المؤكد أنني ربيتها على النحو الصحيـح، إذا كان بمقـدوري أنا نفسـي قول هـذا. بعد ليلة أو صباح فحسـب يقضيه بعيداً عنهـا، كان يحس بالقلق عليها، ويفتقدها، وكلمـا امتد به العمر أحبها أكثر، على الرغم من أنه تساءل عن السر في ذلك بما يوشك أن يكون توجّساً.

انتقل نيافته إلى معبده في ذلك الشـهر نفسـه، ووصلت رسـائل كثيرة منه إلى روكوجو. وتحـدَّث عـن ابنته، بالطبـع، وأهاب بجينجـي مراراً أن يقـوم بما يراه الأفضـل لها، بغض النظر عن رأيه في الأمر. وعلى الرغم من ذلك فإنها في الواقع كانت صغيرة للغاية، بحيث واصلت الإثقال على ذهنه.

كانت هناك رسـالة إلى السـيدة موراسـاكي كذلك، وكان قد كتب يقول: «انظري بعين الاهتمـام، لطفـاً، إلـى الفتاة الشـابة التـي مضت بكل بـراءة للانضمـام إليـك، وقدمي لها المساعدة التي تحتاجها. واعتقد أنه قد يكون لديك سبب خاص يدعوك لزيارتها[1].

قلبي المولع هذا، المتمهل في دنيا تنكرت لها،

لا يزال يعرقلني بينما سألج الآن الدرب الجبلي.

ربما تحسبينني بالغ الحماقة لإخفاقي على هذا النحو في التخلص من غشاوة الأب».

قرأ جينجي الرسالة بدوره، وقال: «يا لها من رسالة مؤثرة! ينبغي أن تحترمي رغباته!». أرسـل لها الخمر مراراً من خلال الوصيفات. ولـم يحس بأن بمقدوره أن يبلغها على نحو جيـد للغايـة كيف تـرد، وحيـث إن ذلك لم يكن بالوقت المناسـب لأي شـيء بـارع، فقد

(1) لأن موراساكي وأونا سان نو ميا هما ابنتا عم.

اقتصرت في الرد على ما شعرت به:

«إذا كانت الدنيا التي هجرتها تثقل عليك بمثل هذا القلق والعروة التي تشعر بصعوبة فصمها، فلا تحاول جاهداً أكثر مما ينبغي الرحيل».

أهدت للمبعوث ثوباً طويلاً ومجموعة من الملابس النسائية. وعندما رأى نيافته خطها الجميل، أحس بالأسف العميق، لأن ابنته شديدة الصبيانية في صحبة سيدة عميقة التأثير في النفوس على هذا النحو.

تلقت كل زوجات نيافته وخليلاته الإذن بالمغادرة، وكانت هناك مشاهد عديدة مؤثرة. فقد شغلت سيدة العاملين في القصر خلال عهده، والتي كانت تعني له أكثر مما يعنيه أي شخص آخر باستثناء ابنته - شغلت دار نيجو، التي كانت الامبراطورة الأم تسكنها، يوماً. وفكرت في الترهبن، ولكنه ذكَّرها بأن إيماءة متسرعة على هذا النحو ستشير إلى أنها ليس في ذهنها إلا اتباعه، وفي نهاية المطاف أمرت بصنع أيقونات مقدسة فحسب.

كان فقدانها مؤلماً بشدة بالنسبة لجينجي، الذي لم يكن قد نسيها والذي أراد منذ وقت طويل أن يجد سبيلاً لرؤيتها من جديد والحديث معها عن الماضي الذي تقاسماه. ومن سوء الطالع أنهما كليهما كانا مجبرين، بحكم الظروف الخاصة بهما، على أن يرغبا في تجنب إثارة القيل والقال، وكانت ذكرى تلك الفضيحة المأساوية لا تزال تجعله يلزم الحذر الشديد. ومع ذلك فقد تاق إلى معرفة حالها، الآن وقد أصبحت سيدة نفسها مجدداً، وغدت الحياة بالنسبة لها أكثر هدوءاً بلا شك، ووفقاً لهذا فقد بدأ على الرغم من هواجسه في الكتابة لها على نحو دافئ متعللاً بذريعة الاستفسارات المهذبة عن صحتها فحسب. وقد ردت على رسائله، حيث إنهما لم يعد بمقدورهما أن يصبح كل منهما للآخر ما كانا عليه عندما كانا في مقتبل العمر. كانت رؤية خطها أكثر مما يمكنه احتماله على الدوام، في ضوء ما هو عليه من اكتمال رحب وسخاء، وعندئذ كان يبعث برسالة ضارعة إلى تشوناجون الأيام الخوالي.

استدعى شقيق تشوناجون، حاكم إيزومي السابق، وتحدَّث عن الماضي بحماس الشباب. وقال: «لديَّ شيء أريد إبلاغها به، ولكن بشخصها، عبر ستارة فحسب. ولابد من

أن تقنعها بالسماح بذلك، وعندئذ سأقوم بزيارة سرية للغاية لها. ويتعين أن أكون حريصاً للغاية، حيث إنني في وضعي الراهن لا يمكنني حقاً القيام بمثل هذه الأمور، وأنا أعرف أنك لن تحدِّث أحداً عنها. وأنا على يقين من أن بمقدور كل منا أن يثق بالآخر».

تنهدت سيدة العاملين في القصر، محدِّثة نفسها: آه، ياللأسى، لا، إنني أعرف أكثر قليلاً الآن عن الحياة، مقارنة بذي قبل، وبعد كل البؤس الذي سببته لي أساليبه تلك على امتداد السنين لا يمكنني تخيل ما الذي سنجده في الماضي لنتحدث عنه بخلاف أن يواسي أحدنا الآخر بشأن نيافته. ولسوف يظل أمامي ضميري الذي يتعين عليَّ الاستماع له، حتى لو ظلت زيارته سراً للأبد. وقد ردت بأنها ليس بمقدورها النظر في هذا الأمر.

مضى جينجي يفكِّر: الأمر يبدو كما لو أننا لم نكن فيه معاً آنذاك عندما خضنا تلك المخاطر. نعم، يمكنني إدراك أنها ربما تكون قلقة على نيافته، الآن وقد تخلى عن الدنيا، ولكن ذلك كله حدث بالفعل، وما من حياء تبديه من جانبها الآن يمكن يوفر على سمعتها الفضيحة التي طالتها آنذاك. حسم أمره، ولسوف يشق الدرب الذي يجتاز غابة شينودا[1].

قال لمحبوبته: «طال المرض الآن بسمو أميرة هيتاشي في الجانب الشرقي[2]. وأنا أشعر بالذنب البالغ من ذلك، فإنه سيكون من قبيل الافتقار إلى الحرص أن أمضي بوضوح الجلاء خلال النهار. أعتقد أنني سأمضي بدلاً من ذلك بحذر خلال الليل. ولست أريد أن يعرف أحد بجلية الأمر». دُهشت لملاحظة انفعاله المحتدم، حيث إن تلك ليست بالزيارة التي تؤثر فيه عادة على تلك الشاكلة، وضمنت جانباً مما يجري، ولكن الأمور لم تعد على نحو ما كانت عليه منذ ظهور سمو الأميرة الثالثة، وامتدت مسافة فاصلة معينة بينهما، فتركت الأمر يجري على سجيته.

لم يذهب إلى الدار الرئيسية[3] في ذلك اليوم، وإنما تبادل الرسائل فحسب، وأمضى الوقت حتى حلول الليل في تعطير ملابسه، ثم مع انقضاء حضور المساء انطلق في عربة

---

(1) حاكم إيزومي السابق، حيث إن غابة شينودا كانت في مقاطعة إيزومي. كوكين روكوجو 1049 تتحدث عن العاشق الذي يتمزق فؤاده بألف طريقة، مثل أوراق الشجر الألف «في غابة شينودا في إيزومي».

(2) سويتسوموهانا، التي تقيم في السرادق الشرقي في مسكن نيجو.

(3) إلى أونا سان نو ميا.

بسيطة أعادت إلى ذاكرته جولات الأيام الخوالي المتكررة، وصحبة أربعة أو خمسة من أقرب أتباعه إليه. وأعلن حاكم إيزومي مقدمه.

أدهش النبأ، الذي وصل همساً، سيدة العاملين في القصر، فقالت على نحو مفعم باللوم: «لست أفهم! ما الذي أبلغه الحاكم بحق السماء؟» غير أن تشوناجون أصرت وقالت: «سيكون من سوء الطالع الوقوع في الخطأ بشأن روح زيارة مولاي وصرفه بعيداً»، وأفلحت على نحو أو آخر في السماح له بالدخول.

استفسر جينجي بتهذيب عن صحة السيدة، وألحَّ عليها قائلًا: «أقبلي هنا. يمكن للحاجز أن يبقى، فأساليبي الشريرة القديمة كلها لم يعد لها وجود الآن». بتنهدات تردد مرير انزلقت خارجة نحوه، وهي تحدِّث نفسها قائلة: كنت أعرف ذلك! ومع ذلك فإنها لم تستطع المقاومة! كان كل منهما على وعي حاد بحركات الآخر، وارتفع مستوى احتدام الشعور.

كان المكان هو الجناح الشرقي[1]. وقد دُعي للجلوس حيث أرادت له، في الركن الجنوبي الشرقي من الجناح، وقد ثُبت أسفل الحاجز المنزلق في موضعه بإحكام. فأعرب عن شكواه قائلاً: «يساروني الشعور بأنني شاب غرّ. آه، يمكنني أن أبلغك على وجه الدقة كم من الشهور والسنين انقضت منذ ذاك العهد، وكما تعلمين فإنه فظيع منك أن تتظاهري بأنك لا تستطيعين!».

أوغل الليل في مسيرته، ومضت البطات الصينية بصيحات موحية وسط الأعشاب المائية، ودفعه المسكن الصامت الذي لم يعد مهجوراً إلى التفكير في تقلبات الدنيا التي لا تنتهي، ولم يكن مرد الأمر إلى أنه يقصد تقليد هايتشو، ولكنه أحس بالميل إلى البكاء[2]. حادثها على نحو معقول، على نحو ما لم يفعل آنذاك، ولكنه مضى يشدّ الستارة على الرغم من ذلك الحاجز، كأنما ليقول: هل تقصدين حقاً تركه على هذه الحال؟

«مع مثل هذه الشهور والسنين الضائعة بيننا، ولقائنا الآن

---

(1) حيث عثر جينجي على أوبوروزوكيو مجدداً في ليلة حفل الوستارية في «تحت براعم الكرز».

(2) كان هايتشو، وهو بطل فكاهي هاييني، يمضي للتودد إلى النساء مزوداً بقنينة من الماء لكي يستطيع الادعاء بأن دموعه تسيل حسبما يحتاج إلى ذلك.

عند حاجز أوساكا، ما من متراس يمكنه إيقاف دموعي!»[1].

ردت قائلة:

«الدموع، نعم، قد تتدفق منسابة كأي نبع صاف

ولكن الدرب الذي سلكناه لنلتقي اختفى منذ عهد بعيد»[2].

حاولت بهذا النوع من الحديث الإبقاء على المسافة الفاصلة بينهما، ولكن عندما عادت بذهنها إلى الماضي، وسألت نفسها عمن يحتمل المسؤولية عن تلك الفضيحة الفظيعة حقاً، بدا لها أنه نعم، كانت قد عرفت دوماً أنهما سيلتقيان مجدداً، وتعثرت، فلم تكن جدية السلوك نقطة قوتها على أي حال، وبينما شجعها كل ما علمتها الحياة على امتداد السنين وكل أحزانها وتجربتها العريضة في البيت أو في البلاط على أن تعيش بعيداً عن اللوم، فإن هذا اللقاء الشبيه للغاية بالأيام الخوالي أعاد من جديد أيامهما معاً، ووجدت أن من المستحيل الإبقاء على مقاومتها. كانت لا تزال تحظى بالشباب والدفء والظرف المفعم بالحيوية، واجتذب الصراع بين كبح الجماح الحذر والشعور المتقد تنهدات منها فتنت جينجي على نحو أكبر مما حدث في أول لقاء لهما. وكان إطلال الفجر بؤساً بالنسبة له، ولم يرغب في مغادرة المكان.

عند انبلاج الفجر، كان الجو تحت السماء الساحرة يحفل بشدو الطيور العذب، وكانت براعم الكرز جميعها قد تبددت، وحلت مكانها غمامة شاحبة الخضرة كست الأشجار. حفلته تلك[3] - تحت الوستارية - لابد أنها كانت في زهاء مثل هذا الوقت! هكذا راح يحدِّث نفسه. كانت سنوات عديدة قد انقضت منذ ذلك الحين، لكن ما حدث كان لا يزال يؤثر في نفسه. فتحت تشوناجون الباب المزدوج لترقبه وهو يخرج، والتفت إليها. وقال: «آه، يالهذه الوستارية! ترى من أين يمكن أن تكون قد استمدت لونها؟ من المؤكد أن مثل

(1) تتلاعب القصيدة بلفظة أوساكا («منحدر اللقاء»)، نقطة تفتيش أو «حاجز» على الطريق المفضي إلى خارج كيوتو نحو المقاطعات الشرقية.

(2) تقر القصيدة بلفظة «أوساكا» في قصيدة جينجي. و«نبع صاف» (شيميزو) هي كلمة مرتبطة بأوساكا في الشعر، و«الطريق إلى اللقاء» (أو ميتشي) متطابقة من حيث الكتابة عبر المخارج اللفظية مع «أومي چي)، «الطريق إلى (مقاطعة) أومي». وتقع أومي على الجانب الآخر المقابل لكيوتو من حاجز أوساكا.

(3) وزير الميمنة (والد أوبوروزوكيو) في «تحت براعم الكرز» قبل عشرين عاماً.

هذا الجمال يشير إلى بهاء روحي نادر! كيف يمكنني مغادرتها؟». لم يستطع إجبار نفسه على الذهاب.

أضفى عليه سنا الشمس، التي كانت آنذاك على وجه الدقة تبزغ فوق التلال، جمالاً يبهر العيون، وبعد مرور كل هذا الوقت كانت رؤيته لا تزال أعجوبة في بهائه الكامل إلى حد أنها لم تستطع تصديق أنه ينتمي إلى هذه الدنيا. لماذا، آه، لماذا لم تتزوج سيدتها رجلاً مثله؟ تذكرت تشوناجون كيف أن ضوابط معينة قد حالت بين سيدتها وبين الارتفاع عالياً بصفة خاصة في خدمة نيافته، حيث كانت الامبراطورة الأم قد أثارت ضجة كبرى أكثر مما ينبغي حول ما حدث، وأساءت الفضيحة التي وقعت إلى سمعتها للأبد. حدَّثت نفسها: آه، آمل أن هذا لن يكون كل شيء بينما لابد أنهما لديهما الكثير للغاية ليحدِّث أحدهما الآخر به، وزاد قلقها فيما الشمس تعلو. كان رجاله قد أحضروا عربته إلى باب الرواق، واستطاع سماعهم، وهم يتنحنحون في حرص.

نادى أحدهم، وجعله يقطف باقة من تلك البراعم:

«ليس مرد الأمر أنني نسيت الفضيحة، التي عانيت منها آنذاك، وإنما لم أتعلم،

وأحس بأنني على استعداد لإلقاء نفسي إلى هوة براعمك»[1].

راقبته حزينة، وهو ينحني على الحاجز في عذاب التردد. وعلى الرغم من الحياء المفعم بالاضطراب الذي غمرها، فقد تاقت إلى تلك البراعم بدورها.

«تلك الهوة القاتلة، التي تفغر فيها لتبتلعك، ليست هوة على الإطلاق،

ذلك أني لن أبلل كميَّ في مثل هذه الموجات التي لا تتوب»[2].

لم يستطع جينجي التسامح مع سلوكه الصبياني، ولكن ربما جعله تواني حارس البوابة

---

(1) يربط جينجي هذه القصيدة بالبراعم، ويعطيها إلى تشوناجون، لتمضي بها إلى سيدتها. وهي تتلاعب ب«كوريزوما ني» («لم أتعلم [درسي]») التي تضم المقاطع «سوما» وتتلاعب كذلك ب«فو جينامي» («أمواج الوستارية») والتي يكتب فيها المقطع «فوجي» بالعلامات الصوتية ذاتها التي تكتب بها «فوتشي»، أي «الهاوية».

(2) تستغل قصيدتها التلاعب باللفظ ذاته الذي تستغله قصيدة جينجي. ويتضمن المقطع «الموجات التي لا تتوب» (كوريزوما نو نامي) المعنى «موجات سوما». و«نامي» («الأمواج») هي كلمة ترتبط تقليدياً ب«فوجي» («الوستارية»).

يهدأ[1]، لأنه قبل مغادرته ضمن موافقتها على اللقاء مجدداً. وكانت تعني الكثير بالنسبة له في الماضي أيضاً، ولكنهما في نهاية المطاف أمضيا وقتاً قليلاً معاً، وتأثر بذلك بعمق.

شقَّ طريقه عائداً إلى الدار مجدداً خلسة تماماً، وبدا خارجاً من الفراش للتو. وكانت لديها فكرة واضحة عما كان يقوم به، ولكنها لم تسمح لنفسها بإظهار ذلك، وضايقه ذلك أكثر من نوبة الغيرة التي كان يتوقعها. جعله التساؤل عن السر في أن أفعاله لم تهمها إلا قليلاً على هذا النحو يعدها بالحب والاخلاص الخالدين على نحو أكثر لهفة من ذي قبل. لم يستطع الحديث عن سيدة العاملين في القصر في مكان آخر، ولكنها تعرف ما كان قد حدث يوماً، ومن هنا فقد أبلغها بالقليل فحسب. «كما تعلمين، فقد فصلت الستر بيننا، ولم يكن هناك الكثير في لقائنا. كان مخيباً للآمال حقاً. وأود الذهاب مجدداً إذا كان بمقدوري الابتعاد عن العيان».

منحته ابتسامة صغيرة. «ها أنت تعود مجدداً لتغدو الشاب المتودد للنساء. ها أنت تعيش ماضيك من جديد، لا لشيء إلا لتتركني أتساءل عما سيحل بي». انهمرت الدموع من عينيها في نهاية المطاف، وبدت رقيقة للغاية حقاً.

«سرعة غضبك هذه تجعل الأمور صعبة للغاية، وأنا أؤثر أن تصارحيني لكي أعرف شعورك. وأنا لم أعلّمك أبداً التكتم، ولا يمكنني أن أتخيل من أين جاء هذا الموقف». فعل كل ما بوسعه لمصالحتها، وفي النهاية اضطر، فيما يبدو، للاعتراف بكل شيء.

لم يمض مباشرة إلى سمو الأميرة، وإنما بدلاً من ذلك ظل حيث هو، ليبعث العزاء في نفس محبوبته. ولم يعن ذلك شيئاً بالنسبة لسموها، ولكن من عُهد إليهم برعايتها أبلغوه بأنهم يعتبرونه مقصراً. وكان حرياً به أن يكون شعوره أسوأ لو أن سموها كانت قد أعربت بنفسها عن الاستياء، ولكنها كانت بالنسبة إليه لا تعدو أن تكون ألعوبة طائعة مذعنة.

على امتداد وقت طويل، لم تستطع الزوجة كريتسوبو[2] الانسحاب من القصر. وقد كان عدم الحصول على إذن بالذهاب أمراً صعباً بالنسبة لسيدة صغيرة للغاية، ظلت حتى الآن

(1) إيماءة رومانسية قوية إلى حكاية (رقم 5) في «آيسي مونوجاتري». حارس البوابة (سيكيموري) هو الأب أو الزوج الصارم الذي يفصل ما بين العاشقين. وأبوروزوكيو تعيش وحيدة الآن.
(2) الابنة أكاشي، التي تقيم الآن في جناح كريتسوبو، بحسبانها زوجة ولي العهد.

قادرة على إدخال السـرور على نفسـها. وفي ذلك الصيف بدأت في الشـعور بأنها ليسـت على ما يرام، واستبدَّ بها الغضب عندما لا يسمح لها ولي العهد بالذهاب مباشرة إلى الدار. كانت حالتها دقيقة، وشعر من يهمهم أمرها أكثر من غيرهم بالانزعاج، حيث إنها كانت لا تزال صغيرة وهزيلة. وقد انسـحبت من القصر أخيراً، وتم تجهيز مكان لها في مقدمة الدار الرئيسية، على الجانب الشرقي، حيث تقيم سمو الأميرة. وكان بقاء السيدة أكاشي مع ابنتها بهذا القدر مصيراً يمثل مجمل آمالها.

اعتزمت سيدة جناح جينجي الشرقي زيارة زوجة الامبراطور، وقالت باسمة: «أود كذلك أن أفتح الباب المشـترك، وأزور سـمو الأميرة كذلك، وقد كنت أفكِّر منذ بعض الوقت في القيام بذلك، ولكنني أحسسـت بأنني ينبغي عليَّ انتظار الوقت المناسب، وستكون الأمور أكثر يسراً بعد هذا، إذا كان بمقدورنا الآن أن نصبح صديقتين».

«سـيكون هـذا هو المراد على وجه الدقة، فهي صغيـرة للغاية. واحرصي على أن تتعلم ما تحتاج إلى معرفته».

كان احتمال لقاء أكاشي أكثر ازعاجاً بالنسبة لها من لقاء سمو الأميرة، فغسلت شعرها، وتأنقـت علـى نحو بالـغ الجمال، إلى حد أن جينجي حدَّث نفسـه بأنه لا مجـال لمقارنتها بغيرها.

مضى جينجي للحديث مع سمو الأميرة، قبل هذا اللقاء، وأوضح الأمر بقوله: «السيدة المقيمة في الجناح الشـرقي بسـبيلها إلى القدوم لرؤية الزوجة كريتسوبو هذا المساء، وقد فهمت أنها تود التعرف بك في الوقت نفسه. أرجو أن تكوني من اللطف بحيث تستقبلينها. وهي لطيفة للغاية، ولا تزال صغيرة أيضاً، وربما تتسلين معها».

ردت سـمو الأميرة، على نحو يفتقر إلى الكياسة، قائلة: «لكنني سأشعر بالحرج البالغ، ماذا سأقول لها؟».

«ينبغي أن تردي على الناس بحسب ما يقولونه لك، وأرجو ألا تكوني خجولة!». وأبلغها في حرص بما يتعين عليها فعله. وقال لنفسه: آه، آمل أن تعتاد إحداهما على الأخرى! كان يعرف أنه سـيكون من المحرج الكشف عن براءة سمو الأميرة المطلقة، ولكنه سيكون من

الخطأ من جانبه أن يثبط همتهما عن اللقاء.

راحت موراساكي تتأمل شاردة، وهي في جناحها الشرقي: ها أنا بسبيلي قريباً إلى زيارة سمو الأميرة. ولكن هل هي أرفع مني مستوى حقاً؟ نعم، لقد غمرني برعايته في وقت كان مستقبلي غير مؤكد فيه، ولكن على الرغم من ذلك.. من شأن القصائد القديمة التي وجدت نفسها تنسخها على سبيل التدريب على الخط أن تستحضر ما أثقل على ذهنها، وعندئذ ستقرأ انشغالها فيها.

أقبل جينجي، وأدرك وهو الذي وجد سمو الأميرة وابنته زوجة الامبراطور جذابتين، كلاً منهما بطريقتها الخاصة، أنه ما كان ليحسب بما ساوره من مشاعر نحو رفيقته المألوفة لو أن جمالها كان عادياً، لا، إنها حقاً لا نظير لها. كان لديها من الكبرياء والاعتداد بالنفس القدر المناسب تماماً، والجدة المفعمة بالحيوية ولكن اللمسات الأجمل من الرشاقة الحلوة، فقد كانت في ريعان ازدهارها. وراح يتساءل كيف أمكن أن يحيط بها عاماً إثر آخر ويوماً عقب غيره شيء رائع، شيء جميل دوماً؟

وضعت صفحاتها المكتوبة بعفوية تحت المحبرة، ولكنه عثر عليها، واستعادها من مكانها، وألقى نظرة عليها. لم يكن هناك ما يوحي بالوعي بالذات في مهاراتها، فقد كان خطها ببساطة يتمتع بتألق عذب. ووقعت عينه بصفة خاصة على هذه الأبيات:

«هل يدنو الخريف مني كل يوم؟ هاهنا أمام عينيَّ

اكتست كل الأوراق الخضراء على التلال بألوان الخريف».

وإلى جوارها، أضاف كأنما من قبيل العبث والمداعبة:

«يحظى طير الماء في لون أجنحته بالخضرة العتيقة ذاتها،

لكن وريقات الهاجي السفلى لا تبدو هي ذاتها حقاً»[1].

كان مزاجها الخريفي يفصح عن نفسه في بعض الأوقات، لكنه أحبها وأعجب بها لإحكامها السيطرة عليه.

---

(1) «لم أتغير قط، ولن أتبدل، وإنما مشاعرك هي التي تغيرت». «طير الماء» (ميزو - توري) هو ذكر بط اليوسفي، الذي له شريط من الخضرة القاتمة على جناحيه.

لن تمس الحاجة إليه في ذلك المساء سواء في الجناح الشرقي أو في الدار الرئيسية، ومن هنا فقد أفلح على نحو ما في الانطلاق إلى مقصده السري. وكان يعرف حق المعرفة أنه لا ينبغي عليه القيام بذلك، وحاول جاهداً إعادة الأمر، لكنه لم يوفق في ذلك.

أحبت الزوجة كريتسوبو سيدة الجناح الشرقي، ووثقت فيها أكثر من أمها، واستشعرت تلك السيدة حباً عظيماً لها، عندما رأت كيف كبرت لتغدو بارعة الجمال. وبعد أن تجاذبتا أطراف الحديث البهيج، فتحت الباب الواصل، ومضت للقاء سمو الأميرة. وكان مما يدعو للاطمئنان أن تجد سموها لا تزال طفلة، على نحو بالغ الوضوح، وبطريقة أمومية هادئة تناولت مسألة صلة القرابة، التي تربطهما. ثم استدعت تشوناجون، مربية سمو الأميرة، وقالت: «لقد حادثت سموها عن سلفنا المشترك، ويؤسفني أنه على الرغم من صلة القرابة الوثيقة بيننا[1]، إذا سمحت لنفسي بالتعبير عن مشاعري، فقد شعرت بعدم القدرة على زيارتها إلا لدى حلول مناسبة تسمح بذلك. وآمل أنه من الآن فصاعداً ستشعر بأن بمقدورها زيارتي، ولفت نظري إلى أي اهمال من جانبي».

ردت تشوناجون قائلة: «يبدو أن سيدتي تشعر بأنها غدت مهجورة تماماً، بعد فقدان حماية من كانت تثق بهم أكثر من غيرهم، وأنا شديدة الامتنان لاهتمامكم بها، وأنا على يقين من أن نيافته يعلق الآمال على أن تكون صلتكما وثيقة على هذا النحو تماماً، الآن وقد نبذ الدنيا، وأنك ستتفضلين أيضاً برعاية سيدتي بينما هي لا تزال حديثة السن».

تحدثت موراساكي على نحو هادئ ورصين: «منذ استلام رسالته المفعمة باللطف والكرم، تقت إلى القيام بذلك على وجه الدقة، ولكن يا للحسرة، فإنني غالباً ما أستشعر الأسف لافتقاري إلى القدرة على ذلك». ثم مضت في الحديث بلهجة مفعمة بروح الشباب لتدخل السرور على نفس الأميرة من خلال الكلام عن الصورة وكيف أنها هي نفسها لم تكن قادرة على التخلي عن عرائسها قط. حدَّثت سمو الأميرة نفسها: كم هي شابة، ولشد ما هي جميلة! وأحبتها كثيراً. بعد ذلك كانتا تتراسلان، وتسعدان إحداهما بلقاء الأخرى،

(1) إن موراساكي تقول بصورة أكثر حرفية، وعلى نحو رمزي، إنها وأونا سان نو ميا تضعان عصابة الرأس (كازاشي) ذاتها، وذلك في معرض الإشارة إلى جوسينشو 809، من نظم آيسي: «لئن جئت إلى يوشينو، التي هي موطني، فسوف أعتمر عصابة مماثلة لما تعتمره».

عندما يتيح ترفيه جذاب الفرصة لهما للقيام بذلك.

يثرثر الناس في صفاقة حول أي شخص يعلو شأنه، وقد تساءلوا في البداية عن الخواطر التي ساورت سيدة جناح جينجي الشرقي. وقالوا: «من المؤكد أن سمو الامبراطور الفخري لم يعد يؤثرها على نحو ما اعتاد قبلاً. ولا شك في أن تقديره لها قد تراجع». وعندما تبين أن هذا كله لم يكن له تأثير إلا زيادة إخلاصه لها، أثار البعض ضجة حول هذا كذلك، ولكن العلاقات الطيبة بين السيدتين وضعت بعدئذ نهاية لكل هذه الشائعات، واستعادت التناغم السعيد.

في الشهر العاشر، كرَّست سيدة الجناح الشرقي أيقونة لبوذا ياكوشي في معبد جينجي في سبخة ساجا، احتفاء بعامه الأربعين. وكانت قد أعدت لمناسبة يعمها الحرص، حيث إنه حظر أي شيء تغلب عليه الفخامة أكثر مما ينبغي. وذكَّر نمط الأيقونة وصناديق الكتابات المقدسة واللفافات[1] بالفردوس نفسه. وكانت الصلوات التي أقيمت مناسبة حقاً، حيث إنها شملت سوترا الملك المنتصر، سوترا الحكمة الماسية، وسوترا الحياة الخالدة[2]. وحضر لفيف من كبار النبلاء. وكان المعبد شديد الفخامة، ولا شك في أن المشاهد العديدة على امتداد الطريق، بما في ذلك الطريق الممتد هناك عبر الحقول وتحت الأشجار في ألوانها الخريفية، قد ساعدت كذلك على تشجيعهم على الحضور. كانت هناك جلبة عظيمة أثارتها الجياد والعربات التي تمر إحداها بالأخرى في طريقها عبر المروج التي جعلها الصقيع تذوي. وكانت كل سيدة من روكوجو قد كلفت من يقوم بقراءة النصوص المقدسة.

كان الصيام[3] قد انتهى في اليوم الثالث والعشرين، وكان روكوجو مليئاً للغاية بالفعل بحيث إن الراعية أقامت المأدبة في نيجو، الذي كانت تعتبره دارها. وقد أعدت هناك

(1) تشيسو، اللفافات القماشية لأوراق السوترا.

(2) كونكومايو سايشو - كيو باللغة اليابانية، التي تشدد على سلام البلاد واستقرارها، كونجو هانايا هاراميتا - كيو، التي تعلم الاستنارة على نحو ما تحقق من خلال ممارسة تعاليم بوذا، وإيساي نايوراي كونجو جومايو داراني كيو، التي تعد من يقرؤونها عمراً مديداً وحرية للأبد من أقانيم التناسخ الثلاثة الشريرة. وهذه السوترات تستخدم في الصلاة من أجل السلام في البلاد وهناءة جينجي في هذه الحياة وما بعدها.

(3) أيام الصيام المرتبطة بطقوس الاعتكاف في المعبد.

الأثواب وكل ما هو مطلوب، وساهمت السيدات الأخريات بكل شيء آخر في وسعهن، كل بحسب ما طاب لها. وأُخليت الأجنحة التي كانت قد أُعطيت لغرف الوصيفات لإتاحة المجال للوصفاء القائمين بالترفيه، والمفوضين[1] القائمين على إدارة روكوجو، وحتى الخدم ذوي الأصول الرفيعة. وتم تجميل ملحقات الدار الرئيسية كالمعتاد في مثل هذه المناسبات، ووضع فيها عرش مطعم بعرق اللؤلؤ. وفي الغرفة الغربية كان هناك اثنا عشر حاملاً للملابس، كل منها عُلقت عليه ملابس الصيف والشتاء والليل التقليدية، وغُطيت بحرير فاخر يحمل أشكالاً قرمزية، بحيث لا يستطيع المرء تحديد ما يوجد تحته. وغُطيت مائدتا الأدوات الموضوعتان أمام مقعد الشرف بحرير صيني يغدو لونه قاتماً عند أطرافه. وكانت منصة زهور عصائب الرأس، المتخذة من خشب الصبر بقاعدتها البرعمية وطيورها الذهبية الجاثمة على فروع فضية، مقدمة من الزوجة كريتسوبو، حيث كانت أكاشي قد أمرت بإبداعها وفقاً لتصميمها[2] شديد الروعة. وكان معالي وزير شؤون المراسم[3] هو الذي حرص على الاهتمام بالستر الأربع المطوية وراء مقعد الشرف. وأظهرت صورها المواسم الأربعة، على نحو ما قد يتوقع المرء، وكانت رائعة إلى أبعد الحدود، وحظيت جبالها وأوديتها، ومياهها بجدة الابتكار الداعية للسرور. وامتد زوجان من الخزائن الداعمة لخزائن مليئة بالأشياء قبالة الجدار الشمالي. وكانت القطع الأخرى من الأثاث من النوع المألوف. وجلس كبار النبلاء، ووزراء الميسرة والميمنة ومعالي وزير شؤون المراسم ومن إليهم في الجناح الجنوبي، وبالطبع كان كل سيد نبيل ينتمي إلى مرتبة أقل حاضراً كذلك. وإلى يسار المنصة ويمينها كانت هناك مساحات تحيطها الستائر خصصت للعازفين، بينما إلى الشرق والغرب امتدت ثمانون مجموعة من زلابية الأرز وأربعون خزانة من هدايا الملابس.

وصل الراقصون والعازفون في ساعة الغنم[4]. وأدوا «عشرة آلاف سنة» و«الغزال

---

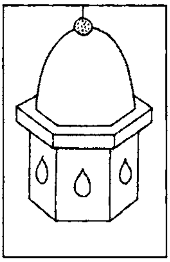
(1) تايفو، وهم الوصفاء الخصوصيون، الذين يديرون بيوتات أرقى النبلاء.

(2) يشير شرح مبكر للحكاية إلى أن المنصة تحمل «جبلاً» من لب خشب الصبر كذلك، والتي تبرز منها «فروع» فضية، وأن الطيور الذهبية تمسك بمناقيرها زهور عصائب الرأس، و«القوائم البرعمية» للمنصة هي «كيسوكو»، أي قوائم تنتهي بشكل شبه زهري.

(3) والد موراساكي.

(4) حوالي الساعة الثانية بعد الظهر.

الملكي»، وقرابة الغروب رقصة مقدمة كوما[1]، وتلتها الرقصة التي نادراً ما تُشاهد، وهي «التنينان التوأم». وعندما انتهت، هبط المستشار ومراقب حراسة البوابة إلى الحديقة، ورقصا رقصة صغيرة مستعادة[2]، احتجبا بعدها وسط الأشجار الخريفية. وأحسَّ النبلاء المبتهجون بالأسف لرؤيتهما وهما يختفيان. ووجد هؤلاء الذين تذكروا «أمواج البحر الأزرق» في تلك الأمسية التي سبقت رحلة الامبراطور سوزاكو كلاً منهما جديراً بالمقارنة بأبيه، حيث ارتقيا إلى مستواهما في السمعة والمظهر واللباقة، وتجاوزاه قليلاً في المرتبة والمنصب، الأمر الذي أشار، في ضوء عمريهما، إلى أن ميلادهما قُدِّر لهما منذ وقت طويل أن يصلا إلى مثل هذه الذُرى. وتأثر جينجي إلى حد الاقتراب من سفح الدموع، وعاودته ذكريات كثيرة.



زلابية أرز

عندما أقبل الليل، انسحب العازفون. ومضى كبار القائمين على أمر الدار بهم إلى الخزائن، وتلقى كل منهم هديته. ولدى النظر إليهم قبالة تل الحديقة، فيما هم يمرون على امتداد البحيرة، بدت أرديتهم البيضاء على أكتفاهم مثل الريش الذي يكسو طيور الكركي، وهي تستمتع بحياتها التي تمتد ألف عام، ثم بدأت موسيقى النبلاء، وكانت بدورها بهيجة. وكان جينجي قد تلقى الآلات الوترية من ولي العهد، وجاءت آلتا البيوا والكين من قصر نيافتها المترهبنة وآلة السو نو كوتو من جلالة الامبراطور. وكانت لها جميعها نغمة تعيد ذكرى الأيام الخوالي. وإذ شارك جينجي في الحفل الموسيقي على نحو ما يفعل نادراً، فقد وجد نفسه يتذكر كيف كان نيافته الراحل يبدو في وقت أو آخر، وحياته هو في البلاد، وراح يحدِّث نفسه بحزن وأسف مريرين: لو أن نيافتها الراحلة كانت قد عاشت لأقمت لها بنفسي احتفالاً كهذا! ترى كيف كان يمكن أن أُظهر لها كم كانت تعني لي الكثير؟

ألقت نيافتها الراحلة حجاباً قاتماً على حياة جلالة الامبراطور بدوره، ولم تجعله السنوات الموغلة في مسيرتها إلا أكثر اضطراباً لأنه لم يستطع، على نحو ما ينبغي، أن

---

(1) مقطوعة موسيقية «كورية» شكلّت مقدمة ل«التنينان التوأم».

(2) إرايا، نوع من الرقص المستعاد، عادة ما يؤديه الراقصون أنفسهم بعد الانتهاء من مقطوعة مدرجة في برنامج الحفل.

يظهر لجينجي كل الاحترام الواجب لأب. وكان قد وصل إلى أن الاحتفال الحالي سيتيح له فرصة لزيارة جينجي في هذا العام، ولكن جينجي كان قد نصحه مراراً بعدم سلوك مسار قد يجده الناس مثيراً للاضطراب، وكان قد شعر بخيبة الأمل لاضطراره إلى التخلي عن هذه الفكرة.

بعد اليوم العشرين من الشهر الثاني عشر، انسحبت جلالتها من القصر، وكعمل أخير من أعمال الورع نيابة عنه بالنسبة لذلك العام، كلفت من يقوم بترتيل النصوص المقدسة في المعابد الكبرى السبعة في نارا[1]، والتي وزعت عليها أربعة آلاف مقطع قماش، وقدمت أربع مئة مقطع حرير إلى الأربعين معبداً الأقرب إلى المدينة. وأقرت بالدين الذي يطوقها بها، وتطلعت إلى أن تبدي له عرفانها بالجميل عندما تسمح لها الظروف بالقيام بذلك، ذلك أنها كانت تعرف أنها ما كانت لتقوم بأقل من ذلك لأبيها وأمها، لو أنهما كانا لا يزالان على قيد الحياة، ولكن ملاحظات جينجي القاسية حتى لجلالة الامبراطور أجبرتها على التخلي عن معظم خططها. «ما أتفهمه من قدوة الماضي أنه بعد الاحتفال ببلوغ المرء عامه الأربعين، فإنه نادراً ما يمكنه أن يتوقع أن يعيش وقتاً أطول من ذلك، ومن هناك فإنني أفضل في هذه المناسبة التقليل من كل التفاخر وأن تدخر نفسك لاحتفالات مقبلة». تلك كانت كلماته، ولكن جلالته ظل يعتزم الاحتفال بالمناسبة بما يليق بها من جلال.

تم تجميل الدار الرئيسية في مقر جلالة الامبراطورة لاحتفال يحظى بكل عظمة الاحتفالات السابقة[2]. كانت المكافآت المخصصة لكبار النبلاء ومن إليهم تحاكي تلك المخصصة لمهرجانات البلاط الكبرى. وتلقى النبلاء البارزون ثياباً مخصصة للنساء، بينما حصل شاغلو المرتبة الرابعة المؤهلون لمرتبة الاستشاري وكذلك الوصفاء في خدمة جلالة الامبراطور على رداء أبيض مبطن طويل وكذلك على لفافة من الحرير. كانت الملابس بالغة الجمال، وأضفت نطاقات وسيوف شهيرة موروثة من ولي العهد الراحل[3] كذلك على المناسبة لمسة مؤثرة. ويبدو أن الحفل جمع كل مقتنى ثمين من العهود السابقة. وتشيد الحكايات القديمة بالهدايا المقدمة في مثل هذه المناسبات، ولكن مثل هذه القوائم

(1) تشمل هذه النصوص المقدسة تودايجي، كوفوكوجي وهورايوجي الشهيرة.
(2) احتفال تاما كازورا في الشهر الأول واحتفال موراساكي في الشهر العاشر.
(3) والد الامبراطورة أكيكونومو.

مضجرة، وليس بمقدوري إيراد كل الناس الذين تعين على جينجي تقديمها لهم.

لم يستطع جلالة الامبراطور التخلي عن الخطة التي كان قد وضعها، وعهد إلى المستشار بتنفيذها. كان شاغل منصب قائد الميمنة قد استقال من منصبه، أخيراً، بسبب المرض، واعتزم جلالة الامبراطور إسناد هذا المنصب إلى المستشار، بالتزامن مع الحفل الذي يقيمه لجينجي، ولكنه الآن أعلن التعيين في التو. فشكره جينجي، ولكن بحذر مفعم بالتواضع، وقال: «ليس بمقدوري تجنب الشعور بأن هذا التكريم المفاجئ سابق لأوانه، حيث إنه يتجاوز كثيراً ما يستحقه».


رقصة «عشرة آلاف عام»

أشرف القائد الجديد على الاستعدادات، في الجانب الشمالي الشرقي[1]. وحاول إبقاءها طي الكتمان، ولكن هذا الحفل لم يكن حفلاً عادياً، وقد جلب من أجله ومن أجل الاحتفالات الأخرى المقامة في جوانب أخرى ما يتم الاحتياج إليه من مستودع البلاط ومن الخزانة الامبراطورية[2]. وتلقى النقيب أمين السر[3] أمراً من جلالة الامبراطور بتقديم زلابية الأرز وما إليها، تماماً كما لو كان حفلاً في القصر. وقد حضر خمسة أمراء، وزراء الميمنة والميسرة، مستشاران كبيران، ثلاثة مستشارين، خمسة استشاريين، كل الوصفاء الخصوصيين تقريباً الذين كانوا في خدمة جلالة الامبراطور، وولي العهد، ونيافته. كان المستشار قد أشرف على تزيين الغرف وقطع الأثاث بحسب التوجيه التفصيلي من جانب جلالة الامبراطور، وانضم إلى الجمع اليوم بأمر صريح من جلالته. وغمر الامتنان والدهشة سمو الامبراطور الفخري، فاتخذ مقعده كذلك. واجه أحدهما الآخر في قاعة الدار الرئيسية. وكان معالي المستشار، وهو الآن شخصية مهيبة ذات ثقل مؤثر في النفس، يتمتع

(1) جناح هانا تشيرو ساتو.

(2) كوكوسوين، المخزن الخاص بالأرز والنقد المحصلين من المقاطعات الداخلية (كيناي).

(3) لا يظهر في الحكاية إلا من خلال هذه الإشارة.

على نحو جلي بكمال الرفاه والنجاح، بينما كان سمو الامبراطور الفخري لا يزال جينجي الشاب على نحو ما كان في الأيام الخوالي. حملت الستر الأربعة المطوية وراءه نقوشاً أبدعها جلالة الامبراطور بيده على حرير صيني في لون النجيل الأخضر المزين بالأشكال وقد كتبت فوق صور كانت أيضاً ذات أهمية استثنائية. تمتع الخط في الحبر والتنفيذ بجودة متألقة، زادتها هوية الكاتب تألقاً. جاءت الآلات الموسيقية الوترية والنفخية والخزانات التي وضعت عليها جميعها من مكتب الحجاب. وكانت أحداث اليوم جميعها مؤثرة في النفس بصفة خاصة، لأن سلطة القائد الشخصية غدت الآن أعظم كثيراً مما كانت عليه. غربت الشمس، بينما قام رجال من إسطبلات الميمنة والميسرة وضباط من مقار قيادة الحرس الستة[1] بترتيب أربعين جواداً أمام الضيوف، بحسب أولويتهم.

قُدمت رقصات من قبيل «عشرة آلاف سنة» و«جلالة عاهلنا» كالمعتاد، على الرغم من أن ذلك كان بشكل رمزي فحسب، لأن وجود معاليه ألهمهم جميعاً أن يصرفوا حماسهم بدلاً من ذلك إلى الموسيقى، التي كان يستمتع بها كثيراً. وكعهده دائماً التقط معالي وزير الحرب آلة البيوا الموسيقية، حيث كان معلماً نادراً ولا نظير له في العزف عليها، وتلقى جينجي آلة كين، وتلقى معاليه آلة واجون، ووجد جينجي عزف معاليه بديعاً مؤثراً للغاية، ربما لأنهما كانا يعزفان معاً، منذ وقت طويل للغاية، ومن ثم فإنه لم يحجب شيئاً من تمكنه من العزف على آلة الكين، التي انبعث منها أكثر الأصوات روعة بلمسة منه. ثم تحدثوا عن الأيام الخوالي، وأسرفوا في الشراب، حيث إن الصلات التي تربطهم شجعت الحميمية الأكثر وداً إلى أن دفعت بهم مباهج المناسبة إلى الدموع التي لم يكن بمقدورهم منعها من الانهمار.

بعث جينجي إلى عربة معاليه كهدايا وداعية آلة واجون بديعة جنباً إلى جانب مع ناي كوما كان مولعاً به وزوج من صناديق خشب الصندل الأحمر، يضم أحدهما نماذج مثيرة للإعجاب من الخط من الصين، ويحتوي الآخر بالمثل على قطع بديعة من النصوص الذائعة من اليابان. ورقص الرجال المقبلون من إصطبلات الميمنة الامبراطورية، الذين

(1) هايويفو (الحراسة)، إمونفو (حراسة البوابة) وكونويفو (حراس القصر)، وقد قسم كل منها إلى وحدات منفصلة للميمنة والميسرة.

كانـوا هناك لجلب الجياد، رقصة كوما مليئة بالحمـاس. وتلقى الضباط المقبلون من مقار قيادة الحرس الســتة مكافآتهم من القائد. وكان جينجي قد ثبَّط أي تباه أو تظاهر مبالغ فيه، حيث كان يرغب في إبقاء كل شيء بسيطاً، ولكن صلاته الوثيقة بالامبراطور، وولي العهد، والامبراطـور المتقاعـد، والامبراطورة كذلـك منحته مقاماً وهيبة رفيعيـن للغاية بحيث إن تقديـراً كبيـراً له بدا أمراً حتمياً. وكان شـيئاً مخيبـاً للآمال أن القائد هو ابنـه الوحيد، ولكن هذا الشاب حظي بتقدير كبير للغاية بين نظرائه، وبرز في مقدرته، وذلك على الرغم من أن المصيـر المترتـب على التنافس المفعم بالغيرة بين أمه ومـلاذ روكوجو قد أفصح مع ذلك عن نفسه في نهاية المطاف بطرق عديدة[1].

أعدت ملابس القائد في ذلك اليوم السـيدة القاطنة في الجانب الشـمالي الشرقي، بينما يـدرك المرء أن زوجته في سـانجو قد جهـزت المكافآت. وهذه المناسـبات الاحتفالية إذ يُنظر إليها من الجانب الشـمالي الشـرقي، فإنه حتى الأجمل والأكثر حميمية من بينها بدت بعيدة للغاية حقاً، وقد تسـاءلت السـيدة القاطنة هناك عما إذا كان سـيُقدر لها أبداً السـماح بالانضمـام إلى مثـل هذه الصحبة العظيمة، ولكن صلتها بالقائـد حققت لها هذا على نحو جيد للغاية.

أقبـل العـام الجديـد، ومضى موعد وضـع الزوجة كيرتسـوبو لحملها فـي الدنو، ومنذ اليوم الأول في الشهر الأول قام جينجي، بناء على هذا، بالتكليف بالأداء المتصل للطقس الكبيـر، وأُديت صلوات تفوق الحصر، في المعابد والمزارات في كل مكان، فقد غرسـت تلـك التجربـة المفزعة[2] في نفسـه فزعاً من هـذه الأمور، وعلى الرغم من الأسـف وخيبة الأمل فقد كان سعيداً لأنه لا سيدة جناحه الشرقي ولا الأخريات تعرضن لأي شيء مماثل. وكانت الزوجة نحيلة للغاية، بحيث إنه اسـتبد به القلق بالفعل تماماً حول كيف سـتواصل حملهـا عندمـا طرأ عليها تغير كبير أثار قلقاً عاماً في الشـهر الثاني، وغدت على غير ما يرام تمامـاً. وأوصـى العرافون لها بالكفـارة في موضع آخر[3]، ولكنه كان يعرف أنه سـيقلق إذا

(1) بصفة خاصة أن أكيكونومو، ابنة ملاذ روكوجو (التي أمضت سنوات عدة في آيسي) هي الآن امبراطورة، بينما يوجيري هو أحد العامة فحسب.

(2) مشاهدة موت أوي بعد وضع حملها.

(3) إنهم يخشون من أنها معرضة لتأثير مميت من النوع الذي تجنبه جينجي في «شجرة الوزَّال» بالمضي لقضاء الليل

قُدِّر لها أن تمضي إلى مكان آخر، ومن هنا فقد نقلها إلى الجناح الأوسط لجانب أكاشي. وقد تألف هذا المسكن من جناحين كبيرين تحيطهما أروقة عديدة[1]، أُقيمت على امتدادها الآن صفوف من المذابح الطينية، واستدعي نساك أقوياء لأداء طقوسهم بصوت عال أمام هذه المذابح[2]. وعرفت أم الزوجة أن مصيرها هي على المحك، واستبد بها القلق حقاً.

لابد أن الراهبة الموقرة كانت بحلول ذلك الوقت موغلة في العمر وغريبة تماماً، لأنه بالنسبة لها كان بمثابة حلم أن ترى حفيدتها على هذا النحو، ومضت مباشرة لتكون بصحبتها على أمل أن يحل الوضع قريباً. لم تكن أم الزوجة قد أبلغت ابنتها حقاً بأمر الماضي قط، على الرغم من ملازمتها لها طويلاً، وهكذا فإن الراهبة التي أخذت منها السعادة كل مأخذ أقبلت عليها الآن مندفعة، ووصفت بصوت مرتجف، وسط دموع منهمرة، ما كانت عليه حياتهم يوماً. وفي البداية حسبتها الزوجة غريبة ومخيفة، وحدَّقت فيها فحسب، ولكنها كانت قد سمعت حديثاً عن مثل هذه العجوز، وكانت لطيفة معها في نهاية المطاف. واصلت الراهبة الحديث عن الظروف المحيطة بميلادها وكيف أن سمو الامبراطور الفخري قد أقام هناك على الشاطئ. ومضت تبكي، وهي تقول: «تضايقنا جميعاً عندما آن أوان عودته إلى المدينة، لأننا حسبنا أن تلك هي النهاية، وأن ما بيننا قد انتهى، ولكنك جئت بعدئذ جنباً إلى جنب مع مصيرك الرائع، وغيرت كل شيء».

قالت الزوجة لنفسها: نعم، ما كنت لأعرف أبداً القصة الحزينة لماضيَّ لو أنها لم تبلّغني بها! وشرعت في البكاء. لم أكن حقاً في وضع أتباهى فيه بنفسي، فسيدة الجناح الشرقي لسمو الامبراطور الفخري هي التي ربتني لأغدو ما يتوقعه الناس مني بشكل أو بآخر. إنني أحسب نفسي أسمى وأرقى، وحتى في الخدمة بالقصر نظرت من علٍ إلى الجميع. ما أشد ما كنت عليه من تيه وكبرياء! أحسب أن هذا هو، على وجه الدقة، ما كان الناس يقولونه عني سراً. عرفت أخيراً من تكون. وكانت قد عرفت دوماً أن أمها ليست ممن يحظين بتقدير

في دار أوتسو سيمي.

(1) من الصعب تصور هذا الوصف، فإذا سلمنا بأن المسكن يفتقر إلى دار رئيسية (شيندين) ويتألف من جناحين (تاي)، فإن من الصعب معرفة ما قد يكون عليه الجناح الأوسط (ناكا نو تاي). ومن الصعب كذلك التيقن مما يعنيه «تحيطهما أروقة عديدة».

(2) المذابح الطينية مخصصة لإشعال نيران «جوما» الطقوسية أمام أيقونات الآلهة الخمسة في الطقس العظيم.

كبيـر، علـى نحو ما ينبغي لها، ولكن فيما يتعلق بميلادها هـي فإنها لم تربطه قط بأي مكان بعيـد علـى هذا النحو. ربما لـم تهتـم بالأمر كثيراً. وأحزنها أن تعرف أن الراهب المسـتجد يحيا بعيداً عن رحاب الدنيا، كأحد الخالدين، وأزعجها هذا وكل شـيء آخر سـمعته أشـد الإزعاج.

كانت غارقة في تأملات كئيبة، عندما وصلت أمها، وتجمع النساك من هنا وهناك ليؤدوا طقوسهم الصاخبة الخاصة بالظهيرة. لم يكن معها أحد من النسوة القائمات على رعايتها، وانتهزت الراهبة هذه الفرصة لتقترب منها كثيراً.

عنفَّت أمها الراهبة، قائلة: «هذا ليس مناسباً! ليس لك القيام على خدمة سيدتي من دون سـتارة خفيضـة خاصة بك أمامك[1]. ومـع هذه الريح فإن ثغرة يمكـن أن تحدث، تصرفي كطبيبة، على سبيل المثال. لقد انقضى زمان طويل منذ كنت في شبابك». استبدَّ بها الضيق تماماً.

أومـأت الراهبـة، التي كانت بحسـب تقديرها تتصرف بصورة سـليمة تماماً، والتي كان بمقدورها السماع بالكاد، وردت قائلة: «عفواً؟» لم تكن بالفعل، وهي في الخامسة والستين أو السادسـة والستين من عمرها، مسنة إلى هذه الدرجة، وكانت ترتدي زيها الرهباني على نحـو مميز. وأوضحت عيناهـا المنتفختان المتغرغرتـان بالدموع أنها لسـوء الطالع كانت تركز في تفكيرها على الماضي.

غاص قلب أم الزوجة في صدرها. وقالت: «لابد أنها كانت تتحدث عن نوع من الهراء فيما يتعلق بسـنوات مضت. أحسـب أنها كانـت تروي لك حكايات عـن الماضي، ممتلئة بتصورات منافية للعقل من عندياتها. إنها تجعلني أتسـاءل عما إذا كنت أحلم!». ابتسـمت فـي شـجن، وهي ترقب الزوجـة، التي بدت رشـيقة للغاية وبالغة الجمال، ومشـغولة الآن ومكتئبة بصورة بالغة. لم يكن بمقدورها إلا بالكاد أن تصدق أن سـيدة شـابة رفيعة المكانة علـى هـذا النحو، هـي ابنتها. ومضت تحدِّث نفسـها قائلـة، لابد أنه قد أزعجها أن تسـمع بذلـك الأمر المحزن. كنت أعتزم أن أبلغها به بنفسـي، ما إن تصـل إلى أرقى الذرى ذاتها.

(1) تجلس الزوجة وراء ستارة، وقد جلست الراهبة أمام هذه الستارة مباشرة، وليس بمقدورها أن ترى الزوجة، ولكن هذه الأخيرة قد ترى الراهبة، التي يعد مرآها مزعجاً بفعل إيغالها في العمر.

ومن حسن الطالع أن هذا لن يقنعها بأنها ليس بمقدورها القيام بذلك، ولكن المسكينة لابد أنها تحس بالاكتئاب.

لـدى انتهاء طقـوس الصلاة، وضعت المرطبات أمام الزوجـة، وألحَّت عليها في حنان أن تأخـذ بعضاً منها. مضت الراهبة، المنتحبة بصورة عاجزة، تحدِّق في حفيدتها باندهاش وفرح. بوجه باسم وفم فاغر، بدت عيناها مغرورقتين تماماً ومكسوتين بالتجاعيد. تجاهلت نظرات ابنتها الحافلة بالانتقاد الحاد.

«تقبل تموجات الكهولة متجمدة إلى شاطئ بورك بسخاء،

من الذي يمكنه لوم مثل هذه الراهبة على سفح الدموع دوماً»[1].

قالت: «اعتاد الناس، في وقت من الأوقات، احتمال الكهول من أمثالي!» كتبت الزوجة على رقعة من الورق موضوعة إلى جوار محبرتها:

«أود أن تكون هذه الراهبة التي تسفح الدموع دليلي إلى أواجي النائية،

لعلي أرى بنفسي ذلك الكوخ من القصب على الشاطئ»[2].

كان هذا أكثر مما يمكن أن تحتمله أمها التي بكت.

«من غادر هذه الدنيا ليبقى حتى الأزل على شاطئ أكاشي،

حتى هو لا يمكن أن ينحِّي الظلام كله من فؤاده!».

سعت بكلمات كهذه إلى حجب دموعها.

قالت الزوجة لنفسـها: يا له من عار أنني لا أذكر شـيئاً من ذلك الفجر الذي غادرناه فيه هناك!

وضعت حملها في يسـر، بعد يوم أو يومين من اليوم العاشـر من الشـهر الثالث، وعلى الرغم من كل القلق السـابق فإنها لم تعان من ألم كبير، وابتهجت أمها أشد الابتهاج، حيث

---

(1) «من الذي يمكنه أن يلوم عجوزاً على بكائها فرحاً، الآن وقد أصبح لديها سبب للشعور بالسرور لأنها عاشت طويلاً بهذا القدر؟».

(2) «الكوخ من القصب» (تامايا) إشارة شعرية تقليدية لأي مسكن على الشاطئ، وهذا الكوخ هو الدار التي ولدت فيها الزوجة».

إنه جاء تتويجاً لكل شيء فقد ولدت صبياً، وساور جينجي أخيراً شعور بالارتياح.

من المؤكد أن سلاسل متألقة من الاحتفالات بالميلاد كانت ستضفي حياة على كهولة الراهبة، ولكنها بخلاف ذلك كانت ستهدر حياتها في تلك الدار الضيقة والمنعزلة، ومن هنا فإن الزوجة، استعدت للعودة إلى الجانب الجنوبي الشرقي. وكانت السيدة من الجناح الشرقي قد أقبلت إلى هناك لحضور الميلاد. وبدت جميلة في اللون الأبيض[1]، وهمت تضم الأمير الوليد بين ذراعيها كما لو كانت جدته. أثرَّ كل شيء فيها وفتنها، حيث إنها لم تمر بهذا بنفسها، أو تشهد مثل هذه المناسبة. وواصلت الإمساك بالوليد، على الرغم من أنه كان يصعب تدبر أمره، وسمحت لها جدته بالقيام بذلك، وشغلت نفسها في غضون ذلك برعاية اغتساله[2]. أشرفت سيدة للعاملين في القصر - السيدة التي أحضرت إخطار ولي العهد بتعيينه[3]- على ذلك الاغتسال، وتأثرت لرؤية الزوجة الأم، وهي تتصرف بانشغال كمربية قائمة على الحمام[4]، حيث إنها كانت تعرف شيئاً من خلفيتها، وكانت على استعداد لاستنكار أي إهمال. غريب أن السيدة أظهرت تميزاً مدهشاً للغاية، بحيث بدا بوضوح أنها قد ولدت لتلقى حسن الطالع في نهاية المطاف.

لن يكون هناك معنى لرواية وقائع كل احتفال أقيم في ذلك الوقت.

في اليوم السادس، عادت الزوجة إلى دارها اللائقة بها، وقام جلالة الامبراطور برعاية الاحتفال بالميلاد في ليل اليوم السابع. ربما نيابة عن نيافته، حيث إنه كان قد هجر الدنيا، تم بمقتضى أمر امبراطوري تعيين حاجب مراقب من مكتب الحجاب لترتيب الفعالية بأسلوب مهيب. وقدَّمت جلالة الامبراطورة الثياب التي تلقاها الضيوف كمكافآت، وكانت قد أمرت بإعدادها على نحو أكثر جمالاً من الثياب، التي تعد لمناسبة من مناسبات البلاط. وسارع الأمراء ووزراء الدولة بدورهم جميعاً للقيام بدورهم على نحو رائع.

---

(1) ارتدت الأم الجديدة والأخريات اللواتي يساعدن في الميلاد ثياباً بيضاء على امتداد الأيام التسعة الأولى من حياة الوليد، وكذلك كانت الستائر كافة وما إلى ذلك في الغرفة بيضاء اللون.

(2) كان الوليد الامبراطوري يحمم صباحاً ومساء على امتداد الأيام السبعة الأولى بعد ميلاده.

(3) ترجمة شارحة للقب المرأة، سينجي («مرسوم [التعيين ولياً للعهد]»).

(4) موكايو، الدور «المساعد» في إنجاز الحمام. تؤكد الحقيقة القائلة إن هذا الدور كانت تقوم به عادة إحدى كبيرات وصيفات الأم كلاً من التواضع الحكيم الذي تتمتع به السيدة أكاشي ومكانتها التي لا يزال يحفها الغموض.

لم يحاول جينجي قط إبقاء هذه الاحتفالات بسيطة، وإنما على العكس من ذلك، فقد عكست فخامة لم يُسمع بها من قبل، بحيث إن لمسات التألق الأروع والأكثر هدوءاً، اللمسات التي كان ينبغي ملاحظتها ونقلها إلى الأجيال المقبلة، لم تجتذب الاهتمام على الإطلاق، وسرعان ما احتضن بدوره الأمير الوليد. وأشار بقوله: «الآن لدى القائد العديد من الأبناء، ولكنه لا يزال يفضل ألا أراهم، ولابد لي من القول إني آخذ عليه ذلك. انظروا على الرغم من ذلك أي صبي صغير عزيز لديّ!»، لا عجب أنه قد فُتن به كثيراً.

كبر الأمير الصغير يوماً وراء آخر، كأنما يُشد شداً ليغدو أطول قامة، واستدعى جينجي المربيات ومن إليهن اللواتي لم يجربن من قبل، وتخيَّر من بين النسوة العاملات في خدمته أسرعهن وأكثرهن تميزاً فحسب. وعلى الرغم من مهابة أم الزوجة، فإنها احتجبت عن العيان عندما يكون ذلك ضرورياً، ولم يبد عليها الغرور ولا التكبر قط. وهو الأمر الذي جعل الجميع يشيد بها. وكانت سيدة الجناح الشرقي تعرفها بالفعل بصورة غير رسمية، والآن حولت جاذبية الأمير الوليد مشاعر لومها القديمة إلى دفء واحترام كاملين، وشغلت هي التي أحبت الأطفال كثيراً نفسها بإعداد دمى الأبناء بالتبني وما إلى ذلك بيديها، مثلما طفلة. وأمضت وقتها ليلاً ونهاراً في رعاية الوليد. وأحست الراهبة بأساليبها القديمة بالضيق الشديد لأنها لا يتاح لها رؤية الأمير الوليد كما يطيب لها، ويا للحسرة، فالآن وقد رأته أصبحت تفتقده كثيراً بحيث إن حياتها نفسها أصبحت على المحك.

عندما وصلت الأخبار إلى أكاشي، لم يستطع أي تطلع إلى عزلة الحكيم كبح جماح فرحة العجوز، فأبلغ أتباعه بقوله: «الآن يمكنني ترك هذه الدنيا ورائي بفؤاد مبتهج». وقام بتحويل داره إلى معبد خصَّص له كل حقول الأرز المحيطة به وثروة مماثلة، واعتزم بعد ذلك الاعتصام بالعزلة بعيداً في مكان لا يعثر فيه أحد عليه مجدداً، مكان أعده لنفسه منذ وقت طويل، أكثر إيغالاً في جبال المقاطعة من أن يقصده أحد. بقي اهتمام واحد صغير، ولكن بعد كل هذه السنوات التي أمضاها في أكاشي ترك ذلك للبوذات والآلهة، وانتقل بعيداً. وكان في السنوات الأخيرة قد أرسل مبعوثاً إلى المدينة، كلما اقتضى الأمر ذلك فحسب بصفة خاصة، على الرغم من أنه جعل المبعوثين يحملون من هناك سطراً على الأقل يتضمن نصيحة حول أمر أو آخر إلى الراهبة. والآن، وكإيماءة أخيرة للدنيا التي

يهجرها، وجه رسالة إلى ابنته.

«طوال سنوات أقمت في الدنيا التي تعيشين بها، ومع ذلك كان شعوري مختلفاً على نحو من الأنحاء، وهذا هو السر في أنني لم أكتب لك إلا عندما يكون ذلك ضرورياً، ولم أسع إلى معرفة أخبارك، فالرسائل المكتوبة بأسلوب الكانا تستغرق مني وقتاً في قراءتها[1]، واللحظات التي لا تقضى في ترتيل الاسم المقدس هي لحظات ضائعة، وذلك هو السر في أنني لم أُرسل إليك شيئاً. وأنا أدرك أن ابنتك الآن مع ولي العهد، وأنها قد أنجبت منه ابناً، وتلك فرحة كبرى، وأنا أقول ذلك لأنه على الرغم من أنني لا أعدو أن أكون ناسكاً جبلياً، ولا أرغب في مجد دنيوي، فلابد لي من الاعتراف بأنني لم أفكر على امتداد سنوات طويلة في شيء إلا فيك، حتى خلال ابتهالاتي ليلاً ونهاراً، وأن صلواتي كانت من أجلك، على حساب إهمال أي توق من جانبي إلى الندى على اللوتس.

عزيزتي، في إحدى الليالي، في الشهر الثاني من العام الذي ولدت فيه، تراءى لي حلم. أمسكت يمناي جبل سوميرو[2]، وعلى يمين الجبل ويساره انهل سنا الشمس والقمر على الدنيا. وقفت أنا نفسي في الأسفل، في الظلال تحت الجبل، ولم يصلني سناهما، ثم أطلقت الجبل عائماً على محيط رحب، وركبت سفينة صغيرة، ومضيت أجذف مبتعداً باتجاه الغرب. كان ذلك حلمي، ثم استيقظت. وحتى أنا بدأت في ذلك الصباح ذاته في تعليق الآمال، على الرغم من أنني رحت في قرارة نفسي أتساءل عن السر في أنني ينبغي أن أتطلع إلى أي شيء بمثل هذه العظمة البالغة، ثم حملت بك أمك. وبعد ذلك قدَّمت لي الكتابات الدنيوية والنصوص المقدسة مبررات عديدة للاعتقاد في الأحلام، بحيث إنني على الرغم من تواضعي قد ذهلت، وسعيت إلى تربيتك بصورة ملائمة. غير أن هذه المهمة بدت أكبر بكثير من إمكانياتي المتواضعة، وذلك هو السر في قيامي بالرحيل إلى هنا، حيث عكفت على إغراق نفسي في شؤون هذه المقاطعة، وتخليت عن أي أمل في أن الكهولة قد تعيدني إلى المدينة. وخلال عمري الذي أمضيته على هذا الشاطئ رتلت في قرارة نفسي صلوات عديدة، لأنك كنت أملي بأجمعه. وقد آن الأوان لكي تعربي عن امتنانك لتحقق

(1) ستكتب زوجته أو ابنته بالكانا، أي الخط الذي يعتمد بصورة خالصة على مخارج الألفاظ، بينما هو الآن لا يقرأ شيئاً إلا ما كتب باللغة الصينية من النصوص البوذية.

(2) الجبل المركزي في الأكوان البوذية.

هـذه الصلـوات. أرجـو أن تقومي بذلـك في المقام الأول في مزار سـو ميوشـي، وفور أن تصبح سيدتنا الشابة أم البلاد، ولدى تحقق كل ما صليت من أجله. ولم يعد الشك ممكناً. الآن وقـد أرضيت رغبتـي الجارفة تماماً، ويمكنني أن أثق في البعث عند الأسـمى من بين تسـع درجـات في الفردوس، باتجـاه الغرب فيمـا وراء أراضي بوذا المئة ألف، سـأواصل صلاتي بين الأشجار والمياه النقية، في الجبال الأكثر نأياً، بينما انتظر استدعائي إلى عرش اللوتس[1].

«يأتي ذلك الفجر، عندما يتألق النور، الذي طال انتظاره، أخيراً،

وأعرفكم الآن بكل ما حلمت به منذ زمن بعيد».

هنا كان قد كتب الشهر واليوم.

كان قد أضاف: «لا تحاولي أن تعرفي شـهر موتي ويومه! لماذا ينبغي أن تلبسي ملابس الحداد على نحو ما يفعل الناس دوماً؟ تأملي في كونك وجوداً متحولاً[2]، واعملي لما فيه صالح راهب عجوز[3]. أياً كانت المباهج التي تقدمها هذه الحياة، فلا تنسي الحياة المقبلة. لسـوف نلتقي من جديد، طالما أن بمقدوري الوصول إلى المكان الذي أتوق إلى الذهاب إليه ثقي بأننا سنكون معاً عندما تصلين إلى الشاطئ الواقع فيما وراء هذه الدنيا».

جاء مع رسالته صندوق كبير مغلق من خشب الصبر، يضم نصوص كل الصلوات التي كان قد رفعها إلى مزار سوميوشي.

لم يبعث إلى الراهبة إلا بكلمات قلائل: «في اليوم الرابع عشـر من هذا الشـهر سـأترك مسكني المتواضع، وأمضي إلى أعماق الجبال، حيث سأترك بدني الذي لا قيمة له لتتغذى

---

(1) يُحدد فردوس بوذا أميدا من خلال النصوص المقدسة باعتباره يقع باتجاه الغرب فيما وراء مئة ألف من العوالم الوسيطة، كل عالم منها له بوذا الخاص به. وعند الأسمى من بين تسعة مستويات مختلفة من الميلاد إلى رحاب الفردوس، فإن الروح تستقر في التو على زهرة لوتس مكتملة التفتح وتشهد مباشرة وجود أميدا وأمجاد أرضه. وعند المستوى الأكثر تدنياً فإن الروح تولد إلى برعم لوتس غير متفتح بشكل أو بآخر، ولابد لها من أن تنتظر زمناً أطول أو أقصر إلى أن يتفتح هذا البرعم.

(2) هينجي، التجلي المؤقت، المحدود و«المحول» للكائن الإلهي.

(3) «قومي بأداء أشياء لتشجيع ميلادي في رحاب الفردوس، من قبيل ترتيل اسم أميدا، واستنساخ النصوص المقدسة، والتكليف بأداء طقوس الصلاة وما إلى ذلك».

عليـه الدببـة والذئاب. ينبغي أن تظلـي صابرة على ما أنت عليه إلـى أن يحين الأوان الذي أنتظره[1]. لسوف نلتقي مجدداً في النور». كان ذلك كل ما هنالك.

قرأت الراهبة الرسـالة، ثم سـألت الراهب المقدس الذي أحضرها منه، فرد قائلاً: «لقد مضى إلى الجبال، التي لا مسـالك فيها، بعد ثلاثة أيام من كتابتها. وقد مضينا إلى سـفحها معـه، ولكنـه هناك أعادنـا جميعاً، وواصل مسـيره مع راهـب واحد ومعاونيـن اثنين. وقد ظننـت بعد أن هجر الدنيـا أننا لن نحزن مجدداً، ولكن المزيد من الحزن كان بسـبيله إلينا، فقـد وضع آلتي الكين والبيوا الخاصتين بـه إلى جواره – وهما الآلتان اللتان غالباً ما عزف عليهما جالسـاً قبالة أحد الأعمدة بين فواصل الصلوات – واستل الموسيقى من كل منهما مـرة أخرى، ثم ودَّع البـوذا[2]، وتركهما كقرابين في المعبد. وتـرك معظم مقتنياته الأخرى كذلـك كقرابين، ومـا لم يقدمه أعطاه لمن يزيدون عن سـتين تابعاً[3]، الذيـن كانوا مقربين علـى امتـداد السـنين، كل بحسـب مرتبته. وأخيـراً بعثنـي بما تبقـى إليك فـي المدينة، ثم انسـحب أخيـراً إلى السـحب والغمام في جبل بعيد، تـاركاً إيانا نحن الذيـن بقينا في الدار لحزننـا». كان المتحـدث الجليـل قد مضى إلى هناك مـن المدينة صبياً، والآن سـيبقى بها كهـلاً، وكان مكتئبـاً. حتـى أتباع بوذا الحكمـاء، المتضلعين فـي تعاليمه على قمة النسـر، غمرهم الحزن عندما خبت شعلته، ومن الطبيعي أن حزن الراهبة كان بلا حدود.



صندوق وثائق

كانـت أم الزوجـة في الجهـة الجنوبية الشـرقية، وأقبلـت فـي هـدوء، عندما بلغهـا نبأ الرسـالة، ولـم تسـتطع القيـام بذلـك من دون سـبب وجيـه، حيث كانـت الآن في حالـة مزاجية بالغة الجديـة، ولكنها أدركـت أن هذا يدعـو للقلق، واهتمـت بالأمر على نحـو يدعوهـا للقيـام بزيـارة بمزيـد مـن الحرص، فألفـت أمها وقد غلبها الحزن، ولـم تسـتطع بدورها منـع دموعها مـن الانهمار، عندما قرَّبـت المصباح،

(1) عندما تصبح حفيدته امبراطورة، ويغدو ابنها ولي العهد المعين.

(2) الأيقونة الرئيسية المقدسة في مصلاه.

(3) العاملون في داره، الذين أدوا قسم بوذا معه. والمتحدث واحد منهم.

وقرأت الرسالة. عاودتها، من رحاب الماضي، الذكريات- أمور ما كانت لتعني شيئاً لأحد غيرها- وأدركت هي التي افتقدت والدها كثيراً بألم مرير أنها لن تراه مجدداً، فلم تستطع الكف عن البكاء، ومنحتها الصورة التي رسمها أبوها عن حلمه بالمستقبل، ومع ذلك فقد مضت تحدِّث نفسها قائلة: إذن فقد جاء كل بؤسي، عندما بعث بي بطريقته الغريبة تلك إلى مكان كان لا ينبغي أن أمضي إليه أبداً، صادراً عن ثقته في حلم صغير والآمال التي علقها على الذرى التي وعد بها! لقد فهمت جلية الأمر أخيراً.

تحدَّثت الراهبة بعد صمت طويل: «بفضلك كان بوسعنا هو وأنا أن نعتز بطالع حسن يتجاوز كثيراً ما نستحقه، وأحزان وضروب قلق كبيرة، نعم كانت لدينا هذه بدورها، إنني أعرف أنه لم يميز نفسه، ولكنه لا يزال يبدو غريباً، قدراً غريباً، أن نغادر دارنا في المدينة إلى رحاب النسيان بعيداً، وحتى آنذاك لم أتصور قط أنني وهو سنفترق، حيث إنني اعتقدت طوال تلك السنين أننا بعد هذه الحياة سنتقاسم زهرة اللوتس نفسها. ثم فجأة حدث ذلك الأمر الفذ، لقد جعلتني مكافأتي على العودة إلى العالم الذي هجرته سعيدة، ولكنني في الوقت نفسه، افتقدته دوماً، وساورني القلق عليه، ومن الصعب للغاية أن أضطر لمغادرة هذه الحياة من دون رؤيته مجدداً. لقد مضت به طبائعه الغريبة إلى اعتكاف الدنيا حتى هو لا يزال فيها، ولكننا كنا شابين ونتمتع بالثقة، وما من زوجين كانا يمكن أن يكونا أكثر ورعاً منا، وتقاسمنا ثقة عميقة أحدنا في الآخر. فلماذا أُفصل عنه بينما لا يزال قريباً للغاية بحيث إن هذه الرسالة جاءت بسرعة؟» أخذت تبكي بمرارة.

قالت أم الزوجة: «لا يعني لي شيئاً أن أكون قد ارتفعت عن الأخريات في نهاية المطاف، فما من مجد أحظى به يمكن أن يشكِّل فارقاً بالنسبة لي، حيث إنني قليلة الأهمية على أي حال، ولكن ما هو قاس أنني لن أعرف قطّ ما آل إليه. وأحسب أن مصيره يفسر كل ما حدث، ومع ذلك فيبدو أنه من قبيل الخسارة البالغة أن يختفي إلى الأبد في الجبال، وحيث إن الحياة هشة للغاية على الدوام، فإنه لن يعود له وجود عما قريب!».

واصلتا حديثهما الحزين، على امتداد الليل. قالت: «لقد رآني سمو الامبراطور الفخري هناك بالأمس، ولسوف أبدو مقصرة، إذا ابتعدت فجأة. وبالنسبة لي فإن هذا ليس بالأمر المهم، ولكن بالنسبة لأم سموه فليس بمقدوري أن أفعل ما طاب لي». عادت مجدداً عند

انبلاج الفجر.

تساءلت الراهبة، وهي تسفح دموعاً جديدة: «كيف حال سموه؟ إنني أتوق كثيراً لرؤيته!».

«إنني على يقين من أنك سترينه قريباً للغاية. فيبدو أن سيدتي الزوجة تتذكرك بإعزاز. وقد أشار سمو الامبراطور الفخري، فيما يبدو، إلى أنه على الرغم من أنه لا يرغب في التطلع إلى المستقبل قبل الأوان، فإنه يأمل، بافتراض أن كل شيء يمضي على ما يرام، أنك ستعيشين حتى ترى ذلك اليوم. وأنا أتساءل ما الذي يعنيه».

ابتسمت الراهبة. وقالت في سعادة: «هوذا! كنت أعرف ذلك. إن مصيري يختلف كثيراً عن مصير أي شخص آخر!».

انطلقت أم الزوجة للحاق بابنتها، وجلبت صندوق الصلوات إليها.

غالباً ما توجه ولي العهد إلى زوجته بالرجاء لكي تعود إلى القصر. قالت السيدة موراساكي: «لا يمكنني أن ألومه، فلابد أنه قلق للغاية عليها، خاصة بعد هذا التطور البارز». أعدت لجعل الأمير الوليد يزور والده.

فضلت ملاذ ولي العهد[1] البقاء حيث هي في الوقت الحالي، بعد أن تعلمت درسها فيما يتعلق بصعوبة الحصول على إذن بالانسحاب من القصر. أدى ما اجتازته لتوها، وهي تجربة مخيفة بالنسبة لمن هي في مثل هذا العمر المبكر، إلى تحول ملامحها قليلاً، وأكسبها تألقاً رائعاً. قالت أمها: «إنها لم تسترد صحتها بعد، ولا ينبغي أن تذهب إلى أن تكون قادرة على رعاية نفسها بصورة ملائمة». ولكن جينجي أبدى عدم موافقته على ذلك، وقال: «بروعة ملامحها الجديدة سيكون مسروراً بها أكثر من أي وقت مضى».

ذات مساء هادئ، بعد أن مضت سيدة الجناح الشرقي ووصيفاتها إلى جناحهن، مضت أم الزوجة إلى ابنتها، لتحدثها عن صندوق الصلوات. وقالت: «سيدتي، لا ينبغي أن أريك هذه إلا بعد أن تتم الاستجابة لها بفضلك على نحو كامل، ولكن الحياة بعيدة عن اليقين

(1) الابنة أكاشي، التي يُشار إليها هنا للمرة الأولى باللقب «مياسو دوكورو»، بحسبانها الأم التي أنجبت حديثاً طفلاً امبراطورياً.

بحيث لا تسـمح بذلك. هناك أمور معينة بسـيطة أعتقد أنني ينبغي أن أخبرك بها الآن، فيما لا أزال أتمتع ببصيرتي، لأنني إذا قُدِّر أن يحدث لي شيء قبل أن تتمكني بصورة كاملة من حسـم رأيـك اعتماداً على نفسـك، فقد لا يكون بمقدوري أخذاً فـي الاعتبار بمن أكون أن أجعلك تجلسـين إلـى جواري عند حلول النهاية. إنني أعـرف أن الخط غريب ومزعج[1]، ولكـن اقرأيه حتى النهاية لطفـاً[2]، على أي حال. واحتفظي بصفحات الصلوات في خزانة قريبة، واقرأيها عندما تسـتطيعين، ونفذي ما يرد فيها لطفاً، ولا تناقشـيها مع أحد. الآن وقد رأيتـك تصليـن إلى هذا المـدى فإنني بدوري أفضـل التخلي عن الدنيا، حيث إنني لسـت في سـلام مع نفسـي بحال من الأحوال. لا ينبغي قط أن تسـتخفي بحسن نية سيدة الجناح الشـرقي. وعندما أرى أي أعجوبة نادرة هي، فإنني آمل فحسـب أنها سـتحظى بعمر أطول كثيـراً مـن عمري. أما فيما يتعلق بمكوثي معك من عدمه، فـإن وضعي أكثر تواضعاً من أن يسمح لي بذلك، وذلك هو السر في أنني أسلمتك إليها في المقام الأول. وعلى الرغم من ذلـك فإنني لـم أتصور البتة أنها ستسـدي إليك قدر ما قامت به، وقـد افترضت على الدوام أنها في هذا الصدد ستكون مثل أي شخص آخر. وحسبما تبدو الأمور فليس لديَّ ما يدعو للقلق بشأنك، سواء فيما يتعلق بتربيتك أو بمستقبلك». ومضت في حديثها على هذا النحو مطولاً.

أصغـت المـلاذ والدموع في عينيها. كانت أمها، التـي ينبغي أن تكون على راحتها معها تماماً، منضبطة وحريصة إلى أبعد الحدود. وكانت الرسـالة مكتوبة بخط مزعج على نحو رهيب، في خمس صفحات أو ست من ورق ميتشينو كين، اصفرَّت بفعل الزمن، لكنها لا تـزال معطرة على نحو جميـل، فتأثرت بعمق، وأوحى ملمحها الجانبـي بجدائلها الجانبية التي أغرقتها الدموع الآن تماماً بالجمال النبيل على نحو رقيق.

كان جينجـي مع سـمو الأميـرة[3]، وقد دخـل الآن بصـورة مفاجئة للغاية عبـر الحاجز بينهما، بحيث إنها لـم تستطع إخفاء الأوراق، وكل ما فعلته أنها أسدلت ستاراً قائماً لتخفي

---

(1) رسالة الراهب المستجد أكاشي، المصاحبة لنصوص الصلوات، تتضمن الكثير من الحروف الصينية.

(2) إنها تتضمن أعمالاً للإعراب عن الشكر، وبصفة خاصة رحلات الحج، من أجل الاستجابة لصلوات الراهب المستجد.

(3) أونا سان نو ميا.

شـخصها على الأقل. فسـألها: «هل أميرك الصغير مستيقظ؟ لا يمكنني الابتعاد للحظة من دون أن أفتقده».

حارت المرفأ في الرد، فأجابت أمها: «بعثت به سيدتي إلى الجناح الشرقي».

«يـا له من شـيء غريب تقومين به! لقد أوشـكت على مصادرته تقريبـاً، وبالطريقة التي لا تسـمح له البتة بمفارقـة ذراعيها، فإنها كمن تطلب الاضطرار بصورة مسـتمرة إلى تغيير ملابسها المبتلة! ما الذي يمكن أن يكون قد دفعك إلى تركها تحصل عليه بمثل هذا الشكل العرضي؟ إنها ينبغي أن تجيء إلى هنا إذا رغبت في رؤيته!».

«إنك قاس للغاية! كيف يمكنك الحديث على هذه الشاكلة؟ ليس هناك بأس من رعايتها للوليد، حتى ولو كان بنتاً، والولد مهما علت مرتبته، على ما يرام تماماً[1]. أرجو ألا تدخل أياَ من مثل هذه الأفكار القاسية في رأس سيدتي!».

ابتسـم جينجي: «أرى أننـي يتعين عليَّ أن أدعكما كليكما تدبران الأمور حسـبما طاب لكمـا. يـا له من هراء تصور أنني أمضى لغرس أفـكار في رؤوس الناس! إنكما من يبدو أنه يزحف مبتعداً، ويقول أشـياء فظيعة عني!». نحَّى السـتار جانباً، وهنالك كانت هي مستندة علـى أحـد أعمدة القاعة، وقد بدت جميلـة على نحو معذِّب. وهنالـك أيضاً كان صندوق أحست بأنه لا يليق بها أن تبادر مسرعة إلى إخفائه.

«ما هذا الصندوق؟ لابد أنه يعني شـيئاً، لابد أن لديك قصيدة جد طويلة من عاشـق لك بداخله».

«إنك فظيع! وتبدو فتى في مقتبل العمر مجدداً، وفي بعض الأحيان تقول أكثر الأشـياء فظاعـة!». كان يبتسـم، ولكنها هـي وابنتها كانتـا متضايقتين على نحو جلـي كذلك، فرفع جينجي رأسـه متسـائلاً، فقالت، وقد حلَّ بها الحرج: «هذه سـجلات لصلوات وتقدمات

(١) من شأن البنت أن يتم إبقاؤها محمية ومحافظاً عليها بصورة أكبر، ولكن موراساكي هي، في نهاية المطاف، جدة الوليد بالتبني.

رُفعت ووعود لم يتم الإقرار بها بعد[1]. لقد جاء في هدوء من الكهف[2] الكائن في أكاشي. وقد ظننت أنني يمكنني أن أطلب منك إلقاء نظرة عليها، إذا وجدت اللحظة المناسبة لاطلاعك عليها، ولكن هذا ليس بالوقت المناسب، وسأكون ممتنة، إذا تركت الصندوق من غير أن تفتحه».

أدرك أن الأمر قد يمس أعماق مشاعرها، فقال: «يا للصلوات التي لابد أنه قد أداها! بعد أن عاش عمراً مديداً، لابد أنه على امتداد تلك السنين راكم قدراً كبيراً من الفضائل. بعض الناس في هذه الدنيا ربما يحظون بالذوق وبالتعليم، ولكن مهما كان حذقهم، فإنهم يتبين في نهاية المطاف أنهم لم يقطعوا شوطاً طويلاً، ربما لأنهم غارقون بعمق بالغ في العالم الدنيوي، ومن المؤكد أنهم لا يقتربون منه بحال. يا له من رجل حريص وبعيد النظر على نحو استثنائي! لم يتظاهر بالورع قط، أو يبرز نفسه على أنه من المتعلقين بالعالم الآخر، ولكنه بدا في أعماقه يحيا تماماً في عالم لا تدركه حواسنا، وفي الوقت الراهن، ومع تبدد الصلات التي تقيده، فمن المؤكد أنه تخلى عن الدنيا إلى الأبد. وأود كثيراً أن أمضي في هدوء لرؤيته، لو أنني كنت أملك حرية القيام بذلك فحسب».

«يبدو أنه قد غادر داره، وانسحب إلى جُب ناء للغاية بحيث إن الطيور لا تشدو هناك»[3].

«إذن فهذه شهادته الأخيرة! هل كنت على اتصال به؟ ترى ما هو شعور أمك. لابد أن صلتها به أقوى من صلة الابنة بأبيها». كانت هناك دموع في عينيه: «كلما علمت بالمزيد عنه عبر السنين، ازداد إحساسي على نحو غريب بالولع به، ويمكنني تصور مدى عمق تأثرك، حيث إنك كنت أقرب كثيراً إليه».

خطر ببال أم زوجة الامبراطور أن الصورة التي رسمها أبوها لحلمه قد تفسر الكثير من الأمور لجينجي، فقالت: «لديَّ رسالة منه، مكتوبة على نحو غريب للغاية، بحيث إنها

(1) إينوري نو كانجو، سجلات للنصوص المقدسة التي قرئت، ومتى، وكم مرة، للصلاة من أجل تحقيق آمال الراهب المستجد، ومادا شيكي جان، صلوات لم يتم إقرار تحققها بعد من خلال الحج للإعراب عن الشكر.

(2) تعبير رمزي على نحو متواضع عن دار أبيها.

(3) كوكينشو 535: «ليتها تدرك عمق حبي، الممتد مثلما رحابة جبل حيث لا يسمع المرء شدو طيور الهواء».

قد تكون مكتوبة أيضاً بأسلوب «سيدام»[1]، وأعتقد أن جانباً منها قد يهمك. وقد عرفت لدى مغادرتي أنني لن أراه مجدداً، ولكن من الصحيح أنه لا يزال يعني الكثير بالنسبة لي». ومضت تبكي بحرقة.

التقط جينجي الرسالة، وقال: «الخط يوحي باقتدار كبير، ولست أرى فيه شيئاً غامضاً أو معيباً. في الخط، كما في العديد من الأمور الأخرى، كان يمكن أن يدعى معلماً، وكل ما كان يفتقر إليه حقاً هو بعض مهارات الحياة العملية. وأنا أدرك أن شيئاً قد حدث خلال فترة الخدمة الحكيمة والقيمة تماماً التي كرَّسها جده الوزير للبلاد، وأن هذا هو السر في انقضاء سلالته، وذلك على الرغم من أن المرء لا يمكنه القول بأنه ليس له خلف من الإناث. وأحسب أن كل ذلك بفضل صلواته».

جفَّف الدموع من عينيه، وأمعن التفكير في الجزء المتعلق بالحلم. وحدَّث نفسه: لقد انتقده الناس لطموحه المفرط، ولم أستطع أنا نفسي مغالبة الشعور بأنني ما كان ينبغي قط القيام بما قمت به، ولم أعرف إلا بعد أن ولدت ابنتنا الصغيرة كم كانت الصلة بيننا قوية، وحتى آنذاك فإنني لم أدر بما يكمن في الماضي المحتجب عن العيون. إذاً فقد كان هذا ما حظي بإيمانه وغذَّى أمله غير المتوقع! من أجله عانيت دونما وجه حق مثل هذه المحن وضربت في أرجاء المنفى! ترى ما الذي كان يمكن أن تكون عليه صلواته تلك؟ التقط الأوراق بفضول كبير وبإجلال كذلك.

قال للزوجة: «لديَّ أنا نفسي ما أضيفه إلى هذه من أجلك[2]، ولسوف أدعك تعرفينه عما قريب». وتابع: «الآن وقد أصبحت لديك فكرة عما يكمن في ماضيك، لا تستخفّي للحظة واحدة بحسن نية السيدة القاطنة في جناحي الشرقي نحوك. قد يحدث لطف غريب عابر أو كلمة واعية أو اثنتان فارقاً يفوق أي صلة طبيعية أو حتمية، ويمكنني أن أؤكد لك أنها ليست أقل إخلاصاً لك من أمك، وذلك على الرغم من أن أمك إلى جوارك الآن دوماً. ربما يبدو من الحكمة الاستنتاج من أمثلة شهيرة[3] أن الشعور الودي من جانب من يماثلها

(1) بونجي، الخط الهندي المعروف للرهبان البوذيين المثقفين، الذين كانوا يستخدمونه لأغراض طقوسية.

(2) صلاة أو صلوات مكتوبة من عندياته.

(3) قصص «زوجة أب شريرة».

هو شعور على السطح فحسب، ولكن حتى إذا كان الأمر كذلك، ولم تكن نواياها رقيقة في حقيقة الأمر، فإنك يمكنك في يسر جعلها تحس بالذنب حيال معاملتها لك، وبالتالي تغير نيتها بتجاهل هذه المعاملة، وبأن تكوني منفتحة عليها. إن ألطف الناس في الدنيا لهم على الدوام عثراتهم، ولكن الأمثلة تشير إلى أنهم قد أفلحوا على الدوام في الوقوف على أقدامهم، عندما يكون شخص أو آخر ممن لا يطالهم اللوم حقاً. إن الشخص الحساس على الدوام، الشخص الذي لا يبذل جهداً لإرضاء الناس، والذي يتجاهل الآخرين، يصعب على الناس أن يحبوه، كما أنه لا يقدِّر الناس بالمرة. وليس مرد قولي هذا إلى أن نطاق خبرتي بالغ الاتساع، ولكنه يبدو لي، عندما أتأمل ما يبدو عليه الناس على اختلافهم، أنهم جميعاً لديهم ما يقولونه عن أنفسهم من حيث الذوق أو الإنجاز. لكل شخص ميزة ما يتمتع بها - فما من أحد ليس لديه شيء يقدمه على الإطلاق - ولكن كما تعلمين فإنك عندما تمضين جادة في البحث عن الرفيق المناسب في الحياة، فإن الاختيار يظل أبعد ما يكون عن السهولة. وعندما يتعلق الأمر بكون المرء لطيفاً تماماً، فإنني أعتقد أن السيدة القاطنة في الجناح الشرقي هنا يمكن أن توصف بأنها طيبة ولطيفة حقيقة. وبعض الناس، على الرغم من كرم محتدهم مازالوا جميعاً خبثاء ومفتقرين للوعي، وهذا عار كبير». كان بمقدور أم الزوجة أن تتصور في يسر من عساها ينطبق هذا الوصف عليها.

خفض جينجي صوته ليواصل القول: «الآن يبدو أنك تفهمين بعض الأمور، وهذا ممتاز. إنكما ينبغي أن تكونا صديقتين، وتقوما معاً برعاية الزوجة المنتمية إلى دارنا».

«لست بحاجة إلى قول هذا، لأنني كلما رأيت المزيد من معدنها النادر، تحدثت عنه أكثر. وما كانت لتقر بوجودي على نحو ما فعلت لو أنها كانت تعترض عليَّ أو كان وجودي يثير ضيقها. الأمر على العكس من ذلك، فهي رقيقة للغاية بحيث يساورني الحرج بالفعل، وأحس بالألم كثيراً، على أي حال، عندما أفكر فيما لابد أن الناس يقولونه من أنني أنا التي تحظى بأهمية محدودة للغاية أواصل الحياة، ولكنها كما تعلم تحميني على الدوام، كأنما ليس هناك ما يعيبني على الإطلاق».

«إنني أشك في أنها تقوم بذلك من أجلك حقاً، وأتوقع أن تكون مهتمة بالزوجة المنتمية إلى دارنا، وحيث إنها لا تستطيع أن تكون معها على الدوام هي نفسها، فإنها تتركها لك.

وعلى الرغم من ذلك فإن الطريقة التي تحجمين بها عن فرض نفسك أو التقدم بمطالب تريدينها لنفسك تساهم بالكثير في جعل الأمور تمضي بسهولة، وهذا يسعدني للغاية. عندما يختلط شخص يفتقر إلى الحس الصحيح مع شخص آخر، فإن النتيجة يمكن أن تكون غير سارة للشخص الآخر كذلك. ومن المطمئن أن كلاً منكما لا يطالها اللوم في هذا الصدد». وعاد إلى الجناح الشرقي.

حدَّثت نفسها: نعم، إنه شيء جيد أنني حاولت أن أحجب مشاعري. إنه لايزداد إلا تقديراً لها! ومن المؤكد أن فيها مزايا أكثر بكثير مما لدى معظم الناس، ومما يدخل السرور على النفس إدراك مدى استحقاقها للتقدير تماماً. أما فيما يتعلق بسمو الأميرة فإن تكريمه لها ليس إلا أمراً سطحياً فحسب، فهو لا يمكن أن يُقال إنه غالباً ما يزورها، وتلك ضربة لكبريائها. وهما تربطهما قرابة وثيقة، ولكنها هي المسكينة أعلى منه مقاماً بمقدار درجة واحدة. ومثل هذه التأملات تعيد إلى الذهن مدى حسن الطالع الذي واكبها. إن الأمور لم تمض على نحو جيد بالنسبة لهن، على الرغم من علو مقامهن، بينما هي التي لم يكن بوسعها الادعاء بالوقوف إلى جوارهن ليس لديها الآن ما تأسف عليه في الحياة. كان الشيء الوحيد الذي أثار اضطرابها هو التفكير في أبيها، الذي مضى إلى الجبال للأبد. وفي غضون ذلك وضعت أمها الراهبة ثقتها في البيت الذي يتحدث عن «غرس البذور في فردوس السعادة»[1]، واستغرقت تماماً في الأفكار التي تدور حول الحياة المقبلة.

كان يمكن للقائد أن يطمح هو نفسه إلى سمو الأميرة، وقد أثاره تماماً وجودها على مثل هذا القرب الكبير منه، وقد زار مسكنها كلما توافرت مناسبة للقيام بذلك، بذريعة المجاملة البسيطة، ومن هنا فقد وصل بصورة طبيعية إلى معرفة الكثير عنها. كانت في كل الأوقات صبيانية وهادئة على نحو يوحي بغفلتها عما حولها. وعلى الرغم من أن معاملة سمو الامبراطور الفخري السليمة تماماً لها كان حرياً بها أن تصبح قدوة للعصور، فإنه لم يكن هناك مؤشر إلى أنها تعني الكثير له بالفعل. وقلة من وصيفاتها كن من الكبيرات حقاً، ومعظمهن كن فتيات صغيرات جميلات المحيا، لم يكن يقمن بالكثير إلا التزين

---

(1) لم يتم تحديد مصدر هذا البيت.

والتأنـق، وكان لديهـا جمع كبير منهن[1] بحيث إن المرح سـاد حولها، وما كانت الهادئات منهن ليرغبن في مخالفة طبيعتهن، ولو أن أياً منهن كانت لها اهتماماًت سرية، فإن مثل هذه الصحبة اكتسحتهن وصولاً إلى المرح اللاهي، شأن بقيتهن. كن كالأطفال الذين ينهمكون ليلاً ونهاراً في اللعب. وسـمح جينجي - الذي كانت طبيعته التسليم بأن هناك جميع أنواع الناس في هذه الدنيا- سمح لهن بالمضي في سبيلهن، حيث إنهن كن يتمتعن بذلك كثيراً، ولكـن ذلك لم يدخل السـرور على نفسـه بأي حال. ولم يحاول إيقافهـن قط، ولكنه أجاد تعليم سمو الأميرة نفسها، وأفلح في إدخال القليل من التعقل عليها.

أدرك القائد من هذا كله أن لدى أبيه في شـخص موراسـاكي سـيدة نادرة حقاً. وكانت أخلاقها وطبيعتها تنتميان إلى نوعية معينة بحيث إنها في كل هذه السنين لم تثر مرة واحدة أي شـائعة، أو تجتذب الانتباه إلى نفسـها، لأنها كانت بالغة الحكمة، ومع ذلك فقد كانت طيبة كذلك، ولم تقلل من شـأن أي أحد، وتصرفت بلباقة سـاحرة. وهو لن ينسى قط تلك اللمحـة التـي خطفها منها خطفاً. ولم تكن زوجته تتمتع بميـزة كبرى أو بأي ناحية خاصة، علـى الرغـم من العاطفـة العميقة التـي يكنها لها. وقد قللـت الألفة من حدة حماسـه لها، الآن وقـد اسـتقر كل شـيء بينهما. وفي قرارة فـؤاده كان لا يزال يجد مـن المتعذر أن يبعد أفكاره عن المفاتن المتنوعة للنسوة اللواتي جمعهن أبوه معاً، وبصفة خاصة سمو الأميرة، بالطبع، حيث إنه، أخذاً في الاعتبار ميلادها، فإن أباه لم يظهر مؤشراً لأي اهتمام كبير بها، وكان بمقـدوره القول إن أباه يراعي المظاهر فحسـب. ولم يكـن مرد الأمر إلى أنه كان في ذهنه أي شيء غير مناسب، ولكنه لم يرغب في إهدار أي فرصة لرؤيتها.

كان مراقـب حراسـة البوابـة، الذي غالبـاً ما مضى للقيـام على خدمة نيافتـه المترهبن، قد رأى بنفسـه مطولاً كـم كان يقدر ابنته تقديراً كبيراً. ومـا إن بدأت تلك المداولات حتى سـرَّب للعلـن الآمـال التي يعلقهـا، وكان قد أدرك أيضـاً أن نيافته لم يجد هـذه الآمال مما يعكس وقاحة من جانبه. وعندما مضت إلى غيره، ساوره شعور بخيبة الأمل، كان من القوة بحيث إنه لم يتخل عنها، وجلب إليه نوعاً من العزاء الحزين أن يتسـقط أخبارها عن طريق

(1) ربما عدة دزينات منهن. ووفقاً ل«إيجا مونوجاتري» فإن الامبراطورة أكيكو قدمت إلى القصر مع أربعين وصيفة.

الوصيفات، اللواتي كانت مساعيهن الحميدة قد خدمته آنذاك. وقد سمع بأن الناس غالباً ما يقولون إن بهاء سيدة جناح جينجي الشرقي قد كسفها حتى الآن، وغالباً ما احتج لدى كوجيجو، التي كانت أمها قد أرضعتها هي وسمو الأميرة، وقال: «ربما أتجرأ أكثر كثيراً مما ينبغي، ولكني ما كنت لأسبب لها البتة هذا النوع من التعاسة! وأنا أدرك، بالطبع، أنني لست بالرجل الذي يتطلع عالياً على هذا النحو». ولما كانت الحياة دائبة التغير فإن أمله الباقي كان أن سمو الامبراطور الفخري سيخطو بالفعل الخطوة التي أعد لها طويلاً[1].

ذات يوم معتدل من أيام الشهر الثالث، تجمع معالي وزير الحرب، مراقب حراسة البوابة والبقية في روكوجو. وأقبل جينجي ليتجاذب أطراف الحديث معهم، وقال: «الحياة هنا هادئة للغاية بحيث إنني لم يكن لدي إلا القليل مما يشغلني أخيراً، فليس ثمة ما يحدث، سواء في البيت أو في البلاط. فكيف سأمضي الوقت في هذه الأيام؟».

أضاف: «كان القائد هنا هذا الصباح. ترى أين يمكن أن يكون قد اختفى؟ الأمور بالغة الكآبة بحيث إنني علَّقت الآمال على الأقل على الاستمتاع بمسابقة الرماية بسهام الأقواس الصغيرة[2]. وكان الشبان المتحمسون لهذا النوع من الأنشطة جميعهم هنا، أتمنى لو أنه لم ينصرف». تم إبلاغه بأن القائد كان موجوداً في الجانب الشمالي الشرقي، يشاهد مباراة كرة أمر بإقامتها فقال جينجي: «ربما كانت بالغة الخشونة، ولكنها مفعمة بالحيوية وتقتضي مهارة. حسناً، إذن، اجعلوه يأتي إلى هنا!».

وصل القائد مع جمع من الشباب، فسألوه: «جينجي هل جعلتهم يحضرون الكرة؟ هل فلان وعلان معهم؟».

قال القائد إنهما معهم.

«لِمَ لا يلعبون هنا؟».

شكَّلت الواجهة الرئيسية للدار الرئيسية منطقة ملائمة لهذا الغرض، حيث إن الزوجة

---

(1) خطوة أداء القسم البوذي.

(2) القوس الصغير (كويومي)، الذي استخدم للمسابقات وحدها، وكان يستعمل في وضعية تقترب من الجثو على الركبتين.

كريتسوبو كانت في القصر مع الأمير الصغير[1]. انطلقوا ليجدوا بقعة مناسبة حيث يلتقي غديرا الحديقة معاً. وبرز أبناء معالي المستشار - الاستشاري الحاجب، المسؤول الثاني عن الحراسة، المفوض والآخرون الذين لم يكبروا تماماً - بين البقية.


رجل يحمل قوساً قصيراً

كانت الشمس بسبيلها إلى الغروب، عندما برهن النهار المكتمل، الخالي من الريح على أنه أكثر مما يطاق بالنسبة للاستشاري الحاجب، الذي لم يستطع أن يقاوم أكثر من هذه المشاركة في اللعبة[2]. قال جينجي: «أرأيتم؟ لم يستطع الاستشاري السيطرة على نفسه. سواء أكنتم نبلاء بارزين أم لا، لِمَ لا تحصلوا يا ضباط الحرس الشبان على قليل من المرح أيضاً؟ عندما كنت في مثل عمركم كنت أكره الجلوس. وعلى الرغم من ذلك فالأمر ليس مهيباً. انظروا إليهم فحسب!».

نزل القائد والمراقب إلى الحديقة، حيث لاحا بدورهما رائعين للغاية، وهما يجوبان أرجاء المكان في سنا شمس الأصيل المتأخر تحت الأشجار المزهرة البديعة. ليست كرة الركل بالرياضة الرزينة، فهي صاخبة، خشنة، ولكن الكثير يعتمد، في نهاية المطاف، على المكان الذي تُلعب فيه ومن يلعبها. لف الغمام أجمات الحديقة الجميلة، بينما تحت الأشجار المزهرة بألوان عديدة أو المكتسية خضرة جديدة، تنافس الشبان على التفوق، ناسين أنها لا تعدو أن تكون لعبة فحسب. وتألق كل محيا بالعزم على التفوق على الآخرين. وبرز مراقب حراسة البوابة على الآخرين في المهارة، على الرغم من أنه لم يشاركهم في اللعب إلا وقتاً قصيراً. كان رجلاً وسيماً للغاية ورشيقاً، وراقياً في تصرفه، وبالتالي مسلياً

---

(1) الابنة أكاشي تشغل، عندما تكون في الدار، الجانب الشرقي من الدار الرئيسية، بينما تشغل أونا سان نو ميا الغرب.

(2) كلما علت مرتبة النبيل الشاب قل احتمال تمكنه من لعب هذه اللعبة «الخشنة إلى حد ما» من دون الإساءة إلى مكانته.

أكثر من غيره عندما تقع عليه العين في غمار حركته. وخرج كل من جينجي ومعالي وزير الحرب للمشاهدة من ركن الحاجز. وهناك إلى جوار شجرة الكرز، عند أسفل الدرج، كانا منهمكين في متابعة رياضتهما، إلى حد أنهما نسيا كل ما يتعلق بالزهور.

أفصحت المهارة عن المزيد والمزيد، وفيما أعقبت جولة غيرها[1]، أصبح النبلاء البارزون أكثر حيوية، وانزلقت أغطية رؤوسهم إلى الوراء قليلاً عن جباههم. وكان القائد يعرف حق المعرفة أنه بالنسبة لرجل في مكانته فإنه كان يطلق لنفسه العنان، ولكن بالنسبة للمتفرجين فقد بدا أكثر فتوة وإبهاجاً من البقية، في ردائه الرقيق للغاية الذي يحمل لون براعم الكرز وبسرواله الممتلئ إلى حد ما عند أسفله المعقود إلى أعلى قليلاً. وعندما سقطت بتلات كرز، مثلما نثار ثلج، على قوامه الرشيق المتحمس، والبعيد تماماً عن الاضطراب في المظهر، تطلع إلى أعلى والتقط فرعاً مكسوراً، وجلس به على الدرجة الوسطى من الدرج.

حذا المراقب حذوه، وقال: «البراعم تتناثر سريعاً. أليس كذلك؟ شأن الريح، ينبغي أن نبقى على مسافتنا الفاصلة»[2] ألقى بنظرة جانبية سريعة نحو مقر إقامة سمو الأميرة، ورصد أشكالاً من الحضور سريع الحركة في أرجاء المكان هناك كالمعتاد، الألوان العديدة الظاهرة من خلال الستائر الحاجبة، أو المنسلة خارجة تحتها، فذكَّرته بقرابين الآلهة المتألقة في الربيع[3].

لاحظ أنهن كن قد حركن على نحو عابر الستائر القائمة جانباً، وكن قريبات على نحو غير لائق من الشرفة. عندئذ بالتحديد اندفعت قطة صينية صغيرة وجميلة خارجة كالسهم من تحت ستارة حاجبه، تتبعها قطة أكبر إلى حد ما، وفي إثرهما حفيف حرائر عال، فيما اندفعت النسوة في الداخل في أرجاء المكان في انزعاج وفوضى. لابد أن القطة لم تكن مستأنسة تماماً بعد، لأنها كانت مربوطة بحبل طويل راحت تتخبط فيه، وأدت

(1) كانت «جولة» جديدة تبدأ في كل مرة تلمس الكرة الأرض.

(2) جينجي موناجاتري كوتشو شاكوشو إنيايو واكا 244: «إذا كانت الريح التي تهب رحيمة، فلتبق على مسافتها الفاصلة عن الكرز هذا الربيع، حتى لا تسقط البراعم».

(3) بصورة أكثر حرفية: «حقائب تقدمات الثياب [متعددة الألوان] إلى الآلهة في الربيع». ربما كانت هذه الآلهة هي ساوهيمي، إلهة الربيع، أو آلهة جانب الطريق (شانيو كامي) التي يتم ربطها غالباً بالزيادة المثمرة.

محاولتها الهرب إلى رفع الستارة الحاجبة، لتكشف الفراغ الذي يليها مباشرة. ولم يتحرك أحد بسرعة لإغلاق هذه الثغرة. بدت النسوة اللواتي كن قرب العمود لتوهن مضطربات وخائفات قليلاً.

كانت هناك ستارة قبالة الستارة الحاجبة، وإلى الوراء منها بخطوة وقفت امرأة شابة في ثوب نسائي[1]. في ذلك الوضع، على الجانب الشرقي من البلاطة الثانية[2] غربي الدرج، كانت بادية للعيان تماماً. وأبرزتها بحدة طبقاتها العديدة من الألوان القاتمة والفاتحة - ربما لون برعم البرقوق الأحمر - شأن صفحات كتاب، وبدا أنها أيضاً ترتدي ثوباً طويلاً في لون الكرز من الحرير المزخرف بالأشكال المختلفة. انسدل شعرها الكثيف على امتداده إلى أسفل على نحو جميل وقد بدا متألقاً وبديعاً للغاية حتى الأرضية على بعد سبع بوصات أو ثماني بوصات وراءها. وعلى الرغم من أنها نحيلة وخفيفة فقد كانت تنورتها طويلة تماماً، وتمتع شعرها وقوامها البلديان من الجانب بجاذبية متألقة تفوق الوصف. غير أن النور كان يخفت، وأُصيب المراقب بخيبة أمل عميقة لأنه لم ير المزيد بوضوح وسط ظلال الغرفة. ولابد أن وصيفاتها كن مستغرقات في مشاهدة الشبان المنغمسين في لعبتهم، غافلات عن البتلات المتساقطة، لأنهن لم يلاحظن في التو أنهن مكشوفات. وكشف مظهرها وحركتها، عندما التفتت لترقب القطة التي مضت تموء بصوت عال، عن جاذبية وعن صبا خال تماماً من المكر والخداع.

لم يكن من المحتمل أن يسمح القائد المصدوم لنفسه بحرية الذهاب إلى هناك لتقديم يد العون، ومن ثم فقد اكتفى بأن أخذ يتنحنح محذراً، وعند ذلك تراجعت السيدة لتحتجب عن العيون. وقد كان من شأنه بدوره أن يكون سعيداً برؤية المزيد من التفاصيل منها، ووجد نفسه يتنهد لدى تحرير القطة من الحبل، الذي اشتبكت به. ومن الطبيعي أن قلب المراقب، الذي كان ملكاً لها، على أي حال، كان أبعد ما يكون عن السكون، فمن غيرها يمكن أن تكون؟ وفي ضوء الملابس التي كانت ترتديها لم يكن هناك مجال للخلط بينها

(1) هناك ستارة قائمة قبالة الستارة الحاجبة، وكان ينبغي أن تكون أونا سان نو ميا، على الأقل، جالسة وراءها. غير أنها وقفت بطريقة لا تليق بسيدة نبيلة لتشاهد اللعبة بصورة أفضل. وهي في ثوبها (يوتشيكي) كانت أكثر عفوية في ملبسها من وصيفاتها، اللواتي ربما كن يرتدين عباءات خارجية (يواجي).

(2) «ما»، المسافة بين عمودين. والبلاطة «الأولى» هي التي يشغلها الدرج الذي جلس عليه الشابان.

وبين غيرها. وظل مشهدها منقوشاً في فؤاده. لم يفصح التعبير المرتسم على محياه عن شيء، ولكن القائد لم يستطع تصديق أنه لم يلحظ المشهد، وأحس بالأسف عليها. وقام المراقب للتخفيف من احتدام مشاعره القوية بمناداة القطة وملاطفتها، وبرائحتها اللطيفة ومموائها الخفيض المحبب أحس بها شقية، مثلما سيدتها نفسها.

تطلع جينجي نحوهما، وقال: «ذلك ليس بالمكان الذي يجلس فيه كبار النبلاء، هلموا معي!»، ودلف من واجهة الجناح الشرقي، فتبعه الجميع. وبقي معه معالي وزير الحرب، فواصلا حديثهما. كان الوصفاء الخصوصيون قد أمروا بوضع حصر مستديرة من أجلهم في الشرفة. ثم ظهرت كعكات الكاميلية، ثمار الناشي[1] اليوسفي وما إلى ذلك بصورة غير رسمية بالمرة، مختلطة معاً في أغطية صناديق، فالتهمها الشباب بمرح، ثم أطلت الخمر، مصحوبة بالأطعمة البحرية المجففة المناسبة.

مضى المراقب الحالم تماماً يحدِّق في شرود طوال معظم الوقت في شجرة الكرز المزهرة. ولم يساور القائد، الذي كان يعرفه حق المعرفة، شك في أنه كان يتذكر المشهد الذي لمحاه لسوء الطالع الشديد فيما وراء الستائر الحاجبة. ولا شك في أنه كان يحدِّث نفسه بأنه كان من السخف منها أن تكون قريبة هكذا من الشرفة. ومضى يفكر في أن السيدة المقيمة في هذا الجناح الشرقي ما كانت لتفعل شيئاً من هذا القبيل على الإطلاق! وذلك هو السبب في أنها تثير اهتمام أبي على نحو يقل عما تشير مكانتها في الدنيا إلى أنه ينبغي أن يهتم بها. ومن المؤكد أن سهوها الصبياني هذا حيال نفسها وحيال الآخرين جذاب بطريقته الخاصة، ولكن من الجلي أنه يدعو للقلق أيضاً.

غير أن ضروب قصورها لم تعن شيئاً للمراقب، لأنه من خلال تلك الثغرة التي حدثت اتفاقاً رآها بالفعل، وإن بضبابية، وكان هذا بشيراً مبهجاً بأن ما رغب فيه منذ وقت طويل سيتحقق بالفعل. وكان كل ما يريده هو المزيد.

---

(1) كانت كعكات الكاميلية (تشوبا يموتشي) تُقدم عادة بعد مباراة كرة خشنة. وكانت الكعكات المعدة من الأرز المسحوق الدبق والقرنفلات المسحوقة، والمحلاة وعصير متخذ من كرمة «الأماتشازورا» تلف كل منها في ورقتي كاميليا. والفاكهة المعروفة باسم «ناشي» هي فاكهة مستديرة وناعمة مثل تفاحة، ولكنها في اللون والمذاق أقرب إلى الكمثرى.

أثـار جينجي ذكريات الأيام الخوالي، وقال: كان معالي المستشـار يحاول دوماً التفوق عليَّ. ولكن في الكرة الخشنة وحدها لم أكن أستطيع مجاراته، وهي لعبة فحسب، في نهاية المطـاف، وإني لأشـك أن هناك أي عرف متعلـق بها يمكن تمريره إلـى الأجيال اللاحقة، ولكـن على الرغم من ذلك فـإن المهارة فيها متوارثة في العائلـة. ومن المؤكد أن مهارتك فيها تتجاوز كثيراً مهارتي».

ردَّ المراقب باسـماً: «بالنسـبة لمن يفتقرون من بيننا إلى المقدرة الحقيقية في المنصب الرسمي، فإن تلك ليست نوعية الشهرة التي ستؤثر في نفوس المنحدرين من أصلابنا».

«آه، هلـم الآن، إن الإنجاز المتميز من أي نوع يسـتحق نقلـه إلى الأجيال المقبلة. ومن المؤكـد أن هناك الكثيـر مما يُقال للحفاظ عليه مكتوباً في سـجلات العائلـة». كان مزاحه جذابـاً إلـى حد أن المراقب راح يتسـاءل عما يمكن أن يدفع أي امرأة لـدى معرفتها به إلى نقل ولائها إلى غيره. ترى ما الذي يمكنه القيام به ليظفر باحترامها وحبها؟ غادر الدار وقد أُفعم فؤاده باليأس حيال كونه في مرتبة متدنية كثيراً بالنسبة لها.

انطلـق هو والقائد فـي العربة ذاتها، وتجاذبـا أطراف الحديث طوال الطريق. واسـتهل المراقـب الحديث قائلاً: «من المؤكد إن سـمو الامبراطور الفخري هو من ينبغي أن تُشـد إليه الرحال هذه الأيام لإزجاء الوقت، حيث أن هناك القليل للغاية مما يمكن القيام به».

«لقد قال إننا ينبغي أن نحضر في أي وقت نستطيع الحضور، في يوم جميل كهذا، بحيث لانترك البراعم تمضي هدراً. فلتمض إلى هناك بقوسـك الصغير قبل أن ينتهي الشـهر، إذا أردنا أن نستمتع بما بقي من الربيع». وهذا ما تم الاتفاق عليه.

اسـتمر حديثهما إلـى أن افترقـا بالفعل، وعند ذلك أحـس المراقب بالرغبـة في متابعة موضوع سمو الأميرة، فقال: «يبدو أن سمو الامبراطور الفخري يقضي كل وقته في جناحه الشرقي، وأحسب أنه يقدِّر كثيراً السيدة المقيمة هناك. ترى ما هو شعور سمو الأميرة؟ لقد كان نيافتـه يعاملهـا على أنها أهم شـيء في حياتـه، ولابد أنها تفتقد ذلك الآن. إنني أشـعر بالأسف عليها».

دفعت هذه الملاحظة غير المبررة القائد إلى الرد قائلاً: «إنك لا تفهم جلية الأمر، المسألة

ليست على ذلك النحو بالمرة. لا بدَّ أن ما يجعله قريباً منها بصورة خاصة هي الطريقة غير المألوفة التي رباها بها. وهو يهتم بسمو الأميرة أشد الاهتمام من كل الجوانب».

«آه، هلم، كف عن ذلك! إنني أسمع أن حياتها سلسلة متوالية من ضروب الإذلال، وكم هو مدهش أن يفكر المرء في أنها كانت في وقت من الأوقات مفضلة إلى حد كبير. لم أسمع قط بشيء كهذا!

لماذا يتجنب طائر الدّخلة الذي يندفع مسرعاً من شجرة إلى أخرى وسط الزهور

شجرة الكرز كل مرة ولا يحط عليها أبداً؟

تصوَّر عصفور ربيع يهمل شجرة الكرز المزهر وحدها! يبدو ذلك شديد الغرابة بالنسبة لي!».

حدّث القائد نفسه في معرض الاستجابة لهذه الاندفاعة الغنائية:آه، لا. يا له من مصدر ضيق! كنت أعرف ذلك على وجه الدقة! وقال:

كيف أمكن لذلك الطائر المتألق الذي اختار لمجثمه شجرة على سفح جبل

أن يسأم جمال الظل الرقيق لبراعم الكرز[1].

هذا عبث. هل عليه أن يتخلى عن الأخريات كافة؟». ولم يكترث بمتابعة الموضوع وغيره ليتأكد من أنه لن يرد ثانية. وسرعان ما مضى كل منهما في طريقه.

كان المراقب لا يزال يقيم بمفرده في جناح معالي المستشار الشرقي. وبعد أن فعل ذلك وقتاً طويلاً لأسباب خاصة به، لم يكن أمامه من يلومه إلا نفسه إذا أحس في بعض الأوقات بالضياع والوحدة، ولكنه كان من الاعتزاز بنفسه بحيث إنه لم يرَّ مبرراً لعدم حصول رجل مثله على ما يرغب فيه. غير أنه بعد تلك الأمسية أصبح مكتئباً ونكداً بصورة مفرطة. وراح يتساءل: متى سأسترق تلك اللمحة منها التي حظيت بها آنذاك؟ لو أنها كانت امرأة من مرتبة عادية أو أخرى، نعم، بتضاربات الانعزال ومحرمات الاتجاه وما إلى ذلك، كان يمكنني في يسر أن أجد لحظة على الأقل لزيارتها. ولكن لم يكن هناك ما يمكنه القيام به.

(1) «الطائر المتألق» (هاكودوري) هو جينجي. و«شجرة سفح الجبل [المضجرة، العادية]» هي موراساكي، و«براعم الكرز» هي كالسابق أونا سان نو ميا.

وبكل الحماية التي تحظى بها، كيف يمكن أن يفلح في إبلاغها بإخلاصه العميق لها؟

عذَّبه هذا السؤال كثيراً إلى حد أنه كتب إلى كوجيجو، كما في السابق، يقول: «ما أقل ما فكرت فيَّ سمو الأميرة عندما شققت طريقي أخيراً إلى تلك الحديقة النبيلة! ومنذ ذلك الحين انزعجت على نحو مؤلم، وأسلمت أيامي للاستغراق الكئيب في الأحلام». هكذا قال وما إلى ذلك[1].

«من بعيد رصدت ولكنني لم أستطع نزع ذلك الغصن، مصدر كل تنهداتي،

بحيث إنني لا أزال أحن إليه، مزدهراً في سنا المساء».

غير أن كوجيجو لم تكن تعرف ما حدث في ذلك اليوم، ولم تستطع بالتالي فهم شيء من هذا باستثناء الشكوى العامة من أحد المتوددين. وحملت الرسالة إلى سيدتها، حيث لم يكن هناك أحد آخر معها آنذاك. قالت باسمة: «سيدتي، يؤسفني القول إن هذا النبيل يتوسل من أجل شيء أو آخر لا يمكنه نسيانه، وهو يبدو في حالة تدعو للرثاء. وأنا نفسي لست واثقة من أنني سأكون قادرة على مقاومة الدافع لمساعدته».

هتفت سمو الأميرة ناظرة إلى الرسالة المفتوحة: «يا له من شيء فظيع تقولينه!». أعادت عبارة «الاستغراق الكئيب في الأحلام» إلى ذهنها مباشرة مسألة الستارة الحاجبة الباعثة على الصدمة تلك، فاحمرَّت خجلاً. كان سمو الامبراطور الفخري يذكرها على الدوام عندما يكونان معاً: «أرجو إن تتأكدي من أنك لن تسمحي قط للقائد برؤيتك. إنك صغيرة في بعض الجوانب للغاية بحيث أن لحظة من عدم الانتباه من جانبك قد تعطيه في يسر فرصة لرؤيتك». لم يخطر لها قط عندما تذكرت هذه التحذيرات أن شخصاً آخر ربما يكون قد رآها، لأنها لم تستطع التفكير في شيء إلا مدى الغضب الذي سيستبد بجينجي، إذا قُدِّر للقائد أن يبلغه بأن شيئاً من هذا القبيل قد حدث. أوضح خوفها الفوري من جينجي مدى صبيانيتها حقاً.

---

(1) رسائله على نحو ما يرد هنا هي رسائل «أدبية» موحية بالوعي بالذات في مقولتها. و«الاستغراق الكئيب في الأحلام» إحالة قوية إلى كوكينشو 467 (وكذلك آيسي مونوجاتري 174، القسم 99) من نظم أريوارا نو ناريهيرا. فبعد لمحة عابرة من امرأة من خلال الستائر الحاجبة لعربتها بعث ناريهيرا إليها يقول: «من أجل هوى من لم أرها قط لكنني لم أعجز عن لمحها، قد أهب أيامي للاستغراق الكئيب في الأحلام».

استغرقت سمو الأميرة وقتاً أطول من المعتاد لكي ترد، بحيث إن كوجيجو التي أصيبت بخيبة الأمل، ولم تستطع أن تضغط عليها أكثر من ذلك، كتبت في معرض الرد عليه كما تفعل غالباً تقول: «كنت جميلاً في ذلك اليوم. ما الذي تقصده بقولك الاستغراق في الأحلام! بينما كنت قد اعترضت دوماً على مخاطبتك لسيدتي في المقام الأول؟».

ومن هناك مضت إلى القول:

«لن أتلقى مناشدات وتنهدات مثيرة للشفقة تحدثني بأن فؤادك

يحن إلى كرزة جبلية بعيدة للغاية عن مطالك!

أقول لك إن هذا لا طائل وراءه!».

35

واكانا (2)

براعم الربيع (2)

كما في «براعم الربيع 1»، فإن «واكانا» تعني «البراعم الجديدة». غير أن الكلمة تشير هنا إلى مناسبة لاحقة، وهي الاحتفال بالعام الخمسين للامبراطور المتقاعد سوزاكو، حيث يقيم له جينجي مأدبة تدور حول البراعم الجديدة للنباتات التقليدية، المرتبطة بالربيع الباكر.

الصلة بالفصول السابقة

هناك انقطاع في الأحداث بين «براعم الربيع 1» و«براعم الربيع 2»| الذي تبدأ أحداثه في الشهر الثالث من عام جينجي الحادي والأربعين| وتمتد حتى نهاية عامه السابع والأربعين.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد| جينجي| 41 إلى 47 عاماً.

مراقب حراسة بوابة الميمنة| ثم المستشار كذلك| الابن الأكبر لتو نو تشوجو| منتصف العشريّيات إلى أوائل الثلاثينيات (كاشيواجي).

قائد الميسرة| ثم وزير الميمنة| منتصف الثلاثينيات إلى أوائل الأربعينيات (هيجيكورو).

قائد الميمنة| ثم المستشار الكبير كذلك| نجل جينجي| 20 إلى 27 عاماً (يوجيري).

سمو ولي العهد| ثم جلالة الامبراطور| 15 إلى 21 عاماً.

سيدة العاملين في القصر، زوجة هيجيكورو، 27 إلى 33 عاماً (تاماكازورو).

ابنة قائدة الميسرة| منتصف سنوات المراهقة إلى أوائل العشرينيات (ماكيباشيرا).

معالي وزير شؤون المراسم| جدها كيباشيرا| 56 إلى 62 عاماً (شيكيبيوكايو نو ميا).

زوجته (شيكيبيوكايو نو ميانو كيتا نو كاتا).

معالي وزير الحرب| أخ لجينجي (هوتارو هايوبوكايو نو ميا).

جلالة الامبراطور| ثم نيافته| الامبراطور المتقاعد رايزي، 23 عاماً إلى 29 عاماً.

معالي المستشار، ثم معالي المستشار المتقاعد (تو نو تشوجو).

الزوجة كيريتسوبو، ابنة جينجي، 13 إلى 19 عاماً (أكاشي نو نيوجو).

ابنها| يصبح ولياً للعهد.

جلالة الامبراطورة، 32 إلى 38 عاماً (أكيكونومو).

سمو الأميرة الثالثة| منتصف سنوات المراهقة إلى أوائل العشرينيات (أوناسان نو ميا).

سيدة الجناح الشرقي| 33 إلى 39 عاماً (موراساكي).

السيدة الآتية من أكاشي| 32 إلى 38 عاماً (أكاشي نو كيمي).

أمها الراهبة| منتصف الستينيات إلى أوائل السبعينيات (أكاشي نو أميجيمي).

ناكاتسو| وصيفة موراساكي.

نيافته المترهبن| الامبراطور المتقاعد سوزاكو| 44 إلى 50 عاماً (سوزاكو إين).

سيدة الصيف| سيدة الجانب الشمالي الشرقي (هاناتشيرو ساتو).

كوجيجوأ وصيفة (أونا سان نو ميا).
سمو الأميرة الثانية (أوتشيبا نو ميا).
الملاذأ جلالة الامبراطورة الأمأ تتوفى (روكوجو نو ميا مياسودوكورو).
سيدة العاملين في روكوجو (أوبوروزوكيو).
الملاذأ أم أوتشيبا نو ميا (اتشيجو نو مياسو دوكورو).
زوجة معالي المستشار المتقاعدأ أم كاشيواجي (شي نو كيمي).

أدرك المراقب ما قصدته وعلى الرغم من ذلك فقد حدَّث نفسه: ياله من شيء فظيع تقوله! وأود أن أعرف كيف يمكنني أن أجد ما يكفي من العزاء في المجاملات فحسب؟ آه، يا للوقت الذي قد أسمع فيه كلمة واحدة بصوتها من دون هذا الحضور الوسيط وأحادثها كذلك! كان يحب جينجي، ويحترمه، عموماً ولكن مثل هذه التأملات جنحت بمشاعره جنوحاً غريباً.

تجمع الشباب في روكوجو، في اليوم الأخير من الشهر، ولم يكن المراقب في حالة مزاجية تسمح له بذلك، ولكنه ذهب إلى هناك على أي حال، على أمل أن مشاهدة الزهور هناك قد تجعله في حالة أفضل.

كانت مسابقة الرماية[1] الخاصة بالوصفاء في القصر، والتي أعد لإقامتها في الشهر الثاني قد أُجِّلت، الأمر الذي أثار مشاعر خيبة الأمل لدى الجميع، لأن الشهر الثالث كان شهر حداد[2] وهكذا فقد أقبل الجميع، عندما أعلن جينجي عن مسابقة خاصة به. وجعلت الحقيقة القائلة إن قائدي الميمنة والميسرة تربطهما أواصر القرابة[3] الضباط التابعين لهما يتحمسون كثيراً وعلى الرغم من أن هذه المناسبة كانت ستكرَّس للأقواس الصغيرة، كان هناك الكثير من الخبراء في الرماية من وضعية الوقوف[4]، فتمت دعوتهم أيضاً لاستعراض مهاراتهم.

انقسم الوصفاء الذين تم ترتيبهم إلى صفين متعاقبين هما صف أمامي وآخر خلفي[5]. بدت غمامات الربيع الأخيرة بديعة اليوم مع إقبال الغروب، وجعلت الانسيابات الساحرة

---

(1) «نوريومي»، تُقام بانتظام في اليوم الثالث عشر من الشهر الأول، وكان الوصفاء الخصوصيون يقيمون مسابقة مماثلة، قبل شهر أو شهرين.

(2) على فوجيتسوبو، والدة الامبراطور الذي يشغل سدة الحكم.

(3) هيجيكورو ويوجيري تربطهما صلة القرابة من خلال تو نو تشوجو، وهو حمو هيجيكورو وخال يوجيري.

(4) «كاتشيومي»، رماية بالأقواس الطويلة من وضعية الوقوف. أما الرماية بالأقواس الطويلة من على صهوات الجياد فكان يقال لها «يومايومي».

(5) انقسموا إلى صفين، الميسرة (الرجال الذي يحملون الأرقام الفردية) والميمنة (الأرقام الزوجية). وبعدئذ كانوا يطلقون سهامهم أزواجاً، وكل زوج يتألف من رجل من الميسرة ورجل من الميمنة، حيث إن الرجل الذي ينتمي إلى الميسرة كان دوماً يخطو إلى الأمام ليطلق سهمه أولاً. وإن فريق الميسرة يطلق عليه «المقدمة» (ماي) وفريق الميمنة يطلق عليه «المؤخرة» (شيري).

لنسيم أواخر الأصيل من الصعب على نحو أكبر الابتعاد عن ستر البراعم؛ ثمل الجميع بسحر الطبيعة.

قال القائدان أحدهما للآخر: «لاشك في أن مثل هذه الجوائز الجميلة تفصح عن الكثير عن السيدات اللواتي قدمنها؛ ولسوف يكون أمراً سيئاً للغاية جعل حراس يمكنهم إصابة ورقة صفصاف في كل مرة على بعد مئة خطوة ينطلقون بهذه الجوائز في ابتهاج[1]. إنني أفضل مسابقة بين رجال أقل من ذلك خبرة بقليل».

هبطا مع الآخرين إلى الحديقة. وكان المراقب أكثر شروداً من الآخرين؛ وتابعه قائد الميمنة؛ الذي كانت لديه فكرة عن جلية الأمر. وحدَّث نفسه منزعجاً: إنه ليس الرجل الذي أعرفه. وهذا الأمر قد ينتهي بكارثة. كانت صلتهما جيدة للغاية؛ حيث كان بينهما تقارب كبير للغاية، بحيث يفهم أحدهما الآخر بصورة كاملة؛ ولا يكنُّ إلا التعاطف مع أي حزن أو اهتمام للآخر. وانكمش المراقب، الذي كان ينظر إلى سمو الامبراطور الفخري برهبة يمازجها الانبهار؛ من الأفكار التي تساوره؛ حيث إنه لم يكن يود البتة أن يسيء إليه أدنى إساءة؛ وهذه الإساءة تتجاوز كل الحدود؛ ولكنه شعر بالحنين في غمار متاعبه إلى الحصول على الأقل على القطة- حدَّث نفسه: ليس مرد الأمر إلى أنني يمكن أن أصارحها بما في قلبي، ولكنها ستكون مصدر ارتياح عندما أشعر بالوحدة- ومضى يدبر لاختلاسها لنفسه. وعلى الرغم من ذلك؛ فإن هذا وحده سيكون حيلة شائكة.

حاول الذهاب إلى كوكيدين[2] لتزجية الوقت في الحديث. وأوضح له استقبالها الرسمي على نحو يثير الإعجاب والطريقة التي منعته بها من رؤيتها بالفعل أنه في نهاية المطاف حتى هي، وعلى الرغم من طبيعة الصلة التي تربطهما، قد أبقت على هذه المسافة بينهما.

ما حدث إذاً هو أمر غريب ويوحي بالإهمال! غير أنه كان أكثر افتتاناً من أن يقل تقديره لسمو الأميرة الثالثة من جراء ذلك.

---

(1) لفظ «شيجي» يصف محارباً كان بمقدوره أن يقوم بهذا على وجه الدقة. فمن شأن حارس بسيط أن تكون مرتبته أكثر انخفاضاً من أن يستحق مثل هذه الجوائز، وفوزه (وهو فوز محترف على نبيل هاو) سيكون شيئاً مضجراً.

(2) أخته الأصغر.

زار ولي العهد بعد ذلك، ومضى يدقِّق النظر فيه في غمار اقتناعه بأنه لا بد أنه يشبهها. غير أن مظهره كان يفتقر إلى أي جاذبية، على الرغم من أن نبيلاً عظيماً للغاية كهذا كان له جلاله وتميزه. وكانت لقطّة جلالة الامبراطور قطط صغيرة كثيرة مضت إلى دار أو أخرى، وكانت لدى ولي العهد قطة منها أيضاً. وذكّره مرآها وهي تعدو في أرجاء المكان في خفة ورشاقة في التو بتلك القطة الأخرى.

فأشار بقوله: «لم أر قطة بمحيا أجمل من تلك التي تحتفظ بها سمو الأميرة في روكوجو. وقد لمحتها لمحة عابرة من بعيد».

ألحَّ ولي العهد، الذي كان مولعاً بصفة خاصة بالقطط، على زائره لإبلاغه بالمزيد. قال المراقب: «إنها قطة صينية، ولا تشبه هذه القطة البتة. جميع القطط تتشابه، بالطبع، ولكنها مستأنسة وودودة للغاية، بحيث تبدو جذابة على نحو ملحوظ». وعلَّق الآمال على جعله هو نفسه يشعر بالرغبة في رؤيتها.

ألهم ذلك ولي العهد أن يتصل في هذا الشأن بالزوجة كيريتسوبو[1]، ووصلت القطة، وأحبتها الوصيفات حباً جماً، وأشار المراقب إلى أن ولي العهد أراد الاحتفاظ بها.

وبعد أيام قلائل، عاد مجدداً. وكان نيافة سوزاكو قد آثره، وعهد إليه بالفعل بأداء بعض المهام، عندما كان لا يزال تابعاً صغيراً، والآن وقد مضى إلى الجبل فقد أصبح المراقب زائراً مألوفاً لمقر ولي العهد.

أشار المراقب، وهو يستعد لإعطاء ولي العهد درساً في العزف على آلة الكوتو الموسيقية: «يا لها من قطط كثيرة! ولكن أين القطة العزيزة التي رأيتها؟» عثر عليها، ومضى يداعبها بمحبة.

قال ولي العهد: «نعم، إنها جميلة، وهي ليست ودودة للغاية بعد، ولكنني أحسب أن ذلك راجع للأشخاص الجدد. وهي لاتبدو أفضل كثيراً من الأخريات هنا».

رد المراقب قائلاً: «معظم القطط لا تتعرف على أحد، ولكنني على يقين أن القطة البارعة لها روح». وواصل حديثه: «يبدو أن لدى سموكم بعض القطط الأكثر لطفاً هنا.

---

(1) زوجته، ابنة جينجي.

هـل يمكنني الاحتفـاظ بهذه القطـة بعض الوقت؟» أحس في قرارة نفسـه بالسـخف التام لطلبه هذا.

هكـذا حصل على القطة، أخيراً وجعلها ترقد معه ليـلاً. وفي النهار كان يداعبها ويبدي اهتمامـاً كبيـراً بها. وسـرعان ما فقدت تخوفهـا منه، ومضت تلتف في ملابسـه، أو تلتمس الدفء منه على نحو جميل، بحيث إنه أصبح مولعاً بها أشـد الولع حقاً. وكان مسـتنداً إلى أحـد الأعمـدة قرب الشـرفة غارقاً في التفكير، عندمـا أقبلت إليه وهي تموء مـراراً بعذوبة بالغة.

قال:إننا شغوفان. ألسنا كذلك![1] ابتسم، ومسدها، ثم حدَّق في عينيها:

«جعلتك أليفتي، لعلي أجدها فيك، حبيبتي الحزينة

ما الذي عساك تحدثينني به عندما تقبلين باكية بهذه الطريقة؟

أحسب أن هذا قدر أيضاً». أصدرت مواء أكثر رقة فضمها إليه.

غمغمـت العجائز: «كم هو غريب منه أن يسـتلطف قطة علـى الإطلاق! لم يكترث في السابق بمثل هذه المخلوقات قط!».

بعث ولي العهد في طلب القطة لكن المراقب لم يعدها قط، بل ظل يحتفظ بها، ليهمس لها وحيداً بهراء عذب.

كانت زوجة قائد الميسرة لاتزال تشعر بأنها أقرب إلى قائد الميمنة منها إلى أبناء معالي المستشار[2]. وكانت ممن يسهل الشعور بالود حيالهن. وكانت ترحب بقائد الميمنة ترحيباً حاراً كلما زارها بحيث إن صحبة الزوجة كيريتسوبو[3] البعيدة والرسمية للغاية كانت تبدو شاحبة بالمقارنة بصحبتها، ونما ود غير مألوف بين الاثنين.

اعتـزّ زوجها بها أشـد الاعتـزاز، وكان بحلول ذلك الوقت قد فقـد كل اهتمامه بزوجته

---

(1) مواء القطة (يشبه في النطق الهاييني شيئاً من قبيل «نيون نيون»)، يشبه، فيما يبدو، بالنسبة لكاشيواجي من ناحية الصوت «نين نين»، أي «دعنا ندلف إلى الفراش، دعنا!».

(2) زوجة هيجيكورو، تاما كازورا، تشعر بأنها أقرب إلى يوجيري منها إلى إخوتها غير الأشقاء، أبناء تو نو تشوجو.

(3) أخت يوجيري غير الشقيقة، التي تحظر مكانتها السامية أدنى قدر من التصرفات غير الرسمية.

الأولـى. كان مخيبـاً للأمل أنها لم تلد لـه إلا أبناء، وأراد كذلك ان يرعـى ابنته، التي ترتبط ب«العمود البديع»[1]، ولكن جدها أبى السماح بذلك. وغالباً ما كان معالي شؤون المراسم يقول: «يمكنني على الأقل التيقن من أن أحداً لن يسخر منها».

كان معاليـه يحظـى بأكبـر قـدر مـن التقدير، وقـد تمتـع بحظوة اسـتثنائية لـدى جلالة الامبراطـور، حيـث لـم يحجب عنـه أي شـيء طلبـه، وكان يحبه كثيـراً. ولما كان شـديد الحساسـية علـى الـدوام للاتجاهات السـائدة، فقد كان النبيـل الأكثر شـعبية واحتراماً في عصره بعد جينجي والمستشار. وقُدر للقائد أيضاً أن يكون شخصية قيادية في البلاط، وما كان يمكن النظر باستخفاف إلى ابنته، وقد أعلن عدد كبير من النبلاء اهتمامهم بها في وقت أو آخر، ولكنه لم يحسـم رأيه، وقد تمنى أن يبـدي المراقب تلميحاً في هذا الصدد، ولكن لسـوء الطالـع فإنه لم يفكر في الأمر قـط، لأن اهتمامه بقطته كان أكثر مـن اهتمامه بها. أما هي نفسـها فقد أحسـت بالأسف لأن أمها كانت من الغرابة والخروج عن المألوف، بحيث لم تكن موجودة بالنسبة للآخرين، وأحست بدلاً من ذلك بالانجذاب إلى زوجة أبيها التي كانت تشاركها في أذواق العصر المتوهجة بالحياة.

كان معالـي وزيـر الحـرب[2] لا يزال يحيا وحيـداً، وجثم إخفاق كل تـودد يقوم به على حياته، وأسـلمه إلى الشـعور بأن الناس يسخرون منه. ولم يدر كيف يمكن أن يسمح لنفسه بالاستمرار على هذه الشاكلة، ومن ثم فقد أسرَّ في نفسه اهتمامه بهذه الشابة.

قال معالي وزير شؤون المراسم: «لم لا؟ بعد تقديم ابنة لجلالة الامبراطور، فإن الشيء الـذي يلـي ذلك في الأفضلية مما يمكن القيام به هو تزويج الابنة من أمير. ما من أحد يقدِّر أحداً هذه الأيام إلا العامة العاديون المثيرون للضجر. هذا شـيء مهين تماماً». وقبل خطبة معالـي وزيـر الحـرب، ولـم يبقه ينتظـر وقتاً أطول. وعلـى الرغم من أن هـذا الأخير أحس بخيبة الأمل لتركه من دون شـيء يشـكو منه، إلا أنه لم يسـتطع التراجع، إذ إن هذا الارتباط لم يكن بالشـيء الذي يسـتهان به، ومن ثم بدأ في زيارتها. وجعله أبوها يحس بأنه موضع ترحيب تماماً.

---

(1) ماكيباشيرا «العمود البديع» مستمد من القصيدة التي منحت فصل «العمود البديع» عنوانه.

(2) هوتارو.

عرف معالي وزير شؤون المراسم الذي كانت له بنات كثيرات هو نفسه أنه كان ينبغي الآن أن يكون قد تعلم درسه، حيث إنهن قد سببن له العديد من الأمور التي يؤسف عليها، ولكنه كان من الصعب عليه أن يهجر هذه الحفيدة. راح يحدِّث نفسه: أن أمها غريبة تماماً وهي تزداد غرابة مع كل عام ينقضي وأما فيما يتعلق بالقائد فإن رفضه الإصغاء لي يبدو أنه لم يصل به إلا إلى التخلي عنها. الأمر مؤلم للغاية. وبهذه الروحية أشرف بنفسه على إعداد حجراتها والعناية بكل شيء.

افتقد معالي وزير الحرب، على الدوام الزوجة التي خسرها وأراد زوجة مثلها فحسب ولم يكن هناك ما يعيب زوجته الجديدة لكنه لم يجد فيها الشبه الذي سعى إليه، وربما يفسر ذلك السر في تردده الجلي في زيارتها. كان معالي وزير شؤون المراسم مستاء إلى حد كبيراً ومضت أمها تعرب عن حزنها جرّاء هذا الفشل المؤسف، كلما اقتحمت لحظة من الصفاء غرابتها. قال القائد لنفسه: كنت أعرف ذلك! فهذا الأمير كان عاشقاً على الدوام. ولم يكن قد وافق على الزواج في المقام الأول، وازدرى الرجل.

دفعت أخبار هذا التقلب الدائم سيدة العاملين في البلاط إلى التساؤل بمزيج من الحزن والاستغراب عما إذا كان سمو الامبراطور الفخري ومعالي المستشار سيظنان أن الشيء نفسه قد حدث لها. وراحت تتأمل: لم أعد أريد رؤيته أكثر من هذا، حتى في ذلك الوقت. وقد خاطبني على الدوام بحرارة وإخلاص ولكنني أتوقع أن يكون قد خلص في النهاية إلى أنني كئيبة على نحو مضجر.

وقد أحرجتها هذه الفكرة كثيراً وأدركت أنها بحاجة إلى أن تكون حريصة الآن فيما ربما تسمع زوجته قصصاً منه.

عرضت تقديم المساعدة بأي طريقة تستطيع. ومن خلال إخوة السيدة الشابة ظلت على اتصال بها بطريقة لطيفة للغاية متجاهلة ما سمعته عن الوضع، ولم يتخلَّ والد السيدة الشابة عن تعاطفه واهتمامه، ولكن تلك المرأة الشريرة زوجة معالي وزير شؤون المراسم، ظلت بعيدة عن التسامح ناقمة. وراحت تدمدم قائلة: «إنني أعرف أن الأمير ليس لديه الكثير ليقدمه، ولكنه يمكنه على الأقل أن يكون وفياً للفتاة ولا يسبب المتاعب».

بلغت شكاواها مسامع معالي وزير الحرب، فقال لنفسه: «لم أسمع بمثل هذا الشيء من قبل قط! لقد سعيت آنذاك أيضاً إلى السلوان من نسوة غير التي أحببتها حقاً ولكنني لم أضطر إلى احتمال مثل هذه الاتهامات قط! ساوره الشعور بالضيق تماماً وتفاقم شعوره بالخسارة فحسب، وغالباً ما أغلق عليه أبواب داره، وقد انحرف مزاجه. ومع ذلك فقد أقبل العام الثاني من الزواج في نهاية المطاف وتوصل كل منهما إلى السلام معه، إن صح التعبير.

مرت الشهور والسنون على الجميع بسرعة شديدة[1]، وسرعان ما اكتملت ثمانية عشر عاماً منذ تبوأ جلالة الامبراطور المرتبة الامبراطورية. وغالباً ما قال: «أمر محزن ألا يكون لي ابن ليعقبني والحياة مخيبة للأمل وأود كثيراً أن أمضي حياتي في تجاذب أطراف الحديث مع من أحبهم والقيام بما يطيب لي!».

وأخيراً مرض مرضاً عضالاً وفجأة اعتزل العرش. وأحس الناس بالأسف الشديد لرؤيته يقوم بذلك. بينما هو لا يزال في ريعانه. ولكن ولي العهد كان كبيراً في السن آنذاك بما يكفي لارتقاء العرش، ولم تتغير الطريقة التي كانت البلاد تُحكم بها.

أعلن معالي المستشار استقالته وتقاعده، وقال: «ما الذي يمكن أن يكون خطأ في قيامي بتعليق قبعتي[2]؟ الحياة تغدو غادرة عندما يكون عاهلنا الرحيم قد تخلى عن منصبه الرفيع». وأصبح قائد الميسرة وزير الميمنة وتولى مقاليد الحكم[3]. وأصبحت أخته الزوجة شوكيودين التي لم يطل بها العمر لرؤية ابنها يحكم البلاد، معينة في أرفع مرتبة[4]. ولكن يا للحسرة فقد كسف بهاؤها على الدوام وبدت هذه الايماءة جوفاء للغاية. وسُمي الابن الأكبر للزوجة[5] ولياً للعهد. ولم يكن هذا بالأمر المفاجئ ولكن الواقع على الرغم من ذلك كان مرضياً. وكان الحفل أعجوبة من الأعاجيب. وأصبح قائد الميمنة مستشاراً كبيراً وأصبحت صلته بوزير الميمنة الجديد أفضل من أي وقت مضى.

---

(1) هذه العبارة تغطي مرور أربعة أعوام.

(2) ترجمة حرفية لـ«كوبوري أو كاكو».

(3) أصبح هيجيكورو نائباً للامبراطور وكذلك وزيراً للميمنة.

(4) رقيت أخت هيجيكورو بعد وفاتها، وهي ممارسة شائعة.

(5) ابنة جينجي، وربما لم تعد تشغل جناح كريتسوبو.

ظل جينجي المقيم في روكوجو، يستشعر خيبة الأمل لأن الامبراطور المتقاعد رايزي ليس له عقب من صلبه. صحيح أن ولي العهد هو حفيده المباشر أيضاً ولكن بينما لم تثر أي متاعب لتعكير صفو عهد نيافته بحيث إن إثم جينجي ظل طيّ الكتمان ولن يقدر له أن يُعرف الآن، فإن القدر شاء ألا تستمر هذه السلالة. وقد حزن جينجي لذلك كثيراً ولما لم يكن بمقدوره أن يناقش هذا الأمر مع أي شخص آخر، فلقد ظل يثقل على ذهنه.

حظيت الزوجة، التي كان لها العديد من الأبناء بأقصى قدر من التقدير من جلالة الامبراطور. وقد اعترض الناس على فكرة وجود امبراطورة أخرى لا تنتمي إلى قبيلة فوجيوارا[1]، ولكن جلالة الامبراطورة[2] فكرت في الطيبة التي قام نيافته رايزي بها بتعيينها في هذا المنصب، عندما كانت تفتقر إلى أي مبرر يدعوها للطموح لنيل هذا الشرف[3]، وفيما انقضت الشهور والسنون، ازداد شعورها بكم هي مدينة للدعم الذي تلقته من روكوجو. كان من الأسهل على نيافته الآن التردد على هناك، وهو ما كان قد علَّق الآمال عليه، وقد جعل هذا الحياة أكثر مدعاة للسرور عن ذي قبل.

كانت سمو الأميرة الثالثة[4] لاتزال تشغل جلالة الامبراطور، بصفة خاصة ولم تكن قد تجاوزت سيدة جناح جينجي الشرقي قط، على الرغم من التقدير الكبير الذي حظيت به، وكان انقضاء الشهور والسنين قد قرَّب هذين الاثنين أكثر فأكثر، حتى بدا أن شيئاً لن يفرق بينهما.

قالت تلك السيدة بجدية تامَّة مراراً لجينجي: «أود الآن التخلي عن نمط عيشي الحالي وتكريس نفسي بدلاً من ذلك للعبادة الهادئة. وفي عمري هذا أحس كما لو أنني قد عرفت كل ما أرغب في معرفته عن الحياة. أرجو أن تأذن لي بالقيام بذلك!».

وكان يرد عليها قائلاً: «إنك قاسية للغاية! لايمكنني التفكير في هذا الأمر! ذلك هو على وجه الدقة ما أتوق للقيام به أنا نفسي، وإذا كنت لا أزال هنا، فذلك مرده فحسب إلى أنني

---

(1) حرفياً «جينجي آخر» أي «ميناموتو آخر». غير أن فوجيتسوبو كانت من أصل امبراطوري، كما هي حال أكيكونومو. ومن هنا فلابد أن هذا التعبير يشير إلى كل من لا تنتمي إلى قبيلة فوجيوارا.

(2) أكيكونومو.

(3) لم تمنح الامبراطور ابناً.

(4) أونا سان نو ميا. الأخت الصغرى للامبراطور.

لا يمكنني أن أتصور كيف سيكون شعورك إذا تركتك ورائي، وماذا ستكون عليه حياتك عندئذ. ما إن أخطو تلك الخطوة حتى يمكنك أن تفعلي ما يطيب لك». ولم يكن يقبل منها قولاً في هذا الشأن.

نظرت الزوجة إليها على أنها أمها الحقيقية، وكانت الطريقة التي ساعدتها بها أمها الطبيعية خفية هي التي كرّست مستقبلها على نحو رائع. وفي غضون ذلك ذرفت الراهبة دموع الفرحة البالغة في كل مناسبة ممكنة مقدمة - فيما هي تجفف عينيها المحمرتين - الصورة الحقيقية للشيخوخة السعيدة.

فتح جينجي ذلك الصندوق[1]، استعداداً لحج الزوجة للصلاة في سوميوشي ووجد فيه العديد من العهود التي تقتضي الكثير، فبالإضافة إلى تقدماته للكاجورا[2] كل عام في الربيع والخريف، كان العجوز قد أضاف بواعث موعودة لحسن الطالع الدائم، بحيث بدا بوضوح أنه لم يتصور قط أي شخص أقل ثراء من جينجي يسعى لتقديمها، وأفصح خطه السريع المتدفق عن علم يوحي بالتمكن، وما كان يمكن للبوذات والأرباب إلا أن تهتم بكلماته. ترى كيف أفلح ناسك جبلي متواضع في تصور مثل هذه الأشياء؟ تأثر جينجي في الحال، وصدم. ربما كان العجوز رجلاً مقدساً ينتمي إلى عصور مضت، استدعاه القدر لولوج هذه الدنيا مجدداً، في هيئة متواضعة، لبعض الوقت. راح جينجي يفكر فيه برهبة متزايدة.

لزم الصمت حيال ما تضمنته هذه الوثائق وانطلق في الحج، كأنما كانت وثائقه الخاصة. كان قد حقّق منذ زمن طويل كل العهود والنذور التي التزم بها في تلك الأيام الحافلة عندما انتقل إلى الشاطئ[3]، ولكن استمتاعه المتواصل بالحياة وحسن الطالع جعلا من المتعذر نسيان مساعدة السماء له. وأحدث نبأ اصطحابه لسيدة جناحه الشرقي معه ضجة كبرى. أبقى على كل شيء بسيطاً بقدر الإمكان، وحذف الكثير، حتى لا يثير انزعاج أحد، ولكن مكانته فرضت متطلبات معينة ومضت الفعالية قدماً بتألق مذهل.

(1) صندوق الصلوات لسوميوشي الذي بعث به راهب أكاشي المستجد إلى ابنته في فصل «براعم الربيع 1».
(2) موسيقى ورقص يقدمان في مزار لأحد آلهة الشنتو.
(3) من سوما إلى أكاشي.

انضم إليه كبار النبلاء كافة، باستثناء الوزيرين[1]. وكان قد اختار القائمين بالنوبات الثانية من الحراسة وما إلى ذلك كراقصين[2]، وهم جميعاً رجال حسنو المظهر ومتماثلون في الطول. وأحس شبان بعينهم بالحزن والخجل لعدم إدراجهم بينهم، ولكن طلبه للعازفين استمد من خبرة من يستدعون عادة إلى المهرجانات الخاصة في إيوا شيميزو وكامو وغيرهما، وأُضيف إليهم عازفان شهيران من حراس القصر. وأقبل عدد كبير من الرجال لأداء الكاجورا. وحضرت الفرق الثلاث المؤلفة من الوصفاء، وصفاء جلالة الامبراطور، وسمو ولي العهد، ونيافته جميعها. ورُتب على نحو منسق الجياد، السروج، سائسو الخيل، الأتباع، المشاة والخدم على اختلافهم التابعين لكبار النبلاء، فشكلوا مشهداً بهيجاً ملوناً يمتد بلا انتهاء.

ركبت الزوجة وسيدة جناح جينجي الشرقي في العربة ذاتها، تتبعهما عربة أخرى تقل السيدة الآتية من أكاشي، وفي حرص وحذر أمها الراهبة، وركبت معهما مربية الزوجة، حيث إنها كانت تعرف قصتهما. وصحبت وصيفات تقلهن ضمن عربات سيدة جناح جينجي الشرقي، والأمر كذلك بالنسبة للزوجة، وصحبت وصيفات تقلهن ثلاث عربات أكاشي. ولا حاجة إلى القول إن العربات قد زُينت على نحو مبهر.

كان جينجي قد قال: «طالما أن أمك تقوم بهذا الحج، فإنني أود أن تفعل ذلك بما يكفي من التكريم لتخليصها من تجاعيد الشيخوخة».

قالت السيدة، مثبِّطة همته في هذا الصدد: «لن تكون فكرة جيدة جعلها تشارك في مثل هذه المناسبة العامة. ربما ينبغي أن تنتظر إلى أن تمضي الأمور حقاً على نحو ما يأمل المرء لها». ومع ذلك فقد كان من المستحيل التنبؤ بمدى ما تبقى للراهبة من عمر، وكانت متلهفة للغاية لرؤية كل شيء بنفسها بحيث إنها ذهبت بدورها. ورأى المرء فيها بوضوح مؤشرات على قدر استثنائي على نحو يفوق كثيراً ما يراه في أولئك الذين أُريد بهم أن يروا المجد.

كان ذلك في منتصف الشهر العاشر وقد تغيَّر لون الكروم الممتدة على السور المقدس، وأعلنت الأوراق المحمرة تحت أشجار الصنوبر ليس من خلال الصوت

(1) كان غياب وزيري الميمنة والميسرة في مثل هذه المناسبة أمراً معتاداً.
(2) عشرة رجال لأداء رقصات أزوما أسوبي في سوميوشي.

وحده إدبار الخريف[1]. واختلطت الرقصات الشرقية[2] المألوفة، الأكثر جاذبية بكثير من القطع الرصينة من كوما أو كاثاي، بالريح والموج، وحلقت موسيقى النايات على جناحي النسيم خلال أشجار الصنوبر السامقة، ناقلة رجفة رهبة لا يسود الشعور بها في أي موضع آخر، وكان الإيقاع الذي يُعزف على الأوتار وليس على الطبول أقل في الجلال منه في التأثير الرقيق في النفس، وأضفى المكان سحره على الأمر برمته. وبدا الموسيقيون في ثيابهم المزينة بأشكال الخيزران والمصبوغة بالنيلة البرية[3] والمتداخلون مع الخضرة العميقة لأشجار الصنوبر والأزهار ذات الألوان المتعددة في أغطية رؤوسهم متشابهين للغاية مع أزهار الخريف إلى حد أن المرء لم يكن يفرق هؤلاء من تلك. عندما انتهت رقصة «موتوميجو» قام كل نبيل من كبار النبلاء بحسر الملابس عن إحدى كتفيه، وتقدم ليرقص[4]. من العباءات السوداء الرسمية الكئيبة أطل فجأة كم أحمر أو عنبي، بينما كسفت أكمام الأردية القرمزية المبتلة بلمسة من مطر الشتاء بهاء أشجار الصنوبر، وأعادت إلى الأذهان سجادة من أوراق أشجار الخريف، ثم كسا كل هؤلاء الأشخاص الجميلين أنفسهم بقصبات بيض ليرقصوا مرة أخرى، ويصلوا بالموسيقى إلى الختام. وكان حرياً بالمرء أن يتمنى أن يشاهدهم إلى الأبد.

عاد الماضي إلى جينجي، الذي بدا أنه يتراءى أمام عينيه كل ما عرفه في عاره خلال

(1) منتصف الشهر العاشر القمري هو بالفعل في الشتاء المبكر، ويوغل في موسم أوراق الشجر الحمراء.

(أ) تعيد الكروم على امتداد سور مزار سوميوشي للذهن كوكينشو 262 من نظم كي نو تسورايوكي: «كروم كودزو على سور الآلهة المقدس، بالغة الرقة والعنفوان، لم تستطع تحمل الخريف، وتبدل لونها».

(ب) «أوراق الشجر المحمرة تحت الصنوبرات» تتباين مع استمرارية لون الصنوبرات الشامخة وتوحي بقصيدة حب، سويشو 844: «أثق في خضرة الصنوبرة الشامخة، التي لا تعرف شيئاً عن أوراق الشجر التي تبدل لونها في الأسفل».

(ج) يشير تعبير «أعلنت ليس من خلال الصوت وحده» إلى كوكينشو 251 من نظم كي نو يوشيموتشي: «على الجبل حيث لاتبدِّل أوراق الشجر لونها أبداً، ربما كانت الرياح التي تهب هي التي تعلن مقدم الخريف».

(2) أزوما أسوبي، مجموعة من الرقصات التي تقوم على أساس أغنيات شعبية من أزوما («الشرق»)، الإقليم الذي يدعى الآن كانتو، ويتمركز حول طوكيو.

(3) يامالي، نبتة نيلة برية تعطي صبغة خضراء.

(4) «موتوميجو»، وهي إحدى الرقصات الشرقية، كانت تُؤدى مع إزاحة الرداء الخارجي عن إحدى الكتفين، وبعدها ينضم النبلاء الكبار إلى الراقصين العاديين للوصول بالرقصات إلى النهاية.

تلك السنوات القصيرة الخاليات، واستعاد في إعزاز ذكرى المستشار المتقاعد[1]، إذ لم يكن لديه شخص آخر يشاركه مثل هذه الذكريات. دلف عائداً، وبعث سراً بهذه القصيدة إلى العربة الثانية[2]:

«من غيرنا نحن الاثنين عساه يعرف كل ما أحضرنا إلى هنا

ولذا قد يخاطب صنوبرات سوميوشي التي تقف شاهدة على زمن الآلهة؟».

كُتبت على ورقة مطوية. وبدأت الراهبة في البكاء أعادت حياتها الراهنة إليها كيف أن سمو الامبراطور الفخري قد تركهم على ذلك الشاطئ عندما كانت الزوجة في طريقها بالفعل إلى الدنيا، وتأملت مجدداً في حسن طالعهم، الذي لا يستحقونه، وافتقدت الرجل الذي زهد بالدنيا، ولكنها ابتعدت عن ذلك الحزن، وغيره من الأحزان الموحية بالنذر السيئة وردت بلغة بليغة عمداً:

«اليوم تتعلم راهبة عجوز درساً عظيماً، أن سوميوشي

الساحل الأكثر سخاء والحافل بعطايا عديدة!».

كانت الكلمات هي ما اتفق تواتره على ذهنها لأنها خشيت أكثر من أي شيء آخر التأخر في الرد، وغمغمت لنفسها تقول:

«ليس بمقدوري نسيان كل ما أعرفه من الماضي عندما أمام عيني

أبصرت هؤلاء الشهود على إله سوميوشي».

تواصلت الرقصات والموسيقى حتى الفجر، وتألق قمر الثانية عشرة عالياً وامتد المحيط على نحو رائع إلى البعيد، وارتجف المرء لرؤية الصنوبرات وقد ابيضت بفعل الصقيع الثقيل، الذي أضفى على المشهد جمالاً يظل أكثر تأثيراً في النفس. كانت سيدة الجناح الشرقي قد رأت، بالطبع، شيئاً من الرقصات وسمعتها، والتي تنتمي إلى كل فصل في الدار داخل سور حديقتها، ولكنها لم تخرج إلا بالكاد إلى ما وراء بوابتها من قبل، وقد أفعمتها هذه الرحلة الجديدة خارج نطاق المدينة بالدهشة والبهجة.

---

(1) تو نو تشوجو.

(2) عربة أكاشي، وكان قد عاد إلى عربته الخاصة.

«في أعماق الليل، يتكاثف الصقيع على صنوبرات سوميوشي النبيلة

مثلما باقة مقدسة[1]، منحتها السماء!».

فكرت في ثلج الصباح في قصيدة النبيل تاكامورا «جبل هيرا أيضاً»[2] وأحسست أكثر من أي وقت مضى بالثقة في أن التكريم المقدم للحضور الرباني ثم تقبله.

الزوجة:

«إلى أوراق الساكاكي التي تقدمها للإله أيد ورعة،

يضيف الصقيع في أعماق الليل رايات مقدسة من البياض!».

ناكاتسوكاسا[3]:

«نعم، الصقيع النقي الذي قد يكون رايات مقدسة في مثل هذه الأيدي الورعة

يوضح للجميع أن الإله تقبل صلواتنا».

أعقبت ذلك قصائد كثيرة جداً، ولكن لا طائل من الإشارة إليها جميعها فالقصائد التي تُنظم في مثل هذه المناسبات بصفة عامة لا تلقى من يصيخ السمع إليها، حتى تلك القصائد التي يدبجها رجال يقدرون كثيراً براعتهم، وهذه قصائد لا تستحق العناء، وليست هناك طريقة بارعة للالتفاف حول «ألف عام الصنوبرة»[4] وما إلى ذلك.

أطل الفجر على مهل، وتراكم الصقيع أكثر ثقلاً، وبينما خفتت المشاعل، استسلم عازفو الكاجورا الذين أصبحوا الآن أكثر سكراً من أن يعرفوا ما الذي يغنونه لنوبة من المرح غافلين عن الكيفية التي يبدون بها للناظرين، غير أنهم كانوا لا يزالون يلوحون بعصي الساكاكي ويصيحون «عشرة آلاف سنة! عشرة آلاف سنة!» إلى أن تخيل المرء سنوات لا نهاية لها من الطالع السعيد.

---

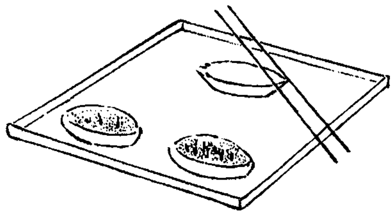
(1) عصابة للرأس تشبه الباقة من خيوط نسيج متخذ من لحاء شجرة التوت يضعها الكاهن القائم بأداء الطقوس في أحد المزارات.

(2) فوكورو نو سوشي 140، حيث تنسب القصيدة إلى سوجاوارا نو فوميتوكي: «يبدو أن الإله تقبل تقدماتنا، فجبل هيرا أيضاً يعتمر باقة مقدسة». يشمخ جبل هيرا فوق الشاطئ الشرقي لبحيرة بيوا، إلى الشمال من جبل هاي.

(3) إحدى النساء التابعات لموراساكي.

(4) ماتسو نو تشيتوسي، إحدى العبارات التقليدية المستخدمة في التهنئة التي تحفل بها مثل هذه القصائد.

لـم تدم هـذه المباهج إلا وقتاً جد قصير، وانقضت ليلة يـود المرء أن يحصل على ألف منهـا مفسـحة المجال فـي لطف للنهـار. وأحـس النبلاء بالأسـف لاضطرارهـم للرحيل مجدداً مثلما الأمواج المرتدة امتد صف العربات بعيداً وسط أشجار الصنوبر، وكان المرء يلمح من خلال السـتائر الحاجبة فيها شـيئاً أشبه بقماش مقصب من الزهور تحت الخضرة الدائمة وهو يتمايل مع النسـيم، بينما تابع الخدم المبتهجون بأنظارهم الأتباع في عباءاتهم الرسـمية متعددة الألوان، وهم يحملون حاملات للوجبات واحداً بعد الآخر[1]. وغمغموا فيمـا هـم يحملـون إلى الكاهنـة وجبة شـهية على صينيـة من خشـب الصبرا مغطـاة بورق أزرق- رمادي: «من المؤكد أن القدر أحسن إليها كثيراً».


وجبة على صحفة

كانـت الرحلـة إلـى سوميوشـي مهيبـةً ومثقلـة بوفـرة هائلـة مـن الكنـوز المقدسـة، ولكنهـم في طريق العودة مضوا يتجولون للاسـتمتاع بمشاهدة المناظـر الجميلـة. ومـن شـأن إيرادهـا أن يكـون مضجراً. وحده الراهب المستجد، وياللحسرة، لم يكن هناك لرؤية الأمر بكامله، بعد أن عزل نفسه في جسارة في عالم لم يعرفه أي منهم، وما كان حضوره أيضاً ليكون بعيداً عن إثارة الارباك. ويبدو أنه بحلول ذلك الوقت منح نجاح الراهبة الآخرين كذلك اعتزازاً أكبر بأنفسـهم. وأثارت سـعادتها الدهشـة والإعجاب عند كل منعطـف، وأشـار إليها الجميع كمثال لحسـن الطالع. وعندما كانـت أومي، ابنة معالي المستشـار المتقاعد تتمنـى أن يؤاتيها الحظ فـي لعبة النرد، كانت تصيح: «راهبة أكاشـي! راهبة أكاشي!».

كـرَّس نيافته المترهبن[2] نفسـه تمامـاً للعبادة، وتجاهل الأحداث التـي تقع في البلاط. كانـت رحلتا الربيع والخريـف[3] هما اللتان تعيدان إليه ذكريـات الماضي. وكان الاهتمام الوحيد الذي لم يتخل عنه هو قلقه على ابنته سـمو الأميرة الثالثة. وقد اعتمد على جينجي فـي تحقيـق رفاههـا العام، ولكنه طلـب من جلالة الامبراطـور في هدوء كذلـك القيام بما

(1) هذه الوجبات يجلبها رجال في المرتبة الرابعة أو ما دونها، بحسب مكانة من يتلقونها.
(2) سوزاكو.
(3) كان الامبراطور يقوم بصورة رسمية، في كل ربيع وخريف، بزيارة أمه وأم الامبراطور المتقاعد.

يستطيعه في هذا الشأن. وقد ارتقت إلى المرتبة الثانية، وزادت تعويضاتها، الأمر الذي أضفى عليها تألقاً يزيد عن أي وقت مضى.

رأت سيدة جناح جينجي الشرقي مكانتها تعلو، بمرور الوقت، فوق كل من عداها في روكوجو، فراحت تفكر بصورة مستمرة في أنه على الرغم من أن الحظوة الشخصية التي تتمتع بها تعادل ما تتمتع بها أي سيدة أخرى، فإن العمر سيجعلها تدريجياً أقل جاذبية في عينيه وأنها تفضل هجران الدنيا بطريقتها قبل أن يحدث ذلك، ولكنها وجدت أن من المستحيل أن تقول ذلك بجلاء، لأنها خشيت من أنه قد يدينها لجسارتها البالغة. وحتى جلالة الامبراطور كان مولعاً بصفة خاصة بسمو الأميرة الثالثة، وانتهى الأمر بجينجي، الذي لم يرغب في أن يوصف بالإهمال، إلى تقسيم لياليه، في نهاية المطاف، بالتساوي بينهما. وقد تفهمت السيدة المقيمة في جناحه الشرقي الأمر وتقبلته، ولكنه أكد لها مخاوفها، وذلك على الرغم من أنها لم تسمح لتلك المخاوف بالظهور قط. وقد أخذت على عاتقها رعاية الأميرة الأولى، ثانية أبناء جلالة الامبراطور، وكانت هذه المسؤولية عزاء لها، في الليالي المفعمة بالوحدة، عندما يكون جينجي بعيداً. وفي حقيقة الأمر أنها منحت عاطفتها الرقيقة لأبناء معاليه جميعاً.

حسدتها سيدة الصيف على وجود كل هؤلاء الأحفاد للقيام برعايتهم وأصرت على رعاية ابنة القائد التي أنجبتها له سيدة العاملين في القصر[1]. كانت الفتاة جميلة للغاية ومفعمة بالحيوية للغاية وتبدو أكبر من سنها. وكان جينجي مولعاً بها كذلك وقد ساوره على الدوام شعور بأنه أنجب أبناء أقل عدداً مما ينبغي، ولكن ذريته تعددت، والآن كان هناك الكثيرون للغاية منهم على الجانبين إلى حد أن رعايتهم وملاعبتهم خففت من ضجر أيامه.

زادت زيارات وزير الميمنة، وغدت على نحو أكثر ألفة مما كانت عليه الحال في الماضي، والآن وقد أصبحت زوجته[2] عقيلة، فإنها بدورها أقبلت للزيارة في المناسبات

---

(1) ابنة كوربميتسو. وهذه الطفلة لم يتم الإتيان على ذكرها من قبل. وهي تظهر لاحقاً باعتبارها ابنة يوجيري السادسة (روكو نوكيمي).

(2) هيجيكورو وتاماكازورو.

الملائمة، ولاشك في أن ذلك يرجع بصفة خاصة إلى أن جينجي كان قد تخلى عن خيالاته العربيدة. وعندئذ كانت هي وسيدة الجناح الشرقي تلتقيان وتتجاذبان أطراف الحديث على نحو جميل للغاية. واستمرت سمو الأميرة الثالثة وحدها راضية عن نفسها بصورة صبيانية كذي قبل. أما فيما يتعلق بالزوجة، فقد تركها جينجي الآن كلية لجلالة الامبراطور، وكانت سمو الأميرة الثالثة هي التي أثارت تعاطفه، وقام برعايتها كما لو كانت ابنته الصغيرة.

الآن مضى القلق يستبد بنيافته المترهبن إلى حد أنه أحس بأن نهايته قد دنت، وعقد العزم على الابتعاد عن أمور الدنيا، ولكنه أراد رؤية ابنته لمرة أخيرة، وخوفاً من أن تثور الرغبات الدنيوية في نفسه مجدداً، فقد طلب من جينجي إحضارها إليه بلا تفاخر ولا احتفال.

أبلغها جينجي بقوله: «نعم، ينبغي عليك القيام بذلك. كان ينبغي أن تفعلي ذلك من دون استعجال من جانبه. يؤسفني كثيراً أنك جعلتيه ينتظر». وأخذ يفكر في الكيفية التي ينبغي أن تمضي بها الرحلة، وخلص إلى أنها لا يمكنها الذهاب هكذا فحسب وإنما ينبغي أن يكون هناك سبب وجيه للزيارة. ما الذي يمكن للمرء القيام به لإتاحة مناسبة لقيامها بزيارته؟ آه! مضى يفكر قائلاً: لسوف يستهل عما قريب عامه الخمسين، وربما يمكنها أن تقدم له براعم الربيع الجديدة. جعلت الثياب الكهنوتية المختلفة المطلوبة ووجبة الصبام والأشياء الأخرى العديدة هذه المناسبة شيئاً غير عادي، وسعى وراء نصح نسائه للتخطيط لها.

كان حريصاً بصفة خاصة على اختيار أفضل الراقصين والعازفين، ذلك أن نيافته كان يحب الموسيقى على الدوام، ولكي يعد لعدد كبير من الرقصات بعث إلى قاعة الوصفاء اثنين من أبناء معالي مستشار الميسرة وثلاثة من أبناء القادة، ومن بينهم ابن أنجبته سيدة العاملين في القصر – وبتعبير آخر كل الصغار الذين يزيد عمرهم عن السابعة[1]. واختار كذلك أبناء معالي وزير الحرب، وأبناء كل الأمراء ذوي الحيثية، وأبناء أرفع النبلاء شأناً، والذين أضاف إليهم عدداً من أبناء الوصفاء الجذابين الذين يحتمل أن يرقصوا بصورة جيدة. وكما ترى فإن هذه المناسبة ستكون مناسبة متميزة، وبذل كل من يعنيهم الأمر قصارى جهدهم. ولم تتح لحظة راحة واحدة لمعلمي الموسيقى والرقص.

(1) ربما يفترض أن يتعلموا التصرف باعتبارهم تابعين خصوصيين.

كانت سمو الأميرة الثالثة قد بدأت في تعلم العزف على آلة الكين، ولكن نيافته كان يشعر بالقلق لأنها قد افترقت عنه في عمر مبكر للغاية. فقال في جلسة خاصة: «آمل أنني سأسمعها تعزف عندما تأتي. وأنا على يقين من أنها على الأقل تمكنت من الإبداع في العزف على الكين»[1].

قال جلالة الامبراطور: «الأمر كذلك تماماً، وعزفها سيتميز على أي حال. وأود أن أكون هناك لسماعها عندما تبرز لنيافتكم ما يمكنها القيام به».

بلغت هذه الملاحظات مسامع جينجي، الذي كان يعطيها دروساً طوال سنوات، عندما تتاح له الفرصة للقيام بذلك، وقد تحسنت حقاً. غير أنه حدَّث نفسه: إنها لا تعرف بعد أي شيء يستحق الاستماع إليه، وسيكون محرجاً للغاية، إذا تبين أنها غير مستعدة ثم أصر على أن تعزف. والآن بات على درجة كافية من القلق، تدفعه إلى أن يبدأ في تعليمها بصورة عاجلة.

حرص على أن تتعلم لحنين أو ثلاثة ألحان والمقطوعات الكبرى الأجمل[2]. بما في ذلك كل الابتكارات النبيلة، التي تنقل من خلال الموسيقى تغيرات الفصول الأربعة أو الطقس الدافئ أو البارد وعلى الرغم من أنها في البداية افتقرت إلى الثقة فإنها اكتسبتها تدريجياً، وأدت بصورة جيدة حقاً. قال: «هناك أناس كثيرون للغاية في النهار وفي كل مرة تفكرين في أنك قد تحاولين في نهاية المطاف إضافة ذات السن إلى نغمة ما، فإن شيئاً ما يصدر عنك. لسوف أعلمك ما تحتاجين إلى معرفته في المساء». استماح السيدة المقيمة في الجناح الشرقي عذراً، وأعطاها دروساً ليلاً ونهاراً.

لم يكن قد قام قط بتعليم العزف على آلة الكين، سواء للزوجة أو لسيدة جناحه الشرقي، ومن هناك فإن الزوجة التي تاقت لسماع القطع النادرة التي أدركت أنه كان يعزفها، أخيراً، أفلحت في تدبر أمر إذن نادر بالانسحاب من القصر إلى دارها. وكانت قد انجبت ابنين

(1) يعلق سوزاكو، معلمها الأول، الآمال على أن جينجي قد واصل إعطاء الدروس لها، ولكنه يشك في ذلك إلى حد كبير.

(2) يبدو أن مخزون مقطوعات الكين قد قُسم إلى مقطوعات كبرى، وسيطة وصغرى (تايكايوكو، تشوكايوكو، شوكايوكو)، على الرغم من أنه لم يعد واضحاً ما هي طبيعة هذه المقطوعات.

بالفعل[1]، ولما كانت حاملاً بابن ثالث في شهرها الخامس، فقد أوردت الطقوس التي ينبغي أن تُقام للآلهة كسبب لذهابها[2].

وما إن انقضى الشهر الحادي عشر حتى تلقت رسائل متتابعة من جلالة الامبراطور يطلب منها فيها العودة، ولكنها حسدت سمو الاميرة الثالثة على الموسيقى البهيجة التي عُزفت كل مساء، وراحت تتساءل في ضيق عن السر في أن جينجي لم يعلمها هذا كله قط.

كان جينجي، خلافاً للآخرين، يعجب كثيراً بقمر الشتاء، وبمصاحبة سنا الثلج في الليالي الجميلة كان يعزف موسيقى تتناغم مع هذا الفصل، ويقدم لكل وصيفة حاضرة، إذا أحست على الإطلاق بالميل إلى ذلك، لحظتها من العزف على آلة موسيقية.

وكانت نهاية العام تدنو، وانشغلت سيدة جناحه الشرقي أشد الانشغال بالتطلع هنا وهناك للتأكد من أن كل شيء على مايرام. وغالباً ما تحدثت عن الأمل في أنه ذات مساء ربيعي جميل قد تتمكن بدورها من سماع سمو الأميرة الثالثة وهي تعزف. وفي غضون ذلك، أقبل العام الجديد.

تقرَّر أن تبدأ فعاليات الاحتفال ببلوغ نيافته المترهبن عامه الخمسين على نحو رائع بالفعاليات التي يقيمها جلالة الامبراطور، وأخَّر جينجي قليلاً الاحتفال، الذي كان يعد له، لكي يتجنب تداخلاً بين الاحتفالين. وكان قد خلص إلى تحديد يوم أو يومين بعد العاشر من الشهر الثاني. وكان جميع العازفين والراقصين قد تجمعوا، وكانت هناك تجارب أداء لا نهاية لها.

قال لسمو الأميرة الثالثة: «أود أن أرتب حفلاً موسيقياً نسائياً، لإحضار آلة الكين الخاصة بك، التي ترغب السيدة المقيمة في جناحي الشرقي دوماً في سماعها جنباً إلى جنب مع آلتي السونوكوتو والبيوا الخاصتين بالأخريات. وما من أحد من معلمينا الموسيقيين يمكن أن يضاهي هذه الأيام بالنسوة هنا في روكوجو، وقد تعلمت حقاً القليل للغاية على الوجه

(1) هما ابن (ولي العهد) وابنة، هي الأميرة الأولى.

(2) لما كانت حبلى، فإن من المتصور أنها ربما تكون قد دنست الطقوس المقامة تكريماً لكامي (الآلهة)، والتي أُديت في القصر في الشهر الحادي عشر.

الصحيـح، ولكنني عندما كنت في مقتبل العمر، كنت حريصاً بما فيه الكفاية على ألا أفتقد شـيئاً ممـا كان يمكنني تعلمـه من أفضل المعلميـن جميعاً ومن أعظم النبـلاء، ولـم يبد أي منهـم بالـغ العمق على نحو مذهل. وعلى أي حال، فقد تغيرت الأمور منذ ذلك الحين، إذ تميل عواطف الشـباب هذه الأيام إلى جعل الموسـيقى سـطحية. والكين بصفة خاصة لـم يعد يبدو أن أحداً يدرسها هذه الأيام. ولا يمكن أن يكون هناك من تعلم العزف عليها حتى بمثل جودة عزفك!».

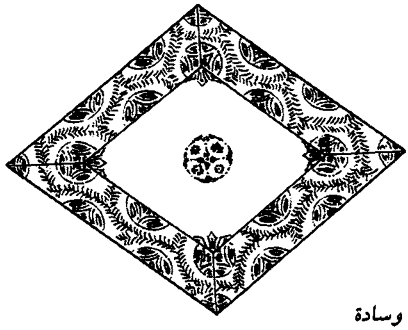
حدَّثت نفسـها بابتسامة سـرور بريء: لابد أنه يعتقد أنني قد أصبحت جيدة تماماً الآن! في عامها الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين كانت لاتزال تبدو بعيدة عن النضج كلية، وكل مـا لديهـا كان العذوبـة الرقيقة حقـاً. وغالباً مـا كان جينجي يذكِّرهـا بقوله: «انقضت سنوات عدة منذ رآك نيافته المترهبن لآخر مرة. أرجو أن تتأكدي، لطفاً، عندما تكونين في حضرتـه، أن يـرى أي شـابة رائعة قد أصبحت!». وفي حقيقة الأمـر أن أياً من وصيفاتها لـم تشك في أنه لولا مساعدته فإنه سيكون من الأصعب إخفاء صبيانيتها.

بحلول اليوم العشـرين من الشـهر الأول، كانت نسـائم عطرة تهب تحت سـماء بديعة، وكانـت شـجرة البرقوق أمام مسـكن جينجي في إزهـار، وتدفقت البراعم على الأشـجار المزهرة الأخرى، ولفتها جميعها سـحب الربيع. قال جينجي لسـيدة جناحه الشرقي: «كل هذه الاستعدادات تعني أنه سيكون هناك الكثير مما يتعين القيام به، عند بدء الشهر المقبل، وسـيفترض الناس أن أي موسيقى تعزفينها مع سـمو الأميرة الثالثة هي تجربة أداء، ويتعين أن نجـرب ذلـك الآن، بينما الأمور لاتزال هادئة». وأرسـلها إلى الدار الرئيسـية[1]. وتاقت كل نسائها إلى الذهاب إلى هناك بدورهن، ولكن جينجي جعل من لا يملن إلى الموسيقى يبقيـن، وحتى من بين النسـوة الأكبـر اللواتي اختارهن للذهاب معها لـم يرسـل إلا اللواتي تمتعن بميزة خاصة.

اسـتدعى أربـع فتيـات تابعـات جميـلات بصفة خاصـة، متألقـات ورشـيقات يرتدين سترات في لون براعم الكرز فوق سراويل خارجية بنفسجية- رمادية وذات أشكال حمراء مـن حريـر قرمـزي. كان مسـكن الزوجـة قد أعيـد تجديـده مؤخراً علـى نحو مـرح حقاً،

(1) حيث تقيم أونا سان نو ميا.

وتنافست النسوة على ارتداء ملابس متألقة. وكانت الفتيات التابعات لها بالمثل يرتدين سترات حمراء فوق أردية من قماش التويل الحريري الصيني الأخضر بلون أوراق الشجر والأصفر الذهبي وسراويل خارجية من الدمقس الصيني.


وسادة

أما الفتيات التابعات للسيدة القادمة من أكاشي فكن أكثر تحفظاً فقد ارتدت أربعتهن جميعاً سترات بنفسجية فاتحة أو قاتمة تألقت إلى أقصى مدى فوق أردية خضراء رمادية مع اللون الأحمر البرقوقي، بالنسبة لاثنتين منهن، ولون براعم الكرز للأخريين. وجعلت سمو الأميرة الثالثة الفتيات التابعات لها يرتدين ملابسهن بعناية خاصة عندما علمت بأن السيدات رفيعات المقام سيتجمعن بصحبتها. لم تكن ستراتهن التي استمدت من الكرم لونها فوق أردية بلون الصفصاف أو الأخضر الترابي جديدة ولا مناسبة على نحو ملحوظ، ولكنهن أفلحن عموماً في أن يظهرن بمظهر شامخ ومؤثر في النفس.

أُزيل فاصل الحاجز المنزلق من منتصف الغرفة، فلم تعد تقسمها إلا الستائر القائمة، وأُعد مقعد جينجي في الفضاء الموجود في المنتصف[1]. حدد غلامين تابعين، وأجلسهما على الشرفة، لتقديم الخلفية الإيقاعية للمناسبة، وهما الابن الثالث لوزير الميمنة- الأكبر الذي أنجبته سيدة العاملين في القصر- على آلة الشو، الابن الأكبر لقائد الميسرة[2] على الناي. ووضعت وسائد داخل الستائر الحاجبة ووضعت آلة موسيقية أمام كل سيدة[3]. جلب جينجي الآلات التي يقدِّر فخامتها أكثر من غيرها في حقائب مصبوغة بلون النيلة، بيوا لأكاشي، واجون للسيدة مورا ساكي، وسو نو كوتو للزوجة. ساوره الشعور بالقلق من أن سمو الأميرة الثالثة ربما لا تكون قد عزفت من قبل قط على آلات عظيمة كهذه فدوزن لها بالتالي آلة الكين التي كانت تتدرب عليها عادة.

(1) جينجي في منتصف غرفة الرواق المستطيلة الضيقة، وعلى جانبيه ستائر قائمة، إحداها وراء الأخرى، ووراء كل ستارة قائمة تقف إحدى المشاركات في الحفل.

(2) يوجيري.

(3) الوسائد هي لوضع الآلات الموسيقية عليها.

قـال: «لا ترتخي أوتار السـونوكوتو بالضبط، ولكن الأمشـاط تنزلق في بعض الأحيان عندمـا تجهـز أوتارها للعزف في حفـل كهذا. وذلك ينبغي أن يؤخذ بعيـن الاعتبار. وعلى الرغـم مـن ذلك فإنني أشـك فـي أن المـرأة يمكـن بالفعل أن تشـد الأوتار بمـا يكفي من الإحكام. فلابد أن أجعل القائد يقوم بذلك. وهذان الاثنان بآلة الشو والناي اللذين يعزفان عليهمـا في مقتبل العمر، وأنا لسـت على يقين من أنهما سـيفلحان حقـاً في دعم الإيقاع». ابتسم، وأضاف: «اجعلوا القائد يأتي إلى هنا، لطفاً!».

أعـدت السـيدات، اللواتـي غمرهـن الحرج، أنفسـهن لوصوله. كـن جميعاً. باسـتثناء أكاشي، تلميذات مفضلات عند جينجي، وعلّق الآمال، على نحو ما فعلن، علماً أن القائد لن يسـمع شـيئاً لا يستحق الاصغاء إليه. أحست الزوجة بالارتياح التام، لأنها كانت معتادة علـى العزف لجلالة الامبراطـور، ولكن الواجون بينما هي محدودة في نطاقها، فإنها تفتقر كذلـك إلى أنمـاط الأداء المحـددة، وذلك يجعلها أكثـر صعوبة في العزف عليها بالنسـبة للمـرأة. يُعـزف علـى الآلات الوترية معاً فـي الربيـع، وكان جينجي قلقاً إلى حد ما بشـأن النغمات الزائفة[1].

أقبل القائد، وقد تأنق على نحو رائع في عباءة رسـمية ملونة وأردية معطرة، وضاع عبق البخـور من أكمامـه. كان متوتراً تماماً وأكثر عصبية بكثير مما يكون عليه لدى قيامه بتجربة أداء رسـمية أمام جلالة الامبراطور. كانت الشـمس قد غربت لتوها. وتحت سـماء غسقية آخـاذة، أثقلـت وفرة غنية مـن البراعم الأغصان، مسـتدعية للأذهان ثلـوج العام الماضي. هلـت عطـور لا توصف مقبلة نحوه على جناحي نسـمة هادئة من داخل السـتائر الحاجبة، وملأت الجو في أرجاء هذا المسكن الضخم بروائح تسحر أي هازجة[2].

بـرز طرف آلة السـونوكوتو قليـلاً من تحت السـتائر الحاجبة[3]. قـال جينجي: «معذرة لطلبي هذا، ولكنني أتساءل عما إذا كان بوسعك شد الأوتار على الوجه الصحيح ودوزنتها. وكمـا تعلم فليس بمقدوري أن أطلب القيام بذلك مـن أي كان». وافق القائد باحترام على

(1) معنى هذه الجملة غير واضح.
(2) كوكينشو 13، من نظم كي نو تومونوري: «عبق البراعم ينطلق على النسيم ويبعث بدعوة للقدوم إلى الهازجة».
(3) يوجيري في الشرفة.

ذلك، والتقط الآلة الموسيقية. وبعد ضبط وتر القرار ليناسب النغمة السائدة في مقام إتشيكوتسو[1] جلس لحظة من دون تجربتها.

«قم على الأقل بعزف مقدمة شكلية، وابذل فيها بعض الجهد!».

احتج القائد في تواضع: «ولكنني لست أقترب من الإجادة بالقدر الكافي للانضمام في العزف إلى مثل هذه الصحبة!».

ضحك جينجي قائلاً: «ربما لا، ولكنه سيكون أمراً سيئاً للغاية إذا علم الجميع أنك هربت من حفل موسيقى نسائي من دون أن تعزف نغمة واحدة!».

انتهى القائد من دوزنة الآلة، وانطلق في عزف المقدمة بصورة رائعة، وأعاد الآلة. وفي غضون ذلك عزف التابعان، اللذان لاحا بالغي اللطف في عباءتيهما الرسميتين، بطريقة لا تزال صبيانية، ولكنها مفعمة بالوعد المستقبلي.

ما إن ضُبطت الآلات، ومضت السيدات يعزفن عزفاً جماعياً، حتى ترددت أنغام البيوا بمهارة رائعة، فائقة في اللمسة ورائعة في النغم، حتى ارتفعت الموسيقى الصادرة عنها فوق الموسيقى الصادرة عن بقية الآلات. وأصاخ القائد السمع بصفة خاصة إلى آلة الواجون، وقد تميزت لمستها الساحرة المفعمة عذوبة على الأوتار[2] بجدة مدهشة في حقيقة الأمر إلى حد أنها تساوت في تألق موسيقاها مع أكثر معلمي العصر توقيراً، وقد دُهش لإمكانية العزف على الواجون بتلك الطريقة. وبدت براعتها الحساسة بعمق واضحة، الأمر الذي أبهج جينجي، وأحس بالارتياح والعرفان البالغين. تمتعت آلة السونوكوتو، التي غالباً ما سمعت على نحو متردد من خلال الآلات الأخرى بالبهاء الأكثر جاذبية. وكان هناك شيء يفتقر إلى النضج فيما يتعلق بالكين، ولكن كل ذلك التدريب كان قد منحها ثقة، فامتزجت موسيقاها على نحو جميل للغاية مع موسيقى الأخريات. حدّث القائد نفسه قائلاً: ما أجمل ما تتردد موسيقاهن جميعاً معاً، وصاحب الأنغام بالغناء، مواكباً الإيقاع[3]. وبين

(1) أحد مقامات الجاجاكو الستة. و«وتر القرار» (هاشي نوو) هو الوتر الذي يدوزنه المرء ليؤدي الكايو، أو النغمة الدنيا من المقام، وهو في هذا المقام الوتر الثاني من أوتار الآلة.

(2) يشيد الأصل بلمسة كل من يدها اليسرى (تسوماتو) ويدها اليمنى (كاكيا شيتارو ني).

(3) يشير إلى الإيقاع بمروحته، ويتغنى بأسماء النغمات (التنغيم).

الحيـن والآخـر كان جينجي يفعل ذلك بـدوره، بصوت أجمل مـن أي وقت مضى. وكان صوت القائد اسـتثنائياً كذلـك، وفي صمت الليل المتزايد غدا الحفـل جميلاً على نحو لا تعبر عنه الكلمات.

أطـلَّ القمر متأخـراً للغاية آنذاك، وكانت لدى جينجي قناديل متألقة هنا وهناك، ومضى يحدِّق عبر الستارة إلى سـمو الأميرة الثالثـة، ورأى قواماً صغيراً غير مألـوف، جميلاً، بدا كما لو كان كله من الملابس. كانت لا تزال تفتقر إلى أي جاذبية نسـائية، لكنها قدَّمت بدلاً من ذلك البهاء الساحر لأغصان الصفصاف الجديدة في منتصف الشهر الثاني الفاصلة بما يكفي لتشـابكها في النسـيم الصادر عن جناحي هازجة. انسـاب شـعرها يمنة ويسـرة على امتـداد الرداء الطويل بلون براعم الكرز، وأعاد بـدوره إلى الأذهان فروع الصفصاف. كان حرياً بالمرء أن يقول إنه هكذا تبدو السيدة ذات المقام الرفيع، ومع ذلك فإن الزوجة الرائعة على نحو مماثل تمتعت بجاذبية أكبر إلى حد ما وبتميز القوام والسـلوك حتى إنها شـابهت باقة ثرية من براعم الوستارية في أوائل الصيف، في الوقت الذي لا يكون خلاله للوستارية منافس(1). وعلى الرغم من ذلك، فقد كان حجمها كبيراً آنذاك(2)، ودفعت آلتها الموسـيقية بعيداً، واسـتندت إلى مسـند ذراعها لأنها لـم تشعر بأنها على مايرام تماماً. وعلى الرغم من هزالهـا، فإنهـا في هذا الوضع الموحـي بالتعب بدا مسـند الذراع كبيراً للغايـة عليها، على الرغم من أنه كان بالحجم المعتاد، وكان حرياً بالمرء أن يرغب في معرض التعاطف معها في أن يقدم لها مسـنداً أصغر حجماً. كانـت ترتدي رداء في لون البرقوق الأحمر، وأضفى عليها شـعرها المنسـدل في سـنا المصباح فتنة لا تنتمي إلى هذه الدنيا. وفي غضون ذلك، ارتـدت السـيدة موراسـاكي فوق مبـذل قاتم- ربما كان في لـون العنب- ثوبـاً ضافياً فاتح الحمرة تألق في الوفرة الثرية لشـعرها. بدا قوامهـا بالغ الجمال والكمال في الحجم، حتى لاحـت كأنهـا تعطر الهواء من حولهـا، وإذا أردنا التعبير عن الأمر مـن خلال الزهور، لقلنا إنها قد بدت كأنما براعم الكرز تتوارى خجلاً أمامها.

كان يمكن لأكاشي أن تعاني بسهولة وسط مثل هذه الصحبة ولكن الأمر لم يكن كذلك

(1) براعم الوستارية من أواخر الربيع إلى أوائل الصيف، عندما لا تكون هناك أزهار أخرى تضفي عليها القداسة الشعرية في وضعية التفتح.

(2) في الشهر السابع من حملها.

علـى الإطلاق، حيث تمتعت بنبل مذهل في أسـلوبها ومن خلال بهائهـا وتميزها، اللذين يسـتعصيان على التحديد كان المرء يستشـعر عمق الفؤاد. كانـت ترتدي ثوبها الصفصافي الضافـي علـى ما كان يمكـن أن يكون مبذلاً في خضـرة النجيل بذيل مـن الحرير الخفيف المتواضـع عـن قصد[1]. ولكن ما من شـيء في قوامها أو سـلوكها كان يشـجِّع المرء على التقليل من شـأنها. وكانت تجلس مبتعدة جزئياً عن وسـادة وشـيت أطرافها بدمقس كوما الأخضر الرمادي[2] وقد وضعت آلة البيوا أمامها. وما كان عليها إلا أن تلمس ريشة العزف لكي ينبعث من الأوتار صوت دافئ ورقيق يعيد للأذهان غصن برتقال في الشـهر الخامس يعبق بكل من الأزهار والثمار[3].

جعلـت الموسـيقى الرائعة التي سـمعها القائد من كل هاته النسـوة الجميلات- جعلته تواقاً للغاية إلى أن يرى أعمق ما في قلب الظلال. وتطلع بصفة خاصة إلى لمحة من السيدة المقيمة في الجناح الشـرقي، التي تصورها أكثر جمالاً مما كانت عليه عندما رآها بالفعل. أمـا فيمـا يتعلق بسـمو الأميرة الثالثة فقد حدَّث نفسـه قائـلًا: «لو إن القدر قـد آثرني قليلاً، لكان بمقدوري في يسـر أن أحظى بها لنفسـي بدلاً من ذلك. أتمنى لو أن الشـجاعة كانت قـد واتتني فحسـب! كان نيافته قد أصدر تلميحات متكررة وتحدَّث عن الأمر في مجلسـه الخـاص أيضـاً ولكـن لا.. كان قد أُثير ضيقـه للغاية، ولكن في حين لـم تمنحه نظرة منفرة تجعله يقدّرها بشكل أقل، فإنها لـم تحركه بشكل خاص كذلك. كان الأمر راجعاً إلى تلك الأخرى التي كانت على الدوام بعيدة عنه وتتجاوز مطاله، وتنهد في حنين إلى جعلها تفهم على الأقل قوة شـعوره المفعم بالاحترام تماماً لها. وسـيطر على نفسـه بإحكام بالغ، ولم يفعل شيئاً مندفعاً أو يمكن أن يؤاخذ عليه.

غدا الهواء بارداً مع إيغال الليل في مسيرته. الليلة القمرية تنتظر الوردة المتكئة[4] ناحلة

(1) إنها تقر من خلال ذيل ردائها، مهما كان قصيراً، بمكانتها المتواضعة، وتتخذ وضعية وصيفة في خدمة سيدة عظيمة.

(2) إنها تتجنب، في تواضع، الجلوس متربعة على مثل هذه الوسادة البديعة.

(3) يتضمن الأصل عبارة من كوكينشو 139: «يعيد عبق براعم البرتقال، الذي ينتظر الشهر الخامس، كما شخص بعد به العهد».

(4) فوشيماتشي نو تسوكي، قمر الليلة الرابعة عشرة، الذي يبزغ متأخراً.

وشاحبة. أشار جينجي بقوله: «من منظوري فإن الخريف بجماله المؤثر ينسج الآلات سوياً مع شدو صرار الليل ليجعل الموسيقى سامية حقاً».

رد القائد: «سنا القمر المتألق في ليلة خريفية لا يترك شيئاً من دون أن يكشفه، والمرء يشعر بأن أصوات النايات والوتريات تنبعث متألقة بالقدر نفسه، ولكن السماء التي يبدو أنها خلقت لذلك التاثير على وجه الدقة والندى الذي يتألق بكل لون على الزهور يسحران العين، ويغويان الفؤاد، وهكذا يقللان من مباهج الموسيقى في نهاية المطاف. كيف يمكن لذلك أن يتجاوز حفلاً هادئاً يُقام تحت قمر محتجب يطل خلسة فحسب من خلال غمامات سماء ربيعية غامضة؟ إن سحر الناي لا يمكن أن يملأ السماء حقاً. ولقد أشار القدماء إلى أن المرأة أكثر تأثراً بالربيع[1]، وأتصور أن ذلك صحيح، وفي مساء ربيعي تمتزج كل الأشياء معاً بأقصى قدر من العذوبة والتناغم».

«آه، لا، من جديد يعود ذلك الجدال! ولم يقدر لأحد حسمه قط، وليس بمقدوري تصور أننا نحن أهل هذا العصر المتأخر يمكننا أن نساهم بالمزيد في ذلك أيضاً. أما فيما يتعلق بالمقامات والمقطوعات الموسيقية، فالأمر صحيح إذ أن مقام ريتشي يأتي في المرتبة الثانية ولذا فإنني أحسب أنك محق[2]. وعلى الرغم من ذلك فإنني أتساءل. هذه الأيام غالباً ما يجعل جلالة الامبراطور هذا النبيل أو ذاك ممن اشتهروا بالمهارة يعزف له، ولكن قلة منهم هم الذين يصلون إلى هذه المرتبة من الجودة، وربما لم يعرف المعلمون العظام الذين يقتدي هؤلاء بهم ذلك القدر بدورهم. وإنني لأشك في أن عزفهم سيميزهم على نحو خاص، حتى لو شاركوا النسوة الخبيرات حقاً في العزف. يا له من عار! لابد أنني قد فقدت حدة سمعي من العيش في تقاعد طويلاً للغاية! كم هو غريب أن الجميع هنا أحرز مثل هذا النجاح في كل لون من ألوان الترفيه! إنني أتساءل كيف حقاً يضاهين بكل هؤلاء الناس الذين يُختارون كعازفين خبراء للعزف في القصر!».

ردَّ القائد: «كنت أقصد الوصول إلى ذلك ولكنني حدَّثت نفسي بأنه قد يكون تجاوزاً

(1) يشير شرح معتمد على «سفر الأناشيد» إلى أن: «المرأة تشعر بيانع روح الربيع وتحن إلى الرجل، والرجل يحس بين روح الخريف ويتوق إلى المرأة».

(2) ريتشي، وهو مقام ياباني، كان يرتبط بصورة عامة بالخريف. وكان مقام رايو، وهو من الصين، يرتبط بالربيع. ورايو هو المقام السائد في مخزون أغاني السايبارا الشعبية.

منـي أن أتحـدث بما في ذهني بينما معرفتي محدودة للغاية. وليس لي رأي حقاً في معلمي الماضـي، وربما كان هذا هو السـر في أن واجون مراقب حراسـة البوابـة وبيوا معالي وزير الحرب[1] قد بديا لي على الدوام أعجوبتين من أعاجيب الزمن الراهن. ومن المؤكد أنهما لا نظيـر لهما، ولكن الموسـيقى التي سـمعتها هنا الليلـة متميزة بالقدر ذاتـه. وربما كل ما فـي الأمر أنني كنت عصبياً، لأنني افترضت أن هذا الحفل سـيكون حفلاً عرضياً، وبالتالي لـم أكن مسـتعداً لـه، ولكنني وجدت أن مـن قبيل التحـدي التغني بالأنغـام. وفي معرض الحديث عن الواجون فإن سـعادة المراقب يعـد أعجوبة لأنه هو وحده الذي يمكنه تعديل طبقة الأنغام كيفما طاب له، بحسب وحي اللحظة، ولكن على الرغم من أن هذه الآلة نادراً ما تبرز حقاً فإنها في هذا المساء كانت مؤثرة في النفس حقاً».

ابتسم جينجي ابتسامة متواطئة، وقال: «آه، دعك من ذلك، إنها لـم تكن على ذلك القدر من الجودة. إنني على يقين من أنك تقول ذلك في معرض المجاملة فحسب. وعلى الرغم من ذلك فإنني أوافق على أنهن لسن بالتلميذات السيئات. وليس بمقدوري التعقيب بصورة جيـدة للغايـة على البيـوا، بالطبع، ولكن حتى بالنسـبة لهذه الآلة فإنني علـى يقين من أنني أحدثت فارقاً. فعزفها أدهشـني كثيراً عندما سـمعته لأول مرة في تلك البقعة غير المنتظرة، ولكنها تحسنت بصورة هائلة منذ ذلك الحين». جعلت الطريقة التي يتلقى بها نسبة الفضل إليه الوصيفات يتبادلن نظرات مختلسة وتجذب إحداهن كم رداء الأخرى.

«مـا إن تبدأ في دراسـة فن مـا، كائناً ما كان هذا الفن، حتى يتبيـن أنه لا حدود لما يتعين تعلمه، ولن يقدّر لك البتة أن تتمكن منه بما يكفي من الجودة حقاً لكي تدخل السرور على نفسـك. وعلـى أي حال فلا بأس بذلك أ ففي نهاية المطاف قلة مـن الناس، هذه الأيام، هي التي تمضي عميقاً أو بعيداً إلى درجة أن أي أحد ممن وصل إلى مرتبة يُعتد بها في هذا الفن علـى الإطلاق يشـعر بالفخر لوصوله إلى هـذه الجودة، والكين بصفة خاصة آلة موسـيقية تقتضي براعة بصورة خاصة. وأولئك الذين اسـتطاعوا في الماضي العزف عليها حقاً على نحـو مـا ينبغي للعزف أن يكون فتنوا السـماء والأرض، واسـترضوا الآلهة والشـياطين[2]،

(1) كاشيواجي وهوتارو.

(2) هذه القوى، المتناغمة مع الشعر (أوتا، «أنشودة») في المقدمة اليابانية لكوكينشو، كانت تُعزى بالفعل بصفة عامة إلى الشعر والموسيقى في الصين.

واجتذبت موسيقاهم موسيقى الآخرين جميعاً معها إلى أن ابتهج من ضاعوا في رحاب الحزن، وارتفاع الفقراء والمتواضعين إلى عليين مثقلين بالكنوز، ومتلقين التكريم من الدنيا بأسرها. لقد حدث ذلك غالباً. وإلى أن بدأ تعليمها في بلادنا فإن من كانوا ينشدونها أمضوا سنوات عديدة في أراض أجنبية من دون أن يفكروا في أنفسهم وحتى عندئذ، وعلى الرغم من كل ما تكبدوه من متاعب، فقد كانوا يجدون من المتعذر تملك ناصيتها[1]. نعم من الجلي أنها تحرك القمر والنجوم في السماء، وتجلب الصقيع والثلج في غير موسمهما، وتثير حشداً من السحب والبرق على نحو ما تشهد أمثلة عديدة من الأزمنة الباكرة. وكل من يتعلمها هو كنز، ولكنني أحسب أن مرد الأمر هو إلى ذلك العصر المتأخر، لأنه أين يوجد أي أثر لتلك الأيام الخوالي الآن؟ ربما كانت الطريقة التي استقطبت بها آذان الآلهة والشياطين وجعلتها تحن إلى سماعها هي السبب في أنه ما إن يبدأ الناس في تعلمها حتى منتصف الطريق فحسب ومن دون الوصول إلى مكانة تذكر في عزفها، حتى تكتسب صيتاً قوامه أنها لا تفيد من يعزفونها وأنها مضجرة بشكل عام. إنني أدرك أنه ما من أحد يدرسها الآن. وذلك أمر مؤسف للغاية. ترى أي آلة أخرى تساعد المرء على التعلم بهذه الجودة وضبط السلم الموسيقي؟ نعم، في دنيانا هذه، حيث يبدو أن كل شيء يمضي من سيء إلى أسوأ فإنه لاشك في أن المرء يكون غريباً وخارجاً عن المألوف لدى مغادرته عائلته والمضي ليجوب أرجاء كوما وكاثاي[2]. لم لا يحرز على الأقل معرفة عامة بالآلة الموسيقية؟ ليست هناك نهاية للتحدي الذي يفرضه حتى مقام موسيقى واحد. في الأيام التي كنت حريصاً خلالها للغاية على تعلم كل المقامات وكل المقطوعات المعقدة، بحثت عن كل مقطوعة موسيقية وصلت إلى هذه البلاد، إلى أن لم يبق أحد يمكنني أن أتعلم منه، ولكن على الرغم من ذلك فإنني على يقين من أنني لا أعزف عزفاً جيداً على نحو ما اعتاد الناس، وإنه لعار عظيم أنه ليس هناك من يواصل السير في هذا الدرب من بعدي». أحس القائد بأنه مقصر وغير مؤهل لذلك تماماً.

---

(1) في «حكاية الشجرة الجوفاء» المنتمية إلى القرن العاشر، قطع توشيكاجي الطريق كله إلى بلاد فارس لكي يتعلم أسرار آلة الكين.

(2) شأن توشيكاجي في «حكاية الشجرة الجوفاء»، فإن «كاثاي» (موركوشي) لا تتضمن هنا الصين وحدها، وإنما وسط آسيا، بل والشرق الأدنى.

«لو أن أياً من أمراء جلالة الامبراطور كبر على نحو ما آمل، فإنني أتطلع إلى إعطائه كل ما لديّ من معرفة بسيطة عندما يشتد عوده بما يكفي لذلك، وشريطة أن أفلح أنا نفسي في البقاء حتى ذلك الحين. والأمير الثاني يظهر بالفعل مؤشراً واعداً في هذا الاتجاه». حيال ذلك بكت أكاشي بفخر واعتزاز.

قدمت الزوجة آلة السونوكوتو الخاصة بها إلى سيدة الجناح الشرقي ورقدت، ووضعت تلك السيدة الواجون أمام جينجي، وعندئذ أصبحت الموسيقى أقل اتساماً بالطابع الرسمي، وكان عزفهم لمقطوعة «كازوراكي» عزفاً ملهماً على نحو بهيج نقل صوت جينجي فتنة سعيدة تستعصي على التعبير، وهو يغني الكلمات مجدداً. وعلا القمر تدريجياً، وكان بمقدور المرء الاستمتاع بالمشهد كذلك جنباً إلى جنب عبق البراعم. كان ذلك جميلاً للغاية.

كانت لمسة الزوجة على آلة السونوكوتو عذبة على نحو مسكر، بنغمة ذات سن عميقة ووضوح رائع للنغمة ذكّر المرء بأمها، لكن عزف من أعقبتها ترك انطباعاً مختلفاً، إذ تمتع تألقه الهادئ بجاذبية مسكرة، ومنحت زخرفتها ذاتها موسيقاها لمسة من التمكن الخالص. وبدت مقدمة الريتشي التي أعقبت تغيير المقام[1] جديدة جذابة، ولم يكن هناك شيء على الإطلاق يناهز صوت آلة الكين الخاصة بسمو الأميرة الثالثة، الذي تردد بجلاء بالغ[2]. وبات المقام يناسب الربيع أو الخريف أو أي فصل آخر، وأوضحت الطريقة التي حرصت بها على التكيف معه، تماماً كما كان قد علمها أن تفعل، مدى دقة فهمها له. كان جميلاً للغاية وقد أحس بالفخر بها.

حدَّث جينجي نفسه بأن الصبيين كانا لطيفين، لأنهما عزفا عزفاً جميلاً، وبإخلاص شديد أيضاً. فقال: «لابد أنكما تشعران بالنعاس يداهمكما. وقد حسبت أننا سنحظى بالقليل من الموسيقى هذا المساء، ولم أقصد أن يستمر الحفل طويلاً للغاية هكذا، ولكنه كان من العار إيقافه، وبينما حاولت بأذني اللتين فقدتا حدة سمعهما أن أحدِّد أي آلة

(1) انتقال من مقام رايو إلى ريتشي، وهو تحول مألوف في الجاجاكو.

(2) يصف الأصل فضائل عزف أونا سان نو ميا بتفصيل فني أكبر، ولكن معنى الاصطلاحات المستخدمة ليس مفهوماً بصورة واضحة.

موسيقية أحببتها أكثر من غيرها تأخر الوقت للغاية، وأنا آسف على ذلك». قدم للصبي الذي عزف على الشو كأساً مما تحتسى الخمر بها، وخلع عليه ثوباً من أثوابه الخاصة. أما الذي عزف على الناي فحصل على ثوب طويل، مزخرف بالأشكال وسروال- هدية رمزية يواكبها الحرص[1]- من سيدة الدار[2]، بينما بعثت سمو الأميرة الثالثة كأس خمر للقائد وأهدته طاقماً كاملاً من الملابس النسائية.

احتج جينجي قائلاً: «ما هذا؟ ينبغي أن تكرمي معلمك أولاً! إنني مصدوم!»، وعندئذ قُدِّم له ناي من وراء الستارة القائمة التي تحجب سمو الأميرة الثالثة، فأخذه باسماً. وكان نايـاً جميلاً للغاية من كوما[3]. وعزف عليه قليلاً، وبدأ الجميع في مغادرة المكان، ولكن عندئذ توقف القائد، والتقط الناي الذي كان ابنه يعزف عليه، واستل منه أنغاماً بالغة الروعة إلى حد أن جينجي أدرك مدى النجاح المميز الذي تُوِّج به تعليمه لكل منهم، وهنأ نفسه على روعة إنجازه.

جعل القائد الصبيين يستقلان عربته، وانطلق تحت قمر رائق. كان لا يزال يسمع في الطريق، بعد واجون تلك السيدة، آلة السونوكوتو الرائعة الخاصة بها، وفكَّر فيها بمزيد من الحنين. كانت زوجته قد تلقت تعليمها من سمو جدتها[4]، ولكنها انتزعت قبل أن تحمل الثمرة حقاً، حتى إنها لم تكن تستطيع العزف بثقة، وكانت أكثر شعوراً بالحرج من أن تعزف على الإطلاق في حضرته. وبدلاً من ذلك حافظت على جو من البراءة المجردة من الحذق، ولم تترك لنفسها وقتاً إلا لرعاية طفل بعد آخر، وبدا له أنها تفتقر إلى أي اهتمام على الاطلاق. وكانت في أكثر لحظاتها إثارة للاهتمام لدى شعورها بالغيرة أو بالغضب.

مضى جينجي إلى الجناح الشرقي، بينما مكثت سيدة هذا الجناح تتجاذب أطراف الحديث مع سمو الأميرة الثالثة، ولم تعد إلا بعد انبلاج الفجر، وأغفيا إلى أن أوغلت الشمس في مسيرتها عالية في السماء. أشار جينجي بقوله: «إنه لأمر ملحوظ كيف تعزف سمو الأميرة جيداً على الكين. أليس كذلك!. كيف بدا لك عزفها؟».

---

(1) ربما كان ابن يوجيري أصغر سناً من ابن هيجيكوري، ومن هناك فإنه يحصل على هدية أقل قيمة.

(2) ربما كانت موراساكي.

(3) ناي ذو ست فتحات أصغر وأرفع قليلاً من اليوكوبوي الياباني.

(4) أوميا، جدة كوموي نو كاري من جهة أبيها.

«لقد تساءلت بشأنها عندما سمعتها تعزف لأول مرة هناك، لكنها أصبحت جيدة جداً. كيف كان يمكن أن تفشل فيما كنت تمنح وقتك كله لدروسها؟».

«أنت محقة تماماً، وأحسب أنني لست بالمدرس السيء بالنسبة لإحراز التقدم خطوة أخرى. وأنا لم أعلم الأخريات العزف على الكين لأنه متطلب للغاية وحافل بالمزالق ويستغرق وقتاً طويلاً للغاية، ولكن أزعجني أن أسمع أن نيافته المترهبن وجلالة الامبراطور كليهما قد افترضا أنني ينبغي على الأقل أن أكون عاكفاً على تعليمها العزف على الكين، ولذا فقد عقدت العزم على القيام بذلك عى أي حال، إذ إن نيافته قد منحني شرف القيام برعايتها في المقام الأول.

مضى يفصِّل القول في هذا الصدد: «لم أعطك دروساً هادئة قط في الأيام الخوالي، عندما كنت صغيرة وكنت أقوم برعايتك، لأنني لم أملك رفاهية القيام بذلك، وأبقاني شيء بعد الآخر منشغلاً أخيراً كذلك، ولم أتوقف لسماعك تعزفين قط، وهو ما قمت به على نحو جميل للغاية في العزف الجماعي، مما جعلني فخوراً بك. وبدا التعبير الذي ارتسم على محيا القائد كما لو أنه لا يستطيع استيعابه، وقد جعلني ذلك سعيداً ومسروراً للغاية أيضاً».

بإنجازات كهذه وبالتمكن الذي رعت به أطفال جلالة الامبراطور كانت مكللة بالنجاح في كل الجوانب، إلى درجة أنه حتى جينجي خاف عليها، متذكراً أمثلة الأخريات، الكاملات بصورة مماثلة، اللواتي لم يطل عمرهن، إذ إنها كانت بالغة الندرة، سيدة ظلت في كل شيء بعيدة عن اللوم أو الاعتراض التافه. وأقنعته خبرته العريضة بالنساء بأن كل صفاتها جعلتها لا تُضاهى. وكانت في السابعة والثلاثين من عمرها هذا العام[1].

تذكر بإعزاز السنوات التي أمضياها معاً،وقال: «عليك بالحرص بصفة خاصة هذا العام، وعليك بأن تأمري بأداء المزيد من الصلوات الضرورية على نحو يفوق المعتاد. يشغلني الكثير من الأمور مما يجعلني أنسى الأشياء في بعض الأوقات، ولكن أرجو أن تفكري أنت نفسك في الأمر، وإذا كنت تخططين لأي شيء كبير، فسوف أقوم برعايته بالطبع. كم

(1) ماتت فوجيتسوبو وهي في السابعة والثلاثين من عمرها، وهي مرحلة عمرية كان من المعتقد أنها خطيرة بصفة خاصة بالنسبة للمرأة.

هو مؤسف أن نيافته[1] لم يعد معنا. لقد كان ممن يوثق بهم في أمور من هذا القبيل».

واصل حديثه: «فيما يتعلق بي، فقد كبرت منذ شبابي المبكر وسط عظمة لم يعرفها الآخرون قط، وفي الوقت الراهن فإنني أتمتع بتكريم نادراً ما عُرف من قبل. وعلى الرغم من ذلك فقد رأيت أيضاً مأساة تفوق ما شهده معظم الناس. فأولاً فقدت أناساً أحببتهم، ثم بعد كل هذه السنين، وبعد أن عشت من بعدهم، لا تزال لديَّ أسباب عديدة للحزن والأسف. وجلبت عليَّ أسوأ تجاوزاتي بؤساً لا حدود له، كما عانيت الكثير من خيبات الأمل، الأمر الذي يشير إلى أن مكافأتي ربما بقيت حية حتى اليوم، أي أطول بكثير مما توقعت. وعلى الرغم من ذلك فإنه بالنسبة لك يبدو لي أنه بخلاف الوقت الذي انفصلنا فيه لم يكن هناك إلا القليل، سواء قبل ذلك أو بعده، مما سبب التعاسة حقاً. وأعظم سيدة في البلاد، وصولاً إلى الامبراطورة، من المؤكد أن لديها سبباً يدعوها إلى القلق، فالمرء لا يشعر بالارتياح قط وسط صحبة رفيعة القدر، حيث روح التنافس مصدر عذاب دائم، ولكنك عشت دائماً مع أبيك، إن صح التعبير، وعانيت من هذا أقل من أي شخص آخر. هل ترين كيف أنك بذلك المعنى كنت محظوظة أكثر من الآخرين؟ إنني على يقين أنه كان أمراً صعباً بالنسبة لك أن تجدي سمو الأميرة تصل إلى هنا فجأة، ولكن بما أن الأمر يؤثر عليك بصورة مباشرة، فليس ممكناً أنك لم تلاحظي كيف أنني أصبحت أكثر إخلاصاً لك منذ قدومها. ولابد أنك أنت التي تفهمين الكثير للغاية من الأمور قد أدركت ذلك».

ردت قائلة: «كما تقول، فإنني أتوقع أنه بالنسبة للآخرين فإنني يبدو أنني أتمتع بحظوة تتجاوز ما أستحق، ولكن الآن دخل حياتي من الحزن أكثر مما يمكنني أن أطيق، وذلك هو ما ألهم كل صلواتي»[2]. بدا أن لديها الكثير من ذلك بكثير مما ترغب في قوله، ولكنها أكثر خجلاً من أن تفصح عنه. أضافت: «على الرغم من ذلك فإنني أشعر جدياً بأنني لم يبق لي إلا وقت محدود، وتقلقني كثيراً فكرة قضاء هذا العام أيضاً متظاهرة بخلاف ذلك. إذا تفضلت لطفاً بالسماح لي بما طلبته ذات مرة..»[3].

---

(1) عم والد موراساكي.

(2) المقطع الأخير من هذه الجملة غير مرض في الأصل، وربما أصابه التلف.

(3) أن تصبح راهبة.

«أقـول لك إن ذلـك محال. ما الذي سـتعنيه حياتي من دونك؟ لقـد كانت أعظم فرحة لي طوال كل هذه السـنين على الدوام أن أكون معك ليلاً ونهاراً. إن ما أستشـعره نحوك هو شيء غير عادي. أرجو أن تتقبلي إخلاصي حتى النهاية».

كان ذلك هو ما قاله، الأمر الذي أزعجها، إذ إنها كانت قد سـمعت ذلك من قبل، وفي غضـون ذلـك تأثر برؤية عينيها وقـد امتلأتا بالدموع، فواصل الحديـث لكي يصرف ذهنها إلى أمور أخرى.

«لست أعرف عدداً كبيراً من النساء، ولكن كلما تعلمت أن كل أمرأة لديها ما تقوله عن نفسـها، اضطررت إلى اسـتنتاج أن المرأة الهادئة والمعتدلة تماماً هي شـيء شديد الندرة. وقـد أقمـت مع أم القائد عندما كنت في مقتبل العمر، ولكن الأمور لم تسـر على نحو جيد قـط، على الرغم من أنها عنت الكثير دوماً بالنسـبة لي، والآن أحس بالأسـف عليها وعلى نفسي معاً لنهاية الأمر بيننا ونحن متباعدان، وإن لم يكن مرد ذلك إلى أنني شخصياً أعتقد أنني المخطئ في هذا الصدد، كل ما هنالك أنها كانت صارمة على نحو لا يسمح بالاقتراب منها، تثير الإعجاب من بعيد، حسبما يمكن للمرء أن يقول، ولكنها صعبة المراس حقاً في غمار الصلة الحميمية بها.

«تـرد إلى الذهـن الملاذ والدة جلالة الامبراطورة باعتبارها سـيدة ذات بهاء وعمق غير معتادين، ولكن صحبتها كانت مرهقة على نحو مؤلم. وأنا أوافق على أنها كان لديها سبب يدعوهـا للغضـب منـي. ولكن الطريقـة التي أمعنت بهـا التفكير في الأمر علـى نحو يدعو للاكتئاب وبأسـى مريـر جعلت الأمور كريهة للغاية. وكان هناك شـيء بالـغ الازعاج فيما يتعلق بها إلى حد أنني لم أستطع قط الاستمتاع معها بالجوانب اليومية الحميمية في الحياة، ولـم أسـتطع التخلي عن حذري معهـا قط، خوفاً مـن أن يثير الابتعاد عن الطابع الرسـمي ازدراءها، وهكذا فإننا سـرعان ما ابتعد أحدنا عن الآخر. وقد أسـفت لأساها عندما مستها الفضيحـة، وانعكس ذلك على سـمعتها، وفي حقيقـة الأمر أنه أخذاً فـي الاعتبار بهويتها، فقد أحسسـت في نهاية المطاف بأن اللوم يقع على كاهلي، ولكن لكي أعوضها عما حاق بها،حرصت على التأكد من أن ابنتها سيعلو شأنها لتغدو امبراطورة، على الرغم من أنه كان مقدراً لها ذلك على أي حال، متجاهلاً في غمار ذلك الكثير من القدح والضيق، وأنا أتوقع

أنها الآن في عالم ما بعد الحياة أصبحت تحسن الظن بي. والتسليات العابرة تتضمن دوماً مخاطر جسيمة وعواقب مؤلمة».

شيئاً فشيئاً تناول النساء اللواتي عرفهن في ماضيه: «في البداية تعاليت على أم زوجة جلالة الامبراطور المنتمية إلى دارنا باعتبارها لا تليق بي، وافترضت أنها تسلية عابرة، ولكن فؤادها هوة لا يسبر لها غور، وتتمتع بأعماق تستعصي على القياس، وهي على السطح تستسلم وتبدو معتدلة، ولكنها في أعماقها تُضمر كبرياء شامخة إلى حد يدخل الرهبة في النفوس».

«لست أعرف الأخريات لأنني لم ألتقهن قط، ولكنني بالطبع رأيتها بين الحين والآخر، وإن لم يكن ذلك لوقت طويل قط، وهناك شيء يوحي بالتقشف بوضوح فيما يتعلق بها، ويدخل الرهبة في النفوس، وانا أكره تصور كيف تبدو سيدة ساذجة مثلي بالنسبة لها، وآمل فحسب أن زوجة الامبراطور المنتمية إلى دارنا هي من الطيبة بما يكفي لكي تتجاهل ضروب تقصيري في نهاية المطاف».

تأثر جينجي كثيراً، وفكَّر في أنها هي التي تضايقت بشدة في وقت من الأوقات من هذه السيدة أصبحت الآن، بدافع من الإخلاص الخالص لزوجة جلالة الامبراطور تسمح لها بالانخراط في حياتها،وقال: «إنك لا تخلين من جوانبك المعتمة»[1]، ولكن من قبيل الأعجوبة الكيفية التي تجيدين بها مواءمة مشاعرك مع الشخص والظرف. ولقد عرفت الكثير من النساء، ولكنني لم أعرف مثيلاً لك. وعلى الرغم من ذلك فهناك ذلك الشيء الواحد المتعلق بك». وابتسم.

قرابة المساء مضى إلى سمو الأميرة الثالثة. قال: «لابد لي من أن أعلمها كم كنت مسروراً بعزفها».

لم يكن قد خطر ببال سمو الأميرة قط أن أي إنسان يمكن أن يكرهها، ومضت تكرِّس نفسها مثلما طفلة للعزف على الكين. قال: «آمل أنك ستسمحين لي الآن ببعض الوقت بعيداً عن دروسنا. ولابد أن تعطي مدرسك استراحة، وقد كانت لعملك كله ثمرته، ولم

(1) «الجوانب المعتمة» (كوما) تشير إلى لمسة الغيرة عند موراساكي.

يعد هناك ما يدعوني للقلق عليك. ونحَّى آلتيهما الموسيقيتين جانباً، ودلف إلى الفراش.

كالمعتاد في الليالي التي يقضيها بعيداً، جلست السيدة المقيمة في جناحه الشرقي مستيقظة حتى وقت متأخر من الليل، وجعلت وصيفاتها يقرأن لها حكاياتها. وهذه القصص القديمة كلها تدور حول ما يحدث في الحياة، وحدَّثت نفسها: إنها مليئة بالنساء اللواتي لهن صلات برجال متقلبين، شهوانيين وغدارين وما إلى ذلك، ولكن كل مرأة منهن تحقق ذاتها في نهاية المطاف، حسبما يبدو. كم هي غريبة الحياة غير الآمنة التي عشتها! نعم، صحيح، على نحو ما قال إنني قد استمتعت بحظ أفضل من معظم النساء، ولكن هل سأنهي أيامي مثقلة بألوان البؤس هذه التي وجدتها النسوة الأخريات أيضاً مقيتة ولا سبيل إلى احتمالها؟ آه، الأمر صعب للغاية! دلفت إلى الفراش في وقت متأخر للغاية، واستيقظت مع إطلالة الفجر، وبدأت تعاني من آلام في الصدر، بذلت وصيفاتها ما في وسعهن للعناية بها، وتساءلن: «هل نبلغ سمو الامبراطور الفخري؟». ولكنها أبت ذلك، واحتملت معاناتها إلى أن أقبل الليل، وغدت محمومة، وأحست بالمرض يثقل عليها تماماً، ولكن ما من أحد أبلغ جينجي بذلك، طالما أنه لم يحضر من تلقاء نفسه.

تلقى مبعوث من زوجة جلالة الامبراطور رداً مفاده أن السيدة ليست على ما يرام، وعندئذ أبلغت جينجي بالأمر، فأسرع مصدوماً عائداً إلى الدار، ليجدها وقد اشتد بها المرض على نحو جلي. سألها واضعاً يده على جبينها: «كيف تشعرين؟». كانت تتقد بفعل الحمى، وتذكَّر بفزع تحذيرها، أخيراً فيما يتعلق بالحذر الذي ينبغي أن تلزمه. قُدم طعام الإفطار، لكنه لم يلق عليه مجرد نظرة عابرة، ومكث إلى جوارها طوال اليوم يرعاها ويتنهد. وعلى امتداد أيام ظلت ترفض تناول أي طعام إلى أن لم يعد بمقدورها الجلوس. فاستبد اليأس والقلق بجينجي حيال ما يمكن أن يكون قد حل بها، وأمر بالبدء في إقامة صلوات لا حصر لها، واستدعى الكهنة لأداء الطقوس الشافية، وبدا أن معاناتها لا تُطاق، إذ كانت تتألم في كل موضع من جسمها، وفي بعض الأحيان كانت تحس بانقباضات رهيبة في الصدر. ولم تجد طقوس توبة لا حصر لها نفعاً على الاطلاق. وأخطر الأمراض تترك مجالاً للأمل طالما بقيت إمكانية للشفاء، ولكن بقدر ما كان يمكن لجينجي أن يرى فإنها لم تكن تحس إلا بالخوف واليأس. وكان أكثر انشغالاً بكثير من أن يفكر في أي شيء

آخـر، ولـم يعد هناك مزيد من الحديث عن الاحتفال بمناسـبة نيافته سـوزاكو. وانتزع خبر مرضها العديد من التعبيرات عن القلق من نيافته، الذي بعث إليها بالعديد من الرسائل.

انقضى الشهر الثاني، وظلت حالتها كعهدها. وخلص جينجي في غمار أسى لا سبيل إلى الإفصاح عنه إلى أن القيام بتغيير ما قد يكون مفيداً لها، فنقلها إلى نيجو، وساد الاضطراب ضيعـة روكوجـو، وغمر الحزن عدداً كبيـراً من الناس، وأحزن الخبـر نيافته رايزي كذلك. وكرّس القائد نفسـه للعناية بها، لأنه كان يعرف أنها إذا قُدِّر لها أن تموت فإن أباه سـيمضي قدماً وفق رغبته التي طال بها العهد في الرحيل عن الدنيا. وإلى جانب الطقس العظيم الذي كان يؤدي بالفعل، كلف من يؤدي طقساً آخر نيابة عنه.

فـي لحظات الصفاء لم تكـن تتحدث إلا لتلومه قائلة: «إنك بالغ القسـوة بحرمانك لي مما أطلبه!». ولكن بالنسبة لجينجي فإن الحزن والألم النابعين من رؤيتها في لحظة واحدة بعينيه ذاتيهما وقد ارتدت برغبتها مسوح التخلي عن الدنيا، بدلاً من الافتراق عنها في نهاية الحياة، سـيكونان أكثر مما يطيق احتماله. قال: «هذا هو بالضبط ما تقت دوماً إلى القيام به، ولكن القلق حيال الشـعور الذي سـينتابك لدى تركك وحيدة هو الذي منعني على الدوام. أتقصديـن القـول إنك الآن سـتتخلين عني؟». كان هذا هو رده الوحيـد، وفي غضون ذلك أخذ منها الضعف البالغ على نحو ينذر بالخطر إلى حدّ بدا معه أنها ستفارق الحياة عاجلاً. وفي غمار حيرته لم يدر ماذا عساه يفعل، لم يستغرق حتى لحظة واحدة لزيارة سمو الأميرة الثالثة. ووضعت آلاته الموسيقية، التي لم تعد تعني له شيئاً، جانباً جميعها، في حين تجمع العاملـون لديـه جميعاً في نيجو، تاركين روكوجو خاوياً، كما لو كان نوره قد خبا. وحدهن السـيدات اللواتي يقمن هناك مكثن به، ولكن الجميع سـاوره شعور بأنها هي وحدها التي تجعل المكان ما كان عليه.

أقبلـت زوجة جلالة الامبراطـور، وعكفت هي وجينجي علـى تمريضها، فأفلحت في القول رغم ألمها: «إنك في وضع غير معتاد، والأرواح خطيرة للغاية! أرجو أن تعودي إلى جلالـة الامبراطور تواً!». بكت بمرارة عندما رأت الأميرة الصغيرة العزيزة[1] إلى جوارها، وقالت: «لكم يؤلمني أن أفكِّر في أنني لن أراك وأنت تكبرين! إنني أعلم أنك سوف تنسين

(1) واكاميا، ربما كانت الفتاة التي وضعت تحت رعاية موراساكي.

كل ما يتعلق بي». انسابت دموع الحزن من عيني زوجة جلالة الامبراطور.

حذَّرها جينجي: «انتبهي إلى ما تقولين! أرجو ألا تفكري في مثل هذه الأمور! وفضلاً عن ذلك فإنك لست مريضة إلى هذا الحد. والفؤاد يقرِّر ما الذي سيحدث لنا. والذين يتمتعون بقلوب كبيرة يحظون بطالع سعيد للغاية! والأمر كذلك بالنسبة لمخلوعي الفؤاد، ومن يعلو شأنهم لا يعرفون من السلام إلا قليلاً، والمتهورون لا يبقون طويلاً، ومن تتسم قلوبهم بالاعتدال يحتمل أن يتحملوا». وأعلن أمام البوذات والآلهة أنها تنتمي إلى طبيعة نادرة وأن خطاياها لا ثقل لها.

أدى المحنكون الطقس العظيم، وتأثر بعمق الكهنة في المناوبة الليلية وكل الكهنة المقدسين، الذين كانوا هناك في خدمتها، بهذا الدليل على معاناته، ودعوا لها بقوة. في بعض الأحيان كانت تتحسن حالتها قليلاً خمسة أيام أو ستة، لا لشيء إلا لتتردى مجدداً إلى حد العذاب، واستمر هذا شهراً بعد آخر. ما الذي سيؤول إليه مصيرها؟ هكذا راح جينجي يتأوه. ربما لن يقدر لها التحسن قط! لم تتقدم روح لتدلي بدلوها، ولم يكن جزء محدد منها في حالة ألم، وإنما كانت ببساطة تغدو ضعيفة بشكل أكبر يوماً بعد آخر على نحو جلي إلى أوشك أن يجن، واستبد به الحزن واليأس.

آه، نعم، الآن غدا مراقب حراسة البوابة مستشاراً[1]. وكان في حقيقة الأمر رجل الساعة، فقد تمتع في هذا العهد بثقة جلالة الامبراطور كاملة. غير أنه كان لا يزال يثقل على كاهله عدم حصوله على ما يرغب فيه ، وذلك على الرغم من شهرته المحلقة، ومن هنا فقد أحرز الأخت الثانية الأكبر من سمو الأميرة الثالثة، وهي الأميرة الثانية. وقد نظر إليها باستخفاف إلى حد ما، ذلك أن أمها كانت خليلة محدودة المرتبة. وقد كان لها في شخصها ما يعلو بها كثيراً عن بعض الأخريات، ولكن افتتانه القديم ظل يسري عميقاً، وكان أساه شبيهاً بأسى جبل أوباسوتي[2]، وذلك على الرغم من أنه حرص على ألا يفصح عنه أبداً في غمار سلوكه.

لا، لم ينس قط حنينه المكتوم، والمرأة التي توجه إليها ينشد العون كانت كوجيجو، ابنة

---

(1) أصبح الآن يشغل هذا المنصب بالتوازي مع منصب مراقب حراسة بوابة الميمنة.

(2) كوكينشو 878: «يمتلئ فؤادي حزناً، عند ساراشينا، عندما أرى القمر يتألق على جبل أوباسوتي».

جيجو، مربية سمو الأميرة الثالثة[1].

ولما كانت الأخت الكبرى لجيجو هي مربيته فقد سمع بسمو الأمير الثالثة على امتداد وقت طويل بطريقة مألوفة وهادئة. ومنذ طفولته امتلأ سمعه بقصص عن كم كانت جميلة وإلى أي حد أحبها أبوها حباً جماً، وكانت تلك هي الكيفية التي جاءه التفكير بها في المقام الأول. وخمَّن أن الدار ستكون خاوية وشبه مهجورة الآن فيما جينجي بعيد عنها، فمضى يستدعي كوجيجو لرؤيته بين الحين والآخر، وعمل بقوة وإصرار على استقطابها.

مضى يقول لها: «حدَّثت نفسي، منذ وقت طويل، بأنني سأموت من جراء حبها، والألم يستبد بي لأنه ما من شيء جاء من خلال الصلة التي وفرتها لي معها، باستثناء حصولي على أخبار عنها وتمكني من التأكد من أنها تسمع عن إخلاصي الأبدي لها. وحتى نيافته المترهبن يبدو أنه قد أصيب بخيبة الأمل لمعرفته بأنه بقدر ما يمكن للمرء تحديده فإن ارتباطات سمو الامبراطور الفخري الأخرى قد عنت أنها قد كسفها بهاء غيرها، بحيث إنها ترقد وحيدة ليلة إثر أخرى، وليس لديها إلا القليل مما يملأ فراغ أيامها. وأنا أدرك أنه يقول إنه طالما أنه كان يقصد الاستقرار على اختيار أحد العامة والذي يستطيع العناية بها على الوجه اللائق، فقد كان حرياً به أن يختار من يقوم بهذه المهمة على نحو جيد.

«بالحكم مما يتناهى إلى سمعي، فإن الأميرة الثانية أسعد حالاً بالفعل وأمامها مستقبل أكثر ثباتاً». هكذا أشار بقوله، ويمكنك تصور مدى أساه عندما سمعت بذلك. نعم، أبوهما واحد، هاتان الاثنتان، ولكن أي فارق كبير يفصلهما! ندت عنه تنهيدة مثقلة.

ابتسمت كوجيجو قائلة: «هلم الآن، يا سيدي، لقد مضيت بالأمر بعيداً للغاية! لديك أميرته الثانية. ما الذي تريده أكثر من ذلك؟».

ابتسم بدوره وقال: «تلك هي جلية الأمر بالتحديد. عندما سمحت لنفسي بالإعراب عن اهتمامي بها، وجدني كل من نيافته وجلالة الامبراطور مقبولاً. وذات مرة سعد نيافته بالقول: «لم لا نجعله يقوم على خدمتها؟». لو أنه كان أكثر كرماً بقليل معي..».

«لكن ذلك مستحيل، يا سيدي، الأمر يدور حول الكارما الخاص بك، أو أياً كان ما

---

(1) تعني لفظة «جيجو» «الاستشاري» (ربما كان زوج المرأة استشارياً) وتعني لفظة «كوجيجو» «جيجو الصغيرة».

يسـمونه. هـل تخيلت بالفعل أن لك مـن المكانة ما تتحدى به سـمو الامبراطور الفخري، وتتجـاوزه لدى اتصال سـموه بنيافته بشـغف بالغ بشـأن هذا الموضوع؟ لقد بـدأت أخيراً فحسـب في اكتسـاب المزيد من الثقل المحدود وارتداء ملابس ذات ألوان أكثر تأثيراً في النفس»[1].

تحدثت بجفاف وقسوة بالغين إلى حد أنه صرف النظر عما كان يريد قوله: «كفى! كفى! لن أتحدث عن الماضي! عليك فقط التأكد من أنه فيما تستمر هذه الفرصة النادرة ستجدين طريقة لإبلاغها شخصياً بالقليل عن شعوري. هل تعتقدين أنني سأسيء التصرف؟ انظري إليَّ فحسب! إن الفكرة مخيفة للغاية حتى إنها لا تخطر ببال المرء».

دمدمت قائلة: «أي سوء تصرف أكبر يمكن للمرء تخيله؟ إن ما تريده مفزع! لماذا جئت أصلاً؟».

«خففي عنك! خففي عنك! ذلك كثير للغاية! إنك تبالغين، المرء لا يعرف قط ما الذي يتوقعـه فـي مرحلة تالية بين الرجال والنسـاء. ألم تنتهز زوجة امبراطـور أو امبراطورة البتة مثـل هـذه الفرصة؟ ما عليك إذن إلا التفكير في سـمو الأميرة الثالثة! إنها ميسـورة كأفضل مايمكن لأحد أن يكون، ولكن لاشك في أن لديها أحزاناً عديدة تضمرها في قرارة نفسها. لقـد ربَّاها نيافته باهتمـام يفوق اهتمامه بأبنائه الآخرين، ومع ذلك فلابد لها من التعامل مع أنـاس ليسـوا بأنداد لهـا، وأنا على يقين مـن أنها تعاني من إسـاءات إلى كبريائهـا. آه، إنني أسمع بكل ما يتعلق بذلك! لا، الحياة بعيدة عن أن تكون مؤكدة، وأود أن تتقبلي ذلك مرة وللأبد، وأن تكفي عن لومي بهذه الطريقة.

«هكذا فإن بهاء غيرها قد كسفها. هل يعني ذلك أنها يفترض أن تجد أحداً واعداً بشكل أكبر؟ لست أعتقد أنها يمكن أن تصل إلى ما هو أفضل. لقد أعطاها نيافته لسمو الامبراطور الفخـري كما لو كان يُعطيها لوالد، ليوفر لها الحماية، وأفترض أن تلك هي نوعية الشـعور الذي يكنه أحدهما للآخر. إن شكاواك بعيدة عن الإنصاف».

عندئـذ غـدت غاضبـة بحق، وبـذل كل ما في وسـعه لتهدئتهـا. قال: «طيـب، نعم، بما

(1) تمت ترقية كاشيواجي. وهو باعتباره مستشاراً يحظى بالمرتبة الثالثة، الدرجة الدنيا، وينبغي أن يرتدي عباءة رسمية ذات لون أرجواني فاتح.

أنهـا معتـادة على صحبـة رجل لا مثيل له فـي الدنيا، فليس بمقدوري تصورها سـعيدة بأن تكـون علـى صلة حميمية بجلف مثلي يفتقر إلى الجاذبية. ولكن أي ضرر سـيلحق بها من الاستماع إلى كلمة أو اثنتين مني عبر ستائرها الحاجبة؟ ليست خطيئة في نهاية المطاف أن يبوح المرء بما في نفسه للبوذات والآلهة».

أقسـم لها أيماناً مغلظة، وعلى الرغم من احتجاجاتها المتواصلة بأنها لا يمكنها القبول بأي شيء من هذا القبيل، فإن هذه الشابة التي لا تتسم بالعمق بصفة خاصة لم تستطع مقاومة حماسـته المتدفقة، فقالت: «لسوف أفعل ما يمكنني القيام به إذا أتيحت فرصة. هناك نسوة كثيرات حول فراشـها الذي تحيط به السـتائر في الليالي التي يغيب فيها سـمو الامبراطور الفخري بعيداً، والنسوة المسؤولات يقمن على خدمتها قريباً منها دائماً. ولست أدري متى يمكنني انتهاز فرصة كتلك».

عادت إلى سيدتها حائرة على نحو مؤلم.

مضـى يطاردهـا يوماً إثر آخر، إلـى أن أبلغته بأنها قـد وجدت اللحظـة المواتية. وعلى الرغم من أنه ابتهج أشـد الابتهاج، فقد وصل متنكراً تنكراً متقناً[1]. وفي حقيقة الأمر، فقد كان هو نفسـه يعرف حق المعرفة إلى أي حد سـيء كان يمضي في سلوكه، ولـم يخطر بباله قـط أن وجوده قرب سـمو الأميرة قـد لا يؤدي إلا إلى إخراجه عن صوابـه على نحو أكبر، وكان كل ما يعلق عليه الآمال هو أنه قد ينال لمحة أقرب من القوام الذي لـم يكن قد نسـيه قـط منذ تلك الأمسـية الربيعية، عندما لمح لأول مرة أطـراف ثوبها وأنه ما إن يفتح قلبه لها حتى تمنحه في معرض الرد بيتاً من الشعر وترق له.

كان اليوم العاشر من الشهر الرابع قد انقضى لتوه. وتقرر القيام بالتطهير في اليوم التالي، وكانت الوصيفات الاثنتي عشرة، اللواتي تقرر أن يصحبن الكاهنة وكذلك النسوة الأصغر سـناً والفتيات التابعات، مشغولات جميعاً بالحياكة وبإعداد أنفسهن للخروج. وكان هناك عـدد محـدود من النسـوة في المكان، وغمـر الهدوء غرف سـمو الأميرة. وقد اسـتدعيت أزيتشـي، التـي تخدمها بصورة حميميـة، بعيداً على نحو عاجل من قبل زائـر اعتاد زيارتها

(1) هيئته وعربته تتدنيان كثيراً عن مستواه المعتاد.

بصـورة متواتـرة، هـو النقيـب ميناموتو[1]، وفـي غيابها لم تكـن هناك مع سـمو الأميرة إلا كوجيجو. وقد أدركت هذه الأخيرة فرصتها، وفي هدوء أجلسـت المراقب داخل السـرير المحاط بالسـتائر مباشـرة، على الجانب الشـرقي. هل كانت مضطرة حقاً إلى تركه يقترب إلى ذلك الحد؟[2].

كانت سمو الأميرة قد دلفت إلى فراشها للنوم، عندما لمحت رجلاً قريباً وافترضت أنه جينجي، ولكن الرجل رفعها عندئذ بمراعاة من الفراش، وأحست بضيق صدر كما لو كانت تعانـي كابوسـاً. وأخيراً حدَّقت عالياً فيه، ورأت أنه شـخص آخـر، وكان يحادثها، ويبلغها أموراً لا معنى لها! فصرخت مصدومة وخائفة، لكن أحداً لم يأت لأنه لم يكن هناك بقربها من يسـمعها. فمضت ترتجف وقد حل بها الذهول، وانسـاب منها العرق كالماء، فبدت له رقيقة للغاية وقريبة من القلب.

قـال: «إنني أعـرف أنني بلا أهمية تذكر، ولكن هذا بالتأكيد ليس ما أسـتحقه منك. قبل سـنوات بدأت أكن في نفسـي رغبـة وقحة، كنت سـأحترق مرة وللأبد لو أننـي كتمتها في فؤادي، لكنني أبديتها، وسـمع بها نيافته، ولم يعترض عليها بقوة، وهو الأمر الذي منحني أخيـراً أملاً. يا للحسـرة، فقد أحبط افتقاري للأهميـة آنذاك إخلاصاً أعمق من إخلاص أي رجـل، وفـي حين أعرف أن الأوان قـد فات الآن، فإن هذه الفكرة لابـد أنها تملكتني حقاً، ذلك أنه مع مرور الشـهور والسنين انفجرت بمزيد من الأسف والمرارة والخوف والحب عما يمكنني احتماله، وهذا هو السر في أنني قد تجاسرت على المثول أمامك، على الرغم من العار الذي تجلبه عليَّ غلطتي، وما كنت لأحلم أبداً بمضاعفة جرمي».

فيما هو يتحدث، أدركت من عساه يكون، واستبدت بها الصدمة والخشية، حتى إنها لم تفه بكلمة في معرض الرد.

واصل حديثه مجرباً كل السبل لإقناعها: «إنني أتفهم، بالطبع، ولكن الأمر ليس كما لو

(1) لا يظهر بخلاف هذه الإطلالة في الحكاية.

(2) جعلت كاشيواجي يقترب على نحو يفوق ما طلبه. وربما كانت أكثر حرصاً على أن تبقيه بعيداً عن العيان منها على حماية سيدتها. ولما كان الفراش المحاط بالستائر فسيحاً إلى حد كبير، فربما كانت هناك ستارة قائمة بينه وبين أونا سان نو ميا.

أن هذه النوعية من الأشياء لم تحدث من قبل قط، وإذا كانت رغبتك أن تكوني قاسية على هذا النحو المدهش للغاية فإن ذلك سيؤلمني بعمق بالغ، وقد تسيطر عليَّ عاطفة عمياء في نهاية المطاف. قولي لي فحسب إنك تشفقين عليَّ، ولسوف أطيعك وأغادر المكان».

بعد أن كان قد تصورها من بعيد متعجرفة ومن قريب منذرة بالشر، وصل إلى الاكتفاء بالتلميح إلى عذابه فحسب وعدم محاولة القيام بما يزيد في الجرأة على ذلك، ولكنه عندما اكتشف قدراً من الكبرياء الشامخ يقل كثيراً عن جاذبية عذبة، مستسلمة على نحو نبيل وآسرة، نظر إليها على أنها فريدة بين النساء. فتبخرت كل خاطرة من كبح الجماح الحكيم، وتاق في اضطراب إلى حملها فحسب إلى مخبأ في مكان ما، أي مكان، ليختفيا إلى الأبد من هذه الدنيا.

عندما غفا لحظة، تراءى له في الحلم أن القطة التي حوَّلها إلى حيوان أليف لديه قد جاءت إليه، وهي تموء برقة، وأنه قد جلبها إلى سمو الأميرة كهدية. واستيقظ متسائلاً عن السر في ذلك ومتحيراً بشأن ما عناه هذا الحلم.

بالنسبة للأميرة فإن الصدمة أفقدتها كل شعور بالواقع، فظلت مصدومة وملتزمة الصمت. قال: «لابد لك من أن تتقبلي أن هذا هو قدرنا، وهو قدر لم تستطيعي تجنبه، ولست أحس كأنما يمكن أن يكون واقعياً بدوري». حدَّثها عن تلك الأمسية عندما رفعت القطة، من غير أن تدري هي، أحد أركان الستارة الحاجبة بالحبل الذي رُبطت به. وفهمت بأسف مرير أن ذلك لابد أنه قد حدث، وناحت في أعماقها على هذا المصير الفظيع. كيف يمكنها أن تظهر ثانية أبداً أمام سمو الامبراطور الفخري؟ مضت تبكي، كطفلة غمرها البؤس والفزع، وفي حين راح يرقبها، مولعاً بها وغارقاً في الذنب في آن، ازداد كماه ابتلالاً من تجفيف دموعها كذلك.

كان الفجر ينبلج، ولكنه لم يستطع بعد استجماع إرادته للرحيل.

ماذا عساني أفعل؟ يتركني نبذك لي متسائلاً كيف سأتمكن من مخاطبتك مجدداً. امنحيني، لطفاً، كلمة واحدة بصوتك! عذَّبها بتوسله، ولكنها كانت أكثر اشمئزازاً وأسى من أن تتحدث على الاطلاق.

«حسناً جداً، شعوري الوحيد الآن هو الفزع. من المؤكد أن أحداً لم يُعامل مثل هذه المعاملة من قبل!». كان يرتجف من فرط الضيق. «لا جدوى، إذن، أليس كذلك؟ يمكنني بالمثل أن ألقى حتفي. كان هذا هو كل ما عشت من أجله. ما أعجب التفكير في أن هذه الليلة كان يمكن أن تكون ليلتي الأخيرة!، امنحيني كلمة غفران فحسب، ولسوف ألقى نهايتي في سلام على الأقل!». احتضنها، وحملها إلى خارج الفراش. فأفزعها تصور ما هو مقدم عليه.

فتح ستارة في ركن الممشى[1]، وفتح الباب المزدوج. ووجد أن الباب الواقع على الجانب الجنوبي من طريق الجسر (الباب الذي كان قد انسل داخلاً منه البارحة) لا يزال مفتوحاً. ومن ثم فقد رفع مصراعاً شبكياً برفق على أمل إلقاء نظرة عليها، فلابد أنه كان الضوء الأول هو الذي يطل في الأفق. مضى يلومها قائلاً: «قسوتك غير المألوفة تخرجني عن شعوري! إذا كانت لديك أي رغبة في تهدئتي، فقولي لي على الأقل إنك تشفقين عليَّ!». لم ترد عليه، فقد استبد بها الحنق، غير أنها كانت ترتجف كطفلة صغيرة.

تزايد نور النهار، وتزايد معه قلقه. «تراءى لي حلم مؤثر، وسوف أحدثك عنه إذا لم تكرهيني كثيراً على هذا النحو. وربما تعرفين قريباً ما أعنيه». مضى مترقباً شراً إلى رحاب الفجر الذي لم يكتمل نوره، تحت سماء أكثر إيلاماً من أي وقت في الخريف.

«أنهض وأمضي عند أول ضوء خافت للفجر تحت سماوات مجهولة

وأجد كميَّ مبتلين من حيث لا أدري».

هكذا قال، ممسكاً بكمي ردائه ليؤكد شكواه.

الآن وفيما هو يمضي إلى حال سبيله، ساورها شعور بالتحسن على نحو كاف لكي ترد.

«في غمار بؤسي، ليتني أذوب في السماء المتشحة بالفجر

وأصدق للأبد أن الأمر لم يكن إلا حلماً».

مضى بعيداً، شاعراً كما لو أنها كانت لاتزال تتحدث بصوتها العذب ذاك، صغيرة للغاية

(1) الركن الجنوبي الغربي من الدار الرئيسية، قرب الباب المزدوج المفضي إلى طريق الجسر.

وهشة، وأن روحه قد فارقت بدنه، ومكثت هناك لتصيخ السمع.

بدلاً من العودة إلى زوجته الأميرة، مضى إلى دار أبيه، حيث رقد هناك، لكنه لم يغمض له جفن، راح يفكر كيف أن حلمه لا يحتمل أن يتحقق، ومضى يتذكر في إعزاز صورة القطة. حدَّث نفسه في خوف وخجل: لقد اقترفت شيئاً فظيعاً. ليس بإمكاني مواجهة الدنيا بعد الآن. وبهذه الروحية توقف عن الخروج على الإطلاق، وأفزعه بصورة جدية ما يمكن أن يعنيه سلوكه المشين بالنسبة له، دع جانباً العواقب بالنسبة لسمو الأميرة، ولم يستطع الاختلاط بالآخرين على نحو ما كان يمكن أن يتمنى لولا ذلك. كان يمكن أن يواجه الموت بطواعية لو أنه كان قد انتهك امرأة امبراطور ثم ذاع الأمر وكبَّده معاناة كهذه، وحتى إن لم تكن الجريمة الراهنة على ذلك القدر من الخطورة، فإن الخوف والعار قد غمراه لدى تفكيره في أن سمو الامبراطور الفخري قد ينظر إليه شذراً.


معالج

هناك سيدات عظيمات لديهن بعض الخبرة بالحياة، لا تشوبهن على السطح شائبة، لكنهن في أعماقهن مصممات على المضي في طريقهن، واللواتي يستسلمن لتملق أو آخر، وينغمسن في علاقة حميمية مع رجال آخرين، ولكن لم تكن هناك أعماق كهذه في حالة سمو الأميرة. وقد كانت خجولاً على نحو يدعو لليأس بطبيعتها، وأحست بالشعور الحارق بالعار نفسه كما لو كان خبر ما جرى قد عُرف أمره وذاع بالفعل. ولم تستطع تحمل الخروج إلى نور النهار. ومن المؤكد أنها قد أدركت مرارة قدرها.

بلغ مسامع جينجي أنها ليست على ما يرام، فجاء إليها متسائلاً أي سوء طالع جديد لحق بما حل به بالفعل. وكان من الصعب تحديد جلية الأمر، ولكنها كانت صموتاً ومكفهرة إلى أبعد الحدود، ورفضت أن تبادله النظر على نحو ما يليق، الأمر الذي عزاه إلى استياء من غيابه الطويل.

أبلغها بحال تلك السيدة الأخرى: «ربما تكون هذه هي النهاية. ولا يمكنني أن أهملها الآن، كما تعلمين، ومن الصعب عليَّ للغاية مغادرتها، بينما قمت على رعايتها منذ كانت طفلة، وذلك هو السر في أنني في هذه الأشهر الماضية تجاهلت كل شيء آخر. وآمل أنه

عندمـا ينتهي هذه كله، فإنك سـتنظرين إلـيَّ بعينين أخريين». كان يمكن لسـمو الأميرة في قرارة نفسها أن تبكي حزناً وألماً عندما فهمت أنه لم يعرف شيئاً عما وقع.

أحـسَّ المراقـب بصـورة متفاقمة بأنه قد أخطأ، وتـردى إلى اليأس، الـذي تخلل حياته بأسرها ليلاً ونهاراً. وفي يوم المهرجان أقبل كبار النبلاء الحريصون على مشاهدته لمحاولة إقناعه بالانضمام إليهم، ولكنه قال إنه لا يشـعر بأنه على ما يرام، ورقد في مزاج سـوداوي. ونـادراً ما كان يقضي وقتاً حميمياً مـع الأميرة[1]، وذلك على الرغم من أنه واصل معاملتها باحترام، وانسـحب بدلاً من ذلك إلى غرفته الخاصة، حيث أسـلم نفسـه للضجر والقنوط والكآبة، وألهمته رؤية نبتة قلب لقلب في يد فتاة تابعة هذه الخاطرة:

«آه، ما أشد المرارة على خبثي إذ قطفت نبتة قلب لقلب

فيما الآلهة لم تمنحني الإذن بتقلد مثل هذه الحلية»[2].

نعم، استبدَّ به الندم على حماقته. ولم تعن كل الضجة التي أثارتها العربات في الخارج شيئاً بالنسبة له، وتطاول اليوم الذي لا نهاية له عبر الضجر الذي أوجده بنفسه.

تألمـت الأميرة بدورها، وأحسـت بالخجل، عندما لاحظت سـلوكه الكئيب، وهيمنت عليها الكآبة بدورها. وسـاد الهدوء كل ما حولها، ذلك أن كل وصيفاتها مضين لمشـاهدة المهرجان. وبحالة ذهنية شاردة مضت تعبث في رقة بآلة السونوكوتو الخاصة بها، فظهرت رشـاقة نبيلة في غمار قيامها بذلك، ولكن زوجها مضى على الرغم من ذلك ينوح على أنه طالما أنه قُدِّر له أن يتزوج من أميرة فإن القدر لم يشأ له أن ينال الأميرة التي رغب فيها:

«أوه، أيتها الباقة الخضراء التوأم، ما الذي تملكني لأقطف الوريقة الساقطة

على الرغم من أنها اسماً موضع ترحيب كالأخرى؟»[3].

---

(1) زوجته، الأميرة أوتشيبا.

(2) «أود لو أنني لم أظفر بأونا سان نو ميا، فيما جينجي لم يسمح لي بإتيان ذلك قط». تتلاعب القصيدة بلفظي «أوى» («نبتة قلب لقلب» و«يوم اللقاء») وكذلك «تسومي» («ينتزع» و«خطيئة»).

(3) «فيما كلتاهما ابنتا سوزاكو، ومن ثم فإنهما كلتاهما مرغوبتان بصورة متساوية، لم حظيت بالأدنى مرتبة؟». تشير الكلمة الأولى في القصيدة «مورو كازورا» («الخضرة التوأم») إلى مركب من أوراق «أوى» و«كاتسورا» في عصابة الرأس المستخدمة للمهرجان. وبسبب هذه القصيدة فإن زوجة كاشيواجي، الأميرة الثانية، تعرف لدى القراء باعتبارها أوتشيبا («ورقة الشجر المتساقطة»).

هكذا كتب متكاسلاً، وكانت تلك ملاحظة تفتقر إلى اللباقة تماماً.

لم يستطع جينجي، الذي كان يزور سمو الأميرة نادراً للغاية الآن، المغادرة مجدداً في التو، وكان قلقاً بالفعل، عندما جاء مبعوث ليعلن أن السيدة المقيمة في نيجو قد لفظت نفسها الأخير، فذهل، وانطلق إليها وقد غمر الظلام فؤاده. كانت الرحلة بطيئة على نحو يدعو للجنون، ووجد أن هناك بالفعل حشداً مهتاجاً حول الدار وخارجها وصولاً إلى الجادة القريبة. وكان البكاء والنواح في الداخل منفرين إلى أبعد الحدود، فدلف إلى الدار وقد غمره الحزن، وقالوا له: «بدت سيدتي في حال أفضل قليلاً، أخيراً، ثم فجأة، يا مولاي، ها هي ذي على هذا النحو!».

كانت كل امرأة ممن قمن على العناية بها تصرخ في نوبة حزن حادة إلى حد أنها توشك على أن تلقي حتفها معها. كانت المذابح التي أقيمت من أجل الطقس العظيم قد نُزعت، وعندما رأى الكهنة يضطربون مشغولين في أرجاء المكان- على الرغم من أن أولئك الذين كانت الحاجة ماسة إليهم بقوا في أماكنهم[1]- أدرك فزعاً على نحو لا تطاله الكلمات أن تلك لابد أن تكون النهاية حقاً.

قال مهدِّئاً إياهم: «من المؤكد أن هناك روحاً تترك تأثيرها هنا. أرجو أن تخففوا من ضجيجكم!». وإلى هذه الكلمات أضاف المزيد والمزيد من الصلوات المليئة باللهفة، ثم استدعى المعالجين الأبرع. «ربما كانت حياتها قد بلغت نهايتها، ولكني مع ذلك أطلب منكم إطالتها قليلاً، فهناك نذر لفودو[2]. ولابد لكم من إبقائها في هذه الدنيا على الأقل بذلك القدر».

مضوا يصلون إلى أن ارتفع الدخان حقاً عالياً فوق رؤوسهم[3]. راح يتوسل صامتاً: آه، أنظري إليَّ مرة أخرى فحسب! إنه لأمر محزن للغاية وبالغ الفظاعة أنني لم أكن معك عند النهاية! وبمقدور المرء الآن أن يتخيل مشاعر أولئك الذين كانوا يرون هذا المشهد، فقد

(1) لأداء طقوس الصلاة للراحلة.

(2) الإله البوذي فودو، الذي كانت قوته الروحية بالغة الأهمية بالنسبة لطقوس الشفاء، كان يُعتقد أنه أضاف نصف عام إلى الحياة الطبيعية للورعين المخلصين.

(3) إنهم يبدو مثل فودو، الذي يتم تصوره محاطاً بالدخان وألسنة اللهب.

ساورهم الشك في أنه سيبقى على قيد الحياة بعدها. وربما استجاب بوذا لحزنه العميق، لأن الروح التي رفضت على امتداد شهور الإفصاح عن نفسها، انتقلت الآن إلى فتاة صغيرة، مضت تصرخ من خلالها، وتمور غضباً وغيظاً، بينما بدأت محبوبته في التنفس على الأقل من جديد. فغمرته السعادة والخشية.

لدى محاصرة الروح بقسوة، تحدَّثت قائلة: «غادروا المكان جميعكم، فأنا أرغب في الحديث مع سمو الامبراطور الفخري وحده!». كان هذا ما قالته.

«على امتداد شهور مضيت توبخني، وتسبب لي ألماً بالغاً إلى حد أنني فكرت في أنه يمكنني أن ألقنك درساً لائقاً، ولكن حتى الآن، فيما أتخذ هذه الهيئة، التي تبعث على الشعور بالصدمة، ومرآك وقد حطمك الحزن، الذي يمكن أن يكلفك حياتك، أثار مشاعر من الماضي البعيد، وأحضرني إلى هنا. لا، لم أستطع تجاهل معاناتك، وذلك هو السبب في أنني ظهرت لك. ولم أقصد قط أن تعرفني».

بدت الهيئة الباكية بشعرها المنسدل على محياها شبيهة بالروح التي كان قد رآها في تلك المرة السابقة[1]. ارتجف بالخوف والدهشة نفسيهما، فأخذ بيدي الفتاة، وأمسكها، خوفاً من أن تسبب له الحرج. «أهو أنت حقاً؟ يقولون إن الثعالب الشريرة وما إلى ذلك، التي تميل إلى الخبث، تنطق في بعض الأحيان أشياء لجلب العار إلى الموتى. قولي بوضوح من أنت أو حدِّثيني بشيء يجعل ذلك واضحاً، شيء لا يمكن لأحد غيرك أن يعرفه! وعندئذ سوف أصدقك، على الأقل بعض الشيء».

انخرطت الروح في البكاء بصوت عال:

«نعم، حسبما أنا الآن فإن هيئتي جديدة وغريبة، ولكن من الجلي في غضون ذلك
أنك لاتزال كما كنت تماماً، وقد أبيت دوماً أن تعرف.

إنني أكرهك، آه، أكرهك!». لم يكن تحفظها المفعم بالكبرياء قد تغير على الاطلاق، على الرغم من بكائها ونواحها، وأفعمه بخوف ومقت بالغين إلى حد أنه لم يرد إلا إسكاتها.

---

(1) عندما مست روح روكوجو الحية أوي.

«لقد أبقيت عينيَّ عليك من عليين، وما فعلته من أجل جلالة الامبراطورة جعلني مسرورة وممتنة، ولكن ربما لم أعد أكترث كثيراً بأمر ابنتي الآن وقد أصبحت أنا وهي نسكن عالمين مختلفين، لأن مرارتي تلك التي جعلتك مقيتاً بالنسبة إليَّ تظل على حالها. وما أجده مسيئاً بشكل خاص، على نحو يفوق نبذك لي من أجل أخريات، عندما كنت بين الأحياء، هو أنك في حوار مع سيدة تهتم بها أبرزتني في قسوة على أنني امرأة سيئة، وقد كنت آمل، على نحو ما فعلت آنذاك، أنك على الأقل ستكون متسامحاً مع الموتى، وتدافع عني عندما يسيء إليَّ الآخرون، وذلك هو السبب في أن الأمور وصلت إلى هذا الحد، أخيراً، منذ اتخذت هذه الهيئة التي تثير الشعور بالصدمة. لديَّ القليل مما آخذه على هذه المرأة، ولكنك تتمتع بحماية على نحو قوي. وأنا أحس بأنني بعيدة عنك، وليس بمقدوري الاقتراب منك، وحتى صوتك لا يصلني إلا خافتاً. هذه الطقوس وقراءة النصوص المقدسة بصوت عال تحيطني بلهب حارق فحسب، ولا أسمع شيئاً مقدساً فيها. تلك هي لحظتي. أرجو أن تبلغ جلالة الامبراطورة بما قلته لك. طالما أنها تخدم جلالة الامبراطورة، فعليها ألا تنخرط البتة في تنافس غيور مع نسوة أخريات. تأكد من أنها ستحرز الجدارة بتخفيف خطيئة الوقت الذي أمضته كاهنة آيسي[1]. لكم أتمنى أنها لم تفعل ذلك!». ومضت في حديثها مطولاً، ولكن جينجي، الذي استاء من الحديث مع روح، حبسها بعيداً[2]، ونقل محبوبته إلى مكان آخر.

هكذا ملأت أخبار موتها أسماع الدنيا، وأزعجه أن يجد الناس يتوافدون لتقديم تعازيهم. أشار أحد كبار النبلاء، والذي كان قد مضى لمراقبة عودة كاهنة كامو[3]، في طريق عودته فور علمه بما حدث: «هذه خسارة كبيرة للغاية. لا عجب أن مطراً رقيقاً يهمي اليوم، فيما سيدة بالغة السعادة وحسن الطالع ترى نور النهار للمرة الأخيرة!».

همس آخر: «لم يقدَّر لأحد على هذا النحو من الكمال في كل الجوانب أن يعيش طويلاً، فهناك في نهاية المطاف تلك القصيدة القديمة (لماذا يفضل المرء براعم الكرز)[4].

(1) خطيئة إهمال الإيمان البوذي، ذلك أنه في آيسي ينبذ كل ما هو بوذي.
(2) حبس الفتاة (الوسيطة) في غرفة أخرى، فليس هناك تمييز بين الروح وبين الوسيط الذي تتلبسه.
(3) من مزار كامو، بعد المهرجان.
(4) كوكينشو 70: «لو أنها عندما هتف المرء» (ابقي!) «قُدِّر لها ألا تسقط البتة، فلماذا يفضل المرء براعم الكرز

كلما طال عمر سيدة كهذه متمتعة بكل المباهج التي تمنحها الحياة وجد الناس الوجود عبئاً أثقل. الآن يمكن لسمو الأميرة الثالثة أن تستعيد التكريم الذي تستحقه».

كان اجتياز الأمس مؤلماً للغاية، بالنسبة للمراقب، واليوم وضع أخويه الأصغر سناً، مدقق الميسرة الكبير ومستشار فوجيوارا في مؤخرة عربته، ومضى لرؤية عودة الكاهنة. توقف قلبه عن الخفقان عندما سمع بما يتحدثون عنه، فمضى يدندن لنفسه: «ما الذي يبقى طويلاً في هذه الدنيا الحزينة؟»[1]، وصحب الآخرين لزيارة سمو الامبراطور الفخري. فضل الحذر، حيث إن الخبر لم يكن إلا شائعة، فذهب للاستفسار عن صحة السيدة فحسب، ولكنه علم أن الأمر صحيح، عندما وجد الجميع منخرطاً في البكاء والنواح، فحزن عليها في عودته.

وصل معالي وزير شؤون المراسم كذلك، ودلف إلى الدار وقد استبد به الأسى البالغ، وما كان ليستطع أن ينقل رسائل من الآخرين، ثم خرج القائد وهو يجفف دموعه، فتوسل إليه المراقب أن يبلغه بما حدث، قال: «الناس يتحدثون عن كارثة كبرى، ولكن الأمر يصعب تصديقه للغاية. لقد جئت حقاً للإعراب عن تعاطفي فحسب لأن السيدة النبيلة طال بها المرض إلى هذا الحد».

ردَّ القائد: «ظلت حالتها خطيرة على امتداد شهور، وفي فجر اليوم توقف تنفسها. وكما ترى فقد كانت هناك روح تترك تأثيرها، وقد فهمت أنها بدأت في التنفس مجدداً، وهم جميعاً يشعرون بالتحسن الآن، ولكن ليس هناك بعد سبب يدعو للتفاؤل. وأنا أحس بالأسف عليها!». بدا جلياً أنه كان منخرطاً في البكاء، وكانت عيناه متورمتين قليلاً. لاحظ المراقب بدهشة، ربما بسبب تقلبات قلبه الغريبة، كيف أن صديقه بدا شديد الاهتمام بزوجة أبيه التي لم يكن قريباً منها.

سمع جينجي بأن المراقب وآخرين قد وصلوا، فقال: «لقد كانت مريضة للغاية، وبدا أن النهاية قد حلت. ومضت النسوة الملتاعات في الإعراب عن حزنهن بصوت عال للغاية

أصلاً؟».

(1) آيسي مونو جاتري 145 (القسم 83) «لأن براعم الكرز تتساقط فهي غالية للغاية. ما الذي يدوم طويلاً في هذه الدنيا الحزينة؟».

إلى درجة أنني أنا نفسي سقطت في مصيدة الحيرة واليأس، ولسوف أجد مناسبة ملائمة، في وقت لاحق، لأشكركم جميعاً على زيارتكم الرقيقة». أوشك قلب المراقب على التوقف عن الخفقان، ذلك أنه ما كان ليحضر لولا أن المناسبة أرغمته على القيام بذلك، وجعله ضميره المثقل بالذنب يحس بالخجل البالغ.

ظل جينجي على قدر كافٍ من الخوف، حتى بعد عودة تنفسها، حتى إنه ضاعف من تكليفاته بالقيام بأداء أكثر الطقوس جلالاً ووقاراً. كم هو مخيف أن يفكر المرء في أن سيدة كانت مفزعة بما فيه الكفاية وهي لاتزال على قيد الحياة قد اتخذت هذه الهيئة الرهيبة في عالم آخر! وفي الوقت الراهن أحجم منزعجاً عن القيام على خدمة جلالة الامبراطورة، وباختصار خلص إلى أن كل النساء هن مصدر لخطيئة بالغة، وكل تعامل معهن هو أمر كريه. لقد تحدثت الروح عن أمور قلتها في حوار حميم لم يكن أحد آخر يستطيع سماعه! وتذكر ذلك بفزع. نعم لقد كانت هي!

لما كانت محبوبته تتوق إلى الترهبن، فقد قام بقص خصلة رمزية من شعرها، لكي يمنحها القوة على الالتزام بالوصايا الخمس، وسمح لها بتلقيها[1]. وفصَّل الراهب القائم بذلك على نحو نبيل للغاية القول في ميزة الامتناع عن الأشياء التي تنهى عنها هذه الوصايا إلى حد أن جينجي، الذي جلس أقرب إليها مما يليق حقاً، راح يجفف دموعه مراراً، ومضيا كلاهما من قلبيهما يدعوان بوذا. وبهذه الطريقة أظهر إلى أي حد يستطيع حتى أكثر الناس حكمة في هذه الدنيا البقاء متماسكاً عندما يغمره الحزن. وفي أيام العذاب ولياليه لم يفكر إلا في كيفية إنقاذها ومنعها من مغادرته، واكتسب محياه، فيما هو يقوم بذلك، ملمحاً كالحاً كمن أصابه مس.

لم تحس بأنها عادت إلى طبيعتها خلال الشهر الخامس، وهو وقت نادراً للغاية ما تكون السماء فيه صافية، ولكنها كانت أفضل بقليل من ذي قبل، وعلى الرغم من ذلك فقد ظلت على غير ما يرام دوماً. وكان جينجي قد أمر بإعداد نسخة كاملة من سوترا اللوتس وأهداها للروح كل يوم، لمحو خطيئتها، وكلَّف يومياً من يقوم بأعمال مقدسة كذلك. ورتَّب قراءة

---

(1) إنه يسمح لها بأن تتلقى (تقسم رسمياً على الإخلاص) الوصايا الخمس التي توجه للإنسان العادي بالامتناع عن القتل، والسرقة، والسلوك الشهواني، والافتراء على الآخرين، وشرب الخمر فقط.

مستمرة للنصوص المقدسة عند وسادتها أيضاً، وذلك على الرغم من أن هذا قد اقتصر على رهبان ذوي أصوات ملهمة فحسب. وبعد أن كانت الروح قد ظهرت مرة، فقد أعلنت شكواها مجدداً بين الحين والآخر، ولكنها لم تغادرها قط. ومع إقبال الطقس الأكثر دفئاً غدا تنفسها غير منتظم، وغدت أكثر ضعفاً، الأمر الذي جعله قلقاً على نحو يستعصي على التعبير عنه. وحتى في حالتها التي تشبه الغيبوبة فقد لاحظت حالته بإشفاق. وبالنسبة لها فإن خاطرة الموت لم تجلب لها مشاعر الأسى، ولكنه سيكون من قبيل الإغراق في الأنانية من جانبها أن تجعله يرعى بدنها المجرد من الحياة، بينما هو في أسى بالغ بالفعل، ومن ثم فقد استدعت الشجاعة لشرب الخلاصات الطبية، وربما كان ذلك هو السر في أنها بحلول الشهر السادس كان بمقدورها في بعض الأحيان أن ترفع رأسها. وراح يرقبها باندهاش، ولكنه كان لا يزال يحس بخوف بالغ، ولم يقم مرة واحدة بزيارة روكوجو.

بعد معاناتها من ذلك الاقتحام الأكثر إثارة للألم، تغيَّرت سمو الأميرة، وبدأت في الشعور بأنها ليست على ما يرام. ولم تقدم حالتها مبرراً للانزعاج، ولكنها في الشهر التالي بدأت في رفض تناول كل الأطعمة، وبدت شاحبة ومريضة للغاية. وكان الجاني يجيء إليها كأنما في حلم، عندما تتغلب عليه اندفاعة الرغبة، ولكنها وجدت زياراته منفرة بلا حدود. وعاشت في فزع من سمو الامبراطور الفخري، وكان هذا الشاب أبعد ما يكون عن أن يشكِّل نظيراً لسموه، سواء في شخصه أو في ثقل مرتبته. ولاشك في أنه كان متأنقاً وله أسلوبه البارع، وبالنسبة لأي عينين عاديتين كان أسمى بوضوح من الرجال العاديين، ولكنها كانت منذ يفاعتها معتادة على نبلاء لا نظير لهم، ولم يؤد وجوده إلى شيء إلا إلى إثارة ضيقها والإساءة إليها. كانت كارما تعسة حقاً أنها ينبغي الآن أن تشعر بالمرض بصورة مستمرة. ولاحظت مربياتها حالتها وتهامسن بشكاوى مريرة من أن سمو الامبراطور الفخري لا يزورها إلا نادراً للغاية.

اكتست البحيرة ذات المظهر الجميل بزهور لوتس يانعة، وتألقت قطرات الندى كالجواهر على الأوراق ذات الخضرة العميقة. قال جينجي: «انظري إلى ذلك. إنها تبدو جميلة وبديعة على أي حال!». جلست منتصبة وتبعت نظرته، وكانت أعجوبة نادرة للغاية، إلى درجة أنه واصل الحديث والدموع في عينيه: «يكاد يكون حلماً أن أراك على هذا النحو.

وغالباً ما أحسست كما لو أنني بدوري سأرحل عما قريب».

ردت بشعور مماثل:

«ترى هل أبقى مثلما هذه القطرات التي تختفي سريعاً؟ الوقت الذي بقي لي لا يمكن أن يتجاوز حياة قطرة على وريقة لوتس».

أجاب بقوله:

«دعينا نعد إذاً بأنه ليس في هذه الحياة فحسب وإنما بعدها أيضاً سنظل نتقاسم معاً لآلئ ندى وريقات اللوتس»[1].

كان مقصده التالي مكاناً لم يرغب في الذهاب إليه، ولكن جلالة الامبراطور ونيافته المترهبن سيعلمان بما يقوم به، وقد انقضت أيام عديدة منذ سماعه بأن سمو الأميرة ليست على ما يرام، ولذا فقد مضى إليها في نهاية المطاف. وقد تسبب حزنه على السيدة الماثلة أمامه في عدم رؤيته لها، وعرف أنه ليس بمقدوره أن يظل غائباً حتى خلال هذا الانقطاع في السحب.

أحست سمو الأميرة، التي عذّبها ضميرها، بالخجل من الظهور أمامه، ولم تحر رداً على ما قاله، وهو ما تلقاه بتعاطف على أنه لوم خفي على الوقت الطويل الذي أمضاه بعيداً عنها، وبذل جهداً كبيراً للتخفيف عنها، واستدعى كذلك وصيفة بارزة للاستفسار عن صحتها، فردت المرأة قائلة: «سيدتي في حالة حرجة، يا مولاي!»، ومضت في حديثها مفصِّلة الأعراض.

«غريب! كم هو أمر غير مألوف بعد كل هذا الوقت». لم يزد على ذلك، لكنه راح يفكر صامتاً في أن هذا لم يحدث مع الأخريات اللواتي عرفهن وقتاً أطول، ووجد الأخبار التي قيلت له جميعها مستحيلة التصديق. ولهذا السبب لم يقل شيئاً في هذا الصدد لسمو الأميرة، وفكّر فحسب برقة كم تبدو عذبة، وهي ليست على ما يرام صحياً.

كان قد استغرق وقتاً طويلاً في تقرير القدوم بحيث إنه لم يرجع مباشرة، وإنما مكث

---

(1) «ليعد أحدنا الآخر بأن نُبعث على عرش اللوتس ذاته في الفردوس».

بـدلاً مـن ذلك يوميـن أو ثلاثة أيام، أمضاها في القلق المسـتمر وكتابة الرسـائل. أشـارت الوصيفـات اللواتي لـم يعلمن بزلة سـيدتهن: «ياله من حديث ممتـد ذلك الذي يتعين عليه قوله!».

«هذا لا يؤذن نخير!». كانت الوصيفة التي أحست بالانزعاج حقاً هي كوجيجو.

دفعـت أخبار وجود جينجي هناك بالسـيد المعني إلى سـوء فهـم متغطرس، وبعث إلى سـمو الأميرة برسـالة مطولة مليئة بالتعبيرات القوية عن المشـاعر. وقـد أطلعتها كوجيجو عليها خلسـة لدى ابتعاد جينجي لوقت قصير في الجناح الشـرقي، ولم يكن هناك أحد آخر قربها.

رقدت سـمو الأميـرة قائلة: «أتمنـى ألا تطلعيني على مثـل هذه الأشـياء الفظيعة، فهي تجعلني في حال أسوأ فحسب».

«اقرأيهـا فحسـب، ياسـيدتي. البدايـة هنـا تجعل المرء يشـعر بالأسـف البالـغ عليه». كانت كوجيجو قد فردت الرسـالة فحسب، عندما سـمعت جينجي يقبل عائداً، فاستبد بها الخوف، ورفعت الستارة القائمة، ولاذت بالفرار. ودلف جينجي إلى الداخل، الأمر الذي أثار اضطرابها الشديد، وحيث إنها لـم يكن بمقدورها أن تخفي الرسالة بالشكل المناسب. فقد دستها تحت وسادتها.

استأذن منها استعداداً للعودة إلى نيجو في تلك الليلة. وقال: «هنا في روكوجو لاتبدين مريضـة للغايـة حقاً، بينما في نيجو أحسسـت عندما غادرتها بأنها ضعيفـة للغاية، وأنا قلق جداً عليها. فلا تصدقي للحظة الأمور السيئة التي قد يبلغك الناس بها، لسوف يكون لديك في القريب سـبب يدعوك إلى أن تحسني الظن بي». كانت عادة تثرثر في مرح معه، ولكنها فـي هـذه المرة كانـت مكتئبة تماماً، ولـم تكن تقابل نظرتـه إليها على النحـو اللائق، الأمر الذي حسـبه مجرد لوم، فرقد في غرفة جلوسـها النهارية، ومضى يثرثر معها إلى أن غربت الشمس، أخيراً.

كان قـد غفا للحظـة، عندما انطلقـت الزيزان تصدح بصـوت عال، وأيقظتـه. قال وهو يرتـدي عباءته: «حسـناً، إذن، يحسـن بي أن أمضـي في طريقي قبل أن يغـدو الدرب غارقاً

للغاية في الظلال»[1].

ردت بصوت مفعم شباباً، تردَّد جميلاً للغاية: «على الرغم من ذلك، فإنني أحسب أن القصيدة تقول: (انتظر القمر). مضى يفكر مثقلاً بالذنب، فيما هو يستعد للمغادرة:أحسب أنها تقصد: «لسوف تقضي معي ذلك الوقت الإضافي».

«أنت يامن تمتلئ أذناك أيضاً بصياح الزيزان، هل ستغادرني الآن

كأنما لتقول: (أغرقي كميك في ندى المساء القاسي؟)».

نقلت كلماتها الطبيعة الساذجة لمشاعرها على نحو بالغ الرقة إلى حد أنه جلس مجدداً، وندت عنه تنهيدة مفعمهة بالإحباط.

«كيف سيتردد في تلك القرية حيث تنتظر أخرى؟

يا للحسرة، فالزيزان تجلب العذاب على كل وجه!».

هكذا ردَّد وقد لانت عريكته الآن. كان أمراً مؤلماً أن يكون قاسياً إلى ذلك الحد عليها، وقرَّر البقاء. ومع ذلك فقد ظل قلقاً وشارداً، ولم يتناول إلا ثمرة فاكهة، أو نحو ذلك، قبل أن يدلف إلى الفراش.

نهض مبكراً، قاصداً الانطلاق فيما الصباح لا يزال جميلاً. وقال: «سقطت مني تلك المروحة التي كانت معي أمس. هذه المروحة لا تجلب لي نسيماً لطيفاً». نحَّاها جانباً، ونظر في أرجاء الغرفة التي كان قد نال فيها تلك الإغفاءة القصيرة بالأمس. هنالك برزت من تحت وسادة سمو الأميرة غير المرتبة قليلاًنهاية رسالة مطوية كُتبت على ورق أخضر فاتح رفيع. لم يحسب أن في الأمر ضيراً، فأخرجها، وألقى عليها نظرة. كان الخط خط رجل، وللرسالة عبق جميل، وبدا أنها قد أُعدت بعناية كبيرة، ولاحظ أن هناك ورقتين سُطرت الكتابة عليهما بالكامل. نعم، أدرك أن الخط هو «خطه»، لم يكن هناك شك في ذلك. حسبت المرأة التي وضعت المرآة أمامه أن الرسالة رسالته، ولم تعر الأمر انتباهاً، ولكن كوجيجو أحست بقلبها يخفق راعداً، عندما رأته، وتعرفت على لون الرسالة التي

(1) كوكين روكوجي 371: «الدرب الغارق في الظلال، عند الغسق، ينتظر القمر، يا حبيبي، للمضي، ولسوف أستبقيك وقتاً أطول بهذا القدر!». تلتقط أونا سان نو ميا هذه الإيماءة في ردها.

كانـت قـد جاءت بالأمس. لا، هكذا حدثت نفسـها ناظـرة إلى جينجي، الـذي كان يتناول طعـام إفطـاره. لا،لا، لا يمكـن أن يكون الأمر كذلك! هذه كارثـة! ولكن هل هذا ممكن؟ لابد أنها قد أخفتها! وفي غضون ذلك واصلت سمو الأميرة نومها في براءة. حدَّث جينجي نفسـه قائلاً: يا للصبيانية منها أن تترك شـيئاً من هذا القبيل ملقى حيث ربما يمكن لأحد أن يعثـر عليـه! تردى احترامه لها. كنت محقاً في نهاية المطاف. كنت قلقاً على الدوام من أنها تبدو بلا إحساس.

فـور انصرافـه، مضـت كوجيجو إلى سـمو الأميـرة، وكانت النسـوة قد ابتعـدن قليلاً. وقالت: «سـيدتي، ماذا فعلت بتلك الرسالة بالأمس؟ كان سـمو الامبراطور الفخري ينظر صباح اليوم في رسالة من اللون نفسه تقريباً».

مضـت سـمو الأميرة تبكـي وتبكي من الصدمـة. فواسـتها كوجيجو، ولكنهـا أيضاً لم تسـتطع منع نفسـها من التفكير في كم أنّ وضعها يدعو لليأس. «أين وضعيتها يا سـيدتي؟ كان الناس مقبلين، وكان ضميري مثقلاً، وهكذا فقد انسحبت لأنني لم أرغب في أن نظهر بمظهـر مـن يدبِّر أمراً. وأقبل سـمو الامبراطور الفخري بعد ذلك. إننـي على يقين من أنك قد أخفيتيها».

«لا، لقد دخل أثناء قراءتي لها، ولم أستطع إبعادها بتلك السرعة، فدفعتها أسفل المكان الذي كنت جالسة فيه، ثم نسيتها تماماً».

لزمـت كوجيجو الصمت. مضت إلى سـيدتها، وبحثت حولهـا، ولكنها لم تكن هناك، بالطبع. وعندئذ أشـركتها فيما كانت تفكر فيه: «آه، ياسيدتي، كم هذا فظيع! لقد فزع السيد المهذب أشـد الفزع، وخشـي مجرد فكرة أن سـمو الامبراطور الفخري قد يسـمع بالأمر! الأمـر كلـه حـدث أخيـراً، وانظري ما حـدث بالفعـل! لقد سـمحت له برؤيتـك بطريقتك الطفوليـة تلـك، وكان أبعد ما يكون عن نسـيان الأمـر، فتابعني منذ ذلك الحين بشـكاواه، ولكن هل تصورت أصلاً أن الأمر سـيصل إلى هذا؟ هذا يعني كارثة لكما كليكما!». لابد أنهـا قد تحدثت بتلك الطريقة، لأن سـمو الأميرة كانت صغيـرة وخنوعة للغاية. فواصلت البكاء، ولم تجد رداً قط.

بدت الآن مريضة على نحو ملحوظ، ورفضت تناول الطعام. وراحت النسوة يعربن عن شكاواهن: «كم هو مؤسف التفكير في أنه قد تخلى عنها فيما هي مريضة للغاية، ومضى يرعى سيدة أخرى أصبحت الآن أفضل حالاً».

كانت الرسالة لاتزال تثير حيرة جينجي، وقرأها مراراً، حيث لا يستطيع أحد أن يراه، بل إنه راح يتساءل عما إذا كانت قد كتبتها إحدى وصيفاتها، والتي يشبه خطها خط المراقب، ولكن لغتها كانت أكثر كمالاً من أن تسمح بهذا الاحتمال. لا، لايمكن إلا أن تكون رسالته. كانت الصورة التي رسمها للكيفية التي أرضى بها الرغبة التي ساورته طويلاً وضروب معاناته عقب ذلك جميلة ومؤثرة، ولكن هل كان ضرورياً حقاً بالنسبة له أن يفضح الأمر على ذلك النحو؟ يا لها من رسالة يكتبها مثل هذا الرجل! هكذا مضى يحدِّث نفسه. حتى قبل سنوات عندما كنت أنا نفسي يمكن في سهولة أن أكتب بهذه الدرجة من العاطفية، كنت أعرف تمام المعرفة أن الرسالة يمكن أن تضل طريقها، ولذا كان أسلوبي موجزاً وغير مباشر. وتلك الدرجة من الحذر ليست شيئاً سهلاً. وجد جينجي أن من المستحيل أن يُكنَّ له الكثير من الاحترام.

على الرغم من ذلك، ماذا عساني أفعل بها الآن؟ هذا هو السر في أنها في حالتها الحرجة تلك!آه، يا لها من كارثة! هل أمضي معها كما في السابق الآن وقد رأيت الحقيقة الفظيعة بعيني؟ أراد أن يمنحها فائدة الشك، ولكنه وجد أنه لا يمكنه فعل ذلك. الأمر سيئ بما فيه الكفاية، عندما يتبين أن امرأة لم يحبها المرء كثيراً قط، مجرد ترفيه عابر، مرتبطة برجل آخر، وعندئذ يفقد المرء اهتمامه بها، ولكن في هذه الحالة يا لعجرفة ذلك الرجل! في الأزمنة البعيدة، كان هناك من قد ينتهكون حرمة زوجة امبراطور، ولكن ذلك أمر مختلف. لا عجب أن تحدث اتصالات كتلك، عندما يكون هناك عدد كبير من الناس في خدمة القصر يقومون على رعاية العاهل. ومع حدوث شيء أو آخر لابد أن ذلك غالباً ما وقع. وحتى زوجة امبراطور أو خليلته قد تخطئ لهذا السبب أو ذاك. وتلك أمور ليست جميعها خطيرة على نحو ما تبدو، وثمة أمور غريبة تحدث، ولكن طالما أن سقطة جلية لا يُعرف أمرها، فإن الرجل المعني يمكنه أن يمضي في حياته كذي قبل، وقد تنقضي فترات طويلة للغاية قبل أن يكتشف أحد الأمر. إنني أقدرها على نحو يتجاوز أي سيدة أخرى، وأضحي

بمشاعري الشخصية لمعاملتها بأرفع قدر من الاحترام وهي تكتفي بتنحيتي جانباً؟ إنني لم أسمع بمثل هذا! فرقع بأصابعه غضباً!

عندما تسأم امرأة من تقديم خدماتها في خنوع وباحترام بالغ حتى للامبراطور نفسه، فإنها قد تستسلم في نهاية المطاف إلى توسلات متلهفة، وتحب حين تُحب، وتستجيب عندما تشعر بأنها لابد لها من ذلك، وهكذا تنطلق في علاقة قد تكون آثمة كهذه العلاقة، ولكنها على الأقل سيكون لها بعض المعنى! أنظر إلى من أنا! ليس بوسعي تخيل أنها يمكنها مشاطرة عواطفها مع رجل من ذلك القبيل! أدرك ممروراً أنه على الرغم من غضبه الشديد، فليس بوسعه الافصاح عنه، وفكَّر في أبيه، نيافته الراحل. هل عرف حقاً طوال الوقت وتظاهر بعدم معرفته فحسب؟ كان ذلك، نعم، جرماً مخيفاً وشنيعاً! أشار تأمله لمثاله الخاص إلى أنه لم يكن في وضع ينتقد فيه شخصاً آخر ضل طريقه في جبال الحب[1].

على الرغم من تظاهره بأن كل شيء على ما يرام، فقد كان جلياً أن الضيق يستبد به. وافترضت محبوبته، التي اعتقدت أنه قد جاء إليها مستشعراً اليأس لرحيلها، أنه في هذه المرة لم يستطع منع نفسه من الشعور بالأسف على سمو الأميرة بدلاً منها، فقالت: «إنني في خير حال الآن، ولكنني على يقين من أن سمو الأميرة ليست كذلك، وأتمنى لو لم تكن قد رجعت سريعاً هكذا».

تنهد قائلاً: «أنت على حق، فحالتها غير مألوفة إلى حد ما، ولكن من الصعب تحديد ما أصابها، ولذا فقد أحسست بأنني لست بحاجة إلى القلق، وقد جاء العديد من المبعوثين من جلالة الامبراطور. وقد فهمت أن رسالة أخرى وصلت منه اليوم. وقد بذل نيافته قصارى جهده من أجلها، وذلك ربما كان السبب في أنه يحس بالقلق الشديد، وأنا أخشى من أن أدنى إهمال من جانبي يمكن أن يجلب عليَّ اعتراض كل منهما.

«إن الفكرة القائلة إنها هي نفسها ربما تكون غاضبة منك تزعجني أكثر من أي شيء قد يحس به جلالة الامبراطور. وربما لا يخطر لها ذلك أبداً من تلقاء نفسها، ولكن هناك يقيناً

(1) كوكين روكوجو 1980: «كم أنها رحبة جبال الحب حتى إن كل من ولجوها لا يزالون يضلون الطريق فيها!».

أناس قد يصورون لها الأمور في أسوأ الأشكال، ولست أحب ذلك على الاطلاق».

«آه، نعم، إنك ليس لك أقارب ليقوموا بمطاردتي - وأنت تعنين مافيه الكفاية بالنسبة لي تماماً- ولكن انظري مدى العمق الذي تفهمين به الأمور! بل إنك تأخذين في الاعتبار مشاعر وصيفاتها، بينما كل ما أفعله هو التخوف من إثارة استياء عاهلنا السامي. لكم يمكن للمرء أن يكون سطحياً؟». ابتسم وحوَّل حديثهما إلى موضوع آخر. وقال فيما يتعلق بموضوع العودة إلى سمو الأميرة: «لسوف أذهب عندما يمكنك الذهاب معي، دعينا نريح أنفسنا هنا فحسب!».

«أود البقاء في سكينة هنا وقتاً أطول قليلاً، فامض قدماً إلى هناك، وسوف ألحق بك، عندما يتحسن شعورها نحوك». ومرت الأيام فيما هما يواصلان نقاشهما.

في الماضي، كانت سمو الأميرة تحس بالضيق، عندما يمكث جينجي بعيداً أياماً على التوالي، ولكنها في هذه المرة عرفت أن الخطأ يرجع في جانب منه إليها، وارتجفت فرقاً من الكيفية التي سيكون عليها شعور نيافته، إذا قُدِّر له أن يعلم بالحقيقة.

واصل السيد المعني إرسال دفق من الرسائل المفعمة بالمشاعر إلى أن أوضحت له كوجيجو التي لم تدر ماذا عساها تفعل حقيقة ما جرى، فذهل، وكانت خواطره مما يستعصي على الكلمات أن تعبر عنه. متى كان يمكن أن يكون هذا قد حدث؟ لقد افترضت دوماً أن شيئاً كهذا قد يُعرف أمره بمرور الوقت، وهو أمر مذلٌّ بما فيه الكفاية. إنني أحس بعين السماء عليَّ. ولكن أن يرى سمو الامبراطور الفخري مثل هذا الدليل الدامغ! العار، الخوف، الندم- صباحاً ومساءً لم يكن هناك خلاص من النيران المتقدة، ولكنه أحس بالتجمد. طوال هذه السنوات كلها، كان سمو الامبراطور الفخري يدعوني إليه في كل مناسبة، جادة كانت أم مرحة، وقد ذهبت إليه على الدوام. كما كان طيباً ورقيقاً منه أن يصطفيني بتلك الطريقة لأنال هذا الاهتمام غير المعتاد! كيف يمكنني أن أنظر في عينيه مجدداً فيما هو يستفظعني الآن لجرمي الشنيع؟ على الرغم من ذلك، فإنه سيبدو من الغريب أن أختفي وألا أذهب إلى هناك بعد الآن، وتخيَّل فحسب الاستنتاجات التي يمكن أن يصل إليها هو نفسه! سقط مريضاً بفعل العذاب الذي يعانيه، فتخلى عن الذهاب إلى البلاط. لن يكون هناك عقاب رسمي على ما فعله، ولكنه بدا له أن هذه الحياة أصابها

الدمـار، الأمـر الذي جعله يكره نفسـه، إذ إنه كان يعرف على الـدوام أن هذا ربما يحدث. ليس الأمر راجعاً إلى أنها تتمتع بأي كبرياء أو عمق في نهاية المطاف! لماذا تركت نفسـها تقع عليها الأنظار بتلك الطريقة في المقام الأول عبر تلك السـتارة الحاجبة؟ كان بمقدوره القول إن القائد اعتقد أنها مهملة. ولاشـك في أنه أراد التركيز على أسـوأ الأمور فيها لكي ينحّيها عن ذهنه. قد يبدو شـيئاً جميلاً للغاية بالنسـبة لها أن تكون معتدلة وشبيهة بالنبيلات الراقيات في السلوك إلى حد بعيد، ولكنها لا تعرف عن الحياة شيئاً، وهي لا تكترث بإبقاء عينهـا على النسـاء التابعات لها، الأمر الذي يدعو لحدوث كارثـة، ليس عليها هي وحدها فقـط، تلك المسـكينة، وإنما علـى الآخرين كذلك. لم يسـتطع تخليص نفسـه من تعاطفه الرقيق معها.

كانـت معانـاة سـمو الأميـرة مؤثرة فـي النفس علـى نحو عـذب، وعلى الرغـم من أن جينجـي ضـاق ذرعاً، إلا أنـه كان لا يزال يرق لها بمـا يكفي للذهاب ورؤيتهـا. وما وجده عندمـا فعل ذلك أصابه بإشـفاق حاد عليهـا، فكلف من يؤدي جميع أنـواع الصلوات نيابة عنهـا. ولـم يتغيَّر في معاملتـه البادية للعيان لها– في حقيقة الأمـر فإنه ضاعف من ضروب اهتمامـه بها وأشـكال إعرابه عن الاهتمام– ولكن هذا كان حفاظاً على المظاهر فحسـب، لأنـه في قرارة نفسـه ظـل ينأى بجانبـه عنها، علـى نحو مفعـم بالخيبة والكـره، وقد عنت مشـاعره المتضاربـة عذابـاً لها بدورها، بـل إنه لم يبلغها قـط بما كان قد قـرأه، الأمر الذي تركها مسـحوقة كطفلة صغيرة، وحدَّث نفسـه قائلاً: أحسـب أن هذا هو جوهرها. أمر جيد بالنسـبة لها أن تشـبه السـيدات النبيـلات، ولكنها بالغـة البطء على نحو معـذب بحيث لا يمكـن الوثوق بها. نعـم، الدنيا حافلة بالمخاطر. وزوجة الامبراطـور القادمة من دارنا هي ممتثلـة للغايـة ومعتدلة حتـى إنها ربما كانت سـتغدو حائـرة ومضطربة بدورهـا لو أن أي شـخص سـعى للحصول عليهـا على هذا النحـو اليائس. الرجال يقللون من شـأن النسـاء لكونهـن مرنـات ومتقلبات المزاج، وأحسـب أن ذلك هو السـر في أنهن يفقدن السـيطرة علـى أنفسـهن، عندمـا يسـتلطفن أحدهم على نحـو صارخ فجـأة. لقد كبـرت زوجة قائد الميمنة[1]، وهي تضرب في أقاليم معتمة ونائية بلا أي سـند على الإطلاق، ولكنها سـريعة

(1) تاما كازورا.

وذكيـة، وقـد كنت أباً لها في المقـام الأول، ولكن كانت هناك أوقات سـاورتني فيها أفكار مختلفـة تمامـاً، ومع ذلك فقد أفلحت فـي التظاهر بأنها لم تلحظ ذلـك وفي أن تدع الأمر يمضـي وينقضـي. وعندمـا أفلح معالـي وزير الميمنـة في إغـواء وصيفة لاتمعـن التفكير لمسـاعدته فـي شـق طريقه إليها حرصـت على أن يفهـم الجميع بوضوح أنها لـم يكن لها شـأن بالأمر، وأن ما كان يحدث حظي بالتفويـض الكامل، وأنه فيما يتعلق بها فإن اللوم لا يعـرف الطريـق إليهـا. وعندمـا أتأمل الأمر مجـدداً الآن يمكننـي أن أقدِّر كـم كانت عاقلة وبعيدة النظر للغاية. لقد كان قدرها أن يكونا معـاً، وألا يكترثا بكيف بـدأ الأمر، طالما أنه يـدوم، ولكـن الناس كانـوا سـيكنون تقديراً أقـل لهـا إذا احتفظـوا بالانطبـاع بأنهـا قـد أذعنـت طائعـة. لقد أدارت الأمـر على نحو جيد للغاية تماماً.



راهبة

كان لا يزال يفكِّر غالباً في سيدة العاملين فـي القصر المقيمة في نيجـو[1]، ولكنه الآن كان قـد تعلـم أي حزن يمكن أن يسـببه هذا النوع الخطير من العلاقات، وجعلته سـرعة تأثرها ينظر إليها على نحو أقل تقديراً بقليل مما كان الأمر عليه في السابق. ودفعته الأخبار - القائلـة إنهـا قـد قامت بالفعل بمـا تاقت طويـلاً إلى إنجازه[2] - إلى الشـفقة والأسـف الغامريـن، وبعث إليها في التو برسـالة. واسـتاء كثيراً لعـدم تلقيه كلمة منها تشـير إلى أنها قصدت التحرك في هذ الاتجاه.

«أليس لي أن أهتم لأن حياتك الآن حياة راهبة؟ من أجلك في نهاية المطاف

من أجلك وحدك سفحت الدمع بعيداً على شاطئ سوما.

لقـد تركتيني لأنـوح على أنك مضيـت قبلي، فيما قلبـي مفعم بالفعل بخيانـات الحياة

---

(1) أوبوروزوكيو.

(2) أن تغدو راهبة.

العديدة، ولكنني على يقين من أنك ستضعينني في المقام الأول بين من أثق يقيناً في أنك ستكرِّسين لهم ثواب صلواتك». وكتب الكثير غير ذلك.

كانت قد قرَّرت الإقدام على هذه الخطوة منذ وقت طويل، ولكن معارضته في الماضي منعتها من المضي فيها، ولهذا فإنها لم تقل شيئاً لأي أحد حول إنجازها. ومع ذلك فإن القيام بهذا كان معناه عذاباً في قرارة النفس، فالصلة القديمة والمؤلمة بينهما لم تكن هينة بالنسبة لها حتى الآن، وتذكرت الجانب الطيب وكذلك الجانب السيئ. كتبت رداً حريصاً، صادراً من القلب، عارفة، في غمار ذلك، أن هذا النوع من الرسائل لم يعد يليق بها. وكان خطها جميلاً للغاية. «ظننت أن تقلبات الحياة ربما مستني وحدي، ولكن حديثك عن ذهابي قبلك يجعلني أتساءل:

«لماذا لم تبحر في ريعانك بعيداً على قارب الورع

أنت يا من كنت صياداً على امتداد ساحل أكاشي[1]

أما فيما يتعلق بصلواتي، التي هي لكل الكائنات، كيف أمكن ألا تشملك؟».

لم تقدم الرسالة، المكتوبة على ورق رمادي- أزرق قاتم والمربوطة بفرع من اليانسون النجمي[2]، غير مألوف بخلاف تألق فرشاة الكاتبة، التي أحس أنه لن يسأم منها أبداً. وأطلع محبوبته عليها أيضاً، بينما كان في نيجو، حيث إن كل ذلك قد انتهى الآن. وقال: «إنني أشعر بالخجل من نفسي تماماً. لا، لست أحب ذلك على الإطلاق. لقد رأيت في زماني الكثير من المتاعب، على الرغم من أنني قد اجتزتها على نحو سعيد، وكانت هي وكاهنة كامو السابقة[3] المرأتين الوحيدتين الباقيتين اللتين لا يزال يمكنني أن أناقش معهما بحرية أمور الحياة الصغيرة، وأتبادل صداقة تخلو من التعقيدات، الوحيدتين اللتين تفهمان مزاج كل فصل، واللتين لا يفوتهما معنى الأمور. الآن هجرت كل منهما الدنيا، وأصبحت الكاهنة بصفة خاصة مستغرقة في صلواتها. ومن بين كل النساء اللواتي عرفتهن لم أر لها

(1) التلاعب المألوف بلفظة «أما»، الماثل في قصيدة جينجي كذلك، بارز هنا. وفحوى القصيدة ليس واضحاً بصفة خاصة، باستثناء تلميح أوبوروزوكيو إلى ماض بعيد تقاسماه.

(2) سيكيمي ورقة عريضة دائمة الخضرة تقدم عادة على مذبح بوذي في اليابان. وهي تُربط بقوة بالممارسة البوذية.

(3) أساجاو.

مثيلاً، لأنها كانت حكيمة بعمق، ولكنها في الوقت نفسه دافئة ورقيقة. لابد أنه من الصعب للغاية تربية طفلة، فالأمر ليس وقفاً على أبويها لجعلها تنشأ حسبما طاب لهما، إذ إن لها المصير الذي تمنحه لها الكارما الخاصة بها، والذي يظل خفياً، ولكن على الرغم من ذلك فلابد من بذل جهد كبير لتربيتها على النحو اللائق. وقد شاء لي حسن طالعي بصورة سعيدة أن أهرب من أن يكون لدي الكثير منهن لأقلق عليهن. وكانت تلك خيبة أمل لي في صدر أيامي، وغالباً ما تنهدت محدِّثاً نفسي بأنني أريد المزيد. أرجو أن تمنحي أعظم قدر من العناية لتربية أميرتنا! هناك الكثير من الأمور التي لا تفهمها بعد زوجة الامبراطور القادمة من دارنا، وربما تقلق كثيراً، إذ إنها لا تبتعد قط عن جلالة الامبراطور. الأميرات يحتجن إلى أن يغرس فيهن الاستعداد للهرب من النقد المضجر وشق طريقهن بيسر عبر الحياة. والمرأة المنتمية إلى العامة وذات المرتبة المحدودة لها، بالطبع، زوج يرعاها، بحيث تنال العون في هذه النوعية من الأمور».

ردَّت قائلة: «المساعدة التي أقدمها لها قد لا تكون ذات نفع كبير، ولكنني لن أهملها طالما لا يزال فيَّ نفس، وعلى الرغم من ذلك فإنني أتساءل..». كانت لاتزال تعيسة، وقد حسدت من تمكنتا من تكريس نفسيهما دونما عائق لصلواتهما.

«ينبغي عليَّ القيام بشيء من أجل سيدة العاملين في القصر المقيمة في نيجو فيما يتعلق بالملابس التي تحتاج إليها الآن، طالما أنها لم تعتد بعد على إعدادها بنفسها. كيف تحيكين بطرشيلاً على أي حال؟ مُري بصنع أحدها. لسوف أطلب من السيدة المقيمة في الجانب الشمالي الشرقي في روكوجو أن تشرف على إعداد طاقم من الثياب. وهي ربما لا تستطيع أن تحس بالراحة البالغة لدى ارتداء الملابس الكهنوتية المناسبة، ولكن أياً كان ما ستعدينه لها فإنه سيظل له ملمس سماوي. وطلب منها أن تعد طاقماً من الثياب الرمادية- الزرقاء، ثم استدعى أناساً من ورشة الحرف، وأمر في هدوء أولاً بإعداد طاقم من الأدوات التي قد تحتاج إليها راهبة، ثم وسائد، حصراً للنوم، ستائر، ستائر قائمة وما إلى ذلك، وأشرف بأقصى قدر من الحرص على إنجاز كل هذه الأشياء.

استمر تأجيل الاحتفال بالمناسبة الخاصة بنيافته المترهبن على جبله على هذا النحو.

وأقبل الخريف. ولكن بالنسبة للقائد فإن الشهر الثامن كان شهر حداد[1]، وبالتالي لم يكن مناسباً، إذ كان عليه أن يشرف على العازفين، بينما كان الشهر التاسع هو الشهر الذي قضت أم الامبراطورة نحبها فيه. ومن هنا فقد فكَّر جينجي في الشهر العاشر، ولكن بحلول ذلك الوقت أحست سمو الأميرة بالاعتلال البالغ إلى حد أن المناسبة تم تأجيلها من جديد. وفي ذلك الشهر مضت الأميرة زوجة المراقب لزيارة أبيها. وحرص نيافته المتقاعد على أن تكون المراسم المصاحبة للزيارة شديدة الكمال والروعة بقدر الإمكان، وتحامل المراقب على نفسه لحضور هذه المناسبة. وكان لا يزال منحرف الصحة على نحو لم يُعهد عنه.

ظلت سمو الأميرة غارقة في الخجل والندم كعهدها، وهذا هو السر في أن حالتها لم تزدد إلا سوءاً مع مرور الشهور إلى أن أصبحت في حالة لم يملك معها جينجي، الذي لم يرد أن يكون له معها شأن، إلا أن يحزن في الوقت نفسه لرؤية مخلوقة بالغة العذوبة والنحول تتحمل مثل هذا القدر من المعاناة، وتنهد مرات عديدة حيال ما آل إليه أمرها، وأمضى العام مشغولاً بالصلوات الشافية.

سمع نيافته المترهبن على جبله بحالتها، وفكر فيها بحنين رقيق. أبلغه الناس بأن جينجي كان بعيداً عنها على امتداد شهور، وأنه لم يزرها على الاطلاق، وهو الأمر الذي راح يتساءل حياله عما يمكن أن يكون قد حدث، وضاق أكثر من أي وقت مضى بتقلبات الحياة الزوجية. وساوره الشعور بعدم الارتياح، عندما كانت تلك السيدة الأخرى مريضة مرضاً خطيراً، وسمع بأن جينجي أمضى كل وقته في رعايتها. وراح يفكِّر في أنه علاوة على ذلك فإن سمو الامبراطور الفخري يبدو أنه لم يغير طرقه من ذلك الحين. ترى هل حدث شيء سيئ الطالع بينما كان في مكان آخر؟ هل أخذت نساؤها اللواتي لا يُرجى منهن أمل زمام نوع من المبادرة من دون علمها أو موافقتها؟ إنني أسمع أنه حتى المزاح المتألق الذي قد يتبادله اثنان بصورة طبيعية في البلاط يمكن أن يؤدي إلى شائعة سفيهة. وقد جعل هذا النمط من التفكير من المستحيل عليه أن يتخلى عن خوفه الأبوي، وذلك على الرغم من تخليه عن ارتباطه بأمور هذه الدنيا، وبعث إلى ابنته برسالة مطولة وعاجلة، قرأتها بينما كان جينجي معها.

---

(1) كانت جدة يوجيري، أوميا، قد توفيت في هذا الشهر.

«نادراً ما كتبت إليك، ذلك أن لديَّ القليل مما يدعوني إلى ذلك، وليس بمقدوري تذكر كم من الوقت انقضى منذ اتصلنا آخر مرة. وقد بلغتني أنباء اعتلال صحتك، ويؤسفني القول[1] إنك في صلاتي دوماً. لابد لك من أن تتحملي، أياً كان ما تجلبه إليك الحياة من وحدة وأسف. ولن يليق بك إظهار الضيق على محياك أو الإفصاح عن أي معرفة بأن لديك سبباً يدع للاستياء». هكذا كانت نصائحه لها.

افترض جينجي، الذي أحس بالألم والأسف، أن نيافته لا يمكن أن يعرف بالكارثة السرية وأن استياءه لابد أنه متعلق بأخبار إهمال جينجي لها. سألها: «كيف تعتزمين الرد عليه؟ هذه الرسالة المحزنة تزعجني أشد الإزعاج. وعلى الرغم من صدمة ما حدث، فإنني لا أريد لأي أحد أن يظن أنني أخذلك. إنني أتساءل من الذي يمكنه أن يكون قد تحدث معه؟». بدت رقيقة للغاية، والتفتت بعيداً عن جينجي في خجل، ومنحتها كآبة ملامحها الذابلة تميزاً جديداً.

«إنني أتفهم تماماً أن نيافته ينبغي أن يشعر بخيبة الأمل حيث يجدك صبيانية للغاية، وأنه يتعين أن يشعر بالقلق الشديد عليك، وأنك في عدد كبير للغاية من الجوانب ستكونين أكثر حذراً في المستقبل. لم أكن قد قصدت قول هذا، ولكنني لا أحب على الإطلاق أن يكتسب نيافته من أناس آخرين الانطباع بأن سلوكي ليس ما يتمناه، وأعتقد أنني ينبغي أن أذكر لك هذا الآن على الأقل. بالنسبة لك فإنني قد لا أكون أكثر من رجل سطحي ولا مبال، وربما لا أعدو أن أكون في ناظريك عجوزاً متعباً وجديراً بالازدراء، وكل من هاتين الفكرتين قاسية ومريرة. عليك بالسيطرة على نفسك على الأقل بينما لا يزال نيافته على قيد الحياة، حيث إن ذلك يبدو أنه ما يريده. أسلمي نفسك لرجل عجوز طريف، ووفري عليَّ الأسوأ من سخريتك. لقد ظللت بعيداً عن الحسم طويلاً، وحتى على الدرب الذي تقت طويلاً إلى المضي فيه، فإنني لازلت أتعثر وراء نساء يتفهمن، بالتعبير الصحيح عن الأمر، القليل من هذه الأمور، بينما في حقيقة الأمر ليس لديَّ سبب يدعوني إلى التردد. وعلى الرغم من ذلك فقد أثر فيَّ وأسعدني، كما تعلمين، أن يقصدني للقيام برعايتك، ولم أرد أن أخيب أمله من خلال تركك بدوري بعدئذ، كأنما كل ما كان يشغل بالي هو أن

(1) لأن من تخلى عن الدنيا لا ينبغي له الاكتراث بالأمر.

أجاري الآخرين. ولا تقف النساء اللواتي أحببتهن في طريقي الآن. والمرء لا يعرف كيف ستكون حال زوجة الامبراطور القادمة من دارنا في نهاية المطاف، ولكنها يبدو أنها أنجبت الكثير من الأطفال، وأعتقد أن بمقدوري التيقن من أنها ستتدبر أمورها طالما أنني على قيد الحياة. أما فيما يتعلق بالأخريات فإنني أشعر بأنهن يثقلن عليَّ بصورة أقل الآن، حيث إنهن في أعمارهن هذه ما من شيء يمنعهن من التخلي عن الحياة الدنيوية معي. وأشك في أن نيافته سيمتد به العمر طويلاً، فصحته يتوالى تراجعها، ومعنوياته منخفضة للغاية. وينبغي ألا تدعي شائعات سيئة الطالع حولك تثير قلقه. هذه الدنيا هباء، إنها لا شيء. وستكون خطيئة فظيعة الوقوف في طريقه على الدرب المفضي إلى الحياة المقبلة».

لم يقل شيئاً فظاً، ولكنها بكت خلال حديثه، وتهافتت أشد التهافت إلى حد أنه بدوره سفح الدموع، وقال مقلِّلاً من شأن نفسه: «انظري أي فضولي أنا، حيث أتحدث عن الناس بالطريقة التي كانت تضايقني كثيراً في الآخرين! لابدك أنك تضيقين بي ذرعاً أكثر من أي وقت مضى لكوني أحمق عجوزاً لئيماً!».

اجتذب محبرتها الحجرية، وسحق بعض الحبر بنفسه، ووضع الورقة أمامها، ودفعها للكتابة، ولكن يدها ارتجفت، ولم تستطع الكتابة. فحدَّث نفسه بمرارة، من دون أن يستشعر تعاطفاً معها:لم تكن على هذا القدر من البطء في الرد على تلك الرسالة الحارة التي قرأتها، ولكنه على الرغم من ذلك أبلغها بما ينبغي أن تكتبه.

على هذا النحو انقضى الشهر الذي كان يُفترض فيه أن تمضي لزيارة أبيها. وكانت زيارة الأميرة الثانية رائعة، ولكن سمو الأميرة الثالثة كانت قد فقدت ريعان شبابها، وترددت الآن في وضع نفسها موضع المقارنة مع أختها.

أشار جينجي بقوله: «الشهر الحادي عشر هو شهر حداد بالنسبة لي[1]، ونهاية العام حافلة بالانشغال المضطرب دوماً. ويقلقني كذلك أن يكون متلهفاً للغاية لرؤيتك بينما تصبحين في حالة لائقة للمثول بين يديه بصورة أقل مع انقضاء الوقت. وعلى الرغم من ذلك، هل يمكننا تأجيل الأمر كل هذه المدة؟ خفِّفي عنك لطفاً، وكوني أكثر حيوية،

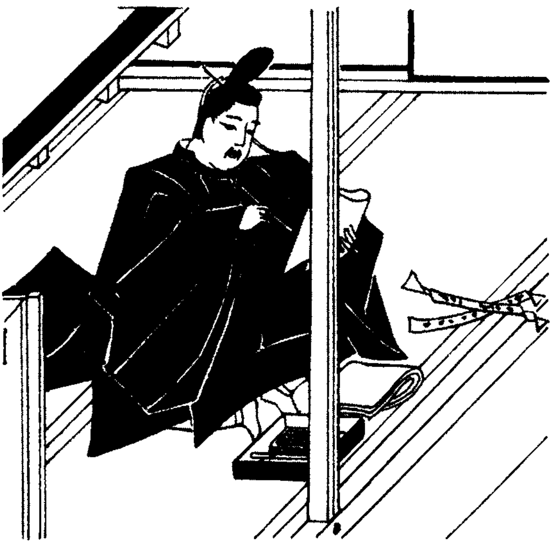
---

(1) توفي امبراطور كيريتسوبو، والد جينجي وسوزاكو، في الشهر الحادي عشر.

وعالجي أمر ملامحك الهزيلة تلك!». وعلى الرغم من ذلك وجدها جذابة للغاية.

كان قد حرص دوماً على التأكد من أن مراقب حراسة البوابة إلى جواره، عندما تعد مناسبة بأن تكون جيدة بشكل خاص، ولكن ذلك كله انقضى الآن، وانقطع الاتصال بينهما. وتصوَّر الناس وهم يتساءلون عن السر في ذلك، ولكن الخجل من أن يظهر بمظهر أحمق عجوز عاجز في عيني المراقب عندما يلتقيان وفقدان تماسكه في الوقت نفسه ثبَّطه عن القيام بأي شيء في هذا الصدد، وسرعان ما مرت شهور من دون أدنى احتجاج من جانبه. وبقدر مايتعلق الأمر بمعظم الناس فإن المراقب كان منحرف الصحة فحسب، وعلى أي حال فلم تكن هناك حفلات موسيقى في روكوجو هذا العام، ولكن القائد داخله الشك في أن هناك في هذا الأمر أكثر مما يبدو في الظاهر، ومضى يحدِّث نفسه، لابد أن تلك اللمحة التي اختلسناها سوياً منها كانت أكثر مما ينبغي بالنسبة لرجل سريع التأثر، ولكنه لم يخطر بباله قط أن جينجي كان يعرف كل شيء بالفعل.

أقبل الشهر الثاني عشر، وحُدِّد الموعد بعيد اليوم العاشر، وضجت الضيعة كلها بالموسيقى والرقصات. لم تكن السيدة المقيمة في نيجو قد عادت بعد، ولكنها عادت، عندما برهن احتمال إقامة تجربة الأداء الكبرى على أنه أكثر غواية من أن يُقاوم. وكانت زوجة الامبراطور في الدار أيضاً، وكان أحدث أطفالها ولداً كذلك، وكان أطفالها جميعاً في غاية اللطف إلى حد أن جينجي مضى يلعب ويلهو معهم ليلاً ونهاراً، مبتهجاً بهذه البركة التي جلبتها عليه السنون.


كتابة رسالة

وأقبلت زوجة معالي وزير الميمنة بدورها لحضور تجربة الأداء. وأمضى القائد الصباح والمساء في إجراء العديد من تجارب الأداء التجهيزية، في الجانب الشمالي الشرقي، إلى

حد أن السيدة المقيمة هناك لم تحضر قط التجربة الكبرى بحضور جينجي.

أحس جينجي بأن ظلاً سيُلقى على المناسبة، إذا لم يوجه دعوة الآن إلى مراقب حراسة البوابة للحضور، وأنه علاوة على ذلك فإن الناس سيتساءلون حول استبعاده. ومن هنا فقد أبلغ المراقب بأن حضوره أمر متوقع، لكن هذا السيد تعلل بمرض خطير، ولم يحضر. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن يشكو من علة محددة بالفعل. وتساءل جينجي في تعاطف عما إذا لم يكن يشعر بالذنب فحسب، وبعث إليه برسالة يهيب به فيها الحضور، وفي غضون ذلك مضى والد السيد المعني بدوره يحثه على قبول الدعوة، وتساءل: «لماذا ترفض؟ لابد أن رفضك يبدو غريباً بالنسبة لسمو الامبراطور الفخري، وأنت لست منحرف الصحة للغاية حقاً، فاستجمع نفسك واذهب!». عندئذ وصلت دعوة جينجي الثانية، ومضى المراقب إلى هناك في نهاية المطاف، على الرغم من احتجاجاته.

لم يكن كبار النبلاء قد تجمعوا بعد، وأجلس جينجي المراقب بالقرب منه، كما هي الحال دوماً، داخل الستائر الحاجبة[1]، مع وجود ستائر الغرفة الحاجبة المسدلة بينهما. نعم، كان ناحلاً ومتهافتاً حقاً، وكالمعتاد فاق أخوته في كبرياء الأسلوب الجريء. وبدلاً من ذلك فإن ما ميزه عن الآخرين كان مظهره الموحي بانشغال الفكر، وجعله سلوكه الرصين الاستثنائي الحالي يبدو لجينجي ملائماً إلى حد كبير لأميرة، لولا أن هذين الاثنين كانا مفتقرين إلى البراعة والحرص على نحو لا سبيل إلى غفرانه.

بدأ جينجي في الحديث على نحو ودود، كأنما ليس هناك من بأس: «ساد الهدوء تماماً في الآونة الأخيرة، ومرَّ وقت طويل منذ رأى أحدنا الآخر. ولم يمنحني قضاء هذه الشهور الأخيرة في العناية بالمرضى إلا القليل من الوقت. وكان من المقرر أن تقوم سمو الأميرة هنا بترتيب فعاليات الاحتفال بمناسبة نيافته، ولكن تعيَّن تأجيلها مراراً وتكراراً، والآن فيما نهاية العام تقبل لا يمكنني في نهاية المطاف إلا أن أقيم حفلاً رمزياً لوجبة الصيام. والاحتفال اللائق بالمناسبة هو بالطبع أعظم من ذلك كثيراً، ولكن مع وجود كل الأطفال هنا فكرت في أنني على الأقل ينبغي أن أجعلهم يتعلمون بعض الرقصات وما إليها لاستعراضهم، ثم لم أستطع أن أفكر في أحد غيرك لتحديد الإيقاع، وهكذا قرَّرت

---

(1) الستائر الحاجبة بين غرفة الرواق والشرفة، وكاشيواجي موجود في الرواق، أما جينجي فهو موجود في الغرفة.

التخلي عن لومك على الشهور التي لزمت فيها الصمت».

تحدَّث بما فيه الكفاية من الدماثة، ولكن المراقب أحس بتغير لون وجهه، وكان أكثر غرقاً في الخجل من أن يجد رداً فورياً: «أسفت أشد الأسف لمعرفتي بأن سيدات بعينهن كن على غير ما يرام طوال هذه الشهور، ولكنني في هذا الربيع بدأت أنا نفسي في المعاناة من شكوى قديمة لي تؤثر على ساقيَّ، وتجعلني أسير غير ثابت القدمين، وقد استمرت هذه الحالة بطريقة مثيرة للقلق للغاية، حتى إنني لم أعد أذهب إلى البلاط. وأنا أفضل بدلاً من ذلك البقاء في الدار، كأنما كفت الدنيا عن الوجود بالنسبة لي. وأشار معاليه المتقاعد في حديثه معي إلى أن هذه هي سنة الاحتفال بمناسبة نيافته، وأنه يحس بأن من واجبه الاحتفاء بها على الوجه اللائق أكثر من أي شخص آخر، وقال: (على الرغم من ذلك، سيكون أمراً مربكاً بالنسبة لي أن أتقدم في هذا الشأن، الآن وقد علَّقت قبعتي ونحيت عربتي. وأنا أعلم أنك لاتزال في مقتبل العمر، لكنك تفهم الأمور جيداً مثلي، وينبغي أن توضح هذا لسمو الامبراطور الفخري). وقد كان تشجيعه هو الذي أنهضني من حالتي الخطيرة للقدوم إلى هنا. وإذا كان لي أن أخاطر بالتعبير عن رأيي المتواضع، فإن نيافته وقد استقر على نمط حياة هادئ وورع فربما يفضل التخلي عن أي فعالية احتفالية فائقة، وأعتقد أن اقتراحكم إبقاء الأمور بسيطة وإرضاء حنينه إلى حديث هادئ مع سمو الأميرة مفضل إلى حد كبير».

أقرَّ جينجي صامتاً بلباقته، لعدم ذكره الفعالية الاحتفالية التي كانت الأميرة الثانية قد أقامتها لأبيها، أخذاً في الاعتبار صلته بها، إذ إنه قد فهم أنها كانت رائعة. وردَّ قائلاً: «الأمر كذلك. ومعظم الناس قد يأخذون هذه البساطة على أنها محض لا مبالاة، ولكنك تتفهم جلية الأمر، وقد أكدت لي أنني محق. والقائد الآن كفء تماماً لخدمة البلاد، ولكنه يبدو أنه لا يتمتع بموهبة كبيرة فيما يتعلق بجوانب الحياة الأكثر ترفاً، والتي يُعد القليل للغاية منها غير مألوف بالنسبة لنيافته. ونيافته مولع بصفة خاصة بالموسيقى، التي يعد خبيراً بها، وأتوقع أنه على الرغم من مظهره الموحي بالتخلي عن الدنيا فإنه يتطلع إلى الاستمتاع بها في سلام. فتول أنت والقائد العناية بالأمور، وتأكد من أن الأطفال الذين سيرقصون يعرفون ما يفعلون وكيف ينبغي أن يتصرفوا. وربما يكون معلموهم جيدين للغاية فيما

يعرفونه، ولكنهم يدعون لليأس فيما عدا ذلك.

وجد المراقب دفء طريقة جينجي في الحديث مشجِّعاً، ولكنه أحس كذلك بأنه مكبوح الجماح على نحو مؤلم، وليس لديه الكثير مما يقوله، وأراد الانطلاق بعيداً بأسرع ما يمكن. وغادر أخيراً من دون الانغماس في حديثه المطول المعتاد.

في الجانب الشمالي الشرقي، أضاف المراقب لمسات أخرى على العازفين والراقصين، الذين كان القائد قد وفَّر لهم الملابس، وكان قد جعلهم يرتدون ملابس فاخرة، ولكن حسن تمييز المراقب الأرقى أظهره حقاً باعتباره أستاذاً في هذه الأمور.

كان اليوم هو يوم تجربة الأداء، وأراد جينجي التأكد من أنه سيكون يوماً جديراً بالمشاهدة، إذ تقرر أن تشاهده كل سيدات روكوجو. وبالنسبة للاحتفال الأوسع نطاقاً بالمناسبة فإن الأطفال سيرتدون ملابس حمراء فوق أردية في لون الكرم، ولكنهم اليوم ارتدوا ملابس خضراء في لون أوراق الشجر فوق أردية حمراء. وأدى العازفون الثلاثون، الذين كانوا يرتدون ملابس بيضاء، في الدهليز المفضي خارجاً إلى سرادق الصيد الجنوبي الشرقي. وأقبلوا ملتفين حول تل الحديقة ليظهروا أمام جينجي عازفين «خالد في الغمامة»[1]، بينما تناثر رذاذ من الثلج ليؤكد أن الربيع لم يكن بعيداً، وتألقت براعم البرقوق على الأغصان. جلس جينجي داخل الستائر الحاجبة للجناح، ولم يحفّ به إلا معالي وزير شؤون المراسم ومعالي وزير الميمنة. وشغل كبار النبلاء الأقل درجة الشرفة وقدموا لهم من دون تمهل وجبتهم، فقد كانت فعالية اليوم غير رسمية بصورة خالصة.


رقصة «الغزال الملكي»

(1) «سنيوكا»، مقطوعة جاجاكو يُقال إنها ليست لها رقصة مصاحبة. وهي تومئ من خلال عنوانها إلى مرتبة جينجي بحسبانه امبراطوراً فخرياً متقاعداً، لأن الامبراطور المتقاعد كان يتم تخيله بحسبانه طاوياً خالداً وساكناً ل«سينتو جوشو» («قصر كهف الخالد»). وكان الخالدون (سينين) يُفترض أنهم ينطلقون وسط غمامات ذرى الجبال، ولا يحتاجون إلى تناول أي طعام.

رقص الابن الرابع لمعالي وزير الميمنة، الابن الثالث للقائد واثنان من أحفاد معالي وزير الحرب رقصة «عشرة آلاف سنة»، وبدوا جذابين حقاً، على الرغم من أنهم كانوا لا يزالون صغاراً للغاية. ولم يتفوق أي من أبناء البيوتات العظيمة هؤلاء على أقرانه، فقد كانوا جميعاً وسيمين وجميلي المظهر، وتمتع كل منهم بالتميز الذي توقعه المرء منه. وأدى الابن الثاني للقائد الذي أنجبته له سيدة العاملين في القصر، ابن مستشار ميناموتو- وهو نفسه ابن معالي وزير شؤون المراسم ومراقب الحراسة السابق- رقصة «الغزال الملكي»، بينما أدى الابن الثالث لمعالي وزير الميمنة رقصة «الملك المحارب»، وأدى الابن الأكبر للقائد رقصة «التنينان التوأم». أما رقصتا «السلام العظيم» و«عودة الربيع» فقد أداهما رجال العائلات نفسها وصبيتها.

وعندما حل الغسق، أمر جينجي برفع ستائره الحاجبة، وتزايدت مباهج اللحظة. كان أحفاده بالغي اللطف والأناقة، وقدَّم رقصهم مباهج جديدة تماماً، وكان معلموهم قد علموهم بصورة مكتملة تماماً كل ما يعرفونه بحيث إن موهبتهم الخاصة أضافت المزيد إلى ما قدمه الباقون فغدا رقصهم أعجوبة. وتطلع جينجي إلى كل منهم بابتهاج، وبكى النبلاء الأكبر سناً. وانخرط معالي وزير شؤون المراسم، الذي انصرفت خواطره إلى أحفاده، إلى أن احمرَّ أنفه.

قال جينجي: «كلما علا بكم العمر، غدا من الصعب على نحو أكبر أن توقفوا الدموع السكرى. انظروا إلى مراقب حراسة بوابة الميمنة، وهو يبتسم لنفسه. الأمر محرج للغاية! وعلى الرغم من ذلك لا تكترثوا، فسوف يأتي أوانه. الشمس والقمر لا يعودان إلى الوراء في مسيرهما، وما من أحد يهرب من الشيخوخة». مضى يحدِّق في المراقب، الذي بدا أقل مرحاً بكثير من الآخرين، وبدا منحرف الصحة حقاً إلى حد أن روائع اليوم قد فاتته. وبدت الطريقة التي صب بها جينجي السخرية السكرى عليه مداعبة بسيطة، ولكنها جعلت يأسه يزداد عمقاً، وبحلول الوقت الذي وصلت فيه كأس الخمر في دورانها على الجمع كان يعاني من صداع شديد إلى حد أنه لم يشرب إلا رشفة رمزية فحسب، وهو الأمر الذي لحظه جينجي، فجعله يحتفظ بالكأس ويحتسي الخمر مراراً، الأمر الذي أثار عدم ارتياحه وشعوره بالحرج، وذلك على الرغم من أنه حتى في هذه الحالة كان يبدو أكثر تألقاً من

معظم الحاضرين.

غدا أكثر بؤساً من أن يحتمل ذلك وقتاً أطول، فانسحب قبل انتهاء الأمسية، شاعراً بأن الوضع بالغ الفظاعة. وقال لنفسه: على الرغم من ذلك فإنني لم أسكر إلى ذلك الحد. ماذا دهاني؟ هل ذهب القلق والخوف بعقلي؟ ليس هناك سبب يدعوني للشعور بأن الدمار التام حلَّ بساحتي، لا لشيء إلا لأنه حادثني على ذلك النحو. هذا مثير للسخرية.

لا، لم يكن يعاني من أي سكر عابر، فسرعان ما غدت حالته خطيرة. ونقله أبواه المستاءان إلى دارهما، على أساس أنهما سيقلقان عليه كثيراً طالما أنه ظل بعيداً، الأمر الذي كان ضربة قاسية إلى الأميرة، زوجته. على امتداد كل حياتهما الخالية من الأحداث معاً، كان قد علَّق أملاً واهياً فحسب على أنه قد يحس بالدفء فعلاً نحوها، ولكن الحزن أفعمه الآن وهو بسبيله إلى الرحيل، ربما إلى الأبد، وأحس بعمق بوقع إهانة تركها لحزنها.

استبدَّ الحزن بأمها الملاذ، وقالت: «من المؤكد أن الابن يدين لوالديه بما هما جديران به، ولكن كقاعدة فإن صلة كالتي تربطك بابنتي لا تسمح لك بمغادرتها في ظل أي ظروف عادية. ويمكن أن يكون مؤلماً لها فحسب أن تقترح القيام بذلك إلى أن تسترد صحتك. أرجو أن تبقى هنا وقتاً أطول، وأن تتبين ما إذا كان ذلك سيكون أمراً جيداً بما فيه الكفاية». حادثته من خلال ستارة فحسب أسدلت إلى جوار المكان الذي رقد فيه.

ردَّ قائلاً: «إنني أتفهم ذلك. بعد السماح لي بالشرف الذي لا أستحقه والمتمثل في صلة حميمية مع ابنتك، رغم عدم جدارتي بذلك، كنت قد علقت الأمل على الإقرار بديني من خلال العيش طويلاً والسماح لك بمتابعة علو شأني عن مرتبتي الراهنة المتواضعة إلى مرتبة مشرفة بصورة أكبر، ولكن في ظل الظروف الراهنة فإنني أخشى من أنني لن أتمكن قط من إيضاح كل إخلاصي لها، وحتى الآن فيما أحس باستدعائي بعيداً، فإنني أشك في أن الأسف الذي أشعر به سيترك لي حرية الذهاب»[1]. الآن استغرق كل منهما في البكاء.

أثار عدم انتقاله إلى دار أبيه على الفور مناشدة غاضبة من أمه: «لماذا لا تسرع إلى هنا كي أراك؟ عندما أحس بالحزن فإنك من بين الآخرين جميعاً من أتوق إلى رؤيته ومن

---

(1) للبعث في فردوس أميدا.

يجلب لي أعظم قدر من الارتياح. والقلق يستبد بي فيما الأمور تمضي على حالها».

تفهم حق الفهم مشاعرها بدورها، فأبلغ زوجته بقوله: «إن لي مكانة خاصة عندهما، ربما لأنني ابنهما الأكبر، وهما لا يزالان يكنان أقوى المشاعر لي ويفتقدانني عندما لا يريانني لبعض الوقت، بحيث إنني سأحس بعمق بالتقصير إذا لم أذهب إليهما الآن، فيما أشعر بدنو أجلي. أرجو أن تأتي بكل الحرص لزيارتي هناك، إذا سمعت بأن الأوان قد آن لقطع الرجاء من حياتي. وأعدك أننا سنلتقي مجدداً. إنني رجل كئيب وعاجز، ويؤسفني أنني أشعرتك بالإهمال في بعض الأحيان. ما أغرب التفكير في أنني لم أعرف قط أن حياتي قد تنقضي سريعاً وأنني قد افترضت أنني لا تزال لديَّ سنوات عديدة تمتد أمامي!». غادر المكان غارقاً في الدموع، وظلت الأميرة في مكانها تفتقده على نحو يستعصي على التعبير.

كانت دار معالي المستشار تتوقع قدومه، وأثار وصوله ضجة كبرى. غير أن الأمر لم يبد كأن حالته هناك كانت تنذر بالخطر على نحو عاجل، وإنما بالأحرى لم يتناول شيئاً من الطعام على امتداد بعض الشهور، والآن لم يعد يمس حتى ثمرة يوسفي أو أي شيء آخر من هذا القبيل، حتى إنه مضى يذوي، كأنما تمتصه قوة خفية. وحزنت الدنيا بأسرها لرؤية واحد من أكثر رجال عصره موهبة وقد رقد في فراش المرض، ولم يبق أحد إلا عاده في مرضه، وغالباً ما كان جلالة الامبراطور ونيافته المترهبن يستفسران عن حالته، ولم يضف حزنهما إلا المزيد إلى تعاسة أبويه. وحدَّث سمو الامبراطور الفخري في روكوجو نفسه قائلاً: «أي عار هذا الذي يحدث!»، وبعث إلى معالي المستشار باستفسارات دافئة ومتواترة. أما القائد، الذي كان صديقاً قديماً مقرباً منه، فقد كان بالطبع أقرب إليه من ذلك، واستبدَّ به حزن عميق.

أقيم الاحتفال بالعام الخمسين لنيافته، في الخامس والعشرين من الشهر. ولم يكن هناك كبير حماس، في ذلك الوقت، فيما أبرز النبلاء وأكثرهم حظوة بالتقدير في ذلك العصر يعاني من مرض عضال، وقد غرق أبواه، إخوته، أخواته والكثير من الأشخاص المميزين المرتبطين به، في الحزن، ولكن الاحتفال كان قد أُجل بالفعل مراراً، وأحس جينجي بأنه لا يمكن في نهاية المطاف أن يُلغى. وتصور في حزن الشعور الذي لابد أنه يستبد بسمو

الأميرة الثالثة. فأمر بقراءة النصوص المقدسة، على الوجه المناسب، في خمسين معبداً، وفوق ذلك أمر بأن تُكرَّس في معبد نيافته المترهبن أيقونة لماها فيروتشانا[1].

(1) الاسم السنسكريتي (مترجماً في الأصل بحسبانه ماكا بيروسانا) للإله الأسمى للمجمع البوذي الباطني للآلهة (شينجون)، الذي يظهر اسمه بصورة أكثر تواتراً في اليابان بصورته المترجمة داينيتشي (الشمس العظيمة). ونيناجي، المعبد التاريخي الذي يُربط تقليدياً بمعبد سوزاكو في الحكاية، مكرس لهذا الإله. وفي الأصل فإن هذه الجملة غير مكتملة.

36

كاشيواجي

السنديانة

تعني كاشيواجي «السنديانة». بعد موت كاشيواجي تستخدم أم أرملته هذه الكلمة في رد على يوجبري:

«مضى حقاً الإله الذي وقف حارساً يقظاً على هذه السنديانة
لكن ليت مثل هذه الأغصان المألوفة تستهل حميمية جديدة؟»

هذه السنديانة هي أرملة كاشيواجي بأكثر مما هي كاشيواجي نفسه، ولكن القصيدة منحت كاشيواجي والفصل اسميهما.

الصلة بالفصول السابقة

تتواصل أحداث «السنديانة» انطلاقاً من أحداث «براعم الربيع 2» من دون انقطاع.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 48 عاماً.

مراقب حراسة البوابة اليمنى ثم القائم بأعمال المستشار الكبير، 32 أو 33 عاماً (كاشيواجي).

سمو الأميرة الثالثة ثم سموها المترهبنة، 22 أو 23 عاماً(أونا سان نو ميا).

كوجيجو وصيفة أونا سان نو ميا.

معالي المستشار المتقاعد (تو نو تشوجو).

جلالة الامبراطورة، 40 عاماً (أكيكونومو).

جلالة الامبراطور، 22 عاماً.

نيافة المترهبن، الامبراطور المتقاعد، 51 عاماً (سوزاكو إين).

زوجة معالي المستشار المتقاعد، أم كاشيواجي (شي نوكيمي).

قائد الميمنة، ابن جينجي، 27 عاماً(يوجيري).

سمو الأميرة الثانية (أوتشيبا نوميا).

مدقق الميمنة الكبير، ابن تو نو تشوجو.

ابن أونا سان نوميا وكاشيواجي يولد (كاورو).

زوجة جلالة الامبراطور، ابنة جينجي، 20 عاماً، (أكاشي نو نيوجو).

الملاذ، أم أوتشيبا نوميا (اتشيجو نو مياسودوكورو).

ظل مراقب حراسة بوابة الميمنة مريضاً كذي قبل، وفي غضون ذلك أقبل العام الجديد. رأى حـزن أبويـه، وعرف أن تسـليم نفسـه للرغبة في الرحيـل لن يجدي نفعـاً، إذ إن ذلك سـيكون خطيئة خطيرة[1]، ولكـن ترى أين يجد الرغبة في التشـبث بالحياة؟ مضى يحدِّث نفسه: حتى حين كنت صبياً كان لديَّ طموح كبير، وكافحت في كل الأمور لأفوق أقراني، ومـن هنـا فقد تعاملت مع كل موضوع، خاصـاً كان أم عاماً، بكبريـاء خاصة، ولكن عندئذ علَّم فشـل أو اثنان أمثالي مدى ضآلة توقع النجاح، وانقلبت الحياة بأسـرها إلى خيبة أمل. وتقت أكثر فأكثر إلى التأهب للحياة المقبلة[2]، إلا أن حزن أبويَّ سيمنعني عندئذ جدياً من التجـوال في السـبخات والجبال، وأفلحت على نحـو أو آخر في تنحية الفكـرة جانباً. من غيري عساني أوجه اللوم إليه إذا كانت معرفة أنني لا أستطيع السبتة إظهار وجهي في الدنيا ثانيـة قـد وصلت بي في النهاية إلى ذروة اليأس؟ نعم الخطأ كان خطأي وحدي. ليس لديَّ أحد آخر لأوجه الاتهام إليه، كما أنه ليست لديَّ أي شكوى لأضعها أمام الآلهة والبوذات، لأن هـذا كلـه لابد أنه كان قدراً. وما من أحد في هذه الدنيـا صنوبرة عمرها ألف عام[3]، ما مـن أحـد يبقى للأبد، وطالما أن هناك أحداً يتذكرني قليـلاً، أحداً يفكر بي ببعض العاطفة، فلتكـن تلـك مكافأتي لاحتراقـي بلهب وحيـد[4]. وإذا قُدِّر لي أن أحيا، فإن العار سـيجلل اسـمي، وسـتغمرني وإياها الفضيحة، إذ بهذه الطريقة ربما أجد الغفران حيث لا أجد الآن إلا الإدانة! وكل ما ينتهي على خير فهو خير. وربما أن الدفء الذي دفع سـمو الامبراطور الفخري إلى أن يرغب في صحبتي غالباً على مدار السـنين هو الذي سـيعيد أحساسـه بي، طالما أنني لا أقوم بشـيء آخر يسـيء إليه. هكذا انطلقت خواطر المراقب قدماً، ومع ذلك فقد أحس أن الأمر بالغ القسوة.

راح يتسـاءل، وقد غمره العذاب، لماذا أوقع نفسـه في فخ على هـذا النحو. كان يمكن لوسـادته أن تطيـر بعيـداً[5]، ومضى يبكي بلا انتهـاء زلته، إلى أن منحت فترة راحة بسـيطة

(1) خطيئة سبق المرء والديه إلى رحاب الموت.

(2) أداء القسم الديني.

(3) كوكين روكوجو 2096: «ما أقل ما تلبي هذه الدنيا رغباتي، في حين لا أجد فيها صنوبرة عمرها ألف عام!».

(4) كوكين روكوجو 3984: «تصل ذبابة الصيف في النهاية إلى الحزن لأنها تحترق بلهب وحيد». «ذبابة الصيف» (ناتسوموشي) هي الحُباحبة، التي يعد نورها في الشعر هو لهب الهوى.

(5) كوكين روكوجو 3241: «مع كل الدموع التي تنحدر على فراش من يرقد وحيداً، فإنه حتى الوسادة الحجرية

عائلتـه لحظة تتيح لها الابتعاد، فبعث إليها برسـالة. وكتب يقـول: «لابد أنه قد أُتيحت لك المناسبة لسماع أن كل شيء ربما ينتهي بالنسبة لي قريباً. وهذا الخبر يعني لك القليل للغاية إلى حد أنك لا تسـألين عن حالي، وأنا أتفهم ذلك، ولكن على الرغم من هذا فإن صمتك قاس على نحو مرير». ولكن يده كانت ترتجف بصورة سـيئة، فتخلى عن محاولة قول كل ما يريده.

«عندما تحل النهاية، ويرتفع الدخان من محرقة متقدة أخيراً،

أعرف أن هذا اللهب الذي لا يخمد سيتقد عندئذ من أجلك.

آه، قولي لي على الأقل إنك تشفقين عليَّ! ستنير كلماتك المواسية مسيرتي على الطريق المظلم الذي اخترت سلوكه».

بعث أيضاً بمناشـدة متلهفة لا تعرف التوبة إلى كوجيجو. كتب يقول: «لابد أن أحادثها بنفسي مرة أخيرة».

وعلـى الرغم من صدمتها إزاء جسـارته، إلا أنها غلبها الأسـف لإدراكها أنه عما قريب لـن يعود له وجـود، إذ كانت قد قامت بأداء مهام بين داره ودار سـمو الأميرة منذ طفولتها، وعرفتهما كليهما بصورة جيدة. قالت مبتهلة وسط دموعها: «آه، ردي عليه لطفاً، يا سيدتي! أخشى أن ذلك سيكون للمرة الأخيرة ذاتها».

«إنني أتعاطف معه بصورة عامة، لأنني بدوري أعاني من الشـعور بأن كل يوم قد يكون يومـي الأخيـر، ولكن ما حـدث كان فظيعاً للغاية، ولسـت أريد المزيد منـه. لا، لا يمكنني المخاطرة بهذا». رفضت سـمو الأميرة رفضاً مطلقاً. وعلى الرغم من أنها بالطبيعة لم تكن عاقلة ولا رصينة، فإنها ربما خافت من الاستياء الذي يبديه في بعض الأوقات السيد النبيل الـذي يرعاهـا بحرص. وضعـت كوجيجو المحبـرة أمامها على الرغم مـن ذلك، ومضت تبتهل وتتوسـل إلى أن كتبت سـمو الأميرة كارهة في نهاية المطاف. وحملت الرسـالة إلى مقصدها سراً، تحت جنح الظلام.

كان معالي المستشار المتقاعد قد استدعى ناسكاً قوياً من جبال كازوراكي، والآن استقبل

يمكنها أن تطير بعيداً».

هذا الرجل، وكلفَّه بأداء صلواته. مضى أداء الطقس العظيم وقراءة النصوص المقدسة قدماً وسط ضجيج هائل. وبعث بأبنائه الأصغر سناً للبحث عن نساك آخرين كذلك، حيثما قال الناس إنهم يمكن العثور عليهم- بشكل أو بآخر رجال مقدسون من كل نوع، يحتجبون عميقاً في التلال ولا تعرفهم الدنيا على الإطلاق- واستدعى هؤلاء أيضاً، إلى أن بدأ زهاد جبليون منفرون وكريهون في التجمع بأعداد كبيرة في داره. وعانى المريض من مخاوف غامضة فحسب، وفي بعض الأوقات كان ينتحب فقط. وذكر معظم معلمي الين- يانج بعد الرجم بالغيب أن السبب روح امرأة، وهو الأمر الذي وجد معالي المستشار المتقاعد أن من السهل تصديقه. وعلى الرغم من ذلك، فإن رفض الروح الإعلان عن نفسها كان محيراً، وكان ذلك هو السبب في بحثه في كل ركن من أركان التلال.

رتَّل الناسك الضاري من كازوراكي الداراني[1] بقوة غامرة ومخيفة، فصرخ المراقب: «آه، لا يمكنني الاحتمال. من المؤكد أن خطاياي كبيرة للغاية لأن «الداراني» التي ترتل بصوت عال مخيفة، وأنا أحس يقيناً بأنني لابد لي من أن أموت!». انسل بعيداً ليحدث كوجيجو. غير أن معالي المستشار لم يعرف هذا، وعندما قيل له إن المراقب نائم صدق ذلك.

كان قبل ذلك قد تحدَّث حديثاً متسماً بالتحفظ مع الناسك. ومع أنه كان لا يزال متدفقاً بالحيوية والمرح، على الرغم من تقدمه في السن، فإنه الآن مضى يستقبل أناساً من هذا القبيل وجهاً لوجه، ووصف كيف أفصح مرض ابنه عن نفسه في أول الأمر وكيف أنه ازداد تفاقماً بطريقة ملتوية. وكان أمراً محزناً سماعه يتوسل: «افعل شيئاً، لطفاً، لجعل هذه الروح تظهر!».

قال المراقب: «أصغ إليه! إنه ليست لديه فكرة عما جنيته! لسوف أقدِّر نفسي أكثر كثيراً مما أقدرها إذا كانت روح المرأة التي يُفترض بالرجم بالغيب أن يُكشف عنها حقاً هي متشبثة بي. وعلى الرغم من ذلك، فلا طائل من المجادلة بأن تلك ليست المرة الأولى التي كان لرجل فيها من الصفاقة ما يجعله يتردى على نحو ما فعلت، ويعرض اسم شخص آخر للفضيحة، ويقضي على نفسه كذلك، لأنني لا أزال أشعر بالذنب نحوه، والآن وقد

---

(1) رقية منقولة عن السنسكريتية إلى الصينية حسبما تُنطق، وليست مفهومة كنص لغوي.

يعرف ما فعلته فإنني أنكمش من احتمال مواصلة الحياة، وهو الأمر الذي يتعين عليَّ القول إنه يؤكد فحسب أي ضياء ساطع يحظى به. إن جريمتي ليست حقاً على تلك الدرجة من الخطورة[1]، ولكن ما إن لمحت نظرته المحدِّقة في ذلك المساء حتى هربت روحي في غمار العذاب، ولم تعد ثانية قط. أرجو إذا كانت تلازم روكوجو أن تقيديها من أجلي لطفاً!»، بكى وضحك في وهن، وهو يتحدث، مثل قوقعة خالية.

وصفت كوجيجو كيف أن الذنب والخجل غمرا سمو الأميرة بدورها، وأحس كأنما بمقدوره أن يراها بالفعل، بالقنوط الذي يحيط بها، وبمحياها الذابل، وعندئذ فلابد أن روحه الجوَّالة قد مضت إليها حقاً! وجعلته هذه الفكرة أكثر تعاسة من أي وقت مضى. قال: «لا، لن أتحدث عنها مجدداً البتة. فالآن انتهى القليل الذي تقاسمناه أنا وهي، ومن الفظيع التفكير في أنه سيكبلني للأبد. كل ما أريده أن أعرف أن الواقعة التي تعنيني كثيراً قد مضت في يسر بالنسبة لها. وأنا لم أبلغ أحداً آخر بحلمي ذاك، ولكنني فكرت فيه طويلاً من تلقاء نفسي، وأنا قلق إلى أبعد الحدود». كان عمق يأسه شديداً للغاية بالنسبة لكوجيجو، على الرغم من الحماقة الفظيعة لما قام به، ومضت بدورها تبكي بمرارة.

دعا المراقب بمشعل يدوي، وقرأ رد سمو الأميرة. كانت قد كتبته بشكل جميل للغاية، على الرغم من أن خطها كان لا يزال يفتقر إلى الثقة: «إنني آسفة للغاية لسماعي بما أنت عليه، ولكن ما الذي يمكنني قوله حقاً؟ إنني أعرف أنك ستتفهم الأمر لقد كتبت تقول: (سيتقد عندئذ من أجلك):

سأرتفع معك، نعم، وأتبدد للأبد، لعل دخانك ودخاني

يحسمان أينا يحترق بأحزان أعظم.

هل تحسب أنني يمكنني البقاء على قيد الحياة من بعدك؟».

كان ذلك كل ما هنالك، ولكنه تأثر وشعر بالامتنان، وقال: «حسناً، سيكون دخانها كل ما أحتفظ به من هذه الحياة. كم كانت هشة!». الآن مضت دموعه تنساب أسرع من ذي قبل، وكتب رده وهو راقد، بين نوبات من البكاء. لم يكن للكلمات معنى، وماثلت آثار

---

(1) أونا سان نو ميا ليست امبراطورة ولا زوجة امبراطور.

طيور غريبة.

«على الرغم من أنني أتحول إلى دخان وأتصاعد للأبد نحو السماء الرحبة،

فلن أغادر جانبك يا من تظلين منيتي أجمعها.

فحدِّقي عالياً إذاً، وخاصة في المساء. ولا تكترثي قط بأنه قد يراك ويفهم الأمر، دعيني أحظى على الدوام بشفقتك العصية!».

أحسَّ بأنه غدا في حال أسوأ حتى بعد جهده المضطرب في الكتابة. «حسناً، عودي إلى سمو الأميرة قبل أن ينقضي وقت أكثر مما ينبغي من الليل، وأبلغيها بأنني موشك على الرحيل. ويؤلمني أن أنظر حتى بعد موتي إلى صدمة الناس عندما يتفهمون جلية الأمر. أي آصرة قديمة بينها وبيني يمكن أن تكون قد استعبدت فؤادي على هذا النحو؟». انسل مبتعداً، وقد غمرته الدموع ليرقد. كان عادة يبقي كوجيجو معه بين الحين والآخر ليثرثرا طويلاً حول لاشيء على الإطلاق، وضايقها الآن أن تراه صامتاً للغاية إلى أن أحست بأنها عاجزة عن المغادرة.

وصفت مربية المراقب حالته لها أيضاً، وقد استغرقت في البكاء بدورها. كان حزن معالي المستشار والآخرين مما يخلع القلب ألماً. واحتج معاليه قائلاً: «لكنك كنت تشعر بالتحسن أمس واليوم، فلم تبدو أضعف كثيراً الآن؟».

مضى ابنه يبكي كذلك: «ما الذي يمكنني قوله؟ كل ما هنالك أنه لم يعد لديَّ المزيد من الوقت».

في ذلك المساء، أحست سمو الأميرة بعدم ارتياح فسرته نساؤها المضطربات على أنه يعني أن اللحظة دنت، وأقبل جينجي المنزعج في التو، عندما أبلغنه بذلك. حدَّث نفسه قائلاً: الأمر سيئ للغاية! غير أنه أراد الاحتفاظ بخواطره لنفسه، وقد استدعى المعالجين، وكلف من يقوم بأداء الطقس العظيم باستمرار. وأقبل كل راهب يتمتع بقوى علاجية ليؤدي الصلوات بصوت عال.

وضعت حملها عند شروق الشمس، بعد ليلة طويلة مؤلمة. حدّث جينجي نفسه، عندما سمع بخبر أن الوليد صبي: السر لا يزال آمناً، ولكن الأمور يمكن أن تكون صعبة

جداً إذا بدا شديد الشبه بأبيه. لو أنها صبية لكان الوضع أكثر أمناً بكثير، إذ إن المرء يمكنه على الدوام أن يبعد الاهتمام عنها، بما أن قلة من الناس هي التي ستراها على أي حال. ومن ناحية أخرى، وأخذاً في الاعتبار هذا التشكك المؤلم، فإنه أمر جيد أن الطفل يحتاج إلى عناية أقل وليس إلى رعاية أكثر. ولكن كم هذا غريب! لابد أن هذا عقاب على ما أفزعني طويلاً جداً. ربما ستكون خطاياي أخف وطأة في الحياة المقبلة، الآن وقد جنيت عاقبة مدهشة في هذه الحياة الراهنة. وحسبت النسوة، اللواتي لم يدر كل هذا بخلدهن، أن وليداً يولد في مرحلة متأخرة من حياته لأم رفيعة القدر على هذا النحو سيعني الكثير بالنسبة له، وانشغلن بخدمته بمزيد من الولاء.


صحف مزدوجة

أُديت الطقوس المتعلقة بالميلاد بعظمة وروعة شديدتين[1]، وفي الاحتفالات بالميلاد التي أقامتها سيداته أظهرت الصينيات المعتادة والصينيات المزدوجة[2] والمناضد العالية[3] كيف تسابقت كل منهن في حرص مع الأخريات. وفي المساء الخامس حلَّ دور جلالة الامبراطورة لتقدم بفخامة، وكإيماءة من الحكومة، الوجبة الخاصة بالأم الجديدة وهدايا متدرجة على نحو مناسب لكل من وصيفاتها. وحرصت على أن تتسم كل جزئية بالكمال، من العصيدة إلى الخمسين مجموعة من زلابية الأرز، والوجبات الخاصة بمسؤولي الضيعة المختلفين والخدم وسائسي الخيل. وكان المفوض وبقية السادة العاملين في الدار جميعاً حاضرين، وكذلك حضر الوصفاء الخصوصيون لنيافته رايزي.

قدَّم جلالة الامبراطور وجبة المساء السابع، كإيماءة من الحكومة كذلك. وقد كان ينبغي على معالي المستشار أن يحضر كذلك، لكنه لم يكن يشغله إلا أمر واحد، ولم يبعث إلا بالتهنئات المعتادة. وكان عدد كبير من الأمراء وكبار النبلاء حاضرين. وعكست المظاهر

---

(1) قطع الحبل السُري، الاستحمام الطقوسي، الرضعة الأولى وهلم جراً.
(2) تسويجا سيني، صينية (أوشيكي) مرتبطة بقائمة بسيطة ومستطيلة.
(3) تاكاتسوكي، منضدة عالية للطعام أو الشراب تستنذ إلى قائمة واحدة.

الانطباع بأن جينجي يقدِّر الأم والطفل أعظم تقدير، ولكنه كان لديه في قرارة نفسه سبب يدعو للشعور بالمرارة، ولم يكرِّس نفسه للضيوف إلى حد كبير، ولم تُعزف موسيقى.

وجدت سمو الأميرة، التي لاحت بالفعل هزيلة للغاية، هذه التجربة غير المألوفة مفزعة تماماً، ورفضت كل الأشربة الدوائية، وبدلاً من ذلك راحت تفكِّر مجدداً في سوء طالعها، وفي كيف أنها تؤثر أن تموت. وعلى الرغم من تظاهر جينجي الرائع، فإنه لم يبد اهتماماً خاصاً بالوليد، الذي بدا قلقاً. وأشارت وصيفة عجوز سيئة الطوية على نحو حافل بالتقريع بقولها: «انظرن إلى أي مدى محدود يبدو أن سمو الامبراطور الفخري يهتم بالأمر. لايبدو أنه كما لو كان لديه الكثير من الأبناء، وهذا الابن جميل على نحو مخيف!». راحت سمو الأميرة، التي استمعت إلى هذا من بعيد، تفكر في مرارة بأن المسافة بينهما لن يُقدَّر لها إلا أن تزداد، وبلغ بها الأسى حداً أرادت معه أن تغدو راهبة.

لم يمض جينجي الليلة هناك، وأطل إطلالة عاجلة فحسب خلال النهار. راح يحدِّق حول ستارتها القائمة. وقال: «جعلني الاقتناع المحزن بأنني لم يبق لي إلا وقت محدود ألتفت إلى صلواتي، وبما أن الحياة غادرة على حالها، فإن كل الاضطراب الذي ساد أخيراً قد ثبطني عن المجيء. كيف حالك؟ هل تشعرين بالتحسن؟ إنني قلق عليك».

رفعت رأسها، وقالت: «مازلت أشك في أنني سأعيش، وهم يقولون إن هذه النوعية من الخطيئة خطيرة للغاية[1]. وأحسب أنني سأغدو راهبة، لأن ذلك قد يساعدني على أن أعيش وقتاً أطول، أو على الأقل قد يخفِّف ثقل هذه الخطيئة، إذا قُدِّر لي أن أموت في نهاية المطاف». هكذا تحدثت بطريقة أكثر نضجاً بكثير من المعتاد.

«لن تفعلي شيئاً من هذا القبيل. هذا محال. إنك تشعرين بالخوف بسبب ما تعرضت له، حسبما أتصور، ولكنه لا يهدد حياتك بالخطر». وعلى الرغم من ذلك فإنه في قرارة نفسه مضت خواطره في اتجاه مخالف. قد يكون أمراً مؤثراً للغاية أن أساعدها على القيام بذلك، إذا كان هذا هو ما تريده حقاً. المسكينة يحتمل إلى حد كبير أن تظللها سحابة مجدداً إذا استمرت معي على هذه الطريقة. إنني أشك في أنه بأفضل النوايا في الدنيا يمكنني أن أغيِّر

(1) خطيئة الموت نتيجة للولادة.

رأيي فيها، وستأتي أوقات صعبة، وسيلاحظ الناس لا مبالاتي، وسيكون ذلك من سوء الطالع، لأنه عندما يسمع نيافته المترهبن بهذا، فإن الخطأ سيبدو خطئي تماماً. وانحراف صحتها الحالي يوفر عذراً جيداً لتركها تفعل ذلك. يحسن بها أن تقوم بذلك.

في الوقت نفسه، فقد أصابته الفكرة بالنفور. وأزعجه أن يتصورها وهي تتخلى حزينة للغاية عن شعرها المسترسل، الطويل، ومعه الحياة التي لا تزال تمتد أمامها. فقال: «استجمعي شجاعتك، فلن يلحق به ضرر. لديك أمامك مثال شخص بدا أنه يقف عند باب الموت والذي شفي على الرغم من ذلك. وكما تعلمين، فإن الحياة لا تصدق معنا دوماً». شربت دواءها، ورقدت هنالك شاحبة للغاية وناحلة وهزيلة على نحو مزعج، وأحاطت بها عذوبة بالغة للغاية إلى حد أنه أحس بأنه لا بد له من أن يسامحها من القلب في نهاية المطاف، على الرغم من خطورة سقطتها.

أحس نيافته في معبده الجبلي بالارتياح لسماعه بأن لحظة ابنته الكبرى قد مرت على خير، وتلهف لرؤيتها، ولكنه بعد ذلك لم يسمع إلا حديثاً عن مدى مرضها، وأثَّر القلق على صلواته.

كانت ضعيفة بالفعل، والآن لم تكن قد تناولت طعاماً منذ أيام، الأمر الذي جعل حالتها مثيرة للقلق للغاية حقاً. وقد افتقدت والدها أكثر مما افتقدته طوال كل تلك السنين التي لم تره فيها على الإطلاق». صاحت وهي تبكي في مرارة: «ربما لا أراه ثانية أبداً!». جعل جينجي مبعوثاً مناسباً ينقل كلماتها إلى نيافته، الذي حزن حزناً بالغاً إلى حد أنه انطلق تحت جنح الظلام، على الرغم من معرفته التامة بأنه لا ينبغي أن يفعل ذلك.

أخذ وصوله المفاجئ، الذي لم يُعلن عنه بالمرة، جينجي على غرة، وغمره بالحيرة، قال: «إنني أدرك أنه خطأ مني أن أخضع مجدداً للعواطف الدنيوية، ولكن الضلالة الأصعب في التخلي عنها هي ظلمة قلب الأب. كنت أهمل نسكي، وأخشى أن شعوراً سيئاً قد يثور بينها وبيني إذا فقد أحدنا الآخر قبل الأوان، وهذا الخوف جعلني أقرر تجاهل الاستهجان، وأجيء إلى هنا في نهاية المطاف». وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت هيئته غير المألوفة تعكس الحرص على نحو جذاب، حيث إنه لم يكن يرتدي ثياباً دينية رسمية، وبدا جميل المظهر في اللون الرمادي، إلى حد أن جينجي حسده.

بدأ جينجي كالمعتاد بسفح الدمع، وأوضح الأمر قائلاً: «ليس هناك شيء يضيرها على وجه التحديد، ربما كان كل ما هنالك أنها كانت تزداد وهناً على امتداد شهور، وأنها أمضت وقتاً طويلاً للغاية من دون أن تتناول طعاماً كافياً».

أضـاف: «لا يمكننـي إلا أن أعتذر عن اسـتقبالك فـي مثل هذه الغرفـة»، ومضى بنيافته إلى وسـادة أمام فراش ابنته المحاط بالسـتائر. ومضت نسـاؤها يرتبن سـيدتهن كأفضل ما يستطعن، وأنزلنها إلى الأرضية[1].

نحَّى نيافته السـتارة جانباً قليلاً، وقال: «إنني أشـعر كأنني راهب في مناوبة صلاة ليلية، على الرغم من أنه من سوء الطالع أنني لم أقم بالكثير بعد لاكتساب أي قوة شافية، وكل ما يمكنني تقديمه لك هو شخصي، الذي فهمت أنك كنت حريصة على رؤيته». جفَّف عينيه، وبكت سمو الأميرة في ضعف كذلك.

قالت: «لسـت أظن أنني سـأحيا طويلاً. آه، أرجوك، لطفاً، الآن فيمـا أنت هنا، اجعلني راهبة!».

«ذلـك مطلب مثير للإعجـاب، إذا كنت تقصدينه حقاً، ولكن لا يمكنك أن تكوني على يقين كم بقي لك من العمر، وكما تعلمين فإن من هي مثلك لها مستقبل ممتد أمامها يمكن أن تنـدم علـى ذلك في وقـت لاحق. ويمكن للنـاس أن ينتقدوك عليه أيضـاً، وخير لك أن تمتنعـي عـن القيام بذلك». التفت إلى جينجي، وقـال: «كان حرياً بي أن أقوم بذلك لو أنها بـدا أنهـا تحتضر، بما أنها هي نفسـها تريـده. إنني أعتقد أن أي وقت علـى الإطلاق تقضيه كراهبة سيساعدها».

«لقـد كانـت تتحدث على هـذا النحو علـى امتداد أيام، ولكـن روحاً شـريرة يمكن أن تستدرج الشخص إلى أن يتمنى هذه الأمنية وبالتالي فقد تجاهلتها».

«سـيكون أمراً مختلفاً إذا كان هناك خطأ في هذه الحالة بالاستسلام لروح شريرة، حتى لو كانت أوحت لها بهذه الفكرة، ولكنني في الحقيقة سـأندم ندماً مريراً في وقت لاحق إذا لم أصغ إليها فيما هي ضعيفة بالفعل وموشـكة على الرحيل». مضى نيافته يفكر صامتاً في

(1) أنزلنها من الفراش المرتفع.

أن جينجي بعد قبوله الابنة التي قدمها له بمثل هذه الثقة التي لا حدود لها لم يخلص لها، على نحو ما أحس نيافته نفسه بخيبة أمل كبيرة لدى علمه بذلك على مر السنين، وذلك على الرغم من أنه لم يستطع التعبير عن لومه، وبالتالي اقتصر على استنكار ما يفكر فيه الآخرون وما يقولونه. وحدَّث نفسه:لم لا تنتهز هذه الفرصة لإبعادها عن سمو الامبراطور الفخري من دون تعريضها للسخرية بترك الانطباع بأنها أحست باليأس منه فحسب؟ إنه لا يزال يمكن الاعتماد عليه لرعايتها بالطرق الأكثر أهمية، ومن أجل ذلك على الأقل فقد أحسنت بأن عهدت بها إليه. وهي ليست بحاجة إلى أن ترفضه بحدة. وبدلاً من ذلك فإنني قد أجهز الدار الكبيرة البهيجة التي حصلت عليها من أبينا وأدعوها إلى الانتقال إلى هناك.

وطالما أنا على قيد الحياة فإنني أرغب في رؤيتها آمنة وأن أقول ما سيقوله المرء، وهو أن سمو الامبراطور الفخري لا يحتمل أن يتخلى عنها كلية. هكذا خلص نيافته إلى القول: نعم، ذلك هو ما سأقوم به. وواصل القول بصوت عال: «حسناً، إذاً، ربما أنتهز هذه الفرصة لأتركها تحظى بصلة بالاستنارة عن طريق تلقي الوصايا».

احتج جينجي في قرارة نفسه:ما الذي يعنيه هذا؟ ونسي في غمار شفقته واستيائه كل ما يكنه ضدها، فقد كان ذلك أكثر مما ينبغي. ومضى إليها مباشرة. وقال: «كيف يمكن أن تفكري في التخلي عني بهذه الطريقة فيما لم تبق لي إلا سنوات قلائل؟ عليك بالهدوء لحظة، وتجرعي دواءك، وتناولي بعض الطعام! إنني على يقين من أنك تقصدين خيراً، ولكن كيف يمكن أن تؤدي صلواتك في حالتك الضعيفة هذه؟ لابد لك من الاهتمام بنفسك أولاً!». ولكنها هزت رأسها سلباً، ومضت تفكر في الشكل المقيت الذي تحدَّث به. وأدرك بحزن وندم أنها على الرغم من تمالكها لنفسها، إلا أنها لابد أنها تشعر بأن لديها مبرراً للغضب منه حقاً.

أطل النهار، فيما هو يواصل جهوده المترددة لتثبيط همتها. ورغب نيافته في تجنب أن يطل نور النهار وهو في طريق عودته، واستدعى أكثر الرهبان الحاضرين جلالاً لأداء الصلاة وقص شعر ابنته. وكان الحفل الذي تخلصت خلاله من خصلات شعرها الوافرة والجميلة وتلقت الوصايا مثيراً للشفقة، وانخرط جينجي، الذي لم يستطع احتماله، في البكاء.

لمـا كان نيافته قد أحبها أشـد ما يكون الحب، وأراد لهـا الأفضل دوماً، فقد غمره حزن عميـق لرؤيـة كل آماله التـي علَّقها عليها وهي تتبـدد، وبكى بدوره، وقـال: «خفِّفي عنك، لابد أن تتحسـني الآن، وسـتكون فكرة طيبة بالنسـبة لك أن ترددي اسـم بوذا، وأن ترتلي النصوص المقدسة». كان النهار قد أقبل بكامل ضيائه، فسارع بالمضي بعيداً. وكانت سمو الأميـرة لاتزال ضعيفـة ومتهافتة، وقد عجزت عن الاسـتمتاع بزيارته كمـا ينبغي، أو حتى مجاذبته أطراف الحديث.

«كان هـذا كلـه كالحلم، وفي غمـار اضطراب ذهنـي أخفقت بجلافة في إبـداء امتناني للزيـارة، التـي أتذكر أنك قمت لي بها منذ وقت طويل[1]. ولسـوف أزورك في وقت لاحق تحقيقاً لتلك الغاية». وأمر جينجي بإعداد ركب يصاحب نيافته في طريق عودته.

رد نيافتـه: «طالمـا أحسسـت بـأن كل يوم قـد يكون يومـي الأخير، لم يكـن بمقدوري تصورهـا ضائعـة ومحرومة من أي شـخص آخر يكفل لهـا الحماية. وهذا هو السـبب في مفاتحتـي لـك بهذا الأمـر، وذلك على الرغم مـن أنك ربما تكون بعيداً عـن تفضيل ذلك، وبعد ذلك أحسسـت بالسلام يغمرني على امتداد سنوات، ولكنها إذا قُدِّر لها الآن أن تبقى علـى قيـد الحياة، فقد لا يناسـبها أن تواصل العيش وسـط الكثير من النـاس في إهاب غير مألوف بالمرة. وفي الوقت نفسـه يمكن أن يكون موحشـاً بالنسبة لها إلى حد بعيد أن تحيا بعيـداً فـي قرية جبلية أو أخرى، وآمل أن تظل على شـعورك بالاهتمـام بها، على نحو يتفق مع ظروفها الجديدة!».

«إنني أشـعر بالحرج فحسب لشـعورك بالحاجة إلى قول هذا. وحيرتي شديدة إلى حد أنني لا أعرف ما الذي يجري». بدا سمو الامبراطور الفخري منفعلاً حقاً.

تجلـت الروح التي أصابت سـمو الأميـرة[2]، خلال صلوات الهزيـع الأخير من الليل. وقالت بصوت صاخب: «تلق ذلك إذن! لقد ظننت أنك بارع للغاية باستعادتك الأخيرة[3]،

(1) قبل تسع سنوات في فصل «أوراق الوستارية الجديدة».
(2) تحدثت من خلال وسيطة. ويبدو أن جينجي يفترض أنها روكوجو، على الرغم من أنها لم تتحدث على هذا النحو من قبل قط.
(3) استعادة موراساكي.

وهـو الأمر الذي كان باعثاً على الضيق للغاية إلى حد أنني واصلت التربص منتظرة. والآن يمكنني الانصراف». وضحكت عالياً، فاستبد الفزع بجينجي. هل كانت هذه الروح هاهنا أيضـاً طوال الوقت؟ أحس بالاشـفاق والاسـتياء. بدا أن سـمو الأميرة قد انتعشـت قليلاً، ولكنهـا لـم يبد أنها قـد تجاوزت الخطر بعد. وأبقت نسـاؤها مشـاعرهن لأنفسـهن، على الرغم من صدمتهن، لأنهن أدركن أن سـيدتهن ربما تكون أحسـن حالاً بهذه الطريقة. وفي غضـون ذلك، أمر جينجي بأداء الطقس العظيم من دون انقطاع، وقام بكل ما يسـتطيعه من أجلها.

تردى المراقب إلى ما يقرب من فقدان الوعي، عندما وصلت إليه أخبار سـمو الأميرة، حيـث بقي أمل محـدود للغاية يرجى منه. وفكـر في إحضار زوجته الأميـرة إليه، لأنه كان يخشـى عليها بعمق، ولكن ذلك قد يجرح كبرياءها، وبالإضافة إلى ذلك فإن أمه وأباه كانا يلازمانه طوال الوقت، وأحس بأنه سيكون من قبيل الكارثة إذا شاء سوء الطالع أن يرياها، فأبلغهما بأنه يود زيارتها مرة أخيرة، ولكنهما رفضا ذلك رفضاً تاماً.

توسـل إليهمـا كليهما أن يرعياها. ولم تكن أمه الملاذ قـد حبذت هذا الزواج قط، لكن معالـي المستشـار أهـاب بها بحمـاس بالغ أن توافـق، حتى إنها سـمحت لنفسـها بأن يتم إقناعها، وكان نيافته قد وافق كذلك، حيث لم يدر ما عساه يفعل غير ذلك. وأدى قلق نيافته على سـمو الأميرة إلى دفعه، في نهاية المطـاف، إلى ملاحظة أنها هي الأميرة التي وجدت حامياً واعداً يعتمد عليـه، ومضى المراقب الذي كان قد سـمع ملاحظته يتذكرها الآن في يأس. وقال لأمه: «إنني أشـعر بالأسـف البالغ، لأسـباب عديدة، عندما أفكِّـر في أنه يتعين علـيَّ سـريعاً أن أتركها ورائي. ولكن الأمـر لا يتوقف عليَّ في تقرير ما إذا كنت سـأحيا أو أمـوت، ومـا يضايقني كثيراً يتمثل في الفكرة القائلة إنهـا ربما تضيق على نحو مرير بالصلة المفصومة بيننا، فارفقي بها ولبي احتياجاتها!».

ردت قائلـة: «لا تتحـدث على هذا النحو لطفاً! إلى أي مدى تتوقع أن العمر سـيمتد بي بعـد رحيلك بحيـث تتحدث معي على هـذا النحو عما يكمن في المسـتقبل؟». انخرطت في بكاء مرير حال دون اسـتمراره في الحديث، وهكذا فإنه أفضى بباقي ما لديه ليقوله إلى

مدقق الميمنة الكبير[1].

كان المراقب من رباطة الجأش والاقتدار مما جعل أخوته، وبصفة خاصة الأصغر سناً للغاية من بينهم، ينظرون إليه كأب لهم، وقد حزنوا جميعاً لأنه يتحدث بمثل هذا اليأس البالغ. وحزن كل من في الدار. وكان جلالة الامبراطور بدوره يحس بالأسف البالغ عليه. ولدى علمه بأنه يحتضر قام بتعيينه قائماً بأعمال المستشار الكبير في التو. وراح يتساءل عما إذا لم يكن امتنان المراقب سيمنحه القوة للقيام بزيارة أخيرة للقصر. ولكن المراقب لم ينل فترة راحة كهذه، وأعرب من فراش مرضه عن شكره لكرم جلالة الامبراطور. وتأثر معالي المستشار أكثر من أي وقت بهذا الدليل على تقدير جلالة الامبراطور الكبير له.

شعر القائد بالحزن البالغ على حالة صديقه، وغالباً ما كان يستفسر عنها، وجاء مباشرة لتهنئته على تعيينه. وكان جمع صاخب من الناس قد تجمع بجيادهم وعرباتهم حول البوابة قرب جناح المراقب. ولم يكن المراقب قد نهض من فراشه على الإطلاق منذ بداية العام، وتردَّد في استقبال مثل هذا النبيل العظيم من دون احتفاء به، ولكنه أسف كذلك لأنه ذوى على هذا النحو من دون أن يقوم بذلك. وقال: «لا تهتم، إذاً، أقبل. إنني أعرف أنك ستغتفر لي استقبالك وسط مثل هذه الفوضى». وصرف الرهبان من حول وسادته لحظة، واستقبل القائد.

كانا على امتداد وقت طويل مقربين أحدهما من الآخر، بحيث إنه ما من شيء كان يمكن أن يفرق بينهما، ولم يكن بمقدور أب أو أخ أو أخت أن يشعر بقدر أعظم من الألم إزاء احتمال الافتراق. وعلَّق القائد الآمال على أن مناسبة اليوم السعيدة ربما تجعل المراقب في حالة مزاجية مرحة، ولكن ياللحسرة، لم يحدث هذا. قال: «لماذا تتراجع صحتك على هذا النحو؟ لقد ظننت أن التهنئات التي تستحقها اليوم ستجعلك أفضل قليلاً». ورفع ركناً من الستارة القائمة.

«من سوء الطالع أنني لم أعد الرجل الذي كنته». كان المراقب يعتمر قبعته[2]، وحاول الجلوس في الفراش، ولكن هذا الجهد بدا أكبر من اللازم بالنسبة له، وبدلاً من ذلك رقد

(1) أخ أصغر سناً، ربما كان كوباي.

(2) كان من اللائق بالنسبة لسيد نبيل أن يعتمر قبعته (إيبوشي) حتى داخل الدار.

والأغطيـة فوقه، مرتديـاً طبقات من الأردية البيضاء الرقيقـة والمريحة. كانت الغرفة نظيفة ومرتبـة، وكان هنـاك بخـور في الهواء، وأظهرت طريقته الرشـيقة في الحيـاة أنه ظل منتبهاً علـى الرغم من ضعفـه. والكثير من الرجال عندما يصبحون مرضى فإن شـعرهم ولحاهم يصيبه التشـعث ويبـدو منظرهم مؤلماً، ولكـن المراقب في حالته الذاوية بدا أكثر شـحوباً فحسـب، وأكثر تميزاً من قبل. وقد رأى صديقه مدى ضعفه عندما رفع وسـادته وتحدث، ولاحظ ضعف تنفسه المثير للإشفاق.

«لـم تتراجـع صحتـك إلا القليل للغاية، أخـذاً في الاعتبار طول مـدة توعكك، بل إنك تبدو الآن بالفعل أفضل من ذي قبل». جفف القائد عينيه على الرغم من ذلك: «لقد وعدنا نفسـينا أن أياً منا لن يرحل قبل الآخر. هذا شـيء فظيع! وليس بمقدوري حتى أن أتبين لم أنـت مريض للغاية علـى هذا النحو. إننا مقربـان للغاية، ومع ذلك فإنني لازلت لا أعرف السبب!».

«إننـي أنا نفسـي ليس بمقـدوري أن أعـرف متى أصبحـت حالتي بهذه الخطـورة. وما مـن شـيء محـدد أصابني، ومـن هنا فإنني لـم أدرك في التو مـا الذي يحدث لـي، ولكنني أصبحت سـريعاً بالغ الضعف إلى حد أنني الآن لم أعد نفسـي على الإطلاق. وربما كانت هذه الصلوات والنذور تعيقني. وعلى الرغم من ذلك فإنني سـأرحل مسروراً لأنها بالفعل محنة كبيرة أن أمكث على هذا النحو، ولو أن الأمر كان بيدي لمضيت في طريقي مسـرعاً. ومع ذلك فهناك الكثير من الأمور التي سيؤسـفني أن أتركها. وسـيزداد والداي حزناً عندما لايعـود لـي وجـود لأخدمهما، وسـتبقى خدمتـي لعاهلـي ناقصة كذلـك. أما فيمـا يتعلق بطالعي، فياللحسـرة هناك شـيء آخر إلى جوار الحزن النابع من ترك الكثير مما يُندم عليه، شـيء هو عذابي المكنون، وأتسـاءل لماذا يتعين أن أعترف به الآن، فيما نهايتي تدنو. ومع ذلك فإنني أحس بأنني لابد أن أتحدث في نهاية المطاف وإلى من أتحدث إذا لم أحادثك؟ إنني أعرف أن لديَّ كل أولئك الأخوة، ولكنني لأسباب مختلفة لا أستطيع تصور طرح هذا الموضوع معهم. هناك موضوع صغير أسـأت فيه إلى سمو الامبراطور الفخري المقيم في روكوجو، وعلى امتداد شـهور توسـلت إليه في قرارة نفسـي أن يعفو عني، إلى أن غدوت بالـغ البؤس بحيث اسـتبدَّ بـي اليأس من الحيـاة، ووجدت أنني مريض، ثـم تلقيت دعوته

لحضور تجربة الأداء الموسيقي لحفل نيافته. وقد فهمت من الطريقة التي نظر بها إليَّ بينما كنت هناك أني لم يتم العفو عني بعد، وتركني ذلك أكثر اقتناعاً بأنني لا أجرؤ على مواصلة العيش. والاستفظاع الذي استشعرته أثار عاصفة في فؤادي، وكما ترى فإنني لم أعرف السلام مجدَّداً قط. وربما لم أعن له الكثير قط، ولكنه كان يعني الكثير بالنسبة لي منذ كنت صبياً، ومن هنا فإن مسألة التقول الذي بلغ مسامعه عني سيظل مثار انشغالي الأكثر مرارة في هذه الحياة، وقد يقف في يسر في طريقي في الحياة المقبلة كذلك. فأرجو أن تنفرد به لحظة، وأن تفسر له مشاعري له على الوجه اللائق، إذا كان بمقدورك تدبُّر القيام بذلك. وإذا صفح عني، حتى بعد رحيلي، فسوف تستحق التقدير على ذلك». كلما طال حديثه زاد الجهد الذي يتعين عليه بذله من أجل ذلك. وتأثر القائد تأثراً شديداً. وكانت لديه فكرته الخاصة عما يمكن أن يكون الأمر عليه، ولكنه لم يستطع التيقن من ذلك.

«ما الذي يمكن أن يثقل على ضميرك بهذه الطريقة؟ إن سمو الامبراطور الفخري لم يفصح قط عن أي مشاعر من هذا النوع، وقد أدهشه وآلمه أن يعرف إلى أي حد وصل مرضك، ويبدو أنه يشعر بالأسف الشديد على ذلك حقاً. لماذا لم تقل شيئاً حول هذا فيما هو يثير قلقك على هذا النحو الشديد؟ كان حرياً بي أن أتحدث نيابة عن كل منكما إلى الآخر. وأحسب أن الأوان قد فات الآن». تمنى في حزن لو أنه كان بمقدوره إعادة الزمن إلى الوراء.

«نعم، كان ينبغي حقاً أن أتحدث معك في إحدى تلك اللحظات التي شعرت فيها بالتحسن قليلاً. ومع ذلك فإنه لم يخطر ببالي قط أن ساعتي ستحين قريباً بمثل هذه السرعة، ومضيت في حمق أحدِّث نفسي بأن المرء لا يمكنه أن يعرف مدى طول عمره. أرجو ألا تذكر هذا لأحد أبداً. لقد أبلغتك بالأمر فحسب لا لشيء إلا لأطلب منك أن تتحدث نيابة عني عندما تتاح مناسبة ملائمة. أرجو أن تبقى على اتصال بسمو الأميرة المقيمة في اتشيجو[1] عندما يبدو من الملائم القيام بذلك. ومن المؤكد أن نيافته سيعلم بمحنتها، وآمل أنك ستقوم بما تستطيعه لطمأنته».

لابد أنه كان لديه أكثر من ذلك بكثير مما يقوله، ولكنه لم تعد لديه القوة للحديث،

(1) زوجته، الأميرة الثانية. ولم يتم الإتيان من قبل على موقع مسكنها («الجادة الأولى»).

وبـدلاً من ذلك أشـار بيده إلـى أن على القائـد المغادرة. وعـاد الرهبان الذيـن كانوا هناك للصـلاة إلى جانبـه، وتجمع حوله أبواه والآخرون، وثارت ضجة كبرى، وانسـحب القائد الباكي.



راهبان

غمـر الحـزن زوجـة القائـد[1]، دع جانبـاً الزوجـة كوكيدين. كانت روح المراقب بالغة السـخاء، وعواطفه أخوية تمامـاً، إلى حد أن زوجـة معالي وزيـر الميمنة[2]، أحسـت بأنها قريبـة منه للغاية كذلك، ومـن هنا فقد حزنت عليـه من كل قلبها، وكلفت من يؤدي طقوس الصـلاة نيابة عنـه، ولكن ما من علاج من هذا النوع أمكنه شـفاؤه من محنتـه[3] ولـم يحدث فارقـاً، فمـات مثلما يـذوب الزبد منفصـلاً عن الماء، مـن دون أن يفلح فـي مقابلة الأميرة مجدداً.

لـم يكن شـعوره نحـو الأميـرة عميقاً ولا مـلء الفـؤاد قط، ولكنـه عاملها علـى النحو المناسـب في كل الأمور العادية، ولما كان حريصاً ولطيفاً دوماً، من دون ألفة لا مبرر لها، فلم يكن لديها سبب للشكوى قط. وراحت تحدِّث نفسها، وهي تسترجع الماضي، أنه لا بد أن قصـر عمـره البالغ هو الذي جعله لا مبالياً على هذا النحـو الغريب بأمور الدنيا العادية، وكانت هذه الخاطرة مؤلمة للغاية إلى حد أنها غرقت في كآبة مثيرة للشـفقة. وحزنت أمها بمرارة على السخرية القاسية التي ستنهال على ابنتها[4]. وكان من الطبيعي أن يتمنى معالي المستشـار وزوجته لو أنهما كانا قد سبقا ابنهما، وعبثاً احترقا بألم هذا الانقطاع في السياق المناسب للحياة.

---

(1) كوموي نو كاري، أخت كاشيواجي.

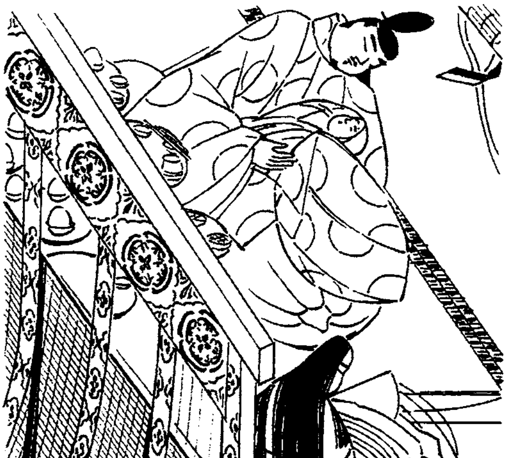
(2) تاماكازورا.

(3) سويشو 665: «غدوت عليلاً من غياب حبيبي، وما من دواء عدا نبتة قلب لقلب [أوى] يمكنه شفائي».

(4) لأن الحاجة دفعتها إلى الزواج ممن هو أدنى من مستواها، لا لشيء إلا ليتركها زوجها أرملة.

أشفقت سمو الأميرة المترهبنة[1]، التي لم يكن تهور المراقب بالنسبة لها أكثر من شيء مقيت قط، والتي لم تكن تود أن يعيش طويلاً، أشفقت عليه على الرغم من ذلك عندما سمعت بنبأ موته. وبدا لها أن الطريقة التي تنبأ بها بميلاد ابنها تؤكد أن هذه الحادثة المقيتة كانت مقدَّرة مسبقاً، وتعددت مخاوفها وأحزانها للغاية إلى حد أنها بدورها انفجرت باكية.

كانت السماء معتدلة، إذ إن ذلك كان في الشهر الثالث، وقد آن الأوان للاحتفال باليوم الخمسين للوليد. كان جميلاً وفاتناً للغاية وقد بدا أكبر من سنه، وراح يلثغ بالفعل. أقبل جينجي وتساءل: «هل تشعرين بأنك أحسن حالاً الآن؟ إن ما قمت به هو إهدار بالغ! بأي قدر من السعادة كنت سأراك على هذا النحو على نحو ما اعتدت أن تكوني عليه! كان قاسياً منك تركي على ذلك النحو». كانت هناك دموع في عينيه، وكان صوته مفعماً بالمرارة. وجاء يومياً، والآن أخيراً بدأ في معاملتها بأرفع درجة من التقدير.


الاحتفال باليوم الخمسين لميلاد كاورو

في اليوم الخمسين، كان يُفترض أن يقوم والد الطفل بتغذيته بالموتشي[2]، وبسبب الإهاب غير المألوف لسمو الأميرة فإن نساءها كن يتساءلن عما عساهن يفعلنه، عندما وصل جينجي. وكانت مربيات الوليد يرتدين ملابس رائعة، وكانت الأشياء الموضوعة أمامه -سلات فاكهة وصناديق مقسمة من خشب السرو- مزينة على نحو جميل بكل أنواع الألوان الرائعة، ومضت النسوة داخل الستائر الحاجبة وخارجها يحدثن ضجة حوله بفرح بريء، إذ لم تكن لديهن فكرة عن الحقيقة، ومضى جينجي يرقب

(1) أونا سان نو ميا، التي غدت الآن راهبة.

(2) أرز دبق، يُطعم منه الوليد بالعيدان الخشبية. والنسوة التابعات لأونا سان نو ميا يعانين من الارتباك حيال الكيفية التي يرتبن بها الحفل الآن وقد غدت راهبة.

الأمر كله ويحدِّث نفسه قائلاً: «يا لها من مسألة مخجلة مقيتة!».

نهضت سمو الأميرة، وأشاحت بعيداً عن جينجي، وقد استبد بها الشعور بالحرج، لأنه نحى جانباً الستارة التي فصلت بينهما، ليبعد عن جبينها الأطراف المشاغبة والكثيفة والمنتشرة لشعرها. كانت أصغر حجماً وأخف وزناً من أي وقت مضى، ومن الوراء لم يكن بمقدور أحد القول إن هناك اختلافاً فيها، إذ إن شعرها قد تُرك طويلاً تماماً، فقد بدا أمراً مثيراً للشفقة أن يتم قصه[1]. وفي طبقات أرديتها الرمادية رداء فوق آخر تحت رداء برقوقي أحمر ضارب إلى الصفرة، وبملمحها الجانبي الذي لا يزال بعيداً عن أن يكون ملمح راهبة، بدت أقرب إلى طفلة جميلة، ونقل قوامها الانطباع بالجاذبية والرشاقة. قال جينجي: «يالمرآك! إنه كئيب ومحزن ذلك اللون الرمادي، ويسعدني أنني سأواصل رؤيتك، حتى على ما أنت عليه الآن، ولكن لأسباب مختلفة فإنني شديد الأسف لفهمي أن دموعي العاجزة والحمقاء على نحو عنيد هي التي جعلتك تتخلين عني على هذا النحو، وكل ما أتمناه أن يكون بمقدورك العودة عما مضيت فيه». تنهد: «إذا تركتيني الآن؛ فإن الأسى والخجل سوف يقنعاني بأنك أنت نفسك ترفضينني حقاً. أرجو أن تشفقي عليَّ!».

«إنني أسمع أن من هي مثلي تعرف الآن القليل عن المشاعر الإنسانية. ما الذي يمكنني إذن قوله إذ إنني لم أعرفها على أي حال قط؟».

«آه، ما الجدوى؟ من المؤكد أنك قد أُتيحت لك المناسبة لتتعلمي شيئاً عنها!». لم يقل جينجي المزيد، وراح بدلاً من ذلك يرقب الوليد.

كانت المربيات الكثيرات اللواتي يقمن على خدمته يجمعن بين النبل والأناقة، واستدعاهن جينجي، وأصدر إليهن تعليماته حول كيفية العناية به. وقال: «ياللحسرة، كم هو محزن التفكير في أنه جاء إلى هذه الدنيا فيما لم يبق لي أنا نفسي إلا وقت قصير للغاية!». كان الوليد جميلاً على نحو شهي وممتلئاً، وابتسم بصورة جذابة عندما احتضنه جينجي. ولم يبد شبيهاً كثيراً بما تذكره جينجي من القائد في هذا العمر. كان أبناء زوجة

(1) الشعر عند جبينها تم قصه، والأطراف تزعجها، ولكن شعرها من الخلف لا يزال أطول مما درجت الراهبات على قصه (أما سوهي).

جلالة الامبراطور[1] الصغار يشبهون جلالته أبيهم، وكان لهم تميزهم الامبراطوري اللائق بهم، وذلك على الرغم من أنهم بخلاف ذلك لم يكونوا جذابين على نحو لافت للنظر. وقد تأثر عندما وجد أن هذا الصبي الصغير لم يكن نبيلاً فحسب، وإنما جذاباً أيضاً، بعينين جميلتين وابتسامة لا تفارقه. حدَّث نفسه: ربما كان الأمر من نسج خيالي، ولكنه يبدو شبيهاً به إلى حد كبير. وعيناه هاتان سيكون لهما سحر جليل فذ، وياله من محيا بهيج! لم تفهم سمو الأميرة المترهبنة إلا القليل مما فعله، ولم تعرف وصيفاتها شيئاً على الإطلاق، وفي سريرته فحسب تنهد، وحدَّث نفسه:آه، ما أقصر العمر الذي قُدِّر له أن يحياه!

هدَّدت دموعه بالانهمار كالمطر، فيما مضى يفكر في هشاشة الحياة، ولكنه جففها خلسة، لأن طابع اليوم يحظرها[2]، وراح يدندن لنفسه: «عرفت طويلاً أحزان التفكير الصامت»[3]. وأحس كما لو أن حياته قد انتهت، وذلك على الرغم من أنه كان أصغر بعشر سنوات من الشاعر، وغمرته الكآبة. ولابد أنه قد أحس بالرغبة في إضافة التحذير: «لا تسر على خطى أبيك!»[4].

لابد أن واحدة أو اثنتين من نسائها تعرف ما حدث. لكم أود أن تفهمني! ولكن لا، فربما أبدو بالنسبة لها مثل رجل أحمق. وعلى الرغم من ذلك لا تكترث بالدور الذي قمت به أنا في هذا. لم يفصح محيا جينجي عن أي من هذه الخواطر. كيف يبدو ذلك اللثغ البريء، هاتان العينان الرقيقتان وذلك الفم المحب لشخص لا يعرف من الأمر شيئاً؟ وعلى الرغم من ذلك فإن الشبه كبير. وما أغرب التفكير في أنه لم يترك أكثر من هذا الميراث المثير للإشفاق والمجهول تماماً، طفلاً ليس بمقدوره قط أن يُريه لأبويه، على الرغم من أنهما كانا يبكيان من أجل أن يكون له طفل. وعلى الرغم من كبريائه وكماله فقد جلب لنفسه الدمار! طرد الإشفاق والأسف الإساءة من فؤاد جينجي، فانخرط في البكاء.

اقترب من سمو الأميرة، بينما كانت كل النساء في مكان آخر. «ما الذي يعنيه بالنسبة

---

(1) أولاد ابنة جينجي.

(2) اليوم الخمسون لكاوورو هو من حيث المبدأ مناسبة سعيدة تُعد الدموع شيئاً محظوراً فيها (كوتويمي).

(3) جزء بيت من قصيدة نظمها باي جويي (هاكوشي مونجو 2821)، عندما ولد ابنه البكر وهو في الثامنة والخمسين من عمره. والبيت بكامله يأتي على ذكر الأفراح والأحزان كذلك.

(4) مقطع آخر من قصيدة باي جويي.

لـك؟ هل أنت مسـرورة حقاً للتخلي عـن طفل كهذا لتديري ظهرك للدنيا؟ يا له من شـيء تفعلينه!» جلست هناك، وقد احمرَّت خجلاً.

«لئن سأل أحد عمن، في ريعانه، غرس تلك البذرة بعيداً

فأي رد سيبديه الصنوبر المزروع في الصخر؟[1]

إنني أشـفق عليه». هكذا همس جينجي، لكنها رقدت من دون أن تجد رداً. ففهم جلية الأمر، ولـم يضغط عليها أكثر من هذا. ما الذي كانت تحسبه؟ ربما تفتقر إلى العمق، ولكن على الرغم من ذلك فإن هذا لا يمكن أن يكون مجرداً من المعنى بالنسـبة لها! كان الجهد الذي بذله لسبر أغوار مشاعرها مؤلماً للغاية.

تـاق القائـد إلى معرفة ما الـذي يمكن أن يعنيه ذلك التلميح، الـذي أحس المراقب بأنه مضطـر للقيام بـه. كان حرياً به أن يتركني أعرف ما فيه الكفايـة للتوصل إلى جلية الأمر، إذ إنـه مضى إلى ذلك الحـد على أي حال، لو أن ذهنه بقي صافياً مدة قصيرة أطول. يا لها من نهايـة حزينـة ويا له من توقيـت تعس ترك القصة مـن دون أن تكتمل على ذلـك النحو! لم يسـتطع القائد نسـيان كيف بدا صديقه آنـذاك، وكان أكثر تأثراً من إخـوة المراقب. ومضى يحدِّث نفسـه:لم تكن سمو الأميرة المترهبنة مريضة مرضاً شديداً عندما تخلت عن الدنيا، ومن المؤكد أنها لم تجد صعوبة في حسم رأيها! وعلى أي حال هل كان سمو الامبراطور الفخـري يمكـن له أن يسـمح بذلك؟ إنني أسـمع أنه عندما كانت سـيدته تحتضر في نيجو توسـلت إليه غارقة في الدموع أن يسـمح لها بالشيء نفسـه، وضايقته الفكرة كثيراً إلى حد أنه رفض في نهاية المطاف. وفكَّر القائد في كل مفتاح يفضي إلى مغاليق السر. نعم، لابد أنـه كانـت هناك أوقات لم يتمكن فيها المراقب من السـيطرة على ميلـه الواضح ذاك. وقد أفلـح فـي الاحتفاظ بمظهـر هادئ، وظل أكثر حرصـاً من معظم الرجـال، بحيث أن رباطة جأشه جعلت من الصعب سبر غور ما يفكر فيه، بل وأزعجت من يعرفونه، ولكن له جانبه الضعيف كذلك، وكان عاطفياً أكثر من اللازم، ولابد أن ذلك هو السر. عاطفة أم لا، كيف أمكـن أن يسـمح لرغبـة محظورة بـأن تتغلب عليه بتكلفة هـي حياته ذاتها؟ يا له من شـيء فظيع بالنسـبة لها! ما الذي دفعه إلى أن يمضي ويقضي على نفسـه؟ ربما كان هذا هو قدره

---

(1) المراد ب«الصنوبر» كاورو، وتشكل قصيدة جينجي معارضة لكوكينشو 907.

فـي نهاية المطاف- من يدري؟- لكن كان شـيئاً من الحماقـة والفظاعة القيام به. على هذا النحو مضت تأملات القائد، ولكنه لم يقل شـيئاً فيما يتعلق بها حتى لزوجته، ولـم يسـتطع التطرق إلى الموضوع مع جينجي أيضاً، من دون سبب كاف يدعو للإقدام على ذلك. ومع ذلك تطلع إلى رؤية التعبير المرتسم على محيا جينجي لدى إبلاغه بما تناوله المراقب في معرض الحديث معه.

ظل والد المراقب وأُمه غارقين في الدموع، ولم يدريا بشيء حتى عن الانقضاء الحزين للأيام، وهكذا عكفا على ترتيب الأردية للجنازة، وإعداد الغرفة، والقيام بكل الاستعدادات الأخـرى لأبنائهمـا وبناتهما. وكُلِّف مدقـق الميمنة الكبير بالعنايـة بالنصوص والأيقونات المقدسـة. وعندما كان أي أحد يلفت انتباه معالي المستشـار إلى تلاوة النصوص المقدسة في اليوم السابع، كان يكتفي بالقول شارداً، مثلما شخص لم يعد من بين الأحياء: «لاتحدثني عن ذلك لطفاً، فعذابي قد لايسفر إلا عن عرقلته في مسيرته!».

كان مـن الطبيعـي أن تتألم الأميرة المقيمة في إتشـيجو لأنها لم تـر المراقب قبل موته، وعلـى الرغـم من أن أتباعـه الموثوق بهم أكثر مـن غيرهم كانوا لا يزالـون يجيئون لتقديم خدماتهـم، إلا أن مسـكنها الفسـيح بدا أكثر وحشـة وانعزالاً مـع مرور كل يـوم، وغالباً ما ذكرها مشـهد سائسـي الخيل والقائمين على رعاية الصقور وهم يتجولون على غير هدى خارجين وداخلين بصقوره وجياده الأثيرة بكيف يمكن للأسى أن يتجدَّد بلا انتهاء. وكانت هناك قطع الأثاث التي يفضلها، وآلتا البيوا والواجون اللتان كان يحب العزف عليهما، وقد ارتخت أوتارهما، ولفهما الصمت. كم هي مؤلمة عزلتها الآن!

ذات يـوم كئيـب ومضجر، كانـت تحدِّق حزينة فـي أزهار الحديقـة المبرعمة والزهور التي تعود في موعدها دائماً، وقد أحاطتها في غضون ذلك نسوة في ثياب الحداد الرمادية، عندمـا ترددت في الخارج صيحات التحذير التي يطلقها أحـد المرافقين، وتوقف أحدهم أمام الدار. صاحت إحدى النسـوة باكية: «آه، لقد ظننت أنه سـيدي الراحل! لقد نسيت!»، كان القائد هو الذي بعث بكلمة تفيد بوصوله. وكانت الأميرة قد افترضت أنه لابد أن يكون المدقـق أو الاستشـاري أو أحد الآخرين كالمعتاد، ولكنه أقبل بعـد ذلك، متألقاً على نحو مهيب في شخصه كأقصى ما يمكن أن يكون.

أُعـد مقعد له في الممشـى خـارج الغرفـة. وكان أعظم بكثير مـن أن يعامل كأي ضيف آخر، واستقبلته أمها الملاذ بنفسها.

استهَّل حديثه قائلاً: «أثرت فيَّ هذه المأساة أكثر ممن يرتبطون به بصورة طبيعية، ولكن ضوابط العرف منعتني من تقديم تعازيَّ في وقت أكثر تبكيراً، والآن ألزم الحداد عليه أكثر من أي شـخص آخر. وفي النهاية عهد إليَّ بتوجيهات معينة لم تتركني لا مبالياً. ما من أحد يفلـت من أحزان الحياة، ولكن الآن وقد رحل، فإنني أعتزم طالما كنت على قيد الحياة أن أظهر لك بكل السـبل التي في وسـعي أنني أظل مخلصاً لك. وربما لم يكن مناسباً بالنسبة لـي أن أبقى طويلاً بصحبتك، في وقت كانت تقـام فيه طقوس كثيرة للآلهة[1]، وقد أخرّت زيارتك لذلك السبب، لأنني لن أُمنى إلا بخيبة الأمل من جراء البقاء واقفاً في حضرتك[2]. والظلام في فؤاد أبي شـيء، ولكن ما رأيته وسـمعته عن معاناة معالي المستشار يشير على نحو مفعم بالحياة إلى مدى عمق شـعور ابنتك حيال كل ما تقاسـمته هي والمراقب، وإني لأعتـرف بتأثري الشـديد». غالباً ما كان يجفف عينيـه ويتمخط وهو يتحدث. وعلى الرغم من تميزه الذي يأخذ الألباب فقد كان بالغ الدفـء والرقة.

ردت عليـه المـلاذ، والدموع تنعكس فـي صوتها: «الأحزان هي درب هـذه الدنيا التي لا قيمـة لها. وما من ألم تسـببه لنا يمكن أبـداً أن يكون جديداً، وأنا أحـاول بهذه الروح أن أكون شـجاعة، علـى الرغم من أن السـنين أثقلتني بوقرهـا، ولكنني أخاف علـى ابنتي في غمار يأسها، لأنها يبدو أنها لن تبقى على قيد الحياة بعده طويلاً، وبعد كل ما تحملته فإنني أرتجـف فرقـاً من أننـي ربما أكون قد واصلـت العيش لا لشـيء إلا لأرى نهاية كل من هو عزيـز علـيَّ. وأنا لم أرحب به في البدايـة، كما لعله أخبرك، حيث أنكما معـاً كنتما مقربين أحدكما من الآخر للغاية، ولكنني وجدت حماس معالي المستشـار شـيئاً يصعب إنكاره، وبما أن نيافة المترهبن بدوره بدا راضياً تماماً. وأدركت أن مشاعري لن يقدر لها أن تهيمن، ومن هنا فقد تقبلته، وذلك على الرغم من أنني لأسـفي الشـديد خلصت من هذا الكابوس

(1) الشهر الثاني (الشهر الثالث حالياً) كان شهراً حافلاً بالمشاغل بصفة خاصة، حيث تتوالى فيه مناسبات مثل مهرجان مزار كا سوجا، ومهرجان مزار أوهارانو ومناسبات أخرى.

(2) لو أن يوجيري كان قد زار أوتشيبا وأمها خلال الشهر الثاني، لاضطر إلى البقاء واقفاً والامتناع فعلياً عن دخول الدار، لأن التضرع للآلهة يحظر أي تماس مع التلوث بالموت.

إلـى أننـي كان يمكن أن أحسـن صنعاً لو أننـي أصررت على رأيي أكثر ممـا فعلت. وأنا لم أتصـور قط أن الأمور سـتجري في هـذا المنعطف الذي مضت فيه، وأنـا أنتمي إلى الطراز القديـم بمـا يكفي للاعتقاد بأنه لايليق بأميـرة أن تتزوج، بغض النظر عـن النتيجة، ولكنني أشـك في أنه سـيلحق بسـمعتها أي ضرر إذا مزجت دخانها الآن بدخانه، حيث إنهما على أي حال كان مقدَّراً لهما أن يتمازجا معاً فيما بينهما. غير أنني بالتأكيد لا يمكنني أن أسـلم نفسي لهذه الفكرة، وأنا لازلت أمنحها أرق الرعاية من جانبي. وقد كانت تعبيراتك الدافئة والمتكـررة عن اهتمامك، التي لاشـك في أنها ترجع إلى الصداقـة التي ربطتك به، مصدر ارتيـاح كبيـر لـي، وأود أن تعرف مدى امتنانـي لك. إنه لم يكن يهتم بهـا على نحو ما كنت آمل، ولكن تلك الكلمات الأخيرة المؤثرة التي قالها لك هي شـعاع نور في الظلام». وقد أدرك أنها تبكي بمرارة.

لـم يسـتطع أن يوقف في التو دموعه. ورد قائـلاً: «ربما كانت هذه هي حقاً الطريقة التي قُدِّر بها لرجل كامل على نحو ملحوظ أن يلقى نهايته، لأنه قبل عامين أو ثلاثة أعوام مضت كان قـد بـدأ يلوح حزينـاً ومكتئباً، وغالباً ما حذرتـه، على الرغم من افتقـاري الخاص إلى الرشاد، من أن الرجل الذي يتطلع إلى آمال جديدة في الحياة، ويفكر في أمور بالغة العمق، يصبـح أكثـر ابتعـاداً عنها من أن يكـون جذاباً، ويفقد فحسـب ما ربما يحظى بـه من بريق، ولكنـه بـدا أنه يجد رأيي سـطحياً فحسـب. وقلبي يخفق فـي المقام الأول لسـمو الأميرة، إذا كان لـي أن أقـول هذا، فـي غمرة زخم حزنها الطبيعي». وبعـد أن تحدَّث بدفء ولطف بالغين، ومكث أطول قليلاً مما كان ينبغي أن يبقى، استأذن في الانصراف.

علـى الرغـم من أن المراقـب كان أكبر من القائد بخمس سـنوات أو سـت، إلا أنه كان قد احتفظ بكل رشـاقة الشـباب وجاذبيته. أما القائد نفسه فقد فاق كل شخص آخر، بفضل كبريائه وشـخصه المفعم بالرجولة، حتى إن وجهه وحده أوحى بالجمال الحق للشـباب. وقد حظيت الوصيفات الشـابات بقليل من الارتياح من حزنهن من خلال متابعة تصرفاته. وقـرب الدار انتصبت شـجرة كـرز رائعة ذكَّرته بالمقطـع من قصيدة الذي يقول: «أتوسـل

إليـك، هـذا العـام فحسـب!»[1]. ولكن تلك الشـجرة كانت حولهـا هالة موحيـة بالافتقار للحظ، وبدلاً من ذلك راح يدندن: «لن أراك بعد الآن»[2].

«عندما يحل ذلك الموسم، ستظل تزهر كالسابق بجمال لم يتغير
شجرة الكرز المألوفة هذه التي فقدت غصناً كبيراً»[3].

ألقى القصيدة، على نحو عفوي، وبينما وقف هناك، ردت الملاذ تواً:

«الآن فيما الربيع هنا، تتألق أغصان الصفصافة المبرعمة بلآلئ الندى،
لأنها لا تعرف ما الذي ينتظر البراعم المتناثرة من الغصن»[4].

على الرغم من أنها ليست عميقة كبعض السيدات، إلا أنها اشتهرت عندما كانت خليلة لجلالة الامبراطور بأسلوبها الراقي ولماحيتها. وقد بدا للقائد أنها تستحق هذه السمعة عن جدارة.

واصل مسيرته إلى دار معالي المستشار، حيث وجد الكثير من أبناء معاليه. ولدى دعوته إلـى الدخول، دلف إلى غرفة الاسـتقبال، حيث تمالك معاليه نفسـه بما يكفي لاسـتقباله. وكان شخص معاليه، الذي بقيت له وسامته، قد غدا ذاوياً على نحو حزين يتجاوز ما يحل بابن يحزن على أبيه، وغدت لحيته مشعثة بصورة أكبر بفعل الإهمال[5]. وكان المشهد أكثر إيلاماً من أن يُحتمل، ولكن القائد أحجم عن إظهار دموعه، وكافح لإخفائها.

ومضى معالي المستشـار يبكي ويبكي من جراء التفكير في مدى الصلة الوثيقة بشـكل خاص التي كانت تربط القائد بابنه. وتجاذبا أطراف الحديث مطولاً.

---

(1) كوكينشو 832، من نظم كاموتسوكي مينئو، في رثاء فوجيوارا موتوتسوني: «يا أشجار الكرز على حواف سبخة فوكا كوسا، أتوسل إليك، إن كنت رفيقة، أن تبرعمي بلون الرماد، هذا العام فحسب!». والإيماءة قد تكون موحية بسوء الطالع، بسبب الثياب الرمادية التي ترتديها أونا سان نو ميا.

(2) كوكينشو 97: «يعود بهاء الكرز كل عام، غير أنني في هذه الدنيا لن أراه بعد الآن».

(3) إشادة بأوتشيبا في ترملها، فهي شأن شجرة الكرز التي تبرعم في الموسم دوماً تحتفظ بجمالها على الرغم من فقدانها زوجها («الغصن الكبير»).

(4) «إنني أبكي، من دون أن أدري ما الذي سيكون عليه مصير ابنتي».

(5) ما كان يمكن لابن مخلص حقاً لأبويه، في غمار حداده على أبيه، أن يهمل لحيته هذا الإهمال الشديد، فالفكرة صينية.

بلَّل معالي المستشار كميه تماماً على نحو أكبر، كأنما بفعل قطرات تتساقط من الطنف في مطر ربيعي منهمر، عندما وصف القائد زيارته لإتشيجو. وكان القائد قد كتب قصيدة «أغصان الصفصافة المبرعمة» التي ألقتها الملاذ في رقعة ورق مطوية أعطاها الآن لمعاليه، الذي قال حزيناً، وهو يجفِّف عينيه «ليس بمقدوري الرؤية!» حمل التعبير الباكي المرتسم على محياه وهو يقرأها شبهاً قليلاً على نحو محرج من مشهده المعتاد المفعم بالكبرياء والجسارة. لم تكن القصيدة متميزة بالفعل ولكن المقطع القائل «تتألق بلآلئ الندى» أثَّر فيه إلى حد أنه لبعض الوقت انهمرت دموعه مدراراً. «في ذلك الخريف عندما قضت أمك، أحسست كما لو أنه لا يمكن أن يكون هناك حزن أعظم، ولكن هذا القيد وذاك يعنيان أن المرأة نادراً ما تقع عليها عين، وأنها لا تظهر على الإطلاق معظم الوقت، وهكذا فإن حزني عليها ظل محتجباً بدوره. وكانت مقدرة المراقب تفتقر إلى الكثير مما يتمناه المرء، ولكن جلالة الامبراطور أحسن الظن به على الدوام، وعندما غدا رجلاً أخيراً، بدأ الكثير من الناس يتطلعون إليه لكي يشق طريقه في المناصب والترقي. ولابد أن كلاً منهم بطريقته الخاصة أحس بالصدمة والأسف. وعلى الرغم من ذلك، فإن حزني لا علاقة له بالترقي وكل ما إلى ذلك أو بنظرة الدنيا إليه، فأنا ببساطة أفتقده على نحو لا يحتمل، تماماً على نحو ما كان عليه. وإني لأتساءل كيف سيُقدَّر لي أبداً أن أفيق مما أنا فيه». ومضى معاليه يحدِّق عالياً إلى السماء.

كانت سحب المساء رمادية في لون الغمام، ولاحظ الآن فحسب أن الأغصان عارية من الأزهار، فكتب على الورقة المطوية ذاتها يقول:

«مبللاً بالقطرات المتساقطة، التي تهمي من الأشجار عالياً، رأساً على عقب

كساني هذا الربيع حلة كئيبة من غمام!»[1].

رد القائد:

---

(1) «مبللاً بدموع سُفحت على ابني، ارتدى هذا الربيع لون الحداد الرمادي، الذي كان من اللائق أن يرتديه حداداً على كو («شجرة» أو «أشجار») في التعبير القائل كو نو شيتا نو شيزيكو («قطرات تهمي من الأشجار») مجانسة لـ«طفل». وتشير «حلة من غمام» (كاسومي نو كورومو صورة مرتبطة بالربيع) هنا، كما في القصائد التي تلي ذلك إلى اللون الرمادي الملازم للحداد. وتشير «رأساً على عقب» (ساكا ساما) إلى انقلاب النظام الطبيعي، الذي وفقاً له يموت الأب قبل ابنه.

«يقيناً لم يتصور فقيدنا أن يتركك وراءه قط

كأنما ليقول إنك ينبغي أن ترتدي حلة من غيمة المساء».

ورد مدقق الميمنة الكبير يقول:

«آه، يا للقسوة! عندما هوى ذلك البرعم قبل ربيعه،

من الذي قصد أن يرتدي حللاً من رماد الغيم؟».

كانت مراعاة الطقوس الجنائزية مؤثرة، على نحو يفوق المعتاد. ومن الطبيعي أن زوجة القائد والقائد نفسه بصفة خاصة قد أضافا المزيد إلى قراءة النصوص المقدسة ولمسات أثيرة من عندهما.

غالباً ما كان القائد يزور مسكن إتشيجو. وحلَّقت سماوات الشهر الرابع عالياً بالفؤاد، وكان لون الأشجار التي كستها البراعم جميلاً في كل مكان، ولكن بالنسبة لتلك الدار الغارقة في الحداد كانت كل الأشياء تتغذى على الأسى الهادئ. ومن هنا فقد انطلق إلى هناك على نحو ما كان يفعل غالباً. وكانت الأراضي تمتلئ بالخضرة، وهنا وهناك في الأماكن الظليلة، حيث كانت طبقة الرمال خفيفة اتخذ نبات الأفسنتين لنفسه مستقراً. وقد نمت الحديقة القريبة، التي كانت في وقت من الأوقات تحظى بالرعاية الفائقة، على نحو ما طاب لها، ونمت كتلة من عشب البمب المنتشر هناك. وقد شق طريقه في البلل الندي، متحسباً من أصوات الحشرات التي سيجلبها الخريف[1]. وأسدلت على خارج الدار ستائر الأيو الحاجبة[2] التي لمح من خلالها لمحات من الستائر القائمة للفصل الجديد وشعر الفتيات التابعات الجميلات وأطراف ملابسهن الرمادية القاتمة، وهي كلها لمحات بهيجة، لولا أن ذلك اللون كان محزناً للغاية.

في هذه المرة جلس في الشرفة، حيث قُدِّمت له وسادة. وأحست النسوة أنه مما لا يليق تركه هناك، فحاولن إقناع الملاذ باستقباله كالمعتاد، ولكنها كانت تشعر بأنها ليست على ما يرام مؤخراً، وكانت شبه راقدة. وبينما قمن بما يستطعن للترفيه عنه، مضى يتطلع إلى

(1) كوكينشو 853، من نظم ميهارو نو أريسوكي: «العشب الذي غرسته يوماً غدا الآن برية حافلة بصيحات الحشرات».

(2) نوع متواضع من الستائر الحاجبة، مناسب لدار يلزم أهلها الحداد.

الخارج حزيناً نحو الأشجار، التي نمت في الأراضي بلا اكتراث لهموم البشر. وهنالك انتصبت سنديانة وشجرة قيقب أشد نضارة في اللون من باقي الأشجار، وقد تداخلت فروعهما. فقال: «ترى أي آصرة تربطهما مما يجعل أغصانهما تعدهما كليهما بمستقبل سعيد للغاية؟». ومضى إليهما في هدوء.

«إذا قُدِّر لذلك أن يكون، فسوف أتقاسم مبتهجاً معك صداقة هذه الأغصان،

فالإله الذي يحمي هذه الأوراق أعلن أن ذلك مناسب![1]

إنه مما يصعب احتماله أن أُترك على هذا النحو خارج ستائرك الحاجبة». قال ذلك مستنداً إلى عتبة الباب.

لكزت النسوة إحداهن الأخرى «يالهيئته الرشيقة التي توحي بما يلاقيه من عذاب!».

ردت الملاذ على لسان كوشوشو[2]، التي كانت ترحب به:

«مضى حقاً الإله الذي وقف حارساً يقظاً على هذه السنديانة

لكن ليت مثل هذه الأغصان المألوفة تستهل حميمية جديدة؟

أظن أنك تتحدث مندفعاً وأنك قد تكون سطحياً».

تلقى القائد ما أشارت إليه بابتسامة، واستقام في جلسته، عندما أدرك أنها قد انسلت خارجة لاستقباله، واستهلت حديثها بالقول: «لم أكن كعهدي، ربما لأن الحزن أثقل عليَّ وقتاً طويلاً للغاية، ولم أكن أدري بالحياة من حولي. غير أن الامتنان العميق للطف زياراتك دفعني إلى النهوض بنفسي في نهاية المطاف». بدا حقاً أنها ليست في خير حال.

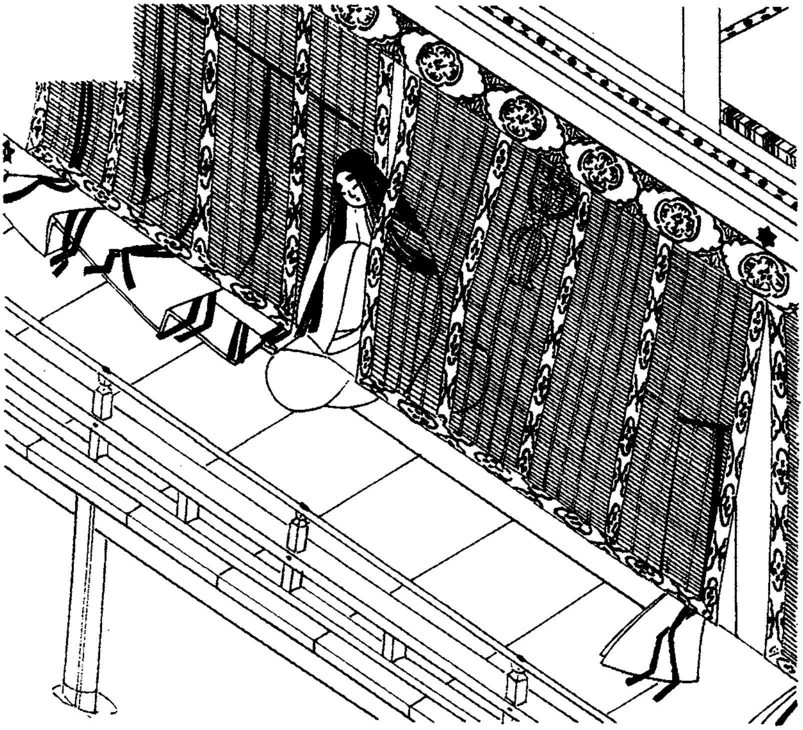
قال مواسياً: «من الطبيعي فحسب أن تلزمي الحداد، ولكن يقيناً ليس لمثل هذا الوقت الطويل. وأياً كان ما يحدث فإنه يبدو أنه يحدث في أوانه. كل الأمور في هذه الحياة لها أوانها المناسب».

كان قد استشعر عمقاً في الأميرة نفسها، منذ سماعه بها لأول مرة، ولكنه تصوَّر كذلك

(1) «أريد أن أعرفك [أوتشيبا] على نحو أفضل، وقد سمح لي كاشيواجي بالقيام بذلك». وأوتشيبا في هذا المشهد حضور صامت ومحتجب عن العيان.

(2) إحدى الوصيفات.

بقلق مدى التعاسة الإضافية، ويا للحسرة، التي تتعرض لها من خلال سخرية الناس منها، وأفضى اهتمام عميق بها إلى محاولة استكشاف كيف تبدو. وحدَّث نفسه، قائلاً: أحسب أنها ليست بالحسناء بارعة الجمال، ولكن بافتراض أنها ليست مشوهة على نحو فظيع، لماذا يتعين عليه أن يرفضها بسبب مظهرها ويعذب نفسه بمشاعر كان ينبغي ألا يكنها أبداً؟ يا له من شيء يقوم به! إن الشخصية هي كل ما يهم في نهاية المطاف.



شرفة وستائر

«آمل أن تعطيني الموضع نفسه في خواطرك الذي أعطيتيه له، وألا تبقيني على مسافة كبيرة للغاية». تجنب أي إيماء موحية، ولكنه بالتأكيد كان مهتماً أشد ما يكون الاهتمام. وبدا في عباءة رسمية رائعاً حقاً، ومنحه طوله كبرياء مؤثرة في النفس.

تهامست النسوة: «تمتع المراقب الراحل برشاقة أكثر عذوبة وبجاذبية أشد نبلاً من أي شخص آخر، ولكن هذا النبيل رجل رائع، ولا يمكنكن إلا الشعور بالذهول حيال مدى وسامته، فهو بلا نظير».

«سيكون جميلاً للغاية أن يجيء للزيارة على هذا النحو بانتظام».

دندن القائد لنفسه: «العشب ينمو أخضر على قبر قائد الميمنة»[1]. ذلك الموت بدوره كان حديث العهد[2]. من علا شأنهم ومن انخفض يتوحدون في الحزن على الراحلين، في هذه الدنيا حيث تتوالى المآسي على الدوام متواترة، ذلك أنه إلى جوار السمات الواضحة التي جعلته محطاً للإعجاب، فقد كان رجلاً يتمتع بدفء غير عادي إلى درجة أنه حتى المسؤولين كبار السن والوصيفات والناس الذين لا أهمية لهم لزموا الحداد عليه، وشعروا بالأسف لرحيله. ولا عجب إذاً أن جلالة الامبراطور مضى يفكر فيه في كل مرة تعزف الموسيقى، ويتذكره. وكان الناس يقولون في كل مناسبة: «آه، يا للمراقب المسكين!». ومع مرور الشهور والسنين مسرعة تذكَّره جينجي، في روكوجو، أكثر فأكثر وغالباً ما كان ذلك بانفعال. وأبقى الصبي الصغير ذكراه حية بالنسبة له، وذلك على الرغم من أن هذا لم يكن مصدر عون، حيث إنه ما من أحد آخر كان يعرف جلية الأمر. ومع حلول الخريف كان الصبي الصغير يزحف.

(1) يعزو شرح مبكر هذا البيت (وهو أصلاً باللغة الصينية) إلى كي نو أريماسا في رثاء بات مفقوداً الآن لفويجيوارا نو ياسوتادا.

(2) موت ياسوتادا في عام 937.

37

يو كو بو

الناي

كان اليوكوبو هو النوع الأكثر شيوعاً من أنواع الناي الخيزراني المستعرض في البلاط الهاييني. وقد كان في الأصل صينياً، خلافاً للكومابو (ناي كوما، أو الناي الكوري) الأكثر خفة والياماتوبو (الناي الياباني).

وفي هذا الفصل فإن والدة أوتشيبا نوميا تعطي يوجيري ناياً كان كاشيواجي يعزف عليه غالباً. ويستخدم يوجيري هذه الكلمة في قصيدة يعرب فيها عن شكره قائلاً:

«لم يتغير الكثير في موسيقى الناي، لكن ذلك النغم الرائع الذي غاب منذ موته سيحيا إلى الأبد».

الصلة بالفصول السابقة

تبدأ أحداث «الناي» بعد عام من نهاية أحداث «السنديانة»، وتغطي الفترة الممتدة من الربيع إلى الخريف.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 49 عاماً.

الصبي الصغير، ابن أونا نو ميا وكاشيواجي، عامان (كاورو).

معالي المستشار المتقاعد (تو نو تشوجو).

القائد، ابن جينجي، 28 عاماً (يوجيري).

سمو الأميرة الثانية (أوتشيبا نو ميا).

نيافة المترهبن، الامبراطور المتقاعد، 52 عاماً (سوزاكو إين).

سمو الأميرة المترهبنة، الأميرة الثالثة، 23 أو 24 عاماً (أونا سان نوميا).

الملاذ، والدة أوتشيبا نوميا (إتشيجو نومياسودوكورو).

زوجة القائد، 30 عاماً (كوموي نو كاري).

زوجة جلالة الامبراطور، ابنة جينجي، 21 عاماً (أكاشي نو نيوجو).

سمو الأمير الثالث، 3 أعوام (نيئو).

سمو الأمير الثاني (ني نو ميا).

واصل الكثير من الناس الحداد في مرارة على رحيل القائم بأعمال المستشار الكبير[1]، وأحس سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، الذي كان يأسف على رحيل أي شخص مرح، حتى لو لم يكن على معرفة به، بالأسف البالغ، وشعر غالباً بالتأثر الذي يدفعه إلى التفكير في ذكراه، ذلك أنه على الرغم من تلك الذكرى الوحيدة المقيتة، فقد كان هذا النبيل رفيقاً دائماً شعر بالود ناحيته بصفة خاصة. وحرص على تكليف من يقرأ النصوص المقدسة في ذكراه السنوية. وشكلّت براءة الصبي الصغير الطفولية تماماً مشهداً شديد التأثير في النفس، إلى حد أن جينجي رقّ له رقة شديدة في نهاية المطاف، وخلص فيما بينه وبين نفسه إلى تقديم مئة أوقية إضافية ذهباً[2] من أجله. وأعرب معالي المستشار، الذي لم يعرف السر في ذلك، عن عميق امتنانه.

بذل القائد الكثير من الجهد بدوره، وأخذ على عاتقه رعاية الكثير من الطقوس. وفي الوقت نفسه ضاعف مراراً ألوان اهتمامه بالأميرة المقيمة في إتشيجو[3]. وسر معالي المستشار وزوجته، اللذان لم يتوقعا قط أن يجدا من هو أكثر وفاء من اخوة ابنهما، أشد السرور.

وأثّر فيهما على نحو أكثر إيلاماً من أي وقت سابق هذا البرهان على مدى استمرار علو كعب المراقب في نظر الدنيا حتى بعد موته وعظم الخسارة التي حلت بساحتهما بفقدانه.

استبدَّ الحزن بنيافته المترهب على جبله، لإدراك أن أميرته الثانية غدت موضعاً للتندر، ولما كانت سمو الأميرة المترهبنة قد انضمت إليه في التخلي عن اهتمامات الدنيا، فقد أحس بخيبة الأمل بالنسبة لهما كليهما. ومضى يفكِّر خلال صلواته في أن سمو الأميرة المترهبنة لابد لها من السير على الدرب نفسه، والآن وقد سلكته فقد انتهز فرصة أدنى مناسبة للاتصال بها.

بعثت براعم الخيزران النامية في الغابة إلى جوار المعبر وجذور القلقاس المنتزعة من

---

(1) كاشيواجي، الذي تمت ترقيته وهو على فراش الموت. وهذا هو اللقب اللائق به، ولكن الناس واصلوا تذكره باعتباره مراقب حراسة البوابة، ولسوف يظل على امتداد النص أدناه «المراقب».

(2) لمزيد من الصلوات التي تُقام في ذكراه. وربما كان الذهب في صورة مسحوق.

(3) الأميرة أوتشيبا، أرملة كاشيواجي.

الجبال القريبة الحياة في التلال، بصورة مؤثرة للغاية، إلى حد أنه بعث إليها بعضاً من كل منهما، وبعث معه برسالة ضافية، أضاف إليها في النهاية قوله: «على الرغم من أن غمامات الربيع تحجب السبخة والجبل، فقد أمرت بنزع هذه من أجلك بمحبة كبيرة، لا لشيء إلا لأدعك تعرفين مدى ما تعنينه بالنسبة لي.

«لحقت بي في هجران الدنيا والسير على هذا الدرب،

مع ذلك فلتسعى وراء جذر السلام نفسه الذي نشدته بكل قلبي»[1]

قرأت كلماته والدموع ملء عينيها. وقد وصل جينجي عند ذاك على وجه الدقة، ودهش لرؤية قوائم[2] عالية مطلية باللّك أمامها، فقال: «يا للغرابة! ما هذه الأشياء؟». هنالك كانت رسالة نيافته، فقرأها، ووجدها مؤثرة للغاية. كان قد كتب يقول: «كم هو محزن أن أفكر في أنني ليس بمقدوري رؤيتك مثلما أتمنى، حتى عندما أشعر بأن كل يوم يمكن أن يكون يومي الأخير!». وكتب الكثير بخلاف ذلك أيضاً. وكان الجزء الذي يدور حولهما معاً وصولاً إلى «جذر السلام نفسه» حديثاً ورعاً محدود الأهمية. ولكنه مع ذلك تعاطف معه. وحدَّث نفسه:إنني آسف للغاية حقاً لإقلاقه بشأن معاملتي لها.

كتبت ردها، على استحياء، وأهدت للمبعوث طاقماً من الأردية الرمادية- الزرقاء من قماش التويل الحريري. ولمح جينجي رقعة صغيرة من الورق كانت قد نحَّتها جانباً، وهي تبرز ناتئة إلى جوار ستارتها القائمة، والتقطها. كانت قد كتبت بخط رقيق:

«في غمار الحنين إلى سلام مكان يتجاوز هذه الدنيا وكل أحزانها

أفكر في الجبل حيث تخليت عنها بأسرها».

قال: «إنه قلق عليك، كما تعلمين، وأمنيتك هذه المتعلقة بأن تكوني في مكان آخر جارحة وقاسية للغاية».

---

(1) حرفياً «فلتسعى وراء التو كورو نفسه الذي نشدته». والتو كورو بمعنى «مكان» يشير إلى الفردوس، ولكن المقاطع نفسها تعني «جذر التارو».

(2) رايشي، قائمة عالية أقرب إلى التاكاتسوكي («القائمة ذات الأقدام»)، ولكن مع شفة عميقة مطلية باللك الأسود من الخارج والأحمر من الداخل، وتستخدم عادة لتقديم أشياء من قبيل الفاكهة والمكسرات، وقد وضعت عليها هدايا سوزاكو.

لم تعد سمو الأميرة تستقبله مباشرة، لكن الشعر عند جبينها كان رقيقاً وجميلاً للغاية، وبدا محياها بالنسبة له مثلما محيا فتاة صغيرة، ولم يكن بمقدوره النظر إلى هيئتها الجذابة من دون التساؤل مثقلاً بمشاعر الذنب لماذا تعين أن يحدث هذا كله، وبوجود ستارة قائمة فحسب بينهما كان حريصاً على ألا يكون بعيداً أكثر مما ينبغي.

كان الصبي الصغير نائماً مع مربيته، ولكنه أقبل الآن زاحفاً، ومضى يجذب كم رداء جينجي على نحو آسر. امتدت أطراف ردائه البرقوقي - الوردي الذي لبسه فوق شاش حريري أبيض مترامية وواسعة وراءه، تاركة جانباً كبيراً منه عارياً، وهو أمر مألوف تماماً بالنسبة للأطفال الصغار، ولكنه وهو لا يزال جذاباً للغاية بدا كما لو كان قد نُحت من شجرة صفصاف بيضاء، ناعمة. ربما كان رأسه قد صُبغ بنبات العنكبوتية[1]. وبينما أعاد فمه اللطيف ونظرة عينيه النجلاوين البريئة بالتأكيد إلى الذاكرة شخصاً آخر، فإنه «هو» لم يكن له أي شيء من هذا الجمال.

من أين استمده؟ هكذا راح جينجي يتساءل، وهو يرقبه. إنه لا يشبه سمو الأميرة. ونبل محياه وتميزه لن يبدوا في غير موضعهما في صقال مرآتي.

كان الصبي قد بدأ يسير لتوه، ومضى يقترب متعثراً من القوائم المطلية باللك من دون أن يعرف ما الذي وضع عليها، وبدأ في مرح يمسك ببراعم الخيزران، ويلقيها في أرجاء المكان، فضحك جينجي، وقال: «أنت أيها الصبي الشقي! يا لها من طريقة تتصرف بها! فلتقبل إحداكن ولتأخذها بعيداً عنه! فالوصيفات الثرثارات سيقلن إنه لايستطيع مقاومة الطعام!». ورفعه عالياً: «هناك شيء مميز لعينيه. أليس كذلك؟ إنني أعرف أنني لم أر عدداً كبيراً من الأطفال الصغار على هذا النحو، ولكنني اعتقدت أنه في مثل هذا العمر فإنهم جميعاً يبدون كالأطفال الصغار فحسب، بينما هو يتميز حتى الآن بطابع خاص به. ذلك أمر مقلق. إن أميرتنا الأولى[2] موجودة هنا بالفعل، وقد يعني المتاعب بالنسبة لكليهما الآن أنه موجود بدوره. ولكن ياللحسرة، هل سأراهما يكبران؟ (على الرغم من أن البراعم

---

(1) أزهار تسويو كوسا الزرقاء السماوية («زهرة النهار»، «العنكبوتية») عشب مألوف يُعطي صبغة زرقاء. وكان رأس الطفل الصغير للغاية يُحلق شعره.

(2) الابنة الكبرى للامبراطورة أكاشي.

تزهر في بهاء)..»[1]. راح يحدِّق في الصبي.

بادرت النسوة إلى الاحتجاج: «يا له من شيء مخيف تقوله يا مولاي!». مضى الصبي، في غمار رغبته العارمة في اختبار أسنانه حديثة النمو، يمسك ببرعم خيزران ويدسه في فمه، وقد سال اللعاب منه، فأشار جينجي بقوله: «من المؤكد أنه لديه فكرة غريبة عن الجسارة!»

«لست أنسى مطارحة المرارة تلك، ولكن هذا البرعم الصغير

أكثر رقة، في نهاية المطاف، من أن يُنبذ من أجل ذلك فحسب»[2].

أبعد البرعم عنه، وحمله عائداً به إلى حيث كان يجلس، ولكن الصبي ابتسم فحسب، ولم يعر الأمر اهتماماً، وبدلاً من ذلك زحف مبتعداً من جديد بسرعة كبيرة.

مع مرور الأيام والشهور، كبر الصبي، وغدا جميلاً إلى حد أن جينجي كان حرياً به أن يكون قد نسي كل ما يتعلق بـ«تلك الواقعة المريرة». ربما كان المحظور قد وقع، حسبما مضى يحدِّث نفسه، لا لشيء إلا لأن القدر شاء له أن يولد، وفي هذه الحالة فإنه لم يكن هناك ما يمكن القيام به للحيلولة دون ذلك. والكارما الخاصة بي مخيبة للآمال كذلك في العديد من الجوانب. ومن بين كل النساء اللواتي جمعتهن معاً فإن سمو الأميرة هي التي كان ينبغي أن تكون الأكثر إرضاء على نحو كامل، والتي كان شخصها ينبغي ألا ينقصه شيء، ومع ذلك فإنني في كل مرة أفكر كم هو غريب أن أراها الآن على نحو ما هي عليه، فإنني أجد أن من المستحيل غفران زلتها تلك. كانت آلامه لاتزال تموج بالحياة بصورة كاملة.

واصل القائد التفكير فيما كان يمكن أن تعنيه كلمات المراقب الوداعية، وأراد أن يسأل جينجي عنها، وأن يراقب محياه فيما هو يقوم بذلك، ولكنه لم يستطع بالفعل إجبار نفسه على الإتيان على ذكرها، إذ كانت لديه فكرة عما لابد أن الأمر يدور حوله. ومع ذلك فقد واصل تعليق الأمل على أن تتاح له فرصة لاكتشاف ما حدث حقاً، وأن يبلغ جينجي بما

(1) كوكينشو 97: «بهاء البراعم يعود كل ربيع، لكنني لن أراها في هذه الحياة».

(2) هذه القصيدة (التي يُفترض أن جينجي يحدث نفسه فحسب بها) تتلاعب بالكلمات المرتبطة بالخيزران. وأهمها كلمة «فوشي» («مطارحة المرارة تلك»). وتعني فوشي كذلك «فرع» خيزران.

كان يشغل المراقب كثيراً.

ذات مساء خريفي كئيب، انصرفت خواطره إلى الأميرة المقيمة في إتشيجو، فانطلق إلى هنـاك. بدا أنها آنذاك علـى وجه الدقة كانت تعزف في هدوء على آلة واجون، ومن دون أن تنحيها بعيداً تماماً، اسـتقدمته مباشرة إلى ممشـى جناحها الجنوبي. ولمح بوضوح النسوة اللواتـي كـن قريبات من الممشـى، فيما هن ينزلقـن مبتعدات إلى مدى أعمـق في الغرفة، وترك حفيف ملابسهن الحريرية والعبث البديع في الهواء انطباعاً رائعاً لديه.

واسـتقبلته المـلاذ كالمعتاد، وتحدَّثا عن الماضـي. ووجد الدار هادئـة وحزينة للغاية، حيث كان معتاداً على دار حافلة بالضجيج والزحام ليلاً ونهاراً وكذلك على حشـد أطفاله الصاخـب، وبدا المكان نفسـه مهملاً، ولكن طريقة حياتهم هناك كانـت بالغة التميز. أطل إلى الخارج على الزهور في الحديقة القريبة وعلى وهج الغسق فوق «البرية المفعمة بأزيز الحشرات»[1].

اجتذب آلة الواجون إليه، وكانت مدوزنة لتناسـب مقام ريتشـي، وبـدا بوضوح أنها قد عُزف عليها كثيراً، وأثار العبق الذي يلفها مشاعر رقيقة في نفسه. وفيما مضى يعزف عليها بنفسـه، راح يواصـل الحلم حـول كيف أنه في مكان كهذا قد ينسـى رجـل ذو ضعف فيما يتعلق بالاندفاع والتهور نفسـه، ويتصرف على نحو لا يليق به، فيجلب على نفسـه العار في نظر الجميع. وكانت آلة الواجون هي الآلة الموسيقية التي يؤثرها صديقه، فعزف قليلاً من مقطوعة جميلة، وقال: «يا للحسـرة، يا له من نغم جميل، اعتاد أن يسـتله من هذه الآلة! من المؤكد أن لمسته لاتزال حاضرة في لمسة سمو الأميرة. ولسوف يسعدني لو أنها سمحت لي بسماعها!».

ردت الملاذ قائلة: «لقد نسيت كل ما يتعلق بتسلياتها الصبيانية القديمة، منذ انقطع خيط حياتـه[2]. عندما كانت أميـرات نيافته يعزفن في حضوره فقد كان يحكـم بأنها جيدة للغاية فـي مثـل هذه الأمـور. ولكنها شـاردة للغاية الآن، حتى إنهـا لـم تعد الإنسـانة ذاتها، ويبدو

(1) كوكينشو 853، من نظم ميهارو نو أريسوكي: «العشب الذي غرسته ذات يوم غدا برية مفعمة بأزيز الحشرات».
(2) «منذ انقطع وتر الكوتو». كاجيرو نيكي 93 (كذلك جوشويشو 894) من نظم ميتشيتسونا نو هاها: «الراحل لا يعود مجدداً، والوقت الذي انقطع فيه وتر الكوتو عاد مرة أخرى».

أنهـا تقضـي كل وقتها في الحزن، وبقدر مـا يمكنني القول فإن هذه الآلة الموسـيقية توقظ الذكريات الأليمة فحسب.

«لسـت أندهـش مـن أنهـا ينبغـي أن توقظهـا. لو أنـه كانت هنـاك نهايـة في هـذه الدنيا فحسب..»[1]. قالها متأملاً، فيما هو يبعد الآلة الموسيقية عنه.

«اعزفي، إذاً، لعلي أصغي إلى لمسته في الموسـيقى! سيسـدي ذلك جميـلاً إلى أذني هاتين، حيث لزمني الحزن طويلاً للغاية».

ردَّ قائلاً: «الوتر الوسيط هو الذي سينقل لمسته، ويقدم نغمة متميزة حقاً[2]. ذلك هو ما كنت أعلِّق الآمال على سـماعه». دفع الواجون حتى السـتائر القائمة، ولكنه لم يصر عندما لم يبدر منها ما يدل على موافقتها على العزف.

تألَّق القمر في سماء خلت من السحب، بينما مرت أسراب من الإوز محلِّقة عالياً جناحاً لجناح. بأي حسـد لابد أن الأميرة سـمعتها، حيث إنه لم تشـرد من صفوفهـا إوزة واحدة، ومـع نسـمة باردة هبت وفؤاد مثقـل بالهموم، مسـت الأوتار بخفة عازفة على آلة السـو نو كوتو، مانحة صوتها عمقاً بالغاً زاد من افتتان القائد بها. وفي غمار تمنيه أن تمنحه المزيد، التقـط الواجون ليعـزف برقة بالغة مقطوعـة «أحبه كثيراً». وخاطبها بشـغف، وهي تجلس هنـاك داخـل سـتائرها الحاجبة: «لسـت أرغب فـي أن أبدو وكأنني أسـبر غـور خواطرك، ولكنني أرجو أن تجتذب هذه المقطوعة كلمة منك»، ولكن موسيقاه لم تؤد إلا إلى تعميق تحفظها، وظلت ضائعة في خواطرها الحزينة.

«أرى فيك الآن أبعاداً من التحفظ الخجول تؤكد

أن الصمت أكثر حكمة من المحاولة العبثية لنطق الكلمات».

هكذا قال.

عزفت القليل من النهاية، وردت قائلة:

---

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو واكا 275: «لو أنه كانت هناك نهاية في هذه الدنيا فحسب للحنين، لعاش المرء بلا هموم عاماً إثر آخر».

(2) «إن ابنتك هي التي ينقل عزفها لمسته حقاً». وكما في فصل «أكاشي» فإن الصورة تستحضر ولاء المحب لمحبوبته.

«لدي كل حزن منتصف الليل فيما عزفته،

ولكني ليست لديَّ كلمات، عدا موسيقاي».

كان عزفها جميلاً، لكنه شديد الاقتضاب. وتمتعت لمستها بالبساطة الرشيقة، التي كان المراقب الراحل قد علمها إياها بإخلاص، وكان المقام هو الذي كان يؤثره، ولكنها عزفت جزءاً صغيراً فحسب من مقطوعة مؤثرة للغاية، وأصيب بخيبة الأمل. ومع ذلك قال: «لاشك في أن موسيقاي خانت جسارة مشاعري، أحسب أنني ينبغي أن أنصرف الآن، فالمراقب الراحل قد يلومني على البقاء طويلاً للغاية معك في ليلة خريفية. لسوف أعود وأقوم على رعايتك مجدداً. هل ستكونين من اللطف بما يكفي لترك دوزنة هاتين الآلتين من دون تغيير؟ لسوف أشعر بالقلق إذا لم يحدث ذلك، فهناك القليل مما يمكن للمرء أن يعتمد عليه في هذه الدنيا».

ومن دون أن يعبِّر عما في نفسه بجلاء أفلح، في نهاية المطاف، في الإيحاء بمقصده قبل أن يغادر المكان.

قالت الملاذ: «من المؤكد أنه كان سيغفر لك مباهج هذه الأمسية، فقد أمضيت الكثير للغاية من الوقت في حديث متقطع عن الماضي، بحيث يؤسفني القول إنه لا يشعرني بأنني أصغر سناً». قدَّمت له ناياً كهدية وداعية، وقالت: «بدا هذا الناي لي على الدوام وكأنه ينقل طبيعة ماضيه النبيل، وقد أسفت لرؤيته يدفن في هذه المتاهة من الأسفنتين، وأتطلع إلى سماع صوته يعلو فوق صيحات مرافقيك».

فحصه القائد، ورد قائلاً: «إنني لست جديراً بمثل هذا المرافق». نعم، الآلة الموسيقية بدورها كانت الآلة التي يحتفظ المراقب بها معه دوماً، وتذكره وهو يقول غالباً إنه لم يستخرج منه أرقى صوت يمكن أن يصدر عنه، وإنه أراده أن يذهب إلى شخص يستطيع تقديره. وضعه على شفتيه، ولم يساوره شعور إلا بأنه أكثر حزناً من أي وقت مضى. وقال متوقفاً في وسط مقدمة البانشيكي الشكلية: «يمكن أن يغفر لي العزف على الواجون على نحو ما فعلت احتفاء بذكراه، ولكن هذا يتجاوز طاقتي».

بعثت الملاذ بهذه القصيدة إليه، فيما هو يغادر المكان:

«ها هنا بجوار دار غمرتها الأعشاب على نحو حزين، يشدو الآن صرَّار بذلك الصوت الذي عرفته جيداً في فصول الخريف تلك منذ زمن بعيد».

ردَّ قائلاً:

«لم يتغير الكثير في موسيقى الناي، لكن ذلك النغم الرائع الذي غاب منذ موته سيحيا إلى الأبد».

لم يستطع حمل نفسه إلا بالكاد على الذهاب، لكن الوقت كان قد تأخر إلى حد بعيد.

عندما عاد إلى الدار، وجد المصاريع الشبكية وقد أُنزلت، وألفى الجميع نياماً. ولابد أنها[1] بعد أن سمعت بأن فؤاده استقر على الأميرة وأنه يخطب ودها، قد اعترضت على وجوده خارج الدار حتى وقت متأخر، وتظاهرت بالنوم فور سماعها له وهو مقبل على الدار.

راح يغني لنفسه بصورة جميلة: «أنا ومحبوبي على جبل إيروسا»[2]، ولكنه بعد ذلك قال: «لماذا يوصد كل شيء على هذا النحو؟ هذا كئيب للغاية. كم هو مزعج أن يفكر المرء في أن البعض لا يتأملون القمر». تنهد، ورفع المصاريع، ورفع الستائر الحاجبة ورقد قرب الشرفة.

«كيف يمكن لأي أحد أن يرقد هنالك غارقاً في الأحلام مع وجود قمر كالذي يتألق الليلة؟ هلمي أقبلي هاهنا قليلاً. يا للعار!». وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تكن مسرورة، وتجاهلته. رقد أبناؤه في أرجاء المكان، وندت عنهم صرخات قصيرة بريئة في رقادهم، ورقدت الوصيفات بينهم، وشكلوا جميعاً مشهداً بالغ الاختلاف عن ذلك الذي تركه لتوه.

عزف على الناي، وتخيلها لاتزال مستغرقة في حزنها، بعد وقت طويل من رحيله. إنني أعرف أنها ستعزف من دون أن تغير الدوزنة! وأمها جيدة للغاية بدورها في العزف على الواجون. خطرت أمور من هذا القبيل بباله فيما هو راقد هنالك. كان المراقب الراحل

(1) زوجة يوجيري، كوموي نو كاري.

(2) الكلمات الافتتاحية لأغنية سايبارا.

قد منحها كل التقدير الذي تستحقه، ولكنه بدا أنه لم يشعر بارتباط عميق بها، الأمر الذي أثار حيرة القائد إلى حد كبير. كم سيكون مؤسفاً لو تبين أنها لاتحظى بالجمال! ذلك أمر يمكن أن يحدث بسهولة لأي امرأة تشتهر بأنها حسناء. ومضى يحصي السنين منذ أن منح هو وزوجته أحدهما نفسه للآخر من دون الكثير من هذه التلميحات والأحاجي. لا عجب أنها قد استقرت على أن تكون فخوراً بنفسها ومتعالية!

غفا قليلاً، وتراءى له في الحلم مراقب حراسة بوابة الميمنة في الزي الذي كان يرتديه آنذاك، وجلس إلى جواره، والتقط الناي، وفحصه. وتمنى حتى في حلمه ألا يعزف عليه صديقه الراحل.

«أتمنى، إذا كان لي أن أتعلق بهذا الأمل، أن تنفخ الريح في هذا الناي

موسيقى تتوارثها الأجيال من نسلي.

لديَّ شخص آخر أفكر فيه». هكذا قال الشخص الذي تراءى له.

كان القائد يوشك على طرح سؤال، عندما استيقظ على صوت صبي صغير يبكي خائفاً في نومه. وكان الصبي يبكي بصوت عالٍ للغاية متقيئاً الحليب. ونهضت مربيته مسرعة، بينما دعت سيدة البيت بإحضار مصباح، وقد رفعت شعرها وراء أُذنيها، وجففت الصبي ورتبته، واحتضنته. كان طفلاً بالغ العذوبة، شديد البياض والجمال، واستمتعت بالتخفيف عنه بهذه الطريقة على الرغم من أن ثدييها لم يدرا حليباً.

سألها، وهو يمضي نحوها: «ماذا هناك؟». لابد أن الضجة التي أحدثتها النسوة وهن ينثرن الأرز[1] قد بددت الحالة المزاجية لحلمه.

«يبدو متضايقاً، وأحسب أن روحاً تسللت إلى الداخل كالمعتاد، فيما تتجول كشاب صغير ثم تعود لترفع المصاريع وتبدي إعجابك بالقمر».

جعله هذا اللوم من محيا بالغ الصبا والجمال يبتسم. فقال: «هل أدخلت الروح إلى الدار؟ لا يمكن أن تكون قد دخلت لو لم أكن قد رفعت المصراع، إنني أوافق على ذلك. كلما أنجبت المزيد من الأطفال ازداد حديثك حكمة».

(1) لتطهير الغرفة وطرد الأرواح الشريرة التي ربما كانت تقض مضجع الصغير.

جعلتهـا الطريقة التي نظر بها إليها تشـعر بالخجل، فلزمـت الصمت في نهاية المطاف.


العزف على الناي

وقالـت: «الآن، كـف عـن هـذا! أنـا لسـت في حالة تسـمح لي بـأن يراني أحـد». جعلتهـا هيئتهـا الخجول في ضـوء المصبـاح المتوهـج تبـدو في صـورة جميلـة. وأمضـى الصبـي الصغيـر باقـي الليـل فـي إحـداث الضجيج.

راح القائد يتساءل: ما الذي يتعين علـيَّ أن أفعله بهذا الناي إذن؟ وتذكر الحلم الذي تراءى له. ومضى في تساؤلاته قائلاً: إنه يعنِي الكثير بالنسبة له، وهو ليس لي. والحصول عليه من امرأة لا يعني شيئاً[1]. ما الذي كان يفكِّر فيه؟ إنهم يقولون إن الشخص الـذي يتـورط في النهاية فـي حب أو كره عنيد لا بـد له من أن يضرب في ظـلام ليل أبدي. وذلك هو السر على وجه الدقة في أنني لا أرغب في أن أخلف ورائي ارتباطاً عندما أرحل. وبهـذه الحالـة المزاجيـة كلَّف من يقوم بقـراءة النصوص المقدسـة في أوتاجـي والمعابر الأخـرى التـي كان المراقب الراحـل يؤثرها، وخلص إلى أنه بينما من المؤكد أنه سـيكون عملاً طيباً تكريس الناي مباشـرة لبوذا، إذ إنه جاء إليه كهدية ثمينة، فإن ذلك سـيكون عملاً في غاية اليسر. ووفقاً لهذا انطلق قاصداً روكوجو.

كان جينجـي، في ذلك الحين، مـع ابنته زوجة جلالة الامبراطـور. وكان قد اختار ابنها الأميـر الثالث، الذي يبلغ الآن الثالثة مـن عمره، والذي يعد الأكثر جاذبية من بين أطفالها، للإقامـة معـه، وأقبل الصبي الصغير يعـدو نحو الزائر[2]. وصاح بدفـاع عن النفس يمازجه المكـر: «أيهـا القائـد، أيهـا القائد، ارفع سـمو الأمير عالياً وخـذه معك»[3]، ابتسـم القائد.

(1) يُنقل الناي بالشكل المناسب من الأب إلى الابن. ولما لم تكن النساء تعزف على الناي، فإن تلقيه من امرأة كان يمكن أن يُنظر إليه على انه انقطاع في خط الانتقال المناسب.

(2) مضى يوجيري أولاً إلى الجناح الشرقي، حيث يحتمل أن يوجد جينجي، والصبي الصغير هو نيئو.

(3) إنه يستخدم في الإشارة إلى نفسه الأسلوب التشريفي ذاته الذي يسمع الآخرين يخاطبونه به.

وقال: «هلم، إذاً. ولكنني ليس بمقدوري السير قدماً وعبور الستائر الحاجبة لسعادتها[1] معك! سيكون ذلك عملاً بالغ الوقاحة». جلس أرضاً واحتضن الصبي.


رعاية طفل صغير

« لا أحد ينظر! لسوف أحتجب! قم بذلك!» قم بذلك! وضع الصبي الصغير الجذاب كمه على وجهه، فاصطحبه القائد معه. وألفى جينجي هناك محدثاً ضجة حول الأمير الثاني وابنه هو الصغير[2] اللذين كانا يلهوان معاً.

صاح الأمير الثاني، عندما رأى القائد يضع أخاه الأصغر أرضاً في الركن[3]: «القائد ينبغي أن يحملني أنا أيضاً!».

احتج الأمير الثالث، متشبثاً بالقائد، قائلاً: «لكن القائد لي!». وبخهما جينجي عندما لاحظ ذلك: «أنتما صبيان شقيان! ها أنتما تتشاجران على رجل من حرس جلالة الامبراطور وتريدانه لنفسيكما! أنت، أيها الأمير الثالث، الوغد الحقيقي، وتحاول دائماً التغلب على أخيك!».

ضحك القائد. وقال: «الأمير الثاني طيب للغاية، إذ يستسلم بتلك الطريقة، تماماً كأخ أكبر. ومن منظوري فإنه مدهش للغاية مقارنة بسنه».

اعتقد جينجي الباسم أن الصبيين كليهما يدخلان البهجة على النفس تماماً. وقال: «ذلك ليس بالمكان المناسب ليجلس فيه نبيل بارز مثلك. دعنا نبادر إلى الذهاب من هنا». غير أن الأميرين تشبثا به، عندما تحرك ليمضي بعيداً، ورفضا مفارقته. ولم يحسب في قرارة نفسه أنه ينبغي أن يعامل طفل سمو الأميرة المترهبنة كند لهما، ولكن أم الطفل بضميرها المثقل قد تسيء فهم السبب في عدم قيامه بذلك، وكان من اللطف بطبيعته لكي يمنحه كل

(1) يُفترض أنها ستائر موراساكي. ولسبب ما فلابد أن موراساكي كانت قد أوقفت نيئو من قبل ومنعته من الذهاب إلى غرفة أمه، ويوجيري الآن يتردد في الاستسلام لرغبة الصغير، ويمضي به على أي حال.

(2) كاورو.

(3) الشرفة في الركن الجنوبي الشرقي من الدار الرئيسية.

العناية التي كان يمكن أن يمنحها لكنز.

أدرك القائد أنه لم يلق بالفعل نظرة فاحصة على الصبي، فالتقط غصناً ساقطاً من شجرة مزهـرة، وأشـار إليه بـه، عندما ظهر في الثغرة بين الستائر الحاجبة. فأقبـل الصبي راكضاً. وكان لا يرتـدي إلا عبـاءة بنفسـجية، وكانت هيئته البضة تدخل السـرور علـى النفس حقاً، ببشـرته البيضـاء المتألقة على نحو جميـل، وملامحه التي تفوق ملامـح الأميرين وضاءة. وربمـا كان الأمـر راجعـاً إلى خيال القائد، ولكـن في حين كانت نظـرة الصبي تحظى بقوة وذكاء أكبـر إلـى حد ما مـن منظر النبيل الذي يفكر فيه، فإن الخطـوط العامة الجذابة لعينيه كانت هي نفسـها كخطـوط عيني ذلك النبيل. ذلك الفم، بابتسـامته المتألقة بصورة غريبة، ربمـا كانـت عيناه تخدعانه، ولكن جينجي لابد قد لاحظ الشـبه بالتأكيد. وقد أراد أكثر من أي وقت مضى أن يرى كيف أن أباه سيتلقى الموضوع الذي أراد أن يطرحه عليه. وقد تميز الأميران بالطبع بكبرياء تليق بهما، ولكنهما بخلاف ذلك كانا طفلين جذابين عاديين، بينما التميـز الكبيـر لهذا الصبي جعله جذابـاً على نحو غير مألوف. كم هـذا فظيع! مضى القائد يقـارن بينهـم في ذهنه. إذا كان شـكي في موضعه، فـإن أبي مخطئ في عـدم إبلاغه معالي المستشـار، الذي يبكي ويحزن، لأنه ما من أحـد تقدم وأعلن أنه ابن المراقب، والذي كان يرغب أشـد الرغبة في أن يكون المراقب قد ترك طفلاً يمكن تذكره به. غير أنه سـيطر على نفسـه ومضـى يفكِّر: لكن لا، لا يمكـن أن يكون الأمر كذلك. لم يسـتطع فهم جلية الأمر. وكان الصبي الصغير عذباً ولطيفاً، ووجد اللهو معه مصدر سرور كبير.

اتجها إلى الجناح الشرقي، وبدأت الشمس تغرب، وهما يتجاذبان أطراف الحديث في هدوء. وابتسـم جينجي حيال الصورة التي رسمها القائد عن توجهه إلى مسكن الأميرة في إتشـيجو بالأمس وعلى أي نحو وجدها، وتنـاولا بالحديث الكثير من الذكريات المختلفة حول المراقب الراحل عندما أشـار جينجي بقولـه: «نعم، من المؤكد أن طريقتها في عزف مقطوعـة «أحبه كثيراً» تسـتحق التنويه كمثال رفيع مـن الآن فصاعداً، ولكن ذلك كله يذكِّر المـرء بـأن المرأة لا ينبغي أن تأتي بأدنى ايماءة يمكن أن تثير اهتمام رجل بها. وطالما أنك جعلتهـا تدرك أنك لم تنس لطفه فـي الماضي وأنك تظل مخلصاً لذكراه، فإنني أعتقد أنك سـتكون أفضل حالاً، من أجلك ومن أجلها، بالإبقاء على كل شـيء لائقاً تماماً، وألا تدع

أي غواية عارضة تضللك.

قال القائد محدثاً نفسه: إنك على حق! فأنت خبير بما فيه الكفاية لإسداء النصح للآخرين، ولكن ماذا عندما تكون الجسارة من نصيبك؟ وتساءل بصوت عال: «كيف سأضل السبيل؟ من الواضح أنني الآن وقد بدأت في إظهار تعاطفي مع خسارتها، فإنني سأتعرض فحسب للنوعية المعتادة من التشكك إذا توقفت فجأة. أما فيما يتعلق بمقطوعة (أحبه كثيراً) فإنه سيكون أمراً مختلفاً لو أنها كانت من الجسارة بما يكفي بحيث تستهل الأمر بنفسها، ولكن القليل الذي عزفته في معرض الرد عليَّ كان مناسباً تماماً، وأحسب أنه كان جميلاً للغاية. وكل شيء يعتمد على الشخص والظروف. وهي ليست صغيرة إلى ذلك الحد، كما أنني أنا نفسي لا أميل إلى السلوك المتهور أو المستهتر، وأحسب أنها لابد قد شعرت بالارتياح معي، لأن أسلوبها كله كان دافئاً وبهيجاً».

كان قد تحين اللحظة الملائمة، وانتقل الآن أقرب قليلاً من جينجي لطرح موضوع حلمه عليه. وأصغى جينجي إليه، لكنه لم يحر رداً في التو. فقد أدرك أن هذا الحلم له معناه.

قال: «سأقوم أنا بالاعتناء بالناي، فهناك سبب لذلك، حيث كان في وقت من الأوقات ملكاً للامبراطور يوزي[1] وقد أحس معالي وزير شؤون المراسم[2] الذي قدَّره أعظم تقدير بأن المراقب حتى في طفولته قد استعار منه نغماً جميلاً بشكل خاص، وهكذا فإنه في أحد الأيام وخلال حفل أقامه للاحتفاء بهاجي أهداه إياه. وربما لم تدرك الملاذ تماماً ما الذي كانت تقوم به». راح يتساءل كيف يمكن للمرء أن يخطئ في فهم القول: «موسيقى تتوارثها الأجيال من نسلي». لابد أن ذلك هو ما كان يدور بباله. إن القائد رجل لماح، ولاشك في أنه أدرك جلية الأمر.

أبقي القائد عينيه على محيا أبيه، واستشعر ارتباكاً متزايداً، وللحظة لم يجد لديه ما يقوله، ولكنه لما كان مصمماً على مواصلة طرح الموضوع، فقد أشار بصورة غامضة، كأنما تذكَّر اللحظة الآن فحسب. «ذهبت لمقابلته عند النهاية ذاتها، ومن الأمور التي طلب

(1) عاش من 868 إلى 949 وحكم من 877 إلى 884.

(2) في الحكاية ربما كان والد أساجوسا، وفي التاريخ ربما كان الأمير سادا ياسو، وهو أخ أصغر للامبراطور يوزي.

مني القيام بها مراراً بعد رحيله أن أنقل إليك الاعتذار العميق الذي أحس بأنه مدين لك به. وإنـي لأتسـاءل ما الذي كان ذلـك يعنيه. وحتى الآن لم أتمكن مـن الخروج بأي معنى من ذلك». هكذا تحدَّث كأن الأمر شديد الغموض بالنسبة له.

كنت أعرف ذلك! وعلى الرغم من هذا فإن جينجي لم ير سبباً يدعو للإقرار بما حدث، وللحظة تظاهر بعدم الفهم. وقال: «أخشى أنني ليس بمقدوري أن أتذكر على الإطلاق أنني تسببت في شعوره بالمرارة نحوي. وعلى أي حال فسـوف أفكر في الحلم الذي وصفته. وأحيطك علماً بما سأصل إليه. والنسوة غالباً ما يحذرن من مناقشة حلم ليلاً».

لـم يكـن ذلك بالرد، ويقولون إنـه ترك القائد قلقاً بشـأن ما قد يظنه أبـوه به لطرحه هذا الأمر أصلاً.

38

سوزوموشي

صرار كأس الزهرة

يصـدر السوزوموشـي («صرار كأس الزهـرة») أزيزه القريـب من الشـدو فـي الخريـف. وفي ليلـة اكتمال البدر من الشهر الثامن يتبادل جينجي وأونا سان نوميا قصيدتيـن فـي مديح شـدوه. وعلى قصيدة أونا سـان نوميا القائلة:

«تعلمت منذ زمن بعيد أي وقت قاس غالباً ما يجلبه الخريف
غير أنني لست أرغب في فقد شدو صرار كأس الزهرة الجميل».

يرد جينجي:

«ربما لاترغبين، لذاتك، إلا في التحرر من هذا المسكن البائس
غير أن شدو صرار كأس زهرتك العذب لن يشيخ أبداً».

الصلة بالفصول السابقة

تجري أحداث «صرار كأس الزهرة» في الصيف وأوائل خريف العام التالي لـ«الناي».

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 50 عاماً.

سمو الأميرة المترهبنة، 24 أو 25 عاماً «أونا سان نوميا».

المحاضر «كوجي».

معالي وزير الحرب، أخ لجينجي «هوتارو هايوبوكايو نوميا».

القائد، ابن جينجي، 29 عاماً «يوجيري».

نيافة الامبراطور المتقاعد رايزي، 31 عاماً.

جلالة الامبراطورة، 42 عاماً «أكيكونومو».

رتب جينجي لإعداد أيقونات[1] سمو الأميرة المترهبنة المقدسة وتكريسها في ذلك الصيف، عندما تبلغ أزهار اللوتس سمت تفتحها. ولهذه المناسبة استفاد من كل الأشياء التي كان قد جمعها لمصلاها الشخصي. وكان قد أمر بإعداد الرايات[2] من قماش دمقس صيني جميل، وبديع بصفة خاصة، وكلفت السيدة موراساكي من قمن بحياكتها. وكانت أغطية قائمة الزهور بنقشها المعقود المصبوغ جذابة على نحو خاص، وتمت عملية الصباغة بطريقة فريدة. ورفعت الستائر الليلية على الجوانب الأربعة[3]، وتدلت مندلة لوتس[4] في الخلف. وانتصبت قرابين من الزهور ذات الألوان الرائعة أمامها في مزهريات فضية مرتفعة. وكان البخور الذي يحترق في المذبح صينياً ومن نوعية «المئة خطوة». ونُحت أميدا والبوذيساتفا[5] الاثنان التابعان له من خشب الصندل الأبيض. وكانت آنية الماء المقدس صغيرة على نحو ملحوظ، كالمعتاد، ومزينة بأزهار اللوتس الزرقاء والبيضاء والأرجوانية. وانبعث من البخور، المخلوط بحسب طريقة «بتلة اللوتس» من دون أن يضاف إليه إلا القليل من نثار العسل[6]، عبق امتزج على نحو بديع مع عبق زهور اللوتس على المذبح. وكان جينجي قد قدَّم خمس نسخ من السوترا، نسخة لكل من الكائنات الواعية في كل من الأقانيم الستة[7]، وقام هو نفسه بإهدائها لها. وعبَّرت الصلاة التي كان قد كتبها لتصاحبها عن تمني أن يحفظ هذا النص المقدس على الأقل الصلة بينهما، وأن يساعد أحدهما الآخر على الدرب. أما فيما يتعلق بسوترا أميدا[8] فقد ساوره الشك في أن الورق الصيني قوي بما فيه الكفاية لنص مقدس ستتعامل معه ليلاً ونهاراً، فاستدعى رجلاً من ورشة الورق لهذا الغرض. وكان قد عكف في الربيع بكل ما في فؤاده من إخلاص

(1) جيبوتسو، الأيقونات التي ستحتفظ بها على الدوام معها والتي ستكون موضوعاً لصلواتها اليومية.

(2) هاتا، رايات تحيط بالمذبح، وتزين أعمدة القاعة.

(3) سرير أونا سان نو ميا المحاط بالستائر يستخدم مؤقتاً كمصلى.

(4) لوحة إما لبوذا وهو يعظ بسوترا اللوتس أو لمشاهد تصوِّر المقاطع الرئيسية في النص.

(5) أميدا يحيط به من الجانبين البوذيساتفا كانون والبوذيساتفا سيشي.

(6) «بتلة اللوتس» (كايو) بخور. وقد تم تقليل مادة المزج، وهي العسل، لتجنب جعل البخور أكثر عذوبة مما ينبغي.

(7) السماء، الأقنوم البشري، أقنوم الأشورا (الشياطين المحاربة)، وأقانيم الوحوش، الأشباح الجائعة، والجحيم.

(8) شوموروجو - كايو (السوترا الأقل للحياة الخالدة)، نص قصير يُعد النص الأكثر قداسة بين السوترات الثلاث المكرَّسة لأميدا.

على نسـخ هذا النـص، وكانت أدنى نظرة إلى اللفيفة تخطف بصـر الناظر. وكانت الطبيعة المضيئة للخط ذاته أكثر تميزاً من السـطور التي سُـطرت بالذهب. وما من حاجة تدعو إلى وصـف اضمامـة اللفيفة أو الورق الذي يضمهـا أو الصندوق الذي توضع فيه، فقد اسـتقر على قائمة من خشب الصبر انتصبت على منصة مع الإيقونات المقدسة.

وصل المحاضر[1] لدى الفراغ من المصلى. وتجمع السادة المهذبون لتوزيع البخور[2]. وفي طريق جينجي إلى هناك نظر إلى الممشـى الغربي، حيث كانت سـمو الأميرة، فألفاها جالسـة وسـط أشياء مبعثرة وسط خمسـين أو سـتين وصيفة أنيقة الثياب. ومضت الفتيات الصغيرات التابعات يتجولن على امتداد الطريق إلى الممشـى الشمالي، وكان الهواء مثقلاً بالدخـان المنبعـث من العديد من المباخر. فمضى إلى النسـوة، وقال: «عندما تردن تعطير الهـواء، فينبغـي عليكن ترتيب الأمر حتـى لا يعرف أحد من أين ينبعـث الدخان. وانبعاث دخـان أكثر مما صدر يوماً عن جبل فوجي ليس بالفكرة الجيدة. وينبغي عليكن ألا تحدثن ضجةً فيما الوعظ مسـتمر، ويتعين عليكن كذلك تجنـب إصدار أي حفيف عرضي أو غير مكبـوح الجمـاح من الثياب أو حركـة من هذا النوع، إذ إن على المـرء أن يصغي في هدوء وبانتباه كامل». وكان من طبيعته أن يوجه كلمات نصح قلائل حتى للشابات اللواتي يفتقرن للخبرة. وجلسـت سـمو الأميـرة هناك، وقد أحـاط بها الجميـع، وقد بدت جميلـة للغاية وضئيلـة الجرم، قـال: «صبيك الصغير قد يعترض الطريق، فينبغي أن ترسـليه إلى مكان ما بعيداً عن الأنظار».

كانـت الحواجـز المنزلقة إلى الشـمال قـد أُحلت محلها سـتائر حاجبة، دلفت النسـوة عبرهـا. وكان مؤثـراً أن يـرى المـرء كيف حـرص جينجي علـى التأكد من استقرارهن، ثم أوضح في عناية لسمو الأميرة المسار الذي سيأخذه أداء الطقس.

أثار مشـهد هـذا المذبح الجميـل، حيث كانت ترقد يومـاً، الكثير مـن الخواطر. فقال: «لم يدر بخيالي يوماً أننا سـنرتب مثل هذا الحفل سـوياً قط. حسناً، تخيلي أننا نحن الاثنين

---

(1) كوجي، الراهب القائم بأداء الصلاة، والذي تمثلت وظيفته في تفسير السوترا.

(2) خلال الطقس الذي يقام تكريماً لسوترا اللوتس، كان البخور يوزع على الرهبان المشاركين، وفي هذه الحالة ربما كان ذلك يتم على يد وصفاء خصوصيين.

قـد أقمنـا في زهرة واحدة علـى الأقل في الحياة المقبلـة!» انفجر باكياً، ثم بلَّل فرشـاة من محبرتها ليكتب على مروحتها المصبوغة بالقرنفل:

«في حياتنا المقبلة ستتقاسم عرش زهرة لوتس، بذلك أعدك،

غير أنه كم حزين ذلك اليوم الذي نفترق فيه مثل قطرتي ندى».

كتبت في معرض الرد تقول:

«فلتعد كيفما طاب لك بعرش واحد لكلينا على زهرة لوتس،

يقيناً أنك في قرارة فؤادك لا ترغب في أن تكون معي أبداً».

قال: «لشـدَّ ما تحطمين آمالي!».ابتسم، لكن المرء كان يرى في يسر مدى عمق شعوره بالحزن.

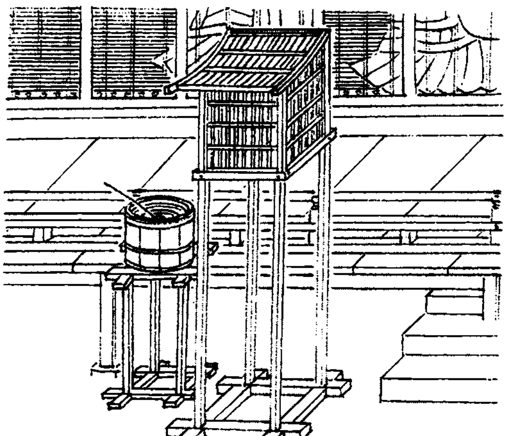
جـاء الأمراء جميعاً كالمعتاد، وبادرت سـيدات روكوجو في حـرص إلى تقديم قرابين سخية من عندهن. وكانت السيدة موراساكي قد أعدت كل شيء آخر، بما في ذلك الأردية الخاصة بالرهبان السبعة[1]. وكانت هذه الأردية من قماش التويل الحريري، وحتى الطريقة التـي حيكـت بها البطرشـيلات لابد أنهـا قد أثَّرت في العيـن المدققة، ولكن هذه الأشـياء الصغيـرة أكثر من أن يطالها الوصف. وقـدم المحاضر إيضاحاً ملهماً للطقس، وبفيض من العبـارات البليغة المفعمة بالمعرفة التي أكسـبته الشـهرة عن جدارة، أقـر بالحزم المقدس الذي تضع سمو الأميرة المترهبنة به الآن وراء ظهرها كل خاطرة عن المجد الدنيوي لتعهد بنفسها إلى سوترا اللوتس على امتداد حيواتها المقبلة. كانت لحظة جليلة، وانخرط الجمع في البكاء.

كان جينجي قد علَّق الآمال على الإبقاء على هذا الافتتاح لمصلى سمو الأميرة المترهبنة الخاص سـراً، ولكن جلالة الامبراطور ونيافته المترهبن كانا قد سـمعا كلاهما به، وأرسلا كلاهما مبعوثين نيابة عنهما. وانهالت القرابين الخاصة بقراءات النصوص المقدسـة على نطاق مؤثر في النفس. وكانت الفعالية التي يرتبها جينجي على الدوام شيئاً يفوق المألوف، حتى وإن كان قد تعمد أصلاً أن يبقيها بسـيطة، وكان من الطبيعي أن اللمسـات الرائعة التي

(1) كان كل منهم يؤدي وظيفة مميزة في الطقس. وكانوا جميعهم لا يشاركون بكامل عددهم إلا في حفل كبير.

أُضيفت على هذه الفعالية قد عنت أن الرهبان الذين عادوا إلى معبدهم كانت أمسيتهم مثقلة بثروة طائلة إلى حد أنهم لم يعرفوا أين يضعونها.

غدت مشاعر جينجي المتعلقة بسمو الأميرة المترهبنة الآن أسوأ من أي وقت مضى، ومضى يرعاها بلا تحفظ. كان أبوها قد أبلغه بأنه سيتم الحفاظ على المظاهر، إذا انتقلت إلى مسكن أعده لها، ولكن جينجي لم يقل ذلك، وقال: «لسوف أقلق عليها إذا كانت بعيدة على ذلك النحو، وسأفتقد القدرة على رؤيتها وتجاذب أطراف الحديث معها ليلاً أو نهاراً. صحيح أنه لم يبق لي وقت طويل في العمر، ولكن طالما أنا على قيد الحياة، فإنني أفضل ألا أحرم من فرصة إيضاح مدى ما تعنيه بالنسبة لي». وفي غضون ذلك، أمر بإعداد مسكن سانجو بصورة رائعة حقاً، وأمر بملء مستودعاته بأفضل المنتجات المستمدة من منافعها أو المرسلة من ضياعِها ومراعيها في المقاطعات. وبنى مستودعات جديدة كذلك، ووضع فيها بحرص بالغ كل كنز ينتمي إليها أو أعطاه إليها أبوها بوفرة غامرة. ونبعت ألوان الاهتمام التي غمرها بها هي ووصيفاتها العديدات على اختلاف مراتبهن من كرمه كلية.


رف الماء المقدس

في ذلك الخريف، حوَّل الحديقة الممتدة أمام طريق الجسر الغربي وصولاً إلى الجانب الشرقي من السور الوسيط[1] إلى سبخة برية، وزيَّن ذلك الجزء من الدار على النحو الأكثر لياقة برف الماء المقدس، كما تخيَّر وخصَّص لها للقيام على خدمتها ليس النسوة اللواتي أصبحن راهبات حباً فيها فحسب، أي مربياتها والنساء الأقدم في صحبتها ومن إليهن، وإنما كذلك الأصغر سناً اللواتي لايزلن في ريعان شبابهن، واللواتي

(1) يربط طريق الجسر الدار الرئيسية بالجناح الغربي. ويبدو أن السور النباتي (ناكا نو هاي) كان ينتصب بين الدار والجناح ليحجب أحدهما عن الآخر.

كان مناسباً لهن أن يقضين باقي حياتهن بهذه الطريقة.

وتنافست الكثيرات للانضمام إليهن، ولكن عندما سمع جينجي بمدى شغفهن بذلك، أعلن أنه لن يسمح به. وقال محذِّراً: «إن وجود واحدة منهن فقط تفتقر إلى العزم على القيام بذلك من شأنه أن يثير قلق الأخريات من حولها، ويخاطر بالإساءة إليهن جميعاً. والآن لم يكن هناك أكثر من عشر منهن يخدمن سمو الأميرة المترهبنة في إهابهن الجديد.

أمر بإطلاق صرارات كأس الزهرة[1] في الحديقة التي حُولت إلى سبخة، وفي الأمسيات عندما يكون النسيم ألطف قليلاً فإنه يمضي إلى هناك، كأنما للاستماع إلى شدوها، وقد سبَّب هذا حزناً عميقاً لسمو الأميرة، لأنه كان لا يزال يوضِّح لها أنه لم يتخل عنها تماماً، وأدركت أن ما يفكر فيه لا يمكن السماح به. ووفقاً لكل المظاهر فقد عاملها كما في السابق تحديداً، ولكن كان من الجلي أن غضبه قد استمر، وأنه في حقيقة الأمر قد تغيَّر تماماً فيما يتعلق بها. وكانت رغبتها في أن تتجنبه وهو في هذه الحالة المزاجية مهما كان الثمن هي التي دفعتها إلى أن تصبح راهبة، وقد كان ينبغي الآن أن يكون قد تركها بسلام، ولكنها بدلاً من ذلك عانت الكثير من اهتمامه المستمر بها إلى حد أنها تاقت إلى الانتقال إلى مكان آخر بعيد للغاية. غير أنها افتقرت إلى الشجاعة للإصرار على ذلك.

عند الغسق في الليلة الخامسة جلست سمو الأميرة أمام مذبحها قرب الشرفة، وهي ترتل اسم بوذا في شرود. ومضت راهبتان شابتان أو ثلاث تقدمان القرابين. تردد صوت آنية الماء المقدس، كان هناك الكثير من أصوات انسياب الماء، وكل هذه الضجة المحيطة بمهام غير مألوفة جعلتها في حالة نفسية كئيبة. عندئذ بالتحديد، وكما يحدث غالباً دلف جينجي إلى المكان، وأشار بقوله: «الصرارات تشدو في كل مكان هذا المساء!»، وانضم إليها في هدوء، بنغمات خفيضة لكنها موحية في ترتيل الداراني الكبرى لبوذا أميدا. كانت هناك حقاً صرارات كثيرة تشدو، ومن بينها صرارات كأس الزهرة تعلو رائعة فوق أصوات الصرارات الأخريات، فقال: «كل شدو صرارات الخريف جميل، ولكن جلالة

(1) بصفة خاصة ماتسوموشي («صرارات الصنوبر») وسوزوموشي («صرارات الجُريس»)، التي تشدو على نحو جميل في الخريف.

الامبراطورة[1] فضَّلت بشكل خاص صرارات الصنوبر، وهذه هي الصرارات التي جمعتها من سبخات نائية لإطلاقها في حديقتها. وعلى الرغم من ذلك فإنني أسمع أن القليل للغاية منها واصل الشدو هناك. وربما أن صرارات الصنوبر لا تحيا طويلاً، على الرغم مما يوحي به اسمها[2]، وهي لا تشدو حقاً وصدقاً إلا في الجبال، حيث لا يمكن لأحد أن يسمعها، أو وسط غابات الصنوبر في الأسفل، الأمر الذي يشير إلى أنها تؤثر العزلة. وطزاجة صرارات كأس الزهرة الرقيقة هي التي تجعلها جذابة للغاية.

«تعلمت منذ زمن بعيد أي محن يأتي بها الخريف

غير أنني لست أرغب في فقد شدو صرار كأس الزهرة الجميل».

قالت هذه القصيدة بصوت خفيض للغاية وبلطف مدهش، وتميَّز بخلوه من التصنع.

«ربما لا ترغبين، لذاتك، إلا في التحرر من هذا المسكن البائس

غير أن شدو صرار كأس زهرتك العذب لن يشيخ السبتة بالنسبة لي[3].

دعا بآلة كين موسيقية، وعزف عليها، على نحو ما لم يقم به منذ زمن بعيد، فنسيت تقليب حبات مسبحها، ومضت تصغي في شغف في نهاية المطاف. كان القمر قد أطل في بهاء مؤثر. وحدَّق جينجي في السماء، وانغمس في تأملات في أساليب الحياة المتغيرة، عازفاً في غمار ذلك على نحو أكثر جمالاً.

وصل معالي وزير الحرب، مفترضاً أن الموسيقى المعتادة ستعزف الليلة، ثم أطل القائد أيضاً وبصحبته وصفاء خصوصيون مناسبون. وأفصحت آلة الكين التي يعزف عليها جينجي عن مكانه، فمضوا جميعاً مباشرة للانضمام إليه. قال: «لديَّ القليل للغاية مما يمكنني القيام به، بحيث أنني أردت الاستماع مجدداً إلى ذلك الصوت النادر الذي افتقدته كثيراً على الرغم من أن عزفي منفرداً لا يشكل حفلاً بالمعنى الصحيح. وأنا سعيد لقدومكم». أمر بإعداد مقعد وبإدخال معالي وزير الحرب. كانت حفلة لتأمل البدر قد أُعدت الليلة بحضور جلالة الامبراطور، لكنها أُلغيت على نحو مخيب للآمال، وجعلت

---

(1) أكيكونومو.

(2) حيث أن الصنوبر رمز لطول العمر.

(3) «ربما ترغبين في الرحيل، ولكنك تظلين بالنسبة لي جذابة ومرغوبة كعهدك دوماً».

الأخبار التي راجت عن تجمع الناس في روكوجو الكثير من كبار النبلاء يتوافدون إلى هناك، ومضوا يتناقشون حول أي الصرارات تشدو أفضل من غيرها.

كان العزف على آلات موسيقية مختلفة يحدث في النفوس تأثيراً بهيجاً عندما أشار جينجي بقوله: «كل ليلة مقمرة لها مزاجها الخاص، ولكن ألق البدر الليلة يجعل أفكار المرء تحلق عالياً فيما وراء هذه الدنيا. وأنا أفكر أكثر فأكثر في المراقب الراحل الذي غادرنا، ويبدو لي أن العديد من الفعاليات العامة والخاصة قد فقدت طعمها من غيره. فقد كان يقدِّر تماماً ألوان الزهور وشدو الطيور، وجعله ذكاؤه اللماح جديراً بتجاذب أطراف الحديث معه». بلَّلت الموسيقى التي كان هو نفسه يعزفها كمّيه بالدموع، ولكنه كان في مثل هذه المناسبات الموسيقية يفتقد هذا النبيل الراحل أشد الافتقاد، وتذكره جلالة الامبراطور بدوره بإعزاز.

قال: «دعونا نمضي الليلة في تكريم صرار كأس الزهرة». كانت كأس الخمر قد دارت مرتين على الجمع، عندما وصلت رسالة من الامبراطور المتقاعد رايزي. وقد وصل مدقق الميسرة الكبير[1] ومفوض شؤون المراسم[2] اللذان أحسا بخيبة أمل حيال الإلغاء المفاجئ للموسيقى في القصر، مع مجموعة من المرافقين الذين يشاركونهما في هذا الاهتمام نفسه، وكان نيافته قد علم لتوه أن القائد والكثير من الآخرين في روكوجو.

كان نيافته قد كتب يقول:

«حتى حيث أقيم، بعيداً عن ذلك العالم فوق السحاب،

لا يزال القمر يتذكرني في ليلة خريفية جميلة[3].

آه، ليتني أظهرها فحسب...»[4].

أوضح جينجي، مستعداً للانطلاق على الرغم من مظهره الموحي بالاستعجال: «في

---

(1) أخ أصغر لكاشيواجي.

(2) مجهول باستثناء الإشارة إليه في هذا الموضع.

(3) «سنا القمر يزورني، أما أنت فلا تفعل ذلك».

(4) جو سينشو 103، من نظم مينا موتو نو سانيكيرا: «يا للحسرة على القمر الليلة، والبراعم.. آه، ليت بوسعي أن أظهرها فحسب لمن يقدرها!».

حالتـي هـذه لا يمكننـي التعلـل كثيراً بوقتـي، ولكنني لم أعـد أزوره الآن وقد سـلك حياة التقاعد الهادئ، وأخشى أنه يرغب في تذكيري بأنه يجدني مقصراً».

«يتألق قمرك عالياً كالسابق ليراه الجميع، سامقاً فوق السحاب،

فيما غدت داري كذلك إذ تغير الخريف بالنسبة لي»[1].

مـا كان يمكـن للقصيدة أن تكون أفضل،وربما كانت قـد خطرت بباله تواً، فيما تركزت أفكاره على ذكريات نيافته القديمة والحديثة، فقدم للمبعوث الخمر وكافأه بسخاء.

أُعيـد ترتيـب العربـات بحسـب الرتبة، وتجمـع ركب مصاحـب كبير، وانتهـى الحفل الموسيقي الهادئ، وانطلق الجمع قدماً. واستقل معالي وزير الحرب عربة جينجي، وانطلق في أعقابهما القائد، مراقب بوابة الميسرة، مستشار فوجيوارا[2] والآخرون. وأضافوا أردية ضافيـة إلـى ثيابهم، إذ إنهـم كانوا يرتدون العباءات الرسـمية فحسـب، وتحت بـدر ازداد ارتفاعاً في سـماء جميلة متشـحة بليل متأخر واصل الموكب مسـيرته، بينما عزف الشباب علـى ناياتهـم، بناء على طلب من جينجي. وكان جينجي ونيافته قد رأى أحدهما الآخر في المناسـبات الرسمية وسط مراسم فخمة ومؤثرة، ولكن جينجي تذكَّر أيضاً الأيام التي كان فيها أحد العامة فحسـب، والليلة وصل بتلك الروحية وببسـاطة شـديدة للغاية، بحيث إن نيافتـه دهـش وابتهج كثيراً. وقد بدا في سـنواته المتقدمة شـبيهاً بجينجي أكثر من أي وقت مضـى. وكان قد تخلى من تلقاء نفسـه عن حكـم مجيـد، وتأثر جينجـي بملاحظة الهدوء الذي يلف حياته الراهنة. وكانت قصائدهما الصينية واليابانية في تلك الليلة جميعها مؤثرة وعميقة للغاية، وليس بمقدوري حمل نفسي على تسجيل بضع قصائد منها فحسب[3].

قبـل الذهـاب إلى الـدار، توجه جينجـي إلى مقر جلالـة الامبراطـور، وتجاذبا كلاهما أطـراف الحديـث. قـال: «كان ينبغي حقـاً أن أزوره كثيراً، أخذاً في الاعتبـار الحياة الهادئة التـي يحياهـا، لأنه حتى في غياب أي مناسـبة خاصة للقيام بذلـك، فإنني أود التحدث عن جميع أنواع الأمور التي تنتمي إلى الماضي، والتي لم أنسها في عمري. غير أنه حيث إنني

(1) «يظل بهاؤك متألقاً، خلافاً لحالي، ولهذا السبب لم أحضر».
(2) ربما كان هذان الأخيران من إخوة كاشيواجي الأصغر سناً.
(3) لم يكن بمقدور الراوية أن تسجل بصورة مناسبة القصائد الصينية على أي حال.

لا أنتمي حقاً إلى هذه المكانة أو تلك، فإنني أخشى أن أكون إما متفاخراً أو متجاسراً[1]. ويبدو أن الكثير من الناس الأصغر سناً قد مضوا قبلي[2]، إذ إن طرق الحياة المتغيرة قد تركتني بلا راحة، وأجدني تواقاً إلى مكان مسالم لأقيم فيه أخيراً، بعيداً كثيراً عن الدنيا، عدا أن من سيبقون من بعدي سيتركون للوحشة. أرجو أن تحرص على ألا يلحق بهم ضرر، على نحو ما توسلت لك أن تقومي به في الماضي». هكذا تحدث بجدية بالغة.

ردت جلالة الامبراطورة بكل شبابها ورباطة جأشها المألوفين: «بعد سنوات أمضيتها في القصر لا أغادره، فإنني أستنكر أكثر فأكثر أن مكانتي الراهنة تجعل أي لقاء لي بك بالغ الصعوبة في ترتيبه، وبينما تعد الدنيا التي يغادرها الكثيرون للغاية الآن مقيتة بالنسبة لي كذلك، فإنني لم أذكر هذه المشاعر لك بعد لأنني درجت على اللجوء إليك أولاً في كل الأمور، وقد ترددت في القيام بذلك».

«عندما كنت في البلاط حقاً، كان بمقدوري الاعتماد على أوقات معينة، حينما كنت تضطرين للانسحاب إلى دارك، وكان بمقدوري التطلع إلى تحيتك عندئذ، ولكن حسبما الأمور عليه الآن فأي عذر يمكنك التعلل به للتحرك حسبما طاب لك؟ إنني أعلم أن الحياة غادرة، ولكن ما من أحد ينبذ الدنيا على ذلك النحو من دون شكوى منها، وهناك على الدوام أواصر تعرقل حتى من هو في وضع يفعل فيه ما طاب له. ما الذي يجعلك تتحدثين على هذا النحو؟ بالنسبة لبعض الناس، فإن تطلعاً دينياً كتطعلك، وهو تطلع يسعى لتقليد مثال الآخرين، لا يمكن إلا أن يبدو غريباً. وينبغي أن تتخلى عن هذه الفكرة مرة وللأبد».

أدركت في مرارة من رده أنه لم يفهم إلا القليل للغاية مما يدفعها إلى التفكير فيما ذهبت إليه. خلال أي سورات غضب جحيمية يمكن لأمها، ملاذ روكوجو، أن تضرب الآن على غير هدى في غمار عذابها؟ كان سمو الامبراطور الفخري المتقاعد قد بذل كل ما في وسعه لإخفاء الطريقة التي أعلنت بها أمها حضورها، الذي غدا مقيتاً الآن حتى بعد موتها، ولكن النميمة حولها قد بلغت، بالطبع، مسامعها، وجعلت الصدمة الحادة حياتها

---

(1) على الرغم من أن جينجي كان من الناحية الاسمية امبراطوراً فخرياً متقاعداً، إلا أنه لم يحكم قط، ومع ذلك فإنه ليس من العامة على وجه الدقة. ومكانته يلفها الغموض. وإذا زار رايزي باعتباره امبراطوراً متقاعداً، فربما يُظن به التفاخر، وإذا زاره بحسبانه من العامة فقط يُظن به التجاسر.

(2) إما إلى الموت (كاشيواجي) أو إلى الحياة الدينية (أساجاو، أوبورو زوكيو، أونا سان نو ميا).

مقيتـة. وتاقت إلى أن تعرف على وجه الدقة ما قالته أمها في غمار تلك الزيارات[1] ولكنها لم تستطع حمل نفسـها على الحديث صراحة، وبدلاً من ذلك ألمحت إلى الموضوع من بعيد فحسب.

«لقد فهمت بصورة غامضة أن الوضعية الراهنة للراحلة تشير إلى عبء ثقيل من الخطيئة، وهو أمر يسهل بما فيه الكفاية افتراضه حتى في غياب دليل عليه، ولكنني أنا نفسي لن أنسى قط الحزن الناجم عن فقدها، ومن المفجع بالنسـبة لي ألا أكون أكثر اهتماماً بها فيما وراء دنيانـا. وأنا أتوق أكثر فأكثر إلى قبول إرشـاد من يتحدثون بما يدخل على النفس العزاء[2]، وأن أطفئ ألسـنة اللهيب تلك، بالاعتماد على نفسـي إذا اقتضى الأمر، وذلك هو السـر في أنني أشعر الآن بما يخالجني من أحاسيس».

فهـم جينجـي حالتها النفسـية تمامـاً، وتأثر بها«تلك ألسـنة لهيب لا يتجنبهـا أحد، كما نعرف جميعاً، غير أننا نحن الذين نمضي مع ندى الصباح لا نزال نتشبث بما لدينا. لقد كان الرجـل المقدس موكوريـن قريباً من بوذا، ويقولون إنه أنقذ أمه على الفور، ولكنني أشـك في أنك بسـبيلك إلى أن تحذي حذوه[3]، وحتى إذا تخليت عن اليشـب في شـعرك، فإنك ربما تظلين تأسـفين بمـرارة على هذه الدنيـا. وعليك بتقوية العزم الـذي أتيت على ذكره، والقيام بما لابد من القيام به لتحريرها من الدخان. وأنا أشاركك رغبتك، وعلى الرغم من ذلك فإنني بفعل هذا الأمر أو ذاك أمضي أيامي وليالي بطريقة بعيدة تماماً عن السلام الذي أنشده، وكل ما أستطيع القيام به هو أن أضيف في هدوء الصلوات من أجلها إلى ابتهالاتي الخاصـة، التي كما تقولين تعد قليلـة للغاية». هكذا اعترف أحدهما للآخر بعدم رضاه عن هذه الدنيا ورغبتهما في هجرانها، ولكن الأوان لم يئن بعد بالنسـبة لهما، على نحو ما هما عليه، لكي يتخليا عن مظاهر الدنيا وأبهتها.

أصبحت جولة جينجي الحريصة والبهيجة التي قام بها البارحة معروفة بحلول الصباح،

---

(1) تقتضي اللغة الإنجليزية خياراً بين صيغة المفرد وصيغة الجمع. وهذه الصيغة الأخيرة تقر بالمس المتعلق بأونا سان نو ميا في فصل «السنديانة».

(2) كتبة يتحدثون بكلمة بوذا.

(3) علم موكورين، بفضل قواه الخارقة، بأن أمه تعاني في أقنوم الأشباح الجائعة أو أقنوم الجحيم (تختلف الصياغات في هذا الشأن) ولكنه كان بمقدوره إنقاذها، بفضل تعاليم بوذا.

وتجمـع كبـار النبـلاء والآخرين عنـد مقر نيافتـه للقيام علـى خدمته لدى عودتـه. وأحسَّ بالغبطة الشـديدة للنجاح الذي كُللت به رعايته لزوجة سـمو ولي العهد، ذلك أنه كان جلياً فـي تألقها الحالي ومن التفوق الواضح للقائد علـى الآخرين جميعاً، ولكن أعمق عواطفه كانت من نصيب نيافته رايزي، الذي كان يعني الكثير بالنسـبة له. وكان نيافته بدوره قد تاق علـى الدوام إلـى أن يكون أقرب إلـى جينجي، وكانت النـدرة التعسـة للقاءاتهما هي التي حدت به إلى تبني حياته الراهنة الأكثر هدوءاً.

بالمقابل، فإن جلالتها كان بمقدورها الآن أن تتركه بصورة أقل من السابق، فقد كانا سوياً على الدوام مثل اثنين من العامة، واسـتمتعا بموسـيقى أكثر تألقاً وعذوبة من أي موسـيقى سُـمعت في عهده. وما كان لجانب من جوانب ظروفها أن يعجز عن إدخال السـرور على نفسـها،بخلاف ذلـك القلق على أمها، الـذي أكد رغبتها في أن تكرِّس نفسـها لحياة الورع والتقوى. غير أنها ماكانت لتحصل البتة على إذن للقيام بذلك، وبالتالي فقد شغلت نفسها بالأعمال الطيبة، مدركة في غضون ذلك على نحو أكثر عمقاً الطابع الحقيقي لهذه الدنيا.

39

يوجيري

غمامة المساء

ذات مساء يحفه الغمام، يزور يوجيري (تعني الكلمة «غمامة المساء») الدارة الواقعة في التلال، التي آوت إليها أوتشيبا نوميا مع أُمها، وهناك يبعث إليها بالقصيدة التي منحته والفصل اسميهما:

«فيما غمامات المساء التي تجلب على قرية جبلية شجناً جديداً

تحجب السماء، ليس بمقدوري الرغبة في الرحيل والانطلاق إلى الدار».

الصلة بالفصول السابقة

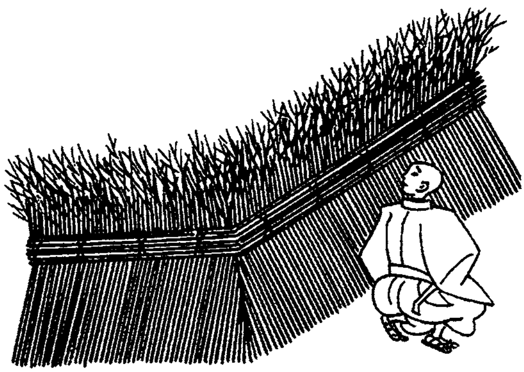
تبدأ أحداث «غمامة المساء» في الوقت نفسه تقريباً الذي تنتهي فيه أحداث «صرار كأس الزهرة» (يتداخل الفصلان بعض الشيء) وتستمر وصولاً إلى شتاء العام نفسه.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 50 عاماً.
سمو الأميرة الثانية المقيمة في إتشيجو (أوتشيبا نوميا).
القائد، ابن جينجي، 29 عاماً (يوجيري).
الملاذ، أم أوتشيبا نو ميا (إتشيجو نو مياسو دوكورو).
الموقر، معلم التهذيب.
زوجة القائد، 31 عاماً(كوموي نو كاري).
كوكوشو، وصيفة في دار أوتشيبا نوميا وابنة خالها كذلك.
حاكم ياماتو، ابن خال أوتشيبا نوميا وشقيق كوكوشو.
السيدة موراساكي، 42 عاماً.
معالي المستشار المتقاعد(تو نو تشوجو).
السيدة المقيمة في الجانب الشمالي الشرقي (هاناتشيروساتو).
الملازم الحاجب، أحد أبناء تو نو تشوجو.
سيدة العاملين في القصر، ابنة كوريميتسو.

كان القائد، الذي حافظ على مستوى النبل الذي اشتهر به، قد خلص إلى أن سمو الأميرة المقيمة في إتشيجو هي ما يريده تحديداً، وحمل لها في قرارة نفسه شعوراً رقيقاً، محافظاً في غضون ذلك على مظهر الاحترام لذكرى الراحل. وغدا سراً أكثر اقتناعاً، مع مرور الأيام والشهور، بأن الأمور لا يمكن أن تنتهي على نحو ما هي عليه الآن. وقد تأثرت الملاذ وسط الوحدة والملل المتزايدين في حياتها باهتمامه، وشعرت بالامتنان، لأن زياراته المستمرة كانت غالباً مصدر ارتياح عميق لها.

لم يغامر قط بأقل إيماءة إلى سمو الأميرة، ذلك أنه مضى يحدِّث نفسه: لسوف أسيء إليها فحسب، إذا شرعت فجأة بالتظاهر بأجواء إيحائية، ولكنني سأظهر لها عمق إخلاصي، وأنا أعرف أنها سوف تسلم قيادها بمرور الوقت. وانتهز كل فرصة لينال لمحة سريعة منها. ولم تفه هي نفسها بأي كلمة، وكان يتطلع إلى فرصة للبوح لها بما بنفسه بوضوح وليخمن ردها، عندما تأثرت الملاذ بشدة بفعل أعمال إحدى الأرواح، وانتقلت إلى دار جبلية لها في أونو[1]. وقد قامت بذلك لأن المعالج المفضل لديها، وهو معلم للتهذيب[2] والذي كان يطرد الأرواح دائماً من أجلها، قد آوى إلى الجبال، وأقسم ألا يخرج إلى صفوف البشر مجدداً، وبما أن المكان كان وسط سفوح الجبال، فقد كان مكاناً يمكنها أن تستدعيه إليه. وقدَّم القائد الركب المصاحب لها بل والعربة التي أقلتها، فيما كان كل النبلاء الشبان[3] الذين كانوا مقربين منها حقاً أكثر انشغالاً بحياتهم من أن يفكر فيها لحظة واحدة. وكان المراقب[4] قد أعلن أنه لا يفتقر


سور من الأغصان المقطوعة

(1) في التلال الواقعة إلى الشمال الشرقي من كيوتو، وربما المنطقة المتعلقة بصفة عامة بدارة شوجا كوين الامبراطورية الراهنة.

(2) ريشي «ريسيشي» المرتبة الأدنى في سلم مراتب الرهبانية التي يمكن بلوغها للكتبة النخبويين الذين تمت رسامتهم بصورة كاملة. «التهذيب» يشير إلى كيان من قواعد الانضباط الرهباني البوذي.

(3) إخوة كاشيواجي.

(4) كوباي.

إلـى الاهتمام بسـمو الأميرة، ولكنه قوبـل بجفاء بالغ إلى حد أنه لم يصـر قط على معاودة الزيارة.

واصل القائد اتباع منهاجه بحرص وحذر بالغين. وكان من بعد النظر بما يكفي لإرسال قرابيـن مـن الأردية الطاهرة[1] للرهبـان وما إلى ذلك، عندما علم بـأن الملاذ قد كلفت من يقوم بأداء الصلوات. ولما لم يكن بوسعها الإعراب عن شكرها له، فقد كانت سمو الأميرة هي التي ردت عندما أشـارت الوصيفات في معرض حديثهن معها إلى أن من شـأن رسالة موجزة يقمن بكتابتها أن تسـئ إلى مثل هذا النبيل العظيم. وجعله خط رسالتها المؤلفة من بيت واحد[2] والتي تدخل السـرور على النفس بلا تصنع أكثر شغفاً من أي وقت مضى بأن يكـون معها، وبدأ يبعث إليها برسـائل متواليـة. وأصبحت الأمور صعبـة، عندما لا حظت زوجته أنه يبدو أن هناك شـيئاً يجري بينهما، ولم يسـتطع زيارتها في التو، على نحو ما كان يتوق إلى القيام به.

انتصـف الشـهر الثامـن، وكان الريف جميلاً، وتاق إلـى رؤية دارتها في التلال. وفسـر الأمر بلطف قائلاً: «يتناهى إلى سـمعي أن معلم التهذيب قد مضى إلى هناك للأبد. وهناك أمـر أريـد أن أناقشـه معه، ولذا فإنني ذاهب إلى هناك، إذ إن ذلك سـيتيح لـي الفرصة أيضاً للاستفسار عن صحة الملاذ».

لم يتألف الركب المرافق له من أكثر من خمسـة رجال أو سـتة يرتدون عباءات الصيد. وكان المـكان الـذي يقصدونـه بعيداً في الجبال، ولكـن التلال التي تعلو ما تسوجاسـاكي إن لـم تكـن تضاريس نبيلة، فقد كانت على الرغم من ذلك تتشـح بألوان الخريف، وخلب جمالها لبه أكثر مما فتنته تلك الحديقة الرائعة في المدينة[3].

كان السـور الخفيـف المتخذ من الأغصـان المقطوعة يتمتع بتميز أصيـل، على الرغم مـن أن المـلاذ لم تخطط إلا للبقاء فترة قصيـرة. وكان مذبح نيران[4] قد بُني في ملحق على

(1) جوي، أردية يلبسها الرهبان خلال الطقس. وهي يمكن أن تكون سوداء ضاربة إلى الزرقة، صفراء، حمراء، بيضاء، رمادية أو بنية بحسب الإله الذي يُخاطب به الطقس.

(2) ربما قصيدة مكتوبة في صورة بيت واحد، وليس بطريقة أكثر تحرراً وتجميلاً.

(3) ربما كانت حديقة أكيكونومو الخريفية في روكوجو.

(4) دان، مذبح يشمل موقداً طينياً لنيران جاما المقدسة.

الجانب الشرقي مما حسبه الدار الرئيسية، وبما أنها قد شغلت الشمال فإن سمو الأميرة كانت في مقدمة الغرفة، إلى الغرب. وكانت الملاذ تفضل عدم قدوم ابنتها على الإطلاق، خوفاً من الروح التي تعذبها، ولكن سمو الأميرة لم ترغب في ترك أمها، التي أمرت بوضع فاصل خفيف بينهما، وأبت السماح لها بأن تقترب منها أكثر من ذلك، خوفاً من أن تنتقل الروح إليها.

لم يكن هناك مكان لاستقبال ضيف، فتم إدخاله ليجلس أمام الستائر الحاجبة الخاصة بسمو الأميرة[1]. ومن هناك نقلت الوصيفات الأكبر سناً تحياته «إنني ممتنة أشد الامتنان لكل رسائلك الرقيقة ولهذه الزيارة الكريمة من جانبك». هكذا ردت الملاذ، وأضافت: «ألهمني الخوف من أن أعجز عن شكرك بالصورة اللائقة، إذا حدث لي أي شيء، أن أرغب في أن أعيش وقتاً أطول قليلاً».

«كنت قد علقت الآمال على مصاحبتك إلى هنا، ولكن يا للحسرة، تعطلت في روكوجو، وبالتالي لم أستطع القيام بذلك. وهناك أمور كثيرة للغاية تشغلني من يوم لآخر مما يشعرني بالأسف لاضطراري لأن أكون أقل عناية بك مما أرغب فيه».

جلست سمو الأميرة بهدوء بالغ بعيداً في مؤخرة الغرفة، ولكن وسط قطع الأثاث البسيطة للغاية هذه ومثل هذا المكان شديد التقشف بدا جلياً أنها هناك. وقد جعل حفيف أدنى حركة تقوم بها ذلك واضحاً. وتحدَّث القائد المنفعل كالمعتاد مع كوشوشو[2] والنساء الأخريات، في حين انتقلت الرسائل بينه وبين الملاذ البعيدة للغاية. أشار بقوله: «لقد دأبت على الزيارة على امتداد بعض السنوات، ومن المخيب للآمال للغاية أن سمو الأميرة لا تزال تستقبلني بفتور بالغ. ويزعجني التفكير في أنه حتى الآن، وأمام ستائرها الحاجبة ذاتها، فإنني أرسل إليها تحياتي البعيدة من خلال شخص آخر! لم أر لذلك مثيلاً قط! ولابد أن أساليبي التقليدية تجعلها وتجعل بقيتكن تبتسمن. هذا أمر محرج للغاية! كان من شأني أن أكون أقل شعوراً بالارتباك الآن لو أنني كنت تدربت أكثر قليلاً على

---

(1) يبدو أن يوجيري تم إجلاسه في الرواق الغربي.

(2) وصيفة ظهرت بالفعل في فصل «السنديانة». ويشير مقطع لاحق إلى أنها ابنة أخ لأم الأميرة أوتشيبا وابنة عم أوتشيبا نفسها.

الجسـارة عندما كنت في صدر العمر ولـم تكن لي أهمية إلا بالكاد. لا، ما من أحد آخر في مثل سني كان يمكن أن يكون محدثاً للضجة وكئيباً على هذا النحو!».

حقاً لم يكن هناك شـيء يتعلق به يشـجع على معاملة تتسم بالغرور والاختيال، وأكدت كلماته للنسـوة ما افترضنه طويلاً، فقلن: «سـيدتي لن يكون لائقاً بك ألا تردي عليه وفق ما يستحق. الأمر يبدو كما لو أن شكواه لا تعني لك شيئاً».

هـذه هي الرسـالة التي وصلت إليـه: «ينبغي أن أعالـج عجز والدتي المحـزن عن الرد عليك بنفسها، ولكنني أرهقني كثيراً القيام برعايتها، خلال مثل هذا الوقت الخطر، وأخشى أنني لا أستطيع القيام بذلك».

اسـتقام في جلسـته، وقال: «هل هذه الرسـالة من سمو الأميرة؟ لماذا أشـعر بأن معاناة أمك هي معاناتي؟ إذا سُمح لي بقول ذلك، فإن ما جلبني إلى هنا هو اقتناعي بأنه من المهم بالنسـبة لكمـا، فيما لديك مثل هذه المناسـبة للحداد، أن تظل في صحـة طيبة لتراك وأنت تمضين إلى أوقات أكثر سعادة. إنني آسف لأنك حملت شعوري الطيب على أنه موجه لها وحدها، ولم تدركي حرصي الذي دام طويلاً عليك كذلك».

أكدت الوصيفات لسمو الأميرة أن ما قاله صواب تماماً.

اقتـرب الغـروب، وحجبت غمامة السـماء بصـورة جميلة، وبـدا ظل الجبـل آخذاً في الإعتام، بينما مضت الزيزان تشدو في كل مكان[1]، ونشرت زهور القرنفل ألوانها الجميلة علـى امتداد السـور[2] وتفتحت الزهور فـي الحديقة القريبـة بوفرة متألقـة إزاء خرير الماء البديع، فيما تنهدت أشـجار الصنوبر شأن غابة في الريح الجبلية الموحية بالحداد، وعندما دوّى الحرس داعياً رهباناً جدداً لتولي القراءة الدائمة للنصوص المقدسة نيابة عن الرهبان الكبـار، امتزجـت أصوات الجانبين لحظة محدثة تأثيراً مهيباً. وأضفت كآبة المكان لمسـة حزينـة على أفكاره كافة. ولم يرغب فـي المغادرة. وتناهى صوت معلم التهذيب في غمار

(1) كوكينشو 204: «شدت إحدى الزيزان، وحسبت أن الشمس غربت، ولكن ظل الجبل غمرني فحسب». وبفضل التلاعب بالكلمة فإن هيجوراشي، وهو اسم أحد أنواع الزيزان، يشير إلى صورة المغيب.

(2) تستحضر كوكينشو 685 مناخاً مماثلاً: «آه، لشد ما أفتقدها، ولكم أتوق إلى رؤياها، هذه القرنفلات اليانعة في ذلك السور الريفي!».

صلواته، وهو يرتل الداراني بنغمات ملهمة.

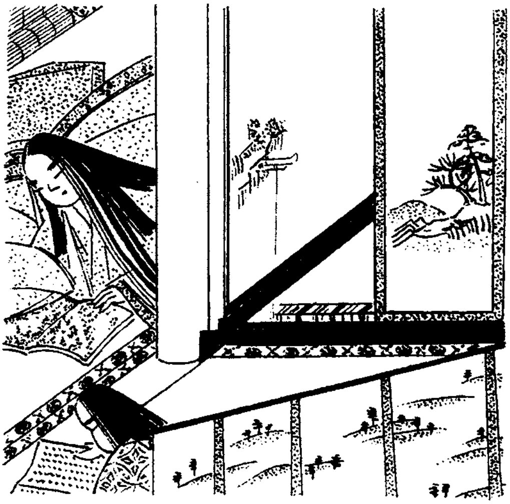
تجمعت النسـوة حول الملاذ، التي بدا أنها تشـعر بأنها مريضة كأشد ما يكون المرض. ولم يكن الكثير منهن قد تبعن سيدتهن إلى الريف، وبالتالي تُركت سمو الأميرة وحيدة مع خواطرها. وبدت هذه اللحظة للقائد لحظة مناسبة لإعلان هادئ. فالآن لفت الغمامة الدار نفسها، وقال: «لن أتمكن من تبين طريق عودتي. فماذا عساي أفعل؟

«فيما غمامات المساء التي تجلب على قرية جبلية شجناً جديداً

تحجب السماء، ليس بمقدوري الرغبة في الرحيل والانطلاق إلى الدار».

«حتى الغمامات التي تنهض وتلف سور حديقة جبلية ريفية متواضعة

لا تحتاج يقيناً إلى تعطيل من يتعجل المسير».



حاجز منزلق

أدخل الهمس الواهن لردها العزاء إلى نفسـه، ونسي حقاً كل تفكير في المغادرة. وقال: «لست أدري ما عساي أفعل. وليس بمقـدوري تبيـن الطريـق إلى الـدار، ومع ذلك فإنك تقولين لي إن سورك الذي لفته الغمامة لا يحتاج إلى اسـتبقائي. ذلك هو مـا أنالـه لكوني غير بارع في هـذه النوعية مـن الأمـور». كان لا يـزال متـردداً فـي الذهاب، فبدأ يشـير إلى ما يهدد بالاندفاع منـه، وهي التـي تجاهلت مشـاعره دوماً، على الرغم من أنها لاحظتها على امتداد السنين، تمنت بمرارة لو أنه احتفظ بها لنفسه. وقد تضايق كثيراً عندما انزعجت بما فيه الكفاية لكي تلوذ بصمت يوشك أن يكون تاماً، ولكنه فكَّر في أنه ما من فرصة مثل هذه سـتتاح مجدداً. وقال لنفسـه: لا تكترث إذا حسبتني قاسياً وسطحياً، لابد لي من إبلاغها بما كان يدور في ذهني طوال هذا الوقت.

هتـف منادياً، فأقبل تابع مقرب منه- أحد حراسـه، والذي كان قد رقّـي حديثاً من رتبة مسـاعد[1]- وقـدَّم نفسـه. فجعـل الرجل في هـدوء يدنو منه. وقـال: «لديَّ شـيء أريد أن أناقشـه مـع معلـم التهذيب. وأنا أعرف أن طقوسـه تبقيه منشـغلاً، ولكنه يبدو أنه يسـتريح الآن. لسوف أبقى الليلة، وأمضي لمقابلته لدى انتهاء صلاة المساء. فاحرص على أن يبقى الرجـال المناسـبون مناوبين هنا. أمـا فيما يتعلق بالباقين فإنني أعتقد أن ضيعة كوروسـونو الخاصـة بـي قريبة من هنا. فعليهم بالذهاب إلى هناك وتقديم العلف للجياد، ولسـت أريد عدداً كبيراً منهم هنا يثرثرون. فالناس قد يشعرون بأنه ليس هناك ما يدعوني إلى قضاء الليل هنا». أذعن الرجل، الذي أدرك أن القائد لابد له أسبابه التي تحدو به إلى البقاء، لما أُمر به، وانطلق مبتعداً.

ثم أشـار بلا مبالاة بادية: «سـيكون طريق العودة صعباً للغاية. وسأجد مكاناً قريباً أبيت فيه. وسـأقدر لك سـماحك لـي بالبقاء هنا أمام سـتائرك الحاجبة إلـى أن ينتهي الموقر من صلواته».

آه، لا! إنه لا يبقى عادة حتى وقت متأخر على هذا النحو أو يتصرف بهذه الجسارة على نحـو مـا يفعل الآن! وعلـى الرغم من ذلك فإنها لـم تعتقد أنه سيبدو من الصواب بالنسـبة لهـا أن تنطلق بأسـرع أو أوضح مما ينبغـي للانضمام إلى أمها، وبالتالي جلسـت في صمت إلـى أن بـدأ يتجاذب أطراف الحديث معها، ثم تسـلل داخلاً وراء المـرأة التي تنقل كلماته إليها. كان الليل يرخي أستاره والغمامة لا تزال كثيفة، وساد الظلام داخل الستائر الحاجبة. ونظرت المرأة وراءها في اسـتياء، وانزلقت سـمو الأميرة مرتاعة عبـر الحاجز الواقع على الجانب الشـمالي من الغرفة، بينمـا مضى القائد في متابعة ظافرة فأمسـك بردائها ليوقفها. وقـد اجتازت هي نفسـها الحاجز، ولكن أطـراف ثوبها امتدت وراءهـا، ولما كان الحاجز لايغلق من ذلك الجانب فقد تخلت عن محاولة إغلاقه، وجلسـت هنالك ترتجف، غارقة فـي عرقها. ولم تدر وصيفاتها المصدومات ماذا عسـاهن يفعلـن. وكان هناك مزلاج على جانبـه، ولكـن ذلـك لم يكن مصدر عـون، ولم يكن بالرجـل الذي يمكنهن جره بخشـونة خارجاً.

---

(1) تمت ترقية الرجل، فيما يبدو، من مساعد (زو، المرتبة السادسة) إلى مفوض (تايفو، المرتبة الخامسة).

أوشكت المرأة على البكاء، وهي تقول: «هـذا فظيع، يا مولاي! ما كنت لأفكر قط في أنك ستقدم عليه!».

«لماذا تجد سمو الأميرة أن مما يبعث على الصدمة أو يثير الاستياء بشكل خاص من جانبي أن أقوم على خدمتها بهذه الطريقة؟ لاشك في أنني لست جديراً بذلك، ولكنها تعرفني على امتداد سنوات». وشرع برباطة جأش في الحديث عما أثقل فؤاده كثيراً. ولم تكن سمو الأميرة في حالة تسمح لها بالإصغاء، وبدلاً من ذلك مضت تندم على حماقتها وترتجف إزاء فكرة أن ذلك هو ما كان يعتقده بشأنها. وكانت مجرد فكرة الرد عليه أبعد ما يكون عنها.

مضى يعرب عن شكواه: «لديك كل قسوة فتاة صغيرة. نعم، إنني أعترف بالجريمة المسرفة المتمثلة في الأشواق المكنونة التي لم يعد بمقدور فؤادي أن يحتويها، ولكن فيما يتعلق بالسماح لنفسي بأي حرية أكبر في التصرف فإني ما كنت لأسمح لنفسي بذلك من دون إذن منك. في أي عذاب لا يطاق أجد نفسي! لقد كان لديَّ كل الحق في توقع أن تتفهمي مشاعري بمرور الوقت، ومع ذلك فقد تجاهلتها عامدة، وظللت شديدة الفتور إلى حد لم أعد أدرك معه سبيلاً للاقتراب منك. وقد تجدين عواطفي غريبة ومنفرة، ولكنني أؤكد لك أن أمنيتي الوحيدة هي أن أبلغك بوضوح ما هي هذه العواطف، لأنه سيكون أمراً مريراً للغاية السماح لها بأن تذوي وتموت. إنني أحترمك أشد الاحترام بحيث لا يمكنني القيام بغير ذلك، على الرغم من معاملتك القاسية لي». ومضى يتحدث بتقدير مبالغ فيه.

لم يفتح الحاجز، على الرغم من أنها لم تغلقه إلا على وجه التقريب. ضحك وهو يقول: «ما أغرب التفكير في أنك تصرين على الاحتفاظ بما لا يتجاوز هذا بيننا! كم هذا مؤثر!». وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم ينغمس في اندفاع أسوأ، فهو لم يكن متأهباً لمثل هذا النبل والرقي العذبين. وبدت له بالغة النحول والهشاشة، ربما لأنها لزمت الحداد كل هذا الوقت الطويل. وجعلتها الأكمام اللطيفة على نحو متألق لثوبها المنزلي، الذي لم تتمكن من تغييره وكذلك العبق الجذاب الذي يفوح منها جذابة للغاية بحيث رقَّ لها.

كان الليل قد أوغل في مسيرته، ومضت ريح حزينة تهب.. وامتزجت معاً أصوات شدو الزيزان وخوار الأيل وضجيج الشلال لتحدث تأثيراً قوياً ومؤثراً للغاية، إلى درجة أنه حتى

أكثر السذج كآبة كان سيجلس بلا نوم تحت هذه السماوات، إذ كانت المصاريع لا تزال مرفوعة، وأضفى القمر الغارب الذي لاح فوق حافة الجبال على المشهد سمة موجعة للغاية، يصعب ألا تستدعي الدموع. واصل حديثه: «لقد علمني عدم تفهمك لمشاعري بالمرة على الأقل كم يفتقر فؤادك للعمق. وليس بمقدوري أن أتخيل رجلاً آخر يشاركني درجتي من البراءة الحمقاء الداعية للاطمئنان، وأي شخص قادر على القيام بما يطيب له كان من شأنه أن يسخر من غبي مثلي، ثم بعد ذلك بحسب فهمي للأمر كان سيتصرف كما يطلب له. وليس بمقدوري أن أعدك بالتحكم في نفسي بلا انتهاء، أخذاً في الاعتبار مدى عمق ازدرائك لي. ولا يمكن أن تكوني على مثل هذا الجهل بالحياة».

جرَّب كل أنواع الحجج والتهديدات، الأمر الذي تركها بائسة وفي عجز تام عن إدراك كيف يمكنها الرد. وإذ صدمت حيال إشاراته المتكررة إلى أن تجربتها في الحياة كان ينبغي أن تعدها للاستسلام، راحت تفكر في أن وضعها كان حقاً محنة عظيمة للغاية، وتمنت لو أن الموت أدركها. ردَّت قائلة بصوت خفيض للغاية وباكية على نحو يثير الإشفاق: «بقدر تعاستي أقر بأوجه قصوري،ولكنني لست أدري على أي وجه أحمل تصرفك الخارج عن المألوف».

«هل لا بد لي، لا لشيء إلا أن الحياة علمتني قسوة الحب،

أن أكون مجدداً من يتلطخ اسمها بأحزان أكمام مبتلة؟»[1].

هكذا أضافت، ولضيقها الشديد جمع أطراف قصيدتها معاً[2] وكررها لنفسه برقة. فتمنت لو أنها لم تقلها قط.

أضاف بابتسامة: «حقاً، لقد أخطأت في قول ما فعلته».

«لست بالذي يكسوك عامداً ثياباً مبللة،

(1) «هل لابد لي، أنا التي فقدت زوجي، أن تهدر سمعتي أيضاً من خلال الشائعات عن علاقة جديدة؟». «الأكمام المبتلة» أو «الثياب المبتلة» في رد يوجيري تتعلق بالكشف عن قصة حب وجعلها موضعاً للأقاويل.

(2) ربما يشير الأصل غير الواضح إلى أن يوجيري لم يلتقط إلا روح قصيدتها وعارضها بقصيدة من خلال ما تناهى إلى سمعه.

لكن أكماماً غارقة الآن لا يمكنها حماية اسمك[1].

خير لك أن تسلمي نفسك لي». ولضيقها الشديد دعاها إلى الخروج إلى سنا القمر، واجتذبها إليه في يسر، على الرغم من مقاومتها الشجاعة، وتوسل إليها: «أقري لطفاً بإخلاص لك من طرف واحد، وكوني لطيفة معي، فمن دون إذنك لن أسمح لنفسي أبداً.. أبداً». وأوضح لها نيته بجلاء. وفي غضون ذلك أطل الفجر.

تألق قمر باهر مطلاً من الأعالي، من دون أن تحجبه غمامة. وبالنسبة لسمو الأميرة بدا ضوء طنف الممشى قريباً للغاية حقاً. وفي غمار استيائها وحرجها أحست كأنما قد غدت هي والقمر وجهاً لوجه، وكشفت جهودها لتجنب ضيائه عن رشاقة تستعصي على الوصف. وبدأ القائد في الحديث بهدوء ولباقة عن المراقب الراحل، ولكنه مع ذلك أعرب عن ضيقه لأنها تعتقد أنه الرجل الأقل شأناً.

تذكرت صامتة أن كل من يعنيهم الأمر كانوا قد وافقوا على الزواج، على الرغم من أن المراقب لم يكن قد ترقى بعد إلى المرتبة الرفيعة التي كان يجب أن يصل إليها، وكيف أنه اتخذ موقفاً محزناً منها عندما عرفته معرفة كاملة بحسب المسار الطبيعي للأمور. ومضت تحدِّث نفسها:ليس الأمر كما لو أن هذا السلوك الغريب لم يعن أحد آخر قريباً مني. ما الذي سيعتقده معالي المستشار المتقاعد عندما يسمع به؟ وبغض النظر عن استهجان الدنيا المألوف كيف سيؤثر الخبر في نيافته المترهبن؟ كلما أوغلت في تصورها لما ستكون عليه مشاعر المقربين منها تعاظم يأسها. ربما أظل قاسية الفؤاد، ولكن الناس سيتقوَّلون على الرغم من ذلك، وعلى الرغم من أنه سيكون من الخطأ ألا تعرف أمي، فمن المؤكد أنها ستدين استهتاري عندما تكتشف جلية الأمر. كانت الفكرة نفسها مثيرة للحزن. وقالت: «على الأقل غادر المكان قبل الفجر!». لم يكن بمقدورها التفكير في شيء آخر.

«إنك قاسية للغاية! تصوري ما الذي سيظنه ندى الفجر بي عندما أغادرك كأنما حدث شيء بالفعل حقاً! إنني أحذرك إذاً! إذا اعتقدت أنك تغلبت بالحيلة عليَّ، وأنك لن يكون

(١) «على الرغم من أنني لا أرغب في تعريضك لفضيحة بسبب أي صلة بي، فإنك بالفعل موضع للأقاويل بسبب زواجك، الذي لم يواكبه الحظ من كاشيواجي، وليس هناك ما يمكنك القيام به حيال هذا. ولذا فهل الاستسلام لي يحدث هذا الفارق الكبير حقاً؟».

لي شأن بك الآن وقد أظهرت نفسي على أنني أحمق، فلن أستطيع السيطرة على نفسي بعد الآن، بما أنه لم يساورني مثل هذا الشعور من قبل. وليس بوسعي تبرير ما قد أقوم به». كان القلق يستبد به بدوره. فهو لم يكن يريد الانصراف بعد، ولكنه كان يعرف أنه لم تسيطر عليه مثل هذه العاطفة من قبل. ودفعه القلق عليها والخوف من أنه قد يصل إلى ازدراء نفسه، إلى المغادرة من أجليهما معاً فيما الغمامة لا تزال تحجبه.

استبدَّ به اليأس. فقال:

« لابد من مغادرتك الآن لأشق طريقي عبر غمامات الصباح الكثيفة

خلال حقول القصب المكسوة بالندى المتقاطر من الطنف».

وأضاف: «لن يجف رداؤك المبتل أيضاً[1]. لقد كان خطأ منك أن تصري على انصرافي».

«أهذا عذرك، أنك لابد من أن تشق طريقك عبر الحقول الندية،

لإرغامي في نهاية المطاف على ارتداء ثياب مبللة؟

يا له من شيء تقوله!». منحتها قسوتها مظهراً مروعاً ومبهجاً في آن. لقد كان وفياً لها أكثر من أي شخص آخر، وكان رقيقاً معها بلا حدود، والآن مضى كل ذلك، فقد أخطأ وملأه سلوكه المتهور بخجل وتأنيب ضمير شديدين للغاية إلى حد أنه راح يفكِّر مراراً فيما فعله، ومع ذلك فقد خشي من أن الإذعان الضعيف قد يجعله يبدو أحمق مجدداً. وانطلق بعيداً وذهنه يموج بالاضطراب. وصاحبته قطرات ندى ثقيلة على امتداد الطريق.

لم يكن معتاداً على مثل هذه المغامرات، وقد وجد هذه المغامرة مروعة وداعية لليأس. وإذا مضى إلى الدار، فإن زوجته سوف تتساءل بمزيد من الشك كيف ابتل كثيراً على هذا النحو، ولذا فقد مضى بدلاً من ذلك إلى الجانب الشمالي الشرقي من روكوجو. ولم تكن غمامة الصباح قد تبددت بعد، وانصرفت خواطره إلى دارها، حيث لابد أن الغمامة لا تزال أكثر كثافة. وتهامست النساء فيما بينهن حول خروجه هذا غير المألوف. ونال قسطاً من الراحة وبدَّل ملابسه. وكانت السيدة المقيمة هناك تحتفظ على الدوام بأشياء جميلة معدة

(1) «لن تهربي من سوء الصيت بسبب هذا أيضاً».

من أجله صيفاً أو شتاءً، وأخرجها من خزانة[1] تضوع عبقاً. وبعد تناول طعام الإفطار مضى للقاء جينجي.

لم تلق نظرة عابرة قط على الرسالة التي بعث بها إليها. فقد كان سلوكه الفظيع بصورة مفاجئة باعثاً على الشعور بالصدمة والحرج بالنسبة لها. كان سلوكاً جديراً بالاستنكار، واتقدت خجلاً لدى التفكير في أن أمها قد تعلم بما حدث، لأنها حتى إذا كانت لا تستطيع تصور أي شيء من هذا القبيل، فإنها قد تلاحظ شيئاً ليس على ما يرام، وبالإضافة إلى ذلك فإن النميمة تبلغ الآذان دوماً في نهاية المطاف، وبإمكانها في يسر أن تضع مؤشراً إلى جوار آخر، وتخلص إلى أن ابنتها تحجب الحقيقة عنها، وكانت الفكرة نفسها مؤلمة للغاية إلى حد أنها تمنت الآن أن الوصيفات سيحدثنها بالقصة كلها، بغض النظر عن مدى اعتقادها بأنها كانت مقيتة للغاية. وقد كانت الاثنتان قريبتين إحداهما من الأخرى للغاية حتى بمعايير العلاقة بين أم وابنتها. نعم، في الأيام الخوالي ربما كانت ابنة تحجب عن أمها أموراً يعرفها غرباء، ولكن بالنسبة لسمو الأميرة فإن ذلك لم يكن وارداً.

خلصت الوصيفات إلى أنه: «لا،لا، ستتضايق سيدتي فحسب لسماع شائعة تجعل الأمر يبدو كأن شيئاً قد حدث، فيما لم يحدث شيء حقاً، وسيكون ذلك شيئاً سيئاً للغاية». كانت الوصيفات اللواتي تقن لاكتشاف ما حدث بعد ذلك فضوليات بشأن الرسالة، ونفد صبرهن عندما لم تتحرك سمو الأميرة لفضها. وقلن: «لسوف يتساءل بشأنك، يا سيدتي، وسيعتقد أنك صبيانية تماماً إذا لم تردي عليه إطلاقاً». وقمن بفض الرسالة بأنفسهن.

ردَّت سمو الأميرة قائلة: «إنني أعرف أنه خطأي أن أتعرض لمثل هذا السلوك الغريب في وقت لا أتوقعه فيه بالمرة، ولكنني لا أستطيع التغلب على افتقاره المؤسف للتقدير. عليكن بالرد عليه بأنني لن أقرأ رسالته!». وعاودت الرقاد، وقد ارتسمت نظرة استياء صارمة في عينيها.

غير أنه لم يكن هناك ما يثير الاعتراض في الرسالة، لأنه كان قد كتبها بكثير من الود.

«تركت عاجزاً روحي مشتبكة في كميك القاسيين

---

(1) كو نو أون كارابيتسو، خزانة إما أنها تحتوي خشباً للبخور لتعطير محتوياتها، أو مصنوعة بالفعل من هذا الخشب.

ومن خلال خطأي وحدي أظل شارداً وضائعاً[1].

قلبـي فـي موضع آخر، كما قال آخرون من قبل، وأعـرف ذلك، لكنه صحيح. إنني أجد حبي في موضع آخر»[2].

بدا أن هناك الكثير غير هذا، لكنهن لم يستطعن رؤيته على الوجه الصحيح. وعلى الرغم من أن هذه الرسـالة لم تشـبه رسـالة صباحية عادية، إلا أنهن لم يسـتطعن تبين طبيعة الأمر على وجه الدقة. وأثارت حالة سـمو الأميرة النفسـية شـفقتهن، ورحن يرقبنها في أسى. ما الـذي يمكن أن يكون قد جرى؟ لقد كان رقيقاً معها في العديد من الجوانب، وعلى امتداد وقـت طويـل للغاية. هل أدت هـذه النوعية الجديدة مـن الاعتماد عليه إلـى إعطائها مبرراً للتقليل من شـأنه؟ كان ذلك مدعاة للقلق الشـديد، وأحسـت الوصيفات اللواتي يخدمنها عن قرب بالضيق الشديد.

فـي غضـون ذلـك، لـم تعـرف الملاذ شـيئاً علـى الإطـلاق، وكانـت هجمـات الروح خطيـرة، ولكنها في بعض الأحيان كانت صافيـة التفكير تماماً. وفي منتصف النهار، عندما انتهـت صلوات الظهيرة، ظـل معلم التهذيب وحده معها، عاكفاً على قـراءة الداراني. قال وقـد أحس بالسـرور لرؤيتها في خير حال على هـذا النحو: «إن بوذا دينيتشـي[3] لا يكذب قـط. كيـف كان يمكن لصلوات كصلواتي التـي أديتها من كل قلبـي أن تمضي من دون أن تحدث تأثيرها؟ الروح الشـريرة عنيدة حقاً، لكنها ليسـت إلا شـبحاً بائسـاً تعثر في عراقيله الكارميـة»[4]. كان صوته المبحوح مفعماً بالثقة، وأسـلوبه في الحديث ورعاً ورصيناً على نحو مؤثر في النفس.

---

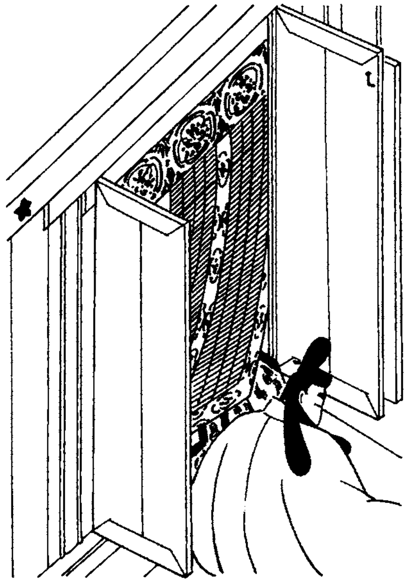
(1) كوكينشو 992، من نظم ميتشينوكو: «ربما دلفت روحي وسط الأكمام التي لا أزال أرغبها، لأنني أحس بأنها قد تسربت مني».

(2) كوكينشو 977، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني: «لابد أنه قد تركني ومضى بعيداً لأنني منذ أحببتك، كان فؤادي في موضع آخر». كوكينشو 488: «لابد أن هواي ملأ السماء التي لا حدود لها، فعلى الرغم من أنني أهرب منه، إلا أنني أجده في كل مكان».

(3) دينيتشي نيوري، بوذا الكوني المنتمي إلى مجمعَ الآلهة البوذي الباطني (شينجون).

(4) جوشو، الاصطلاح البوذي لكل العناصر الكارمية التي تعرقل التقدم نحو الاستنارة، ومن العناصر الرئيسية بينها الطمع، والغضب والحمق.

قال على حين غرة: «آه، نعم! القائد، منذ متى وهو زائر منتظم هنا؟»[1].



أبواب مزدوجة

«لكنه ليس كذلك. لقد كان والمراقب الراحل صديقيـن مقربيـن، وقد زارنا بيـن الحين والآخر لوقت طويل وفاء بالوعد الذي قطعه آنذاك. ومن المؤكـد أن وجوده أصبح مألوفاً، ولكنه جاء هذه المـرة ليستفسـر خصيصـاً عـن صحتـي، وهو ما أشعر بالامتنان حياله».

«هلمي، هلمي، ذلك لن يجدي نفعاً. لا ينبغي أن تحجبي الأمر عني. في هذا الصباح، وبينما أنا في طريقي لصلاة الهزيع الأخير من الليل، رأيت سـيداً نبيلاً مهيباً للغاية يخرج من الباب المزدوج الواقع إلى الغـرب، وأبلغني رهبانـي بأنه القائد، وذلك على الرغم من أن الغمامة كانت أكثر كثافة بالنسـبة لـي من أن أتبينه بنفسـي، وقد قالوا جميعاً إنه كان قد أعـاد عربته بالأمس، وأمضى الليلـة. والعبـق الكثيف الذي بقي في الهواء وراءه- لقد سـبب لي صداعـاً بصفة خاصة- أقنعنـي بأنـه لابد أنه كان هو، إذ إنه يعطِّر نفسـه دوماً على ذلك النحو. هذا ليس شـيئاً جيداً على الإطلاق. إنه سـيد رفيع القدر، وبناء على طلب سمو الأميرة الراحلة[2] أقمت طقوساً من أجله منذ أن كان صبياً، ولذا فإنني سـأفعل بسـرور أي شـيء لائق من أجله، ولكن هذا الذي يجري هو من سـوء الطالع على أقل تقدير. فزوجته امرأة لها قدرها، وعائلتها شديدة التميـز وتحظـى بنفوذ كبير، وقد أنجبت له سـبعة أطفال أو ثمانيـة. وليس من المحتمل أن تقـف سـمو الأميرة نداً لها. وهذه هي على وجه الدقة نوعيـة الخطيئة التي تؤدي إلى ميلاد في جسـم أنثوي شـرير وتجوال لاينتهي في ظلام ليل أبدي، وتلك هي العاقبة الرهيبة التي تترتب عليها، ولسـوف تعاني من جرائها إذا غضبـت عليها زوجته. لا. لا. لا يمكنني قبول

(1) «كم طال زواجه من ابنتك؟».

(2) أوميا، جدة يوجيري.

ذلك». ومضى يهز رأسه.

ردَّت الملاذ على الحديث الصريح هذا قائلة: «لست أدري ما الذي تتحدث عنه. فهو لم يظهر أي مؤشر إلى مثل هذه النوايا. وأنا لم أكن أشعر بأنني على ما يرام على الإطلاق، ومن هنا فقد انتظر في هدوء هنا إلى أن أتمكن من استقباله، هذا هو ما تقوله وصيفاتي، وأحسب أن هذا هو السر في أنه واصل البقاء. إنه جاد على الدوام ومستقيم في سلوكه». غير أنها راحت تتساءل في قرارة نفسها، وعلى الرغم من هذه التأكيدات، عما إذا لم يكن ذلك صحيحاً. ومضت تحدِّث نفسها. لقد بدا في بعض الأحيان منفعلاً قليلاً، ولكن أسلوبه بالغ الذكاء، ومن الجلي أنه حريص على تجنب القيام بأي شيء يجلب الانتقاد، مما جعلني أثق بأنه لن يتجاوز الحدود. ربما كان قد دلف إليها عندما رأى أنه ليس معها أحد من الناحية العملية.

ما إن انصرف معلم التهذيب، حتى استدعت كوشوشو، وأبلغتها بما سمعته لتوها. وقالت: «ماذا حدث؟ ولماذا لم تبلغني؟ ليس مرد تساؤلي إلى أنني أصدق صحة هذا».

بكثير من الأسى وصفت لها كوشوشو ما حدث على وجه الدقة، بما في ذلك الرسالة التي وصلت هذا الصباح والعبارات المحتجبة التي قالتها سمو الأميرة. وقالت: «أحسب أن كل ما قصد القيام به هو أن يجعلها تعرف ما أبقاه مكنوناً في فؤاده على امتداد السنين. ومن حسن الطالع أنه كان على استعداد لكبح جماح نفسه، وقد غادر قبل أن ينبلج النهار. من الذي كان يمكن أن يبلغك بالأمر يا سيدتي؟! لم يكن معلم التهذيب قد خطر لها قط على بال، وقد افترضت أن إحدى النسوة هي التي أبلغتها بالأمر.

لم تحر الملاذ رداً، لكنها صدمت، وبدأت الدموع تنهمر على خديها. وأحست كوشوشو بالأسف العميق لرؤية هذه الدموع، ومضت تتساءل لماذا أبلغتها بالحقيقة الصريحة، وخشيت من أن صحة سيدتها ستزداد تأثراً بما وقع. فأكدت على نحو يحمل العزاء: «على الرغم من ذلك فقد كان الحاجز موصداً».

«سواء أكان موصداً أم لم يكن، فإنها كارثة أن تدعه على نحو يخلو من الحكمة أن يراها. دعي جانباً مدى النقاء الذي تعرفه عن نفسها، هل تظنين أنه بعد الحديث بهذا القدر

فعلاً أن الرهبان والأوغاد الذين يخدمونهم لن يتقولوا حول هذا الأمر؟ ما الذي ستجعل النميمة منه؟ أي أكاذيب سيخترعها الناس؟ إنكن جميعكن ساذجات للغاية!». لم تستطع مواصلة الحديث، لأن هذه الأزمة الجديدة فاقمت حالتها المؤلمة بالفعل، ووضعتها في حالة تدعو للشفقة تماماً. وعانت، هي التي تطلعت دوماً إلى الإعلاء من شأن كبرياء ابنتها، بعمق من التفكير في أن ابنتها ستُعرف الآن بأساليبها التي تعكس الخفة والاندفاع. «اطلبي منها، لطفاً، الحضور إليَّ بينما لا يزال ذهني صافياً بشكل أو بآخر. إنني أعرف أنه ينبغي لي الذهاب إليها، لكنني أخشى من أنني لا أستطيع التحرك. وأحس بأنه انقضى وقت طويل للغاية منذ رأيتها لآخر مرة!». امتلأت عيناها بالدموع.

فعلت كوشوشو ما أُمرت به. ورتبت سمو الأميرة شعرها المبتل والمتشابك عند جبينها، وغيَّرت رداءها الذي تمزق استعداداً للذهاب، ولكنها لم تستطع في التو استجماع القوة للقيام بذلك. ما الذي تظنه النسوة بها؟ كم ستحسبني أمي قاسية إذا لم تعرف بعد وسمعت بجانب من القصة لاحقاً! ملأتها هذه الخاطرة بالشعور بالخجل، ورقدت من جديد. وقالت: «إنني أحس بالمرض الشديد، وقد يكون أفضل إذا تبين أنني لا أتحسن. ويبدو أن الأبخرة قد تصاعدت من قدميَّ[1]، وأمرت بتدليكهما مجدداً، وكانت الأبخرة قد ارتفعت بسبب حزنها العميق.

أوضحت كوشوشو الأمر قائلة: «لقد تحدَّث أحدهم بالفعل مع مولاتي، وعندما سألتني عن جلية الأمر أبلغتها بما وقع على وجه الدقة، عدا أنني أضفت القليل عن أن الحاجز المنزلق كان موصداً. أرجو أن تبلغيها بالشيء نفسه، يا سيدتي، إذا حدثتيها بالأمر بنفسك». ولم تقل شيئاً حول مدى صعوبة تقبل الملاذ للخبر.

هكذا إذاً مضى الأمر! أحست سمو الأميرة بالبؤس، وانزلقت قطرات الدمع عن الوسادة، حيث رقدت في صمت. وهذا ليس كل شيء، حيث أنني لم أفعل شيئاً إلا جلب الحزن إليها منذ ذلك التغيير الأول الذي لم يتنبأ به أحد في طالعي[2]. وليس بمقدوري

(1) هذه «الأبخرة» (كي) هي تأثيرات مهلكة قد تتصاعد بسبب البرد، أو الحر، أو الرطوبة وما إلى ذلك من الأرض إلى القدمين ومن ثم في الحالات الخطيرة إلى الجزء العلوي من الجسم.

(2) زواجها من كاشيواجي.

الآن أن أحس بأن حياتي جديرة بأن أعيشها، ولسوف تنتهي بصورة مؤلمة وسيئة إذا رفض هـذا السـيد التخلي عني وواصل الإصرار على متابعتي. ومـا عليك إلا تصور مدى الضرر الذي كان سـيلحق بسـمعتي لو أنني منحته ضعف ما يرغب فيه! تلك الخاطرة على الأقل كانـت مصدر ارتيـاح، ولكنها أحسـت باليأس من القـدر المقيت، الذي قاد سـيدة عظيمة للغاية مثلها إلى أن تعرِّض نفسها لنظرة محدقة من رجل.

قرابة المسـاء، تلقت سـمو الأميرة رجاء آخر من أمها بالمجيء إليها ومقابلتها، وهكذا فقد أمرت بفتح الملتجأ بينهما ومرت عبره[1]. وحيتها الملاذ على الرغم من معاناتها بمحبة واحترام بالغين، حيث جلسـت مسـتقيمة الظهر، وراعت كل مؤشـرات التهذيب المعتادة. وقالـت: «إنني آسـفة للغاية لأن صحتي الضعيفة ألزمتك بالمجـيء إليَّ. وأحس كما لو أن دهـوراً قد انقضت منذ التقينا آخر مرة، ولكـن كما تعلمين فإن هذه قد تكون المرة الأخيرة التي نكون فيها معاً. وأي جدوى لنا أن نلتقي في حياة مقبلة فحسـب؟[2] لشـد ما أرغب في أنني لم أسمح للعاطفة قط بأن تقيدني بهذه الحياة فيما لابد لي من مغادرتها عما قريب!». كانت قد انخرطت في البكاء.

كانـت سـمو الأميـرة مثقلة للغايـة بأحزانها إلى درجة أنهـا لم تفعل شـيئاً إلا أن مضت ترقبهـا فـي صمـت. وكانت أكثـر تحفظـاً بطبيعتها من أن تتحـدث في معـرض الدفاع عن نفسـها، فجلسـت هنالك فحسـب وقد غمرها الخجل، وأحجمت أمها بدافع الشـفقة عن سؤالها. وأمرت على وجه السرعة بإشعال مصباح وإحضار صوان عليها وجبة طعام. ولما كانت قد سـمعت بأن ابنتها لا تأكل شـيئاً، فقد بذلت ما في وسـعها لتشجيعها على تناوله، ولكن سـمو الأميرة لم تمس أي شـيء. وكان شعاع العزاء الوحيد بالنسبة لها أن أمها بدت أفضل حالاً بقليل.

وصلت رسـالة أخرى، وتلقاها شـخص غير ملم بالظروف، وأعلن عن وصول رسـالة مـن القائـد إلى كوشوشـو، ففاض فـؤاد سـمو الأميرة في صدرها، وتسـلمتها كوشوشـو.

(1) ربما لأنها ترغب في تجنب أن تقع عليها الأنظار. وقد وضع فاصل بين الرواقين الشمالي والغربي، وهي لا يمكنها الالتفاف على الشرفة.

(2) الناس الذين تجمعهم الكارما مجدداً في حياة أخرى لا يتعرف أحدهم الآخر.

وسمحت الملاذ لنفسها بالسؤال: «ماذا ورد فيها؟». وكانت في دخيلة نفسها قد بدأت في تقبل الفكرة، في نهاية المطاف، وكانت تتوقع زيارة القائد، وأزعجها عدم حضوره، فقالت: «لابد لك من الرد عليها، كما تعلمين، فليس أمامك خيار. وما من أحد يرفع صوته لإنصاف سمعة غيره. وأنت نفسك قد تعلمين أنك طاهرة، نقية، ولكن ما من أحد سيصدق ذلك. وأفضل شيء يمكن القيام به هو مراسلته بصورة لطيفة والاستمرار معه كذي قبل. وعدم الرد لن يبدو إلا استفزازاً من جانبك».

وطلبت الرسالة، فأعطتها لها كوشوشو بلا حماس.

«أكَّد لي التعرض للنطاق الكامل لقسوتك الاقتناع بأنني لن أكون في القريب في حالة تسمح لي باحتمال المزيد من التأجيل.

لم يفصح اعتراضك الغدير إلا عن مسطحاتك الضحلة، فالجدول الجبلي

يواصل قرقرته الآن، إلى أن يعجز أي شيء عن حجب اسمك»[1]

كانت رسالة مطولة، ولكنها لم تقرأها كلها. لكنها أخفقت بدورها[2] في جعل نواياه واضحة. وبدا لها رضاه عن نفسه الذي لا يُحتمل جنباً إلى جنب مع لا مبالاته هذا المساء[3] مسيئاً للغاية. وحدَّثت نفسها قائلة: «كان مخيباً للآمال تماماً عندما كان إخلاص المراقب الراحل أقل مما علق المرء الآمال عليه، وعلى الرغم من الاطمئنان النابع من معرفة أنها ليست لها بالفعل أي منافسة، فإن وضعها لم يكن بالوضع السار قط. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا فظيع. ترى ما الذي يمكن أن يقولوه في دار معالي المستشار المتقاعد.

خلصت إلى أن عليها أن تضغط على القائد أكثر من هذا، فجففت عينين أضناهما المرض، وكتبت كأنما عبر آثار خلفها طائر وراءه تقول: «سمو الأميرة معي الآن، حيث إن حالتها الصحية تدعوني للقلق، وقد ألحمت عليها أن تبعث لك رداً، ولكنها مكتئبة للغاية إلى درجة أن المشهد يفوق احتمالي.

ما الذي يعنيه لك هذا المرج حيث تبكي زهرة بتول وحيدة

---

(1) «لا جدوى من تثبيطي، كما ينبغي أن تعلمي، لأن الجميع يعلم بالفعل ما حدث».

(2) شأن معاملته للأميرة في المساء السابق.

(3) عدم حضوره بنفسه. إذا كان يعتزم الزواج منها حقاً، فإنه كان يتعين عليه الحضور ثلاث ليال على التوالي.

حتى لا ترغب إلا في قضاء ليلة واحدة فحسب؟»[1].

كان هـذا هـو كل ما تمكنت من تدبر أمره، ولوت الطرفين[2] وبعثت بالرسـالة. وعندئذ بالتحديد، وفيما هي راقدة هناك، تعرضت لهجمة قاسية للغاية. وصرخت نساؤها قائلات إن الروح لابد قد تعمدت أن تأخذهن على غرة. ومن جديد بذل كل المعالجين المجربين كل جهدهم. وأهابت النسـوة بسـمو الأميـرة أن تغادر المكان، ولكنها لـم تكن لديها رغبة في البقاء على قيد الحياة بعد أمها، فرفضت ذلك.



كومو ي نو كاري تختلس رسالة

كان القائـد، الـذي عـاد إلـى سـانجو[3] فـي حوالـي الظهيرة، قـد أحجم عـن العـودة في ذلك المسـاء نفسـه، لأنهـا سـتطلق نميمـة سـابقة لأوانهـا تتـرك الانطباع بأن شيئاً قد حدث حقاً. وكان حزنه هائلاً بما يكفي أسوأ بألف مرة من أي شيء تعرض له فـي السـنوات القليلـة الماضية. وكانـت زوجتـه قـد سـمعت بالقليل عن مغامرته المختلسـة، ولـم تحب هذه الأخبـار على الإطلاق، ولكنهـا ادعت الجهل بالأمر، وجلسـت في غرفة جلوسها، حيث شغلت نفسها باللهو مع أطفالها.

أقبـل رد المـلاذ فـي المسـاء. وكان الخط غير مألوف للغاية، فلم يسـتطع فـي التو فهم

(1) «المرج» (نوبي) هو دارتها و«الزهرة البتول» (أومينيشي) ابنتها. تتضمن أومينيشي الكلمة أومينا (الأكثر شيوعاً أومنا) أي «امرأة» وشيرورو («ييكي») تعني أيضاً «يذوي». والقصيدة مبنية على أساس كوكين روكوجو 1201، من نظم تسورايوكي: «يا زهرة البتول التي أجدها بعد يوم من الصيد في السبخات الخريفية، هل تستبقيني الليلة فحسب؟».

(2) الرسالة ملفوفة، ومن ثم فإن الأطراف تثنى للقيام بختمها.

(3) داره.

فحواه، فقرَّب مصباحاً ليلقي نظرة أفضل. وكانت زوجته قد بدت بعيدة وراء الستارة على نحو آمن، ولكنها الآن تسللت وأمسكت بها من ورائه.

«آه، لا! ما الذي تفعلينه؟ ينبغي أن تخجلي من نفسك! إنها من السيدة المقيمة في الشمال الشرقي في روكوجو. فقد كانت تعاني من نوبة برد هذا الصباح. وكنت أشعر بالقلق عليها لأنني جئت إلى الدار مباشرة من مقابلة سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، ولذا فقد أرسلت أسأل عنها. اقرأيها إذا أحببت! هل تبدو رسالة حب؟ يا لها من طريقة في التصرف! إنها تدعو للغيظ الشديد تلك الطريقة التي تعاملينني بها كمعتوه مع كل عام يمر! ومشاعري لا تعني شيئاً لك!».

لم يظهر انزعاجاً، ولم يحاول انتزاع الرسالة منها، فعلى الرغم من أنها احتفظت بها، فإنها لم تقرأها تواً في نهاية المطاف. دمدمت قائلة، وقد خففت رباطة جأشه من حدتها، وبطريقة بهيجة مفعمة بالشباب إلى حد أنه ضحك: «إذا كان هناك أحد يعامل أي أحد على أنه معتوه فهو أنت!».

«الأمر سيان، إذاً! المشاجرات من هذا النوع تحدث طوال الوقت على أي حال. وما لابد أنه فريد من نوعه هو زوج لا يسعى إلى الترفيه في مكان آخر، حتى بعد أن يصل إلى مستوى معين من التميز، ولكنه يظل مخلصاً لزوجته الوحيدة إخلاص صقر لأنثاه[1]، ولابد أن الناس يسخرون مني كثيراً. وليس بالرصيد الذي يحسب لك أنك تنالين مثل هذا القدر من الوفاء من شخص بالغ الكآبة. وما يثير اعتزاز المرأة حقاً هو أن تقف وسط نطاق من الأخريات ويتم تكريمها على نحو يفوقهن جميعاً. وهذا يبقيها شابة الفؤاد أيضاً ويطيل مباهجها وكل لحظات حياتها الرقيقة. ويؤسفني كثيراً أن لديك أحمق عجوزاً مثلي يتشبث بك، على نحو ما يجد المرء في القصة! أي سرور في ذلك؟»[2]. كان الهدف الوحيد من هذا الحديث هو أن يحصل على الرسالة منها في نهاية المطاف، من دون أن يبدو أنه يكترث بما إذا كان سيحصل عليها من عدمه.

قالت بابتسامة متألقة: «الأمر يغدو صعباً بعض الشيء على امرأتك العجوز إذا كنت

(1) أنثى الصقر أكبر حجماً وأكثر عدوانية من ذكرها.

(2) لم يتم تحديد الإيماءة المتضمنة هنا.

تخـرج قاصـداً الترفيه، فمرحك الجديد هذا غريب عليّ، وأنا لسـت معتادة عليه، وهو يثير ضيقي. وكان ينبغي أن تعودني عليه قبلاً». كانت شكوى بالغة الغرابة:

«من أين بحق السـماء جئت بفكرة أنني تغيرت فجأة؟ إنك سـريعة للغاية في استشـعار الضيـق! لابـد أن هناك من كانت تبلغك بشـائعات مقيتة، ولاشـك في أنها لم تكن لسـبب مـا توافق عليّ في المقـام الأول. وأتوقع أنها تثير موضوع أكمامي الزرقاء الفاتحة البائسـة تلـك[1] حتى الآن لإقناعك ولابد أنها تهمس بكل أنـواع الأمور الفظيعة. وعلى الرغم من ذلك فهناك أخرى لا صلة لها بأي من هذا، وأنا أحس بالأسف من أجلها أيضاً»[2]. ومضى يتحدث بهذه الطريقة. ولكنه كان شديد اليقين من النجاح الفعلي حقاً بحيث لم يجادل في الأمر طويلاً. وأصغت مربيتها تايفو إلى ما يُقال في صمت مفعم بالألم[3].

لـم يبـذل القائد جهداً في البحث عن الرسـالة، ذلك أن زوجته أخفتها بعد مشـاحنتهما الصغيرة، ومضى إلى الفراش كأنما الأمر لا يعنيه.

لكن فؤاده تسـارعت دقاته. كانت قد بدت رسـالة بعثت بها الملاذ، وعليه أن يستردها. ماذا عساه يكون الأمر؟ رقد هنالك مفتوح العينين. وما إن أغفت زوجته، حتى مضى يتلمس عشوائياً الموضع الذي كانت تجلس فيه في المساء، ولكنه لم يجد الرسالة هناك. وكان هذا أمراً باعثاً على الضيق الشديد،لأنها ما كان يمكن أن تخفيها في أي مكان آخر. ولـم يستقيظ فـي التو عندما أطل النهار، وبدأ في البحث في كل مكان فحسـب كأنما اسـتيقظ لتوه، بعد أن أيقظها الصغار، فانسـلت خارجة[4]. ولم يسـتطع العثور عليها. وكانت قد خلصت إلى أنها ليست رسالة حب، وبالتالي نحّتها جانباً، إذ إنه لم يبد مهتماً كثيراً بالبحث عنها بنفسه، فضـلاً عن الضجـة التي يثيرها الصغار، وألعابهم التي ينشـغلون بها، بما فيها إلباس دماهم ملابسـها واللهو بها، وتدريبهم على القراءة والكتابة وما إلى ذلك، وكذلك زحف الصغير حولهـا وجذبه أطراف أثوابها- هكذا نسـيت أمر الرسـالة التي أخذتهـا تماماً. وفي غضون ذلك لم يكن بمقدور زوجها التفكير في شـيء آخر. وقد فكَّر في الرد عليها في التو، ولكنه

---

(1) اللون الأزرق الفاتح للمرتبة السادسة الذي كان يوجيري يشعر بالخجل منه في فصل «الصبايا العذارى».

(2) أوتشيبا نو ميا.

(3) من المفترض أن تيافو هي الجانية. ولا يرد ذكر لاسمها في فصل «الصبايا العذارى».

(4) من سريرهما المحاط بالستائر.

تـردد بعد ذلك، لأن رده ربما سيظهر أنه لم يقرأ رسـالة الأمس علـى النحو الصحيح، وقد تفترض أنه أضاعها.

قـرب الظهيرة، وبعد تناول وجبتهما، تغلّـب عليه قلقه، فقال لها: «ما الذي فعلتيه بتلك الرسـالة مساء أمس؟ فأنت لم تسمحي لي بقراءتها على الإطلاق، كما تعلمين. وينبغي لي الاتصال بها اليوم أيضاً. وعلى الرغم من ذلك لا أشعر بأنني على استعداد لزيارة روكوجو. حسناً، لسوف أبعث برسالة قصيرة. ترى ما الذي كانت تدور حوله؟».

تحـدَّث بافتقـار جلي للاهتمـام إلى حد أنها لـم تحر رداً، حيث إنهـا الآن غدت تحس بالحماقـة لأخذهـا على الإطلاق، فاقترحت عليه: «لماذا لا تسـتميحها عـذراً طريفاً يدور حـول أنك لا تشـعر بأنـك على ما يـرام تماماً لأنك تركـت ريح الجبل تؤثـر فيك في تلك الليلة؟».

«لاتتحدثـي بمثـل هذا الهراء، لطفاً! ما هو الطريف في ذلك؟ إنه أمر محرج ذلك النحو الـذي تجعلينني به أبدو كأي شـخص آخر. وبقدر ما أعلم، فإن أولئك النسـوة لا يمكنهن سـماعك من دون أن يبتسـمن ابتسـامة تحمل معنى الرثاء، فيما أنت تتحدثين عن شخص كئيب على نحو لا أمل فيه».

بعـد هذه الثرثرة، عـاد إلى الموضوع الذي يعنيه: «تلك الرسـالة أين هـي؟». عندما لم تتحرك لتقديمها، واصل ثرثرته، ثم رقد قليلاً[1] حتى المغيب.

اسـتيقظ على شدو الزيزان، وحدَّث نفسه:كم أن الغمامة لابد أن تكون كثيفة عند سفح التلال. يا له من أمر بائس! وفي غمار صبره النافد للرد على الرسـالة اليوم على الأقل، فقد سـحق بعض الحبر، وجلس متسـائلاً في شـرود كيف يمكنه تفسـير ما حدث للرسـالة، ثم لاحظ انتفاخاً بسيطاً قرب مؤخرة وسادته، وقرَّر أن يلقي نظرة، وعندما قلب الوسادة، ألفى الرسـالة أمامه، ولابد أنها دسـتها هناك! أحس بالسرور والسخف في آن، وقرأها باسماً، لا لشـيء إلا ليكتشـف كم هي مثيرة للقلق، فغـاص فؤاده في صدره. كان مؤلمـاً حقاً أنها قد طرحت عامدة موضوع تلك الليلة الواحدة.

(1) ربما رقدا معاً.

لابـد أنها مضت ترقـب وتنتظر قدومي مسـاء الأمس! واليوم مجدداً لـم أفلح حتى في أن أبعث إليها برسـالة! كان اسـتياؤه يفوق الوصـف. وكانت الرسـالة، التي استعصت على التفسـير على نحو يثير الشفقة، قد كبدَّتها بجلاء جهداً كبيراً. ولابد أنها كتبت هذا وهي في عـذاب كبيـر، والآن ها قـد خذلتها في الحضور ليلـة ثانية. ضاعت منـه الكلمات، وأحس بالحنق الشـديد على زوجته. يا لهرائها هذا الذي حجب الرسـالة بتلك الطريقة! لابد أنني لم أدر بها على النحو الصحيح! مضى يلوم نفسه في مرارة على العديد من الأمور، وأحس إجمالاً بأنه يوشك على البكاء.

تأهب للانطلاق مباشرة، ولكنه كان يعرف أنها لن تستقبله عن طواعية، على الرغم مما كتبته أمها. ما الذي يتعين القيام به؟ فضلاً عن ذلك، حسـبما راح يذكِّر نفسـه، فإن اليوم هو يـوم مخاطـرة[1]، وربما لن تكون تلك فكرة جيدة حتى لـو أذعنت. لابد لي من التفكير في شيء أفضل. كانت دقته تفرض نفسها بجلاء.

سارع إلى صياغة رده: «أسعدتني رسالتك النادرة كثيراً لأسباب عديدة، ولكني لا أتفهم عتابك، وأتساءل عما عساه يكون قد بلغ مسامعك.

نعم، مضيت إليها عبر تشابك مروج الخريف وتداخلها،

لكنني لم أتخذ وسادة أستريح عليها في رقاد عابر[2].

قـد لا يعني لي الكثير السـعي لالتماس العذر، ولكننـي آمل أن أبرر تقصيري بالأمس». وبعد الكتابة مطولاً إلى سمو الأميرة، أمر بإعداد جواد سريع من إصطبلاته وبعث بالمفوض الـذي كان معـه تلك الليلة، وهمـس قائلاً له: «أبلغهـن بأنني كنت في روكوجو منذ مسـاء الأمس، ولم أعد إلى الدار إلا قبل قليل».

عندمـا انتهـى ذلك اليوم أيضـاً في التلال من دون رد على الرسـالة التـي كانت الملاذ، متجاهلة الشـائعة في غضب، قد أحسـت بأنها مرغمة على كتابتها، إزاء عدم حضور القائد في المسـاء السابق، أحسـت باليأس منه. ومع تحطم كل أمل، انهارت متداعية من تحصنها

(1) كانيتشي، يوم يحدده تقويم الين - يانج (أونميودو) باعتباره يوماً يقدَّر فيه لكل المشروعات أن تمنى بالفشل. وقد كان هناك يوم كهذا في كل شهر.

(2) «زرت ابنتك، لكنني لم أضاجعها».

الذي طرأ أخيراً إلى معاناة حادة. وكانت سمو الأميرة في قرارة نفسها بعيدة عن الدهشة أو الضيق، وعلى الرغم من أنها ندمت على تعريض نفسها على هذا النحو غير المتوقع بالمرة في ظل ظروف حميمية، فإنها لم تتلق النتيجة باستياء بالغ، وبدلاً من ذلك فإن المعاناة التي سببتها لأمها ملأتها بشعور شديد بالخجل إلى حد أنها لم تستطع التلفظ بكلمة واحدة دفاعاً عن نفسها. ووجدت أمها طريقتها المفعمة بالخجل والمثقلة بالذنب على نحو غير مألوف مؤلمة للغاية، وحزنت من كل قلبها لرؤية الهموم تتوالى عليها واحداً إثر الآخر على هذا النحو.

قالت: «ليست لديَّ رغبة في تناول أي موضوع محزن، ولكن لابد لي من القول إنه على الرغم من أن قدرك قد لعب بلا شك دوره في هذا كله، فإن سذاجتك المدهشة يحتمل أن تكسبك قدراً كبيراً من عدم الرضا عنك. وليس هناك ما يحول دون ذلك الآن، ولكن أرجو أن تكوني أكثر حرصاً في المستقبل. وأنا بالطبع، لا أهمية لي، ولكنني بعد أن قمت لك بما أستطيع، فإنني على يقين من أنك لابد أنك تعرفين الآن ما تحتاجين إلى معرفته، ولابد أنك استخلصت المعنى الخاص بك من المفارقات التي تخضعنا لها الحياة، بينما أجدك مستاءة أنك لا تزالين طفلة وتفتقرين إلى الكثير من الحزم المطلوب منك، إلى درجة أنني أتمنى لو كان لديَّ عمر أطول قليلاً لأحياه. ومن الصحيح لسوء الطالع أنه ما من امرأة ذات مكانة جديرة بالاحترام يمكنها على نحو لائق أن تمنح نفسها لرجلين، حتى وإن كانت من العامة، وأنت تظلين أقل قدرة على أن تسمحي لرجل بالتودد لك بهذه الطريقة. وأحسب أن ذلك كان قدرك، ولكنه أحزنني أن أدرك ما كانت تلك السنوات عليه بالنسبة لك. وقد وافق نيافته بنفسه، وكان والد السيد النبيل نفسه مستعداً للموافقة بجلاء، وقد أذعنت لأنني لم أر كيف يمكنني الاعتراض وحدي. وكل ما باستطاعتي هو الشكوى أمام السماء عندما أراك واقعة بعد ذلك، من دون ذنب جنته يداك، في مثل هذا الموقف. وأنا أخشى الآن أنه ستكون هناك شائعات جديدة تلحق الضرر بالجانبين. حسناً، طالما أنك تتجاهلين النميمة، وتحتفظين تماماً بالمظاهر العادية، فإنني أتوقع أن الزمن سيتكفل بالباقي، وذلك على الرغم من أنني ينبغي أن أقول إنه يبدو قاسياً على نحو غير مألوف». انسابت دموعها مدراراً.

لم تكن قد سمحت لسمو الأميرة بالتفوه بكلمة واحدة، كما لم تكن لدى سموها أي كلمة تدافع بها عن نفسها، وإنما مضت تبكي فحسب، وقد بدت فيما هي تفعل ذلك صورة للبراءة والعذوبة. حدَّقت أمها فيها، وقالت: «يا للحسرة، ما الذي يجعلك أقل جدارة من سواك؟ أي قدر يتطلب منك المعاناة هكذا؟».

واصلت الحديث على هذا النحو إلى أن اشتد عليها المرض، كانت الروح قد انتهزت فرصة ضعفها، وفجأة سقطت مغشياً عليها، وبدأت البرودة تغشاها. استيقظ معلم التهذيب منزعجاً، ومضى يصلي بصوت عال، وقام بذلك بملء قلبه، لأنه بعد أن أقسم على أن يقضي في الجبل بقية حياته، كان بالتأكيد يخشى عار تحطيم مذبحه[1] والعودة إلى هناك، الآن بعد أن كان قد غادره في جسارة، ولابد أنه كان غاضباً من بوذا أيضاً. وبكت سمو الأميرة في بؤس شديد.

وصلت رسالة القائد وسط هذه الفوضى، وعرفت الملاذ عندما سمعت بها أنها ليس بمقدورها أن تتوقع وصوله في هذا المساء أيضاً. ما أشد القسوة التي سيتحدث بها الناس عنها! لماذا كتبت على نحو ما فعلت؟[2] وسط خواطر كهذه لفظت نفسها الأخير في تلك اللحظة عينها. «غير مستحق» و«قاس» هي كلمات شاحبة يوصف بها هذ الرحيل. وكانت قد عانت من هذه الروح بين الحين والآخر في الماضي، ولما كانت هذه ليست المرة الأولى التي بدت فيها مفقودة، فقد ضاعف الرهبان صلواتهم، مفترضين أن الروح سيطرت عليها، كما حدث من قبل. غير أنه لم يكن هناك شك في أنها قد مضت الآن حقاً.

كانت الخاطرة الوحيدة التي سيطرت على سمو الأميرة هي أن ترحل بدورها، ورقدت بقربها، وأقبلت وصيفاتها، وأبدين احتجاجهن في ضيق قائلات: «فات الأوان، يا سيدتي، هذه هي رحلتها الأخيرة، ولا يمكنها أن تعود منها. كيف يمكن أن تمضي في إثرها على نحو ما تريدين؟».

«لا، ياسيدتي، لاينبغي أن تفعلي ذلك[3]، فهي إساءة بالغة بالنسبة لكليكما! آه، اتركيها

---

(1) على نحو ما يفعل الراهب عندما تمنى طقوس الشفاء بالفشل. ويُبنى المذبح، أو الموقد، من التراب.

(2) تركت قصيدتها، يوجيري يعرف أنها لن تعارض زواجه من ابنتها.

(3) تتشبث بالجثمان.

لطفاً!». حاولن جرها بعيداً، ولكنها كانت كمن تصلبت وفقدت الوعي. حطم الرهبان مذبحهم، وانطلقوا بعيداً، تاركين وراءهم القلة التي لا تزال الحاجة ماسة إليها[1]. انتهى كل شيء، ولم يبق إلا الحزن والوحشة.

سرعان ما بدأت ترد رسائل العزاء. وقد أدهش النبأ القائد، وبادر إلى الكتابة في التو، وجاءت من روكوجو تعبيرات أخرى كثيرة عن الأسف، وكذلك من معالي المستشار المتقاعد، ومن غيره. وعلم نيافته على جبله بالواقعة كذلك، فكتب لابنته رسالة مؤثرة للغاية. ولم ترفع رأسها أخيراً إلا بعد وصول هذه الرسالة.

وكان قد كتب يقول: «تم إبلاغي غالباً خلال الأيام الماضية بأن أمك مريضة للغاية، ولكنني يؤسفني القول إنني قد افترضت أن تلك هي شكواها المعتادة، ولم أفكر في الأمر كثيراً. وبغض النظر عن خسارتنا المشتركة، فإنني يؤلمني بعمق أن أتصور كيف أنك لابد يهيمن عليك الحزن. أرجو أن يكون مصدر عزاء لك أن تفكري في أن الكثير من المحن تحل بساحتنا جميعاً». وكتبت له رداً من خلال الدموع التي حجبت ناظريها.

كانت الملاذ قد تحدثت غالباً عما تريد إنجازه، والآن وصل ابن اخيها، حاكم ياماتو[2] للإشراف على كل الترتيبات المتعلقة بالجنازة، التي كان ينبغي أن تُشيَّع بلا إمهال، في ذلك اليوم نفسه. تمنت سمو الأميرة أن تتأمل الجثمان وقتاً أطول قليلاً، ولكن ذلك لن يكون مصدر عزاء، ومن هنا فقد مضت الترتيبات قدماً على عجل. وفي اللحظة الأكثر إثارة للضيق والحزن[3] وصل القائد.

أدرك بجلاء مدى عمق الحزن، الذي لابد أن سمو الأميرة تستشعره. وأعلن بوضوح ليتسنى للجميع سماعه: «الأيام العديدة المقبلة تندرج جميعها في الأيام الخطأ[4]، كما تدركون».

---

(1) للقيام بطقوس الجنازة وترتيل اسم أميدا.

(2) اقتضى منصب حاكم ياماتو المرتبة الخامس فحسب، وهي درجة متواضعة. وقد كانت أصول الملاذ متواضعة تماماً.

(3) يفترض أنها لحظة وضع الجثمان في التابوت.

(4) بحسب التقويم.

كانت نساؤه قد بادرن إلى الاحتجاج: «ولكن، يا مولاي، ما من حاجة تدعوك إلى المضي إلى هناك بمثل هذه السرعة!».

وعلى الرغم من ذلك فقد مضى. كان الطريق طويلاً، ولدى ولوجه الدار غمره الإحساس بوقع المأساة. كان الطقس نفسه قد حُجب في حرص وراء ستائر. ومضوا به إلى الجانب الغربي من الدار، ونهض حاكم ياماتو وقد غمرته الدموع ليشكره على قدومه. جلس في الشرفة إلى جوار الباب المزدوج، واستند إلى الحاجز، واستدعى وصيفة، ولكن الوصيفات كن أكثر انزعاجاً في هذا الوقت عينه من أن يعرفن ما يجري. أقبلت كوشوشو أخيراً، وقد أدخل وصوله العزاء عليها. لم يستطع الحديث، ولم يكن بالذي يميل إلى سفح الدموع عادة، ولكن طابع المشهد ومناخ الحداد اللذين نقلهما إليه من يحيطون به ذكَّره على نحو محزن بأن انقضاء كل الأشياء يمسه بدوره.

قال بعد استعادة شيء من رباطة جأشه: «كان لديَّ الانطباع بأنها في حال أفضل، وجعلتني هذه الفكرة أميل إلى السكون. الحلم ينقضي سريعاً، لكن هذا شيء فظيع!».

قالت سمو الأميرة لنفسها: هذا هو الرجل الذي قضى على سلام أمي الذهني. ربما كان أوانها قد آن، ولكن هذه الرابطة به كانت مريرة للغاية إلى حد أنها لم تحر رداً.

احتجت وصيفاتها قائلات: «ولكننا ينبغي أن نبلغه بردك، يا سيدتي!».

«إنه نبيل عظيم، وسيكون من قبيل التجاوز البالغ ألا تقري باللطف الذي دعاه إلى القدوم إلى هنا على جناح السرعة».

«عليكن، إذاً، تدبر الأمر، فليس يمكنني التفكير في شيء أقوله!». رقدت سمو الأميرة من دون مزيد من الاكتراث.

أبلغته كوشوشو بقولها: «مولاي، إن سيدتي تعد الآن بين الأحياء بالكاد، ولكنني أبلغتها بأنك ها هنا».

«ليس لديَّ عون أقدمه. ولسوف أعود عندما أكون أنا نفسي أقل عذاباً بعض الشيء، وعندما تحس بالمزيد من التماسك. غير أنني أود أن أعرف كيف حدث الرحيل على نحو مفاجئ للغاية هكذا».

أبلغته كوشوشو، شيئاً بعد آخر، ببعض ما جرى، وإن لم يكن به كله، وما أزعج سيدتها الراحلة. قالت معتذرة: «إنني أخشى أن أبدو كما لو كنت انتقدك، يا مولاي! واضطرابي يتزايد اليوم، وربما أسأت فهم بعض الأمور. وسيدتي لن تكون على الدوام في مثل هذه الحالة، وآمل أن تستفسر عنها مجدداً عندما تكون أكثر هدوءاً بقليل».

لم تبد هي نفسها حقاً، فامتنع القائد عن التلفظ بما كان على لسانه، وقال: «نعم، إنني بدوري أحس بأنني ضائع في الظلام. وآمل أن تتمكني مع ذلك من تعزيتها على نحو جيد بما فيه الكفاية لكي أحصل على رد رمزي منها». وبهذه الكلمات شرع في العودة، لأنه لا يليق به البقاء، وكان هناك الكثير من الناس في نهاية المطاف.

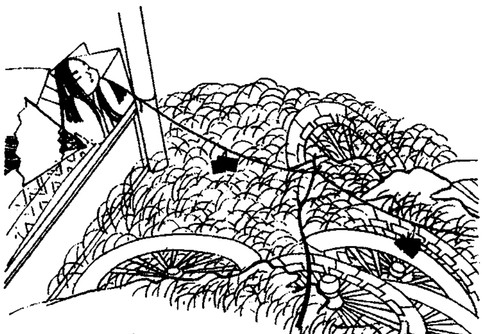
لم يكن قد تصور قط أن كل شيء سينتهي الليلة، ولم يوافق على الطابع العام للترتيبات، فاستدعى أناساً من ضياعه القريبة، وترك لهم أوامر بالخدمات التي يتعين عليهم القيام بها. وحرص على التأكد من أنه حيثما شجعت العجلة على البساطة الفائقة سيكون هناك جمع كافٍ للايحاء بالعظمة والفخامة والجلالة. وسُر حاكم ياماتو أشد السرور، وشكره أعظم الشكر. ورقدت سمو الأميرة ممددة وقد غمرها بؤس عارم على أنهِ لم يعد هناك شيء من رفات أمها.

ما من أحد ينبغي أن يكون على هذا القرب الشديد من أحد، حتى لو كانت أماً. أحزن هذا المشهد وصيفاتها، وأثار قلقهن.

قال الحاكم لدى قيامه بترتيب كل شيء: «لا يمكنك مواصلة البقاء على مثل هذا الحزن الشديد، وليس هنا شيء يخفف عنك». لكنها كانت تعتزم إنهاء أيامها في هذه القرية الجبلية، إذ إنها أحست هنا على الأقل بأنها قرب التل الذي تحولت أمها عليه إلى دخان.

كان الرهبان الذين أقبلوا من أجل عزلة الحداد قد أعدوا لأنفسهم غرفاً متواضعة على الجانب الشرقي من الدار، على طريق الجسر القريب، في قاعة الخدم، وما إلى ذلك، ولم يكن المرء يدري إلا بالكاد بوجودهم. في الممشى الغربي، المجرد الآن من كل زخرف، لم تكن سمو الأميرة تدرك مرور الليل أو النهار إلا بالكاد، لكن الشهور انقضت على الرغم من ذلك، وسرعان ما أقبل الشهر التاسع.

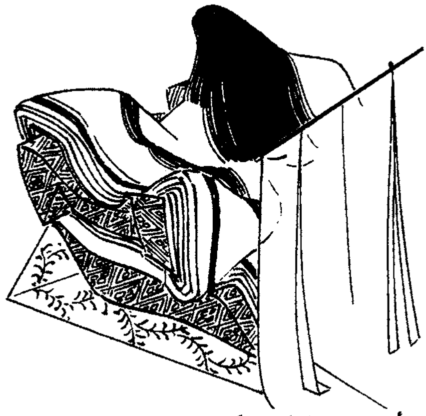
انداحت رياح قوية هابطة من الجبل، وكانت الأشجار عارية من الأوراق، وأثقلت كل الأشياء على قلبها، حتى إن السماء انتزعت منها تنهدات ودموعاً مدرارة. ضاقت بكون حياتها ليست ملك يمينها لتتصرف فيها. كانت النسوة اللواتي في خدمتها يستبد بهن الجزع والقنوط، وغالباً ما أقبل القائد للزيارة، وقدَّم كل ما قد يبهج الرهبان المنعزلين الذين يرتلون اسم بوذا، وفي غضون ذلك أمطر سمو الأميرة بتطمينات ومعاتبات لا حصر لها، صادرة من القلب وبرسائل لا تعرف الانتهاء. وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تلتقطها لتقرأها، لأنها تذكرت كيف أن أمها، التي كان الضعف قد نال منها بالفعل، ماتت مقتنعة بأن تلك اللحظة المنحوسة على نحو لا يوصف قد قضت على ابنتها، وكانت تعرف بيقين رهيب أن هذه الخاطرة ستضر أمها حتى في الحياة المقبلة. وكان مجرد ذكر القائد يجلب المزيد من الدموع المريرة، المفعمة بالعذاب. ولم تدر وصيفاتها ماذا عساهن يقلن.



مصفقات لطرد الطيور

عندما لم يحصل القائد على بيت واحد في معرض الرد، افترض في البداية أنها أشد ضيقاً من أن ترد فحسب، ولكن سرعان ما مضى وقت طويل للغاية لا يتلاءم مع هذا العذر. ومضى يحدِّث نفسه غاضباً: من المؤكد أن الحزن له نهاية. كيف يمكنها أن تخفق على هذا النحو الكامل في فهمي؟ إنها بعيدة عن النضج على نحو لا أمل فيه! كان كل شيء سيغدو على ما يرام لو أنني كنت أواليها بالحديث عن الزهور والفراشات، ولكن من يشارك المرء بالفعل مشاعره ويراعي أحزانه يستحق رداً دافئاً ومتعاطفاً. لقد أحسست بعمق بوفاة جدتي، ولكن معالي المستشار المتقاعد بدا أنه لم يتأثر إلا بالكاد، فبالنسبة له كان ذلك من طبائع الأمور، وآلمني وضايقني أنه لم يقدم لها من ضروب التكريم إلا ما تقتضيه اللياقة العامة. وقد كان سمو الامبراطور الفخري هو الذي أشرف على كل شيء، وقد أدخل ذلك السرور بصفة خاصة على نفسي، حتى على الرغم من أن من قام به هو أبي. وكان ذلك عندما أصبحت مولعاً بصفة خاصة بالمراقب.

وكان هادئاً وحكيماً للغاية، وبدا لي أنه يحس بالأمور بعمق ودفء يفوقان الآخرين. ملأت تأملات كهذه وقت فراغ القائد ليلاً ونهاراً.


امرأة ترتدي رداء كوتشيكي

واصلت زوجته، في غضون ذلك، التساؤل عما يجري بينه وبين سمو الأميرة. ولم تكن قد استطاعت أن تفهم السر في أنه يراسل أم سمو الأميرة كثيراً، ومن ثم جعلت ابنهما الصغير يحمل رسالة إليه، حيث رقد محدِّقاً في السماء المتشحة بالغسق. وكانت قد كتبت على رقعة من الورق تقول:

«على أي وجه أحمل الحزن الذي أرى أنك تستشعره، لعلي أعزيك،

أهو من أجل الأحياء الذين تهواهم أم الموتى الذين تلزم الحداد عليهم؟».

ابتسم شجياً. كم هو ماكر هذا القول منها، بعد كل ما قالته وتصورته، وأن تتظاهر بأنها تعتقد أنني ألزم الحداد على تلك السيدة! كتب لها على نحو عفوي في معرض الرد يقول مباشرة:

«لم ينبغي أن يبعث أي منهما حزناً في نفسي، فيما الندى الهارب

ولى مسرعاً، متحدثاً عما يتجاوز حياة الوريقات الهشة؟

إن شجني يعم كل شيء».

نعم، كان لا يزال يحجب شيئاً ما عنها، عرفت ذلك، وبغض النظر عن الندى على الوريقة الهشة، كانت تشعر بالغضب والألم.

انطلق القائد في طريقه من جديد، حريصاً على معرفة حال سمو الأميرة. وغالباً ما حدَّث نفسه بأنه ينبغي أن يتحرك في لطف عندما تنقضي فترة العزلة والحداد تلك، ولكن تلك الدرجة من الإحجام كانت مما يستعصي على الفهم بالنسبة له. لماذا لا يزال مصراً على التمسك بالقضية الخاسرة المتعلقة بشرفها؟ ربما يتعين أن يفعل ما يفعله الآخرون

ويمضي قدماً معها أخيراً. وهو لن يجادل في هذا الأمر بعد الآن مع زوجته، ولسوف يستند إلى السلطة المستمدة من الرسالة المفعمة باللوم التي أكسبته تلك الليلة الوحيدة إياها، حتى ولو كرهته سمو الأميرة من أجل ذلك. لا، إنها لن تنجح في تقديم نفسها على أنها لم تشبها شائبة.

كان ذلك بُعيد اليوم العاشر من الشهر التاسع، وما من أحد مهما كان كئيباً أمكنه ألا يحركه مشهد السبخات والتلال. على جناحي ريح جبلية هابطة جردَّت الأشجار من أوراقها، واكتسحت عاصفة من الوريقات المندفعة من الكروم في الأعالي، أقبل ترتيل خافت للنصوص المقدسة ونداء ضارع باسم بوذا. وكان المكان بعيداً عن أن يكون مهجوراً تحت الرياح، فقد وقف أيل إلى جوار سور الحديقة، من دون أن تزعجه المصفقات في الحقول[1]، في حين مضت أصوات أخرى تتردد بوضوح وسط خضرة الأرز العميقة، وهدر الشلال[2] راعداً، كأنما ليوقظ من يعانون من أحزانهم. ومضت الزيزان تشدو وسط الأعشاب شاردة بأصوات آخذة في الخفوت، فيما انبعثت زهور جنطيانا طويلة، منداة، من أسفل الأعشاب الذاوية، كأنما كان الخريف ملكاً لها وحدها. ولم تكن هذه إلا مشاهد الموسم، ولكن ربما جعلها المكان واللحظة مفعمة بالشجن على نحو لا سبيل إلى احتماله.

مضى إلى الباب المزدوج كالمعتاد، ووقف متطلعاً حوله. تألق الرداء القرمزي القاتم الذي يرتديه تحت عباءته الرسمية، والذي كان منسوجاً على نحو بالغ الجمال، في سنا الشمس المتراجع الذي لفه في إهابه، وبإيماءة عفوية فاتنة رفع مروحته ليحجب محياه، وبدا للنسوة اللاتي رحن يرقبنه على النحو نفسه الذي ينبغي أن تبدو عليه امرأة تماماً، على الرغم من أنه ما من امرأة أفلحت في أن تبدو بهذا المظهر. ابتسم كأنما لينسيهن همومهن، واستدعى كوشوشو على وجه السرعة. كانت الشرفة ضيقة، ولكنه أحس بالقلق من أنه قد تكون هناك أخريات على مسافة أبعد في مؤخرة الغرفة، ولم يمض مباشرة إلى ما أراد الحديث عنه.

---

(1) مصفقات خشبية تُحرك بخيوط، تعلق عبر حقول الأرز لإفزاع الطيور والغزلان وما إلى ذلك.

(2) شلال أوتوا الذي غالباً ما يرد ذكره في الشعر.

قـال: «اقتربـي أكثر، ولاتخذلينـي الآن، فأنا لـم أجـئ على امتداد كل هذه المسـافة إلى هـذه التـلال لكي أحظى بتجاهلك. وبالإضافة إلى ذلك فهنـاك غمامة كثيفة. تجنَّب عامداً النظـر إلى الداخـل، وحدَّق بعيداً باتجاه الجبال. اقتربي أكثر، أكثر. قالها مسـتحثاً إياها إلى أن أخرجـت فـي نهاية المطـاف بصورة جزئية سـتارة قائمـة رمادية عبر السـتائر الحاجبة، وجلسـت وراءهـا، معيـدة ترتيب أطراف ثيابهـا. ولما كانت أخت الحاكـم، فقد كانت من القريبـات الأدنـى للملاذ الراحلـة[1]، التي كانت قد ربتهـا منذ طفولتهـا، وبالتالي فقد كان رداؤها قاتماً للغاية. وقد ارتدت مبذلتها فوق رداء رمادي قاتم مبطن.

«بغـض النظـر تماماً عـن احتمال الحزن على خسـارتنا، فـإن برود سـمو الأميرة الذي لايوصف قد أضاف الكثير للغاية إلى همومي إلى درجة أن فؤادي وروحي قد غادرا بدني، على نحو ما يشهد كل من يعرفونني، إلى أن لم يعد بإمكاني احتمال ذلك». ومضى يفصل القول بشأن شكواه، وبكى بحرقة عندما تحدَّث عن رسالة الملاذ الأخيرة.

بكت كوشوشـو أكثر منه، ومضت تتحدث متعثرة وسـط دموع وتنهدات كثيرة: «عندما لـم يصل منك رد في ذلك المسـاء، فـإن مولاتي التي لم تكن تدري أنهـا تحتضر، انهارت مباشـرة، وبعد حلول الليل راح ذهنها يضرب في الآفاق شـارداً، وبدا أن الروح قد انتهزت تلك اللحظة المفعمة بالضعف لانتزاعها. وقد فقدت الوعي تقريباً بتلك الطريقة مرات عدة عندما كان سـعادته[2] مريضاً للغاية، وقد كان إصرارها على إدخال العزاء على نفس سـمو الأميـرة، التـي كانت في حالة يـأس مماثلة، هو الذي أعادها إلى نفسـها في نهاية المطاف. وبعد هذه الخسارة الأخيرة، لم تبد سمو الأميرة على وعي بما يحيط بها. وكانت غافلة عن الدنيا معظم الوقت».

«تلـك هي حالتها. إنها شـاردة للغايـة ونائية. وإذا كان لي أن أقول ذلك، فلسـت أدري من غيري يمكنها أن تلجأ إليه الآن، فنيافته يقيم بعيداً في الجبل وسـط السـحب التي تبعده عن الدنيا، وهي لن تجد من السـهل أن تبقى على اتصال به. أرجو أن تبلغيها بالكيفية التي تتسم بها معاملتها لي بالتقصير، وكل الأمور تمضي كما ينبغي لها، وربما تكون قد سئمت

---

(1) إنها ابنة أخ الملاذ وابنة عم الأميرة.

(2) كاشيواجي.

الحيـاة، ولكـن الحياة لاتكتـرث لأمنياتنا. وفي نهايـة المطاف هل كانت سـتعاني من هذه الخسـارة لـو أن الحياة تكترث بأمنياتنا؟» مضـى يتحدث مطولاً، ولكنها لـم يكن لديها ما تقوله في معرض الرد، وجلست هنالك متنهدة فحسب.

عنـد ذاك علـى وجه الدقة صدر خـوار عال عن أيل، فقال: «هل أفعـل أقل من هذا!»[1] واستطرد:

«بعدما شققت طريقي وسط آماد رحبة من عشب الخيزران إلى أونو البعيدة،

سأنضم سعيداً إلى الأيل في رفع الشكوى عالية»[2].

فردت قائلة:

«في أعشاب حدادنا المبتلة بالندى، نضيف نحن سكان التلال الخريفية

أصواتنا إلى خوار الأيل، صائحين عالياً بشكوانا».

لـم يكن ما قالته جيداً للغايـة، ولكنه إذ صدر في تلك اللحظة عينها، بصوتها الخفيض، فقد أدخل على نفسه ما يكفي من السرور.

أفلـح في إيصال تحياته إلى سـمو الأميرة، فردت في اقتضاب: «سـأقر بلطف زياراتك العديـدة، عندمـا تكف الحياة عـن أن تكون حلماً بالغ القسـوة». وكان ذلك كل ما هنالك، فانصرف مجدداً، متنهداً حيال عنادها غير المألوف.

راح، علـى امتـداد الطريـق، يحدِّق عالياً في السـماء الممتدة بلا انتهـاء، حيث تألق بدر الليلة الثالثة عشرة[3] في بهاء عظيم، حتى لينير الطريق الممتد عبر الجبل العظيم[4] وقد كان مسـكن اتشـيجو الخاص بسمو الأميرة في طريقه، وبدا أكثر غرقاً في الإهمال من عهده به.

---

(1) كوكينشو 582: «أقبل الخريف، وتردد خوار الأيل في الجبال. هل أفعل أقل من هذا في ليال أقضيها وحيداً؟».

(2) تتلاعب القصيدة بكلمة «شيكا» («أيل» و«هكذا» [أي مثل الأيل]). و«الآماد الرحبة من عشبة الخيزان» هي آماد شينوبارا في ساسا، وهي أرض خفيضة يكسوها الخيزران.

(3) ليلتان قبل الاكتمال.

(4) لون من البديع. «الجبل المظلم» هو أوجورا نو ياما، وهو الاسم الذي منه يمكن قراءة (أوجورا) لتعني «مظلم». غير أن جبل أوجورا بعيد تماماً عن الجانب الآخر (الغربي) من شمالي كيوتو من حيث يوجو يوجيرو الآن، وليس من الممكن أن يكون قد اجتازه. وهو يظهر هنا من أجل التلاعب بالكلمة فحسب.

ومن خلال ثغرة في السور الخارجي المتداعي، قرب الركن الجنوبي الغربي، لمح صفوفاً من المصاريع الموصدة. ولم يكن هناك أثر لوجود إنسان، ومنح سنا البدر وحده غدير الحديقة الحياة، وتذكَّر المناسبات العديدة التي عزف فيها المراقب الراحل الموسيقى هنا. فغمغم لنفسه:

«اختفى الآن ذلك الشكل الجميل من بحيرة احتفظت مياهها،

حيال دار مهجورة، ببدر أواخر الخريف وحده».

حتى عندما وصل إلى الدار من جديد، ظلت عيناه على البدر، ومضى فؤاده يضرب بعيداً نحو السماء. ودمدمت النسوة العجائز قائلات: «يا للمظهر البائس الذي يتبدى به! لم يعتد قط إتيان أمور من هذا القبيل!».

إذا شئنا التعبير عن الأمر بوضوح، فإن الغضب الشديد قد استبدَّ بزوجته، وأحست بأنها قد جُرحت بعمق. يبدو أنه قد فقد رشده! وأحسب أنه يفكر في هاته اللآلئ المكتملة في روكوجو اللواتي نظرن طويلاً إلى هذه النوعية من الأمور على أنها من طبائع الأشياء، وتصورن أنني مندفعة وجريئة. حسناً، لا يمكنني احتمال ذلك! ولن أكترث كثيراً بدوري لو أنني كنت معتادة على ذلك وقتاً طويلاً مثلهن، وفي حقيقة الأمر فإن الأمور ربما كانت ستغدو أيسر كثيراً على ذلك النحو. وقد ظن الجميع، بمن في ذلك عائلتي أنني قد حظيت بأفضل الحظوظ، من حيث كونه مثالاً للإخلاص، ولكن يبدو الآن أن كل هذه السنين قد تنتهي بالإذلال فحسب!

دنا الفجر، فيما كل منهما يتنهد تنهداته المنفصلة في صمت متبادل، إلى أن انتهى الليل، وأسرع القائد كعهده دائماً بكتابة رسالة لها، فلم يكن بوسعه الانتظار إلى أن تنقشع غمامات الصباح. فضاقت ذرعاً بذلك، ولكنها لم تنتزع الرسالة منه كما في السابق.

كتب الرسالة بعناية، ثم نحَّى الورقة، ودندن لنفسه قصيدة، محافظاً على خفوت صوته، ولكنها سمعتها مع ذلك:

«متى تدعينني أوقظك، فكلمتك تلك

تطلب مني الاحجام إلى أن تستيقظي من حلم الليل الطويل

ماذا عساني أفعل؟»[1]. أدركت أن ذلك هو ما كتبه. وقام بلف الرسالة، ومع ذلك مضى يدندن: «آه ماذا عساني أفعل؟» وما إلى ذلك، ثم دعا بمبعوث وأرسله بالرسالة. فحدَّثت نفسها وقد استبد بها الفضول: «أود لو رأيت ردها! ما الذي يجري بحق السماء؟».

كانت الشمس قد علت في السماء عندما وصل الرد. وقد كُتب على ورق بنفسجي قاتم، وقصير، وورد من كوشوشو كالمعتاد. وما تعين عليها أن تنقله كان، كالعهد دوماً، لاشيء. «أحسست بالأسف البالغ، يا مولاي، حتى إنني انطلقت مبتعدة برسالتك، فقد قامت سيدتي ببعض التدريب على الخط عليها. وكانت قد مزَّقت هذه الأجزاء وأودعتها من طي رسالتها».

لقد ألقت نظرة بالفعل على رسالتي! أحس باندفاعة فرح تثير السخرية، وأفلح بوضع كلمة من هنا إلى جوار كلمة من هناك في أن يقرأ:

« في تلال أونو هذه، حيث أبكي ليلاً ونهاراً في نواح أليم،
هل هذه الدموع التي أسفحها بلا توقف تعد شلالاً صامتاً؟»

بدا ذلك في موضعه. والقصائد القديمة التي كانت قد كتبتها في اكتئاب هنا وهناك كانت بخط بديع. لقد بدا له الآخرون الذين احترقوا بهذا النوع من الرغبة على الدوام مجنونين على نحو مضحك، والآن فيما هو يحس بهذه الرغبة بدوره، فقد تفهم إلى أي حد يمكن أن تكون شيئاً لا يطاق. كم هذا غريب! ومضى يتساءل لماذا يتعين أن يعاني بهذه الطريقة، ولكن لم يكن هناك ما يمكن أن يفعله حيال ذلك.

في روكوجو، كان جينجي قد سمع بما يجري، وكان قد اعتبر على الدوام أسلوب القائد الناضج تماماً والحريص ونمط حياته الذي لا يُلام عليه رصيداً يحسب له هو نفسه، رصيداً يحرره من الصيت السيئ الذي اكتسبه بفعل أساليبه الجريئة في الماضي. وراح يفكر: كم

(1) في الأصل «تنحدر من الأعالي». جينجي مونو جاترى كوتشو شاكو شو إنيو واكا 1481: «ماذا عساني أفعل وكيف، أيها الشلال المتدفق من أعالي جبال أونو؟». و«الشلال الصامت» (أوتوناشي نو تاكي) يفترض أنه أوتشيبا، التي لا تستجيب البتة، ولكنه أيضاً شلال أوتوناشي، الشهير في الشعر والواقع قرب أونو، حيث ينزلق الماء بلا صوت على سطح الصخر الزلق.

هـذا محـزن لكليهما[1] وأي وقـت عصيب للغاية سـتمران به! ما الذي يمكـن أن يفكر فيه معالـي المستشـار المتقاعد حيال هـذا كله فيما هما على مثل هـذه القرابة منه؟ من المؤكد أن الشاب يدرك ذلك. وعلى الرغم من ذلك، فإن القدر يدفعنا قدماً في نهاية المطاف. لا، ليـس من شـأني أن أرفع صوتي أو أتدخل. وعلـى هذه المبعدة دفعته هـذه الأخبار إلى أن يحزن بصفة خاصة حيال الألم الذي سيسببه هذا للمرأتين.

بينما كان يحدِّث السـيدة موراساكي متفكهاً عن الأمور المتعلقة بالماضي والمستقبل، أشـار إلى كيف أن هذه النوعية من الأمور تذكِّره بالقلق على ما سـيحدث لها لدى رحيله، وهو الأمر الذي جعلها تحمر خجلاً، وتتسـاءل مغتمـة عن مدى طول المدة التي يتوقع أن يتركها فيها وحيدة. ومضت تحدِّث نفسـها: آه، ليس هناك شـيء منكفئ على نفسـه وبائس كالمرأة. ما الذي سـيكافئ اجتيازها للدنيا إذا ظلت غارقة في نفسـها وعمياء عن مسـرات الحيـاة وأحزانهـا وكل المباهج؟ ما الذي سـيضيء ضجـر أيامها التي تمضـي هاربة؟ ألن تصيب بخيبة الأمل أبويها اللذين ربياها إذا اتضح أنها كئيبة على نحو ميؤوس منه ولا تتسم بالحساسـية حيال أي شـيء حولها؟ يا له من هدر بالنسـبة لها أن تعزل نفسها في خواطرها مثل ذلك الأمير الصامت الذي يشير إليه الرهبان باعتباره راعي محنهم الخاصة[2]، وعندما تعـرف الخيـر من الشـر فلا تحيـر قولاً على الإطـلاق! كيف يمكـن التوصل إلـى التوازن السليم؟ استغرقتها هذه الأسئلة الآن من أجل الأميرة الأولى فحسب.

كان جينجي فضولياً وحريصاً على معرفة شـعور القائد حيال هذا كله، وأشـار ذات مرة عندما كان هذا النبيل في روكوجو قائلاً: «لابد أن ينتهي الحداد على الملاذ. إن ثلاثين عاماً تمضي قبل أن يعرف المرء![3] كم هي محزنة وقاسية تلك الطريقة التي نتشبث بها بما يدوم كندى الفجر! إنني أتوق إلى حلاقة شعر رأسي والتخلي عن كل شيء، ولكنني لا أزال هنا،

(1) ربما لكل من أوتشيبا وكوموي نو كاري، وذلك على الرغم من أن المقصود قد يكون أوتشيبا ويوجيري.

(2) وفقاً لسوترا تعرف في اليابان باسم «تايشي بوهاكو – كيو»، فإن الأمير بوها كو من مملكة هارانا (في الهند) كان يخاف كثيراً من المخاطر الكارمية للحديث إلى حد أنه طوال الأعوام الثلاثة عشر الأولى من حياته ظل ملتزماً الصمت، ثم أمر أبوه الملك بدفنه حياً. وكان هذا الأمر يوشك على أن ينفذ، عندما تحدث الأمير أخيراً، وارتقى سدة العرش. ويفترض أن «محن» الرهبان هي الأوقات التي يطلب منهم فيها البر بقسمهم على التزام الصمت.

(3) تعبير ذهب مثلاً. وبعض المخطوطات تتضمن «ثلاث سنين» لجعل هذه الإشارة تنصرف إلى موت كاشيواجي.

أستمتع بمباهجي. لا، ليس هذ بالأمر الجيد، ليس جيداً على الإطلاق».

ردَّ القائد: «ما أصدق هذا القول! حتى الرجل الذي لا أحزان له لابد أنه يواجه صعوبة في اتخاذ هذه الخطوة». وواصل حديثه: «يقوم حاكم ياماتو الآن برعاية الصلوات التذكارية للأيام التسعة والأربعين كلها معتمداً على نفسه. يا له من أمر مؤسف! إن شخصاً على مثل هذا القدر المتواضع من القدرة قد لايزدهر في الحياة إلا ليصل إلى نهاية حزينة في الختام».

«أتصور أن نيافته المترهبن قد بعث بتعازيه. لابد أن سمو الأميرة ابنته تلزم الحداد عليها! لقد كانت الملاذ تحظى بما يدفع لتكريمها أكثر من معظم النساء، من خلال الحكم بمقتضى ما بلغني، أخيراً، أكثر مما كنت أعرف في السابق. إنها خسارة كبيرة لنا جميعاً. والناس الأكثر استحقاقاً للحياة هم على الدوام الذين يرحلون. لقد كانت تلك صدمة كبرى لنيافته، إذ كان مرتبطاً بصفة خاصة بهذه الأميرة، بعد سمو الأميرة المترهبنة المقيمة هنا. وأنا على يقين من أنها جديرة بالإشادة بها».

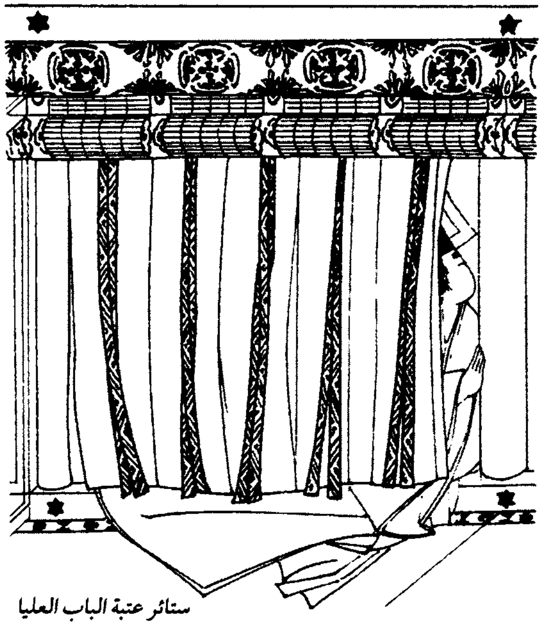
«أتساءل كيف تبدو. لقد كانت الملاذ فوق كل لوم في أسلوبها وتوجهها، وليس قولي هذا راجعاً إلى أنني كنت مقرَّباً منها بصفة خاصة، ولكن حتى الأمور الصغيرة يمكنها أن تكشف الكثير عن الشخصية». ولم يذكر شيئاً على الإطلاق فيما يتعلق بموضوع ابنتها.

وخلص جينجي إلى القول: «إذا كان مصمماً فيما يتعلق بها، فإنه ما من شيء يمكن أن أقوله سيحدث أي فارق، وليس هناك معنى لتقديمي نصيحة لا يريدها، فسوف يتجاهلها على أي حال». ونفض يده من الموضوع.

هكذا قام القائد نفسه على رعاية الطقوس التذكارية. ومن الطبيعي أن هذا الأمر قد شاع، وبالتالي فقد سمع به معالي الوزير المتقاعد بدوره، واستبدَّ به الحنق، ومن سوء الطالع أنه عزاه إلى خفة الأساليب التي تعتمدها الأميرة[1]. وقد شارك أبناؤه كذلك بسبب تلك الصلة القديمة، وقدَّم الكثير في سخاءات لقراءات النصوص المقدسة وما إلى ذلك. وكان كل شخص حريصاً على التميز، وأنجزت الأمور كأنها لسيدة عظيمة للغاية.

(1) يؤكد يوجيري بصورة علنية وواضحة أنه قد تزوج من أوتشيبا بالفعل.

أرادت سمو الأميرة أن تقضي بقية عمرها حيث كانت، ولكن عندما علم نيافته برغبتها، أعلن أن ذلك لامجال له على الإطلاق. «من الصحيح تماماً أنك لاينبغي أن تنتقلي من ارتباط من هذا القبيل إلى آخر، ولكن إنسانة بلاراع لا يمكنها أن ترتدي الإهاب الذي تفكرين فيه إلا لتخطئ وتثير فضيحة تتركها واقعة بين هذا العالم والذي يليه وتدعها مذنبة في عيون الكافة. والآن وقد هجرت الدنيا، وهجرتها سمو الأميرة المترهبنة أيضاً، فإن الناس يقولون إن نسلي قد انقطع. وذلك أمر لاينبغي أن يحزن من هجر الدنيا، ولكنه بالتأكيد لن يليق بك أن تكوني حريصة للغاية على أن تحذي حذوها وحذوي. ومن شأنه أن يترك انطباعاً بائساً أن تنبذي الدنيا لا لشيء إلا لتعرضك لتجربة مريرة. افعلي ما تشائين، ولكن ليس قبل أن تستجمعي شتات ذهنك وتفكري في الأمر بمزيد من الروية».


ستائر عتبة الباب العليا

نقل إليها هذه الرسالة مراراً، ولابد أن النميمة بشأنها قد بلغته بالفعل، وضايقه أن يجد أنه يقال عنها إنها تصرفت انطلاقاً من الصدمة وخيبة الأمل، ولكن في حين لن يفيدها أن تقر بحالتها الجديدة صراحة، فقد أحس بأنه ليس من شأنه أن يقول هذا،إذ إنه لم يرغب في إحراجها، ومن هنا فإنه لم يشر إلى الأمر على الإطلاق.

وفي غضون ذلك، لم ير القائد معنى للقيام بمزيد من المحاولات الفاشلة لإقناعها. إنها لن تمنحني موافقتها البتة. وسأدع الجميع يعرف أنني حظيت بموافقة الملاذ. ماذا يمكنني القيام به غير ذلك؟ لسوف أشير ضمناً إلى زلة من جانبها، وأتيقن من أنه ما من أحد يمكنه أن يحدِّد على وجه الدقة متى بدأ الأمر كله. وبهذه الروحية اختار يوماً مناسباً لعودتها إلى اتشيجو، واستدعى حاكم ياماتو ليبلغه تعليماته بشأن الإجراء الذي يريد اتباعه، وأمر

بتنظيف الدار وإعدادها. وكانت السيدتان قد اعتادتا العيش هناك وسط الأعشاب الكثيفة، على الرغم من بذل قصارى جهدهما، ولكنه أمر بجعل المكان لا تشوبه شائبة، وأشرف بنفسه على أن يحصل حاكم ياماتو على كل ستائر الاسكفات، الستائر، الستائر القاتمة، والحصر الضرورية المعدة في داره هو.

في اليوم الموعود، مضى بنفسه ليقدم لها عربة ووفداً مصاحباً، وسعت وصيفاتها بقوة لتغيير رأيها، عندما أصرت على أنها لا تعتزم الذهاب. قال الحاكم: «لا يمكنني أن أخدمك، من منطلق التعاطف مع مصابك، ولكنني لابد لي الآن من المضي إلى مقاطعتي، فلديّ عمل هناك. وليس هناك شخص آخر أعهد إليه برعاية دارك، وقد ساورني الشعور بالتقصير حيال فكرة ترك الأمور على نحو ما هي عليه. غير أنه الآن وقد تولى القائد مقاليد كل شيء فإنه يبدو لي أنه على الرغم من أنك فيما يتعلق بهذا الأمر لست ملزمة، بالمعنى الدقيق، بالموافقة، فإن هذه ليست المرة الأولى التي تضطر فيها سيدة كتلك إلى تحمل ظروف تكرهها، ولست أرى سبباً يدعو إلى تعريضك لأي انتقاد محدد. إنك تلتزمين موقفاً صبيانياً تماماً وأياً كان ما يحدِّثك به اعتزازك بنفسك، فليس من الممكن لامرأة أن تتدبر أمورها كلية بالاعتماد على نفسها، ويمكنك تقبل المساعدة من رجل ينتمي إلى العامة والذي سيحترمك ويقدرك، تلك هي الطريقة التي يمكنك بها التمتع بنوعية الحياة التي ربما ترغبين فيها. والمشكلة هي أن أياً منكما لاتذكِّر سيدتها بهذه الأمور. لا، بدلاً من ذلك فإنكما قد أخذتما على عاتقكما القيام بأمور لا ينبغي لكما على وجه الدقة القيام بها». وكانت أوجه لومه الأخيرة موجهة إلى ساكون وكوشوشو[1].

تجمعت النسوة حول سيدتهن لإقناعها، وسمحت لهن في عجز بتغيير ملابسها، لترتدي ثياباً ذات ألوان أكثر إشراقاً. وفي شرود دفعت جانباً[2] الشعر الذي لم تتق إلا لقصه، وتبيَّن أن طوله يصل إلى ستة أقدام. وقد أحسسن بأنها يمكن أن تكون فخورة به، وذلك على الرغم من أنه قد خف قليلاً، ولكنه بالنسبة لها كان قد أصابه الضرر الشديد، وليس بمقدورها أن تظهر نفسها لأحد على هذا النحو. وغلبتها همومها إلى حد أنها رقدت

(1) يتهمهما بنقل رسائل تعد موضعاً للاعتراض إلى سيدتهما.

(2) لكي تتمكن من تبديل ثيابها.

من جديد. فصحن: «لقد تأخر الوقت، ياسيدتي، والليل يوغل في مسيرته!».

فاقمت الريح التي مضت تهب والمطر من بؤسها.

همهمت:

«آه، ليتني ألحق بالدخان الذي تصاعد فوق التلال إلى السماء،

ولا أتبع أبداً الريح إلى حيث لا أرغب في الذهاب!».

كانـت قـد عقدت العـزم على تحقيق مـا انتوته، لكـن وصيفاتها درجن أخيـراً، على أن يبعـدن عنهـا في حرص أي شـيء من قبيل المقصات، وراحت تتسـاءل: علـى أي حال ما الـذي يجعـل مصيري مهمـاً للغاية بحيـث يحق لي أن أتصرف سـراً مثل طفلة سـخيفة أو أصـدم أولئـك الذين لا أزال أعنيهم بأخبار ما قمـت به؟ ومن هنا فإنها لم تنفذ قط ما كانت قد اعتزمته.

كانـت وصيفاتهـا قد قمـن بالفعل بحزم أمشـاطهن وعلـب أدوات تجميلهـن وخزائن ملابسـهن وما إلى ذلك، أياً كان اضطراب أسـلوبهن، في حقائب أُرسلت لهن مسبقاً، ولم يكن بمقدورها المكوث وحدها. ومن ثم فقد استقلت العربة غارقة في الدموع، وقد استبدَّ بها الشـعور بالمكان الخالـي إلى جوارها، وحجبت غمامة عينيهـا عندما تذكرت كيف أن أمها، التي كانت مريضة بالفعل، قد رتبت لها شعرها عندما وصلتا، وساعدتها على الترجل. وإلى جوار خنجرها[1] احتفظت بعلبة للنصوص المقدسة لم تفارقها قط.

«آه، أيتها العلبة الجميلة، على الرغم من أن الدموع تحجبك،

إلا أنك تعيدين ذكرى من افتقدها كثيراً حتى ليستحيل أن أنسى فقدها».

هكـذا همهمت. وكانت تلك هـي العلبة المطعمة بعرق اللؤلؤ التـي تؤثرها أمها، ذلك أنهـا لم تكن قد تدبرت بعد جلب علبة سـوداء[2] من عندها. وقـد احتفظت بها كتذكار من أمها، على الرغم من أن أمها نفسها كانت قد أرادت أن تهبها لقراءات النصوص المقدسة.

(1) تتلقى البنت ذات المنبت الرفيع خنجراً (ميها كاشي) لدى مولدها، ويظل مقتنى شخصياً ثميناً.

(2) مناسبة للحداد.

وأحست كأنها المعلم أوراشي[1].

عندما وصلت إلى المكان لم تجد أي أثر للكآبة فيه، ولم تره من قبل قط مأهولاً بالسكان على هذا النحو، واجتذبت العربة وصولاً إليه، فتأهبت للترجل منها، ولكنها عندئذ ترددت، لأن الدار بدت لها بعيدة على نحو يبعث على الضيق عن الموطن الذي اعتادته، واعتقدت وصيفاتها أن هذا الشعور صبياني للغاية منها، وحرن في تقرير ما يتعين عليهن القيام به.

كان القائد قد أمر بإعداد الجانب الجنوبي من الجناح الشرقي لنفسه في الوقت الراهن، وقد استقر الآن هناك على النحو اللائق. غمغم الناس المندهشين في سانجو: «لقد غدا صعب المراس فجأة! منذ متى وهو على هذه الحال؟». لقد تبين أنه هو الذي لم يقر بأي شيء يوحي بالضعف أو يشير إليه له جانب غير مألوف، ولكنهم على الرغم من ذلك افترضوا أن هذا كان مستمراً على امتداد سنوات من دون أن يفصح عنه، ولم يتصور أحد أن سمو الأميرة سترفضه. وقد كان وضعها صعباً على الوجهين كليهما.

لم تكن وجبة الترحيب مبشرة بالخير على وجه الدقة بالنسبة لبداية جديدة[2]، ولكن ما إن انتهت واستعد الجميع لقضاء الليلة، حتى أقبل إلى كوشوشو، مطالباً بالإرضاء. «يا مولاي، إذا كنت مخلصاً حقاً لسيدتي على امتداد السنوات المقبلة كافة، فعليك لطفاً أن تدع يوماً أو يومين يمران قبل أن تقترب منها! لقد أثار القدوم إلى الدار اكتئابها فحسب، وهي راقدة هناك كأنها لم تعد بين الأحياء. وهي تضيق ذرعاً بأي جهد يبذل لشرح صدرها، وذلك يجعل الأمور بالغة الصعوبة بالنسبة لي. وليس بمقدوري محادثتها على الإطلاق».

«كل ما هنالك أنني لا أفهمها. وهي تبدو بعيدة المنال، مثلما طفلة صغيرة، وهو ليس ما توقعته». احتج مطولاً على أن نواياه ليست مما يسيئ إليه أو إليها.

«آه، لا، يامولاي، ما يثير قلقي الآن، إلى أن أستطيع تبين جلية الأمور، هو الخوف من

(1) المعلم أورا شيما، صياد حملته الأمواج إلى جزيرة الخالدين، وتزوج من صبية عذراء هناك. وبعد ثلاث سنوات استبد به الحنين إلى الوطن، وعاد إلى قريته حاملاً علبة كانت زوجته قد أعطته إياها مع التحذير من فتحها في أي وقت. ووجد أن ثلاث مئة عام قد انقضت، وأن كل شيء قد تغيّر. وعندما فتح العلبة في يأس، وجد أن طيف امرأته يطفو خارجاً منها إلى السماء، وفي التو أوغل في العمر ثلاث مئة عام. وأول ورود للقصة هو بين الشذرات الباقية من «تانجو فودوكي» التي تعود إلى أوائل القرن الثامن.

(2) يقلّص حداد أوتشيبا الوجبة، ويجعلها مخيبة للآمال بالنسبة لبداية زواج.

فقدانها بدورها. أرجوك، يا مولاي العزيز، أرجوك ألا تقوم بشـيء مفرط الأنانية!» مضت تفرك يديها معاً في غمار الحيرة والاضطراب.

«لـم أعرف أي شـيء مثل هذا قـط! ماذا عني إذاً أنا الذي يبدو أنهـا تزدريه باعتباره أكثر الرجال سـوقية ومقتاً؟ أود أن أتبين ما الذي كان حرياً بشـخص آخر أن يقوله حول ذلك!». بدا جلياً للغاية أنه يعتقد أن معاملة سـمو الأميرة له غير مقبولة بالمرة إلى حد أن كوشوشـو أشفقت عليه بدوره.

«تقـول إنك لم تر شـيئاً مثل ذلك من قبـل قط، يا مولاي، ربما يرجـع ذلك إلى أنك لـم تعرف حقاً ذلك القدر الكبير من الحياة». وأضافت باسمة: «أما فيما يتعلق بمن هو المخطئ ومن هو على صواب فإنني اتساءل عما عسى أن يقوله شخص آخر».

لم تكن لديه نية السـماح لأي مقاومة، مهما كانت منسـقة ومرتبـة، بأن تحول بينه وبين مـا يريـد، ومـن هنا فقد مضى قدماً، مستبقاً كوشوشـو، إلـى حيث اعتقد أن سـمو الأميرة موجودة. وقد صدمت سـموها وروعت حيال جسـارته المفتقرة للياقة، حتى إنها خلصت إلى أن بمقدوره أن يشكو بقدر ما طاب له من تصرفها على صبياني، فأمرت بفرش حصيرة فـي المعتزل، وأوصـدت الباب من الداخـل، ودلفت إلى الفراش. وعلـى الرغم من ذلك فإلى أي مدى سينقذها ذلك؟ راحت في مرارة تستنكر افتقار وصيفاتها المجنون للحرص والحذر. أما بالنسبة للسيد النبيل فإنه على الرغم من غضبه وحنقه عقد العزم في هدوء على أنـه لن يدع هـذا يردعه، وأمضى بقية الليل في التفكير فيما عسـى يعقب ذلك. وأحس كما لو كان تدرجاً جبلياً[1]. وأخيراً أطل الفجر، واسـتعد للذهاب، ذلك أن الضياء سـرعان ما سينتشـر بما يكفي لتعرف الناس عليه، وقال متوسلاً: «لطفاً، افتحي الباب قليلاً!». ولكنها تجاهلته.

«في هذه الليلة الشتائية، عندما يحس قلبي بأنه مسجون للأبد في العذاب،

آه، أي قيود جديدة تعترض طريقي عبر بابك العنيد!

إن موقفـك يلجـم لسـاني». أحـس بنفسـه يغـرق فـي الدمـوع، ومضـى ليسـتريح في

(١) تشير التقاليد الأدبية إلى ذكر التدرج الجبلي (أو التدرج النحاسي، يامادوري) وأنثاه يجثمان في واديين منفصلين.

روكوجو.

استفسرت السيدة المقيمة في الجانب الشمالي الشرقي في براءة قائلة: «يقولون في دار معالي المستشار المتقاعد أنك قد أعدت سمو الأميرة إلى اتشيجو. ما الذي تعتزمه؟». كانت قد وضعت ستارة قاتمة أمامها أيضاً، ولكنه كان لا يزال بمقدوره أن يلمح شيئاً منها عبرها.

«نعم، أتصور أنهم يتحدثون حول هذا الأمر. لقد عارضت الملاذ الراحلة الفكرة بقوة في البداية، ولكنها لانت عريكتها قُبيل النهاية، وأحسب أنها كانت تشعر بالقلق من أنها قد لا تجد أي شخص آخر، وأبلغتني بأنها تعلق الآمال على أن أعنى بأمر ابنتها لدى رحيلها، ولذا من أجل خاطر صديقي القديم قرَّرت القيام بذلك. وإني لأتساءل كيف ينظر الناس إلى هذا الأمر. إنه ليس بالحدث الكبير، ولكنهم يحبون الثرثرة حباً جماً».

ابتسم، وواصل الحديث: «وهي نفسها مصممة على ألا تكون لها صلة بهذه الدنيا، وتبدو في يأس بالغ إلى حد أنها ترغب في أن تصبح راهبة. وعلى الرغم من ذلك، ما الذي تريد مني القيام به؟ نعم، ربما يكون هناك تقوّل كريه، ولكنني لست أعتزم أن أخيب أمل أمها، حتى ولو قرَّرت أن تضع نفسها فوق الشكوك بهذه الطريق، وهذا هو السبب البسيط وراء قيامي بفعل كل ما أستطيعه من أجلها. أرجو أن توضحي ذلك لسمو الامبراطور الفخري المتقاعد في المرة المقبلة التي يأتي فيها إلى هنا، إذا كان بوسعك أن تجدي لحظة للقيام بهذا. وأنا لم أرد تقديم أي مبرر له لاتهامي بالحماقة في سني هذه، ولكن من الصحيح أنه في مثل هذا النوع من الأمور فإن المرء يتجاهل في يسر بالغ ليس اعتراضات الآخرين فحسب، وإنما تحذيرات فؤاده أيضاً.

«إذاً فوراء الأكمة ما وراءها! لقد اعتقدت أن الناس يتقولون من عندياتهم بما لا وجود له. ومن المؤكد أن هذا النوع من الأمور مألوف بما فيه الكفاية، ولكن يؤسفني أن أتصور ما يحدثه هذا بالنسبة لسيدتك الشابة المقيمة في سانجو. فهي معتادة على الشعور بالأمان البالغ».

«لطف كبير منك أن تشيري إليها باعتبارها سيدة شابة. وهي ليست إلا متنمرة متوحشة.

ولكن لماذا يتعين أن أهملها على أي حال؟ تأملي، إذا كان لي أن أكون من الجسارة بحيث أشير إلى ذلك، حالتكن أنتن اللواتي تقمن هاهنا جميعاً! إن الناس يقدرون السلام فوق أي شـيء آخر، وسوء المزاج والأساليب المشاكسة قد تدفع المرء إلى العزلة المؤقتة، ولكنها لا يمكن السـماح لها بأن تحكم حياة المرء، ومن المؤكد أن المتاعب سـتثور بين الزوجين عندما تقع حادثة من نوع ما. وبقدر ما يتعلق الأمر بذلك الجانب فإن طبع السـيدة المقيمة في الجانب الجنوبي الشـرقي[1] هو طبع نادر في العديد من الجوانب، ومن منظوري فإنك جديرة بالإعجاب كذلك».

ابتسمت إزاء مديحه لها: «إذا كنت تقصد الإشارة لي باعتباري نموذجاً، فإنني أخشى أن الجميع سـرعان ما سيكتشـف عدم صلاحيتي لهذا على وجه الدقة. إن الغريب، كما تعلم، هـي الطريقـة التي يهتم بها سـمو الامبراطور الفخري المتقاعد كثيـراً بأدنى زلة من جانبك ليحجب أسـاليبه المفعمة بالخطأ، وإما أن يلقي العظات عليك أو ينتقدك في غيابك. ومن منظـوري فإنه يشـبه شـخصاً يتخيل أنـه حكيم، ومع ذلك يظـل غير مدرك لمـا يقوم به هو نفسه».

«ذلك صحيح بما فيه الكفاية. إنه يعظني دوماً بشـأن مثل هذه الأمور. وعلى الرغم من ذلـك، فإنني أفلح في تدبر أموري حتى من دون نصحه الحكيم». حدَّث نفسـه قائلاً: نعم، لقد كان ذلك تعليقاً طريفاً.

قام عقب ذلك بزيارة جينجي، الذي لم ير سـبباً يدعوه للإشـارة إلى علمه بالأمر، على الرغم من أنه كان قد سمع بالفعل بكل ما يقال حول الموضوع. وعمد متواطئاً إلى تفحص ملامح ابنه، وقال لنفسـه: إلى جوار وسـامته فإنه يبدو أنه قد اكتسب مؤخراً مهابة وحضوراً جديدين. من الذي يمكنه أن يلومه على القيام بالتخفيف عن نفسه بين الحين والآخر قليلاً؟ إن الآلهة نفسها ستسامحه هو الذي يتمتع بهالة الشباب البراقة تلك وبذلك الجمال. الأمر كلـه طبيعـي تماماً، أخـذاً في الاعتبـار أنه ليس فتى غـراً، وإنما هو رجـل ناضج في أفضل سنوات عمره! لماذا لا تبتهج امرأة به؟ إن بمقدوره أن يفخر بما يراه في صقال المرآة!

---

(1) موراساكي.

كانت الشمس قد علت في السماء، عندما مضى القائد إلى داره، وما إن دلف إليها حتى تواثب إليه أطفاله، وكل منهم يسعى إلى كسب المزيد من اهتمامه مقارنة بمن سبقه. ورقدت أمهم في فراش تحيط به الستائر، ولم تبادله النظر عندما دلف إليه، فأدرك أنها ربما تكون غاضبة منه، ولكن محياه لم يفصح عن التوتر عندما أزاح أغطية الفراش عنها.

قالت: «أين تظن نفسك؟ إنني ميتة. وقد حسبت نفسي شيطانة، حيث إنك تدعوني بذلك دوماً».

«ربما تكونين في قرارة نفسك شيطانة أو أسوأ، ولكنك أجمل من أن تُكرهي!».

أغاظتها زلاقة لسانه. «لن تجدني إلى الأبد متشبثة بساحر وسيم مثلك! لسوف أمضي بعيداً إلى مكان ما، إلى أي مكان! فلست أريد أن يتصادف أن تتذكرني بين الحين والآخر! تأمل كل هذه السنين! إنها لم تكن إلا وقتاً مضى هدراً!». الآن جلست في الفراش، وقد بدت جذابة كأشد ما تكون الجاذبية، وتمتع محياها الذي تدفقت إليه الدماء بتوهج ساحر.

قال ضاحكاً: «الآن أشعر بأنني في بيتي. لابد أنها نوبة غضبك هذه. لا، هذه شيطانة لا أخاف منها، في حقيقة الأمر، وأود الحصول على المزيد من الشيطانة الحقيقية».

«ما الذي تتحدث عنه؟كل ما عليك هو أن تطوق عنقي بجميل وتموت! أنا بسبيلي إلى الموت! فلست أطيق رؤيتك، ولست أريد سماع شيء عنك. من يعرف ما الذي ستكون بسبيلك إليه لدى رحيلي؟».

ضحك جذلاً، وقد ازداد سروراً. «ربما لن تنظري إليَّ طالما أنا هنا، ولكن لم لن تريدي سماع شيء عني وأنا في مكان آخر؟ على أي حال، فإنه يبدو أنك تريدين مني أن أدرك إلى أي حد نحن قريبان أحدنا من الآخر. وفيما يتعلق بالحديث عن قيام أحدنا فجأة بالانطلاق وراء الآخر إلى العالم السفلي، فقد وعدتك بالفعل بأنني سأقوم بهذا». رفض أن يحملها على محمل الجد، وأجاد استمالتها إليه كثيراً بحيث إنها بدأت تلين على الرغم من أنها تعرف تمام المعرفة أنه يمزح، وهو ما اعتقد أنه لطيف للغاية منها. وعلى الرغم من ذلك، فقد ظل غير مرتاح البال تماماً. وحدَّث نفسه: وهي، ليس بمقدوري الاعتقاد أنها قادرة على مقاومتي للأبد، ولكنني سأفلح في أن أبدو شديد البلاهة إذا أصبحت راهبة، في نهاية

المطاف. وأحس بأنه في الوقت الراهن ليس بمقدوره التغيب عنها ليلة واحدة، وأدرك مع إقبال المساء في ذلك اليوم أنه قد مر بدوره من دون رد منها، الأمر الذي جعله شديد الكآبة تماماً.

أخيراً، بعد امتناعها عن تناول الطعام في ذلك اليوم وبالأمس، تناولت وجبة خفيفة. قال: «لم يوافق معالي المستشار المتقاعد على الإطلاق على كوني شغوفاً بك دوماً أشد الشغف. ولكنني تحملت ما لا يُحتمل، وذلك على الرغم من أن الجميع اعتقد أن ذلك سخف من جانبي، وتجاهلت التلميحات التي انهالت عليَّ من هنا وهناك. وقد اعتادوا الضحك قائلين: «حتى المرأة لن تكون على ذلك القدر من الإخلاص!». وعندما أفكِّر في الأمر الآن، فإنني أتساءل كيف فعلت ذلك، وأدرك مدى الثبات الذي كنت عليه حتى آنذاك، على الرغم من أنني أقول ذلك لنفسي. ربما تكرهينني، ولكننا لدينا دار مليئة بالأطفال الآن، ولن تتخلى عنهم قط، ولذا فإنني على يقين من أنك في قرارة نفسك لا تقصدين هجراني. وفضلاً عن ذلك، انظري إليّ، إن الحياة هي الغادرة، وليس أنا!». بكى، فيما هو يتحدث. وهي بدورها أحست، وهي تستعيد الماضي، بالمتانة النادرة على نحو رائع للآصرة التي تربطهما، على الرغم من كل شيء. بدَّل ملابسه اللينة المجعدة، وارتدى ثياباً جديدة جميلة على نحو خاص ومعطرة، وانطلق في طريقه، بهي الطلعة، وبادي الوسامة. تابعته بناظريها في ضوء المصباح، وعندما شرعت الدموع المريرة في الانهمار من عينيها، لمحت كم القميص الذي نزعه لتوه، وغمغمت لنفسها:

«بدلاً من الحزن على أنني فقدت سحري في عينيه،

أود التحول إلى إهاب جديد، راهبة عند ماتسوشيما.

لا يمكنني المضي على هذا النحو فحسب».

توقف، وهتف مندهشاً: «إنك قاسية للغاية!».

«أذلك ما تظنينه؟ قد ترتدين أمام الدنيا الثوب الغارق في الدموع،

الآن وقد سئمت مني، الذي يرتدينه في ماتسو شيما؟»[1]

---

(1) «هل تعتقدين أن من الصواب إشهاري باعتباري الرجل الذي سئمت منه زوجته ومضت لتصبح راهبة؟».

كانت قصيدة نُظمت على عجل، فجاءت مبتذلة.

في اتشيجو، كانت سمو الأميرة لا تزال توصد على نفسها الباب في معتزلها. «هل تظنين أن بوسعك البقاء على هذا النحو للأبد يا سيدتي؟! لسوف يعرف الجميع أنك صبيانية على نحو لا يطاق. لابد لك من الخروج والحديث معه على الوجه اللائق». بذلت وصيفاتها كل ما في وسعهن لإقناعها، وكانت تعرف أنهن محقات تماماً، ولكنه بالنسبة لها كان رجلاً مقيتاً تدين له بكل من سمعتها المستقبلية ومعاناتها في الماضي، ورفضت استقباله في تلك الليلة أيضاً.

قال مصراً مراراً: «هذه ليست نكتة، وإنما أمر لا يليق!».

أشفقت عليه كوشوشو: «إنني أعرف، يا مولاي، أن سيدتي ستشعر بأنها قد عادت إلى نفسها قليلاً بمرور الوقت، وإذا لم تكن قد نسيتها بحلول ذلك الوقت، فإني سأتحدث معها من جديد. وهي تقول إن أعظم أمنياتها أن تحيا من دون أمور أخرى تشغلها طالما أنها في حالة حداد، وهي لا تزال حانقة لأن الجميع في الدنيا بأسرها يعرف وضعها لسوء الطالع».

«لكن نواياي ليست ما تتخيله! وهي لا ينبغي أن تخاف!» تنهد، وواصل مطولاً مناشدة سمو الأميرة: «لو أنك أقبلت فقط لتجلسي حيث تجلسين عادة، فإني سأوضح لك مشاعري، عبر الستائر الحاجبة، وما إلى ذلك،إذا أردت، ولن أزعجك أكثر من هذا. إنني على تمام الاستعداد لأن أكون صبوراً طوال سنوات».

ردَّت قائلة: «إن متابعتك التي لاهوادة فيها لي مؤلمة للغاية، إذ تجيء بعد الضربة التي عانيت بالفعل منها. وموقفك جارح تماماً، بغض النظر عن حزني الشديد على الأمور غير المألوفة التي ربما يفكر فيها الناس ويتقولون عني». وبمثل هذه التعبيرات المتكررة عن استيائها واصلت إبعاده عنها بقدر الإمكان.

قال لنفسه: «لا يمكن لهذا أن يستمر. وأحس بأنه في فخ. من الواضح أن الناس سيسمعون بالأمر، ثم هناك هاته النسوة أيضاً. قال لكوشوشو مصراً: «أريد الحفاظ على المظهر لبعض الوقت، حتى وإن لم يحدث شيء مخالف لرغباتها. والوضع السخيف

الذي وضعتني فيه هو وضع قاس، ولكن في الوقت نفسه إذا توقفت فجأة عن القدوم إلى هنا فإن سمعتها ستعاني من ذلك. إنها مثيرة للاشفاق تلك الطريقة التي تدع بها مشاعرها تسيطر عليها وتصر على أن تكون طفلة على هذا النحو».

أقرَّته كوشوشو على ما قاله. ولكن كان مرآه ذاته يدخل الألم في نفسها، وأحست بأسف عميق على ما يعانيه، ومن هنا فقد أدخلته إلى المعتزل من خلال بابه الشمالي، وهو الباب الذي جعلت سمو الأميرة وصيفاتها يستخدمنه. وصدمت سموها لاكتشاف أنه حتى وصيفاتها دنيويات التوجه مثل أي شخص آخر، وأنها قد تتوقع الأسوأ منهن من الآن فصاعداً، وناحت على سوء طالعها إذ لم يعد لديها الآن من تستطيع أن تثق به.


احضار ماء الاستحمام

ذكَّرها مطولاً وبلمسات مؤثرة ومبهجة لاتنتهي بما كان ينبغي أن تعرفه بالفعل، ولكنها ظلت معادية على نحو مرير كالسابق. «يملأني شعوراً بالعار أنك تجدينني فظيعاً، ويعتريني الأسف على حماقة التطلع يوماً إلى إرضائك، ولكن الأوان فات الآن، واسمك الرفيع لن يخرج بلا أذى في غمار هذا كله، فلا طائل مما تقومين به، وعليك بالإذعان. يقولون إن الناس يغرقون أنفسهم في بعض الأحيان من جراء خيبة الأمل. حسناً. عليك بأن تسلمي نفسك إلى الوثوب إلى هوة إخلاصي لك!».

كانت قد اجتذبت قميصاً فوق رأسها، وكان أفضل ما بوسعها القيام به هو التنهد، فأشفق عليها من صميم فؤاده. هذا فظيع حقاً! ولكن لم يستبد بها هذا الإحساس القوي؟ كان حرياً بأي سيدة أن تبدي مؤشراً للإذعان بحلول الوقت الذي تصل فيه الأمور إلى هذا النحو، مهما كان عنادها، ولكن لا، إن صخرة أو شجرة ستكون أسهل منها في تحريكها. أحسب أنها ليست لها صلة كارمية بي، لابد أن ذلك هو السبب في أنها تكرهني كل هذا

الكـره. كان هـذا أكثر مما يطاق فحسـب. عذبه التكهـن المرير فيما يتعلق بمشـاعرها، في سانجو، وذكريات كيف أنهما أحب أحدهما الآخر في براءة في وقت من الأوقات أو كيف أنها قد أسلسـت قيادها في عذوبة وثقة له في وقت أقرب، فلم يصرَّ على اجتذابها إليه أكثر من هذا، وأمضى بقية الليلة في التنهد.

كان سـيكون أمـراً عبثياً أن يواصل القـدوم والذهاب إليها في ظل هـذه الظروف، ومن هنـا فقد سـمح لنفسـه اليوم بالبقاء، حيث هو. وقد صدمت سـمو الأميـرة حيال مضيه إلى هذا الحد، ولم تزدد مقاومتها إلا تصلباً. وقد بدا له هذا في آن مثيراً للسـخرية وغير مقبول ومحزناً.

لم يكن في المعتزل إلا القليل، إلى جوار بعض الخزائن العبقة وخزانة ملابس وضعت علـى نحـو مرتب قبالة الجدران، وكانـت قد جعلته بالفعل مريحاً تمامـاً. وبدا معتماً، لكن قدراً كافياً من النور انسـل إليه، بحيث يوضح أن شـمس الصباح قد علت في السماء. أزاح الأردية التي كانت تحتجب تحتها، ونحّى شعرها الذي تشعث بصورة سيئة، وعرفها لوقت قصير[1].

كانـت تتمتع برشـاقة أنثوية نبيلـة تماماً، بينمـا كان هو بهجة للناظريـن، وأكثر من ذلك علـى نحو لا سـبيل إلى مقارنته في الحميمية العفوية منـه عندما يحرص على اتخاذ الطابع الرسمي. تذكرت أن المراقب الراحل، الذي كان اعتداده بنفسه يعوِّض عن افتقاره إلى أي وسـامة متميزة، قد أوضح في بعض الأحيان أنه يعتقد أنها ليسـت بالحسناء بارعة الجمال، وراحت تتساءل في خجل كيف سيحتمل مرآها، الآن وقد فقدت القليل من الجاذبية، الذي كانت تتمتع به ذات يوم. وناضلت على نحو أو آخر لتتأقلم مع وضعها. يا للحسـرة، كانت تعرف أنها لن تفلت من اللوم عندما يشـيع الخبر، وحتى التوقيت كان من سـوء الطالع[2]. ولم يدخل شـيء العزاء على نفسـها، تم إحضار ماء الاغتسال والإفطار إلى غرفة جلوسها

---

(1) حرفياً «ألقى نظرة عليها»، لكن التعبير ملتبس. والجملة التالية تتطابق مع الجملة التي تلي قيام جينجي بإيلاجه الأول في فصل «أكاشي» الذي نلمحه بين السطور.

(2) لأنها لا تزال تلزم الحداد.

المعتادة[1]، وتضارب اللون الذي أُعدت به الغرفة على نحو غير سار مع المناسبة[2]، ولهذا فقد أُسدلت ستائر على امتداد الجانب الشرقي[3]، بينما كانت على امتداد حافة الغرفة نفسها ستائر مصبوغة باللون القرنفلي[4] وأشياء أخرى ذات ذوق رقيق مثل خزانة مطعمة الحواف بخشب الصبر. وكان كل ذلك بفضل حاكم ياماتو. حيث كان قد جعل الوصيفات يغيرن أثوابهن، فيرتدين ملابس ذات ألوان هادئة مثل لون وردة الكيريا والأخضر ذي البطانة القرمزية، أو البنفسجي القاتم، أو الرمادي - الأزرق، مع نثار من ذيول الأردية الرمادية - البنفسجية والخضراء الخريفية[5]. وجلبن الوجبات على حواملها القائمة. وكانت النساء العاملات في دار سمو الأميرة قد أصبحن على شيء من التكاسل في بعض الجوانب، ولكن لاحظ الحاكم هذا، فأصدر أمره إلى الخدم القلائل الباقين، وحرص على الإشراف على كل شيء بنفسه. وجلبت الأنباء التي ترددت عن زائر غير متوقع وشديد التميز على هذا النحو التابعين الذين كانوا قد تفرقوا إلى الدار، وشغلوا أنفسهم في مكتب شؤون الدار بكل ما تمس الحاجة إلى القيام به.

مع مكوث زوج سيدة سانجو في اتشيجو، خلصت إلى أن هذه لابد أن تكون النهاية. كانت قد حدَّثت نفسها يوماً بأنه لن يفعل ذلك قط، ولكنها أحست الآن بأنها قد اختبرت شخصياً صحة القول السائر إن الرجل المخلص الذي يتعثر يفقد للأبد، وأرادت ألا يكون لها شأن بهذا السلوك الشائن. ومن هنا فقد مضت إلى دار أبيها بذريعة وجود محظور يتعلق بالاتجاه، ومنحتها صحبة زوجة الامبراطور[6] التي كانت في الدار آنذاك بعض الراحة من همومها، ولم تسرع عائدة إلى دارها، على نحو ما تفعل عادة.

كنت أعرف ذلك! انزعج القائد، يالمزاجها العصبي! وكذلك حالة معالي المستشار المتقاعد. وكل منهما لا يظهر أثراً من آثار الهدوء. وأخذاً في الاعتبار بمدى عنادهما،

(1) ربما الغرفة الأشمل.

(2) كانت الستائر وما إليها جميعها رمادية بلون الحداد.

(3) في الرواق، ربما لإخفاء المتعلقات المرتبطة بالحداد.

(4) تعطي زهور القرنفل صبغة صفراء برتقالية. وقد كان هذا اللون مناسباً لأي مناسبة سواء أكانت سعيدة أم حزينة.

(5) طبقة من القماش منسوجة من الخيوط الخضراء الورقية والصفراء فوق قماش أخضر ورقي.

(6) الأخت الأكبر لكوموي نو كاري والزوجة كوكيدين للامبراطور المتقاعد رايزي.

ومـدى مسـارعتهما إلى الغضب، فإنهما قادران على اتخاذ قـرارات مزعجة للغاية، بحيث إنني عرضة لكل ما هو بغيض، وأنهما لايرغبان في رؤيتي أو سماعي مجدداً. وأسرع عائداً إلى سانجو، ليجد أنها قد تركت له أولادهما، وأخذت بناتهما وأصغر أبنائهما معها. وسعد الصبية أشد السعادة لرؤيته، على الرغم من أنه لأساه الشديد وجد بعضهم يبكون أيضاً من أجل أمهم.

بعث برسـائل متكررة وبمبعـوث كذلك لإعادتها إلى الدار، ولكنه لـم يتلق رداً. وعلى الرغـم من اسـتيائه من سـلوكها الأنانـي العنيد، فقد كانت هناك مشـاعر معالي المستشـار المتقاعـد التي يتعين أخذها في الاعتبار، ومن هنـا فقد انطلق إلى هناك بعد حلول الظلام، وافترض أنها سـتكون في الدار الرئيسـية[1]، ومضى إلى هناك كالمعتاد، ولكنه لم يجد إلا نساءها، وكان الأطفال مع مربيتهن.

مضـى يلومهـا في مـرارة[2]: «تأملي نفسـك، ها أنت تتسـلين مثـل فتاة مـع صديقاتها! وتفرقين شـمل كل هؤلاء الأطفال، وها أنت ذي الآن. ما الذي تقصدينه بهذا؟ لقد علمت علـى الدوام أن هناك أموراً تتعلق بك لا أكترث بها، ولكن لسـبب ما- أحسـب أنه القدر- فإننـي لـم أرد هجرانك قط، والآن لدينا العديد من الأطفـال الذين يجب أن نرعاهم، وهم فـي غايـة اللطف حقاً كذلك. ولـم أتصور قط أننا قد ننفصل هل سـتفعلين ذلك بي بسـبب شيء كهذا؟».

«لم لا؟ لقد سـئمت مني على نحو ما أنا عليه، ومن المؤكد أنني لن أتغير عما أنا عليه. وإذا أردت الاحتفاظ بهؤلاء الأطفال الذين لا يُرجى منهم أمل، فذلك أفضل!».

«رد رائع! ومن منا سيخرج أسوأ حالاً، أود أن أعرف؟». لم يصر على خروجها للقائه، وفي تلك الليلة رقد وحيداً. ما أغرب وقوعي بين هذه وتلك في هذه الأيام، وجعل الأطفال يرقدون في الفراش إلى جواره. وراح يتساءل: ترى أي عذاب لابد أنها تعانيه في اتشيجو. من الذي يمكنه أن يستمتع بما يجري؟ أحس على نحو بائس أنه قد لُقن درسه.

عنـد انبلاج الفجر، بعث إليها بتهديد آخر: «لسـوف يعتقـد الناس أنك تتصرفين كصبية

(1) في الغرفة التي تحجز لها عادة عندما تكون في دار أبيها.

(2) يفترض أنه قد بعث أحدهم إلى كوموي نوكاري بهذه الرسالة.

عنيدة. إذا كنت ستعتبرين أن كل شيء قد انتهى بيننا، حسناً جداً، دعينا نتبين الأمر. أحسب أن لديك أسبابك لترك بعض الأطفال في الدار، على الرغم من أن هؤلاء المساكين يفتقدونك بشدة، ولكنني لا يمكنني التخلي عنهم، وأنا أعتزم القيام بكل ما أستطيع القيام به من أجلهم».

استاءت بطريقتها المعقدة لتبين أنه قد يأخذ حتى الأبناء الذين اصطحبتهم معها إلى مكان ما بعيداً عن منالها.

قال لإحدى بناته: «الآن، هلمي. الأمور بالغة الصعوبة، لن يكون بمقدوري المجيء ورؤيتكن هنا طوال الوقت. وإخوتك لا يزالون في الدار، وهم لطفاء للغاية، وأنا أريدكم أن تكونوا جميعاً معاً». كانت لا تزال صغيرة وعذبة للغاية، وقد تأملته جادة، فنهرها قائلاً: «لا ينبغي أن تصغي لأمك، يؤسفني القول إن هناك الكثير للغاية مما لا تفهمه».

عندما سمع معالي المستشار المتقاعد بما يجري، تنهد لتصور كيف ستضحك الدنيا. وقال لابنته: «ما أغرب التفكير في أنك لم تمنحيه فرصة قط! وأنا أعرف أنه سيعتذر بحلول الوقت المناسب. إن المرأة ستكون حمقاء إذا كانت عصبية المزاج. ولكن حسناً للغاية، الآن وقد قلتها، لا يمكنك الاستسلام والذهاب مباشرة إلى الدار. ولا شك في أنك ستكتشفين موقفه الحقيقي».

بعث بالملازم الحاجب[1]، حاملاً رسالة إلى سمو الأميرة:

«لابد أن آصرة تجمعنا، فأنت ماثلة في فؤادي دوماً،

بينما أفكر فيك بإعزاز وأسمع أموراً مقيتة عنك.

من أنك لم تنسيني». هذا ما كان قد كتبه لها. وجلب الملازم الرسالة مباشرة.

وضعت حصيرة مستديرة في الخارج من أجله في الشرفة الجنوبية. ولم تدر النسوة ماذا عساهن يقلن له، وأحست سمو الأميرة بالمزيد من الارتباك بصورة مؤلمة. ومضى الشاب، وهو الأكثر وسامة من بين أخوته، يحدِّق حوله، كأنما يفكر في أزمنة مضت. أشار في إيجاز بقوله: «يبدو كل شيء مألوفاً للغاية. وعلى الرغم من ذلك فقد تفضلن أن أشعر

(1) أحد أبنائه.

بالراحة هنا».

لم تدر سمو الأميرة بماذا عساها ترد، فقالت: «لا يمكنني كتابة الرسالة».

تجمعت وصيفاتها حولها: «ولكنه، يا سيدتي، لن يعرف أبداً عندئذ شعورك، وبالإضافة إلى ذلك فإن ذلك سيبدو عملاً صبيانياً من جانبك. ولا يمكنك جعلنا نكتب الرسالة نيابة عنك!».


راهب جالس على حصير دائري

شرعت تبكي. لو أن أمي كانت هنا فحسب، لأفلحت في التغطية على ضروب قصوري مهما كانت محدودية حبها للقيام بذلك! أحست كما لو أن دموعها ستجرف فرشاتها، ولم تفلح في كتابة أي شيء باستثناء:

«آه، كيف يمكن أن أكون واحدة، وبلا سبب

تفكر فيَّ غاضباً، وتسمع بحب عني؟».

كتبت هذه القصيدة على نحو ما وردت على ذهنها، حتى من دون أن تنهيها بالشكل الصحيح، ثم لفتها وبعثت بها.

في غضون ذلك، مضى الملازم يحادث نسوتها، وقال ملمحاً قبل أن ينطلق بعيداً: «إنني أجيء إلى هنا من وقت لآخر، كما تعلمن، وأنا أشعر بأنني لست في موضعي وأنا جالس أمام الستائر الحاجبة. والآن لديَّ مبرر وجيه للزيارة، وسأقوم بذلك غاضباً. وينبغي أن تدخلنني أيضاً. وأنا على يقين من أن سنوات خدمتي المفعمة بالولاء ستتوج بالمكافأة».

دفعت حالة سمو الأميرة المزاجية المتردية القائد إلى التشتت، وفي غضون ذلك استبد الحزن بابنة معالي المستشار على نحو مرير مع كل يوم يمر. وكانت سيدة العاملين في البلاط(1) قد سمعت بهذه الأخبار، والتي كانت تعني بالنسبة لها أن سيدة كانت قد

(1) ابنة كوريميتسو، الذي كان جينجي يمحضه ثقته في الأيام الخوالي. والتي التقاها يوجيري للمرة الأولى في فصل «الصبايا العذارى».

اعترضت دوماً عليها، لابد لها الآن من أن ترضى بإنسانة لا يمكنها أن تزدريها. ومن وقت لآخر كانت تكتب لها رسالة.

«لو أنني كنت عالية الشأن، لكنت عرفت من تلقاء نفسي قسوة الحياة دوماً،

ولكنني لا يزال بوسعي أن أبلل كميَّ حزناً على قدر أخرى».

اعتقدت ابنة معالي المستشار أن هذا فيه بعض التجاوز، ولكن خلال ضجر هذه الأيام الثقيل على النفس، خطر ببالها أن المرسلة بدورها لديها مبرر يدعوها للضيق بسمو الأميرة، فردت حسبما واتتها الكلمات قائلة:

«أشفقت بدوري على الأخريات لكل الأحزان التي تجلبها الحياة،

غير أنني لم أثر تعاطف أخرى».

تأثَّرت سيدة العاملين في القصر. قبل وقت طويل، عندما كان معالي المستشار يفصل بين ابنته وابن جينجي، منح الشاب سراً سيدة العاملين في القصر كل عواطفه، وقد ظل على اتصال بها لدى استئناف الزيجة، وإن كان ذلك الاتصال نادراً وبحماس متراجع. وعلى الرغم من ذلك، فقد أنجبت له العديد من الأبناء. وكان قد أنجب من ابنة معالي المستشار أولاده الأول، الثالث، الخامس والسادس وبناته الثانية، الرابعة والخامسة، بينما أنجب من سيدة العاملين في القصر بناته الأولى، الثالثة والسادسة وابنيه الثاني والرابع. ولم يكن هناك ما يعيب هؤلاء الأبناء الاثني عشر، وقد كبروا جميعاً ليصبحوا مصدر سعادة وبهجة، ولكن أبناء سيدة القصر برزوا في الوسامة والبراعة. وكان الابن الثاني والابنة الثالثة تجري تربيتهما بعناية في الجانب الشمالي الشرقي في روكوجو. وحرص جينجي على رعايتهما بنفسه وعلى معاملتهما بإعزاز. والعلاقات بين هؤلاء الناس تظل، على الرغم من ذلك، أكثر تعقيداً من أن يتم إيضاحها.

40

مينوري

الشِرعة

تعني مينوري، في المقام الأول، «الشرعة» (دارما)، أي الحقيقة التي علمها بوذا، أن كل شيء ينقضي، وبهذا المعنى فإنها تشير إلى موت موراساكي. غير أنها يمكن أن تعني كذلك «الطقوس» التي تستدعي الشِرعة وتكرمها، وبصفة خاصة الاحتفال الذي كرَّست فيه موراساكي في مهابة ألف نسخة من سوترا اللوتس. وهي تدين بدورها كعنوان لهذا الفصل إلى وجودها في تبادل للقصائد بين موراساكي وهاناتشيروساتو، بعد الاحتفال، حيث قالت موراساكي:

«هذه هي المرة الأخيرة التي تخدم طقوسي فيها الشرعة، غير أني كلي يقين من أنها ستكون بالنسبة لي ولك آصرة تدوم حيوات عديدة».

فردت هاناتشيروساتو:

«ستكون صلة تدوم عصوراً، غير أنه على الرغم من أن ذلك حقيقي أيضاً، قلائل هم الذين سيرون مجدداً مثل هذا البهاء الورع».

الصلة بالفصول السابقة

تبدأ أحداث «الشـرعة» بعد أشـهر قلائل من نهاية «غمامة المساء» وتغطي الفترة من ربيع عام جينجي الحادي والخمسين إلى خريفه.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 51 عاماً.

السيدة موراساكي، 43 عاماً.

سيدة الزهور الساقطة (هاناتشيروساتو).

السيدة المقبلة من أكاشي، 42 عاماً(أكاشي نو كيمي).

الأمير الثالث، 5 سنوات(نيئو ميا).

جلالة الامبراطورة، 23 عاماً(أكاشي نوتشوجو).

القائد، ابن جينجي، 30 عاماً(يوجيري).

معالي المستشار المتقاعد (تو نو تشوجو).

امبراطورة نيافته رايزي، 42 عاماً (أكيكو نومو).

ظلت صحــة السـيدة موراسـاكي ضعيفة للغاية بعد مرضها الخطير، وعانت منذ ذلك الحيـن مـن توعك غامـض يعاودهـا، ولـم يكن مهـدِّداً على نحـو خاص، ولكـن كل تلك الشـهور والسـنين لم تبشـر بالخير، والآن غدت بالغة النحـول إلى حد أن جينجـي أحس بالقلق الشديد حقاً. وقد استفظع فكرة البقــاء بعدها حتــى ولو لوقت قصـير. وهي نفسها لـم تطلب شيئاً أكثر من هذه الدنيا، ولـم تكن لديها رغبة خاصـــة في البقاء، إذ لـم تكن لديها أواصر عزيزة[1] لتحتجزها، وفي قرارة نفسـهــا لم تأسـف على شــيء إلا على ما سيعانيه عندمــا تنفصم الرابطـة بينهما. وكلفت من يقوم بأداء صلوات عديدة من أجل ضمان الخير لهــا في الحياة المقبلة، وغالباً ما طلبـت أن تكون لا تزال تريده، لكي تكرس الوقت القليل الذي بقي لها لصلواتها، ولكنه رفض السماح بذلك. وكان قد فكَّر في تحقيق الرغبة ذاتها، وقد دعم توقها هذه الرغبة إلى أن أصبح يسـعده أن يمضي في الدرب نفسـه معها، غير أنه قصـد ألا يلقـي نظرة على الدنيا لـدى هجرانه لهـا، وبينما كان يعرف أن بمقـدوره الوثوق بوعدهمـا باقتسـام عرش زهرة لوتس واحدة في الحياة المقبلة، فقـد فهم أنهما طالما تابعا عبادتهمـا في هـذه الحياة، حتى في معبد واحــد، فإنهما سـيقيمان علـى جانبين مختلفين مــن جبـل، ولن يرى أحدهما الآخر أبـداً. وكان تعرضها للخطر ومعاناتهـا مؤلمين للغاية، وسـيكون تركهـا صعبـاً للغاية عندما يحين الوقت إلى حد أن مشـاعره ستسـيء عندئذ إلى اعتكافه وسـط الجبال والمياه. وكان معنى هذا التردد من جانبه أنه تراجع كثيراً عن آخرين لا يرقـى طموحهم إلى ما يزيد عن الميل الشـخصي. وقد ضاقت ذرعاً برفضه لأنه كان من الجلـي أنه لن يكون شـيئاً لطيفـاً منها وغير متفق مـع طبيعتها أن تتصرف من تلقاء نفسـها، ومــن دون إذنـه، ولكنها خافت كذلك من أن ذلك قد يكـون راجعاً إلى العبء الذي يثقلها بالخطايا.

سـارعت إلى تكريس ألف نسـخة من سـوترا اللوتس، التي كانت هي نفسـها قد أمرت بإعدادهـا علـى مدار السـنوات. وتمت هـذه الفعالية في نيجـو التي كانـت تعتبرها دارها. وقـد أعطـت الرهبـان أردية تتفق مـع مراتبهم، جميلة كلهـــا إلـى أبعـد الحـدود في اللون واللمسـات النهائية. وكانت المناسـبة فخمـة من كـل الوجـوه. ولـم تكن قد أبلغته قط أنها

(1) أطفال.

ستكون على مثل هذا القدر من الجلال، وبالتالي فإنه لم يقدم لها نصيحة خاصة. وقد أثَّر فيه تميز حكمها ومعرفتها بالأشياء البوذية أشد التأثير، وكان الدور الوحيد الذي قام به هو الاهتمام بالأمور العادية المتعلقة بتزيين المذبح وما إلى ذلك. وتعهد القائد بتوفير العازفين والراقصين.

ساهم الامبراطور، ولي العهد، والامبراطورات وسيدات روكوجو بثروة من قراءات النصوص المقدسة وقرابين المذبح، وشغل البلاط بأسره بالمثل إلى أن غدت النتيجة وفرة مذهلة. متى أمكنها أن تفلح في الإعداد للأمر كله؟ بدا الأمر كما لو أنها تعهدت بقسم مقدس منذ عهود مضت[1]. انطلقت سيدة الأزهار المتساقطة إلى هناك وكذلك أكاشي. جلست موراساكي داخل الأبواب الجنوبية الشرقية المفتوحة، أبواب المعتزل الغربي في الدار الرئيسية. وفصلت الحواجز المنزلقة وحدها السيدات في الممشى الشمالي.

كان ذلك في اليوم العاشر من الشهر الثالث. ولم تكن هناك حاجة إلى إيمان عميق آنذاك لتخليص المرء من الخطيئة، فقد اكتملت البراعم، وبدت السماء جميلة على نحو معتدل للغاية، إلى درجة أن الأرض التي يقولون إن بوذا سكنها ربما كانت على النحو ذاته تماماً، وترددت أصوات الجمع الكبير بصورة مؤثرة في النفس في أنشودة جمع الحطب[2]، وأحست بالحزن حتى في غمار الصمت الذي أعقبها، لأنه مؤخراً كان أي شيء على الإطلاق يمكن أن يضعها في حالة نفسية يغمرها الحزن.

جعلت الأمير الثالث[3] يحمل هذه القصيدة إلى السيدة المقبلة من أكاشي:

«على حالي الآن، لم أعد أهتم كثيراً بحياتي، غير أنني أحزن

لأن الحطب أوشك على النفاد ولن يعود له في القريب وجود».

---

(1) حرفياً «إيسونوكامي منذ عهود مضت». إيسونوكامي (إلى الجنوب من نارا) هو موقع مزار موقر للإله فورو، ومن هنا فإن الاسم يفترض تلاعباً بكلمة «فورو» التي تعني «قديم».

(2) فصل «ديفيداتا» من سوترا اللوتس يصف كيف أن بوذا خدم معلمه بجمع الفاكهة، جلب الماء، وجمع الحطب إلى أن تم تعليمه السوترا. وينشد الجمع أنشودة «لديَّ سوترا اللوتس بفضل قطع الخشب، جمع الفاكهة، جلب الماء، وبهذه الطريقة نلتها».

(3) نيئو مستقبلاً، حفيد جينجي وأكاشي.

كان الـرد غير مباشـر، ربما لأن السـيدة خشـيت أن النـاس سـيتحدثون إذا تبنت النغمة الحزينة ذاتها:

«فيما تتقدين حماساً لجمع الحطب، بدأت لتوك في هذه الحياة

في السعي وراء الشرعة وستواصلين ذلك على امتداد سنوات».

طـوال الليل، صاحبت طبـول لا تتوقف على نحو بهيج الصلوات المقدسـة. وكشـف نـور الفجر المبكر المتزايد زهوراً عديدة الألوان تطل من بين جانبي غمامة، ولا تزال فاتنة ومراوغـة تمامـاً، في حين شـدت مئة من العصافيـر مثلما النايـات. كان الجمال والابتهاج فـي ذروتهما، عندما ترددت موسـيقى الختام السـريعة لرقصة «الملـك المحارب» بصورة رائعة. وحوَّلت ألوان الأردية التي نزعها كل الحاضرين[1] آنذاك اللحظة إلى مشهد ساحر. واستعرض كل أمير أو نبيل بارز مبدع في الموسيقى مهارته. وحرَّك ذلك الكثير من المشاعر في نفسـها، إذ رأت الجميع مسـرورين ومرحين للغاية، علت مكانتهـم أم تدنت، لأنها في قرارة نفسها كانت تعرف كم هو قليل الوقت الذي بقي لها.

الآن سـجدت متألمة، ربما لأنها كانت قد نهضت لبعض الوقت بالأمس. وعلى امتداد سـنوات كانت قد تسـاءلت في كل مناسـبة من هذا النوع عما إذ كان سـيقدَّر لها مجدداً أن ترى وجوه من تجمعوا، هل ستسـتمتع من جديد أبداً بمهارة عزفهم على النايات والأوتار وتطلعت بانفعال حتى إلى بعض من يستحقون الالتفات بالكاد. ما من سيدة من الحاضرات في حفلات موسـيقى الصيف أو الخريف والألعاب- وكلهن لديهن إحسـاس بالمنافسـة علـى الرغم من تعايشـهن على نحو جيد- سـيقدَّر لها أن تحيا إلى الأبـد، ولكنها خطر لها بصورة متوهجة أنها سـترحل قبلهن، وحيدة، إلى رحاب المجهول، وملأتها هذه الخاطرة بالحزن والأسى.

لدى انتهاء الفعالية، واسـتعداد الجميع للانصراف، حزنـت على ما بدا لها وداعاً أبدياً. وبعثت إلى سيدة الزهور المتساقطة بهذه القصيدة.

---

(1) لمكافأة الراقصين.



رقصة «الملك المحارب»

«هذه هي المرة الأخيرة التي تخدم طقوسي فيها الشرعة، غير أني كلي يقين من أنها ستكون بالنسبة لي ولك آصرة تدوم حيوات عديدة».

ردت السيدة:

«ستكون صلة تدوم عصوراً، غير أنه على الرغم من ذلك حقيقي أيضاً قلائل هم الذين سيرون مجدداً مثل هذا البهاء الورع».

استمر حفل التكريس، بناء على طلب جينجي، من دون انقطاع ممتداً إلى طقوس مقدسة أخرى، مثل القراءات المستمرة للنصوص المقدسة وطقس الاعتراف[1]. وكلف من يقومون بأداء الطقس العظيم بصورة متواصلة، كأداء يومي، في العديد من المعابد الجليلة، لأنه من دون شك لم يفدها بصورة ظاهرة.

أحست في ذلك الصيف بالوهن على نحو متزايد فيما لايتجاوز حراً معتاداً. ولم تعان بأي طريقة محددة أو داعية للانزعاج، وإنما مضت تزداد ضعفاً. لم يكن ثمة ما هو محزن

(1) (هوكي) سينبو، طقس يضم ترتيل سوترا اللوتس مع اعتراف بالخطايا، وذلك بغرض إزالة خطايا راعي الطقس.

أو مجهد في مرضها. وبالنسبة لوصيفاتها كان ظلاماً أن يتخيلن ما سيلي ذلك، ورحن ينظرن إليها بإشفاق وأسى عميقين.

عندما لم تتحسن حالتها، انسحبت جلالة الامبراطورة من القصر إلى ميجو، وأفلحت في استقبال جلالتها في الجناح الغربي، الذي كان قد تقرر أن تنزل جلالتها به. كان الحفل هو المعتاد، ولكنها عرفت أنها لن تراه مجدداً، وقد جعله ذلك مؤثراً. وقد التفتت بعناية إلى كل اسم يعلنه السادة الذين كانوا برفقة جلالتها[1]، حيث جاء الكثير من كبار النبلاء لخدمة جلالتها.

كان لقاؤهما النادر هو الأول منذ وقت طويل، وتجاذبتا أطراف الحديث سوياً، ثم أقبل جينجي، وقال: «أحس كما لو كنت طيراً نُفي من العش! إنني بلا نفع، ويمكنني المضي إلى الفراش!» وخرج مجدداً. وكان سروره الكبير لرؤيتها وقد نهضت من فراشها مصدر عزاء هش له.

أبلغت جلالة الامبراطور بقولها: «سيُخصص لك سكن منفصل، وأنا اعتذر لأنك ستضطرين إلى القدوم إليَّ، فكما ترين ليس بمقدوري الذهاب إليك». مكثت وقتاً أطول قليلاً، ثم وصلت السيدة المقبلة من أكاشي، وتابعن جميعاً حديثهن الحميم. كان لدى السيدة موراساكي الكثير من الأمور التي تشغل ذهنها، ولكنها في حكمة لم تتحدث عنها البتة، وهي توشك على الرحيل. واقتصرت على ملاحظات قليلة هادئة حول الطابع العابر والزائل للحياة، ولكن الاقتناع في صوتها نقل حسنها خيراً من أي كلمات.

رأت الأمراء والأميرات الصغار أيضاً. وقالت: «أردت بشدة أن أعرف إلام سينتهي أمر كل منكم. هل تفترضون أن ذلك يعني أن شيئاً في أعماقي لا يزال يرغب في البقاء وقتاً أطول؟». كانت هناك دموع في عينيها. وتألق محياها بجمال فريد.

حدَّثت جلالة الامبراطورة نفسها: آه، لماذا هي واثقة للغاية هكذا؟ وبكت.

عندما اتخذ الحديث منعطفاً لاتحتاج ملاحظاتها فيه إلى أن تبدو موحية بنذر السوء، أتت على ذكر من خدموها جيداً على امتداد السنين ومن يستدرون الشفقة لأنهم ليس لهم

(1) النبلاء الذين كانوا قد صحبوا الامبراطورة يهتفون بأسمائهم.

مكان آخر يلجؤون إليه. وقالت: «تذكريهم بعد رحيلي!». وكان ذلك هو كل شيء، ثم عادت إلى الغرفة الخاصة بها، حيث كانت قراءة النصوص المقدسة الخاصة بجلالتها[1] ستبدأ عما قريب.

كان الأمير الثالث هو أكثر الأطفال جاذبية، وعندما أحست بأنها أفضل قليلاً للحظة، استدعته، وأجلسته إلى جوارها، وسألته فيما لم يكن هناك أحد آخر يستمع إليها: «هل ستتذكرني إذا لم يعد لي وجود هنا؟».

«سأفتقدك كثيراً، كثيراً. أنا أحبك، ياجدتي، أكثر من جلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة! وسأكون حزيناً جداً من دونك!». فرك دموعه بلطف بالغ ليزيلها عن عينيه، حتى إنها بكت وسط ابتساماتها.

«لابد أن تقيم هنا عندما تكبر، وينبغي أن تتأكد من الاستمتاع بشجرتي البرقوق الأحمر والكرز هنا، أمام هذا الجناح، عندما تكونان مزهرتين. ولابد من أن تقدِّم زهورهما قرابين إلى بوذا أيضاً، عندما تحين تلك الأوقات»[2].

مضى يحدِّق في محياها، وأومأ موافقاً في جلال، ثم نهض ومضى بعيداً، عندما بدا أنها توشك على البكاء، وكانت قد رعته هو وأميرتها بنفسها، وأحست بحزن بالغ لأنها لن تراهما بعد الآن.

بدا أنها تنتعش إلى حد ما عندما أقبل الخريف أخيراً، وغدا الطقس ألطف قليلاً، ولكن على الرغم من ذلك، فقد كانت أبعد ما تكون عن الصحة والعافية. ولم تكن ريح الخريف قد وصلت بعد إلى حد إيلامها[3]، ولكنها أمضت أياماً عديدة وسط الندى المتكاثف.

كانت جلالة الامبراطورة ستعود سريعاً إلى القصر، وقد أرادت أن تطلب منها البقاء وقتاً أطول قليلاً، ولكنها اعتقدت أن ذلك سيكون من قبيل الجرأة من جانبها، وبالإضافة إلى ذلك فإن دفقاً مربكاً من المبعوثين واصل القدوم من الامبراطور، وهكذا فإنها في النهاية

(1) ربما كانت القراءة الرسمية للدايهانايا - كيو التي كانت الامبراطورة ترعاها في لحظات محددة من العام.

(2) بصفة خاصة في الذكرى السنوية لوفاتها.

(3) إيزومي شيكو شو 132 (كذلك شيكاشو 109): «أي نوع من الريح تلك التي تهب في الخريف حتى لتخترقني بالحزن».

لـم تطلب ذلك علـى الإطلاق. ولما لم يكن بمقدورها الذهاب إلى الجناح الشـرقي، فقد أقبلـت جلالة الامبراطورة إليها. وقد كان هذا أمراً محرجاً للغاية، ولكنه كان سـيكون أمراً محزناً بالنسبة إليهما لو أنهما لم تلتقيا، وقد أمرت بإعداد غرفها خصيصاً لهذه المناسبة.

بدت نحيلة للغاية، ولكن رشـاقتها النبيلة بلا حدود اسـتمدت على وجه الدقة من هذه السمة الجديدة الرائعة، لأنه حيث كان الثراء المتدفق والتألق الوفير لمظهرها يحاكي روعة براعم الدنيا، فإن حسنها الآن كان جليلاً حقاً، والمناخ المفعم بالشجن المحيط بها- لأنها كانـت تعرف أن أوان رحيلهـا أصبح قريباً- كان أكثر مدعاة للحـزن ومؤثراً على نحو أكثر عمقاً من أي شيء في الدنيا.

عند الغسـق، كانت ريح كئيبة قد شـرعت في الهبوب، ومضت تسـتند إلى مسند ذراع، مطلة على الحديقة، عندما دلف جينجي، وقال: «لقد أفلحت في النهوض على نحو جميل للغاية اليوم! ويبدو أن زيارة جلالة الامبراطورة قد أفادتك كثيراً!».

أدركت بانزعاج إلى أي حد جعله انتعاشها البسيط سعيداً، وحزنت لتصوره عما قريب وقد استبد به اليأس:

«يا للحسرة، فلن تطول رؤيتك لما تراه الآن، وأي لفحة ريح

ستمحو عن فروع شجرة هاجي قطرة الندى الأخيرة المرتجفة»(1)

كان ذلـك صحيحاً، وقد ناسـبت صورها كل شـيء على نحو جيد، فمـا من قطرة ندى يمكن أن تبقى على مثل هذه الفروع المتأرجحة. وكانت هذ ه الخاطرة شـيئاً لا يُطاق. فرد فيما هو يحدِّق باتجاه الحديقة:

« عندما تكون الحياة ندى عند أي لمسة يتبدد قطرة فأخرى،

لشد ما أبتهل لكي نمضي أنا وأنت معاً!».

مسح دموعه من عينيه.

أضافت جلالة الامبراطورة:

(1) «لن أظل منتعشة طويلاً، فسرعان ما سأمضي مثل قطرة ندى». تتلاعب القصيدة بفعلين يُنطقان «أوكو» بمعنى «يقف» أو «ينهض» و«يستقر» في معرض الحديث عن الندى.

«في هذه الدنيا الزائلة حيث ما من قطرة ندى يمكن أن تبقى في ريح الخريف،

لماذا نتصور أنفسنا مختلفين عن الأعشاب المنحنية؟».

رسموا ملامح صورة رائعة فيما هم يتحدثون، صورة جديرة بالمشاهدة، ولكن هذه اللحظة ما كان يمكن أن تدوم، كما كان جينجي يعرف حق المعرفة، على الرغم من أنه تمنى لو تبقى ألف عام. وحزن لأنه ليس بمقدور شيء أن يستبقي من قُدِّر لها الرحيل.

«أرجو أن تتركيني، فأنا أشعر بأنني مريضة جداً، جداً. آه، أرجو أن تغتفري لي غلطتي الشديدة، مهما ساءت حالتي!»[1] جذبت ستارتها القائمة لتغدو أقرب إليها، ورقدت، وقد بدا جلياً أنها في خطر أعظم من أي وقت مضى.

«ماذا دهاك؟». أخذت جلالة الامبراطورة يدها، وراحت ترقبها باكية. بدت حقاً كما لو كانت قطرة ندى ستختفي سريعاً. وانطلق عدد لا يحصى من المبعوثين لإصدار الأمر بالمزيد من قراءات النصوص المقدسة. وقد كانت على مثل هذه الحال من قبل، وانتعشت مع ذلك، وأمضى جينجي، الذي تشكَّك في أن ذلك من عمل الروح، الليل يأمر باتخاذ كل إجراء ضد هذه الروح، ولكن بلا طائل، فقد ماتت مع إطلالة النهار.

اعتبرت جلالة الامبراطور أن من قبيل البركة الكبرى أنها لم تعد إلى القصر، وكانت حاضرة عند حلول النهاية. ولم يكن بمقدورها ولا بمقدور سمو الامبراطور الفخري المتقاعد تقبل هذا الفراق على أنه من النوعية التي يتوقعها المرء في الحياة، إذ كان فراقاً بالغ الغرابة وشديد المرارة ولا عجب أنهما شعرا بأنهما ضائعان في حلم يقظة. واستبد الحزن بهما كليهما، وحزنت كل النساء أيضاً.

كان القائد قد اقترب على نحو أكبر، ودعاه سمو الامبراطور الفخري المتقاعد الذي كان قد فقد، بالطبع، كل أثر لرباطة الجأش، إلى الاقتراب من ستائرها. وقال: «أعتقد أن كل شيء قد انتهى، وليس بمقدوري أن أرفض لها الآن في هذه الوضعية القصوى ما كانت قد أرادته بشدة كل تلك السنين. إنني أسمع أنه ما من رهبان أو معالجين أجلاء بقوا لقراءة النصوص المقدسة، ولكنهم لا يمكن أن يكونوا قد مضوا جميعاً. وأنا أعرف أن الأوان

---

(1) إنها تخاطب الامبراطورة.

قد فات بالنسبة لها في هذه الحياة الدنيا، ولكن أرجو أن تبلغهم بأن عليهم قص شعرها، لتحظى على الأقل برحمة بوذا على الطريق المظلم الممتد أمامها[1]. هل لا يزال هنا أي راهب يمكنه القيام بذلك؟». تجلَّد لكي يتحدث بشجاعة، ولكن محياه كذَّب طريقة حديثه، وتفهم القائد الذي هيمن عليه الحزن حق التفهم دموعه المنهمرة على نحو عاجز.

أشار القائد بقوله: «يبدو أن روحاً يمكنها القيام بهذا النوع من الأمور، وبصفة خاصة في وقت كهذا، إذا كانت تعتزم جعل أحد يعاني. وعلى أي حال قد يكون من المناسب القيام بما رغبت فيه. يقولون إن يوماً وليلة من التقشف سيكون لهما ثوابهما[2]. وعلى الرغم من ذلك فإنه لن ينير دربهما إلى العالم الآخر مجرد قص شعرها، إذا كانت قد رحلت، وسيكون النظر إليها أكثر إيلاماً فحسب، ولذا فإنني لست على يقين من أنني سأوصي بذلك». استدعى هذا الراهب وذاك من بين الرهبان الذين كانوا قد مضوا لإعداد عزلة الحداد، ورتب كل شيء آخر تمس الحاجة إليه.

لم يكن قد فكَّر فيها خلال تلك السنين بأي طريقة تستدعي اللوم، ولكنه سأل نفسه: متى سيُقَّدر لي أبداً أن أراها ثانية على نحو ما رأيتها آنذاك؟ لقد كنت على وعي دائماً بأنني لم أسمع صوتها قط، وأنا أعرف أن ذلك الصوت الآن ليس بالذي سيُقدَّر لي سماعه، ولكن هذه هي اللحظة، إذا كان يمكن أن تكون هناك لحظة أبداً، لإرضاء توقي هذا إلى إلقاء نظرة أخرى عليها، أو على الأقل على إهابها الفاني. وبكى بلا حياء حيال هذه الخاطرة. وفي غضون ذلك، مضت النساء في النحيب والنواح. «الزمن الهدوء!» هكذا صاح بهن، كأنما في معرض التوبيخ، وفي الوقت نفسه رفع الستار.

لم يكن بصيص نور الفجر من الوضوح بعد بحيث يتيح الرؤية، وكان أبوه قد وضع المصباح إلى جوارها، ورفع الفتيل عالياً. مضى يحدِّق في محيا كامل العذوبة والحسن،

---

(1) «الطريق المظلم» تعبير مستمد من سوترا اللوتس، ويرد في «إيزومي شيكيبو شو 150 (شويشو 1342)، من نظم إيزومي شيكيبو: «من الظلام يتعين عليَّ الآن المضي في طريق مظلم، تألق عليَّ من بعيد أيها القمر عند حافة الجبل».

(2) بحسب كانمو رايوجو - كيو، وهي سوترا مهمة عن أميدا، فإن يوماً واحداً وليلة يقضيان في الالتزام بالمبادئ المناسبة لمرتبة المرء (أي المبادئ المناسبة لرجل عادي، إذا كان المرء كذلك.. إلخ) يمكن أن يفضيا إلى الميلاد في الفردوس.

وقد استغرق تمام الاستغراق بحيث إنه عندما نظر ابنه إلى الداخل بدا أنه حتى لم يفكر في إسدال الستار عليها. قال: «ها هي ذي، تماماً كما كانت دوماً، ولكن بمقدورك القول إن كل شيء قد انتهى». ضغط كماً على وجهه، في حين كان القائد الذي أعتمت الدموع عينيه يطرف بقوة لينظر وقتاً أطول، على الرغم من أن حزنه الجارف قد جعل ذلك صعباً بالتأكيد. كان شعرها الرائع مسترسلاً إلى جوارها، وكل خصلة في موضعها متألقة بألطف بريق. وفي وهج المصباح تألق محياها شديد البياض. وإذ تمددت بهذه الطريقة في كل براءة حالتها، بدت أكثر كمالاً مما كانت عليه، وهي على قيد الحياة، عندما كانت تحتجب في حرص بالغ عن العيون. وإذ تأمل القائد كمالها، تاق إلى أن تعود روحها من رحاب الموت إلى جسدها، ولكن لم يكن هناك أمل في ذلك.

كانت الوصيفات اللواتي خدمنها طويلاً للغاية أبعد ما يكن عن جعل أنفسهن مفيدات، ومن هنا فقد اضطر سمو الأمبراطور الفخري المتقاعد إلى استجماع شتات ذهنه للقيام على كل الترتيبات النهائية. ولم يكن أي من الأحزان الكثيرة التي عرفها في الماضي قد استغرقه تماماً على هذا النحو. وحدَّث نفسه بأنه لم تكن هناك في الماضي سيدة كهذه، ولن يكون لها مثيل مجدداً.

شُيِّعت الجنازة في ذلك اليوم نفسه، وقد حظر عليه العرف الصارم في هذه الدنيا القاسية أن يتأمل شرنقتها المنحاة للأبد[1]، وازدحم المعزون في الحقل المترامي إلى البعيد، ومضت الطقوس الأخيرة قدماً بأعظم قدر من البهاء، ولكن دخانها الهزيل المرتفع نحو السماء على نحو يثير الإشفاق، على أنه ليس بالمشهد غير المألوف، ظل مخيباً للآمال على نحو قاس. وبكى أكثر من شاهدوا سمو الامبراطور الفخري المتقاعد تدنياً وجهلاً لرؤية مثل هذا النبيل العظيم وقد استند إلى الآخرين كأنما كان يحسب أنه يخطو في الخواء. وأحست الوصيفات الحاضرات بأنهن ضائعات في كابوس، واستشعر مرافقوهن القلق من أنهن في غمار تقلبهن مضطربات قد يسقطن من عرباتهن. وتذكَّر جينجي ذلك الفجر منذ كل تلك السنين البعيدة عندما ماتت أم القائد، وأدرك أنه لابد كان مستجمعاً زمام نفسه

(1) كوكينشو 831، من نظم شوين (مرثية لفوجيوارا نوموتوتسوني): «أما عن زيز الحصاد، فإن المرء يجد العزاء في التحديق في شرنقتها المنحاة، ولكن ذلك الدخان يمكن على الأقل أن يرتفع من جبل فوكا كوسا!».

آنذاك، حيث إنه تذكر في وضوح قمراً متألقاً، بينما هو في هذا المساء غارق في الظلام.

كانت قد ماتت في اليوم الرابع عشر، والآن هو ذا فجر اليوم الخامس عشر يطل، وعلت شمس تخطف الأبصار فوق حقول ندية، وبدت الحياة بالنسبة لجينجي مقيتة أكثر من أي وقت مضى. لقد قُدِّر له البقاء بعدها، ولكن حتى متى؟ مضى يفكر في السماح لهذه المأساة بإقناعه بالتحرك لتحقيق رغبته التي طالما طوى جوانحه عليها، ولكن الناس سيتقوَّلون عليه لكونه خائر العزم، وأقنعه ذلك بأن يتحمل وقتاً أطول، وذلك على الرغم من أنه لم يكن بمقدوره أن يتحمل الألم الخانق.

مكث القائد، الذي مضى إلى عزلة الحداد معه، إلى جانبه ليلاً ونهاراً، ولم يمض إلى داره قط. فقد جعلته الشفقة على يأس أبيه الجلي والطبيعي يرغب في القيام بكل ما يستطيعه لإدخال العزاء على نفسه.

في وقت مبكر من إحدى الأمسيات، عندما مضت ريح عاصفة تهب، عاد القائد بتفكيره إلى الماضي، واستعاد في حنين ذكرى تلك اللمحة العابرة منها. وراح يتأمل لحظاتها الأخيرة الشبيهة بالحلم كذلك، ولذا فإنه لكي لا يفصح في جلاء عن حزنه أخفى حبات دمعه، بتمرير حبات مسبحته مع نداء أميدا:

«في غمار الحنين بإعزاز بالغ إلى غسق خريفي قبل سنوات عديدة،

رأيت النهاية تحل أخيراً في حلم قاس عند الفجر».

حلم بقي في ذاكرة ممرورة. استدعى رهباناً أجلاء لترديد الاسم، بالطبع، ولكن كذلك ليقرؤوا سوترا اللوتس، وأثَّر فيه الأمران كلاهما بعمق.

لم تجف دموع جينجي في يقظته أو منامه، وأمضى أيامه ولياليه يتخبط في ضباب، ومضى يتأمل، مستعيداً حياته.لقد أكّد لي كل شيء، بداية بمحياي في المرآة، أنني لا أشبه أي شخص آخر، ومع ذلك فقد شجعني بوذا حتى في طفولتي على فهم حزن الحياة وطابعها الغادر، وقد تحملت هذه الأحزان بشجاعة، وحتى الآن فإنني أعاني حزناً لم أعرفه من قبل ولن أعرفه مجدداً. وما من شيء في هذه الدنيا يهمني الآن، وما من شيء يحول بيني وبين العبادة المخلصة، ولكن هذا اليأس يمكن أن يجعل دربي المختار صعباً في سلوكه. وفي

غمار اضطرابه مضى يبتهل لأميدا: «أتوسل إليك، اسمح لي بنسيان بعض ألمي!».

توافدت رسائل العزاء من أماكن كثيرة، وبصفة خاصة من القصر، وليس من أجل مراعاة المظاهر فحسب، لأنها جاءت مطولة وسريعة، ورفض جينجي بإصرار أن يقرأها أو يستمع إلى فحواها، حتى لايجرح شيء فيها فؤاده أكثر مما يطيق احتماله. غير أنه لم يرغب في الظهور بمظهر الضعيف، وأبى أن يُقال عنه إنه نبذ الدنيا أخيراً في غمار نوبة من بؤس ذهن واهن، وهكذا فقد أضاف إلى وقره من الحزن عذاب عدم اتباع ما يدعوه إليه فؤاده.

بعث معالي المستشار المتقاعد بالعديد من الرسائل، إذ كان سريعاً كعهده في إبداء التعاطف، وبما أنه أحس بحزن غامر لفقدان سيدة لا نظير لها في الدنيا. وتذكر في هدأة غسق خريفي أن هذا الموسم هو الموسم الذي ماتت فيه أم القائد، وراح يفكِّر حزيناً في أن معظم من لزموا الحداد عليها آنذاك قد رحلوا هم أنفسهم الآن. لا، ما من أحد يعرف في هذه الدنيا من سيرحل ومن سيبقى. ودفعه مشهد السماء المؤثر إلى أن يجعل ابنه الملازم الحاجب يحمل إلى جينجي رسالة مؤثرة للغاية، كتب في هامشها يقول:

«يحتفظ الخريف لي بالحضور الحي الذي كان له منذ عهد بعيد،

والأكمام التي بللتها آنذاك تبتل بندى جديد».

رد جينجي قائلاً:

«قطرات الندى البعيدة وتلك التي استقرت أخيراً واحدة بالنسبة لي

فكل ليلة خريفية، تجلب الحزن المرير ذاته».

وأضاف، حفاظاً على المظاهر، الشكر على رسائل التعاطف الرقيقة العديدة، لأنه إذا أطلق لنفسه العنان في التعبير عن حزنه، فإن معالي المستشار المتقاعد، بحكم هويته، كان سيستشف من رسالته مدى محدودية ما بقي له من شجاعة.

عكست الملابس التي يرتديها ظلاً أكثر قتاماً مما كانت عليه الحال عندما تحدَّث عن «الرمادي الفاتح»[1]. ومن سوء الطالع أن البعض ممن أوتوا ثروة ونجاحاً طيبين قد أثاروا الحسد، وصلف العظام قد يسبب الكثير من المعاناة، ولكنها كانت لديها قدرة مدهشة على

(1) في قصيدة ترد في فصل «قلباً لقلب»، يعني تعبير ظله الأكثر قتاماً الحداد الأكثر عمقاً.

أن تجتـذب حتى من كانوا بعيدين عنها، وألهمت أصغر أعمالها مديحاً واسـع النطاق لها. وبكى الناس العاديون تماماً الذين ليس لديهم سبب حقيقي يدفعهم للحداد عليها في تلك الأيام لسماع تنهد الريح أو شدو الزيزان، وكل من عرفوها قليلاً لم يكن هناك شيء يدخل العزاء على أنفسـهم. وحزنت النسـاء الملحقات بخدمتها على نحو مرير، لأنهن قُدِّر لهن العيش من بعدها على الإطلاق. وعقدن العزم على أن يصبحن راهبات ويقمن في الجبال بعيداً عن متاعب هذه الدنيا.

جاءت رسائل مؤثرة كذلك من امبراطورة نيافته ريزاي[1]، التي أعربت عن حزنها الذي لا نهاية له:

«ألم تكنّ حباً للسبخات الذاوية حتى لترحل بلا رغبة

في إصرار فؤادها على كل ما يشيد بالخريف؟»

هكذا كتبت تقول، وأضافت: «الآن أتفهم أخيراً».

حتى جينجي، الذي كان كل شـيء معتماً في ناظريه، وجد نفسـه عاجزاً مراراً عن تنحية رسـالتها جانبـاً. وحدَّث نفسـه قائلاً: هي وحدهـا تملـك اللماحية والرقة لتشـكل مصدراً للعـزاء. وواصل التفكير فيها، شـاعراً بأنه في حال أفضـل قليلاً، بينما أبقى دفق من الدموع كمه ملصقاً بعينيه. ولم يستطع الكتابة لبعض الوقت.

«أنت يا من سموت عالياً إلى السماء، أطلي عليَّ

أمسكت بي حياة زائلة مقيتة في سنوات خريفي».

حتى بعد أن لف الرسالة، مضى يحدِّق لبعض الوقت شارداً فيما أمامه.

لـم تكـن أفـكاره منتظمة، وحتى هـو كان يعرف أنه حائـر تماماً فيما يتعلـق بالعديد من الأمور. ولهذا السـبب فقد سـعى إلى التخفيف عن نفسـه وسـط النسـوة. وكان قد احتفظ بعـدد قليل منهن أمـام المذبح معه فيما هو يواصل ابتهالاته. ألـف عام معها. كان ذلك هو ما أراده، وكان الفراق الذي لا يتجنبه أحد ضربة سـاحقة. الآن ثار في نفسـه تطلع خالص ودائم إلى النظر إلى الحياة المقبلة فحسب، لكي لا يشتته شيء عن فردوس ندى اللوتس،

(1) أكيكونومو.

ولكنه لسوء الطالع كان لا يزال يخشى ما قد يميل الناس إلى التقول به عنه.

لـم يكـن قد قال شـيئاً بالغ الوضوح عن الطقـوس التذكارية، ومن هنا فقـد تولى القائد المسـؤولية عن ذلك كله. وراح يتسـاءل مراراً عما إذا كان سـيجتاز هذه المرحلة العصيبة، ولكـن الأيـام والشـهور مـرت على نحـو من الأنحـاء، وأحس كمـا لو كان يحلـم خلالها جميعها.

لم تنسها جلالة الامبراطورة قط، شأن الآخرين، لأنها أحبتها بدورها.

41

مابوروشي

العرَّاف

تعني مابوروشي عرافاً، أو ساحراً، يرتحل بين هذه الدنيا والعالم الآخر. وقد منحت هذه الكلمة الفصل عنوانه، بسبب وجودها في قصيدة جينجي:

«آه، أيها العراف الذي يجوب رحابة السماوات،

امض واعثر لي على روح أسعى وراءها بلا طائل حتى عندما يصادفني الحلم».

الصلة بالفصول السابقة

تبـدأ أحداث «العرّاف» في الشـهر الأول من العـام الذي أعقب نهاية أحداث «الشـرعة»، وتصل إلى الشهر الثاني عشر من ذلك العام.

الشخوص

سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، جينجي، 52 عاماً.

معالي وزير الحرب، أخ لجينجي (هوتارو هايوبوكايو نو ميا).

تشوجو، وصيفة في خدمة جينجي.

تشوناجون، وصيفة في خدمة جينجي.

سمو الأمير الثالث، 6 أعوام (نيئو).

سمو الأميرة المترهبنة، 26 إلى 27 عاماً (أونا سان نوميا).

السيدة المقبلة من أكاشي، 43 عاماً (أكاشي نوكيمي).

سيدة الصيف (هانا تشيرو ساتو).

القائد، 31 عاماً، (يوجيري).

الكاهن القائم بالخدمة في مجمع الأسماء المقدسة.

لم يزده ضياء الربيع إلا تردياً في الظلام، وأحس في قرارة نفسه كأنه لن يعرف الخلاص من حزنه البتة. وفي الخارج أقبل الناس مجتمعين إلى داره كالمعتاد[1]، لكنه تعلل بالمرض لكي يبقى محتجباً وراء ستائره. وعندما وصل معالي وزير الحرب، بعث أخيراً رسالة بأنه سيستقبل زائره في مجلس خاص.

«هذه الدار بيتي، غير أنه ما من أحد هنا يعشق البراعم،

ما الذي اجتذب الربيع للقدوم مثلما فعل آنذاك؟».

انسالت الدموع من عيني معاليه:

«لهذا العبق جئت، له وحده. أكان ذلك عبثاً؟أتود أن تشير

إلى أنه ما من شيء اجتذبني عدا رائحة البراعم المألوفة؟»[2]

راح جينجي يرقب قوامه الرشيق تحت براعم شجرة البرقوق الأحمر، وساوره الشك في أن أي شخص آخر سيستمتع بها على الوجه المناسب. كانت توشك على بدء التفتح فحسب وجميلة كأقصى ما يمكن أن تكون. ولم تكن هناك موسيقى هذا العام، وكانت أمور كثيرة أخرى مختلفة أيضاً.

ارتدت الوصيفات اللواتي عملن طويلاً في خدمتها ثياباً رمادية قاتمة، والتزمن الحداد عليها بإخلاص، حتى إنه لم يكن هناك ما يدخل العزاء على أنفسهن. وكان مصدر العزاء الوحيد لديهن هو وجود جينجي المستمر، ذلك أنه لم يذهب قط لزيارة السيدات الأخريات والتمتع برعايتهن المألوفة له. ومن كُن قد لفتن نظره أحياناً، على الرغم من أن ذلك كان من دون أي شعور بالغ بالارتباط من جانبه، عاملهن الآن كالبقية فحسب، إذ كان يقضي لياليه الكئيبة وحيداً. وعندما كانت المناوبات يتجمعن حوله، كان يبقيهن بعيدات عن مرقده.

لتزجية الوقت غالباً ما كان يناقش الماضي معهن. في غمار تذكره من أعماق عزلته الراهنة كيف أن علاقات لم يخطر بباله أنها ستدوم، بعضها مسل وبعضها الآخر مؤلم بشكل حقيقي، وضعتها في حال من الضيق، راح يتساءل عن السر في أنه كان قاسياً على

(1) لزياراتهم الرسمية بمناسبة العام الجديد. جينجي موجود في روكوجو.

(2) «الربيع» في قصيدة جينجي يشير إلى هوتارو و«العبق» في قصيدة هوتارو يشير إلى جينجي. ويأخذ هوتارو قصيدة جينجي على أنها بمثابة رفض له.

هذه الشاكلة، وأحس بقلبه ينفطر حزناً، واستبدَّ به الأسف لأنه ضايقها. وفي إطار حكمتها كانت قد استشفت كل ما هو بصدده تماماً، ولكنها على الرغم من ذلك لم تنقلب عليه، مع أنها كانت تقلق في كل مرة حول ما ستصير إليه حالها. وفي بعض الأحيان كانت النسوة اللواتي عرفن ما كانت عليه الأمور واللواتي كن لايزلن مقربات إليه يشرن في خفة إلى الموضوع.

لم تكن قد ألمحت أدنى تلميح إلى مشاعرها، حتى عندما جاءت سمو الأميرة المترهبنة لأول مرة، وذلك على الرغم من أنه أدرك حزيناً في لحظات معينة كم كانت مجروحة. كانت الذكرى الأكثر توهجاً هي المتعلقة بذلك الفجر الجليدي عندما وقف منتظراً، متجمداً برداً،إلى أن أُفعمت السماء تهديداً واستقبلته في الداخل بعذوبة ودفء، وأخفت في غضون ذلك أكماماً بللها الدمع، وأخفت في حرص الحالة التي كانت عليها. وأمضى الليلة متسائلاً حتى في أحلامه في أي حياة مقبلة سيُقدر له أن يلتقيها مجدداً. وأحس كما لو كان يعيش مجدداً تلك اللحظة عندما أطل الفجر، وسمع وصيفة تقول وهي في طريق عودتها إلى غرفتها: «انظروا إلى كل هذا الثلج!».

وسبَّب له غيابها من جواره ألماً يستعصي على الوصف:

«بينما أتوق إلى الذوبان من هذه الدنيا الأليمة مثلما سيذوب هذا الثلج قريباً

ما أغرب البقاء لأراه يتساقط من جديد!».

طلب ماء الاغتسال، واستغرق في ابتهالاته، على نحو ما فعل غالباً لطرد مثل هذ الخواطر، فجددَّت النسوة الجمرات، وقدمن له المبخرة. ومكثت معه تشوناجون وتشوجو[1] لتجاذب أطراف الحديث.

قال: «كانت البارحة مفعمة بالشعور بالوحدة. وكان ينبغي أن أكون الآن قد تبينت جلية الأمر كله، ولكن لا، هذه الحياة لا تزال تجعلني أسيراً لها». مضى يحدِّق في شرود في الفضاء، ثم نظر إليهما، وتخيل حزيناً كم ستكونان أكثر شعوراً بالوحشة لو أنه تخلى عنهما بدوره. كان يمكن لصوته وهو عاكف على ابتهالاته، مرتلاً سوترا في سكينة، أن يؤثر في

(1) ظهرتا كتلاهما من قبل (بافتراض أنهما المرأتان نفساهما) باعتبارهما أثيرتين لدى جينجي. وربما كانتا «من لفتتا نظره أحياناً، على الرغم من أن ذلك من دون أي شعور بالغ بالارتباط من جانبه».

أي شـخص حتى ليدفعه إلى البكاء، وهاته النسوة اللواتي كن معه ليلاً ونهاراً، واللواتي لم تستطع أكمامهن، احتمال فيض دموعهن[1] شعرن، بالطبع، بحزن لاحدود له.

«قليـل للغاية في هذه الحياة؟ أرضانـي حقاً، وعلى الرغم من كرم محتدي فإني أحدِّث نفسي على الدوام كم كان قدري أقل سعداً من قدر الآخرين. لابد أن بوذا أرادني أن أعرف أن الدنيـا تنزلـق مـن أيدينا وتغرِّر بنا، وأنا الـذي طالما أصررت على تجاهـل هذه الحقيقة عانيـت فـي غسـق حياتـي من ضربـة فظيعة للغايـة ونهائيـة حتى أدركـت في النهاية شـدة قصـوري، ولكـن في حين لم يعـد اتصال يربطنا فسـيكون حزناً جديـداً أن أترككما ورائي فيمـا معرفتـي بكما الآن أفضل من ذي قبل. إن صلات كصلاتنا هشـة. آه، إنني أعرف أنني لاينبغـي أن تكون مشـاعري على هذا النحو!». جفَّف عينيـه ليحجب دموعه، ولكنه أخفق في ذلك، وسالت سريعاً، وبالطبع كانت المرأتان اللتان ترقبانه أقل قدرة على منع نفسيهما مـن الانخراط فـي البكاء. وأرادت كل منهمـا أن تبلغه كم تعلقان الآمـال على ألا يتركهما يوماً، ولكن الحديث خذلهما، ولم تملكا إلا النحيب.

هكذا فإنه في صمت الفجر، بعد ليل أمضاه يقظاً يتنهد، أو في الغسـق السـاكن بعد يوم خاو، كان غالباً ما يقضي الوقت في حوار حميم مع هاتين المرأتين، اللتين بدتا له أكثر من المعتاد جديرتين بالتقدير. وكانت المدعوة تشـوجو مقربة منه للغاية منذ يفاعتها إلى درجة أنه ما كان يمكن إلا أن يسـتمتع بها سـراً، وربما كان ذلك هو السـر في أنها قد ابتعدت في حرص عنه، ولكنه بعد موت السيدة موراساكي تذكَّر كيف أنها أحبته بصفة خاصة، وهكذا فإنه أصبح هو نفسه مولعاً بها، وإن لم يكن على ذلك النحو، ولكن لا لشيء إلا لأنها ذكَّرته بها. وقد ذكَّره مظهر تشـوجو وطبيعتها بشجرة صنوبر صغيرة[2]، وفي ظل الظروف الراهنة اعتقد أنها أكثر مهارة مما كان حرياً به أن يعتقد في غير هذا الوضع.

لـم يقابل أحـداً لاتربطه به صلة وثيقة بالفعل، وغالباً ما جـاء لزيارته كبار النبلاء، الذين

---

(1) حرفياً «لم يستطع سد أكمامهن احتواء دموعهن»، ربما من شويشو 876، من نظم كي نو تسورايكوي: «آه، يا نهر الدموع، تتدفق مياهك مسرعة للغاية من نبعها حتى إن سد أكمامي لا يمكنه أن يحتويها».

(2) ربما يعني هذا أنها قد ذكَّرته بموراساكي. ومعنى التعبير الأصلي (أونا يماتسو) غير مؤكد. ذلك أن «أوناي» تعني الشعر القصير لدى طفل، و«أوناي ماتسو» قد تكون شجرة صنوبر صغيرة تنمو، ولكن شرحاً مبكراً يشير إلى بيت من الشعر الصيني ليوحي بأن «أوناي ماتسو» تنمو فوق قبر، يُفترض أنه قبر موراساكي في هذه الحالة.

يعرفهم معرفة وثيقة أو إخوته الأمراء، ولكنه نادراً ما استقبلهم، إذ قال لنفسه: «ربما أبذل قصارى جهدي للحفاظ على رباطة جأشي فيما أنا مع الآخرين، ولكنني كنت حائراً على امتداد شهور، لابد أنني غريب الأطوار من بعض الوجوه. ولسوف يتقولون على ذلك كثيراً في وقت لاحق، وأنا لست أريد ذلك. وأحسب أن الأمر سيان إذا كان الناس يقولون إنني أكثر حزناً من أن أرى أحداً، ولكنه سيظل أسوأ كثيراً أن أظهر غرابة أطواري مقارنة بأن يتم الثرثرة عنها وتخيلها. وقد تحدَّث حتى مع القائد عبر الستائر الحاجبة فحسب. وعلى الرغم من ذلك فقد تمالك نفسه، فهو لن يتعجل الأمور الآن، فيما قد يحدِّث الناس بعضهم بعضاً بأنه لم يعد الرجل الذي كان. لم يكن بمقدوره بعد أن يدير ظهره لأحزان هذه الدنيا. وكان من شأن زيارة قصيرة نادرة لإحدى سيداته أن تستدعي مطراً من الدموع شديد الغزارة بالنسبة له، فترك الأيام تمضي من دون أن يرسل لأي منهما[1] كلمة.

عادت جلالة الامبراطورة إلى القصر، تاركة الأمير الثالث ليمنح جينجي ما يستطيعه من عزاء. وقد اعتنى الصبي الصغير بحرص بالغ بشجرة البرقوق الأحمر المنتصبة أمام الجناح[2]. قال: «قالت لي جدتي أن أفعل ذلك». واعتقد جينجي أن ذلك أمر مؤثر للغاية. في الشهر الثاني، عندما حجبت الغمامة على نحو جميل الأشجار المزهرة والأخرى التي لم تبرعم بعد، وظهرت هازجة في شجرة البرقوق الأحمر الأثيرة تلك، مغردة على نحو رائع، ومضى جينجي لمشاهدتها.

«كيف تشدو الهازجة، كأنما لم يتغير شيء، هناك وسط الزهور،

في الشجرة التي غرستها آنذاك، حتى عندما لم يعد لها وجود».

هكذا مضى يكرِّر لنفسه خلال ذهابه.

كلما أوغل الموسم في مسيرته عبر الربيع، بدت الحديقة على نحو ما كانت آنذاك[3]، لكن ذلك لم يمنحه سروراً، بل على العكس كان مثيراً للانزعاج، وأثارت أمور عديدة الشجن في فؤاده بحيث إنه لم يتق إلا إلى جبال نائية كعالم آخر، حيث لن يغرد طائر

---

(1) أكاشي أو هانا تشيرو ساتو.

(2) عند مسكن موراساكي في نيجو.

(3) يبدو المشهد الآن في روكوجو.

آخر البتة[1]. استدعت ورود الكيريا المتفتحة في وفرة بهيجة إلى عينيه اندفاعة مفاجئة من الندى فحسب.

في أماكن أخرى، سقطت براعم الكرز أحادية البتلات، وذوت البراعم مزدوجة البتلات، وأزهرت أشجار الكرز الجبلية، وتلوَّنت أشجار الوستارية، ولكنها هي كانت تعرف بالضبط أي الأزهار تتفتح مبكرة وأيها تتفتح متأخرة، وغرستها وفقاً لهذا من أجل ألوانها العديدة، بحيث إنها في حديقتها أعطت حسنها بالغ الثراء في أوانها.

أعلن الأمير الصغير بفخر بالغ: «هناك زهور على شجرة كرزي! لن أدعها تسقط أبداً، لابد من أن نضع ستارة حولها من كل الجوانب، وبتلك الطريقة فإن الريح لن تصل إليها!».

جعل المظهر اللطيف لمحياه جينجي يبتسم. وقال: «تلك فكرة أفضل كثيراً من محاولة العثور على شخص له أكمام واسعة بما فيه الكفاية بحيث تغطي السماء»[2]. كان سمو الأمير بهجته الوحيدة حقاً.

«ليس أمامي الكثير من الزمن لأقضيه معك». قالها، وكما هي الحال غالباً، انهمرت الدموع من عينيه». «ربما تمتد الحياة بالنسبة لي قليلاً بعد ذلك، ولكنني لن يكون بمقدوري أن أراك بعد ذلك».

لم يحب سمو الأمير هذا على الإطلاق. «قالت جدتي أشياء كهذه. من سوء الحظ الحديث هكذا». خفض رأسه، وتلاعب بكميه ليخفي دموعه.

انحنى جينجي على الحاجز خارج الغرفة الركنية[3]. ومضى يحدِّق في حزن إلى الحديقة، ثم مجدداً عبر الستائر الحاجبة. كان بعض النسوة لايزلن يرتدين ملابس رمادية إقراراً بخسارتهن، بينما ارتدت أخريات ملابس ذات ألوان عادية، على الرغم من أن

---

(1) كوكينشو 535: «ليتها تدرك عمق حبي، العميق كرحابة الجبل حيث لا يغرد طائر».

(2) جوسينشو 64: «كم أتوق إلى أكمام واسعة بما يكفي لتغطية السماء حتى أحمي من الريح الزهور التي تتفتح في الربيع!».

(3) ربما الركن الجنوبي الغربي من الجناح الشرقي في الربع الجنوبي الشرقي في روكوجو، حيث أقام مع موراساكي، غير أن بعض الشراح يذهبون إلى أن المشهد في نيجو.

أرديتهـن لـم تكن ذات ألوان متألقة. وكان جينجي نفسـه يرتدي عباءة رسـمية ملونة، لكن لونهـا كان بصـورة مقصودة محايـداً وحريصاً. وأُثثت الغرفة ببسـاطة بالغـة حقاً، وأوحت بشعور هادئ وخاو على نحو حزين.

«الآن وقد آن الأوان، هل لابد لي أن أسلم للدمار ما كانت الراحلة تحبه من كل قلبها بصفة خاصة، سورها المتألق بأزهار الربيع؟».

ملأه قراره بالحزن.

مضـى، لكي يُزجي الوقت، لزيارة سـمو الأميرة المترهبنـة. حملت مربية الأمير الثالث إلى هناك معها، وانطلق يعدو في أرجاء المكان مع ابن سـموها الصغير بروح الطفل الذي كان، ولـم يكن خوفه على البراعم قد تعمَّق كثيراً في فؤاده. وكانت سموها تردد نصاً مقدساً أمام المذبح.

لم يكن هناك ما هو عميق فيما يتعلق بتطلعها الروحي، ولكن مرارتها حيال الدنيا لم تثر انزعاجها قط، وتابعت ابتهالاتها في سلام لا يعرف التشتت. وحسدها جينجي على عزلتها الصامدة، واستنكر إخفاقه في الوصول إلى ورع المرأة على هذا القدر من السطحية.

سقط سنا الشمس الغاربة على الزهور الموضوعة على رف الماء المقدس. أشار بقوله: «لـم تعد الزهـور تؤثر فيَّ، الآن فيما لم تعـد هي التي أحبت الربيع كثيـراً هنا، ولكنها تبدو بهيجة عندما تقدم إلى بوذا». وواصل حديثه: «على الرغم من ذلك، فإنني لم أر شـيئاً مثل ورود الكبريـا أمـام الجناح، باقات الزهور كبيرة جداً! ومن الجلي أنها لاتدعي أنها منسـقة بصورة جيدة، ولكن ثراءها وتألقها بهيجان! وعلى الرغم من ذلك فإنه أمر محزن كيف أنها يبدو أنها لا تعرف أنه في هذا الربيع لم يعد هناك وجود للسـيدة التي غرسـتها، وهي تتفتح على نحو أكثر روعة من أي وقت مضى فحسب.

ردت مـن دون أن تقصـد بقولهـا شـيئاً علـى وجـه التحديـد: «واد بعيـد للغايـة عـن الربيع»[1].

---

(1) كوكينشو 967، من نظم كيوارا نو فوكايابو: «في واد يخلو من الضياء بعيد للغاية عن الربيع، ليس هناك حزن على الزهور التي لا تتفتح إلا لتتساقط». يبدو أن أونا سان نو ميا تعني «واد يخلو من الضياء» كإيماءة متواضعة لنفسها. غير أنها لم تأخذ باقي القصيدة في الاعتبار، وجينجي يستبد به الضيق لأن ذلك يفترض ضمناً أن موت موراساكي

أحس جينجي بالضيق. كان يمكن أن تفكِّر في شيء آخر! ما من شيء قالته هي أو فعلته جعلني أتمنى أن يكون خلاف ما صدر عنها، حتى في أشياء صغيرة من هذا القبيل! مضى يفكِّر فيما كانت عليه منذ الطفولة. لا، لم يستطع تذكر أي شيء، أي شيء على الإطلاق. وبدلاً من ذلك وجد نفسه يركز على لحظات لا حصر لها تؤكد لماحيتها، حكمتها وجاذبيتها، وعلى كل الأشياء التي قالتها وفعلتها، إلى أن غلبه ضعفه إزاء الدموع، فمضى يبكي على حين غرة.

كان الغسق جميلاً للغاية، عبر الغمامات التي حجبت الآماد، فمضى مباشرة لزيارة السيدة المقبلة من أكاشي. ولم تكن تتوقع مقدمه، إذ إنه لم يطل عليها منذ وقت طويل، ومن ثم كان وصوله مفاجأة، ولكنها عندما استقبلته برباط جأش ورشاقة تامتين، أدرك كم أنها لا تزال متميزة. وحدَّث نفسه: لا «فرضت المقارنة نفسها عليه» لقد كانت هي مختلفة، كان لها نطاق آخر من المواهب والمنجزات، وجعله الحنين إليها حزيناً للغاية إلى حد أنه لم يعرف كيف يسعى إلى إدخال العزاء على نفسه.

مكث هناك في هدوء ليتحدث عن الماضي. قال: «أدركت منذ زمن بعيد أنها ليست فكرة جيدة على الإطلاق أن يعلق المرء فؤاده بأي شخص، وعموماً فقد قمت بكل ما في وسعي لتجنب الارتباط بأي شيء في الدنيا، وفي حقيقة الأمر فإن إمعان التفكير في الأمور خلال تلك السنين التي افترض فيها الناس أنني قُدِّر لي أن يطويني النسيان جعلني أدرك أن ما من شيء يمنعني حقاً من تكريس حياتي للتجوال في أبعد الجبال والسهول. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في النهاية حتى الآن فيما أواني يحين، فإنني لا أزال مرتبطاً بصلات ينبغي لي النأي عنها على الوجه اللائق. إنه أمر يثير الجنون أن يكون المرء مخلوع الفؤاد هكذا!».

لم يعرب عن شكواه من أن حزنه كله له سبب واحد، ولكنها أدركت بانزعاج شعوره، وتعاطفت معه. وقالت: «لديَّ الانطباع بأنه حتى شخص يحسبه لا يندم على شيء لا يزال في قرارة فؤاده يقيِّده الكثير من الصلات والروابط، ومن المؤكد أنني لا أستطيع أن أفهم كيف يمكنك أنت من بين كل الناس أن تتخلى عن الدنيا بهذه السرعة. ومن شأن خطوة

يتركها وقد غمرتها اللامبالاة.

تقطـع بدافـع اللحظة علـى ذلك الـدرب أن تثير اللوم فحسـب لكونها أسـيء تدبر أمرها، ويتبيـن أنهـا غلطة فـي نهاية المطاف، وهكذا فإن تمهلك في حسـم الأمر يبـدو لي أنه يعد بسلام أكثر عمقاً في نهاية المطاف. وقدوة الماضي تشير إلى أنها ليست بالفكرة الجيدة أن يتصرف المرء بدافع من اسـتياء يعود إلى خيبة أمل أو صدمة فحسـب. وسـوف تكون أكثر سـعادة وتحس براحة بال أكبر، إذا اسـتمررت على نحو ما أنت عليه الآن إلى أن ترى سمو الأمـراء والأميرات يكبـرون ويصلون إلى وضـع ركين يتجاوز أي تحد»[1]. بدت وسـيمة للغاية وهي تقدم نصيحتها الحكيمة.

ردَّ قائـلًا: «لكـن مثل هذه الهـوة من الحـذر سـتكـون أقل جـدارة بالانطلاق إليها من التعجل السطحي». ومضى في الحديث عن أمور شغلت باله طويلاً. في ذلك الربيع، عندما رحلت نيافتها المترهبنة، تمنيت حقاً أن تكون البراعم عطوفة[2]. كانت جديرة بالإعجاب. كمـا يقـر بذلك الجميع، ولما كنـت عرفتها منذ كنت صبياً، فقد أحسسـت بفقدها أكثر من معظـم النـاس، من دون أن يرجع ذلك إلى أنني حزنت عليها وأى شـيء يتجاوز الأسـباب العامة تماماً. وإذا كانت هي بدورها لا تزال تعني بالنسبة لي أكثر مما يمكنني نسيانه بعد كل هذه السـنين العديـدة، فإن ذلـك لايعنـي أنني أفتقد فحسـب ما كانـت لي في وقت لاحق، ففي نهاية المطاف ربيتها منذ الطفولة، وقد تقدم بنا العمر سوياً، والآن وقد غادرتني فليس بمقـدوري احتمـال حزن تذكـر الأمر كله والاسـتعادة التي لاتنتهي لذكرى مـا كان كل منا بالنسـبة للآخر. يعود إليَّ كل شـيء يتعلق بها أثر فيَّ. أو حرَّك مشاعري، أو منحني البهجة، في دفق غامر من الذكريات». وبعد الحديث عن الأمور قديمها وجديدها معها حتى وقت متأخـر مـن الليـل، أحس بأنـه ينبغي أن يبقـى حتى الصبـاح، ولكنه عاد علـى أي حال إلى الجانب الجنوبي الشـرقي، الأمر الذي لابد أنه أثَّر فيها وأحزنها. وحتى هو أدهشـه أن يجد نفسه على تلك الحال.

عـاد إلـى ابتهالاته، وفـي منتصف الليل فحسـب رقد لينال قسـطاً من الراحـة في غرفة جلوسه النهارية. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي بعث إليها برسالة ومعها:

---

(1) في المقام الأول، إلى أن يصبح ولي العهد الحالي، حفيدهما، امبراطوراً بدوره.

(2) وتتفتح في رماد الحداد. من كوكينشو 832، من نظم كاميتسوكي نو مينو.

«بصيحة إوز عدت إلى داري مجدداً في دنيا زائلة،

حيث لايجد مخلوق ملاذاً أخيراً قبل أوانه»[1].

كان قد آلمها البارحة، ولكنها أحست بالأسف من أجله أيضاً، لأنها لم تره قط ضائعاً على هذا النحو. ومن هنا فقد نحّت مشاعرها جانباً، وتدفقت الدموع من عينيها.

«لازم الإوز يوماً المياه حول شتلة الأرز التي مضت الآن،

ومنذ ذلك لم تعد تطل الزهرة التي انعكست هناك»[2].

جعله التميز الكامل لخطها يفكِّر في الطريقة التي وصلت بها الاثنتان، في نهاية المطاف، على الرغم من اعتراضاتها الأولية، إلى احترام كل منهما الأخرى وللاعتراف بالثقة المتبادلة، من دون أن يعني ذلك أنهما كانتا متقاربتين يوماً، حيث إنها عاملت السيدة من أكاشي على الدوام بأسلوب رسمي رائع لا يلحظه أي أحد آخر. وفي بعض الأحيان، عندما كان يشعر بالوحدة بشكل خاص، كان يطل عليها بهذه الطريقة لتجاذب أطراف الحديث فحسب، ولم يبق شيء مما كان بينهما يوماً.

جاءت من سيدة الصيف هناك ملابس للموسم الجديد، مع قصيدة:

«ملابس الصيف اليوم، ومع تغير الموسم الجديد سيأتي

مد من الذكريات القديمة ليكتسح ما عداه من خواطرك»

رد قائلاً:

« اليوم مع تغيير الملابس إلى أردية رقيق وخفيفة،

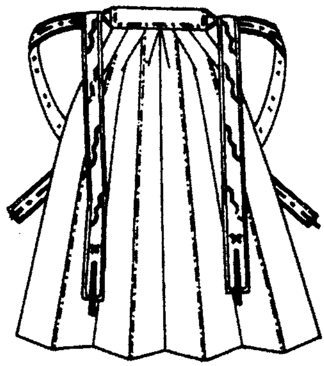
أزداد حزناً على هذه الحياة، ما بقى من الزيزان بلا قيمة».

---

(1) التلاعب بالكلمات في هذه القصيدة يشير إلى كل من حداد جينجي على موراساكي وعودة الإوز البري إلى الشمال في الربيع. وتعبير «ناكو ناكو» («الصياح») يشير إلى كل من البكاء وصيحات الإوز، وتعبير «كاري» («عابر»، لا شيء يدوم) يعني كذلك «الإوزة البرية» ومقطع «توكو» من «توكو نو يو» («ملاذ يتجاوز الزمن»، الموطن الخالد، النائي للإوز) يعني كذلك «المرقد»، «فراش الزوجية».

(2) «الآن وقد رحلت موراساكي [«المياه»] التي اجتذبتك كثيراً [«الإوز»]، فإنك [«الزهرة»] لا تنتهز المناسبة البتة لزيارتي [«انعكست هناك»].

أشـار فيمـا يتعلق بيـوم المهرجـان[1] متصـوراً المـزار: «أتوقـع أن الجميـع يتطلع إلى الاسـتمتاع بالمشـاهد اليوم، لابد أنكـن أيتها النسـوة تكرهن فكرة عدم شـهود الأمر كله. امضين إلى الدار في هدوء إذاً، وشاهدن ما هو متاح لرؤيته هناك!».



ذيل رداء نسوي

كانت تشوجو قد أغفت لحظة عند الجانب الشرقي من الدار، ومضى جينجي ليلقي نظرة عليها، فنهضت مسرعة، رائعـة للغايـة، وكانت الطريقة التي تهدَّل بها شـعرها الذي تشـعَّث قليلاً على محياها المتألق والمشرب بالحمرة فاتنة تماماً. وكانت قد ارتدت سروالاً قرمزياً ضارباً إلى الصفرة وقميصاً ذهبياً تحت أردية رمادية قاتمة وسـوداء[2] تهدلت كلهـا بلا انتظـام طبقة وراء الأخـرى، وكانت قد نزعت في رقـة تنورة وسـترة صينيـة، حاولـت الآن ارتداؤهما، وإلى جوارها كانت قد وضعت غصيناً من نبات «قلباً لقلب».

التقطه جينجي، وسألها: «ماذا يُدعى هذا؟ لقد نسيت اسمه»[3]. فردت على استحياء:

«هكذا ربما تخنق أعشاب الماء ضفة كانت أثيرة يوماً،

ولكن الوريقة التي أضمها اليوم.. لقد نسيت حتى اسمها!»[4]

أدرك ما تعنيه، وأحس بالحزن.

«تخليت في معظم الأمور عن الدنيا وغواياتها،

لكنني اليوم ربما ألتقط في خبث قلباً لقلب!»[5].

بدا على الأقل أنه لم يرفضها.

---

(1) مهرجان كامو، في منتصف الشهر الرابع.

(2) كل الألوان المرتبطة بالحداد.

(3) أوى (في الهجاء الهاييني «أفوهي» أي «يوم اللقاء»). إن جينجي لم يضاجع امرأة منذ وقت طويل للغاية إلى درجة أنه يزعم أنه قد نسي كيف تكون المضاجعة.

(4) «إنني أعرف أن وقتاً طويلاً قد مضى منذ آخر مضاجعة لنا، ولكن مع ذلك..».

(5) «سيسعدني أن أرتكب ما يكفي من خطيئة [تسومي] لألتقط [تسومي] هذه الوريقة [أضاجعك]».

تركته الأمطار المنهمرة طويلاً في الشهر الخامس مع قدر أقل من الأمور التي يتعين القيام بها، باستثناء الغرق في الأحلام شارداً، لكن القائد أقبل للقيام بخدمته، بعد أيام قلائل من اليوم العاشر من الشهر، عندما تألق القمر أخيراً في بهاء، مطلاً من بين السحب. فُتن جينجي بعبق شجرة برتقال برزت بجلاء في ضياء القمر، وكان ينتظر أن يشدو الوقواق بأنشودته عن الألف عام[1]، عندما ظهرت سحب مفزعة، مصحوبة بمطر عنيف ورياح كالعواء أطاحت بالنافذة»، فهمهم «طقطقة المطر على النافذة» وغيره من الأبيات المعروفة[2] بصوت كان زائره يتمنى مسرعاً لو أنه تردد «عند سور محبوبتي»[3].

أشار جينجي بقوله: «ليس هناك ما هو غريب إلى هذا الحد في أن تقيم وحيداً، باستثناء أنك تشعر بالوحدة البالغة، وإذا كنت تعتزم الإقامة بعيداً في الجبال، فإنني على يقين من أنك يمكنك حقاً أن تجد السلام هناك إذا عودت نفسك عليها، على نحو ما أفعل».

نادى: «أنتن أيتها النسوة هاهنا، أحضرن لنا بعض المرطبات! أحسب أنه سيكون من قبيل إحداث ضجة أكثر مما ينبغي أن نرسل في طلب الرجال»[4].

كان بمقدور القائد أن يدرك بوضوح تام أن أباه في قرارة نفسه كان يحدِّق عالياً نحو السماء فحسب[5]، وأحس بالأسف الشديد من أجله. كيف يمكن أن تجلب له توسلاته السلام إذا لم يكن بمقدوره أن يفكر في شيء آخر؟ هكذا راح يتساءل. وعلى الرغم من ذلك فليس بمقدوري أن ألومه، فحتى أنا لا يمكنني أن أنسى تلك اللمحة منها. وقال: «يبدو الأمر كما لو كان قد حدث بالأمس فحسب. هل لي في أن أسأل ما الذي قررت القيام به؟».

---

(1) جوسينشو 186: «على شجرة البرتقال، وبلا تغير في الظل، يشدو الوقواق بأنشودته عن الألف عام». كان الوقواق (هوتو توجيسو)، شأن براعم البرتقال (تاتشيبانا) مرتبطاً بالتأملات الأثيرة في الماضي.

(2) من شعر باي جوبي (هوكوشي مونجو 131).

(3) «تمنى أن تسمع موراساكي». يعزو الشراح الأوائل هذا المقتطف إلى قصيدة كانت لولا ذلك ستظل مجهولة (جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو واكا 300). «من المحزن الاستماع لك وحدي، أيها الوقواق، تمنيت لو أن أنشودتك ترددت عند سور حبيبتي».

(4) أتباع جينجي الشخصيين.

(5) أن جينجي يفكر في موراساكي وحدها. كوكينشو 743، من نظم ساكاي نو هيتوزاني: «السماء ليست تذكاراً ممن أحب، غير أني عندما أفتقدها أحدِّق عالياً».

«لا شيء مما ينتمي إلى غير المألوف. أي خير سيأتي ذلك به؟ هناك مندالة الفردوس[1] التي كانت قد أعدتها، وقد آن الأوان لتكريسها. هناك الكثير من النصوص المقدسة أيضاً. وقد أبلغت الموقر بكل ما أعدت من أجله[2]. أما فيما يتعلق بأي شيء آخر قد تمس الحاجة إلى إضافته، فإنني أعتزم فعل ما يقترحه الموقر».

«إنني سعيد للغاية من أجلها لأنها كانت على الدوام تهتم هـذا الاهتمام بهذه الأمور، ولكنها يبدو أنها قُدِّر لها عبور قصير في هذه الحياة، ومما يثير الشفقة كثيراً أنها لم تنجب أطفالاً».

«ولكن أخريات عشن وقتاً أطول لايزلن، في ذلك المجال، على الحال ذاتها تقريباً. وعلى ذلك ألوم نفسي. وإنني على يقين من أنك أنت الذي سيجلب الزيادة إلى نسلنا». كان جينجي قلقاً للغاية حيال قدرته المحدودة على الحديث كثيراً عن الماضي. عندئذ ندت عن الوقواق الذي كان ينتظره صيحة واحدة بعيدة، وهو ما راح حياله يهمهم بإحساس عميق: «كيف عرفت؟[3].

هل جئت إلى هنا بجناحيك المبللين بالمطر، أيها الوقواق الجبلي،

من ذكريات كثيرة للغاية هذا المساء عمن رحلت الآن؟».

كانت نظرته المحدِّقة متركزة على السماء أكثر من أي وقت مضى.

رد القائد:

«اسمعني، أيها الوقواق، وامض بهذه الرسالة إليها: بعيداً مضيت،

لكن في الدار تزهر شجرة برتقالك في تمام البهاء».

أضافت الوصيفات الكثير من عندياتهن، لكنني لم أوردها. ومكث القائد للتسرية عن أبيه هذه الليلة، على نحو ما فعل في أوقات أخرى في الماضي، بدافع الشفقة عليه من كل

---

(1) لوحة لأميدا في وسط فردوسه.

(2) كانت موراساكي قد أمرت بنسخ نصوص مقدسة تتحقق فائدتها بعد الموت لأناس بعينهم. ومن المفترض أن الموقر كان مرشدها الروحي.

(3) كوكين روكوجو 2804: «عن الماضي أتحدث، ويا أيها الوقواق كيف عرفت أنك ينبغي أن تشدو بالصوت الذي سمعته منذ زمن بعيد؟».

الليالـي التـي أمضاها وحيداً، وأعاد إليه الكثير من الذكريات أن يكون غالباً على هذا النحو في غرفة كانت على الدوام محرمة عليه فيما كانت على قيد الحياة.

فـي ذروة حرارة الصيـف، مضي جينجي يحدِّق إلى الخارج مـن بقعة أقل حراً إلى حد ما، ولاحظ أن كل زهور اللوتس على البحيرة متفتحة. «هناك الكثير للغاية»[1]. كانت تلك هـي الخاطرة الأولـى التي وردت على ذهنه، وظل غارقاً في التأمل الكئيب إلى أن غاصت الشـمس خفيضة في الأفق. كانت زيزان الحصاد تشـدو بصوت حاد، ولكن نعم، كان من المحـزن أن يعكـف وحيـداً على الإعجـاب بقرنفلات الحديقة المتألقة في سـنا الشـمس الغاربة[2].

«لشدما يعلو صوتها، كأنما تلومني جميعها في نهار صيفي

على إهدار وقتي في التنهد والدمع الذي لا يكف».

كانـت حُباحُـب لا حصر لها تمـوج متداخلة أمامـه، فدندن كما يفعل غالبـاً بيتاً يعكس حالته المزاجية: «تجوب الحُباحُب أمام سرادق المساء»[3]. ثم استطرد:

«الحُباحُب تحكم الليل، ومن المحزن رؤيتها عندما في كل ساعة

يحترق المرء باللهب الحارق لحب ضاع الآن للأب»[4].

في الليلة السـابعة من الشـهر السابع[5]، كان القليل للغاية يشـبه السنوات الخوالي، فلم تكن لدى جينجي موسيقى، وأمضى اليوم في سأم موحش. ولـم يرقب أحد لقاء النجمين. وفي وقت متأخر من تلك الليلة نهض من تلقاء نفسه، وفتح الباب المزدوج. كانت الحديقة

---

(1) «هناك الكثير للغاية من قطرات الندى [الدموع] على أوراقها». كوكين روكوجو 2479 (كذلك آيسي شو 176) من نظم آيسي: «هناك الكثير للغاية، دموع من يعاني وقراً ثقيلاً من الأسى».

(2) كوكينشو 244، من نظم سوسي: «هل أعجب بها جميعها وحدي، القرنفلات في أشعة الشمس الأخيرة فيما الصرارات تشدو؟».

(3) من مقطوعة لباي جويي «أنشودة الحزن الذي لا ينتهي»، والتي يتذكر فيها الامبراطور حبيبته المفقودة: «تجوب الحباحب أمام سرادق المساء، وألزم الحداد».

(4) إن الفكرة القائلة إن «الحباحب تحكم الليل» مستمدة من واكان روي شو 187، من نظم شاعر التانج شو هان (باليابانية كايوكون 791–854).

(5) مهرجان تاناباتا، حيث يُقال إن العاشقين السماويين من جانبي درب التبانة كانا يتقابلان ليمضيا ليلتهما الوحيدة معاً في العام.

القريبة مثقلة بالندى، فألقى نظرة من خلال الباب وعلى امتداد طريق الجسر[1]، ثم خرج.

«عالياً فوق السحب تلتقي نجمتا التاناباتا في عالم آخر

بينما في الأسفل يروي الندى الكثيف الحديقة التي هجرتها».

تزايد زفيف الريح حزناً كل يوم، لكن الصلوات التذكارية في أوائل الشهر[2] شغلته بعض الشيء. ولم يستطع إلا بالكاد تصديق كم شهراً كان قد انقضى. وصام في هذه الذكرى كل من بالدار، رفيعهم ووضيعهم، وكرَّس مندالة الفردوس.

كانت تشوجو، التي جلبت له ماء الاغتسال قبل ابتهالاته المسائية المعتادة، قد كتبت على مروحتها:

«عندما لا تكون هناك نهاية للدموع التي أسفحها من أجلك،

منذا الذي يدعو اليوم بالأخير الذي يتوقف فيه الحداد»[3].

قرأ كلماتها، وكتب إلى جوارها:

«أنا من لزم الحداد طويلاً عليها سأجد عمري ينقضي سريعاً،

لكنني الآن لازلت أجد دموعاً كثيرة لم تُسفح بعد».

أقبل الشهر التاسع، وفي اليوم التاسع تأمل زهور أقحوان ملفوفة في قطن[4].

«ندى الأقحوان من الصباحات التي عرفناها معا

يندي لي أكمام الخريف هذه التي يتعين عليَّ ارتداؤها وحيداً».

في الشهر العاشر، بأمطاره الباردة، تزايدت كآبته، وغمغم في غمار العذاب الذي لايوصف عند الغسق: «نعم، إنها تنهمر دوماً»[5]. وفيما راح يحدِّق عالياً نحو الإوز البري

---

(1) ربما طريق الجسر الممتد من الجناح الشرقي إلى الدار الرئيسية.

(2) الثامن.

(3) يبدو أنه اليوم الذي يحدد الختام الرسمي للحداد.

(4) لامتصاص الندى من الزهور، وكان ندى زهور الاقحوان إكسيراً وقيام المرء بتدليك نفسه بالقطن المشبع بالندى يبعد عنه الشيخوخة. واليوم التاسع من الشهر التاسع يُقام فيه مهرجان الأقحوان، الذي يُقال له «تشويو نو سيتشي».

(5) يعزو شرح مبكر هذا التعبير إلى قصيدة كان يمكن أن تظل مجهولة لولا ذلك (جينجي مونو جاتري كوتشو

الذي يعبر محلقاً في الأعالي، حسده على أجنحته.

«آه، أيها العراف الذي يجوب رحابة السماوات، امض واعثر لي

على روح أسعى وراءها بلا طائل حتى عندما يصادفني الحلم»[1]

واصلت الأيام والشهور مرورها، وسرعان ما لم يعد هناك شيء يشغله عن حزنه.

عندما آن الأوان لقيام الجميع في مرح بالاستعداد لمهرجان جوسيتشي[2]، مضى أبناء القائد للخدمة كتابعين خصوصيين، وأقبل لزيارة سمو الامبراطور الفخري المتقاعد. كانوا متقاربين في السن وشديدي الجاذبية. وكان أخوالهم- النقيب أمين السر، الملازم الحاجب وغيرهما- جميعاً من المسؤولين عن المهرجان، وأقبلوا بدورهم للاعتناء بهم، وقد بدوا شديدي الأناقة في أرديتهم الخضراء المطبوعة[3]. ولابد أن مرأى شخوصهم اللاهية قد أعاد إليه في نهاية المطاف خفة روحه في ذلك اليوم مع العصابة الواقية من الشمس[4].

«يهرعون من القصر اليوم للمشاركة في دفء الشراب

بينما أدع اليوم يمضي، الآن وقد غدوت غريباً عن الشمس»[5].

بعد أن عانى جينجي صابراً، طوال العام، عرف أنه سيغادر الدنيا عما قريب، وذلك على الرغم من أن حزنه ظل عارماً. وأخيراً، اهتم بكل ما يحتاج إلى القيام به، وقدَّم هدية، بحسب

شاكوشو إنيو واكا 304). «أمطار الشهر العاشر الباردة، نعم، إنها تنهمر دوماً، لكنها لم تغرق كميَّ من قبل قط على هذا النحو».

(1) يشير جينجي إلى «أنشودة الحزن الذي لا ينتهي» التي يجعل منها الامبراطور عرافاً يبحث في العالم الآخر عن روح حبيبته يانج جويفي.

(2) في الشهر الحادي عشر.

(3) مطبوعة بأشكال من الزهور، الفراشات وما إلى ذلك باللون الأزرق أو الأخضر الورقي الفاتح من ياماي (النيلة البرية) والعناصر المميزة لمهرجان جوسيتشي.

(4) مع راقصة جوسيتشي التي كانت تضع العصابة. واللحظة التي يُشار إليها هنا لا ترد بالفعل في الحكاية.

(5) «دفء الشراب» هي «تويو نو أكاري» مأدبة من مآدب البلاط، كانت تُقام بعد مهرجان الفاكهة الأول (نينا ميساي) أو مهرجان التتويج (دايجو ساي) وكان يصاحبها رقص جوسيتشي، والاسم يعني حرفياً «الوجوه متوردة اللون» (بفعل الشراب). «الشمس» تشير إلى «هايكيج» (تعني حرفياً إما «ظل الشمس» أو «سنا الشمس») وهي عصابة يضعها الراقصون، ومن هنا فإن «غريباً عن الشمس» تعني ضمناً «غريباً عن مباهج العبث».

المرتبـة، إلى كل من في داره. ولـم يفعل ذلك على نحو لافت للأنظار، كأنما للإشـارة إلى أنهـم لن يروه مجدداً، ولكن طريقته أوضحت أنه سـيخطو عما قريـب الخطوة التي طالما فكَّر فيها طويلاً، وبالنسبة لهـم فقد انتهى العام في وحدة وحزن لاحدود لهما.

كانت هناك رسـائل كثيرة لـم يسـتطع تركها وراءه، ولكنه حافظ فـي نهاية المطاف على القليل من كل كاتب، ربما شـاعراً بأنه «لا يمكنني إتلافها»[1]، وفيما هو يفحصها للتصرف فيها، وجد بعضاً منها بخطها في لفافة أنيقة وسط رسائل تعود إلى سنوات سوما. وكان قد أعدَّ اللفافة بنفسه، ولكنها بدت منتمية إلى وقت بعيد للغاية، ولكن الخط بدا حديثاً للغاية. مضى يحدِّث نفسه:نعم، بهذه الرسائل يمكنني إبقاء ذكراها حية ألف عام، ولكنني لن أبقى هنـاك لكـي أقرأها. كان هناك شـيء واحد يتعين القيام به. جعـل وصيفتين أو ثلاثاً يعرفهن معرفة جيدة يقمن بإتلافها في حضوره.

يشـعر المرء دوماً بألـم شـديد، لدى تعرفه خط شخص مات، حتى ولو كان شخصاً أقل مكانـة منه، ومـن ثم فقد غامت عينا جينجـي. وكان حرياً بدموع تذهـب بالبصر أن تنحدر لتتدفق مع ضربات الفرشـاة على الصفحة، لولا أنه تراجع في خجل عن كشف ضعفه أمام النساء ونحَّى الرسائل بعيداً.

«اكتسحني الحنين إلى اتباعها وقد عبرت جبل الموت،

فبحثت عن الآثار التي خلّفتها، ولازلت أضل الطريق»[2].

لـم يكن بمقدور النسـوة القائمات على خدمته بالفعل فتحها وقراءتها، ولكنهن توصلن إلـى لمحـات من هنـا وهنـاك، وكانت هـذه اللمحـات محزنة بما فيـه الكفاية. اسـتدعت الكلمـات التي تصف عمق يأسـها حيـال انفصالهما- وإن لـم يرجع ذلك حقـاً إلى أنه كان بعيـداً للغايـة- حزناً أكثر حدة مـن أي وقت مضى ودموعاً أيضاً انهمرت دفقاً لاسـبيل إلى إيقافه. وعرف باستياء أن أي صدمة أعظم ستكشف عن حزن نسوي لا يليق به، وهكذا فإنه

---

(1) جوسينشي 1143، من نظم الأمير موتويوشي، وقد نظمها عندما.طلب منه أن يعيد بعض الرسائل. «لا يمكنني إتلافها، غير أنها سترى النور إن لـم أتلفها، ما أشد المرارة التي أبكي بها إذ أعيدها إليك».

(2) «جبل الموت» (سايدي نو ياما) يطل أمام من يصلون حديثاً إلى أرض الموتى، والذي لابد لهم من عبوره في الطريق إلى قصر ملك عالم الآخرة. «الآثار» (أتو) تشير إلى كل من آثار الأقدام وكتابة رسالة.

لم يراجعها بعناية، وإنما كتب في هامش رسالة طويلة:

« لن أجد بهجة في تجميع آثار فرشاتها الشبيهة بالطحلب البحري،

فدعها ترتفع فوق السحب كما علت هي في الدخان».

أمر بحرقها جميعها.



راهب مع عصاه

كان يعرف أن مجمع الأسماء المقدسة[1] لهذا العام سيكون الأخير بالنسبة له، وربما كان هذا هو ما جعل رنين عصي الرهبان[2] مؤثراً بصفة خاصة بالنسبة له. وراح يتساءل قلقاً كيف ستتلقى البوذات هذه الصلوات من أجل أن يعيش طويلاً. كان الثلج ينهمر بشدة، وقد تراكم الكثير منه بالفعل على الأرض. واستدعى الراهب القائم بالخدمة، عندما انسحب، وأتحفه بالمزيد من الشراب وما إلى ذلك مما جرى العرف به، وقدَّم إليه هدية سخية بصورة ملحوظة. وكان هذا الراهب يجيء إلى روكوجو، على امتداد وقت طويل، وخدم في القصر كذلك، ومن هنا فقد كان جينجي يعرفه جيداً. وقد تأثَّر لملاحظة أن شعره غدا الآن أشيب. وكالمعتاد حضر عدد كبير من الأمراء وكبار النبلاء. وكانت براعم البرقوق قد أخذت لتوها في التفتح، وكان ينبغي أن تكون هناك موسيقى. ولكن جينجي أحس بأنها على الأقل لهذا العام سيكون من شأنها أن تضعفه، وأمر بإنشاد القصائد فحسب لتتوافق مع المناسبة.

قال عندما قدَّم الكأس للراهب: آه، نعم

«نحن الذين قد لايعمَّرون حتى قدوم الربيع مجدداً، هاهنا وسط الثلوج

دعنا نرفع عالياً ليرانا الجميع ألق شجرة برقوق تبرعم مجدداً!».

---

(1) يبدأ بوتسومايو-ئي في اليوم التاسع عشر من الشهر الثاني عشر، في القصر وفي الدور الكبرى الأخرى، ويدوم ثلاثة أيام. وكان هذا الحفل يستحضر أسماء بوذات الماضي والحاضر والمستقبل بروح التوبة والاستغفار.

(2) كان الرهبان المرتلون يضبطون الإيقاع باستخدام الشاكوجو الخاصة بهم، وهي عصا تعلوها حلقات معدنية تحدث صوتاً لا تستسيغه الأذن.

ردَّ الراهب:

«ستكون صلاتي أن تستطيع تأمل هذه البراعم ألف ربيع،

فأنا، ولست أنت، من توَّجته ثلوج العمر».

أضاف كثيرون آخرون قصائدهم، لكنني لم أدرجها.

في ذلك اليوم، ظهر جينجي أخيراً وسط جمع من الناس، وتجاوز ضياء محياه حتى الألق الذي كان له منذ زمن بعيد، وكان منظره شديد الروعة إلى حد أن الراهب العجوز انخرط في البكاء طويلاً، بلا سبب.

كان يحس بالوحشة، لأن العام انتهى، عندما أقبل الأمير الصغير باكياً. «ما الذي يحدث أقصى ضجة عندما ترغب في طرد الشياطين؟»[1] ولم يستطع تحمل فكرة فقدان الصبي الصغير البهيج.

«غارقاً في أحزاني، لم أعرف قط أن الشهور والأيام لا تزال تنقضي

هل انتهى العام حقاً وعمري في الدنيا أيضاً؟».

قرَّر أن كل شيء في اليوم الأول من العام ينبغي إنجازه بصورة جيدة على نحو استثنائي. ويقولون إنه أعد هدايا رائعة للأمراء والوزراء ومكافآت سخية بالمثل، بحسب المرتبة، لمن يقلون عنهم مكانة.

(1) لطقس طرد الشياطين (تسوينا نو جي) الذي يُقام في الليلة الأخيرة من العام.

كومو جاكوري

اختفى في رحاب السحاب

هذا الفصل خالٍ من الكتابة. والعنوان يشير إلى موت جينجي.

42

نيئو ميا

الأمير العطر

تشير «الأمير العطر» إلى الأمير الشاب المعروف باسم نيئو. وهذا الفصل يقدم كندّين السيدين اللذين سيهيمنان على الحكاية من الآن فصاعداً، وهما نيئو وكاورو، «النقيب ذو العبير».

الصلة بالفصول السابقة

تفصل هوة قوامها ثماني سنوات أحداث «الأمير العطر» عن أحداث «العرَّاف». ويدرك المرء (في «اللبلاب») أن جينجي قد مات بعد عامين أو ثلاثة أعوام أمضاها في عزلة في معبد ساجا الذي شيَّده. وقد مات الامبراطور المتقاعد سوزاكو، هوتارو، تو نو تشوجو وهيجيكور جميعاً.

الشخوص

النقيب الاستشاري، 14 إلى 20 عاماً (كاورو).
جلالة الامبراطورة، 33 إلى 39 عاماً (أكاشي نوتشوجو).
جلالة الامبراطور، 35 إلى 41 عاماً.
الأمير الثالث، معالي وزير الحرب، 15 إلى 21 عاماً (نيئو).
الأمير الأول، ولي العهد، يتزوج من ابنة يوجيري الأولى.
الأميرة الأولى.
الأمير الثاني، يتزوج من ابنة يوجيري الثانية.
معالي وزير الميمنة، قائد حرس ميسرة القصر، 40 إلى 46 عاماً (يوجيري).
الامبراطورة الأم، الزوجة شو كايودين السابقة.
ابنة معالي وزير الميمنة السادسة، 10 أو 11 عاماً إلى منتصف المراهقة (روكو نو كيمي).
سمو الأميرة المترهبنة، منتصف الثلاثينيات في أوائل الأربعينيات (أونا سان نو ميا).
سمو الأميرة المقيمة في اتشيجو (أوتشيبا نو ميا).
نيافته رايزي، نجل جينجي وفوجيتسوبو، 43 إلى 49 عاماً.
أميرته الأولى، ابنة الزوجة كوكايدين.
امبراطورته، 52 إلى 58 عاماً (أكيكونومو).

رحـل ضيـاؤه، ومـا كان بالإمـكان مقارنـة أي مـن ذريته الكثيـرة بما كان عليـه. وليس مـن الملائم الإشـارة إلـى نيافته رايزي في هذا السـياق. وعرف الأميـر الثالث نجل جلالة الامبراطـور وابـن سـمو الأميرة المترهبنـة اللذان نشـأ تحت رعايتـه[1] كلاهما بالوسـامة بطريقتيهمـا، ومـن المؤكـد أنهما كانـا بارزيـن، ولكنهما لـم يبـدوا متألقين بصفـة خاصة. وبالنسـبة للشـبان العاديين تمامـاً فإنهما كانا متميزيـن، وجعلهما الشـرف والتقدير اللذان اسـتمداهما من صلتهما به يحظيان بشـهرة تجاوزت إلى حد ما شهرته في سنواته المبكرة، وكانا جذابين تماماً حقاً. أقام الأمير الثالث في نيجو بفضل ولع السيدة موراساكي الخاص بـه[2]. وجعلـه جلالة الامبراطور وجلالـة الامبراطورة يقيم في القصر لـدى رؤيتهما لولي العهد[3] وقد تم تعيينه بأمان، ولكنه كان لا يزال يفضل حياته المريحة بشكل أكبر في داره. وعندما بلغ مبلغ الرجال دعى بمعالي وزير مكتب الحرب.

أقامت الأميرة الأولى في الجناح الشـرقي من الجانب الجنوبي الشـرقي في روكوجو. وكانـت قد أبقت على الأثاث كما تركته من سـبقتها إلـى الإقامة في هذا الجناح، وتذكرتها بإعزاز في كل من الليل والنهار. وحصل الأمير الثاني على الدار الرئيسية عندما يكون بعيداً عـن القصر، حيث شـغل جناح أوميتسـوبو. وكان قد تـزوج من الابنة الثانيـة لمعالي وزير الميمنة[4] واكتسـب ثقلاً كبيراً باعتباره المرشـح التالي لولاية العهد. وأفصح أسـلوبه عن جدية ظاهرة.

كان لمعالي وزير الميمنة عدد كبير من البنات[5]. وكانت كبراهن من نصيب ولي العهد، ولـم تكن لها في خدمته منافسة. وقالـت الامبراطورة الأم بجلاء إنه حسبما افترض الجميع سـتمضي الأخريـات جميعـاً بطريقة مماثلة عندما يحـل الدور عليهن، ولكـن معالي وزير الحـرب لـم يرغب في تحقيق هذه النبوءة، ويبدو أنـه أوضح بجلاء بالغ إنه لن يرحب بمن لايختارها بنفسه.

---

(1) نيئو وكاورو، اللذان نشآ كلاهما في روكوجو.

(2) كانت قد تركت الدار له.

(3) الابن الأول للامبراطورة.

(4) يوجيري.

(5) ست بنات، ثلاث من كوموي نو كاري وثلاث من ابنة كوريميتسو، «سيدة العاملين في البلاط».

لماذا ينبغي أن يكون هذا مهماً؟ الأمر سيان بالنسبة لي. هكذا مضى معالي وزير الميمنة يؤكد لنفسه. يا لهذه الأعراف![1] غير أنه ترك الآخرين يعرفون أنه لن يرفض أي خطوبة فعلية، وواصل في غضون ذلك الاهتمام ببناته بأعظم قدر من الرعاية. وفي ذلك الوقت كانت ابنته السادسة هي التي يتطلع إلى نيل يدها كل أمير أو نبيل بارز.

كانت النسوة اللواتي تجمعن حول سمو الامبراطور الفخري المتقاعد قد تفرقن باكيات إلى ما ستصبح من الآن فصاعداً بيوتهن، وقد انتقلت السيدة المعروفة بسيدة الزهور المتساقطة إلى السرادق الشرقي من نيجو، الذي أصبح خاصاً بها الآن. وأقامت سمو الأميرة المترهبنة في سانجو. سادت الوحدة روكوجو، وأوشك أن يغدو مهجوراً، إذ إن جلالة الامبراطورة كانت تقضي وقتها في القيام على خدمة جلالة الامبراطور في القصر. وأشار معالي وزير الميمنة بقوله: «توضح الأمثلة الأخرى التي لاحظتها من الماضي كيف أن الدار التي قد يشيدها رجل بعناية في حياته تُترك بعدئذ لتتداعى، كأنما لتظهر أنه ما من شيء يبقى، وهذا يطرح درساً محزناً للغاية فيما يتعلق بزوال الأشياء كافة. وطالما أنا على قيد الحياة، فإنني لن أترك ضيعته تمضي إلى الإهمال والخراب أو أسمح لمن يقيمون في الجادة الغربية بأن ينتقلوا بعيداً»[2]. ونقل سمو أميرة اتشيجو إلى الجانب الشمالي الشرقي، ثم قسّم لياليه بدقة، خمس عشرة ليلة لكل من دارها وسانجو[3].

بدا أن من المقرر أن تمضي دار نيجو، التي أعدها جينجي على نحو بالغ الروعة، وجانب الربيع من روجوكو، الذي أُشيد به أعظم الإشادة وأكثرها إفراطاً، إلي أبناء سيدة واحدة وأحفادها، وهي السيدة المقبلة من أكاشي، والتي قامت على رعاية كل الأمراء والأميرات الصغار، وبقيت معهم. ولم يفعل معالي وزير الميمنة شيئاً من شأنه تغيير حياة أولئك الذين كانوا أثيرين لدى سمو الامبراطور الفخري المتقاعد عما كان سموه قد أراد لهم، وراح يفكِّر بحماس على أي نحو من الشغف والحرص كان سيخدم سيدة الجناح

(1) من حيث المبدأ، كانت بنات السيد النبيل يتزوجن بحسب تتابع العمر.

(2) عندما شيد جينجي روكوجو، كان عدد قليل من النبلاء الكبار يقيمون بالقرب منه، ويخشى يوجيرو من أن النبلاء الذين اجتذبهم أبوه إلى هناك قد ينتقلون للإقامة بعيداً.

(3) ينقل يوجيري أوتشيبا إلى حيث اعتادت هانا تشيرو ساتو الإقامة، ولكن مقر إقامته الرئيسي يظل في سانجو، مع كوموي نو كاري.

الشـرقي لو أنها قُدِّر لها البقاء على قيد الحياة. وقد تذكَّر بأسـى على الدوام أنها قد رحلت عن الدنيا قبل أن يجد اللحظة المناسبة لتعريفها إلى أي حد كان يفكر فيها.

لـزم الجميـع في البلاد الحداد على سـمو الامبراطـور الفخري المتقاعـد، معربين عن حزنهم في كل مناسـبة لأن كل شـيء لم يعد ينبض بالحياة، كأنما قد خبا لهب كل شـيء. وكان العاملون في داره، سيداته وجلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة وأصحاب السمو الأمـراء والأميرات[1] أشـد تأثراً على نحو عميق، بالطبع، وقـد احتفظوا في قلوبهم كذلك بصورة موراسـاكي، التي ظلت ذكراها حاضرة بالنسـبة لهم. صحيـح، كما يقال، إن براعم الربيع أغلى لأنها تتفتح فترة قصيرة للغاية.

أبدى نيافته رايزي لنجل سـمو الأميرة المترهبنة اهتماماً خاصاً، على نحو ما كان سـمو الامبراطـور الفخـري المتقاعد قد طلب منه أن يفعل، وسـعدت امبراطورته، التي أسـفت لأنها لم تنجب أطفالاً، بالقيام على تلبية كل احتياجاته. وتم الاحتفال ببلوغه مبلغ الرجال في قصر رايزي، وفي الشهر الثاني من عامه الرابع عشر أصبح استشارياً. وفي ذلك الخريف عُيـن نقيبـاً بحرس ميمنة القصر. وهكذا فإن نيافته، الذي لا يعرف بدافع من أي قلق تحرك، استخدم هاتين الترقيتين اللتين حصل عليهما بفضل موهبته الخاصة ليجعله يمضي سريعاً على درب الرجال، وأشـرف بنفسـه على تأثيث غرفة له في الجناح القريب من سـكنه هو، واختار له أفضل الوصيفات الشابات والفتيات التابعات وحتى الخادمات فحسب، ورتب كل شـيء علـى نحـو أفضل تألقـاً حتى مما يُرتـب لفتاة. ونقـل كل من جلالـة الامبراطور وجلالـة الامبراطـورة إلـى مقر النبيل الشـاب أكثر نسـوتهما نبلاً وإبهاجـاً، وبذلا قصارى جهدهمـا لجعله يحس بأنه موضع ترحيب، فقـد أرادا بمزيد من الإعزاز أن يكون سـعيداً ومرتاحـاً هنـاك. واعتز به نيافته على نحـو لا يقل عن أميرته الأولى، ابنتـه الحبيبة الوحيدة التي أنجبها من الزوجة الراحلة ابنة المستشار[2]، وربما كان هذا راجعاً إلى أنه ازداد تقديراً لامبراطورته مع كل عام يمر، ولكن مع ذلك فإن المرء يظل يتساءل عن السر في ذلك.

كرَّسـت سمو الأميرة المترهبنة، أم النبيل الشاب، نفسها للابتهالات الهادئة، شهور من

(1) أكيكونومو «امبراطورة رايزي»، أكاشي نو تشوجو، أونا سان نو ميا، وربما أطفال أكاشي نو تشوجو كذلك.

(2) إحدى بنات تو نو تشوجو، وهي تعرف أيضاً باسم الزوجة كوكيدين.

النداءات باسم أميدا، الطقوس التي تؤدى مرتين في العام والمتعلقة بالمحاورات الثماني، وغيرها من المهام المقدسة على مدار العام.

وبخلاف ذلك لم يكن لديها إلا القليل للغاية مما تقوم به بحيث أنها تطلعت إليه في ذهابه وإيابه كأنما تتطلع إلى أب لها، الأمر الذي أثَّر فيه إلى حد كبير. وبالإضافة إلى ذلك كان جلالة الامبراطور ونيافته يستدعيانه دوماً، وأحب ولي العهد والأمراء الآخرون إشراكه في تسلياتهم، بحيث إنه من سوء الحظ لم يكن لديه وقت على الإطلاق، وتمنى لو أنه كان يضم بين جوانحه أكثر من شخص واحد.

غالباً ما كان ينزعج ويقلق بصورة صبيانية حيال الشائعات التي يتصادف أنها تتناهى إلى سمعه، ولكنه لم يكن لديه من يسأله عنها. وكان الأمر يشغله على الدوام، على الرغم من أن أمه كانت ستفزع إذا علمت بأن الشك يساوره على الإطلاق. وغالباً ما راح يتساءل: ما الذي حدث؟ لماذا ولدت إلى رحاب هذا القلق المستمر؟ لو أنني كنت مستنيراً فحسب مثل الأمير زينجايو، عندما سأل نفسه السؤال عينه![1]

«ما الذي يمكن أن يعنيه الأمر كله؟ ومن يتعين أن أسائله؟ ما هو سري

فيما أنا ذاتي لا أعرف من أين قدمت وإلى أين أمضي؟».

ساوره في بعض الأحيان الشعور بأن ثمة ما هو خطأ فيما يتعلق به، وأطلقت هذه الخاطرة بدورها تأملات مفعمة بالعذاب. أي حسم ورع ذلك الذي أمكنه فجأة أن يجعل سمو الأميرة تتخلى عن زخرفها في شرخ شبابها؟ نعم، لابد أنها قد تعرضت لصدمة. كيف يمكن ألا يكون أحد آخر قد عرف بذلك؟ أحسب أنه ما من أحد سيبلغني بجلية الأمر لأنه كله لا يزال يُفترض أن يكون سراً. إنها تعكف على ابتهالاته ليلاً ونهاراً، بقدر ما يمكنني القول، ولكنني لست أدري كيف يمكن للإدراك الغامض والضعيف من جانب امرأة للأمور أن يمكنها أبداً من أن تصقل قطرة ندى لوتس فتحولها إلى جوهرة[2]، تلك

(1) تظل هذه الإيماءة البوذية غير واضحة. وربما أدمجت المؤلفة أكثر من مصدر معاً، أو وربما كان هناك خطأ في النص.

(2) «تحول المشاعر الدنيوية إلى استنارة». وهي فيما يبدو إيماءة مركبة إلى نطاق من الكتابات البوذية.

الخمس -كائناً ماكان ما تسميها[1]- هي مصدر قلق، وأنا أريد على الأقل مساعدتها في الانطلاق نحو الحياة المقبلة. وذلك السيد الذي يتحدثون عنه، ذلك الذي مات، هل مات في غمار العذاب؟ جعلته هذه الفكرة يتوق إلى الحديث مع الرجل، في الحياة المقبلة، إن لم يكن في هذه الحياة، إلى أن فقد كل اهتمام ببلوغه مبلغ الرجال، على الرغم من أنه لم يرفض بالفعل المضي به قدماً إلى الأمام.

شجَّع الحب العميق لأم النبيل الشاب اهتمام جلالة الامبراطور الكبير به[2]، وعاملته جلالة الامبراطورة على وجه التقريب كما كانت تعامله عندما كان يكبر مع أطفالها، ويلهون جميعاً سوياً. وكان سمو الامبراطور الفخري المتقاعد قد قال: «لقد رُزقت به في وقت متأخر كثيراً من عمري، ياللفتى المسكين!، ويؤسفني كثيراً أنني لن أراه يغدو رجلاً». تذكرت ذلك، وظلت متعلقة به. وقدَّره معالي وزير الميمنة أكثر مما يقدر أبناءه.

قبل زمن طويل، حظي النبيل المضيء، على نحو ما كان يُدعى، بعطف رفيع القدر بدرجة مماثلة، لكن الكثيرين حسدوه، وافتقر إلى التأييد من جانب أمه. وبعد التفكير في الأمر بطريقته المعمقة، قلَّل من بهاء ضيائه الذي لا نظير له،خشية أن يخطف أبصار الآخرين، وواصل البقاء على قيد الحياة آمناً عندما أوشك الاضطراب على أن يبتلع الدنيا، وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يهمل قط الصلاة من أجل حياته المقبلة، لأنه من دون أن يبدو أنه يفعل ذلك، كان يتطلع بعيداً إلى الأمام قبل التوصل إلى أي قرار. وبالمقابل فإن هذا النبيل الشاب حلَّق عالياً في سماء التعاطف معه ورعايته قبل الأوان، واتسم بكبرياء غير مألوفة، أقرَّه عليها القدر في حقيقة الأمر، حيث إن شيئاً يتعلق به أوحى بكائن قدسي يقيم في الدنيا لفترة قصيرة، بحيث إنه يبدو كما لو كان قد وجد فيها مؤقتاً. وما كان بوسع المرء أن يحدد ما الذي يميزه، من حيث ملامحه أو ما الذي يجعلها جديرة بالإعجاب بشكل خاص، فقد تمتع برشاقة رائعة، وكان في قرارته على خلاف ما يبدو أنه يشكِّل النوعية العادية من الرجال.

---

(1) يشير هذا التعبير المراوغ (إتسوتسو نو نانيجاشي) إلى أنه انطلاقاً من الاحترام لأونا سان نو ميا، فإن كاورو لا يمكنه تسمية «العقبات الخمس» (جوشو) التي تمنع المرء من تحقيق الاستنارة.

(2) الامبراطور الذي يشغل سدة العرش وأونا سان نو ميا هما معاً من أبناء سوزاكو.

كانـت تفوح منه رائحة زكية، عبير ينتمي إلى عالـم آخر، وكان من الأعاجيب أنه حيثما مضـى كان النسـيم الذي يبقى وراءه يبـدو حقاً أنه يعطر الهواء على امتـداد مئة خطوة. وما مـن أحـد آخر ولد على هذا النحو. كان يحلم بأن يكون متواضعاً في الزي أو السـلوك. لا، فهو كان حرياً أن يرتدي ملابس تلفت النظر إليه، ولكن ذلك لم يكن من شأن هذا الشاب، الذي اعترض حتى على عجزه عن أن ينسـل وراء سـتارة من دون أن يكشـف عن وجوده، والذي لم يكن يعطر ملابسه قط. وعلى الرغم من ذلك، فإن عبيره أضاف لمسة لاتوصف إلى الروائح البديعة التي تعبق بها خزائن ملابسـه، إلى أن مزجت أشـجار البرقوق المزهرة فـي حديقتـه عطرهـا بعطـره عندما كانـت أكمامه تمسـها، مانحة إيـاه قطرات مطـر ربيعية عبقـة، تركت الكثيرين مفتونين، في حين تمنح زهرة الكمال المتفتحة، منسـية في الحقول الخريفية، عندما يقطفها، عبيرها للنسيم اللطيف الذي يتبعه دوماً.

دفـع هـذا العبق الشـخصي غيـر المألـوف بالمرة تنافسـاً خاصـاً في نفـس معالي وزير الحـرب، وكان يحرص على تعطير ملابسـه بأفخـر أنواع البخور، ويقضـي الأيام والليالي فـي خلط المزيـد منها. وفي الربيع كان يتأمل براعم البرقوق في حديقته، بينما في الخريف كان ينحّـي الزهرة البتول التي طالما أُشـيد بها وكذلك الهاجي التـي يؤثرها الأيل، ليفضل بدلاً من ذلك زهور الأقحوان، التي تبعد الشيخوخة[1]، زهرة الكمال الناحلة، ونبتة المرقئة المتواضعـة، التـي كان يحفظها فـي حرص إلى أن يجعلها الصقيـع زاوية على نحو مقيت. وبهـذه الطريقة أعلن عشـقاً نبيلاً للعطور، وترك ذلك كله الانطبـاع بأنه كان إلى حد ما لين العريكة، سـهل القياد وميالاً إلى الأذواق التي يصعب إرضاؤها. ومن المؤكد أن جينجي، الذي ينتمي إلى عهد بعيد، لم ينغمس في مثل هذه الأمور الغريبة.

غالباً ما كان النقيب الاستشـاري[2] يزور دار معالي وزير الحرب، حيث ينافس أحدهما الآخر في العزف على نابيهما، ففي غمار تنافسـهما كانا خير صديقين. وبالطبع، كان الناس بطريقتهم المزعجـة يلقبون أحدهما بالأمير العطر والآخر بالنقيب ذي العبير. وعندما كان

---

(1) هاجي، التي تزهر في الخريف، كانت تُسند إليها الرشاقة الأنثوية، ومن ثم اعتبرت على صعيد الخطاب «زوجة» الأيل، التي تسعى وراء رفيقها في الخريف أيضاً. وكانت زهور الأقحوان، التي تبرعم في وقت متأخر جداً وتدوم وقتاً طويلاً للغاية تُربط بطول العمر.

(2) كاورو.

أي نبيل عظيم الشأن لديه ابنة جديرة بالثناء يتطلع في فخر إلى أن يظفر بمعاليه خطيباً لابنته، كان معاليه يستجيب لكل إيماءة واعدة، ويعرف كل ما يستطيعه عن مناقب السيدة الشابة ومظهرها. غير أنه لم يجد سيدة شابة جذّابة بشكل خاص. وقال لنفسه عن الأميرة الأولى ابنة نيافته رايزي: إنها لا تزال من أريدها، وستكون جديرة بالعناء. وكانت أمها، وهي زوجة امبراطور، تحظى بمهابة وتألق عظيمين، وقدَّر الناس لها تميزها النادر، ولا بد أن التقارير المتعددة التي وردت من النسوة اللواتي يخدمنها قد جعلته يرغب فيها بصورة أكبر.

في غضون ذلك، كان النقيب يعتقد بعمق أن الدنيا هباء، وعرف أنه قد لا يحرر نفسه قط من العاطفة الزائلة، إذا منح قلبه على الرغم من ذلك. ومن هنا فقد نبذ أي رغبة في الانغماس في عواطفه حيثما قد يؤدي القيام بذلك إلى ازعاجات مؤسفة. بالطبع، ربما كان يقوم بدور الحكيم، لأنه لم تكن هناك من تشغل باله في ذلك الوقت. ومن المؤكد أن المرء ما كان بإمكانه أن يتخيله مستغنياً عن الحصول على إذن والد السيدة الشابة التي يهتم بها.

في التاسعة عشرة من عمره أصبح استشارياً من المرتبة الثالثة، واحتفظ في الوقت نفسه بمركز النقيب الذي يشغله. وأكسبه كونه مقرباً من جلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة تكريماً رفيعاً للغاية باعتباره من العامة إلى حد أنه لم يكن بحاجة إلى النزول عند إرادة أحد، ولكنه كان يعرف حق المعرفة ما يشكله، وأثَّرت هذه المعرفة فيه إلى درجة أنه لم يتطلع إلى المغامرات المندفعة، ولم يسمح لنفسه قط بأن يفقد رباط جأشه. وبمرور الوقت أدرك الجميع مدى جديته.

لمح ابنة نيافته لمحات عابرة، وسمع شائعات عنها، وكان معالي وزير الحرب يتطلع إليها على امتداد سنوات، لأنها كانت تقيم في القصر الذي يتردد عليه، وقد شجعته هذه اللمحات والشائعات على الاعتقاد بأنها استثنائية حقاً. قال لنفسه: يا لهما من رشاقة وعمق رائعين بلا انتهاء هذين اللذين تتمتع بهما! نعم، ربما يجعل كون مثل هذه المرأة امرأتي الحياة جديرة بأن تُعاش في نهاية المطاف! غير أنه على الرغم من أن نيافته كان يرحب بحضوره بصفة عامة إلا أنه فصله دائماً على نحو صارم عن ابنته، وتفهم الشاب الأمر

في هدوء. وأخذاً في الاعتبار بالمخاطرة التي يتضمنها الأمر، فإنه لم يصر على محاولة الاقتراب منها. وأدرك أنه إذا قُدِّر له أن يرتبط بها، بالمخالفة لرغباته، فإن العواقب قد تبرهن على أنها وخيمة بالنسبة لكليهما[1]، فلم يقم بأي تحرك للتودد لها.

الآن وقد بدا متأكداً من أنه يحظى بالإعجاب على نطاق واسع، فإنه ما من كلمة مهما كانت خفيفة العيار قد أثارت رفضاً صارماً، وإنما قوبلت بدلاً من ذلك بالموافقة وحدها، ومن هنا فإنه في إطار المسار الطبيعي للأمور بدأ في القيام على نحو عرضي بزيارة عدد كبير من البيوتات. غير أنه كان على الدوام يستميح عذراً على نحو بارع، من دون أن يبدي التزاماً في أي مكان.

ومن شأن الاهتمامات الفاترة وغير المقترنة بالالتزام المنتمية إلى هذا النوع أن تبعث على الضيق بصفة خاصة، ولكن الكثير من النسوة اللواتي شعرن بضعف نحوه اجتذبن نحو التجمع حول سمو الأميرة المترهبنة في سانجو. ومن المؤكد أن تحفظه هناك كان مؤلماً، ولكن البعض ممن أعفتهن مرتبتهن من الخدمة كن لازلن يتطلعن إلى لقاء عابر معه، ويفضلن خيبة الأمل على فقدان كل أمل على الإطلاق. فهو في نهاية المطاف كان شديد اللطف وبهيج الصحبة بحيث إن السيدات الشابات المميزات على هذا النحو لم يستطعن حقاً إبعاد أنفسهن عن مسامحته.

كان يقول: «من المؤكد أنني أعتزم البقاء مع سمو الأميرة المترهبنة، طالما أنها على قيد الحياة، لكي تحظى بصحبتي».

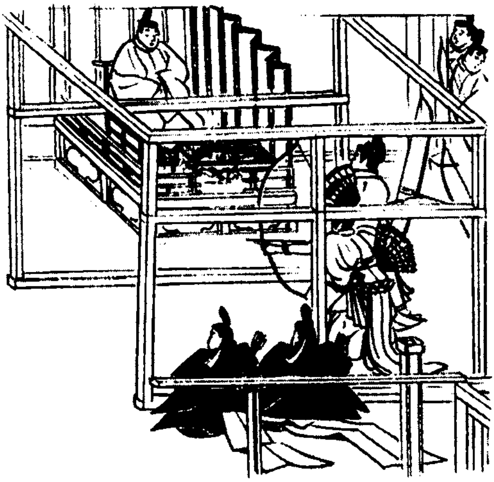
ولم يقل معالي وزير الميمنة شيئاً، ولكن هذا جعله يرغب في أن يقدم إحدى بناته لهذا الشاب. ولم يكن ذلك راجعاً إلى أنه وجد هذا الزواج جذاباً بشكل خاص[2]، ولكن بغض النظر عن هذين النبيلين الشابين، لم تكن لديه فكرة أين يجد في الدنيا الحالية أي شخص آخر جدير بأن يزوجه إحدى بناته. كانت ابنته السادسة، على نحو ما كانت تُدعى، والتي كان قد أنجبها من سيدة العاملين في البلاط، أكثر جمالاً بكثير من بناته الأرفع قدراً بحكم

---

(1) يعتقد رايزي أن كاورو هو أخوه غير الشقيق.

(2) مع تساوي كل الأمور الأخرى، فإن كاورو (يفترض أنه) من الأقارب الأدنين للغاية بحيث لا يُعد شريكاً جذاباً في الزواج بالنسبة لإحدى بنات يوجيري. ومثل هذا الزواج لن يجلب لأي من الطرفين ميزة خاصة.

الميلاد وأكثر مهارة كذلك، واعتقد أن من العار ألا تُقدرها الدنيا حق قدرها. ومن ثم فقد اهتم بها اهتماماً خاصاً، وعهد بها إلى سمو أميرة اتشيجو، التي كانت تأسف لأنها لم تنجب ذرية. وأكَّد لنفسه: عندما أتيح لهذين الاثنين إلقاء نظرة عليها فمن المؤكد أنها ستدخل السرور على نفسيهما، وما من أحد له معرفة بالنساء لن يُجتذب إليها بصفة خاصة. وبدلاً من إبقائها منعزلة بصورة صارمة، غرس في نفسها تذوق الإنجازات الحديثة والمبهجة، وهكذا أضفى عليها ألواناً من الجاذبية لتأسر فؤاد الشباب.


مسابقة العام الجديد للرماية بالسهام

تقرر أن تُقام المأدبة التي تعقب مسابقة الرماية بالسهام الخاصة بالعام الجديد في روكوجو، وأعد معالي وزير الميمنة لها بعناية خاصة، لأنه أراد أن يحضرها معالي وزير الحرب بدوره. وقام كل الأمراء البالغين برعاية هذه المناسبة. وكان الأمراء الذين أنجبتهم جلالة الامبراطورة وسيمين ومتميزين، ولكن معالي وزير الحرب برز متميزاً على الجميع. وكان الأمير الرابع، المعروف باسم معالي حاكم هيتاشي نجل خليلة للامبراطور، وهو الأمر الذي ربما يفسر السر في أنه بدا أقل اعتداداً بنفسه من الأمراء الآخرين.

وكما هي الحال دائماً، فازت الميسرة بصورة حاسمة. وانتهت المنافسة بأسرع من المعتاد، وعندئذ انسحب القائد المنتصر[1] معالي وزير الميمنة نفسه. وقبل ذهابه دعا معالي وزير الحرب، ومعالي حاكم هيتاشي والأمير الخامس نجل جلالة الامبراطورة للانضمام إليه في عربته. وكان النقيب الاستشاري، الذي انتمى إلى الجانب الخاسر، يغادر المكان في هدوء، عندما استبقاه معالي وزير الميمنة، وقال: «ألن تنضم إلينا لترى سمو الأمراء وهم يمضون في طريقهم؟». واستسلم النقيب لإصراره، وتبعه جنباً إلى جنب

(1) يوجيري بصفته العسكرية.

مع أبناء معالي المستشار المتقاعد، مثل مراقب حراسة البوابة، القائم بأعمال الاستشاري ومدقق الميمنة الكبير وكذلك نبلاء كبار آخرين. وصاحب الجميع معالي وزير الميمنة إلى روكوجو[1]. تساقط نثار من الثلج خلال رحلتهم، التي كانت طويلة تماماً، وكان الغسق جميلاً. كانوا يعزفون الموسيقى لدى وصولهم، في الساعة عينها التي يتردد فيها صوت الناي كأجمل ما يكون، وما كان بمقدور المرء إلا التساؤل في أي مكان آخر، حقاً في أي أرض بوذا، يمكن لمثل هذه اللحظة أن تمنح بهجة أعظم.

جلس النقباء والملازمون مواجهين الجنوب كالمعتاد، في الممشى الجنوبي للدار الرئيسية، بينما جلس القائمون على رعايتهم، الأمراء وكبار النبلاء[2]، على الجانب المقابل لهم مواجهين الشمال. وبدأت كأس الشراب دوراتها، وما إن أصبح الحفل متوهجاً بالحياة، حتى استدعت النسائم التي جلبتها الأكمام الدوارة في غمار رقصة «موتوميجو»[3] دفقات من العبير من براعم البرقوق القريبة، التي كانت آنذاك على وجه الدقة تتفتح بصورة رائعة في الحديقة، وإلى هذه الدفقات أضاف عطر النقيب لمسة رقيقة لاتوصف. قالت الوصيفات المفعمات بالدهشة فيما هن يختلسن النظر إلى هذا المشهد: «يا للحسرة، إن العتمة أكثر كثافة من أن تسمح بالرؤية، ولكن ما أصدق القول إنه ما من شيء يضارع ذلك العبير!»[4]. وابتهج معالي وزير الميمنة كذلك، وصاح ملاحظاً وسامة الشاب وأسلوبه المتسم بالكمال: «هلم، يا نقيب الميمنة، لابد لك من الغناء بدورك! لا ينبغي أن تلعب دور الضيف!». فغنى النقيب: «هناك يوجد الرب» وما إلى ذلك بالدرجة المناسبة على وجه الدقة من التنغيم.

---

(1) يبدو أن كاورو والآخرين جميعاً يركبون عرباتهم الخاصة.

(2) كان الغرض الظاهري من المأدبة هو تكريم الرماة الفائزين، الذين مُنحوا بهذه المناسبة مقعد الشرف (حيث يواجهون الجنوب) والقائمين على رعايتهم من النبلاء.

(3) مقطوعة من المجموعة المعروفة باسم «رقصات شرقية (أزومي أسوبي)»، ويُقال إن هذه الأغنية كانت تُعطي كلمات جديدة في كل مرة تغنى فيها. ومعنى العنوان غير واضح.

(4) فيما يتعلق بموضوع براعم البرقوق في الظلام، تشير النساء إلى كوكينشو 41، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني.

43

كوباي

براعم البرقوق الأحمر

تعنـي «كوبـاي» (براعـم) البرقوق الأحمر. ويسـتمد الفصـل عنوانـه مـن تبـادل للقصائـد بيـن المستشـار المفتش الكبير (كوباي) ونيئو.

الصلة بالفصول السابقة

بينما ينتهي «الأمير العطر» في أوائل العام العشرين من عمر كاورو، فإن أحداث «براعم البرقوق الأحمر» تبدأ في أوائل عامه الرابع والعشرين، إذ هناك هوة قوامها أربعة أعوام بين الفصلين. ومن ناحية الترتيب الزمني، فإن السنوات التي مرت بينهما تتم تغطيتها عبر الفصول الثلاثة التي تعقب هذا الفصل.

الشخوص

مستشار ميناموتو، 24 عاماً (كاورو).

المستشار الكبير المفتش.

الابن الثاني لتو نو تشوجو، 45 أو 55 عاماً (كوباي).

زوجته، ابنة هيجيكورو، 46 أو 47 عاماً (ماكيباشيرا).

سمو الأميرة، ابنة ماكيباشيرا من هوتارو.

صبي، ابن ماكيبا شيرا وكوباي.

ابنة كوباي الكبرى، زوجة ولي العهد.

ابنة كوباي الصغرى.

معالي وزير الحرب، 25 عاماً (نيئو).

معالي وزير الميمنة، 50 عاماً (يوجيري).

كان هنـاك فـي تلـك الأيام نبيل يعـرف بالمستشـار الكبيـر المفتش، وهو الابـن الثاني للمستشـار المتقاعـد الراحل، ومن هنا فإنـه الأخ الأصغر لمراقب الحرس[1]. وقد شـجَّع الوعـد الذي أظهره حتى وهو صبي وحيوية شـخصيته على ترق سـريع ومرض على مدار السـنين إلى مرتبة أكسـبته ثقة عظيمة وإلى درجة رفيعة من الحظوة. وكانت زوجته الأولى قد ماتت، ومن ثم عاش في ظل زيجته الثانية. وكانت زوجته الحالية، ابنة سـلفه في شـغل منصب المستشـار[2]، هي السـيدة التي حزنـت كثيراً لمغادرة «العمـود البديع»[3]، أي التي زوجها معالي وزير شـؤون المراسـم إلى معالي وزير الحرب الراحل[4]. وكان المستشـار الكبيـر قـد بـدأ في زيارتها سـراً بعد موت الأمير، وبمـرور الوقت كان قد وصـل فيما يبدو إلـى الإقـرار علناً بالرابطة بينهما. وكان قد أنجب من زوجتـه الأولى اثنين من الأبناء، وهو عدد اعتقد أنه أقل مما ينبغي، ومن هنا فقد ابتهل للآلهة والبوذات إلى أن أنجبت له زوجته الحاليـة ابنـاً. وكانت هناك ابنة من زيجة زوجته من الأمير الراحل. ولم ينبذ أياً منهم، وكان مولعـاً بهم جميعاً بالتسـاوي، وذلك على الرغم من أن بعض نسـوتهما اتخـذن موقفاً أقل إيجابيـة، وهو موقف سـبب درجة من الاحتكاك بيـن الحين والآخر، ولكـن زوجته، التي كانـت ذكيـة وصريحة، حملـت الأمر كله على محمل حسـن، ولم تلق بالاً إلى ما تسـمعه ويبدو مسـيئاً إلى ابنتها من زوجها الراحل، وأفلحت في أن تحسـن الظن بالجميع. وكانت النتيجة داراً حسنة التنظيم، جيدة الترتيب.

عندمـا كبـرت كل ابنـة على التوالـي، كان المستشـار الكبيـر يقيم لها حفـل عقد نطاق خاصرتها، وقام بتوسـيع الدار الرئيسية إلى سبع بلاطات، واستقر وابنته الكبرى في مقدمة الـدار، إلـى الجنـوب، وابنته الصغـرى إلى الغرب، وسـمو الأميـرة[5] إلى الشـرق. وكان

(1) كاشيواجي.

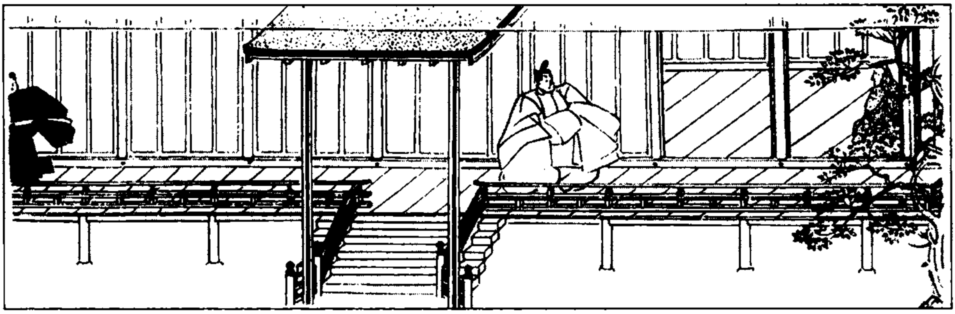
(2) هيجيكورو، الذي يبدو أنه قد أصبح مستشاراً بين فصلي «العرَّاف» و«الأمير العطر». وبداية «نهر الخيزران» توضح أنه لم يعد على قيد الحياة.

(3) في فصل «العمود البديع». وهي معروفة باسم ماكيبا شيرا.

(4) جد ماكيبا شيرا (والد موراساكي) زوجها من الأمير هوتارو (معالي وزير الحرب الراحل) الأخ غير الشقيق الأصغر لجينجي، والذي خطب ود تاماكازورا في وقت من الأوقات. وكان معالي وزير شؤون المراسم في وقت سابق وزيراً للحرب.

(5) ابنة ماكيبا شيرا التي أنجبتها من هوتارو.

حرياً بالمرء أن يظن أن سموها ستعاني من عدم وجود أبيها، ولكن الأمر لم يكن كذلك على الإطلاق، حيث وصل إليها الكثير من الممتلكات القيِّمة من جانبه ومن جانب أمها كذلك، فعاشت في الدار حياة متميزة بقدر كبير من المجاملة والود، ولم ينفعها شيء على الإطلاق.



الجانب الجنوبي من دار رئيسية

ذاع الحديث، كما هو حري بالحديث أي يذيع، عن الطريقة التي يُعلي بها المستشار الكبير من شأن بناته، إلى أن تقدم الكثير من النبلاء لخطب ود كل منهن على التوالي، ووصلت تلميحات إلى الاهتمام من جلالة الامبراطور وولي العهد. غير أن المستشار الكبير مضى يحدِّث نفسه: جلالة الامبراطور لديه امبراطورة[1]، لاتستطيع أي سيدة أخرى مهما علا قدرهما أن تجاريها وتكون ندة لها، على الرغم من أنه سيكون أمراً سيئاً للغاية عدم التفكير جيداً في ابنة المرء بحيث لا يرغب في المحاولة. أما فيما يتعلق بولي العهد فسيكون من الصعب تحدي الحظوة التي تنعم بها بالفعل ابنة معالي وزير الميمنة. وعلى الرغم من ذلك، فلابد أنه لا يزال هناك المزيد مما يمكن قوله حول هذا الأمر أكثر من هذا. أي رضا يمكن أن يكون هناك في التخلي عن فكرة إرسال ابنة المرء للخدمة في البلاط، بينما هو يعتقد طوال الوقت بصورة أصيلة أنها تستحق الكثير بصفة خاصة؟ هكذا حسم أمره وقدَّم ابنته الكبرى لولي العهد، وقد كانت في السابعة عشرة أو الثامنة عشرة من عمرها وبارعة الجمال ومبهجة من كل الجوانب.

(1) هذه هي المرة الأولى التي يدعو فيها النص ابنة جينجي بالامبراطورة (تشوجو).

كانت لابنته الصغرى رشـاقتها النبيلة، وطبيعتهـا الأكثر هدوءاً من أختها منحتها جاذبية بالغة، إلى درجة أنه لم يستطع تحمل تصورها، وقد أُهدرت بإعطائها لأحد العامة. وخلص إلى أن كلمة من معالي وزير الحرب بشأنها ستكون موضع ترحيب.

عندمـا كان معاليه يصادف الابن الصغير للمستشـار الكبير في البلاط[1]، كان يسـتدعيه لمصادقته ولتزجية الوقت. وكان الصبي يحظى بشخصية قوية، وتشير عيناه وجبينه إلى عمق حقيقي. وقال: «أبلغ المستشار الكبير بأنني لست راضياً بمعرفة الأخ الأصغر وحده!».

ابتسـم المستشـار الكبير حيال هذا، وأحس بالسرور البالغ. «إنني أفضل كثيراً أن أعطي ابنـة تسـتحق إلـى معاليه علـى أن أتدنى بهـا إلى مرتبة تقـل عن الأخريات فـي الخدمة في البـلاط». وفـي غضون ذلك اسـتحث المضي قدماً بالاسـتعدادات المتعلقـة بولي العهد، داعياً ومبتهلاً في قرارة نفسه، فيما هو يقوم بذلك:إذا قُدِّر لمشيئة إله كاسوجا أن تتحقق في حياتي، فليخدم ذلك في التصدي لأسى معالي المستشار المتقاعد الراحل المفعم بالمرارة على زوجة نيافته![2].

مضت ابنته إلى ولي العهد، وفهم مما أبلغه به الناس أنه في مقدمة من يتمتعون بالحظوة لديـه. وفـي إيماءة من الإخلاص الـذي لايعرف الأنانية قامت زوجتـه على خدمتها هناك، مـن منطلق الخشـية من أنه طالما بقيت هذه الحياة جديدة بالنسـبة لهـا، فإنها قد لا تمضي قدماً من دون دعم مناسـب. وبذهابهما كليهما مضى المستشـار الكبير يعاني، وغدت ابنته الأصغر، التي كانت معتادة على قضاء وقتها كله مع أختها قلقة وكئيبة.

لـم تصر سمو الأميرة قط على الحفاظ على مسافة بينها وبين الأخريات، فقد كن يرقدن معـاً كل ليلـة، ويتدربن سـوياً أياً كان مـا يتعلمنه. وفي أقل تسـلياتهن شـأناً كانت الأختان الأخريـان تلجآن إليهمـا كأنما تلجآن إلي معلمة. وكانت متواضعـة على نحو غير مألوف،

(1) يُفترض أن الفتى وصيف خصوصي.

(2) إنه يحلم بأن تصبح ابنته الكبرى امبراطورة. وقد أمر إله كاسوجا (أو هو يعتقد ذلك على الأقل) بأن إحدى سليلات فوجيوارا فحسب تصبح امبراطورة، ولكن الامبراطورات الثلاث الأخيرات (فوجيتسوبو، أكيكونومو وأكاشي نو تشوجو) لم يكن من قبيلة فوجيوارا. وقد كانت إحدى بنات تو نو تشوجو («معاليه الراحل»)، ومن هنا إحدى أخوات المستشار الكبير زوجة لرازي، وكان من الممكن أن تصبح امبراطورة، ولكن تو نو تشوجو نحّاه جينجي جانباً، ومضى هذا الشرف إلى أكيكونومو بدلاً من ذلك.

ونادراً ما سمحت حتى لأمها بأن تراها في جلاء وجهاً لوجه، وهو الأمر الذي كان بلاشك قصوراً من جانبها، وعلى الرغم من ذلك فإنها لم تكن قاصرة في الشخصية أو السلوكيات، حيث إنها في حقيقة الأمر كانت أكثر جاذبية من معظم الفتيات.

جعل الانشغال بإرسال الابنة إلى القصر وما إلى ذلك المستشار الكبير يشعر بالذنب، حيث انشغل بمثل هذه الصورة الحصرية بابنته، فقال لزوجته: «أرجو أن تبلغيني إذا كان لديك أي اقتراح معقول حول ما ينبغي علينا القيام به لها. وأنا اعتزم معاملتها كالأخريات تماماً».

غير أن زوجته ردت: «لست أرى مؤشراً إلى أنها على استعداد للقيام بخيار دنيوي كهذا، وأتوقع أننا سنجعلها تعيسة فحسب إذا أصررنا، ولسوف أرعاها طالما كنت على قيد الحياة. أما ما سيحدث عقب ذلك فهو مسألة تثير قلقاً كبيراً، ولكنها قد تصبح راهبة، على أي حال فإنني آمل أنها ستشق طريقها في الحياة من دون أن تثير سخرية أو فضيحة!». بكت، وواصلت الحديث لتبلغه إلى أي حد كانت السيدة الصغيرة جديرة بالإعجاب حقاً.

أحس المستشار الكبير بمشاعر الأبوة بصورة متساوية نحو كل البنات، ولكنه على الرغم من ذلك وجد أنه يريد أن يعرف كيف تبدو هذه الابنة. وأعرب عن شكواه قائلاً: «من غير اللطف منك أن تحتجبي عن ناظريَّ بهذه الطريقة»، ومضى سراً يتلمس فرصة لرؤيتها من بعيد، ولكنه لم يصل إلى لمحة منها على الإطلاق. قال وقد استقر أمام ستائرها الحاجبة: «ينبغي أن أزورك، فيما أمك بعيدة، ولكن الطريقة التي تنبذينني بها تجعل ذلك صعباً للغاية». ردت عليه بصوت خافت، صوت يدخل البهجة على النفس بقدر كاف ليعطيه فكرة عن مظهرها، وقد ثار فضوله من خلال ما أدركه عنها. ولما كان فخوراً في اقتناعه بأن بناته يفقن غيرهن، فقد مال أكثر وأكثر إلى التشكك في أنهن ربما لا يفقنها هي. وحدَّث نفسه: الأمر كله متعلق بإظهار أي حيل يمكن للحياة في هذه الدنيا الرحبة أن تقوم بها. وقد تعتقد أن فتاة هي الأفضل، ولكن لاشك في أن هناك دوماً من هي أفضل.

بدأ في الحديث: «لم أسمع موسيقاك منذ زمن بعيد. وكانت هناك مشاغل كثيرة هاهنا

أخيراً. والسيدة الصغيرة المقيمة على الجانب الغربي[1] حريصة على العزف على البيوا، ولكن ياللحسرة، فإنني أشك في أنها ستتعلم حقاً العزف عليها بالصورة الصحيحة. والاستماع إلى جهودها المتعثرة يعد محنة، وسيكون لطيفاً منك أن تعطيها دروساً، فأنا نفسي لم أتمكن من تملك ناصية هذه الآلة الموسيقية على وجه التحديد، ولكنني أفترض أن الحفلات الموسيقية التي اعتدت المشاركة فيها قبل وقت طويل، عندما كنت شاباً، قد علمتني ما يكفي لمعرفة كيفية تقدير المقطوعات جميعها. إنني لم أعد أعزف حتى على سبيل التسلية، ولكن الاستماع إلى عزفك على البيوا بين الحين والآخر يعيد إليَّ الأيام الخوالي. ومعالي وزير الميمنة هو الآن من يمضي قدماً بأسلوب سمو ساكن روكوجو. ومستشار ميناموتو[2] ومعالي وزير الحرب آثرهما بما يكفي ليكونا معادلين لأسلافهما في كل الجوانب، وهما يحبان بصفة خاصة عزف الموسيقى، ولكن يبدو لي أن عزفهما الفاتر إلى حد ما بالريشة يجعلهما في مرتبة أقل من معالي وزير الميمنة، وعزفك يذكِّرني بعزفه. ويقولون إن على المرء أن يضغط على الأوتار بخفة لكي يعزف على البيوا جيداً. ولكن التغير في الطريقة التي يبقى بها الوتر مشدوداً إلى الحلقات الزخرفية تحت ريشة العازفة دالة في عزف المرأة، وفي حقيقة الأمر فهي مبهجة للغاية. هلمي، هل ستعزفين؟ هيا، أحضرن بيوا لسيدتي!».

نادراً ما تكبدت النسوة عناء البقاء بعيدات عن النظر في حالته، ولكن فتاة صغيرة للغاية ونبيلة المحتد بحسب ما توحي به كل المظاهر جلست بعيدة بقدر ما تحس أنها لابد لها من أن تفعل لتحول بينه وبين رؤيتها، فدمدم في ضيق: «لست أدري ماذا أظن، فيما وصيفاتك يعاملنني بهذه الطريقة!».

أقبل الآن ابنه الصغير، الذي كان في طريقه إلى القصر، في رداء الخدمة، وقد بدا لعيني أبيه المولعتين به أفضل حتى مما كان عليه، وقد رُبط شعره في عناية في خصلتين توأم[3].

---

(1) ابنته الصغرى.

(2) كاورو، على الرغم من أنه لم يرد ذكره من قبل باعتباره مستشاراً. وفي فصل «نهر الخيزران» يرد ذكره باعتباره استشارياً.

(3) عندما يكون وصيف خصوصي في الزي المدني الكامل (سوكوتاي) فإنه يجعل شعره على شكل خصلتين متماثلتين (ميزورا)، ولكنه عندما يرتدي زي الخدمة (تونوي سوجاتا) فإنه يجعل شعره مسدلاً.

وأعطى الصبي رسالة ليأخذها إلى جناح رايكيدين[1]. قال: «أبلغها بأنني أترك كل شيء لها، وأنني لن أحضر هذا المساء أيضاً، فلست أشعر بأنني على مايرام».

ابتسم، وقال: «دعنا نسمع عزفك على الناي قليلاً، فأنت لاتدري متى قد يطلب منك جلالة الإمبراطو المشاركة في حفل موسيقي، وعندئذ ستشعر بالأسف. لا يزال عزفك يبدو صبيانياً على نحو فظيع». جعله يعزف من مقام السو، وهو ما قام به على نحو جميل للغاية. «عما قريب لن تكون سيئاً على الإطلاق! لابد أنك كنت تصاحب سمو الأميرة في العزف. أرجو منكما، أنتما الاثنان، أن تعزفا لي مقدمة زخرفية!». بدا جلياً أن حماسه يحرجها، ولكنها أذعنت لمدة قصيرة، عازفة على الأوتار بصورة جميلة بأصابعها[2]. ومضى المستشار يصفر متباهياً معهما.

نمت شجرة برقوق أحمر بصورة جميلة قرب الطنف عند الجانب الشرقي من الدار. وأشار قائلاً لابنه: «لقد فهمت أن معالي وزير الحرب موجود في القصر، فالتقط غصناً وقدمه له. هو الذي يعلم سيعرف»[3].

واصل الحديث: «آه، عندما كان جينجي المضيء، هكذا كانوا يلقبونه، قائداً، وكنت صبياً، كنت مقرباً منه على هذا النحو، وقد أحببته بعد ذلك دائماً. والناس اليوم يقدرون كثيراً هذين النبيلين الشابين، اللذين يستحقان بالتأكيد على المديح الذي يحظيان به، ولكنهما لاشيء مقارنة به. لا، لا يمكن أن يكون هناك أحد مثله، أو هكذا يبدو لي على الأقل، على الرغم من أنني ربما أتصور الأمور فحسب. وإذا كان شخص عادي تماماً مثلي لا يمكنه تذكره من دون أن تنتابه نوبة حزن قوية، فإنني أتصور أن من كانوا مقربين منه حقاً والذين بقوا على قيد الحياة بعده لابد أنهم يجدون الحياة طويلة للغاية».

جعلت هذه الانعطافة الحزينة في حديثه الدموع تتدفق من عينيه، وربما كانت مشاعره قد تغلبت عليه حقاً، حيث جعل ابنه يكسر غصناً صغيراً ويمضي به بعيداً على وجه السرعة.

---

(1) للمضي بها إلى ماكيبا شيرا في رايكيدين، حيث تقيم ابنته الكبرى الآن باعتبارها زوجة ولد العهد.

(2) وليس بريشة العازف.

(3) كوكينشو 38، من نظم كي نو تومونوري: «لمن سأستعرض براعم البرقوق هذه إن لم يكن لك، فمن يعلم بريقها وعبقها سيعرف».

قال: «ماذا عساني أفعل غير ذلك، فيما معالي وزير الحرب هو الرمز الوحيد الباقي من نبيل أتطلع إليه بإعزاز بالغ؟ يقولون إن أناندا واصل المسيرة بعد رحيل بوذا وإنه في غمار حكمته تألق بضياء باهر للغاية حتى بدا كما لو أن بوذا قد عاد من جديد. ربما تكون جرأة مني أن أخاطب معاليه فيما هو الضياء بالنسبة لشخص ضائع في الظلام:

عندما تعطر شجرة البرقوق في حديقتي كل نسمة،

أيتها الهازجة، ألن تقبلي للتألق وسط تلك البراعم؟».



ورق يسهل طيه

كتب هذه القصيدة بخط شاب على ورقة قرمزية ملفوفة في حرص في ورقة تصادف أنها كانت في رداء ابنه، ثم بعث بالصبي إلى القصر. فانطلق مسرعاً وقد تاق على نحو صبياني إلى معرفة معاليه بصورة أفضل.

كان معاليه عندئذ تماماً يغادر غرفة جلالة الامبراطورة الخاصة القريبة من غرفة جلالة الامبراطور وبصحبته حشد من الوصفاء الخصوصيين، فقال عندما رأى الصبي: «لماذا غادرت في وقت مبكر للغاية أمس؟ ومتى عدت؟».

ردَّ الصبي بطريقة صبيانية لكنها توحي بالتدريب والمران كذلك: «شعرت بالأسف لقيامي بذلك، وعدت مسرعاً عندما سمعت بأنك لا تزال هنا».

«لابد من أن تجيء وتمتع نفسك في مكان مريح بشكل أكبر بين الحين والآخر، في مكان ليس بالقصر[1]. هناك الكثير من الشبان هناك». انتحى بالصبي جانباً، فتراجع الآخرون مبتعدين عنهما. ولدى انصرافهم ساد الهدوء، فواصل معاليه حديثه: «فهمت أنك قد حصلت على إذن من ولي العهد بالابتعاد بعض الوقت، وقد ظننت أنه لن يسمح لك بالذهاب أبداً، ولكن يبدو أن أحداً آخر[2] ربما يكون قد حل مكانك».

---

(1) مقر نيئو في نيجو.

(2) ابنة كوباي الكبرى.

«كانت صعبة، معاليكم، تلك الطريقة التي استبقاني بها معه طوال الوقت. وأتمنى لو أنني كنت معكم». لم يقل الصبي شيئاً غير هذا.

مضى معالي وزير الحرب قائلاً: «إنها لا تطيقني، أليس كذلك؟[1] ولست ألومها حقاً، ولكنني لست مسروراً بذلك. فحاول في هدوء اكتشاف ما إذا كانت تلك السيدة الشابة هناك في الجانب الشرقي من الدار قد تكون أكثر عطفاً. فهي وأنا في نهاية المطاف ننتمي إلى الأصل العريق ذاته»[2].

كانت هذه هي اللحظة المناسبة لإعطاء سموه الزهور. ابتسم وقال: «الآن إذا أعقبت هذه ألوان اللوم..»[3] حدَّق فيها من دون أن يضعها أرضاً. كان شكل الغصن، وفرة براعمه، ولونها وعبيرها، كل ذلك كان رائعاً. «يقولون إن البرقوق الأحمر الذي يغادر حديقة يتألق لونه باهراً، ولكنه يفتقر إلى عبير البرقوق الأبيض، ولكن هذه الزهور رائعة على الصعيدين معاً!». كان مولعاً أشد الولع ببراعم البرقوق، وأشاد بهذه البراعم كثيراً.

«أعتقد أنك مناوب الليلة، فابق معي إذن!». وأبى أن يسمح للصبي بالاستئذان، وهكذا فإنه لم يذهب إلى ولي العهد على الإطلاق. ومن هنا فقد سر سروراً كبيراً وصبيانياً بالرقاد إلى جوار معاليه، بناء على رغبة معاليه نفسه غارقاً في عبير مدهش توارى إلى جواره عبير البراعم.

«لماذا لم تمض السيدة التي تنتمي إليها هذه الأزهار إلى ولي العهد؟».

«لست أدري. لقد قيل لي فقط إنها مرسلة إلى من سيقدرها». وقد اعتبر معالي وزير الحرب أن المستشار الكبير لابد أنه يضع في ذهنه ابنته هو، ومن ثم لم يعط إجابة واضحة، حيث كانت عواطفه متجهة اتجاهاً آخر.

في صباح اليوم التالي، عندما كان الفتى يوشك على المغادرة، كتب معاليه بصورة عفوية:

(1) الابنة الكبرى، وهي الآن زوجة ولي العهد.

(2) الأصل الامبراطوري.

(3) ليس واضحاً ما الذي يترتب على هذه الإشارة. لو أنه كان قد تلقى هذه الزهور بعد توجيه نوع من اللوم إلى المرسل فهل ستكون موضع ترحيب أكبر أو أقل؟

«لو أنني كنت رجلاً يسهل إغواؤه بزهور عبقة،

فهل كنت سأسمح لندائها بالمرور على جناحي النسيم؟».

قال مكرَّراً حديثه: «الآن، إذاً، بعد هذا لابد لك من إبقاء ذلك العجوز وأهله بعيداً عن إزعاجي واتباع تعليماتي السرية!»، وعند ذلك أحب الصبي واحترم السيدة المقيمة في الجانب الشرقي بشكل أكبر. وكانت الأختان الأخريان تدعانه يراهما غالباً، كأنما هما شقيقتاه، ولكنها كانت هي التي أثرت حقاً في الصبي، والتي بدت له الأكثر جدارة. وكانت الأخت في مقر ولي العهد تمضي على خير حال، وهو الأمر الذي اعتقد أنه أمر جيد للغاية أيضاً، ولكنه آلمه وضع معالي الوزير، وأراد بصفة خاصة أن يساعده. وقد وفرت له براعم البرقوق مناسبة سعيدة للقيام بذلك.

أطلع المستشار الكبير على الرد على رسالة الأمس، فأعرب عن شكواه قائلاً: «كم هذا متعب من جانبه! من الغريب أن يتصرف بتزمت واحتشام بالغين عندما نرقبه أنا ومعالي وزير الميمنة، لمجرد أنه يدرك أننا لا نوافق على مضيه بجسارته إلى أبعد مما ينبغي. وكل شيء يتعلق به يوحي بأنه رجل مولع بالنساء، وحملت هذه الجدية المبالغ فيها المخاطرة بجعله مضجراً». وفي غمار تذمر المستشار الكبير بعث بابنه إلى القصر في ذلك اليوم مجدداً برسالة أخرى:

«ذات مرة لمستها أكمامك، وهي تفوح بعبيرها الرائع

ستعطر هذه الزهور النسيم بشهرة متألقة.

آمل أن تغتفر لي أنني أستميح لنفسي حرية التعبير». هكذا أضاف جاداً.

حدَّث معالي وزير الحرب نفسه، وقد وجد اهتمامه مثيراً للفضول في نهاية المطاف: يبدو حقاً أنه يحاول إقناعي.

«لو أنني مضيت إلى دار تنثر في الأفق عبير البراعم،

فقد يلحظ الناس هنا وهناك ميلاً فيَّ إلى الظلال الغاوية»

شعر المستشار الكبير بأن رده لا يزال بعيداً عن التسليم بشيء.

كانت زوجته، التي عادت إلى الدار مجدداً، تتحدَّث عن ما كان يجري في البلاط،

عندما أشارت بقولها: «كان ابننا هناك لأداء مناوبة ليلية، وكانت رائحته رائعة للغاية عندما غادر المكان، حتى إن ولي العهد عرف مباشرة أنه كان مع معالي وزير الحرب، على الرغم من أن معظم الناس لم يكترثوا بالأمر. فأعرب عن شكواه: (لاعجب أنه لم يعد يكترث بي!). كان ذلك طريفاً للغاية. هل بعثت إلى معاليه برسالة؟ لم يبد لي أنك فعلت ذلك».

«لقد بعثت إليه برسالة، ومعاليه يحب براعم البرقوق، ولم أستطع الامتناع عن قطع غصن من شجرة البرقوق الأحمر هناك قرب الطنف، إذ إنها جميلة للغاية. والعطر الذي يخلفه وراءه بديع تماماً حقاً. وما من امرأة تعد نفسها لمناسبة كبرى يمكن أن تعطر نفسها على ذلك النحو. ومستشار ميناموتو لايبذل جهداً على الإطلاق في تعطير نفسه، وهو أمر غريب حقاً، فهو على هذا النحو بصورة طبيعية. وهذا أمر مدهش حقاً. ولست أستطيع الامتناع عن التساؤل أي كارما من حيوات مضت يمكن أن تكون قد أسفرت عن هذه المكافأة. إن براعم البرقوق لاتعدو أن تكون براعم برقوق، ولكن المهم هو الجذر الذي تنمو منه شجرة البرقوق. وذلك هو السر في أن معاليه يحب شجرتنا كثيراً». وحتى في موضوع الأزهار كان معاليه هو كل ما استطاع الحديث عنه.

لم يكن الأمر كما لو أن سموها لم تستطع إدراك ما يجري حولها، ذلك أنها كانت كبيرة بما يكفي لإدراك أمر أو اثنين، ولكنها كانت قد رفضت رفضاً حاسماً أي تفكير في تسليم نفسها لرجل كما تفعل الأخريات. ومن شأن الرجل النبيل أن يبذل جهوداً بطولية من أجل بناته اللواتي أنجبهن من زوجته، ولاشك في أن ذلك يرجع إلى أنه يعرف أين تكمن مصلحته، وقد أطلقهن بطرق عديدة رائعة، ولكن الشائعة أوحت لمعالي وزير الحرب بأنها هي، التي تلزم الهدوء البالغ دوماً وتظل منسحبة، هي من يريدها، والتي يعتزم نيلها بكل الوسائل. وأبقى على ابن المستشار الكبير معه بصورة مستمرة، وبعث برسائل سرية، ولكن زوجة النبيل أحست بالأسف لرؤية زوجها وقد أصرَّ عليه إذ أظهر أنه قد حسم رأيه للسعي وراء الابنة الأصغر، وقد بدا حريصاً على الموافقة، فأشارت بقولها: «يا للعار، أن يتودد معاليه، وإن كان بفؤاد مرح، إلى فتاة ليس بمقدوره أن يكون له أمل في اكتسابها. يا له من هدر!».

اعتبر معالي وزير الحرب أن إخفاقه في الحصول على كلمة في معرض الرد تحدياً،

ولم يبد أنه لديه نية التخلي عنها. وفي بعض الأحيان كانت زوجة المستشار الكبير تحدِّث نفسها: ما وجه الخطأ في ذلك أخذاً في الاعتبار بهويته؟ لم لا؟ ستكون رعايته أمراً مبهجاً، ومن المؤكد أن له مستقبلاً مشرقاً. ومع ذلك فإنه يميل إلى الجسارة على نحو يدعو لليأس. وكان يتردد سراً على الكثير من البيوتات، ويبدو متلهفاً للغاية على بنات الأمير الثامن، أخذاً في الاعتبار أنه يتردد غالباً على داره[1]. أزعجتها طرقه وأساليبه الجريئة، العابثة إلى أن نبذت الفكرة في النهاية. ومع ذلك فقد كان نبيلاً عظيماً، ومن ثم كانت هي التي أخذت على عاتقها أن تقوم بين الحين والآخر خلسة بإرسال رسالة إليه.

(1) هكذا تُروى القصة في فصل «عذراء الجسر» والفصول التي تليه.

44

تاكيكاوا

نهر الخيزران

«تاكيكاوا» («نهر الخيزران») هي أغنية سايبارا شعبية. وهـي تُغنى للمـرة الأولى في هذا الفصل على لسـان مستشـار فوجيوارا (ابـن تامـا كازورا الأصغر) وفيما يبدو على لسـان كاورو أيضاً، ثم يتبادل الاثنان قصائد تلمـح إليها. وفـي وقت لاحق يغنيها مجـدّداً الملازم الحاجـب (ابن يوجيري) وهو خطيـب خائب الرجاء لابنة تاماكازورا الكبرى.

الصلة بالفصول السابقة

تتداخل أحداث «نهر الخيزران»، من الناحية الزمنية، مع أحداث «الأمير العطر»، «عذراء الجسر» والجزء الأول من «تحت السنديانة»، ولكن القصة التي يرويها لها علاقة محدودة مع هذه الفصول.

الشخوص

مستشار ميناموتو، ثم النقيب الاستشاري، ثم المستشار، 14 إلى 23 عاماً (كاورو).

سيدة العاملين في القصر، زوجة هيجيكورو، 47 إلى 56 عاماً (تاماكازورا).

نقيب حرس ميسرة القصر، ابن تاماكازورا، 27 أو 28 عاماً عندما يكون كاورو 15 عاماً (ساكون نو تشوجو).

مدقق الميمنة، نجل تاماكازورا (أوتشوبين).

مستشار فوجيوارا، الابن الأصغر لتاماكازورا (تو جيجو).

الملاذ، الابنة الكبرى لتاماكازورا، 18 أو 19 عاماً عندما يكون كاورو 15 عاماً.

الابنة الأصغر لتاماكازورا تصبح سيدة العاملين في البلاط، 18 أو 19 عاماً عندما يكون كاورو 15 عاماً.

معالي وزير الميمنة، ثم معالي وزير الميسرة، 40 إلى 49 عاماً (يوجيري).

جلالة الامبراطور، 35 عاماً إلى 44 عاماً.

نيافة الامبراطور المتقاعد رايزي، 43 إلى 52 عاماً.

الملازم الحاجب، ثم النقيب من الدرجة الثالثة، ثم الاستشاري، ابن يوجيري في أواخر سنوات المراهقة إلى أواخر العشرينيات من العمر.

أمه، زوجة يوجيري، 42 إلى 51 عاماً (كوموي نو كاري).

المستشار الكبير، ثم وزير الميمنة، أواخر سنوات المراهقة إلى أواخر العشرينيات (كوباي).

زوجته، ابنة هيجيكورو وزوجته الأولى (ماكيباشيرا).

شقيقها، مستشار فوجيوارا.

زوجة نيافة رايزي، ابنة تونوتشوجو، 44 إلى 53 عاماً (كوكيدين نو نيوجو).

سايشو، وصيفة في دار تاماكازورا.

تايفو، وصيفة ابنة تاما كازورا الأصغر.

فتاة تابعة لابنة تاماكازورا الأصغر.

ناريكي وتشوجو، وصيفتان لابنة تاماكازور الكبرى.

هذه نميمة تبرعت بها عجوز معينة سليطة اللسان، كانت في وقت من الأوقات في دار خلف المستشار[1]، والتي عاشت من بعده، وهو ليس مما يشبه القصص التي دارت حول السيدة موراساكي، ولكنهم يقولون إن بعض الأشياء التي تُقال عن ذرية جينجي خاطئة، ويلمحون إلى أن هذا ربما يكون راجعاً إلى أن النساء الأكبر سناً والأكثر تشوشاً منهم كن يروجن الأكاذيب، ويتساءل المرء أي الجانبين يصدق.

أنجب ذلك المستشار الراحل من سيدة العاملين في البلاط ثلاثة أبناء وابنتين، عقد العزم على أن يكفل لهما كل المزايا، وشغله مستقبلهما على نحو أكبر مع مرور كل شهر وعام، ولكنه وياللحسرة مات بعد ذلك، وتبخرت خدمة القصر التي كان قد تطلع إلى قيام ابنتيه بها في لهفة كالحلم. وبينما بقيت الثروة الخاصة والضياع التي حظي بها هذا النبيل العظيم والقوي من بعده كما هي، فإن مشاعر البشر تتغير مع مرور الوقت، وغمر السكون والصمت مقره الذي تغيَّر بعمق.

وكان لسيدة العاملين في البلاط أقارب في كل مكان، ولكن العلاقات مع ذوي النفوذ ليست بالأمر اليسير أبداً، وربما كانت طريقة معالي المستشار الراحل التعسفية وافتقاره إلى الدفء الحقيقي وراء إثارة كرههم، فهي لم تكن على اتصال مناسب بأي منهم. وقد واصل سمو الامبراطور الفخري المتقاعد المقيم في روكوجو كما في السابق معاملته لها على أنها ابنته، وقد أوردها بعد جلالة الامبراطورة مباشرة في الوصية التي تركها ليشير فيها إلى رغباته بالنسبة لمرحلة ما بعد وفاته، ومن هنا فقد قام معالي وزير الميمنة بزيارتها بتلك الروحية، عندما كانت المناسبة تشجعه على القيام بذلك.

عانى أبناؤها من الكثير من القلق والحزن بسبب فقدان أبيهم، حيث إنهم كانوا آنذاك قد بلغوا مبلغ الرجال وغدوا من الكبار، ولكنهم بدوا في إطار المسار الطبيعي للأمور وقد أصبحوا في خير حال. وبقيت مسألة ما يتعين عليها القيام به بالنسبة لابنتيها. وكان المستشار الراحل قد أبلغ جلالة الامبراطور بمدى الأمل الذي يعلقه في شغف على قيام الكبرى منهما بخدمته، وغالباً ما أشار جلالته، وهو يحصي السنين، إلى أنها لابد قد أصبحت الآن امرأة شابة، ولكن بحلول ذلك الوقت كانت الامبراطورة تنال حظوة فائقة

---

(1) هيجيكورو.

للغايـة، إلـى درجة أن الأخريات كافة بـدون بعيدات عن البال بالمقارنـة بها، ومن هنا فقد ترددت سـيدة العاملين في البلاط، إذ لم ترغب في أن تتدنى أي ابنة من ابنتيها إلى مسـتوى لفت نظر جلالة الامبراطور من بعيد، وآلمها أن تتصورها أقل مرتبة من الأخريات.

تقدم نيافة الامبراطور رايزي بطلب مفعم بالإلحاح، متحدِّثاً بلوم عن الرغبة على الأقل في التعويض عن خيبة الأمل المريرة التي سبَّبتها له منذ وقت طويل[1]. إذ قال جاداً: «الآن وقـد أصبحـت عجـوزاً وبلا جدوى، قـد تفكرين فيَّ بشـكل أقل مما فعلت آنـذاك، ولكن أرجـو أن تعطينـي إياهـا كمـا تعطينها لأب صالـح!». لم تدر ماذا عسـاها تفعـل. وراحت تتسـاءل: ما الذي سـيكون الأفضل؟ إنني أشـعر بمصيري البائس بالخجل الشديد والخطأ المتفاقم لأنني أثرت غضبه، على الرغم من أنني لم أقصد ذلك قط، ربما يفكر فيَّ بشـكل أفضل عندئذ. غير أنها لم تستطع أن تحسم رأيها.

قيل إن الابنتين كلتيهما جميلتان للغاية، وتقدم لهما خطاب كثيرون. وكان النبيل الشاب الملقب بالملازم الحاجب، وهو ابن معالي وزير الميمنة من زوجته المقيمة في سانجو[2]- وشـاب لطيف وأثير بصفة خاصة بين إخوته-حريصاً على وجه الخصوص على الفوز بيد إحداهما. وقد رحبت سـيدة العاملين في القصر بزيارات من كل الإخوة، فقد كانوا أقارب مـن الجانبيـن[3]. وقـد أفلح هـذا الخطيب في نقل نوايـاه على نحو فعـال للغاية عن طريق الاهتمـام بالوصيفـات كذلك، ووجـدت الإصرار الذي فعـل ذلك به مضجـراً ومؤثراً في آن. وبعثـت لهـا أمه برسـائل متتابعة، ورجاها معالـي وزير الميمنة بـدوره أن «تجد طريقة للنظـر بعين التعاطف إليه، على الرغم من صغر عمره». وترددت في قبول مثل هذه الزيجة العادية للغاية لابنتها الكبرى، ولكنها أحست بأنه سيكون لا بأس به بالنسبة للابنة الصغرى لدى اكتسابه ثقلاً أكبر في الدنيا. وفي غضون ذلك، فإنه كرَّس فؤاده للابنة الكبرى بإصرار بالغ، بحيث إنه كان على استعداد لاختطافها إذا حجبت أمها أذنها باتمام الزواج. وبالنسبة لسيدة العاملين في القصر فإن مثل هذه الزيجة ربما لم تكن كارثة تامة، ولكن أي شيء من

(1) عندما تزوجت تاما كازورا من هيجيكورو بدلاً من خدمة رايزي كسيدة للعاملين في القصر.

(2) كوموي نو كاري.

(3) أبناء يوجيري الذين أنجبتهم له كوموي نو كاري هم أقارب لتاما كازورا من ناحية الأم (أخت غير شقيقة لتاما كازورا) ومن ناحية يوجيري (ابن عم تاما كازورا).

هذا النوع قبل موافقة الفتاة عليه سيحدث فضيحة، ومن هنا فقد حذرت المرأة التي كانت تحادثه، بأقصى ما تستطيع من الصرامة، بالتزام الحذر وتجنب أي هفوة. ولم تدر المرأة أي طريق تسلك.

كان مستشار ميناموتو، الذي أنجبته ابنة نيافته المترهبن سوزاكو في وقت متأخر للغاية لسمو الامبراطور الفخري المتقاعد المقيم في روكوجو، والذي يعامله نيافته رايزي الآن على أنه ابنه، في الرابعة عشرة من عمره أو الخامسة عشرة آنذاك. وكان أبعد ما يكون عن الصبي الذي يتوقعه المرء في ذلك العمر، فقد كان سلوكه طيباً للغاية، وتمتع بأخلاق رفيعة تماماً إلى حد أن مستقبله المشرق بدا جلياً للعيان، وأرادته سيدة العاملين في البلاط زوجاً لإحدى ابنتيها، وكانت تقيم على مقربة شديدة من مقر أمه في سانجو، وكان يزور دارها عندما يحضره أبناؤها ليشاركهم مسراتهم.

وكان وجود مثل هاتين السيدتين النبيلتين الشابتين يضع معدن كل شاب موضع الاختبار، وبين هؤلاء الذين مضوا مستعرضين أنفسهم كان هذا الملازم الحاجب اللحوح هو الذي بدا وسيماً للغاية، بينما لم يعادل أحد مستشار ميناموتو في الرشاقة العذبة وتميز الأسلوب. وما كان بوسع الدنيا بأسرها إلا أن تحبذه، ربما بسبب الفارق الذي أحدثه، والذي جعل الناس يظنونه شديد الشبه بسمو الامبراطور المتقاعد الراحل. وكانت الوصيفات الشابات مفتونات به بصفة خاصة، ووافقت سيدتهن على أنه كان لطيفاً للغاية حقاً، وسمحت له بتبادل الحديث الحميم معها.

قالت: «عندما أعود إلى الوراء متأملة كل طيبة سمو الامبراطور الفخري المتقاعد الراحل، أحس بأنني سأفتقده دوماً. من غيرك بقي ليذكرني به؟ إن معالي وزير الميمنة رفيع القدر للغاية، إلى درجة أنني لا يمكنني أن ألقاه إلا عندما تسمح الظروف بذلك». وبالنسبة لها كان الشاب أخاً، ونظر إلى دارها باعتبارها داراً يحق له تماماً زيارتها.

ولم يظهر على الإطلاق ميلاً إلى التجرؤ المألوف، وأصابت جديته الملحوظة النسوة الشابات في الدارين كلتيهما[1] بخيبة أمل بالغة، إلى درجة أنهن مضين يضايقنه بشأنها.

---

(1) في داري تاما كازورا وأنا سان نو ميا.

في الأيام الأولى من العام، تلقت سيدة البلاط زيارة من أخيها المستشار الكبير (الذي غنى «تاكاساجو»، كما تعرفون)[1]، وكذلك من مستشار فوجيوارا (الابن الأكبر للمستشار الراحل وشقيق ماكيباشيرا) وهلم جراً. وأقبل معالي وزير الميمنة بدوره مع أبنائه الستة. أوصى بالكمال في مظهره وفي كل جانب آخر من شخصه، وسبقته شهرته التي كانت على القدر نفسه من التألق. وحظي أبناؤه الذين كان كل منهم وسيماً بطريقته الخاصة، برتبة ومنصب يتجاوزان سنوات أعمارهم، ولابد أنهم بدوا متحررين من الهموم. وعلى الرغم من ذلك، فإن الملازم الحاجب، الذي كان يبدو بجلاء الأكثر تميزاً بينهم، لاح مقطباً وحزيناً.

تجاذب معالي وزير الميمنة وسيد العاملين في القصر أطراف الحديث كالعهد دائماً وبينهما ستارة قائمة. واستهل الحديث بالقول: «نادراً ما أستطيع زيارتك من دون سبب وجيه، ومع مضي السنين فإنني أشعر أكثر فأكثر بعدم القدرة على الذهاب إلى أي مكان على الإطلاق، باستثناء القصر، وهكذا كما ترين فإنني أتجاهل الكثير من اللحظات التي أود أن أتحدث فيها معك حول الأيام الخوالي. أرجو أن تعتمدي على خدمات أبنائي عندما تحتاجين إلى ذلك، فأنا أطالبهم على الدوام بأن يوضحوا لك إلى أي حد يهتمون بأمرك».

ردت قائلة: «إن اللطف الذي تواصل تكريمي به، فيما لم أعد مهمة بعد كل هذا الوقت، يجعل من الصعب عليَّ بصورة متزايدة نسيان السيد النبيل الذي سبقنا إلى الرحيل». وانتهزت هذه الفرصة لإبلاغه في حرص باقتراحات نيافته. وواصلت حديثها: «أجد من الصعب أن أحسم رأيي، لأنه في مثل هذه الصحبة، قد تصبح إنسانة بلا دعم مناسب أسوأ حالاً من ذي قبل».

«إنني أدرك أن جلالة الامبراطور قد أعرب عن اهتمامه كذلك، وأتساءل أي الاثنين تعتزمين تفضيله. والمرء يشعر أن نيافته قد حظي بأفضل سنواته، الآن وقد تقاعد، ولكنه يبدو أنه فقد القليل للغاية من وسامته النادرة، حتى إنه خطر لي أن أتمنى لو كانت لديَّ ابنة واعدة على نحو مناسب، ولكن يا للحسرة، ولحزني الشديد ليست لديَّ ابنة جديرة

---

(1) كوباي، المفتش المستشار الكبير الذي يبرز في فصل «براعم البرقوق الأحمر».

بالانضمام إلى مثل هذه الصحبة المهيبة. والسؤال هو: هل ستسمح الزوجة[1]، أم أميرته الأولى، حقاً بهذا؟ لقد أحجمت أخريات قبلاً لذلك السبب بالتحديد».

كان كل أنواع الناس يتجمعون في دارها، ثم يمضون إلى سانجو. وبدا من كانوا مقربين من الامبراطور المتقاعد سوزاكو ومن هم أكثر ارتباطاً بسمو الامبراطور المتقاعد المقيم في روكوجو ليسوا راغبين بعد في إهمال سمو الأميرة المترهبنة. ومضى أبناء وزير الميسرة، نقيب حرس ميسرة القصر، مدقق الميمنة، ومستشار فوجيوارا مع معالي وزير الميمنة الذي كانت معيته مهيبة على نحو يلفت الأنظار.

أقبل مستشار ميناموتو في ذلك المساء. وبين الشبان الكثيرين الحاضرين-وهم شبان وسيمون يخلو كل منهم من العيوب بطريقته الخاصة- بدا هذا الذي جاء متأخراً مجتذباً لكل العيون لدى وصوله، وأشارت امرأة شابة سريعة التأثر: «نعم، إنه مختلف حقاً!».

أضافت أخرى عابثة: «أود اقترانه بالكبرى من سيدتينا الشابتين هاهنا!». ومن المؤكد أنه تمتع برشاقة الشباب التامة، والعبق الذي يضوع منه كان مما لاينتمي إلى هذه الدنيا. وما كان بمقدور المرء أن يتخيل أحداً يحظى بأي تقدير، حتى ابنة نبيل عظيم محجوبة عن العيان، يخفق في تقدير تميزه.

عندما شرعت سيدة العاملين في القصر في المضي إلى مصلاها الخاص، داعية إياه بقولها «تعال من هنا لطفاً!»، ارتقى الدرج الشرقي وجلس إلى جوار الستائر الحاجبة المسدلة فوق الدهليز[2]، وكانت البراعم على شجرة البرقوق الفتية القريبة واعدة بالتفتح أخيراً، ومضت هازجة تشدو بأنشودتها الأولى المرتجفة، ودعت هيئة الشاب الوقورة إلى لمسة إضافية من العاطفة، فحاولت النسوة الثرثرة معه إلى أن استفزت ردوده المقتضبة امرأة أكبر سناً تدعى سايشو إلى القول:

«إذا قطفك أحدهم، قد تضوعين بعبق أكثر عذوبة.. لم لا تجربين ذلك إذاً؟»

---

(1) الزوجة كوكيدين، زوجة رايزي، إحدى بنات تو نو تشوجو، وبالتالي فهي أخت غير شقيقة لتاما كازورا.

(2) الباب المزدوج مفتوح والستائر مسدلة في المدخل. ويبدو أن كاورو قد تجنب القدوم من الدرج الجنوبي الأمامي. ومصلى تاما كازورا داخل دارها، ربما على الجانب الغربي من الدار.

أظهري ألوانك قليلاً يا زهور البرقوق الباكرة!»[1]

حدَّث نفسه قائلاً: إنها لماحة، ورد عليها مداعباً:

«ربما تظنين أنك ترين شجرة مجردة من الورقة والغصن، جدباء للأبد

ولكن أي عطر بديع في الأعماق تتباهى به شجرة البرقوق المزهرة!

حاولي فحسب أن تلمسني أكمامك!».

غمغمن جميعاً: «ذلك صحيح: (بدلاً من اللون..)»[2]. ودنون بما فيه الكفاية لاجتذاب أكمامه تقريباً في لهفة.

انسلت سيدة العاملين في القصر نحوهن مقتربة مسافة أبعد في الخلف بالغرفة، وهمست: «أنتن أيتها الفتيات الشريرات! هل لابد لكن من مشاغبة شاب رفيع القدر، راسخ الإيمان على هذا النحو؟ ألا تستحين!».

حدَّث نفسه: راسخ الإيمان! هكذا يصفنني! يا لها من صفة مزعجة!».

كان ابنها، مستشار فوجيوارا، حاضراً هناك أيضاً، ذلك أنه لم يحظ بعد بامتياز الغرفة الخصوصية، ومن ثم لم يكن يقوم بجولات بداية العام الجديد، وقدَّم للجمع صينيتين من خشب الصبر، إحداهما مخصصة للفاكهة والمكسرات والأخرى للخمر.

حدَّثت سيدة العاملين في القصر نفسها قائلة: إن معالي وزير الميمنة يبدو أكثر فأكثر أقرب شبهاً إلى سمو الامبراطور المتقاعد الراحل، ولكن في حين لا يشبه هذا النبيل الشاب سموه على الإطلاق، فإنه في جاذبية محياه ومظهره الهادئ يذكِّرني بسموه في سنواته الباكرة. لابد أن ذلك هو ما كان عليه تماماً. جلبت الذكريات الدموع إلى عينيها، ومضت نسوتها يشدن في إسراف حتى بالعبق الذي بقي بعد انصراف النبيل الشاب.

ضاق النبيل الشاب نفسه بوصف «راسخ الإيمان»، وبعد العشرين من الشهر، عندما

---

(1) كوكينشو 37، من نظم سوسي: «براعم البرقوق التي ظننتها جميلة من بعيد، عرفت عندما قطفتها فحسب مدى روعتها بريقاً وعبقاً!».

(2) «جربني فحسب، ولسوف ترى!» كوكينشو 33. «بدلاً من اللون، فإن العبق هو ما يؤثر فيَّ. من الذي احتك بك كماه يا شجرة البرقوق عند داري؟».

تكـون أشـجار البرقوق في تمـام تفتح براعمها، مضى لرؤية مستشـار فوجيـوارا. وكان قد خلـص إلى أنـه لم يعد يرغب في أن يُظن بـه الافتقار إلى التمتع بالدنيـا، وأنه يود أن يتعلم أسـاليب الجرأة والجسـارة فـي العلاقات العاطفيـة. وعندما اجتاز البوابة الوسـطى، وجد شـخصاً آخر هناك، يرتدي عباءة رسـمية أيضـاً. وفي غمار عرقلته للرجـل فيما هو يتحرك للاختفاء، اكتشف أنه الملازم الحاجب الذي كان يختبئ على الدوام في المنطقة المحيطة بالـدار. وبـدا أن المـلازم تجتذبه إلى هذه البقعة موسـيقى البيوا والسـو نـو كوتو الصادرة مـن الجانـب الغربي من الدار الرئيسـية. قال مستشـار ميناموتو محدِّثاً نفسـه: يا للمخلوق المسكين! لا يمكن إلا أن يكون الانغماس في رغبة يدينها الآخرون خطيئة كبيرة.

توقفت الموسـيقى، فقال مجتذباً الملازم معـه: «هلم، دلني على الطريق، فأنا لا أعرف الدار على الإطلاق!». وقفا تحت شجرة البرقوق الأحمر أمام طريق الجسر الغربي يدندنان: «غصن شـجرة البرقوق»، وأفصح عطر المستشـار عن حضوره بوضوح يفوق إفصاح عبير الزهور عن وجود الشجرة. فُتح الباب المزدوج، وانضم شخص ما في الداخل إليهما على نحـو جميل بالعزف على الواجون. حدَّث المستشـار نفسـه: رائع! فمـا من امرأة تصاحب أغنيـة بالعزف من مقام رايو بهذا الإتقان. غنوا الأغنية مرة أخرى، وتردد العزف على البيوا عصرياً على نحو رائع أيضاً. من المؤكد أن السـيدات هنا قديرات! أحب المكان، وأمضى المساء في الحديث بعفوية أكثر مما يفعل عادة.

دفعت إحداهن آلة الواجون برفق تحت الستائر الحاجبة، فتنازل كل من الشابين للآخر عن شرف العزف عليه إلى أن توجهت سيدة العاملين في القصر، على لسان ابنها، بالرجاء إلـى مستشـار ميناموتـو: «يقولـون إن لديك لمسـة معالي المستشـار الراحـل[1]. وأود أن أسـمعك تعزف. فدع الهازجة تغويك هذا المسـاء بالعزف!». وعرف أنه لا يمكن أن يلجأ إلـى احتجاجـات خجول ليلوذ بها، وهكـذا عزف قليلاً من دون تشـديد لا داعي له. وكان عزفه بالغ الثراء والتمكن.

(1) لمسة تونو تشوجو، وهو والد تاما كازورا وكذلك جد كاورو، على الرغم من أنه ما من أحد يعرف ذلك ظاهرياً، والشبه بين لمسته ولمسة كاورو في العزف على آلة الواجون هو رمز لصلة الدم بينهما. وفي غضون ذلك، فإن الملازم هو حفيد تو نو تشوجو.

أشارت سيدة العاملين في القصر بقولها: «لم أقض أي وقت إلا بالكاد مع أبي، ولكنني أفتقده كثيراً الآن وقد رحل، وأجد أقل ذكرى له مؤثرة تماماً. وإنه لأمر غريب كيف يذكّرني هذا الشاب بالمراقب الراحل[1] ولمسته على الآلة الموسيقية هي نفسها». ربما كان العمر يجعلها أكثر ميلاً للبكاء؟ لأنها انخرطت فيه.

ثم غنى الملازم «ساكيكوسا»[2] بصوت بهيج. وكان من الطبيعي أن عدم وجود أي شخص كبير السن أو سريع الانتقاد قد شجَّع كل شاب على استلال المزيد من الموسيقى من الآخر، ولكن مستشار فوجيوارا كان بطيئاً قليلاً في مثل هذه الأمور، وهو في هذا كان ابن أبيه بلاشك، وفضَّل ببساطة الشراب. وأخيراً، إذ تم تحديه بالهتافات لكي «أعطنا على الأقل أغنية مرحة! هل لك في ذلك؟».

فغنى «نهر الخيزران»[3] معهن بصورة جميلة، على الرغم من كونه في مقتبل العمر.

ظهرت كأس خمر من تحت الستائر الحاجبة. تساءل مستشار ميناموتو معتذراً عن عدم قبولها[4]: «يقولون إنه عندما يتلاعب الشراب برأس رجل، فإنه لا يستطيع الاحتفاظ بسر، ويجلب العار. فهل هذه نيتك، ياسيدتي؟». التقطت سيدة العاملين في القصر عباءة ورداء طويلاً لا يزالان يضوعان بالعبق الرقيق لمرتديهما، ووضعتهما أحدهما فوق الآخر على كتفيه، فقال محتجاً: «ما الذي يمكن أن يكون هذان من أجله؟» ووضعهما على مضيفه استعداداً للرحيل، ثم لاذ بالهرب على الرغم من محاولات مضيفه لإيقافه، قائلاً: «لقد جئت من أجل مرطبات خفيفة فحسب، والآن انظر كم تأخر الوقت!»[5].

(1) كاشيواجي. الأصل يدعوه بالفعل «المستشار الكبير»، وهو المنصب الذي أُسند إليه وهو على فراش الموت.

(2) مقطع يحمل التهنئة من أغنية السايبارا «هذا النبيل». ونبتة الساكيكوسا، التي لم يعد من الممكن تحديدها بيقين، كان يُعتقد أنها رائعة في الأزمنة الغابرة.

(3) كانت كلمات «أغنية الخيزران» تمضي على مثل هذا النحو: «دعني أذهب، أذهب، أذهب، يداً بيد مع عذراء جميلة، إلى فراش من زهور، آه، إلى فراش الزهور ذاك بجوار الجسر، الجسر الممتد فوق نهر الخيزران». والأغنية رائعة لأنها توحي بمديح سيدات الدار.

(4) يتضمن النص قيام مستشار فوجيوارا (ابن تاما كازورا) بغناء «نهر الخيزران»، لكن كاورو يبدو أنه قد غناها أيضاً.

(5) يتظاهر كاورو بأنه يشارك في فعاليات العام الجديد المرحة، وأنه قد توقف عند الدار من أجل المرطبات الخفيفة (ميزومونايا) على نحو ما كان المشاركون في المرح والقصف يفعلون في جولاتهم.

أدرك الملازم أن زيارات المستشار المتابعة للدار لابد أنها أكسبته ولاء الجميع هناك، فحزن أكثر من أي وقت مضى، وتأسف على نفسه، ودمدم في مرارة يقول:


رداء يقدم هدية

«يبدو أن الجميع منح فؤاده للبراعم هنا،
وأنا أضرب وحيداً عبر ظلام ليلة ربيعية»[1].

دفعت شكواه إحداهن في الداخل إلى الرد:

«ستلقى الترحيب في موسمك، فشجرة البرقوق المزهرة
تقدم ما يفوق كثيراً عبيرها لاجتذاب الفؤاد الراغب».

في صباح اليوم التالي، كتب مستشار ميناموتو لمضيفته مستخدماً الكثير من رموز الكانا، كأنما قصد أن تراها أخريات[2] أيضاً: «لقد كنت مشاكساً للغاية البارحة، وأتساءل ما الذي ظنه بي الجميع». وعلى الحافة أضاف:

«طبقة الأغنية التي جعلتها منخفضة لأعطيها لكن على نهر الخيزران
هل أدركتن من أعماقها الغور الحقيقي لفؤادي؟»

حمل مستشار فوجيوارا هذه الرسالة إلى الدار الرئيسية، حيث قرأتها السيدات. وصاحت سيدة العاملين في القصر مندهشة: «يا له من خط جميل! كيف يمكن لأحد في مقتبل العمر أن يكون على هذه الدرجة من الإتقان؟ لقد كان صبياً فحسب عندما فقد سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، وسمو الأميرة أمه لم تفعل شيئاً من أجله، ومع ذلك فإنه يبدو متفوقاً على أي شخص آخر!». ولامت بناتها على كتابتهن هن أنفسهن بخط بائس.

رد ابنها بطريقة أفصحت بالفعل عن شبابه: «كانت إشارتك مساء أمس إلى (المرطبات

---

(1) «البراعم» هي كاورو. ويشير «ظلام ليلة ربيعية» (هارو نو يو نو يامي) أيضاً إلى عبق كاورو الشخصي بسبب كوكينشو 41 من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني «ظلام ليلة ربيعية لا يمنح شيئاً، فعلى الرغم من أن براعم البرقوق تظل محتجبة عن العيان، ما الذي يمكن أن يحجب عبقها؟».

(2) بصفة خاصة تاما كازورا وابنتها الأكبر.

الخفيفة) مفاجأة غير سارة.

سارعت مبتعداً خشية إيغال الليل على نهر الخيزران،

ماذا كانت إذاً تلك الأعماق التي طرحتها لتفهم من أغنيتك؟».

كانـت هذه الزيارة هـي بالفعل الأولى من بين زيارات عديدة قام بها النبيل الشـاب إلى زميلـه المستشـار، وكذلك بداية تودد. وقد فضله الجميـع، وكان الملازم محقاً تماماً. وقد ابتهج مستشار فوجيوارا بطريقته الشابة لقضاء كل هذا الوقت ليلاً ونهاراً مع قريبه.

أقبل الشهر الثالث. ما إن ازهرت أشجار الكرز، حتى ملأت البتلات المتساقطة السماء كالسـحب[1]، ولم يترك ترف وقت الإزهار لسـيدة العاملين في القصر إلا القليل لتقوم به، ولم يكن هناك ما يعيب حتى في الجلوس قرب الشرفة.

لابـد أن ابنتيهـا كانتـا آنذاك في الثامنة عشـرة أو التاسـعة عشـرة من عمريهمـا. وكانت الكبرى منهما متوهجة بالحيوية، عصرية الطابع وذات كبرياء، حتى إن المرء كان يشعر بأنها ستتعرض للهدر حقاً إذا تزوجت رجلاً من العامة. وكانت تتألق فتنة في اختيارها المناسب لرداء طويل بلون براعم الكرز وبطانة بلون وردة الكيريا، وأوحى مظهرها بالكبرياء والذكاء كذلـك. وكانـت الأخت الصغرى فـي رداء باللـون القرنفلي الفاتح، وشـعرها يتألق ببريق بديع تتمتع بكل رشاقة أغصان شجرة صفصاف ربيعية. ولكن على الرغم من طول قوامها ورشاقته وما يوحي به عمقها الأكثر جدية، فقد أحس الكثيرون بأن الكبرى هي التي تمتعت بأعظم قدر من الجاذبية.

شـكّل خط الجبين وانسـدال شـعرهما لوحة جميلة، فيما إحداهمـا تواجه الأخرى في لعبة الداما، وجلس مستشار فوجيوارا إلى جانبهما للقيام بالتحكيم. وعندئذ بالتحديد أطل أخـواه[2] ناظرين إلى الداخل. وصاحا: «إنكمـا تقدرانه كثيراً، بل إنكما تجعلانه حكماً في لعبتكما!». انحنيا كلاهما على ركبة واحدة بطريقة رجولية، وحرصت النسوة الواقفات في الخدمة على الوقوف بقامات منتصبة على أفضل نحو أتيح لهن.

---

(1) إشارة مرتبكة إلى كوكينشو 349 من نظم أريوارا نو ناريهيرا «آه، يا براعم الكرز، احجبيني بسحب البتلات المتساقطة حتى لا يعرف أحد كيف يوغل العمر في المسير بي».

(2) نقيب ميسرة حرس القصر ومراقب الميمنة.

أعرب النقيب عن شكواه: «لقد كنت مشغولاً للغاية في القصر، وقد تراجعت كثيراً! الأمر مثير لخيبة الأمل إلى حد بعيد!».

«كيف أمكن أن تنسى تماماً مدققاً مسكيناً فيما واجباته تترك له حرية أقل لرعاية أخواته!».

توقفت السيدتان الشابتان عن العزف، وبدتا جميلتين في خجلهما.

قال النقيب، وهو يرقبهما والدموع في عينيه: «غالباً ما أتمنى لو أن معالي المستشار الراحل لا يزال حيا!». كان في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين رجلاً مثيراً للإعجاب، ولم يكن يتوق إلا إلى إعطاء أختيه المستقبل الذي تمناه أبوه لهما.

بعثت الاختان بمن يلتقط لهما غصناً من شجرة كرز جميلة بعينها تنمو وسط الأشجار الأخرى في الحديقة القريبة، وصاحتا مندهشتين، وهما تعبثان بالغصن: «لم يسبق أن كان لهذا الغصن مثيل يوماً!».

قال النقيب: «في صغركما كنتما تتعاركان على هذه الزهور، وتصيح كل منكما قائلة إنها زهورها، وأهداها معالي المستشار الراحل إلى الكبرى منكما، وعندئذ خلصت أمناً إلى أن الشجرة نفسها تنتمي إلى الصغرى. وأنا نفسي لم أثر مثل هذه الضجة حول الأمر، ولكنها عنت الكثير بالنسبة لي بدوري». واصل حديثه: «خاطرة أن شجرة الكرز هذه عجوز الآن تذكرني بكل السنوات التي مضت، والحزن النابع من أنني عشت بعد الكثير من الناس هو أكثر مما أطيق تقريباً». وبقي هناك وقتاً أطول من المعتاد، وسط الضحك والدموع. وهو لم يعد بعد زواجه يأتي في زيارات ترفيهية، ولكنه في هذه المرة واصل البقاء بدافع حب الزهور.

بدت سيدة العاملين في القصر، التي كانت لا تزال تحتفظ بكل جمالها، أكثر شباباً من أن يكون لها مثل هؤلاء الأبناء الكبار. وكان ما جعل الامبراطور المتقاعد رايزي حريصاً للغاية على الزواج من إحدى ابنتيها في المقام الأول هو ذكراه المفعمة بالإعزاز عن الوقت الذي أرادها فيه، وأصرَّ على السعي وراء ابنتها لا لشيء إلا ليبقى ذلك الاستلطاف القديم حياً. وقال أبناؤها فيما يتعلق بهذا الجانب إن أختهم يمكن أن تمضي إليه. «ليس

هناك سبب على الإطلاق يدعو إلى التعجل، فالاختيار الذي يأتي في أوانه يبدو أنه على الدوام الاختيار الذي يحظى بموافقة الجميع، ورؤيته تدخل سروراً عظيماً إلى النفس، هذا صحيح، فليس هناك من هو مثله، ولكن المرء يخرج بالانطباع بأنه لم يعد كما كان. وتناغمات النايات والوتريات، مباهج البراعم وشدو الطيور لا تفتن العين أو الأذن إلا في أوانها. ماذا عن ولي العهد؟».

ردت: «إنني أتساءل في هذا الصدد، هناك سيدة قوية للغاية[1] اعتبرته على الدوام ملكاً خالصاً لها. ويقلقني أن المسكينة قد تتعرض للهزء بها إذا مضت إلى هناك. لو أن معالي المستشار لا يزال على قيد الحياة، لكان قد توصل إلى شيء في الوقت الراهن على الأقل، أياً كان مستقبلها في نهاية المطاف». أدخلت هذه الخاطرة الحزن على نفوسهم جميعاً.

ما إن انصرف النقيب والآخرون، حتى عادت الأختان إلى لعبتهما، وتراهنتا على شجرة الكرز التي أعلنت كل منهما أنها شجرتها دوماً. وداعبت كل منهما الأخرى: «من تربح دورين من ثلاثة أدوار تكسب الزهور».

كان الظلام يدنو، وأنهتا لعبتهما قرب الشرفة، ورفعت النسوة الستائر الحاجبة، وداعبت كل منهما مربيتها. وعندئذ على وجه الدقة، وكما هي الحال غالباً، أطل الملازم عند غرفة مستشار فوجيوارا. وعندما وجد الأخوة قد انصرفوا وما من أحد هناك، انسل لينعم النظر عبر الباب المفتوح.

أحس الشاب الأحمق كأنما المصير السعيد جلب له رؤية بوذات على قيد الحياة. حجبت غمامات المساء المشهد إلى حد ما، ولكن نظرته المحدِّقة رصدت على الرغم من ذلك أن السيدة الشابة ذات الرداء بلون براعم الكرز لا يمكن إلا أن تكون هي. شكّلت حقاً «رمزاً لبراعم سرعان ما تمضي»[2] في أجمل إهاب، وحزن بمزيد من المرارة أكثر من أي وقت مضى لأنها ستمضي عما قريب إلى مكان آخر. بدت الشابات المنطلقات بصورة عفوية جميلات للغاية في سنا المساء.

---

(1) ابنة يوجيري.

(2) كوكينشو 66: «سأرتدي ثياباً صُبغت بعمق بألوان الكرز، رمزاً لبراعم سرعان ما تمضي بعيداً».

فازت الميمنة[1]، وترددت أصوات منفعلة: «أين موسيقى كوما الخاصة بالفوز؟»[2].

أعلن شخص ما إلى اليمين في مرح: «لقد خصَّص معاليه للميسرة شجرة تميل غرباً، وهو ما يعني أنه يؤثر الميمنة[3]، ومن هنا بدأت كل المتاعب!».

لم يدر الملازم عمن يتحدثن، ولكن على الرغم من ذلك فقد بدا كل شيء طريفاً، وأحس بالرغبة في المشاركة فيه، وخلص إلى أن ذلك سيكون مما يفتقر إلى الكياسة من جانبه، فيما هن جميعاً في مثل هذه الحالة المزاجية العفوية، وبدلاً من ذلك مضى بعيداً. وبعد ذلك مضى يتجسس متحيِّناً فرصة كهذه مجدداً.

أمضت الأختان الليل والنهار في التنافس فيما بينهما على من التي من حقها الشجرة المزهرة، ولكنهما ذات مساء فزعتا لرؤية البتلات وهي تطير في كل اتجاه. قالت الخاسرة:

«آه، يا براعم الكرز! لشد ما يخفق قلب المرء من أجلها عندما تهب الرياح العاصفة،

على الرغم من أن أي شخص يمكنه أن يرى أنها لا تكترث البتة».

أضافت سايشو:

«مثل هذه الزهور أمام أعيننا سرعان ما تتناثر،

لاتكترثن لفقدها، فلن أبقي الشكوى في فؤادي طويلاً».

الأخت إلى اليمين:

«حال الدنيا أن تنثرها الريح، لكن كم هو محزن

أن ترى البراعم تذوي وهي لا تزال على الغصن».

وتايفو:

---

(1) الأخت الأصغر.

(2) النسوة يمزحن. كانت موسيقى «راجو» (كوما، الكورية) تُعزف للإشارة إلى فوز تحرزه «الميمنة» في المسابقات.

(3) كانت الأخت الصغرى، بحكم كونها كذلك، تقيم في الجانب الأيمن (الغربي) من الدار من منظور من يواجه الجنوب.

«أقبلي، أيتها البتلات الشاردة، من الذي يسقط بجانب البحيرة لأن ذلك يسعدك

فيما أنت زبد على الأمواج، ومع ذلك أقبلي!»

هبطت فتاة تابعة من الجانب الفائز إلى الحديقة، وجمعت الكثير من البتلات من تحت الشجرة، وجلبتها إلى سيدتها:

«ربما تتناثرين على جناحي الريح عبر السماء الرحبة، يا براعم الكرز،

غير أني سأجمعك وأستمتع بك، فأنت لي».

ثم ناريكي من الميسرة:

«هل أكمامك تلك عريضة بما يكفي لاستيعاب بتلات الكرز كافة

والاحتفاظ بكامل حسنها لك وحدك دون غيرك؟.

لابد أنك بخيلة للغاية!».

مضت الأيام والشهور في انسيابها، وفي غضون ذلك تفاقم قلق سيدة العاملين في البلاط بشأن المستقبل، وجلب كل يوم رسالة جديدة من نيافته، الذي أكدت لها زوجته بجدية في تعبيرات من هذا القبيل: «هل تقصدين إذاً الابقاء على مسافة بيني وبينك؟ يفترض نيافته أنني أحرضك عليه، وهو ليس راضياً على الإطلاق عن ذلك. إنني لا أمزح، أؤكد لك. لطفاً،إذا كان بمقدورك، احسمي الأمر سريعاً!».

مضت سيدة العاملين في البلاط تحدِّث نفسها: لابد أن هذا إذاً هو قدرها. ولست أجرؤ على رفض مثل هذه المناشدات العاجلة. وكانت قد أعدت جهاز عروس مناسباً لابنتها وملابس وكل شيء آخر تمس الحاجة إليه لنسوتها.

اعتقد الملازم أنه سيموت عندما سمع الخبر، وضايق لومه المرير أمه. فكتبت تقول على وجه السرعة: «إن الظلمة الطائشة في فؤاد الأم هي التي تدعوني، كما ترين، إلى التجرؤ على الإشارة إلى موضوع على مثل هذا القدر من الدقة. وأنا أتوسل إليك أن تتفهميني، إذا كان بمقدورك الآن منحي السكينة التي أنشدها!».

تنهدت سيدة العاملين في القصر:كم هو صعب هذا كله! وردَّت: «إنني أنا نفسي أظل

بعيـدة عن التأكد من أي مسـار يتعيـن عليَّ اختياره، ولكن يا للحسـرة، فإصـرار نيافته يثير انزعاجي بشدة. أرجو أن تكون صبورة قليلاً، إذا كنت حريصة حقاً، فأنا أعتقد أنه قد يكون من الممكن إرضاؤك في نهاية المطاف، وبطريقة لا تثير اسـتياء أحد». ومن المفترض أنها قد قصدت أنها قد تقترح ابنتها الصغرى، بعد أن يتم زواج ابنتها الكبرى.

سـيكون من قبيل التجاوز الشـديد تزويج الاثنتين في وقت واحد! هكذا راحت تحدِّث نفسـها. وبالإضافة إلى ذلك فإن مرتبته لا تزال شـديدة التواضع[1]. غير أن الشاب لم يظهر أي مؤشـر إلـى تحويـل عاطفتـه إلى أي اتجاه آخـر. فقد أثَّـرت فيه تلك اللمحة منها أشـد التأثيـر، بحيـث إنه لـم يتق إلا إلى لمحة أخرى مثلها، والآن غرق في البؤس عندما وجد أن آماله كافة قد تحطمت.

عندما وصل إلى غرفة مستشار فوجيوارا ليعرب عن شكواه التي تمضي عبثاً، وجده يقرأ رسالة من زميله مستشار ميناموتو. وتحرك المستشار ليخفيها. فحدَّث الملازم نفسه:كنت أعـرف ذلك، وانتزعها منه. لـم يبذل المستشـار كبير جهد للاحتفـاظ بها، ذلك أن زائره لن يشك عندئذ إلا في أن الأمر أكثر خطورة مما هو عليه.

لـم تنقل رسالة مستشار ميناموتو إلا استياء عاماً من الطريقة التي مضت بها الأمور:

«واحداً إثر الآخر، ياللحسرة، تنقضي الشهور والأيام اللامبالية،

تاركة مرارة غامضة تضفي ظلاماً على ختام الربيع».

لشـد ما يبـدو بعض الناس هادئين ومعتزين بأنفسـهم! اسـتبدَّ الضيق بالمـلازم. كل ما أكسبني إياه انفعالي المثير للسخرية ذاك هو النبذ والازدراء. كان ذلك أكثر مما يطيق. ولم يقل شـيئاً على الإطلاق، وبدلاً من ذلك انطلق نحو الغرفة التي تشـغلها تشوجو، الوصيفة التـي كان يراهـا عادة، متنهداً في غضون ذلك حول أنه لن يصل إلى مبتغاه هذه المرة أيضاً. وأثار غيظه أن يرى مستشار ميناموتو يمضي لاطلاع أمه على رده، وغلبه يأس الشباب.

كانـت مشـاعره بالغة العنف إلى حد أن وسـيطته وجـدت أن من المسـتحيل أن تتبادل

---

(1) سيكون القيام بذلك بمثابة إساءة لرايزي، إذ إن الدار سيتعين عليها عندئذ أن تقسِّم جهودها بين زيجتين، بدلاً من أن تصب كل اهتمامها على زيجة واحدة، وبما أن ابن يوجبري أصغر سناً من أن يكون جديراً بالارتباط برايزي كزوج لابنته.

الثرثرة معه، بل إنها لم تغامر بأي ردود. وطرح موضوع الأمسية التي شاهد فيها لعبة الداما بين الأختين. وصاح على نحو منذر بالعواقب: «لو أنني كان بمقدوري أن أحلم هذا الحلم مجدداً! ما الذي يتعين عليَّ الآن العيش من أجله؟ لن أكون حتى على اتصال بك على هذا النحو بعد ذلك. كم هو صحيح أن التجربة المريرة تثمر ذكريات عزيزة!».

كانت تشوجو متعاطفة معه، ولكنها لم يكن لديها ما تقوله. وبدا أنه من غير المحتمل أنه سيستمد أي بهجة من الأخت التي قد تدخل العزاء على نفسه. نعم، لاحظت من دون دهشة أن رؤية الأخت الكبرى في ذلك المساء جعلته مجنوناً على نحو أكبر بها. ودمدمت: «لسوف تزدريك سيدتي، إذا اكتشفت جلية الأمر، وسترفضك بمزيد من الإصرار. وقد ضقت بك ذرعاً، فموقفك بائس للغاية».

«ليكن، إذاً، فأنا لم أعد أخشى شيئاً، وعلى أي حال فإن حياتي قد انتهت. إنني آسف. ومع ذلك فقد خسرت في اللعبة. ألم يكن بمقدوها أن تستدعيني للدخول؟ كان يمكن أن تحرز نتائج طيبة للغاية لو أنني كنت قد أشرت إليها بعيني.

«حدثيني فحسب أنا أعد نكرة في الحياة لماذا لا أنال الكبرياء
لأكرم في أعماقي إرادة ألا يتجاوزني أحد؟».

ابتسمت تشوجو:

«إنك تطلب أكثر مما ينبغي، فالفوز أو الخسارة يعتمدان على قوتك
ما الذي أمكن أن يقنعك بأن فؤادك يعلو على الجميع؟».

هكذا ردت، واستاءت حتى من ذلك.

«أشفقي عليَّ إذاً، ودعيني أفعل ما بدا لي كما أنا،
أنت من ستقررين ما إذا كنت أحيا أو أموت».

أمضيا الليلة معاً بين دموع وضحك.

كان اليوم التالي هو الأول من الشهر الرابع، ومضى إخوة الملازم إلى القصر، ولكنه هو نفسه ظل في الدار مكتئباً، وقد دفع هذا بالدموع إلى عيني أمه. وقال معاليه: «لابد لنيافته

مـن أن يعـرف هذا. وأنا أشـك في أنني لو طرحت هذا الأمر فإن سـيدة العاملين في القصر سـتوافق، ويؤسـفني أنني لم أقل شـيئاً عنه عندما التقيتها. وما كان يمكن لها أن ترفض، لو أنني كنت واضحاً فيما يتعلق بالأمر شخصياً».

غير أن شكوى أخرى وصلت من الملازم:

«أمضيت ربيعي كله محدقاً في البراعم، ولكن بعد اليوم

ربما أُدان لتجوالي في غابة أحزان كثيفة»[1].

توسـلت كبـار وصيفات سـيدة العاملين في البـلاط إليها بطريقة أوبأخـرى، فيما يتعلق بالخطيب المسـكين، وقالت تشـوجو بصفة خاصة، مصرَّة: «سيدتي، إنني أخشى أنه يعني ما يقوله عندما يتحدث عن (ما إذا كنت أحيا أو أموت)».

أحسـت سيدتهن بالأسـف عليه أيضاً، وكانت تعرف بالفعل شعور معالي وزير الميمنة وزوجته حيال هذا الموضوع، وكيف أن الملازم سـيغضب، وبالتالي كانت على اسـتعداد لتقديم شيء بالمقابل، ولكن محاولته لتثبيط زيجة ابنتها الكبرى بدت لها شديدة التجاوز. وكان زوجهـا قـد قـرَّر منـذ وقت طويـل أن ابنته لاينبغي تحـت أي ظرف مـن الظروف أن تمضـي إلـى أحـد العامة، مهمـا كان كريم المحتد، ولكـن الأمر لم يبد كما لـو أن الذهاب إلى نيافته سـيضمن لها مستقبلاً مشـرقاً. كان رأسها مليئاً بهذه الخواطر، عندما جلبت إليها نسوتها تلك الرسالة، وفصلن القول في محنة كاتبها. فأجابت:

«الآن أعرف أخيراً، أنت يا من ادعيت البراءة بنظرتك إلى السماء،

طوال الوقت فقدت قلبك بلا أمل للبراعم».

أعربت تشوجو عن شكواها: «ياللرجل المسكين! إنها تجعل منه أضحوكة!»، لكنها لم تكبَّد نفسها عناء إعادة صياغة القصيدة[2].

ذهبت ابنة سـيدتهن الكبرى إلى نيافته في الشـهر التاسـع. وقدَّم لها معالي وزير الميمنة

---

(1) تتلاعب القصيدة بكلمة «شيجيكي» («كثيرة» أو «أشجار كثيرة») وكلمة «ناجيكي» («أحزان» أو «أشجار منبوذة»).

(2) بدلاً من التقليل من حدة رد تاما كازورا، فقد مرَّرته إلى الملازم كما هو مكتوب تماماً.

عربة ووفداً كبيراً مصاحباً. وعلى الرغم من الضيق الذي أحست به زوجته، فإنها لم ترد لمراسلتها لسيدة العاملين أن تنقطع الآن مجدداً بسبب هذا الموضوع، فيما كانت متواصلة للغاية على امتداد سنوات، ولم تنشط إلا أخيراً فحسب، ومن هنا فقد قدَّمت هدايا[1] من الملابس النسائية الفخمة. وكتبت تقول: «لم يكن لطيفاً منك ألا تخبريني، لأنني كنت مشغولة بابن بدا على نحو غريب أنه قد خرج عما تقضي به الحكمة، ولم أسمع بالأمر قط». وكان التلميح الذي أوردته معتدلاً بما فيه الكفاية، ولكن سيدة العاملين في البلاط أحست بالتعاطف الشديد معها.

بعث معالي وزير الميمنة برسالة أيضاً: «بدا لي أنني ينبغي أن أزورك، ولكن كان هناك طقس توبة معين، كما ترين، ولسوف أبعث بأبنائي ليكونوا في خدمتك، فأرجو ألا ترددي في الاستعانة بهم!». وبعث بملازم ميناموتو والمسؤول الثاني عن الحراسة. فأعربت سيدة العاملين في القصر له عن شكرها بحرارة للطفه.

قدَّم المستشار الكبير عربات تقل النسوة. وكان ينبغي على زوجته، ماكيبا شيرا ابنة معالي المستشار الراحل، أن تكون على صلات وثيقة مع كلا الطرفين[2]، ولكنها في حقيقة الأمر لم تكن كذلك. وكان مستشار فوجيوارا[3] هو الذي أقبل، وقام بكل شيء بمساعدة من النقيب ومدقق الميمنة. وكان جلياً أنه من العار أن معالي المستشار الراحل لم يكن على قيد الحياة.

بعث الملازم، من خلال مبعوثه المعتادة، بمناشدة جديدة، يائسة: «هذه هي النهاية بالنسبة لي اليوم، وقد تخليت عن كل تفكير في العيش، ولكنني لازلت حزيناً، كلمة واحدة منك فحسب، أنك تشفقين عليَّ، قد تمنحني في نهاية المطاف الشجاعة للبقاء على قيد الحياة وقتاً أطول قليلاً» وما إلى ذلك. وقد نقلتها تشوجو، ووجدت الاختين تتحدثان في حزن إحداهما مع الأخرى. وكانتا معتادتين على البقاء سوياً ليلاً ونهاراً، وضايقهما كثيراً أن تشغلا غرفاً منفصلة شرقاً وغرباً، مع باب واحد بينهما، بحيث إنهما مضتا تروحان

(1) كازوكيمونو، هدايا توزع بمناسبة الزفاف.

(2) تاما كازورا وكوباي (المستشار الكبير) هما أخت وأخ غير شقيقين، بينما تاما كازورا هي زوجة والد ماكيبا شيرا.

(3) الابن الأكبر لهيجيكورو من زوجته الأولى، ومن هنا فإنه أخ لماكيبا شيرا.

وتجيئـان باسـتمرار إحداهما إلـى الأخرى، والآن عرفتا أنهما سـرعان ما سـتفترقان حقاً. بدت الكبرى، التي جعلتها أمها ترتدي ملابسها وزينتها بعناية كبيرة، بارعة الجمال. وربما يفسـر الحزن الذي تذكَّرت به كل ما كان أبوها قد أراده لها السـر في أنها قد التقطت رسالة الملازم وقرأتها. كان لغزاً بالنسـبة لها كيف يمكنه أن يقول مثل هذه الأشـياء الغريبة، بينما هو لا يزال يحظى بأمان وجود أبويه كليهما، وراحت تتساءل عما إذا كان يقصد حقاً ما عناه بحديثه عن «النهاية» وكتبت في التو في الهامش:

«إلى أي نوع من الرجال إذاً أتوجه بتلك الكلمة الصغيرة «شفقة»

التي يستخدمها الناس في الحديث عن هذه الدنيا دائمة التغير؟[1]

لو أن الحزن وخيبة الأمل هما ما تقصد فإنني أعرف شيئاً عنهما».

قالت: «ذلك هو ما ستعطينه»، ونقلت المرأة كلماتها إليه مباشرة.

ذُهـل، خاصـة مع الأخذ في الاعتبار طبيعـة اليوم، وانهمرت دموعه مـدراراً. وأتى رده المفعم لوماً على ذكر عبارة «لن يتحدثوا عن أحد آخر غيرك»[2] وهلم جراً.

«في هذه الحياة نحيا، والموت قد يعتامنا في أي وقت،

لذا فإنني قد لا أسمع تلك الكلمة التي أطلبها منك.

سأسارع مبتهجاً إلى قبري، لو أنني علمت فحسب أنك ستقولينها فوقي».

لم يسمح إلا لمن هن جديرات بالانضمام إلى صحبتها من الفتيات التابعات والوصيفات الناضجـات، واقتضـت المناسـبة الاحتفال نفسـه، كما لو أنهـا كانت بسـبيلها إلى القصر، ومضـت أولاً لزيارة زوجة نيافته، وتجاذبت أمهـا والزوجة أطراف الحديث. كان الليل قد أرخى أسـتاره عندما جاءت إلى نيافته. وكانت كل من امبراطورته وزوجته أكبر سـناً الآن، بحيـث إن حسـنها الخلاب ما كان يمكـن أن يخفق في إثارته، وفـازت بالحظوة لديه على

(1) طلب الملازم في رسالته منها أن «تحس بالوعي بي». وهذا «الوعي» يتطابق مع «الشفقة» التي يستجديها العشاق اليائسون من السيدات المجردات من القلوب في آداب عديدة. غير أن «الوعي» هو أيضاً «الشفقة بالأشياء»، وهو تعبير يرتبط بخواطر التلاشي أو سرعة الزوال.

(2) «لن يلوموا أحداً غيرك». كوكينشو 603 من نظم كيووارا نو فوكايابو: «لن يتحدثوا عن أحد آخر غيرك إن مت عشقاً، غير أنك ربما ترغبين في الزعم بأن كل الأشياء في هذه الدنيا زائلة».

نحو رائع. وكان يسر أسلوبه ولطفه، الشبيهان للغاية بما لدى أحد العامة[1]، مبهجين بقدر ما يرغب المرء. وكان قد علّق الآمال على أن سيدة العاملين في البلاط قد تقوم بخدمته بعض الوقت كذلك، ولكنها سارعت في حرص إلى الابتعاد على نحو أثار شجنه.

كان مستشار ميناموتو يحتل مرتبة رفيعة في صدارة من يتمتعون بالحظوة على نحو ما كانت الحال عليه منذ زمن بعيد بالنسبة لجينجي المضيء، ورغب نيافته في حضوره ليلاً ونهاراً. وكانت للنبيل الشاب صلات طيبة بكل سيدات نيافته، وقد رحب بدوره بحرارة بالوافدة الجديدة، وذلك على الرغم من أنه خطر بباله أن يتساءل في قرارة نفسه عما يمكن لنيافته أن يظنه فيما يتعلق بهذه الاهتمامات.

ذات مساء هادئ، عند الغسق، كان هو ومستشار فوجيوارا في الخارج يقومان بنزهة معاً، عندما جلسا على حجارة تكسوها الأُشنة عند حافة الماء، محدِّقين بعيداً نحو شجرة صنوبر خماسية الإبر، تتداخل معها على نحو جميل شجرة وستارية مزهرة، انتصبت قرب مسكن الوافدة الجديدة، وأوحى حديث مستشار ميناموتو بمرارة محتجبة:

«لو أنه كان بمقدوري أن أمد يدي إليك، يا زهور الوستارية،

هل كنت أطل من بعيد فيما ظلالك تتجاوز ظلال شجرة الصنوبر؟»[2]

هذا ما قاله محدقاً في الزهور.

وجد صديقه هيئته مثيرة للشفقة بصورة مؤثرة، وألمح إلى أن هذه النتيجة لم تكن بالنتيجة التي حظت بتشجيعه:

«لونك الأرجواني مظهر أشاركك فيه، يا زهور الوستارية،

مع ذلك فإنك لم تعانقي قط ما أردته لك»[3].

لما كان شاباً متحمساً، فقد أحس بالأسف الشديد على صديقه. وبالنسبة لمستشار

---

(1) في التقاعد لم يعد أسيراً للمراسم والبروتوكول، ومن ثم فإن بمقدوره أن يتصرف كرب بيت عادي.

(2) الوستارية هي الابنة الأكبر وشجرة الصنوبر هي رايزي.

(3) «أنت وأنا، كلانا ننحدر من فوجيوارا، أخ وأخت أيضاً..». موراساكي، لون الأرجوان، هو لون الحب الرومانسي أو الأخوي وأيضاً لون قبيلة فوجيوارا (فوجي تعني «وستارية»).

ميناموتو فإن هذه الضربة لم تكن بتلك القسوة، ولكنه أحس يقيناً بخيبة الأمل.

في غضون ذلك، أحس الملازم بالاضطراب الشديد إلى حد التفكير جدياً في اتخاذ إجراء متطرف. الآن نقل الخطّاب تطلعهم إلى الابنة الصغرى. وأخطرت سيدة العاملين في القصر أم الملازم بأنه في ضوء الإصرار الذي أعرب به عما يجول بخاطره حول هذا الموضوع فإن ابنها قد يتلقى تقديراً مواتياً، ولكن الشاب نفسه لم يعد يزور الدار. وكان هو وأخوته كافة غالباً ما يلازمون قصر نيافته، ولكنه لم يعد يذهب إلى هناك بعد قدوم الوافدة الجديدة، وفي المناسبات النادرة عندما يطل في الغرفة الخصوصية، كان يسارع بالهرب في أسى جلي.

دُهش جلالة الامبراطور لذهاب الابنة الكبرى للخدمة في مكان آخر، على الرغم من رغبات معالي المستشار الراحل الصريحة، وبالتالي استدعى النقيب ليحصل منه على إيضاح لما جرى في هذا الشأن.

قال النقيب لسيدة العاملين في البلاط: «إنه ليس مسروراً. وقد كنت أعرف أن هذا سيحدث، وقد أبلغتك بأن الناس ستكون لهم تحفظات خاصة، ولكن لا، كانت لديك فكرة أخرى، وجعل قرارك بالمضي قدماً في الأمر من المستحيل عليَّ وضعه موضع التساؤل أكثر من هذا، وفي ضوء ما يقوله جلالة الامبراطور الآن حول هذا الأمر، فإنني أخشى كثيراً من أننا كلينا سنعاني من جرائه». كان الحنق يستبد به.

ردت أمه: «مهلاً، مهلاً، يمكنني أن أؤكد لك أنني لم أقرر شيئاً على عجلٍ، لكن نيافته أصر على نحو مثير للشفقة كثيراً، وقد حسبت أنه مما يتضمن مخاطرة أن تظهر في القصر من دون دعم، وذلك هو السر في أنني حسمت رأيي لصالح ظروف نيافته التي غدت الآن أكثر يسراً. وأنا أخشى أنني في وضع صعب للغاية، لأنه ما من أحد منكم حذرني بوضوح من العواقب، والآن حتى معالي وزير الميمنة يعلن أنه يعتبر أنني تصرفت بصورة خاطئة. الأمر كله راجع إلى قدرها، فيما أحسب». هكذا تحدَّثت بهدوء ومن دون انفعال.

«ما من عين يمكن أن ترى القدر الذي تمنحها إياه كارما الماضي الخاصة بها، كائناً ما كان، والآن فيما يتحدث جلالة الامبراطور بهذه الطريقة، كيف يمكنني أن أرفع إليه

بصراحة القول إن قدرها شاء لها أن تكون لشخص آخر؟ حسناً، لقد شعرت بالتخوف فيما يتعلق بامبراطورته، ولكن ماذا لديك لتقولينه فيما يتعلق بامبراطورة نيافته؟ بقدر ما أعلم فإنها ربما تكون قد وافقت على أن تقدم لها «المساعدة»، أو أياً كان ما تفضلين تسميتها به، ولكنني لا أستطيع تخيل أن مثل هذه المشاعر يمكن أن تستمر طويلاً. حسناً، سيتعين علينا الانتظار ورؤية ما سيكون. إن الشابات الأخريات يمضين إلى البلاط سواء تم الاكتراث بالامبراطورة أم لم يتم، أليس كذلك؟ الخدمة المخلصة لعاهلنا هي ما تجعل الحياة جديرة بأن تُعاش، ذلك ما كان على الدوام مصدر سرور أصيل. أما فيما يتعلق بزوجة نيافته، فإنه ما إن تسيء إليها أدنى هفوة فإن الجميع سيقول إنها ما كان ينبغي أن تذهب إليه في المقام الأول».

مع قول الأخوين كليهما الشيء نفسه، أحست سيدة العاملين في القصر بعدم الارتياح الشديد حقاً، ولكن نيافته ازداد تقديره أكثر فأكثر لابنتها مع مرور الوقت.

في الشهر السابع، أصبحت حاملاً. ومن المؤكد أنه ليس من المدهش أن توعك صحتها دفع الكثير من النبلاء إلى أن يرسلوا إليها تعبيرات عن تعاطفهم. كيف كان يمكن أن يظلوا غير مبالين بمحنة مثل هذه السيدة الجميلة؟ ودعا نيافته ليلاً ونهاراً بعزف الموسيقى، وهو ما شارك فيه مستشار ميناموتو، ومن هنا فقد سمع عزفها. وللعزف على آلة الواجون استدعى نيافته بانتظام كذلك تشوجو، التي كان المستشار قد غنَّى ذات مرة بمصاحبة عزفها «غصن شجرة البرقوق». ووجد المستشار هذا كله مثيراً للقلق على نحو ملحوظ.

أقبل العام الجديد، وأقبل معه مهرجان المرح، وكان العديد من الوصفاء الخصوصيين آنذاك شديدي التميز. واختار جلالة الامبراطور الأفضل من بينهم. وجعل مستشار ميناموتو واحداً من قادة منشدي الميمنة. وكان الملازم الحاجب من بين العازفين. وانطلقوا جميعاً من القصر ليمثلوا بين يديَّ نيافته تحت بدر الليلة الرابعة عشرة المتألق الذي لم تحجبه سحب. كان لكل من زوجة نيافته والملاذ الجديدة المجال المخصص لها الذي أُحيط بالستائر، وأقبل كل الأمراء والنبلاء الكبار. لم يبد أن هناك أحداً في الدنيا إلا أبناء المستشار الراحل وأبناء وزير الميمنة، الذين برزوا في أناقتهم ووسامتهم. ووفقاً لإجماع الجميع فإن حضور نيافته ارتبط بمهابة تفوق أي مهابة عرفت في القصر، فتصرف الناس بعناية بالغة.

وكان أكثرهـم انفعالاً هو الملازم، إذ أحس بعينيهـا تقعان عليه. بدت زهور القطن البيضاء المضجرة وغير المتألقة أفضل بعضها من البعض الآخر وقد وضعوها جميعاً في عصابات رؤوسهم، وقد بدا هو جديراً بالإشادة مظهراً وصوتاً. وعندما مضى بهم الرقص إلى أسفل الدرجة ليؤدوا «نهر الخيزران»، أوشك على نسيان خطواته، وامتلأت عيناه بالدموع، وهو يتذكـر اللحظة عينها من العام السـابق، ثم انتقلوا ليظهروا أمـام الامبراطورة، وتبعهم نيافته ليتابع المشـهد. نهض القمر عالياً فيما الليل يوغل في مسـيرته، وتألق بلا عائق، أكثر ضياء مـن النهـار، بينما راح يتسـاءل بأي عينين شـاهدته. أحس بالسـكر، كأنما هـو يدوس على الهواء، وملأته بالحرج الطريقة التي نادوه بها وحده مراراً ليقبل كأس الشراب.

انطلقوا يجوبون الأرجاء هنا وهناك طوال الليل بأسره، وكان مستشار ميناموتو المرهق قـد رقد لتوه أخيراً، عندما جاءه اسـتدعاء من نيافته، فغمغم فيمـا هو يمضي: «يا للإزعاج! كل ما أردته هو أن أستريح!».

سـأله نيافته كيف مضـى مهرجان المرح في القصر. قال: «كان قادة الغناء والإنشـاد في الماضي بصفة عامة رجالاً لهم خبرتهم بالفعل. لقد أجدت بحيث تم اختيارك». بدا مبتهجاً تماماً، ثم انطلق إلى غرف الملاذ، مدندناً: «عشرة آلاف ربيع»[1] مضى المستشار معه. كان هنـاك الكثيرات ممن قدمن من دور النسـاء لرؤية مهرجان المـرح، وبدا المناخ أكثر حيوية وعصرية من المعتاد.

جلس المستشـار قليلاً إلى جوار الباب المفضي إلى طريق الجسـر، متحدِّثاً مع وصيفة كان يعرف صوتها. أشار بقوله: «كان القمر متألقاً طوال الليل، ولكني أشك في أن الطريقة التـي كان وجـه الملازم الحاجب يتألق بها فـي ضيائه لها علاقة بشـعوره باختيار القمر له. تلك ليست الطريقة التي بدا بها في القصر».

أشفق بعض النسوة المستمعات على الشاب المسكين. وقالت إحداهن بخفر: «لاشك في أن الظلام غير مفيد[2]، ولكننا جميعاً خلصنا إلى أن سنا البدر يودعك على نحو جميل».

---

(1) بانسوراكو، لازمة في أغنية تغنى دوماً خلال مهرجان المرح.

(2) إيماءة أخرى إلى كوكينشو 41: «ظلام ليلة ربيعية لا يمنح شيئاً، فعلى الرغم من أن براعم البرقوق تظل محتجبة عن العيان، فما الذي يمكن أن يحجب عبقها؟».

قالت أخرى من وراء الباب:

«أتذكر تلك الليلة، عندما غنيت نهر الخيزران؟

ما من مرور خاص يعود إلى الذهن حقاً»[1].

لـم تكن قصيـدة على الإطلاق، ولكنه عرف مـن خلال الدموع التـي تواثبت إلى عينيه مجدداً مدى عمق تأثره، فأجاب:

«منحني نهر الخيزران، المتدفق أبداً، آمالاً، ثم بددها جميعها سريعاً

من هنا تعلمت درس غدر الحياة».

فُتنت النسوة بجو الشجن الذي يحيط به. ولـم يكن بالفعل بالذي يحزن تماماً على نحو ما حدث في ليلة أخرى، ولكنه كان لا يزال هناك شيء مؤثر للغاية يحيط به.

«يا للحسـرة، لقد قلت أكثر مما ينبغي!». فيما هـو ينهض لينصرف، تلقى دعوة لـ«أقبل من هنا لطفاً!» وببعض الحرج فعل ذلك[2].

أشـار نيافتـه: «ذات مرة جعل سـمو الامبراطـور المتقاعد المقيم في روكوجو سـيداته يعزفـن الموسـيقى له في الصبـاح، بعد مهرجان المرح[3]، وبحسـب ما يقولـه معالي وزير الميمنة فقد كان ذلك جميلاً. ولا يسـتطيع المرء أن يتخيل أي أحد في زماننا يتابع مسـيرته حقـاً. كان هنـاك الكثير من العازفيـن الرائعين آنذاك، حتى بين النسـاء المحيطات به، حتى إن أقل حفل موسـيقي تحول إلى مصدر بهجة». ألهمته هذه القدوة أن يأمر بدوزنة الآلات الموسـيقية. مضت آلة السـونوكو إلـى الملاذ، وآلة البيوا إلى المستشـار، بينمـا أخذ نيافته نفسه آلة الواجون. «مولانا هذا» وهلم جراً. كان عزف الملاذ لا يزال غير ناضج من بعض الجوانب. ولكنه كان قد علمها بصورة ناجحة، فقد كانت لها لمسة توحي بالجدة على نحو جميل، وأدت بصورة جيدة للغاية في كل من المصاحبات والمقطوعات الوترية. ومن شأن

---

(1) تقصد المتحدثة غناء أغنية «نهر الخيزران» في مهرجان المرح قبل عام مضى، عندما كان كاورو بدوره يستهل تودده لابنة تاما كازورا الكبرى. وكلمة «مرور» (فوشي) تنقل تلاعباً تقليدياً بكلمات «مقطوعة» (موسيقى) أو لحظة (زمنية) و«عقدة» (خيزران)».

(2) تلقى دعوة للانضمام إلى رايزي.

(3) يتم الإتيان على ذكر هذه الواقعة باختصار في نهاية فصل «أنشودة الهازجة الأولى».

المرء أن يدرك أنه ما من حاجة تدعو إلى القلق على كونها بطيئة قليلاً. وقد عرف المستشار جيداً، بالطبع، أنها يُحتمل أن تكون جميلة. وقد كانت هناك لحظات مماثلة عديدة، ولكنه أفلح في تدبر التعامل الطبيعي السهل معها، ولم تقده الغواية البتة إلى اساءة التصرف، ولم يتجاسر على انتهاز فرصة قربهما ليعرب عن أي شكوى. غير أنه بين الحين والآخر نقل بخفة شعوره بخيبة الأمل. وليست لديَّ أي فكرة عما دار بخلدها حيال ذلك.

ولدت أميرة في الشهر الرابع. ولم يكن هذا بالحدث المتألق على نحو لافت للأنظار، ولكن معالي وزير الميمنة والجميع شاركوا في احتفالات الميلاد، تقديراً لمشاعر نيافته. وأحبت سيدة العاملين في القصر مداعبة الصغيرة واحتضانها[1]. ولكن نيافته غالباً ما ذكَّرها بأنه أراد احضار ابنته إليه، وفي اليوم الخمسين من عمر الوليدة استجابت لما أمر به. كانت جذابة على نحو استثنائي، وأمضى نيافته الذي أصبح مرتبطاً بها بشدة على الرغم من أنه كان قد أنجب بالفعل أميرته الأولى، كل وقته في غرف أمها. وراحت نسوة زوجة نيافته تشكو إحداهن للأخرى من أنهن كن يمكن أن يكن في خير حال من دون ذلك.

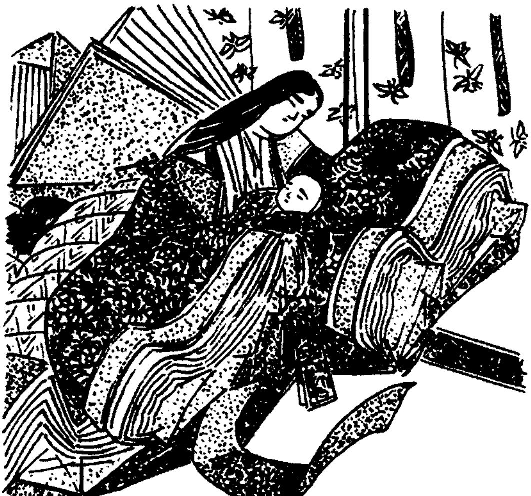
لم تكن الملاذ وزوجة نيافته تميلان على الإطلاق إلى التصرف بشكل نكد إحداهما في مواجهة الأخرى، ولكن حوادث غير سارة وقعت بين وصيفاتهما أكدت المخاوف التي أعرب المستشار، وهو الأخ الأكبر للملاذ عنها، وراحت سيدة العاملين في القصر تتساءل: أين ستنتهي هذه المشاجرات؟ هل ستتعرض للعار والتوبيخ؟ إنها تعني الكثير لنيافته، ولكنها ستكون كارثة إذا انقلبت عليها السيدات اللواتي خدمنه طويلاً للغاية بالفعل. وفي غضون ذلك تلقت تقارير تفيد أن جلالة الامبراطور يشعر بالضيق التام، وأنه لايجعل من ذلك سراً، وأزعجها ذلك أشد الازعاج حتى إنها قررت إرسال ابنتها الأصغر إلى البلاط والتخلي لها عن اللقب الذي تحمله، وهو لقب سيدة العاملين في القصر. ولم تكن استقالتها بحال شيئاً يسهل على امبراطور قبوله، ولكنها أعلنت أنها خطوة كانت قد علَّقت الآمال بلا طائل على أن تخطوها، مشيرة في هذا الصدد إلى رغبات معالي المستشار الراحل، وأوردت في هذا الصدد سوابق عديدة على الرغم من أن العهد قد بعد بها الآن، حتى إنها حصلت على موافقته. ويدرك المرء أنها قد واجهت رفضاً متكرراً في الماضي لا

---

(1) ولدت الطفلة في دار تاما كازورا.

لشيء إلا لأن مصير ابنتها الصغرى اقتضى هذا الرفض.

حدَّثت نفسها: لو أن حياة القصر تبتسم لها فحسب! وتحوَّلت خواطرها في تعاسة في الوقت نفسه إلى الملازم ومناشدات أمه. لقد جعلتها تفهم أنني سأنظر في أمره بعين العطف. ما الذي ستظنه بي؟



الاحتفال باليوم الخمسين للولادة

فاتحت معالي وزير الميمنة فيما يتعلق بالأمر من خلال ابنها المدقق، متخذة أفضل مظهر يمكنها الظهور به. قالت: «هذا، إذاً، هو ما كنت أسمعه من جلالة الامبراطور، ويزعجني أشد الإزعاج أن أتصور بعض الناس في الدنيا وهم يتهمونني بأنني ربما صوبت عالياً بأكثر مما ينبغي بالنسبة لابنتي».

ردَّ معاليه: «إنني أتفهم تمام الفهم تعبيرات جلالة الامبراطور عن الاستياء. وسيكون من سوء الطالع إذا لم تقم بالتزامها بخدمته، وأعتقد أنك ينبغي أن تعقدي العزم على جعلها تقوم بذلك تواً».

من جديد سعت وراء حسن نوايا امبراطورة قبل أن ترسل ابنة بعيداً عن دارها. وقالت لنفسها: لم يكن في مقدورهم أبداً التفكير في طردها لو أن معالي المستشار الراحل لا يزال على قيد الحياة! لم يكن جلالة الامبراطور سعيداً بشكل خاص، إذ إنه كان قد سمع أن الأخت الكبرى، اشتهرت بجمالها، ولكن هذه الأخت أيضاً لديها الكثير مما يميزها، وقد خدمته على نحو فائق.

عقدت سيدة العاملين في القصر السابقة عزمها الآن على الدخول في رحاب الدين، ولكنها أجَّلت القيام بذلك، عندما أشار ابناها إلى أنها لن تحظى بالسلام في صلواتها طالما أنها ظلت شديدة الخوف على ابنتيها. وأهابا بها أن تمضي بهما كلتيهما إلى حياة

أكثـر اسـتقراراً أولاً، وبعـد ذلك يمكن أن تكرِّس نفسـها كلية وبملء قلبها إلـى ابتهالاتها. ومضـت تـزور القصر فـي حرص بين الحيـن والآخر. غير أنهـا أحجمت عن زيـارة نيافته حتـى عندمـا كان حرياً بهـا أن تقوم بذلك، لأن إزعاجاته لم تتوقـف قط. وراحت تفكِّر في كيـف أنها ببراءة مدعاة كانت قد وافقت علـى زواج أدانه الآخرون جميعاً لكي تعوض في نهايـة المطاف عـن التجرؤ على تخييب أمله ذات مرة، وراحت تحدِّث نفسـها بأنه إذا قُدر لمثل هذه الحماقة من جانبها أن يذيع أمرها الآن، مهما كان ذلك قد قُصد باستخفاف، فإن النتيجة بالنسـبة لها سـتكون عاراً شاملاً- ومع ذلك لم يكن بمقدورها أن تكشف عن شيء مـن هـذا لابنتها، التي افترضت في ضيـق أنه على الرغم من كل ما عنتـه لأبيها فإن أمها قد فضلـت عليها أختهـا دوماً، كما في خلافهما على شـجرة الكرز، وأنها قـد تخلصت منها. وكان نيافتـه يقول: «انظـري كيف تخلت عنك لعجوز مثلي! ليس مدهشـاً أنها لا تفكِّر فيَّ كثيراً». وازداد شعوره بالأسف عليها.

بعد سـنوات قلائل، أنجبت لنيافته ابناً، وهو شـيء لم تفلح أي من نسائه الأخريات قط فـي القيام به، واندهشـت من هذا البرهان على قدرها المرمـوق. ودهش نيافته بصورة أكثر عمقاً، وأحب الوليد حباً جماً. وحدَّث نفسه: أي حدث كان يمكن لهذا أن يكون لو لم أكن قـد تنازلت عن العـرش بالفعل! وحزن لأنه ما من شـيء في الحياة له الطعـم القديم الذي كان يحظـى بـه. كانت أميرته الأولـى على الدوام هي أعـز ما لديه، ولكـن هذين الوافدين الجديدين لاحا له كأنهما معجزتان، ووصلت زوجته إلى حد الشـعور بأن الأمور لا يمكن أن تمضي بهذه الطريقة. وبدأت حوادث مؤسـفة ومحزنـة في الوقوع، الأمر الذي كان من المحتـم أن يـؤدي إلى توتر العلاقات بين السـيدتين. عندما تتصارع سـيدتان بلا حيثية فإن مـن يتابعون صراعهما يؤيدون، كقاعدة عامة، الأقدم منهمـا، ومن هنا فإن طاقم العاملين، رفيعهم ووضيعهم، في قصر نيافته قد انحازوا إلى السـيدة التي هيمنت هناك طويلاً للغاية، وأدانوا الوافدة الجديدة لأبسط هفوة.

قال أخواها على نحو أكثر إيحاءً بالاتهام: «لقد حدّثناك بذلك! فهل كنا على خطأ؟».

«لكن الكثير من الناس يعيشـون حياة هادئة ومحترمة وما من شـيء كهذا يحدث لهم!» هكـذا ردت أمهما التعسـة، وأضافـت: «لا، ما كان ينبغـي لي قط أن أرسـلها إلى مثل هذه

الخدمة ما لم يكن بمقدورها أن تتطلع هناك إلى أعظم حظ على الإطلاق»[1].

ارتفع من كانوا قد خطبوا ود ابنتها الكبرى على نحو جميل في المرتبة والمنصب، وكان حرياً بالكثير منهم أن يشرفوها. فأحدهم، وهو مستشار ميناموتو، والذي كان يبدو صغيراً وبلا ثقل يذكر، أصبح الآن نقيباً استشارياً، وأشاد الناس به إلى أن أصبح المرء يشعر بالضجر مما يسمعه من إشادة «عطره الرقيق، آه، عبيره!». حقاً إنه أحرز قدراً كبيراً من المهابة النبيلة حتى إن المرء يدرك أن أعظم الأمراء والوزراء سيحدثونه بشأن بناتهم، على الرغم من أنه تجاهلهم. وتأثَّرت سيدة العاملين في البلاط السابقة إلى حد الإشادة بقولها: «منذ سنوات مضت بدا شاباً صغيراً للغاية، وبلا حيثية بالمرة، ولكن انظروا كم هو جليل الآن!».

أصبح الملازم السابق يحظى الآن بتقدير كبير باعتباره نقيباً من المرتبة الثالثة. وصاحت النسوة القائمات على رعايته «وهو وسيم أيضاً!» وأضفن بصوت خفيض: «إنه أفضل على أي حال من ذلك النبيل بالغ الصعوبة..» كانت في محنة محزنة. كان النقيب المعني لا يزال يشعر بكل الحرارة الملتهبة لحبه الأول، وبينما قاده المرارة والأسى إلى القبول بابنة معالي وزير الميسرة، فإنه لم يكترث بها كثيراً، وبدلاً من ذلك كان على الدوام يكتب أو يدندن: «يانطاق هيتاشي على الطريق..»[2] إلى أن يتساءل المرء ما الذي يعنيه بها بحق السماء.

كان معنى كل الضيق الذي تلقاه الملاذ وتضطر إلى خوض معاناته أنها تقضي وقتاً أطول بصورة متزايدة في دار أمها، التي حزنت على نتيجة جد مختلفة عن تلك التي كانت قد تصورتها. وبالمقابل فإن الابنة الأصغر كانت تمضي بشكل يثير الإعجاب في القصر، حيث كانت تحظى بالاحترام من الدنيا بأسرها، وتنال حظوة تدعو للسرور عند جلالة الامبراطور.

تولى معالي وزير الميمنة وزارة الميسرة[3]، بعد موت الوزير الذي كان يتقلدها، وتولى

---

(1) أن تلد وريثاً امبراطورياً.

(2) «لو كان بمقدوري أن أقضي لحظة معها فحسب!». الكلمات تستهل كوكين روكوجو: «يا نطاق هيتاشي على الطريق إلى الشرق – لو أني كان بوسعي أن أراها وقتاً طويلاً بما يكفي لأبثها شكواي!».

(3) يوجيري. هذا التعيين حافل بالإشكالات، لأنه في الفصول اللاحقة تظل معظم النصوص (ومن هنا هذه الترجمة) تجعله وزير الميمنة.

مستشار فوجيوارا الكبير[1] وزارة الميمنة، مع تعيين متزامن في منصب قائد الميسرة. وترقى من هم أدنى منهما في المنصب جميعاً بدورهم. فأصبح النقيب العطر مستشاراً والنقيب من الدرجة الثالثة استشارياً. ولم يبد أن لأحد أهمية آنذاك غير أبناء هذين النبيلين[2].

زار المستشار الجديد سيدة العاملين في القصر السابقة للإعراب عن سروره، وقام بانحناءة الاحترام لها من الحديقة الواقعة أمام مقرها، ثم استقبلته شخصياً[3]. قالت: «أمر طيب للغاية منك ألا تنأى عن بوابة علتها النباتات الآن على نحو محزن، ولطفك يعيد إلى الذهن مباشرة النبيل الذي لانزال نلزم الحداد على فقدانه». كان صوتها يتمتع بالتميز والجاذبية وتلقائية الحضور الكاملة. فحدَّث نفسه: إنها لاتتقدم في العمر أبداً! وذلك هو السر في أن نيافته لا يزال غاضباً فيما يتعلق بها، وبمقدوره إحداث متاعب حولها في أي وقت.

ردَّ قائلاً: «هذا النجاح لايعني الكثير بالنسبة لي شخصياً، ولكنني أردت القدوم والمثول بين يديك[4]. وأنا على يقين من أنك عندما تحدّثت عن عدم النأي من جانبي عن بوابتك، فإنك قصدت فقط تذكيري بمدى ندرة حضوري بالفعل.

«ينبغي أن أحجم عن أن أثقلك بمتاعبي، لأنني امرأة عجوز، واليوم ليس باليوم المناسب لذلك، ولكن زياراتك إلى هنا نادرة بالفعل، وبعض الأمور، كما تعلم، إن لم تُقل وجهاً لوجه.. إنني منزعجة للغاية! لقد ظننت دائماً أن بوسع ابنتي التي تخدم نيافته الحديث مع زوجته عندما تغدو الأمور أكثر مما يُطاق بالنسبة لها، أو أن امبراطورته لن تكترث حقاً بقدومها إليها، بينما في حقيقة الأمر انقلبت الاثنتان عليها. الأمر صعب للغاية! ولديها أميرها وأميرتها الصغيران، ولكن الحياة هناك شديدة الصعوبة الآن حتى إنها جاءت إلى الدار بدعوة مني، على الأقل لتستعيد بعضاً من صفاء الذهن، وتأمل كل ذلك الحديث الذي انطلق! وأنا أدرك أن نيافته لايوافق كذلك. أرجو أن تبلغه بشيء عن مشاعري إذا

(1) كوباي.

(2) يوجيري وتو نو تشوجو.

(3) إنها تحدِّثه بنفسها عبر الستائر الحاجبة.

(4) باعتباره مستشاراً، فإنه الآن يشغل المرتبة الثالثة، وليس المرتبة الرابعة التي كان يشغلها من قبل. وهذه الترقية المهمة تجعله من كبار النبلاء.

كان بمقـدورك أن تجـد لحظة للقيام بذلك. لقد بعثت بهـا إليه لأنني ظننت أنني بمقدوري أن أعتمـد عليهمـا كلتيهما، وصدقت تأكيداتهما لي، ولكن الأمـر كله انتهى على نحو بالغ السوء إلى درجة أنني أكره نفسي لكوني ساذجة إلى هذا الحدّ». أدرك أنها تبكي.

قال مثبِّطاً لها: «ينبغي ألا تسمحي للأمر بأن يثير ضيقك على هذا النحو. فقد كان مفهوماً على الدوام أن الانضمام إلى مثل هذه الصحبة يشكل مخاطر معينة. وسيدتا نيافته ربما بدتا راغبتين في أن تعيشـا وتدعا الآخرين يعيشـون، الآن ونيافته في تقاعد هادئ ولا يسـتقطب الانتباه لما يقوم به، ولكن لابد أن كلاً منهما تحس في قرارة نفسـها بالحاجة نفسـها إلى أن يتم تفضيلها على غيرها. وأنا أتوقع أن الزوجة والامبراطورة تحملان على محمل الإساءة إلـى مكانتهما أمـوراً لا يعترض أحد غيرهما عليها على الإطـلاق. هل صدقت حقاً عندما اتخـذت قـرارك أصلاً أنه لن يقع احتكاك من هذا النوع أبـداً؟ ينبغي أن تتجاهلي الأمر كله وتدعيـه يمضي في مسـاره. إنني أخشـى أنه ليـس بالأمر الذي يمكن لرجـل أن يطرحه مع نيافته».

ابتسـمت: «لقـد تطلعـت إلى حديثنـا المقبل لكي يمكـن لي أن أفضي إليـك بأحزاني، ولكن يا للحسرة، فأنت لم تقدم لي كبير أمل».

أثَّر فيه شـبابها وبراءتها أكثر كثيراً من كل اهتماماتها الأمومية. وحدَّث نفسـه بأن الملاذ لابـد أنهـا تبدو كذلك بدورها، وأحسـب أن مـا اجتذبني للابنة الكبرى فـي أوجي هو أنها تتمتع بهذه المزية كذلك. كانت سيدة العاملين في القصر[1] بدورها في الدار آنذاك، حيث عادت من القصر، وشكَّلت الأختان حضوراً جميلاً، حيث أقامتا هناك كل منهما في جانبها من الدار الرئيسية. وعرف المستشار المتأثر أنه وراء أستارهما الحاجبة كانتا على راحتهما تماماً، وتمالك نفسه بصورة كاملة حتى إن أمهما تمنت لو كان زوجاً لإحداهما.

كان مقـر معالـي وزيـر الميمنة [2] يقع إلى الشـرق مباشـرة، وتجمع أبنـاؤه والمرافقون الآخـرون لحضـور المأدبـة الاحتفالية هناك جميعـاً. وكان باعتباره ضيف الشـرف قد دعا

---

(1) ابنة تاما كازورا الأصغر.

(2) كوباي، على الرغم من أن ذلك يقتصر على بقية هذا الفصل فحسب.

معالـي وزيـر الحـرب[1]، متذكراً كيف دُعـي معاليه إلـى المأدبة التي أقامها وزير الميسـرة بمناسـبة العـام الجديد وإلى لقاء المصارعـة[2] وهلم جراً، ولكنه لـم يحضر. وكان معالي وزير الميمنة حريصاً بصفة خاصة على اكتساب تعاطف معالي وزير الحرب نيابة عن بناته، اللواتـي كان يفكر فيهن كثيراً، ولكن لسـبب ما لم يسـتجب معاليـه. وفي غضون ذلك كان مستشـار ميناموتـو قـد كبر ليغدو سـيداً نبيلاً رائعاً يتمتـع بكل المناقب، إلى حـدّ أن روجة معاليه كانت تضع عينها عليه.

أعـادت الضجـة في الـدار المجاورة وضجيـج العربات وهي تـروح وتغدو وصيحات المرافقين ذهن سـيدة العاملين في البلاط السـابقة إلى ذكريات قديمة، وهناك في مسـكنها استسـلمت لحلم محزن. قالت: «لقد بدأ معاليه في زيارتها بمجرد رحيل معالي المستشار تقريباً، وقد أدركت أن الكثير من الناس اعتبروها سهلة المنال بأكثر مما ينبغي آنذاك، ولكن عاطفتهما دامت، وبالمقابل فإنهما الآن يشكلان زوجين رائعين. والمرء لايعرف البتة إلام ستنتهي الأمور. أيهما أصبح حالها أفضل، هي أم ابنتي الكبرى؟».

أقبل النقيب الاستشـاري، نجل معالي وزير الميسـرة، للزيارة مسـاء اليوم الذي أعقب المأدبـة، وجعلتـه فكـرة أن الملاذ هناك متلهفاً بصفـة خاصة. قال: «لا يعني لي شـيئاً على الإطـلاق أن جلالـة الامبراطور اعتزم الإقرار بجدارتي، فأنا أعانـي المزيد مع كل عام يمر لفقداني ما رغبت فيه بشدة». وكانت الطريقة التي جفَّف بها دموعه توحي بشيء من الوعي بالذات. وهو في السـابعة والعشـرين أو الثامنة والعشرين كان يحظى بكل وهج سيد شاب نبيل وبوسامة متألقة.

صاحت سيدة العاملين في القصر، وهي تطلق العنان لدموعها: «انظرن إليه! يا للطريقة التي يظن بها الدنيا ملك يمينه! المرتبة والمنصب لايعنيان له شـيئاً! لو أن معالي المستشار الراحل كان على قيد الحياة فحسب. ابناي أيضاً يمكن أن ينغمسا في مثل هذه الاهتمامات

(1) نيئو.

(2) مأدبة (نوريومي نو كيري أروجي) يقيمها قائد الجانب الفائز بعد مسابقة الرماية المعتادة للعام الجديد (نوريومي)، وكانت تُقام في اليوم الثامن عشر من الشهر الأول، ولقاء مصارعة (سوماي نو سيتشي) والذي كان يشمل مأدبة كذلك، كان يُقام في الشهر السابع. وحضور نيئو لهذه المناسبات لا يتم الإتيان على ذكره في أي موضع آخر من الحكاية.

اللاهية!». أزعجها أن مراقب حرس الميمنة ومدقق الميمنة الكبير كانا لا يزالان «مؤهلين» فقط لمرتبة الاستشاري. ومن كان يعرف في السابق بالمستشار يبدو أنه أصبح الآن النقيب أمين السر. ولم يكن هذا التعيين بالذي لايناسب سنه، ولكن أحزن أمه أنه كان يتراجع عن غيره. أما النقيب الاستشاري فقد واصل مسيرته السلسة.

45

هاشيهيمي

عذراء الجسر

هاشيهيمي(«عذراء الجسر») شخصية غامضة تنتمي إلى الفولكلور الياباني الباكر. وهي يبدو أنها ربة جسر غيورة، ولها ارتباط وثيق بالجسر الممتد على نهر أوجي عند أوجي، إلى الجنوب من كيوتو. وهذا الفصل الذي تقع أحداثه عند أوجي يقدم أختين تقيمان هناك. وهو يحمل عنوان «هاشيهيمي» لأن كاورو يستخدم هذه الكلمة في قصيدة للأخت الكبرى، أويجيمي:

«أي قطرات تندي هذه الأكمام، عندما يفصح مجذاف نوتي النهر مرتاداً المياه الضحلة، عن أغوار فؤاد عذراء الجسر!».

الصلة بالفصول السابقة

تبدأ أحداث «عذراء الجسر» بوصف المرحلة الباكرة من حياة الأمير الثامن (هاتشي نو ميا). وكاورو يدخل المشهد عندما يكون بالفعل نقيباً استشارياً. وبعد مرور بعض الوقت، تُستأنف القصة في وقت متأخر في الخريف، وذلك عندما يكون كاورو في الثانية والعشرين. ويبدو أن القصة الرئيسية تبدأ حيث ينتهي «الأمير العطر»، وتنتهي قبل نهاية «نهر الخيزران».

الشخوص

النقيب الاستشاري، 20 إلى 22 عاماً (كاورو).

سعادة الأمير الثامن (هاتشي نوميا).

زوجته.

ابنته الكبرى، 22 إلى 24 عاماً (أويجيمي).

ابنته الصغرى، 20 إلى 22 عاماً (ناكا نو كيمي).

الخبير (أوجي نو أجيري).

نيافة رايزي، 49 إلى 51 عاماً.

الحارس في أوجي.

بن، وصيفة ابنتي هاتشي نو ميا، 60 عاماً تقريباً.

الأمير الثالث، معالي وزير الحرب، 21 إلى 22 عاماً (نيئو).

سمو الأميرة المترهبنة، أم كاورو، أوائل الأربعينيات إلى منتصفها (أونا سان نوميا).

كان هناك في تلك الأيام أمير عجوز، لم تعد الدنيا تحفل بأمره. وكان كريم الأصل إلى حد بعيد من جهة أمه كذلك، وكان قد بدا كما لو أنه قُدِّر له أن يُكلل بعظائم الأمور، ثم تغيرت الأيام، ولحق به عار تدنى به كثيراً إلى حد أنه لسبب أو لآخر فإن كل من كان يؤيد مصالحه تخلى عن الدنيا، الأمر الذي تركه وحيداً تماماً، على الصعيدين العام والخاص. وعانت زوجته، وهي ابنة وزير سابق، من العاقبة، وكانت الظروف العديدة والمؤلمة التي تعرضت لها أبعد ما تكون عما تتذكر أن أبويها تمنياه لها، ولكن أدخل العزاء في نفسها عما لاقته من حزن، الحب الذي كان يجمع بينها وبين زوجها، فقد كانا مخلصين أحدهما للآخر أشد ما يمكن أن يكون الإخلاص بين زوجين.

وقد أزعجهما بصورة متزايدة على مر السنين أنهما لم ينجبا، وغالباً ما تاق سعادته في قرارة فؤاده إلى طفل جميل يؤنس وحدتهما وضجرهما، إلى أن ولدت لهما ابنة صغيرة جميلة، جاءت أعجوبة الأعاجيب، فأحباها أشد الحب، واعتزا بها كثيراً، وفي غضون ذلك سرعان ما تبين أن السيدة حامل من جديد. وقد علَّقا الآمال على أن يولد لهما ابن هذه المرة، ولكن ولدت لهما ابنة كالسابق. وكانت الولادة نفسها سهلة، يسيرة، ولكن الأم مرضت مرضاً عضالاً فيما بعد، وماتت، وحلَّ الحزن بسعادة الأمير.

مضى يحدِّث نفسه: لقد أضنتني الحياة كثيراً، ولكنني أحببت زوجتي كثيراً، فلا يمكنني ترك الأمور على هذه الحال. وكان جمالها ورقة أساليبها مما ربطني بالدنيا في نهاية المطاف، والأمور ستزداد سوءاً الآن وقد غدوت وحيداً! أي حال تلك التي سأكون عليها فيما القيود تكبلني على هذه الشاكلة[1] وبينما أربي ابنتيَّ وحدي! وتاق إلى التصرف وفق ما تمليه عليه أعمق رغباته[2]، ولكن لم يكن هناك أحد غيره للقيام برعايتهما. واستمر تردده المفعم بالعذاب، إلى أن كبرتا كلتاهما بمرور الوقت لتصبحا فتاتين جميلتين، كانتا في نهاية المطاف مصدر عزاء كامل له.

همست النسوة اللواتي يقمن بخدمة الابنة الأصغر: «انظرن أي سوء طالع جلبت!».

---

(1) ليس بمقدوره، باعتباره أميراً، القيام على نحو لائق بالعديد من الأمور التي تعد طبيعية بالنسبة لرجل أقل مكانة منه.

(2) رغبته في الرحيل عن الدنيا.

ولـم يبديـن إلا اهتماماً فاتـراً بها. غيـر أن أمها في لحظاتهـا الأخيرة، عندما لـم تعد واعية بمـا حولهـا، كانت لا تزال حريصة عليها بما يكفي لكي تكرر لسـعادة الأميـر مراراً قولها: «أرجـو أن تحسـن إليها إكراماً لذكـراي!». وعلى الرغم من المـرارة النابعة من أن صلتهما المنتميـة إلـى حيوات ماضية قد مُنيت بالإخفاق، فإن فكرة أن خسـارته كانـت قدراً مقدَّراً وأنهـا حتـى النهاية تحدثت برقة عن طفلتهما الجديدة ألهمتـه أن يعامل الطفلة بحب كبير. كانـت بارعة الجمال إلى حـدّ يدخل الرهبة في النفوس. وكانت الابنـة الكبرى بميلها إلى الهدوء مميزة المظهر على نحو مدهش وكذلك الحال في السـلوك، ولكن الابنة الصغرى عكسـت فتنـة أكثر نبلاً، ومن هنا فقد اعتـز بهما كلتيهما. وعلى الرغـم من ذلك فقد كانت هنـاك أمور لايسـتطيع إنجازها من أجلهما، وهيمنت الوحدة علـى داره بصورة متزايدة مع مرور السنين. وقد كان هذا أكثر مما يطاق بالنسبة للعاملين في خدمته، الذين أحسوا بأنهم بـلا أمـل، وواحداً إثر الآخـر ابتعدوا عنه. وفي غمار حيرته لم يفلح سـعادته قط في العثور لابنتـه الجديدة على مربيـة يُعتمد عليها، ومن اختارها لهذه المهمة تخلت عن مسـؤوليتها باللامبالاة التي عُرفت تقليدياً عن الطبقة التي تنتمي إليها، تاركة سـعادته ليرعى كل شـيء بنفسه.

على الرغم من ذلك، كانت دار سـعادة الأمير فسـيحة أنيقة، وظلت البحيرة والهضبات المـدورة في الحديقة، علـى الرغم من أنها مهملة بصورة محزنـة، على نحو ما كانت على الدوام. وقد أمضى أيامه يحدِّق شارداً إلى الخارج في المشهد الذي شكَّلته. ولـم يكن هناك من يشـذبها جميعها، لأنـه لـم يعد لديه أتباع قادرون. ونمت الأعشـاب في كل مكان كثيفة خضـراء، وبدت نباتات السـرخس الخضراء[1] علـى امتداد الطنف وكأنهـا تعلن امتلاكها للدار. وأدخلت ألوان أوراق كل موسم وأزهاره العزاء على نفسه مرات عدة، لا لشيء إلا لأن زوجته كانت بدورها قد اسـتمتعت بها يوماً، ولكن عزلته وشـعوره بالعجز المتفاقمين دفعـاه إلى أن يزين مصلاه، وأن يمضـي أيامه ولياليه هناك عاكفاً على ابتهالاته. كانت خيبة أمل مريرة أن يظل مكبلاً بمثل هذه الصلات، ودفعته فكرة كونه محروماً من التصرف وفق رغبتـه إلى أن يقرر بمزيد من العزم الراسـخ أنه ما من شـيء يجبـره بعد الآن على التصرف

(1) شينوبو، نوع من السرخس ينمو عن طواعية في الأسقف المهملة المتخذة من اللحاء أو الأعشاب. وتعني شينوبو باعتبارها فعلاً «التركيز في الذاكرة على الماضي» والتلاعب بالكلمة مقصود هنا.

كالآخريـن، لا، فهذه الدنيـا لا تعنيه. وكان في قرارة فؤاده زاهداً، جـوّاب آفاق، وبعد وفاة زوجته لم يعد يشارك الناس، ولو على نحو عابر، المشاعر الشائعة بينهم.

كان الناس يقولون: «ولكن يا سعادة الأمير، لم يتعين أن تفعل هذا؟ لقد بدا أنك تحزن بعمـق يفوق مـا أحس به الآخرون جميعـاً عندما ماتت مولاتي، ولكن مـا جدوى مواصلة الحزن على ذلك النحو؟ بمقدورك تدبر أمر العيش كمايفعل الآخرون[1]، ولسـوف يُسدي هـذا الكثيـر إلى هـذا المـكان المهمل على نحـو بائس!». ولكنـه تجاهـل كل محاولة من المحاولات العديدة التي بُذلت عن طريق أقاربه لتغيير رأيه.

بيـن فتـرات الصلاة كان يمضي وقتـه مع ابنتيه، ولمـا كانتا قد كبرتـا الآن، فقد علمهما الموسـيقى وألعاباً مثـل لعبة الداما وسـبر أغوار الشـخصيات. ومن منظـوره فقد أظهرت الكبرى حكمة وعمقاً أعظم، بينما كانت الصغرى التي تتفوق أكثر بعيداً عن الحذق تتسـم بالجاذبية الخجول على نحو بهيج.

ذات يـوم ربيعي جميل، كانـت الطيور المائية تدفّ مبتعدة، جناحـاً لجناح- وهو منظر نادراً ما كلَّف نفسه عناء مشاهدته- وبينما هو يرقبها، راح يحدِّثها لأنها لا تهجر رفاقها أبداً. وفـي غضـون ذلك أعطى ابنتيه درسـهما في الموسـيقى. كانتا صغيرتيـن ولطيفتين للغاية، وكانـت الطريقـة التي تعزف بها كل منهما جميلة على نحو مؤثر للغاية بحيث تنهل الدموع من العيون. قال وهو يجفف عينيه:

«الآن وقد غادرت عصفورة الماء رفيقها ومضت بعيداً،

كيف يمكن لفراخها البقاء في هذه الدنيا القاسية المتقلبة؟[2]

كم هذا محزن!». كان أميراً وسيماً للغاية. وقد غدا نحيلاً من السنوات التي أمضاها في الابتهال الورع، ولم يبد إلا أكثر نبلاً: بفضل ذلك، وفي عباءته الرسمية التي بليت على نحو يوحـي بالإهمـال، وتجعدت من جراء قيامه على رعاية ابنتيـه، بدت هيئته مؤثرة في النفس كثيراً.

---

(1) الزواج مجدداً.

(2) تتلاعب القصيدة بالمقاطع ميزوتوري نو كاري نو كو («فراخ الإوزة، عصفورة الماء») وكاري نو كونو يو («هذه الدنيا الفانية»).

اجتذبت ابنته الكبرى برقة المحبرة إليها، وتابعت الكلمات عليها، كأنما لتدريب عابر على الخط. فقال لها وهو يعطيها بعض الورق: «اكتبي على هذا، فهم يقولون إن المرء لا ينبغي أن يكتب على محبرة البتة!».

استبدَّ بها الحرج، فكتبت:

«إني لأعجب كيف أمكن لهذا الفرخ أن يكبر، ومثل هذه التأملات

توحي لعصفورة الماء هذه بقدرها الملتبس».

لم تكن قصيدة جيدة للغاية، ولكنها في ظل الظروف الراهنة كانت مؤثرة إلى حد بعيد. وأفصح خطها عن وعد بالتميز، حتى وإن لم تكن تربط حروفها بعد بصورة جيدة للغاية.

«الآن اكتبي شيئاً!» هكذا قال سعادة الأمير للابنة الصغرى، التي كانت أقرب إلى أن تكون طفلة، ومن هنا فقد استغرقت الكثير من الوقت:

«من دون الجناحين اللذين تنشرهما لتحميني، باكياً في رقة،

لظللت مهملة دوماً في العش».

كيف كان يمكن ألا ينظر بإشفاق إلى مثل هاتين الابنتين المحبوبتين، فيما ملابسهما كانت مجعدة تماماً ومتكسرة، وكانتا تمضيان أيامهما المفعمة بالوحدة وليس لديهما ما تفعلانه لأنه ليس لديهما أحد آخر يعني بهما؟ أمسك بسوترا في إحدى يديه، ومضى الآن يرتل النصوص المقدسة، ويغني لهما تدريبهما الغنائي الذي تُستخدم فيه المقاطع[1]. وكانت مع الكبرى آلة بيوا ومع الصغرى آلة سو نو كوتو، وكانتا معتادتين كثيراً على العزف معاً، بحيث أن عزفهما لم يبد سيئاً بالمرة، بل في حقيقة الأمر كان عزفاً جميلاً للغاية.

لم يكن قد نال الكثير من التعليم قط. لأنه كان قد فقد والده الامبراطور ووالدته زوجة الامبراطور في عمر مبكر، وهكذا فقد حُرم من أي تأييد حقيقي. كيف كان يمكن أن يُعد للحياة في هذه الدنيا؟ حتى بالنسبة إلى شخص رفيع القدر على هذا النحو كان بريئاً بصورة نبيلة إلى درجة مدهشة، مثل امرأة. وقد اختفت بلا أثر كنوز الأجيال الماضية وكذلك ميراثه من جده الوزير كله، وذلك على الرغم من أنه كان قد افترض أن ذلك سيدوم على

---

(1) ساجا. غناء نغمات العمل الذي يتعين أن تعزفه الفتاتان.

نحو ما إلى الأبد، ولم يبق له شيء إلا الكثير من قطع الأثاث المنزلي شديد الفخامة. ولم يجئ أحد لزيارته، ولم يقدم أحد يد العون له. ولما لم يكن لديه شيء آخر يقوم به، فقد استدعى عازفين من الطراز الأول من مكتب الموسيقى وما إلى ذلك، وأصبح بارعاً للغاية حقاً في هذا النوع من الأمور، بعد أن كان قد كرَّس شبابه بالفعل لتسليات محدودة الأهمية على هذه الشاكلة.



سد أوجي

كان سعادة الأمير هو الأخ الأصغر لسمو الامبراطور الفخري المتقاعد جينجي. وفي الأيام التي كان نيافته رايزي ولياً للعهد تآمرت أُم نيافته سوزاكو[1] لجعل المكانة الامبراطورية تنتقل إليه بدلاً منه، ولكن الاضطراب الذي أحدثته بالتصدي لرعايته بينما هو في السلطة أفضى لسوء الحظ إلى قيام الجانب الآخر بقطع كل العلاقات معه، وبما أنه بعد ذلك أصبحت الدنيا بأسرها تنتمي كلية إلى سلالة سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، فقد عجز عن الظهور في المجتمع، ومن هنا فقد أصبح منذ سنوات نوعاً من الرجال المقدسين، وتخلى عن أي أمل آخر.

في غضون ذلك، احترق مسكنه عن آخره، وكانت تلك فوق كل شيء آخر، ضربة ساحقة، وبما أنه لم يكن لديه حقاً مكان آخر ينتقل إليه، فقد انتقل إلى دارة جذابة كان يمتلكها في أوجي. وقد أزعجه احتمال المغادرة الفورية، على الرغم من أفكاره المتعلقة بالتخلي عن الدنيا. وكان المكان قريباً من السد، ولم يناسب الصوت المرتفع الصادر عن

(1) الزوجة كوكيدين التي ظهرت في الفصول الأولى.

النهر توقه إلى السلام، ولكن لم يكن بمقدوره القيام بشيء في هذا الصدد. البراعم، أوراق الخريف والنهر المنساب، تلك كلها كانت بمثابة العزاء له في حلم اليقظة الكئيب الذي كان ملاذه الوحيد الآن أكثر من أي وقت مضى. وحتى بعد الاختفاء في هذه البرية، أصبح يفتقد باستمرار السيدة التي كان قد فقدها.

«تحولت رفيقة الأيام الخوالي والدار التي سكنتها يوماً إلى دخان،

فلم أبقى وحدي على ما كنت؟»

هكذا مضى يتألم، ولم يعد لديه ما يحيا من أجله.

تناقص عدد من أقبلوا لزيارته في مسكنه هذا عبر آماد فوق آماد من التلال. ولم يقم على تلبية احتياجاته إلا فلاحون نادرون مسنون أو نساك جبال. وبالنسبة له فإن ضباب الصباح على التلال لم يكن ينقشع ليلاً أو نهاراً قط[1].

في غضون ذلك، كان يقيم في تلال أوجي خبير، أقرب إلى رجل مقدس، متعمق في العلم، وتمتع بشهرة رصينة في الدنيا بأسرها، والذي ظل على الرغم من ذلك معتكفاً في عزلة، ونادراً ما مضى للخدمة في البلاط. وقد أثَّر فيه سعادة الأمير، الذي أقام غير بعيد عنه في عزلة بائسة، بأعماله الطيبة ودراسته للنصوص المقدسة، ومن هنا فإنه غالباً ما كان يزور دار سعادته، حيث كان يضيف المزيد إلى المعنى العميق لكل ما كان سعادته قد تعلمه عبر السنين، إلى أن أقنع سعادته بعمق، يفوق أي وقت مضى، بأن هذه الدنيا الفانية ليست إلا هباء. اعترف سعادته قائلاً: «يتوق فؤادي إلى عرش الفردوس وسوف يسكن بحيرة الفردوس الصافية، ولكن كما ترى فإنني أقلق أكثر مما ينبغي على مصير ابنتي الشابتين بعد أن أرحل عنهما. وليس بمقدوري ارتداء هذا الإهاب».

خدم الخبير نيافته رايزي عن قرب، فعلمه النصوص المقدسة وما إلى ذلك. وذات مرة، عندما كان في المدينة ونيافته يراجع نصوصاً جليلة كالمعتاد ويسأله عنها، تصادف أن أشار بقوله: «سعادة الأمير الثامن يعرف الكثير، وقد أحرز فهماً عميقاً للتعلم الجوهري[2].

---

(1) «نطاق فوق آخر من التلال» في الأعالي و«ضباب الصباح على التلال» مستمدان من كوكين روكوجو 2841 وكوكينشو 935 على التوالي. الضباب مألوف حقاً في أوجي.

(2) البوذية باعتبارها متميزة عن «التعليم الخارجي» للكونفوشية.

وأحسب أن الكارما الخاصة به شاءت له أن يولد من أجل ذلك. وقد كرَّس نفسه تماماً لعبادته حتى إنه اكتسب مظهر رجل مقدس حقيقي».

استفسر نيافته: «هل ارتدى زي الراهب؟ الشباب لديَّ يصفونه بالرجل العادي المقدس أو نحو ذلك. إنه أمر محزن».

كان النقيب الاستشاري قائماً على خدمة نيافته كذلك، ولاحظ ما قيل. وحدَّث نفسه: إنني أعرف كم هي مخيبة للآمال هذه الدنيا، ولكنني لا أعكف على العبادة إلى درجة قد يلحظها أي شخص بالفعل، وحتى الآن في هذه الحياة أهدرت وقتي. وراح يتساءل عن الحالة الذهنية لشخص أصبح رجلاً مقدساً وهو لا يزال رجلاً عادياً ينتمي إلى هذه الدنيا.

واصل الخبير حديثه: «يبدو أنه قد تتطلع إلى وقت طويل لمغادرة الدنيا، لكن مسألة هينة تسببت في تردده، والآن يستبد به الحزن لأنه من المستحيل عليه أن يتخلى عن ابنتيه المحبوبتين».

وعلى الرغم من أن الخبير كان راهباً، إلا أنه كان يحب الموسيقى، حيث أشار في إشادة عتيقة الطراز إلى حد ما قائلاً: «نعم نيافتكم، عندما تعزف ابنتاه سوياً إزاء خرير النهر المندفع، فإن المرء لا يمكن إلا أن يفكر في الفردوس».

ابتسم نيافته قائلاً: «كم هذا جميل! لايعتقد المرء أنهما عرفتا الكثير من الاهتمامات الدنيوية بعد أن نشأتا مع رجل مقدس. يبدو أن تردده في التخلي عنهما قد وضعه في موقف صعب. وأتساءل عما إذا كان على استعداد لإعطائهما لي إذا بقيت من بعده على قيد الحياة». كان نيافته هو الابن العاشر لأبيه، وقد أرادهما بالقطع إذ تذكر كيف أن نيافة سوزاكو عهد بسمو الأميرة المترهبنة إلى سمو الامبراطور الفخري المتقاعد ساكن روكوجو، وخطر له أنهما ربما تخففان عنه ما في حياته من ضجر.

من ناحية أخرى، فإن ما أثار اهتمام النقيب الاستشاري هو روح الإخلاص الهادئ عند ذلك الأمير. وأراد بشدة أن يلتقيه، وناقش الأمر مع الخبير، قبل أن يبدأ رحلته عائداً. فقال: «أرجو أن تستشيره في حرص لكي يتاح لي الذهاب والدراسة على يديه، فقد عقدت العزم على ذلك».

بعث نيافته رسولاً ليقول: «بعد أن علمت على نحو غير مباشر بالظروف المحزنة التي تعيش في ظلها» وهلم جراً، جنباً إلى جنب مع قصيدة:

«يزدري فؤادي الدنيا ويمضي إليك في تلالك، أأنت إذن

من تحجب ذاتك عني هناك وراء سحب ذات طيات ثمان؟»

ترك الخبير الرسول يصل إلى سعادة الأمير أولاً، واستقبل سعادته الرجل بدهشة وغبطة. من الناحية العملية، لم يأت أحد قط لزيارته عند سفوح هذه التلال حتى من قبل شخص أقل سمواً بكثير، ورحب بضيفه بألوان من الطعام تتوافر في المكان، ورد قائلاً:

«الأمر ليس راجعاً، إلى إيغالي للأبد في الاستنارة،

إني أعتكف عن الدنيا هنا، في تلال أوجي»[1].

ولأسف نيافته فإن تواضعه بشأن إنجازه كرجل مقدس أفصح عن مرارة باقية في النفس إزاء الدنيا.

وصف الخبير تطلع النقيب الديني، الذي يبدو عميقاً. وأوضح: «لقد أبلغني بأنه تاق منذ اليفاعة إلى التوصل لمعنى النصوص المقدسة، ولكنه، شاء أم أبى، اضطر للقبول بالحياة في الدنيا، وأن يظل عالقاً ليلاً ونهاراً في الاهتمامات العامة والخاصة. وهو يقول: (ليس الأمر راجعاً إلى أن أحداً مثلي، حيث إنني في نهاية المطاف لا أهمية لي، يحتاج حقاً إلى أن يكون على تلك الدرجة من الانكماش من الاعتكاف لدراسة النصوص المقدسة أو إظهار اهتمام بالتخلي عن الدنيا، ولكن ليس بمقدوري، حسب الأوضاع الراهنة، أن أكون مهملاً أو مشوشاً، وقد ألهمتني إلى حد بعيد أخبار قدوتك الجديرة بأشد الإعجاب إلى حدّ أنني أرغب في التعلم على يديك الآن). ذلك هو ما قاله، سعادتكم، وقد قاله في لهفة أيضاً».

(1) يتكرر التلاعب الرئيسي بالكلمات في هذه القصيدة في الفصول المتتابعة: يو أو أوجي («يجد العالم مقيتاً») يفضي إلى يو جيا ما («تلال يوجي»). ومصدره الاشتقاقي القصيدة الشهيرة وإن كانت مستعصية على الترجمة كوكينشو 983 من نظم كايسين هوشي: «كوخي إلى الجنوب الشرقي من المدينة، وأنا أحيا مع الغزلان في تلال أوجي، حيث يقولون إنني نبذت الدنيا».



«كوخ عشبي»

«تنبع البصيرة التي تدور حول أن الدنيا ليست إلا هباء، ومن هنا الخواطر الأولى المتعلقة بكراهيتها، بصفة عامة من التعاسة الشخصية، ففي مثل هذه الأوقات ينبذ المرء الدنيا، ويتبنى التطلع إلى أمور أسمى، وإنه لأمر مميز أن نسمع عن شاب سعيد الطالع على هذا النحو، والذي يفترض أنه ليس لديه ما يفتقر إليه، وقد شُغل بالحياة المقبلة. وأحسب أنني أنا نفسي قُدِّر لي أن أسلك هذا الدرب، إذ إنه يبدو كما لو أن بوذا نفسه أهاب بي أن أنبذ الدنيا، وفي وقت لاحق نلت مبتغاي من السلام والسكينة. وعلى الرغم من ذلك، فإنني أشك في أنني الآن قد بقي لي الكثير من الوقت، وفي ضوء الطالع التقريبي لنمط حياتي حقاً ومدى محدودية احتمال فهمي للماضي أو المستقبل، فإنه سيكون صديقاً في التعليم، ينبغي لي أن أحس بالقصور أمامه على النحو اللائق». تحدَّث على هذه الشاكلة لبعض الوقت، وبعد تبادل الرسائل، وصل الشاب بنفسه.

إنه مكان أكثر مدعاة للحزن مما تم المضي بي إلى تصوره، وأخذاً في الاعتبار بهوية سعادة الأمير، فإن كل شيء حول حياته هناك أشار إلى البساطة الحادة لكوخ من الأعشاب أُقيم ليدوم يوماً واحداً أو أكثر قليلاً. هناك قرى جبلية أخرى لها جاذبية خاصة بها، ولكن هنا وسط هدير المياه واصطفاف الأمواج يبدو من غير المحتمل أبداً أن ينسى المرء همومه، أو في الليل وسط زفيف الريح الكئيب أن يتراءى له حلم باعث للعزاء في النفس.

حدَّث النقيب نفسه: لاشك في أن عناصر محيطة على هذه الشاكلة تثير في نفس سعادة

الأمير خواطر التخلي عن الدنيا، وهو الذي يميل بالفعل إلى السعي وراء حياة مقدسة، ولكن على أي نحو لابد أنها تؤثر في ابنتيه؟ تخيَّل في يسر أنهما لاتحظيان بالمفاتن الأنثوية المألوفة. وقد فصل حاجز منزلق فحسب المصلى عما اعتقد أنه غرفتهما. وكان حرياً برجل يميل إلى الجسارة والتهور أن يدنو منهما وقد أخذته الرعدة ليكتشف على أي نحو تبدوان، حيث كان هناك شيء فيما يتعلق بهما يجعل المرء راغباً في معرفة المزيد، ولكن النقيب تمالك نفسه، ذلك أن أي مخاطرة من هذا النوع من شأنها أن تحبط أي رغبة في التخلي عن مثل هذه الأمور كافة، والتي قادته إلى السعي وراء سعادة الأمير وسط هذه التلال. وفي مثل هذه الظروف فقد لايكون هناك مجال أمامه للانغماس في مثل هذا الترف. وبدلاً من ذلك أمطر سعادة الأمير بأسئلة تدور حول محنته المثيرة للأسى، وعاد لزيارته مراراً، لأن سعادته، سواء أكان رجلاً عادياً أم لم يكن، تمتع بفهم عميق مستمد من التعبد وسط هذه التلال، وأفاد النقيب على نحو مدهش فيما يتعلق بالنصوص المقدسة، تماماً على نحو ما علَّق النقيب الآمال على أنه سيقوم به.

هناك الكثير من الرجال الورعين والرهبان الموغلين في العلم في هذه الدنيا، ولكن بدا للنقيب أن كبير الرهبان رفيع القدر وواسع النفوذ، بلقبه السامي ومظهره الموحي بنفاد الصبر حيال صغائر الأمور، كان أكثر مهابة من أن يسمح بسؤاله عن المعنى العميق للأمور، بينما تابع بوذا الأكثر تواضعاً، على الرغم من اتباعه الدقيق للمبادئ، كان خشن المظهر والحديث، مألوفاً في السلوك على نحو مزعج، ومنفراً بما فيه الكفاية إلى درجة أنه عندما استدعى رجلاً كهذا إلى جانب فراشة لمحادثته، في مساء هادئ بعد يوم لم يُقض إلا في الأمور الرسمية، كانت النتيجة خيبة أمل غير سارة، فيما كان سعادة الأمير متميزاً على نحو فائق، وتداخل مع كل كلمة ومع كل حديث عن تعاليم بوذا هذه نفسها مثل التشبيهات المألوفة بحيث إنه على الرغم من أنه ليس مستنيراً بعمق، فمن المؤكد أنه يحظى بموهبة مدهشة في جعل المستمع كريم المحتد يفهم ما يُقال. وبعد كل زيارة حميمية من هذا النوع، كان النقيب يرغب في البقاء مع سعادة الأمير دوماً، وجعله اضطراب واجباته الذي يبقيه بعيداً يفتقد سعادة الأمير أكثر فحسب.

دفع توقير النقيب لسعادته نيافته رايزي إلى الكتابة إليه بدوره بصورة متوالية، ذلك أن

الـزوار ظهروا مـن جديد في بعض الأوقات عند المسـكن المنعزل الـذي يقيم فيه الأمير، الـذي لـم يأت أحد حتى على ذكره على امتداد سـنوات. وكانت رسـالة مـن نيافته، عندما تعجّل اللحظة بها، تسلم على الدوام بطريقة رائعة، وانتهز نبيلنا الشاب بدوره الفرصة لبث الشـعور بحسن النوايا لدى سعادته بألوان من الاهتمام تجمع بين إدخال السرور والجانب العملي. وفي غضون ذلك انقضت ثلاث سنوات(1).

فـي وقـت متأخر من أحد فصول الخريـف، عندما آن الأوان لقيام سـعادة الأمير الثامن بترتيـل اسـم أميدا فصلاً فآخـر، وعندما كان هدير الأمواج قبالة السـد أكثـر ارتفاعاً من أن يمنح المرء لحظة سـلام، انتقل سـعادته إلى القاعة الرئيسـية في معبد الخبير ليقضي سـبعة أيـام عاكفاً علـى ابتهالاته. وكانت ابنتاه تعانيان أكثر من أي وقت مضى من الكآبة والضجر مـن حياتهمـا، عندما تذكَّر النقيب الشـاب كيف أنه لم يزر سـعادة الأميـر منذ وقت طويل، وانطلق إلى هناك مباشرة، متنكراً وفي حرص، بحيث أوشك أن يكون بمفرده تقريباً تحت قمـر لا يـزال مطلاً في سـماء ما قبل الفجـر. وانطلق راكبـاً لأن المـكان كان على الجانب القريب من النهر، ولم يكن بحاجة إلى أن يكلِّف نفسه عناء ركوب سفينة.

كلما أوغل في المسير، زادت كثافة الضباب أمامه، وفيما كان يشق طريقه جاهداً وسط أجمات ملتفة بما يكفي لحجب الطريق، أغرقته ريح عاصفة بندى ثقيل من أوراق الشـجر إلـى أن ابتـل تماماً وغمره البرد، وذلك على الرغم من أنه لم يكن أمامه من يوجه إليه اللوم إلا نفسه. وإذ وقع بين البؤس والانفعال، أحس كما لو أنه لم يخض غمار مثل هذه المغامرة من قبل.

«أرق من الندى الذي تكتسحه الرياح من المنحدرات الجبلية عن الأوراق،

تنهمر دموعي في دفق لاينتهي رغم أني لست أدري السر في ذلك».

فرض الصمت على أتباعه، وشاركهم فيه، خوفاً من أن يستيقظ فلاح ويتساءل، وجعله وقـع قوائـم جيـاده وهي تخوض فـي البريكات هنا وهنـاك، متجنبة الأغصان التي تشـكل الأسوار، أكثر حذراً. وعلى الرغم من ذلك، فإنه في بعض الدور اشتم النيام الذين استيقظوا

(1) ليست ثلاث سنوات تتألف كل سنة منها من اثني عشر شهراً، وإنما ربما بهذه الطريقة في الحساب ما إجماليه ثمانية عشر شهراً أو نحو ذلك، تبدأ في عام وتنتهي في تقويم العام الثاني الذي يليه.

علـى حيـن غرة، على جناحي الريـح، عطراً لـم يعرفوه[1]، العبق الـذي لـم يكن بمقدوره أن يحجبه.

حيَّته موسيقى بائسة، وهو يقترب، على الرغم من أنه لـم يستطع تبين عن أي آلة موسيقية تصـدر. وحدَّث نفسـه: يقولون إن سـعادة الأمير غالباً ما يعزف بهـذه الطريقة، ولـم تتح لي قط فرصة لسـماع موسـيقاه الشـهيرة! لقد جئت في وقت مناسـب! وعندما دخل وجد أن الموسـيقى صادرة عن آلة بيوا مدوزنة للعزف من مقام أوشيكي. وبدا العزف العادي تماماً غيـر مألوف وسـط هذا المكان، وبدت الأنغـام التي عُزفت على رجع الريشـة نقية بصورة جميلة. وكانت لآلة السو نو كوتو التي تردَّد صوتها بين الحين والآخر نغمة مؤثرة، بديعة.

رغب في السـماع لبعض الوقت، فاحتجب عن العيان، ولكن حارساً من نوع ما، رجلاً خشـناً، والذي كان قد سـمعه بوضوح لدى وصوله، ظهر الآن وقال: «سـعادة الأمير مضى بعيداً، يامولاي، ليعتكف في المعبد، ولسوف أبلغه بأنك هنا».

«لكن لـمَ؟ سيكون من الخطأ من جانبي أن أزعجه، بينما لديه عدد محدد من الأيام التي يتعيَّن أن يقضيها عاكفاً على الصلاة. وسـأكون راضياً تماماً إذا تلطفت بإبلاغ ابنتيه إلى أي مدى سـأحس بخيبة الأمل، بعد الوصول إلى هنا غارقاً في الندى، إذا عدت بلا شـيء لقاء رحلتي».

ندَّت ابتسـامة عـن الوجه الجهـم، وقال الرجل وهو يوشـك على الانطلاق: «سـأفعل ذلك، يامولاي!».

ناداه النقيب، مسـتوقفاً إياه: «رويدك لحظة! على امتداد سـنوات كنت أسمع الكثير من الحديث عن موسيقاهما، إلى درجة أنني كنت شغوفاً بسماعها، وتلك هي اللحظة المناسبة لذلـك. فهـل هناك ركـن أو زاوية يمكـن أن احتجب فيه قليـلاً فيما أصغي لموسـيقاهما؟ سيكون من العار إذا أرغمهما وصولي غير المتوقع على التوقف».

مـا كان يمكـن لأسـلوب النقيب ومظهـره إلا أن يؤثـرا بعمق في نفس أي شـخص من العامة على هذا النحو الداعي لليأس، فقال: «إنهما تعزفان بتلك الطريقة ليلاً ونهاراً عندما

(1) «عطر لم يعرفوه» (نوشي شيرانو كا) مقطع مستمد من كوكينشو 241 من نظم سوسي.

لا يسـمعهما شـخص آخـر، ولكنهما لا يصـدر عنهما صـوت عندما يكون هنـا أي أحد من المدينة، حتى لو كان ضئيل الشـأن. وسـعادة الأمير يبقي وجود نسـوة هاهنا طي الكتمان، وتعليماته تقضي ألا ندع أحداً يعرف بوجودهن».

ابتسم النقيب، وقال مصرِّاً: «ذلك ليس بالأمر اللطيف منه، أليس كذلك! ها هو يحجب الأسرار، وفي غضون ذلك يبدو الجميع في معرض إيراده كقدوة يتعين على الدنيا بأسرها أن تحـذو حـذوه! علـى أي حـال، فإنني أريـدك أن تسـاعدني، وليسـت لديَّ نوايـا تتعلق بالتجاسـر والاجتراء! إن حياتهما هنا تثير اهتمامي، وليس بمقدوري تصور أنهما تشـبهان السيدات الشابات الأخريات».

«حسناً، يا مولاي، ربما يُظن أن من السخف البالغ من جانبي أن أرفض». مضى بالنقيب إلـى سـور خيزراني فاصل، يفصـل الحديقة الواقعة أمـام غرفهما فصلاً تامـاً عن الدار، ثم دعـا أتباع النقيب إلى الدهليز الواقع إلى الغرب،حيث أجلسـهم هناك، وقام على رعايتهم بنفسه.

فتـح النقيب عنوة الباب الذي بدا أنه يفضي عبر السـور، وأطلَّ إلـى الداخل محدِّقاً من خـلال غمامـة ينيرها القمر على نحوٍ جميل إلى حيث جلسـت النسـوة وراء سـتائر حاجبة مرفوعـة. كانـت هناك فتاة تابعة واحدة في الشـرفة، وقد بدت ناحلة ومغمـورة بالبرد على نحـو فظيـع في ردائهـا المجعد. كانت أمام إحدى النسـوة الجالسـات فـي الداخل، والتي حُجبت بصورة جزئية وراء أحد الأعمدة، آلة بيوا، ومضت تعبث بالريشة. عندئذ بالتحديد أطل القمر، الذي كان محتجباً وراء السحب، على نحو متألق. قالت: «يمكنك مناداة القمر بهـذه أيضـاً، على الرغم من أنها ليسـت مروحة»[1]. كان محياها وهـي تحدِّق إلى الخارج وسيماً وجذاباً بصورة مدهشة.

كانـت المتكئـة إلى جوارها تميل على الآلة الخاصة بها. قالت: «هناك ريشـة تسـتدعي

(1) المتحدثة هي ناكا نو كيمي، الأخت الصغرى، أو هكذا يعتقد الباحثون الآن. وتحدِّدها قراءات أقدم عهداً للحكاية بأنها أويجيمي، أختها الأكبر. ويشير بيت من الشعر الصيني (واكان روي شو 587) إلى الفكرة القائلة إن بمقدور المرء أن ينادي القمر من وراء السحاب بمروحة.

الشمس الغاربة، ولكن يا لها من أفكار غريبة تلك التي لديك!»[1]. أوحت هيئتها الباسمة بهيبة وعمق أكبر إلى حد ما.

ردت أختها: «حسناً للغاية، أنا مخطئة، ولكن هذه لها علاقة بالقمر!»[2]. وبدت ثرثرتهما العفوية أكثر جاذبية من أي شيء كان قد تصوره. وعندما سمع الوصيفات الشابات يقرأن حكايات قديمة ذات مشاهد مثل هذا، كان يفترض دوماً بخيبة الأمل أنه ما من شيء من هذا النوع يمكن أن يحدث بالفعل، ولكن كان هناك مثل هذه الأركان في الحياة الواقعية في نهاية المطاف! كانتا تأسران قلبه بالفعل.

كانت الغمامة أكثر كثافة بالنسبة له من أن يراهما على نحو جيد. لو أن القمر يطل مجدداً فحسب! ولكن عندئذ لابد أن أحداً من الداخل أعلن عن وصول زائر، لأن الستائر الحاجبة أُسدلت، ومضين جميعاً إلى الداخل. وفتنته برشاقتها الطريقة غير المتعجلة التي اختفين بها عن العيان من دون أثر للانزعاج أو صدور حفيف عن الأقمشة الحريرية التي يرتدينها، ولمس فؤاده تألقهن النبيل على نحو رائع.

انسل مبتعداً، وبكل سرعته بعث رجلاً إلى المدينة ليستقدم عربة. وقال للحارس: «على الرغم من أنني جئت في الوقت غير المناسب، فقد منحني ذلك البهجة وبعض الراحة من متاعبي. أبلغ سعادة الأمير، لطفاً، أنني جئت إلى هنا للقيام برعايته. وأود أن يعرف إلى أي حد كبير غمرني البلل في طريقي إلى هنا». مضى الرجل ليبلغ سعادة الأمير الرسالة.

استبدَّ الحرج الشديد بابنتي سعادة الأمير، اللتين أدهشهما مجيئه، تحسباً لأن يكون قد نمى إلى سمعه شيء من ملاحظاتهما العفوية إحداهما للأخرى. وعلى استحياء وفي استياء حزنتا لعدم لماحيتهما - كانت الساعة مما لايحتمل قدوم زائر فيها- حيث لم تلاحظا أي شيء، حتى عندما وصلتهما على جناحي الريح رائحة العطر البديعة على نحو

---

(1) يُقال إن تنويعاً على رقصة البوجاكو «رايو» («الملك المحارب») قد ضم فقرة يرفع فيها الراقص عصاه نحو الشمس. والعصا في «رايو» وريشة البيوا هما كلاهما «باتشي»، على الرغم من أن الكلمة في كل حالة مكتوبة بشكل مختلف.

(2) لأن ريشة البيوا عندما لا تكون مستخدمة يمكن أن تُدفع بين الوجه العلوي للآلة والـ«فوكوجو»، القطعة الخشبية التي تثبت بها الأوتار. وفي وجه البيوا، تحت الفوكوجو، هناك فتحة للصوت بيضاوية الشكل تسمى «إنجستو» («القمر الخفي»).

غريب. وبدت المرأة المكلفة بنقل رسالته إليهما مفتقرة إلى الخبرة على نحو لا يُرجى معه أمل، فخلص إلى أن هناك وقتاً لكل الأمور. وتحت غطاء الغمامة انطلق قدماً ليجثو على ركبة واحدة أمام هذه الستائر الحاجبة نفسها. ولم تدر النسوة الريفيات الشابات كيف يجبن، ولم يفلحن حتى في تقديم وسادة له.

قال في لهفة: «الأمر مربك بالنسبة لي هاهنا، خارج الستائر الحاجبة. وما كنت لأقطع كل المسافة إلى هنا على امتداد تلك الممرات الجبلية العصية بناء على نزوة لعوب، وليس هذا هو النحو الذي أتوقع أن يتم الترحيب بي من خلاله. وإنني على يقين من أن زيارات متكررة أقوم بها، خلال هذه الأيام، ستكتسب تفهمكما».

كان رد فعل النسوة الأصغر سناً، العاجزات عن تملك ناصية رد مناسبة، واللواتي غُشي عليهن فيما يبدو بفعل الخجل، سيئاً بصورة مؤلمة بحيث أُرسلت إحداهن لإيقاظ من هن أكبر سناً وأكثر حكمة، واللواتي كن الآن راقدات في غرفة داخلية، ولكن هذا استغرق بعض الوقت، ولم ترغب السيدتان الشابتان في ترك الانطباع بأنهما تتلاعبان به، فردت الكبرى بتحفظ جعل صوتها مسموعاً بالكاد، وإن كان بنغمة بالغة التألق والتميز: «كيف لنا أن نخاطبك كأنما فهمنا، فيما لا علم لنا بمثل هذه الأمور؟».

«إنني أعرف أن تلك هي حال الدنيا أن يدعي المرء الجهل بكل الأحزان التي يراها بوضوح بالغ، ولكنني يؤسفني أن تصري أنت بالتحديد على البقاء نائية بجانبك، ويبدو لي أنك، أنت التي تتمتعين بملازمة نبيل يحظى بفهم نادر، كان ينبغي أن تحظى ببصيرة رائعة في كل الأمور، ومن هنا فإنك تصبحين من تحكم بإنصاف على مدى عمق المشاعر التي لا يمكنني حجبها أو سطحيتها. هل لابد لك من رفضي بناء على افتراض أنني ليس في ذهني ما هو أفضل من التجرؤ العادي؟ ولو أن أي شخص رغب في دفعي للمضي في ذلك الاتجاه، فإنني أؤكد لك أنني أكثر عناداً من أن أستسلم. ولا شك في أن لديك إلماماً بسمعتي. ولكم سأكون سعيداً إذا أمكنك الاستماع إلى أسرار أبثك إياها حول الحياة المضجرة التي أعيشها، وإذا تقبلتيني بما فيه الكفاية للسماح لي بالتسرية عنك وجعلك تنسين كآبة وجودك الموحش». تحدث مطولاً، ولكنها كانت أكثر تحفظاً من أن ترد عليه. وبدلاً من ذلك، تخلت عن مكانها لوصيفة أكبر سناً كان قد تم إيقاظها، والتي أقبلت

الآن[1].

عبَّرت المرأة عما يجول بخاطرها بمزيد من الحرية، حيث صاحت: «يا للسماء، لا يمكننا القبول بهذا! انظرن على أي نحو بائس تم إجلاس مولاي! إنه ينتمي إلى داخل الستائر الحاجبة. يبدو أنكن أيتها المخلوقات الشابة لا تدرين من عساه يكون!». أثار هذا التوبيخ الحاد الصادر من صوت علا العمر بصاحبته ألم السيدتين الشابتين.

«عندما تتجاهل الدنيا بصورة بالغة الغرابة سعادة الأمير، بحيث إن قلة محدودة للغاية، والتي ينبغي بحكم الحقوق أن تبقى إلى جانبه تفعل ذلك، فإن إخلاصك له، يا مولاي، يُعد أعجوبة، حتى أنا التي لا أهمية لها تشعر بالامتنان البالغ حيالها، ولاشك في أن سيدتيَّ الشابتين تقدرانها، وكل ما هنالك أنهما تجدان من الصعب قليلاً التعبير عن مشاعرهما».

أوحى ما تبينه من حضورها بتميز أصيل، على الرغم من ألفتها التي يجسدها لسانها الذرب، وكان هناك في صوتها ما يوحي برفعة الشأن. فردَّ قائلاً: «إن وجودك موضع ترحيب كبير، ولم أكن أدري ماذا عساي أقول بعد ذلك. ويسعدني أن أعرف أن السيدتين الشابتين قد فهمتاني». لاحظت النسوة اللواتي مضين ينعمن النظر من وراء ستائرهن القائمة في ضوء الفجر الموشك على الانبلاج أن عباءة صيده، الموحية بالحرص حقاً، كانت رطبة تماماً، وأنه في غضون ذلك ملأ عبير لاينتمي إلى هذه الدنيا الهواء من حوله.

شرعت الوصيفة العجوز، التي كان يحادثها، في البكاء وقالت: «ربما أكبح جماح نفسي، خوفاً من أن أبدو شديدة الجرأة، ولكنني على امتداد سنوات أضفت إلى صلواتي الأمل في أن أتناول معك القصة المحزنة المتعلقة بماضيك، وأن أحدثك على الأقل بجانب منها، ومن ثم فإن لحظة يبدو أنها تستجيب لصلواتي هي بهجة بالنسبة لي، لولا تلك الدموع غير الملائمة التي تحجب ناظريَّ بحيث لايعود بمقدوري الحديث!». أوضحت رجفتها المشاعر التي تحس بها حقاً.

كان قد سمع ورأى بنفسه كيف أنه من الأسهل كثيراً على من أوغلوا في العمر أن

(1) تشير هذه العجوز إلى نفسها بعد فقرات قليلة باعتبارها بن. وتشير التسمية إلى صلة (ربما صلة الأخ أو الزوج) برجل كان يشغل منصب المراقب.

ينخرطوا في البكاء، ولكنه راح يتساءل عن السر في تأثرها بمثل هذا العمق، وردَّ قائلاً: «لقد زرت هذه الدار مرات عدة، ولكن لم يكن هناك من يواسيني على نحو ما تفعلين الآن، عندما اتبعت الدرب وحيداً ووصلت مكسواً بالندى. وإذا كانت هذه، كما تقولين مناسبة سعيدة، فأبلغيني بكل شيء، لطفاً!».

«قد لا تسنح فرصة كهذه من جديد، يا مولاي، وحتى إذا حدث ذلك، فإنني قد لا أعيش من يوم إلى الذي يليه. وأنا أريدك أن تعرف فحسب أنه كانت هناك في وقت من الأوقات عجوز مثلي. وقد أفلح الخبر الذي يفيد أن كوجيجو، التي كانت تقيم يوماً في سانجو[1]، قد رحلت عن عالمنا في الوصول إليَّ على نحو ملتبس، وفي سنوات تراجعي هذه، فيما معظم النسوة اللواتي في مثل عمرها واللواتي عرفتهن رحلن بالفعل، فإنني لهذا جئت من مقاطعة نائية، وعلى امتداد السنوات الخمس أو الست الماضية كنت في الخدمة هنا. وربما لم يُقدَّر لك قط أن تعرف الأخ الأكبر لمستشار فوجيوارا الكبير الحالي، يا مولاي، ذلك الذي كان عندما مات مراقب حراسة بوابة الميمنة. وربما تكون قد سمعت في بعض الأحيان الناس يتحدثون عنه. وليس بمقدوري الامتناع عن الشعور كأنما رحل منذ وقت قصير فحسب. ويبدو لي أن أكمامي لا تزال مبتلة من فرط الحزن الذي شعرت به آنذاك، وأحسب أنني لابد أنني أحلم عندما أُحصي السنوات لتبين كم عمرك الآن. إنني (بن)، وأمي كانت مربيته. وقد قمت برعايته على نحو حميمي ليلاً ونهاراً، وعلى الرغم من أنني لا أهمية لي، إلا أنه أفضى لي بين الحين والآخر بلمحات من أمور لم يُحدِّث بها أحداً آخر، ولكنه لم يكن بمقدوره أن يُبقي جوانحه مطوية عليها. وقرب نهاية مرضه، عندما رقد محتضراً، استدعاني إلى جانبه، وأبلغني بعدد معين من الأمور، من بينها أمر ينبغي لي، يامولاي، إبلاغك به بدوري، ولكن بعد قولي هذا القدر، فإنني أترك لك سماع الباقي على مهل، إذا رغبت في ذلك. والنسوة الشابات المصدومات يبدو أنهن تلكز إحداهن الأخرى، كأنما يشعرن بأنني قد أوغلت في الحديث بأكثر مما ينبغي بالفعل، وليس بوسعي لومهن». وأفلحت في التوقف عن الحديث في نهاية المطاف.

---

(1) مسكن والدة كاورو، أونا سان نو ميا. وكوجيجو هي الوصيفة التي استطاع كاشيواجي عن طريقها الوصول إليها.

أحس النبيل الشاب المندهش كأنما حديثها تراءى له في حلم، أو كأنما سمعه من خلال دمدمة وسيطة، ولكنه دار حول أمور أثارت قلقه وحيرته على الدوام، ومن ثم أيقظت فضولاً شديداً في نفسه. ومع ذلك فقد كان صحيحاً أن هذه الأمور تجري ملاحظتها، وبالإضافة إلى ذلك فإنه سيكون من الافتقار إلى التهذيب من جانبه أن يسارع إلى قضاء الليل منهمكاً في حديث عن الماضي. فرد قائلاً: «ليس بمقدوري تبيّن شيء مما تقولين، ولكنه من المؤثر الإصغاء لحديث عن الأيام الخوالي. نعم، لابد لك من إبلاغي بالباقي. غير أنه بالنسبة للوقت الحاضر فإنني لا أرغب في أن تتم مشاهدتي على ما أنا عليه لدى انقشاع الغيمة، وسيكون محرجاً أن تراني سيدتاك في مثل هذه الحال، وليس مرد الأمر إلى أنني لا أرغب في البقاء». وخلال نهوضه، ترامى إلى سمعه رنين الجرس الخافت في المعبد، حيث كان سعادة الأمير. وكان كل شيء مكتوماً في رحاب الغيمة.

وإذ استشعر بالفعل الأسف لأن أطراف السحب المتشبثة بالقمم تحول بينه وبين سعادة الأمير، فقد تعاطف بمزيد من الحنو عن أي وقت مضى مع الحالة المزاجية لابنتي سعادته. وراح يتساءل: أي حزن لن يلم بهما هنا؟ لاعجب أنهما متحفظتان للغاية هكذا. كتب يقول، وهو لا يزال متردداً في المغادرة:

«النهار ينبلج الآن، لكن الدرب الذي ينبغي أن أسلكه محتجب،

والتلال المكسوة بالأشجار التي عبرتها يكسوها الغمام.

لشد ما أشعر بالكآبة». ولابد أنه هو الذي استقطب العيون الفاترة لأهل المدينة قد بدا أعجوبة ها هنا.

ردت الأخت الكبرى، الحريصة على التزام الحذر، كعهدها:

«نعم، هذا هو الأوان فيما السحب جاثمة على الذرى وغمامات الخريف

تلف كل الدروب الصاعدة إلى الأعالي، لإزاحتها من دنيانا».

كانت تنهداتها الصغيرة مؤثرة للغاية.

لم يجتذبه شيء في العناصر الموجودة في المنطقة بصورة خاصة، على الرغم من أن الكثير حظي بتعاطفه، ولكن النهار كان يوشك أن يُطل، وأحس بأنه باد للعيان بشكل غير

مريح. رد قائلاً: «يؤسفني أننا ليس بمقدورنا الحديث أكثر من هذا، لأن هناك أكثر من هذا بكثير أرغب في معرفته، ولكنني ينبغي أن أتخلى عن أي شكوى إلى أن يعرف أحدنا الآخر بشكل أفضل قليلاً. وطالما أنك تصرين على نحو ما تعاملين أي شخص آخر، فإنني بمزيد من الدهشة سأعتقد أنك لا تهمينني على الإطلاق». انتقل إلى الطرف الغربي من الجانب الأمامي للدار، الذي كان الحارس قد أعده له، وهناك استسلم للتأملات الكئيبة.

أشار أحد رجاله بقوله: «هناك اضطراب كبير عند السد. وعلى الرغم من ذلك، فإن الروح لايبدو بصورة حقيقية أنها هناك، وأحسب أن الأسماك لن تجيء بالفعل». بدا أنهم يعرفون كل ما يتعلق بالأمر. كانت قوارب غريبة الشكل مثقلة بالأغصان المقطوعة تمضي جيئة وذهاباً، وكل رجل على متنها حريص على أعماله البائسة، وذكَّرته الطريقة التي انطلقوا بها تحت رحمة المياه بأن الحياة تحمل أخطاراً مماثلة للجميع. وسأل نفسه مراراً: هل أتخيل أن الخطر الذي يتهددهم في هذه الدنيا لا يتربص بي وأنني أحيا آمناً في قصر تزينه الجواهر؟

دعا بمحبرة، وبعث إليها بهذه القصيدة:

«أي قطرات تندي هذه الأكمام، عندما يفصح مجذاف نوتي النهر مرتاداً المياه الضحلة،

عن أغوار فؤاد عذراء الجسر![1]

إنني أعرف أنك في حلم يقظة محزن». وأعطاها للحارس الذي حملها إلى هناك، وقد ازرَّق بفعل البرد.

على الرغم من أنها استشعرت الحرج بسبب رائحة الورق ذات العبق العادي، فقد أحست بأن الأمر الأكثر أهمية هو رد سريع.

«هذه القطرات، فيما نوتي أوجي يعبر النهر المنداح،

تبلل هذه الأكمام المنداة إلى أن تبلى سريعاً.

(1) يشبِّه كاورو أو يجيمي بعذراء جسر أوجي الغامضة (أوجي نوها شيهيمي) المذكورة على نحو طقسي في كوكينشو 689: «أكمامها الوحيدة تنتشر على حصيرتها الضيقة، أستنتظرني الليلة مجدداً عذراء جسر أوجي؟».

إنني بعيدة عن الطفو»[1].

كانت مكتوبة بشكل جميل للغاية، فحدَّث نفسه: كم هي جميلة بصورة مطلقة! وتاق إلى المزيد، ولكن رجاله مضوا يصيحون: «لقد وصلت عربة مولانا». وألحفوا عليه متعجلين، ومن هنا فقد استدعى الحارس فحسب، ليقول إنه سيعود عندما يرجع سعادة الأمير، ثم بدَّل ثيابه المبتلة، التي خلعها على الرجل، وارتدى عباءة رسمية كان قد أرسل في طلبها.

كانت خواطره لا تزال تدور حول ما أبلغته به العجوز، وبقيت في ذهنه كذلك صورة شخوص أكثر فتنة مما كان قد توقع على الإطلاق، لا، لقد أدرك بأسى أنه مما يفوق طاقته أن يتخلى الآن عن الدنيا.

بعث برسالة، ولم تكن مكتوبة بأسلوب رسائل الغرام، وإنما كُتبت على ورق أبيض سميك. واختار فرشاته بعناية، وأضفى على لمساته جاذبية مميزة. «إنني أخشى أن التحفظ الفائق، خوفاً من أن أقول ما يزيد عما ينبغي، أفضى بي في النهاية إلى أن أترك بلا إفصاح أكثر مما رغبت فيه. آمل، كما أشرت في إيجاز، أنك من الآن فصاعداً ستسمحين لي بمكان مريح بشكل أكبر أمام ستائرك الحاجبة. لقد لاحظت مدى طول الفترة التي سيعتكف فيها سعادة الأمير. وأنا أتطلع إلى إلغاء خيبة الأمل النابعة من فصل الغمامة بيني وبينه» وهلم جراً. كان كل ما كتبه لائقاً للغاية. وكان المبعوث الذي حمَّله الرسالة هو مساعد حرس ميسرة العصر، حيث قال له: «اعثر على تلك العجوز، وأعطها الرسالة!». وبعث مع الرسالة العديد من الصناديق الكبيرة المقسمة، حيث تذكر كم بدا الحارس يعاني من البرد في جولاته.

في الغد، بعث برسالة كذلك إلى معبد سعادة الأمير، وخطر بباله أن يبعث معها بحشو حريري وقطني وما إلى ذلك من أشياء أخرى، يمكن لسعادة الأمير أن يقدمها وهو هناك، حيث إنه لم يشك في أن الرهبان المقيمين كانوا يعانون من الافتقار الشديد إلى وسائل الراحة، خلال العواصف الأخيرة. وقد تقرَّر أن يغادر سعادته المعبد هذا الصباح، حيث انتهى اعتكافه، ومن هنا فقد بعث كذلك بقطن، حرير، بطرشيلات وطاقم من الأثواب لكل

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو واكا 321: «إنني مبتلة للغاية بقطرات مجذاف النوتي بحيث إنني لست أطفو». وأكمام النوتي هي أكمام أويجيمي.

من الرهبان المقدسين القائمين بممارسة الشعائر وأداء الصلوات[1].

ارتدى الحارس في التو عباءة الصيد الجميلة والمبذل الرقيق المعد من حرير أبيض جميل مزخرف بالأشكال، والمعطر على نحو يفوق الوصف، الذي كان النقيب قد تركه له، ولكنه لم يكن بوسعه أن يتخذ لنفسه جسماً جديداً كذلك. وفيما أشاد الجميع بالملابس، لاحظوا كيف أن العطر لا يناسبه بالمرة، وفي نهاية المطاف كان الأمر كله محرجاً للغاية. ولما كان الحارس يشعر بعدم الارتياح في مثل هذه الملابس الفخمة، فقد قرَّر أن يخلصها من العطر، الذي سبب دوماً هذه الضجة المزعجة، ولكن يا للحسرة، فقد كان عبير النقيب يتخللها، وما من قدر من الغسيل كان كفيلاً بإزالته.

ابتهج النقيب لرؤية مثل هذا الإنجاز العفوي في رد الأخت الكبرى. أما فيما يتعلق بسعادة الأمير، فقد تم إبلاغه برسالة النقيب، وأُعطيت له ليقرأها.

قال سعادة الأمير: «ما شأن هذه الرسالة؟ لسوف يكون من الافتقار للحكمة أن يكتب لها باعتباره خطيباً، ومشاعره تبدو مختلفة تماماً عن مشاعر أي شاب آخر، وأتصور أن السبب الذي دفعه إلى أن يبدي لها هذه الاهتمامات هو أنني قد ألمحت له بالفعل إلى ما أتوقعه منه لدى رحيلي». أعرب عن شكره على الهدايا، التي كانت قد ملأت أكثر من كهفه الجبلي[2]. وجعل هذا النقيب يميل إلى زيارته.

الآن مضى الأمير الثالث[3] يتحدث عن رؤية خيالية تهيمن عليه، مفادها أنه سيكون مصدر بهجة خاصة له أن يتعرف بشخص يقيم بعيداً عن كل شيء، ومن هنا فإن النقيب قرَّر تشجيع صديقه، فيما يتعلق بهذه الخواطر، وأن يستحثه عليها، ومضى ذات غسق هادئ للقائه.

كانا يثرثران حول هذا وذاك من الأمور، عندما طرح النقيب موضوع الأمير الذي يقيم في أوجي، وقدَّم وصفاً كاملاً لما رآه في ذلك الفجر، الأمر الذي أدخل السرور على نفس

---

(1) كان الرهبان القائمون بممارسة الشعائر والرهبان المتعمقون في التفقه ينتمون إلى فئات مختلفة ويلعبون أدواراً متباينة في مجتمع المعبد. ولدى اعتكاف هاتشي نو ميا فإن دوره كان أقرب إلى جانب الممارسة.

(2) تعبير رمزي.

(3) نيئو.

معالي وزير الحرب. قال النقيب لنفسه: كنت أعرف ذلك! حيث لاحظ انفعال صديقه، وواصل الحديث بطريقة محسوبة لتعميق هذا التأثير.

اعترض معاليه قائلاً: «على الرغم من ذلك، فقد أتيت على ذكر رسالة جوابية منها. فلماذا لم تطلعني عليها؟ كان حرياً بي أن أريك إياها لو أنني كنت من تلقاها!».

رد النقيب: «لكن هذا هو جوهر الموضوع! فأنا على يقين من أنك تتلقى كل أنواع الرسائل المماثلة لتلك الرسالة، ولا تطلعني على رسالة واحدة. ما من أحد يحيا حياة كحياتي يمكن أن يحتفظ بهاته الشابات، على ما هن عليه، لنفسه، وأنا حريص على أن تعرفهما، وذلك على الرغم من أنني ليس بمقدوري تصور كيف ستزورهما بالفعل. وفيما يتعلق بالتجرؤ والجسارة فإن الدنيا ملك لأولئك الذين لا تثقل المرتبة كواهلهم. ومن المؤكد أن الكنوز الخبيئة موجودة بكثرة، ولابد أن هناك بجلاء نسوة أخريات يتمتعن بهذه النوعية من الجاذبية يسكن الزوايا والأركان الكئيبة في القرى الجبلية وما إلى ذلك بعيداً عن العيون. وعلى امتداد سنوات ازدريت الاثنتين اللتين أصفهما على أساس افتراض أن الحياة مع رجل مقدس بعيد للغاية عن الدنيا لابد أنها قد جعلتهما بالغتي الكآبة، وتجاهلت كل ما سمعته عنهما، ولكن إذا كانتا على مستوى ما رأيت منهما في سنا القمر، فإنهما إذن بلاشك تكونان كنزاً حقيقياً. مظهرهما، سلوكهما، على المرء أن يقر بأن نسوة على تلك الشاكلة هن على وجه الدقة ما ينبغي للمرأة أن تكون عليه».

وصل معالي وزير الحرب، في نهاية المطاف، إلى الإحساس بالغيرة بجدية وكذلك بالتلهف على اكتشاف المزيد عن هاتين الأعجوبتين، اللتين أثَّرتا بعمق في رجل لا يؤثر فيه أي إغراء عابر. «احرص على مراقبتهما إذن!». هكذا قال في معرض لوم النقيب، وقد أحس بعمق بالإحباط والضيق، اللذين تفرضهما المرتبة الرفيعة عليه بكل قيودها.

بدا ذلك طريفاً للنقيب، فقال: «رويدك، رويدك، هذا هراء، لقد عقدت العزم على ألا أعلق فؤادي على أي شيء في هذه الدنيا، وبالتالي فإنني أحذر من أي عبث، وسوف أحس بخيبة الأمل تماماً، إذا قُدِّر لي أن أكن مثل هذه الرغبات العنيدة رغماً عن نفسي».

ضحك معالي وزير الحرب، وقال: «يا له من خطاب نبيل! كل ما آمله أن تستطيع المضي قدماً عبر كل حديثك الورع على نحو شامخ!». في قرارة فؤاده كان النقيب أعمق استغراقاً فيما كان حديث العجوز قد أومأ إليه، ولم يكترث إلا قليلاً نسبياً بأن ينظر إلى امرأة شابة على أنها لطيفة أو توصف بأن مرآها يدخل السرور على النفس.

أقبل الشهر العاشر، وفي اليوم الخامس أو السادس منه، استهل مسيرته إلى أوجي. وأبلغه مرافقوه: «لابد لك من إلقاء نظرة على السد هذه المرة يا مولاي!» ولكنه دمدم: «ماذا؟ أتوجه إلى السد فيما أشعر بأن حياتي متقلبة كحياة ذبابة مايو؟»[1]. تخلى عن أي خاطرة من هذه النوعية، وانطلق كالمعتاد بأعظم قدر من الحرص، وارتحل خفيفاً في عربة مغطاة بما تُضفَّر منه السلال، مرتدياً عباة رسمية وسروالاً ملموماً أعده خصيصاً لمثل هذه المناسبات من الحرير المقوى الخالي من الزخرف.

سُر سعادة الأمير باستقباله، ورحب به، وأكرم وفادته بما هو موجود في المكان. وبعد حلول الظلام قرّب المصباح، واستدعى الخبير ليفسر بعض النقاط العميقة في النص المقدس عند الموضع الذي كان قد توقف حياله من قبل. ولم يغمض لهم جفن، إذ كانت ريح قوية تهب على النهر واصطفاق الأوراق المنتزعة من الأشجار وهدير الماء، كان كل ذلك شديد التأثير. كان مكاناً موحشاً، مخيفاً.

عندما قدَّر النقيب أن طلوع النهار قد دنا، لم يستطع الامتناع عن تذكر ذلك الفجر الآخر، وبدأ عامداً في الحديث عن سحر الموسيقى. قال: «في آخر مرة جئت إلى هنا، في ذلك الفجر عندما ضللتني الغمامة، سمعت مقطوعة موسيقية مدهشة للغاية بحيث إنني أتوق إلى سماع المزيد».

رد سعادة الأمير: «بعد التخلي عن اللون والعبير، نسيت كل ما يتعلق بالموسيقى التي تعلمتها يوماً». ولكنه جعل أحدهم يجلب له آلة كين. قال: «لا، لن تجدي هذه نفعاً، ربما

(1) يتلاعب كاورو بكلمة «هيو»، السمك الذي بُني السد لصيده، وكلمة «هيوموشي»، نوع من ذبابة مايو التي تعيش يوماً واحداً فحسب. وبما أن هيو يتم اصطياده لدى «الاقتراب» من السد، فإن كاورو يشير إلى أن الاقتراب من السد يمكن أن يعني نهاية حياته أيضاً. وهيو هي الأسماك الصغيرة الشفافة تقريباً، التي يبلغ طول الواحدة منها حوالي البوصة من «أيو» (السمك الحلو) وهو من أطايب المأكولات المستمدة من أنهار اليابان وبحيراتها.

ستعود إلى ذاكرتي مجدداً بعد سماعي لك وأنت تعزف». ودعا بآلة بيوا، وقدَّمها لضيفه ليعزف عليها.

التقطها النقيب، ودوزنها، وقال: «لا يمكنني تصديق أن هذه هي الآلة الموسيقية التي سمعت العزف عليها وقتاً قصيراً آنذاك. وقد افترضت أن السحر يكمن في نغمتها». تردَّد في العزف على الإطلاق.

«هلم، ليس هذا لطفاً منك. كيف كان من الممكن أن موسيقى مبهجة للغاية بالنسبة لك قد بلغت مسامعك هنا؟ هذا مستحيل تماماً». بدأ سعادته في العزف على أوتار الكين محدثاً تأثيراً عميقاً في النفس، ولاشك أن زفيف الريح عبر أشجار الصنوبر الجبلية قد دعم موسيقاه[1]. وبمظهر يوحي بالكثير من التعثر والتردد عزف مقطوعة واحدة جميلة.

قال: «بين الحين والآخر، ولدهشتي، تتناهى إليَّ أصوات خافتة صادرة عن آلة سو نو كوتو، توحي بأنهما قد تعلمتا العزف، ولكن وقتاً طويلاً قد مرَّ منذ حظيت فعلاً بالسماع. وهما يبدو أنهما تتلاعبان بالآلة الموسيقية كيفما طاب لهما، ولكنني أتوقع أن المصاحبة الوحيدة لهما في العزف مصدرها الأمواج في النهر. ومن المؤكد أنني لا يمكنني تصورهما وهما تقدمان إيقاعاً مناسباً».

بعث إلى ابنتيه يطلب منهما العزف، ولكنهما انكمشتا حيال هذه الفكرة، ذلك أن النقيب سمعهما وهما تعزفان لنفسيهما، وعرفتا أنهما ستعزفان على نحو سيء، فأحجمتا كلاهما عن العزف، ولم تردا على تشجيع سعادة الأمير المتكرر لهما إلا بالأعذار، فأحس النقيب بخيبة أمل بالغة.

عندئذ أحس سعادة الأمير بالخجل من نمط حياتهما غير المنتمي إلى هذه الدنيا بصورة غريبة، والذي بدا له موحياً بسوء الطالع، فقال: «لقد ربيتهما آملاً ألا يعرف أحد أبداً أنهما هاهنا، ولكن الآن فيما قد يكون كل يوم هو يومي الأخير، فإنني أخشى أن الصلة الوحيدة

(1) شويشو 451 (أيضاً واكان روي شو 469) من نظم سايجو نو نايوجو، كرَّست الصلة الشعرية بين موسيقى آلة الكين وزفيف الريح في أشجار الصنوبر. «يختلط زفيف الريح في الصنوبرات على الجبل بموسيقى الكين، ولهذا الحفل أي وتر دوزن على غيره؟».

التي تمنعني من مغادرة الدنيا هي الخاطرة المتعلقة بأنهما هما اللتان لا تزال حياتهما تمتد أمامهما قد تواجهان النكران والهجران».

أحس النقيب بالألم لمشاهدته ورطته، فرد قائلاً: «إنني لست في وضع يتيح لي أن أقدم لهما مساعدة يعتمد عليها بصورة مناسبة، ولكنني سأكون ممتناً أشد الامتنان إذا لم تعتبرني غريباً عنك. وأؤكد لك أنني طالما بقيت على قيد الحياة، فإنني لن أتراجع عن التعهد الذي أتقدم به لك الآن، مهما كان إيجاز تعبيري عنه». سر سعادة الأمير كثير، وأعرب عن سروره.

استدعى النقيب تلك العجوز، فيما انصرف سعادة الأمير إلى ابتهالاته الصباحية. وكانت تدعى بالمربية (بن)، وكان دورها هو رعاية الابنتين. وقد احتفظت طريقتها في مخاطبته بتألقها وتميزها، على الرغم من أنها كانت في حوالي الستين من عمرها. وانخرطت في البكاء بلا انتهاء، وهي تبلغه كيف أن القائم بأعمال المستشار الكبير[1] قد غاص أعمق فأعمق إلى قرارة الكآبة وكيف أنه بعد ذلك استبد به المرض وقضى نحبه. نعم، كان حديثها عن الأيام الخوالي يؤثر في نفس أي شخص يسمعها، وحدَّث النقيب نفسه:بالنسبة لي، بعد سنوات من التساؤل عما حدث وكيف بدأ الأمر، وبعد التوسل إلى بوذا لإيضاح جليته، فإنه من المدهش أن يُستجاب لصلواته بصورة غير متوقعة- هكذا بدا- وعلى نحو مثير للقلق كأي حلم! لم يستطع منع دموعه من التدفق.

قال: «هكذا فإن هناك على قيد الحياة من يعرف ما جرى! هل من الممكن أن تكون هذه المعرفة المدهشة والمخجلة قد انتقلت بالطريقة نفسها إلى أي شخص آخر؟ وطوال هذه الوقت لم أسمع شيئاً من هذا القبيل».

«لا، يا مولاي، لا يمكن أن يكون أحد غيري أنا وكوجيجو قد عرف جلية الأمر. وأنا لم أنبس ببنت شفة لأحد. إنني لا حيثية لي، ولكنني كنت إلى جواره ليلاً ونهاراً، وما إن بدأت بصورة حتمية في إدراك الحقيقة، حتى بعث من خلالنا، ومن خلالنا

---

(1) كاشيواجي، الذي كوفئ بهذه الترقية قبيل وفاته. وقد احتفظت بهذا اللقب هنا، وفيما يلي ذلك، بدلاً من إدراج اللقب المألوف بصورة أكبر «المراقب»، لأن من الجلي أن ترقية كاشيواجي الأخيرة تعني الكثير بالنسبة لبن.

وحدنا، برسالة عفوية عندما يفوق العذاب طاقته على الاحتمال. وليس بمقدوري إبلاغك بكل شيء لأنني لست أجرؤ على ذلك. وفي النهاية عهد إليَّ بكلمات قلائل، كانت عبئاً مؤلماً على من هي مثلي وكذلك مصدر قلق عظيم للغاية، بحيث إن توقي إلي نقلها إليك أفضي بي إلى إدراج الأمل في القيام بذلك في كل صلواتي المتواضعة. والآن أعرف أخيراً أن هناك بوذا في هذه الدنيا. ولديَّ بعض الأشياء التي يتعين أن أطلعك عليها. وقد اعتدت أن أحدِّث نفسي بأنه لا أمل لي بحيث ينبغي أن أحرقها، لأنني كنت أخشى أنها قد تتسرب في نهاية المطاف إذا قدُرِّ لي أن أخلفها ورائي، أنا التي قد ترحل في أي لحظة، ثم بدأت في زيارة سعادة الأمير بين الحين والآخر، فاستعدت الشجاعة للصلاة من أجل هذه اللحظة في نهاية المطاف. وكونها قد جاءت بالفعل هي مسألة لابد أنها تتعلق بالقدر الآتي من حيوات سابقة». أبلغته، وهي منخرطة في البكاء، بالكيفية التي ولد بها.

«في غمار الضجة التي أحاطت بموت القائم بأعمال المستشار الكبير، مرضت أمي في التو، وسرعان ما فارقت الدنيا، وهو الأمر الذي كان ضربة قاسية أخرى. وفي حدادي المزدوج لم أعرف إلا الحزن، ثم أقنعني شخص بلا حيثية كان يلاحقني على امتداد سنوات بالارتحال معه إلى أبعد الأركان القصية للبحر الغربي[1]، حتى لم أعد على اتصال بالمدينة بالمرة. وقد مات هناك، وعدت بعد عشر سنوات، ولديَّ شعور بأن كل شيء في المدينة قد تغير. وقد كنت أجيء إلى مسكن سعادة الأمير وأغادره منذ صغري، بفضل صلة من جانب أبي، وبحلول ذلك الوقت لم أكن أنتمي إلى نوعية الأشخاص التي تخالط الناس. وقد كان يتعين عليَّ أن أناشد بالصورة اللائقة زوجة نيافته المترهبن رايزي، لأنني كنت على صلة حميمية بأهل دارها لمدة طويلة للغاية، إلا أنني في حقيقة الأمر لم أجرؤ على القيام بذلك، وفي النهاية لم أمض إلى هناك قط. وبدلاً من ذلك تحولت إلى شجرة تذوي بعيداً في الجبال[2]. وإني لأتساءل أين ماتت كوجيجو؟ الآن لم يعد على قيد الحياة إلا عدد محدود للغاية ممن عرفتهم آنذاك في شبابهم، ولست أستطيع منع نفسي من النواح على حياة انتزع مني الكثيرون للغاية خلالها. ومع ذلك فها أنا ذي». واصلت الحديث كالسابق إلى أن أطل النهار.

(1) كايو شو.

(2) من كوكينشو 875، من نظم كينجي: «هيئتي شجرة ذاوية، محتجبة في الجبال، ولكن فؤادي سيبرعم إذا شئت».

قال النقيب: «حسناً، إذاً. إنني على يقين من أنه ليست هناك نهاية لكل ما يمكنك إبلاغي به فيما يتعلق بالماضي. ولابد لي من تجاذب أطراف الحديث معك مجدداً في وقت آخر، في مكان هادئ، حيث لايستطيع أحد أن يسمعنا. ولديَّ ذكرى شاحبة عن المرأة التي يدعونها بكوجيجو. ولابد أنني كنت في الخامسة أو السادسة من عمري، في ذلك الوقت، وقد فهمت أنها أصيبت فجأة بعلة في الصدر، وماتت. ولولا حوارنا لأمضيت بقية حياتي غارقاً بعمق في الخطيئة»[1].

أعطته مجموعة من الأوراق الملفوفة بإحكام، والتي تفوح منها رائحة فطر، وقد حيكت بحيث أصبحت مدرجة في حقيبة. وقالت: «أرجو، يا مولاي، أن تأمر بحرق هذه الأوراق في حضورك. وقد جمعها القائم بأعمال المستشار الكبير، وأعطاها لي، وأكد لي أنه لم يعد بمقدوره أن يواصل العيش أكثر مما فعل، وقد حدّثت نفسي عندئذ بأنه في المرة التالية التي أقابل فيها كوجيجو سأجعلها تأخذها إلى حيث كان ينبغي أن تمضي على الوجه الصحيح[2]، ولكنني لم ألتق بها بعد ذلك قط، وُتركت في نهاية المطاف مثقلة بعبء هذا السر».

لم يفصح محيا النقيب عن شيء، وهو يخفي ماتلقاه لتوه. وراح يتساءل محزوناً عما إذا كانت العجوز، شأن أخريات، قد انغمست ببساطة في رغبة ملحة في سرد ثرثرة مثيرة، ولكن ذلك بدا أمراً غير محتمل، أخذاً في الاعتبار الطريقة التي وعدت بها مراراً بألا تبلغ بالأمر أي شخص آخر.

تناول بعضاً من العصيدة والأرز المطهو على البخار. وقد كانت المكاتب مغلقة بالأمس، ولكن العزلة ستنتهي اليوم في القصر. وبالإضافة إلى ذلك، كانت يتعين عليه التقدم للإعراب عن تمنياته بشفاء الأميرة الأولى، كريمة نيافته[3]، التي كانت مريضة، ولهذين السببين كليهما فإنه سيكون مشغولاً تماماً. وقد أكد لمضيفه أنه سيعود لزيارته، قبل أن تتجرد التلال من أوراق الأشجار[4]. ورد سعادة الأمير

(1) الخطيئة النابعة من عدم تكريم والده الحقيقي.

(2) إلى أونا سان نو ميا.

(3) ابنة رايزي التي أنجبتها له الزوجة كوكيدين.

(4) بتعبير آخر، سريعاً. اليوم هو على وجه التقريب السادس من الشهر القمري العاشر، ولن تظل الأوراق على

مسروراً: «بالنسبة لي، كما تعلم، فإن زياراتك المتتابعة تجلب القليل من النور إلى ظلال هذه الجبال».

كان أول شيء قام به لدى عودته إلى البيت مجدداً هو تفقد الحقيبة، وكانت قد صُنعت من الدمقس الصيني، وكُتب عليها «إلى سمو الأميرة». وحملت عقدة الخيط الرقيق المجدول الذي ربطها الختم الذي يُعد بمثابة توقيعه. وكان فتحها شيئاً مخيفاً. ووجد بداخلها أوراقاً بألوان مختلفة، من بينها خمسة أو ستة ردود من أمه. وبخطه كانت هناك خمس أو ست ورقات من نوع ميتشينوكوني، أوضحت مطولاً، بحروف تشبه آثار طائر غريب، مدى مرضه الشديد، كيف أنه لم يعد بمقدوره أن يوصل أبسط رسالة إليها، وهو الأمر الذي جعله يتوق إليها بصورة أكبر، وكيف أنه افترض أنها بحلول ذلك الوقت قد اتخذت إهاب الراهبة وموضوعات أخرى محزنة من هذا القبيل. كان قد كتب يقول:

«أكثر من حزني عليك، يا من تخليت عن هذه الدنيا أمام عينيَّ،

أحزن على روحي هذه التي سرعان ما ستغادرك للأبد».

وفي الهامش كتب يقول: «ليس لديَّ سبب يدعوني إلى القلق على البرعم الصغير[1]، الذي وصلتني عنه أخبار رائعة، ومع ذلك:

«لو قُدِّر لي العيش، لعلمت أنه لي ولتابعت من بعيد

إلى أي شموخ سترفع شجرة الصنوبر أوراقي السرية بين الصخور».

كان كل شيء فيها مضطرباً، وبدا أنه متوقف عند هذا الحد، وكتب عليها «إلى كوجيجو». وبدت الورقة الآن وقد ألحقت الضرر بها حشرة لاحسة السكر، وصدرت عنها رائحة القدم والفطر، ولكن الخط كان لا يزال هناك، يانعاً كأنما كُتب لتوه، وبرزت الكلمات بوضوح بالغ. حدَّث نفسه: نعم، لو قُدِّر لهذه أن تضل طريقها أبداً... وأخذته الرعدة، واستبد به الألم من أجلهما كليهما.

الأشجار طويلاً.

(1) كاورو، يُشار إليه هنا على أنه «فوتابا» («البرعم الصغير»).

هـل يمكـن لأي شـيء كهـذا أن يحـدث ثانية؟ أثقـل عليه ما أصبـح يعرفـه الآن كثيراً، بحيث إنه تخلى عن عزمه الذهاب إلى القصر، وبدلاً من ذلك، مضى لزيارة سـمو الأميرة المترهبنة، التي وجدها، وكلها شباب وبراءة، عاكفة على قراءة نص مقدس حتى إنه اختفى على استحياء. ما الجـدوى من إبلاغها بأنه يعـرف جلية الأمر؟ لا، احتفظ بالأمر لنفسـه، ليفكر فيه بكل السبل.

46

شيجاموتو

تحت السنديانة

تعـد شـيجاموتو («تحت السـنديانة») عنوانـاً للفصل بسـبب حضورها فـي قصيدة ألقاهـا كاورو ينعى فيها هاتشي نوميا:

«السنديانة التي سعيت إليها لتمنحني ملاذاً هانئاً تحت ظل وارف

لم يعد لها وجود، وحيث عاشت هيمن الخواء والصمت».

الصلة بالفصول السابقة

تتواصل في «تحت السنديانة» أحداث «عذراء الجسر»، ويبدو أنه يتداخل من الناحية الزمنية مع نهاية «نهر الخيزران».

الشخوص

النقيب الاستشاري، ثم المستشار، 23 عاماً إلى 24 عاماً (كاورو).
معالي وزير الحرب، 24 إلى 25 عاماً (نيئو).
سعادة الأمير الثامن، حوالي 60 عاماً (هاتشي نو ميا).
ابنته الكبرى، 25 إلى 26 عاماً (أويجيمي).
ابنته الصغرى، 23 إلى 24 عاماً (ناكا نو كيمي).
بن، وصيفة ابنتي هاتشي نو ميا، حوالي 60 عاماً.
الخبير (أوجي نو أجاري).
مبعوث نيئو.
الحارس في أوجي.

في حوالي العشرين من الشهر الثاني، قام معالي وزير مكتب الحرب بالحج إلى هاتسوسي. وكان نذره القيام بذلك قديم العهد بالفعل، ولكن السنوات كانت قد انقضت، فيما لم يحسم رأيه على الوفاء بالنذر، ولاشك في أن السبب الرئيسي في قيامه بذلك الآن قد تمثل في جاذبية التوقف خلال رحلته عند أوجي. ولم يكن بالأمر الجدي من جانبه أن يشعر بأنه يجذبه بشدة مكان وصفه الآخرون بأنه «مقيت»[1]. وقد صاحبه عدد كبير من كبار النبلاء، وغني عن القول أن الوصفاء الخصوصيين كانوا برفقته أيضاً، بحيث إنه من الناحية العملية لم يبق أحد إلا وانضم إليه.

على الجانب الآخر من النهر، كان هناك عقار كبير وفخم ورثه معالي وزير الميمنة من سمو الامبراطور الفخري المتقاعد المقيم في روكوجو، وقد أعد معاليه لاستقبال الجمع هناك، بل إنه اعتزم المضي وتحية الأمير هناك بنفسه خلال عودته، ولكن من سوء الحظ أنه تلقى نصيحة بالالتزام بعزلة صارمة، ومن هنا فقد عجز عن القيام بذلك. وقد أحس معالي وزير الحرب بخيبة أمل إلى حد ما، ولكن في ذلك اليوم عينه وصل النقيب الاستشاري للقائه. وقد كان هذا شيئاً مقبولاً بصورة أكبر، وتطلع كذلك إلى أن يسمع منه عن أمور تتعلق بالضفة الأخرى. وساوره الشعور بأن معالي وزير الميمنة رفيع الشأن للغاية وأن صحبته ستثقل عليه كثيراً. وقد كان أبناء هذا النبيل- مدقق الميمنة الكبير، الاستشاري، القائم بأعمال النقيب، الملازم أمين السر، الحاجب الثاني للحراسة- حاضرين هناك للقيام برعايته. وقد كان معالي وزير الحرب يحظى بتقدير كبير من الكافة، ذلك أنه كان أثيراً لدى جلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة، وبالطبع لدى معالي وزير الميمنة، والآخرين جميعاً في روكوجو كانوا يدينون له بالولاء.

أُعد المكان بالطريقة الملائمة تماماً حسبما يقتضي الأمر، وقد أخرجوا رقع ألعاب الداما والباكجامون والتاجي، وأمضوا النهار في الاستمتاع حسبما طاب لهم. ولما كان معالي وزير الحرب قد أجهدته تجربة الترحال غير المألوفة، فقد كانت لديه أسباب أخرى

(1) كوكينشو 983، من نظم كيسين هوشي («كوخي إلى الجنوب الشرقي من المدينة، أحيا مع الغزلان في تلال أوجي، حيث يقولون إنني أنبذ الدنيا». والقصيدة تتلاعب بكفاءة بالغة باسم المكان، «أوجي» و«أوشي» («كريه»، «بغيض»)، بحيث إن «أوجي» ارتبطت للأبد عقب ذلك بمشاعر مثل «أوشي» أو كما هي الحال هنا بـ«أوراميشي» («مقيت»).

كذلك للرغبة الجارفة في قضاء الليلة هناك، وهكذا فإنه قرابة المساء، وبعد نيل قسط من الراحة دعا بالآلات الموسيقية، وأمر بالعزف عليها.

بدا له أنه في بقعة نائية على هذا النحو فإن هدير الماء ساعد فحسب في أن تتردد أصوات الآلات الموسيقية أكثر جمالاً، بينما هناك على الجانب الآخر من النهر، في دار الأمير الناسك، ذكّرت الموسيقى التي حُملت على جناحي الريح سعادة الأمير بالأيام الخوالي.

غمغم محدِّثاً نفسه: «يا لها من نغمة بهيجة تلك التي يمنحها العازف لذلك الناي! ترى من عساه يكون؟ منذ زمان بعيد سمعت سمو الامبراطور الفخري المتقاعد المقيم في روكوجو يعزف على الناي هكذا، وأضفى على الموسيقى عذوبة وفتنة عظيمتين. وعلى الرغم من ذلك، فإنه أياً كان هذا العازف فإنه يجعل السماء تضج طرباً ويضفي على الموسيقى لمسة من العظمة. وهذه الطريقة في العزف تبدو كطريقة معالي المستشار الراحل[1] وأبنائه». وواصل حديثه: «آه، لقد بعد العهد، بعد العهد! كل هذه السنوات، نصف حي ونصف ميت، من دون لحظة موسيقى كهذه، لا، سيكون من العبث إحصاؤها جميعها!». بينما مضى يتحدث على هذا النحو، راح يفكر أي أمر مخجل بالنسبة لابنتيه، وتاق إلى ألا تُحتجزا للأبد في هذه التلال. وتنهد قائلاً: إن ارتباطاً فعلياً بالنقيب الاستشاري سيكون موضع ترحيب، ولكنني لا أرى احتمالاً لحدوث ذلك، وليس بمقدوري للحظة أن أتصور قبول أي من الشبان البعيدين عن الرصانة المنتشرين في كل مكان اليوم. ومن هنا فإن الأحزان التي تثقل على داره جعلت هذه الليلة الربيعية بالغة الطول[2]، بينما بالنسبة للمسافرين في الدارة الواقعة على الجانب الآخر من النهر، فإن دفء الشراب جلب الفجر سريعاً على نحو مدهش، وأسف معالي وزير الحرب لاضطراره بالفعل إلى الرحيل.

تحت سماء تحجبها طولاً وعرضاً غمامات الربيع، مضى بعض أشجار الكرز يتخفف من بتلاته، فيما كانت أشجار أخرى تبرعم لتوها، ويعجب المرء على امتداد النهر بالمشهد الجميل لأشجار الصفصاف، التي تعابثها الريح فتنعكس في المجرى[3]. وأحس معالي

---

(1) تو نو تشوجو. يستمع هاتشي نو ميا إلى التراث الموسيقي الذي خلفه تو نو تشوجو وكاشيواجي في عزف كاورو، وذلك على الرغم من أنه لا يعرف أن كاورو هو ابن كاشيواجي.

(2) بينما يوصف ليل الربيع تقليدياً بأنه قصير.

(3) صورة من كوكين روكوجو 4155 تُعزى في نيهون شوكي إلى الامبراطور كينزو.

وزيـر الحـرب، الـذي لم يعتد علـى مثل هـذه المناظر بالدهشـة، ووجد هذا المشـهد مما تصعب مغادرته أشد الصعوبة.

لـم يرغب النقيب في إهدار هذه الفرصة لزيارة المسـكن الواقـع عبر النهر، ولكنه تردد فـي التحرك في هـذا الاتجاه، لأنه أحس بأنه قد يبدو من الخفة من جانبه أن يختفي من بين كل هؤلاء الناس وينطلق منفرداً بنفسـه. وفي غضون ذلك وصلت رسـالة من هناك. حيث كان النبيل قد كتب يقول:

«تكتسح الرياح الهابطة من التلال الغمامات الجاثمة بأنغام من الموسيقى،

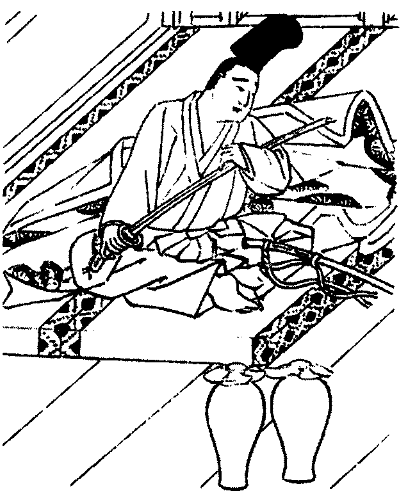
غير أنه لا تزال تمتد بيننا مسافات من الأمواج المتلاطمة».

كانت القصيدة مكتوبة على نحو جميل، بأسلوب متصل.

ابتهـج معالـي وزير الحرب، عندما أدرك أنها جاءت من المـكان الذي يفكِّر فيه، وقال: «سأرد عليها:

«يمتد مدى عظيم من الأمواج من هذه الضفة إلى ضفتك،

فانقلي التحيات مني إلى هناك، أيتها الرياح الماضية عبر النهر!»».



آنيتا خمر

مضى النقيب لتوصيل الرسالة، ودعا العديد من النبلاء الشبان الحريصين على سماع الموسيقى إلى المجـيء معـه. وفي الطريـق إلى عبـور النهر عزفوا «سـحر الشـراب»، وترجلـوا بعـد ذلـك باحتـرام، وقد أسـعدهم أن يجدوا الـدرج المفضي إلى الماء مـن دهليـز جانب النهر مناسـباً على نحـو كامل في أسـلوبه. وكان المـكان مختلفـاً مجـدداً عـن ذلـك الـذي غـادروه لتوهـم. وأضفت سـتائره المضفرة، التـي كانـت خالية مـن الزخرف تماماً علـى نحو ما قد يجده المرء في قرية جبلية لمسـتها الخاصة على فتنـة قطع الأثاث، وذلك على الرغم من أن سـعادة الأمير كان قد أمـر بتنحيتها جانباً بعناية

استعداداً لاستقبال ضيوفه. وكان قد وضع في حرص آلات موسيقية جليلة الشأن، لكل منها نغمتها الرائعة، والتي عزفوا عليها «رجل برعم الكرز» من مقام إتشيكوتسو. وكان الجميع قد علَّق الآمال على أنه في مثل هذه المناسبة فإن مضيفهم سيعزف على آلة الكين، ولكنه بدلاً من ذلك لمس بين الحين والآخر، على نحو عفوي تماماً، أوتار آلة السو نو كوتو. وأثَّر الصوت بعمق في نفوس النبلاء الأصغر سناً، ربما لأنهم نادراً ما سمعوا شيئاً مثله. وأعقبت ذلك وجبة شهية للغاية من طعام محلي، قدمها أتباع أقرب شبهاً بكثير من أبناء السلالة الامبراطورية مما كانوا قد تصوروا على الإطلاق أو أمراء موغلون في السن من المرتبة الرابعة لم يتعرفهم أحد، والذين أقبلوا مع وصول هؤلاء الضيوف، حريصين بلاشك على أن يقدموا لسعادة الأمير مساعدة تمس الحاجة إليها، ومن كلفوا بحمل آنية الشراب كانوا بدورهم في أفضل مظهر، بحيث إن ترحيب الأمير اكتسب منهم جميعاً تألقاً عتيق الطراز على نحو رائع. وفي غضون ذلك، اجتهد الضيوف في تصور الكيفية التي تعيش بها ابنتا الأمير هاهنا، ولاشك في أن بعضهم أحس بالحرص على أن يجرب حظه.

أحس معالي وزير الحرب، الذي كانت مرتبته تمنحه حرية أقل بكثير منهم، بالضوابط التي تكبِّله بشدة، ولم يستطع السيطرة على نفسه. فأمر بالتقاط غصن مزهر على نحو جميل، وجعل تابعاً خصوصياً وسيماً يقدمه، وجاء في الرسالة المرفقة به:

«جئت إليك ساعياً إلى زهور الكرز الجبلية في كل حسنها،

وألتقط بنفسي غصناً لأضعه في شعري[1].

ولعاً بالمرج..»[2] أو شيء من هذا القبيل.

عانت ابنتا سعادة الأمير صعوبة كبيرة في صياغة رد. حذَّرت الوصيفات الأكثر خبرة بقولهن: «لقد أحس الناس دوماً بأنه في مثل هذه اللحظة من غير المناسب أن يأخذ المرء وقته، وأن يتأخر في الرد، وجعل سعادة الأمير الأخت الصغرى تكتب قائلة:

---

(1) «جئت ساعياً إلى صداقتك كسليل للعائلة الامبراطورية». جوسينشو 809 من نظم آيسي: «إذا جئت إلى يوشينو، حيث داري، فضع نثاراً من الزهور ذاتها في شعرك».

(2) تنويع على مانيوشو 1428 (أيضاً كوكين روكوجو 3916) من نظم كامابي نو أكاهيتو: «أنا، الذي أقبلت لقطف زهور البنفسج في المرج الربيعي، ولعاً بالمرج رقدت هنالك تلك الليلة». ونيئو يلمح إلى أنه يريد البقاء.

«هذه الزهور التي قطفتها لشعرك قادتك هنا إلى سور ريفي،

ولسوف تمضي سريعاً، أيها المسافر مع الربيع.

أي جاذبية يحظى بها المرج؟» كان خطها جميلاً ومؤثراً للغاية.

مضى نسيم النهر العليل يحمل حقاً صوت الموسيقى جيئة وذهاباً. ووصل مستشار فوجيوارا الكبير[1]، ليحمل تحيات جلالة الامبراطور إلى معاليه، وانضمت معيته الكبيرة إلى الجمع المرافق لمعاليه، وكان حشداً مفعماً بالحياة ومتواصلاً ذلك الذي عاد من هناك إلى المدينة. وتطلع إلى الوراء السادة الأصغر سناً تاقوا إلى البقاء مراراً وتكراراً، فيما تاق معاليه إلى المناسبة التالية من هذه النوعية.

وكانت الأزهار في سمت تفتحها، وشكّل سديم الربيع منظراً جميلاً في كل الاتجاهات، ملهماً إياهم نظم قصيدة إثر أخرى بالصينية واليابانية، ولكني لم أكبد نفسي عناء الاستفسار عن هذه القصائد.

ظل معالي وزير الحرب مستاء من أنه لم يفلح في غمار الاضطراب قط في أن ينقل ما كان يدور في ذهنه، ولكن رسائله تواصلت حتى في غياب من يقدمها نيابة عنه[2]. أوضح والد الشابتين النبيلتين الأمر بقوله: «لابد من أن تردا عليه، على الرغم من أنكما ينبغي أن تتجنبا أي إيماءة إلى التودد، فمن شأن هذا أن يثير حماسه أكثر فحسب، فهو أمير يميل كثيراً إلى الغزل، ولاشك في أنه لايعتزم ترك الأمر عند هذا بعد أن علم بوجودكما هنا». كانت ابنته الصغرى هي التي كتبت في كل مرة، بتشجيع منه، أما الكبرى فقد كانت أكثر حكمة من أن تنغمس في مثل هذا المزاح.

وجد أبوهما، الذي كان يميل دوماً إلى الكآبة، هدوء الربيع الخاوي أكثر صعوبة على نحو متزايد، وراح يقضي وقته في تأمل شارد. ولم يؤد إلا إلى تفاقم الأمر أن مظهرهما كان قد نضج مع مرور الأعوام، وصولاً إلى هذا الحسن الفائق الذي لا تشوبه شائبة. ومضى ينوح ليلاً ونهاراً حيال أن ألمه وأسفه كان يمكن أن يكونا أقل لو أنهما كانتا تفتقران إلى

(1) كوباي، الأخ الأصغر لكاشيواجي.

(2) من دون مساعدة كاورو.

الجمال. وكانت الكبرى بحلول ذلك الوقت في الخامسة والعشرين من عمرها والصغرى في الثالثة والعشرين.

اقتضى هذا العام من سعادة الأمير الثامن حذراً كبيراً، وفي غمار قنوطه أغرق نفسه في الصلوات. ولما كانت الدنيا لا تعني له شيئاً، وكانت كل خواطره تدور حول الرحيل الكبير، فقد بدا على يقين من أنه سينطلق قدماً على الدرب الجليل[1]، ومع ذلك فإن هذه المسألة الوحيدة المتعلقة بابنتيه كانت مصدر قلق متعاظم، وبدا لمن يعرفونه أنه على الرغم من إصراره الذي لا يلين، فإنه سيتردد عندما يحين وقت مغادرته إياهما بالفعل. ما أشد السرور الذي كان سيومئ به حيال التودد من جانب أي شخص، حتى وإن لم يكن مثالياً، يرغب على نحو أصيل في الزواج من إحداهما، شريطة أن يكون مقبولاً بما فيه الكفاية حتى لا يثير تقولاً غير موات! سيكون مصدر ارتياح كبير أن يوافق على أي ملاذ يتيح لكل منهما مكاناً في الدنيا، ولكن ياللحسرة فما من أحد أراد لهما شيئاً من هذا القبيل بجدية. والمحاولات النادرة للاتصال بهما لم تتجاوز التودد من جانب شبان عقدوا العزم على تزجية الوقت فحسب في الطريق إلى الحج أو العودة منه، ولم يسمح سعادة الأمير الثامن، الذي انقبض من فكرة أن هؤلاء الشبان قد يتصورون حياة ابنتيه الكئيبة ويزدرونهما بسببها، قط بأكثر الردود روتينية. وقد كان معالي وزير الحرب هو الذي صمم تصميماً مطلقاً على أن تكونا له. وربما كان هذا هو قدره.

في ذلك الخريف أصبح النقيب الاستشاري مستشاراً، ولكن على الرغم من مكانته التي ازدادت علواً ومسؤوليته المتعاظمة، إلا أنه كانت لديه هموم كثيرة. فبعد أن أراد معرفة الحقيقة على امتداد سنوات عديدة للغاية، مضى الآن يفكر في النبيل الذي مات ميتة مأساوية، وتاق من خلال الصلوات الورعة إلى التخفيف من عظمة خطيئته. وأشفق على العجوز التي حصل على القصة منها، وقام من أجلها بما قدر عليه بهدوء وخفية بقدر الإمكان.

تذكَّر أنه لم يذهب إلى أوجي منذ زمن طويل، ومضى مباشرة إلى هناك. كان ذلك في الشهر السابع، ولم يكن الخريف قد حل على المدينة بعد، ولكن قرب جبل أوتوا كان

---

(1) إلى فردوس أميدا.

المرء يستشعر برداً لاذعاً في زفيف الريح، وكانت التلال المكسوة بالأشجار الواقعة في البعيد تكتسي بلون خفيف. وملأه المشهد الطبيعي لدى وصوله بالدهشة والسرور، ولكن سعادة الأمير الثامن، الذي كان أكثر ابتهاجاً بتحيته، مضى يسرد مطولاً حكاية أحزانه.

غامر بالقول: «آمل أنه بعد رحيلي ستجد سبيلك إلى تلبية احتياجات ابنتي، وأن تعتبرهما كالسابق ضمن من يعنيك أمرهن».

رد المستشار: «كنت من اللطف بحيث ذكرت هذا الأمر من قبل، ولست أعتزم عدم الوفاء بالوعد الذي قطعته آنذاك. أنا الذي يرغب في تقليل ارتباطي بالدنيا لديَّ وقت محدود كي أكون مفيداً لهما، ولكنني آمل أن أوضح لك بجلاء أن مشاعري لم تتغير، طالما أنني قادر على القيام بذلك».

غمر السرَور سعادة الأمير الثامن. في وقت متأخر من تلك الليلة بزغ القمر متألقاً، لكن المرء كان يعرف أنه سرعان ما سيحتجب وراء قمة التلال. ومضى سعادة الأمير يرتل الاسم المقدس، وشرع في الحديث عن الماضي، فقال:أتساءل على أي حال تتبدى الدنيا الآن؟ عندما كنت أشارك في عزف الموسيقى في القصر تحت هذا النوع من القمر الخريفي، كان الخبراء المشهود لهم يبذلون قصارى جهدهم، ومن المؤكد أن تأثير ذلك في الحفل كان عظيماً، ولكن ما كان يثير اهتمام المرء عموماً على نحو أكبر كان الصوت المفعم بالشجن الصادر عن آلة موسيقية وحيدة في وقت متأخر من الليل، بعد أن يكون الجميع قد خلدوا إلى مخادعهم، حيث يتناهى وانياً هنا وهناك من جناح إحدى زوجات جلالة الامبراطور أو خليلاته، تلك السيدات اللواتي يحظين باحترام بالغ واللواتي يمضين قدماً في التنافس بينهن، حتى وهن يحافظن ظاهرياً على احترام إحداهن للأخرى. والنسوة مخلوقات عابثات على وجه العموم، ولايصلحن إلا للملذات العابرة، ولكنهن يثرن مشاعر عارمة. وأحسب أن ذلك هو السر في أن خطيئتهن بالغة العمق. والآباء يشعرون بقلق عميق على أبنائهم جميعاً، ولكن الابن أقل إثارة للمتاعب بكثير. أما الابنة فهي تبقى ابنة[1]، وهي يحتمل أن تكون مصدر قلق كبير، حتى وإن أقر المرء بمحدودية قيمتها». صاغ قلقه الخاص في تعبيرات عامة، وأقرَّ زائرة متعاطفاً في أعماقه بأن لديه كل الأسباب

(1) مقيدة بكل الضوابط التي تجعلها شديدة الاختلاف عن الابن، ومنها خضوعها لزوجها.

التي تدفعه إلى أن يحس بهذه المشاعر.

رد المستشار قائلاً: «لقد نحيت كل هذه الأمور عن نفسي حقاً، كما تعلم، وإذا أردت الحديث عن نفسي، فلاشك في أن ذلك هو السبب في أنني أعرف القليل للغاية عنها. ولكن أياً كانت محدودية أهمية الموسيقى، فإن تذوقها هو أمر يصعب للغاية التخلي عنه. وذلك هو السبب في أنه حتى كوشو الجليل نهض للرقص»[1]. بدا أنه لا يزال يتوق إلى صوت الكوتو الذي كان قد سمعه ذات مرة وقتاً قصيراً، ومن هنا فإن سعادة الأمير مضى بنفسه إلى ابنتيه ليهيب بهما أن تعزفا، آملاً أنه ربما يُقرِّب بين ابنتيه وزائره. تناهت إلى الأسماع مقطوعة صغيرة خافتة تُعزف على آلة السو نو كوتو. في مثل هذا المكان، وتحت سماء تثير على نحو متزايد الأسى والشجن، أدخلت هذه الموسيقى المرتجلة السرور البالغ على نفس المستشار، ولكن الأختين من المؤكد أنهما ما كانتا لتوافقا على أن تعزفا معاً عزفاً حراً، ومنطلقاً.

«حسناً، الآن وقد أفلحت في تدبر أمر هذا القدر من العزف، فإنني أترك الباقي لكم، أنتم يا من لا تزال حياتكم ممتدة أمامكم». اختفى سعادة الأمير في قاعة مذبحه، قائلاً:

«بعد رحيلي، قد تغدو صومعتي العشبية هذه طللاً،

غير أني أعرف أنك ستلتزم بكلمتك كعهدك أبداً[2].

قد يكون لقاؤنا هذا هو الأخير، وقد منعني حزني من السيطرة على نفسي، فأسرفت في التفوه بالهراء». كان منخرطاً في البكاء.

قال ضيفه:

« في أي عهد مقبل لايتم الوفاء بذلك الوعد الجليل،

فيما تعهدتُ على امتداد الزمن بألا أتخلى عن هذه الصومعة التي بنيتها؟[3]

---

(1) كوشو، تابع بارز لبوذا، لم يملك إلا الرقص عندما عزفت آلهة الموسيقى.

(2) تتلاعب القصيدة بكلمة هيتوكوتو «مقطوعة من موسيقى الكوتو» و«كلمتك الوحيدة» (وعدك برعاية ابنتيَّ) وكذلك كلمة «كيري»، «يهمل» (يجيء) و«يموت) (الحديث عن العشب).

(3) القصيدة تتلاعب بكلمة «موسوبيرو»، «يقطع» (وعداً) و«يحزم» (العشب من أجل كوخ بسيط).

لسوف أقوم على خدمتك ما إن تنتهي مسابقة المصارعة[1] وهذه النوعية من المشاغل».


كوشو

قام المستشار، وقد تُرِكَ لشأنه، باستدعاء العجوز التي كانت قد أدهشته أشد الدهشة بقصتها، وراح يسائلها حول العديد من الأمور التي ظل من المتعين سردها. وتألق القمر الغارب باهراً، مانحاً قوامه رشاقة مدهشة[2]، فيما بقيت الأختان في الامتدادات الداخلية للغرفة. وقد وجه حديثه إليهما بهدوء وإخلاص بالغين وبنبرة خالية من أي إيماءة للتودد المألوف بحيث أنها ردت عليه بحسب وحي اللحظة. وإذ تذكر صامتاً مدى شغف معالي وزير الحرب بمعرفتهما، راح يفكر في أنه يظل مختلفاً عن الرجال الآخرين. حدَّث نفسه قائلاً: انظر كيف شجعني معاليه عن طواعية، ولازلت لا أحس بتعجل خاص! ليس الأمر راجعاً حقاً إلى أنه لامجال له بقدر ما يمكنني إدراكه. سيكون أمراً بهيجاً للغاية الحديث معهما على هذا النحو وتبادل مديح جمال الزهور وأوراق أشجار الخريف، نعم سيكون أمراً مؤسفاً أن تكونا من نصيب آخرين. ساوره الشعور بأنهما من نصيبه بالفعل.

عاد إلى المدينة في وقت متأخر من الليل. وظلت في ذهنه صورة مضيفه، الذي بدا مقتنعاً على نحو محزن للغاية بأنه لم يبق له الكثير من العمر، وخطَّط للعودة لدى انتهاء الموسم الحافل بالمشاغل. ومضى معالي وزير الحرب بدوره يفكر في اللحظة المناسبة للذهاب إلى هناك في ذلك الخريف في رحلة للاستمتاع بأوراق الأشجار، وبعث برسائل متوالية. ولم تصدق الأخت التي ردت عليها[3] للحظة واحدة أنها رسائل جدية، وبالتالي لم تكلف نفسها عناءً كبيراً في ردودها، ولكنها أبقت على تبادل الرسائل بغض النظر عن محدودية الاهتمام به.

مع ايغال الربيع في مسيرته، غدت خواطر سعادة الأمير الثامن أكثر كآبة إلى أن قرر،

---

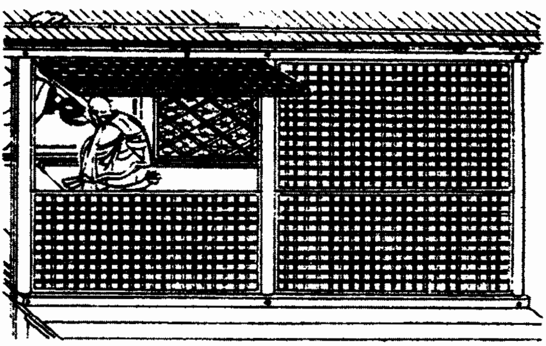
(1) كانت مسابقة المصارعة (سوماي نو سيتشي) تُقام في حوالي نهاية الشهر السابع. وكان المصارعون يتجمعون من كل المقاطعات للتنافس بحضور الامبراطور، وتُقام مأدبة عقب ذلك.

(2) يبدو أن من في الغرفة يمكنهم رؤيته عبر الستائر الحاجبة حيث يسقط عليه سنا القمر.

(3) ناكا نو كيمي، الأخت الأصغر.

كالعهد من قبل، أن يكرِّس نفسه في سلام لترتيل الاسم المقدس، وإذ وضع ذلك في ذهنه، فقد أفضى إلى ابنتيه بالكلمات التي كان من المحتم أن ينطقها. قال: «من طبيعة هذه الحياة ألا تدع لأحد مهرباً من الفراق الأخير، ولكن مما يساعد في هذا الصدد التطلع إلى العثور على العزاء. وإنه لأمر مأساوي أنه يتعين عليَّ الآن أن أغادركما وحيدتين، فيما ليس هناك من يرعاكما سواي، ومع ذلك فإنه لن يكون عوناً لي أن أضرب لذلك السبب في ظلام الليل الأبدي. وليس بمقدوري تحديد ما سيحدث بعد رحيلي، في دنيا هجرتها حتى وأنا لا أزال معكما، ولكنني أحذركما من أن تفعلا شيئاً طائشاً قد يجلب العار ليس عليَّ وحدي وإنما على أمكما الراحلة كذلك. لا تدعا نفسيكما تقتنعان بمغادرة هذه القرية الجبلية إلا من قبل شخص جدير بكما. تقبلا أن مصيركما ليس كمصير الأخريات، وقررا البقاء هنا طوال عمريكما. وطالما أنكما تواصلان الإصرار على ذلك، فإنكما ستجدان أن الشهور والسنين تنقضي في يسر. والأمر المهم في المقام الأول، وبصفة خاصة بالنسبة للمرأة، هو أن تظل محتجبة عن العيان وألا تثير أبداً انتقاداً يجلب عليها اهتمام الآخرين الخالي من الود».

لم يكن بمقدور ابنتيه تصور مستقبل لهما على الإطلاق، وراحتا تتساءلان فحسب كيف ستبقيان على قيد الحياة بعد فقدانه. وقد أثار انزعاجهما على نحو يستعصي على التعبير عن هذا الاحتمال الكريه. ولاشك في أنه في قرارة نفسه كان قد تخلى عنهما، ولكنهما كانتا على الرغم من ذلك تشغلانه ليلاً ونهاراً، ولم يكن بمقدورهما أن تلوماه على هذا الانفصال المفاجئ، حتى وإن لم تكن له صلة بقسوة من جانبه.


مصراع

في اليوم السابق لرحيله، مضى يتجول في أرجاء المكان بطريقته المعتادة، ملقياً نظرة أخيرة على الدار. كان مكاناً مهلهلاً، متواضعاً ذلك الذي اتخذه داراً له كل هذا الوقت الطويل، ومضى يتساءل، وقد

اغرورقت عيناه، وراح في غضون ذلك يرتل الاسم المقدس، كيف يمكن لابنتيه الشابتين أن تمكثا هاهنا بعد أن يغادرهما. وفيما هو يقوم بذلك بدا تجسيداً للتميز والجلال، ثم استدعى الوصيفات الأكبر سناً معاً، وقال: «عليكن بخدمة سيدتيكما بإخلاص. من طبائع الأمور أن من لم يولدوا ليحظوا بانتباه الدنيا ينبغي أن يتراجعوا دون أن تقع العيون عليهم، ولكن بالنسبة لمن هن على شاكلتيهما فإنها لإساءة محزنة للأصل الطيب أن تنحدرا إلى التردي الوضيع. ومعظم الناس يعيشون حياة تعيسة وموحشة. ومن شأن الولاء لمكانة دارهما وأعرافها أن يجعلهما بعيدتين عن اللوم في عيونهما وفي عيون الآخرين. وربما يغريهما الازدهار الداعي للاحترام، ولكن عليكن ألا تشجعن أي افتقار طائش للحكمة من جانبهما البتة، إذا تبين أن الظروف لاتعد بهذا الازدهار».

مضى إلى ابنتيه مجدداً عند الفجر، عندما كان يوشك على الرحيل. وقال: «لايستبدن بكما الحزن في غيابي، ولتفرح روحاكما على الأقل، واعزفا الموسيقى. هذه الدنيا شديدة التناقض على الدوام. فلا تحملاها على محمل الجد أكثر مما ينبغي». تطلع إلى الوراء مراراً فيما هو يغادر المكان.

ظلت الاختان بعيدتين عن الشعور بالعزاء على نحو يفوق أي وقت مضى، وتجاذبتا أطراف الحديث حول هذه الأمور ليلاً ونهاراً. مضت إحداهما تسائل الأخرى: «كيف ستكون الحياة ممكنة على الإطلاق إذا قُدِّر لإحدانا ألا تبقى هنا؟ لاسبيل إلى توقع ما ينتظرنا الآن، وإذا قُدِّر لنا الافتراق بفعل أي مصادفة..». مضتا تبكيان وتضحكان، تهزلان وتجدان، وراحت كل منهما تنشد العزاء والمواساة للأخرى.

وصل مبعوث في مساء اليوم الذي انتهى فيه اعتكافه، وكانتا تتوقعان عودته إلى الدار في أي لحظة. قال المبعوث مكرِّراً كلمات سعادة الأمير الثامن: «بدأت هذا الصباح في الشعور بالتوعك، وأخشى أنني ليس بمقدوري القدوم إلى الدار، وقد عهدت إلى من يُعنى بي على أساس أن ما أصابني نوبة برد، ولكنني أتوق أكثر من أي وقت مضى إلى أن أكون معكما من جديد».

استبدَّ بهما الاستياء والقلق على ما عسى أن يكون عليه الأمر، فأمرتا بتجهيز أردية ثقيلة وذات طيات عدة وإرسالها إليه. وانقضى يومان أو ثلاثة أيام، ولم يهبط من الجبل قط،

فأرسلتا مراراً وتكراراً لتبين جلية أمره، وأبلغ مبعوثهما بقوله: «لست في حال بهذا القدر من السوء، وكل ما هنالك أنني لا أحس بأنني على مايرام، وأعد بالقدوم بمجرد تحسن حالتي قليلاً».

ظل الخبير يرعاه عن كثب. وحذَّره قائلاً: «يبدو أنك معتل قليلاً فحسب، ولكنني أعتقد أنك ربما تكون منطلقاً في رحلتك الأخيرة. وليس هناك من سبب يدعو لأن تحزن على ابنتيك، فلكل منا قدره المنفصل عن غيره، وما من داع يدعوك إلى القلق عليهما». ومضى يستحث سعادة الأمير بصورة متزايدة على التخلي عن كل الروابط وحذَّره. «سعادة الأمير، ينبغي ألا تغادر هذا المعبد!».

كان ذلك في قرابة اليوم العشرين من الشهر الثامن، وكانت السماء تكتسي حلة قاتمة، كئيبة. لم ينجل الغمام من الصباح حتى الليل، واستبد الحزن بالأختين، وراحتا تتنهدان. وقرب الفجر أطل القمر متألقاً ومنيراً سطح النهر، فرفعتا المصاريع على ذلك الجانب لتطلا على هذا المشهد. وأعلن صوت جرس المعبد النائي قدوم الفجر. وعندئذ وصل العديد من الرجال ليجدوهما، منخرطتين في البكاء، لأن سعادة الأمير الثالث قد مات في منتصف الليل.

لم تكونا قد توقفنا قط عن التفكير فيه أو التساؤل عما هو عليه، ولكن صدمة الخبر أفقدتهما حواسهما، وتركتهما عاجزتين- حتى دموعهما كانت قد اختفت- عن القيام بأي شيء إلا الرقاد منبطحتين على الأرض. عندما تحل أعظم خسارة بساحة المرء، فإنه عادة ما يكون واعياً وبالتالي لايساوره الشك فيما تجلى له، ولكن الجهل بكيفية وقوع هذه الخسارة لم يكن من شأنه إلا أن يضيف المزيد إلى حزنهما، فلا عجب أن استبد بهما وأخذ بخناقهما. وهما اللتان ما كانتا تتصوران مواصلة الحياة بعده مضتا تبكيان بتوق يائس إلى اللحاق به، ولكن أجله كان قد آن، ومضى كل نواحهما بلا طائل.

تكفَّل الخبير بإنجاز كل ما تعيَّن القيام به، على نحوما كان قد وعد دوماً أن يفعل. قالت ابنتاه: «سيسعدنا أن نرى هيئته ومحياه مرة أخيرة، الآن وقد أدركنا أنه قد رحل». لكن الخبير رد بقوله: «أي جدوى من ذلك؟ لقد حذركما سعادته بنفسه من أنكما ربما لن يقدر لكما أن ترياه ثانية، ولابد لكما الآن من أجل خاطره أن تتخلصا من التشبث به». كان

ذلك هو كل شيء. وعندما علمت الأختان بالكيفية التي أقيمت بها المراسم لأبويهما أدانتا بمرارة الإفراط الصوفي الموغل من جانب الخبير.

كان سعادة الأمير قد أراد على امتداد سنوات عديدة، الالتزام بعهود الراهب الجديد، ولكن التردد في التخلي عن ابنتيه فيما لم يكن هناك أحد غيره يرعاهما دفعه إلى البقاء معهما طوال عمره، وكانتا مصدر عزاء بالغ له في ظروفه الحزينة، بحيث أنه لم يرد قط حقاً تركهما، ومن هنا فإنه هو نفسه في رحلته الأخيرة، وهما اللتان استبد بهما الحزن على فقده لم يعرف العزاء سبيله إليهما.

جاء الخبر بمثابة لطمة هائلة للمستشار، الذي ساوره الشعور كما لو أنه لا يزال لديه الكثير من الأمور التي يتعين أن يناقشها مرة أخيرة مع سعادة الأمير، وبكى في مرارة حيال هذا التذكير بما تجلبه الحياة. كان سعادته قد قال له: «إنني أشك في أننا سنلتقي مجدداً»، ولكن مثل هذه الملاحظات من جانبه كانت مألوفة للغاية، حيث إنه ظل على الدوام واعياً بصورة حادة بأنه في هذه الحياة فإن كل يوم أو كل ليلة قد يكونان اليوم الأخير أو الليلة الأخيرة، ولم يتصور المستشار قط أن ما تنبأ به قد يتحقق الأمس أو اليوم[1]. استبد به الحزن، فوجه رسائل تعزية مستفيضة إلى ابنتي سعادة الأمير، من خلال الخبير، ولما كانتا لم تتلقيا رسائل من أي شخص آخر، فقد أدركتا حتى في غمار حزنهما عمق إخلاصه على مدى السنين. إن أكثر أشكال الفراق من هذا النوع شيوعاً يؤثر في الجميع وقت حدوثه بحسبانه مأساة لم يسمع أحد بها، وكان بمقدوره أن يتخيل ما يمكن أن تكون عليه مشاعرهما، فيما ليس لديهما أي شخص آخر على الإطلاق يبعث العزاء في نفسيهما. ومن هنا فقد استبق كل شيء مطلوب للطقوس الضرورية، وبعث بالعطايا المناسبة للخبير كذلك. ومن خلال الوصيفات الأكبر سناً قدَّم ما تمس الحاجة إليه من أجل قراءات النصوص المقدسة في دار سعادة الأمير.

ساد الشعور كما لو أن الليل لن يعقبه الفجر، ولكن على الرغم من ذلك أقبل الشهر التاسع. وانهمرت أمطار الموسم الباردة، المناسبة للغاية لانهمار الدموع، على المرج

(1) كوكينشو 861، من نظم أريوارا نو ناريهيرا، ويُقال إنها قصيدة ناريهيرا لحظة احتضاره: «هذا هو الدرب، هكذا سمعت، الذي لابد للجميع أن يسلكه، لكني لم أظن أبداً أنه الأمس أو اليوم».

والجبل، وبين الحين والآخر بدا أن صوت أوراق الشجر المتساقطة أو هدير النهر يختلط بفيضان دموعهما، إلى أن تساءل من يقومون على خدمتهما في بؤس كيف سيقدر لسيدتيهم أن تعيشا ما قُدِّر لهما من سنوات العمر، وحاولوا عبثاً إدخال العزاء على نفسيهما. وكان الرهبان هنالك أيضاً[1] لترتيل الاسم المقدس، ومن زاروا الدار للاقتصار على الصلاة أمام مذبح سعادة الأمير، في الغرفة التي كان الأمير قد قام بذلك بنفسه، استغرقوا في القيام بطقوس الحداد.

توالت كذلك رسائل متكررة من معالي وزير الحرب. ولم تملك الأختان الصفاء الذي يتيح لهما الرد عليها. وتركه صمتهما، فيما ردتا بقدر ما كان بمقدوره أن يعلم بشكل مختلف على المستشار، مستاء لأنهما قد بدا أنهما نسيتاه. وكان قد اعتزم الذهاب إلى هناك لدى وصول أوراق الخريف إلى تألقها وأن يجعل الجميع المرافق له ينظم القصائد الصينية، ولكن هذا الوقت لم يكن بالوقت المناسب لمثل هذه الجولات، وفي غمار شعوره بخيبة الأمل تخلى عن الفكرة.

انقضت فترة الحداد، وبعث إليهما برسالة طويلة جداً، حيث ضمن أنه بما أن الدموع لا يمكن أن تنهمر إلى الأبد، فإنه حتى دموعهما ربما تجف الآن بين الفينة والأخرى. وقد وصلت ذات مساء فيما كان المطر يهدد بالانهمار:

«ما الذي يمكن أن تكون عليه حياتكما مع صياح الأيل في الخريف في قريتكما الجبلية
وعند الغسق تتدلى قطرات للندى على سعف الهاجي المترامي؟[2]

سيكون من القسوة منكما أن تتظاهرا بأنكما لاتشاركان السماء ميلها هذا المساء، فهذا هو نهاية في المطاف موسم التأمل في السبخات الذاوية»[3]. هكذا كتب وتواصلت رسائله.

قالت الأخت الكبرى: «هذا صحيح، فقد تجاهلناه بصورة متكررة، ردي عليه!».

---

(1) كذلك في المعبد.

(2) «عندما أغرق أنا نفسي في البكاء».

(3) سينسينزايشو 526، من نظم الأمير توموهيرا: «السبخات الذاوية أكثر حزناً بالنسبة لي من فروع هاجي الخفيضة على قمة التل التي يرتادها الأيل».

وناشدت أختها الصغرى كالمعتاد أن تكتب رداً.

سألت الأخت الصغرى نفسها: كيف أمكن أن أتصور أنني سأعيش وقتاً طويلاً بما يكفي لأن اجتذب نحوي محبرة من جديد؟ كم هو مرير الوقت الذي اجتزناه! غامت عيناها من جديد، وبدا لها أنها ليس بمقدورها أن ترى شيئاً، فدفعت المحبرة بعيداً عنها، وقالت: «ليس بمقدوري الكتابة إليه، ليس الآن. ها أنا ذي قد بدأت أحرك كوامن نفسي من جديد، نعم، من الواضح أن هناك نهاية للحداد، ولكن كم هي مقيتة وكم هي محزنة!». اتخذ قوامها الباكي على نحو رقيق هيئة مؤثرة للغاية.

كان المبعوث قد انطلق من المدينة عند الغسق، ووصل بعد أن أوغل المساء في مسيرته. أوصلتا إليه التساؤل: «كيف يمكن أن تعود مباشرة؟ لابد لك من أن تقضي الليل هنا». غير أنه أصر على أنه لابد له من العودة في التو، وعند ذاك أحست الأخت الكبرى التي لم تكن بالتأكيد قد تمالكت نفسها بعد بما يكفي من الأسف على أختها لكي تكتب قائلة:

«سُدم دموع لاتنتهي تحاصر هذه القرية الجبلية، وهناك عند السور
يصيح الأيل عالياً بالتناغم مع حزننا».

كتبت ذلك على ورق رمادي، وفي الظلام لم يكن خطها موحياً بالثقة، ولكن ما من شيء اقتضى منها أن تجعله نظيفاً ومرتباً، فتركت فرشاتها تتحرك حسبما طاب لها، ثم غلفت الرسالة وبعثت بها.

انزعج المبعوث حيال إمكانية المرور بكوهاتا فيما المطر ينهمر[1]، ولكن معالي وزير الحرب لم يكن قد اختار جباناً لهذه المهمة، واستحث الرجل جواده بسرعة بالغة على المضي على امتداد الدروب الضيقة التي كستها أشجار خيزران قزمة، فوصل في وقت جد قصير. ومثل بين يدي سيده غارقاً للغاية في ماء المطر بحيث إنه منحه مكافأة. وكانت الرسالة مكتوبة بخط لم يكن قد رآه من قبل، وهو خط أوحى بقدر أكبر من النضج والتميز، وإذ عجز عن تنحية الرسالة جانباً، فقد مضى يحدِّق فيها، متسائلاً عن هوية كل من الأختين، وظل لبعض الوقت بعيداً عن الفراش. غمغمت القائمات على خدمته: «لقد

---

(1) اشتهرت كوهاتا بأنها منطقة برية ومهجورة، وربما ترتادها العصابات.

ظل ينتظر وينتظر، والآن انظرن كم من الوقت أمضاه محدِّقاً في الرسالة! أياً كانت، لابد أنها تعني الكثير بالنسبة له!». وربما كن يتذمرن لأن النعاس أطبق عليهن.

نهض، في وقت مبكر من صباح اليوم التالي، فيما كانت السُدم لا تزال كثيفة ليكتب رده على الرسالة:

«هل تسمع هاتان الأذنان بلا تعاطف من القلب صياح الأيل الحزين

من أجل رفيق اختفى في سُدم الصباح؟[1]

بالتناغم تقولين، ولكنني أصيح بالتناغم بدوري وعلى القدر نفسه من الارتفاع».

قالت لنفسها: لسوف تقع متاعب، إذا أبديت له قدراً كبيراً أكثر مما ينبغي من الدفء. لقد تدبرنا أمرنا جيداً على الدوام عندما كنا آمنتين في ظل حماية أبينا، ولكن الآن وقد بقينا من دون طواعية على قيد الحياة من بعده، فإن أقل هفوة مهما كانت صغيرة، يمكن أن تسيء إلى روح أبينا الذي كان مناط اهتمامه الوحيد أن يتجنب ذلك على وجه الدقة. ثبّط حذر وخوف شاملان همتها عن الرد. ولم يكن مرد الأمر أنها نحّت الأمير جانباً أو اعتبرته كئيباً ومملاً، حيث إن أقل كلمة أو ضربة فرشاة كانت شاهداً على لماحيته وتألقه، وبينما لم تقرأ الكثير من مثل هذه الرسائل، فقد بدا لها أن هذه الرسالة مبهجة للغاية، وعلى الرغم من ذلك فإنه لن يناسب أياً منهما أن يدخلا في مثل هذا التبادل الموحي للرسائل. وخلصت إلى القول: لا، لسوف أواصل مسيرتي الريفية على نحو ما أنا عليه.

على الرغم من ذلك، فقد ردت على المستشار، لأنه خاطبها على نحو بالغ الرقي، بحيث إنها بعثت إليه بردود لم تخل من الود. وما إن انتهت فترة الحداد حتى جاء بنفسه. ودنا من الجناح الشرقي، حيث شغلت الأختان في ملابسهما المتواضعة قسماً منخفضاً[2] ونادى العجوز[3]. وبالنسبة لمن ضعف في ظلام الحزن فإن العبق الذي أفعم الهواء كله

(1) جو سينشو 372، من نظم كي نو تومونوري: «ربما أرفع صوتي لأصيح عالياً في سُدم الخريف، رغم أنني لست الأيل الذي فقد رفيقته».

(2) عندما يلزم المرء الحداد على قريب له وثيق الصلة به، فإنه يشغل من حيث المبدأ غرفة نُزعت منها ألواح الأرضية، الأمر الذي يجعلها «تسو تشيدونو» («داراً ترابية»).

(3) لتوصيل رسائله إلى أخواته.

حوله كان أقوى من أن يحتمل، ولم تستطع أي منهما تدبر أمر رد عليه.

قال: «مثل هذا الحوار يمكن أن يكون جديراً بتبادله فحسب، إذا تلطفتما بالإقلاع عن معاملتي بهذه الطريقة، ووافقتما على الرغبات التي أعرب عنها سعادة الأمير. وأنا لست معتاداً على الادعاء والتظاهر، ومن المستحيل أن أتحدث على نحو معقول من خلال شخص آخر».

ردت الأخت الكبرى: «ياللحسرة! ربما يبدو أننا نواصل العيش، ومع ذلك فإننا ونحن نضرب في غمار حلم لايقظة منه، فإننا نحجم عن السماح لنفسينا بالنظر إلى نور النهار. وأنا لا أستطيع الاقتراب من الشرفة».

«لا يمكنني إلا الاعتماد على عمق إيمانك الذي لا حد له، في حين أنه بالنسبة للشمس والقمر فإنني أوافق على أنه قد يكون من الخطأ بالنسبة لك أن تمضي قدماً بحماقة تحت الضوء، ولكنني مع ذلك أجد نفسي عاجزاً عن تقرير ما ينبغي القيام به. وكما ترين فإنني أتوق إلى التخفيف للخطة من وقر الأحزان التي تثقل كاهليكما».

أكدت النسوة لهما: «إنه أمر طيب تماماً منه، ياسيدتي، أن يرغب في إدخال العزاء على نفسيكما وسط سوء حظكما البالغ».

على الرغم من كل شيء، استعادت هي نفسها على مهل سكينتها، ولما كان ذهنها صافياً بصورة تامة، فلابد أنها قد تفهمت المشاعر التي جلبته من بعيد عبر السبخة والمرج، إن لم يكن لشيء فلأجل تكريم الماضي. انزلقت قليلاً متقدمة نحوه. وتحدَّث مطولاً عن خسارتهما وعن وعوده لأبيهما، ولم يزعجها شيء فيما يتعلق بحضوره، ذلك أن أسلوبه لم يوح على الإطلاق بتصرفات رجل متعجرفة، ومع ذلك فقد كان مؤلماً أيضاً السماح لشخص آخر كلية بسماعها والتفكير في أنه في هذه الأيام الأخيرة لم يكن لديها خيار إلا الاعتماد عليه، وواصلت تحفظها. ونقلت ردودها الخافتة، التي لايتجاوز كل منها كلمة واحدة، حزنها، فساوره الشعور بالأسى البالغ. كان شكلاً مثيراً للإشفاق تماماً ذلك الذي لمحه عبر ستائرها الرمادية، ولكي يتصورها بوضوح أكبر عاد بذهنه إلى الوراء إلى ما كان قد رآه ذات مرة على نحو غامض عند الفجر. وقال كأنما يحدث نفسه:

«لا أحتاج إلا لرؤية لون القصبات المتغير لأعرف حق المعرفة

لون كميك الحزين المصبوغين عميقاً بلون الحداد الرمادي»[1].

ردت قائلة:

«الكمان المتغيران في لونهما يرحبان كثيراً بالندى الوافر

غير أني لاملاذ لي في الدنيا

على الخيوط المتشابكة..»[2] لكن صوتها تداعى، وتراجعت للداخل، وقد بدا جلياً أن حزنها غلبها.

لم يستطع الإبقاء عليها في مثل هذه اللحظة، ومن هنا فقد تأثَّر وشعر بالأسف في آن. وتقدمت العجوز بثقة بدلاً منها، وسردت على مسامعه سلاسل من القصص المؤلمة عن الأيام الخوالي والماضي القريب، فقد كانت شاهدة على الكثير من الأمور غير المألوفة، ولم يستطع تنحيتها جانباً على أنها عجوز وقبيحة، وبدلاً من ذلك انغمس معها في حوار شيق.

قال: «قضى سمو الامبراطور الفخري المتقاعد نحبه، عندما كنت صغيراً، وقد أدركت آنذاك أن الحياة معاناة، بحيث إنني بحلول الوقت الذي أصبحت فيه رجلاً فإن المرتبة والمنصب اللذين يقدرهما العالم لم يكونا مصدر جاذبية لي. والآن وقد رأيت سعادة الأمير الثامن يرحل بدوره، فيما كان سعيداً بالإقامة ها هنا فحسب في سلام، فإنني أكثر إدراكاً من أي وقت سابق للحقيقة القائلة إن الدنيا هباء، ولكن بينما قد يبدو من قبيل التجاوز من جانبي أن أصف من بقيتا على نحو حزين على قيد الحياة من بعده بأنهما قيدان قادران على احتجازه، فإنني مصمم طالما أنا على قيد الحياة على الوفاء بالوعد الذي قطعته وأن أظل على اتصال وثيق بهما. وعلى الرغم من ذلك، فإن قصتك المدهشة قد جعلتني أرغب على نحو أقل في ترك أثري في الدنيا». انخرط في البكاء، وكانت أكثر غرقاً في الدموع من أن

(1) القصبات هي «أساجي» (تشيجايا)، وهي نبتة تشبه القصبة منتشرة في الحقول والسبخات، وغالباً ما يرد ذكرها في الشعر للطريقة التي تغير بها لونها في الخريف.

(2) كوكينشو 841، من نظم ميبو نو تاداماين، تأبيناً لأبيه: «على خيوط ثوب حدادي المتشابكة أحيك دموعي على حياته التي فقدتها».

ترد عليه. كان يشبه إلى حد كبير سمو الامبراطور الفخري المتقاعد في الأسلوب إلى حد أن طبيعة حضوره، التي كانت قد نسيتها منذ زمن طويل، عادت إليها على نحو بالغ التوهج بالحياة وحرمتها من القدرة على الحديث.

كانت ابنة مربية مراقب حراسة البوابة اليمنى. وكان أبوها، وهو مدقق حسابات الميسرة، لدى وفاته، ابن خال أم سيدتهم. وبعد سنوات من التجوال في الأقاليم البعيدة- كانت قد فقدت الاتصال بدار المستشار الكبير لدى وفاة هذه السيدة، فآواها سعادة الأمير الثامن. وعلى الرغم من أنها لم تكن ذات تميز بارز في شخصها، واعتادت تماماً على مثل هذه الخدمة، فقد تفهمت الأمور تماماً بما يكفي بحيث إن سعادة الأمير بنفسه أدرك جدارتها، وعهد إليها برعاية ابنتيه. وفيما يتعلق بتلك الحادثة التي بعد العهد بها فقد أبقتها طي الكتمان، ولم تتلفظ بكلمة واحدة عنها حتى للسيدتين الشابتين، اللتين عاشت معهما ليلاً ونهاراً على امتداد سنوات، واللتين لم تكن تحجب عنهما شيئاً. غير أن المستشار افترض أنه بما أن العجائز يملن على الدوام إلى الثرثرة كثيراً، فلابد أنها على الأقل قد أبلغت سيدتيها الخجولتين بالحكاية، حتى وإن لم تكن قد حدَّثت الجميع بها، ولا شك في أن ذلك كان مثيراً للحنق والحرج إلى حد بعيد بحيث إنه اعتبره سبباً كافياً للتيقن من أن أياً من الأختين لن تذهب إلى أي مكان آخر.

استعد للشروع في العودة، لأنه لم يبد من الصواب أن يمضي الليلة هناك. وعندما قال سعادة الأمير الثامن إن هذه هي المرة الأخيرة التي يلتقيان فيها، هل كان يعتقد أنه ليس هناك حقاً من سبب يدعو للقلق ومن ثم لم يره مرة أخرى؟ كان ذلك في هذا الخريف، وليس منذ أيام بعيدة، والآن ها هو سعادة الأمير قد رحل إلى حيث لا يعلم. آه، يا لذلك الإشفاق! لقد عاش سعادة الأمير على نحو بالغ البساطة من دون أي من أسباب الراحة التي ينظر إليها معظم الناس على أنها أمور مسلم بها، ولكن داره كانت على الدوام نظيفة، ومرتبة، ومعتنى بها بصورة كاملة. أما الآن فإن أولئك الذين يدخلونها ويخرجون منها هم من الرهبان المقدسين، وأثناء وجودهم في الجانب من الدار المخصص لسعادته والمنفصل عن الجانب المخصص لابنتيه، حيث ظلت الأدوات التي يستخدمها في صلواته على نحو ما كانت دوماً، أبلغوا ابنتيه بأنهم سينقلون كل الأيقونات الموجودة على المذبح إلى

معبدهم. وأدرك المستشار لدى سماعه بهذا النبأ حق الإدراك مشاعر الأختين لدى بقائهما وحيدتيـن حتى مع انصراف الرهبان، وكانت هذه الخاطرة مؤلمة للغاية حقاً. حذَّره رجاله قائلين: «غربت الشمس منذ وقت طويل»، وهكذا استعاد رباطة جأشه، وانطلق في مسيرته. وعندئذ على وجه الدقة ارتفع صياح إوزة برية عالياً.

«أيتها الإوزات المحلقة، حيث تكسو سُدم الخريف المتواصلة السماء،

ذكريني مجدداً أنه ما من شيء في هذه الدنيا يدوم»[1].

كانـت الأختـان هما الموضوع الأول الـذي تتطرق إليه في حديثه، عندمـا التقى معالي وزير الحرب. وقد أدرك معاليه أن الأمور سـتكون أكثر يسـراً الآن، فكتب إليهما في غالب الأوقات. وقد أحجمتا عن إرسـال أدنى رد على مثل هذا المراسـل، إذ كان مشهوراً بتودده للنسـاء، وعلـى الرغم مـن خواطره التي يبـدو أنها مفعمـة بالعذاب عنهمـا، إلا أنهما كانتا تعلمـان بيقيـن كئيب أن أي رسـالة من أفقهما الرحب النائي والمعشـب سـتبدو له مرتبكة وبعيدة عن روح العصر.

قالـت إحداهما للأخرى: «ما أشـد قسـوة الشـهور والأيام فـي مرورها! لـم أتصور أن حياته، الهشة على نحو طبيعي، قد تنقضي الأمس أو اليوم، وبينما ذكرني كل ما سمعته بأنه ما من شيء يدوم، فقد سلمت بأن القليل من الوقت سيفصل بين رحيله وقضاء نحبي. الآن فيمـا اتطلـع إلى الماضي أدرك كيف أن هذا اليقيـن كان في غير موضعه، غير أنني واصلت العيش شـاردة بيـن يوم وآخر بلا خوف ولا انقباض، بينما الآن من شـأن هبة ريح، مشـهد زوار غيـر معروفين، أو صوت أناس يتنحنحون من شـأنه أن يجعل فؤادي يخفق ويفعمني حقاً بفزع لا أملك له دفعاً. آه، هذا أشد من أن يحتمل!». لم يُقدّر لأكمامهما أن تجف أبداً. وفي غضون ذلك اقترب العام من الانتهاء.

فـي موسـم الثلج والبرد، جعلهما زفيـف الريح، التي هبت على نحـو موح بالحداد في كل مكان، تشعران على الرغم من ذلك وكأنهما انسحبتا من الدنيا إلى هذه التلال فحسب. كانت النسوة القائمات على خدمتهما يصحن بجسارة في بعض الأحيان: «آه، العام الجديد

---

(1) تتلاعب القصيدة بكلمة «كاري»، «إوزة» و«زائل».

يدنـو! وهذا العام كان موحشـاً وحزيناً للغاية. ولسـت أطيق انتظار قـدوم الربيع إلا بالكاد ليضفي الجدة على كل شيء!». غير أنهما لم تتوقعا شيئاً من هذا القبيل.

كان ذهاب أبيهما بين الحين والآخر للاعتكاف في الجبل القريب هو وحده الذي يشكِّل أي غدو أو رواح على الإطلاق من الدار، إلى جوار زيارات الخبير العابرة للاستفسـار عن صحـة سـعادة الأمير. ولكن ما الـذي يمكن أن يجلـب أي أحد إلى هنـاك الآن؟ أحزنهما ذلـك أشـد الحزن، وذلك علـى الرغم من أنهما أدركتـا تماماً أن الزوار سـيكونون أقل من المألوف. وكانت مناسـبة نادرة، الآن وقد رحـل أبوهما، عندما يصل ريفي جبلي كان يوماً موضـع رعايتهـم لزيارتهما. وفـي بعض الأحيـان كان أناس من التلال يجلبـون إليهما في بعض الأحيان المكسـرات وحطب المدفأة، حيث كان الموسـم ما هو عليه، وبعث الخبير إليهما بالفحم وما إليه. كتب يقول: «سـيكون شـيئاً مؤسفاً حقاً للغاية أن أتوقف عن خدمة سعادة الأمير بهذه الطريقة بعد القيام بذلك على امتداد السنين». تذكرتا كيف أن أباهما قد بعـث على الـدوام بملابس مبطنة إلى المعبد لمسـاعدة من اعتكفوا هنـاك على الوقاية من الريـح الجبلية، ومن هنـا فإنهما مضتا الآن تقومان بذلك، وبعيـون غارقة في الدموع أقبلتا لمشـاهدة الرهبان ومسـاعديهم وهم يحملونهـا صاعدين المرتقى، وداخليـن مدى النظر وخارجين منه، عبر الجليد العميق.

مضـت إحداهمـا تؤكـد للأخرى: «حتـى إن كان أبي قـد ترهبن، فإنه كان سـيظل هناك الكثير من الناس يقبلون إلى الدار على ذلك النحو طالما بقي على قيد الحياة. ولربما نكون حزينتين ووحيدتين، ولكن من المؤكد أننا كنا سنواصل رؤيته. تساءلت الأخت الكبرى:

«الآن وقد رحل ومامن أحد يمضي في الطريق الجبلي الوعر،

ما الذي تلمحه عيناك في الثلج على الصنوبرات؟».

ردت الأخت الصغرى:

«ما أشد ما سيكون عليه سروي لمعرفة أن الثلج على هذه الصنوبرات الجبلية

لايعدو أن يكون الرجل الذي تركنا فقدانه حزينتين.

إنني أحسد الثلج على الطريقة التي يواصل بها التساقط!».

الآن أقبل المستشار، إذ كان يعرف أنه لن يكون لديه الوقت للقيام بذلك لدى قدوم العام الجديد. وأدركت الأختان تمام الإدراك ما الذي عناه بالنسبة له القدوم لزيارتهما آنذاك، هو الذي لا سبيل إلى مقارنته بغيره كالعهد به دوماً، فيما أكثر السادة النبلاء تواضعاً ما كان ليخاطر بالخروج وسط هذا الجليد، وأمرتا بإعداد مقعد له بعناية تفوق المعتاد. وعثرت النسوة على مجمرة غير مكسوة بلون الرماد الموحي بالحداد، وأزلن التراب عنها، واستعدن بدورهن ذكرى السرور الذي كان سعادة الأمير يتطلع به إلى هذه الزيارات. كانت الأخت الكبرى لا تزال مترددة في استقباله، ولكنها أذعنت للضرورة، ذلك أنها لم ترغب في أن يعتقد أنها جاحدة. ولم تتخل عن تحفظها، ولكنها أعطته ردوداً أكثر استفاضة إلى حد ما عن ذي قبل، موحية في غمار قيامها بذلك بتألق مؤثر في النفس. مضى يحدِّث نفسه قائلاً: لا، ليس بمقدورنا الاستمرار على هذا النحو للأبد، ولكن انظر ما الذي يدور بخلدي فجأة! ما أسهل ما يمكن لهذه النوعية من الأمور أن تغير المسألة برمتها!

قال: «يحس معالي وزير الحرب بالضيق مني على نحو غير مألوف. ولابد أنني قد تصادف ذات مرة أن ذكرت له تلك الكلمات المؤثرة للغاية التي حدثني بها أبوك الراحل، أو ربما خمنتها بصيرته الفاحصة، إذ إنه يشكو على الدوام من أنه بينما يثق بأنني سأحدثك عنه، فإن ردك الفاتر يوحي بأنني أقوم بذلك على نحو بائس للغاية. ومن منظوري فإن هذا غير منصف بالمرة، ولكنني لا أستطيع الاكتفاء برفض القيام بدور مرشده إلى القرية[1]، وأتساءل عن السر في أنك لابد لك من معاملته بهذه الطريقة. ويبدو أن الناس غالباً ما يتحدثون عن أي شخص عابث هو، ولكنه حقاً يتميز بقلبه الكبير. ويتناهى إلى سمعي كذلك أنه يميل إلى الاستهانة بأي امرأة يعتقد أنها قد تسلم نفسها بسهولة أكثر مما ينبغي. والمرأة المطواع، الهادئة، والبعيدة عن الادعاء، والتي تومئ من طرف خفي إلى شيء وآخر وتسلم نفسها إذا شعرت بأن القليل من الضُر حاق بها، هي المرأة التي تلهم الإخلاص الدائم حقاً. وما إن يبدأ الولاء المتبادل بين محبين في التداعي حتى يلوث الطين المياه

(1) كوكينشو 727، من نظم أونو نو كوماتشي: «لست مرشداً للقرية التي يقطنها البحارة بحيث إنه يقول دوماً لشد ما هو مستاء مني». تعتمد القصيدة على تلاعب بكلمة «أورامين»، «يغضب» (من أحدهم) و«يرغب في رؤية الشاطئ».

الصافية لنهر تاتسوتا[1] الخاص بها، ويضيع كل ما شاركته إياه. وهذا يحدث كثيراً. ومعالي وزير الحرب رجل يتسم بعمق الشعور، كما تعرفين، رجل لا يتذبذب أبداً في خفة في غمار إخلاصه لمن تبادله الإخلاص، ونادراً ما يبدو أنها تعارض رغباته. وأنا قريب منه بما فيه الكفاية بحيث أعرفه كما لا يعرفه الآخرون، وإذا ما خطرت لك الفكرة باعتبارها جديرة بالمتابعة، فإنني سأقوم بكل ما في وسعي للوصول بها إلى مرحلة الإثمار. ولسوف أرهق نفسي في الاندفاع جيئة وذهاباً!».

لم تتفهم كيف أن هذا الحديث المطول والجاد يمكن أن يشير إليها، وفكرت في الرد على نحو ما يمكن لأم أن تجيب. غير أنها لم تفه ببنت شفة. وردت قائلة: «ما الذي يمكنني قوله؟ مثل هذه المناشدة الموحية من جانبك لا يمكن إلا أن تتركني حائرة كيف أجيب». ترددت ضحكتها الرقيقة بهيجة وبعيدة عن التكلف في آن.

«لست أقصد أن تأخذي ما أقوله على أنه موجه بالضرورة لك وحدك. ولسوف أكون ممتناً إذا تقبلت النية الحسنة التي أحضرتني إلى هنا عبر الجليد بروح أخت كبرى. فأنا أعتقد أن إنسانة أخرى هي التي أثارت على نحو خاص اهتمام معالي وزير الحرب. ويبدو أنه يميل بهذا القدر إليها، على الرغم من أنه لا يمكن لسوء الحظ لغير الملم بهذه الأمور أن يحكم في يسر عليها. هل لي في أن أسأل أيكما هي التي ردت عليه؟».

قالت محدِّثة نفسها: أي بركة هي التي ألهمتني ألا أرد حتى في لحظة موحية بالخفة! ليس مرد ذلك إلى أنه يحدث فارقاً كبيراً، ولكنني كنت سأحزن أشد الحزن لو أنه كان قد قال أشياء من ذلك القبيل! وإذ لم تعرف ماذا عساها تقول، فقد كتبت:

«ما من فرشاة غير فرشاتك أشارت إلى الدروب الجبلية المدفونة عميقاً في الجليد

بآثار الأقدام، فيما الرسائل تمضي جيئة وذهاباً عبر التلال»[2].

ودفعت بالرسالة إليه.

---

(1) كوكينشو 389، من نظم تاكاموكا نو كوساهارو: «يقيناً إن الضفة أسفل الجبل المقدس تشرع في التداعي، لأن نهر تاتسوتا يتدفق كدراً».

(2) تتلاعب القصيدة بكلمة «فوميكايو»، «يخطو للوراء والأمام» و«رسائل تمضي جيئة وذهاباً».

قال: «إنكارك قد لايثير إلا المزيد من الشكوك»ورد:

«دعيني أكن أول من يمضي عبر هذه التلال، على الرغم من أني في مهمة،

حيث يتصدع الجليد تحت حوافر جوادي على امتداد الغدران المتجمدة.

وعندئذ فإن مكافأتي لن تكون سطحية عن الانعكاس على الماء»[1].

ضايقها هذا الانعطاف في الحوار، فتركت الأمر بلا رد. وعلى الرغم من أنها لم تبد عصية على الوصول إليها أو متحفظة على نحو صارخ، إلا أنها لم تصطنع أياً من المظاهر أو الأجواء التي تفضلها النسوة الشابات العصريات، وما أدركه من حضورها ترك لديه انطباعاً بموقف هادئ على نحو جدير بالإعجاب. فقد قابلت كل إيماءة من إيماءاته بعدم فهم أجادت الظهور به للغاية بحيث إنه تحول من حرج الحديث بجدية عن الماضي.

مضى رجاله يتنحنحون ويحذرون: «سيكون الجليد أسوأ فحسب بعد المغيب، يا مولاي!». ومن هنا فقد بادر للاستعداد للعودة. وقال: «إن ما أراه من دارك حولي يدعو للأسى، وكم سأكون سعيداً إذا وافقت على تفضيل مكان آخر أعرفه، هادئ كأي قرية جبلية ومهجور مثلها!»[2].

«يا لها من فكرة جميلة!». أشارت بعض النسوة قائلات، وهن يبتسمن، فيما كن يختلسن السمع، ولكن الفكرة أفزعت سيدتهن الصغرى الجالسة غير بعيد، وصممت على أن مثل هذا الأمر لن يحدث.

بناءً على طلب الأختين، قُدمت الفاكهة والمكسرات للزائر، وقُدم لرجاله أيضاً الشراب مصحوباً بمرطبات رُتبت على نحو أنيق. كان هناك الحارس ذو اللحية المشعثة على نحو غير سار، والذي جعله عطر نبيل معين يبدو فظيعاً. وعلى الرغم من أن المستشار نظر إليه على أنه شخصية مشكوك فيها إلى حد بعيد، إلا أنه استدعاه. وسأله: «كيف حالك؟ لابد أنك تفتقد سعادة الأمير بعد أن رحل».

---

(1) مانيوشو 3289 (كذلك في المقدمة اليابانية لكوكينشو) قالتها سيدة شابة من سيدات البلاط، في الأزمنة الغابرة لنبيل زائر تبددت جهامته في التو: «يا جبل أساكا، البركة الصخرية، التي تنعكس عليها، سطحية، لكن فؤادي هذا المتقد رغبة ليس كذلك».

(2) الدار القائمة في سانجو حيث يقيم مع أمه.

تغضـن محيـا الرجل، وسـفح دموعـاً واهنة، وقال: «يامـو لاي، لقد أمضيـت، أنا الذي ليـس لـه مكان آخر فـي الدنيا يمضي إليـه، مايزيد علـى ثلاثين عاماً في ظل حماية سـعادة الأميـر، والآن وقـد تركنـي أجـوب السـبخة والجبـل لا يمكننـي إلا التسـاؤل أي شـجرة ستحميني مجدداً»[1]. وترك انطباعاً أكثر إيلاماً.

أمر المستشـار بفتح الغرف التي كان سعادة الأمير يشـغلها يوماً أمامـه. كان الغبار يسـتقر كثيفاً فوق كل شـيء، ووحـده المذبـح تم تجميلـه كذي قبـل، وتم تنظيف المنصـة الخفيضة التي لابد أن سـعادة الأمير كان يـؤدي صلواته عليهـا. وإذ تذكَّر مـا كان قد وعد بالقيام به إذا سار وفق رغبته[2]، فقد غمغم:

«السـنديانة التي سعيت إليها لتمنحني ملاذاً هانئاً تحت ظل وارف

لـم يعـد لهـا وجـود، وحيـث عاشـت هيمـن الخـواء والصمت»[3].



لحية مسترسلة

كان يسـتند إلـى عمود، والنسـوة الشـابات اللواتي رحن يختلسـن النظـر إليه تصاعدن بمديحه إلى عليين.

كانـت الشـمس بحلول ذلـك الوقت قد غربت. ولـم يعرف أن المشـرفين على ضياعه القريبـة قـد تـم اسـتدعاؤهم لجلب العلـف للجياد، ومن ثـم فقد دهش علـى نحو لايدفع السـرور إلى النفس، واستشـعر الحرج عندما اندفع جمع من الريفيين مقبلين على المكان،

---

(1) كوكينشو 292، من نظم هينجو: «الشجرة التي يلوذ بها المرء ملهوفاً بحثاً عن الملاذ لا تمنحه شيئاً، فقد تبدَّل لون ورقها مع الخريف».

(2) يُفترض أنه كان قد وعد هاتشي نو ميا بأنه إذا لبَّى رغبته بدخول رحاب الدين، فإنه سيجيء إلى أوجي ويقيم معه كتابع له.

(3) أوتسوهو مونوجاتري 212، التي تتضمن الكلمات شي جا موتو («تحت السنديانة») وتوكو («خالدة» في قصيدة أوتسوهو، ولكن «أرضية» [غرفة] في قصيدة كاورو) تتحدث أيضاً عن «جبل يؤدي فيه أحد المخلصين طقوسه» (أوبا سوكو جا أوكانو ياما).

ولكنـه مـوَّه وجوده هناك على أنه قصد به زيارة العجـوز. وقبل أن يغادر المكان أمرهم بأن يواصلوا جعل أنفسهم مفيدين لمن فيه بصورة مماثلة.

اعتدل الطقس في العام الجديد، وراحت الأختان اللتان اسـتبدت بهما الدهشـة ترقبان ذوبـان الجليـد من حافـة النهر «هذه قُطفـت في أراض خاليـة من الجليد». هكـذا جاء في رسـالة مـن المعبد مصحوبـة بفروع من السـرخس وكذلـك بقدونس من أماكـن خفيضة. قدمتهـا النسـوة على منصات من أجل حفل الصوم كهـذا كل منهن الأخرى فيما هن يقمن بذلك: «كم هو مبهج في مكان كهذا متابعة مرور الشهور والأيام في النباتات والأشجار!». ولم تستطع الأختان تصور ما الذي كن يقصدنه بذلك.

قالت الأخت الكبرى:

« لو أنني رأيت أغصان السرخس التي أنزلها من المنحدرات العليا،

فإنني قد أعرف عندئذ أن الربيع قد أقبل من جديد حقاً»

وقالت الصغرى:

«من أجل مسرة من سأجمع قرب النهر من ضفاف غائرة في الجليد

أعواد بقدونس الربيع الأولى الآن وقد رحل أبي؟».

وعلى ذلك النحو أمضيتا أيامهما ولياليهما، وهما تتبادلان قصائد خفيفة كهذه.

توالت رسـائل متتابعة من كل من المستشـار ومعالي وزير الحرب. وكان القليل للغاية مما جاء فيها جديراً بالاحتفاظ به إلى حد أنه بدا كالمعتاد أنه لم يتم نقله.

في سمت ازدهار براعم الكرز، تذكَّر معالي وزير الحرب تبادل نظم القصائد ذاك عنها، وأعرب كل النبلاء الشـبان الذين كانوا معه آنذاك عن أسـفهم قائلين: «ياله من أمر مؤسـف أننا لن نزور من جديد أبداً مسـكن مثل هذا الأمير النبيل!» واستشعر معاليه رغبة جارفة في العودة إلى هناك.

«براعم الكرز تلك التي اختلست النظر إليها لدى مروري بدارك ستصبح هذا الربيع

ملكاً لي لأقطفها وأتزين بها، وما من سديم سيحجبها عني».

هكذا كتب يقول بمزيد من التحرر.

ألفتا الشعور الذي أعرب عنه غير مقبول، ولكن الأيام كانت تمر بالنسبة إليهما آنذاك في بط شديد للغاية، وكانت الرسالة جميلة جداً بحيث إنهما لم ترغبا في تجاهلها كلية. فردت الأخت الصغرى تقول:

«إلى أين ستمضي لتقطف مثل هذه الزهور وتمتلكها فيما أنه في الرماد

يلف ذلك السديم كل البراعم على الأشجار حول داري؟».

استبدَّ الضيق الشديد بمعالي وزير الحرب، حيث لاحظ أنها لا تزال ترفض تشجيعه على أي نحو.

وجد المستشار، وهو الشخص الوحيد الذي كان بمقدوره أن يبثه شكواه، الموقف طريفاً، وذلك على الرغم من أنه حرص على أن يرد عليه بكل جدية راع حريص، وراح يغمغم عندما كانت آمال معاليه الطائشة تغدو واضحة أكثر مما ينبغي: «رويدك، رويدك، هذا لن يجدي نفعاً!». وعندئذ فإن معاليه، ربما لشعوره بأنه يجري تهذيبه، كان يبادر بالاحتجاج: «كل ما في الأمر أنني لم أجد من تناسبني حقاً!».

بالنسبة لمعالي وزير الميسرة، كانت مسألة مثيرة لقدر كبير من خيبة الأمل أن معالي وزير الحرب لم يبد اهتماماً بابنته السادسة[1]، ولكن معاليه لم يكن في حالة مزاجية تسمح له بالاستسلام. وكما أشار في أحد مجالسه الخاصة: «ليس هناك شيء جذاب في هذا الاقتراح، وفضلاً عن ذلك فإن أساليب معاليه المفعمة بالتباهي مصدر ضيق بالغ، ولن أستطيع الإفلات بأدنى هفوة».

في ذلك العام، احترق مقر سانجو، الذي كانت تقيم فيه سمو الأميرة المترهبنة[2]، فانتقلت إلى روكوجو. وفي غمار الاضطراب لم يزر المستشار أوجي، على امتداد وقت طويل. وبأناته الرجولية على نحو استثنائي ظل في هدوء مقتنعاً بأن الأخت الكبرى[3] هي

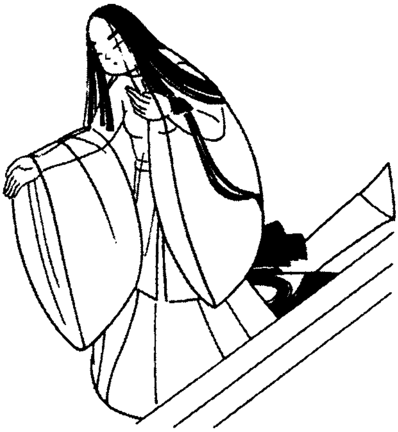
---

(1) ابنة يوجيري، روكو نو كيمي، وأمها هي ابنة كوريميتسو.

(2) أونا سان نو ميا.

(3) كما هي الحال غالباً في مواضع أخرى، فإن النص لا يحدِّد أياً من الأخت الكبرى أو الصغرى، ولا يتضمن صيغة المفرد أو الجمع.

من نصيبه، ولكنه لم يعتزم القيام بشيء فظ أو مسيء، طالما أن قناتها لم تلن بالنسبة له، وأراد التيقن من أنها تعرف أنه لم ينس ما طلبه منه أبوها.


فتاة ترتدي قميصاً وسروالاً

كان الحر غير المألوف في ذلك الصيف مرهقاً للغاية، وعندما خطر له أن الهواء إلى جوار النهر قد يكون بارداً. انطلق إلى هناك في التو. وكانت أشعة الشمس الباهرة تتألق لدى وصوله، حيث كان قد بدأ مسيرته في برودة الصباح. وارتاح في الجناح الغربي، الذي كان جناح سعادة الأمير، واستدعى الحارس. وانسلت الأختان، اللتان كانتا أمام المذبح في الغرفة، منصرفتين إلى غرفيتهما، لأنهما لم ترغبا في أن تكونا قريبتين منه، ولكن على الرغم من محاولتهما تجنب لفت الانتباه إليهما، فإنه رصد بالطبع حركتهما غير بعيد عنه، ولم يستطع الجلوس ساكناً في موضعه. وعثر على ثقب صغير بجانب القفل عند حافة الفاصل المنزلق المفضي إلى الجناح الذي كان فيه، فحرَّك الستار المغسول هناك جانباً، واختلس النظر عبره. وكانت هناك ستارة قائمة علي الجانب الآخر، الأمر الذي كان مخيباً للآمال للغاية، وكان يوشك على الانسحاب مجدداً عندما رفعت هبة ريح الستائر الحاجبة. قالت امرأة مندهشة: «يمكن لأي أحد أن يلمحنا. اسدلن تلك الستارة ها هنا!». أبهجه الخطأ الذي ارتكبته، فاختلس النظر مجدداً. كانت ستائر قائمة طويلة وقصيرة قد وضعت داخل الستائر الحاجبة، وكانت الأختان تمران في ذلك الوقت تماماً إلى الغرفة الواقعة في الخلف عبر باب منزلق مفتوح قبالة بابه.

خطت الأولى(1) لتطل عبر ستارة قائمة، وترقب رجاله وهم يتجولون في أرجاء المكان في الهواء البارد. أوحى التأثير المتألق وغير المألوف لسروالها الذي اتخذ لون أوراق الشجر الذهبية مع قميص رمادي قاتم بما كانت عليه هيئتها. كانت خيطان كتفيها(2)

(1) الأخت الأصغر، ناكا نو كيمي.
(2) أوبي، وبشكل أصح كاكيوبي، خيطان حمراء حريرية تمر فوق كل كتف وتُربط معاً في الخلف، وتستخدمها المرأة في رحلة الحج أو عندما تؤدي طقوساً دينية.

معقودة بصورة عفوية، وحملت مسبحة شبه محتجبة عن العيان، ومنحها قوامها الرشيق هيئة جميلة، وأعجب بالانسدال المتألق والممشط بصورة موحية بالكمال لشعرها الغزير، الذي بدا له أنه يوشك على الوصول إلى طرف ثوبها. وأعاد ملمحها الجانبي الساحر الموحي بالحيوية، والذي يضوع بالبراءة، إلى ذاكرته الأميرة الأولى[1]، التي كان قد لمحها بصورة عابرة، والتي تصور مطلقاً تنهيدة أنها تشبهها إلى حد كبير.

الآن تبدت الأخت الثانية لناظريه. قالت: «ليس هناك شيء أمام ذلك الباب المنزلق» ونظرت نحو الباب نظرة مفعمة بالحذر، وبدا أسلوبها له واعداً بتميز حقيقي. وفي هيئة وشكل رائعين أوحى رأسها وشعرها برشاقة أكثر نبلاً من رأس أختها وشعرها.

ردت الشابة اللاهية قائلة: «هناك ستارة على الجانب الآخر، وما كان بمقدوره أن يختلس النظر عبرها بمثل هذه السرعة».

قالت: «على الرغم من ذلك فإنه سيكون أمراً فظيعاً لو أنه فعل هذا». وانزلقت مبتعدة عن ناظريه، وقد بدا عليها القلق، وبدا له تألقها المفعم بالكبرياء متوهجاً بالحيوية. غلب على ألوان الملابس التي ترتديها اللون الرمادي المرتبط بالحداد، والذي يشبه إلى حد كبير لون ملابس أختها، ولكنها كانت تحظى بالمزيد من الجمال الآسر. فانصرف إليها فؤاده مفعماً بالتعاطف. وبدا أنها قد فقدت من الشعر ما يكفي على وجه الدقة لكي يمنح ما بقي لها تألقاً فائقاً، وبينما كانت الأطراف رفيعة قليلاً، فقد انسدل في كمال كخيط ممسد، مظهراً تلك التألقات الأثيرة الشبيهة بتألقات طائر الرفراف الزرقاء التي أحبها على وجه الخصوص. وكانت اليد التي أمسكت بنص السوترا الخاص بها والمكتوب على ورق أرجواني أقل بضاضة من يد الأخت الأخرى، حيث بدا أنها قد أصبحت نحيلة للغاية. والآن جلست الأخت التي كانت واقفة من قبل أمام فتحة الباب المنزلق، ولسبب ما نظرت حولها إليه مباشرة، وهي تبتسم. كانت جذابة للغاية.

(1) أخت نيئو الكبرى، ابنة الامبراطور الحالي وأكاشي نوتشوجو.

47

أجيماكي

عقد ثلاثية الأوراق

أجيماكي(«عقد ثلاثية الأوراق» تستخدم لتزيين الهدايا) هو عنوان هذا الفصل بسبب ورود هذه الكلمة في قصيدة من نظم كاورو:

«ليتك تحفظين إلى الأبد في هذه العقد ثلاثية الأوراق، ارتباطنا الخالد لتتواصل خيوطنا دوماً في ذلك المكان الواحد الذي يضمنا».

القصيدة بدورها مستمدة من أغنية سايبارا معروفة باسم «العقد ثلاثية الأوراق».

الصلة بالفصول السابقة

تتواصل في «العقد ثلاثية الأوراق» أحداث «تحت السنديانة» دون انقطاع، وتتداخل مع أجزاء من «اللبلاب» و«براعم البرقوق الأحمر».

الشخوص

المستشار، 24 عاماً (كاورو).

الخبير (أوجي نو أجاري).

سعادة ابنة هاتشي نوميا الكبرى، 26 عاماً (أويجيمي).

الأميرة، ابنة هاتشي نو ميا الصغرى، 24 عاماً (ناكا نو كيمي).

بن، وصيفة ابنتي هاتشي نو ميا، حوالي 60 عاماً.

معالي وزير الحرب، 25 عاماً (نيئو).

جلالة الامبراطور، 43 عاماً (أكاشي نو تشو جو).

معالي وزير الميمنة، 50 عاماً (يوجيري).

النقيب الاستشاري، الملازم الحاجب سابقاً، نجل يوجيري.

أخوه الأكبر، المشرف على حراسة البوابة.

مفوض جلالة الامبراطورة.

جلالة الامبراطور، 45 عاماً.

في ذلك الخريف، أحزنهما زفيف الريح على امتداد النهر، وهو صوت كان مألوفاً للغاية على امتداد سنوات، وأثار ضيقهما، فيما مضتا تستعدان للذكرى الأولى لوفاة والدهما. تولى المستشار والخبير القيام بمعظم الترتيبات. وقامت الأختان الناحلتان اللتان هيمن الحزن عليهما بمتابعة العمل الدقيق المتمثل في القيام بتفصيل الأردية الخاصة بالرهبان وإنجاز زخارف النصوص المقدسة تحت إشراف وصيفاتهما، وكان بمقدور المرء في يسر بالغ أن يتخيل محنة قيامها بذلك من دون هذه المساعدة. ووصل المستشار بنفسه، وقدم تحياته القلبية في مناسبة شكلّت بالنسبة لهما نهاية فترة الحداد. وأقبل الخبير كذلك.

كانت الأختان ترتبان، في ذلك الحين، الخيوط المستخدمة لتقديم البخور[1] وتقول إحداهما للأخرى: «إنني أتتبع حتى في هذا الإهاب خيط الأيام»[2]. وقد أدرك المستشار ما تقصدانه، لأنه عبر حافة الستارة الحاجبة اختلس النظر إلى إطار كامل تتلاعب به الريح، كان مرئياً بالكاد عبر فتحة في ستارة قائمة. قال وقد خطر بباله تصور النبيلة آيسي وقد ساورها الشعور ذاته: «ليتني أنظم في هذا الخيط حبات دموعي!»[3]. ردت الأخت الكبرى من داخل الستائر الحاجبة، والتي كانت أكثر خجلاً من أن تظهر عبر ردها معرفتها بالقصيدة قائلة: «لا، هذا ليس شيئاً يُذكر»،[4] ذلك أن تسورايوكي كان قد استحضر بؤسه على فقدان من أحب من خلال الإشارة إلى شجاعة محدودة كالخيط، وأعادت إليها الذاكرة كيف أن قصيدة قديمة يمكن أن تتحدث ببلاغة عن المرء.

«ليتك تحفظين في هذه العقد ثلاثية الأوراق ارتباطنا الخالد

لتتواصل خيوطنا في ذلك المكان الواحد الذي يضمنا».[5]

---

(1) خيوط تزينية، خماسية الألوان، كانت تُجمّل كلاً من لفافة من البخور والحامل الذي يوضع عليه البخور.

(2) كوكينشو 806: «على الرغم من أن حياتي عبء عليَّ فإنني لازلت أمضي وأتبع حتى في هذا الإهاب خيط الأيام». والقصيدة تتلاعب بكلمة هينورو «يمضي» (الوقت) و«ينظم» (الخيط).

(3) آيسي شو 483: «آه، يا لذلك، تضفير الخيط معاً، لعلي على هذه الأصوات الباكية أضفر خرز دموعي المتألقة». وقد نُظمت هذه القصيدة بينما كانت الشاعرة آيسي (المتوفاة نحو عام 939) تعد خيطاً لكي يستخدم في طقوس جنازة امبراطورة.

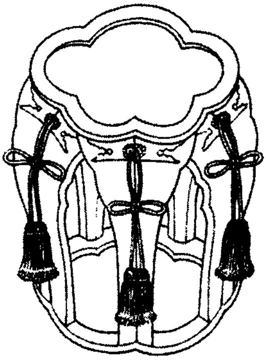
(4) تنويع على كوكينشو 415 (وأيضاً تسورايوكي شو 764): «لا، إنها ليست شيئاً يفتله المرء فيعد منه خيطاً، غير أن شجاعتي جد ناحلة فيما الطريق يمضي بي بعيداً». وقد امتدت حياة كي نو تسورايوكي ما بين عامي 868 و945.

(5) «العقد ثلاثية الأوراق» هي «أجيماكي»، أي عقد ثلاثية تستخدم لزخرفة شيء من أجل التقديم الرسمي، ولا شك في أن هذه العقد مرتبطة بعبوات البخور التي كانت الأختان تعدانها. غير أن «أجيماكي» هي أيضاً تسريحة للشعر

قدَّم القصيدة لها، وعلى الرغم من الاستياء حيال ندائه المتجدد فقد ردت:

«أي خيط حياة أكثر وهناً من أن يحتفظ طويلاً بحبات الدمع المتألقة

يمكن أن يتحمل ثقل ارتباط خالد؟».



عقد ثلاثية الأوراق

رد عليها زائرها الحانق، حزين الفؤاد: «علام إذاً إذا لم يلتقيا؟»[1]. الآن وقد أبعدت نفسها على هذا النحو الصارم كموضوع لنقاشهما، فقد تخلى عن الاقتراب منها مباشرة، وتحدَّث ملحاً بدلاً من ذلك عن معالي وزير الحرب، من خلال رصدي له بطرق عديدة، فليس بمقدوري أن أشك في أنه بما هو عليه، وربما كان أكثر بقليل ميلاً إلى اهتمامات معينة مما تودين، فإنه قد عقد العزم على النجاح بالمراسلة التي أدرك أنه قد بدأها. لماذا ينبغي أن تكوني بعيدة للغاية عندما يبدو أنه ليس هناك حقاً ما يثير انزعاجك؟ لست أرى كيف يمكنك ألا تفهمي حال الدنيا، وأخشى أن إصرارك العنيد على إبعاد نفسك عنه مخيب للآمال للغاية بالنسبة لي، أنا الذي يخاطبك بنية خالصة. آمل أن تتيحي لي أن أعرف بجلاء ما تعتزمينه بشكل أو بآخر».[2]

«الرغبة في ألا أخيِّب ظنك هي على وجه الدقة ما أفضت بي إلى استقبالك. وعدم فهمك لذلك يوحي أيضاً بسطحية معينة من جانبك. وصحيح تماماً أنه ما من أحد لديه مشاعر يقيم في مكان كهذا يمكن أن يعجز عن معرفة كل نوع من أنواع الكآبة، ولكننا لم نكن حاذقين قط، وفضلاً عن ذلك، وفيما يتعلق بالقضية التي ذكرتها، فإن أبي لم يقل قط كلمة واحدة من ذلك القبيل عندما ناقش ما يتعين علينا القيام به في هذه الحالة المستقبلية

(يُفرق الشعر عند المنتصف ويُسرح في صورة كتلتين على كل من جانبي الرأس) وكانت تسريحة تقليدية للفتية والبنات في الأزمنة الغابرة، وهذه الكلمة ترد بهذا المعنى في أغنية سايبارا («عقد ثلاثية الأوراق») التي لا شك في أن كاورو يلمح إليها. والأغنية موحية تماماً: «آه، اجيماكي، ترالا ترالا، طول ذراع فحسب، ترالا ترالا، الهوة بيننا ونحن راقدان، وانظري كيف تدحرجنا سوياً، ترالا ترالا، كيف بلغنا الذروة معاً!».

(1) كوكينشو 483: «هكذا نضفر معاً خيطك وخيطي، وعلام إذاً إذا لم يلتقيا أجدل حياتي؟».

(2) اعتماداً على النحو، فإن هذا الحديث يبدو موجهاً إلى أويجيمي وحدها، ولكن مراسلة نيئو كانت مع ناكا نو كيمي، ومن هنا فلابد أن كاورو يريد من أويجيمي أن توافق على قبوله وأن تجعل ناكا نو كيمي تقبل نيئو.

أو تلـك. ومـن هنا فإنني أدرك أنه كان يرغـب في أن نظل على ما نحن عليه وأن نتخلى عن أي فكرة متعلقة بالزواج، وياللحسـرة فإنني لذلك السـبب ليس لديَّ رد أقدمه لك، بشـكل أو بآخـر. ومع ذلك، فإنني أشـعر بالأسـف علـى أن أختي، التي تصغرنـي بقليل، ينبغي أن تحجـب بعيداً وسـط هذه التـلال، وأفضل كثيـراً ألا أجعلها تعاني هاهنا إلـى الأبد. وعلى الصعيـد الشـخصي فإن ذلـك يقلقني كثيراً، ولكنني ليسـت لديَّ فكرة عمـا يتعين القيام به بالنسبة إليها». تنهدت، وأثر فيه أسلوبها الموحي بالاضطراب أشد التأثير.

أحس بأنه من الطبيعي تماماً ألا تكون بسـبيلها إلى حسـم الأمـر، على الرغم من كونها ناضجة تماماً، وكما هي الحال غالباً في السـابق اسـتدعى العجوز. واستهل حديثه بالقول: «على امتداد سنوات، كان كل ما أحضرني إلى هنا هو الرغبة في الاستعداد للحياة المقبلة. ولكن قرابة النهاية عندما بدا سعادة الأمير مثَّبط الهمة للغاية، أهاب بي القيام بما أرغب فيه مـن تصرفات فيمـا يتعلق بابنتيه، وقد وعـدت بالقيام بذلك، وعلى الرغـم من ذلك فإنهما تعارضان ما قرَّره سـعادته بالنسـبة لهما، وذلك بالبقاء صعبتي المراس، شموسـتين للغاية إلى درجة أنني أجد نفسي أتساءل عما إذا كان قد استقر على ترتيب آخر بالنسبة لهما. وكان حريـاً بـك، بالطبع، أن تعرفـي بهذا الأمر إذا كان قـد قام به. ولما كنت متدنيـاً على نحو ما درجت عليه، فإنني لم أهتم كثيراً من قبل قط بأمور هذه الدنيا، وأحسب أن القدر هو الذي جعلني أتقرّب منهما كثيراً. وأخذاً في الاعتبار بأن آخرين يبدو الآن أنهم يتحدثون عن هذا الأمر، فإنني سأحقق عما قريب رغبات سعادة الأمير وأشارك الابنة الكبرى حميمية مفعمة بالاحترام. وأنا أسـلم بعدم التناسـب[1]، ولكن الأمر لايبدو كما لو أن أحداً لم يسـمع به». وواصـل الحديث جاداً: «إنني أتحدث أيضاً نيابة عن معالي وزير الحرب، ورفض الكبرى قبـول تأكيداتي لها يوحي لي بأنها في قرارة نفسـها ربما كانـت لديها خطط أخرى لأختها. فهل لديها مثل هذه الخطط؟ أرجو أن تبلغيني بجلية الأمر!».

ربمـا ردت عليـه العديـد من الوصيفـات، اللواتـي يرثى لحالهـن، بمزيج مـن الإطراء والنصـح غير المرتبط بالموضوع، ولكن ذلك لاينطبق عليها، لأنها على الرغم من أنها في

(1) لأن الأختين أميرتان (هما حفيدتا امبراطور من ناحية أبيهما) بينما كاورو (سواء باعتباره ابن جينجي أو بحسبانه ابن كاشيواجي) هو ابن أحد العامة.

قرارة نفسها لم ترغب في شيء آخر فقد اكتفت بالقول: «لقد كان أسلوبهما على الدوام، يامولاي، أن تكونا مختلفتين في هذا الأمور، وربما كان هذا هو السبب في أنهما لم تظهرا أي إشارة إلى نوعية الميول التي قد يتوقعها المرء. ونحن اللواتي قمنا على خدمتهما افتقدنا على امتداد سنوات أي شجرة عملاقة يمكن أن تحمينا. وكل من يهتمون برعاية أنفسهم مضوا إلى أماكن أخرى، حيثما استطاعوا، وحتى أولئك الذين تربطهم صلة قديمة بسعادة الأمير تخلوا أساساً عن الدار كذلك، إلى أن أصبح من بقوا يشكون بمزيد من المرارة أكثر من أي وقت آخر من أنهم لايطيقون البقاء لحظة واحدة أخرى. وهم يقولون:(كان كل شيء على ما يرام عندما كان سعادة الأمير على قيد الحياة، وقد كان عليه آنذاك الحفاظ على مكانتكما، وربما أصر على معيار عتيق خوفاً من التقليل من شأنكما. أما الآن فليس لديكما غيره، وأي إنسان يلومكما على إعطاء الدنيا حقها بأي طريقة تستطيعانها لن يفهم شيئاً ولن يكون جديراً بالاحترام. من التي سترغب في أن تمضي حياتها بهذه الطريقة؟ فحتى نساك الجبل الذين يتعيشون من إبر الصنوبر يحرصون أشد الحرص على رعاية أنفسهم فيقسمون أتباع تعاليم بوذا إلى طرق مختلفة). وهذه هي نوعية الحديث الفظ الذي يواصلون مخاطبة سيدتي به، وهما اللتان في ريعان شبابهما لديهما كل الحق في الشعور بالانزعاج. والكبرى لاتسلم بشيء، ولكنها تتوق فيما يبدو لمنح أختها مكاناً مناسباً في الدنيا. وقد جعلك لطفك المتمثل في القدوم إلى هنا، بعيداً في أعماق التلال، شخصاً مألوفاً بالنسبة لها على امتداد السنين، وهي تحس بأنها ليست بعيدة للغاية عنك بحيث إنه بما أنك تتحدث الآن بجدية معها فإنني أعتقد أنها سترحب بأي تلميح إلى الاهتمام بسيدتي الصغرى. أما فيما يتعلق بكل الرسائل والخطابات من معالي وزير الحرب فإنها لا يمكنها أن تصدق أنه يعني حقاً ما يقوله».

«لقد اهتممت بوصية سعادة الأمير الأخيرة والمؤثرة، وأنا أعتزم البقاء على صلة بهما طالما ترددت أنفاسي، ومن هنا فإنني سأمنح نفسي مسروراً لأي منهما، بما أنهما على النحو نفسه من الجدارة والاستحقاق، ويسعدني أن سيدتك الكبرى تحسن الظن بي. وعلى الرغم من ذلك، فإن فؤادي سيواصل اجتذابي في اتجاه معين، على الرغم من رغبتي

في التخلي عن الدنيا، وأنا أعرف أنني ليس بمقدوري القيام بشيء لتغيير ذلك. والجاذبية التي أستشعرها ليست بالأمر العادي، وكما تعرفين فإنه سيسعدني قبل كل شيء آخر ألا تواصل إبقاء الستائر الحاجبة وما إليها بيننا، على نحو ما تفعل الآن، حتى إن الكثير يظل بلا إفصاح عنه، ولكن عليها أن تستقبلني وجهاً لوجه، ليتاح لي أن أبلغها بما يطيب لي عن هذه الدنيا الغادرة، ويتاح لها بدورها أن تفتح لي القلب الذي توصد أبوابه الآن دوني. وأنا أفتقد كثيراً الإخوة والأخوات الذين أود أن يكونوا قريبين مني على ذلك النحو.

وبما أنني لا يمكنني إلا أن أحتفظ لنفسي فحسب بالأمور التي تجد في الحياة لتؤثر فيَّ أو تسليني أو تؤلمني، فإنني أشعر بالوحدة على نحو كافٍ لدفعي إلى أن أعلق الآمال على أنها ستسمح لي بأن أنال ثقتها. وليس بمقدوري أن أفضي بكل شيء يعن لي بهذه الطريقة إلى جلالة الامبراطورة[1]. وسمو الأميرة المترهبنة المقيمة في سانجو لاتزال في مرحلة مبكرة من الشباب بحيث لا يمكنني إلا بالكاد التفكير فيها باعتبارها أمي. وعلى الرغم من ذلك فإنها تظل ما هي عليه[2]. ولا يمكنني الحديث بحرية معها أيضاً. أما فيما يتعلق بالنسوة الأخريات فإنني شديد النأي عنهن والتحفظ والحياء معهن جميعاً، ولذلك أشعر بالوحدة الشديدة في حقيقة الأمر. وأنا مرتبك على نحو لا أمل معه إلى حد أن معظم الغزل العابر يثير نفوري وانزعاجي. وأنا رجل يغمره الصمت مع أي إنسانة أحبها حقاً، ويؤسفني القول إنه بقدر ما يتعلق الأمر بي فإن عدم ملاحظة سيدتك الكبرى للكيفية التي تزعجني وتحبطني بها يُعد من سوء الطالع إلى حد بعيد. وفيما يتعلق بمعالي وزير الحرب فإنني اتساءل عما إذا كانت ستترك الأمر لي مع إدراك أنه لا يقصد إلحاق الضرر بأحد».

تاقت العجوز إلى إرضائهما كليهما، آخذة في الاعتبار إلى أي حد يثير الإعجاب كيف سيملآن الفراغ الراهن في حياة الدار، ولكنهما كانا بالغي الجرأة، ولم تستطع مخاطبة سيدتيها على النحو الملائم فيما يتعلق بهذا الأمر.

تَرَك المستشار النهار يمضي على مهل، فقد كان يرغب في قضاء الليلة في الدار والانهماك في حديث هادئ مع الأخت الكبرى. وقد أزعجها هذا، ذلك أن السخط

(1) التي يفترض أنها أخت كاورو غير الشقيقة.

(2) ليست أمه فقط، وإنما هي راهبة.

الغامض الذي رصدته في أسلوبه مضى يغدو جلياً، وكرهت بصورة متزايدة فكرة الحديث معه على انفراد، وعلى الرغم من ذلك فإنه في معظم الجوانب كان لطيفاً على نحو مدهش حتى وجدت أنها ليس بمقدورها إبعاده واستقبلته في نهاية المطاف.

أمرت بفتح الباب المنزلق بين غرفة المذبح والجناح ورفع مصابيح المذبح عالياً، وضاعفت الستائر الحاجبة التي تجلس خلفها بإسدال ستارة سميكة. وأُنير مصباح في الخارج كذلك، في الجناح، وهو الأمر الذي اعترض عليه بأنه معتل الصحة وليس في حالة تسمح برؤيته. وقال: «إنني باد تماماً للعيان!». وتمدَّد على أحد جانبيه. وأمرت في لطف باحضار المرطبات له، وبعثت بمزات طيبة للغاية كذلك إلى الرجال الذين قدموا معه لتواكب شرابهم. وكان الرجال معاً في بهو من نوع ما، بينما بقيت وصيفاتها على مبعدة، ومن هنا فقد تجاذبا أطراف الحديث بلا إزعاج. ولم يرصد أي مؤشر إلى لين قناتها حياله، ولكنه وجدها بالغة العذوبة والفتنة، فأحبها أشدّ الحب حقاً، وسرعان ما بدأ في التلهف عليها في نهاية المطاف.

واصل التفكير في كم أنه أمر سخيف من جانبه، مع عدم وجود فاصل بينهما يتجاوز ستارة سميكة وستارة حاجبة، أن يظل بطيئاً في التحرك تلبية لرغبته الجارفة، ولكنه لم يفصح عما يدور في ذهنه، وواصل بدلاً من ذلك الحديث عن شيء بعد آخر، مؤثر أو مسل لفت انتباهه في الدنيا. وداخل الغرفة، استدعت وصيفاتها ليكن أكثر قرباً، ولكنهن لم يرغبن في التطفل، ولم يأتين بحركة حقيقية لإطاعة أمرها، وإنما على العكس ابتعدن بصورة أكبر، ورقدن على الأرض. ولم تقم واحدة منهن بتعلية شرائط مصابيح المذبح، فاستدعتهن مجدداً ببعض الضيق، ولكنها لم تحظ باستجابة منهن.

قال: «إنني لا أشعر بأنني على مايرام تماماً، ولذا فإنني سأرقد الآن، وسأعاود الحديث معك في وقت أكثر قرباً من الفجر». سمعها تتأهب للانسحاب.

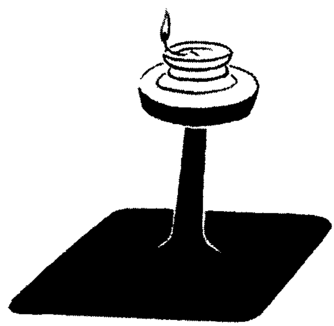
«مثل هذا الحديث الذي كنا نتجاذب أطرافه مصدر ارتياح كبير لإنسان جاء إلى هنا عبر الدروب الجبلية وأقل صحة حتى منك، ومن هنا فإنك ستتركينني منفطر الفؤاد. أزاح الستارة جانباً في صمت، ودخل الغرفة. صعقت هي التي كانت بالفعل في منتصف الطريق إلى الغرفة المجاورة، عندما أحست بنفسها وهي تُسحب إلى الغرفة مجدداً. فاستبد بها

الحنق، وغضبت أشد الغضب.

صاحت به: «هل هذا ما قصدته بـ(عدم إبقاء شيء بيننا)؟ يا لها من طريقة مرعبة في التصرف!». ولم تضف سخريتها إلا المزيد إلى جاذبيتها.

«لن تفهمي أنه بالنسبة لي ما من شيء يحول بيننا، وأنا لا أريد إلا إقناعك بذلك! ما الذي تقصدينه بوصف تصرفي بأنه مرعب؟ لسوف أقسم سعيداً على خلاف ذلك أمام بوذا. رويدك. رويدك. لاتخافي مني لطفاً! فلم تكن لديَّ أدنى نية لانتهاك رغباتك، وأظل الأحمق الغريب الذي كنته دوماً، وذلك على الرغم من أنني واثق من أنه ما من أحد يصدِّق ذلك على الإطلاق!». قرَّب ضوء المصباح الخافت على نحو متواطئ، أزاح شعرها المنسدل جانباً، وتطلع إلى محياها، فبدت جميلة على نحو شهي، كما يمكن لأي إنسان أن يتمنى أن تكون.

راح يفكِّر في أنه في مثل هذه الدار شديدة العزلة فإن رجلاً تستبد به الشهوة لن يجد شيئاً يعترض سبيله، ومن المؤكد أنه لن يقف هاهنا! كم هذا فظيع! حتى تردده الماضي كان يمكن بوضوح أن يمضي بالسهولة نفسها في طريق آخر، ولكن مشهد بكائها من فرط الغيظ كان مثيراً للاشفاق إلى حد بعيد، ولم يقدم على شيء من هذا القبيل، لا، فقد أبقى على أمله في أنه بمرور الوقت ستذعن له عن طواعية، ولسوف يكون أمراً مؤلماً للغاية أن يرغمها إرغاماً، وبذل قصارى جهده لتهدئتها بدلاً من ذلك.



قالت بنبرة اتهام: «لقد سمحت لك بالاقتراب حتى بما يهدد بإثارة فضيحة، لأنني لم أتصور قط شيئاً كهذا من جانبك. والآن فإن الفظاظة التي أطلعتك على لون كمي التعس علمتني مدى محدودية قيمتي[1]. وما من شيء يمكن أن يعزيني عن ذلك». كان التفكير في لون ثوب حدادها الرمادي البالي على نحو بريء، والذي تبدى للأنظار في ضوء المصباح، بؤساً بالنسبة لها.

---

(1) على الرغم من أنها قد أُحرجت لأنها شوهدت في لون الحداد الرمادي، فإنها ربما تكون أكثر استشعاراً للحرج لأنه رأى محياها، وهو إذلال ربما كان أعظم من أن يتم الإتيان على ذكره.

«إنني أتفهم أن يساورك هذا الشعور، وأنا شديد الخجل من نفسي ولا أعرف ما عساي أقول. ما من شيء يمكن أن يكون طبيعياً أكثر من إشارتك إلى لون كميك، ومع ذلك فإن النية الحسنة التي تركتك تقابلينني كثيراً على امتداد السنين قد تخلصك من رفضك الشديد لي ومن معاملتي كم لو أنك لم تقابليني من قبل قط. إنني أخشى أنك قد أسأت فهم الأمر تماماً». حدَّثها عن المرات العديدة، العديدة التي ألهمه التفكير فيها شوقاً لا سبيل إلى احتماله، بما في ذلك المرة التي بلغه فيها عزف الموسيقى تحت القمر عند الفجر. فأحرجها ذلك كله وأثار نفورها. وواصلت القول لنفسها: كم هو غريب التفكير في أنه كان يتصرف بجدية وتحفظ بالغين وطوال الوقت كانت تلك مشاعره!

وضع ستارة قاتمة قصيرة قريبة بينهما وبين المذبح، ورقد بعض الوقت إلى جوارها. أزعجه عبق البخور القوي والرائحة المميزة إلى حد بعيد لليانسون النجمي، ذلك أن بوذا كان يعني بالنسبة له أكثر بكثير مما يعني لمعظم الناس. فراح يحدِّث نفسه، مكافحاً لاستعادة تماسكه: بصفة خاصة الآن فيما هي لاتزال في فترة الحداد فإن أي تنازل طائش أمام نفاد صبري سيكون إساءة لما تطلعت إليه في البداية، ومن المؤكد أنه عندما ينتهي حدادها فسوف تلين قناتها حيالي قليلاً على الأقل. والليل الخريفي يثير الكثير من المشاعر، حتى في مكان أقل من هذا عزلة، ولاعجب أنه هاهنا فإن الريح الهوجاء على القمم والجداجد الصرارة في السور لاتحدثهما إلا عن الوحشة. تركت ردودها بين الحين والآخر على حديثه عن الدنيا العابرة انطباعاً جديراً بالإعجاب لديه. وأدركت النسوة، اللواتي كان من الصعب للغاية إيقاظهن قبلاً أن الأمر قد تم الآن، فانسحبن جميعاً. استعادت في ذهنها ما كان أبوها قد قاله، وراحت تحدِّث نفسها كم هو صادق القول إنه كلما طالت حياة المرء كثرت المحن غير المرئية التي يتعين عليه احتمالها. وأحست في غمار يأسها كما لو أن دموعها ستتدفق لتلحق بضجيج النهر الهادر[1].

بزغ النهار أخيراً. ونهض رجال المستشار، وراحوا يتنحنحون لإيقاظه، وذكَّره صهيل الجياد على نحو بهيج بما سمعه عن ليال قُضيت على الطريق. وفتح الباب المنزلق المواجه لنور الفجر، وتطلعا معاً إلى السماء الموحية بالشجن. كانت بدورها قد انزلقت إلى الأمام

(1) إيماءة إلى واكان روى شعراً (باللغة الصينية) من نظم أوى نو أساتسونا.

قليلاً، بينما لامس النور شيئاً فشيئاً قطرات الندى على السرخسيات التي تحف بالطنف السطحي. أضفت هيئتاهما وكل منهما إلى جوار الآخر عليهما رشاقة عذبة. «كم أحب أن أكون معك دوماً على هذا النحو مستمتعين بفؤاد واحد بالقمر أو البراعم ومتبادلين الملاحظات عن هذه الدنيا العابرة!».

مضى يتحدَّث بلطف بالغ إلى درجة أنها نسيت خوفها تدريجياً، وردت قائلة: «لو كان باستطاعتي الحديث معك من دون أن يكون كل شيء مكشوفاً على هذا النحو، وإنما مع وجود شيء بيننا. إنني على يقين من أنه في قرارة فؤادينا ما من شيء سيفصلنا».

ازداد النور، وسمعا اصطفاق أجنحة قريب، فيما أسراب من الطيور تحلق في الهواء. دوَّي جرس في البعيد، معلناً انتهاء الليل وقدوم صباح جديد. قالت وقد استبد بها الخجل على نحو يدعو لليأس: «امض الآن، لاينبغي لك البقاء!».

لم يأت بأدنى حركة للمغادرة، وقال: «ليس بمقدوري شق طريقي مباشرة إلى الدار عبر ندى الصباح كأن شيئاً قد حدث حقاً. ما الذي سيظنه الناس؟[1]. امنحيني لطفاً حرية الاختيار التي كان حرياً بك منحي إياها لو أن شيئاً حدث، وافعلي الشيء نفسه من الآن فصاعداً كذلك، حتى وإن لم يكن أحدنا بالنسبة للآخر ما ستفترضه الدنيا. وكوني على يقين من أنني لن أفعل شيئاً يثير ضيقك. آه، هل أنت قاسية فلا تشفقي عليَّ لقاء زخم إخلاصي كله!».

قالت متوقعة حدوث كارثة: «حسناً للغاية، سيكون الأمر حسبما تشاء في قابل الأيام، أما هذا الصباح فعليك لطفاً الامتثال لما أقول!». تنهد مراراً، وقال: «الأمر عسير للغاية! فأنا لا أعرف شيئاً عن الفراق عند الفجر، وأنا على يقين تماماً من أنني سأضل طريقي».

صاح الديك صياحاً خافتاً في مكان ما، وانصرفت خواطره إلى المدينة.

قال:

«آه، بالبزوغ النهار، عندما يجتمع صياح الديكة ليغدو فجراً

---

(1) من شأن العاشق العادي أن يمضي مباشرة إلى الدار، ولكن بما أن كل المراقبين (وصيفاتها، رجاله) يفترضون أنه قد تزوجها، فإنهم ربما يظنون أن شيئاً غير مناسب قد وقع، إذا فعل ذلك.

كله حشد قرية جبلية من الأحزان الجوّابة!

ردت:

«اعتقدت أن هذا المكان، النائي وسط التلال، ليست فيه ديكة تصيح

مع ذلك فقد عثرت على الحياة بكل حزنها حتى هنا».

بعد مصاحبتها إلى الباب المنزلق[1]، غادر الدار بالطريقة التي كان قد دخلها البارحة بها، ورقد، لكنه لم يغمض له جفن. كان لا يزال مشتاقاً إلى حضورها، فأدرك أنه لم يكن بمقدوره أن يأخذ الأمر بهدوء بالغ كل هذه الشهور، لو أنه كان يحس بهذا الشعور نحوها. وبدا له احتمال العودة إلى المدينة كئيباً للغاية.

لم تمض الأميرة الكبرى مباشرة إلى الفراش، لأنها أحست بالقلق حيال ما سيفكر فيه أهل الدار. وراحت تحدِّث نفسها: ياله من بؤس أن تمضي في الحياة دون أن يكون هناك من تعتمد عليه، وأي مفاجآت تعسة قد تجلبها الحياة عندما يمضي البعض في إمطاري بالنصائح غير السليمة! ليس بمقدوري حقاً الاعتراض على مظهر هذا السيد النبيل أو أسلوبه، و قد أشار أبي غالباً إلى أنه إذا كان يميل.. ولكن لا، بالنسبة لي سوف أستمر على ما أنا عليه. إن أختي الأجمل كثيراً والأكثر جدارة هي التي أود مسرورة أن أراها تعيش كالأخريات. وبعد أن أنجز ذلك لها سأرعاها بكل حرص. ولكن من عندئذ سيرعاني؟ لو أن هذا السيد النبيل كان أي شخص عادي، لشعرت بعد كل هذه السنين بالميل إلى قبوله، ولكنه باهر ومتألق للغاية في مجده بحيث يجعلني خجولاً على نحو يدعو لليأس فحسب. لا، لسوف أعيش حياتي على هذا النحو فحسب. ومضت تنتظر مسهدة وغارقة في الدموع قدوم النهار، شاعرة بأنها ليست على مايرام بعد حدوث ما مرَّ بها إلى حد أنها مضت إلى الغرفة الداخلية لترقد إلى جوار أختها.

كانت الأميرة الأصغر راقدة هناك متسائلة عما يمكن للنسوة أن يتهامسن حوله، وداخلها السرور لقدوم أختها، ولكنها عندما سحبت الأغطية فوقها أحست بأن عطره النفاذ يغمرها، وتذكرت إلى أي حد ضايق هذا العطر الحارس. حسناً، إذاً، لابد أن الأمر

---

(1) بين الغرفة التي يوجدان بها والجزء من الدار الذي تقيم به الأختان.

وقع حقاً. وداخلها الشعور بأسف بالغ، فلم تنبس ببنت شفة، وتظاهرت بالنعاس.

استدعى زائرهما العجوز بن، وتحدَّث معها في استغراق، وقبل أن يغادر الدار أعطاها رسالة قصيرة ملائمة تماماً[1] موجهة إلى سيدتها، التي مضت تحدِّث نفسها قائلة: حتى بعد أن أخذت «عقد أوراقه الثلاثية» باستخفاف بالغ، فلابد أن أختي تفترض أن الأمر انتهى بي إلى الاستسلام له، أياً ما كان «فاصل الذراع الواحدة» الذي ربما قصدت الإبقاء عليه بيني وبينه. ساورها الشعور بالخجل الشديد، وأمضت اليوم في حال سيئة تماماً، زاعمة أنها مريضة.

ذكرتها إحدى الوصيفات «سيؤون الأوان[2] عما قريب، ياسيدتي! وليس هناك شخص آخر يشمل برعايته كل الأمور التفصيلية التي يتعين إنجازها، ووعكتك تجيء في وقت سيء للغاية!».

انتهت الأميرة الأصغر من تغليف اللفافات[3]. وقالت مصرة: «ليست لديَّ فكرة عن كيفية عقد أربطة الهدايا». وهكذا نهضت أختها في الظلام الذي يحميها، وقامتا بعقد الربط معاً. وجاءت رسالة من المستشار، ولكنها في ردها لم تتحدث إلا عن كيف أنها لم تكن في خير حال طوال النهار. فتهامست النسوة: «يا له من شيء تقوم به! يا لها من فتاة صغيرة!».

انتهت فترة حدادهما، وعندما كانتا تبدلان أثوابهما القديمة، راحتا تفكران في مدى السرعة التي مرت بها السنون والشهور، على الرغم من أنهما لم تعتقدا أنهما ستبقيان على قيد الحياة من بعده. وكانتا قد بدتا في مشهد يثير الإشفاق، وهما ممددتان وقد غمرهما اليأس حيال سوء طالعهما المأساوي غير المتوقع. وبعد مضيهما في أكثر درجات اللون الرمادي قتامة وقتاً طويلاً، بدتا الآن جميلتين للغاية في درجة لونية أكثر إشراقاً بكثير، وفاقت الأميرة الأصغر التي كانت في تمام ريعانها حقاً أختها في الرشاقة المفعمة بالمرح. ونسيت الأميرة الكبرى كل أحزانها وهي ترقب النسوة وهن يغسلن شعر أختها ويمشطنه، فقد كانت مصدر بهجة بالغة إلى حد أنها كان يسرها أن تتخيل أنها تنظر إليه كذلك. لم يكن

---

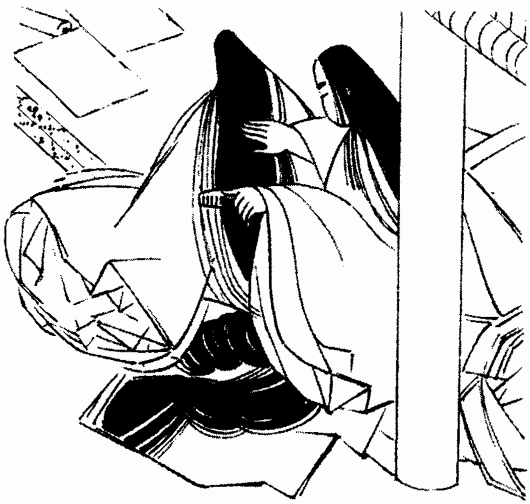
(1) بدلاً من قصيدة «الصباح التالي» (كينوجينو) الحافلة بالحب وأسى الفراق.

(2) الذكرى السنوية لوفاة هاتشي نو ميا.

(3) يفترض أنها لفافات البخور.

هناك الآن أحد آخر يقوم على رعايتها، ومن هنا فقد قامت بنفسها بذلك، بكل رقة الأم.

كان المستشار بالغ الشغف بها حتى إنه لم يستطع انتظار الشهر التاسع الذي لن ترتدي فيه ثياب الحداد، التي شعر بأنه مضطر إلى احترامها، وقد أقبل الآن مجدداً[1]. ذكَّرها بقوله: «أود أن أحادثك على نحو ما فعلت من قبل»، ولكنها رفضت استقباله متعللة بأنها، لسوء الحظ، ليست على ما يرام.



تمشيط شعر سيدة

احتج في رسالة قصيرة قائلاً: «إنك قاسية على نحو غير مألوف! ما الذي يمكن أن تفكِّر فيه وصيفاتك؟».

ردت: «إنني منهكة للغاية ولا يمكنني الحديث معك، فقد كانت مسألة مزعجة تماماً مواجهة تغيير ملابس الحداد». استبد الحنق به، فاستدعى المرأة نفسها كما هي الحال دوماً، وبثها شكواه.

أحست الوصيفات، اللواتي تطلعن إليه وحده للخلاص من البؤس الشديد، بأنه سيكون أمراً مدهشاً أن يحقق رغبته، وعندئذ تنتقل سيدتهن إلى مكان أكثر احتراماً بكثير، ووافقن جميعاً على السماح له بالدخول. ولم تعرف الأميرة الكبرى شيئاً عن هذا، ولكنها على الرغم من ذلك لاحظت الخطر الذي يتربص بها، وراحت تحدِّث نفسها: يبدو أنه لايكترث بتلك العجوز، وقد تسبب المتاعب إذا وافقته على ما يهواه. وعندما يحدث شيء في حكاية قديمة فإنه هناك أيضاً لاتكون السيدة هي التي بدأته. لا، لابد للمرء من أن يلزم الحذر مما يدبره الناس.

واصلت حديثها مع نفسها: طالما أنه غاضب مني للغاية، فلابد من أن أجعل الصدارة لأختي. وقد يحس بخيبة الأمل، ولكنني لا أستطيع تصور معاملته لها باستخفاف عندما

(1) كاورو يصل في الشهر الثامن لأن التقويم السنوي لا يُشجِّع على الزواج في الشهر الخامس أو في الشهر التاسع.

تغدو من نصيبه، وإلى جوار هذا فإن أبسـط معرفة بها سـتدخل أشـد السـرور على نفسـه. وعلى الرغم من ذلك، فمن الذي سـيتقبل هذه الفكرة مباشـرة لو أنني أتيت على ذكرها؟ مـن المؤكـد أنه لن يتقبلهـا، فليس هذا ما يفكر فيه، حسـبما سـيقول، وعلـى أي حال فإنه سيحجم عن ذلك خوفاً من أن يُنظر إليه على أنه متقلب.

سـاورها الشعور بأنه سيكون من الخطأ من جانبها ألا تحدِّث أختها بخطتها، وشجعتها تجربتهـا علـى التعاطف معهـا، وبناء على ذلك فقـد حدَّثتها بجلية الأمر كلـه: «قال والدنا إنـه لا يتعيـن علينـا أبداً أن نفكر باسـتخفاف أو نثير الضحك، حتـى وإن كان ذلك يعني أن نبقـى وحيدتين على هذا النحو طوال عمرنا. وأخذاً في الاعتبار بالكيفية الآثمة التي أبقيناه بهـا مقيـداً بالدنيا خلال حياته وأزعجنا صلواته الورعة، فقـد عقدت العزم على تحقيق كل كلمـة قالهـا، وهذا هو السـبب في أنني لا أشـعر بالوحدة على الإطـلاق. وعلى الرغم من ذلك، فإن هؤلاء النسوة يبدو أنهن يضقن ذرعاً بهذا العناد الغريب من جانبي، وهذا يضعني فـي موقـف مؤلم. نعم، بقدر ما يتعلـق ذلك بهذا الأمر، فإن جعلـك تواصلين العيش على هذا النحو معي يبدو لي مع كل شـهر ويوم ينقضـي أكثر مدعاة للحزن والخجل، فأنا أتوق لمنحـك، على الأقل، حياة كالتي تعيشـها الأخريات، وأن أضمن لنفسـي، على نحو ما أنا عليه، بعض الراحة والكرامة».

راحت أختها تسـائل نفسـها في حنق:ما الذي تفكر فيه؟ وقالت: «هل تحسبين أنه قصد أن واحدة منا فحسـب سـتمضي بقية عمرها على هذا النحو؟ إنني على يقين من أنني أثرت قلقـه أكثـر بكثير منـك! أي راحة يمكـن أن أمثلها لك ما لـم أكن معك هنا ليـلاً ونهاراً؟». استبد الغضب بها حقاً، وحدَّثت الأميرة الكبرى التي لم يكن بوسعها إلا أن توافقها على ما ذهبت إليه- حدَّثت نفسها بأنها عذبة للغاية.

«ولكـن بالنسـبة لهـن جميعـاً فإننـي عنيدة على نحـو مسـتحيل، وذلك يضايقني أشـد الضيق!». قالتها، ولزمت الصمت.

بدأت الشمس في الانحدار، ولكن زائرهما لم ينصرف. ولم تدر سعادة الأميرة الكبرى ماذا عسـاها تصنع. وأقبلت بن حاملة رسـالة منه، وواصلت الحديث مطولاً بعض الشـيء عن كيف أنه يحس محقاً بالضيق. تنهدت فحسـب في معرض الرد، وراحت تتسـاءل عما

يمكنها القيام به. لو أنه كان لا يزال معنا أحدهما فحسب[1]، هكذا مضت تحدِّث نفسها، لسوف يكون هناك على الأقل من هو قادر على العناية بهذا كله من أجلي، وبما أن تقلبات القدر تجعل من المتعذر عليَّ للغاية إرضاء نفسي[2]، فإن الإخفاق سيبدو لائقاً بما فيه الكفاية، ولن يثير الابتسامات. إنهن جميعاً يعلو بهن العمر، كلهن، وكل منهن تحسب نفسها حكيمة وعاقلة، ويواصلن التصرف كما يطيب لهن فيما يتعلق بما هو مناسب لي، ولكن هل أصدقهن؟ لا، فهن لسن جديرات بذلك، ولايفكرن إلا في أمر واحد! ضايقتها بشدة الطريقة التي ألحت بها النسوة عليها، وكأنهن يقمن بجرها عنوة، وظلت على إصرارها تماماً. وفيما يتعلق بهذا الأمر، كانت أختها التي ناقشت كل شيء معها بانسجام تام، أكثر سذاجة منها إلى حد ما، فهي لم تتفهم القضية على الإطلاق. صاحت الأميرة الكبرى محدِّثة نفسها:ياله من موقف يدعو لليأس! وابتعدت عنهن في حسم.

واصلن الإلحاح عليها، قائلات: «ألن تبدلي ثيابك وترتدي ثياباً ذات ألوان أخرى، ياسيدتي؟»، وقد بدا أن كلاً منهن حريصة على الشيء ذاته، وأدركت في استياء أنه ما من شيء هنا يقف في طريق رجل، فقد كانت الدار صغيرة للغاية، بحيث إنها لا تقدم أملاً، ولم يكن هناك مكان لزهرة ياماناشي لتحتجب فيه[3].

لم يقدم الزائر نفسه على محاولة ملموسة للاقتراب من أي منهما، حيث كان قد قرَّر منذ وقت طويل أن يظل على حرص بالغ، كما لو أن هذه الصلة لم تكن لها بداية محددة قط. «لسوف أكون صبوراً بهذه الطريقة طوال الوقت اللازم لحصولي على موافقتها». كان ذلك هو الموقف الحاسم الذي تحدَّث عنه. وتجاذبت تلك العجوز أطراف الحديث مع الأخريات عن الأمر، وقد مضين يتهامسن سوياً على نحو صريح، ولكنهن كن حمقاوات وعنيدات في عمرهن ذاك، وربما كان ذلك هو السبب في أن سعادة الأميرة ظلت في هذه المحنة المحزنة.

---

(1) أحد أبويها.

(2) جوسينشو 938، من نظم آيسي: «ليس بوسعي أن أقول نعم أو لا، ذلك أنه، ويا للحسرة، لا يمكن للمرء في هذه الدنيا إرضاء نفسه».

(3) كوكين روكوجو 4268: «على الرغم من أنك تنبذ الدنيا، فإلى أين تمضي لتحتجب يا برعم ياماناشي؟!». ياماناشي («ناشي الجبل») هي قريبة برية للفاكهة المزروعة، وياماناشي يعني «ليس هناك جبل (للاحتجاب وراءه)».

لمـا كانت في حيرة من أمرها، فقد تحدَّثت مع بن، عندما خاطبتها هذه الأخيرة. قالت: «إننـي أتذكر كيف أن سـعادة الأميـر قد اعتاد الحديث عن إخلاص هـذا الأمير النادر، وأنا الآن أعتمـد عليـه في كل الأمور. وأنا أتحدث معه حقاً علـى نحو أكثر عفوية مما يليق بي. غير أن مزاجه يفصح عن شيء آخر كذلك، شيء لم أفكِّر في أنني سأجده، وهو يبدو غاضباً منـي، الأمـر الذي أجده مقلقاً. ولو أنه كان أمراً معقولاً بالنسـبة لي أن أرغب في العيش في الدنيا كالأخريات، لما كان لديَّ سـبب لرفضه. غير أنني تخليت عن هذا النوع من الأفكار منذ وقت طويل. وهذا كله مؤلـم للغاية. وما أشعر بالأسف عليه هو أن أختي وجمال شبابها سيذويان. وبالنسبة لاحتياجاتها، نعم، فإن داراً كهذه الدار هنا مثيرة للانقباض للغاية، وإذا كان يتطلع حقاً إلى تحقيق رغبات سعادة الأمير، فإنني سأجعله يتقبلها بديلة لي. وأحسب كما لو أنني ينبغي عندئذ أن أكون معهما كليهما، وقلبانا، قلبي وقلبها، سيكونان قلباً ينبض فيهـا. أرجو أن تدعيه يعرف ذلك، وصيغيه بأكثر مما يمكنك أن تكون قادرة على الإقناع». وعلـى الرغم من خجلها، فقد قالت بصورة جيـدة للغاية ما أرادت قوله، وتأثرت بن بعمق بالغ.

«سـيدتي، لقد فهمت بالفعل ذلك منك، وأوضحت الأمر له بجلاء تام، ولكنه يقول إنه لا يمكنـه نقـل عواطفه بتلك الطريقـة، وأنه بما أن معالي وزير الحرب يزداد بجدية اسـتياء منه، فإنه يعتزم أن يقدم له كل المسـاعدة التي يسـتطيعها في ذلك الاتجاه أيضاً. وسـيكون ذلـك ممتازاً بالنسـبة لكما معاً، ياسـيدتي. وما كان بمقـدور أمك وأبيـك أن يرتبا زواجين أكثـر تميـزاً من ذلـك، حتى ولو كانا علـى قيد الحيـاة وحريصين على إنجـاز أفضل ما في وسـعهما من أجلكما. وإذا سُـمح لي بأن أقول ذلك، فإنني أتسـاءل في حزن عما سـيحل بـك عندما أفكر فـي الظروف الحافلة بالمخاطر لحياتك الراهنـة، وعلى الرغم من أنني لا يمكنني الجزم بما سـتكون عليه مشـاعر هذين السيدين النبيلين في المستقبل، فإنني أعتقد أنهما يمثلان ضربة رائعة من ضربات الحظ الحسن بالنسبة لكما كلتيكما. وأنا أتفهم تماماً أنـك لاينبغـي أن ترغبي في عـدم طاعة كلمات سـعادة الأمير الأخيرة، ولكـن من المؤكد أنـه لـم يقصـد إلا أن يترك لكما تحذيراً، حتى لا يظهر شـخص غير جديـر بك وتميلي إلى القبول بشخص غير مميز بصورة كافية. وكثيراً ما قال إنه إذا أحس هذا السيد النبيل بالميل إلى ذلك، فإنه سيسـعده أن يراك مسـتقرة على نحو جيد. وسـواء أكانت في مكانة رفيعة أو

متواضعة فإن تلك التي تفقد من يحافظون على مصالحها قد تجد نفسها في يسر واقعة في ظروف ما كان ينبغي لها أن تتردى إليها قط، وأنا أعتقد أن هذا هو ما يحدث غالباً. الأمر مألوف للغاية، وما من أحد سيلومها عليه. وعلى الرغم من ذلك، في هذه الحالة، ياسيدتي، فإنه عندما يؤكد لك سيد نبيل تشرفك مكانته كثيراً إلى حد أنه ربما يكون قد ولد لهذه الغاية فحسب، إخلاصه العميق والنادر، ربما تصرين على إبعاده لتواصلي إصرارك الورع، ولكن هل ستعيشين إذاً على السحب والسُدم وحدها؟»[1].

رقدت سعادة الأميرة الكبرى، التي وجدت هذا الحديث المطول منفراً واستفزازياً، ووجهها على الأرض. وحيال هذا المنظر أحست أختها الصغرى بحزن بالغ عليها. ودلفتا إلى الفراش سوياً كالمعتاد. وأحست الأميرة الكبرى بالقلق والانزعاج على ما ستقوم به بعد ذلك، ولكن الدار لم يكن بها ركن تلوذ به. ومن هنا فقد اجتذبت ثوباً جميلاً ورقيقاً فوق أختها، ورقدت على مبعدة صغيرة منها، ذلك أن الجو كان لا يزال دافئاً تماماً.

أبلغت بن زائرهن بما كانت الأميرة قد قالته. فتساءل:هل تنبذ الدنيا وما فيها إلى هذا الحد؟ ربما كانت قد تعلمت من أبيها الورع أن كل الأشياء عابرة. وبدت له في قرارة نفسها أشبه به أكثر من أي وقت آخر، ولم يستشعر نأياً عنها أو رغبة في جعل نفسه أقل حكمة منها. قال: «فهمت. إنها لن تنظر في إمكانية استقبالي حتى مع وجود شيء بيننا. ولابد لك الليلة إذاً من أن تجدي لي طريقة للتسلل إلى الداخل حيث ترقد». وجعلت بن الأخريات يدلفن إلى الفراش في وقت مبكر، ورتبت الأمور مع من لهن علم بجلية الأمر.

لم يكن المساء قد انتهى عندما هبت ريح عاصفة، زعزعت المصاريع، فأدرك أنها تتيح فرصة مناسبة للانزلاق إلى الداخل من دون أن يسمعه أحد. وقادته بن في رفق إلى الداخل. وضايقها أن الأختين كانتا راقدتين معاً، ولكنهما كانتا تفعلان ذلك على الدوام، ولم يكن بمقدورها أن تطلب منهما أن ترقدا منفصلتين هذه المرة فحسب، وعلى أي حال فقد افترضت أنه سيتدبر أمره على نحو جيد ويتعرف الفتاة التي يقصدها. غير أن سعادة الأميرة الكبرى كانت لاتزال مستيقظة. وعند رصدها لصوت مفاجئ نهضت صامتة، وانزلقت مسرعة لتختبئ. ما الذي يعتزمانه؟ خفق قلبها في حزن على أختها التي لاتزال

(1) مثل الحكماء الخالدين الذين يُزعم أنهم يسكنون القمم العالية والنائية.

غافية في سلام. لكم أود أن نختبئ سوياً! ولكن لم يكن بمقدورها الرجوع. مضت ترقب، مرتجفة، سيداً نبيلاً في رداء منزلي[1] يدخل المكان في ضوء مصباح خافت، كما لو كانت الغرفة غرفته، وينحِّي قماش الستارة القائمة. وبمزيد من الشفقة راحت تتساءل: ما الذي يمكن أن تشعر به؟ وفي غضون ذلك جلست منكمشة بين الستارة الموجودة هناك والحائط المتداعي. وآلمها أن تتصور اشمئزاز أختها المطلق فيما كان احتمال الأمر مقيتاً فيما يبدو بالنسبة لها. ومضت تحدِّث نفسها:وهذا كله هو من سوء طالعنا لأننا تركنا وحدنا في الدنيا من دون أي حماية حقيقية! بدا لها أنها ترى والدها أمامها، تماماً على نحو ما كان في ذلك المساء عندما انطلق صاعداً الجبل، فتاقت إليه على نحو مفعم باليأس.

جعل ذلك القوام الوحيد قلب المستشار يخفق سروراً، فقد ظن أنها لابد أنها تتوقع قدومه، وسرعان ما أدرك أنها ليست هي التي يريدها، وقد بدت هذه الراقدة في الفراش أجمل قليلاً وأكثر جاذبية على نحو عذب. وأفصح له فزعها واستياؤها بجلاء كاف عن أنها لا تعرف حقاً ما الذي يفعله هناك، فساوره الأسف الشديد عليها، وذلك على الرغم من أن قسوة أختها، التي لابد أنها في الوقت الراهن تختبئ في مكان ما، أثارت في الوقت نفسه حنقه الشديد. ولم ترق له أيضاً فكرة انتماء هذه الأخت إلى أي شخص آخر. ولكنه تأسف في مرارة على إحباط ما كان يرغب فيه حقاً، ولم يرغب في أن يبدو وغداً في ناظريها. طمأن نفسه بالقول: حسناً جداً، لسوف أدع هذا الموقف يمر، وإذا أراد القدر حقاً أن تكون هذه من نصيبي فلماذا يتعين أن تمضي «هي» لذلك السبب فحسب إلى شخص آخر؟ وأمضى الليل، كالسابق، عاقد العزم على ذلك في حديث عذب ومسل.

مضت العجائز، اللواتي اعتقدن أن الأمر قد تم، تُسائل إحداهن الأخرى: «أين عسى أميرتنا الصغرى تكون قد ذهبت؟ هذا أمر غريب للغاية!».

«لابد أنها في مكان ما».

«بغض النظر عن هذا كله، فإن مرآه ذاته كافٍ للتخلص من تجاعيدك. وليس بمقدوري تصور السر في أن سعادة الأميرة الكبرى لاترغب في أن تكون لها صلة بشخص وسيم

(1) خلع كاورو عباءته وسرواله، وهو يرتدي منامته إذا شئنا استخدام هذا التعبير.

ولطيف على هذا النحو المدهش!».

خاطرت عجوز هتماء، حادة اللسان، بالقول: «أحسب أن الإله المخيف الذي يتحدثون عنه قد مسها بسوء»[1].

«آه، لا، لسـوف تجلبيـن سـوء الحظ! ما الـذي أصابها؟ لقد علا بها العمـر أكثر من أي شـخص آخر. ذلـك هو كل ما هنالك. وهي لا تعرف ما تفعله بنفسـها لأنـه ليس لديها من ينصحها بصورة مناسـبة فيما يتعلق بأمر كهذا. ولسـوف تحبه بما فيه الكفاية عندما يكونان معاً بالفعل».

قـال صوت أخير ناعس: «حسـناً، أتمنـى أن تدعه يفعل ما يشـاء، وأن تكون ما نأمل أن تكونه!». تعالى غطيط مزعج من هنا وهناك.

لـم تكـن هذه ليلة خريفيـة يقصرها «من تقضيها معـه»[2]، ولكنه أحـس على الرغم من ذلك بأن الفجر قد أقبل بأسـرع مما ينبغي، وخطر له بصورة طبيعية تماماً أنه شـديد الأسف لمغادرتهـا، ذلك أنهما كلتيهما كانتا جميلتين قال: «أحبيني أيضاً! ولاتجعلي نفسـك على غرار أخرى شـديدة القسـوة!».ووعد بأنهما سـيلتقيان مجدداً. وأحس بأن الأمر كان على نحو غريب شـبيهاً بحلم، ولكنه مضى يطمئن نفسـه عندما غادر ليرقد، على نحو ما كان قد فعل من قبل، بأنه سيحاول مجدداً مع من أشاحت عنه.

دخلـت بـن قائلـة: «هذا أمـر غريـب للغاية! أيـن يمكن أن تكـون سـيدتي الصغيرة قد ذهبت؟». هنالك كانت، راقدة هناك، حائرة، حزينة، ومتسـائلة عما عسـاه يعنيه الأمر كله. استبد بها الغضب حيال أختها، وهي تتذكر ما كانت قد قالته بالأمس.

وحده نور النهار المقبل يجلب الصُّرار من الجدار[3]. لم يكن بمقدورها احتمال تصور شـعور أختها الصغـرى، ولـم تتبـادل إحداهما كلمة واحـدة مع الأخرى. نامـت قائلة:هذا

(1) هناك اعتقاد ذائع بأن المرأة التي تتجاوز سن الزواج المعتاد ربما يكون قد مسها «إله» (كامي) أو قوة يجعلها تتصرف على نحو غريب.

(2) كوكينشو 636، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني: «بالنسبة لي ما من ليلة خريفية تُعد طويلة، فذلك يعتمد دوماً على من تمضيها معه».

(3) أويجيمي، من حيث جثمت بين الستارة والجدار.

فظيـع. الآن قــد انهتك الســتر بيننـا كلينا! بعد هـذا لا يمكننا أن نتخلى عـن حذرنا للحظة واحدة!

مضــت بـن إلـى زائرهما، الذي علمـت منه كل ما يتعلق بعناد سـعادة الأميـرة الكبرى. وتركتها الصورة التي رسـمها لها جالسة أمامه مذهولة ومفعمة بالشفقة، إذ أحست بأن هذا يفـوق بكثيـر ما ينبغـي، وليس جديراً بالتعاطف. قـال ممروراً: «كنت حتى الآن أشـعر بأنه ربما لا يزال هناك علاج ما لقسـوتها، وبذلت ما في وسـعي لطمأنتها، ولكن البارحة كانت مذلـة تمامـاً، وتمنيت لـو كان بمقدوري أن ألقـى حتفي. وتمثل كل ما أغرانـي بعدم القيام بذلك في التفكير في مدى تردد سـعادة الأمير نفسـه في التخلي عنهما، على الرغم من حبه المفعـم بالإعـزاز لهما. ولن أقترب من أي منهما مرة أخرى أبـداً بنية التودد إليهما. لا، لن أنسى الغضب والمرارة اللذين تسببت لي فيهما. وقد نما إلى علمي أن معالي وزير الحرب يتتبـع بـلا خجل الأميرة الصغرى، وأحسـب أنها بدورها تحس بأنها يمكـن أن تحلّق عالياً بقدر ما تسـتطيع. وقـد أدركت هذا القدر، ولخجلي لا يمكننـي أن ألومها كثيراً، حتى إنني أوثـر عـدم المجيء إلى هنا مجدداً أبـداً لكي تتاح لكن جميعاً رؤيتـي. على أي حال فإنني أرجو لطفاً ألا تقولي شـيئاً لأي أحد عن مدى حماقتي». وأحس بأن الوقت يداهمه أسـرع كثيراً من المعتاد.

همست النساء إحداهن للأخرى: «هذه كارثة بالنسبة لهما كليهما».

راحت الأميرة الكبرى تتسـاءل وقد خامرها اليأس حيال أنه قد ينقلب عليهما: إلى أين يفضـي هذا كله؟ وأدانت فضول وصيفاتها المشـوَّش على نحو لا أمل معه. وعكفت على تأمل هذه الأشـياء لدى وصول رسـالة، ولدهشـتها كانت أكثر سـروراً من المعتاد بتلقيها. وكأنمـا كـره ملاحظة ألوان الخريف، كان قد أرفق بالرسـالة غصناً أخضـر امتدت من فرع واحد منه وريقات قاتمة الحمرة.

«ياربة التلال، التي صبغت الغصن نفسه بطريقتين مختلفتين،

أسألك في سرور: أيهما أعمق لوناً؟»[1].

---

(1) الغصن هو الأختان، والأملود ذو الوريقات الحمراء هو ارتباط كاورو بأويجيمي و«ربة التلال» (يامابيمي) هي أويجيمي: «أيكما أحب أكثر؟ احكمي بنفسك: إنها أنت».

تسارعت دقات قلبها، عندما أدركت أنه لم يتحدث كثيراً عن حنقه الشديد، حاجباً إياه[1] على نحو بارع للغاية، حتى بدا يتمنى أن يدع الأمر ينقضي. وأصرت وصيفاتها بصوت عال على أنها لابد لها من أن ترد على الرسالة، وعرفت أنه سيكون خطأ فادحاً من جانبها أن تترك هذه المهمة لأختها، ولكنها على الرغم من ذلك وجدت الرد تحدياً مؤلماً في الكتابة[2].

«ليس بوسعي تخمين ما تعنيه الربة بالطريقة التي صبغت بها التلال،

لكن يبدو لي أن اللون الحقيقي هو الجديد»[3].

بعثت بها على جناح السرعة، ووجدها متألقة بما فيه الكفاية للشك في أنه بمقدوره أن يظل غاضباً منها للأبد.

راح يحدث نفسه: هذه ليست المرة الأولى التي أدركت فيها أنها تريدني أن أحظى بها في إهاب أختها، ولابد أنها قد خططت لهذا عندما عارضتها بعدم الإذعان لها. وأحسب أنه إذا مُني جهدها بالإخفاق، فإن عدم اكتراثي سيجعلها تشفق على أختها، ولسوف تكرهني لقسوتي، وسيكون من المحتمل بصورة أقل من أي وقت مضى أن أحصل على ما أردته دوماً. ولابد أن تلك العجوز التي تنقل الرسائل بيننا جيئة وذهاباً تحسبني بدورها عابثاً بعض الشيء. وإجمالاً، فإنني أتمنى أنني لم أقع في حبها قط. وسيرى الجميع بأكثر مما ينبغي من الوضوح أنني أنا الذي تاق كثيراً لنبذ الدنيا لم أستطع في نهاية المطاف وضع حد للأمر، ولسوف أشبه القارب الصغير الذي يسخر الناس منه كثيراً، القارب الذي يواصل شأن أي متودد عادي للنساء التجذيف عائداً على الدوام إلى المرأة ذاتها»[4].

شغلته خواطر من هذا القبيل طوال الليل، وكانت السماء لا تزال جميلة في اتشاحها

(1) تسوتسومي («محب») توحي كذلك بأن كاورو قد بعث «تسوتسومي بو» أو «رسالة ملفوفة» وليس «موشي بومي» رسالة معقودة، أو رسالة حب.

(2) الرد من جانب أي منهما قد يوحي بأن كاورو قد أتم حقاً زواجه بها، ولكن هذه المخاطرة يبدو بجلاء أنها أكثر دقة في حالة ناكا نو كيمي.

(3) «إنك تفضل ناكا نو كيمي الآن».

(4) كوكينشو 732: «شأن القارب الصغير الذي ينطلق خارجاً من قناة هوري، ولكنه يعود، فإنني أعود في كل مرة إلى عشق المرأة ذاتها».

بالفجر عندما انطلق لزيارة معالي وزير الحرب.

لم تكن أمامه مسافة طويلة يتعين عليه أن يقطعها، لأنه كان قد اضطر للانتقال إلى روكوجو منذ احتراق مسكن أمه في سانجو، الأمر الذي أسعد معالي وزير الحرب كثيراً. وكان معاليه قد شغل بسرور تام داراً رائعة إذ لم يكن للحديقة القريبة نظير، فقد بدت حتى أشكال الزهور المألوفة أو الأشجار والأعشاب المتمايلة فريدة من نوعها، وكان القمر نفسه الناصع والمتألق في انعكاسه في غدير الحديقة سيغدو صالحاً لتشكيل لوحة. وكان معاليه لا يزال مستيقظاً، كما افترض المستشار. وقد لاحظ معاليه فجأة ذلك العبق الذي لاسبيل إلى الخطأ بشأنه والذي يحمله النسيم على جناحيه، فارتدى عباءة مسرعاً، وأقبل مشوّشاً تماماً. انحنى المستشار محيياً في منتصف صعوده الدرج، ولم يقم معاليه بدعوته للمزيد من الصعود، وجلس مستنداً إلى الدرابزين، فيما كانا يتجاذبان أطراف الحديث حول هذا الموضوع وذاك. أعاد شيء ما ذلك المكان إلى ذاكرة معاليه، الذي مضى عندئذ، ولضيق زائره، يعرب عن شكوى مريرة. وحدَّث المستشار نفسه قائلاً: لكن حتى أنا لا أبلغ ما أنشده! وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لديه سبب يدعوه لتمني نجاح معاليه، وأبلغه بحرص يفوق المعتاد بماهية الترتيبات التي سيقتضيها الأمر.

يا للحسرة، فقد علا الضباب مع إقبال الفجر، وانتشرت موجة برد عبر السماء، وتحت القمر المحتجب هيمنت الظلمة على نحو مستفز تحت الأشجار. قال معالي وزير الحرب، ربما في غمار استعادته ذكرى الجاذبية الكئيبة للقرية الجبلية: «لابد لنا من الذهاب إلى هناك عما قريب. أريدك أن تصحبني معك». وعندما بدا أن صديقه يتردد في هذا الصدد، أضاف في خفة قائلاً:

«عندما تبرعم الزهور في مثل هذا المرج الرحب، لم تحتاج إلى مراقبتها

ومد حبل حولها لتزعم أنها كلها ملكك وحدك؟».

رد زائره قائلاً على نحو استفزازي:

«هذه الزهور المبرعمة بين ندى صباح الحقول بأسره

ليست إلا لعيني من حظيت بفؤاده.

ليست لعينيَّ أي أحد، كما تعلم!».

صاح معاليه متعجباً، وقد استبد به الضيق أخيراً: «هلم، كفاك ما قلته!».

كان معاليه قد مضى يتحدث على هذا النحو منذ وقت طويل، ولكن ما أثار قلق المستشار أن مظهر السيدة المعنية قد لايدخل السرور على نفسه. غير أنه الآن لم يكن بمقدوره أن يتخيل صديقه مزدرياً لجمالها، وبينما كان قد فضَّل على الدوام التزام الحذر، خوفاً من أن تفتقر إلى الفطنة التي تساعد على التقرب أكثر منها، فقد غدا الآن يعرف أنه ما من حاجة تدعو للقلق في هذا الجانب أيضاً. ومن هنا فقد خلص صامتاً إلى أنه على الرغم من أنه قد يكون من الفظاظة من جانبه أن يحبط ما كانت الأميرة الكبرى نفسها تدبره، فإنه لم يستطع نقل عواطفه بتلك الطريقة من إحداهما إلى الأخرى، لا، لسوف يسلم الأخت الأصغر إلى معالي وزير الحرب، الأمر الذي سيوفر عليه عناد التقريع منهما كليهما[1]. غير أن صديقه لم يكن يعرف ذلك، وبدا طريفاً للمستشار أن يُتهم بالرغبة في الاحتفاظ بالأختين لنفسه، فغمغم بلهجة حديث عم أو خال قائلاً: «ينبغي أن أكره رؤية الخفة المألوفة لأساليبك وهي تسبب لها أي انزعاج».

«حسناً للغاية، سوف ترى. لم أكن حريصاً على أحد طوال عمري على هذا النحو». هكذ رد معاليه في جدية.

«لست أرى مؤشراً إلى أن أياً منهما تفكر في إرضائك. لقد أسندت لي مهمة بالغة الصعوبة». ووصف لمعاليه على وجه الدقة ما الذي يتعين عليه القيام به عندما يكونان هناك.

كان اليوم الثامن والعشرون، وهو اليوم الأخير في الاعتدال الربيعي، يوماً سعيد الطالع، وباحتياطيات غير ظاهرة للعيان صحب المستشار معالي وزير الحرب في زيارة سرية إلى أوجي. وحرص أشد الحرص على جعل الأمر يبدو وكأنه ما من شيء يجري وراء الكواليس بصفة خاصة، إذ صمم معاليه على الذهاب إلى هناك، ولسوف تقع كارثة لو أن جلالة الامبراطورة قُدِّر لها أن تعرف بأمر هذه الرحلة، ذلك أنه كان من المؤكد عندئذ أنها ستضع

---

(1) نيئو وأويجيمي.

حداً لها. ولم يسعيا إلى سكن فخم[1]. لأن عبور النهر بالقارب كان حافلاً بالمخاطر ولا يسمح بذلك، وبدلاً من هذا فإن المستشار ترك معاليه سراً في ضيعة قريبة كان يمتلكها، في دار الرجل الذي يمثله هناك، وسبقه في الانطلاق إلى دارهما بنفسه. وعلى أي حال، فإنه لم يكن من المحتمل أن يلحظ أحد وجود معاليه، ولكن المستشار يُفترض أنه رغب في تجنب أي احتمال للرصد حتى من جانب الحارس الذي ربما رغب في إلقاء نظرة حول الدار. وكالمعتاد حيته صيحات من قبيل: «هوذا سعادته!» ولم تسر الأختان كثيراً لسماع هذا الخبر، ولكن الكبرى راحت تحدث نفسها بأنها جعلته، على الأقل، يتفهم أنه يتعين عليه أن يصرف تطلعاته إلى غيرها، بينما استسلمت الصغرى لوجوده، عارفة أنها ليست من يفكر فيها. وعلى الرغم من ذلك فإن تلك التجربة الفظيعة كانت قد تركتها غاضبة من أختها، ولم تعد تفكر فيها على مادرجت عليه من قبل. وعندما كان لدى أختها الكبرى ما تقوله للمستشار أو رد يتعين أن تتلقاه، فإنها كانت تصر على أن تقوم إحدى الوصيفات بنقل الرسالة، وكن يتساءلن في تعاسة إلى أين ينتهي الأمر كله.

جعل المستشار معالي وزير الحرب ينطلق راكباً إلى الدار تحت جنح الظلام، ثم استدعى بن. وأوضح لها: «هناك كلمة فحسب يتعين أن أتبادلها مع سعادة الأميرة الكبرى، فأنا لا أزال شديد الخجل لأنها بدا أنها لاترغب في أن تكون لها صلة بي، ولكنني لابد لي من الحديث معها. فهل لك في أن تصحبيني إليها على نحو ما فعلت من قبل بعد قليل؟». كان حديثه مفعماً بالبراءة، فحدَّثت بن نفسها قائلة:إحداهما أو الأخرى إذاً، الأمر كله سيان! ومضت إلى سيدتها.

قالت سعادة الأميرة الكبرى لنفسها، عندما سمعت العجوز: هاك! لقد تحولت عواطفه! داخلها السرور والاطمئنان، فاستقبلته بعد أن قامت بإحكام إغلاق كل الأبواب المنزلقة المفضية إلى الجناح، باستثناء الباب الذي سيدخل منه.

استهَّل حديثه بالقول: «لديَّ شيء أريد أن أحدثك به، وأتمنى كثيراً ألا أحتاج إلى الحديث بصوت مرتفع للغاية فيسمعني الآخرون! أرجو أن تفتحي الباب قليلاً فأنا أشعر بارتباك كبير».

---

(1) دارة يوجيري، على الجانب الآخر من النهر.

ردت قائلة وقد تركت الباب موصداً: «إنني على يقين من أنني سأسمعك جيداً». وحدَّثت نفسها: أحسب أنه يشعر بأنه يتعين عليه على الأقل تقديري، الآن وقد انتقلت عواطفه حقاً إليها. وبالإضافة إلى ذلك فإن الأمر ليس قوامه أنني لم أقابله من قبل قط أو أنني أتعمد في فظاظة ترك الليل ينقضي فيما هو ينتظر ردودي. وكانت قد تقدمت للأمام كثيراً إلى حد أنه أمسك بكمها من خلال شق بين الأبواب المنزلقة، وراح يجتذبه، صاباً في سمعها لوماً مريراً. آه، لا! ما الذي دفعني إلى الإصغاء إليه؟ على الرغم من أن الحيرة والأسف قد استبدا بها، إلا أنها ألحت بصورة ودودة في غمار محاولتها لإقناعه بالنظر إلى أختها على أنها هي نفسها، وتحويل اهتمامه إليها.

في غضون ذلك، مضى معالي وزير الحرب، وفق التعليمات الموجهة له، إلى الباب الذي كان المستشار قد مرَّ منه في تلك الليلة الأخرى، وأصدر حفيفاً بمروحته، فأقبلت بن، ومضت به إلى الداخل، وابتسم وهو يعتقد أنها كانت قد قامت بالشيء نفسه أكثر من مرة في السابق[1]. ولم تعرف الأميرة الكبرى، التي كانت لاتزال مصرة على إعادة توجيه مشاعر زائرها بعيداً عنها، شيئاً عن قدومه. وأدرك المستشار الذي تأثر، وبدا له الأمر طريفاً، أنه لن يكون لديه ما يدافع به عن نفسه، إذا قُدِّر لها أن تلومه على عدم تلميحه لها بشيء عن هذه المؤامرة. ومن هنا فقد اعترف قائلاً: «لقد أصر معالي وزير الحرب على القدوم معي، ولم أستطع رفضاً. وهو موجود هنا الآن، وقد دلف إلى الداخل من دون أن يحدث صوتاً. وأتصور أنه قد أقنع تلك العجوز العنيدة بمساعدته. وقد تركني أبدو كما لو كنت أحمق يتصرف بطريقة خرقاء».

انعقد لسان سعادة الأميرة الكبرى. قالت: «حسناً، لم أتوقع لحظة واحدة أي شيء بالغ الغرابة على هذا النحو من جانبك. وأنت حر الآن في ازدرائي على هفوة أفصحت عن المدى الكامل لبراءتي الجديرة بالاستنكار».

«ياللحسرة، لقد فات الأوان الآن، الطميني أو اخمشي وجهي إن أحببت، إذا لم تكف اعتذاراتي المتكررة. يبدو أنك تطلعت عالياً إلى من هو أرفع مكانة مني، ومع ذلك فإن القدر الذي تحدده الكارما يبدو أنه لايتفق أبداً مع رغبات المرء، وقد تبين أنه يفكر في

---

(1) من أجل كاورو.

أخرى، وهو أمر تستحقين تعاطفي معك حياله، على الرغم أنني أنا من يجد نفسه في موضع أسوأ ويشعر بخيبة الأمل على نحو أشد مرارة. وربما تسلمين نفسك كذلك إلى ما لا فرار منه. وما من أحد سيعتقد حقاً أنك وأنا لا تشوبنا شائبة، أياً كان النحو الذي يثير الإعجاب الذي يحميك به هذا الباب المنزلق. هل تحسبين أن السيد النبيل الذي طلب مني إحضاره إلى هنا قد تصور أننا كلينا نمضي الليل بأسره على هذا النحو، بلا شيء إلا العذاب في فؤادينا؟».

عملت جاهدة على تهدئته، على الرغم من حنقها الذي لا سبيل إلى الإعراب عنه، لأنه بدا متأهباً للقيام في أي لحظة بتحطيم الباب المنزلق. «إن القدر الذي أسعدك أن تأتي على ذكره هو شيء لا يستطيع أحد رؤيته، وليست لديَّ فكرة عما عساه أن يكون، وكل ما أشعر به هو دموع الجهل بما ينتظرني[1]، والذي يلفني كالسديم. والتفكير فيما قد تقوم به لاحقاً يثير انزعاجي مثلما كابوس، وإذا ما قدر للناس في أزمنة مقبلة أن يواصلوا الحديث عن هذا كله، فإنني لا أشك في أنهم سيوردون هذه القصة باعتبارها مثالاً للكيفية التي يمكن أن يكون بها المرء موضع هزء وسخرية. ما الذي ستعتقد أن معالي وزير الحرب سيظنه فيما يتعلق بتدبيرك بأسره؟ أرجو، لطفاً، ألا تضيف المزيد من ألوان البؤس إلى ما أهلته عليَّ بالفعل. وإذا قُدِّر لي البقاء على قيد الحياة بعد هذا، وهو ما لا أرجوه، فقد أحدِّثك مجدداً بعد أن أسترد ما يشبه الهدوء، فإنني أشعر بأن ظلاماً يغشاني، وضعفاً شديداً يعتريني، ولابد لي من أن أرتاح، فدعني وشأني!».

كان انزعاجها بالغاً إلى حد أنه أحس بالخجل والجاذبية معاً، عندما أدرك رغماً عنه عدالة شكواها. قال: «آه، يا عزيزتي، إن احترام رغباتك على نحو ما كان ليقوم أحد به هو على وجه الدقة ما جعل مني مثل هذا الأحمق! ليس لديَّ رد إذ إنك تجدينني شخصاً كريها وبغيضاً على نحو يستعصي علي التعبير عنه. وأنا أعرف الآن بوضوح بالغ أن الدنيا لن يطول عهدها بي عما قريب». وواصل الحديث: «حسناً للغاية، لسوف أحدِّثك بهذه الطريقة عن مبعدة. أرجو ألا تتركيني!». ترك كمها، وانزلقت نحو الغرفة الداخلية. وعلى

---

(1) جوسينشو 1333، من نظم مياموتو نو واتارو، لدى مغادرته مقاطعته للعودة إلى المدينة: «المحزن للغاية في دموع الجهل بالآتي هو أنها تواصل الانهمار أمام عيني المرء».

الرغـم مـن ذلك فقد تأثـر بعمق بالـغ. وراح يطمئنها: «إلـى أن يبزغ الفجر، سـيريحني أن تكونـي قريبـة مني بهذا القـدر. وأعدك ألا أفعل شـيئاً آخر!». جافاه النـوم، ومضى يصغي مسـهداً، فيما هدير النهر يـزداد ارتفاعاً. وتركته رياح منتصف الليل شـاعراً بأنه طائر تدرج وحيد[1]، فيما الليل يرخي سدوله.

أقبل الفجر، وجاء معه قرع أجراس المعبد. وبدا أن معالي وزير الحرب يواصل رقاده، ذلك أنه لم يبد له أثر، وتنحنح المستشار الذي استبد به الضيق. نعم، كان الأمر غريباً.

«أنا الذي أحضره إلى هنا هل ينبغي الآن أن أصبح من يضل طريقه

في غبش الفجر على طريق كان حرياً بي تجنبه؟[2]

هل حدث مثل هذا من قبل؟».

ردت بصوت خفيض:

«فكِّر في من أثقل الهم فؤادها وغمرها الظلام

على الطريق الذي لابد لك من ارتياده بفعل ما جنيته أنت».

لم يسـتطع احتمال الأمر، فمضى يشـكو ممروراً: «هل ينبغـي أن تفعلي ذلك بي؟ إنك تبقيـن نفسـك بعيدة على نحو مسـتحيل. هذا كثيـر، كثير حقاً!». وفي غضـون ذلك مضى النهـار يقبل، وتناهى إليهمـا صوت معالي وزير الحرب وهو يغادر من حيث أقبل البارحة. ونشـرت حركاته الرقيقة المختلسـة العطر الـذي كان قد عطَّر به على نحـو جميل ثيابه في توقع أثير لما سيحدث. واستبدت الحيرة بالوصيفات العجائز كلهن، إذ لم يستطعن إدراك كيفية إمكان حدوث ذلك، ولكنهن شعرن بالاطمئنان لدى التفكير في أن سعادة المستشار ما كان ليقصد إلحاق الضرر أبداً.

سـارعا كلاهما عائديـن إلى المدينة، فيما الظـلام لا يزال مخيماً. وبـدت رحلة العودة طويلـة للغايـة حقاً، وبصفة خاصة بالنسـبة لمعالي وزيـر الحرب، الذي أحزنـه من البداية

---

(1) يُقال إن أنثى التدرج وذكرها يقضيان الليل على منحدرين منفصلين.

(2) شويشو 736، من نظم ميناموتو نو شيتاجو «لدى العودة في الظلام من رفقة سيدة»: «ضائعاً وسط ظلال الفجر، فإن فؤادي الذي يهواك لن يغادرك أبداً».

أنـه لايسـتطيع بحـال الذهـاب إلى هناك حينمـا يرغب في ذلـك، والذي بدا أنـه يعاني من فكـرة افتقاد ليلـة واحدة[1]. ووصلا في الصباح الباكر قبـل أن ينهض الناس وينصرفوا إلى مشـاغلهم. وأمـر معالي وزيـر الحرب بجـر العربة وصولاً إلى الشـرفة الخارجيـة[2]. قبل الترجل منها. وضحك السـيدان النبيلان كلاهمـا لدى التفكير في كيفية دخولهما على هذا النحـو الغريب فيما بدا أنها عربة امرأة[3]. أشـار المستشـار: «إننـي أدرك أنك حريص على مواصلـة اهتماماتك». ولـم يقل شـيئاً عـن محنته الخاصة، ذلك أنه كان لا يـزال نادماً على الدور الأحمق الذي لعبه كدليل. وسارع معالي وزير الحرب إلى إرسال رسالته.

كانـت الأختـان هناك فـي القرية الجبلية متضايقتين أشـد الضيق إلى حـد أنهما لم يكن بمقدورهمـا تصديـق أن الأمر وقع حقاً. وأصبحت الأخـت الصغرى الآن تمقت الكبرى. وحدَّثت نفسـها: إنها لـم تلمح أدنى تلميح إلى ما كانت تخطط له، ولـم تنظر في عينيها. أما الكبـرى، التي لـم تسـتطع إقناعها بأنها لـم يكن لها علـم بالأمر على الإطلاق، فقد تعاطفت معهـا كلية. ما الذي يمكـن أن يكون قد وقع؟ هكذا تسـاءلت الوصيفات. وواصلن مراقبة سـيدتيهما بحثـاً عمـا يوضح الموقف، ولكن مـن تطلعن إليها أكثر من أختهـا بدت كما لو كانت مصابة بالدوار، ولـم يدركن من جلية الأمر شيئاً.

فضت الأميرة الكبرى رسالة معالي وزير الحرب، وأطلعت أختها عليها، ولكنها رفضت النهوض على الإطلاق. وبدا للمبعوث سيء الطالع أن الأمر يستغرق وقتاً طويلاً حقاً.

«هل أحبك مثلما قد يهواك أي إنسان؟ أنظري كيف أنني عبر الضباب الكثيف

جئت للعثور عليك عبر نفايات سبخات الساسا[4]».

تميَّز خطه الذي يعكس دربة متألقة بجاذبية فائقة، كانت سعادة الأميرة الكبرى قد وجدتها داعية تماماً للسرور في وقت من الأوقات، ولكنها الآن ضايقتها وأثارت قلقها، فأحجمت

(1) كوكين روكوجو 2749: «الآن وقد اقتسمت مع زوجتي الجديدة وسادة واحدة، هل سأفتقد ليلة واحدة معها فيما أحبها حباً جماً؟».

(2) المجاور للبوابة الوسطى لمسكن نيثو.

(3) لأنهما أسدلا ستائر العربة الحاجبة.

(4) كلمة عامة تُطلق على أنواع عديدة من النباتات التي تكسو الأرض والمرتبطة بالخيزران. الساسا مألوفة للغاية في اليابان.

عن أن تأخذ على كاهلها نظم الرد. وبدلاً من ذلك، أبلغت أختها في جدية بما يتعين عليها أن تكتبه، وتأكدت في صرامة من أنها قد قامت بذلك بالفعل. وأهدت المبعوث ثوباً ضافياً مبطناً مزخرفاً بزهرة النجمية، وسروالاً ثلاثي البطانة[1]، وبما أن الهدية بدا أنها قد أحرجته فقـد لفتهـا، وجعلت أحد الآخرين يحملها معه[2]. ولـم يكن هناك ما يبدو مؤثراً فيما يتعلق به، فقد كان التابع الخصوصي الذي يرسله معالي وزير الحرب عادة.

وقد سـمع معاليه، الذي كان يرغب في تجنب تسـرب سـره إلى أي شـخص، بمكافأة المبعـوث بمزيد من الضيق، وافترض أن الأمر له صلة بتلك العجوز الفضولية التي أدخلته الدار البارحة.

أراد معاليه أن يكون مرشـده معه ذلك المسـاء أيضاً، ولكن المستشـار رفض، وأوضح قائـلًا: «لقد اسـتدعاني نيافة رايزي للقيـام على خدمته». وبقي حيث هـو، وأثار هذا ضيق معاليه، فحدَّث نفسه قائلاً: هاهو ذا مجدداً يعامل هذه الدنيا وكأنها لا أهمية لها!

مضت سـعادة الأميرة الكبرى تؤكِّد لنفسـها في استسـلام:ما من سـبيل لدفع الأمر عنا. وليس هذا ما أردناه، لكن ذلك لا يخولنا تجاهله. لـم تكن دارهما بالدار التي تسـلم نفسـها للتجميـل، ولكنهمـا فعلتا ما في وسـعها لجعلها داراً جميلة، تأهبـاً لوصوله. وكانت أمامه مسـافة طويلة يتعين عليه أن يقطعها، وأدهشـها أن تجد نفسـها مسـرورة لتعجله الأمر على هذا النحو.

لـم تكن الأميرة الصغرى، التي يعنيها الأمر، في حالة تسمح لها بالقيام بما يتجاوز ارتداء ثيابهـا، وكان كـم ثوبها الأحمر الوردي القاتم غارقاً في الدمـوع، إلى درجة أنه حتى أختها الكبرى شـرعت في البكاء. قالت: «إنني أشـك في أنني سـأكون معك أكثر من هذا، وبينما ينصـب خوفـي عليك ليلاً ونهـاراً، فإن تلك النسـوة يواصلن الهمس في أذنـي بأن حالتك الجديـدة سـتكون للأفضل، وأنـا أتوقع أن يكن علـى صواب في نهاية المطاف، فلا شـك في أنهن قد عشـن طويلاً بما يكفي لمعرفة جلية الأمور. وحتى أنا التي لاتتميز بالكثير من رجاحـة العقل لـم أتصور من قبل قط أن بمقدوري الإصرار علـى بقائك على ما أنت عليه

(1) مكافأة الرسول متميزة على نحو خاص، بما يتفق مع الطابع الرائع للمناسبة.

(2) عادة ما توضع الملابس على كتفيه، ويعرضها متباهياً بها.

دوماً. ولكنني بالتأكيد لم يخطر ببالي أنك قد تعانين في أي لحظة كما تعانين الآن، وهي صدمة مثيرة للقلق للغاية. وأحسب أن هذا لابد أن يكون ما يحبون تسميته بالمصير. وكما تعرفين فإن الأمر صعب للغاية. وعندما تشعرين بأنك أفضل حالاً قليلاً، فسوف أجعلك تدركين أنني لم أعرف شيئاً عن هذا الأمر. أرجوك، أرجوك، ألا تكرهيني! سيكون ذلك بمثابة كارما سيئ بالنسبة لك!» مضت تمسد شعر أختها وتمشطه. وراحت أختها، التي لم تحر رداً، تفكر على الرغم من ذلك في أن ما سمعته لم يشر إلا إلى رغبة في تجنيبها الأسى والضر. راحت تحدِّث نفسها: ياللحسرة، إن السخرية والازدراء اللذين أواجههما الآن يعنيان البؤس بالنسبة لها، وفي غضون ذلك فسوف أجعلها تعتني بي!

استمد معالي وزير الحرب سروراً خاصاً من الاستياء نفسه الذي أثارته براءتها فيها، وما من حاجة تدعو للقول إنه أحبها أكثر من ذي قبل بدرجة أكبر إلى حد ما من العذوبة الأنثوية. وإذ انزعج إلى درجة الألم حيال أن هذه الدروب الجبلية التي لا نهاية لها تضعها بعيداً عن المنال تقريباً، فقد أكد لها شعور عميق أنها ستظل على الدوام موضع إخلاصه، ولكنها لم تفهم شيئاً من هذا كله. ومن شأن فتاة، أياً كان مدى الحرص الذي تتم حمايتها به، أن تشعر بصورة معتدلة بالخجل أو الخوف إذا كانت في أجواء تضم أناساً ممن تعرفهم عادة ولها أبوان وإخوة يمكن أن تتعلم منهم ما يبدو الرجال عليه، ولكن على الرغم من أن الأميرة الأصغر لم تحظر عليها قط صحبة الآخرين، فإنها عاشت على الدوام بعيداً وسط التلال، وجعلت العزلة والأجواء المحافظة هذا الحضور الجديد وغير المنشود في حياتها مخيفاً للغاية حقاً. وقد كانت تعرف أنها لا يمكن إلا أن تكون ريفية صعبة المراس من كل الوجوه، وخذلتها شجاعتها عند كل محاولة للنطق بأبسط الردود. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هي السيدة التي أوحى أسلوبها بالذكاء والألمعية الأكثر توهجاً بالحياة.

«في الليلة الثالثة ينبغي أن يحصل الناس على كعكات الأرز». هكذا ذكَّرت الوصيفات سعادة الأميرة الكبرى، التي تبين لها عندئذ أن هذه الكعكات ينبغي إعدادها لهذه المناسبة. ولم تكن تعرف أي أوامر يتعين إصدارها، فيما العمل مستمر أمامها، وكانت الطريقة التي احمرَّت بها خجلاً بفعل الإحراج حيال مرآها وهي توجه الأمور في جلال شديدة الجاذبية تماماً. ومنحها كونها الكبرى مكانة أعظم، ولكنها كانت مولعة حقاً بأختها ولطيفة للغاية.

وصلت رسالة من المستشار: «كان حرياً بي الحضور البارحة، لولا الشجن حيال أن إخلاصي يمضي بلا مكافأة. وأنا أعرف أنني قد أجعل نفسي مفيداً الليلة، ولكن واجب الحراسة المخجل ذاك تركني شاعراً بأنني لست على مايرام، وفي النهاية لم أستطع حسم رأيي فيما يتعلق بذلك». وقد كُتبت الرسالة بطابع رسمي دقيق على ورق ميتشكيوني، ووصلت في حرص مصحوبة بقماش للمناسبة لم تتم خياطته وبألوان عديدة في عدة خزائن بعث بها إلى بن وكتب عليها «من أجل النسوة». وقد كان هذا القماش هو المتوافر في خزانة سمو الأميرة المترهبنة، ولم يبد أنه قد أفلح في جمع الكثير منه، فقد أُخفيت في الأسفل أثواب من الدمقس والحرير السادة، بينما في الأعلى، وفيما يبدو للأختين، كانت هناك مجموعتان جميلتان للغاية من الأثواب. ووجدت على كم أحد القمصان بخط دقيق:

«ربما تحتاجين منامات. لاحقاً، لا يمكنني القول إننا اقتسمناها،

لكني قد أطلب منك على الأقل احتمال هذا العتاب مني».

بالنسبة لها فقد كثَّف هذا من الشعور بالعار لهما كليهما، والذي زال الغموض عنه، وكافحت من أجل كلمات ترد بها، وفي غضون ذلك مضى أحد المبعوثين يركض واختفى عن العيان. فاحتجزت خادماً بائساً لتعطيه ردها:

«في قرارة قلبينا قد نكون من التوحد بحيث لايفصلنا شيء

ولكنني لن أحتمل منك أي تلميح بارتباطنا».

كان جهداً عادياً للغاية، بفعل ضيقها والخواطر التي أزعجتها أشد الإزعاج، ولكنه هو الذي تلقى الرسالة أخيراً سُر إلى حد التأثر بأنها قد عبرت عن مشاعرها بوضوح.

كان معالي وزير الحرب قد مضى إلى القصر، واستبد به في تلك الليلة الشعور باليأس إذ لم ير فرصة للانصراف. «ها أنت ذا، لاتزال على عزوبيتك». قالتها جلالة الامبراطورة في معرض تقريعه، وقد كرهت أنه يقيم في داره في غالب الأحوال. وأضافت: «وأنا أدرك أن الجميع يتحدث عن توددك للنساء. والمرء لا يمكنه الموافقة على ذلك. وستحسن صنعاً بعدم الإصرار على التصرف على هواك. وجلالة الامبراطور يشعر بالقلق عليك

كذلك». استبد الضيق به، فانسحب إلى مقره في القصر، حيث كتب رسالة، وبعث بها.

كان لا يزال غارقاً في الكآبة عندما وصل المستشار، فاستقبله بسرور يفوق المألوف، إذ حدَّث نفسه بأنه ها هنا حليف على الأقل. قال معرباً عن شكواه: «ماذا عساي أفعل؟ يبدو لي أن الظلام يوشك على الحلول، ولم يعد في قوس صبري منزع».

قرَّر المستشار أن يتبين حقيقة مشاعره، فقال: «مرت أيام منذ حضورك إلى القصر، وأنا أتوقع أن جلالة الامبراطورة سيزداد ضيقها منك إذا لم تبق وبادرت إلى الابتعاد مجدداً. وقد كنت في غرفة جلوس الوصيفات، وسمعت ما قالته. ولا أكتمك أنني شحبت حيال تصور أن الخدمة المفعمة بالمتاعب التي قدمتها لك سوف تجلب عليَّ تقريع جلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة الذي لا أستحقه».

رد معالي وزير الحرب قائلًا: «كنت أوثر ألا أسمع ما لديها لتقوله حول هذا الأمر! وأحسب أنه لابد أن أحدهم ينشر الشائعات. ما الذي فعلته لأستحق هذا النوع من اللوم؟ أقول لك إنني بمقدوري الاستغناء عن كوني رجلًا يتعين عليه الحرص في تصرفاته بهذه الطريقة!». بدا أنه قد كره الأمر حقاً.

أشفق عليه المستشار، فقال: «يبدو أنك تواجه المتاعب على أي وجه. وبالنسبة لليلة إذاً دعني أتحمل اللوم وأخاطر بسمعتي. ماذا عن الركوب عبر تلال كوهاتا؟[1] إنني أتوقع أن ذلك سيطلق المزيد من التقول[2] ولكن لا عليك!».

بحلول ذلك الوقت، كان الظلام قد أرخى سدوله، ولم يستطع معالي وزير الحرب التفكير في أي شيء آخر يقوم به. فانطلق على صهوة جواد. أبلغه المستشار بقوله: «من سوء الطالع أنني ليس بمقدوري مصاحبتك. ولكنني سأقوم بما أستطيعه من أجلك هنا». ومن هنا فقد كان هو الذي بقي في الخدمة في القصر.

مضى ليكون في خدمة جلالة الامبراطورة. فقالت له: «سمعت أن معالي وزير الحرب قد انصرف، وهو صعب المراس للغاية! ما الذي سيعتقده الناس؟ الأمر مربك بالنسبة لي

(1) مانيوشو 2429 أو شويشو 1243 (صيغة لاحقة): «من أجل هواك عبرت سيراً تلال كوهاتا في ياماشينا، على الرغم من أن لدي جواداً».

(2) لا ينبغي لنيئو أن يركب جواداً، فمكانته تقتضي أن يرتحل مستخدماً عربة.

عندما يسمع جلالة الامبراطور بهذا النوع من الأمور لأنه يلومني لعدم كوني صارمة بما فيه الكفاية معه».

وعلى الرغم من كل أبنائها الكبار، فإن طبيعة حضورها أشارت إلى شباب مبهج بصورة متزايدة. وراح يحدِّث نفسه بأن الأميرة الأولى لابد أنها تشبهها إلى حد كبير، وتاق إلى سماع صوتها بعض الوقت على الأقل عن هذا القرب. إن هذه النوعية من اليسر في التعامل بين الناس هي ما يدفع المتودد إلى النساء إلى الشروع في التفكير في خواطره المحظورة، فيما أحسب، عندما تكون هي قريبة ومألوفة للغاية ومع ذلك لا سبيل إلى الوصول إليها. هل يمكن لأي فؤاد في الدنيا أن يكون في خصوصية فؤادي؟ ومع ذلك فإنه ما إن تؤثر فيه إحداهن حتى أصبح ملكاً لها للأبد. وكانت كل وصيفة من الوصيفات اللواتي التحقن بخدمة جلالة الامبراطورة لها ما يميزها في المظهر أو الذكاء، وكان البعض منهن لافتات للنظر كثيراً حقاً، ولكنه كان قد عقد العزم على ألا يدع إحداهن تزعجه، وتصرف بصورة سليمة تماماً معهن جميعاً. وأغوته وصيفة معينة منهن عامدة. وكانت جلالة الامبراطورة قد كرّست مناخاً من الهدوء والكرامة الشديدين للغاية إلى حدّ أن السكينة سادت على السطح، ولكن الناس جميعاً مختلفون، وقد ظلت منهن من تفصح عن ميول عاطفية. وهو قد تأثر حيناً وسعد حيناً آخر، وأخذ الأمر كله على أنه برهان على أن الدنيا فانية.

كان الليل في أوجي يدخل مراحله المتقدمة، وعلى الرغم من تأكيدات المستشار الجازمة فإن معالي وزير الحرب لم يكن قد وصل بعد. وبدلاً من ذلك وصلت رسالة منه. حدَّثت سعادة الأميرة الكبرى نفسها قائلة: كنت أعرف ذلك! ومضت تلعق جرحها المرير عندما أقبل في نهاية المطاف، قرب منتصف الليل، كأنما كان يسابق الريح الضارية، وقد بدا صورة مجسدة للرشاقة المعطرة على نحو عذب. كيف أمكن ألا تحسن الظن به؟ ومن المؤكد أنه حتى العروس قد أدركت أن الأوان قد آن للين قناتها قليلاً. لاحت جميلة للغاية، وبدت له وقد ارتدت ملابسها على نحو لاتشوبه شائبة أنها لانظير لها. تألقت الابتسامات العريضة على شفاه الوصيفات العجائز الريفيات لإدراكهن أنها أدخلت السرور حتى على ناظريه، هو الذي عرف الكثير من السيدات العظيمات، وأنها في المظهر كما في كل جوانب شخصها اجتذبته كثيراً على نحو أكبر في الحميمية. وهتفت إحداهن

بالأخرى، وهن يقرقن كالدجاجات مشيرات إلى عدم إقرارهن بالعناد الغريب من جانب سيدتهن الكبرى: «أي عار كان سيحل لرؤية شابة رائعة للغاية كهذه تمضي إلى شخص لا أهمية له على الإطلاق! إنه كامل الأوصاف بالنسبة لها!».

تطلعت سعادة الأميرة الكبرى إليهن بلا استغراق، وهن مسنات وذاويات، في كل الملابس ذات الألوان المشرقة اللواتي كن قد أعددنها وارتدينها الآن على نحو لا يوحي بالرشاقة. وراحت تحدِّث نفسها: سرعان ما تصبح أفضل سنوات عمري ورائي، وأنا أرى نفسي في المرآة أذوي. لابد أن هاته العجائز لم يخطر ببالهن قط أن مظهرهن قبيح. وشعرهن آخذ في النحول في مؤخرة الرأس، ولكن ذلك لا شيء بالنسبة لهن، فهن يرجلن خصلاتهن الأمامية بدلاً من ذلك، ويضعن الكثير من المساحيق. إنني لست بهذه الدرجة من السوء بعد، ولكن ربما أنني أتصور فحسب أن عيني وأنفي لا بأس بها. دارت هذه الأفكار المفعمة بالقلق في ذهنها بينما هي راقدة متطلعة إلى الحديقة. وتركتها فكرة أنها قد تكون مع شخص رائع على هذا النحو المزعج أكثر قلقاً، فقالت لنفسها: في غضون عام أو عامين سأكون قد تدهورت بصورة أكبر! انظري كم هو قليل ما بقى مني! رفعت يداً ناحلة وضعيفة بصورة مثيرة للإشفاق، وراحت تفكِّر مجدداً في أحزان الحياة.

فكرَّ معالي وزير الحرب في كيف أنه كان من الصعب الانصراف من القصر، وأدرك بانزعاج أن المجيء إلى هنا لن يكون أمر سهلاً أبداً، وأبلغ أميرته بما كانت جلالة الامبراطورة قد قالته. وقال: «في بعض الأحيان سأكون راغباً في الحضور، ولكني مع ذلك لن أكون قادراً على ذلك، ولكن لاينبغي أن تحزني، فما كنت لأجيء إلى هنا الليلة قاطعاً الطريق كله لو أنني كانت لديَّ أدنى فكرة عن إهمالك. لقد ألقيت الحذر إلى رحاب الرياح لأنني شعرت بالقلق حول أنك قد تتضايقين وتشكين في شعوري نحوك. وعلى الرغم من ذلك فإنني لن يكون بمقدوري على الدوام التصرف على هذا النحو، ولابد لي من القيام بالترتيبات المناسبة لنقلك إلى مكان أكثر قرباً». ولكن على الرغم من هذه التطمينات المتلهفة، فإن تنبؤه بأنه سيضطر للبقاء بعيداً في بعض الأحيان أفضى بها إلى الافتراض بأن ما كانت قد سمعته عنه كان صحيحاً، وملأتها محنتها بالحزن.

عندما بدأت السماء في الإشراق، فتح الباب المزدوج، ودعاها إلى القدوم والتطلع إلى

الخارج معه. كانت السُدم قد أضفت شجناً خاصاً على المشهد، واستجاب قلبه المتوقد بالعاطفة بالدهشة والابتهاج حيال هذا المسكن غير المألوف، والذي منه يُطل المرء كما هي الحال دوماً على موجات بيضاء في أعقاب المرور المعتم لقوارب مثقلة بخشب الحريق. وعلى ضوء الألق المنتشر من حافة الجبال رأى الآن كم هي جميلة حقاً. ربما كانت أغلى أميرة في البلاد، على الرغم من أنه لم يشك وهو غير الموضوعي بطبيعته في أن أخته بدورها شديدة الجاذبية، وكان التوق إلى تأمل جمالها على راحته بصورة أكبر أكثر مما يطيق احتماله تقريباً. امتد أمام ناظريه المشهد الكامل لجسر أوجي العتيق، مع هدير النهر القريب الموحي بالنذير، وكشف السديم الآخذ في الانحسار شيئاً فشيئاً عن المزيد من امتداد الضفاف البرية. غمغم والدموع في عينيه:كيف يمكن أن تكوني قد أقمت طويلاً هكذا في مثل هذا المكان؟ فساورها الشعور بالخجل الشديد.

وعدها، وكله بهاء وتألق، بأن يكون فؤاده ملكها ليس في هذه الحياة وحدها وإنما في كل حيواتهما المقبلة، وعلى الرغم من الطابع الفجائي لما حدث، فإنها قد وجدت أنها تفضله بالفعل على المستشار الجاد على نحو مزعج، والذي عرفته بصورة أفضل كثيراً. وقد ظل ذلك السيد النبيل متمالكاً لنفسه بصورة غير عادية، إذ كانت عواطفه منصرفة إلى موضع آخر، وقد جعله هذا شريك حديث مثير للارتباك، بينما بعد تخيل معالي وزير الحرب برهبة أعظم كثيراً بحيث أحجمت عن الرد على بيت واحد من الشعر منه، فإنها الآن تجد نفسها متوقعة أن تفتقده إذا غاب وقتاً أطول مما ينبغي، ولم تستطع مغالبة عدم الملاءمة من جانبها.

مضى رجال معاليه يتنحنحون بصوت عال لإيقاظه، وحرص أشد الحرص على العودة إلى المدينة قبل أن يطبق عليه ضوء النهار. ومراراً راح يطمئنها فيما يتعلق بالليالي التي سيتعين عليه أن يقضيها بعيداً عنه رغما عن إرادته.

«لن يخذلني الباع الذي يوصلني لك، ياعذراء الجسر النبيلة،

رغم أن الدموع ستبلل كميك الوحيدين عبر ليال طويلة»[1].

---

(1) كوكينشو 689: «هل ستمد الليلة مجدداً أكماماً وحيدة على حصيرتها الضيقة وتنتظر قدومي عذراء جسر أوجي؟».

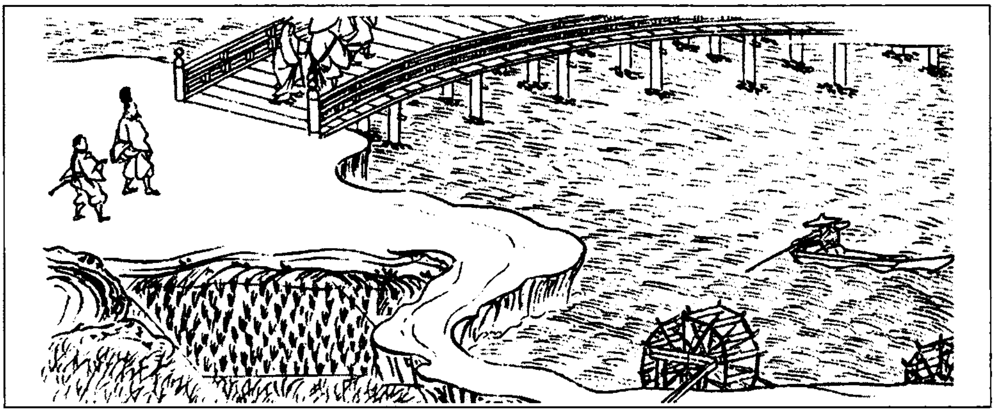
قالها، راجعاً ليبقى معها عندما وجد أنه ليس بوسعه الرحيل بعد.

«ألابد لي من الانتظار واثقة دوماً بوعدك بأن الباع سيدوم

بينما جسر نهر أوجي البعيد يفرقنا؟»[1]

لم تقل المزيد، لكن الحزن في طريقة حديثها أثَّر فيه على نحو لا سبيل إلى احتماله.

مضت ترقبه وهو يرحل في سنا الفجر، هيئة تؤثر في فؤاد أي شابة، واستدعى العطر الذي بقي معها الكثير من المؤثرات المحتجبة. نعم، الآن عرفت جلية الأمر على وجه الدقة! كان الفجر منيراً بما فيه الكفاية ليكشف الأشياء بوضوح، واختلست الوصيفات النظر إليه كذلك. وقلن: «المستشار لطيف للغاية، ولكن هناك شيئاً فيه لا سبيل إلى الدنو منه. ربما كان ذلك مجرد معرفة أن معاليه أعلى مرتبة منه، ولكنه يتميز بشيء خاص حقاً».



جسر أوجي

واصل طوال الطريق تذكر جوها العذب المفعم بالشجن، إلى أن هدد التوق للعودة بتعريض مكانته للخطر، ولكنه كان يعود سراً بحيث لا يتيح للأقاويل الانطلاق، ولو أنه فعل ذلك لما كان بوسعه الهروب من الرصد. وقد كتب إليها كل يوم على الأقل. وبدا لسعادة الأميرة الكبرى أنه متلهف حقاً، ولكن يوماً إثر الآخر انقضى من دون أن يجيء، وهي التي كانت قد قررت ألا تجتذب مثل هذا البؤس أصبحت تشفق على أختها أكثر مما

(1) الجسر الممتد عبر نهر أوجي، والذي شيد لأول مرة عام 646، اشتهر بطوله البالغ (160 ياردة تقريباً).

تشـفق على نفسها، وذلك على الرغم من أنها تظاهرت برباطة الجأش حتى لا تغرق أختها فـي المزيد من الكآبة. وفي غضون ذلك شـدَّدت من عزمهـا على ألا تضيف ذلك البتة إلى أحزانها.

كان المستشـار يعرف جيداً كيف أنهما تتوقان إلى قدوم معالي وزير الحرب، وسـاوره الشـعور بخطئـه في الأمر. وبينما أهاب بمعاليه التحرك، فقد سـعى على الـدوام إلى قراءة مشـاعره من خلال محياه، وقد بدا حزيناً للغاية تماماً إلى حد أن المستشـار أحس بالرضا، على الأقل، عن نواياه.

أقبل اليوم العاشـر من الشـهر التاسـع، وعنت على البال في يسـر كآبة السبخة والجبل. وعند الغسق ذات يوم، وفيما المطر البارد يهدد بالانهمار، والسماء تبدو كلها سحابة ثقيلة منذرة بالخطر، سـقط معاليه ضحية ليأس متزايد، فهو في النهاية لم يسـتطع أن يحسـم رأيه فيما يتعلق بما ينبغي القيام به[1]. وعندئذ وصل المستشـار، مخمناً المناخ النفسـي لمعاليه. وقـال مسـتحثاً إيـاه: «كيف هو الأمر بالنسـبة لهم في فـورو، في تلك القريـة الجبلية؟»[2]. بدوره دعاه معاليه بسرور بالغ للقدوم، وكما في السابق انطلقا معاً في عربة واحدة.

كلما أوغلا في المسـير ازدادت سـهولة تصورهمـا للكآبة التي لابد أنها تسـود المكان الذي يمضيان إليه. ولـم يتحدثا عن شيء آخر طوال الطريق إلى هناك. ومبتلين بفعل المطر البارد المتسـاقط عبر شـجن الغسـق راحـا يضوعان في المشـهد الطبيعـي الكئيب لأواخر الخريف، وهما يشـقان طريقهما، عبقاً غاوياً على نحو يسـتعصي على الوصف لابد أنه قد أزعج الكثير من الأفئدة الريفية الجبلية.

تبددت تهامسات النسوة في الأيام الماضية جميعها، وعكفن غارقات في الابتسام على إعـداد غرفـة للترحيب بالأمير. وكـن قد ارتبطن بصـلات بعدد من البنـات وبنات الإخوة ومـن إليهن اللواتي انتقلن إلى أماكن جديرة بالاحترام في المدينة، وقمن بإعادتهن، والآن

(1) كوكينشو 509: «هل أنا الفلينة الطافية في صنارة صياد في بحر آيسي حتى لا أتمكن من الوصول إلى قرار؟».
(2) شينسينزايشو 599: «كيف هو بالنسبة لهم في فورو، في تلك القرية الجبلية، في الأمطار الأولى الباردة؟ يقيناً إنها حتى هي التي تحيا هناك قد ابتلت أكمامها». الإتيان على ذكر فورو، وهو موضع في التلال يقع بعيداً إلى الجنوب من أوجي، يتلاعب بكلمة فورو («السقوط»، الحديث عن المطر).

مضت هذه المخلوقات الحمقاوات، اللواتي ازدرين الدار طويلاً، يتعجبن من مثل هذا الزائر المدهش. وأدخل وصوله السرور على نفس سعادة الأمير الكبرى، ولكن ذلك الحضور الآخر المعذِّب معه أثار اضطرابها وضيقها، وذلك على الرغم من أنها أدركت عندما قارنتهما العمق والصبر النادرين اللذين جعلا المستشار مختلفاً كل الاختلاف عن الأمير.

تم إدخال معالي وزير الحرب والترفيه عنه بكل كرم الوفادة الذي يمكن أن يتيحه المكان، بينما مضى رفيقه، الذي عومل بصورة مريحة على نحو أقرب إلى جعله من أهل الدار، يضطرم غيظاً، على الرغم من ذلك حيال استقباله في غرفة بعيدة مناسبة لضيف[1]. وكانت سعادة الأميرة الكبرى، في نهاية المطاف، حساسة حيال استيائه، وتحدَّثت معه عبر الباب المنزلق، فمضى يشكو في مرارة: «ليس الأمر بالمزحة[2]. أهذا أفضل ما تعتزمين القيام به؟». وقد تفهمت الأمر، وتعاطفت معه، ولكن محنة أختها جعلتها تكتئب إلى حد كبير، ولم تستطع أن تخلص إلا إلى أن وضعيتها الجديدة محزنة للغاية. حدَّثت نفسها قائلة: «لا، لن استسلم لرغباته! إنني على يقين من أن الرجل الذي يعد فؤاده بالسعادة سيبدو عما قريب قاسياً بما فيه الكفاية، ولن أدع هذه الخلافات تنشب بيننا، إلى أن يقل تقدير كل منا للآخر. ومضى يستفسر عن الكيفية التي يتصرف بها معالي وزير الحرب، فقدمت له من التلميحات مايسمح له بتخمين الحقيقة. وأوضح بأسف كيف أن معاليه يهتم كثيراً وكيف أنه هو نفسه يتابعه عن كثب بصورة مستمرة.

بعد تجاذب أطراف الحديث بصورة أكثر دفئاً من المعتاد، خلصت إلى القول: «دعنا نتحدث مجدداً بعد أن تكون أسباب القلق الجديدة هذه قد انحسرت، ويكون السلام قد غمرني بصورة أكبر». لم تكن مقيمة معه ولا نائية عنه، ولكن الباب المنزلق كان موصداً بصورة محكمة. خلص إلى القول لنفسه: حسناً، لسوف يداخلها الفزع إذا حطمت الباب، وبالإضافة إلى ذلك فلابد أنها تفكِّر في شيء ما. وليس بمقدوري تصورها وهي تسلم نفسها في خفة لأي شخص آخر. وفي نهاية المطاف انتصر صبره على معاناته.

---

(1) ربما تم إدخال نيئو، باعتباره زوج ناكا نوكيمي، إلى الغرفة، بينما يضطرم كاورو غيظاً في الدهليز.

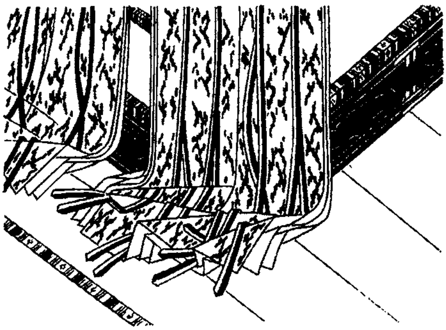
(2) كوكينشو 1025: «إنني أختبر نفسي لأتبين ما إذا كان بمقدوري احتماله، وغيابها يجعلني أفتقدها كثيراً، الأمر ليس بالمزحة على الإطلاق».

قال مصراً: «كل ما في الأمر أنني أحس بعدم الارتياح الشديد. وبوجود شيء كهذا بيننا فإنني لا يمكنني أن أقول كل ما أتوق إلى قوله، فدعيني أحدثك كما سبق لي أن حدثتك ذات مرة!».

«مظهري يحزنني أكثر من المعتاد، ولست أرغب في أن تجدني غير مقبولة المظهر. ما السر في ذلك؟ هذا هو ما أتساءل عنه». حسب أنه قد سمع ضحكة خافتة، والتي وجدها جذابة للغاية.

تساءل وسط الكثير من التنهدات: «ما الذي سأصبح عليه عندما أسمح لك بإعطائي الأمل؟». أقبل الفجر عليهما، كالعهد بهما، على نحو ما يقبل على طائري تدرج جبليين.

«إنني أحسد المستشار على شعوره فيما يبدو بأنه في داره، كما لو كان سيداً وآمرها هنا». قالها معالي وزير الحرب من دون أن يتصور قط أن صديقه ربما لا يزال يقضي لياليه وحيداً، فصدمت الأميرة الأصغر.


ستائر فراش مكلل بالستر

كان قد اضطر لخوض غمار مغامرة كبيرة للمجيء، وأحس بالأسف وخيبة الأمل البالغين لاضطراره للعودة سريعاً هكذا. وراحت الأختان، اللتان لم تتفهما ذلك، تتساءلان من جديد في استياء عما يتعين عليهما توقعه وعما إذا لم تكن الصغرى قد لقيت الاستهزاء فحسب. كانت محنتها محزنة ومفجعة حقاً. ولم يكن هناك أي مكان على الإطلاق في المدينة يمكنها أن تنتقل إليه وتبقى من دون اكتشاف أمرها. أما فيما يتعلق بروكوجو نفسه فقد كان معالي وزير الميمنة يشغل ربعه، وكان متلهفاً للغاية لتزويج ابنته السادسة من معالي وزير الحرب- وهو احتمال لم يسعد له هذا الأخير كثيراً- بحيث إنه لاشك في أنه سينظر إليها نظرة خالية من الترحيب. وقد درج على إدانة معاليه بلا رحمة باعتباره خليعاً، وأعرب عن مثل هذه الشكاوى حتى لجلالة الامبراطور والامبراطورة، ومن ثم فإنه كانت لديه كل الأسباب التي تدعوه للحذر حيال إحضار سيدة مجهولة تماماً. وكان من الممكن لقصة حب عادية أن تتم معالجتها

بصـورة أيسـر كثيـراً، ذلـك أن بطلتهـا كان يمكن أن تصبح إحـدى وصيفاته. غيـر أن تلك لـم تكـن الطريقة التي فكَّـر بها فيها، فعندمـا يحل العهـد الجديد وتمضي الأمور حسـبما يأمـل جلالة الامبراطـور والامبراطورة، فإنـه كان يعتزم رفعها إلى مرتبـة تفوق الأخريات جميعاً[1]، ولكن يا للحسـرة فإنه في الوقت الراهن لم يكن بوسـعه أن يفعل أي شـيء على الإطلاق على الرغم من التقدير الكبير الذي يكنه لها.

اعتزم المستشار استقبال الأميرة الكبرى بكل الحفاوة اللائقة بها في سانجو، لدى انتهاء العمل في هذا المكان. كم هو صحي أن الكثير من الأمور أسهل في إنجازها بالنسبة لرجل ينتمي إلى العامة! أحس بالأسـف الشـديد على معالي وزير الحرب، الذي على الرغم من عاطفته التعسة، لم يكن بمقدوره إلا التسلل إلى أوجي خلسة، الأمر الذي أحزنهما كليهما. وراح يحدِّث نفسه بأن دفقاً تعساً من اللوم قد يحدث إذا قُدِّر لكلمة أن تتسرب عن زيارات معاليـه السـرية لتصل إلى مسـامع الامبراطـورة، ولكن ذلك لن يلحـق الأذى بها، وإنه أمر سـيء، والحال على ما هي عليه، أن معاليه ليس بمقدوره أن يمضي حتى ليلة كاملة معها! لكـم أود أن أفعـل شـيئاً يحدث فارقاً حقاً بالنسـبة لهـا! وبتلك الروحية لم يحـاول جاهداً إخفاء الحقيقة.

خطـر ببالـه أنه إذا لـم يقم بالإشـراف على تغيير الملابس بالنسـبة للفصل الجديد[2] في أوجـي علـى النحـو اللائق، فإنه ما من أحد سـيقوم بذلـك، وهكذا فإنه بعـد أن أوضح في حرص لأمه أن الحاجة قائمة الآن لها في هذا الصدد، أرسل بستائر الفراش والأسكفة وما إلـى ذلك التي كان قد أمر بإعدادها اسـتعداداً للفراغ من تجهيز سـانجو وانتقال أميرته إلى هناك. وطلب من مرضعته وأخريات كذلك إعداد الملابس خصيصاً للنساء.

في الشهر العاشر، بدأ في التلميح لمعالي وزير الحرب بأن هذا الوقت مناسب لمشاهدة السد المستخدم لرفع مستوى الماء واقتراح القيام برحلة للتفرج على أوراق الخريف. وقد فضَّـل معاليـه الذهاب في هدوء بالغ مصحوبـاً بأتباعه المقربيـن وبالوصفاء الخصوصيين الذين يؤثرهم بعطفه بصفة خاصة، ولكنه كان أرفع مكانة من أن يتم الأمر على هذا النحو،

(1) يعتزم الامبراطور جعل نيئو ولياً للعهد عندما يرتقي ولي العهد الراهن (ابنه الأكبر) إلى سدة العرش.
(2) التغيير إلى الملابس والأغطية الشتوية في اليوم الأول من الشهر العاشر.

وتزايد الجمع إلى أن انضم إليه النقيب الاستشاري ونجل معالي وزير الميمنة[1]. وعلى الرغم من ذلك فقد كان المستشار هو النبيل الكبير الآخر الوحيد. وكان معظم الجمع من السادة المنتمين إلى العامة.

أبلغ المستشار الأخت الكبرى بالأمر بصورة كاملة. وكتب لها يقول: «خذي في الاعتبار أن معاليه سيحتاج بصورة طبيعية إلى قطع رحلته، فكل من جاء بصحبته في ربيع العام الماضي لرؤية البراعم سينتهز فرصة المطر لمحاولة اختلاس نظرة منك». تم تغيير الستائر الحاجبة، وكُنست الأركان هنا وهناك، وأُبعدت أوراق أشجار ميتة من حول الصخور، وتم تخليص غدير الحديقة من أعشابه المائية. وبعث بالمرطبات أيضاً وكذلك بفريق العاملين لإعدادها. وإذ وقعت بين العرفان بالجميل والسخط، فقد أسلمت نفسها لما هو محتم، ومضت تُعد نفسها لما هو آت.

كان بوسعهن أن يسمعن من الدار الجمع المصاحب لمعاليه خلال التجذيف صعوداً وهبوطاً في النهر وعزف الموسيقى الجميلة للغاية. وكان بمقدورهن أن يلمحن القليل منهم كذلك. ومضت النسوة الأصغر سناً إلى ذلك الجانب من الدار للإطلال من هناك. وكان معالي وزير الحرب أبعد من أن يتم تعرفه، ولكن القوارب المسقوفة بأوراق الأشجار الملونة بدت كما لو كانت قد فردت عليها الأقمشة المزخرفة، وعلى جناحي الريح تناهى صوت الآلات الموسيقية التي يجري العزف عليها عالياً تقريباً. وحتى في مثل هذه الرحلة التي يلازمها الحرص، فإن هذا الأمير العظيم، الذي تقدره وتعظمه الدنيا بأسرها، بدا للأختين بصفة خاصة متألقاً، وبدا لوصيفاتهن أن ضياه سيكون جديراً بالانتظار إذا كان نجم الفتى الراعي نفسه[2].

صحب معاليه أساتذة اختصاصيين كذلك، إذ كان يعتزم جعل الجمع ينظم الشعر الصيني. وعند الغسق سحب قاربه إلى الضفة[3]، وعلى إيقاع الموسيقى انطلق في القيام بذلك. بدا الجميع في حالة نفسية عالية، وقد زينوا شعرهم بأوراق الأشجار الفاتحة

(1) في فصل «نهر الخيزران» كان ابن يوجيري هذا ملازماً وصيفاً وقد تودد إلى ابنة تاما كازورا الكبرى.
(2) الذي يقوم مرة في العام في تاناباتا (الليلة السابعة من الشهر السابع) بعبور نهر السماء (درب التبانة) لإمضاء الليلة مع الفتاة النساجة.
(3) الضفة المقابلة لدار أخته.

والقاتمـة، وراحـوا يعزفـون مقطوعة «خالـد الأعمـاق». وكان معاليه وحده هـو المغتم[1] والحزين من جراء تصور أنها لابد غاضبة منه. وتم تكليف الجميع[2] بموضوعات تناسب المقام، ومضوا يتغنون بأبياتهم.

خطَّـط المستشـار لذهاب معالي وزيـر الحرب إليها ما إن ينحسـر الابتهاج الذي سـاد الجميـع إلى حد ما، وكان منهمكاً في إبلاغه بمـا يتعين عليه القيام به، عندما وصل مراقب حراسـة البوابة وهو الابن الأكبر للنقيب الاستشـاري بجمع رسمي مرافق على نحو صارم لنقل رسـالة من جلالة الامبراطور. وكان نبأ جولة معاليه قد انتشـر بالطبع، على الرغم من رغبتـه في كتم الأمر، ولاشـك في أن هذه الجولة سـيتم إيرادها مع مـرور الوقت باعتبارها سـابقة لابد مـن اتباعها، وقد دُهش جلالة الامبراطور لعلمه بأنـه قد انطلق فيها على عجل من دون معية كبيرة ومتميزة بصورة لائقة. ومن هنا فقد أقبل المراقب مصحوباً بالعديد من كبار النبلاء، الذين أحبط وجودهم أي خطط لاحقة. وأحس الأمير والمستشـار معاً بأنهما أكثـر تعاسـة من أن يبديا المزيد مـن الاهتمام بما يجري، ولكن الآخريـن الذين لم يكونوا يدرون بجلية الأمر مضوا يحتسون الشراب ويلهون ويعزفون الموسيقى حتى الفجر.

كان معاليـه قد علَّق الآمال على قضاء النهار حيث هو، ولكن جلالة الامبراطورة بعثت بوفـد آخـر أكبر يضـم مفوضها[3] ووصفـاء خصوصيين آخريـن. وعلى الرغـم من إصابته بالضيـق وخيبة الأمل على نحو مرير، فإنه لم تكن لديه رغبة في الانصراف. وكتب رسـالة إلى الدار الواقعة عبر النهر. ولم يكن هناك ما هو متكلف في الرسالة، فقد سطر بجدية تامة كل ما دار بخلده، ولكنها كانت تعرف أن هناك حشـداً صاخباً حوله، ولم تحر رداً. راحت تحدِّث نفسـها قائلة: لا أمل بالنسـبة لمن لاحيثية لها مثلي في الارتباط بأي شـخص له مثل هذه المكانة الرفيعة! وكان ذلك واضحاً بصورة متزايدة بالنسـبة لها. فأن تسـلم نفسـها إلى أن تحظى به في مكان آخر بعيد، على امتداد أيام وشـهور بكاملها هو شـيء مختلف تماماً

(1) حرفياً: «وحده معاليه شعر كأنه بحيرة أومي» (بحيرة بيوا في مقاطعة أومي). والاسم أومي يتلاعب بـ«أو مي»، «الذي يلتقي (محبوبته)». ونيئو يشعر بذلك لأنه على الرغم من حسن الطالع الذي يشير إليه الاسم، فإن ماء البحيرة عذب، وبالتالي فليس فيه ميرومي (نوع من عشب البحر)، وميرو مي تعني «لقاء العشاق».

(2) من قبل الاختصاصيين.

(3) الضابط الأرفع رتبة في طاقم العاملين لديها.

عن أن يمضي بهذه الطريقة أمامها مباشرة، ويواصل المسير كأنها لاتعني شيئاً بالنسبة له. كانت تلك ضربة أكثر قسوة ومرارة من أن تحتملها.

بحلول ذلك الوقت، كان معاليه قد ضاق ذرعاً بقلقه وإحباطه. وقد ناسبته العذوبة البالغة ذاتها لحواجز صيد الأسماك في النهر، إذ تدافعت الأسماك بأعداد كبيرة ليتم صيدها وقدمت على أوراق شجر متعددة الألوان، فغمرت البهجة الجميع بمن في ذلك الخدم. وأحس الآخرون جميعاً أيضاً بالسرور التام بالجولة. ومضى معاليه وحده يحدِّق يائساً في السماء، ويتأمل الأشجار البعيدة المحيطة بالدار العتيقة هناك أو الألوان القاتمة للنباتات المعترشة الملتفة حول الأشجار دائمة الخضرة. وبدت العناصر المحيطة بها موحية بالنذير حتى من بعيد، فيما مضى المستشار يحدِّث نفسه به، ويفكر في التطمينات التي قدمها لهما! كان الأمر كارثة.

تذكَّر السادة الذين كانوا مع معالي وزير الحرب في الربيع الماضي جمال البراعم، وتحدَّثوا عن كيف أن الأختين اللتين فقدتا والدهما لابد أنهما تشعران بالوحدة. ولابد أن بعضهم قد نما إلى علمه بالفعل نبأ زياراته السرية. ومضى الآخرون، الذين لم يعرفوا شيئاً، يواصلون الثرثرة عن الأختين على أي حال، حيث إن الحديث عنهما قد انتشر، على الرغم من عزلتهما وسط التلال. أشار أحدهم: «سمعت أنهما جميلتان للغاية». وقال آخر: «إنهما بارعتان في العزف على آلة السو نو كوتو، فقد جعلهما سعادة الأمير الراحل تتدربان على العزف عليها ليلاً ونهاراً».

قال النقيب الاستشاري:

«عندما أتيح لي حظيت بلمحة من هذه الأشجار في سمت ازدهارها،
والآن أقبل الخريف وتركت فروعها مهجورة».

رد المستشار، الذي أحس بأنه مدعو للحديث نيابة عنهما:

«نعم، أوضحت أشجار الكرز هذه الحقيقة بجلاء بالغ: لايدوم أي من سمت
ازدهار البراعم ولا وريقات الخريف طويلاً في هذه الدنيا الفانية».

وقال مراقب حراسة البوابة:

«ما الذي يمكن أن يكون الدرب الذي سلكه الخريف فيما أنه

بين التلال تجعل ألوان الأوراق المتساقطة الرحيل مؤلماً للغاية؟».

قال مفوض جلالة الامبراطورة:

«هجر الرجل الذي عرفته يوماً قريته الجبلية، غير أن المعترشات الوفية

لاتزال تتسلق وسط الأحجار على امتداد سور حديقته العتيق».

كان رجلاً طاعناً في السن، وشرع في البكاء. ولاشك في أنه قد عاد بتفكيره إلى الوقت الذي كان فيه الأمير الراحل شاباً:

قال معالي وزير الحرب:

«الآن ينتهي الخريف، تلتم الوحشة وتتجمع هناك تحت الأشجار،

آوه، لاتهبي ظالمة أيها الرياح من الصنوبرات التي تكسو التلال!».

كانت دموعه توشك على الانهمار، وتفهم من عرفوا شيئاً عن مشاعره الأمر تماماً. وظن البعض أنه عار كبير عليه أن يدع هذه الفرصة تفلت، ولكن فخامة موكبه جعلت من المستحيل عليه أن يقوم بما هو خلاف ذلك.

كان هناك الكثير من التغني بأفضل مقاطع قصائد الشعر الصيني التي نظموها،وكانوا قد نظموا الكثير من القصائد باليابانية أيضاً، ولكن كيف كان يمكن للكثير منها أن تكون جديرة بأي شيء فيما كان الشراب قد أخذ منهم كل مأخذ؟ سيكون أمراً محرجاً الإتيان على ذكر أي من هذه القصائد.

مضتا تصغيان، عبر النهر، وقد استبد بهما العذاب، فيما صيحات التحذير الصادرة عن الحرس المرافق تعلو من مسافة أبعد فأبعد. كانت النسوة قد تطلعن إلى حد بعيد لقدومه، وشعرن بخيبة الأمل الشديدة بدورهن، فلا عجب أن انتقلت سعادة الأميرة الكبرى إلى التأملات المريرة. إن فؤاده يشبه زهرة النهار التي يتحدثون عنها فحسب![1] والقليل الذي سمعت الناس يقولونه يوحي بأن الرجال يكذبون طوال الوقت. وهاته النسوة التي لا قيمة

(1) زهرة النهار (تسوكيكوسا، وفي اليابانية الحديثة تسويو كوسا) تعطي صبغة زرقاء تغدو شاحبة بصورة سريعة.

لهـن يتحدثـن عندما يتذكرن الماضي عن كيـف أن الرجل بكلماته التـي لاتنتهي يمكنه أن يجعـل إحداهـن تصدق أنـه يحبها فيما هو لا يحبهـا. وقد افترضت على الـدوام أن الناس المنتمين إلى العامة على هذه الشـاكلة هـم وحدهم الذين يمكنهم أن يكونوا فظيعين تماماً على هذا النحو، وأن من ينتمون إلى نوعية مختلفة للغاية سـيحرصون أشـد الحرص على مـا قد يسـمعه الآخـرون عنهـم أو يعتقدونه فيما يتعلق بهم، وسـيكبحون جماح أنفسـهم، ولكـن لقـد كنت مخطئة. فقد سـمع سـعادة الأمير الراحل بـأن هذا الأميـر لايوثق به، ولـم يفكر حتى في السماح له بالاقتراب من الدار. ومن القسوة البالغة فحسب أنه بعد كل تلك الرسـائل المشـبوبة على نحو مسـتحيل واللحظة غيـر المتوقعة تماماً التـي ربطت أختي به لايزداد بؤسي وبؤسها إلا تفاقماً! ترى كيف يتلقى المستشار هذا التصرف الوضيع؟ ما من حاجـة خاصـة تدعو للقلق علـى رأي أي أحد هاهنا، ولكن أياً كان مـا قد يفكرون فيه، فقد اسـتغفلنا وعرضنا للسخرية! اسـتبد بها الضيق إلى حد أن مزاجها انقلب انقلاباً، وأحست بأنها مريضة أشد المرض.

أما فيما يتعلق بأختها الصغرى، الأكثر تأثراً بالأمر، فإن معاليه عندما جاء مضى يطمئنها بإخلاص عميق بحيث استمدت بعض الراحة من التفكير في أنه لن ينبذها حقاً وأن فترات غيابـه لـم تكـن راجعة إلا إلـى عقبة لم يسـتطع التغلب عليهـا. وعلى الرغم مـن ذلك فقد ضايقهـا أشـد الضيق أن يبقى بعيداً كل هـذا الوقت، وكانت الطريقة التـي انصرف بها ماراً بدارها قاسية على نحو مرير للغاية، وغدت مكتئبة بصورة متزايدة، وهو الأمر الذي وجدت أختها الكبرى أن من المتعذر احتماله. وحدَّثت نفسها: ما كان بمقدوره قط أن يعاملها بهذه الطريقة لو أنه كان بمقدوري أن أقوم من أجلها بما ينبغي، ولو كانت لنا دار كدور الآخرين. ووسط تأملات كهذه غرقت في يأس متفاقم.

هذا ما سـيحدث لي بـدوري، إذا بقيت على قيـد الحياة. فالمستشـار يمضي في تقديم الوعود بهذا وذاك، ولكنني أعرف أنه يقوم بذلك ليختبرني فحسب. وليس بمقدوري إبعاده للأبد، على الرغم من أنني لا أريد أن تكون له صلة به. وهاته النسوة ها هنا لن يتعلمن أبداً، فـكل مـا يفكرن فيه هو تحقيق ذلك أيضاً، وأنا على يقين من أنهن سـينلن مرادهن في نهاية المطـاف، شـئت أم أبيت. وهذا هـو بالتحديد ما قصده عندما كان يبلغنـا دوماً بأن علينا أن

نلزم الحذر، لقد كان يحذرنا من هذا بالضبط. وليس لديَّ شك في أننا بحظنا التعس سنبقى على قيد الحياة بعد أي شخص يهمنا بهذا القدر. هنالك سأكون، مع أناس يضحكون من أنني مضيت في الدرب نفسه[1]. وأي معاناة قاسية سأكون قد أنزلتها عندئذ حتى بأبوي! لا، إنني على الأقل لن أتقلب في مثل هذا البؤس. لسوف ألقى حتفي قبل أن أغوص كثيراً في هذه الخطيئة[2].

في غمار عذابها، رفضت تناول الطعام، وبدلاً من ذلك أمضت الليل والنهار لا تفكر في شيء إلا ما يمكن أن يحدث بعد رحيلها. وجعل أساها من المؤلم بالنسبة لها أن تنظر إلى أختها فحسب. لكم ستغدو محرومة من الراحة عندما تفقدني أيضاً! إنها جميلة للغاية وجديرة بكل خير، وهي مصدر بهجتي صباحاً وليلاً. لقد حاولت أن أمنحهاحياة لائقة بها، وفي قرارة نفسي كان هذا هو كل ما أردته يوماً، ولكنه سيكون شيئاً مريراً حقاً بالنسبة لكل من تتعرض للسخرية، أياً كان مدى علو شأنها، أن تخرج للدنيا وتتظاهر بالعيش كالأخريات. وخلصت بائسة إلى أنه: لا، إننا في وضع يائس، وليس لأمثالنا أن يعثرن على الراحة في الحياة!

عاد معالي وزير الحرب مباشرة على وجه التقريب في إحدى زياراته السرية المعتادة، ولكن مراقب حراسة البوابة كان قد أبلغ جلالة الامبراطور بالأمر فعلاً، إذ أوضحه بالقول: «إن السبب الذي جعل معاليه يندفع فجأة إلى تلك القرية الجبلية هو أنه له قصة حب سرية هناك. وأنا أدرك أن الناس يستنكرون في مجالسهم سلوكه الطائش».

أثار النبأ قلق جلالة الامبراطورة أيضاً عندما تناهى إلى سمعها، ولم يعد جلالة الامبراطور في أي حالة مزاجية تسمح للشاب بمثل هذه الحرية، فأشار بقوله: «ليس من الصواب بالنسبة له على أي حال أن يمضي كل الوقت الذي يرغب فيه بالدار». وصدرت أوامر صارمة، فقد طلب جلالته من معاليه أن يضع نفسه في التو تحت تصرفه في القصر. وكان النبيل الشاب قد خلص إلى أن ابنة معالي وزير الميمنة لاينبغي أن تكون زوجة له، ولكن كل شيء آخر أصر على أنه ينبغي من الآن فصاعداً أن يتزوجها.

---

(1) وقد تخلى عن زوجي، شأن أختي.

(2) خطيئة (تسومي) لأن هذا النوع من البؤس، مهما كانت محدودية استحقاقه، يجلب الكارما السيئة.

لم يستطع المستشار إلا أن يستنكر هذا عندما سمع به. وحدَّث نفسه قائلاً: إنني خارج عن المألوف أكثر مما ينبغي فحسب ربما كان الأمر متعلقاً بالقدر فقط، ولكنني تعاطفت مع الأختين اللتين أقلق مستقبلهما سعادة الأمير الراحل، وما كان بوسعي أن أنساهما قطّ. ومع تمتعهما بكل مناقبهما بدا لي أنه من العار أن تذويا فحسب، وأدهشني حماسي لمنحهما حياة لائقة. وفي النهاية فعلت ما قمت به، أخذاً في الاعتبار مطاردة معاليه لي والطريقة المؤسفة التي أصرت بها الأخت التي أريدها على تقديم أختها، ولكنني الآن فيما أمعن التفكير في الأمر أتمنى لو لم أفعل ذلك. ولم يكن بمقدور أحد أن يلومني على المطالبة بهما معاً لنفسي. وعانى الكثير من العذابات الحمقاء، ولكن يا للحسرة فقد كان الوقت قد فات.

أثقل الأمر على كاهل معالي وزير الحرب بصورة أكبر. وتاق إلى الأميرة المقيمة في أوجي، وأحس بالقلق عليها. وألحت جلالة الامبراطورة عليه بالقول: «إذا كانت هناك من تحبها بصفة خاصة، فأعطها لي، وعاملها بالحرص المعتاد[1]. لدى جلالة الامبراطور خطط خاصة بك، ويؤسفني أشد الأسف أن أسمع أن الناس يصفونك بأنك طائش».

ذات يوم كئيب من أيام المطر المنهمر، مضى لزيارة الأميرة الأولى[2]. وكانت هي والنسوة القلائل المحيطات بها يتفرجن على صور سوياً. وراحا يتحدثان من جانبي ستارة قاتمة. وكان تميزها النبيل بلا انتهاء الممتزج برشاقتها العذبة قد بدا له على الدوام بلا نظير، وتمنى لو أنه كانت هناك أخرى تشبهها في الدنيا بأسرها. وقد فهم أن ابنة نيافة رايزي تحظى بالتقدير الكبير الذي يتمتع به أبوها، ودرجت على اتباع أكثر الأساليب تألقاً، ولكنه لم يكن بمقدوره قط أن يبلغها بإعجابه الدائم بها. ولكن، آه، هي في تلك القرية الجبلية، هي في عذوبتها ونبلها لم تسلم شيئاً لأي أحد. وأفعمه التفكير فيها بحنين جارف. وعلى سبيل التفريج عن همه، ألقى نظرة على صور سمو الأميرة التي تناثرت هنا وهناك. كانت «صور سيدات»[3] مسلية، وشملت صوراً من حياة عاشق. كانت هناك دار جذابة في قرية جبلية وكذلك جميع أنواع المشاهد الأخرى التي تروق لمن رسموها، ولفت الكثير منها

(1) «دعني أجعلها إحدى وصيفاتي، ثم يمكنك أن تراها عندما تريد بلا متاعب».

(2) أخته الكبرى.

(3) أوما ئي، لوحات ملونة ذات محتوى سردي رومانسي بصورة عامة.

انتباهـه بصفة خاصـة لأنها أعادت إليه تجربتـه. وفكَّر في أن يطلب مـن جلالة الإمبراطوة القليـل منها وإرسـالها إلى أوجي. كانت رسـوماً إيضاحيـة لحكايات آيسـي[1]، وأظهرت إحداهـا رجـلاً يعلـم أخته العـزف على آلة الكيـن، ويقول: «يا للحسـرة من أنهـا ينبغي أن تمضي إلى آخر!»[2].

دفعه المشهد لسبب ما إلى الاقتراب قليلاً منها وإلى أن يهمس: «اعتاد الناس في الأيام الخوالي رؤية بعضهم بعضاً وجهاً لوجه، عندما كان من اللائق بالنسبة لهم أن يفعلوا ذلك، ولكنك تضعين دوماً مسـافة كبيرة بيننا!». لم تسـتطع أن تحدِّد في أي صورة يفكر، وهكذا فقد لفها ودفعها إليها من تحت السـتارة، وبدا القليل من شـعرها الذي لمحه عندما انحنت إلى الأمام لتلقي نظرة منساباً في أمواج متدفقة- بدا رائعاً للغاية إلى حد أنه تاق إلى التفكير فيها على نحو ما كان يفكر فيمن هي أقل قرابة منه. قال:

«ليس الأمر أنني سأجرؤ على الرقاد في مثل هذا المكان على مثل هذه الأعشاب اللدنة،

ولكن من المحزن أن تكون مشاعري على هذا النحو!»

كانـت وصيفاتهـا، اللواتي يرهبن معاليـه، قد احتجبن وراء السـتائر والحجب. ياله من قول! إنه يدعو للشـعور بالصدمة! هكذا حدَّثت نفسـها، ولزمت الصمت، وهو الأمر الذي تقبلـه، لأنه بدا له أن السـيدة فـي القصة «خواطرها كلها براءة»[3] قـد التقطت طرف الخيط بأسـرع مما ينبغي. ومن بين كل الأخوة والأخوات كان هذان الأخوان قريبين أحدهما من الآخر بصفة خاصة، حيث كانت السـيدة موراسـاكي مولعة بهمـا بصفة خاصة. وقد قامت

(1) آيسي مونوجاتري، مجموعة تعود إلى القرن العاشر من الحكايات القصيرة المبنية حول قصائد والمتمركزة في موضوع يدور حول تنويعات على الحب. ومن المستحيل على وجه التقريب المبالغة في أهمية هذا العمل في التقاليد الأدبية.

(2) يتحدث المقطع 59 من آيسي مونو جاتري عن شاب تفتنه أخته للغاية إلى حد أنه يهديها هذه القصيدة: «لن يغادرني هذا الأسى على أن مثل هذا العشب بالغ الجدة والنضارة، بالغ العذوبة في الاستلقاء عليه، سيمضي، ويا للحسرة إلى آخر». و«العشب» هو الأخت. والقصيدة تتلاعب بـ«ني»، «جذر»، «يرقد»، «يضاجع» وأيضاً «صوت» آلة موسيقية، وربما من هنا تأتي آلة الكين التي تظهر في اللوحة، ولكنها ليست موجودة في النص.

(3) من رد الأخت في آيسي مونوجاتري 49، الذي يعني شيئاً من قبيل: «يا لها من كلمات غريبة، نادرة مثل عشب جريد في الربيع! وها أنا، خواطري كلها براءة!». وقد فُسر تبادل الحوار هذا بصور مختلفة، ويمكن فهم رد الأخت على أنه رد بريء أو على أنه إيروتيكي بصورة متواطئة. ونيئو يؤثر التفسير الأخير.

جلالة الامبراطورة برعايتهما، إلى حد أن أي وصيفة لهما تشوبها أدنى شائبة كانت تحس بعدم الارتياح البالغ حقاً. وكانت معظمهن من بنات سادة عظام للغاية. وحرص معالي وزير الحرب بمشاعره المتقلبة على أن يحظى بلحظة أو لحظتين عابثتين مع كل وصيفة جديدة، وبينما لم ينس أوجي بالفعل قط، فإن أياماً كثيرة قد انقضت بينما لم يقم بأي رحلة إلى هناك.

بالنسبة لمن ينتظرنه، كان ذلك وقتاً طويلاً حقاً، ورحن يتنهدن إذ إن مخاوفهن قد تأكدت عندما وصل المستشار. وكان قد جاء استجابة لخبر يفيد أن الأخت الكبرى ليست على مايرام. وعلى الرغم من أن مرضها لم يكن خطيراً بحيث يؤثر على ذهنها، إلا أنها ذكرته كعذر لعدم استقبالها إياه.

قال محتجاً: «ولكنني جئت قاطعاً هذه المسافة كلها وفي مزيد من القلق! لابد لك من اصطحابي إلى حيث ترقد». وهكذا تم اقتياده إلى الستائر الحاجبة، التي أراحت نفسها خلفها بقدر المستطاع. وقد ضايقها وجوده، ولكنها رفعت رأسها بما يكفي من التهذيب، وردت حسبما هو مطلوب منها.

أبلغها كيف اضطر معالي وزير الحرب إلى المرور بدارهما من دون المجيء رغماً عنه. وقال: «أرجو ألا تقلقي. ولاينبغي أن تعجلي بإدانته».

ردت قائلة: «يبدو أنها لم تقل له شيئاً حول الأمر بهذه الطريقة أو تلك. وبقدر ما يمكنني تبينه فإن هذا هو الأمر الذي حذرنا منه أبي. وأنا أحس بالأسف البالغ عليها!». وفهم أنها كانت منخرطة في البكاء.

استبد به الألم الشديد من أجلها، بل إنه أحس بالخجل من نفسه. قال: «نادراً ما تظل الحياة على حالها بطريقة أو أخرى. وربما تغضبان منه أشد الغضب بما أنكما كليكما لا تعرفان الكثير عن مثل هذه الأمور، ولكن أرجو أن تبذلي جهداً لتكوني صبورة. وبالنسبة لي، فإنني اعتقد أنه ليس لديك أي سبب للقلق». وجد نفسه مندهشاً لدفاعه عن موقف شخص آخر.

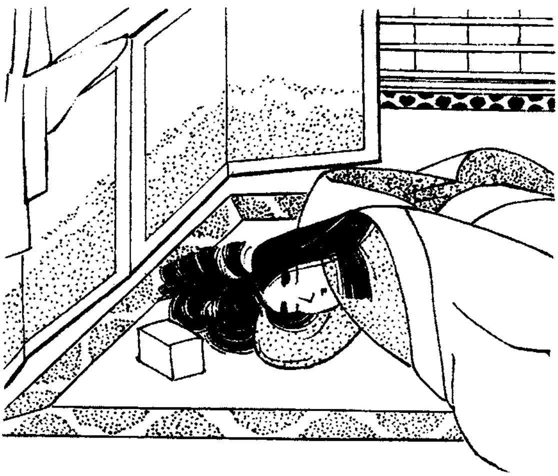
أحست ليلاً بأنها أسوأ حالاً، وشعرت أختها بالقلق الشديد لوجود غريب بالقرب

منها. اقترحت النسوة: «لطفاً، يامولاي، إذا شئت، هناك غرفتك المعتادة..». ولكنه اشتكى للعجوزتين: «أقلقني كثيراً خبر مرض سيدتك فجئت بأسرع ما استطعت، والآن يُطلب مني تركها! هذا لايطاق! من الذي سيرعاها على النحو المناسب في وقت كهذا إذا لم أقم بذلك؟».

أمر بإقامة طقوس الشفاء لها، الأمر الذي أثار استياءها، لأنها هي نفسها لم ترغب في العيش، ولكنها لم تستطع إبلاغه بذلك بوضوح، وعلى الرغم من كل شيء فقد تأثرت لرغبته في أن تصارحه بذلك.

استفسر في صباح اليوم التالي: «هل تحسين بأنك أفضل قليلاً الآن؟ أود أن أتحدَّث معك حول ما حدث البارحة».

بعثت إليه بهذه الرسالة: «ربما كانت حالتي تسوء يوماً بعد آخر، ولكنني اليوم، على أي حال، أشعر بأنني مريضة للغاية»[1]. تأثَّر أشد التأثر وراح يتساءل عما عسى تكون حالتها عليه لأن هذا الدفء غير المعتاد كان مثيراً للإزعاج، فدنا منها وبدأ في الحديث عن هذا وذاك. قالت: «إنني أحسّ بأنني أشد مرضاً من أن أرد عليك، وربما أقوم بذلك عندما أكون أفضل حالاً بقليل». كان صوتها خافتاً على نحو مثير للشفقة، فجلس هنالك في حزن، وقد غلبته الشفقة. وعلى الرغم من ذلك، فإنه لم يستطع البقاء حيث هو للأبد من دون أن يفعل شيئاً. وعلى الرغم من قلقه فقد عاد إلى المدينة. وأبلغ العجوز بقوله: «الإقامة في مكان كهذا تجعل حالتها أسوأ فحسب، وأنا أعتزم نقلها إلى مكان أكثر ملاءمة». وترك رسالة للخبير للصلاة على وجه السرعة أيضاً.



(1) أويجيمي نفسها، هذه المرة، تدعو كاورو للقدوم والحديث من حيث جلس بالأمس.

كان أحد الرجال التابعين للمستشار قد فاز بالحظوة لدى امرأة شابة في الدار، ومضى الاثنان يتجاذبان أطراف الحديث، عندما تصادف أنه أشار بقوله: «لن يقوم معالي وزير الحرب بالمزيد من الزيارات السرية إلى هنا، حيث أُجبر على الإقامة في القصر. وقد سمعت أنه يعتزم الزواج من ابنة معالي وزير الميمنة. وبما أن تلك كانت الفكرة طوال الوقت من جانبها، فإن معالي وزير الميمنة لن يعترض، وهم يقولون إن ذلك سيحدث قبل نهاية العام. ومعالي وزير الحرب ليس مسروراً على الإطلاق، وهو يقضي كل وقته في التودد إلى النساء في القصر، ويبدو أنه يفصح عن مؤشرات محدودة على التصرف بشكل حسن على نحو ما يريد جلالة الامبراطور وجلالة الامبراطورة منه القيام به. ومن ناحية أخرى فإن سيدي يواصل تميزه من خلال كونه بالغ الجدية، فلا يعرف الناس ما يفعلونه حياله. والطريقة التي يواصل بها القدوم إلى هنا تدهشهم كثيراً، وهم يقولون إنه لابد أن يكون مستغرقاً في الأمر بعمق بالغ».

كرَّرت المرأة هذا على مسامع الأخريات، فاستبد الحزن البالغ بسعادة الأميرة الكبرى، التي تناهى إلى سمعها ماقالته. وحدَّثت نفسها: هذه هي النهاية! وأحسب أنه كان مسروراً بما فيه الكفاية للترفيه عن نفسه هنا طالما أنه لم يكن قد استقر بعد مع سيدة عظيمة وأنه واصل الإخلاص العميق من جراء احترامه للمستشار فحسب. غير أنها لم تكن لديها القوة للتفكير في كم كان معالي وزير الحرب مقيتاً، لأنها رقدت هنالك وقد غلب عليها الاقتناع المتزايد بأنها هي نفسها قد مُنيت بالفشل التام، وفي غمار ضعفها أحست أكثر من أي وقت مضى بالتيقن من أنها لا تستطيع مواصلة العيش.

رقدت أختها كأنها نائمة، غافلة عن حديثها، ذلك أن أفكارهما كان يصعب تصورها، حتى وإن لم تكن لها أهمية إلا بالكاد. وكانت قد سمعت بأن الناس يغفون على هذا النحو عندما يضطربون بعمق، وبدت هيئتها قريبة من القلب للغاية، فقد استقرت رأسها على ذراعها، وكانت كتلة شعرها القريبة ساحرة. وبينما مضت تحدِّق فيها، مرت بذهنها مراراً التعليمات التي كان أبوها قد تركها لهما. ومن المؤكد أنه لا يمكن أن يكون قد غاص إلى الأعماق التي يقولون إنها تنتظر من ينغمسون في الخطيئة![1] ألحقني بك، حيثما تكن! لقد

(1) الأب المنشغل أكثر مما ينبغي لدى موته بمصير طفله يخاطر بأن يتعرض للجر، من خلال هذا الارتباط، إلى

تخليت عنا لليأس، ولم تعد تهل علينا حتى في الأحلام!

كانت السماء الغسقية الكئيبة مثقلة بالمطر وزفيف الريح المندفعة بين الأشجار يستجديان الوصف. وأوحت هيئتها الساكنة الغارقة في التفكير فيما كان وفيما سيكون بتميز لا يقاس. كانت ترتدي زياً أبيض[1]. وانسدل شعرها الطويل وغير الممشط على كتفيها من دون أن تكون هناك خصلة واحدة في غير موضعها. ولم يزدها الشحوب غير الطبيعي الذي علاها أخيراً إلا فتنة، وكان حرياً بالمرء أن يرغب في أن يطلع عليها شخصاً يهتم بالخط الكامل لجبينها فيما هي تطل على الخارج وقت الغسق.

أيقظت هبة ريح عنيفة الأخت الغافية. بدت ألوانها البنفسجية - الرمادية والصفراء الذهبية متألقة ومفعمة بالحياة معاً، ولم يفصح محياها، الذي بدا وردياً على نحو جميل كما لو كان مصبوغاً، عن أثر للعناية. قالت: «حلمت لتوي بأبي، رأيته لتوي هناك، وقد بدا حزيناً بصورة فظيعة». استشعرت أختها الكبرى ثقل حزن متجدد، وقالت: «لقد تقت إلى الحلم به منذ مات، ولكني لم أحلم به البتة». مضتا كلتاهما تبكيان في مرارة. كان ماثلاً في خواطرهما ليلاً ونهاراً في الآونة الأخيرة، وقد خطر لهما أنه سيتراءى لهما مثل هذا الحلم. آه، يا للذهاب إليه! ولكن كيف يمكننا أن نذهب إليه ونحن غارقتان إلى هذا الحد في الخطيئة؟[2] وكانتا تعرفان أن حزنهما سيدوم وصولاً إلى الحياة المقبلة. لشد ما تاقتا إلى دخان ذلك البخور الذي يقولون إنه يتصاعد عبر البحر[3].

كان الظلام مخيماً عندما أقبل مبعوث من معالي وزير الحرب، وهو الذي كان مدعاة لقليل من الارتياح في ظل الظروف الراهنة. ولم تقرأ السيدة المخاطبة الرسالة في التو، فاستحثتها أختها بقولها: «ردي عليه لطفاً بصورة جميلة وعاقلة. وإذا تصادف أنني لم يعد لي وجود هنا، فقد يظهر أحد يعاملك معاملة أسوأ منه. وأنا أعرف أنه ما من شيء كهذا يمكن أن يحدث طالما أن معاليه يذكرك بين الحين والآخر، ويبدو لي أنه لا يزال طيباً من

الجحيم.

(1) لأنها مريضة.

(2) لأنهما امرأتان.

(3) «بخور من أجل عودة الروح (هانجونكو). وصف باي جويي في قصيدة ضافية (هاكوشي مونجو 160). كيف أن الامبراطور وو الذي يعود إلى أوائل ملكية هان استعاد روح النبيلة لي، بفضل بخور خاص أعده ساحر له.

أجل ذلك مهما نظرت إليه على أنه شخص مقيت».

«إن ما هو فظيع فكرة أنك قد ترحلين عني!» دفنت وجهها على نحو أعمق في كمها.

«ذلك الوقت سيجيء عندما يحل. ولست أرغب في مواصلة الحياة لحظة أكثر عندئذ، ولكـن ها أنـا ذي في نهاية المطاف. من الـذي تعتقدين الآن أنها تجعـل حياتي جديرة بأن تعـاش[1] فيمـا أعـرف أنني قـد لا أرى الغد البتـة؟»[2] دعـت بالمصباح، وألقتـا نظرة على الرسالة.

كانت كالمعتاد رسالة ضافية، وقد كتب يقول:

«فيما تلمح عيناي كل يوم السماء ذاتها، لماذا يتعين الآن

أن يزداد توقي لك مثلما ينهمر مطر الشتاء؟».

ولاشـك في أنـه أرفق قوله: «هذان الكمان لـم يكونا مبتلين للغاية علـى هذا النحو من قبل قط»[3] أو شيئاً من هذا القبيل، لأن رسالته كانت كلها متقاربة السطور، وضاقت سعادة الأميـرة الكبـرى ذرعاً به أكثر من أي وقت مضى، عندما أدركت إلى أي مدى محدود يعني ما قاله، ولكنه اسـتعرض مظهـره الطيب على نحو نادر وصولاً إلـى الظفر بميزة الفوز إلى حد أنه لم يكن عجيباً أن الأخت الصغرى كانت لا تزال تشعر بأنها منجذبة إليه على الرغم من كل شيء. وكلما أطال مكثه بعيداً ازداد شوقها إليه، ومع كل الوعود التي كان قد وعدها بها لـم تستطع تصديق أنه لن يكون هناك المزيد يُضاف إلى ما جرى بينهما.

عندمـا أعلن المبعوث أنه يعتزم العودة في تلك الليلة، ضغط عليها الجميع لتكتب رداً، فأعطته هذا فحسب:

«عميقاً في هذه الجبال، في قرية يجلدها البرد، السماء نفسها

---

(1) آيسي شو 424: «مغترفاً الماء من نبع جبلي مترقرق، أدرك الآن من الذي يجعل حياتي جديرة بأن تُعاش الآن».

(2) كوكينشو 838، من نظم كي نو تسورايوكي: «أنا الذي يعرف أنني قد لا أرى الغد أبداً أحزن عليه هو الذي لم يعش اليوم».

(3) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوسو إنيو واكا 514: «أمطار الشتاء تنهمر دوماً في الشهر الذي تكون الآلهة قد مضت خلاله [كايمنازوكي، الشهر العاشر]، لكن هذين الكمين لم يكونا مبتلين على هذا النحو من قبل قط!».

أمام ناظريَّ فجراً وغسقاً ظلام وسحب خفيضة»[1].

حدث هذا في اليوم الأخير من الشـهر العاشـر. وعندما اتضح لمعالي وزير الحرب أن شـهراً آخر قـد انقضى أصبح من القلق الشـديد في كل ليلة بحيث يرغـب في الذهاب إلى أوجـي، ولكن عوائق عديدة برزت أمامه[2]، وبالإضافة إلى ذلك فإن مهرجان جوسيتشـي كان مبكراً هذا العام[3]. ولم يسـتطع منع نفسـه من ترك عدة أيام تنقضي فيما البلاط تشغله بصورة مستمرة الاستعدادات المتألقة. وأصبح انتظارها طويلاً على نحو فظيع. ولم ينسها للحظة واحدة خلال كل لقاءاته العابرة.

قالـت له جلالة الامبراطورة، فيمـا يتصل بالموضوع المتعلق بمعالـي وزير الميمنة[4]: «ما إن تكون قد حققت مثل هذه الزيجة السليمة، فعندئذ اكبح جماح نفسك، وأجلب إليك أي أخرى قد تكون حريصاً عليها»[5].

رد مثبطاً: «أرجو أن تكون صبورة، فأنا لازلت بحاجة إلى التفكير». وبالنسبة للأختين، اللتيـن لـم تكن لديهمـا أي فكرة عن أنه كان يريـد بأي ثمن تجنيب الأخـت الصغرى هذه الكارثة، لم تجلب الشهور والأيام معها إلا المزيد من الكآبة.

إنه أقل جدارة بالثقة مما يبدو عليه! هكذا مضى المستشـار يحدِّث نفسـه، شاعراً بالندم على أنه منحه ميزة الشك، وتوقف عن زيارته كلية. وبعث إلى القرية الجبلية مراراً مستفسراً عـن الأخبـار. وعلم بأنها في حال أفضل قليلاً هذا الشـهر، ولكنه بعـد ذلك ، وعلى امتداد خمسـة أيام أو سـتة، انشغل علناً وفي مجالسـه الخاصة، فلم يرسل أحداً إلى هناك، إلى أن تسـاءل مجـدداً بانزعاج عما هي عليه، وتخلى عن كل الشـؤون الأخـرى العاجلة ليمضي

---

(1) جوسينشو 468: «عميقاً في هذه الجبال، في قرية يجلدها البرد تستبد الوحدة بحيث إنه ما من أحد سيقبل أبداً».

(2) شويشو 853، تُنسب إلى هيتومارو: «هذا هو الوقت الذي لا يمكنني فيه لقاء محبوبتي، مثلما قارب يندفع إلى المرفأ عبر القصبات ومواجهاً عقبات عديدة».

(3) في معظم السنوات، يضم الشهر العاشر ثلاثة أيام من الثور، ويبدأ مهرجان جوسيتشي في الثاني منها، حوالي منتصف الشهر، ولكن في بعض السنوات هناك يومان فقط، وفي تلك الحالة فإن المهرجان يبدأ في اليوم الأول، قرب بداية الشهر.

(4) زواج نيئو من روكو نو كيمي.

(5) باعتبارها وصيفة.

مسرعاً إلى أوجي.

كان قد أمر بمواصلة أداء طقوس الشفاء إلى أن تستعيد صحتها تماماً، ولكنها أعادت الخبير إلى معبده على أساس أنها قد تحسنت كثيراً، وكان هناك القليل من الناس في المكان. بدت العجوز على حالها، وقدمت له تقريراً عما يجري، وقالت: «لاتشعر سيدتي بألم محدد في أي موضع، ومرضها ليس مثيراً للانزعاج، وكل ما هنالك أنها تأبى تناول الطعام. وقد كانت دائماً ناحلة على نحو غير مألوف، والآن ومنذ بدأ هذا الأمر المتعلق بسعادة الأمير فإن معنوياتها قد ازدادت تردياً، حتى لم تعد تنظر إلى أصغر قطعة فاكهة، وأنا على يقين من أن ذلك هو السر في أنها ضعيفة للغاية ولايبدو من المحتمل أن تواصل العيش. وقد كان من سوء طالعي أن يعلو بي العمر بما يكفي لرؤية هذا، وأمنيتي الوحيدة الآن هي أن أرحل قبلها». انخرطت في البكاء قبل أن تستطيع الانتهاء من حديثها، ولاعجب في ذلك.

«هذا خبر سيء للغاية. لماذا لم تبلغيني؟ هذا وقت حافل للغاية في دار نيافة رايزي وكذلك في القصر، وكنت مشغولاً للغاية عندما لم أستطع يوماً بعد الآخر أن أرسل إليها أي مبعوث على الإطلاق!».

دلف إليها كما في السابق، وتحدَّث معها من موضع قريب من وسادتها، ولكنها لم تستطع الرد عليه، وبدا الأمر كما لو أنها ليس لها صوت على الإطلاق: «أحس بالغضب الشديد لأن أحداً لم يبلغني بأي شيء إلى أن أصبحت مريضة إلى هذا الحد. وهذا يكفي ليجعل من كل قلقي عليك هزءاً وسخرية». قالها بصوت مفعم باللوم، وكالمعتاد بعث في استقدام الخبير وكذلك كل الآخرين المعروفين في الدنيا بقدرتهم على الشفاء. وتجمع أتباعه بأعداد كبيرة، حيث تقرَّر أن تبدأ الطقوس وتلاوات النصوص المقدسة في اليوم التالي. ومع وجود مثل هذا العدد الكبير من الناس من كل الدرجات وهم يندفعون منشغلين بمهامهم أفسح الطابع المهجور للمكان المجال لمظهر موح بالثقة.

بعد المغيب، سعت النسوة للمضي به إلى غرفته المعتادة، وقدمن له الأرز بالماء الحار[1]

(1) مي - يوزوكي، أرز بني في الماء الحار، وهو طعام شتوي، أما في الصيف فإن المرء يتناول سويهان، الأرز في الماء البارد.

وما إلى ذلك، ولكنه أعلن أنه سيبقى معها، وبما أن الرهبان كانوا يشغلون الجناح الجنوبي، فقد مضى إلى الداخل ليجلس أقرب قليلاً إليها، على الجانب الشرقي، ووراء ستارة. وقد ضايق هذا أختها الصغرى، ولكن النسوة كلهن أجمعن على أنه وسيدتهن الكبرى كانا أكثر قرباً أحدهما من الآخر من أن يفترقا الآن. وأمر ببدء التلاوة الدائمة لسوترا زهرة اللوتس في صلاة المساء، وكان القائمون بالتلاوة هم اثنا عشر راهباً من ذوي الأصوات الحسنة بصفة خاصة، وكان التأثير باعثاً للرهبة في النفوس.

أُنير المصباح بالقرب منه في الفضاء الواقع إلى الجنوب، بينما بقي كل ما عدا ذلك على مبعدة مظلماً[1]. ورفع ستارتها القائمة، وانزلق داخلاً قليلاً ليلقي نظرة عليها، وعندئذ تحركت اثنتان أو ثلاث من النسوة الأكبر سناً لرعايتها. وفي غضون ذلك تحركت سيدتهن الصغرى مسرعة لتحتجب ولترقد وحيدة تماماً؟ من دون أن يكون إلى جانبها أحد على وجه التقريب.

ناشدها، ممسكاً بيدها لينهضها: «ألا تسمعيني صوتك على الأقل!».

غمغمت لاهثة: «سأفعل ذلك، لكن الحديث صعب. وأنت لم تجئ لمدة طويلة. وحسبت أنني قد أرحل في النهاية من دون أن أراك مجدداً، وأسفت كثيراً».

«كم هو مؤلم التفكير في أنني أبقيتك منتظرة كل هذا الوقت!». الآن انخرط في البكاء. أحس بجبينها دافئاً قليلاً، فهمس في أذنها: «أي خطأ أتيته لتجلبي هذا؟ إنهم يقولون إن هذا هو ما يحدث عندما تتسببين بالتعاسة لأحدهم!». حجبت محياها في إحراج وضيق عندما واصل الحديث. وراح يتساءل فيما هو يرقبها راقدة هناك، وقد تزايد نحولها وضعفها، بأي مشاعر سينظر إليها إذا قُدِّر لها الرحيل وغلبه ألم حاد.

«لابد أن الأمر كان صعباً للغاية عليك وأنت تقومين على رعايتها كل هذا الوقت. ارتاحي الليلة على الأقل، وسوف أقوم على العناية بها». هكذا قال لأختها، فلم ترق الفكرة لها، ولكنها افترضت أنه لابد لديه أسباب تدعوه لذلك، وانسحبت قليلاً.

---

(1) يبدو أنه في الغرفة معها، في النصف الجنوبي، بينما هي ترقد في النصف الشمالي وراء ستارة. والمصباح بعيد عنها بقدر الإمكان.

لـم يكـن يُفترض حقاً أن يكونا معاً وجهاً لوجه، ولكنـه عندما زحف مقترباً أكثر ليتطلع إليها، أحسـت على الرغم من نفورها وخجلها بأن ما يشكله أحدهما للآخر أمر مقدر، فقد أبلغهـا صبره المدهش المفعم بالولاء، مقارنة بأسـاليب ذلك السـيد الآخـر، كم هو جدير بالاهتمـام. ولم تسـتطع إبعاده فجأة، لا، لـن تجعله يتذكرها بعد موتهـا باعتبارها عنيدة أو متصلبة. أبقى النسوة منهمكات في العمل طوال الليل في جلب الأدوية وما إلى ذلك إليها، ولكنها بدا أنها لا تتناول شيئاً على الإطلاق. جلس حائراً ويائساً. كانت تلك ضربة شديدة القسوة. ما الذي يمكن أن يفعله ليمنعها من الرحيل عنه؟

قُبيـل الفجـر تولى رهبان جدد مهمـة الترتيل الدائم. وعلى هذا الصوت الأكثر قداسـة نهض الخبير الذي كان قد أغفى في النوبة الليلية، ومضى يرتل «الداراني». وأوحى صوته على الرغم من خشونته بفعل التقدم في العمر بالثقة والرهبة.

تساءل: «كيف كانت حالتها خلال الليل؟» ثم بدأ في الحديث عن سعادة الأمير الراحل، متمخطـاً مرات عديدة، في غضون ذلك. وقال: «أتسـاءل فـي أي مكان هو الآن. لقد كنت واثقاً من أنه مكان جليل في نهاية المطاف[1]، ولكنني حلمت قبل قليل به. وكان يرتدي زي رجل عادي، وقال: «لم أكترث قط بهذه الدنيا،لأنني كرهتها، وكرهت كل مشـاغلها، ومع ذلك فإن عواطف صغيرة أثارت حيرتي، ولسوف أظل بعض الوقت نائياً عن المكان الذي أتوق إلى الذهاب إليه. إنها فكرة مريرة. قم بما لابد لك منه لمساعدتي في الانتقال!».

تحدَّث بصورة واضحة للغاية: «وبما أنني لم أعرف في التو ما يتعين عليَّ القيام به، فقد جعلت الكثير من الرهبان بقدر ما في وسعي، خمسة أو ستة منهم، يرتلون الاسم المقدس، ثـم واتتني فكـرة أخرى، وكلفت بعضهم بالقيام بتحية الناس كافـة في كل مكان باعتبارهم بوذات وشيكين»[2]. انخرط المستشار في البكاء كذلك. وبدا لسعادة الأميرة الكبرى، التي غرقـت بالفعـل في يأس عميق، أنها لابد لها الآن من أن تلفظ أنفاسـها الأخيرة لقاء خطيئة إعاقته حتى في الحياة المقبلة. وفيما هي ترقد هناك مصيخة السمع، لم ترد إلا العثور عليه

(1) الفردوس، على الرغم من قلق هاتشي نو ميا على ابنتيه عند موته.

(2) حرفياً: «أرسلت البعض (للقيام بـ) لا تحتقر أبداً. في الفصل المتعلق ببوذا ساتفا لا تحتقر أبداً (جوفوكيو بوستاسو بون) تصف سوترا اللوتس كيف أن أحد أتباع بوذا سجد توقيراً أمام كل الرهبان، الراهبات، الرجال العاديين والنساء العاديات، باعتبارهم بوذات مقبلين. وقد بعث الخبير برهبان في كل الاتجاهات للقيام بهذا.

قبل أن يتأكد مصيره وأن تمضي إلى هناك معه.

أنهى الخبير الصورة التي رسمها، وغادر المكان. والآن وجد من بعث بهم لتحية الناس كافة باعتبارهم بوذات، بعد أن جابوا القرى المجاورة بل ومضوا حتى المدينة، أن رياح الفجر العاصفة تفوق احتمالهم، وتجمعوا حيث كان الخبير قد استدعي في السابق، ليجلسوا إلى جوار البوابة الوسطى، وليواصلوا الانحناء بأكثر الطرق قداسة. وكانت الطريقة التي ختموا بها صلاتهم[1] مؤثرة للغاية. وتأثر المستشار الذي كان يشاركهم بعمق إيمانهم أشد التأثر. وسمع الأخت الصغرى التي هيمن عليها القلق وهي تدنو من الستارة القائمة بعيداً في مؤخرة الغرفة وتجلس مستقيمة الظهر. تساءل: «كيف بدا لك ترتيل الرهبان؟ هذه ليس أكثر الممارسات ثقلاً، ولكنها يمكن أن تترك المرء مفعم النفس بالرهبة». وأضاف كأنما في حديث بسيط:

«طيور الزقزاق المضطربة هاهنا عند حافة الماء المثقلة بالصقيع المبكر

لشد ما تتردد صيحاتها حزينة في الفجر المقبل!».

شابه من خلال ما لمحته من حضوره ذلك السيد النبيل الآخر، الذي وجدته شديد القسوة، وراحت تقارن صامتة بين الاثنين، ولكن الإجابة المباشرة كانت مما لا تصل إليه، وجعلت بن تنقل إليه هذه الرسالة:

«هل تعرف طيور الزقزاق التي أزاحت صقيع الفجر عن أجنحتها

كل ما يثقل على فؤاد من استعبده الحزن؟».

راح يحدث نفسه قائلاً: المبعوث تنقصه الجدارة، لكن من المؤكد أن الرسالة ليست كذلك. وهي.. أي دفء تمنحه لأبسط تبادل للقصائد! آه، تواصلت خواطره المضطربة، ما الذي ستكون عليه مشاعري لو أنها انتزعت مني!

راح يفكر في الطريقة التي كان سعادة الأمير قد بدا بها في الحلم، وكان بمقدوره أن يتصور كيف أن هذا المشهد لاح له، وهو يحدِّق إلى أسفل من عل، فأمر بتلاوة النصوص

---

(1) نهاية الفقرة من سوترا اللوتس، التي ترتل باعتبارها صلاة من أجل كل الكائنات رقيقة الحس (إيكو). وتختتم هذه الفقرة على النحو التالي: «.. لأنها جميعها مقدر لها أن تغدو بوذات».

المقدسة أيضاً في المعبد الذي كان سعادته قد مكث فيه. وبعث برجال ليأمروا بأداء الصلاة في معابد أخرى أيضاً، واعتذر عن كل الارتباطات عامة أو خاصة، ولم يهمل طقساً من طقوس الاحتفال أو التطهير[1]. غير أن هذه الأمور لم تجد نفعاً، لأن المرض لم ينبع من أي خطأ وقعت فيه.

كان يمكن للأمر أن يكون مختلفاً، لو أن سعادة الأميرة الكبرى كانت قد ابتهلت للبوذات من أجل شفائها، ولكنها بدلاً من ذلك كانت قد حسمت أمرها، وعزمت على ملاقاة حتفها. وراحت تحدِّث نفسها: ليس بمقدوري مواصلة إبعاده عني الآن، وهو قريب إلى جواري، ويعرف كل شيء عني[2]، ولكن على الرغم من ذلك فإن ما يبدو عاطفة قوية سيذوي على الجانبين كليهما بالتعود، وينتهي بالشقاء والحزن. وإذا قُدرت لي الحياة في نهاية المطاف، فلابد لي من التعلل بهذا المرض لكي أصبح راهبة. تلك هي الطريقة الوحيدة بالنسبة لي وله لكي يظل أحدنا بالنسبة للآخر ما نحن عليه الآن. غير أنها ما كان بوسعها أن تعطي تعبيراً صريحاً لهذه التعقيدات، على الرغم من أنها قررت التصرف وفق قرارها. وقالت لأختها: «يتناقص شعوري بأنني سأبقى على قيد الحياة، وكما تعرفين فإنهم يقولون إن الأخذ بالوصايا يمكن حقاً أن يساعد على جعل المرء أطول عمراً. أرجو أن تبلغي الخبير!».

بكين جميعاً، وتعالى صياحهن: «هذا مستحيل، ياسيدتي هوذا مولاي المستشار يستبد به القلق عليك. فكِّري فحسب أي ضربة سيكون ذلك بالنسبة له!». اعترضن بقوة، ولم يمررن الرسالة حتى إلى السيد النبيل الذي اعتمدن عليه جميعاً، فأصيبت بخيبة أمل شديدة.

ذاع أمر الطريقة التي عزل بها نفسه عن الآخرين، وتكبد بعض السادة النبلاء عناء القدوم وزيارته. وأمر أتباعه المقربون ومسؤولو داره بإقامة الصلوات من تلقاء أنفسهم،

(1) «الاحتفال» (ماتسوري) طقس لاستدعاء إله غير بوذي وتكريمه والتأثير فيه. «التطهير (هاراي) طقس لإزالة كل المؤثرات الشريرة بدفعها إلى دمى أو غيرها من الأشياء. وكل من هذين الطقسين كانا من الممارسات المميزة للين - يانج.

(2) رأى كاورو محياها، وتحسس جبينها.. إلخ. وله معرفة عضوية بها، وهكذا فإنه قريب من أن يكون زوجها في نهاية المطاف.

عندما أدركوا مدى تأثره، وشاركوه جميعاً حزنه.

انصرفت خواطره إلى المدينة، وأدرك أن مأدبة دفء الشراب تُقام اليوم. وكانت ريح عاتية تهب، وانتشر الثلج المتساقط في جنون. وراح يحدِّث نفسه: سيكون الأمر مختلفاً لو أنني كنت هناك مستسلماً للوحدة. ثم هل يقدر لي ولها أن نكون معاً؟ إنه قدر صعب بالنسبة لنا كلينا، ولكنني لن أشكو. لقد كانت غالية عليَّ وأثيرة عندي. آه، لابد لي من أن أجعلها في حال جيدة لبعض الوقت وأبثها كل خواطري هذه! وفي غضون ذلك، أقبل الليل من دون لمحة من ضياء.

«عميقاً في هذه الجبال، حيث تحجب السحب الشمس

كيف تقبل الظلمة كل هذه الأيام الطويلة لتفعم الفؤاد!».

لم تجد النسوة القوة إلا في حضوره. جلس بقربها كالمعتاد، وتلاعبت الريح بشدة بالستائر إلى حد أن أختها تراجعت إلى الوراء أكثر في الحجرة. وعندما ابتعدت المخلوقات منفرات المنظر ليحتجبن عنه في حرج، اقترب منها أكثر من السابق. وتساءل عبر دموعه: «كيف أتيت؟ لقد صليت من أجلك بكل الطرق التي أعرفها، ولكن أياً منها لم يحدث أثراً، ولم تتركيني أسمع صوتك. هذا أمر مؤلم للغاية! لن أغتفر لك أبداً تركي على هذا النحو».

على الرغم من أنها لم تكن مدركة فيما يبدو لما يحدث من حولها، إلا أنها أبقت محياها محتجباً بصورة محكمة. قالت: «هناك أمور أود أن أحدثك بها لو أنني أحسست بأنني أفضل قليلاً، ولكنني أخشى أنني قد أرحل في أي لحظة». عكس أسلوبها في الحديث حزناً غامراً، والآن غدت دموعه تنهمر أسرع فأسرع، حيث فشل جهده الذي بذله لإخفاء حزنه، وعلا صوت بكائه.

راح يتساءل وهو يتأملها: ماذا جعلها القدر لي حتى إنني على الرغم من حبي الذي لا ينتهي لها أغدو الآن أقرب إلى فقدانها بعد كل هذه الأحزان الكثيرة؟ ربما كان يمكن أن تعني أقل من ذلك كثيراً بالنسبة لي لو أنها كان يمكن أن تفصح عن أدنى شائبة! ولكن كل ما هنالك أنها تبدو أغلى وأقرب إلى الفؤاد وأجمل فحسب. ولاتزال ذراعاها الناحلتان،

الضعيفتان كالظلال، تحظيان بكل بهائهما الشاحب النحيل، وهي في أثوابها البيضاء الرقيقة، وقد أزيحت الأغطية عنها، ترقد مثل دمية بلا بدن. ويتألق شعرها، الذي لايتسم بالطول البالغ، أكثر جمالاً حيث ينساب بعيداً عن الوسادة. أوه، ما الذي سيصير إليه أمرها؟ هكذا راح يسائل نفسه في عذاب مفعم باليأس، إذ لم يبد أن بمقدورها أن تواصل البقاء. وعلى الرغم من أنها لم ترتب نفسها على امتداد مرضها الطويل، إلا أنها بدت محتفظة بوقار يستعصي على من يستغرقون في العناية الشديدة بأنفسهم، وبدا له وهو يرقبها أن روحه ذاتها قد تفارقه.

قال: «لئن غادرتيني فإنني لن أبقى طويلاً بعدك أيضاً، أو أنه إذا كان أجلي أطول فسوف أضرب في أعماق الجبال، ولن يساورني الأسف إلا على محنة من سأتركها ورائي». أتى على ذكر أختها على أمل أن ينتزع رداً منها.

سحبت القليل من كم الرداء الذي حجب محياها، وقالت: «لقد انتهت حياتي، وبما أنه لا دفع للأمر الآن وقد حسبت أنني قاسية وكنت سأحظى بالسلام لو أنك فقط لم تتجاهل ما غامرت بطلبه منك، وهو أن تنظر إلى أختي، التي ستبقى من بعدي، باعتبارها ذاتي، تلك هي الخاطرة الوحيدة المريرة التي قد تحتجزني».

رد بقوله: «من المؤكد أنني ولدت لألقى حزناً عظيماً، لأنني لم أكن قادراً قط على حب أحد غيرك، وهذا هو السبب في أنني لم أطعك. والآن أندم على ذلك، ولأجل خاطرك أتمنى لو أنني تصرفت خلافاً لذلك. وعلى الرغم من هذا فإنني أطمئنك إلى أنه ليس هناك ما يدعوك للقلق». وسعى لتهدئتها، ولكنها بدا أنها تعاني معاناة بالغة، بحيث إنه أرسل في استدعاء الخبراء الذين يقومون بأداء طقوس الشفاء، وجعلهم يقومون بأقوى ما لديهم من رُقى. وراح هو نفسه يصلي لبوذا من كل قلبه.

مضى يتساءل عن السر في أن بوذا يمنحنا اليأس عامداً في مثل هذه الأوقات ليجعلنا نبذ هذه الدنيا، فقد ذوت أمام عينيه، وعندئذ، يا للحزن، رحلت. فلم يملك إلا أن يركل الأرض بقدميه في موجة عارمة من الغضب حيال عجزه عن الإبقاء عليها، ولم يكترث بمن يمكن أن يظنوا به الجنون. لقد انتهى كل شيء، وأدركت أختها ذلك وكانت يائسة على نحو جلي بحيث إنها ستتبعها. من الذي يمكنه أن يلومها؟ لقد تغلبت عليها مشاعرها،

واجتذبتها النسوة المتعقلات بعيداً لأن هذه النوعية من الأمور كانت مما يجلب سوء الطالع الشديد[1].

لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا قد وقع! لابد أنني أحلم! قرَّب المصباح، ورفع فتيله ليراها. بدا له المحيا الذي كانت قد حجبته غافياً فحسب، حيث لم يتغير فيه شيء. وتمنى في غمرة عذابه أن يستطيع رؤيتها باعتبارها لاتعدو أن تكون شرنقة زيز حصاد[2]. وخلال الخدمات الكهنونية الأخيرة لها التي قامت بها النسوة رتبن شعرها الذي انبعث منه العبق ذاته الذي كان له في حياتها. ومضى يبتهل لبوذا: آه، اسمح لي لطفاً كهدية نادرة أن أجد فيها عيباً من عيوب العامة، لعل حدادي عليها يغدو أقل! لو أنك كنت حقاً من يظهر الطريق إلى نكران الذات، فدعني على الأقل أجد أمراً فظيعاً يريحني من هذا الحزن! ولكن ما من شيء كان يمكن أن يبعث العزاء في نفسه. والآن إذ لم يعد لها وجود، فقد عقد العزم على أن يرعاها إلى أن تغدو دخاناً. وفي حالة من الحزن البالغ مضى يطمئن إلى أداء الطقوس المعتادة. وراح يرتجف كأنه يسير في الهواء، وظلت ناحلة حتى النهاية، حيث لم يرتفع منها في النهاية إلا القليل للغاية من الدخان. ومضى وقد بعث فيه الحزن الخدر.

شارك الكثير من الناس في اعتكاف الحداد[3]، الذي كان ينبغي أن يخفِّف من الوحدة قليلاً، ولكن الأميرة الشابة كانت قانطة ويغمرها الخجل حيال ما لابد أنهم يظنونه إزاء محنتها، وبدا أنها هي نفسها ليست على قيد الحياة إلا بالكاد. توالت رسائل عديدة من معالي وزير الحرب. فاستعادت في ذهنها كيف أن أختها قد احتفظت بإدانتها له حتى النهاية، وبدا لها أن صلتها به مريرة للغاية حقاً.

راح المستشار، وقد غلبه الآن الاشمئزاز من الدنيا، يفكِّر في القيام بما تمنى إنجازه منذ وقت جد طويل، ولكنه خشى عدم الموافقة من جانب سمو الأميرة المترهبنة المقيمة

---

(1) بسبب التدنيس الناجم عن الموت.

(2) كوكينشو 831، من نظم الراهب شوين، وهو يعرب عن أساه لإحراق جثمان فوجيوارا نو موتو تسوني عند فوكاكوسا في عام 891: «كان بعض العزاء أن أرى شرنقة زيز الحصاد التي خلفها وراءه، ولكن الآن، يا جبل فوكا كوسا، على الأقل دع بعض الدخان ينبعث (لأتذكره به)!».

(3) أون – إيمي، اعتكاف طقوسي لمدة ثلاثين يوماً لتجنب انتشار الدنس الراجع للاتصال بالموت. وقد شارك فيه «الكثير من الناس» بسبب وجود كاورو.

في سـانجو[1]، وأثارت الشفقة على الأميرة الصغرى اضطراب خواطره كذلك، لأن مهمته فـي نهايـة المطاف بعد أن رحلت «هـي» تمثلت على نحو ما قالت فـي القبول بأختها على أنها هي ذاتها. وراح يحدِّث نفسـه: لقد كنت أعرف أنها حتى إذا ما أصبحت هي في إهاب أختهـا، فلن يكـون بمقدوري حقـاً أن أحب أي امـرأة أخرى، ولكن علـى الرغم من ذلك بمـا كان ينبغـي أن أسـبب لهـا كل هذا الحـزن، وكان ينبغي أن أتـودد إلى أختهـا بدلاً منها وأن أتقبلها تعويضاً عن خسـارتي اللامتناهية. ولـم يمض إلى المدينة قط. وفهم الناس من صمته، ومن اعتكافه هناك بلا عزاء أنه كان يهتم بها كثيراً حقاً، ووصلته رسـائل عديدة من القصر ومن أماكن أخرى غيره.

في غضون ذلك، مضت الأيام، وقد جعل الصلاة تُقام في كل سابع يوم على نحو جليل للغايـة، وكـرَّم ذكراها بكثير من الإخـلاص، ولكن كان هناك حد لما يمكنـه القيام به. وقد تنهد هو الذي كان لا يزال يرتدي الملابس ذات الألوان التي ارتداها دوماً[2] لرؤية النسـاء اللواتـي كانـت تعني الكثير بالنسـبة لهن وقـد ارتديـن الآن الملابس ذات اللـون الرمادي القاتم:

«هباء كلها دموعي التي لا تنتهي وتسيل حمراء كالدم بفعل الأسى

ذلك أني قد لا أرتدي شيئاً مصبوغاً بلون التذكار».

وإذ لزم الحداد في ثوب وردي مطهر يتألق كالثلج بدموع حزنه، فقد بدا صورة للرشاقة والجمال. اختلسـت النسـوة النظر إليه، وقلن: «مع التسـليم بالمأسـاة الكامنة فيما حدث، فإنهـا ضربة قاصمـة أنه يتعين علينا أن نصبح غريبات بالنسـبة لهذا النبيـل الذي نعرفه حق المعرفة!».

«أي مصير غريب كان مصيرهما!».

«مـا أغـرب التفكير فـي أنهما كلتاهمـا قد رفضتاه فيمـا كان بالغ اللطـف!». وانخرطن جميعاً في البكاء.

---

(1) أمه، أونا سان نو ميا. وهو يفكر في أداء القسم الديني كذلك.

(2) لم يكن مخولاً ارتداء ثياب الحداد لأنه ليست له صلة رسمية تربطه بأويجيمي.

خاطب الأميرة الشابة بقوله: «آمل أن يتاح لي الآن التحدث معك بحرية، في ذكرى فقدها. أرجو ألا تظلي بعيدة عني!». ولكنها كانت تعرف عمق سوء طالعها حق المعرفة حتى إنها ظلت خجولاً على نحو يائس، ورفضت أن تقابله أو تحادثه. وبدا له بين الحين والآخر أنها على الرغم من أنها أكثر توهماً بالحياة في طابعها العام وأكثر طفولية وتفاخراً قليلاً، إلا أنها لم تكن نداً لأختها في الدفء وعمق الجاذبية.

انهمر الثلج طوال النهار، فيما راح يحدِّق فيما أمامه ويحلم إلى أن بزغ قمر من أقمار الشهر الثاني عشر، الذي يصفونه دوماً بأنه كئيب للغاية، في روعة مجردة من السحب، فرفع الستائر الحاجبة ليلقي نظرة على الخارج. دوَّى جرس أحد المعابد خافتاً في البعيد، مثلما يحدث عندما يرقد المرء على وسادة مرتفعة، ويسمعه يعلن ختام النهار[1].

«حتى لا أبقى طويلاً، آه، سأتبع القمر منطلقاً عبر السماء،

ففي نهاية المطاف هذه الدنيا لا يمكن أن تكون موطني».

أغلق المصاريع في مواجهة الريح العاتية، وهنالك عند حافة الماء كان القمر متألقاً في نهوضه من الجليد، الذي ارتسمت الجبال على صقاله. حدَّث نفسه قائلاً إنه ما من لمسة يضفيها على داره في المدينة يمكن أن تمنحه هذا. لو كان بمقدورها أن تحيا مجدداً لبعض الوقت لتحدثت معها عن هذا الجمال! وكان توقه الذي لا ينتهي أكثر مما يمكن لفؤاده أن يحتويه.

«في غمار معاناة آلام الحب سأعانق التيار الذي يجلب الموت،

لعلي أرحل عما قريب إلى الجبال الجليدية».

آه، ليت شيطاناً يعلمني عجز البيت، لعلي أتبع تلك القدوة العظيمة، وألقي نفسي من الأعالي، هكذا راح يحدِّث نفسه، الأمر الذي جعله رجلاً مقدساً وسمته الخطيئة إلى حد بعيد![2].

---

(1) يجيء رفع الستائر الحاجبة وأجزاء من الجملة التي تليه من قصيدة من نظم باي جويي (ها كوشي مونجو 978).

(2) الجبال الجليدية (يوكي نو ياما، سيسين) هي جبال الهيملايا. ذات مرة تعلم سيسين دوجي («شباب الجبال الجليدية»، البوذا في حياة سابقة) من شيطان صدر بيت من الشعر في مديح الاستنارة. ثم طلب الشيطان لحمه ودمه لقاء عجز البيت، ووافق سيسين دوجي على ذلك، وتلقى الشعر، ونقشه على جدار كهفه، ثم وثب من فوق

رأت النسوة رقة وعمق قلب جديرين تماماً بالإعجاب في الطريقة التي استدعاهن بها إلى الخارج لتجاذب أطراف الحديث، وفتنت به النسوة الأصغر عمراً بصفة خاصة. أما النسوة الأكبر سناً فقد أصابهن الندم على نحو متفاقم. وقلن: «إن صدمة ما حدث لسعادة الأمير وتيقنها البادي من أنها ستعاني الهزء بها والسخرية منها، هذان هما الأمران اللذان أصابا سيدتنا بهذا المرض العضال. ولكنها لم ترد أن تعرف أختها بجلية الأمر، واحتفظت لنفسها بكل غضبها، وفي غضون ذلك لم تصب طعاماً على الإطلاق إلى أن ذوت تماماً في النهاية. وعلى السطح فإنها لم تبد أدنى بادرة تدل على كونها حكيمة، ولكنها تحت السطح تمتعت بعمق كبير، وفكرت في كل الأمور، إذ إن مصير أختها آلمها أشد الألم لأنه بالنسبة لها كان يعني أن الأمر الذي أصدره سعادة الأمير إليهما لم يفض إلى شيء». واصلن تجاذب أطراف الحديث حول ما كانت الأميرة الأكبر سناً قد قالته في هذه المناسبة أو تلك، وسرعان ما انخرطن جميعاً في البكاء على نحو مرير.

نظر المستشار إلى نفسه باعتباره مسؤولاً عن الكوارث التي عانتا منها، وتمنى لو أنه كان بوسعه أن يمحو ما جنته يداه، واقترب كثيراً من ازدراء الدنيا بأسرها إلى حد أنه أسلم نفسه لصلاة ورعة. وانغمس في ذلك كثيراً في إحدى الليالي مسهداً، عندما سمع قبل وقت طويل من قدوم الفجر، ووسط الثلج والبرد الشديد، صياح الكثير من الرجال وصهيل جياد. واستيقظ الرهبان الكبار منتفضين، متسائلين عمن عساه يكون قد وصل في سمت الليل عبر الجليد. وقد كان من وصل هو معالي وزير الحرب، الذي ولج الدار مبتلاً في عباءة صيد بائسة. وجعلت طريقته في الطرق على البوابة من الواضح من عساه يكون، فانسل المستشار بعيداً ليختفي عن العيان في غرفة داخلية. لم يكن اعتكاف الحداد قد انتهى بعد، ولكن معاليه كان شديد الحرص على القدوم بحيث إنه أمضى الليل كله على الطريق وقد كساه الجليد.

كان حرياً بوصوله أن يعدها ببعض التخفف من أيام حزنها، ولكنها لم تكن في حالة مزاجية تسمح باستقباله، حيث انقبضت من الرجل الذي سبَّب لأختها مثل هذا الحزن، واستبد بها غضب شديد لأن الأوان قد فات بالنسبة له على أن يتغير، إذ لم تعد أختها

صخرة، وعندئذ تحول الشيطان إلى الإله أندرا وأنقذه. والقصة تروى في نيهان جايو وغيره.

موجودة هناك ليتحسن رأيها فيه. ودفع موقفها النسوة لمجادلتها على وجه السرعة،إلى أن جلست أخيراً، واستمعت مطولاً عبر الستائر الحاجبة، إلى اعتذاراته عن غيابه الطويل. وأدرك من خلال ما فهمه من حضورها أنها هي نفسها قد بدت قريبة من الهلاك على نحو مثير للشفقة، بحيث أنها قد تلحق قريباً بأختها الكبرى، ووجد هذا أمراً مزعجاً حقاً.

خاطر بمواصلة البقاء حتى الصباح. وردت على التماساته بأن تستقبله وجهاً لوجه بلا مبالاة قاسية: «لو أنني أحسست أكثر قليلاً بأنني عدت إلى حالتي الطبيعية..».

استدعى المستشار، الذي كان بمقدوره سماعهما، إحدى النساء الفاتنات ليعطيها رسالة سرية وفضولية إلى حد ما: «ربما تدينين جرائمه التي ارتكبها بحقك في غمار هذه الشهور الأخيرة، حيث كانت معاملته العفوية لك إساءة لمكانتك، ولكن فكّري بعض الشيء في استقباله بصورة طيبة في نهاية المطاف. فهو لم يصادف مثل هذه المشاعر من قبل قط، ولابد أنه حزين للغاية».وكان تأثير هذه الرسالة هو تشدد الأميرة الشابة في تحفظها الخجول، ولم تحر رداً.

احتج معالي وزير الحرب قائلاً: «إنك جاحدة أشد الجحود، ويبدو أنك نسيت كل تطمين قدمته لك». وأمضى النهار في النواح على مصيره. في تلك الليلة، وبينما زفيف الريح يعلو عن أي وقت مضى، رقد هنالك متنهداً حيال البؤس الذي جلبه على نفسه، إلى أن بدأت تشفق عليه، واستقبلته عبر الستائر الحاجبة كذي قبل. وجعلتها الطريقة التي أقسم بها بكل آلهة البلاد[1] على الإخلاص الأبدي تتساءل في استياء أين تعلم هذه البلاغة ذربة اللسان. ولكنها فيما مضت تستمع إليه، وجدت أنها لا تستطيع أن تنبذه كلية، حيث خفَّف التعاطف الآن من غضبها من إهماله لها عندما كان غائباً. وكان مظهره كافياً لفتنة أي امرأة، فقالت في رقة:

«الطريق الذي قطعناه لايعيد للذهن إلا ذكرى الخيانة،

فماذا إذاً قد يجلبه المستقبل لتستحق ثقتي؟».

لم يفعل هذا شيئاً على الإطلاق لبعث الطمأنينة في نفسه:

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو سوكوشو إنيو واكا 927: «أقسمت مرات عديدة للغاية على أن أكون صادقاً بحيث إنك تعرفين حتماً كل آلهة البلاد».

«إذا كان الطريق للأمام يبدو مقدراً له في ذهنك أن ينتهي عاجلاً،

فلا تبعديني الآن على الأقل.

ليس أمامنا إلا القليل من الوقت نمضيه معاً على أي حال! لا تكوني شديدة القسوة معي لطفاً!». بذل كل ما في وسعه لاستمالتها، ولكنها ردت بأنها تحس بأنها ليست على مايرام، ودلفت إلى الفراش، وأمضى بقية ليل بائس في التفكير في كيف يبدو في نظر وصيفاتها. ولم يلق اللوم عليها لغضبها عليه، ولكنها كانت شديدة القسوة حقاً! وتعلم من دموعه المريرة أن يتفهم تعاستها الأعظم.

تأثَّر كثيراً لملاحظة أسلوب اللياقة الذي اعتمده المستشار، عندما استدعى النسوة لتقديم الخدمات له أو جعل العديد منهن يقمن بخدمته خلال تناوله وجباته، وبدا له ذلك طريفاً. وأحزنه أن يراه بالغ النحول والشحوب وشديد التشتت على نحو جلي للعيان، فأبلغه بمدى حزنه وأسفه. أما بالنسبة إلى المستشار فقد تاق إلى الحديث مع معاليه عن خسارته، وذلك على الرغم من أنه كان يعرف أن ذلك لن يجديه نفعاً، ولكنه خشي كذلك من أن يبدو ضعيفاً وأحمق في غمار قيامه بذلك. وهكذا أحجم عنه، الأمر الذي لم يترك أمامه الكثير ليقوله. وبعد أيام عدة من الغرق في الدموع، كانت ملامحه قد تغيرت، وإن لم يكن للأسوأ، فقد بدت الآن من الحسن والتألق بحيث أن معاليه الذي استنكر عزلته أدرك الآن أنه لو كان امرأة لظفر المستشار بفؤاده. كان ذلك مصدر قلق، فقرَّر أن ينقلها إلى المدينة بينما يتجنب في الوقت نفسه، على نحو ما، التقريع والغضب اللذين يمكن أن يتوقعهما.

على الرغم من نبذها له، فقد شرع في العودة عند الصباح، إذ كان يعرف أنه سيندم على هذا النهار إذا علم جلالة الامبراطور والامبراطورة أين كان. وجرَّب كل بلاغته مجدداً معها، ولكنها أرادت أن يذوق بنفسه مرارة لامبالاته، ورفضت الاستسلام له.

مع اقتراب العام من ختامه، وحتى في الأماكن الأكثر إشراقاً، أقبل شيء جديد إلى السماء، فمضت تثلج وتثلج في كل يوم عاصف، وفي غضون ذلك واصل المستشار حزنه، كأنما كان الأمر كله حلماً. وبعث معالي وزير الحرب بمقادير كبيرة من التقدمات لقراءات النصوص المقدسة. وراح بعضهم في المدينة يتساءل عما إذا كان المستشار

سيواصل الحداد حقاً حتى العام الجديد، واستنكروا بما فيه الكفاية الطريقة التي عزل بها نفسه عن الدنيا، ذلك أن الأوان قد آن أخيراً لعودته.

وتجاوزت مشاعره وهو يستعد للقيام بذلك كل الأوصاف. كانت النسوة اللواتي استبد بهن الحزن يعرفن أنه ما من أحد من الزوار الذين استقطبهم حضوره ستقع عليه العيون مجدداً لدى رحيله، وخشين الهدوء الذي سيلي ذلك على نحو يفوق الحزن الأكثر انشغالاً من جراء المأساة ذاتها. ومضت إحداهن تؤكد للأخرى: «كانت كلمة ثرثرة أو أخرى معه شيئاً جيداً للغاية بين الحين والآخر على امتداد السنين عندما يتصادف مجيئه، ولكنه كان طيباً ولطيفاً للغاية خلال مكوثه المستمر هذا وشديد الاهتمام بالأشياء الصغيرة وحريصاً على كل وجه، وكم هو مؤلم التفكير في أننا لن نراه مجدداً». واستبد بهن الجزع.

أقبل مبعوث من معالي وزير الحرب، الذي قال: «أصبح من المتعذر عليَّ بصورة متفاقمة القدوم إليك، ولست أدري ماذا عساي أصنع غير ذلك، وأنا أسعى للوصول إلى طريقة لإحضارك إلى موضع أكثر قرباً». تعاطفت جلالة الامبراطورة معه عندما علمت بهذا، وحدثت نفسها بأنه إذا كانت مشاعر المستشار بالغة القوة على نحو ما يبدو، فمن المؤكد أن الكل سيجمع على أن السيدة تستحق اهتماماً خاصاً، واقترحت في تكتم أن يحضرها إلى الجناح الغربي في نيجو، حيث يمكنه زيارتها هناك في أي وقت. حدَّث معالي وزير الحرب نفسه قائلاً: لابد أنها تريد أن يبدو كما لو أنها ستمضي إلى الأميرة الأولى! وعندما أدرك ذلك ابتهج حيال احتمال وجودها على مثل هذا القرب، وأعلمها بذلك.

راح المستشار يحدِّث نفسه عندما علم بالأمر: فهمت. لقد اعتزمت إحضار أختها إلى سانجو بمجرد الانتهاء من إعداد المبنى. ومن المؤكد أنني كان ينبغي أن أتدبر نقلها إلى هناك بدلاً منها! أحس بخسارته من جديد. وبدت شكوك معالي وزير الحرب الجلية بلا أساس تماماً. ويقولون إنه أصر على معرفة الرد على هذا السؤال:من عساه غيري سيمدها بكل ما تحتاج إليه؟

48

سوارابي

أغصان السرخس الجديدة

كانت «السوارابي» (أغصان السرخس الجديدة) تُقطع وتُـؤكل في أوائـل الربيع. والفصل يسـتمد عنوانه من قصيـدة نظمتها نـاكا نو كيمي تعرب فيها عن شـكرها للخبير على هدية من السوارابي بعث بها إليها:

«حسبما أنا هذا الربيع، من سيستمتع بها معيَ، الآن وقد رحل،
أغصان السرخس الجديدة هذه من التلال التي جُمعت في ذكراه؟»

الصلة بالفصول السابقة

تتواصل في «أغصان السرخس الجديدة» أحداث «عقد ثلاثية الأوراق»، وهي في ربيع العام الخامس والعشرين من عمر كاورو.

الشخوص

المستشار، 25 عاماً (كاورو).

ابنة هاتشي نوميا الصغرى، 25 عاماً (ناكا نو كيمي).

معالي وزير الحرب، 26عاماً (نيئو ميا).

الخبير (أوجي نو أجاري).

بن، وصيفة ثم راهبة (بن نو أما).

تايفو، وصيفة.

معالي وزير الميمنة، 51 عاماً (يوجيري).

أقنعها مشــهد ســنا الشــمس الربيعي ذاته، الذي تألق حتـى في البـراري[1] بأنها لابد أن تكون في غمار حلم، وعندئذ راحت تتساءل كيف عاشت على امتداد هذه الشهور والأيام. كانـا معاً على الدوام أمام زهور المواسـم المتتابعة وشـدو طيورهـا، وكانا قد ضما صدور وأعجـاز أبيـات قصائدهمـا[2]، وتحدثـا عـن كل صدمة وحـزن جلبتهما عليهمـا حياتهما المفعمـة بالوحـدة، الأمر الذي أدخل العـزاء عليهما معاً، ولكن الآن مـع عدم وجود أحد يتفهـم الأمور التي تؤثر فيهـا أو تبدو طريفة لهم فقد غمر الظـلام والعذاب والعزلة حالتها المزاجية على نحو أكثر شمولاً مما كانت عليها قبل وفاة أبيها. وفي غمار اضطراب ذهنها لم تعرف إلا بالكاد الغسـق من الفجر، ولكن لكل منا زمنه المكرَّس له في الدنيا، والحياة، ياللحسرة، لم تنحسر عنها.

جاءت رسـالة قصيرة من الخبير: «كيف حال سيدتك في العام الجديد؟ إنني أقوم بأداء الطقوس من أجلها بصورة مسـتمرة، والآن فيما هي وحدها فإنها حاضرة دوماً في صلاتي المفعمـة بالقلق». كان قد بعث بسـلة جميلة من أغصان السـرخس والكُنبات الجديدة[3]. وقال: «هذه من بين الأغصان الأولى ذاتها التي جمعها مساعدو الرهبان من أجل المذبح». كانت القصيدة المكتوبة بيد ضعيفة للغاية مكتوبة عن عمد بحروف منفصلة تماماً:

«آنذاك، كنت أجمع من أجله الهدية نفسها ربيعاً إثر آخر،

وتكريماً لهاتيك الأيام أبعث إليك بهذه الأغصان الأولى[4].

اقرأي هذه لها لطفاً».

كان من الواضح أنه تكبَّد عناء كبيراً في إنجازها، وأحبتها أكثر من أي قصيدة تلقتها من ذلك السيد النبيل الذي بدا أن بلاغته السطحية تظهر مدى محدودية اهتمامه حقاً. انخرطت

---

(1) كوكينشو 870، من نظم فورونو إيماميتشي: «بما أن سنا الشمس يتألق في البراري، فإن الزهور تتفتح هنا في إيسونو كامي، في هذه القرية العتيقة».

(2) أحدهما ينظم النصف الأول من قصيدة (خمسة – سبعة – خمسة مقاطع) والآخر يضيف الباقي (سبعة – سبعة مقاطع).

(3) سوارابي وتسوكوزوكوشي (تسوكوشي باليابانية الحديثة) البراعم المبكرة لنباتي بتريديوم أكويلنام وإكويستوم أرفينس.

(4) تتلاعب القصيدة بكلمة تسومي «يجمع» و«تزيد عدداً» (في معرض الحديث عن السنوات).

في البكاء، وجعلت وصيفاتها يكتبن ردها:

«حسبما أنا هذا الربيع، من سيستمتع بها معي، الآن وقد رحل

أغصان السرخس الجديدة هذه من التلال التي جُمعت في ذكراه؟»

وأمرت بإعطاء مكافأة للمبعوث.

بقدر ما كانت جميلة بالفعل في ريعان شبابها، فإن همومها جعلت ملامحها هزيلة قليلاً، الأمر الذي أضفى عليها بهاء أكثر نبلاً جعلها تشبه أختها التي فقدتها. كانتا وهما جنباً إلى جنب تبدوان مختلفتين تماماً، ولكن الشبه بينهما الآن كان لافتاً للنظر للغاية إلى حد أنه إذا نسي المرء للحظة فإنه يمكن أن يتخيَّلها أختها. أثَّر هذا المشهد في النسوة إلى درجة دفعتهن إلى النواح: «لزم سعادة المستشار الحداد على سيدتنا ليلاً ونهاراً إلى أن أصبح يتوق إلى أن يكون قادراً على تأمل قوقعتها الخاوية. ياله من عار أنه لم يُقدَّر لها أن تكون من نصيبه فيما كان يمكن لها أن تفعل ذلك على وجه الدقة!». ومنح وصول أحد رجاله لكل منهما أن يستفسر عن حال الآخر. وأقنعتها الأخبار التي دارت عن أنه على الرغم من العام الجديد كان شارداً على الدوام وغارقاً غالباً في الدموع بأن ارتباطه بأختها لم يكن نزوة عابرة، وأحست بالتعاطف معه الآن أكثر من أي وقت مضى.

الآن عقد معالي وزير الحرب، الذي لم تسمح له حياته بلحظة للذهاب إليها، العزم على إحضارها إلى المدينة.

لدى انتهاء المأدبة الخصوصية وما إلى ذلك من المشاغل، مضى سعادة المستشار لزيارة معاليه، إذ لم يكن بمقدوره أن يتخفَّف من يأسه مع أي شخص آخر. كان المساء قد ضرب أطنابه، وجلس معاليه قرب الشرفة شارداً. ومضى يستمتع بعبق براعم البرقوق التي يحبها، متلاعباً في غضون ذلك بآلة سو نو كوتو، عندما نزع المستشار أحد أغصان الشجرة الخفيضة ودنا منه حاملاً إياه. وبدا العبق الرقيق على نحو عذب لمعاليه مناسباً تماماً:

«هل تناغمت مع أقل ظلال مشاعرك، أنت يا من قطفتها

بحيث إن هذه البراعم التي احتجبت ألوانها عطرت الهواء؟»[1]

(1) «تعبيرك لا يفصح عن شيء، لكنك لا يزال يبدو أنك تحبها».

قالها معاليه، ورد المستشار المجاملة:

«دعه يحذر إذاً قبل أن يقطف الغصن المزهر لنفسه

من أنه يجلب للمعجب به اللوم والاتهامات!»

كانا خير صديقين.

استقرا ليتجاذبا أطراف الحديث، وسارع معاليه بالاستفسار عن القرية الجبلية، ثم تحدَّث المستشار بدوره عن كيف أنه أحس بعمق بخسارته وكيف أن فؤاده كان لها منذ البداية حتى هذا اليوم ذاته. ووسط الدموع والابتسامات، كما يقولون، فصَّل القول في ذكرياته الحزينة والطريفة على مدار السنين، إلى أن مضى معاليه نفسه، الذي كان سريعاً على الدوام في الحب والبكاء، يعتصر الدموع من كميه على محنة شخص آخر، وأتاح لصديقه كل الأسباب التي تدعوه إلى أن يكون سعيداً به. وفي غضون ذلك، اتشحت السماء بالسديم، كأنها تتفهم الأمر كذلك.

في تلك الليلة، حملت ريح مزمجرة معها برداً لا يزال شتائياً، وواصل المصباح التذبذب. ولم يستطيعا حمل نفسيهما على إنهاء حوارهما، على الرغم من مثل هذه الكآبة التي تحل عندما يغمر الظلام كل شيء[1]، وواصلا تجاذب أطراف الحديث حتى وقت متأخر للغاية من دون أن يفرغا مما يريدان قوله. «هلم، ذلك لا يمكن أن يكون!». هتف بها معاليه، حيث كان صديقه قد وصف صلة رقيقة لانظير لها في الدنيا بأسرها، وقادته أساليبه إلى الإلحاح في تناول الموضوع على افتراض أنه لابد أن يكون هناك المزيد. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان رجلاً متفهماً، ومضى الآن يطرح بمهارة كلمات العزاء وبعد ذلك مخاطبات للشعور العميق بحيث إن جاذبيته غمرت المستشار شيئاً فشيئاً، ودعته إلى أن يفضي له بكل ما في فؤاده من أحزان، وشعر بالتحسن كثيراً بعد قيامه بذلك.

وصف معاليه، من جانبه، خطته لإحضارها إلى مكان أقرب. رد المستشار: «ذلك خبر طيب! ياللحسرة، لا يمكنني الامتناع عن التفكير في أن الأمر كله كان غلطتي، وهي الآن الصلة الوحيدة لي بمن سأفتقدها دائماً، وأنا أشعر عموماً بأنه يتوقف على أن أقوم لها بكل

(1) من كوكينشو 41، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني: «في ليلة في الربيع، يكسو الظلام كل شيء، فيما تظل براعم البرقوق محتجبة، لكن عبقها لا يمكن حجبه».

مـا أسـتطيعه. آمل ألا يزعجك هذا». وتطـرق قليلاً إلى رغبة الأخت الكبـرى في أن يتقبل الصغـرى باعتبارها هي ذاتها، ولكنـه لم يأت على ذكر تلك الليلة، إذا جاز القول، الخاصة بهتافات الطير في غابة إيواسـي[1]. وفي قرارة نفسه أحس بصورة متزايدة بالأسف على أنه لـم يفعل برمـز حبه المفقود على وجه الدقة ما كانت قد قالت إنـه ينبغي أن يقوم به، ولكن الأوان كان قـد فـات، وكان سيشـجع فحسـب رغبات لا يمكن السـماح بها لـو أنه واصل الإحسـاس بهذه الطريقة. لا، رفض الفكرة باعتبارها حمقاء وخيانة مستحقة الشجب لهما كليهما. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان لابد من التفكير في انتقالها. ومن عساه غيره يشرف عليه؟ أمر بالبدء في الاستعدادات اللازمة لذلك.

في أوجي، أحضرن شـابات وتابعات صغيرات جميلات، وشغلت الوصيفات أنفسهن في مرح بالاستعداد، بينما كانت سيدتهن، التي أحست باليأس للحاق الدمار بقرية فوشيمي الخاصـة بها[2] تمضي كل لحظة من لحظاتها شـاعرة بالحـزن، ولم يكن بمقدورها حقاً أن تعزل نفسها هناك متحدية إلى الأبد. مضى يلومها مراراً وتكراراً: «كيف يمكنك التفكير في البقـاء بينما الصلة الغالية التي تربطنا معرضة للإخفاق؟». ولـم تسـتطع أن توافق على ذلك كلية. وراحت في حيرة محزنة تتساءل عما ينبغي أن تفعله.

كان اليوم المتفق عليه هو الأول من الشهر الثاني، وكلما اقترب أهاب بها وعد الأشجار المزهرة أن تبقى انتظاراً لتفتح البراعم، وبالإضافة إلى ذلك بدا لها أن التخلي عن مشاهدة السُدم وهي ترتفع فوق التلال من أجل السفر إلى دار لن تدوم لن يجلب إلا العار والسخرية القاسـية، إلـى أن انقبضت من الفكـرة، وأمضت الليل والنهار غارقة في همومها فحسـب. عندمـا آن أوان التخلـي عن ثياب حدادها، بدا التطهير لها سـطحياً للغايـة[3]. لما كانت لم تعـرف أمهـا قط، فإنها لم تفتقدهـا يوماً، وللتعويض عن ذلـك، أرادت هذه المرة أن تصبغ

(1) الليلة التي قضاها مع ناكا نو كيمي. جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إينو واكا 367: «إذا كنت تحبني، فأقبل لتكون معي، لنتحدث معاً، مثلما تهتف الطيور أحدها للآخر في غابة إيواسي».

(2) كوكينشو 981: «أقبل، هاهنا سأمضي حياتي، فها هنا في سوجاوارا لن تتعرض قرية فوشيمي للتدهور والدمار». والمنطقة المذكورة تقع بالقرب من نارا الحالية.

(3) كان الحداد الذي يوصى به على أخ أو أخت يدوم ثلاثة أشهر، وعندما تنقضي هذه المدة كان من يلزم الحداد يمر بعمليات التطهر عند ضفة غدير. وترتبط صفة «سطحي» (أساكي) تقليدياً بالتطهير (ميسوجي) ربما بسبب سطحية غدير المزار المقدس.

ملابسـها بظـل قاتم للغاية[1]، ولكن لا، فإن ذلك لم يكن سـبباً كافيـاً، الأمر الذي أصابهما بخيبة أمل وحزن لاينتهيان.

بعَث إليها المستشـار بعربتها والحـرس المصاحب لها والخبير[2] وما إلى ذلك، وكتب يقول:

«آه، ما من شيء يدوم! ما إن تعدي لنفسك رداء من سديم

حتى تدور الأيام وتتفتح الزهور ملء الأفق»[3].

وقـد بعث لهـا حقاً بكل أنـواع الملابس الجميلـة والمتألقة. وكانت الهدايـا التي بعث بهـا للجميـع، على الرغم من أنها ليسـت مترفة أبـداً، وفيرة ومختارة بعناية لتناسـب مكانة كل منهـن. راحـت النسـوة يذكرنها: «لطف مولاي رائـع للغاية، ويااللطريقة التي لم ينسـنا بها. وقدرت النسـوة الأكبر سـناً اللواتي لم يكترثن بالمظهر مساعدته الأكثر اتساماً بالطابع العملي، بينما أحسـت الأصغر سـناً، اللواتي التقينه كثيراً، بالحزن لأنه سيغدو غريباً عنهن، وقلن: «آه، ياسيدتي، لسوف تفتقدينه!».

وصل المستشـار نفسـه في وقت مبكر من صباح اليوم السـابق لرحيلهـا. وكالمعتاد تم اصطحابـه إلى غرفة الضيوف، وهناك أسـلم نفسـه لتأملات مريرة. قال محدِّثاً نفسـه:كان يمكـن الآن أن نكـون قريبين أحدنا من الآخر في نهاية المطاف، وكنت أنا أول من سـيلغي هـذا النوع مـن الانتقال. اسـتعاد في ذاكرتـه مظهرها والأمـور التي حدَّثته بها عن نفسـها، فحـدَّث نفسـه متألمـاً: إنها لـم ترفضني صراحـة في نهايـة المطاف قط، أو تحرجني أشـد الحـرج، بـل كنت أنا من ظل على نحو غريب تماماً بعيداً عنها. وتذكر الباب المنزلق الذي أطل عبره، ومضى ليلقي نظرة أخرى، ولكن ياللحسـرة، فقد كانت الستائر الحاجبة مسدلة على الجانب الآخر، فحالت بينه وبين النظر إليها.

---

(1) أرادت أن تلزم الحداد على أختها كما كان حرياً بها أن تلزمه على أمها.

(2) خبير في فن الين - يانج، والذي كانت خدماته مطلوبة في نهاية أي فترة حداد وكذلك في أي مناسبة مهمة كرحيل ناكا نو كامي.

(3) «رداء من سديم» (كاسومي نو كورومو) هو في آن ثياب حداد ناكا نو كيمي والسُدم التي ترتفع وسط التلال في الصباح الباكر.

هنالـك أيضاً، في الداخل، كن يسـتعدن ذكرى الأميـرة الكبرى في حزن غامر، ورقدت الأميرة الشـابة بصفة خاصة غارقة في الدموع، وقد غمرها الحزن، وغرقت في التفكير في رحلتهـا في الغـد. وعندئذ وصلتها رسـالة من المستشـار: «ليس قوام الأمـر أنني لدى أي شـيء يتعين بصفة خاصة أن أقوله بعد شـهور أمضيتها بعيداً، ولكنه سـيكون مصدر ارتياح أن أحدثـك بالقليـل عما يدور في ذهني. أرجو أن تكوني أقـل ابتعاداً على نحو صارم عني مما كنت عليه في السابق، فهذه الدار تبدو لي الآن بصورة متزايدة عالماً مختلفاً».

ردت قائلـة: «لسـت أود أن تحسـبني صارمة، ولكنني لا أشـعر بأنني علـى ما يرام على الإطلاق. وأخشى أنني في حالتي المضطربة الراهنة لا يمكنني التيقن مما قد أقوله». بدت مكتئبة، لكن وصيفاتها أكدن أنه يستحق ما هو أفضل، واستقبلته عند الباب المنزلق الفاصل بين الغرف.

كانت جاذبية حضوره شـديدة إلى حد أنها عجزت عن تصديق عينيها، فقد كان شـديد التألق، وبدا الآن في تمام رجولته. نعم، إن له هيئة فائقة، وما أجمل إطلالته! وجلبت رؤيته بهـذه الطريقـة على نحو أكثر توهجاً إلى الذهن الصورة التي لـم تفارقها قط، على أي حال، وتأثرت بعمق.

واصـل القول: « ربمـا ينبغي اليوم أن أمتنع عن مواصلة الحديث عنها»[1]. وأشـار بدلاً من ذلك بقوله: «لسوف أنتقل أنا نفسي عما قريب إلى حيث تذهبين، وكما يقول الأصدقاء الطيبون، فإنك عندما تحتاجين إلى أي شيء، في منتصف الليل أو الفجر، فلا ترددي لطفاً في إبلاغي به، فطالما بقيت على قيد الحياة سـأكون رهن أمرك على الدوام. آمل أن يكون ذلك مقبولاً. والناس في هذه الدنيا تختلف مشـاعرهم نحو الأشـياء، وهذا الأمر لايتوقف تقريره عليَّ وحدي، إذ إنني أعرف أنك قد تعترضين».

ردت قائلـة: «أتمنـى ألا أرحل أبـداً، والآن فيما تقول إنك سـتكون علـى مقربة، فإنني أجد نفسـي شـديدة الاضطراب، ولا يمكنني الرد». في بعض الأحيـان كان صوتها لايبدو مسـموعاً، وفي غمار حالتها المزاجية التي قوامها الحزن اليائس كانت تبدو شبيهة إلى حد

(1) أويجيمي، موضوع أكثر إثارة للحزن من أن يكون مناسباً في المناسبة السعيدة المتعلقة بالانتقال إلى المدينة.

كبير بأختها بحيث إنه أقدم على حماقة تركها تذهب، باختياره، إلى شخص آخر. وعلى الرغم من ذلك فقد كان أوان الندم قد فات، ولم يقل شيئاً عن تلك الليلة، محافظاً بدلاً من ذلك على أسلوب يوحي بأنه نسيها تقريباً.

كانت شجرة البرقوق الأحمر في الحديقة جميلة للغاية لوناً وعبقاً إلى حد أنه حتى الهازجات بدا أنها عاجزة عن المرور به من دون تغريد، وأثرت هذه اللحظة بصفة خاصة في هذين اللذين أزعجهما، فيما هما يتجاذبان أطراف الحديث، التفكير في أن هذا الربيع لم يكن على الإطلاق الربيع القديم[1]. اختلطت هبة من عبق الزهور على أجنحة النسيم بعطر الزائر، لتعيد الماضي إلى الأذهان أكثر توهجاً بالحيوية من عبق أي زهرة برتقال. لابد أن هذه الشجرة كانت تعني الكثير بالنسبة لها، نظراً للطريقة التي تخفف بها الملل أو تمنح الراحة في قلب الحزن. كانت هذه الفكرة أكثر مما تستطيع كتمانه:

«سرعان ما سيمضي كل شيء، هو الذي أحبهما، ويترك للعواصف هذه القرية

الجبلية حيث تستدعي شجرة البرقوق في كمال تفتحها بعبقها الماضي»[2].

تردَّد صوتها خفيضاً للغاية ومتعثراً تماماً إلى حد أنه لم يكن يستطيع إلا بالكاد أن يحدِّد ما إذا كانت تتحدث من عدمه، ورد في دفء قائلاً:

«مسَّ كماي هذان يوماً براعم شجرة البرقوق، الرقيقة كعهدها،

التي لابد لي الآن من نقلها جذراً وغصناً إلى دار لم تعد داري!».

جفَّف خلسة وعلى نحو لائق دموعه المنهمرة، ولم يواصل حوارهما بعد ذلك. وقال قبل أن يغادر: «آمل أننا قد نلتقي على هذا النحو مجدداً.. ما أيسر الحديث معك!».

أعطى التوجيهات بشأن رحلتها، وعهد إلى الرجال في ضياعه القريبة بتوفير ما سيحتاجه الحارس ذو اللحية، ذلك أنه تقرر أن يبقى ليقوم على العناية بالدار، فما من شيء، حتى أكثر الأمور اتساماً بالطابع العملي، غاب عن اهتمامه.

---

(1) كوكينشو 747 من نظم أريوارا نو ناريهيتا: «أليس هذا هو القمر، أليس هذا الربيع هو الربيع القديم، فيما أظل وحدي على ما كنت عليه آنذاك؟».

(2) تتلاعب القصيدة بـ«أراشي» («ريح العاصفة») وأراجي («لن يكون هناك»).

كانت العجوز بن قد قالت لسيدتها: «قد يمتعض الناس إذا صحبناك، ياسيدتي، لأنني عشت عمراً أطول مما رغبت فيه، وحياتي عبء عليَّ». كانت قد جعلت نفسها راهبة. وأصرَّ المستشار على قدومها، وأثَّر مرآها فيه أشد التأثير.

وكما حدث غالباً في السابق، جعلها تتحدث عن الماضي. قال: «لسوف أعود من وقت لآخر، وسيبدو المكان خاوياً ومهجوراً تماماً. سيكون مصدر سرور بالغ أن أجدك هنا في نهاية المطاف!». منعته الدموع من قول المزيد.

ردت: «كلما ازدادت رغبتي في التخلص من حياتي، بدا أن عمري يزداد طولاً. وأنا ألوم سيدتي على مغادرتي.. ما الذي ستجعلني أقوم به بعد أن ترحل؟ أحسب أن طريقتي في إدانة الدنيا بأسرها[1] تعني أنني خاطئة للغاية حقاً». كان من قبيل الأنانية الشديدة أن تصب شكواها صباً على نحو ما فعلت، ولكنه أدخل الراحة على نفسها بصورة جميلة.

كانت موغلة في العمر كثيراً، ولكنها الآن وقد قصت ما يعيد للأذهان حسنها الغابر، بدا جبينها موحياً بأنها أصغر سناً من السابق[2] وإلى هذا الحد اكتسبت صفاء جديداً. راح يتساءل يائساً: لماذا لم أتح لها القيام بهذا الشيء نفسه؟ في نهاية المطاف كان يمكن أن تعيش عمراً أطول بتلك الطريقة. وفكَّر فحسب في كيف أنه كان يمكنه عندئذ أن نتحدث معاً قلباً لقلب! وجعلته هذه الخاطرة التي استغرقت تفكيره يحسد حتى المرأة الماثلة أمامه، ونحَّى جانباً ستارتها القائمة بحيث يتاح لهما الحديث بمزيد من اليسر. كان صحيحاً أنها تتمتع بقدر يعتد به من التميز. قالت:

«لو أنني غرقت في غدير الدموع الكبير الذي يسفحه العمر سريعاً،

لما واصلت العيش أبداً عندما رحلت من أحببتها».

وشرعت في البكاء.

قال محتجاً: «لكن ذلك كان من شأنه أن يكون خطيئة كبيرة للغاية! كيف إذاً كان يمكن

(1) شويشو 953، من نظم كي نو تسورايوكي: «غامرة هي الأحزان التي تطالني وحدي إلى حد أنني أدنت الدنيا بأسرها».

(2) قصت شعرها إلى طول شعر الراهبة الذي يصل إلى الكتف (أما ساجي).

أن تبلغي الشاطئ الآخر؟ سيكون أمراً فظيعاً الغوص إلى الحفرة لقاء مثل هذا العمل الفظيع. لا، ما من شيء مهم إلا رؤية أن الكل هباء».

«ألقي نفسك إلى غدير الدموع الحزين ذاك حيث ترغبين في الغرق،

ولسوف يودي كل شلال أو مدى ضحل بنسيانك[1].

آه، أي حياة ستجلب العزاء أبداً؟». أحس كما لو أن حبه لا نهاية له[2]. وإذ افتقر إلى الشجاعة للمغادرة، فقد واصل البقاء، غارقاً في الحزن حتى ما بعد المغيب، ولكنه عندئذ انطلق عائداً إلى المدينة في نهاية المطاف، إذ إنه كره فكرة أن أحداً قد يلحظ بعين الرفض غيابه طوال الليل.

ذكرت بن لسيدتها كل ما كان قد قاله، فأحست أنها لاتزال أكثر بعداً عن أي إمكانية للشعور بالراحة. مضت الأخريات جميعاً يحكن الثياب في مرح، ويرتدين ثيابهن من دون أن تخطر لهن خاطرة عن مظهرهن المرتبك، فيما أحست على نحو متزايد أنها أقرب إلى الراهبة. فقالت معربة عن شكواها:

«حيث يعد الجميع ثياباً جديدة على الامتداد الطويل لشاطئ الكم

تسفح امرأة، من نساء البحر، الدمع المرير لراهبة عجوز»[3]

وردت سيدتها:

«أليس كماي هذان كمي امرأة من نساء البحر تسفح قطرات الدمع

عندما أنشرهما على الأمواج مبتلين بدموع الهم المرير؟[4]

ليس يمكنني تصور الشعور حيثما أنا ماضية بأنني في داري». واصلت حديثها بلطف

(1) الشلالات والمناطق الضحلة في النهر (سزي) هي صورة لتقلبات الحياة.

(2) كوكينشو 611، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني: «حبي لا مدى له ولا نهاية، والحد الوحيد، بالنسبة لي، هو المرة التالية التي نلتقي فيها».

(3) تتلاعب القصيدة بكلمة «أما» («راهبة» و«امرأة من نساء البحر») وكذلك تتلاعب بمجموعة من الكلمات المرتبطة بالبحر. وبهذه الروح فإن اسم المكان سود نو أورا («شاطئ الكم» في شمالي اليابان) يضيف ألقاً شعرياً إلى «سود» («كم» الملابس الجديدة) التي تعدها النسوة لليوم التالي.

(4) «أليست أحزاني مريرة تماماً كأحزانك عندما يتعين عليّ الانطلاق غداً إلى دار جديدة في رحلة لم أقم بها من قبل قط؟».

بالـغ: «وكما ترين، وبحسـب ما سـتصير إليه الأمـور، فإنني حريصة علـى ألا تتداعى هذه الدار، في نهاية المطاف، وفي هذه الحال سـنلتقي مجدداً، ولكن فكرة تركك هنا على هذا النحـو، وحيدة ومهجورة، تزعجني أكثر فأكثر. ومن يعيشـون حياتك الجديدة هذه ليسـوا بحاجة إلى أن يعزلوا أنفسهم. لا، لابد لك من التعامل مع الأمر كأي شخص آخر والقدوم لرؤيتـي فـي غالب الأوقات. وتركت للعجوز كل الأثاث الـذي قد تحتاجه من بين الأثاث الـذي كان لأختهـا الأكبر ذات يـوم. وقالت: «عندمـا أراك على هذا النحـو، أكثر حزناً من الأخريـات، يبـدو لـي أنني أنـا وأنت لابد أننا نشـترك في صلـة تربط بيننا من حياة سـابقة، وأتعاطف معك كثيراً!». غرقت العجوز في البكاء مثل فتاة صغيرة تبكي طالبة أمها.

مـا إن تم ترتيب كل شـيء وتجهيزه، حتـى أُحضرت العربات. وشـمل الجمع المرافق للركب العديد من السـادة من ذوي المرتبتين الرابعة والخامسة. وكان معالي وزير الحرب قد أراد بشـدة القدوم بنفسـه، ولكن ذلك كان من شـأنه أن يعني درجة مربكة من المظاهر والاحتفـالات، ومـن هنـا فقد رتـب وصولاً يحيطـه التكتم مضـى ينتظره فـي قلق. وبعث المستشـار بـدوره الكثير مـن الرجـال للالتحـاق بمعيتها، وعلـى الرغم مـن أن القرارات الأساسـية ظلـت قـرارات معالي وزير الحـرب، إلا أنـه كان هو الذي حـرص بدقة جديرة بالإعجاب على الاهتمام بكل التفاصيل الأكثر تواضعاً.

ارتبكت لسماع أصوات داخل الدار وخارجها تحذِّر من أن الشمس آخذة في الغروب، وجعلتها فكرة أنها لا تعرف إلى أين هي ماضية تشـعر بالضعف على نحو مثير للإشـفاق. قالت وصيفة تُدعى تايفو، كانت معها في العربة، باسمة:

«جلبنا العيش في اليوم أخيراً إلى مياه ضحلة سعيدة..

آه، ولكن لو أنني أغرقت نفسي يائسة في نهر أوجي!»[1]

لـم تحب سـيدتها ذلـك على الإطـلاق، ومضت تحدِّث نفسـها: ما أشـد اختلافها عن الراهبة بن!

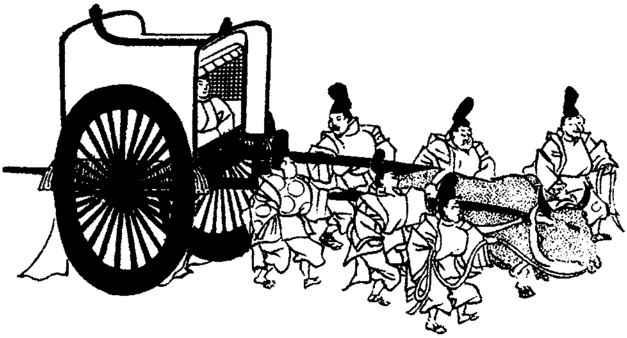
أضافت أخرى:

---

(1) «المياه الضحلة» صورة لتقلبات حياة المرء.

«لم ينس المرء حزن افتقادها، هي التي فقدناها جميعاً،

ومع ذلك فإن احتمالات سعيدة تمتد أمامنا!»



عربة مع حرس مرافق

كانت العجوزان كلتاهما مولعتين بسيدتهما الكبرى، ولكن جهدهما الحازم الآن لتجنب التركيز على ذكراها بدا للسيدة الأصغر مؤلماً للغاية، فلزمت الصمت.

رأت كيف كان الطريق ممتداً وكيف كانت الدروب منحدرة عبر الجبال، هي التي كانت قد أدانته لغيابه، فتفهمت بشكل أفضل قليلاً السر في عدم قدومه إلا نادراً. حدَّقت في السُدم التي أنارها على نحو جميل قمر الربع الأول من الشهر المتألق، وأسلمها تعب الرحلة الطويلة وغير المألوفة إلى حلم يقظة حافل بالاضطراب:

«مطلة أرى كيف يعلو القمر الجوَّاب كذلك من الآفاق،

فلا يجد عزاء في الدنيا، ثم إلى التلال يعود»(1).

أُفعمت نفسها بالهواجس حول ما قد ينتظرها ما إن تدخل وضعيتها الجديدة، فتاقت إلى إلغاء كل ما كان قد حدث، حيث بدا لها أن كل همومها على امتداد كل تلك السنين لم تكن شيئاً مقارنة بما قد نصبح عليه قريباً.

وصلت في وقت متأخر من المساء. ومضوا بعربتها وسط السرادقات ذات الثلاث طيات أو أربع(2) في المقر المتألق، الذي لا يشبه أي شيء قُدِّر لجمعها رؤيته، وأقبل معالي وزير الحرب، الذي كان قد انتظرها بصبر نافد، لمساعدتها على الترجل بنفسه. وكانت غرفها قد رتبت إلى حد الكمال، وأوضحت العناية التي أُضفيت حتى على غرف النساء

(1) إنها تتوقع خيبة أمل وعودة إلى أوجي.

(2) كلمات مستخدمة في أغنية سايبارا بعنوان «هذا السيد النبيل» لوصف مسكن فخم.

التابعات لها أنه قد أعطى لكل شيء لمسته الشخصية. ولدى رؤيته يستقر معها في التو، فيما لم يكن واضحاً من قبل أي معاملة قد تحظى بها منه، خلص الناس إلى أنه لابد أن يكون حريصاً عليها حقاً، ودهشوا حيال مرتبتها الرفيعة الجلية.

كان المستشار، الذي اعتزم الانتقال إلى سانجو بعد العشرين من الشهر، يمضي يومياً لإلقاء نظرة على المكان، وحيث إنه يقع بالقرب من نيجو، فقد مضى إلى هناك قبل وقت طويل من انتصاف الليل ليكتشف كيف مضت الأمور. ومن الطبيعي أن خبر استقبال معاليه لها بكل مؤشرات الاهتمام قد أدخل السرور على نفسه، ولكن على الرغم منه فقد أحس بخيبة أمل حادة ولكنها حمقاء. وراح يغمغم لنفسه مراراً وتكراراً: «آه، لو أنه كان هناك سبيل»[1].

«آه، أيتها المياه المتألقة، كما يرصد المرء عبر بحيرة جريبيز شراعاً ملتمعاً

رقدت معها ذات مرة رغم أننا مفترقان!»[2]

هكذا قال لنفسه، ليفسد سعادتهما.

استبد الحنق بمعالي وزير الميمنة، الذي اعتزم تزويج معالي وزير الحرب من ابنته السادسة في ذلك الشهر نفسه، لأنه بدا أن معاليه عمد كأنما لإحباط الزيجة إلى استقبال سيدة غير جديرة بذلك بالمرة في داره وراح الآن يتجنب لقاءه. وقد أسف معاليه لسماعه ذلك، وبعث بين الفترة والأخرى برسالة قصيرة إلى السيدة النبيلة الشابة. وكانت الاستعدادات للاحتفال بعقد نطاق خاصرتها، في إشارة إلى بلوغها، قد جعلت الدنيا بأسرها تتحدث، وبما أنه لم يكن بمقدوره تأخير الاحتفال بهذه المناسبة من دون أن يثير السخرية، فقد أقام الحفل قرب نهاية الشهر.

بدت له فكرة ترك المستشار يغدو غريباً عنه تماماً عاراً كبيراً. كان مثل هذا الزواج يمكن

---

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إينو واكا 1933: «لو أنه كان هناك سبيل لتحويل الحاضر إلى ماض، لجعلت الدنيا كما كانت آنذاك!».

(2) تبدأ القصيدة بـ«شيناتيرو يا»، وهو وصف تقليدي (ماكورا كوتوبا) لنيئو نو أومي («بحيرة جريبيز»، بحيرة بيوا)، ولكن بما أن معنى التعبير مجهول، فإن «آه، أيتها المياه المتألقة» يعد بديلاً له أكثر مما هو تخمين. والقصيدة تتلاعب كذلك بـ«ما هو» «الإبحار الأخير» و«حقاً» (كنت معها ولكن ذلك لم يكن حقاً).

أن يكون كئيباً، ولكنه على الرغم من ذلك مضى يحدِّث نفسه: حسناً، إذاً، ربما كان هذا هو ما ينبغي أن أقوم به! وهو في نهاية المطاف يبدو بالغ الكآبة، الآن وقد فقد محبوبة قديمة ومحاطة بالسرية. وجعل أحدهم يسبر غور النبيل الشاب وما يدور في ذهنه.

«بعد أن رأيت بعينيَّ زيف الحياة، وعانيت منها أشد العناء، فإنني أحس بأن وجودي مثقل بالمحن، ولذلك فإنني لم أستطع في ظل أي الظروف النظر في الإقدام على مثل هذه الخطوة. كان ذلك، فيما فهمه، هو الرد المثبط للغاية الصادر عن المستشار.

صاح في مرارة: «ماذا؟ حتى هو يتعالى على مثل هذه الخطبة الصريحة من جانبي؟». ولكن الشاب على الرغم من أنه تربطه صلة عائلية وثيقة إلا أنه كان يحظى بمكانة رفيعة للغاية بحيث إنه لم يسع إلى إقناعه أكثر من هذا.

نظر المستشار، في موسم البراعم، عبر أشجار الكرز إلى نيجو، ومضت خواطره مباشرة إلى من تعرضوا للتخلي عنهم في أوجي. راح يتساءل: هل تتناثر على نحو أكثر مرحاً؟[1] وانطلق لرؤية معالي وزير الحرب. كان هذا الأخير يمضي الآن معظم وقته في الدار، حيث استقر على نحو جميل للغاية بحيث أن هذا الترتيب كان مرضياً للعين الساهرة عليه، باستثناء أنه الآن وعلى نحو غريب كان مثيراً للقلق أيضاً. وعلى الرغم من ذلك فإنه في الحقيقة كان متأثراً ومسروراً في آن.

راحا يثرثران حول هذا وذاك حتى المساء، عندما أقبلت معية كبيرة، وأعدت عربة معالي وزير الحرب للمضي به إلى القصر. فاستحثه المستشار على ذلك ثم مضى إلى جناحها. لم يبق أثر من القرية الجبلية، حيث كانت تعيش وراء الستائر الحاجبة وسط ترف متألق. لاحظ عبرها الهيئة غير الواضحة لفتاة جميلة تابعة، فطلب منها إبلاغ سيدتها بوجوده هناك، وعندئذ برزت وسادة، وأقبلت وصيفة ممن لابد أنهن عرفناه في السابق لتعطيه الرد.

استهلَّ حديثه بالقول: «كان ينبغي لي الحضور بانتظام للزيارة طوال هذا الوقت، ولكن ما من موضوع بعينه دعاني للتعجل في القيام بذلك، وترددت في استغلال معرفتنا. ما أشد اختلاف الأمور الآن! إن مرأى أغصانك المزهرة عبر السديم يثير الكثير من الخواطر

(1) شويشو 62، من نظم إيجويو هوشي: «هل يمكن لبراعم الكرز التي تخلت عنها دار خاوية أن تتناثر على نحو أكثر مرحاً في الريح؟».

الموجعة».

أثـار المناخ الحزين المحيط بـه تعاطفها، وراحت تحدِّث نفسـها:نعم لو أنها كانت قد عاشـت، لكانتا الآن تتزاوران حسبما طاب لهمـا، ولأتاحت حياتها بهجـة تبادل القصائد معها، حسـب الموسـم، احتفاء بجمال الزهور أو شـدو الطيور. وأحسـت بالحزن المرير الراهـن النابع من خسـارتها على نحو أشـد حدة بكثيرمن أسـاهما خلال كل السـنين التي أمضيتاها وهما تعيشان معزولتين عن الدنيا.

قالت وصيفاتها: «سـيدتي، أرجو ألا تبعدي نفسـك عنه كما تفعلين مع أي ضيف آخر! ولابـد لـك، خاصـة الآن، أن تدعيه يعرف إلـى أي حد تقدرين كل ما قام بـه من أجلك!». ولكنها ترددت، حيث لم تسـتطع بعد حمل نفسـها على الحديث معه بنفسها. وفي غضون ذلـك، جاء معالي وزير الحـرب ليودعها قبل الانصراف. وقد بدا مـرآه جميلاً للغاية، وقد ارتدى ملابسه بصورة جميلة، وبدا في أفضل هيئة.

تسـاءل عندمـا لاحظ وجود المستشـار: «لمـاذا تبقينه بعيـداً هناك على هذه المسـافة؟ فكِّري فحسـب فـي القدر غير المألوف مـن الأمور التي أنجزها من أجلـك! أعلم أن لديَّ من الأسـباب ما قد يدعوني للأسـف على ذلك، ولكن على الرغم من ذلك فمن الخطأ من جانبك أن تبقي دوماً على هذه المسافة الكبيرة منه. اجعليه يدنو، وتحدثا عن ذكرياتكما». ولكنـه بعدئذ أضاف في حالة مزاجية متغيرة: «على الرغم من ذلك، لاتكوني متحررة أكثر ممـا ينبغي معـه. فأنت لا تعرفين ما قد يحدث. وهذا الرجل لـه أعماقه المعتمة!». وتركها هذا القول حائرة حيالهما معاً، ولكنها كانت لديها كل الأسـباب التي تدعوها الآن لإدخال السـرور على نفس شـخص كانت هي نفسـها تقر بلطفه البالغ معها، وكانت ترحب بفرصة لإظهـار عرفانها بالجميـل له، أخذاً في الاعتبار، على نحو ما كان قد قال، إنه الآن بالنسـبة لها ما كان بالنسبة لأختها يوماً. ومع ذلك، فإنه مع قيام معاليه في بعض الأحيان بالإفصاح عن قلق من ذلك النوع، لم تستطع الحيلولة دون اعتبار وضعها بالغ الصعوبة.

49

يادوريجي

اللبلاب

تشير «يادوريجي» أو «يادوريكي» في هذا الفصل إلى معترشات «تستقر» (يادوري) على أشجار أخرى. ويستمد الفصل عنوانه من تبادل للقصائد بين كاورو وبن، تتلاعب فيه القصيدتان كلتاهما بالمعنيين الخاصين بالمقاطع «يادوريكي»، أي «المعترش المتسلق» (الذي ربما كان اللبلاب، ولكنه ليس كذلك بالضرورة)، و«استقر هاهنا». يقول كاورو:

«ألم تحدثني ذاكرتي بأنني استقررت قبلاً تحت هذه الأشجار اللبلابية،

آه، كم هي بائسة هذه الليلة التي قُضيت في وحشة وبعيداً عن الدار».

وترد بن:

«لقد استقررت قبلاً ها هنا تحت الغصن الذاوي لهذه الشجرة اللبلابية،

كم هو محزن، التفكير في أنك تحتفظ بتلك الذكرى!».

الصلة بالفصول السابقة

تقع بداية «اللبلاب» في الوقت نفسه الذي تقع فيه أحداث «براعم البرقوق الأحمر» ونهاية «تحت السنديانة» وبداية «عقد الأوراق الثلاثية» عندما يكون كاورو في الرابعة والعشرين من العمر، وتتواصل بعد ذلك خلال وقت وقوع أحداث «أغصان السرخس الجديدة» و«الكوخ الشرقي» عندما يكون كاورو في الخامسة والعشرين والسادسة والعشرين من عمره.

الشخوص

المستشار، ثم القائد، 24 عاماً إلى 25 عاماً «كاورو».

الزوجة فوجيتسوبو، ابنة وزير الميسرة الراحل.

جلالة الامبراطور، 45 إلى 47 عاماً.

الأميرة الثانية، ابنة الزوجة فوجيتسوبو، 14 إلى 16 عاماً «أونا ني نو ميا».

معالي وزير الحرب، 25 إلى 27 عاماً (نيئو).

معالي وزير الميمنة، 50 إلى 52 عاماً (يوجيري).

ابنته السادسة، أوائل العشرينيات (روكو نو كيمي).

جلالة الامبراطورة، 43 إلى 45 عاماً (أكاشي نوتشوجو).

السيدة المقيمة في جناح نيجو الشرقي، ابنة هاتشي نوميا الصغرى 24 إلى 26 عاماً (ناكانوكيمي).

مفوض ميمنة المدينة.

سمو الأميرة المترهبنة، والدة كاورو، منتصف الأربعينيات إلى أواخرها (أوناسان نوميا).

النقيب أمين السر، شقيق روكو نو كيمي.

سعادة الأميرة الثانية، زوجة والد روكونوكيمي (أوتشيبيا نوميا).

أزيتشي، وصيفة في سانجو.

تايفو، وصيفة ناكا نوكيمي.

سوشو، وصيفة ناكا نوكيمي.

بن، راهبة في أوجي (بين نو أما).

الخبير (أوجي نو أجاري).

امرأة شابة، ابنة هاتشي نوميا غير المعترف بها، 9 إلى 21 عاماً (أوكيفوني).

تشوجو، الآن زوجة حاكم هيتاشي، والدة أوكيفوني.

المستشار الكبير المفتش، منتصف الخمسينيات (كوباي).

كانت هناك، في تلك الأيام، زوجة للامبراطور، تعرف باسم الزوجة فوجيتسوبو، وهي ابنة وزير الميسرة الراحل[1]. وكان جلالة الامبراطور مولعاً بها بصورة مميزة، لأنها كانت أول زوجة يحظى بها عندما كان لا يزال ولياً للعهد، ولكنه لم يقم بفعل المزيد من أجلها على امتداد السنين، وبينما شاء حسن الطالع لامبراطورته أيضاً أن تنجب العديد من الأطفال الذين مضوا يكبرون، فإن مباهجها من تلك النوعية كانت قليلة، ذلك أنها لم تكن لها إلا ابنة واحدة. وقد اعتمل في صدرها مثيراً الضغينة أن قدرها المرير شاء لها أن تُنحيها أخرى جانباً، وقامت بتربية ابنتها بعناية كبيرة لتحظى بالعزاء المتمثل في أن تراها ترقى إلى سدة العرش على الأقل. وقد أبهجت الأميرة، التي كانت شديدة الجمال، جلالة الامبراطور. وقد استقطبت تقديراً أقل انتشاراً من الأميرة الأولى، التي كان يؤثرها باعتبارها لا نظير لها، ولكنها كانت كذلك في شخصها رفيعة القدر، ومن المؤكد أنها كانت في وضعية مستقرة، إذ إن ثروة أبيها الطائلة لم تتقلص. ولم تفتقر إلى من تقمن على خدمتها من حيث الملبس ونمط الحياة إلى شيء. وانعكس أسلوب حياتها على كل مناسبة في صورة دفق يثير الإعجاب من الأزياء ذات الذوق الراقي.



العزف على آلة الجو

في ربيع العام الرابع عشر لسمو الأميرة[2]، تخلت أمها عن كل شيء آخر للإعداد للاحتفال بعقد نطاق خاصرتها رمزاً لبلوغها، وهو ما أعدت لجعله احتفالاً استثنائياً من كل الوجوه. وجلبت كل الكنوز التي ورثتها عن أسلافها. وحدَّثت نفسها بأن

(1) تقع «تلك الأيام» (سونو كورو) في ماض غامض. (التعبير نفسه، وهو تعبير مناسب لاستهلال حكاية جديدة، يستهل كذلك فصول «براعم البرقوق الأحمر»، «عذراء الجسر» و«إبداع الخط»). وربما كان وزير الميسرة هذا هو الذي ورد ذكره بصورة موجزة في فصلي «الرحلة الامبراطورية» و«براعم الربيع 1». وفي فصل «غصن شجرة البرقوق» توصف ابنته الثالثة بأنها قد مضت إلى ولي العهد قبل أكاشي نو تشوجو المستقبلية، وينص الفصل على أنها: «كانت تُعرف بالزوجة رايكيدين». ولابد أنها قد انتقلت إلى جناح فوجيتسوبو في وقت لاحق.

(2) ربيع عام كاورو الرابع والعشرين.

هـذا هـو في نهاية المطاف مـا وجدت هذه الكنوز مـن أجله! وهكذا كانت مشـغولة تماماً عندما شرعت، في ذلك الصيف، في المعاناة من تأثيرات روح مهلكة، وسرعان ما رحلت. ولزم جلالة الامبراطور الحداد عليها باعتبار رحيلها خسارة كبرى، فقد كانت تتمتع بدفء ولطف بالغين إلى حد أن كبار النبلاء كانوا يعرفون بدورهم أنهم سيفتقدونها كثيراً. وحتى نسـاء القصـر[1]، اللواتـي كانت مرتبتهـن تحـول دون إفصاحهن عن مشـاعرهن، تذكرنها بحزن.

وبالطبع، حزنت الأميرة الشـابة بصورة مثيرة للشـفقة على أمها، الأمر الذي دفع جلالة الامبراطور إلى الإشفاق عليها عندما علم بحالتها، وما أن انقضت الأيام التسعة والأربعون، حتـى جعلهـا تعود إلى القصـر بصورة متحفظـة[2]. ومضى لزيارتها يوميـاً. وأضفت عليها ثيابها البسيطة ذات لون الحداد القاتم جاذبية نبيلة عذبة. وكانت ناضجة تماماً في تهذيبها، وحظيت بما يزيد قليلاً عما تمتعت به أمها من الجلال والكبرياء، الأمر الذي وجده جلالة الامبراطـور مرضيـاً، غير أن جوهر الأمر هو أن عائلة أمهـا لـم تكن تضم خالاً قادراً بصورة مناسـبة على القيام برعاية مصالحها. ولـم يكن لأمها إلا أخوان غير شـقيقين هما مسـؤول خزانـة ومديـر شـؤون الصيانة، ولـم يحـظ أي منهما بأي سـمعة فائقة، وبالنسـبة لها كانت عواقـب الاضطرار للاعتماد على رجال ليسـوا متميزين بالقدر الكافي نفسـه تعسـة غالباً. وكان الأمـر وقفاً على جلالة الامبراطور، وعليه وحـده، في اتخاذ القرار، فمضى يفكِّر فيه بصورة مستمرة.

ذات يوم، عندما كان الصقيع يمس على نحو بالغ الجمال زهور الأقحوان في الحديقة، وكان مطر بارد يوشـك على الانهمار من السـماء الدانية، مضى مباشـرة إلى جناح الأميرة، حيـث تحدث معها عن أمها، وألفى نفسـه مسـروراً للغاية بردودها العفويـة وغير الطفولية بحـال. وحـدَّث نفسـه قائلاً: لابد أن يكـون هناك أحد يـدرك مناقبها ويقدرهـا على النحو اللائق بسـببها. واستعاد في ذهنه تأملات نيافة سوزاكو في وقت تزويجه ابنته لسمو المقيم فـي روكوجـو. نعم، لـم أوافق على ذلـك لبعض الوقـت، وأبلغت جلالـة الامبراطور بأنه

(1) نايوكان، نساء ذوات مرتبة متدنية يتم تعيينهن للعناية بالحمامات والمطابخ وما إليها.

(2) إلى جناح فوجيتسوبو، حيث كانت أمها تقيم. وقد كانت في دارها خلال الأيام التسعة والأربعين.

ينبغـي أن يكـف عن إبرام الأمـر. ولكن على الرغم من ذلك فإن مستشـار ميناموتو شـاب رائع للغاية. وهو يرعاها جيداً تماماً بحيث إنها تواصل استقطاب الاحترام الذي حظيت به قبلاً، بينما بدونه كان يمكن في يسر لضرب من الإساءة أن يقلل من التقدير الذي تتمتع به. وأقنعته تأملات كهذه بأنه يمكن أن يحسـم هذه القضية بينما هو لا يزال في سـدة العرش، ولم يكن هناك ما يمكن القيام به إلا المضي في المسـار نفسـه، ذلك أنه لن يجدي أحد في هذا الصدد إلا المستشـار. وواصل حديثه مع نفسـه: إنه جدير من كل الوجوه بالوقوف إلى جـوار أميرة، وبينما اسـتقر فـؤاده على امتداد وقـت طويل على أخرى، فليس هناك سـبب يدعو إلى الاعتقاد بأنه سـيفعل أي شـيء يسيء إلى سمعتها الطيبة. وليس من المحتمل أن يظل بلا ارتباط إلى الأبد، ويحسن بي أن ألمح له قبل أن يحدث شيء يبعده عن أن يوضع موضع النظر في هذا الصدد.

لعـب معهـا جولـة في لعبـة الداما. وحوالـي المغيب، ووسـط مطر يدخل السـرور في النفس، أشـار إلى الكيفية التي لوَّن ضياء الشـمس الأخير بها زهور الأقحوان، واسـتدعى تابعاً، وسأله: «من في الغرفة الخصوصية الآن؟».

«معالـي وزير الشـؤون المركزيـة ومعالي كانزوكي ومستشـار ميناموتـو موجودون في الخدمة الآن، جلالتكم!».

«دع سعادة المستشار يجيء إليَّ!». وسرعان ما وصل المستشار. وكانت المكافأة التي حظـي بها جلالـة الامبراطور على اسـتقدامه وحده بهذه الطريقة هي عبـق بديع، أعلن من بعيد مدى محدودية الشبه بينه وبين الرجال الآخرين.

اسـتهل جلالة الامبراطـور الحديث، قائلاً: «المطر هذا المسـاء مهـدئ للنفس للغاية، ولكـن الموسـيقى لامجال لها[1]، وما من شـيء يسـاعد أكثـر في إزجاء الوقـت بينما ليس هنـاك إلا القليـل خلاف ذلك ممـا يمكن القيام بـه»[2]. وأمـر برقعة داما، ودعا المستشـار للعب. وافترض المستشـار الذي اسـتدعي كثيراً لمثل هذه الخدمة الحميمية أن هذه المرة

---

(1) لأن الأميرة الثانية تلزم الحداد.

(2) فيما يتعلق بقيمة لعبة الداما لإزجاء الوقت في يوم خال من النشاط، يشير الامبراطور إلى بيت من نظم باي جويي (هاكوشي مونجو 0920).

لن تختلف عن بقية المرات.

أعلن جلالة الامبراطور: «لديَّ شيء ثمين أراهن به، ولكنني ليس بوسعي أن أدعك تحظى به في يسر. أتساءل: ماذا عساي أفعل غير ذلك؟». وإذ لاحظ المستشار جو جلالة الامبراطور الموحي بالوعي بالذات، فقد تبنى أسلوباً أكثر حذراً من ذي قبل.

عكفا على اللعب، فخسر جلالة الامبراطور جولتين من ثلاث جولات، فصاح: «ياللضجر!» ثم واصل حديثه: «على أي حال، يمكنك اليوم الحصول على زهرة»[1].

هبط المستشار، من دون أن ينبس ببنت شفة، إلى الحديقة، قطف زهرة جميلة، وجلبها إلى الداخل.

قال بإجلال عميق:

«لو أن هذه كانت زهرة متفتحة بعذوبة بالغة في سور عادي،

لاتبعت فؤادي وقطفتها من أجل بهجتي».

رد جلالة الامبراطور قائلاً:

«هذه الأقحوانة تجيء، ياللحسرة، من حديقة صوَّحها الصقيع،

غير أنه أي لون هذا الذي يبقى في توهجات نضرة!»[2].

على الرغم من تلميحات متكررة من هذا النوع من جلالة الامبراطور نفسه، فقد ظل المستشار صادقاً مع ميله إلى الإحجام عن اتخاذ قرار. وراح يحدِّث نفسه: رويدك، فليس هذا ما أريده! على امتداد السنين تركت أكثر من فرصة لقبول من يعنيني مصيرها بعمق تمضي، والآن يساورني شعور يشبه ما يخالج رجل دين يفكر في العودة إلى الدنيا. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا غريب من جانبي فيما ينبغي على المرء أن يسعد أشد السعادة فحسب. ومع ذلك فقد كان يعرف في قرارة نفسه أنه قد يشعر بخلاف ذلك، لو أن من

(1) تقوم الفكرة والصياغة على أساس بيتين باللغة الصينية، واكان روي شو 783، من نظم كي نو تادانا: «يتناهي إليَّ أن لديك في حديقتك زهور جميلة، أطلب إذنك، يا سيدي، في قطف غصن من براعم الربيع هذه». هذه الزهور هي اقحوانات الخريف.

(2) الحديقة التي «صوَّحها» الصقيع تشير إلى أم الشابة النبيلة واللون النضر يشير إليها.

يجـري التلميـح إليهـا كانـت ابنة جلالـة الامبراطـور، الأمر الذي كان شـيئاً بالـغ الوقاحة والصفاقة من جانبه.

ضايق هذا التطور غير المتوقع معالي وزير الميمنة عندما تناهى إليه، حيث كان يحدث نفسـه قائلاً: حسناً، سيكون بمقدوري، على الأقل، أن أزوجه الأميرة السادسة، وأن أزعجه إذا لم ترق له هذه الفكرة، ولسـوف يُضطر إلى الإذعان في نهاية المطاف، طالما أنني أصرُّ بصـوت عـال بما فيـه الكفاية. ومـن هنا فقد انصـرف ذهنه مجـدداً عائداً إلـى معالي وزير الحـرب، الـذي كان لا يزال بيـن الحين والآخر يبعـث بصورة عابرة إليها ببعض الرسـائل القصيرة الجميلة تماماً. وحدَّث نفسه: حسناً للغاية، لا تكترث إذا كان يسلي نفسه فحسب. لماذا لا تروق له إذا كان هذا هو مصيره؟ سـيكون أمراً طيباً للغاية أن يتم الاختيار من أجل سعادتها، ولكن في نهاية المطاف سيكون من قبيل الحرج وخيبة الأمل الشديدة أن تضطر إلى التدني كثيراً على نحو مزعج في اختيار الزوج الذي سيكون من نصيبها.

«أي فتاة من بنات هذه الأيام الأخيرة هي مصدر قلق بما فيه الكفاية، وعندما يتعين على الامبراطـور نفسـه أن يبحث عمن يصاهـره، فمن المؤكد أنه عار صـارخ أن أفضل أيام ابنة رجـل من العامة يتعيـن أن تذوي!». وبهذا المـزاج الذي تغلب عليه الشـكوى الجلية فتح الموضوع بإصرار مرير مرات عدة مع جلالة الامبراطورة[1]، التي أزعجها الأمر عندئذ بما يكفي لإلقاء خطاب مطول على نحو غير مألوف على مسامع معالي وزير الحرب.

قالت: «لسوء الحظ، أن هذا الموضوع علق بذهنه في صراحة بالغة على امتداد سنوات، ولـم يكـن لطيفاً منك أن تواصل الروغان منه. فمدى تيسـر حال أمير مـا يعتمد على التأييد الـذي يحظـى به[2]، وغالباً ما يقول جلالة الامبراطور إنه لا يتوقع أن يبقى في سـدة العرش وقتـاً أطـول كثيراً، وبينما لـم يعد ممكناً لأحد العامة حقاً أن يوزع فؤاده على الكثيرات لدى اسـتقراره مع إحداهن، فإن معالي وزير الميمنة قال إنه سيتدبر أموره لمواصلة المسيرة من دون غيرة على أي من الجانبين[3]. أليس الأمر كذلك؟ حسناً، إذاً، لو أن ما يعده لك جلالة

(1) أخته غير الشقيقة.

(2) بتعبير آخر، فإن الثروات التي يتمتع بها أمير ما تعتمد على الدعم الذي يلقاه من حمي يتمتع بالثروة والسلطة السياسية، وهو من العامة.

(3) يُقسِّم يوجيري، وهو من العامة، وقته بالتساوي بين كوموي نو كاري وبين أوتشيبا نو ميا.

الامبراطور يتحقق فلم لا تحتفظ بما يطيب لك من النسوة؟».

بدا حديثها معقولاً تماماً، ولم ير عذراً يتعلل به للإصرار على رفض هذه الإمكانية تواً، حيث إنه هو نفسه لم ينبذها كلية. غير أنه من سوء الطالع أن ما أزعجه تمثَّل في فكرة وقوعه في محيط من اللياقات الشديدة بحيث لن يعود قادراً على التصرف حسبما يطيب له، وفي الوقت نفسه فإنه، على الرغم من ذلك، نعم، من المؤكد أنه قد يندم على استعداء معالي وزير الميمنة. ولاشك في أن تأملات كهذه هي ما أفضى به، في النهاية، إلى الاستسلام. ولم يكن خياله الجوَّاب قد نبذ ابنة المستشار الكبير المفتش- التي ترتبط ببراعم البرقوق الأحمر- وواصل إرسال الرسائل إليهما كلتيهما، مرفقة ببراعم الربيع أو بوريقات الخريف، حيث حظيتا كلتاهما باهتمامه.

أقبل العام الجديد، في غضون ذلك. والآن وقد انتهت فترة الحداد بالنسبة للأميرة الثانية، فقد انحسرت مبررات التردد. وعندما أشار شخص بعد آخر للمستشار إلى أن جلالة الامبراطور يبدو متردداً في المضي بالأمر من دون كلمة منه، حسم أمره، متوصلاً إلى أنه سيكون غريباً وصفيقاً من أن يتظاهر بأنه لم يسمع شيئاً، وأتاح لجلالته أن يعرف مرات عديدة أنه يتطلع إلى أن يحظى بالجميل المشار إليه. ولم يكن من المحتمل أن يسبب هذا الرد حرجاً له. وقد فهم أن جلالته نفسه قد حدَّد اليوم الموعود، وتلقى موافقته بنفسه. وعلى الرغم من ذلك، فإنه عرف أنه لن ينسى قط خسارة كان لا يزال يحس بها بشدة، ولم يستطع فهم السر في ذلك، بينما من الواضح أن كلاً منهما مقدر له أن يكون من نصيب الآخر، وعلى الرغم من ذلك فقد بقيا غريبين أحدهما بالنسبة للآخر. آه، كيف يمكنني أن أحب من لا تشبهها إلا قليلاً حتى وإن كانت ذات مرتبة متواضعة! لو أنني يمكن أن أراها مجدداً، مرة واحدة فحسب، على الأقل في دخان بخور تلك القصة القديمة![1]. ولم يكن في عجلة من أمره لإتمام هذه الزيجة السامية.

سارع معالي وزير الميمنة إلى إبلاغ معالي وزير الحرب بأن تلك المناسبة سيتم الاحتفال بها في الشهر العاشر، وبكت من تقيم في جناح معاليه في نيجو في صمت،

(1) قصيدة باي جويي «السيدة لي» (هاكوشي مونجو 160). تحكي كيف أن الامبراطور وو المنتمي إلى عائلة هان المالكة، بعد أن فقد محبوبته السيدة لي، رأى محياها في دخان بخور أحرقه ساحر.

عندما سمعت بهذا الخبر. ومضت تحدِّث نفسها: آه، كنت أعرف أن هذا سيحدث! كيف كان يمكن ألا يحدث! ما الذي كان يمكن لبائسة مثلي أن تتوقعه منذ بداية هذا الأمر إلا السخرية والاستهزاء؟ وقد سمعت دوماً أي وغد هو. لا، لم أثق به قط، ولكنني لم أر في شخصه أي شيء جدير بالتوبيخ بصورة بارزة، وقد وعدني بوعود تمس القلب! كيف لي أن أعرف السكينة من جديد الآن وقد تغيَّر على حين غرة؟ قد لايعني هذا قطيعة نهائية، كما من شأنه أن يعنيه بين العامة، ولكن سيكون هناك على الدوام أمر مقيت كهذا! إنني على يقين من أن من زُفت لسوء الطالع مثلي ينبغي أن تمضي مباشرة عائدة إلى تلالها، ولكن لو أنني اختفيت بهذه الطريقة، فإنني أعرف أن أهالي الجبل هناك سيضحكون مني فحسب! وفي غمار الغضب والعار عرفت حماقة مخالفة نصيحة أبيها والابتعاد عن الدار التي كانت دارها دوماً.

إن ما أعربت عنه أختي من خواطرها كان على الدوام محدوداً ومتردداً، ولكنها في قرارة نفسها كانت تحظى بقوة فائقة. وسعادة المستشار يبدو أنه يلزم الحداد عليها حتى الآن كأنه لن ينساها أبداً، ولكنني لا أشك في أنها لو كانت على قيد الحياة لكانت لها هموم مثل همومي تماماً. وقرَّرت أن تتجنب بأي ثمن إعطاء مايريده منها، حتى ولو وصلت بها الأمور إلى الرحيل عن الدنيا، لأنها كانت مقتنعة بأن الأمر لا يمكن أن يكون على خلاف ذلك. وكان حرياً بها أن تقوم بذلك! وأنا أتفهم في نهاية المطاف كم هي بعيدة النظر. الآن وقد رحلا كلاهما، فلابد من أنهما يرقبانني، ويعتقدان أنني حمقاء كأشد ما تكون الحماقة! تلك كانت خواطرها، ولكنها على الرغم من وجعها وخجلها فقد حجبتهما عن العيان- هل لي في أن أفصح عن مشاعري فيما لا أملك شيئاً حيالها؟- وتجاهلت الخبر كأنها لم تسمع كلمة عنه.

كان معالي وزير الحرب الآن أكثر اهتماماً وعاطفية مما كان عليه، وطمأنها إلى أنه من نصيبها ليس في هذه الحياة فحسب وإنما في الحيوات المقبلة كافة. وفي غضون ذلك بدأت تشعر في الشهر الخامس بأنها ليست على ما اعتادت ولا على ما يرام، ولم يكن ذلك راجعاً إلى أنها تعاني من ألم حاد، ولكن ما تتناوله من الطعام مضى يتناقص، وأمضت كل وقتها راقدة، وهو الأمر الذي عزاه، في ضوء أنه لم يعرف أحداً في حالتها من قبل قط، إلى

الحـر. وعلـى الرغم من ذلك فقد لاحظ أمـوراً معينة أثارت حيرتـه. وكان يقول في بعض الأحيان: «هل يمكن أن يكون الأمر كذلك؟ هل ألم بك شيء جديد؟ إنني أسمع بأن الناس يشـعرون عند ذاك بمثل ما تشـعرين به على وجه الدقة». أحسـت بالحرج الشديد، ونحَّت الأمر جانباً باعتباره أمراً هيناً، وبما أن أحداً لم يبلغه بجلية الأمر فإنه لم يكتشفه قط.

أقبـل الشـهر الثامن، وعلمت باليوم الموعود من شـخص آخر. ولم يـرد معاليه حجب الأمر قط عنها، ولكن الأسـف والإشـفاق جعلاه يتراجع عن ذلك كلما عزم على إبلاغها، ومـن ثـم فإنه فـي نهاية المطاف لم يفعل ذلـك البتة، وقد أثار ذلك ضيقهـا أيضاً. ولم يكن هناك شـيء سـري فيما يتعلق بالأمر، فقد كانت الدنيا بأسرها على علم به، بل إنه لم يبلغها بالموعـد! كيـف كان يمكـن ألا تغضب منه؟ ولـم يكن الكثير قد حدث منـذ قدومها. وقد حرص على ألا يقضي الليل، حتى عندما كان يمضي إلى القصر، ولم يبتعد طوال الليل إلى مكان آخر. والآن لكي يخفف من تعاسته حول ما قد تفكر فيه إزاء هذا التغير المفاجئ، بدأ فـي الذهاب إلى القصر بين الحين والآخر للقيام بمناوبته الليلية، لكي يعودها مسـبقاً على غيابه، ولكنها حملت ذلك أيضاً على محمل سيئ.

استشـعر سعادة المستشـار حزناً بالغاً لدى سماعه بهذا كله. وراح يحدِّث نفسه: معالي وزير الحرب يسـتمتع بالترفيه عن نفسـه، وحتى إذا كان يشعر بالذنب حيالها، فإن عواطفه لاتسـتطيع تجنـب الانتقال إلى أخرى جديدة. وهو يصاهر عائلـة قوية للغاية أيضاً، وإذا لم يتركوه في شك حول أنهم يتوقعونه هناك، فإنها إذاً، ياللحسرة، ستمضي العديد من الليالي الوحيدة في الانتظار، وهو الأمر الذي لم تضطر للقيام به على امتداد هذه الشهور الأخيرة. مـا أشـد ما أخطأت! آه، لمـاذا بادرت إلى جعله يحظـى بها؟ لقد أردتها، هـي من أحببتها، أن تكـون مـن نصيبي، ومن ذلك الحين غـام فؤادي، على الرغم من أنـه انطلق صافياً نحو نبـذ الدنيـا، وبطريقة أو بأخرى فإنها هي كل ما أفكـر فيه، ومع ذلك فقد ترددت لأنه بدا لي مـن البداية أنني لم أرد إتمام الأمر مـن دون موافقتها، وفي غضون ذلك فإنني لم أتطلع إلا إلـى المسـتقبل، مخمناً حالتهـا المزاجية، ومعلقاً الآمال على أنها ستشـفق عليَّ بشـكل ما وتليـن قناتهـا في نهاية المطاف. ولكن لا، لقد كانت تشـعر بما يخالف ذلك، ولكي يتفاقم الأمر، وحيث أنها لم ترغب حقاً في إبعادي، فقد أكدت لي أنها هي وأختها شخص واحد.

ودفعتني في اتجاه لست متحمساً له. وقد حيرني ذلك وأغضبني، وسارعت إلى إحباط خطتها للأبد. وعاد بتفكيره إلى أنه في نوبة مجنونة من الكيد الذي يشبه كيد النساء كان قد اصطحب معالي وزير الحرب إلى أوجي، وأحس بالندم على القيام بذلك لأنه نعم، كان ذلك أمراً جديراً بالازدراء! وراح يحدِّث نفسه في حقد: على أي حال، فإن ما أسمعه الآن ينبغي أن يؤثر قليلاً في معاليه إذا تذكر ذلك كله، ولكن لا، لن يتفوه بكلمة واحدة لي عن الأمر. إن مثل هذا الرجل العابث على نحو مستحيل، ذي الفؤاد المتقلب، قد يخون أكثر من النساء، وما من حماقة من حماقاته ستثير دهشتي. وكانت طريقته في تغذية هذا الهاجس هي التي جعلته شديد الغضب من معالي وزير الحرب.

كان قد فقد محبوبته حقاً، ومضى يحدِّث نفسه: ليس مما يدخل السرور على النفس جعل جلالة الامبراطور يعرض عليَّ ابنته، آه، لو أنني كنت قبلت تلك الأخرى! تعاظم ندمه كل شهر، كل يوم. وجعلت معرفته بأنهما كانتا أختين التخلي عنها مستحيلاً، ذلك أنه فيما يتعلق بهذا الأمر كانت الاثنتان كأنهما واحدة تقريباً، وبما أنها بالإضافة إلى ذلك كانت قد أبلغته قرب النهاية بأن أختها، التي ستبقى على قيد الحياة بعد رحيلها ينبغي أن تكون بالنسبة له ما كانت هي عليه.

«ليس هناك الآن شيء أريده بخلاف ذلك، غير أنك لم تقم البتة بما طلبته منك، وذلك هو الجرح والحزن الذي قد يبقيني في هذه الدنيا». والآن وقد حدث هذا فلابد أنها تطل من عل وتكرهه أكثر من أي وقت مضى. دارت هذه الخواطر في ذهنه، بينما ليلة إثر أخرى، ومن خلال الخطأ الذي وقع فيه وحده، رقد مسهداً حيال كل نسمة، مفكراً في الماضي والمستقبل وكذلك المحن القاسية التي قد تفرضها الحياة على أخرى كذلك[1].

لابد أنه كان بالطبع مولعاً ببعض النسوة اللواتي امتدحهن بصورة عابرة، وسمح لهن بالاقتراب منه على نحو حميم، ولكن لا، لم يقدر لإحداهن أن تظفر بفؤاده حقاً. وبالفعل فإن العديد من النسوة العظيمات اللواتي لسن أقل تميزاً من الأختين، نسوة تخلى عنهن القدر وأسلمهن للبؤس، جرى العثور عليهن، واستدعين للخدمة في سانجو، ولكنه عقد العزم على أنه عندما يؤون الأوان بالنسبة له لإدارة ظهره للدنيا، فإنها هي ستظل الصلة

---

(1) ناكا نو كيمي.

الوحيدة المتوهجة التي تبقيه. كان يغمغم وهو راقد مسهداً حتى الفجر: «رويدك، هذا لن يجدي! فأنا لا أفهم نفسي!». وبين الزهور الجميلة ذات الألوان المتعددة على امتداد السور الذي يكسوه السديم، وقعت عيناه بصفة خاصة على نباتات مجد الصباح الهزيلة التي يقولون إنها «تزهر فجراً»[1] للإشارة إلى أنه ما من شيء يدوم، ولابد أنه قد تعاطف معها، لأنه بعد أن رقد مسهداً حتى إطلالة اليوم الجديد، وقد رفع المصاريع، مضى يرقبها وهي لم تتفتح فيما أقبل الضياء.

استدعى أحد رجاله، وقال: «أود أن أزور المقر الواقع في الشمال[2]. اجلب عربة بسيطة إلى مقربة!».

«يامولاي، لقد مضى معالي وزير الحرب إلى القصر بالأمس. وقد أعادوا عربته البارحة».

«لاتهتم. سأزور السيدة المقيمة في جناحه، فهم يقولون إنها ليست على مايرام. لابد لي من الذهاب إلى القصر اليوم، فجهِّز العربة قبل أن تعلو الشمس».

ارتدى ملابسه، وفي طريق خروجه انحنى وسط الزهور. ولم يفعل شيئاً يوحي بالتراخي أو الغواية، ولكن بلمحة واحدة كان المرء يرى فيه بهاء وجلالاً بالغين إلى حدّ أن أكثر المتوددين للنساء زهواً ما كان ليأمل في تقليده. بدت الصورة التي جسَّدها باعثة على الابتهاج، ونباتات مجد الصباح التي اجتذبها إليه انسابت منها قطرات ندى كثيرة.

«هل أقدِّر هذه التدرجات التي زالت قبل الصباح، فيما أمام عيني

يدوم ألق الفجر على الوريقة أكثر من الزهرة الهشة؟

ما أسرع ما ستمضي!». هكذا مضى يغمغم، وهو يقطفها ليحملها معه. ولم يلق نظرة عابرة على زهور البتول.

لفت أجمل السُدم السماء، فيما الفجر يبزغ متحولاً إلى نهار. حدَّث نفسه قائلاً: لابد أن

---

(1) من قصيدة كانت يمكن لولا ذلك أن تظل مجهولة وردت في شرح مبكر: «ربما كانت مجد الصباح زهرة الزوال، لأنها تتفتح عند انبلاج الفجر وتموت لاحقاً».

(2) مسكن نيئو في نيجو، الواقع إلى الشمال مباشرة من مسكن كاورو.

النسـوة قد انغمسـن في النوم في وقت متأخر! ليس بمقدوري أن أمضي متنحنحاً أو طارقاً على المصاريع والأبواب، آه، إنني هنا في وقت جد مبكر، أكثر تبكيراً مما ينبغي!

استدعى أحد رجاله، وجعله يطل عبر البوابة الوسطي المفتوحة. فعاد الرجل ليقول: «تبدو لي المصاريع مرفوعة، يامولاي، وقد لمحت وصيفة فحسب».

ترجَّل، ومضى إلى الداخل، وقد حجبته سُدم الصباح، وقد بدا شديد الفتنة إلى حد أن النسوة حسبنه معالي وزير الحرب عائداً من مهمة سرية إلى أن اشتممن العبق البديع لأرديته التي علاها الندى. وهتفت النسوة الشابات بلا مسوغ إحداهن للأخرى: «إنه أعجوبة فريدة! يا له من عار أنه شديد الجدية!».

بلا استياء، وبتنورات تصدر حفيفاً بهيجاً، قمن على نحو جميل للغاية بوضع وسادة من أجله. قال: «إنه لشرف أن أجلس هنا، ولكن ليس بمقدوري القيام بالزيارة أكثر من هذا، في ضوء أنه مؤلم أن يتم إبقائي على مثل هذا البعد على الجانب الآخر من ستائركن الحاجبة».

سألته النسوة: «ما الذي تفضله إذاً، يامولاي؟!»

«غرفة هادئة مثل تلك الواقعة إلى الشمال[1]، تلك هي النوعية المناسبة من الأماكن بالنسبة لصديق قديم مثلي. وعلى الرغم من ذلك، فالأمر كله وقف عليكن، ولست أقصد الشكوى أكثر من هذا». كان يستند إلى الإسكفة.

واصلن الإهابة بها: «ربما ترغبين في الذهاب إليه، ياسيدتي!».

لم يعرف عنه قط أنه يتصرف باندفاع ذكوري، وقد بدا هادئاً للغاية أخيراً، إلى حدّ أنها أحست بأنها أقل تردداً من ذي قبل في الحديث معه مباشرة، وقامت بذلك عن طواعية. وتساءل: «هل لي في الاستفسار عن جلية الأمر؟». لم تقدم له رداً واضحاً، ولكنه تأثَّر، وأحس بالحزن حيال طريقتها المنكمشة على نحو غير عادي في الحديث، وتحدَّث معها مطولاً مثلما أخ حول كيف تتصالح مع الدنيا على نحو ما تجدها.

---

(1) غرفة جلوس الوصيفات.

لـم يتردد صوتها في سـمعه من قبل باعتباره شـبيهاً بصفة خاصة بصـوت أختها، ولكنه الآن ذُهل إذ وجد أنه الصوت ذاته تقريباً، ولو لا أن اللياقة تحظر ذلك لبادر إلى رفع ستائرها الحاجبة ليحادثها وجهاً لوجه، إذ تاق إلى رؤية ما تبدو عليه الآن وقد ألَمَّ بها المرض. وقد ذكَّره هذا كله بأنه لا يمكن أن يوجد أحد في الدنيا لا يعاني من أحزان الفؤاد. قال: «لسـت أسـعى إلى أن أُميِّز نفسـي أو إلـى التأثير في الآخريـن، ولكنني اعتقـدت أن بمقدور المرء أن يتدبـر أمـره فـي الحياة من دون أي عـبء كبير من القلـق أو الهم. غير أنه لسـوء الطالع ومـن خلال غلطتـي أنا وحدي فإنني أعاني في آن من الحزن النابـع من الفقدان وألم الندم المرير. وفي هذا الصدد فلاشـك في أن خطيئتي أكثر خطورة من خطيئة رجل يُقدِّر المرتبة والمنصـب فوق كل شـيء، ويعاني تمامـاً على نحو يمكن فهمه من تلـك النوعية من خيبة الأمـل». وضع الزهرة التـي كان قد قطفها على مروحته، وجلس يحـدِّق فيها. بدا له اللون الأحمـر الـذي كانت تتحـول إليه[1] أكثر جمـالاً، فدفعها فـي رفق إليها من تحت السـتارة الحاجبة:

«كان ينبغي لهذا أن يبدو لي طوال الوقت مثل الندى الفضي

الذي وعدني منذ وقت بعيد بزهرة مجد الصباح»[2].

كانت الايماءة عابرة، ولكنه كان شيئاً يدعو للسرور أنه قد جلب الزهرة من دون أن ينثر نداها، وبما أنه من الواضح أن الزهرة ستذوي قبل أن يتبدد الندى، فقد ردت:

«ناحلة، نعم، الزهرة التي ذوت سريعاً وتبددت قبل أن يرحل الندى

غير أنها أقل سرعة من الندى الذي يتبقى الآن[3].

أي ملاذ آخر لها؟». قالتها بصوت خفيض ومتعثر للغاية، كأنها أكثر خجلاً من أن ترغب في أن تُسمع، ولأساه، اعتقد مجدداً أنهما متشابهتان للغاية.

أشـار بقوله: «المرء يشـعر أنـه أكثر بقليل شـجناً تحت سـماء خريفية. وأخيراً سـعيت

---

(1) فيما هي تذوي.

(2) «في ناظريَّ كان ينبغي أن تكوني مثل أختك التي رغبت في أن أحظى بك».

(3) «قدري لا يزال أكثر هشاشة من قدر أختي».

إلـى الترفيـه عن طريق الذهاب إلى أوجي، وقد وجدت السـور والحديقة[1] في حالة تدعو للشـفقة.. هناك الكثير للغاية مما يصعب احتماله! كان المشـهد مؤثراً للغاية بالنسـبة لمن تطلعوا إلى روكوجو بعد وفاة سمو الامبراطور الفخري المتقاعد، أو في معبد ساجا الذي لاذ بـه في هذين العاميـن أو الثلاثة أعوام الأخيرة. وقد عاد كل واحـد منهم متأثراً إلى حد البـكاء من خـلال النظر إلى النباتات والأشـجار. ولـم يكن أي شـخص مقرب منه، سـواء أكان في مرتبة رفيعة أو متواضعة، سـطحياً في مشاعره، ولكن على الرغم من ذلك فإن كل مـن تجمعوا حوله فـي الأرجاء العديدة للضيعة بـدا أنهم قد تفرقوا بعيـداً للعيش في عزلة عـن الدنيـا. وكانت الوصيفات الأقل مرتبة، بالطبع، ممن لا سـبيل إلـى إدخال العزاء على نفوسـهن، وفي معظم الحالات فإن هاته البائسـات انتشـرن في الجبال والغابات، من دون أن يعرفن إلا بالكاد ما يقمن به، إلى أن أصبحن في النهاية مجرد نسـوة ريفيات[2]. وأصبح روكوجـو يباباً تعلوه أعشـاب النسـيان[3]، ولكن بعد ذلك انتقل إليه وزيـر الميمنة الحالي، وبـدأ الأميـر والأميرة[4] في الإقامة هناك أيضاً، وعاد المكان من جديد شـبيهاً بما كان عليه ذات يوم. وقد بدا لي أنه ما من كلمات يمكن أن تعبر عن الحزن الذي استشـعره المرء في ذلك الوقت، ولكنني أدرك الآن أن السـنين تجلب العزاء، وأنه من الصحيح أن هناك نهاية لفتـرة الحـداد. وأنا أقول ذلـك، بالطبع، ولكنني ربما كنت أصغر سـناً آنذاك من أن أشـعر بخسـارته بعمق، لو أني كنت في حال خلاف ذلك. ولسـت أحسب يقيناً أنني سأتعافى من هـذه الصدمة الأحدث عهـداً، وبينما الأمران هما من الأحزان التـي يتوقعها المرء من هذه الحياة التي لايدوم فيها شـيء، فإنني أخشـى أنه بالنسـبة لي، ياللحسـرة، فإن هذه الصدمة تجلب معها الخطيئة الأكثر خطورة»[5]. أوحت هيئته الباكية بعاطفة عميقة.

لـم تملـك امرأة رأته على هذا النحو إلا التأثر بدورهـا، حتى الأقل ارتباطاً بكثير بأختها ممـا كانـت عليه هذه السـيدة النبيلة، وهكذا فإنه من الطبيعي أن السـيدة ذاتهـا، التي كانت

(1) كوكينشو 248، من نظم هينجو: «إنها قرية فقيرة ومن يقيمون في داري أوغلوا في العمر، والسور والحديقة تحولا إلى سبخة خريفية».

(2) ربما يعني هذا أنهن تزوجن من موظفين ريفيين.

(3) المعنى الحرفي لكلمة «واسوريجوسا» (يابو كانزو باليابانية الحديثة) هو زنبقة نهار برتقالية.

(4) الأميرة الأولى والأمير الثاني ابنا الامبراطورة بحسب ما يرد في فصل «الأمير العطر».

(5) خطيئة الارتباط بأمور هذه الدنيا.

مضطربة بالفعل على نحو حزين وأكثر استعداداً من أي وقت آخر لافتقاد أختها بصورة مؤلمة للغاية، وجدت نفسها أكثر تأثراً من أن ترد على الإطلاق. وبدلاً من ذلك فقدت تماسكها. وأحس كل منهما بعاطفة الآخر على نحو أكثر حدة.

«أسعد من هذه الدنيا المضطربة»[1].. هكذا قال أحدهم يوماً، ولكني لم أستطع القيام بالمقارنة بالنسبة لكل تلك السنين. وعلى الرغم من ذلك، فإنني الآن ينبغي أن أكون سعيدة لاستعادتي السلام مجدداً، لأنه يناسبني قليلاً للغاية أن أكون هنا بحيث إنني أحسد بن. لكم أتوق في نهاية المطاف إلى سماع جرس المعبد بقربي، بعد العشرين من هذا الشهر[2]. بل أنه خطر لي أن أطلب منك أن تأخذني إلى هناك سراً».

«يالالحسرة، ليس هناك مايمكنك القيام به لإنقاذ المكان من التداعي. والدرب الجبلي بالغ الوعورة، حتى بالنسبة لرجل يمكنه أن يمضي إلى حيث يطيب له. وأنا نفسي أمضي فيه أقل كثيرا مما أود. وقد أصدرت إلى الخبير كل التعليمات التي يحتاج إليها من أجل صلاة ذكرى رحيل سعادة الأمير. أرجو أن تفكري في تكريس المكان للأعمال المقدسة. وما أجده هناك عندما أذهب إليه يضايقني كثيراً لسوء الطالع، وقد فكرت في تكريسه لإلغاء خطاياي. وأتساءل عن رأيك في هذا المجال. وكما تعلمين، فإنني لن أفعل شيئاً لا تعتزمين أنت نفسك القيام به. وكل ما عليك هو إبلاغي بما ترغبين في إنجازه فحسب. وكل ما أطلبه هو أن تثقي بي فيما يتعلق بكل شيء».

واصل حديثه، مخاطباً إياها على هذا النحو حول أمور جدية تماماً. وفيما يبدو فإنه اعتزم كذلك أن يكرِّس من عنده نصوصاً وأيقونات مقدسة. وعندما جعلته يدرك أنها الآن ترغب في أن تذهب إلى هناك خلسة، رد قائلاً: «لا، لا، ذلك مستحيل، ينبغي أن تكوني على الدوام متقبلة للأمور وصبورة».

أوغلت الشمس في مسيرتها عالياً، وتجمعت وصيفاتها حولها. ومضى يستعد للانصراف، ذلك أن مكوثاً أطول مما ينبغي قد يترك الانطباع بأن هناك شيئاً ما يجري، وعند ذلك قال: «لست معتاداً على أن أُترك خارج الستائر الحاجبة في أي مكان. وأنا أحس بعدم

---

(1) كوكينشو 944: «القرية الجبلية موطن موحش حقاً، غير أنها مكان أسعد من هذه الدنيا المضطربة».
(2) الجرس الذي يُقرع من أجل الذكرى الثالثة لوفاة والدها، في الشهر الثامن.

الارتياح تماماً عندما يحدث ذلك لي. غير أن الأمر متروك لك. وسوف أعود مجدداً». ثم انصرف. وكان يعرف أن معالي وزير الحرب سيتساءل عن السر في قدومه في غيابه، وكان ذلك أمراً من الأهمية بما فيه الكفاية إلى حدّ أنه استدعى مفوض ميمنة المدينة، القائم على شؤون دار معاليه. وقال: «جئت عندما سمعت أن معاليه قد انسحب من القصر البارحة. ويؤسفني أنني لم أجده. ربما يتعين عليَّ البحث عنه هناك».

«لسوف يغادر القصر اليوم، يامولاي!»

«حسناً، سأعود هذا المساء».

كان الأمر لا يزال صحيحاً، ففي كل مرة يسمع صوتها والأصوات الموحية بحضورها كان يتساءل بندم أشد حدة عن السر في أنه كان من الحمق بما يكفي لعدم التصرف وفق مشيئة أختها، وأثقل الأمر كثيراً على ذهنه، ذلك أنه راح يسائل نفسه مراراً: لماذا يتعين عليَّ أن أعذب نفسي على هذا النحو؟

كان قد شرع في الصوم[1]، في اللحظة التي ماتت فيها، وانغمس في الصلوات كل الانغماس ليلاً ونهاراً حتى إن أمه، سمو الأميرة المترهبنة، الصبيانية والساذجة واللامبالية كعهدها،استبد بها القلق عليه كثيراً إلى حد الخوف عليه. وقالت: «لم يبق لي الكثير من الوقت[2]، فاكترث بنفسك بينما لا أزال معك! لا يمكنني أن أعترض على تمنيك مغادرة الدنيا أخذاً في الاعتبار بمن أكون، ولكنني أخشى أنني عندئذ سأحس بأنني ليس لديَّ سبب لمواصلة العيش، والألم النابع من ذلك قد لايفضي إلا إلى تعميق آثامي». وفي غمار اضطرابه وشعوره بالحزن قام بكل ما يستطيعه للنسيان وللتظاهر في وجودها بعدم الاكتراث.

أعدَّ معالي وزير الميمنة الجانب الشمالي الشرقي من روكوجو[3]، وجعل كل شيء هناك يتسم بالكمال، ثم مضى ينتظر معالي وزير الحرب في قلق إلى أن علا بدر الليلة

(1) الامتناع عن تناول اللحم والسمك.

(2) كوكينشو 934: «أنا التي لم يبق لها الكثير من الوقت، لماذا تزعجني على هذا النحو أحزان الراهبة الكثيرة؟». القصيدة تتلاعب بكلمة «كارومو»، وهو عشب البحر الذي تجمعه «آما» والذي يشبه بهمومها المتشابكة.

(3) حيث أقامت هاناتشيرو ساتو. وتشغله الآن أوتشيبا نو ميا وابنتها المتبناه روكو نو كيمي.

السادسة عشرة في السماء. وكان يحس بالقلق حيال الكيفية التي يمكن أن تمضي بها الأمور، حيث إن معالي وزير الحرب لم يكن على قدر كبير من التلهف. وعاد الرجل الذي بعث به للاستفسار ليقول: «لقد انسحب معاليه من القصر الليلة، يامولاي، ومبلغ علمي أنه الآن في نيجو». كان أمراً مثيراً للانزعاج أن ذلك يرجع بلا شك إلى أنه قد احتفظ هناك بالسيدة التي يحبها. وعرف أنه سيكون موضعاً للهزء، إذا انقضت الليلة كلها بلا عريس. ومن ثم فقد أرسل ابنه النقيب أمين السر[1] حاملاً رسالة:

«بينما ترحب داري هذه حتى بالبدر العالي المتألق في السماء،

فإن المساء ينقضي ولا أرى لك أثراً»[2].

ياللمسكينة! لا يمكنني أن أدعها تدرك أن هذه هي الليلة الموعودة! هكذا كان معالي وزير الحرب قد قال لنفسه، عندما انطلق إلى القصر، وبعث إليها برسالة، ولكن رسالتها، أياً كان ما ورد فيها، جعلته يحس بقدر كاف من الذنب، فانسل عائداً إلى الدار مجدداً. كانت أثيرة لديه للغاية، ولم يستطع احتمال تركها. ومضى يجدد في رقة كل وعوده لها بدلاً من ذلك. وإذ عقدت العزم، حتى بعد أيام من اليأس، على ألا تخونها مشاعرها، فقد ظلت متحفظة وتظاهرت بعدم الاستماع[3]. وأثَّر فيه اعتدال أسلوبها كثيراً.

مع ذلك، فقد تعاطف مع الجانب الآخر أيضاً، عندما علم بأن النقيب قد وصل. وقال فيما هو يستعد للمغادرة: «سأنصرف الآن، ولكن لوقت قصير فحسب. فلا تشاهدي القمر وحيدة لطفاً، فأفكار المرء تتباين على نحو بالغ الإيلام!». انطلق نحو الدار الرئيسية، سالكاً درباً محتجباً عن العيان، وهو لا يزال يشعر بالذنب. ولم يدر شيء بعينه في خلدها، وهي تشاهده يمضي، باستثناء الشعور بأن وسادتها ستطفو بعيداً[4]، وفهمت حق الفهم كم يمكن لقلب الآخر أن يكون غادراً.

---

(1) يُفترض أنه النقيب أمين السر المذكور في فصل «تحت السنديانة»، وهو أخ شقيق لروكو نو كيمي.

(2) موتويوشي شيمنو شو 150: «بينما ترحب داري هذه حتى بالبدر العالي المتألق في السماء، فإنك أنت نفسك تمضي محتجباً وراء السحب!».

(3) ربما إزاء خبر وصول مبعوث يوجيري.

(4) من فرط البكاء. كوكين روكوجو 3241، من نظم هيتو مارو: «لدى انهمار الدموع التي أسفحها فيما أرقد وحيداً، يمكن حتى لوسادة من حجر أن تطفو بعيداً».

حدَّثت نفسها قائلة: منذ كنت وأختي صغيرتين كان ملاذنا الوحيد هو سيد نبيل بدا أن الدنيا لا تروق له كثيراً، فعشنا سنوات بعد أخرى في تلك القرية الجبلية، ولكن على الرغم من الكآبة والوحدة السائدتين هناك دوماً، فلم يكن لديَّ سبب قط يدعوني للنفور من الدنيا، ثم جاءت تلك الخسائر الكبرى، واحدة إثر أخرى، وبدا لي فيما كنت ألزم الحداد عليها أنني ليس بمقدوري أن أظل على قيد الحياة طويلاً بعدها، لأن الضربة التي تلقيتها كانت هائلة أكثر مما ينبغي، وقد شكَّل هذان الاثنان الكثير بالنسبة لي. وعلى الرغم من ذلك فإنني الآن وقد عشت بعدهما في نهاية المطاف، فإنني أشك في أنني سأستمتع بوضعية التقدير هذه، حتى إذا كان طيباً للغاية معي فيما نحن معاً، إلى درجة أنني بدأت أغدو أقل ترقباً للشر. وهذا البؤس الجديد يستعصي على التعبير، ولست أحسب أن بوسعي الاحتمال أكثر من هذا. وربما توقعت على الأقل أن أراه أكثر مما أرى من رحلوا إلى الأبد، ولكنه الليلة تخلى عني بقسوة بالغة حتى إنه ما من شيء في الماضي أو المستقبل أصبح مفهوماً، ولست أرى لي ملاذاً من هذا البؤس، آه، هذا قاس أكثر من اللازم بكثير! ولكن ربما إذا عمَّرت طويلاً بما فيه الكفاية.. في غمار تلمسها العزاء، واصلت الشعور بالعذاب مع إيغال الليل في مسيرته، بينما كان بدر متألق يعلو في السماء، على نحو ما علا في جبل الحيزبون المهجورة[1]. تنهدت الريح في أشجار الصنوبر برقة بالغة، مقارنة بزفيف الريح العاصفة المندفعة من تلال أوجي. وكانت هذه الدار التي اضطرت للإقامة فيها هادئة وجميلة، ولكنها كانت تؤثر الليلة ضجيج أشجار السنديان الهائلة:

«ما من ريح خريفية في داري بالجبال، المحتمية بالصنوبرات،
هبت مريرة كهذه أو مخترقة المرء حتى العظم».

ربما كانت قد نسيت ما حدث هناك.

أهابت بها العجائز: «هلمي إلى الداخل، ياسيدتي، فليس من الصواب بالنسبة لك أن

---

(1) تفيد أسطورة أن رجلاً غادر يوماً أمه الحيزبون التي لا جدوى منها لتموت في أوباسوتي - ياما، وهو جبل في شينانو (مقاطعة ناجانو). كوكينشو 878: «لا يعرف فؤادي الراحة في ساراشينا، فيما أرقب القمر وهو يتألق على جبل الحيزبون المهجورة».

تشاهدي البدر! ما الذي ستصير إليه حالك عندما لا تنظري إلى أصغر قطعة من الفاكهة؟ أو مثل هذه الذكريات تعن بالبال! ماذا عسانا نفعل؟».

تنهدت أخريات: «نعم، ولكن انظرن ما الذي يفعله معاليه! على الرغم من ذلك فإنه لا يمكن أن يقصد نبذها. كل شيء حسن تماماً، ولكن الحب الأول لا يموت حقاً».

لم ترغب في سماع حديثهن، وتاقت إلى أن يلزمن الصمت فحسب. وحدَّثت نفسها: لسوف أرقب البدر وأنتظر. فربما لم ترغب في أن يحادثها أحد، لعلها تحس غضبها وحيدة.

تواصل الحديث بين النساء اللواتي كن قد عرفنها في السابق: «وانظرن أي سيد نبيل طيب ولطيف هو المستشار! ما أغرب ما يمكن أن يكون عليه القدر!»

أحس معالي وزير الحرب بالأسف البالغ، ولكن معنوياته كانت أكثر ارتفاعاً من ألا يكون متلهفاً على ترك انطباع طيب. واستقطبت هيئته المعطرة على نحو رائع الوصف. وكانت الدار التي استقبلوه فيها جميلة للغاية حقاً. ولم تكن العروس نفسها بالهزيلة ولا الناحلة، وإنما كانت، بحسب رأيه، ناضجة على نحو جميل. وعلى الرغم من ذلك، ما الذي يمكن أن يكون عليه مظهرها؟ هل يمكن أن يتبين أنها ميَّالة إلى التوكيد والجزم على نحو مضجر، ولا رقة فيها، وإنما الكبرياء فحسب. ستكون تلك كارثة! ولكن من المؤكد أنها لم تكن كذلك في نهاية المطاف، لأنه لم يشعر بأدنى ميل إلى نبذها. وربما كان كل ما هناك أنه وصل إلى هنالك متأخراً للغاية، ولكن حتى لو كان ذلك في الخريف فإن الليل انتهى بسرعة بالغة[1].

عندما عاد إلى الدار، لم يمض مباشرة إلى الجناح. وبدلاً من ذلك أغفى قليلاً ثم كتب إليها رسالة عندما استيقظ.

أشارت النسوة القائمات على خدمته إحداهن إلى أخرى: «إنه يبدو مسروراً تماماً».

«إنني أشعر بالأسف البالغ على السيدة المقيمة في الجناح. وهي ليس بوسعها حقاً أن تحول دون تعرضها للإهمال، أياً كان إنصافه الجدير بالإعجاب». استبد الضيق بهن،

(1) يُفترض أن ليالي الخريف طويلة.

إذ إنهـن كن جميعاً يقمن على خدمتها بصـورة حميمية، بل إن بعضهن ندت عنهن كلمات مريرة، فقد كانت تلك ضربة مريرة لكل منهن.

كان قـد علَّـق الآمال علـى أن يقرأ الرد على رسـالته فـي الغرف المخصصـة له، ولكن أثـار ألمـه التفكير في أن غيابه في تلك الليلة لابد أنه قد أثـار اضطرابها أكثر من أي أوقات مماثلـة، وسـارع بالذهـاب إليها. وبدا رائعاً وهـو يدلف إلى الداخل، وقد بـدا محياه نضراً عقب النوم. أحرجها أن يراها راقدة، وجلسـت في الفراش قليلاً، وقد تضرَّج وجهها على نحو جميل. وبدا له الصباح أجمل من أي وقت مضى. وفجأة غامت عيناه بسحب الدموع، ومضى يحدِّق فيها إلى أن التفتت بعيداً، ورقدت ووجهها للفراش، وتجلى فيها جمال نادر حقاً في خط جبهتها وانسياب شعرها.

وربمـا لإنهاء الصمت في وقت أوحى فيه ارتباك اللحظة بأنه ليس هناك شـيء أكثر رقة يمكن قوله، تناول موضوعاً ملحاً وتسـاءل: «لماذا تبدين على غير مايرام هكذا؟ لقد قلت إن ذلـك راجـع إلى الحر، ولذا تطلعت إلى الطقس الأكثر لطفاً، ولكن يؤسـفني كثيراً رؤية أنـك لسـت أفضل حالاً بعد. هذا أمـر غريب.. إذ يبدو أنه ما من شـيء فعلته من أجلك قد أحدث التأثير المنشود. وعلى الرغم من ذلك، فإنني أحسب أنني ينبغي أن أجعل الصلوات تتواصـل. ومـا أحتاج إليه هـو راهب ذو قوة حقيقيـة. وينبغي أن أجعـل الكاهن المبجل.. يجيء ويقوم على رعايتك ليلاً».

لم تكترث ببلاغته في هذه النوعية من الموضوعات أيضاً، ولكنها كانت تعرف أنه ليس من شيمها أن تمتنع عن الرد على الإطلاق، فقالت: «كنت على الدوام مختلفة قليلاً. وكنت على هذا النحو قبلاً، ولكن هذا ينحسر من تلقاء نفسه».

قـال باسـماً: «كم أنت مرحـة!». بدا له أنه ما مـن أخرى كان يمكـن أن تتمتع بمثل هذه العذوبة المغرية، ولكنه كان لا يزال كذلك حريصاً على العودة إلى حيث كان في السـابق، إذ يبـدو أنـه كان حريصاً عليها أيضاً. ولكن طالما أنها كانت أمامـه فقد بدت له على حالها تمامـاً، ولابـد أن هذا هو السـر في أنه وعدها وعـوداً لا حصر لها حتى فيمـا يتعلق بالحياة المقبلة. غيـر أنها مضت تحدِّث نفسـها وهي تصغي لتوكيداته: نعـم، الأمر صحيح، فأوانها

سيحين عما قريب[1]، ومن المؤكد أنه سيسبب لها المزيد من الحزن إلى حدّ أن تلك العهود المتعلقة بالحياة المقبلة ربما ستكون هي الوعود التي سيفي بها. وعلمتها هذه الخاطرة أنها لم تستفد من درسها[2] بما أنها الآن تميل إلى الثقة به، وربما كان ذلك أكثر مما ينبغي بالنسبة لها، فعلى الرغم من جهود لاشك في أنها شجاعة انخرطت اليوم أخيراً في البكاء. وكانت قد أخفت مشاعرها طوال الوقت، خوفاً من أن تفصح عنها أمامه، ولكنها الآن قد تراكمت عليها الهموم، التي لم تستطع إخفاءها أكثر من هذا، أو هذا هو على الأقل مابدا، فما إن بدأت الدموع في الانهمار حتى لم يعد بمقدورها في يسر إيقافها، وابتعدت عنه مسرعة في خجل وبؤس.

اجتذبها عنوة لتواجهه مجدداً. وقال: «كنت واثقاً من أنك لطيفة ومن أنك صدقت كل ماحدثتك به، ولكنك كنت تحجبين نفسك عني. أليس كذلك؟ أم أن مشاعرك نحوي تغيرت في ليلة واحدة؟». جفَّف دموعها بكمه.

غمغمت بابتسامة واهنة: «تتحدث عن تغير المشاعر في ليلة، ولكني أعلم حق العلم مشاعر من هي التي تغيرت!».

«لكنك، ياعزيزتي، تتحدثين مثلما طفلة! وعلى الرغم من ذلك فإن ضميري مرتاح حقاً، فأنا لا أُخفي عنك شيئاً على الإطلاق، ولو أني كنت أفعل ذلك، فإن بمقدوري أن أدافع عن نفسي بقدر ما يطيب لي، وستظل الحقيقة بالغة الوضوح تماماً، إنك لا تفهمين شيئاً من أمور الدنيا، وهو الأمر الذي يعد في آن أحد وجوه جاذبيتك ومصدر صعوبة كبرى. حسناً للغاية. أمعني التفكير في الأمر من وجهة نظري. فالمرء لا يمكنه أبداً أن يفعل ما يطيب له[3]. وهذا هو الموقف الذي أجد نفسي فيه. وإذا حدث ما آمله، فإنني سيكون

---

(1) كوكينشو 965، من نظم تايرا نو سادافومي: «أنا، الذي سيحين أوانه عما قريب، أتمنى أن تكون لي أحزان قليلة فحسب».

(2) كوكينشو 631: «لم أستفد من درسي، فسرعان ما يتداولون اسمي مجدداً، ولكنه وأنا نمضي معاً على نحو جيد في نهاية المطاف».

(3) جوسينشو 938، من نظم آيسي: «لا يمكنني أن أقول نعم أو لا، فيا للحسرة لا يمكن للمرء أن يفعل ما يطيب له في هذه الدنيا».

بوسعي عندئذ إقناعك بأنك تعنين بالنسبة لي أكثر مما يعنيه أي شخص آخر[1]. وهذا ليس بالشيء الذي يمكن أن أقوله بعيداً عن الجدية. وطالما أن نفسي يتردد..»[2].

في غضون ذلك، نسي مبعوثه إلى دار معالي وزير الميمنة كل حيائه، وأقبل مندفعاً إلى الواجهة الجنوبية لجناحهما، وقد استبد به السكر حقاً. وحمل مكوماً على كتفيه حملاً رائعاً للغاية من الهدايا[3]، فأدركت النسوة لم هو هناك، ولابد أنهن قد تساءلن في قلق متى أمكن لمعاليه أن يكتب رسالته. ولم تكن لدى معاليه، الذي لم يقصد إخفاء ما كان الرجل قد أحضره، الرغبة في التباهي به، وتمنى غاضباً لو أنه كان قد أحسن التصرف. وعلى الرغم من ذلك، فإن الأوان كان قد فات، وجعل إحدى الوصيفات تحضر الرسالة إليه. وإذ عقد العزم على ألا تكون هناك أسرار حول هذا الموضوع، فقد فتح الرسالة ليجد أنها مكتوبة، فيما يبدو، بخط سعادة الأميرة زوجة والد السيدة[4]. وجعله ذلك يحس بأنه أفضل قليلاً، فوضعها جانباً، وهو أمر يشكّل القيام به مخاطرة، سواء أكان شخص آخر هو الذي كتبها أم لم يكن! وجاء فيها: «أرجو أن تغتفر لي تطفلي، ولكنني أخشى أنه على الرغم من كل ما فعلته لتشجيعها، فقد أحست بأنها ليست على مايرام بحيث تبادر للكتابة:

«زهرة البتول هذه يبدو أنها تذوي وتذوي في ندى الصباح

ما الذي عساه فعله الندى في الاستقرار والرحيل؟».[5]

اتسم خطها بالجاذبية والتميز.

قال: «كان يمكنها أن توفر عليَّ شكاواها! فكل ما أردته أن أُترك في سلام معك، والآن

(1) «لئن أصبحت ولياً للعهد ثم امبراطوراً، فسوف أجعلك امبراطورتي».

(2) يبدو أنها شذرة من قصيدة قُصد بها إما: «لئن عمرت بما فيه الكفاية فسوف أفعل ذلك من أجلك» أو «لابد لك من أن تحرصي على أن تعمري طويلاً بما يكفي لقيامي بهذا من أجلك».

(3) أُثقل بالخمر على المبعوث الذي جلب الرد على رسالة نيئو، وغُمر بالهدايا (الأثواب) بما يتفق مع الطابع السعيد للمناسبة. والأصل يتلاعب بكلمة «كازو كي» («يغوص» و«يتلقى على الكتفين» ليقول بشكل أكثر حرفية: «دُفن تحت الأعشاب البحرية الرائعة والمتألقة التي يغوص البحار لجمعها».

(4) أوتشيبا.

(5) بفضل التلاعب بكلمة «أوكي» («ينهض» في الصباح، «يغادر» وكذلك «يستقر» في غمار الحديث عن الندى)، فإن القصيدة يبدو أنها لا تتساءل فحسب عما فعله الندى (نيئو) لزهرة البتول (روكو نو كيمي) خلال الليل، ولكن عما فعله عندما استأذن في مغادرتها لكي يضايقها على هذا النحو.

تعيَّن أن يحدث هذا!».

وعلى الرغم من ذلك، فإن أي أحد كان يمكنه بالتأكيد أن يشاركها ضيقها لو أنه كان من العامة[1] ولديه زوجة على النحو اللائق، لا زوجتان، ولكن في حالته كان الأمر حقاً كذلك فحسب. كان من المحتم أن يحدث هذا، فقد كانت الدنيا تعرف أن قدره مختلف عن أقدار الأمراء الآخرين، وما كانت لتثير اعتراضاً أياً كان عدد النسوة اللواتي لديه. ومن غير المحتمل أن يكون أحد قد أشفق عليه. وقد تحدث الناس فيما يبدو عن حسن طالعها بسبب الطريقة التي تزوجها بها بكل هذه الفخامة، وواصلوا تقديرها وحبهم لها. ويبدو أن المأساة بالنسبة لها كانت تكمن في أنها وجدت نفسها في موقف معرض للخطر فجأة، بعد أن تركها تصبح معتادة كثيراً على حميميته. وقد راحت تتساءل على الدوام، أثناء عكوفها على قراءة حكاية عتيقة أو الاستماع إلى حديث عن شخص آخر، عن السر في أن هذا الجانب من الحياة يضايق الناس أشد الضيق، ولكن الآن وقد مستها هذه المصاعب فقد عرفت بوضوح بالغ أنها ليست بالمزحة.

كان معاليه، الذي أحس بالأسف بصفة خاصة عليها، أكثر رقة وانتباهاً من المعتاد معها. وقال: «ليس من الصواب ألا تأكلي شيئاً على الإطلاق». وألح عليها أن تتناول شيئاً، ودعا بأكثر المقبلات إدخالاً للسرور على النفس، واستدعى طاهياً خبيراً لإعداد أشياء خصيصاً لها، ولكنها لم تجتذبها على الإطلاق، فتنهد قائلاً: «آه، هذا أمر سيء للغاية».

الآن مضت الشمس تغرب، وعند الغسق مضى إلى الدار الرئيسية. حركت الرياح الباردة والسماء الرائعة في هذا الموسم فيه خواطر رقيقة، وهو المولع بالتجديد، بينما بالنسبة لها، هي التي أثقلتها كل همومها، كانت الأمور أكثر إيلاماً من أن تحتمل. وجعلها صياح زيزان الحصاد تفتقد ظل التلال فحسب[2].

«ما من شيء من ذلك الشدو هناك كان يمكن أن يجتذبني، ومع ذلك في هذا الغسق الخريفي لشد ما يجلب صياح زيزان الحصاد خواطر مريرة!»

---

(1) أو «شخصاً عادياً». وليس من الواضح ما إذا كان المقصود بالمعنى أن يكون على وجه التحديد «غير امبراطوري».

(2) كوكينشو 204: «شدت زيزان الحصاد، وحسبت أن الشمس غربت، لكن كل ما هنالك أن ظل التلال غمرني».

انطلق هذا المساء خارجاً قبل أن يتأخر الوقت. وكان حرياً بالصيادين أن يصيدوا السمك تحت وسادتها[1]، فيما صيحات مرافقيه توغل في الابتعاد، وراحت تلوم نفسها وهي راقدة هناك حتى على هذا. وتذكَّرت الأحزان التي جلبها عليها منذ البداية، وتمنت لو أن الأمر لم يحدث قط. وهذه الحالة التي تجعلني منزعجة أشد الانزعاج.. كيف ستنتهي؟ الناس في عائلتي عمرهم جد قصير.. ربما لن يقدر لي العيش في نهاية المطاف! ولم تأسف على هذا الاحتمال، ولكنه أحزنها، وبالإضافة إلى ذلك فإنه سيكون خطيئة كبرى للغاية. دارت في ذهنها مثل هذه الخواطر، فيما هي ترقد مسهدة طوال الليل.

في اليوم التالي أحست جلالة الامبراطورة بأنها ليست على مايرام، وتجمع البلاط بأسره للقيام على رعايتها، ولكنه لم يكن إلا توعكاً بسيطاً، وليس خطيراً على الإطلاق. وانصرف معالي وزير الميمنة من القصر عند الظهيرة، ودعا المستشار لمصاحبته، فانطلقا في العربة ذاتها. وراح يتساءل عن حفل الليلة[2]، الذي بدا أنه قد أراده أن يكون رائعاً بقدر الإمكان، على الرغم من أنه لم يكن بمقدوره القيام إلا بالكثير من دون تجاوز ذلك[3]. وأحس إلى حد ما بأنه مقيد في حضور المستشار، ولكن هذا الأخير كان في نهاية المطاف قريباً بصورة وثيقة، ولم يكن لديه أحد على هذه الدرجة من القرابة يلجأ إليه، ولاشك في أنه أحس بأنه سيضفي لمسة خاصة على الحفل. وأقبل المستشار سريعاً أكثر من المعتاد[4]، وكان مصدر عون في كل الوجوه، ذلك أن الأمر في تقديره لم يكن يعنيه، ولم يحس بالندم. ووجد معاليه في قرارة نفسه موقفه باعثاً على الضيق تماماً.

وصل معالي وزير الحرب بعد أن أوغل الليل إلى حد ما في مسيرته. وكان قد أُعد له مقعد في نهاية الجناح الجنوبي في الدار الرئيسية. ووضعت هناك ثماني منصات عالية في صف بديع بطريقة رسمية، وقد وضعت عليها الأطباق المعتادة[5]. وبالإضافة إلى ذلك

---

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إينو واكا 381: «بينما أبكي بحرقة أحزان الحب، يصيد الصيادون السمك أسفل وسادتي».

(2) من أجل الليلة الثانية من ليالي زواج نيئو من روكو نو كيمي.

(3) لأنه باعتباره من الرعايا كان محظوراً عليه تقليد جوانب معينة من الفخامة الامبراطورية.

(4) على الرغم من أنه ويوجيري قد غادرا القصر معاً، فإنه، فيما يبدو، قد عاد إلى الدار وقتاً قصيراً قبل المضي إلى روكوجو.

(5) يتعين أن تكون الأطباق من الفضة.

وضعت منصتان أصغر تحملان أطباقاً ذات قاعدة على هيئة البراعم وبها كعكات أرز، ولكنه من المضجر بالنسبة لي أن أسجل أي شيء عادي كهذا. ولدى ملاحظة مدى تأخر الوقت قام معالي وزير الميمنة بالتوجه إلى الوصيفات لجعلهن يذكرن معالي وزير الحرب بأن الأوان قد آن[1]، ولكن معاليه كان مستغرقاً في العبث، ولم يذهب مباشرة وفي التو. وضم الجمع أخوين من أخوة زوجة معالي وزير الميمنة، هما مراقب حراسة بوابة الميسرة واستشاري فوجيوارا.

عندما ظهر معالي وزير الحرب، كان مرآه أعجوبة. وقدَّم له مضيفه النقيب أمين السر قدحاً من الخمر، ودفع إليه بوجبة طعامه. وقدَّم إليه آخرون أقداحهم، واحداً وراء الآخر، فشرب قدحين أو ثلاثة. وجعلته الطريقة التي ألح بها المستشار عليه في شرب الخمر يبتسم. ولابد أن المستشار مضى يتذكر كيف أن معاليه، الذي لم يكن يشعر بالألفة في هذه الدار، قد أشار ذات مرة إلى أنه كم هو مضجر هذا المكان، ولكن التعبير الجاد المرتسم على محياه لم يفصح عن شيء من هذا النوع، ثم مضى إلى الجناح الشرقي للترحيب بمعية معاليه، الذين كان يعرف من بينهم العديد من الوصفاء الخصوصيين. وتلقى السادة الستة ذوو المرتبة الرابعة طاقماً من الملابس النسائية وثوباً ضافياً لكل منهم، وتلقى عشرة من ذوي المرتبة الخامسة سترة صينية ثلاثية الطيات وثوباً مسترسلاً يوحي بمكانتهم لكل منهم[2]، وتلقى الأربعة المنتمون إلى الدرجة السادسة سراويل وأثواباً ضافية. وإذ ضاق معالي وزير الميمنة ذرعاً بعدم السماح له بالقيام بما هو أفضل، فقد حرص على التأكد من أن هذه الأشياء كلها جميلة بصورة استثنائية في اللون والتجهيز النهائي. وكانت هدايا أهل دار معالي وزير الحرب وسائسي خيله رائعة للغاية بحيث فاقت كل ما هو متوقع. نعم، إن المشاهد المزدحمة والمتألقة جديرة برؤيتها، ولاشك في أن هذا هو السر في أن الحكايات تحفل على الدوام بها، ولكن من سوء الطالع أنه يبدو أنه كان من المستحيل ملاحظة كل شيء.

كان أحد اتباع المستشار قد استمتع بالقليل من كل هذه الفخامة (ربما كان واقفاً ضائعاً

(1) لمغادرة روكو نو كيمي، التي كان معها حتى الآن، والمضي للاستمتاع بالوجبة الاحتفالية التي أُعدت له.
(2) يُفترض أن ذلك من خلال اللون أو الزخارف.

في مكان ما وسط الظلال)، وهمس فيما هم يجتازون البوابة الوسطى في سانجو في طريق عودتهم: «لم لا يتصرف سعادته بعقل ويتزوج إحدى بنات دار معالي وزير الميمنة؟ إن هذه الحياة الموحشة التي يعيشها مضجرة!». وتناهى إلى سمع المستشار ما قاله، وبدا له طريفاً للغاية. وربما كان الرجل يشعر بالحسد لأن الوقت كان قد تأخر وكانوا جميعاً مرهقين، ولأنه بعد الترحيب الحار بهم، فلابد أن مرافقي معالي وزير الحرب لا يزالون راقدين هنا وهناك سكارى على نحو بهيج.

مضى المستشار إلى الداخل، ورقد في فراشه. وراح يحدِّث نفسه: كم هي مربكة هذه الأمور. لقد أقبل الأب، وقد بدا جليلاً للغاية، ورفع الجميع ذبالات المصابيح، وواصلوا الإلحاح على معالي وزير الحرب في احتساء الخمر، وذلك على الرغم من أننا جميعاً أقارب. من المؤكد أنهم قد اعتنوا به بصورة جميلة! وتذكر مسروراً الهيئة التي بدا عليها معاليه. نعم حقاً، لو أنني كانت لي ابنة أقدرها كثيراً لفضلت أن أزوجها له على أن أبعث بهاإلى القصر، الأمر الذي ذكَّره فيما هو يحدِّث نفسه:إنني أسمع أن كل من لديه ابنة يريد من معاليه أن يتزوجها يتحدث أيضاً عن اقتراح تزويجها لمستشار مياموتو. يبدو أن سمعتي لا بأس بها أيضاً! وعلى الرغم من ذلك فإنني عازف عن الدنيا ومن ذوي الأساليب العتيقة للغاية. وأعقبت أفكار أخرى هذه الخواطر المفعمة بالفخر. إن جلالة الامبراطور يشير بالتلميحات، ولكن ماذا عساني أفعل إذا حسم أمره وكنت لا أزال متردداً على ما أنا عليه الآن؟ سيكون ذلك شرفاً عظيماً، بالطبع، ولكن ما الذي سيتبين أن الأمر عليه بالفعل؟ إنني أتساءل. إلى أي حد سأكون سعيداً إذا اتضح أنها تبدو تماماً مثل الأميرة التي فقدتها! لا، لم يشعر حقاً بأنه يود أن يرفضها.

كما هي الحال غالباً، نام نوماً قلقاً، ولكي يخفِّف من عناء ضجر الرقاد مستيقظاً، مضى إلى غرفة أزيتشي[1]، التي كان يفضلها إلى حد ما عن الأخريات، وأمضى الليلة هناك. وليس قوام الأمر أن أحداً سيلاحظ بشكل خاص حتى إذا حل النهار، ولكنه نهض متعجلاً للغاية وبمظهر منشغل كثيراً إلى حد أن الضيق استبد بها:

«فيما لايحظى أي منا بإذن من أحد لعبور الغدير الحاجز،

(1) يُفترض أنها إحدى وصيفات أمه.

فإنني يؤسفني أن يشتهر أي اسم بفعل اهتماماتك»[1].

تأثر، وقال:

«عند النظرة الأولى قد يبدو سطحياً غدير الحاجز هذا

غير أنه يواصل في القرار التدفق، وتتجاوز أعماقه كل سبر»[2].

لابد أن إتيانه على ذكر «أعماق» قد أكد لها شكوكها فحسب، ولا يمكن أن تكون قد أحبت مسألة «سطحي عند النظرة الأولى» هذه.

فتح الباب المزدوج، وقال: «على الرغم من ذلك حقاً، هلمي وشاهدي هذه السماء! إنني أتساءل كيف يمكنك الرقاد هنالك فحسب وتجاهلها. ولست أقصد التظاهر، ولكنني يبدو أنني أنام على نحو أقل سكينة شيئاً فشيئاً، وعندما أرقد مستيقظاً ليلة إثر أخرى حتى الفجر على هذا النحو، كما تعلمين، فإنني لا أملك إلا التفكير في هذه الحياة والحياة المقبلة». وقبل أن يغادر المكان حوَّل انتباهها إلى أمور أخرى على هذا النحو. ولا شك في أن بهاء مظهره عوَّض عن افتقاره للبلاغة التي تستقطب الأفئدة، إذ لم يفكر فيه أحد قط على أنه بعيد عن اللطف. وقد تطلعت أي امرأة وجَّه إليها كلمة مداعبة يوماً إلى معرفته بصورة أفضل، الأمر الذي يفسر السر في أنه بين اللواتي كان قد جمعهن في حرص لخدمة أمه، سمو الأميرة المترهبنة، فإن الكثيرات كن، بحسب مرتبتهن، يشعرن بأحاسيس مريرة.

ساور معالي وزير الحرب المزيد من السرور، عندما رأى سيدته الجديدة في ضوء النهار[3]. كان طولها مناسباً تماماً، وبدا له طول خصلات شعرها الجانبية وتركيب رأسها جميلين على نحو استثنائي، وتمتعت بشرتها بلون بديع، وتمتع محياها بوقار مؤثر، وأرضته نظرتها اللمَّاحة إلى أبعد الحدود. ولم ينقصها شيء مما يجدر لحسناء بارعة الجمال أن تتمتع به. ولم تكن وهي في الحادية والعشرين أو الثانية والعشرين من عمرها

(1) يشير «الغدير الحاجز» (سيكيجاوا) إلى الغدير الموجود عند ممر أوساكا بين كيوتو وبحيرة بيوا. وأوساكا تعني حرفياً «منحدر اللقاء»، وهي مرتبطة في الشعر بمؤثرات لقاء (العشاق) وانفصالهم.

(2) ياما مونوجاتري 161 (الأنشودة 106): «قد تظنه سطحياً ولكنني أعرف أن غدير الحاجز لن يجف أبداً».

(3) في الصباح بعد الليلة الثالثة التي أمضياها معاً.

فتـاة صغيـرة، ولـم يوح شـيء يتعلق بها بالافتقار إلى النضج، وبدت شـبيهة بزهرة في تفتح متألـق. وجعلت الرعاية المدروسـة لتربيتها تتسـم بالكمال. ولابد أن أباهـا كان قلقاً عليها بـلا انتهـاء. وعلى الرغم من ذلك فإنه بالنسبة للجاذبيـة العذبة المطواعـة انصرف تفكيره أولاً إلـى الأخرى المقيمة في جناح داره. وكانت هذه السـيدة ترد فـي حياء عندما يحدِّثها المرء، ولكنها لم تكن متحفظة بصورة مفرطة، وكانت تجمع بين الوسامة والذكاء. وكانت وصيفاتها الثلاثون الشابات وفتياتها التابعات الست جميعاً خلواً من العيوب، وفيما يتعلق بملابسهن فإن عدم ترحيب أبيها بالطابع الرسمي الشائع دفعه إلى تشجيع أناقة تكاد تكون مذهلة. وقد جعل ما يحظى به معالي وزير الحرب من تعاطف فضلاً عن رقيه الخاص أباها أكثـر حرصـاً على ابنته هذه مـن ابنته الأكبر، التي أنجبها من زوجته المقيمة في سـانجو[1]، التي تزوجها ولي العهد.

لم يستطع معالي وزير الحرب المضي إلى نيجو في يسـر عقب ذلك، وكانت ضوابط كثيرة ترافق مرتبته إلى حد أنه لم يتمكن من الخروج حسبما طاب له خلال النهار، واستقر سريعاً في الجانب الجنوبي الشرقي[2]، حيث عاش على نحو ما فعل سنوات من قبل، وبما أنه لم يكن يسـتطيع عقب حلول الظلام الإفلات من الدار التي تمسـكت به للانطلاق إلى نيجو، فقد انتظرته هناك عبثاً مرات عديدة، إلى أن بدا لها، على الرغم من أنها لم تتوقع شيئاً آخر، أن الواقع قاس حقاً. مضت تحدِّث نفسـها: كم هو صحيح أن هذه الدنيا ليسـت مما تلجه إنسانة عاقلة جاهلة بقيمتها. كانت أحزانها مريرة للغاية، فوجدت مرة بعد الأخرى أن من المستحيل عليها تصديق أنها جاءت إلى هنا بالفعل عبر تلك الدروب الجبلية. وأرادت فـي يـأس العودة إلى هنـاك، ليس لأنها لـم تعد تريد أن تكـون لها صلة به بعـد الآن، ذلك أنـه سـيكون من الخطأ من جانبهـا أن تعامله بجمود، ولكن من أجل السـعي وراء قليل من السـلام والهدوء. هكـذا مضت بها خواطرها، ولما لم تكن تعرف ماذا عسـاها تصنع، فقد تغلبت على كبريائها لتكتب إلى المستشار.

كتبـت تقـول: «أعلمني الخبيـر أخيراً بالاحتفال، ومـن ثم فإنني على علـم بالأمر. وأنا

---

(1) كوموي نو كاري.

(2) روكو نو كيمي موجودة في الشمال الشرقي.

مدينة لك بالامتنان الشديد، ذلك أنه من دون لطفك المستمر لكنت في أسى شديد على من فقدتهم. آمل أن تسمح لي أن أشكرك بنفسي، إذا أتيح لي ذلك».

كانت رسالة جدية، مكتوبة على ورق ميتشينوكوني، ولم يسع شيء فيها إلى التأثير في نفس متلقيها، ولكن ذلك عى وجه الدقة أسعده. ولم يكن امتنانها إزاء الجلال الذي أُضفي على الطقوس التذكارية المعتادة لسعادة الأمير مبالغاً فيه، ولكنها من المؤكد أنها كانت حساسة حيال ما كان قد قام به. لم تكن، هي التي أجحمت عن الرد على رسائله، قد كتبت بصراحة ولا باستفاضة، ولكن استخدامها لتعبير «بنفسي» كان عجيباً ومصدر بهجة وفرح، ولابد أنه قد أثار انفعاله. وخلص حزيناً إلى أن معالي وزير الحرب كان يهملها أخيراً، محبذاً مباهج التجديد، وعلى الرغم من أن رسالتها لم تقدم لمسة فتنة، فقد أحس بأسى بالغ عليها بحيث أنه لم يستطع وضعها من يده. وبدلاً من ذلك مضى يواصل قراءتها مراراً وتكراراً.

وكتب في رده يقول: «شكراً لك على رسالتك. لقد مضيت إلى هناك أخيراً، في حرص مقصود، شاعراً بأنني أنا نفسي رجل دين. وظننت في ذلك الوقت أن هذا هو أفضل شيء أقوم به. ويشير إتيانك على ذكر (لطفي المستمر) إلى أنك تشكين في تراجع مشاعري الآن، ولابد لي من الاحتجاج على ذلك. ولن أفعل شيئاً من دون استشارتك. خادمك المطيع». كانت الرسالة مكتوبة على ورق أبيض وذات طابع عملي ورسمي تماماً.

مضى لزيارتها في وقت متأخر من اليوم التالي. ولما كان مغرماً بها في قرارة نفسه، فقد كان أكثر عناية مما هو ضروري بملبسه، حيث أضفى على كل طبقة من طبقات أرديته الرقيقة عبقاً إضافياً رائعاً، وكأنما لم يكن ذلك كافياً قام بتهوية نفسه باستخدام مروحة مصبوغة بالقرنفل، فوصلها عبق رائع على نحو لا يوصف منه.

تذكَّرت هي نفسها، بين الحين والآخر، ليلتهما الغريبة معاً، وبعد أن رأت كيف أنه أكثر لطفاً بكثير من الرجال الآخرين، فلابد أنها تمنت لو أن الأمور سارت بخلاف ما مضت عليه. لم تعد فتاة بريئة، ولابد أن المقارنة بينه وبين الرجل الذي تسبب لها في مثل هذه المعاناة قد جعل الفارق بينهما واضحاً للغاية، حيث إنها وفَّرت عليه المسافة التي كانت عادة تجعلها تفصل بينهما، وخوفاً من أن يظن بها الجمود سمحت له هذه المرة بالقدوم

إلى داخل الستائر الحاجبة[1]. واستقبلته جالسة على مبعدة بعض الشيء عن ستارة وضعت قباله ستائر الغرفة الحاجبة[2].

قال: «لم تقومي بالفعل بدعوتي لزيارتك من قبل، ولكن هذه الإيماءة غير المعتادة منحتني سروراً بالغاً. وكان حرياً بي المجيء في التو، لولا أنني فهمت أن معاليه ربما يكون هنا، ولذا فقد خشيت من أنني قد لا يكون مرغوباً فيَّ. وذلك هو السر في أنني قررت المجيء اليوم. وعلى الرغم من ذلك، فإن إخلاصي على مر السنين ربما يكون قد وجد مكافأته، لأنني أرى أنك قللت إلى حد ما المسافة بيننا، وأنني داخل الستائر الحاجبة.

لما كانت لاتزال شديدة الخجل، فإنها لم تدر بم عساها ترد. وأجابت في حرص بالغ: «بعد سرور السماع عما جرى أخيراً، فقد فكَّرت في أنه كم سيكون مؤسفاً لو أنني واصلت كالمعتاد كتمان مشاعري وعدم إبلاغك حتى بمدى امتناني». تحدَّثت من مسافة بعيدة في مؤخرة الغرفة، ولم يبلغه صوتها إلا بصورة غير مؤكدة، الأمر الذي أثاره بشكل أكبر.

قال: «إنك بعيدة للغاية! وفي الحقيقة هناك شيء أود أن أناقشه معك».

سلَّمت بذلك، ودقَّ قلبه سريعاً، عندما سمعها تنتقل أقرب قليلاً، ولكنه لم يفصح عن شيء من ذلك، وسيطر على نفسه بصورة أفضل من أي وقت. وألمح إلى أنه من منظوره، ويا للحسرة، فإني موقف معاليه يشوبه القصور، وخاطر بلومه على ذلك وإدخال العزاء على نفسها أيضاً. ومضى لبعض الوقت يتحدث في هدوء عن موضوعات كهذه.

لم تستطع الإعراب جيداً عن ضيقها، وأتاحت له فحسب أن يدرك أنها لا تلوم أحداً إلا نفسها[3]، متجاوزة الأمر في كلمات معدودات، ومتوسلة إليه في غضون ذلك أن يعود بها لزيارة قريتها الجبلية.

قال: «تلك ليست خدمة يتوقف عليَّ وحدي أمر القيام بتقديمها لك. وأفضل شيء

---

(1) الستائر الحاجبة بين الشرفة والدهليز.

(2) الستائر الحاجبة بين الدهليز والغرفة. كاورو موجود في الدهليز.

(3) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو واكا 940: «هل الدنيا هي الضارية أم أنه هو القاسي؟ لا، لست ألوم أحداً إلا نفسي». تتضمن القصيدة تلاعباً طويلاً وتقليدياً بكلمة «واريكارا»، «من تلقاء نفسي» وكذلك تلاعباً باسم مخلوق يُقال إنه يعيش من عشب البحر الذي يجمعه البحارة».

تقومين به هو طرح الأمر بأمانة مع معاليه والتصرف وفق ما يفضله، وإلا فإن أقل سوء فهم قد يُفضي به إلى الشك في وجود نوع من الحماقة، وذلك سيكون كارثة. ولولا ذلك لما ترددت لحظة في تكريس جهودي لاصطحابك إلى هناك والعودة بك. ومعاليه يعرف تماماً أنه يمكنه الوثوق بي في القيام بذلك أكثر من أي شخص آخر». وعلى الرغم من ذلك فإنه لم ينس حقاً كم أسف على ما حدث في الماضي، ومضى ليفاتحها في كم أنه كان يود مسروراً أن يستعيد ما فات، إلى أن بدأ الظلام يحل تدريجياً، وتمنت في يأس أن ينصرف.

قالت: «إنني أخشى أنني لست على ما يرام. ولابد لنا، بالطبع، من الحديث مجدداً، عندما أحس بأنني تحسنت قليلاً». أردت أسفة أنها توشك على أن تلوذ بفراشها.

تساءل ليصرف نظرها عن ذلك: «لكن متى تحبين الذهاب؟ إن الطريق هناك تكسوه الأعشاب إلى حد بعيد، وأود أن آمر بتنحية الأعشاب عنه قليلاً».

لزمت الصمت قليلاً. «أوائل الشهر المقبل، فيما أظن، فهذا الشهر انتهى تقريباً. وسيكون من الأفضل إبقاء الأمر سراً. لم الاستئذان وجعل الموضوع قضية؟».

حدَّث نفسه: يا له من صوت عزيز على القلب تماماً! وعادت إليه ذكرى أختها بصورة متوهجة بالحياة للغاية بحيث لم يعد يطيق الاحتمال. ومن حيث كان جالساً مستنداً إلى أحد الأعمدة، مد يده برقة من تحت الستارة الحاجبة، وأمسك بكمها.

آه، لا، ليس هذا. يا للفظاعة! كان ذلك هو ما حدَّثت نفسها به. ماذا عساها تكون قد قالت؟ في صمت انزلقت مبتعدة بصورة أكبر عنه، وعندئذ دنا هو نفسه بمقدار منتصف المسافة تحت الستارة الحاجبة، كأنما هو في داره، ورقد إلى جوارها. وقال محتجاً: «إنك لا تفهمين. إنني شديد الابتهاج لأنك تفضلين السرية، وكل ما هنالك أنني أريد أن أسألك عما إذا كنت قد سمعت على الوجه الصحيح! كم أنت غير ودودة! في نهاية المطاف، ليس الأمر كما لو أنك لديك حاجة لمعاملتي ببرود!».

لم تكن في حالة نفسية تسمح لها بالرد. كانت الصدمة كبيرة للغاية، ونظرت الآن إليه على أنه كريه، ولكنها سيطرت على نفسها بما يكفي لتوبيخه: «موقفك مثير للدهشة! فكِّر فيما سيبدو هذا عليه للآخرين! هذا يروعني!».

عندما رآها توشك على البكاء، تعاطف معها، ولم يستطع لومها كلية. وعلى الرغم من ذلك فقد رد قائلاً: «لم ينبغي لأي أحد أن يكترث؟ حسناً للغاية، ها نحن معاً، ولكن تذكري فحسب تلك المرة الأخرى! لقد وافقت أختك في نهاية المطاف! إنني أنا من سيجرحه سخطك. ثقي بأنني لا أفكر في شيء مندفع أو غير لائق». تحدَّث بهدوء بالغ، ولكن شهور الندم المرير التي أمضاها عذبته الآن أشد العذاب فواصل الحديث عن ذلك، من دون الإتيان بأي حركة لترك كمها. ولم تستطع القيام بشيء، وللتعبير عن الأمور بصورة معتدلة، فقد كانت مذهولة.

«ما هذا الآن؟ ربما تكونين فتاة صغيرة!». قال ذلك عندما اخرطت في البكاء، وقد اشتد خجلها ونفورها عما إذا لم تكن تعرفه على الإطلاق. كانت عذبة ومثيرة للإشفاق على نحو يتجاوز الوصف. ولكنه وجد فيها أيضاً جدية صارمة تتجاوز بكثير الأخت الصغرى المنتمية إلى هاتيك الأيام. أخيراً، وقد استبد به العذاب من خلال اضطراره للمعاناة بهذه الطريقة لتركها واعياً تمضي إلى شخص آخر، فقد انخرط في البكاء.

كان حرياً بالوصيفتين القائمتين على خدمتها قريباً منها أن تبادرا إلى الدفاع عن سيدتهما وحمايتها من متطفل غير مرغوب فيه، ولكن هذا السيد النبيل كان في وضع يتيح له أن يواصل حواراً مألوفاً معها، وافترضتا أنه إذا كان يفعل ذلك فلابد أن هناك سبباً لذلك. ومن هنا فقد تظاهرتا بأنهما لم تلحظا شيئاً، على الرغم من استيائهما، وانسحبتا في صمت لسوء الطالع. ولابد أنه هو نفسه قد كافح للسيطرة على أسفه الحارق على ما فعله آنذاك، ولكن اللباقة النادرة التي تمتع بها حتى منذ وقت طويل منعته الآن من التصرف وفق رغبته. ولم يكن المشهد من النوع الذي يفصِّل فيه المرء القول. وعلى الرغم من أنه كان يشعر بخيبة الأمل، فإنه عرف أنه لابد له من أن يتجنب لفت الأنظار، ومن هناك فقد استأذن، نادماً على ما فعل.

لم يكن قد فكَّر في أن الليلة قد انقضت بعد، ولكن الفجر كان قريباً. ولئن كان قد خشي من أن أحدهم قد يراه، فلاشك في أن ذلك من أجلها. ومضى يحدِّث نفسه: لا عجب في أنها تشعر بأنها ليست على ما يرام على نحو ما يتناهى إليَّ. نعم، كان ما جعلني

أحجم بصورة أساسية الشعور بالأسف عليها بسبب رباط الورك ذاك[1]، الذي كانت تشعر بالحرج الشديد بسببه. أي أحمق جعلت من نفسي مجدّداً! وعلى الرغم من ذلك، فمن المؤكد أنه كان سيحجم عن إبداء أي قسوة نحوها. وفضلاً عن ذلك، فإنه كان سيعاني من العذابات لاحقاً لو أنه قادته لحظة طيش إلى إرغامها، وكان حرياً بترتيب لقاءات مستحيلة وسرية أن يشكل اختباراً مؤلماً له. وما عليك إلا أن تفكر في البؤس النابع من إثارة نزاع بينها وبين معاليه! وعلى الرغم من ذلك، فإنه في هذه اللحظة عينها[2] لم يكن أي من هذه التأملات الحكيمة قادراً على إنقاذه من حنينه المفعم باليأس. ولم يستطع تصور ألا يحظى بها، وهو الأمر الذي كان حقاً وصدقاً داعياً لليأس بالنسبة له. وبدا له أن طبيعة حضورها، وهي أكثر نحولاً بقليل من ذي قبل وأشد فتنة، لم تفارقه قط إلا لتكون معه حتى في الوقت الراهن، ولم يعرف شيئاً آخر غير ذلك. إنها تريد بشدة الذهاب إلى أوجي، ولسوف أصحبها مسروراً إلى هناك. ولكن هل يوافق معاليه على ذلك أبداً؟ وبافتراض أنه لن يوافق، فسيكون من قبيل الكارثة القيام بذلك سراً. كيف يمكن أن أحقق رغبتي من دون إثارة فضيحة؟ رقد هنالك مسهداً، وخواطره تغلي.



مبعوث يحمل رسالة محكمة الطي

كان الظلام لا يزال مخيماً عندما وصلت رسالته. وكما في السابق، كان لها مظهر رسالة رسمية مستقيمة الطي.

«جثم ندى كثيف على امتداد الدرب المؤلم الذي سلكته عبثاً،

فأعادت السماء الخريفية ذكرى تلك السماوات النائية.

كان استقبالك الفظ قاسياً على نحو لا سبيل إلى فهمه[3]. ماذا عساي أن أقول غير

(1) كوشي، رباط تلفه المرأة الحامل حول الجزء السفلي من بطنها.

(2) جوسينشو 563: «متى كان يمكن أن تكون هذه الأوقات التي لم نلتق فيها، عندما أتوق إليك كثيراً لأنني في هذه اللحظة عينها لا أراك».

(3) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو 382: «أنا الذي يعرف مدى تواضع قيمته لن أشكو، ولكن من أين تجيء هذه القسوة التي تستعصي على الفهم؟».

ذلك؟».

ستلاحظ وصيفاتها شيئاً غير مألوف إذا لم ترد على الرسالة، فكتبت في تعاسة بالغة: «شكراً لك على رسالتك. إنني لست على ما يرام بحيث لا يتاح لي الرد». كان ذلك كل ما هنالك، فبدت له الرسالة قصيرة على نحو مخيب للأمل. وبدلاً من ذلك استعاد بمزيد من الشوق ذكرى حضورها الفاتن.

على الرغم من أساها وجزعها الشديدين، فإنها لم تكن قد نبذته في صمت جهم، ربما لأنها تعرف الدنيا أكثر قليلاً. وبدلاً من ذلك، فقد أظهرت فطنة وكبرياء شديدتين، وصرفته بكلمات لطيفة ومريحة، حتى إن أسلوبها في غمار تذكره له أثار أسفاً شديداً، وشغل ذهنه حتى داهمه اليأس وحده. وبدا له أنها تحسنت على نحو مدهش من كل الوجوه. وراح يحدِّث نفسه: حسناً، إذاً، لو أن معاليه تخلى عنها، فسيتعين عليها الاعتماد عليَّ. ومع ذلك فإن الأمر لن يكون سهلاً ولا متاحاً أبداً، ولكنها ستكون حبيبتي الوحيدة، على الرغم من أن أحداً آخر لن يعرف بالأمر، وسأعلي من شأنها فوق الأخريات كافة. لم يفكر في أي شيء آخر، وهو الأمر الجدير بقدر كاف من الشجب. راحت تحدِّث نفسها: ما أشد غدر الرجال على الرغم من تظاهرهم بالفكر العميق والفهم الحكيم! وداعاً لأساه على الأخت التي فقدها. لا، فهو في نهاية المطاف لم يكن يعاني كل تلك المعاناة. دارت مثل هذه الخواطر في ذهنه. ونسي كونه سندها الموثوق به، عندما سمع أحدهم يقول: «ذهب معاليه إلى نيجو اليوم». تتابعت دقات قلبه سراعاً، والتهمته الغيرة.

لم يكن معاليه قد مضى إلى داره منذ وقت طويل إلى حد أنه هو نفسه استنكر ذلك، وأخيراً مضى إلى هناك بوحي اللحظة. وقد حدَّثت نفسها: آه، لا، لن أدعه يعرف أنني مستاءة منه! لقد أرادت أن تزور قريتها الجبلية، ولكن الرجل الوحيد الذي أمكنها أن تتطلع إليه للقيام بذلك تبين أنه لديه نوايا خبيثة، وإذ غدت تعرف ذلك الآن فقد أدركت كم هي معقدة دنياها وكم هو سيئ الطالع مكانها فيها، وحسمت رأيها على تقبل الأمور في صبر، طالما هي على قيد الحياة. ومن هنا فقد استقبلته بعذوبة وجمال بالغين بحيث أدخلت السرور على نفسه أكثر من ذي قبل، وراح ينتحل لنفسه الأعذار بلا انتهاء لإهماله إياها في الأيام الماضية. كانت بطنها قد انتفخت قليلاً، وأفعمت نفسه بالتعاطف عندما وجدها

تضع رباط الـورك الدال على ما هي فيه، والذي أحرجها كثيـراً، حيث لم يكن من قبل قط قريبـاً مـن امرأة في حالتها، بل أدهشـته تماماً جـدة الأمر. وبعـد أن كان اضطر للتعود على مراعاة سـلوكياته، أحس بالارتياح البالغ في داره، وراح يؤكد لها بطرق عديدة حبه العميق لها. وتسـاءلت فيما هي تصغي إليه عما إذا كان كل الرجال على مثل هذا القدر من البراعة في الحديث، وعادت إلى ذهنها ذكرى ذلك الحضور المزعج. وكانت قد حسبته كل تلك السنين طيباً ولطيفاً للغاية، ولكن إذا كان ذلك هو ما يعنيه اللطف، فإنها لا تريد المزيد منه، أما فيما يتعلق بوعود الاخلاص الدائم من هذا الموجود هاهنا فلسـوف نرى، سـوف نرى! وكانت تلك هي الخاطرة الصامتة التي حيَّت بها كلاً منهما، وذلك على الرغم من أنها، في الوقت نفسه، لم تصدقهما كثيراً.

حدَّثت نفسها قائلة: ما أغرب التفكير في مدى القسوة التي باغتني بها وأقبل إلى الداخل مباشـرة مندفعاً. لقد أكد لي أنه وأختي لـم يكونا بذلك القرب قط، وهو أمر من المؤكد أنه يلفت النظر، ولكنني لم يكن ينبغي لي أن أسمح لذلك بجعلي مهملة. وهكذا عقدت العزم على مضاعفة حذرها. وإذ أدركت الخطر الرهيب الذي قد يشكلّه أي غياب ممتد لمعاليه، فإنها لم تقل شـيئاً عنه، وإنما فعلت ما هو أكثر من السـابق بكثير لجعله يرغب في أن يكون معهـا. وقـد فتنه ذلك تماماً، إلى أن لاحـظ، هو الخبير، بدهشـة وراء العبق العادي بصورة تامـة الـذي كانت قد عطرت به ملابسـها عبقاً آخر، مميزاً ومختلفـاً تماماً، ذلك أن «عطره» كان قد غمره، ثم سـعى لاكتشـاف ما كان يجري، وتركتها أسـئلته التي لم تكن غير متوقعة تمامـاً حائـرة فـي يأس حيـال ما ترد به. حدَّث نفسـه بقلـب خافق: كنت أعـرف ذلك! من المؤكد أن ذلك كان سـيحدث! لقد افترضت على الدوام أنه سـيذعن للإغواء! لقد غيَّرت بالفعل قميصها وما إلى ذلك، ولكن مما يلفت النظر أن العبق قد نفذ حتى إلى شخصها.

«لابد أنه اسـتحل لنفسـه القيـام بأقصى ما يمكن الذهـاب إليه، إذا كانـت الرائحة بهذه القوة عليك»، هكذا واصل القول على نحو مقيت بما فيه الكفاية لكي يصل بها إلى أقصى البـؤس والحيـرة. «هاهنا كنت أحدِّثك بكل ما تعنيه لـي، وفي غضون ذلك كنت قد قررت أن تكونـي أول من ينسـى![1] ما مـن أحد في مرتبتك يمكن أن يتدنى إلـى مثل هذه الحياة!

---

(1) كوكين روكوجو 2122: «أنا، وليس هو، سأكون أول من ينسى. لم ينبغي أن أثق به إذا كان على مثل هذا البرود

هـل غبـت حقاً طويلاً إلى هذا الحد؟ لا يمكنني أن أصـدق هذا منك!». وقال أكثر من هذا بكثير، على الرغم من أن تكراره سيكون مؤلماً أكثر مما ينبغي، ولكن لضيقه البالغ فإنها لم تحر رداً. أضاف:

«الرائحة التي تنتقل من كم إلى آخر في عناق حميم

خنقتني أيضاً وجعلتني أتميز غضباً!».

على حديثه الحانق ذاك لم تحر رداً، لكن هذه القصيدة كانت أمراً آخر.

«فيما اعتقدت أن هذا الثوب الوسيط سيكون ثوبنا دوماً

هل تهجرني للأبد من أجل لمسة رائحة؟»[1].

انخرطـت في البكاء خلال حديثها. وأثَّرت التنهيدة فيه بعمق، لكنه عندئذ حدَّث نفسـه قائـلاً: هذا هو ما حدث تماماً![2] واستشـعر موجة جارفـة من النفور إلى حد أنه هو بدوره، الـذي كان علـى الدوام متودّداً رقيق القلب للنسـاء، انخرط في البـكاء. دع عنك جانباً أنها أخطأت خطأ جسيماً، لم يكن بمقدوره قط أن ينبذها، فقد كانت أكثر رقة وقرباً من الفؤاد، وهكذا انحسر غضبه عنه. وبدلاً من ذلك، انتقل إلى تهدئتها.

في الصباح، نهض بعد ليلة مبهجة، واسـتحم، وتناول طعام إفطاره هناك أيضاً. وشـكَّل أسلوب غرفها اختلافاً لافتاً للنظر عن الطبقات المتألقة هناك من الأقمشة المطرزة القادمة مـن كوما وكاثـاي. وأعطت في مجملها الشـعور بأنهـا عادية ومألوفة، ومنحتـه وصيفاتها أيضـاً، اللواتـي كان بعضهـن يرتدي ملابـس مفضضة برقة، شـعوراً بالسـلام. وكانت هي نفسـها ترتـدي ثوبـاً بنفسـيجاً رمادياً شـاحباً فوق ثـوب طويل أحمـر وردي مبطـن، وكل ملابسـها ترتديها بصورة عفوية، ولم تكن المقارنة بينها وبين السـيدة الأخرى، التي كانت تتسم بالكمال دوماً في كل التفاصيل وجميلة على نحو يكاد يكون خانقاً، في غير صالحها.

حيالي؟».

(1) «عندما وثقت أنني أنت وأنا سنكون دوماً قريبين أحدنا من الآخر على نحو ما كنا..». «الثوب الوسيط» (ناكا نو كورومو) تعبير مناسب للشعر، يشير إلى الرابطة بين العشاق. والقصيدة تكرِّر أيضاً الكلمات (كاكاري نايت) التي استخدمها نيئو لتوه، والتي تُرجمت على هذا النحو «إذا كانت الرائحة بهذه القوة عليك» والتي يُضاف إليها معنى مزدوج ل«كا»، «بهذه القوة» و«عبق».

(2) لأنها لا سبيل إلى مقاومتها.

كانت بالغة اللطف وشديدة الجمال حتى إنه لم يشعر بأدنى حرج من جراء ولعه بها. وقد كانت في وقت من الأوقات بدرية الوجه وبضة. أما الآن فقد غدت أكثر نحولاً، وأضفت بشرتها الأكثر شحوباً عليها مظهراً نبيلاً على نحو بهيج. وحتى قبل أن تخولها تلك الرائحة، كان قد وجد جاذبيتها الساحرة فائقة للغاية لجاذبية أي امرأة عادية حتى إنه استشعر القلق على الدوام، ذلك أنه يعرف الدنيا حق المعرفة، من أن أي رجل، ما لم يكن أخاً له، يزورها ويتحدث معها ويتعود لأي سبب على سماع صوتها أو اختلاس نظرة منها، ستثيره، إن آجلاً أو عاجلاً، وتساوره حيالها المشاعر نفسها التي ساورتها. وراح يفتش في الصناديق والخزائن وما إلى ذلك عن أي رسائل تشكّل تهديداً أو خطراً، كأنه يبحث عن شيء آخر، ولكنه لم يجد شيئاً. وكانت هناك فحسب رسائل قصيرة ومحتشمة حول موضوعات عادية مختلطة بأشياء أخرى من دون أي عناية خاصة. وحدَّث نفسه قائلاً: غريب! لابد أن هناك رسائل أخرى! والآن غدا أكثر تشككاً من أي وقت آخر، ولا عجب في ذلك. وحدَّث نفسه: أي امرأة ذات فطنة لابد أن يروق لها المستشار، أخذاً في الاعتبار وسامته ولماذا يرفضها عندئذ في صرامة؟ لسوف يكونان ثنائياً جميلاً للغاية، وأحسب أنهما لابد أن يكونا عاشقين. وبحلول الوقت الذي توصل فيه إلى هذا الحد كان قد غدا بائساً، حانقاً وغاضباً، وظل شديد الانفعال حتى إنه لم يغادر الدار في ذلك اليوم أيضاً. وحول الرسالتين أو الثلاث رسائل التي بعث بها إلى روكوجو تهامست بعض العجائز: «ما أسرع ما تتراكم الرسائل منه إحداها فوق الأخرى مثل الأوراق المتساقطة من الأشجار!».

لم يستشعر المستشار السرور لمعرفته بأن معاليه واصل المكوث هناك، ولكنه حدَّث نفسه بقوله: ليس هناك ما يمكنني القيام به حيال هذا الأمر. والمشكلة هي أنني أبله. ما شأني ليساورني هذا الشعور حيال من أردت أن أراه مستقراً في سعادة فحسب؟ وبعد أن أفلح في السيطرة على نفسه، أسعده أن معاليه، على الأقل، لم يتخل عنها. ودفعه التفكير في وصيفاتها في ملابسهن المجعدة على نحو مريح إلى زيارة أمه.

قال: «أتساءل عما إذا كانت لديك أي ملابس مناسبة جاهزة بالفعل، فأنا أفكر في استخدام لها».

ردت قائلة: «أحسب أنه لابد أن تكون هناك بعض الملابس البيضاء العادية، كالمعتاد،

لاستخدامها في الصلوات الشهر المقبل[1]. وأشك في أن تكون هناك ملابس مصبوغة، ولكنني يمكنني أن آمر بصبغها من دون تأخير».

«لا، لا، الأمر ليس على تلك الدرجة من الأهمية. وأياً كان ما يتصادف أنه لديك فسيكون مناسباً». وأمر بتفقد خزانة ملابسها، وبعث بالعديد من أطقم الملابس والأثواب الضافية النسائية - كائناً ما كان متوافراً - جنباً إلى جنب مع لفافات من القماش الحريري غير المصبوغ والحريري المطرز. وللسيدة نفسها بعث من بين أشيائه الخاصة حريراً قرمزياً متألقاً على نحو جميل وحريراً أبيض مطرزاً وما إلى ذلك بمقادير وفيرة، وبما أنه اتضح أنه ليست هناك سراويل، فقد بعث بقيطان سروال وأرفق به:

«أنت يا من تربطك صلتك الوحيدة بغيري للأبد، مثلما هذا القيطان وحيد،

لن أواصل الركض متهماً إياك بالقسوة».

وجّه الرسالة إلى تايفو، وهي وصيفة محنكة بدا أنها مقربة من سيدتها. وجاء في الرسالة: «أعتذر عن هذه، فهي لا تعدو ما كان جاهزاً لتسليمه. فوزعيها لطفاً على أفضل وجه تعتقدينه!». ولكن سواء أكان ذلك في حرص أم لم يكن فقد لف القسم الخاص بها على نحو منفصل ووضعه في صندوق. ولم تطلع تايفو سيدتها على أي شيء من هذا، لكن التجربة كانت قد جعلت مثل هذه الأمثلة على عدم تفكيره في العواقب شيئاً مألوفاً لها الآن، ولم يخطر ببالها قط أن تجعل من الأمر قضية وتعيدها إلى مرسلها، وبدلاً من ذلك مرّرت الأثواب والأقمشة إلى نسوة الدار، فانشغلن جميعاً في الحياكة. ولا شك في أن الأصغر سناً منهن، واللواتي يقمن على رعايتها عن كثب، قد استحققن الأفضل. أما الخادمات الأقل مرتبة اللواتي كن يمضين جيئة وذهاباً بمظهر غير مرتب على نحو فظيع، فقد بدون الآن بمظهر جميل، في ملابس بيضاء تدخل في النفس المزيد من السرور لكونها موحية بالتحفظ البالغ.

من غيره كان يمكن أن يكون شديد الانتباه إلى احتياجاتها؟ من المؤكد أن معالي وزير الحرب، الذي كان مخلصاً لها، قد حرص على ألا ينقصها شيء، ولكنه لم يكن بمقدوره

---

(1) الشهر التاسع، عندما يكون هناك العديد من الطقوس البوذية المهمة. وربما قُصد بالثياب التي تأتي أونا سان نو ميا على ذكرها أن تكون تقدمات.

أن يبقـي عينـه على كل التفاصيل المألوفة. وبعد أن كان على الدوام يحظى بالرعاية التامة، فإنـه بالطبع لم يكن يدري ما الذي يعنيـه التقلب في عذاب الفقر المدقع. وقد عنت الحياة بالنسـبة له الارتجاف بالنشوة البديعة أمام ندى زهرة، وعندما يمضي إلى حد القيام بصورة طبيعيـة بإمـداد المرأة التي يهـوى بضروريـات الحياة العملية، حسـبما يقتضـي الوقت أو الموسـم، فإن الاسـتجابة التي يثيرها ذلك كانت الدهشـة، ومن جانـب إحداهن كمربيتها سـليطة اللسـان صيحات مـن قبيل «آه، لكنه مـا كان ينبغي أن يفعل ذلـك!». وقد مرت بها مناسبات شعرت فيها بحدة، وإن كان على نحو صامت، بالخجل من ملاحظة أن البعض بين فتياتها التابعات كان مظهرهن مسيئاً لها، وتساءلت أي حق لها في الإقامة في مثل هذه الدار البديعـة، وأخيراً ومـع التألق المحتفى به لحياة تلك المرأة الأخـرى المقيمة في روكوجو، اسـتبد بها الأسـى تماماً لتصور ما لابد أن أهل معاليه يظنونه بها. وقد تفهم المستشـار هذا تماماً. وهي لم تقلل بحال من شأن عناية مفرطة كان يمكن أن تكون مترددة فحسب لو أنه كان أقـل قرباً منها، ولكنها خشـيت كذلك مـن أن أي كرم بالغ الوضوح أكثر من اللازم من جانبه قد يجتذب اهتماماً غير مرغوب فيه. والآن بعث من جديد إلى تايفو بعض الملابس الجميلة للغاية التي كان قد أمر بإعدادها مع ثوب خارجي أمر بنسجه خصيصاً لسيدة تايفو وخيط للتطريز كذلك. وكان هو بدوره قد حظي بالتميز بالقدر نفسه الذي حظي به معاليه. وكان متباهياً على نحو عبثي، وازدرى الدنيا، وتفاخر بذهن شامخ، ولكنه منذ وقوفه للمرة الأولى شاهداً على حياة سعادة الأمير الراحل وسط التلال، أدرك على نحو مؤلم أي حزن خـاص يمكن لهـذه العزلة أن تجلبـه، وبتعاطف عميق مـد نطاق هذه التأمـلات إلى الدنيا بكاملها. ويقولون إن ذلك كان الدرس المرير الذي علمته أوجي إياه.

ومـن هنـا فـإن ما كان لا يـزال يريده منهـا على الدوام هـو أن يكون صديقهـا المجامل والموثـوق بـه، ولكنهـا بـدلاً من ذلك شـغلت على نحـو مؤلـم كل خاطرة مـن خواطره، حتى إن رسـائله إليها أصبحت أطول فأطول، ووشـت في بعض الأحيان بمشـاعر تمنى أن يحجبها. وعندئذ كانت تتنهد حيال سـوء الطالع الذي بدا أنه يلازمها. وحدَّثت نفسـها: لو أنه كان غريباً عني تماماً لكان بوسعي استبعاده كلية باعتباره مجنوناً، ولكنني اعتمدت عليه وقتاً طويلاً للغاية باعتباره راعياً غير مألوف إلى حد ما بحيث أنه سـيبدو غريباً فحسـب لو أن الأمـور تردت بيننا، وفضلاً عن هذا فإنني لسـت جاحدة حيـال كل لطفه واهتمامه. غير

أن ذلـك لا يعنـي أن بمقـدوري أن أعامله كمـا لو كنا مقربيـن حقاً أحدنا إلـى الآخر. ماذا عسـاي أصنع؟ كانت ورطة مثيرة للإزعاج للغاية. وكانت النسوة الأصغر سناً، اللواتي كن جديـرات بتجاذب أطـراف الحديث معهن، جديدات كلهن في خدمتها، والنسـوة اللواتي تعرفهن بالفعل كن العجائز القادمات من تلالها. وفي غياب أي شـخص تناقش مشـاعرها معه قلباً لقلب، فقد فكرت بين حين وآخر في أختها. ترى أكانت تساوره هذه الأفكار الآن لو أنها كانت على قيدة الحياة؟ كان الأمر برمته محزناً للغاية، وأرهقها على نحو أكثر إيلاماً من قلقها حيال أن معالي وزير الحرب قد يخونها.

أقبـل المستشـار، الذي لم يسـتطع الاحتمال أكثر من هذا، ذات مسـاء هـادئ لزيارتها، فأمرت بوضع وسـادة له في الشـرفة، وأتاحت له أن يعرف أنها في تلك اللحظة على وجه الدقة فإنها لا تشـعر بأنها على مايرام، ومن ثم لن تتمكن من الحديث معه. وإذ انزعج إلى حـد الانخـراط في البكاء، فقد أجبر نفسـه في وجود النسـاء على إخفاء مـا أحس به. قال: «ولكنـك عندمـا لا تكونيـن على ما يرام، فإنـك تجعلين رهبانـاً لا تعرفينهم على الإطلاق قريبيـن منـك! ألا تسـمحين لـي بالدخـول إلى مـا وراء سـتائرك الحاجبة على نحـو ما قد تسـمحين لطبيـب؟ إن تمرير الرسـائل جيئة وذهاباً عبر الآخرين بهـذه الطريقة يبدو لي بلا معنـى بالمـرة!». بـدا جلياً تماماً أنـه غاضب إلى درجة أن من شـهدن تلـك الليلة الأخرى أجمعـن علـى أنها تمضـي بالأمر إلى أبعد مما ينبغـي حقاً، ونحين سـتائر الغرفة الحاجبة، وسـمحن له بالدخول إلى حيث كان الراهب جالسـاً في مناوبة ليلية. وكان هذا معذباً حقاً بالنسـبة لها، ولكن مع حديث نسـوتها على هذا النحو فإنها لـم ترد أن تكون صريحة للغاية فيمـا يتعلق بهـذا، وهكذا فقد انزلقت إلى الأمام قليلاً لاسـتقباله، وهـي أبعد ما تكون عن الرضا بذلك.

أعـاد صوتهـا الخافت وردودها المتعثرة مباشـرة إلـى ذهنه ذكرى أختهـا، عندما كانت في مسـتهل مرضها، الأمر الذي كان محزناً ومخيفاً للغاية بحيث أنه استشـعر ظلمة تغشاه، وعجـز لبعض الوقت عن مواصلة الحديث. وإذا انزعج أشـد الانزعاج من جراء المسـافة التي أبقت عليها بينهما، فقد مد يده تحت الستارة الحاجبة ليعيد الستارة القائمة إلى الوراء قليلاً، وانحنى نحوها، كما في السابق، كأنما هو في داره تماماً. وقد كان هذا أكثر مما ينبغي،

فاستدعت وصيفة تدعى شوشو، وقالت: «إن صدري يؤلمني، وأود منك أن تضغطي عليه قليلاً من أجلي!».

قال متنهداً عندما سمعها: «لكن ذلك سيجعله أسوأ فحسب!»، وجلس مستقيم الظهر مجدداً، ففي أعماقه أحس بعدم الارتياح ثانية. قال: «لماذا تشعرين على الدوام بأنك لست على ما يرام؟ لقد سألت عن ذلك وقيل لي إن المرء يحس بالمرض في البداية ولكنه في معظم الوقت لاحقاً يشعر بأنه على مايرام تماماً. ويبدو أنك تمضين بهذا الأمر إلى أبعد مما ينبغي مثلما طفلة».

ردت وقد استبد بها الحرج: «غالباً ما أشعر بهذا الألم في صدري. وكانت أختي تشعر به أيضاً. ويُقال إن تلك هي الطريقة التي يشعر بها الناس عندما لايبدو أن العمر سيمتد بهم».

حدَّث نفسه قائلاً، وقد خالجه حزن غامر: لا، ما من أحد يعيش حياة صنوبرة الألف عام[1]. لا تهتم بتلك المرأة التي استدعتها إلى جانبها واحتمال سماعها لي. ومرَّر في صمت أي شيء يحتمل أن يشكل خطراً، ولكنه مع ذلك أفلح في إبلاغها بأي شيء استشعره نحوها طويلاً، وذلك بكلمات لا يتاح إلا لها وحدها، وليس لأحد غيرها يستمع إلى حديثها أن يفهمها. كانت الجاذبية التي تحدَّث بها مؤثرة للغاية إلى حد أن شوشو حدَّثت نفسها قائلة: آه، نعم، يا له من سيد نبيل!

ذكَّره كل شيء على نحو لا ينتهي بالحبيبة التي فقدها، فقال: «الشيء الوحيد الذي أردته حقاً منذ الطفولة هو نبذ الدنيا للأبد. ولكن ربما لم يكن هذا مقدراً لي، لأنه على الرغم من أنني لم أحظ بها قط، فقد أحسست بحب غامر لها إلى حد أن ذلك وحده يبدو أنه قد أحبط أملي في أن أعيش حياة رجل الدين. وقد بحثت عن العزاء عند غيرها، ولكن على الرغم من أن إحداهن ربما بدا أنها قد أطلت بين الحين والآخر، عندما مضيت للتعرف إليها، لتعد بإبعاد ذهني عن هذا الأمر، فإنني لم أحس أن فؤادي يلتفت نحو أخرى قط. وقد تركني الإخفاق في كل محاولاتي، عندما لم تجتذبني أخرى غيرها، غارقاً في الخجل

---

(1) كوكين روكوجو 2096: «يا للحسرة أنه في هذه الحياة لا يمكننا الحصول على ما نتمنى، بينما لا أحد منا صنوبرة الألف عام».

بحيث قد تحسبين أنني خبيث، ولكن بينما من المؤكد أنني ينبغي أن أستحق توبيخك، لو أنني ساورتني على نحو بالغ الغرابة رغبات لا سبيل إلى إرضائها، فإنني لا أرى من الذي يمكنه أن يلومني على تمني أن أشركك في خواطري بين الحين والآخر، على نحو ما نحن عليه الآن، ونتجاذب أطراف الحديث بروح الصداقة، على نحو ما نفعل الآن. ومشاعري ليست هي المشاعر التي تخامر الرجال الآخرين، ولن أقدم سبباً لأي أحد لعدم الموافقة. أرجو أن تمنحيني ثقتك»! ومضى يتحدث بين اللوم والدموع.

«هل كنت سأحادثك على الإطلاق بطريقة قد يتساءل عنها الآخرون، إذا كنت لا أثق بك؟ وغالباً ما أتيحت المناسبة على مر السنين لسبر غور مشاعرك، وذلك هو على وجه الدقة هو السر في لجوئي إليك، على الرغم من أنك لست مألوفاً في ذلك الدور، وهذا هو السبب في أنني أواصل طلب الكثير للغاية منك».

«لست أتذكر قيامك بطلب أي شيء مني. إنك تبالغين في هذا أكثر مما ينبغي. ورغبتك في زيارة قريتك الجبلية تعد أول طلب منك للحصول على مساعدتي. كيف لم أستطع حقاً تقدير ثقتك فيما يتعلق بهذه المسألة؟». كان لا يزال يبدو أنه يحس بالضيق البالغ، ولكنه لم يكن بوسعه مواصلة الحديث حسبما طاب له فيما آخرون يستمعون لما يقوله.

أطل حزيناً إلى خارج الدار. وكان الظلام قد حل الآن، وكانت صيحات الحشرات هي الأصوات الوحيدة التي تبلغ مسامعه. ولفت الظلال هضبة الحديقة. وبقي هنالك، مستنداً على راحته تماماً إلى أحد الأعمدة، ولم يثر إلا الضيق في الداخل. غمغم: «لو كانت للحب نهاية»[1] وما إلى ذلك، ثم قال: «إنني أستسلم. قرية اللاصوت[2]، ذلك هو المكان الذي أتوق إلى الذهاب إليه، ولا تكترثي إذا لم تقدم تلالك معبراً مناسباً، لأنني سأعد دمية تحمل شبهها هناك، وأرسم صورتها أيضاً، وأواصل صلواتي أمامهما»[3].

قالت: «هذه رغبة مؤثرة للغاية، ولكنها مثيرة للقلق أيضاً، لأنها تعيد إلى الذهن، ويا

(1) كوكين روكوجو 2571، من نظم ساكانوي نو كورينوري: «لو كانت للحب نهاية في هذه الدنيا، لذابت همومي مع السنين».

(2) «أوتو ناشي نوساتو»، مذكورة في كوكين روكوجو 1296: «آه، يا للنواح على تعاستي في الحب! أين هي قرية اللاصوت لكي أصرخ عالياً؟».

(3) تعيد أمنية كاورو إلى الأذهان ذكرى أمنية الامبراطور وو، الذي أمر بإبداع لوحة لمحبوبته السيدة لي.

للحسرة، دمية في غدير تطهير[1]. ويقلقني أيضاً أن الرسام ربما لا يريد إلا الذهب»[2].

رد قائلاً: «أصبت. من منظوري فإنه ما من مثال أو مصور يمكن أن ينصفها. لم يطل العهد منذ جلب إبداع مثال البتلات منسابة من السماء[3]، تلك هي نوعية العبقرية التي أحتاج إليها».

أثَّرت فيها كثيراً الطريقة التي واصل الحديث بها حول أنه ليس بوسعه نسيانها والحزن العميق الذي أوحى به مرآه إلى حد أنها انزلقت قليلاً مقتربة منه، وقالت: «في غمار الحديث عن دمية تشبهها، أتذكر الآن شيئاً شديد الغرابة، شيئاً لا يصدق بالمرة».

تساءل متباهياً بالدفء الجديد الذي أوحت بها طريقتها في الحديث: «ما الذي تقصدينه؟» ومد يده تحت الستارة القائمة ليمسك بيدها. وعلى الرغم من ضيقها الشديد، فقد عقدت العزم على أن تقوم بأي ثمن بكبح جماح حماسته وجعله يحسن التصرف، ومن هنا فقد تجاهلت إيماءته خوفاً من أن تصل المرأة الجالسة قريباً إلى أى استنتاج خاطئ.

«هذا الصيف جاءت من كنت أجهل وجودها منذ زمن طويل إليَّ هنا من بعيد، وعلى الرغم من أنه كان من قبيل الخطأ من جانبي ألا أكون ودودة معها، فإنني لم أر أيضاً سبباً يدعوني إلى استقبالها بأسرع مما ينبغي على نحو حميم. وكانت هاهنا على وجه الدقة، وتأثرت كثيراً حيث وجدتها شبيهة إلى حد كبير بأختي. وأنت تواصل القول إنها بالنسبة لك تواصل العيش في إهابي، ولكن من يعرفوننا كلتينا يقولون إننا مختلفتان في الشبه،

(1) «ميتارا شيجاوا»، غدير قرب مزار، يستخدم للتطهير. وأمنية كاورو المتعلقة بصنع «هيتوكاتا» («دمية») لأويجيمي تُذكِّر ناكانو كيمي بالدمية المستخدمة في طقس تطهير (ميسوجي)، وكانت المؤثرات الشريرة التي يتعين التخلص منها توضع طقوسياً في دمية، يتم إرسالها بعد ذلك بعيداً طافية في الغدير.

(2) من القصة الحزينة لوانج زاوجون، التي بعث بها الامبراطور الصيني كخليلة لملك التتار. فعندما هدَّد الهون عاصمة الهان، قرر الامبراطور أن يرسل إلى ملكهم امرأة من الحريم لتهدئته، وأنجز اختياره من اللوحات التي رسمتها النسوة لهذا الغرض. وقد قامت كل النسوة، باستثناء وانج زاوجون برشوة الرسامين لتحسين مظهرهن، بحيث لا يبعث بهن الامبراطور بعيداً. وكنتيجة لذلك فإن صورة زاوجون أظهرتها على أنها الأقل جاذبية من بينهن جميعاً، وبالتالي التي يمكن الاستغناء عنها أكثر من غيرها، على الرغم من أنها في الواقع كانت الأكثر جمالاً بينهن. وقد اكتشف الامبراطور الحقيقة، عندما مضت زاوجون بعيداً، وحكم بالإعدام على المصورين المرتشين.

(3) لم يتم تتبع هذه القصة وصولاً إلى مصدرها، وهي ربما تدور حول أيقونة لبوذا مفعمة بالحياة للغاية إلى حد أن البتلات سقطت عليها من السماء تكريماً وتقديراً.

بحيث إنه من الصعب تصور أن زائرتي، التي يُعد الشبه في حالتها أقل احتمالاً بكثير، تحمل الشبه بصورة مذهلة للغاية».

حسب أنه لابد أنه يحلم. وقال: «ولكن هذه الصلة بينكما لابد أن تكون على وجه الدقة هي السبب في أنها أرادت محادثتك. لماذا لم تبلغيني بأي شيء عن هذا؟».

«لا. لا. لست أدري على وجه الدقة كيف جاءت هذه الرابطة. لقد خشي والدي على الدوام من أن نصبح كلتانا معوزتين، وأن نتردى إلى الضرب في الدنيا بلا هدف. والآن فيما أفكر في هذه المسألة، أنا الوحيدة التي بقيت على قيد الحياة، فإنني أجد أنه من المؤلم أشد الألم تصور أن أثقل ذاكره بأي شيء قد تود النميمة تناقله بين الناس». وفهم من كلماتها أن سعادة الأمير الراحل لابد أنه عرف إحداهن سراً، وبالتالي ترك سرخسيات الذكرى لكي تُنتزع[1].

لفت حديثها عن ذلك الشبه القريب انتباهه بصورة خاصة، فاستبد به فضول شديد. فقال: «هل ذلك كل ما هناك؟ ربما يمكنك أن تسردي على مسامعي القصة كلها». وعلى الرغم من ذلك فقد كانت قصة باعثة على الأسى، فلم تستطع حمل نفسها على القيام بذلك.

قالت: «سأبلغك بمكانها إذا رغبت في الذهاب إليها. ولكنني لا أعرف إلا القليل بالفعل. وإذا أبلغتك بأكثر مما ينبغي فقد لا تشعر إلا بخيبة الأمل».

«سيسعدني بذل قصارى جهدي للرحيل إلى المحيط سعياً وراء المكان الذي تسكنه روحها، إذا أمرتيني بذلك، ولكنني في هذه الحالة أشك في أنني قد تساورني مشاعر على هذه الدرجة من القوة. ومع ذلك، فإنني أعرف أنني سأفضل دمية على البقاء بلا راحة، وفي تلك الروح قد أتقبلها باعتبارها بوذا[2] القرية الجبلية». أوحت لهجة حديثه بالتعجل.

«آه، كان ينبغي ألا أحدِّثك بالكثير، بما أن أبي لم يعترف بها قط، وكل ما هنالك أنني أحسست بالأسف الشديد عليك عندما تحدثت عن الرغبة في مثَّال يتمتع بالعبقرية».

---

(1) «أنجب طفلة من تلك المرأة». كوكين روكوجو 3133 (أو جوسينشو 1187) من نظم كانيتادا نو أسون نو هاها نو مينوتو» «لولا تلك الطفلة التي تركتها وراءها، أين كنا سننتزع سرخسيات الذكرى؟».

(2) هونزون، الأيقونة (منحوتة أو مصورة) التي تمثل الإله الذي يوجه إليه الطقس البوذي.

وواصلت الحديث قائلة: «كانت تقيم بعيداً للغاية، وهو ما اعتقدت أمها أنه أمر يدعو للشعور بالعار الشديد فكبّدت نفسها عناء إحضارها إلى هنا. وقد أقبلت بالفعل لزيارتي. ولم يكن بوسعي إبعادهما. ولم أتبينها كثيراً لكي أتأكد، ولكنه بدا لي أنها أقل غرابة مما كان يمكن أن تكون عليه. وفي ضوء قلق أمها على ما تفعله بها قد يكون من المناسب أن تصبح بوذا بالنسبة لك، ولكن من المؤكد أنك لن تفعل ذلك».

أدرك أنها على الرغم مما يوحي بالبراءة فيها إلا أنها تتوق إلى قول شيء يبعد عنها اهتماماته غير المرغوب فيها، وضاق بذلك. وعلى الرغم من ذلك فقد تأثّر أيضاً. وعلى الرغم من تصميمها على رفض محاولاته الاقتراب منها، فقد كانت متعاطفة معه بما فيه الكفاية بحيث لا ترغب في إذلاله علناً، وخفق قلب متسارعاً حيال هذه الفكرة. وفي غضون ذلك كان الليل قد أوغل في مسيرته، وانزعجت هي الجالسة في الداخل حيال التفكير فيما لابد أن هذا المشهد يبدو عليه. وسمحت لحديثهما بالانتهاء، وآوت إلى فراشها، وهو الأمر الذي تفهمه تماماً، ولكنه على الرغم من ذلك تركها غاضباً وحزيناً إلى حد أنه أحس بأن سيطرته على نفسه تفلت منه، وانهمرت الدموع من عينيه. غير أن ذلك لم يكن يليق به، وكان يعرف ذلك، ومن هنا فإنه قاوم بجهد كبير دفق مشاعره، إذ إن أي اندفاع الآن لن يكون بربرياً فحسب نحوها، وإنما ضاراً به أيضاً. ومضى في سبيله مثقلاً بالتنهدات أكثر من المعتاد.

راح يتساءل: ما الذي أفعله حيال هذا الهوس بها؟ إنه لا يعني شيئاً إلا المعاناة. كيف يمكنني أن أفلح في تجنب الانتقاد واسع النطاق وأن أحظى في الوقت نفسه بما أرغب فيه كثيراً؟ أمضى بقية الليل مستشعراً اليأس حيال أن افتقاره إلى التجربة الحقيقية في هذه الأمور لا شك في أنه يعرضهما معاً للمخاطر. لابد له من أن يرى بنفسه ما إذا كان الشبه الذي ذكرته حقيقياً.

سيكون هذا أمراً يسيراً بما فيه الكفاية لجهة إمكانية القيام به، إذا اختار ذلك، أخذاً في الاعتبار بوضعية المرأة الشابة في الحياة، ولكن أي مصدر للضيق ستكون إذا تبين أنها ليست ما يدور في ذهنه! ولم يشعر بأي تعجل للقيام بأي شيء في هذا الاتجاه.

بدا له عندما أمضى وقتاً طويلاً للغاية من دون رؤية الدار القائمة في أوجي أن الماضي

يزداد انزلاقاً مبتعداً عنه، الأمر الذي أشعره بالحزن البالغ حتى إنه بعد العشرين من الشهر التاسع قام بالرحلة إلى هناك. وكان المكان أكثر تعرضاً لعصف الريح من أي وقت سبق، ولم يبادره بالتحية إلا هدير النهر الموحش. ولم يكن هناك أحد في المكان. واخترق فؤاده ما رآه، وغمره الحزن، فاستدعى الراهبة بن، وأقبلت إلى فتحة الباب المنزلق، دافعة أمامها ستارة قائمة زرقاء – رمادية.

قالت: «عفواً، يا مولاي، لكن وجودك مؤثر للغاية، ولم يكن بمقدوري الإثقال..». ولم تخرج قاطعة المسافة كلها.

«لقد تصورت إلى أي مدى لابد أن حياتك كئيبة، وحدَّثت نفسي بالمجيء لتجاذب أطراف الحديث معك، الآن إذ لم يعد لدي أحد آخر أفضي إليه بما في فؤادي. ما أسرع ما تمر الشهور والسنوات!» امتلأت عيناه بالدموع، ولم تستطع العجوز الإحجام عن البكاء بإسراف.

«هذا هو الوقت من العام الذي استبد فيه العذاب بسيدتي على أختها، وهذه الذكرى المؤلمة دوماً تجعل ريح الخريف حادة وقاسية بشكل خاص. يا للحسرة، فأنا أدرك على نحو غير واضح أن الاحتمال الذي كان يثير قلقها الشديد تبين أنه حقيقي بما فيه الكفاية، وهو خبر يدعو للأسى والحزن».

«كل الأمور قد يتبين أنها على ما يرام بحلول الوقت المناسب، ولكنني مقتنع على نحو مؤلم بأن غلطتي قد سببت لها العذاب. وظروف أختها الراهنة هي، حسناً، ما قد يتوقعه المرء تماماً، ولكنني لا أرى فيها ما يدعو إلى القلق. ولابد أن يحل بنا جميعاً في نهاية المطاف، مثلما حلَّ بها، التصاعد دخاناً إلى السماء، ولكن أياً كان ما يمكن لأي أحد أن يقوله، فإن الرحيل والبقاء[1] مؤلمان للغاية لمن يبقى!». بكى مجدداً.

استدعى، كالمعتاد، الخبير ليناقش معه أمر النصوص المقدسة والأيقونات للصلاة التي تُقام في ذكرى الأخت الكبرى. وقال: «في كل مرة أجيء إلى هنا أشعر كيف أنه لا طائل من وراء التحسر على ما لا سبيل إلى استدراكه، وأفكر في هدم الدار الرئيسية لبناء

(1) كوكين روكوجو 593 (أيضاً شينكوكينشو 757) من نظم هينجو: «الندى على طرفة الورقة والقطرة على الساق يظهران أنه في هذه الدنيا يرحل بعضهم ويبقى غيرهم».

معبد بالقرب من معبدكم. ويتعين عليَّ البدء في ذلك في التو». ورسم صورة سريعة في وصف عدد القاعات والأروقة ومساكن الرهبان الذي يدور في ذهنه، وفصَّل الخبير في الحديث معه حول فضل القيام بمثل هذه الأعمال المقدسة.

«قد يبدو شيئاً قاسياً القيام بهدم الدار، التي كانت في وقت من الأوقات تعني الكثير بالنسبة لسعادة الأمير، ولكنه هو بدوره كان يتطلع إلى السير على درب الجدارة، وذلك على الرغم من أنه يبدو أن التفكير فيمن ستبقيان على قيد الحياة من بعده قي منعه من القيام بذلك. أما الآن فإن الأرض ملك لزوجة معالي وزير الحرب، وهو ما يرقى القول إنها تحت تصرف معاليه، ومن هنا فإنه لن يكون مناسباً تحويلها إلى معبد والحال على ما هي عليه. والمرء ليس له أن يتبع رغباته فيما يتعلق بمثل هذه المسألة. وبالإضافة إلى ذلك فإن هذه البقعة أقرب إلى النهر مما ينبغي، وأكثر تعرضاً لعناصر الطبيعة. وذلك هو السبب في أنني أقترح نقل الدار الرئيسية وإعادة بنائها في موضع آخر.

«إن نواياكم، يا مولاي، جديرة بالثناء على الوجهين كليهما. وذات مرة قامت إحداهن، والتي لزمت الحداد على خسارة كبيرة، بلف العظام، وحملها في صرة حول عنقها، على امتداد سنوات عدة، وبعدها نحَّت هذه الصرة عنها، بفضل براعة بوذا، ومضت في درب الحياة المقدسة[1]. وليس لديَّ شك في أن مشهد هذه الدار يثير ضيقكم بعمق، وذلك شيء جدير بالتأمل. وفي الوقت نفسه فإن ما تقترحونه سيزيد سعادتكم في الحياة المقبلة. وأنا أسارع إلى وضع نفسي رهن خدمتكم، وسأجعل خبيراً في التقويم السنوي يحدِّد اليوم المناسب للبدء، ثم أخصص نجارين أو ثلاثة من الرجال الذين لهم خبرة بمثل هذه الأمور، للعمل وفقاً لتعاليم بوذا».

بعد تأكيد رغباته، بعث المستشار في استقدام رجال من ضياعه، وأمرهم بوضع أنفسهم رهن أمر الخبير. وسرعان ما حل الظلام، فانصرف لقضاء الليل.

حدَّث نفسه، وهو يقوم بجولة لإلقاء نظرة: قد لا أرى هذا المكان مجدداً. كانت كل الأيقونات المقدسة قد مضت إلى المعبد، ولم يبق شيء إلا الأدوات التي تحتاج إليها

(1) المصدر الدقيق لهذه القصة مجهول. وتحدد قصة مرتبطة بها، من شرح على متن دينيتشي – كيو هوية المتوفاة باعتبارها زوجة محبوبة، بينما يورد شرح مبكر على متن «جينجي» حكاية بوذية عن طفل يقتله زوج أم غيور.

الراهبة في صلواتها، فراح يحدِّق فيها، متسائلاً كيف أفلحت في المضي في حياتها المثيرة للشفقة.

قال: «لأسباب مختلفة، سيُعاد بناء الدار الرئيسية، فلابد لك من الانتقال إلى الرواق فيما يتواصل العمل. وإذا كان هناك أي شيء يتعين إرساله إلى دار معالي وزير الحرب في المدينة، فاستدعي رجالاً من ضياعي وأبلغيهم بما يتعين عليهم القيام به لذلك». وأصدر إليها كل أنواع التعليمات العملية. وفي أي مكان آخر، ما كان ليرى مناسباً أن يسمح لمثل هذه العجوز أن تمثل بين يديه، ولكنه جعلها تستلقي إلى جواره الليلة، ودفعها إلى الحديث عن الأيام الخوالي.

لم يكن هناك أحد بقربهما يصغي لما يقولانه، ومن ثم فقد كان بمقدورها أن تتحدث بحرية عن القائم بأعمال المستشار الكبير[1]: «عندما أتذكر كيف أنه كان لا يزال يتوق بجلاء في النهاية لرؤية ما تبدو عليه، إذ إنك كنت قد ولدت لتوك، أحس بالسعادة والحزن في آن للتفكير في أن مكافأتي عن الخدمة الحميمية له[2] خلال حياته هي أن أجدك أمام عينيَّ فيما حياتي المتواضعة توشك على الانتهاء. وقد أطلعتني حياتي الممتدة على نحو بائس، وعلمتني أموراً كثيرة تملأني نفوراً وخجلاً. وأنا أتلقى بين الحين والآخر من سيدتي رسالة تحثني على القدوم ورؤيتها لأنه، كما تقول، ليس لطيفاً مني أن أعزل نفسي هنا للأبد بهذه الطريقة، ولكنني غير مناسبة لصحبتها، وليس هناك من أرغب في رؤيته غير أميدا بوذا نفسه». مضت تتحدث مطولاً عن السيدة التي فقدتها، ماذا كانت عليه عبر السنين، ما قالته في هذه اللحظة أو تلك، كيف نظمت قصيدة قصيرة في جمال البراعم أو وريقات الخريف، وبينما كان يصغي إلى ذلك الصوت المرتجف مضى صامتاً يراكم التأملات حول كم كانت صبيانية، كم كانت مترددة في الحديث، وعلى الرغم من ذلك كله كم كانت معرفتها رائعة. وقد بدت الأخت التي غدت من نصيب معالي وزير الحرب، على الرغم من أنها أكثر إشراقاً وتدفقاً بالحياة إلى حد ما، مستعدة تمام الاستعداد لإحراج أي شخص رفضت الاستجابة لاهتماماته بها، ولكنه حدَّث نفسه بأنها بدت ذات استجابة دافئة لي،

---

(1) كاشيواجي.

(2) هي ابنة مربية كاشيواجي، ومن ثم فقد رُبيت معه.

وهي تريد للأمر الاستمرار بشكل أو بآخر. وهكذا مضى في خواطره يقارن بين الاثنتين.

ثم حلت اللحظة بالنسبة له ليأتي فيها على ذكر البديلة التي كان قد سمع بأمرها. ردت المرأة: «ليس بمقدوري القول بما إذا كانت في المدينة الآن أو لم تكن، ولكنني أعتقد أنني قد سمعت بها. فقد درج معالي الأمير الراحل بعيد وفاة زوجته، قبل انتقاله إلى هذه التلال، على الالتقاء بصورة عابرة وفي تكتم شديد مع وصيفة بارزة وجميلة تدعى تشوجو. ولم يدر أحد بأي شيء عن ذلك. وعندما أنجبت طفلة كان يفترض، كما كان يعرف جيداً، أنها من صلبه، صُدم واستاء، واستبد به الغضب، ولم يرها مجدداً قط. وقد تعلم بصورة مميزة درسه جيداً من هذا، وغدا بشكل أو بآخر رجل دين، الأمر الذي جعل موقفها شديد الحرج إلى درجة أنها تركت خدمته. وتزوجت من حاكم متشينوكوني. وذات عام عادت إلى المدينة، وأبلغت أهل دار معاليه بأن ابنته في أمان وفي خير حال، ولكن عندما سمع سعادته ذلك حظر تماماً مثل هذه الرسائل، الأمر الذي كان بمثابة خيبة أمل مريرة بالنسبة لها، وعقب ذلك مضت مع زوجها إلى هيتاشي[1] التي تولى منصباً فيها، وعلى امتداد سنوات لم ترد أخبار عنها. وسمعت أنها جاءت عقب ذلك إلى المدينة هذا الربيع ومضت لزيارة دار معاليه. ولابد أن ابنتها في العشرين من عمرها الآن. ومنذ بضع سنوات كتبت بالفعل إليَّ حول مدى الجمال الفائق الذي وصلت إليه ابنتها، وكم تتوق إلى القيام بما هو أفضل من أجلها، وما إلى ذلك.

خلص، بعد طرح المزيد من الأسئلة عليها، إلى أن الأمر لابد أن يكون صحيحاً حقاً، وبدأ يرغب في رؤية هذه الشابة. وقال: «لسوف أمضي سعيداً إلى أراضٍ مجهولة لكي ألتقي أي أحد على أدنى شبه بما اعتادت أن تكون عليه! لا شك في أن سعادة الأمير قد نبذها، ولكنها على الرغم من ذلك فإنها كانت قريبة منه للغاية. أرجو إذا أتيحت لها مناسبة للقدوم إلى هنا أن تذكري لها ما قلته».

«أمها قريبتي، إذ إنها ابنة أخت زوجة سعادة الأمير، ولكننا كنا منفصلتين في ذلك

(1) يُفترض أنه أُرسل إليها باعتباره نائباً للحاكم، بما أن منصب حاكم هيتاشي كان منصباً يشغله أمير من دون أن يقوم بعمل فعلي يتعلق به.

الوقت[1] ولم نلتق كثيراً. وأخيراً تلقيت رسالة من تايفو، في المدينة، مفادها أن الابنة تقول إنها ترغب على الأقل في زيارة قبر سعادة الأمير، وأن تايفو قد شجعتها على القيام بذلك، ولكنني لم أتلق شيئاً بعد منها. حسناً، يا مولاي، لسوف أنقل لها ما قلته عندما تأتي».

قبل بدء رحلة العودة عند بزوغ النهار، أمر بأن تُهدي إلى الخبير أقمشة من الحرير والأقطان، التي كان قد أحضرها في وقت متأخر من ليل أمس الأول. وأعطى للراهبة بعضها أيضاً. وكان قد دعا بقماش آخر[2] وزعه على الرهبان وخدم الراهبة. كان هذا مكاناً مقفراً تعيَّن عليها أن تعيش فيه، ولكن كرمه المستمر سمح لها بمتابعة صلواتها في سلام، بطريقة مناسبة تماماً لمكانتها. لزم الصمت فيما هو يتأهب للرحيل، وقد استمهله مشهد أوراق الخريق المتناثرة بكثافة، والتي لم تطئها قدم، تحت أغصان عرَّتها من أوراقها ضراوة عواصف الخريف التي لا ترحم. لم يتواصل اللون إلا في المعترشات المتشبثة بالأشجار الجبلية البهية. دعا بمن انتزع له غُصيناً من الكوداني[3] ففكر في إعطائه للسيدة المقيمة في دار معالي وزير الحرب

غمغم، محدثاً نفسه:

«ألم تحدثني الذاكرة بأني استقررت قبلاً تحت هذه الأشجار اللبلابية،

آه، كم هو موحش هذا الليل الذي أمضيته وحيداً بعيداً عن الدار».

وردت الراهبة:

«لقد استقررت قبلاً هاهنا تحت الأغصان الذاوية لهذه الشجرة اللبلابية،

كم هو محزن التفكير في أنك تحتفظ بتلك الذكرى!»

كان للقصيدة تميزها، على الرغم من أنها عتيقة الطراز تماماً، وساعدت في إدخال العزاء على نفسه.

كان معالي وزير الحرب معها، عندما وصل الغُصين ذو الوريقات الملونة. آه، ليس

---

(1) ربما كانت بن في كيوشو عندما ارتبط هاتشي نوميا بعلاقته العاطفية مع تشوجو، وولدت أوكوفوني.
(2) «نونو»، قماش مصنوع من خيوط القنب والكودزو وغيرها من الألياف.
(3) نبات معترش غير محدد، وهو فيما يبدو واحد من أنواع عديدة توفِّر اللون الذي لا يزال موجوداً على الأشجار.

مجدداً! اتقدت غيظاً عندما سلمه المبعوث في براءة مصحوباً بذكر أنه من سانجو، ولكنها لم يكن بوسعها أن تحاول إخفاءه.

أشار معاليه ساخراً: «يا له من لبلاب جميل!». وأمر بجلبه إليه ليلقي عليه نظرة أفضل.

جاء في الرسالة: «أتساءل: كيف كانت حالك أخيراً؟ سوف أبلغك بنفسي بما كانت عليه رحلتي إلى قريتك الجبلية وكيف أن ضباب الصباح فوق التلال أضلني أكثر من أي وقت مضى. وقد طلبت من الخبير أن يحوّل الدار الرئيسية إلى معبد. ولدى حصولي على إذنك سأنقلها إلى موضع آخر. أرجو أن ترسلي إلى الراهبة بن تعليماتك بهذا المعنى». وما إلى ذلك.

قال معاليه: «لقد أحسن صنعاً بجعل ما كتبه ملتزماً بالاعتدال وضبط النفس. ولابد أنه قد سمع بأنني هنا». ولا شك في أنه كان محقاً فيما ذهب إليه بعض الشيء. وإذ أحست بالارتياح إلى حد كبير، فقد نظرت إليه على أنه فظيع في إصراره على الحديث على تلك الشاكلة، وكان محياها الغاضب فاتناً بما فيه الكفاية لجعله ينسى كل شيء.

«ردي عليه، إذاً، وأعد ألا ألقي نظرة». والتفت بعيداً. وهذا ما قامت به، إذ إنه كان سيبدو غريباً منها أن تماريه وتحجم عن الرد.

كتبت تقول: «إنني أحسدك على الذهاب إلى هناك. وكنت أنا نفسي قد خلصت إلى أن ما تقترحه هو على وجه الدقة ما تمس الحاجة إلى القيام به. وبدلاً من السعي وراء ملاذ آخر وسط الصخور[1]، فإنني أوثر الحيلولة دون تردي هذا الملاذ إلى التصدع والدمار، وسأكون شديدة الامتنان إذا تابعت لطفاً كل ما يتعين القيام به».

لم ير معاليه في هذا كله أيٍ مؤشر إلى ما هو خاطئ في صداقتهما، ولكن في ضوء نَزعاته الخاصة فلابد في أنه تشكّك في أن في الأمر ما هو أكثر من ذلك.

برز العشب الريشي على نحو جميل في الحديقة القريبة، التي لفَّها الشتاء بالفعل، حيث بدت الريشات ممتدة كالأيدي، في حين أن السوق التي لم تصل بعد إلى أقصى مداها

---

(1) كوكينشو 952: «أين يمكنني العيش، وسط أي صخور، فلا أسمع المزيد عن الدنيا ومتاعبها؟».

لاحت خيوطاً من لآلئ قطرات الندى المتأرجحة، وهو مشهد مألوف، بالطبع، ولكن كان هناك شيئاً مؤثراً آنذاك، فيما يتعلق بنسيم المساء.

«أستشعر حزناً من ساق لم تكتمل في ريشة وسط هذه الأعشاب

تومئ مثلما أكمام ملوَّحة بللها الندى»[1].

هكذا غمغم، فيما هو يجلس هناك، عازفاً على آلة بيوا، مرتدياً عباءة فقط فوق ملابسه الرقيقة[2]. كانت تلك مقطوعة صيغت في مقام الأوشيكي، وهي مقطوعة مؤثرة للغاية إلى حد أنها، هي التي كانت تعزف على آلة البيوا، لم تستطع بدورها أن تظل غاضبة فترة طويلة، وبدلاً من ذلك استندت إلى مسند ذراعها لتحدِّق فيه لحظة عبر ستارتها الخفيضة، بطريقة جذابة يتوق المرء إلى أن يراها أكثر:

«آه، تعرف ساق النجيل الريشي من تنهد الريح

كيف أقبل الخريف أخيراً حاملاً المحن لمرج كان سعيداً يوماً.[3]

مثل هذه الأمور تحل نكبتها بي وحدي..»[4] ترقرقت الدموع في عينيها موحية بالشجن، وحجبت محياها بمروحتها. وقد تفهم حق الفهم مشاعرها، وحدَّث نفسه بأنها أثيرة وقريبة للغاية من القلب. ولكنه استطاع أن يدرك أن هذا هو على وجه الدقة السر في أنه «هو» لم يستطع التخلي عنها أيضاً، وأحس بالتشكك والغضب الشديدين.

لم تكن زهور الأقحوان قد اكتست لونها بعد على الوجه الصحيح، ذلك أنها تتمهل في الأمر على الرغم من كل العناية التي منحها إياها. ولكن تصادف أن زهرة منها تحوَّل لونها

(1) «تبدو حزيناً بسبب شيء لا تحدِّثني به». في الشعر غالباً ما يُشار إلى الريشات البذرية للسوسوكي («العشب الريشي») باعتبارها تشبه أيادٍ ملوِّحة. و«المجيء إلى الريشة» (هو ني إيزو) هي صورة مألوفة ل«قول ما جرى السكوت عنه». كوكينشو 243، من نظم أريوارا نو مونيانا: «أهي أكمام الأعشاب في الحقول الخريفية؟ فالأعشاب الريشية، التي كانت يوماً في ريشة، تبدو أكماماً تلوِّح». وقصيدة مونيانا تشير إلى صورة شخص يلوِّح لمحبوبه، بعد أن أعلن حبه.

(2) إنه لا يرتدي سروالاً مربوطاً، الأمر الذي يجعل زيه بعيداً عن الطابع الرسمي.

(3) «أنت يا من لم تعد تكترث بي، الآن أعرف ما هي مشاعرك». تعتمد القصيدة على تلاعب بكلمة «آكي»، «الخريف» و«لا يريد المزيد [من شخص أو من شيء]».

(4) شويشو 953، من نظم كي نو تسورا يوكي: «غامرة هي الأحزان التي تحل نكبتها بي وحدي، حتى غدوت أدين الدنيا بأسرها».

في نهاية المطاف بصورة جميلة، فأرسل من يقطفها، ودندن: «ليست وحدها بين الزهور كافة»[1]، ثم استطرد قائلاً: «ذات مساء، منذ زمن بعيد، كان نجل امبراطور يستمتع بزهور كهذه، وهبط ملاك، وعلمه بعض موسيقى البيوا[2]. آه، إنها دنيا محزنة، الآن وقد غدا كل شيء سطحياً!».

شاركته الحديث: «القلوب سطحية، نعم، ولكن ذلك لا ينطبق على ما انحدر إلينا من الماضي!». ساورها الحنين لسماع موسيقى لم تعرفها.

«لكن ليس هناك ما هو مسل في العزف المنفرد، فصاحبيني فيه!».

كان قد أمر بإحضار آلة السو نو كوتو الخاصة بها.

قالت محتجة في تواضع: «في وقت من الأوقات أحضرت من تعطيني دروساً، لكنني لم أتعلم عزف أي شيء على النحو الصحيح» وأبت أن تمس الآلة الموسيقية.

«ألا تخففي عني حتى في هذا؟ إنك قاسية للغاية! والسيدة التي أمضي معها الكثير للغاية من الوقت هذه الأيام لم تمنحني نفسها تماماً بعد، ولكنها على الرغم من ذلك لم تحجب عني أموراً لم تتملك ناصيتها بعد. المرأة ينبغي أن تكون رقيقة مطواعة، أو هذا هو ما أسمع أن مستشارك ذاك قد أعلنه. لا شك في أنك أقل خجلاً معه. فأنتما ودودان كأقصى ما يمكن أن يكون».

بتنهيدة أطلقتها حيال هذا التوبيخ الفظ مضت تعزف قليلاً وما إن دوزنت الأوتار غير المشدودة لتناسب مقام البانشيكي، حتي ترددت لمستها في مقدمة المقام جميلة للغاية حقاً. انبعث صوته يغني «بحر آيسي» فتردَّد موحياً بالبهاء النبيل. وجلست النسوة اللواتي انتقلن ليكن أقرب ليتاح لهن سماعه وراء ستائرهن مصغيات وعلى شفاههن ابتسامات عريضة.

«على الرغم من ذلك فإنني أحس بالأسف الشديد عليها، فهي تتحدث كأنها ترغب في

(1) من بيتين من الشعر الصيني من نظم يوان زين (778–831). وكان روي شو 267: «ليس الأمر أني أحب زهرة الأقحوان وحدها بين الزهور كافة، ولكن ليس هناك المزيد من البراعم بعد أن تفتحت».

(2) قيل إن هذا قد حدث لميناموتو نو تاكاكيرا (914–982) وهو نجل الامبراطور دايجو. وقد أوضح الملاك أولاً لتاكاكيرا المعنى الحقيقي لبيتي يوان زين.

العودة إلى الدار، إلى ذلك المكان الذي ما كان يمكن لو أن الأمور جرت مجراها الطبيعي أن تلتقي فيه بمعاليه قط». هكذا واصلن الثرثرة إلى أن طلبت منهن الوصيفات الأصغر سناً التزام الصمت.

أمضى ثلاثة أيام أو أربعة هناك يعلمها الموسيقى وما إلى ذلك، معتذراً في مكان آخر على أساس التزامه العزلة. وفي دار معالي وزير الميمنة ساد السرور بعض الشيء، لأن معاليه بدا أنه في طريقه إلى هذه الدار قادماً من القصر.

دمدم معالي وزير الحرب حانقاً: «ما الذي يفعله هاهنا بكل تفاخره ومظاهره؟». ولكنه مضى إلى الدار الرئيسية على أي حال لاستقباله.

أشار معالي وزير الميمنة بقوله: «إنه لأمر مخجل للغاية أنه على امتداد وقت طويل لم يعد بي شيء إلى هنا لرؤية هذه الدار مرة أخرى!». ومضى يتحدث لبعض الوقت عن ذكرياته المتعلقة بالمكان إلى أن جرف معالي وزير الحرب معه سريعاً، وخرجا معاً من الدار، وجعل مشهد الحشد الذي مضى في معيته، بمن في ذلك أبناؤه والكثير من النبلاء الكبار - جعل من الواضح بصورة مثيرة للاكتئاب لوصيفاتها إلى أي مدى محدود يمكن لسيدتهن أن تُعلق الآمال يوماً على أن تقف بجوار ابنته.

«معالي وزير الميمنة رجل نبيل رائع المنظر».

«انظرن فحسب إلى شباب أبنائه ووسامتهم، كل واحد منهم. ليس هناك نظير لهم! نعم حقاً، إنه أعجوبة!».

على الرغم من ذلك، فقد كانت هناك أيضاً تنهدات حزينة. «يمكن للمرء أن يستغني عن قدومه بمثل هذه العظمة لإحضار معالي وزير الحرب. من الأفضل لسيدتي أن تطل إلى الخارج».

تذكرت هي نفسها ما كانت عليه حياتها يوماً، وأحست أكثر من أي وقت مضى بالاقتناع على نحو حزين بأنها أقل أهمية من أن تنتمي إلى مثل هذه الصحبة المتألقة. وبدا لها أن المسار الصحيح حقاً هو أن تمضي إلى عزلة مفعمة بالسلام وسط تلالها.

دنا العام، على مهل، من نهايته.

ابتداء من نهاية الشهر الأول فصاعداً بدأت تحس بعدم ارتياح غير مألوف، وأصبح معالي وزير الحرب، الذي كانت مثل هذه الأمور لاتزال بالنسبة له غير مألوفة بالمرة، قلقاً عليها بما يكفي لكي يأمر بإقامة طقوس الشفاء في معبد إثر آخر، ثم ليضيف إليها المزيد مراراً. وكانت في حالة سيئة للغاية إلى حد أن جلالة الامبراطور بعث يستفسر عدة مرات عن صحتها. كان هذا هو عامها الثالث مع معاليه، ولكنه بينما ظل هو نفسه مخلصاً، فإن الدنيا في مجملها لم تمحضها الكثير من الاحترام والتقدير قط. غير أن هذه الأخبار أزعجت الجميع الآن على اختلافهم، ووصل إليها المبعوثون من كل مكان.

كان المستشار منزعجاً بالقدر ذاته الذي انزعج به معاليه، ومضى يتنهد ويتميز غيظاً حول ما قد تكون النتيجة عليه، ولكنه أبقى الإعراب عن القلق من جانبه في حدود اللياقة، ولم يزرها أكثر مما ينبغي، وعمد بدلاً من ذلك إلى تكليف من يقيم الصلوات نيابة عنها. وفي غضون ذلك، انشغلت الدنيا بإعداد نفسها لحفل عقد نطاق خاصرة الأميرة الثانية إيذاناً ببلوغها، وهو الحفل الذي كان سيقام عما قريب. واهتم جلالة الامبراطور بالاستعدادات اهتماماً كبيراً إلى حد أنه ربما كان يوجهها بنفسه كلها، الأمر الذي أسفر عن أن افتقارها إلى دعم آخر ربما بدا بالفعل بمثابة بركة حلَّت عليها. وبغض النظر عن كل ما أمدتها به أمها، زوجة الامبراطور، فإن ورشة المهن وحكام الأقاليم المعنيين جميعاً قدموا لها ما كانت تحتاج إليه بوفرة كبيرة. وكان الأوان قد آن لقيام المستشار بالتفكير في الأمر أيضاً، حيث كان يتعين أن يبدأ في زيارتها عقب ذلك مباشرة، ولكن بما أنه من هو عليه فإنه لم يفكر في الأمر قط، ذلك أنه لم يكن يهتم إلا بالسيدة المقيمة في نيجو.

وعند الاستدراك(1)، على نحو ما يبدو أنه يطلق عليه، في اليوم الأول من الشهر الثاني، لُقب المستشار بالقائم بأعمال المستشار الكبير، وبصورة متزامنة بقائد الميمنة. وكان شغور هذا المنصب عائداً إلى استقالة وزير الميمنة من منصب وزير الميسرة(2). وفي جولات الإعراب عن شكره زار نيجو كذلك، التي سارع بالذهاب إليها لأنها كانت مريضة

(1) ناو شيمونو، ملحق للإعلان المنتظم للتعيينات الرسمية (ميشنا) يُطرح عند الاحتفال بقوائم التعيينات مرتين سنوياً.

(2) عندما استقال يوجيري، الذي عمل في الوقت نفسه وزيراً للميسرة من ذلك المنصب، شغله قائد الميمنة آنذاك، ومن هنا جاء المنصب الشاغر الذي شغله كاورو.

للغايـة، وكان معالـي وزيـر الحرب معها هنـاك. وقد دُهـش معاليه من هذه الزيـارة، إذ إنه كان مـن المربـك لـه أن يوجد هناك مع وجـود كل هؤلاء الرهبان في المـكان. وقد ارتدى عباءة رسـمية فخمة فوق ثوب ضاف، وتأنق في ملبسـه، وهبط الدرج ليرد على تحية زائره الرسـمية بتحية من جانبه. وبدا كل منهما متألقاً حقاً وهما يقومان بذلك، دعا القائد معاليه لحضـور المأدبة التي تقرر أن يقيمها في ذلك المسـاء لرجال حرسـه، لكن معاليه تردد في القبول بسبب القلق الذي أبقاه في داره.

أقيمـت المأدبة في روكوجو، على غرار المثال الـذي ضربه معالي وزير الميمنة. وكان المشـرفون - مـن الأمراء وكبار النبـلاء - جميعـاً حاضرين هناك، كما فـي أعظم المآدب بأعـداد كبيرة جعلت المناسـبة متوهجـة بالحيوية حقاً. وأقبل معالـي وزير الحرب بدوره، علـى الرغم من أن قلقه دفعه للانصـراف مبكراً إلى الدار. وقال معالي وزير الميمنة: «لابد لـي مـن القول: يا لها من صفاقة!». من حيث المبدأ لم تكن أقل جدارة من ابنة معالي وزير الميمنة، ولكن التزلف والمداهنة أمليا أن تبدو السـيدة الشـابة وقد أدارت رأسـه وخاطبت غروره.

ابتهـج معالي وزير الحرب، وأحس بالاغتباط عندما ولد ابنه أخيراً عند الفجر. وأعطى هذا للقائد مبرراً إضافياً للابتهاج، فمضى مباشرة إلى دار معاليه ليعبر، واقفاً[1]، عن كل من شـكره لقدومه لحضور المأدبة البارحة وتهانيه بقدوم الوليد. والآن وقد احتجز معاليه في الدار، فقد أقبل البلاط بأسره لزيارته هناك. وأُنجز الاحتفال بالليلة الثالثة للميلاد كالمعتاد بشـكل خاص في الدار. ولليلة الخامسـة قام القائد، بحسـب ما جرى عليه العرف، بتقديم خمسـين مجموعة من زلابية الأرز، وعملات للرهان بها في لعبة الداما، وأطباق من الأرز المصحـوب بالمقبـلات ومـا إلى ذلك، وكذلـك ثلاثين وجبة على صحـف مزدوجة للأم الجديـدة ووصيفاتهـا وثـوب خماسـي البطانة وفراش للوليـد. وقد تم القيـام بهذا كله في حرص وبعيداً عن المظاهر المبالغ فيها، ولكنه يبدو لدى التفكير في الأمر أنه تجنب عامداً الظهـور بمظهـر الألفة التي تفـوق اللازم. وقـدم لمعاليه كعكات خماسـية الألوان[2] على

(1) لكي يتجنب الدنس الناجمة عن الولادة.

(2) «فوزوكو»، كعكات بخمسة ألوان، تُعد من خمسة أنواع من الحبوب المطحونة لتعد منها عجينة مع شراب الأمازورو المحلي.

منصات عالية تستقر على صحف من الخشب ذي العبق الجميل. وحصلت الوصيفات، بالطبع، على صحفهن المزدوجة، ولكنهن حصلن كذلك على ثلاثين صندوق مقسماً من الداخل ومليئاً بأشياء جيدة بصفة خاصة. ولم يقم بشيء لجعلها خاطفة للأبصار على نحو خاص. وكان الاحتفال بالميلاد في الليلة السابعة هو احتفال جلالة الامبراطورة، وأقبل عدد كبير من العظماء لحضوره. وكان من بينهم مفوض شؤون دار الامبراطورة، وكذلك عدد لا يحصى من الوصفاء الخصوصيين وكبار النبلاء. وكان جلالة الامبراطور قد قال عندما سمع بالاستعدادات للاحتفال: «لابد لي من أن أفعل شيئاً الآن وقد كبر معاليه» وأهدى خنجراً للوليد.

قام معالي وزير الميمنة بالعناية بالاحتفال باليوم التاسع، ولم يحب هذه المناسبة كثيراً، ولكنه لم يرغب في أن يثير ضيق معالي وزير الحرب، وكان كل أبنائه البارزين حاضرين. ومضى كل شيء على ما يرام للغاية إلى حد إنها حتى هي، التي كانت كآبتها وصحتها المعتلة قد جعلتا المستقبل يبدو معتماً بالنسبة لها على امتداد شهور، لابد أنها قد أحست بالتحسن إلى حد ما وسط هذه الاحتفالات الرائعة والمتوهجة بالحيوية. الآن وقد غدت امرأة كاملة الأنوثة فقد خشي القائد من أنها ستبتعد أكثر عنه من ذي قبل وأيضاً، يا للحسرة، أن معاليه سيتعلق بها أشد التعلق. ومن ناحية أخرى، ومن منظور ما كان يرغب فيه أصلاً لها، فقد غمره الابتهاج.

أقيم الاحتفال بعقد نطاق خاصرة الأميرة الثانية بعد العشرين من الشهر نفسه، ومضى القائد إليها في اليوم التالي، وأُبقيت المناسبة في تلك الليلة في إطار خاص. وكانت خيبة أمل محزنة أن ترى أميرة أثيرة للغاية عند جلالة الامبراطورة وقد زُوّجت في النهاية من رجل ينتمي إلى العامة. «حتى إذا لم يكن معترضاً على هذه الزيجة، فإنه ما كان ينبغي أن يُعجِّل بها على مثل هذا النحو الآن!». هكذا كان الرأي الخالي من المجاملة الذي تردد من دوائر مميزة معينة، ولكن جلالة الامبراطور كان من النوع الذي يتحرك بسرعة إذا حزم رأيه، ويبدو أنه كان قد خلص إلى أنه ما من سبب يدعوه إلى عدم تكريم القائد بهذا الشرف الذي لم يسبق له مثيل. وقد أصبح الكثير من الرجال، في الماضي والحاضر، أصهاراً لأباطرة، ولكن ربما لم يكن هناك مثال آخر لامبراطور في سدة العرش يُعجِّل بقبول رجل

من العامة كأنه هو نفسه من العامة كذلك.

غامر معالي وزير الميمنة بالإشارة بالقول: «أي مصير فذ يحظى به هذا السيد النبيل! حتى سمو الامبراطور الفخري المتقاعد لم يتزوج من سمو الأميرة المترهبنة، والدة القائد، إلا في وقت متأخر من عمر نيافة سوزاكو، عندما كان موشكاً على الرحيل عن الدنيا. وانظري إليَّ، فقد ظفرت بك من دون إذن من أحد على الإطلاق». اضطرت أميرته الثانية[1] إلى الموافقة على ما قاله، ولكنها كانت أكثر حرجاً من أن ترد.

أصدر جلالة الامبراطور تعليماته، فيما يتعلق بالليلة الثالثة، إلى آمر الخزانة وجميع الآخرين المسؤولين عن سعادتها وكذلك الأتباع للقيام في حرص بتقديم الهدايا إلى مرافقي القائد ومعيته وساسة خيله وحراسه. وقد تم القيام بهذا من دون تكتم.

بعد ذلك، مضى يزورها سراً بشكل أو بآخر، ولم يعلق بفؤاده إلا التفكير «فيها»، هي التي ما كان بمقدوره نسيانها قط. وبعد قضاء وقته الكئيب في الدار خلال النهار كان يسارع عند حلول الظلام راغماً إلى الذهاب إلى سعادتها، وأصبح نمط الحياة هذا عبئاً ثقيلاً للغاية على كاهله إلى حد أنه فكر في احضارها إلى سانجو بدلاً من ذلك. وأدخلت هذه الفكرة السرور على نفس أمه، التي أعلنت أنها ستتخلى لها عن الدار الرئيسة. وقد احتج بأن ذلك سيكون أكثر مما ينبغي، وأمر ببناء امتداد للرواق بين الدار الرئيسية والمعبد الصغير، وربما لكي تستطيع الانتقال إلى الجانب الغربي من الدار، وقد أُعيد بناء الجناح الشرقي وما إلى ذلك وفق أرقى المعايير بعد الحريق، ولكنه الآن أمر بتجميله وترتيبه على نحو أكثر جمالاً.

عندما سمع جلالة الامبراطور بهذه الخطة، تساءل عما إذا لم يكن من المبكر بالنسبة لابنته أن تتخذ هذه الخطوة الموحية بلين العريكة. وسواء أكان امبراطوراً أم لا، فإن قلقه عليها كان قلق أي أب آخر. أحضر مبعوث رسالة إلى سمو الأميرة المترهبنة لم يتحدث فيها عن شيء آخر. كان نيافة سوزاكو قد عهد إليه بصفة خاصة بحمايتها، وعلى الرغم من نبذها للدنيا، فقد ظل مخلصاً لها كذي قبل، وعلى القدر نفسه من الميل إلى أن يحقق

(1) أوتشيبا.

لها أي أمنية تعرب عنها. ولم يمنح شـرف إثارة مثل هذا القلق المفعم بالإعزاز في نفسـي هاتين الشـخصيتين الرفيعتين القائد سـروراً خاصاً، إذ كان لا يزال يميل إلى إطلاق الكثير من التنهدات. وفي غضون ذلك، تابع العمل على المعبد في أوجي.

سرعان ما سيبلغ وليد معالي وزير الحرب يومه الخمسين، وحرص القائد على أن يأمر بإعداد كعكات الأرز على نحو جميل، وتفقد بنفسـه سـلال الفاكهة والصناديق المقسـمة، واسـتدعى عدداً كبيراً من المهنيين للاشـتغال على خشـب الصبر، خشب الصندل، الفضة والذهب. واجتهدوا جميعاً في أن يتفوق أحدهم على الآخر في الأصالة.

واصـل زيـارة نيجو كذي قبـل، عندمـا كان معالي وزير الحـرب بعيداً، وأحـس بأنه ما لـم يكـن يتخيل أشـياء، فإنها قد ارتفـع بها وقارها النبيل شـيئاً ما. واسـتقبلته طائعة بما فيه الكفايـة، على افتراض أن أسـاليبه المراوغة القديمة قد تبـددت، ولكن لا، لم يكن قد تغيَّر على الإطلاق، وامتلأت عيناه في التو بالدموع.

أعرب عن شـكواه بلا حياء: «هذا الزواج الذي لم أرغب فيه قط هو محنة محزنة وغير متوقعة بالمرة، وقد ضقت ذرعاً بالدنيا أكثر من أي وقت مضى».

ردت قائلة: «يؤسفني للغاية سماع ذلك. وعلى الرغم من ذلك، عليك بالتزام الحرص فقد يسمعك أحدهم». وعلى الرغم من ذلك فقد تأثَّرت بعمق فؤاده، الذي تركه بلا شعور بالعزاء على الرغم من حسـن طالعه، وجعل من المسـتحيل عليه أن ينسـى، وفهمت مدى عمـق عواطفـه. مضت تحدث نفسـها بأسـف مرير: لو أنهـا كانت لاتزال علـى قيد الحياة فحسـب! ولكـن لـو أنها كذلك لكانـت تحزن على مصيرهـا مثلي، ولما كان لـدي أي منا سبب يدعوها إلى أن تحسد الأخرى. لا، من دون اعتراف لائق بالمكانة من المستحيل أن يكـون المـرء له قدره في هذه الدنيا! ووجدت نفسـها متأثرة أكثر مـن أي وقت بقرار أختها بألا تسلم نفسها لأي أحد.

بدا لها، على الرغم من تحفظها، أنها يمكن أن تسـمح للقائد برؤية وليدها عندما توسل إليهـا أن تفعـل ذلـك. وحدَّثـت نفسـها قائلة: بخـلاف ذلك قد أبـدو باردة معـه. قد يكون مناسباً للغاية أن أكون غاضبة منه بسبب تلك الحادثة المؤلمة، ولكنني أفضل كثيراً ألا أثير

استياءه. ومن هنا فإنها من دون أن ترد عليه بشكل أو بآخر أمرت المرضعة بإحضار الوليد. ولا حاجة إلى القول إن مرآه كان يدخل البهجة على النفوس. كان عذباً وجميلاً على نحو يكاد يكون رهيباً، وكان غارقاً في الضحك وإحداث ضجة طفولية، وتمنى القائد الذي راح يرقبه في حسد لو أنه كان ابنه. ولم يكن، فيما يبدو، قد أفلح تماماً في التخلي عن شؤون هذه الدنيا. واصل الحديث مع نفسه قائلاً: آه، لو «أنها» كان بمقدورها في نهاية المطاف أن تعيش معي الحياة التي تعيشها الأخريات وأن تهبني طفلاً كهذا! كم كان هذا حرياً به ذلك أنه كان مستحيل الإرضاء للغاية، بل إنه لم يفكر في أن السيدة العظيمة للغاية التي تزوجها لتوه ربما تفعل الشيء نفسه عما قريب له! ولكن سيكون من غير اللطف المضي في طرح الشكاوى الصغيرة بشأنه، ذلك أن جلالة الامبراطورة ما كان ليقربه منه بتلك الطريقة الحميمية لو أنه كان حقاً ميؤوساً منه إلى هذه الدرجة، ويمكن للمرء في يسر أن يتصور أنه في الأمور الجادة كان له تقدير سليم تماماً.

وإذ تأثر لقيامها بتركه يشاهد ابنها، وهو لا يزال صغيراً للغاية على هذا النحو، فقد مضى يتحدَّث مطولاً أكثر من ذي قبل إلى أن بدأ ضوء النهار في الانحسار، ثم استأذن في الانصراف وسط تنهدات عديدة، فقد كان يعرف أنه لا يستطيع مواصلة البقاء حسبما طاب له حتى الليل.

«يا له من عبق جميل يضوع منه!».

«(الآن وقد قطفتها)[1] كما يقولون، فإنني على يقين من أن الهازجة ستعود في وقت جد قصير». بعض الشابات يمكنهن قول أشياء خبيثة للغاية.

في ذلك الصيف سيكون مقر سانجو في اتجاه محرم، أو هكذا أفاد التقويم السنوي، ومن هنا فقد أحضرها إلى هناك في وقت مبكر من الشهر الرابع، قبل أن يبدأ الصيف. وفي اليوم السابق، مضى جلالة الامبراطور إلى جناح فوجيستوبو، وأقام حفلاً احتفاء ببراعم الوستارية. كان عرشه في الجناح الجنوبي، أمام ستائر حاجبة مرفوعة. ولما كان الحفل من احتفالات البلاط الرسمية، فإن سعادة الأميرة المقيمة في السرادق لم تشرف عليه.

(1) كوكينشو 32: «الآن وقد قطفتها، فإن أكمامي ذاتها معطرة، آه، ربما جلب حضور براعم البرقوق الهازجة إلى هنا لتشدو!».

وأقام مكتب الحجاب المأدبة المخصصة لكبار النبلاء والوصفاء الخصوصيين. وكان من بين الحاضرين معالي وزير الميمنة، المستشار الكبير المفتش[1]، استشاري فوجيوارا، مشرف حراسة بوابة الميسرة[2]، معالي وزير الحرب، وسعادة حاكم هيتاشي. وجلس الوصفاء الخصوصيون تحت براعم الوستارية في الحديقة الجنوبية. وعزف موسيقيو القصر، الذين تم استدعاؤهم لأخذ أماكنهم إلى الشرق من جناح كورودين، من مقام السو، فيما غربت الشمس. وتقرَّر أن تكون الموسيقى التي ستُعزف لجلالة الامبراطور نفسه على النايات والآلات الوترية، التي قدمتها سعادة الأميرة، وقاد معالي وزير الميمنة الضيوف البارزين الآخرين لوضع الآلات الموسيقية أمامه. وأهداه معاليه لفافتين دُونت فيهما موسيقى مخصصة لآلة الكين كان سمو الامبراطور الفخري المتقاعد المقيم في روكوجو قد كتبها وأعطاها لسمو الأميرة المترهبنة، وأرفق بهما غصن صنبورة خماسية الإبر. وبعد ذلك أقبلت آلات سو نو كوتو وبيوا وواجون كانت في وقت من الأوقات ملكاً لنيافة سوزاكو. وكان الناي هو الذي أُهدي في ذلك الحلم[3]. وكان جلالة الامبراطور قد أشاد ذات مرة بنغم ذلك الرمز العائد إلى الماضي باعتباره لا نظير له، ومن ثم فقد اختاره القائد ليضفي بهاءه على الحفل، وراح يتساءل: متى سيكون هناك ناي أروع منه؟ وجعل جلالة الامبراطور معالي وزير الميمنة يلتقط الواجون ومعالي وزير الحرب يلتقط البيوا. أما القائد نفسه فقد عزف على الناي ببراعة رائعة. واستدعى جلالته الوصفاء الخصوصيين الذين تأهبوا للتنغيم، وكانت النتيجة بهيجة حقاً.

جاءت الكعكات خماسية الألوان من عند سعادة الأميرة. واستقرت منصاتها العالية المتخذة من خشب الصندل على أقمشة مرقشة بلون الوستارية الأرجواني ومطرزة بزهور الوستارية، ونُشرت هذه المنصات على أربع صحف معطرة من خشب الصبر. كانت الآنية فضية، وكؤوس الخمر زجاجية، وجرات الخمر من الزجاج اللازوردي. وقام مراقب الحراسة بخدمة جلالة الامبراطور. وإذ ارتبك معالي وزير الميمنة حيال فكرة تلقي الكأس كثيراً من جلالته، فقد تنازل عن ذلك للقائد، إذ لم يكن أي من الأمراء الموجودين يجدي

(1) كوباي.

(2) ابنان لهيجيكورو.

(3) في فصل «الناي»، تراءى كاشيواجي ليوجيري في حلم، وألمح له إلى أنه يرغب في أن يذهب الناي إلى ابنه.

فـي هـذا الصدد. وقـد أبى القائد القيـام بذلك في تواضـع، ولكن من المؤكـد أن الخاطرة نفسـها قـد طرأت علـى ذهن جلالتـه، فقد وصلتـه الكأس في نهايـة المطـاف. وإذا كانت الطريقـة ذاتهـا التي هتف بها «صحة جلالتكم!» قد بدت متميزة، حتى في مثل هذه اللحظة الرسـمية بصورة تقليدية، فربما كان ذلك لأن الجميع في هذه المناسـبة كانوا على استعداد تمامـاً لأن يروا فيه شـيئاً فريداً. وقد بدا بلا نظيـر عندما هبط، بعد رد الكأس، الدرج ليؤدي رقصة الإعراب عن شـكره[1]. وقد كان شـرفاً كبيراً، حتى بالنسـبة لأمير بارز أو لوزير، أن يتلقـى هـذه الكأس. وأوضـح تكريم جلالته لزوج ابنتـه على هذا النحـو التقدير المدهش الـذي يكنه لـه. وكان من المؤلم نوعاً ما رؤية القائد وهو يشـغل المقعـد المتواضع، الذي تؤهله له رتبته الاسمية.

انزعج المستشار الكبير المفتش، الذي كان هو نفسه قد تطلع إلى نيل هذا الشرف، أشد الانزعـاج. وكان منـذ وقت طويل قد تطلـع فؤاده إلى الزوجة نفسـها، والدة الأميرة، وبقي علـى اتصال بهـا، حتى بعد أن مضت إلى القصـر. وفي النهاية أتاح لزوجـة الامبراطور أن تعرف أنه سـيقبل مسـروراً ابنتها بدلاً منها، ولكنها لأسـفه الشـديد لم تنقل هذه الرغبة إلى جلالـة الامبراطـور قط. همس في مرارة قائلاً: لا شـك في أن القائد يواكبه حسـن الطالع، ولكنني ليس في مقدوري تصور السر في أن امبراطوراً لا يزال في سدة العرش يقوم بشيء مـن قبيل تزويجه ابنته. ومن المؤكد أنه لم يُرَ شـيء من هـذا القبيل البتة. ومن قبيل الإيغال فـي التجـاوز أن يضع أحد العامة نفسـه وراء الامبراطور مباشـرة تقريباً، فـي قلب القصر، وفـوق كل هـذا تنهال عليه المآدب وما إلى ذلك». وعلى الرغم من ذلك فقد أراد أن يكون هناك، وهنالك جلس، وهو يتقد غيظاً في قرارة نفسه.

أنيرت المشـاعل الصغيرة، وأهدى الحاضرون قصائدهـم إلى جلالة الامبراطور. وبدا كل نبيـل راضياً عن نفسـه، وهو يتقـرب من القمطر[2]، ولكن بمقـدور المرء أن يتصور أي

(1) لدى تلقي كأس الامبراطور، كان يتعين على عضو البلاط أن يصب الخمر التي تحتويها في كأس أخرى، ويعيد كأس الامبراطور قبل أن يشرب الخمر، ثم كان عليه أن يهبط الدرج إلى الحديقة ليؤدي الرقصة التي تعرب عن شكره (بوتو)، وبعد ذلك يعود إلى مقعده.

(2) «بونداي»، قمطر يوضع أسفل الدرج في مناسبة رسمية مثل هذه المناسبة، والتي كان الشعر فيها يُهدي إلى المضيف. وكان كل مشارك يمضي في دوره ليضع عليه القصيدة التي نظمها.

جهود معيبة وسخيفة كانت تلك التي بذلوها، ولم أبذل جهداً لسماعها كلها وتدوينها. وقد حصلت على قصيدة أو اثنتين من أعظم النبلاء الحاضرين، وإن لم تبد أفضل من القصائد الأخرى. وقد فهمت أن هذه القصيدة هي قصيدة القائد، التي نظمها عندما هبط الدرج ليقطف مجموعة من البراعم لغطاء رأس جلالة الامبراطور:

«عندما مضيت لأقطف براعم الوستارية لشعر عاهلنا المهيب

آه، كم كان بعيداً فوق رأسي الغصن الذي اشتبك به كمي!»[1]

كان فخوراً بنفسه، ذلك الوغد.

رد جلالة الامبراطور:

«زهور كهذه ستضفي على الدنيا البهاء بعبقها عشرة آلاف عام،

وألوانها ستكون دوماً بهجة لنا».

«براعم كهذه، قُطفت من أجل شعر عاهلنا، للعين المندهشة

تقدم في الرؤية الحالية جمال السحب الأرجوانية»[2].

«ما من شيء في لونها يعيد للذهن الدنيا المألوفة، فإلى السماء

تنهض في اندفاعة عارمة أمواج براعم هذه الوستارية!».

يبدو أن هذه القصيدة الأخيرة هي قصيدة ذلك المستشار الكبير الغاضب. وربما أسأت فهم بعضها. ومن الواضح أن أياً منها لم يكن لديها أي شيء محدد لتقوله.

مضت الموسيقى تزداد تحسناً مع إيغال الليل في مسيرته. وكان صوت القائد جميلاً للغاية فيما هو يغني: «آه، أيها النهار الرائع!» وصاحبه المستشار الكبير في الغناء

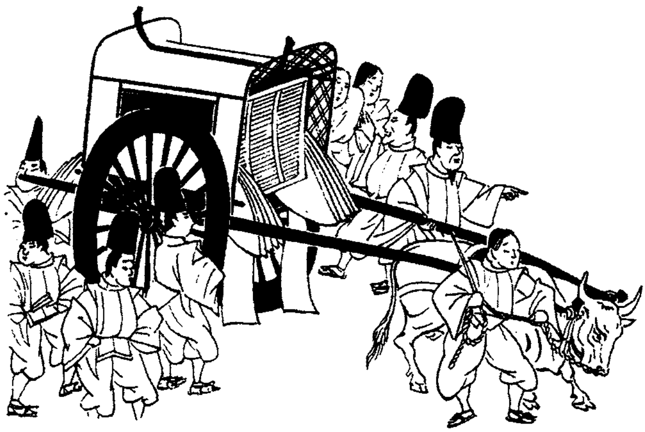
---

(1) «كم هي عظيمة الجائزة [الأميرة] التي فزت بها في غمار حماسي لإرضاء جلالته!».

(2) يبدو أن هذه القصيدة، التي ربما كانت قصيدة يوجيري، تقوم على أساس شويشو 1068، من نظم فوجيوارا نو كونياكي: «براعم الوستارية داخل القصر يمكن في يسر أن يُظن أنها السحب الأرجوانية». وهذه السحب هي السحب التي تُشاهد عندما يتم الترحيب بروح في فردوس أميدا.

بصـــورة مؤثـرة للغايـة، لأن صوتـه احتفـظ بجمالـــه الكبيـر الـذي كـان لـــه قبـل وقـت طويـل. وصاحبهما ابن معالي وزير الميمنة السـابع، الذي كان لا يزال صبياً، بالعزف على آلـة الشـو. وكان عذبـاً للغاية إلى حـد أن جلالة الامبراطـور خلع عليه ثوبـاً، وهبط معالي وزيـر الميمنـة الدرج ليؤدي رقصة طاعته. وكان الفجر قد أطل تقريباً عندما انصرف جلالة الامبراطـور. وكانـت الهدايـا المقدمة لكبـار النبلاء والأمـراء مقدمة منه، فـي حين قدمت سـعادة الأميرة الهدايا التي حصل عليها الوصفاء الخصوصيون وموسـيقيو القصر بحسب مرتبتهم.

في الليلـة التاليـة، مضى القائـد بسـعادة الأميـرة مـن القصـر، فخرجـت وسـط روعـة اسـتثنائية. وبعـث جلالـة الامبراطـور بـكل وصيفاتـه لمصاحبتهـا إلـى دارهـا الجديـدة. وصاحبت عربتهـا بطنفهـا العريـض ثـلاث عربـات ذات ألـوان مرحـة وسـت عربـات يحـف الذهب أطرافهـا، وكذلـك اثنتا عشـرة عربة يحفها السـعف وأشـغال السـلال، مـع ثمانـي فتيات تابعـات في كل منهـا، واثنتا عشـرة عربة اسـتعراض مليئـة بوصيفات قدمن من سـانجو لتحيـة قافلتها. والجمع المصاحب لهـا من كبار النبلاء والوصفاء الخصوصيين وسـادة من المرتبة السادسـة وما إلى ذلـك كان رائعاً على نحو لا يوصف.



عربة استعراض

الآن وقـد أصبـح بمقدوره أن ينظر إليها حسـبما طـاب له، فقد وجدها تدخل السـرور علـى النفس تماماً. كانت نحيلة، ولكنها هادئة ونبيلة، ولم يسـتطع أن يجـد فيها عيباً على الإطـلاق، وهـو الأمر الذي هنأ نفسـه عليه وعلى حسـن طالعه. وحدَّث نفسـه قائلاً: على الرغم من ذلك، لو أن بمقدوري فقط نسـيان خسـارتي، ولكنني لا أسـتطيع ذلك، فما من

شـيء يشـتت انتباهي عن حنيني، ويبدو أنني في هذه الحياة لن أعرف العزاء قط. الاستنارة وحدها ستمنحني البصيرة لمعرفة أي عاقبة سببت هذه الصلة المؤلمة على نحو غريب، بحيث أستطيع تركها تمضي وشأنها. وإذ غرق في مثل هذه الخواطر، فقد كرَّس كل اهتمامه لتشييد المعبد.

بعد العشـرين من الشهر، ولدى انتهاء ضجة مهرجان كامو، انطلق إلى أوجي على نحو مـا فعل كثيراً قبل ذلك. تفقد المعبد الـذي كان آنذاك رهن البناء، وأصدر أوامر فيما يتعلق بالعمـل الذي يتعين إنجازه، وكان في طريقه لزيارة الراهبة العجوز - ذلك أنه سـيكون من غيـر اللطـف المرور بتلك الأغصان الذاوية من دون التوقـف عندها[1] - عندما رصد عربة نسـائية متواضعـة للغاية وهي تعبر لتوها الجسـر، وقـد أُحيطت بمجموعة مـن المحاربين الأشـدّاء من الشـرق، الذين وضعوا جعبات سـهام على ظهورهم بالإضافة إلى حشـد من الخـدم. حدَّث نفسـه قائلاً: لكـم يبدون منتمين إلـى الأقاليم! وواصل سـيره. كان الجمع المرافـق لـه لا يزال رجالـه واقفين في أرجاء المـكان، محدثين الكثير مـن الضجيج، وفي غضـون ذلـك رأى العربة تبدأ المسـير نحو الـدار. أوقف ثرثرة الجمـع المرافق له، وبعث بمن يستكشف عن العربة، فجاءت الإجابة بنبرة ثرية: «ابنة مولاي الحاكم السابق لهيتاشي عائـدة من الحج إلى المعبد في هاتسوسـي، وقد أقبلت إلـى هنا وهي في طريقها إلى هناك أيضاً».

مدهـش! كانـت الشـابة التي كان قد سـمع بها! طلب مـن رجاله الاختفـاء، وبعث إلى الجمع برسـالة: «ادخلوا العربة مباشـرة! هناك أحد آخر ينزل هنا أيضاً، ولكن في الشـمال فحسـب»[2]. لم يكـن في مظهر رجاله ما يوحـي بالفخامة البالغة، إذ كانـوا جميعاً يرتدون عبـاءات صيـد، ولكن أحسَّ القادمـون الجدد بالارتبـاك، وظلوا على حرصهـم، مبتعدين بجيادهم مسافة كبيرة عن الدار.

أدخلـوا العربـة، واجتذبوها إلى الطرف الغربي من الرواق. لم تكن هناك سـتائر حاجبة

---

(1) إيماءة إلى تبادل للقصائد بين كاورو وبِن، في موضع سابق من الفصل.

(2) الدهليز الشمالي للدار الرئيسية، التي أُعيد تشييدها بعد إزالة الدار القديمة ونقلها إلى المعبد. «لطفاً، اجعلوا سيدتكم تشعر بالراحة والاستقرار في الجانب الجنوبي»، الذي كان المكان المناسب لضيفة.

مسدلة بعد في الدار الرئيسية، مما جعلها مكشوفة لكل العيون. حدَّق في الجمع من خلال ثقب في الباب المنزلق الذي أوصد ذلك الجزء من الجناح الجنوبي، الذي كان بخلاف ذلك محمياً بالمصاريع التي أُنزلت. عندما أصدرت أثوابه الخارجية حفيفاً، نزعها وبقي في عباءة وسروال فحسب.

لم تترجل على الفور من العربة في التو، وبدلاً من ذلك بعثت بأحدهم إلى الراهبة، ولا شك في أن ذلك من أجل السؤال عمن يمكن أن يكون الزائر الآخر، الذي يبدو أنه رفيع المرتبة. غير أنه كان في اللحظة التي علم خلالها بهوية صاحبة العربة قد أمر بألا يقوم أحد في ظل أي ظرف بكشف هويته، وفهمته النسوة حق الفهم. وجاء الرد: «ترجلي لطفاً! هناك ضيف آخر، ولكنه في قسم آخر من الدار».

كانت أول من ترجلت شابة رفعت ستارة العربة الحاجبة. وكانت أكثر تألقاً وتحضراً في المظهر بكثير من الحراس المرافقين للعربة، ثم ظهرت أخرى أكبر قليلاً في السن، وقالت: «بسرعة يا سيدتي!».

«لكنني أحس على نحو غريب بأنني معرضة للأنظار». كان الصوت خفيضاً، ولكنه مميز بالتأكيد.

«إنك تواصلين قول ذلك. وقد كانت المصاريع مغلقة في المرة الأخيرة أيضاً رغم ذلك. من أي مكان آخر يمكن أن يطل أحد؟». أحست المتحدثة بالارتياح تماماً. وترجلت سيدتها في حذر من العربة، ولابد أن نظرته الأولى إلى رأسها وقوامها النبيل النحيل قد أعادت إليه ذكريات مفعمة بالحيوية. وكانت خيبة أمل مريرة عندما قامت في التو بالاحتجاب وراء مروحتها، إذ لم يستطع عندئذ رؤية وجهها. واضطرت إلى النزول من العربة تماماً، وهو ما كانت المرأتان الأوليان قد قامتا به في يسر، ولكنها هي نفسها لم تستطع تبين كيف يمكن أن تحذو حذوهما، واستغرقت وقتاً طويلاً في ذلك. ولدى نزولها انسلت إلى الداخل. وكانت ترتدي فوق رداء قرمزي قاتم، بقدر ما وسعه أن يتبين، ثوباً أحمر وردياً ضافياً، وفوق ذلك رداء أخضر ربيعياً. كانت هناك ستارة تطوى ذات أربعة أقدام قبالة الباب المنزلق، ولكنه كان يراها بجلاء على الرغم من ذلك، ذلك أن الثقب الذي كان يختلس النظر منه كان أكثر ارتفاعاً من ذلك. كانت تحس بالقلق فيما يبدو من

الاتجاه الذي كان يتطلع منه، فرقدت مواجهة الجانب الآخر.

«أي وقت قضيته، يا سيدتي! كانت المعدية عبر نهر أيزومي[1] مفزعة اليوم!».

«كان الأمر أيسر كثيراً في الشهر الثاني، عندما كان النهر أكثر انخفاضاً. وعلى الرغم من ذلك، وفي معرض الحديث عن السفر، ما الذي يخيف في أي مكان هنا مقارنة بالشرق؟». جلست المرأتان تثرثران من دون أن يبدو عليهما مؤشر للتعب، فيما رقدت سيدتهما هناك في صمت. كانت ذراعها الممتدة أكثر بضاضة وجمالاً من أن تنتمي إلى أي ابنة لحاكم هيتاشي، وكانت تتمتع بتميز حقيقي.

بدأ ظهره يؤلمه من الوقوف ساكناً، ولكنه بقي على ذلك النحو حتى لا يلحظن وجوده.

صاحت المرأة الشابة: «يا لها من رائحة جميلة! هناك بخور بديع في الهواء. أظن أنه شيء تحرقه الراهبة».

شاركتها المرأة الأكبر سناً الحديث في حماس: «نعم، إنها رائعة، من المؤكد أنها كذلك. الناس القادمون من المدينة متأنقون للغاية ومتألقون! ومولاتي[2] فخورة للغاية بما يمكنها القيام به، ولكنها هناك في الشرق لم تفلح قط في خلط أي شيء من هذا القبيل. وربما تكون هذه الراهبة قد توارت من الدنيا، وهي ترتدي ما ينبغي من أثواب رمادية وزرقاء - رمادية، ولكنها تحيا على نحو جيد للغاية.

أقبلت فتاة تابعة من الاتجاه الآخر على امتداد الشرفة، وقالت: «أرجو أن تقدما لسيدتكما بعض الماء الدافئ». ودخلت سلاسل من الصحف.

جلبتا لسيدتهما بعض الفاكهة. وقالتا: «عفواً، يا سيدتي، هل تتناولين بعضاً منها؟». حاولتا أن تفتحا شهيتها، ولكنها عندما لم تفلحا في ذلك، مضتا تلتهمان بعض الكستناء وما إلى ذلك.

تراجع، في البداية، إذ لم يسمع بمثل ذلك من قبل، لكن الفضول ما لبث أن غلبه،

---

(1) نهر كيزو الحالي، بين أوجي وسهل ياماتو. وكان المرء يعبره في الطريق بين كيوتو أو أوجي وهاتسوسي.

(2) والدة أوكيفوني.

وزحف لإلقاء نظرة. وكان قد شاهد هنا وهناك، في دار جلالة الامبراطورة وغيرها من الأماكن، عدداً كبيراً من النساء المتألقات والجميلات اللواتي يفقن هذه المرأة، وعادة لم يكن يعنين شيئاً له. ما أشد غرابته، ففي حين كان يبدو للكثير من الناس شديد الجدية، فإنه يعجز الآن عن إبعاد ناظريه عن امرأة غير مميزة بالمرة كهذه!

وصلت رسالة من الراهبة، ولكن رجاله الحريصين ردوا بأنه لا يحس بأنه على ما يرام، وأنه ينال قسطاً من الراحة. ولم يدر بخلدها قط أنه يختلس النظر، وافترضت بدلاً من ذلك أنه ينتظر قدوم المساء لكي يتحدث مع القادمة الجديدة، حيث إنه كان قد أوضح بالفعل أنه يريد أن يقابلها. وكان رجال من ضياعه قد جلبوا كالمعتاد صناديق مقسمة وما إلى ذلك، وتركوا بعضاً منها لديها، فقدَّمت غذاء منها للقادمين من الشرق، وحرصت على القيام على هذا الأمر وذاك، ثم هندمت نفسها، ومضت للقاء ضيفتها. وكان الزي الذي أشادت به الوصيفتان جديداً وأنيقاً حقاً، وكانت لاتزال تحظى بلمحات من جمالها السابق.

سمعها تقول: «كنت أتوقع وصولك بالأمس. فكيف وصلت اليوم؟».

أوضحت وصيفة عجوز: «كانت سيدتي لسبب غريب متعبة للغاية مما جعلنا نتوقف قرب نهر إيزومي بالأمس، وانقضى وقت طويل هذا الصباح قبل أن تحس بأنها قادرة على مواصلة المسير». وفي هذه المرة جلست السيدة الشابة لدى إيقاظها، وعندما أشاحت بناظريها في خجل عن الراهبة، أُتيح له أن يتأملها جيداً. أعادت عيناها الجميلتان ومنبت الشعر عند جبينها إليه على نحو لا يقاوم ذلك المحيا الذي لم يكن قد رآه بالفعل بوضوح تام، فبكى على نحو ما كان يفعل في السابق غالباً. وتردد صوتها عندما أجابت على الراهبة شبيهاً للغاية بصوت أختها غير الشقيقة المقيمة في نيجو.

حدَّث نفسه مندهشاً: يا لها من فتاة لطيفة للغاية! ما أغرب أن أقضي هذا الوقت الطويل حتى من دون أن أدري بأمرها! لم يكن بمقدوري التزام اللامبالاة حيال أي قريبة من قريباتها، حتى وإن كانت أقل مرتبة، تبدو شبيهة بها، وهذه الشابة هنا، على الرغم من أنها غير معترف بها، هي بالتأكيد ابنة سعادة الأمير الراحل! أفعمت نفسه بحب لا حدود له وبسعادة غامرة الآن وقد كشفت عيناه له ذلك. أراد أن يمضي إليها، الآن تواً، ليذوق متعة القول: «ولكن ها أنت! إنك على قيد الحياة!» لا عجب أن ذلك الامبراطور أحس بخيبة

الأمل، الامبراطور الذي بعث بالساحر إلى هوراي، ولم يحصل عند عودته إلا على مشبك شعر[1]، ولكنه كان يعرف أن هذه الفتاة، حتى وإن لم تكن هي نفسها، إلا أنها قد وعدت بعزاء حقيقي. لابد أنه هو وهي قد اشتركا في رابطة مصيرية تنتمي إلى الماضي. وسرعان ما انصرفت الراهبة، بعد حديث قصير. وكانت قد خلصت إلى عدم القيام بأي مصارحات، بعد أن أدركت من العبق الذي لاحظته النسوة أنه لابد يختلس النظر إليها من موضع قريب.

عندما آذنت الشمس بالمغيب، انسلَّ مبتعداً، وارتدى ثيابه مجدداً، واستدعى الراهبة إلى مدخلها المعتاد، وسألها عن أخبار الزائرة. قال: «إنني حسن الطالع للغاية لقدومي في الوقت الذي وصلت فيه. حدثيني.. هل قمت بما طلبته؟».

«لقد انتظرت العام الماضي كله لتمرير الرسالة التي أعطيتني إياها، يا مولاي، بعد أن طلبت مني ذلك. وفي الشهر الثاني من هذا العام التقيتها أخيراً مع أمها، عندما كانتا في طريقهما إلى هاتسوسي. وقد صدمت أمها عندما ألمحت في الحديث معها إلى ما ترغب فيه.. قالت إن الشبه المشار إليه قد أضفى على ابنتها شرفاً رفيعاً للغاية. وهكذا فضلت ألا أذكر الأمر، فقد أدركت أنك في ذلك الحين كنت مشغولاً للغاية. وبعد ذلك، قامت السيدة الشابة هذا الشهر، برحلة الحج نفسها، وهي هنا اليوم في طريق عودتها. وأحسب أنها تتوقف في رحلتها هنا تكريماً لذكرى أبيها. وقد أعاق شيء ما أمها، وليس بمقدوري أن أقول لها أي شيء وهي هنا وحيدة على هذا النحو».

«طلبت من الجميع الحيلولة دون معرفة مرافقيها بأنني هنا، لأنه في رحلة خاصة كهذه لا أرغب في أن يعرف أحد هويتي، ولكنني أتساءل في هذا الصدد، فالخدم لا يمكنهم أبداً حجب سر. ومع ذلك ما الذي ينبغي عليَّ القيام به؟ من المؤكد أن كونها بمفردها يجعل من الأيسر الحديث معها. أكدي لها أن الآصرة القوية هي التي أحضرتنا معاً إلى هنا».

قالت باسمة: «لم يستغرق اكتشاف تلك الآصرة منك يقيناً إلا وقتاً قصيراً! حسناً للغاية، لسوف أبلغها».

مضى يدندن بعفوية، كأنما لنفسه:

---

(1) في «أنشودة الحزن الذي لا ينتهي»، يبعث الامبراطور بساحر طاوي إلى هوراي للعثور على محبوبته يانج جويفي. ويعثر عليها الساحر، ولكنه يحضر منها مشبك شعر تزييني أو شيئين آخرين فحسب.

«هل يشدو ذلك الطائر البديع بالصوت الجميل الذي سمعته منذ زمن بعيد؟

جئت اليوم، متسائلاً، ساعياً وراءه عبر العشب». [1]

سمعته، وانطلقت لنقل القصيدة.

(1) تتلاعب قصيدة كاورو بكلمة «كاودوري»، طائر (توري) ربما سمي أصلاً لصيحته أو أنشودته (كا-و). غير أنه في الأزمنة الهايينية كان يُفهم اسمه على أنه يعني «وجه [كاو] طائر»، أي «طائر جميل». وتظهر كلمة «كاودوري» لأول مرة في «مانيو شو 1902» بالتلاعب بالكلمة الجلي هنا، في كوكين روكوجو 4488.

50

أزومايا

الكوخ الشرقي

تشـير أزومايا (الكوخ الشـرقي) إلى نوع متواضع من المساكن المسقوفة بالقش المذكورة في أغنية سايبارا تحمـل ذلـك العنـوان. وهـي باعتبارهـا عنوانـاً لهذا الفصل مستمدة من قصيدة نظمها كاورو:

«هل الأعشاب كثيفة حتى لتسد بوابتك، أيها الكوخ الشرقي،

انتظرت طويلاً، فيما المطر المتدفق ينهمر!».

الصلة بالفصول السابقة

تتداخل أحداث «الكوخ الشرقي» على وجه التقريب مع نهاية «اللبلاب»، وتمتد قليلاً إلى ما يتجاوزها، وصولاً إلى العام السادس والعشرين من عمر كاورو.

الشخوص

القائد، 26 عاماً (كاورو).

بن، راهبة في أوجي (بن نو أما).

زوجة حاكم هيتاشي (تشوجو نو كيمي).

امرأة شابة، ابنتها الأثيرة، أخت ناكا نو كيمي غير الشقيقة، حوالي 21 عاماً (أوكيفوني).

حاكم هيتاشي.

السيدة الشابة، ابنته الأثيرة، 15 أو 16 عاماً.

ملازم حرس ميسرة القصر، 22 أو 23 عاماً (ساكون نو شو شو).

وسيطه.

مربية أوكيفوني.

زوجة معالي وزير الحرب، 26 عاماً (ناكا نو كيمي).

وصيفتها، تايفو.

معالي وزير الحرب، 27 عاماً (نيئو).

أوكون، ابنة تايفو، وصيفة ناكا نو كيمي.

شو شو، وصيفة ناكا نو كيمي.

جيو، وصيفة أوكيفوني.

أحجم القائد عن استكشاف رحابة جبل تسوكوبا، على الرغم من رغبته في القيام بذلك، لأنه، أخذاً في الاعتبار بهويتها، كان حرياً به أن يجعل نفسه موضعاً للسخرية تماماً بالإصرار على المضي قدماً أياً كانت كثافة نباتات سفوح تلالها[1]. بل إنه لم يكتب رسالة. وقد أرسلت الراهبة العجوز إلى أمها أكثر من إيماءة لما كان قد حدَّثها به، ولكن تلك السيدة لم تستطع تصور أنه مهتم بها بصورة جدية، وثار فضولها فحسب حول السر في تكبده عناء السعي وراء ابنتها. وجعلها تميزه، النادر للغاية في هذا اليوم والعصر، تمضي حالمة بما كان يمكن أن يكون لو أن ابنتها كانت أكثر جدارة به مما هي عليه.

كان للحاكم[2] الكثير من الأبناء الذين أنجبتهم له الزوجة التي كان قد فقدها، وابنة أثيرة لديه أنجبها من الزوجة الحالية، وخمسة أو ستة أبناء أصغر متفاوتو الأعمار، شغلته رعايتهم كثيراً إلى حد أن ربيبته كانت توشك أن تكون غريبة بالنسبة إليه. وتاقت أم هذه الشابة، التي أعربت عن ضيقها مرات عدة وبصورة مريرة - تاقت ليلاً ونهاراً لتزويجها زيجة مناسبة بصورة خاصة. وكان يمكن أن يكون لديها سبب أقل وجاهة يدعوها للتساهل في الأمر لو أن هذه الابنة قد انتمت إلى الأخريات من حيث المظهر، وفي هذه الحالة كان يمكن أن تدع الناس يفترضون أنهن جميعاً سواسية، ولكن الفتاة لم تكن منتمية إلى النوعية ذاتها، فقد نشأت لتكون أكثر تميزاً بكثير، وبدا لها أنه سيكون عاراً كبيراً أن تذعن لما يُراد لها.

جلبت أخبار كل هاته البنات رسائل تودد من أبناء عائلات محمودة السمعة بشكل أو بآخر، وأفلح الحاكم بشكل أو بآخر في تحقيق استقرار اثنتين أو ثلاث من بناته من زوجته الأولى. والآن مضت زوجته الثانية تقضي كل لحظة في متابعة فرصة للقيام بما تأمل فيه لابنتها، وحرصت على العناية بها في رقة بالغة حقاً.

لم يكن الحاكم فلاحاً فظاً، فقد انحدر من عائلة نبيلة بارزة، وكان له أقارب محترمون

(1) يستغل التصور الأدبي لهذه البداية تصور شينكوكينشو 1013، وهي قصيدة حب من نظم مينا موتو نو شيجيوكي «جبل سوكوبا، سفوح تلال، وتلال تكسوها نباتات كثيفة وأجمات في كل مكان، ما من شيء من ذلك سيمنعني من المضي إليك». (أحبك كثيراً حتى إنه ما من عقبة ستمنعني من المضي إليك»). يقع جبل سوكوبا في هيتاشي، وهي المقاطعة التي يعمل زوج والدة أوكيفوني نائباً لحاكمها.

(2) زوج والدة أوكيفوني.

تمامـاً، وحظي بثروة كبيرة كذلك. كما كانت له كبرياء على المسـتوى نفسـه، وعاش حياة مترفة للغاية، ولكن على الرغم من كل أساليبه الموحية بصعوبة إرضائه، فقد بقي في قرارة نفسـه غليظاً، يغلب عليه الطابع الريفي على نحو غريب. ولا شـك في أنه بسـبب دفنه وقتاً طويـلاً للغاية، منذ شـبابه، في براري الشـرق النائية فقـد زحفت عيوب غريبـة إلى صوته، وتحدَّث بشيء من اللكنة، ولهذا السبب فقد خشي صحبة علية القوم وتجنبها. وكان مبادراً في كل شيء إلى التأكيد على ما فيه مصلحته الخاصة. أما فيما يتعلق بالإنجازات الجميلة، فإنـه لـم يكن يعرف شـيئاً عـن النايـات أو الوتريات، وبدلاً مـن ذلك كان بارعـاً للغاية في استخدام القوس. واجتذبت ثروته شابات جميلات للانضمام إلى أهل داره، وعلى الرغم مـن أن ذلك قد يكون مألوفـاً للغاية، فإنهن درجن على اسـتخدام أحدث الثياب، وراحت إحداهن تنافس الأخرى في قصائد مكسورة الأوزان وتسلية أنفسهن بالحكايات وسهرات الكوشين[1]، وانغمسن بصفة عامة في تسليات عبثية تبعث على الاستنكار.

«إنني على يقين من أنها ماهرة، ويقال إنها حسناء بارعة الجمال». هكذا واصل الخطاب القول بحماس مفعم بالتفاؤل. وكان هناك ملازم بعينه في حرس ميسرة القصر مثابر بصفة خاصة في تودده، وكان شاباً هادئاً في الثانية والعشرين أو الثالثة والعشرين من العمر، وعلى الرغم من أنه عُرف بمهارته في دراسة كتبه، إلا أنه لم يفلح قط في تحقيق التألق أو الحيوية، وهو الأمر الذي قد يفسِّر إلى حد ما السر في أنه أياً كانت النساء اللواتي تعود في وقت من الأوقات على زيارتهن، فإنهن لم يعدن يستقبلنه.

مضت أم الشابة تحدِّث نفسها عنه بصفة خاصة من بين كل من تلقت مثل هذه الاتصالات منهم: إنني أسمع أنه ينتمي إلى عائلة طيبة، وهو يبدو رصيناً في سلوكه وفي تقديره للأمور، وهـو يحظى ببعض التميز الذاتي. وأخـذاً في الاعتبار بكل الأمور، فليس بمقدوري تصور أي شـخص أعظـم منـه يهتم بها كثيـراً. وقد مرَّرت رسـائله إلى ابنتها، وتأكـدت على نحو

---

(1) اعتقاد رائج مستمد من الدين الصيني يقتضي من الناس تجنب النعاس في ليلة الكوشين التي تتوالى في دورات تضم كل دورة منها ستين يوماً. وكان الناس بدلاً من ذلك يسلون أنفسهم بالشعر والموسيقى وما إلى ذلك. واندرج في هذا الاعتقاد الظن بأن جسم كل إنسان تسكنه ثلاث «دودات»، تنهض في ليلة الكوشين من كل من نام، لكي تبلغ عن شرور ذلك الشخص لامبراطور السماء، ومن ثم فإن هذا الامبراطور يسلب مرتكب هذه الشرور حياته.

مـا هو ضـروري من تلقيـه ردوداً جذابة. وخلصت مـن جانبها إلى أنه أيـاً كانت محدودية أهميـة الفتاة بالنسـبة للحاكـم، فإنها «هي» سـتكرس حياتها للقيام بقصارى ما في وسـعها مـن أجلهـا، وأحسـت بأنها على يقيـن من أنه ما من أحـد رأى بالفعل مـدى جمالها يمكنه أن يهملهـا. وحـدَّدت الشـهر الثامن موعداً، وبـدأت في إعداد جهاز العـروس من الأثاث والأدوات الكمالية. وبعد أن حرصت على إعطاء أصغر حلية صغيرة أمرت بإعدادها لمسة جديـدة وطريفـة وإنجازها في تصميم مميز وموح بالذوق الرفيع باسـتخدام طلاء اللك أو عرق اللؤلؤ، كانت تنحيها جانباً من أجل ابنتها، وتطلع الحاكم على شيء أقل جودة بكثير، مشـيرة بقولها: «هذه سـتكون فيها الكفاية». وقام الحاكـم، الذي لـم يكن يعرف كيف يميز بين هذه الأشياء، بتجميع كل شيء سواء أكانت له قيمة أم لم تكن طالما أنه قد يشكل جزءاً مـن جهاز عـروس، ووضعه جانباً إلى أن أوشـكت بناته على الغرق فيـه. وجلب معلمات لآلتي الكوتو والبيوا من سرادق الموسيقى المخصص للنساء لإعطائهن دروساً في العزف. وعندمـا كانت إحداهـن تبرع في أداء مقطوعة موسـيقية بعينها، كان يوشـك على الانحناء حتى قدمي المعلمة، ويقوم بعد ذلك ومع الكثير من الضجة والانفعال بإغراقها بفيض من الهدايا. وعندمـا كانت إحداهن تعكف على تعلم مقطوعة مفعمة بالحيوية، وتجلس هناك في الغسـق الجميل مع معلمتها كان ينخرط في البـكاء بلا خجل، ويكيل لها مديحاً غريباً. وبالنسـبة لزوجته التـي كانت تتمتع ببعض التميـز، فإن هذا كله كان شـيئاً مؤلماً، وتجنبت التدخل فيه، وكان يشكو قائلاً: «إنك لا تقدرين ابنتي الصغيرة كثيراً. أليس كذلك!».

فـي غضون ذلك، لم يطق الملازم انتظـار اليوم المتفق عليه. وأصرَّ على المضي بالأمر قدماً إلى أن شـرعت، هي التي كانت حريصة من تلقاء نفسـها على المسارعة بالمضي فيه، تحـدِّث نفسـها بمدى صعوبة التأكد مـن نواياه. وعندما أقبل الرجل الذي يمثله، اسـتدعته لإجراء حوار خاص تعرب فيه عن هواجسها.

قالت: «لقد مضى يدافع عن وجهة نظره طوال شهور بهذه الطريقة، في مواجهة الأسباب العديـدة التي تدعوني لالتـزام الحذر. وبما أنه له حيثيته، فقد قررت الموافقة، وأحسسـت بأنه سيكون من الخطأ من جانبي ألا أفعل ذلك. ولكن ابنتي ليس لها أب، وأنا أخشى الآن مـن أن الأمر قـد يبدو تعجلاً من جانبي وكذلك افتقاراً إلى إعمال الذهن. وللحاكم العديد

من البنات الشـابات، ولكنني على يقين من أن أمورهن ستسـير على ما يرام بفضل وجوده لرعايتهـن، بينمـا هذه الابنـة هي مصدر كبير للقلـق، أخذاً في الاعتبار بمـدى غدر الحياة. وكلـي ثقـة من أنه ليس هناك مـا يدعوني إلى الشـعور بالقلق، ذلك أننـي أدرك أن الملازم رجل متفهم. ولكن الأمر سيكون بالغ الصعوبة، إذا تبين أنه يحس بخلاف ذلك فيما يتعلق بها، وتعرضت عندئذ للهزء والسخرية».

مضى الوسـيط إلـى الملازم، وأوضح لـه الموقف. فبـدا الملازم مكفهـراً. وقال: «إذا لـم تكـن ابنة الحاكم، فهذه إذاً المرة الأولى التي أسـمع فيها بذلـك. الأمر كله جيد للغاية، ولكننـي أشـك فـي أنه سـيجديني أي نفع إذا سـمع أحـد به، كمـا أن زيارتها هناك ليسـت بالاحتمـال الجذاب أيضاً. انظر فيما قمت بتوريطـي به من دون التأكد من جلية الأمر على النحو المناسب!».

رد صديقه الذي اسـتبد به الحرج: «لكن هذا كله جديد بالنسـبة لي! وأنا لم أبدأ في نقل الرسـائل بينكم إلا لأنني أعرف إحدى نسائهم، وعندما علمت بأن تلك الابنة أثيرة لديهم، افترضت بالطبع أنها لابد أن تكون ابنة الحاكم، ومن المؤكد أنني لم أستفسر عما إذا كانت إحداهن هي ابنة شخص آخر. وكل ما سمعته أنها جميلة ومتألقة بصورة استثنائية وأن أمها تحبها أشـد الحب وعقدت العزم على الاهتمام بها بشـكل خاص. وقد قلت إنك تريد من يمثلك هناك، فأبلغتك بأن بمقدوري القيام بذلك. وليس لديك مبرر يدعوك على الإطلاق لاتهامي بالإهمال».

رد الملازم علـى هـذا القـول المحتـدم والملتـف من دون التـزام الحـرص أو اللبـاقة: «بالنسـبـة لـي، فـإن مصاهرة دار كهذه ليسـت بالشيء الذي يمكن أن يوافق عليه أي أحد، ولكـن الجميع يقوم بذلـك هـذه الأيـام، ومـا مـن أحـد يمكــن أن يلومنـي. وبعض من لهـم أصهـار بارزون يحرصـون علـى إرضائهـم يبرعـون حقاً في إخفاء عيوبهم. وبوجود رجال مثل مستشـار مينا موتو الشـاب وحاكم سـانوكي يتبخترون جيئة وذهاباً هناك مثلما يفعلـون، فإنني سـأبدو شـخصاً ميؤوسـاً منـه، إذا انضممـت إليهـم بطريقة توحـي بأنه لا يحترمني!».

أعرب الوسـيط، الذي كان حريصاً على الإرضاء بصورة مفرطة ومقيتاً تماماً من بعض

الجوانب، عن أسفه لما قد يستشعر الجانبان كلاهما. وقال: «بنات الحاكم المنحدرات من صلبه صغيرات، ولكن إذا كنت تريد إحداهن حقاً، فسوف أقوم بتمرير الرسالة. ومن تليها هي التي يصفونها ب(سيدتنا الشابة)[1] وهو مولع بها إلى أبعد الحدود».

«إحم.. سيكون أمراً مختلفاً لو أنني كنت أسعى وراءها منذ البداية، ولكنه لن يكون شيئاً جميلاً أن أطلب الآن ابنة أخرى. وعلى الرغم من ذلك فإن ما جعلني أبدأ الأمر في المقام الأول هو الاحتمال السعيد بالحصول على تأييده، حيث إنه رجل له قدره ومكانه. والوجه الجميل لا يحدث فارقاً بالنسبة لي. ولو أن البهاء والتميز كانا هما ما أنشده في امرأة ما لأمكنني الوصول إليهما في يسر. وعلى الرغم من ذلك، انظر إلى ما يحدث لأناس ذوي أذواق راقية والذين يتراجعون ويعجزون عن تدبر أمور حياتهم. إنهم لا يستطيعون القيام بشيء على الوجه الصحيح، والناس يتجاهلونهم. لا، لا تكترث بالقليل من الانتقاد. إن ما أريده هو أن أعيش في بحبوحة، فما عليك إلا أن تدع الحاكم يعلم بذلك، ولم القلق إذا بدا عندئذ أنه على استعداد للموافقة؟».

كان الرجل قد بدأ في أخذ رسائل الملازم إلى الدار، لأن أخته الأصغر سناً كانت ملحقة بالخدمة هناك في الجناح الغربي[2]، لكنه لم يكن يعرف الحاكم على الإطلاق. وقد مضى إليه مباشرة، ونقل إليه أنه لديه ما يناقشه معه. فقال الحاكم: «إنني أدرك أنه يزور هذه الدار في بعض الأحيان، ولكنه لم يتم تقديمه لي قط. ما الذي يمكن أن يريده؟» ولم يبد مسروراً بحال.

نقل إليه الرجل القول: «لقد جئت لأكون في خدمتكم نيابة عن ملازم حراسة ميسرة القصر».

استقبله الحاكم، وجلس الرجل قريباً منه، وقد بدا عليه أنه لا يعرف كيف يستهل حديثه. خاطر بالقول: «على امتداد بعض الشهور، يا سيدي، كان الملازم على اتصال بزوجتكم المبجلة، وقد قبلت تحقيق أمنيته، واتفقا على الاحتفال بالمناسبة خلال هذا الشهر. وكان

---

(1) الابنة التي أنجبتها أم أوكيفوني من حاكم هيتاشي. وأهل الدار يسمونها هيميجيمي، وهي كلمة تعني على وجه التقريب «الابنة الكبرى».
(2) حيث تقيم أوكيفوني.

يفكّر في تحديد اليوم لذلك، وكان متلهفاً على التعجيل بذلك. غير أنه علم أخيراً، يا سيدي، أنه على الرغم من أن السيدة الشابة المعنية هي حقاً ابنة زوجتكم، إلا أنها ليست ابنتكم بالفعل، وهو يخشى أنه إذا قبل بها سيد نبيل مثله، فإن الدنيا قد تعتقد أنه يتزلف إليكم. ومن شأن النبيل الشاب الذي يصبح زوجاً لابنة أحد حكام الأقاليم أن يصبح بكل تقدير من العائلة وأن يتلقى دعماً مخلصاً باعتباره منها وبحسبانه، حسبما يقولون، جوهرة فائقة القدر، وذلك هو ما يحدث غالباً. غير أنه حسبما بادر الكثيرون إلى تحذيره لن يكون إنصافاً له على الإطلاق أن يُستقبل هنا بصورة محدودة للغاية، ذلك أن مثل هذا الأمل لن يتحقق وأن يزور الدار باعتباره الأخير بين آخرين، ومن هنا فإنه الآن في حيرة من أمره. إن ما اختاره من البداية ذاتها كان المكانة الكبرى التي تحظون بها، يا سيدي، وهي المكانة التي تلهم الثقة المطلقة بالاحتمالات المتألقة التي تعدون بها، وذلك هو ما دعاه إلى الإلحاح في خطبته. كما أنه لم يتصور للحظة واحدة أن السيدة الشابة قد لا تكون ابنتكم، ومن هنا فإنه سيكون ممتناً أشد الامتنان إذا تلطفتم بمنحه ما كان ينشده أصلاً، وذلك على الرغم من أنه يدرك أن بعض بناتكم ما زلن صغيرات في السن للغاية. وبهذه الروحية طلب مني القدوم واستمزاج رأيكم في هذا الصدد».

رد الحاكم قائلاً: «إنني لم أعرف إلا بالكاد شيئاً عن هذا الموضوع. وهي تعد كإحدى بناتي تماماً بالنسبة لي، ولكنني لديَّ العديد من الفتيات الحمقاوات، وبينما أقوم ببذل قصارى جهدي المتواضع من أجلهن جميعاً، فإن أمها تتهمني بمعاملتها كالغريبة، ولا تسمح لي بتقرير أي شيء يمسها من قريب، حتى إنني على الرغم من أنني بلغتني شائعة بعيدة عن اقتراح هذا السيد النبيل، إلا أنني ليست لديَّ فكرة عن أنني كنت من اجتذب اهتمامه بصفة خاصة. وفي حقيقة الأمر، ربما يمكنني القول إن ما أبلغتني به قد أسعدني. وهناك إحدى بناتي أحبها حباً جماً، والتي أضحي من أجلها بحياتي سعيداً. وقد تقدم خطاب لها، ولكن الرجال لا يوثق بهم هذه الأيام، من خلال الحكم عبر ما يتناهى إلى سمعي، وقد استبد بي القلق الشديد من أن أي قرار قد لا يفضي إلا إلى كارثة فلم يعد بمقدوري حقاً أن أحسم رأيي. وأنا أتساءل في إعزاز، ليلاً ونهاراً، عما يمكنني القيام به لضمان مستقبلها. وعلى الرغم من ذلك، فإنه فيما يتعلق بالملازم فقد خدمت أباه، القائد

الراحل[1] في شبابي، وعرفته باعتباري أحد أتباع أبيه. وهو سيد نبيل رائع للغاية، وكان سيسعدني أن أخدمه بدوره، ولكنني أحسست بأن كل تلك السنين التي أمضيتها في مكان ناء إثر الآخر قد جعلتني غير مناسب للمثول بين يديه، ولم أقدِّم نفسي له مجدداً قط. وسيكون من أيسر الأمور في الدنيا أن أزوجه ابنتي، بما أن ذلك هو ما يرغب فيه هو نفسه، ولكنني لا أملك إلا القلق حيال ما يمكن أن تشعر به زوجتي إزاء ذلك، إذ أنها على امتداد شهور كانت لديها نوايا مختلفة تماماً». ولم يحجم عن قول كل ما عنده.

حدَّث زائره نفسه قائلاً: هذا يعد بأجمل النتائج. وقال: «من المؤكد أنكم ليس لديكم ما يدعوكم إلى القلق، فإذنكم، يا سيدي، هو كل ما يرغب فيه الملازم، وحتى إذا لم تكن السيدة الشابة في عمر مناسب تماماً بعد، فإنه سيكون راضياً تمام الرضا بابنة تعني هذا كله بالنسبة لكم. وكما قال هو نفسه فإن هذا قرار لا يمكن لأي أحد آخر اتخاذه بصورة مناسبة لكم. وهو سيد نبيل مميز للغاية، ويحظى بتقدير كبير. وربما يكون في مقتبل العمر، ولكنه ليس ممن يولعون بالمظاهر، وهو يفهم أحوال الدنيا خير الفهم. وعلاوة على ذلك فإن لديه عدداً كبيراً من الضياع. وهذه الضياع لا يبدو أنها تدر الكثير في الوقت الراهن، ولكنه في نهاية المطاف، سليل عائلة نبيلة، الأمر الذي يضفي ألقاً يفوق بكثير تأثير الثروة الطائلة التي يحظى بها أي سيد عادي. وسوف يحصل على المرتبة الرابعة العام المقبل، وكما يقول جلالة الامبراطور نفسه، فمن المؤكد أنه سيكون أمين السر المقبل. ويبلغه جلالته بقوله: (ها أنت ذا، سيد شاب وسيم يتمتع بكل المزايا، ولم تتزوج بعد! لا تهدر المزيد من الوقت إذاً، فاختر زوجة جديرة بك، واحصل لنفسك على دعم لائق! أما فيما يتعلق بارتقائك لتغدو نبيلاً كبيراً، حسناً، ها أنذا، لسوف أجعلك نبيلاً كبيراً ذات يوم!). وقد فهمت أن هذه هي نوعية الأمور التي يقولها جلالته له، فالملازم هو الوحيد الذي يخدمه دوماً بمثل هذا القدر من الحميمية. وهو يتمتع بطبيعة مميزة وبوقار مؤثر في النفس. والآن وقد عرفت مدى تلهفه ينبغي أن تحسم رأيك في التو لصالح زوج ابنة على مثل هذا القدر من الكمال. ويبدو أن الناس في كل مكان يسعون وراءه وهذا في ذهنهم على وجه الدقة، وإذا تمهلت فإنك قد تفقده. وأنا أقول هذا، يا سيدي، لا لشيء إلا لأني أفكر في مصلحتك». واستمر

(1) كان قائد (تايشو) حراس القصر يشغل منصباً يجعله يحظى بالمرتبة الثالثة، وقد انتمى والد الملازم إلى النبالة العليا.

حديثه المفعم بالإشادة، وجلس الحاكم الذي يغلب عليه الطابع الريفي هناك مبتسماً، وهو يستمتع بها.

رد قائلاً: «إذا كان قد افتقر أخيراً إلى العائد، فإنني لا أرغب في معرفة شيء عن ذلك، ولسوف يحصل عليه مني مع أعظم الاحترام طالما امتد بي العمر وتردد نفس في صدري، وأعد بألا ينقصه شيء. وحتى إذا حدث لي شيء، ولم يعد بمقدوري رعايته، فإنه ما من أحد آخر سيكون قادراً على الحصول على أقل شيء أو لقب مما أتركه ورائي في صورة أملاك وضياع. ولا شك في أن لي الكثير من الأبناء الآخرين، ولكنها هي الابنة التي كان أمرها يهمني على الدوام. وكل ما يحتاج إلى القيام به هو أن يحرص على العناية بها وأن يقول إنه يتطلع إلى أن يعين وزيراً، ومن أجل ذلك لابد أن يكرس ثروة طائلة، لسوف يحصل على ذلك كله. وإذا كان جلالة الامبراطور على ذلك القدر من الحرص على إسداء أياد بيضاء له، فمن المؤكد أنه لا يحتاج إلى القلق على توفير الرعاية المالية له. وبقدر ما أعلم، فإن هذا قد يكون أفضل شيء بالنسبة له ولابنتي كليهما».

على الرغم من أن الوسيط اغتبط بهذا الاستقبال المواتي، فإنه لم ينبس ببنت شفة لأخته عنه، كما لم يزر السيدات المعنيات، وإنما انطلق بدلاً منذ لك، منفجراً من فرط السرور، لينقل كلمات الحاكم إلى الملازم. واعتقد هذا الأخير أن الرجل ساذج للغاية، ولكنه لم يشعر بالاستياء، وجلس باسماً يصغي إليه. وبدت له مسألة تحمل تكلفة نيل منصب الوزارة مبالغاً فيها قليلاً، فتساءل: «هل أبلغت زوجته بالأمر؟ لقد بدت حريصة عليَّ منذ البداية، قد ينظر بعضهم إليَّ باعتباري نوعاً غريباً من الأوغاد إذا انتقلت الآن من ابنة إلى أخرى، لست أدري». ومضى يتذبذب حول ما عساه يفعله.

«ولكن لم؟ إنني أسمع بأنها مخلصة تماماً لهذه الابنة الأخرى، ابنة الحاكم. وكل ما هنالك أنها وجهتك إلى الابنة الأولى لأنها الأكبر سناً، ولأنها أحست بالأسف عليها».

خطر ببال الملازم أن هذه القصة تبدو فجأة مختلفة تماماً عن القصة التي كان يسمعها منذ شهور، حول كيف أن الابنة الكبرى هي الأثيرة عند أمها، وجعله ذلك يتوقف. ولكنه كان شاباً عاقلاً، وخلص إلى أن الأمر جدير بمعاناة لحظة كراهية وقليل من الانتقاد لقاء سنوات طويلة من الراحة المضمونة. بل إنه لم يغير يوم الاحتفال. وانطلق في المساء

المتفق عليه ليقضي الليلة الأولى مع عروسه.

واصلت زوجة الحاكم استعداداتها سراً، وجعلت النسوة التابعات لها يتأنقن وكل شيء يبدو على ما يرام تماماً. وأمرت بغسل شعر ابنتها وتجهيزها. ومضت تحدِّث نفسها وهي تتأملها «آه، يا له من عار بائس جعلها من نصيب أمثال ذلك الملازم! لو أنها كانت قد نالت اعتراف أبيها فحسب خلال نشأتها، عندئذ فإنها حتى الآن بعد أن رحل لن يكون هناك سبب يدعوها إلى عدم التجرؤ قليلاً وقبول خطبة القائد. ربما أعلى من شأنها كثيراً، ولكن بالنسبة لكل شخص آخر فإنها لا تعدو أن تكون ابنة أخرى من بنات الحاكم، ويا للمسكينة، فكل من يكتشف الحقيقة سيزدريها فحسب بناء عليها. ماذا عساي أفعل غير ذلك؟ ليس بمقدوري أن أدع زهرة شبابها تذوي فحسب، خاصة وأن هناك رجلاً محترماً ولائقاً تماماً يتلهف لكي يحظى بها». أما فيما يتعلق بحسمها للأمر اعتماداً على نفسها فإن الوسيط كان مقنعاً بصورة مدهشة، وعلى أي حال فربما وجدت المرأة لكي تُخدع فحسب.

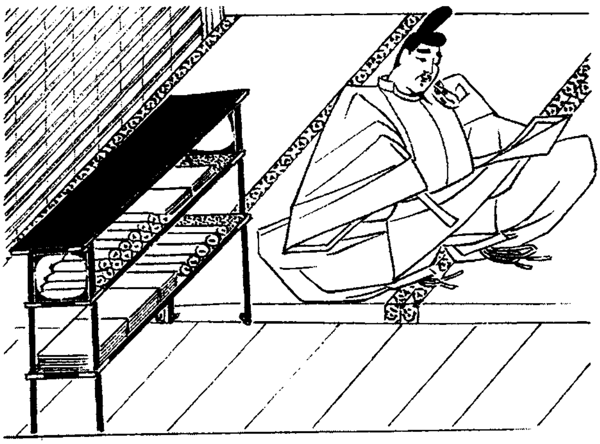
بينما كانت تندفع هنا وهناك للتأكد من هذا الأمر أو ذاك، وهي مهتاجة عصبياً تماماً لأن المناسبة الكبيرة قد آن أوانها تقريباً، أقبل الحاكم، وحدَّثها مطولاً، وسألها مصراً على معرفة الرد: «من عساك تظنين نفسك لتحاولي أن تسرقي خطيب ابنتي على ذلك النحو من دون علمي؟ ما من سيد نبيل يحتاج إلى ابنتك اللطيفة تلك. وربما كان فهمي متواضعاً، لكنني أدرك أن من يريدها هذا الشخص هي ابنتي. وقد قمت بتخطيط كل شيء بصورة بارعة، ولكن لا، فهو لم يكن مهتماً، ويبدو أنه كان بسبيله إلى الذهاب إلى دار أخرى، ولذا فكرت في استعادته، وأعلمته أنه بمقدوره الزواج ممن يريدها بالفعل!». قال هذا كله بلا تفكير وبصراحة مدهشة من دون أي اكتراث بمشاعرها. فلزمت الصمت بفعل الصدمة، وبقيت للحظة غارقة في التفكير. ثم جلبت مرارة الأمر الدموع إلى عينيها، وانسلت مبتعدة.

مضت إلى ابنتها، وعندما رأت مجدداً كم هي رقيقة وجميلة، استمدَّت العزاء من التفكير في أنها لاتزال جديرة بمستقبل باهر كأي فتاة أخرى. قالت باكية، عندما انفردت بمربية ابنتها: «يمكن للآخرين أن يكونوا قساة! إنني أرغب بالطبع في أن أعامل كل أزواج بناتي على قدم المساواة، لكنني أعرف أنني أود أن أعطي حياتي من أجل زوجها. وأحسب أنه لابد أنه يزدريها لأنها ليس لها أب، ولابد أن ذلك هو السبب في أنه يفضل فتاة لاتزيد

عـن كونهـا طفلـة إلا بالـكاد. لم أعد أرغب في سـماع هذا الأمـر الفظيـع أو رؤيته، ولكن الحاكـم ينظـر إليه باعتباره شـرفاً كبيراً، وهو يحـدث جلبة كبرى إلى حد أنني أحسـب أنه هو والملازم يستحق أحدهما الآخر. لم أنبس ببنت شـفة. كل مـا أتمناه هو أن أتمكن من الذهاب إلى مكان آخر لبعض الوقت».

استبد الحنق بالمربية، وخلصت إلى أن إهانة سيدتها الشابة على هذا النحو ليست كلها شـراً. وهتفت: «آه، لا، يا سـيدتي، أتوقع أنها حسنة الطالع إذ لم يمض هذا الأمر قدماً! فما مـن أحـد كئيب على هذه الشـاكلة كان يمكـن أن يقدِّرها على أي حالـة. وأتمنى أن تكون سـيدتي الشـابة من نصيـب رجل طيب لطيف، رجـل يتفهم الأمور حقاً. لقد أحسسـت أن النظرة العابرة التي ألقيتها على القائد قد أضافت سـنوات إلى عمري، وتأملي فحسـب، إنه مهتم بالفعل بها! فلم لا تقبلينه وتدعين القدر يمضي في مجراه؟».

«يا له من قول تقولينه! لقد سـمعت أنه قال على امتداد سـنوات إنه لن يتزوج من امرأة عاديـة قـط. أي نـوع مـن النسـاء يجتذبه حقـاً أخذاً في الاعتبار أن معالي وزيـر الميمنة، المستشـار الكبيـر المفتـش، ومعالـي وزيـر التشريفات قد تركوه جميعاً يعلم أنهـم جادون فيما يتعلـق به، وأنه تجاهلهـم، وظفـر بـدلاً من ذلك بابنـة جلالـة الامبراطـور الأثيرة لديـه؟ وربمـا كان كل مـا هنالك أنه يريدها أن تخدم أمه، سـمو الأميـرة المترهبنة، وأن يراها بين الحين والآخر، وربما كان هنـاك الكثيـر مما يُقال في هـذا الصدد، غير أنه سـيكون مؤلماً للغاية. وهـم يصفون أختها المقيمـة فـي دار معالـي وزير الحـرب بأنها محظوظة بصـورة غير عاديـة، ولكنني أدركت عندمـا رأيت مدى تعاسـتها أن الـزوج الوحيد المحترم والذي يعتمد عليه هو من لا يقسِّـم عواطفـه بيـن النسـاء. وفي الحقيقة فـإن تجربتي قد علمتنـي ذلك. وقد كان سـعادة الأمير



رفوف مزدوجة

الراحل سيداً رائعاً ووسيماً ولطيفاً للغاية، ولكنني لم أعن شيئاً على الإطلاق بالنسبة له، وبمقدورك أن تتصوري كم كان هذا جارحاً. والحاكم رجل صعب المراس، لا يراعي مشاعر أحد، ويتسم بالغلظة، ولكن عواطفه لم توزع بين النساء قط، وقد كان ذلك مصدر عزاء كبير لي. وفي بعض الأحيان كانت حدته وغلظته محنة كبيرة، على نحو ما هما الآن، ولكنه لم يجعلني أعاني من الغيرة، وحتى عندما كنا نتشاجر فقد أوضحنا ما نختلف بشأنه. وفي ضوء تواضع مكانتي، فإنني لم يكن بمقدوري قط أن أتوافق مع نبيل بارز أو أمير، مهما كان متألقاً أو مميزاً. يا للمسكينة! إنني أحس بالأسف عليها عندما أفكر في أن هذا كله بسببي! لابد لي من القيام بشيء ما للتأكد من أنه ما من أحد يشعر بالرغبة في السخرية منها!».

انهمك الحاكم في العمل. قال: «أرسلي لي بعض النسوة، فقد سمعت بأن لديك الكثير من الجميلات. وستائر الفراش، الستائر الجديدة التي أمرت بإعدادها أخيراً، لقد حدث هذا كله بسرعة بالغة، لسوف آخذها. ستكون مفيدة على نحو ما هي الآن». جاء إلى الجناح الغربي، ومضى في أرجاء المكان يصدر الأوامر. وفي الغرفة الجميلة المؤثثة على نحو رائق التي كانت زوجته قد أعدتها بعناية بالغة حشد منشغلاً بوفرة غريبة من الستائر، الخزائن، والرفوف المزدوجة، مما أسفر عن نتائج وجدتها مثيرة للاستنكار. وبعد أن كانت قد أعلنت أنها لن تنبس ببنت شفة، مضت ترقب ما يجري فحسب. وكانت ابنتها المحبوبة في الجانب الشمالي[1].

قال: «الآن أعرف مشاعرك! لم يدر ببالي قط أنك ستنقلبين على ابنتي، فهي ابنتك أيضاً، كما تعلمين. ليكن، هناك فتيات أخريات في الدنيا يمضين في طريقهن قدماً من دون أمهاتهن!». عند الظهيرة، شرعت هي ومربيتها يلبسنها ملابسها، ولم تكن النتيجة سيئة على الإطلاق. فهي كانت في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمرها، وبدت صغيرة الجرم وبضة، ذات شعر مسترسل يصل إلى طرف ثوبها، وتتسم أطرافه بالكثافة والثراء. ومضى أبوها، الذي حسبها كنزاً غالياً، يمسِّد شعرها. وقال: «حسناً، الآن، ما كان ينبغي

(1) من المفترض أنه الجانب الشمالي من الغرفة الواقعة في الجناح الغربي، ويبدو أن الغرفة قُسمت إلى قسمين، شمالي وجنوبي.

لـي حقـاً أن أظفر على هذا النحو بسـيد نبيل اختارتـه أمك لأخرى. ولكنـه ذو مرتبة بارزة وفي طبيعته الشخصية شديد التميز إلى حد أن الكثيرين يحرصون على أن يظفروا به زوجاً لابنتهـم، ويكرهـون فكرة فقدانه». يا للأحمـق! لقد كان يكرِّر بالضبط ما كان الوسـيط قد غرسه في ذهنه.

أدرك الملازم من مثل هذا الدليل على حماس الحاكم الشـديد أنه لا يمكن أن يخطئ. وحضر لقضاء الليلة الأولى حتى من دون تغيير الموعد. واستفظعت زوجة الحاكم ومربية ابنتـه الأثيـرة ما حدث. وإذ لم ترغب في الاستسـلام أكثر من هذا لأي شـيء على مثل هذا القدر من الغلاظة، فقد بعثت بمناشدة إلى زوجة معالي وزير الحرب.

كتبت تقول: «في غياب أي سبب خاص للاتصال بك، فإن الخوف من أن أبدو متجاوزة لحـدودي قـد منعني حتى الآن من تحقيـق أمنيتي المتمثلة في القيام بذلـك. غير أنني الآن أجـد أن ابنتي قد أصبحت في اتجاه محـرم، وأنني ينبغي أن أصحبها إلى مكان آخر لبعض الوقـت. ومـن ثم فإنني سـأكون شـديدة الامتنان إذا أُتيـح لها ركن محتجب تبقـى فيه وقتاً قصيـراً مـن دون أن يلحظها أحد. يا للحسـرة، فإن هذا أكثر مما أسـتطيع القيام به، حيث لا يمكننـي أن أوفر لهـا الملاذ الذي تحتاج إليـه، فضلاً عن كل المتاعـب الموجودة في هذه الدنيا. ليس لديَّ خيار إلا اللجوء إليك».

ومن المؤكد أن الرسـالة، التي كُتبت بالدموع، قد أثَّرت في زوجة معالي وزير الحرب، ولكنها الآن وهي الأخت الوحيدة التي بقيت لها فقد ترددت في السـماح بمعرفتها بمن لم يعتـرف أبوهـا الراحل بها قط، وذلك مع أنها انقبضت أيضاً من فكرة تجاهل من تردت إلى مثـل هـذه الصعوبات المحزنة. غير أنه لن يكرم ذكرى أبيهـا أيضاً أن تبعد عنها بلا ضرورة أختها غير الشقيقة. وإذ حارت ماذا عساها تصنع، فقد بعثت تايفو برسالة عاجلة.

ردت تايفـو قائلـة: «لابد أن يكون هناك سـبب لهـذا. ينبغي ألا تسـارعي بإبعادها عنك أو أن تحرجيهـا. ليس هناك ما هو غير مألـوف في اختلاط أخت أقل مكانة بمن هن أفضل منها. لقد كان الموقف الذي اتخذه سعادة الأمير الراحل قاسياً للغاية حقاً».

بعثت تايفو برد على الرسـالة جاء فيه: «حسـناً، إذاً، ستحصلين على غرفة محتجبة على

الجانب الغربي. وهي ليست مريحة للغاية، ولكن إذا لم تكوني تكترثين بذلك كثيراً، فمرحباً بك هناك بعض الوقت». تطلعت الشابة لمعرفة أختها غير الشقيقة، وأحست بالسرور لسير الأمور في هذا الاتجاه أكثر من أي شيء آخر.

كان الحاكم متلهفاً للتعامل بصورة رائعة مع زوج ابنته، ولكنه لم يكن يعرف بالفعل كيف يجعل ذلك مقترناً بأي تألق، واكتفى بلف بعض أقمشة حرير أزوما الخشنة في صورة كرات ودفعها إليها[1]. وتم جلب الطعام إليهما بمزيد من الضجة وبوفرة كبيرة، وهو الأمر الذي أثَّر كثيراً في نفوس خدم الملازم والملازم بدوره، الذي هنأ نفسه على نجاحه الجدير بالإعجاب. واحتملت زوجة الحاكم، التي كانت تعرف كم سيؤدي تجاهل ما يجري إلى الضيق الشديد، الأمر كله واكتفت بالجلوس والمشاهدة فحسب. وكانت الدار فسيحة، ولكنها غدت ممتلئة، وذلك بفعل المساحة التي جُهزت بكثير من الضجة للصهر الجديد ورجاله، والجناح الشرقي الذي يقيم فيه استشاري مينا موتو الأصغر، والغرف المخصصة لكل أبناء الحاكم. وغدا الملازم الآن يشغل غرفة ابنتها الأثيرة، ولم تستطع احتمال فكرة أن الفتاة المسكينة مضطرة للاكتفاء بركن غريب على امتداد الرواق، على سبيل المثال. وقد كان ذلك هو ما جعل ذهنها ينشط، وجعلها تفكر في دار معالي وزير الحرب. ولم يبد أن أحداً هنا يكن أي احترام لها على الإطلاق، حسبما مضت تحدِّث نفسها، وهكذا بادرت بإرسالها بعيداً على وجه السرعة، على أمل غائم، إلى مكان ما كان والد الشابة ليرغب في أن توجد فيه. ولم تصحبها إلا مربيتها واثنتان أو ثلاث وصيفات شابات. واستقر بهن الرحال في الطرف الشمالي من الجناح الغربي، وهي بقعة بعيدة عن أي شخص آخر.

لم تكن السيدة المقيمة في دار معالي وزير الحرب قد رأت ضيفتها سنوات طويلة، لكنها لم تشعر بأنها غريبة عنها، ولم تبد تحفظاً في حضورها، ورحبت بها أشد الترحيب. وأفعمت نفس ضيفتها بالحسد، وهي تشاهدها منهمكة في ملاعبة طفلها الصغير. ومضت تسائل نفسها: أليس لديَّ، إذاً، صلة بزوجة سعادة الأمير الراحل؟[2] إنها تزدريني لأنني كنت في الخدمة فحسب، وكل شخص آخر يبلغ من القسوة إلى درجة أن يفعل الشيء

(1) لفات من حرير أزوما خشن النسج (من مقاطعة هيتاشي التي يتولى الأب منصب نائب حاكمها) أُلقيت إلى الملازم تحت الستائر الحاجبة. وهي مخصصة لأتباع الملازم.

(2) هي ابنة أخت لزوجة هيتاشي نو ميا.

نفسه. من الصعب أن يمضي المرء متسولاً على هذا النحو! لم يجئ أحد إليهن، حيث إنها كانت قد قالت إن ابنتها تحت اتجاه محرم. ومكثت يومين أو ثلاثة أيام، الأمر الذي منحها الوقت للتعود على الدار.

عندما زار معالي وزير الحرب الجناح، مضت تختلس النظر إليه في فضول عبر شق صغير. كان جميلاً مثلما فرع منتزع يحمل براعم كرز. وانحنى أمامه أتباع من الدرجة الرابعة أو الخامسة أروع في المظهر والسلوك بكثير من حاكمها، الذي على الرغم من غضبها منه إلا أنها لم ترغب في الإساءة إليه، وهم يقدمون له تقاريرهم في هذا الشأن أو ذاك. وكان معظم الوصفاء الشبان من المرتبة الخامسة ولم تعرف من عساهم يكونون.

أقبل ربيبها المساعد في مكتب التشريفات، وهو في الوقت نفسه حاجب، حاملاً رسالة من جلالة الامبراطور، ولكنه لم يكن من علو القدر بحيث يمثل بين يدي أمير. مضت تحدِّث نفسها: آه، يا له من أعجوبة تقع عليها العين وكم هي محظوظة بأن تكون قريبة منه! قد تساور المرء من بعيد كل أنواع الأفكار السيئة حول الأشياء التي قد ينزلها بها، مهما كان ما عليه رجل رائعة مثله، ولكن هذه حماقة! انظري إليه فحسب! أي ميزة فريدة سيكون المكوث معه على هذا النحو مرة واحدة في العام، مثل تاناباتا! وها هو ذا يمسك بوليده ويداعبه. وزوجته جالسة وراء ستارة قائمة خفيضة، ولكنه نحَّاها جانباً ليحادثها، وبدا الاثنان أكثر الأزواج جمالاً. لقد كان سعادة الراحل أميراً، ولكن كم كان مختلفاً في عزلته المقيتة!

دلف معاليه إلى الفراش المحاط بالستائر، تاركاً الوصيفات الشابات والمربية لرعاية وليده. كان أناس من كل الأنواع قد قدموا إليه، ولكنه تعلل بأنه ليس على ما يرام، ونال قسطاً من الراحة حتى الغروب. جلبوا إليه وجبته هناك. وفي حضور هذا التألق وتلك العظمة أدركت أن دارها، التي كانت قد اعتقدت أنها رائعة للغاية كانت عادية حقاً على نحو جدير بالاستهجان. وعلى الرغم من ذلك، فإن ابنتي لن تبدو غير منتمية إلى المكان إلى جواره، حسبما مضت تحدِّث نفسها. وهاته الفتيات قد يكن بناتي أيضاً، الفتيات اللواتي يفخر أبوهن بكل كبريائه بثروته، ويتباهى بأنهن سيصبحن سيدات عظيمات، ولكنني أعرف أنني لابد لي من مواصلة تعليق الآمال على الوصول إلى ما هو أفضل، عندما أفكر في كيف أن

هذه الفتاة تفوقهن جميعاً! وأمضت الليلة في أحلام خيالية حول المستقبل.

عندما استيقظ معالي وزير الحرب، كانت الشمس قد علت في السماء. قال: «تشعر جلالة الامبراطورة بالتوعك، وهي على هذه الحال غالباً، ولابد لي من المضي إليها». وارتدى ثيابه. اختلست زوجة الحاكم النظر إليه، متلهفة إلى معرفة ما سيبدو الآن عليه. بدا لا مجال لوضعه موضع المقارنة مع أي شخص آخر وهو يرتدي ملابسه الرسمية، متألقاً بجمال نبيل، ومضى يلاعب ابنه الذي وجد من المتعذر عليه أن يفارقه. وخرج من الجناح مباشرة بعد أن تناول القليل من العصيدة والأرز المطهو على البخار.

الآن حل الوقت الخاص بالسادة الذين كانوا قد تجمعوا مقبلين إلى داره عند الفجر، والذين مضوا ينتظرونه صابرين في مكتب شؤون داره منذ ذلك الحين ليطل ويتقدموا إليه بما يريدون قوله. وكان أحدهم، وهو رجل يميل إلى التفاخر بمظهره، ولكن محياه كان عادياً على نحو كئيب، يرتدي عباءة ويتقلد سيفاً.

حدَّثت النسوة إحداهن الأخرى: «ذلك هو الملازم، صهر هيتاشي. وكان سيتزوج في بداية الأمر زائرتنا، لكنه قال إنه يفضل بدلاً من ذلك أن يحظى بمزايا الزواج من ابنة الحاكم. وهكذا يقولون إن من حصل عليها هي تلك الطفلة الصغيرة».

«على الرغم من ذلك، فإن نسوة ضيفتنا يرفضن الحديث عن هذا الأمر، وقد علمت بكل شيء من إحداهن».

لم يدر بخاطرهن أن أم ضيفتهن كانت تصغي لحديثهن، وقد أذهلها ما سمعته. وراحت تتساءل: كيف أمكنني أن أتصور أنه جدير بأي شيء؟ يبدو أن لا يتمتع بأي ميزة على الإطلاق. وازدرته الآن أكثر من أي وقت مضى.

أقبل الصبي الصغير زاحفاً، وتطلع من تحت الستائر الحاجبة، فالتفت معاليه ناحيته، ومضى إليه، وقال: «سأغادر القصر في التو إذ بدا أن جلالة الامبراطورة على ما يرام. أما إذا كانت متوعكة كعهدها فسوف أمضي الليلة في العناية بها. وقد درجت أخيراً على كره قضاء ليلة واحدة بعيداً عنك». لاعب طفله الصغير قليلاً لإدخال السرور على نفسه، ثم انطلق من جديد خارجاً، وقد بدا في هيئة بالغة الروعة فلا يسأم المرء من التطلع إليه،

وبهيجاً بصورة كاملة حتى إن رحيله ترك فراغاً كبيراً.

مضت لزيارة السيدة التي منحتها مكاناً تلوذ به، وأشادت كثيراً بمعاليه، إلى أن ابتسمت السيدة من أساليبها الريفية في الحديث. قالت: «لقد كنت طفلة صغيرة عندما رحلت أمك عن الدنيا. وشعرنا نحن اللواتي قمنا على رعايتك بأسف شديد عليك، وكذلك ساور سعادة الأمير الراحل نفسه هذا الشعور. ومع ذلك فقد كان حسن طالع عظيم من نصيبك في نهاية المطاف، وقد كبرت على نحو طيب للغاية حتى في أعماق تلك التلال. وعلى الرغم من ذلك فإنه من المحزن للغاية أنك فقدت أختك».

كانت السيدة قد انخرطت في البكاء بدورها، وردت قائلة: «حياتي لها لحظاتها المريرة، ثم لحظات أخرى كذلك عندما يبدو لي أنني قد لا أزال أتطلع إلى بعض العزاء. أما فيما يتعلق بمن جلباني إلى هذه الدنيا فقد تقبلت خسارتهما، ذلك أن مثل هذه الأمور يمكن فحسب توقعها. وفي نهاية الأمر فإنني لم أعرف أمي قط. ولكنني سأفتقد أختي كثيراً على الدوام. ويساورني الأسف البالغ عندما أرى مدى ولاء القائد لها، حتى الآن، لأنه غالباً ما يعرب عن شعوره بالأسف لأن قلبه لا يزال بعيداً عن التعلق بأي شيء أو أحد غيرها».

«على الرغم من ذلك فلابد أن القائد يفخر بالتقدير الكبير على نحو فذ له من جانب جلالة الامبراطور. أما كان ذلك كله يمكن أن يتضح أنه عقبة لو قدر لأختك البقاء على قيد الحياة؟».

تحدَّثت بدفء مفعم بالرقة قائلة: «آه، من المؤكد أن ذلك كان حرياً به أن يكون أمراً قاسياً، لو أن كلاً منا كانتا قد شعرتا بأنهما تتعرضان للسخرية للمعاناة من المصير ذاته. أحسب أن ما يبقي ذكراها شديدة النضارة بالنسبة له هو أنه لم يحظ بها بالفعل قط. ولكن على الرغم من ذلك فإنه لأمر غريب أنه لسبب ما لا يستطيع نسيانها، بل إنه مضى إلى حد تكبد العناء الكبير المتمثل في القيام على الاعتناء بالصلاة المقامة في ذكرى رحيل أبي».

«لقد تحدَّث بالفعل مع الراهبة بن على أمل جعل ابنتي البعيدة عن الجدارة تحل محل أختك. ولم يكن بالإمكان أن أفكر في شيء من هذا القبيل، بالطبع، ولكنه شرف كبير مع

ذلـك أن تلـك «السـاق الواحدة»[1] تعني هذا كله بالنسـبة له، ولسـت أملـك إلا الإعجاب بعمق إحساسـه». التمعت دموع جديدة في عينيها في غمار حديثها، لدى التفكير في الابنة التي يثير مستقبلها قلقها الشديد.

واصلت حديثها لتوضح بشـكل عام ازدراء الملازم لابنتها، مفترضة أن الوصيفات من حولهـا يعلمن بالأمـر بالفعل. وقالت: «سـتكون مصدر عزاء لي طوال عمـري، أياً كان ما يحـدث. وعلى الرغم من ذلك، فإنه سـيكون شـيئاً محزناً بالنسـبة لهـا أن تتدنى إلى بؤس التشـرد بعـد رحيلي عن الدنيا، ذلك أنني أعتقد أنه لـن يكون أمامي خيار في نهاية المطاف إلا جعلهـا راهبة وإرسـالها إلى مكان مـا، ربما بعيداً في الجبال، حيـث ربما تتعلم التخلي عن كل أمل في الدنيا.

«إن محنتهـا محزنة للغاية، ولكن الازدراء الذي عانت منه هو أمر مألوف كثيراً بالنسـبة لمـن فـي وضعها. ومـا تقترحينه سـيكون صعباً للغاية بالنسـبة لهـا. فحتى أنا التي عشـت باختيـار صـارم من أبي حيـاة على ذلك النحو، والتي أجد نفسـي الآن فـي ظروف مختلفة تمامـاً عـن أي شـيء كنت قد تصورتـه، ما كان بمقـدوري أن أفلح في تدبر أمر ما تشـيرين إليه. وبالإضافة إلى ذلك، فإنه سيكون شيئاً مؤسفاً للغاية بالنسبة لها أن ترتدي ثوب راهبة متواضع». منحت طريقتها المتأنية في الحديث زائرتها سروراً بالغاً.

كان مظهـر أم الشـابة يفصح عـن عمرها، لكنها كانت على قدر كاف من الوسـامة، ولم تفتقر إلى التميز. ومن المؤكد أنها كانت بدينة، ولكنها في هذا المجال كانت مناظرة لحاكم هيتاشي تماماً.

«بقدر ما يمكنني فهمه، فإن رفض سـعادة الأمير الراحل المفعم بالقسوة كان معناه ميل الناس بصورة متزايدة إلى الاسـتخفاف بها، وكأنها ليست منهم، ولكن مقابلتك والحديث معك على هذا النحو يدخل العزاء على نفسي، وينسيني أحزان الماضي». واصلت الحديث، لتبلغهـا بالمزيد عن الحياة التي كانت تعيشـانها، وكم كانت أوكيشـيما[2] كئيبة. «الآن وقد

(1) كوكينشو 867: «بسبب ساق وحيدة من الموراساكي، أحب أعشاب سهل موساشي كافة».

(2) أوكيشيما («الجزيرة الطافية») هي أوتا ماكورا (مكان شهير على الصعيد الشعري) في مقاطعة موتسو في الشمال البعيد، حيث عمل زوج والدة أوكيفوني في وقت من الأوقات حاكماً. ويشير اسمها إلى التلاعب المألوف

حدثتك بكل ما يتعلق بجبل توسكوبا وحول كيف أن الدنيا بدت وقد غدت كئيبة بالنسبة لي وحدي[1]، ذلك أنني ليس لديَّ من أحادثه. وأود أن أواصل استغلال لطفك، ولكن أوغادي هؤلاء الميؤوس منهم في الدار لابد أنهم يواصلون مناداتي وجعل أنفسهم مصدراً للمتاعب. ومصادر القلق هذه تحرمني من الشعور بالسلام. وإذ أعرف تمام المعرفة كم تدنيت بنفسي على نحو محزن بوضع نفسي في الوضع الراهن، فسوف أترك لك القيام بما تعتقدين أنه الأفضل لابنتي ولن أقول المزيد فيما يتعلق بهذا الأمر». وتركت مناشدتها الحارة زوجة معاليه وهي تأمل أن أختها غير الشقيقة جديرة بهذا كله حقاً.

كانت الشابة جذابة على نحو مميز من حيث جمالها ومزاجها، وكانت عفوية بشكل بهيج، ولكنها ليست عنيدة بالمرة، وإن لم تكن مطواعة أكثر من اللازم، وقد حرصت على الاحتجاب عن عيون النسوة اللواتي كن في خدمتها عن قرب. حدَّثت زوجة معالي وزير الحرب نفسها قائلة: ما أشبهها عندما تتحدث بأختي! إن القائد يريد بلهفة صورة منها. أتمنى أن يكون بمقدوري جعله يراها!

عندئذ على وجه الدقة أُعلن عن وصول القائد. ورتبت وصيفاتها ستارة قائمة، وأعددن لاستقباله كالمعتاد. قالت زوجة الحاكم منفعلة: «آه، أريد أن ألقي نظرة عليه! يقول من رأوه أروع الأشياء عنه. ولكن من المؤكد أنه لا يقارن بمعاليه!».

ردت النسوة جميعاً: «ربما تجدين أنه يمكن أن يقارن به!».

«لكن كيف يمكن لسيد نبيل أن يفوق معاليه؟».

لابد أن القائد ترجل من عربته، وذلك في ضوء الصيحات العالية التي يطلقها مرافقوه، ولكنه لم يظهر للعيان في التو. وبالنسبة لمن كن ينتظرنه وقد حبسن أنفاسهن، فإن هيئته لدى دخوله قد أثارت الشعور بالتألق والبهاء النبيل أكثر مما أثارت التعجب وكان حرياً بالمرء أن يحس بأن يده تتحرك لترتب خصلة شعر نافرة، حيث إن حضوره يبعث على

بالألفاظ فيما يتعلق بكلمة أوكي (أو «أوشي» بمعنى «مقيت») وتتلاعب كوكين روكوجو 1796 (وكذلك شينكوكينشو 1379) بالاسم أيضاً.

(1) كوكينشو 948: «هل كان يمكن أن تكون الدنيا مكاناً مقيتاً على الدوام على هذا النحو أم أنها أصبحت كذلك بالنسبة لي وحدي؟».

الشعور بالرقي البالغ وأسلوبه هو أسلوب التميز الأرفع والأرقى. ولابد أنه جاء لتوه من القصر، حيث إن مرافقيه كانوا كثيرين للغاية.

قال: «مضيت لزيارة جلالة الامبراطورة البارحة، بعد أن سمعت بأنها متوعكة، وأحزنني ألا أجد أياً من الأمراء معها. وكنت هناك طوال الوقت بدلاً من معاليه. وقد وصل إلى هناك في وقت متأخر من صباح اليوم. وخطر ببالي، إذا جاز لي أن أقول ذلك، إن تأخيرك له يوحي بأنك نسيت نفسك كثيراً!».

«كنت لطيفاً للغاية». كان ذلك هو ردها الوحيد. وقد بدا أنه وصل منفعلاً إلى حد كبير، وهو يعرف أن معاليه سيكون موجوداً في البلاط.

تحدَّث معها بود بالغ كعهده دائماً. وأياً كان الموضوع الذي يتحدثان فيه، فإنه كان يحوِّله، ليس بصراحة وإنما بأكثر اللمسات خفة، إلى تأملات حزينة في كيف أنه لم يكن بمقدوره أن ينسى الماضي قط، وكيف أن الدنيا بغيضة الآن بالنسبة له أكثر من أي وقت مضى كيف أمكن أن تستغرقه ذكرى أختها دوماً على هذا النحو؟ وبما أنه كان قد فصَّل لها القول في هذا الموضوع بانفعال كبير، فإنه لم يكن بمقدورها إلا أن تفترض أنه كان يرغب في أن تعرف أن بمقدوره أن يقول المزيد، وكلما شاهدته أقرت على نحو أكبر بالعمق الأصيل على نحو يدعو للرثاء لشعوره.

تحدَّث باستفاضة بالغة عن خيبات أمله التي عانى منها حتى إنها مضت تتنهد في مرارة. وربما كانت رغبة في تطهيره من هذه العاطفة هي التي دفعت بها إلى الحديث عن «الدمية» التي كان قد أتى على ذكرها. «إنها هنا في الخفاء» قالتها، كلمة لا أكثر.

كان هذا موضوعاً آخر محركاً للمشاعر، وتطلع إلى لقياها، ولكنها فضَّلت ألا تحدث تغيراً مفاجئاً أكثر مما ينبغي. قال: «آه، ستكون تلك نعمة حقاً، لو أن بوذاي[1] قُدِّر له أن يستجيب لصلواتي، ولكن عندئذ فإن أي رغبة عابرة لي بأن الأمور ستمضي على خلاف ذلك[2] لن تؤدي إلا إلى تعكير مياه غديري الجبلي».

---

(1) على نحو ما نادى كاورو «دميته» المرغوبة التي تُجسِّد أويجيمي في فصل «اللبلاب».
(2) أن أكون قد ظفرت بك بدلاً من أوكيفوني.

قالت أخيراً، بضحكة خافتة وجدها بهيجة: «يا لي منك ومن خواطرك عن حياة مقدسة.. إنك صعب المراس!».

«حسناً، إذاً، أبلغيها لطفاً. لقد خطر ببالي أن مراوغتك تلك لا يبدو أنها تؤذن بخير». لمعت الدموع في عينيه مجدداً.

«لو أنها كانت حقاً بديل من أحببتها، فإني سأبقيها بقربي،

ستكون تعويذتي المطهرة في شلالات الهوى القاسية»

قالها، محولاً دموعه كالمعتاد إلى مظهر للطيش[1].

«ما من أحد سيصدق تعويذة ترسلها عبر شلالات غدير مطهر

لتكون البديل الأثير الذي تبقيه قربك دوماً.

القصيدة تقول: (أياد كثيرة تجتذب)[2]. سأشعر بالأسف كثيراً عليها».

«لست بحاجة إلى القول إنها الشلال الأخير الذي سيجتازه هواي. نعم، إنني كذلك الزبد الحزين على المياه[3]. دمية تطهير دُفعت لتطفو عبر الغدير، ذلك هو أنا!».

في غضون ذلك، كان الظلام يرخي سدوله، ولم ترغب في أن يتساءل زوارها عما يجري، فقالت: «أرجو ألا تبقى وقتاً أطول من اللازم، على الأقل هذا المساء!»، وسايرته على نحو جميل بحيث أفلحت في جعله ينصرف.

أذعن لرغبتها قائلاً: «حسناً، ولكن دعي زائرتك تعرف أنها لا ينبغي أن تتصور أنني

---

(1) تشير كلمة «بديل» (كاتاشيرو) إلى دمية، و«تعويذتي المطهرة» هي «ناديمونو». وعلى الرغم من أن «ناديمونو» في هذه القصيدة تشير كذلك إلى شيء «يُقرع» (نادي) جلباً للسرور، إلا أنها تعني بصورة أساسية دمية من ورق تستخدم للتطهير. وكان المرء يضرب الدمية بالناديمونو لكي ينقل إليها خبائث شخصه، ثم يلقي بها في غدير لكي يحملها هذا الأخير بعيداً. و«شلالات» هي «سيزي» وهي كلمة «مرتبطة» (إنجو) بالناديمونو لأنها تعني «الشلالات والأماكن الضحلة» في غدير ما، وذلك على الرغم من أنها تعني على الصعيد الرمزي «تقلبات».

(2) كوكينشو 706، بعثت بها امرأة إلى أريوارا نو ناريهيرا، بعد أن علمت أنه يزور نسوة كثيرات: «أياد كثيرة تجتذب عصا التطهير العظيمة، أنا التي تهواك لم يعد بمقدوري أن أثق بك». و«عصا التطهير العظيمة» (أونوسا) هي أداة طقوسية شنتوية يمررها المرء على جسمه بالطريقة ذاتها التي يستخدمها مع الناديمونو على وجه التقريب.

(3) كوكينشو 792، من نظم كي نو تومونوري: «على الرغم من أنني كالزبد على المياه، الذي يبقى على نحو ما، فإنها يمكنها الوثوق بي طالما أن الغدير يحتملني».

أنصاع لنزوة عابرة، حيث إنني كنت أرغب في هذا الأمر منذ سنوات. واطلبي منها لطفاً أن تلزم الحرص التام، فأنا غير معتاد بالمرة على هذه النوعية من الأمور، ويحتمل أن أمضي فيه على نحو مرتبك». وغادر بعد التوجه بهذا الطلب الأخير.

«أي سيد نبيل يتسم بالكمال المطلق هو!». مضت زوجة الحاكم تشيد به، وراحت تتأمل مجدَّداً الفكرة التي طُرحت للمرة الأولى، والتي كررتها مربية ابنتها مرات عدة. ومضت تحدث نفسها: لقد أبلغتها بأن ذلك لا مجال له، ولكن الآن وقد رأيته بالفعل، فسوف يسعدني أن أجعلها ترى نور نجم ذلك الفتى الراعي، حتى وإن كان عليه أن يعبر درب التبانة للوصول إليها. إنها أكثر جمالاً من أن أزوجها لأي شخص عادي. ما أغرب التفكير في أنني، أنا التي أمضيت حياتي مع أناس هم من الناحية العملية همج، اعتقدت أن الملازم لُقية ثمينة! ساورها الندم على أنها قد خطرت لها مثل هذه الفكرة يوماً. بدا لها العمود الذي كان قد استند إليه والوسادة التي جلس عليها والعبق البديع الذي بقي بعد انصرافه - بدا كل ذلك نادراً ورائعاً.

حتى من رأوه كثيراً أشادوا به في كل مرة. «إنك تقرأين في النصوص المقدسة عن أشياء معينة تتمتع على نحو خاص بجدارة معينة، وحسبما قال بوذا نفسه فإن انتشار عبق على ذلك النحو هو بالتأكيد أحد هذه الأشياء. وهو يتحدث في فصل ملك الطب[1] بصفة خاصة عن خشب صندل رأس الثور[2] أو شيء من هذا القبيل».

«يا له من اسم مزعج! ولكن عندما يكون ذلك السيد النبيل في مكان قريب، فإنك تدركين كم كان بوذا محقاً».

«ذلك يرجع إلى استغراقه في الصلوات منذ كان صبياً».

مضت النسوة يتجاذبن أطراف الحديث، وأضافت أخرى «أتمنى أن أعرف فحسب ما الذي كان في حيواته السابقة!» جلست زوجة الحاكم تصغي لهذا كله بابتسامة سعيدة.

مرَّرت زوجة معالي وزير الحرب إليها جانباً مما كان القائد قد قاله. «ما إن تشب عاطفة

(1) الفصل 23 من سوترا اللوتس.

(2) خشب الصندل المجلوب من جبل رأس الثور (جوزو-سان باليابانية) في الهند.

في قلبه، حتى ينبذ التردد، ويمضي فيها إلى حد الهوس، وهذا هو السر في أنني أعتقد أنك ينبغـي أن تعطيه فرصـة، على الرغم من أن موقفه الراهن يبدو بالتأكيد داعياً إلى حذر كبير. وعلى أي حال فقد كنت تفكرين في جعلها تنبذ الدنيا».

«لقـد فكـرت في أنها ينبغـي أن تحيا حيث لا تغـرد طيور[1]، وذلك لا لشـيء إلا لأنني أريـد أن أجنبهـا الألـم والازدراء. نعم، الآن وقد رأيت بنفسـي ما هو عليـه، فإنني أعتقد أن أي شـخص يـود أن يكـون قريباً من مثل هذا السـيد النبيـل، حتى وإن كان ذلـك كخادم له فحسـب، ومـن المؤكد أنه ما من شـابة يمكنها الامتنـاع عن الحرص عليه، ولكن بالنسـبة لمن هي على هذا القدر من الافتقار إلى الجدارة فإن ذلك قد يغرس فحسـب بذور المزيد من الأسـى. ويبدو لي أنه بالنسـبة لأي امرأة، رفيعة أم وضيعة، فإن هذه النوعية من الأمور يُحتمـل إلى حد كبيـر أن تعني المعاناة في هذه الحياة والحياة المقبلة، وذلك هو السـر في أنني أشعر بأشد الأسف عليها. غير أنني أترك الأمر بأسره لك. وكل ما أطلبه هو أنه أياً كان ما ستفعلينه فإنك لن تتخلي عنها».

كانت تلك مسؤولية تدعو للقلق، فتنهدت السيدة، قائلة: «آه، لقد آمنت حتى الآن بعمق فؤاده، ولكن ليس من السهل التنبؤ بالمستقبل». ولـم تُضف المزيد.

أقبلت عربة من مقر الحاكم، عند الفجر، حاملة رسـالة غاضبة ومفعمة بالتهديد. قالت زوجتـه: «عفـواً، ولكنني لابد لي مـن الانصراف الآن، إننـي أتطلع إليك فيمـا يتعلق بكل شـيء. أرجو أن توفري لها ملاذاً ووقتاً أطول من هذا قليلاً. وبينما أواصل التفكير فيما إذا كان ينبغـي لها أن تحيا وسـط الصخور[2] أو في موضـع آخر، أرجو ألا تنبذيها، على الرغم مـن عدم جدارتهـا، وعلميها ما تحتاج إلـى معرفته». كان هذا الفـراق الأول محنة محزنة، بالنسـبة لابنتها، ولكن على الرغم من ذلك فإن فكـرة قضاء وقت في هذا المحيط الجميل والعصري قد أدخلت السرور على نفسها.

كانت العربة تمضي لتوها مبتعدة تحت سماء يحفها النور بالكاد، عندما انصرف معالي

---

(1) عميقاً في الجبال باعتبارها راهبة. كوكينشو 535: «ليتها تدرك عمق هواي، الغائر مثلما رحابة جبل حيث لا يسمع المرء تغريداً للطيور في الهواء».

(2) كوكينشو 952: «أين ينبغي أن أختار الإقامة، وسط أي الصخور، لكي لا أسمع المزيد عن بؤس الدنيا؟».

وزيـر الحرب مـن القصر. وفي غمار شـغفه برؤية ابنـه الصغير مجـدداً، انطلق في حرص مصحوبـاً بعدد محـدود من المرافقين على غير المعتاد. وصـادف الضيفة المنصرفة وجهاً لوجه، فأوقفت عربتها، فيما أمر بجذب عربته إلى الرواق. تساءل مبدياً اهتمامه: «أي عربة هذه التي تسرع مبتعدة بينما الظلام لا يزال سائداً؟». كان سريعاً على نحو مفزع انطلاقاً من تجربتـه الخاصـة في ملاحظة أن تلك هي علـى وجه الدقة الطريقة التـي يتصرف بها رجل بعد زيارة سرية.

«سـيدتي زوجـة حاكـم هيتاشـي في طريقهـا إلى الـدار». هكذا جـاءه الرد مـن الجمع المصاحب لها.

«سيدتي؟». انفجر الشبان في الجمع المرافق لمعاليه جميعاً ضاحكين، وأدركت زوجة الحاكـم فـي حـزن أن ذلك كان مبالغة كبيـرة منها، وتمنت لو أنها كانت متميزة كأي سـيدة أخرى من أجل ابنتها، وبالطبع كانت فكرة تدني ابنتها إلى مستوى متواضع كمستواها شيئاً فظيعاً بالنسبة لها.

دلف معاليه إلى الدار. وسـأل والشـك لا يزال يخامره: «هل تتلقين زيارات من أحد له صلـة بهيتاشـي؟ يبدو أن ثمة شـيء يدور مع وجود تلـك العربة وتعجـل المرافقين لها في الانصراف على ذلك النحو في هذا الفجر الجميل».

ضايـق هـذا زوجته، التي اعترضت قائلة: «إنها صديقـة لتايفو من أيام طفولتها، ولم يبد أن هناك ما يثير الاهتمام فيما يتعلق بها، ولكنها تحدَّثت كأنما هناك شيء محدد في ذهنها. وأنت تلمح دوماً إلى أن هذا الشـيء أو ذاك سـيطلق نميمة كريهة. أرجو ألا تتهمني اتهاماً باطلاً»[1]. كانت الطريقة التي ابتعدت بها عنه بهيجة تماماً.

واصـل النـوم، غافلاً عـن الفجر[2]، إلـى أن بدأ أناس فـي التجمع للقيـام على خدمته، وانطلـق إلى الدار الرئيسـية. وهناك وجد أبنـاء معالي وزير الميمنة يلعبـون الداما في مرح

(1) شويشو 662، من نظم امرأة ترد على عاشق كان قد اتهمها بلقاء شخص آخر: «أنت يا من أكدت لي أنك ستهواني دوماً، لا تتهمني اتهاماً باطلاً، انسني فحسب!».

(2) آيسي شو 55: «واصلت النوم وراء الستائر الحاجبة المزينة بالجواهر، غافلاً عن الفجر، غير أنني لم أعتقد أنني لن أراك البتة حتى في أحلامي».

أو يخمنـون القوافـي. لـم تكن جلالة الامبراطورة مريضة مرضاً خطيراً، وكانت تحس بأنها أفضل حالاً.

عندما عاد في وقت متأخر من النهار، كانت زوجته تغسـل شـعرها، ووصيفاتها جميعاً ينلن قسطاً من الراحة. ولـم يكن هناك أحد عملياً معها. فبعث إليها بفتاة تابعة صغيرة تحمل رسالة قصيرة: «لقد اخترت وقتاً غريباً لغسل شعرك! هل سأبقى هنا وحيداً؟».

ردت تايفـو: «صحيح أن سـيدتي تقوم بذلـك عادة في غيابك. وعلـى الرغم من ذلك، فإنها لسبب ما لـم تحب ذلك أخيراً، ونصحتها بأنها إذا لـم تقم بذلك اليوم، فلن تكون هناك أيام في هذا الشهر متاحة لذلك، والشهران التاسع والعاشر مستبعدان»[1]. أحست بالتعاسة البالغة فيما يتعلق بهذا الأمر.

كان الصبـي الصغيـر في الفـراش، والوصيفات كلهن يحطن به. ومضـى معاليه يتجول بـلا هدف في أرجاء المكان إلى أن لمح بالقرب من الغرب[2] فتاة تابعة لـم يعرفها، فحدَّث نفسـه، وهـو يحدِّق فيها: لابد أنها جديـدة. وبين الأبواب المنزلقة كانـت هناك ثغرة ضيقة رأى عبرها، على بعد قدم أو نحو ذلك، سـتارة. وعند أحد الأطراف، قباله سـتائر حاجبة، كانت هناك سـتارة مع عرض واحد من قماشـها فوق القطعـة المتعارضة. ومن خلال هذه الفتحة انسـابت أكمـام ذات بطانات متألقة بألوان زهرة النجمة وزهـرة البتول. وهكذا فإن الباب المنزلق ذا الظهر الوحيد الذي يطوى أتاح مجالاً مدهشـاً للرؤية. وبالنسـبة لوصيفة قدمت حديثاً فقد بدت محترمة تماماً.

فتحت في هدوء الباب المنزلق المفضي إلى الدهليز، وانسل مقترباً، ولكنها لم تسمعه. وكانـت تسـتند إلى مسـند للذراع بالقرب من الشـرفة، محدِّقـة إلى الخارج نحـو الحديقة الجميلة الصغيرة الواقعة أمامها والتي يحيطها الرواق بزهورها الوفير ذات الألوان المتعددة وصخورها العالية على امتداد الغدير، ثم فتح الباب المنزلق فتحة أوسع قليلاً، وحدَّق إليها

---

(1) لم يكن من الممكن أن تغسل المرأة شعرها إلا في يوم حسن الطالع على نحو ما يحدِّده التقويم الزمني. والشهر العاشر، شهر «كامينا شي»، عادة ما يُكتب ويُفهم باعتباره شهراً «بلا آلهة» ولكن «كامي» (بحرف مختلف) تعني كذلك «الشعر»، ومن هنا يأتي الحظر المشار إليه.

(2) فضاء الدهليز الواقع إلى الجانب الغربي من الجناح. تشغل أوكيفوني نهايته.

من حول طرف الستارة، ولكنه لم يخطر ببالها قط أنه قد يكون معاليه، وافترضت أنه لابد أن يكون شخصاً آخر[1] يجيء غالباً بتلك الطريقة. عندما اعتدلت في جلستها، جسدَّت صورة بارعة الجمال بحيث إن نزعته المعتادة منعته من السماح للحظة بأن تنقضي، فأمسك بتنورتها، وأوصد الباب المنزلق، وجلس فيما بين الستارتين. في غمار دهشتها بادلته النظر على نحو فاتن من وراء مروحتها.

أمسك باليد القابضة على المروحة، وقال: «من أنت؟ إنني أتوق إلى معرفة اسمك!». الآن استبد بها الخوف. وإذ فضل التزام الحذر الشديد، فقد أشاح بوجهه عنها ليحجبه وراء ستارة، وراحت تتساءل عما إذا كان عساه يكون ذلك القائد الذي كان فيما يبدو قد أعرب عن اهتمام كبير بها. إن عطره يوحي بأنه قد يكون كذلك. غلبها الحياء.

أثار حضوره غير المتوقع شك مربيتها، ففتحت الستارة المنسدلة على الجانب البعيد من الغرفة، ودلفت إليها. قالت مصرِّة على أن تعرف الرد: «ما هذا؟ هذه تصرفات غريبة!» غير أن الأمر كان يقتضي أكثر من ذلك لإبعاده. لم يكن هذا كله إلا نزوة، ولكن لسانه الذرب منحه بلاغة شديدة إلى حد أن الشمس سرعان ما غربت وهو لا يزال مصراً على ما هو فيه: «لن أفلتك إلا بعد أن أعرف من أنت!». ورقد بصورة طبيعية تماماً إلى جوارها. أدركت مربيتها أخيراً وقد انعقد لسانها فزعاً أنه معاليه!

أضئيت المصابيح، وأعلنت أصوات عودة السيدة. تعالت أصوات إنزال المصاريع في كل مكان إلا غرفتها. وكانت غرفة الزائرة، وهي مساحة كانت تستخدم لأغراض أخرى، قد تم التخلي عنها لتغمرها فوضى يعتد بها، حيث كانت تضم خزانتين عاليتين مع أرفف وستائر متناثرة مخزنة على هيئة صرر. وقد تم إفساح عرض باب منزلق كدهليز عندما تبين أن هناك من ستقيم فيها. ومن هذه الفتحة أقبلت الآن أوكون، ابنة تايفو، التي كانت تخدم في الدار كذلك لإنزال المصاريع هناك أيضاً. وهتفت مندهشة: «الظلام حالك للغاية! والمصابيح لم تُنر بعد. لقد كانت وصيفاتك في عجلة من أمرهن لإنزال المصاريع - وأنا أعرف أنهن من المتعذر تدبر أمرهن - والآن لا يستطيع المرء رؤية شيء!» رفعت مصراعاً من جديد، الأمر الذي أحرج معاليه بعض الشيء.

(1) ربما إحدى النسوة التابعات لناكا نو كيمي.

كان ذلـك أكثـر مما يمكن أن تحتملـه المربية، وهي امرأة نافدة الصبر، قوية الشـكيمة. فقالـت: «عفـواً! هناك شـيء لا يُطاق يجري هنـا، وقد ضقت ذرعاً بمتابعـة الأمور، وليس بوسعي أن أتحرك».

«ماذا عساه يكون؟» تلمست أوكون ما حولها إلى أن لمست رجلاً بعباءة، يفوح منه عطر بديـع، وقد رقد إلى جوار امـرأة، وأدركت أن معاليه قد رجع إلى عاداته القديمة. واعتبرت أن من المسـلم به أن المرأة نفسـها ليس لها شأن بالأمر. وقالت: «آه. إنه سوء الطالع. أليس كذلك. ما الذي سـأقوله لسيدتي؟ أحسـب أنني لابد لي من المضي إليها مباشرة وإبلاغها بالأمر كله سراً!». ومضت مبتعدة.

لم يؤثر صدمتهن وذعرهن كثيراً في معاليه، بل استبدت به الحيرة، ومضى يحدِّث نفسه: يـا له من تميز ذلك الذي تحظى به! ولكن من عسـاها تكـون؟ إن الطريقة التي تحدَّثت بها أوكون توحي بأنها لا يمكن أن تكون وصيفة جديدة فحسـب، راح يلومها بكل الأساليب. ولـم يفصح شـيء في أسلوب تصرفها عن الاشـمئزاز، وإنما بدا أنها توشك على التداعي، الأمر الذي جعله يأسـف كثير لها، بحيث بذل قصارى جهده لجعلها تحس بأنها في وضع أفضل.

أطلعت أوكون سيدتها على ما ينشغل به معاليه، وقالت «يا للعزيزة المسكينة! لابد أنها تستفظع ما يجري!».

«آه، لا، هـا هـو يعود مجـدداً إلى ما درج عليه! ستسـاور أمها أسـوأ الأفـكار عن كيف أخفقـت علـى هذا النحـو المقيت في الاعتنـاء بابنتها. لقـد أبلغتني مراراً بأنهـا تعرف أنها ليسـت بحاجة إلى القلق». راحت تتسـاءل في استياء محدِّثة نفسـها: ما الذي يمكنني قوله لـه؟ إنـه لا تفلت منه امـرأة واحدة في الخدمة هنـا، طالما أنها تحظى بالشـباب أو الجمال على الإطلاق. من سوء الطالع أنه على تلك الشاكلة. كيف أفلح في الوصول إليها؟ كانت الصدمة شديدة للغاية. لم تنبس ببنت شفة.

أوضحت أوكون في تعاسـة لشـو شـو[1]: «يتسـلى معاليه مع كبار النبلاء في الأيام التي

---

(1) وصيفة أخرى من وصيفات ناكا نو كيمي.

يقبـل الكثيـر منهم لزيارته، وعادة ما يجيء إلى هنا في وقت متأخر للغاية، ومن هنا فإن كل النســاء يكن راقـدات. وعلى الرغم من ذلك ما الذي يمكن القيـام به؟ تلك المربية جريئة! لقد ظلت هناك مباشرة معه. لقد حسبت أنها ستجره بعيداً عنها جراًا!».

عندئـذ بالتحديـد أقبل مبعـوث من القصر ليعلـن أن جلالة الامبراطـورة التي كانت قد بدأت تشعر بالتوعك عند الغسق قد استبد بها المرض الآن. همست أوكون: «كان يمكنها أن تختار لحظة أفضل! لابد لي من إبلاغه». وشرعت في الانطلاق إلى هناك.

ردت شـو شـو: «رويدك. رويدك. لا تلوميه بقسـوة شـديدة. أتصور أن الوقت قد تأخر كثيراً وأن حديثك سوف يمضي هدراً».

«لا، لا، أنا واثقة من أنها لاتزال على ما يرام».

انظـري إلى الحديث الفظيع الـذي يمكن أن تطلقه مراوغته تلك! لسـوف يزدريني كل عاقل على ذلك أيضاً! هكذا مضت سيدتهما تحدث نفسها.

مضت أوكون إلى معاليه، ونقلت إليه الرسـالة على نحو أكثر تعجلاً مما تلقتها، فسـألها علـى نحو أشـار إلـى أنه لا يعتزم التحرك مـن مكانه: «من الذي أحضر هذه الرسـالة؟ إنك تحاولين إثارة قلقي فحسب».

«أحد أتباع جلالة الامبراطورة، معاليكم. وقد قال إن اسمه تايرا نو شيجيتسوني».

سـيتعين عليه الذهاب، سـواء شـاء أم لم يشـأ، وبما أنه لم يكترث حيال إمكانية أن يراه أحد، فقد مضت ودفعت بالمبعوث إلى المجيء إلى الجانب الغربي ليمكن أن يطرح عليه المزيد من الأسئلة. وأقبل التابع[1] الذي كان قد مرَّر الرسالة أولاً بدوره، وقال: الأمير ناكا تسوكاسـا[2] موجـود مـع جلالتها الآن، وقد انطلـق المفوض لتوه. وقد رأيـت عربته وهي تنطلق، وأنا في طريقي إلى هنا».

مضـى معاليه يحدِّث نفسـه: صحيح، فهذه النوبـات تعاودها في بعض الأحيان. شـعر بالحرج فجأة إزاء ما قد يظنه الناس به، وغادر وسط دفق من اللوم والوعود بالعودة.

(1) تابع نيئو.
(2) ربما كان أخاً أصغر لنيئو.

رقدت الزائرة غارقة في العرق، شـاعرة بأنها قد أفاقت لتوها من كابوس رهيب. مضت مربيتها تحـرِّك المروحـة أمامهـا، وقالـت: «لا يمكنـك البقاء هنـا، فذلك حافـل بالمخاطـر وخانـق للغايـة. وما من خير يمكن أن يأتي الآن وهو يلاحقك بهـذه الطريقـة. المسـتقبل مخيـف للغايـة! إنني على يقيـن مـن أنـه نبيـل عظيم



اقتياد جواد

للغايـة، ولكن مثل هذا السـلوك ليس مقبولاً. ومـن لا صلة له بك يمكنه أن يفكِّر كيفما كان لـه، أياً كانـت النتيجة، ولكنني أدركـت أن النميمة يمكن أن تكـون ذات نتائج مدمرة، وقد حدَّقت فيه بحنق مثلما قاهر الشـيطان[1]. وقد حسـب أنني نوع من الخادمات المفزعات، ودفع يدي بقسوة.. كان الأمر طريفاً للغاية حقاً، وكأنما هو يغازل من هي مثلي! وفي دارنا نشـب اليوم شـجار كبير، حيث وبخها على عدم إبداء اهتمام بأحد إلا أنت ونسـيان كل ما يتعلق بأبنائه ولابتعادها فيما يجيء عريس جديد إلى الدار. وقال إن ذلك عار. وسـمع كل العاملين في الدار بالأمر، وأحسـوا جميعاً بالحزن عليك. وملازمه هذا يعد خسـارة، بقدر مـا يتعلـق بي. ولولا ذلك الـزواج، فإنه ربما تكـون لهما خلافاتهمـا واتفاقاتهما في بعض الأحيان، ولكنهما كانا يمكن أن يستمرا على نحو جيد تماماً مثلما كان حتى الآن». مضت تتحدث وهي تبكي.

لـم تكـن الفتاة التي ترعاها، في تلك اللحظة، في حالة تسـمح لها بالتفكير في مثل هذه الأمور. رقدت وقد دفنت وجهها في الفراش، واسـتبد بها الحزن، ومضت تبكي في يأس، ليـس على التجربة الغريبـة التي خاضت غمارها لتوها، وإنما من جراء التفكير فيما عسـى تظن بها زوجة معاليه.

(1) جوما، إحدى المراحل الثماني لحياة بوذا شاكياموني، عندما جلس تحت شجرة بوذي وقهر قوى الشياطين التي كان يمكن أن تحول بينه وبين بلوغ الاستنارة.

أزعج هذا المشهد مربيتها، فسألتها: «ولكن لم تشعرين بكل هذا الضيق البالغ؟ الفتاة التي لا أم لها، نعم، إنها تغدو ضائعة حقاً. من المؤكد أنه لا يفيد المرء في الدنيا على رحابتها ألا يكون له أب، ولكن هذا أيسر كثيراً في احتماله من أن يكون موضع كراهية من زوجة أب حقود. لسوف تفعل أمك الكثير من أجلك. أرجو ألا يستبد بك الحزن على هذا النحو فبوذيساتفا هاتسوسي هناك، في نهاية المطاف، وأنا على يقين من أنه سيشفق عليك. فقد قمت بالحج مراراً، بينما لم تتعودي على القيام بمثل هذا الرحلة، وأنا أبتهل من أجل أن يكون لك حسن طالع يجعلك تدهشين كل من لم يقدروك. هل تعتقدين حقاً أن الجميع سيسخر منك في نهاية المطاف؟ كانت نظرتها للحياة متفائلة.

تناهي إليهما صوت معاليه وهو يمضي مبتعداً. خرج من البوابة الواقعة على جانبهما، ربما لأنها كانت أقرب إلى القصر، وبلغهما صوته جلياً، وكان يتمتع بوقع نبيل للغاية، ولكنهما وجدتا نفسيهما تودان سد أذنيهما عندما مرَّ بهما وهو يدندن لنفسه قصيدة بديعة قديمة. وقد رافقه عشرة رجال على صهوات جياد من أقاليم نائية.

أشفقت سيدة جناح معاليه في نيجو على زائرتها، وتصورت في يسر مدى الضيق الذي لابد أنه قد استبد بها، ولكنها بعثت لها برسالة، كأنها لا تدري من الأمر شيئاً. قالت: «جلالة الامبراطورة مريضة، وقد مضى معاليه إليها، ولن يعود هذا المساء. وأنا لا أحس بأنني على ما يرام تماماً -ربما لقيامي بغسل شعري- ولا أزال مستيقظة، فأقبلي للقائي. لابد أنك تحسين بالضجر».

أحضرت لها المربية الرد: «إنني الآن متوعكة للغاية، ربما في وقت لاحق عندما أتحسن».

استفسرت في التو: «ما الأمر؟».

«لست أدري بالتحديد. كل ما هنالك أنني أحس بالمرض». تبادلت أوكون وشوشو النظرات: «لابد أنها تحس بالبؤس الشديد».

كان الأمر أسوأ مما لو أن الشابة لا تعنيها. ومضت تحدِّث نفسها: القائد يتحدث كأنه مهتم بعض الاهتمام بها. ولكن كم سيظن الآن أنها بلا حياء! ذلك الرجل ليست لديه أي

سيطرة من أي نوع على نفسه، وهو يحب أن يصب الاتهامات المسيئة وغير الحقيقية صباً، ولكنه يبدو أنه له نظرة مستغرقة على نحو مدهش إلى ما درج عليه. ومن ناحية أخرى فإنه «هو» الذي يبدو دائماً حكيماً في الإعلان عن دخيلة نفسه على الإطلاق يبدو الآن أنه يواجه خيبة أمل أخرى لا يستحقها. إنني لم أعرف عنها شيئاً طوال كل تلك السنوات، بارعة الجمال وتتمتع بشخصية قوية تجعلني غير قادرة على التخلي عنها الآن، إنها شديدة العذوبة والرقة، والحياة أكثر صعوبة وامتلاء بالمحن. إنني أعرف أن وضعي لا يتسم بالكمال أيضاً، ولكن على الرغم من أنني ربما أواجه النوعية نفسها من المتاعب، فإنني أوافق تماماً على أنني محظوظة لأنني لم أنحدر إلى هذا الحد. وأنا نفسي لن يكون لديَّ ما أشعر بالقلق حياله لو أن القائد كان بوسعه فحسب أن يتخلى بصورة آمنة عن مغازلاته المضجرة. استغرق شعرها الكثيف وقتاً طويلاً لكي يجف، وضاقت ذرعاً باضطرارها للبقاء مستيقظة. وبدت جذابة تماماً في قميصها الأبيض البسيط وردائها النسائي[1].

لم تكن زائرتها تحس حقاً بأنها على مايرام، ولكن المربية أصرت على جعلها تستنهض همتها. قالت: «لا جدوى من هذا! لابد لك من التعقل والمضي للقائها، وإلا فإنها ستعتقد أن شيئاً قد حدث بالفعل. دعيني أبلغ أوكون والأخريات بالقصة كلها!».

مضت إلى الباب المنزلق، وقالت: «أود أن أحادث أوكون»، فأقبلت أوكون: «لقد وقعت حادثة مؤسفة للغاية هنا، وسيدتي تعاني من الحمى. والمسكينة متوعكة بصورة خطيرة. وهي تقول إنها ستكون ممتنة إذا تلقت بعض الكلمات لإدخال العزاء على نفسها من سعادة الأميرة. وهي لم تخطئ، ولكنها لاتزال تساورها مشاعر سيئة تماماً. وربما كان الأمر مختلفاً لو أنها كانت لها تجربة بسيطة في الدنيا، ولكن تلك ليست حالتها، وأعتقد أنها جديرة بالكثير من الإشفاق». ساعدت سيدتها على النهوض، وجعلتها تنطلق إلى أختها.

استجابت لما استحثتها المربية على القيام به، وأقبلت لتجلس أمام سعادة الأميرة، من دون أن تعرف إلا بالكاد أين هي، وقد استبد بها الخجل مما لابد أن الجميع يظنه بها، ومع ذلك فإنها بدت في الوقت نفسه عذبة على نحو بريء. جلست وظهرها إلى المصباح

---

(1) ليس بمقدورها ارتداء المزيد من الثياب والاستمتاع بالمزيد من الألوان لأن شعرها لا يزال مبتلاً.

وهـي تخفي شـعرها المبلل بالعـرق عند جبينها، ولـم تبـد أقل بهاء من أختها غير الشـقيقة التـي اعتقدت النسـوة أنها لا نظير لها. وفي حقيقة الأمـر أنها كانت بارعة الجمال. أدركت أوكون وشوشو أن شيئاً رهيباً سيقع إذا قرر الاستحواذ عليها، فهو سريع في الإعجاب بكل مقبلـة جديـدة إلى الدار حتى ولو لـم يكن لها هذا الجمال! وكان بمقدورهما رؤية الشـابة بوضـوح، ذلك أن حضور سـعادة الأميرة لم يمكنها دوماً من أن تبقي مشـيحة بوجهها إلى الناحية الأخرى.

حادثتها سعادة الأميرة بلطف بالغ، وقالت: «أرجو ألا يساورك الشعور بأنك غريبة هنا. فأنـا لـم أنس أختي طوال الوقـت الذي انقضى منذ موتها، وأتمنى أنا نفسـي لو أنني لم أبق علـى قيـد الحياة بعدها، ولكنـه مصدر عزاء كبير أن أراك، أنت يا من تشـبهينها. وكما ترين فليس لدي من يكترث بي، وسيسعدني أن تنظري إليَّ بإعزاز على نحو ما كانت تفعل.

غلب عليها الحياء والطبع الريفي. وكان الرد الوحيد الذي أفلحت في التوصل إليه هو: «بدوت بعيدة طوال كل تلك السنين، ورؤيتك الآن تجعلني أشعر بأنني أفضل حالاً». كان صوتها موحياً بالشباب اليانع.

جعلت سـعادة الأميرة وصيفاتها يحضرن صوراً، ومضت تتطلع إليها، فيما أوكون تقرأ الكلمـات المرفقة بها. ولـم تسـتطع زائرتهـا البقاء على خجلها طويـلاً، حتى وهي تجلس مقابلها مباشـرة، ومضت تتطلع إلى الصور بدورها، وقد لاح محياها جميلاً بلا شـائبة في ضوء المصباح. بدا جبنيها وعيناها يضوع منها عطر الجمال العذب، وأعاد نبل تصرفها غير المصطنع ذكرى أختها التي كانت سـعادة الأميرة قد فقدتها إلى حد أنها لـم تسـتطع التركيز علـى الصـور على الإطلاق. راحت تحدِّث نفسـها: ياله من محيا قريـب من القلب! كيف يمكن أن تكون شـبيهة بها كل هذا الشـبه؟ لابد أنها قد ورثت هذا الشبه من أبينا. لقد كانت أختـي تشـبه أبانا وأمنا، أو هذا هو مـا فهمته مما كانت تلك العجـوز تقوله. كم هو مدهش أن تشـبهها أخرى! لمعت الدموع في عينيها، وهي تتأمل زائرتها وتستعيد ذكرى صورة من فقدتهم. وكانت مطواعة على نحو عذب أيضاً، على الرغم من أسـلوبها المتميز للغاية في التصرف، وفي حقيقة الأمر أنها كانت رقيقة ومستجيبة وبلا عيوب على الإطلاق.

مضـت تـزن الأمر في ذهنها كأخت كبرى: هذه الشـابة لاتزال تبدو خجولاً، ولا تشـعر

بالارتيـاح فيما يتعلق بأي شـيء، وربما كان ذلك هو السـر في أنها تبـدو على وجه العموم مفتقرة إلى البهاء مقارنة بأختها.

كان الفجر قد أقبل تقريباً عندما رقدت لنيل قسط من النوم بعد حديث مطول. وجعلت سـعادة الأميرة أختها غير الشـقيقة ترقد إلى جوارها، وتحدثتا قليلاً عن حياة أبيهما على مر السنين. تمنت الشابة لو أنها كانت قد عرفته، وأسفت على نحو مرير لأنها لم تره البتة.

واصلـت النسـوة اللواتـي عرفـن بأمـر البارحة الهمـس على نحـو مفعم بالشـفقة عنه. «أتساءل عما حدث. إنها جميلة للغاية. ولن تكون هناك نتيجة طيبة تترتب على هذا بالنسبة لها، مهما كان معاليه مولعاً بها. يا للمسكينة!».

تدخلـت أوكون فـي الحديـث: «لا، لا، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً! لقد أمسـكت بي مربيتها وصبت القصة المحزنة كلها في مسـامعي صباً، ومن خلال الحكم بما قالته فإن شيئاً لم يحدث على الإطلاق. وقد انطلق معاليه مدندناً قصيدة، ومصفراً نغمة (معاً غير أننا لسنا سوياً)»[1].

«آه، هلمي، ربما فعل ذلك عامداً. لست أدري».

«كانت هادئة تماماً ومتمالكة نفسـها البارحة في ضوء المصباح. ولم يبد عليها أن شـيئاً حدث».

أمرت المربية بإعداد عربة، وعادت إلى دار هيتاشـي، حيث روت ما جرى على مسامع أم الفتـاة التـي ترعاهـا، فصعقـت زوجـة الحاكـم، وحدَّثـت نفسـها قائلة، وهـي تقفز إلى الاسـتنتاج الخاص بها: سيسـتخرج الناس من هذا أسـوأ الاحتمالات. وما الذي ستعتقده سعادة الأميرة؟ وفي حالة كهذه فإن الغيرة لا تعرف مرتبة تتوقف عندها.

مضت إلى هناك في هذا المسـاء نفسـه. ومن حسـن الطالع أن معالـي وزير الحرب لم يكن في الدار. قالت: «أعرف أنني أحضرت إليك ابنتي الصبيانية على نحو عصي، معتقدة

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إنيو واكا 394 تتضمن التعبير نفسه («أيتيمو أوانو» أي «معاً غير أننا لسنا سوياً»). ولكن القصيدة لا تبدو مناسبة، حيث إنها توحي بأن العاشقين في حقيقة الأمر «معاً» (أي يتضاجعان) مهما كان قصر الوقت الذي أمضياه في ذلك.

أنها ستكون آمنة هنا، ولكنني أخشى أني لي تقلب ذهن كابن عرس[1] وداري تكرهني من أجل ذلك، رغم ما هي عليه.

ابتسمت سعادة الأميرة، وهي تقول: «إنها لاتبدو صبيانية على نحو يقرب مما تقولينه. وعلى الرغم من ذلك فإن ما يثير قلقي أنك تبدين قلقة للغاية عليها!» وخزت النظرة النبيلة المرتسمة في عينيها ضمير المرأة. وراحت تتساءل: ما الذي تعتقده؟ ولم تستطع تدبَّر أمر ما تعيَّن عليها قوله.

استهلت حديثها: «إنني أعتبر أنه شرف رفيع أن تكون ابنتي هنا معك، وأحس كما لو أن صلاة بعد العهد بها من صلواتي قد استجيب الدعاء فيها. وبقدر ما يتعلق الأمر بالآخرين -أولئك الذين ربما يسمعون بالأمر- فإنه كله يحسب لها. وعلى الرغم من ذلك، فإن بمقدوري أن أدرك أنني كان ينبغي عليَّ أن أحجم. كان يتعين أن أبعث بها إلى الجبال، على نحو ما كنت أعتزم في بداية الأمر». انخرطت في البكاء على نحو يثير الشفقة.

«لماذا يتعين أن تقلقي كثيراً بشأن وجودها هنا؟ إنني لا أعتزم نبذها أياً كان ما يحدث، وحتى إذا كان سيد نبيل معين أساء التصرف في بعض الأحيان، فإن الجميع يعرف بذلك وينتظره. وأنا على يقين من أنها لن يلحق بها أذى. هل لي أن أسأل ما الذي تخشينه؟».

«لست أعتقد للحظة أنك سوف تنحين جانباً نواياك الحسنة بشأنها، أما فيما يتعلق بتفضيل معاليه عدم تعرف هويتها فإنني ما كنت لأحلم بالإتيان على ذكر هذا الأمر. لا، لست أتطلع إليك بسبب ذلك، وإنما بسبب صلة أخرى، صلة أعرف أنك ستراعينها»[2]. وبعد هذه المناشدة الملحة، واصلت الحديث: «في الغد واليوم الذي يليه لابد لها من الالتزام باعتكاف صارم، وينبغي أن تكون في مكان يتاح لها فيه ذلك على النحو اللائق. وسوف أعيدها ثانية». واصطحبت ابنتها معها بعيداً عن الدار. وكان هذا بمثابة خيبة أمل محزنة بالنسبة لسعادة الأميرة، ولكنها لم تحاول منعها من ذلك. وقد ضايقت الكارثة أم الشابة أشد الضيق إلى حد أنها غادرت الدار من دون وداع لائق.

كانت لها دار صغيرة للأوقات التي ربما تحتاج فيها إلى احترام تحريم اتجاه ما. وكانت

(1) استعداد مريب ومثير للقلق.

(2) إنها ابنة أخت أم ناكا نو كيمي.

في ضاحية سانجو، وجميلة للغاية، ولكنها لم تكن موثقة بصورة كاملة، لأنها لم يكن العمل فيها قد أُنجز تماماً بعد. قالت: «يا له من وقت أمضيه معك! ما معنى الحياة على الإطلاق إذا لم يكن هناك شيء يمضي في طريقه الصحيح. لو أنني لم يكن لديَّ من أعتني به إلا نفسي لبادرت إلى الاختفاء في مكان ما وغدوت مخلوقة لا قيمة لها. أما فيما يتعلق بالصلة بسعادة الأميرة فإن الناس سيعتقدون أننا مثيرون للسخرية تماماً إذا اقتربنا فيها كثيراً، فيما درج أبوها على إثارة غضبي الشديد، ثم يحدث شيء فظيع حقاً. آه، هذا فظيع! هذا المكان يبدو لي جميلاً للغاية، إنني أعرف ذلك، ولكن أرجو أن تحاولي البقاء هنا، ولا تدعي أي أحد يعرف مكانك. وسأتدبر شيئاً لك على نحو ما». مضت تستعد للمغادرة.

انفجرت ابنتها باكية، وبدا منظرها محزناً للغاية، وهي تفكر في جزع في المسار المتردي المتوقع لحياتها. وكانت الأم، بالطبع، أشد حزناً لتصورها وهي تذهب هدراً، وتاقت لرؤيتها وقد استقرت آمنة في نهاية المطاف، ولكنها بعد هذه الحادثة المقيتة أحست بالقلق من أن الدنيا بأسرها قد تصف ابنتها الآن بأنها بلا حياء. وعلى الرغم من فهمها للكثير، إلا أنها مع ذلك مالت إلى أن تضيق بكل شيء ذرعاً، وإلى التصرف اعتماداً على نفسها. وربما كان يمكنها تدبر أمر إبعادها عن العيان في دار هيتاشي، ولكنها كرهت إخفاءها بتلك الطريقة، واختارت بدلاً من ذلك سلوك هذا السبيل. ومع ذلك فإنهما لم تكونا قد افترقتا طوال تلك السنين كلها، ولم يعد هناك من سبيل الآن إلى إدخال العزاء على نفسيهما، فقد كانتا معاً على الدوام ليلاً ونهاراً.

قالت: «الدار ليست آمنة حقاً في حالتها هذه. تذكري ذلك. أخرجي كل الأشياء واستخدميها. لقد تركت أوامر للحراس للمناوبة ليلاً، ولكنني على الرغم من ذلك أشعر بالقلق الشديد. كل ما هنالك أن الوضع لا يدعو للسرور كثيراً في الدار، مع تميز الحاكم غضباً وضيفه ذرعاً بي على نحو ما هو عليه الآن». غادرت المكان والدموع ملء عينيها.

نظر الحاكم إلى الملازم على أنه جوهرة لا تقدر بمال، وفيما هو يستعد لاستقباله بتلك الروحية، استبد به الغضب من زوجته، لعدم مشاركتها على نحو جدير بأشد الاستنكار في الجهد الذي يبذله في هذا الصدد. غير أن الملازم بالنسبة لها كان السبب الجدير بالازدراء لكل متاعبها، وصبَّت عليه اللعنات، في ضوء المحنة الراهنة لجوهرتها الغالية، ولم تقدم

مساعدة تذكر حقاً. وقد بدا نكرة إلى جوار معالي وزير الحرب، وقد تدنى به ذلك كثيراً في تقديرها، على الرغم من أنها اعتزمت يوماً أن تعامله على أنه كنز ثمين، وقد نحَّت الآن هذه الفكرة تماماً من ذهنها.

حدَّثت نفسها: ترى ما الذي يبدو عليه في داري، إنني لم أشاهده قط على مهل. ومن هنا فقد مضت تختلس النظر إليه عند الظهيرة، حينما كان في هدوء هناك مع زوجته الجديدة. وكان قرب الشرفة، مطلاً على الحديقة وهو يرتدي ثوباً أحمر في لون البرقوق فوق رداء من قماش التويل الحريري الأبيض الناعم. وقد بدا وسيماً إلى حد كبير. ما الذي يعيبه؟

رقدت ابنتها، التي لم يكن نضجها قد اكتمل بعد إلى جواره في براءة. كانا زوجين مخيبين للآمال لدى مقارنتهما بذكراها عن معالي وزير الحرب وسعادة الأميرة. كان يمزح مع النسوة القريبات، وفي استرخائه على هذا النحو لم يكن مصدر الحرج الذي كانت قد رأته، وقد خلصت إلى أن الملازم لابد أنه كان شخصاً آخر عندما قال: «لدى معالي وزير الحرب، بالطبع، هاجي جميلة بشكل خاص. ترى من أين حصل على بذورها. والسعفات تماماً كهذه، ولكنها تتمتع بفتنة استثنائية. وقد كنت هناك أخيراً، ولكنني لم أفلح في انتزاع أي سعفة منها لأنه كان بسبيله إلى الخروج. وكان يدندن والمرء يحزن لمجرد رؤيتها تذوي[1]. أتمنى لو أنه كان بمقدوري أن أدعكن ترينه أيتها الفتيات! ثم نظم قصيدة من عنده».

وجدت نفسها تهمس: حسناً، حسناً. هذا هو ما لديه ليقوله عن نفسه. إنه لاقيمة له، نعم، ومنظره مثير للرثاء. كيف يجرؤ على الحديث عن القصائد؟ وعلى الرغم من ذلك، فقد بدا أنه ليس جاهلاً تماماً، وحدَّثت نفسها بأن تختبره. فبعثت إليه بهذه الرسالة:

«طالبت لنفسك بنبتة هاجي صغيرة تحتفظ سعفاتها في الأعالي ببهائها،

حدِّثني، إذاً، أي نوع من الندى جعل السفلى تذوي؟»[2].

جعلته هذه القصيدة يحسّ بالذنب، فرد قائلاً:

---

(1) شويشو 183، من نظم آيسي، وقد نُظمت لتناسب ستارة مطبوعة: «آه، قطرة الندى التي قد تكسر سعفات الهاجي الخريفية، عندما يحزن المرء لمجرد رؤيتها تذوي!».

(2) «نبتة هاجي الصغيرة» (كوهاجي) هي أوكيفوني وقطرة الندى يراد بها الملازم.

«لو أنني علمت أن نبتة الهاجي الصغيرة انبثقت من سبخة مياجي

لما تطلعت إلى غيرها لقاء أي شيء على الإطلاق[1].

أود كثيراً أن أفسر لك بنفسي ما أقدمت عليه».

قالت لنفسها: لابد أنه قد سمع بمعالي وزير الحرب، ولم تستطع التفكير في شيء إلا في جعل ابنتها الحبيبة في مكانة أختها غير الشقيقة. وواصل القائد على نحو ما العودة بإعزاز إلى ذاكرتها. وقد اعتبرته رائعاً مثل معاليه، الذي لم يعد مفيداً لها على الإطلاق، وتميَّزت غضباً حيال التفكير في كيف أن هذا الرجل قد فرض نفسه بازدراء على ابنتها. ومن ناحية أخرى، فإن القائد قد أحجم عن القيام بأي خطوة متعجلة، وإن كان في حقيقة الأمر حريصاً عليها. يا له من حرص مميزاً تأثَّرت كثيراً، والآن وقد غدت تفكر فيه دوماً فقد راحت تحدِّث نفسها: من الواضح أن شابة ستفكر فيه أكثر. ينبغي أن أخجل من نفسي لأنني أردت ذلك الملازم الفظيع أساساً! ما من شيء كان مهماً لها إلا ابنتها، وغاصت في يسر في حلم يقظة، تصورت خلاله كل شيء وقد غدا على مايرام في نهاية المطاف، وهو مسار غير محتمل بالمرة حيث إنه، حسبما مضت تذكِّر نفسها، نبيل المحتد ويتمتع بتميز شخصي كبير، والسيدة التي قبل الزواج لا تقل عنه في كرم المنبت. ما الذي يمكن أن يجتذبه إلى ابنتي؟ استناداً إلى فهمي للناس، فإن الجدارة أو الافتقار إليها، التميز أو الوضاعة، كل ذلك يعتمد على المنبت وكذلك الجمال واللماحية. تأملي أبنائي! هل يشبهون هذه الابنة؟ إن الجميع في الدار يعتقد أن الملازم أعجوبة، ولكن الآن بعد أن رأيته بعد معاليه، فإنني أعرف حق المعرفة كم هو مضجر. وهي.. ما الذي يمكن أن تفعله إلا الشعور بالرهبة والخجل من حضور إنسان يحظى الآن بابنة الامبراطور الأثيرة؟ مضى ذهنها يضرب في متاهة الأفكار.

لم يكن هناك الكثير مما يمكن القيام به في الدار، التي لم ينته إعدادها بعد. كانت الخضرة في الحديقة تدعو للاكتئاب، والوحيدون الذين يدخلون الدار ويخرجون منها يتحدثون بلكنة شرقية فظة، ولم تكن هناك في أي مكان زهرة يمكن النظر إليها. وتوالت

(1) «لو أنني علمت أنها ابنة أمير..». سبخة مياجي (مياجينو) اسم مكان يرتبط بالهاجي في الشعر، ويتضمن المقطع «ميا» أي «أمير».

الأيـام والليالي وسـط هذا المحيـط غير المرتب والذي لا يدعو إلـى البهجة، وفي غضون ذلك مضت الشابة تستعيد ذكرى سعادة الأميرة، التي افتقدتها بطريقتها الصبيانية. وعادت إليها انطباعات عن ذلك الحضور المزعج أشـد مـا يكون الإزعاج كذلك. ماذا كانت تلك الأشـياء التي مضـى يقولها؟ لقد واصل الحديث طويلاً وبعذوبـة بالغة! ويا للعبق الجميل الـذي خلَّفـه وراءه! سـاورها الشـعور بأنه لا يـزال يلفها، وعـادت إليها الذكـرى المخيفة أيضاً.

كتبـت إليها أمها رسـالة بالغة التأثير. وبدت شـديدة القلق عليها وحزينـة للغاية، ولكن ابنتهـا لـم تسـتطع تصديق أن هذا كله سـيعود عليها بـأي نتيجة تذكر، وشـرعت في البكاء. كانت أمها قد كتبت تقول: «لابد أنك تحسـين بالضجر الشـديد هناك وبأنك لا تنتمين إلى ذلـك المـكان! وعلى الرغم من ذلك، فإننـي أرجو أن تتحملي وقتاً أطـول قليلاً!» فكتبت تقول في معرض الرد: «لماذا ينبغي أن أحس بالضجر؟ المكان هنا جميل.

«سيكون بهجة خالصة لي، ولا شيء غير ذلك، لو أنني أعرف

أن المكان الذي أنافيه الآن ليس في الدنيا على الإطلاق».[1]

حيـال هذه الأبيات، التي تشـبه كثيراً مـا يصدر عن فتاة في مقتبل العمـر، انفجرت أمها باكية. كان أمراً صعباً إرسالها بعيداً على هذا النحو وجعلها تعيسة كذلك.

فردت تقول:

«انشدى مكاناً نائياً عن هذه الدنيا المحزنة،

غير أني سأظل أتمنى لك التكريم والمديح المنصف».

منحهما هذا التبادل للمشاعر الحميمية تماماً الشعور بالارتياح.

غالباً ما كان القائد يرقد في الليل مسهداً، كما هو المعتاد بالنسبة له مع دنو الخريف من نهايته، وقد أفعم بالخواطر الحزينة عن تلك التي لم يسـتطع نسـيانها قط، ومن هنا فإن خبر الانتهاء من بناء المعبد قد دفعه إلى المسـارعة إلى شـد الرحال بنفسه إلى أوجي. ولم يكن

(1) شويشو 506: «لشد ما أتوق إلى مكان ليس في الدنيا على الإطلاق لأحجب فيه السنين العديدة التي تثقل كاهلي».

قد مضى إلى هناك منذ وقت طويل للغاية حتى إن أوراق الشجر الملونة على التلال بدت أعجوبة بالنسبة له. كانت الدار الرئيسية، التي هُدمت في بداية الأمر، قد شيدت من جديد. وتذكر على أي نحو متقشف كان سعادة الأمير الراحل قد عاش هناك، وافتقده بما يكفي ليتمنى لو أنه لم يكن قد بدَّل شيئاً في المكان. وقد تركه هذا في مزاج يغلب عليه التأمل أكثر من أي وقت مضى. وكانت قطع الأثاث الأصلية المتقشفة تماماً وكذلك القطع الأكثر تألقاً والتي يغلب عليها الطابع النسائي وكلها من النوع غير المألوف من القسم الخاص بالأختين في الدار، قد نُقلت لخدمة مساكن الرهبان جنباً إلى جنب مع الأشياء المتعددة ذات الطابع العملي بصورة أكبر مثل الستائر المتخذة من سعف النخيل، وكان قد أمر بإعداد قطع أثاث جديدة على نحو جميل بأسلوب يناسب دارة جبلية، والآن وقد وضعت في مكانها، فقد بدت الدار بديعة ومتألقة للغاية.

اقتعد صخرة إلى جوار غدير الحديقة وتنهد:

«لم لا يحتفظ هذا الغدير الصافي المتدفق دوماً

بالصورة العابرة لوجوه غالية رحلت منذ وقت طويل؟».

جفَّف دموعه، ومضى لتجاذب أطراف الحديث مع الراهبة بن. وبدا عليها بدورها لدى رؤية أساه البادي للعيان كأنها ستنخرط في البكاء. جلس لبعض الوقت مستنداً إلى الأسكفة، وتحدثا وقد رفعت حافة الستارة الحاجبة بينهما. وظلت بن بعيدة عن مرآه وراء ستارة قائمة.

قال، عندما أتاح له الحوار فرصة لطرح الموضوع: «نما إلى علمي أن شابة تعرفينها قد أقامت في دار معالي وزير الحرب أخيراً. وقد أحسست بارتباك بالغ لم يسمح لي بالذهاب لزيارتها هناك. فواصلي نقل رسائلي، لطفاً!».

ردت بن قائلة: «وصلتني رسالة من أمها أخيراً، ويبدو أنها كانت تنقلها إلى هنا وهناك بسبب تحريم للاتجاه. وقد كانت المسكينة محتجبة أخيراً في دار صغيرة غريبة. وكان يمكن أن تحضرها إلى هنا، حيث تشعر بأنها ستكون بأمان تماماً، لو أن المكان أقرب قليلاً، ولكن الدروب الجبلية المنحدرة في الطريق جعلتها تحجم عن ذلك. وذلك هو ما

كتبته لي».

«الناس يخشـون دوماً تلك الدروب الجبلية، ولكنني لا أمل الحضور إلى هنا! ويغلب علـيَّ التأثر عندما أفكر في أي نوعية من الروابط من الماضي يمكن أن تفسـر ذلك». وكما هي الحال غالباً لمعت الدموع في عينيه. واصل حديثه: «حسناً إذاً، أرجو أن تتصلي بها في ملاذها. هل تعتزمين الذهاب إلى هناك بنفسك؟».

«يمكنني فـي يسـر أن أبعث إليها برسـالة منك هنـاك، ولكنني متـرددة تمامـاً في رؤية المدينة، بل إنني لا أذهب قط لزيارة دار معاليه».

«لكن لماذا؟ سـيكون أمراً طيباً للغاية إذا كان من المحتمل أن رحلتك سـتجعل الناس يشـرعون في الحديث، ولكن من المؤكد أنـه حتى رجال الدين في جبل أتاجو[1] يغادرونه بيـن الحيـن والآخر. إن مـا هو مقدس هـو التخلي عن التزام كبير لمسـاعدة إنسـان عادي حقاً».

«إنقاذ شـخص آخـر هو عبء ثقيل بالنسـبة لـي، وبالإضافة إلى ذلك فمـن المؤكد أنه ستكون هناك ثرثرة مقيتة».

«لكن هذا وقت مناسـب!». بدا مصراً على نحو غير مألوف. ابتسم وهو يقول: «لسوف أرسل إليك عربة بعد الغد. لابد لك من اكتشاف أين هي على وجه الدقة. وأعدك بألا أسيئ التصرف».

حدَّثـت نفسـها قائلة: الأمر لا يـروق لي. ما الذي يعتزمه؟ ومع ذلـك فإنه ليس بالرجل الـذي يقـوم بأي شـيء مندفع أو لم يمعـن التفكير فيـه، وكانت تعرف أنه سـيكون حريصاً من أجلها أيضاً، فقالت: «حسـناً، لسـوف أقوم بذلك. وهي فيما يبدو ليست بعيدة عن مقر إقامتـك. لكنهـا ينبغـي أن تتلقى رسـالة منـك أولاً، وإلا فإنها إذا تلقت الانطبـاع بأنني من بدأت كل هذا، فإنها قد تعتقد أنني خاطبة إيجا[2] الفضولية العجوز، ولست أريد ذلك».

---

(1) جبل (3049 قدماً) يقع إلى الجنوب الغربي مباشرة من كيوتو، وليس من الواضح ما إذا كان «رجال الدين» في الأصل قد قُصد أن يكونوا في صيغة المفرد أو الجمع.

(2) إيجا هي مقاطعة في وسط اليابان، ولكن ليس من الواضح حقاً ما الذي تعنيه «إيجا تومي». والخاطبة العجوز هو التفسير الذي قدَّمه الباحث المنتمي إلى القرن الثامن عشر موتوري نوريناجا.

«الرسالة سهلة، ولكن المشكلة هي في الطريقة التي يثرثر الناس بها، وبقدر علمي فإنهم قد يخلصون إلى أن قائد الميمنة يتطلع الآن إلى الزواج من ابنة حاكم هيتاشي. وأنا أدرك أن الرجل يحب فرض نفسه». تعاطفت معه بن بابتسامة مريرة.

انصرف عند حلول الظلام. وفي الطريق أمر بجمع أوراق الخريف وزهور الغابات، لكي يستطيع تقديمها إلى زوجة معاليه. وقد كان بارعاً تماماً في مثل هذه الأمور، ولكنها عاملته بتحفظ رسمي، ولا يبدو أنهما كانا مقربين كثيراً أحدهما من الآخر. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان يحترمها أشد الاحترام، حيث إن جلالة الامبراطور كان قد تحدث مع سمو الأميرة المترهبنة حول هذا الأمر، كما كان حرياً بأي أب أن يفعل. وجعل الأمور صعبة بالنسبة له أن تكون لديه مشاغل كثيرة معقدة، وفوق هذا كله كان عليه إرضاء هذين الاثنين.

في وقت مبكر من اليوم المتفق عليه، بعث بتابع شاب أثير لديه وبحوذي اختير لأنه ما من أحد يعرفه. وقال: «عليكما باستدعاء بعض الريفيين من ضياعي لزيادة المرافقين للعربة!».

استعدت الراهبة، واستقلت العربة، على الرغم من ترددها الشديد، ذلك أنه كان قد أبلغها بأنها لابد لها من الذهاب. وأعادت مشاهدة التلال والسبخات إلى ذهنها كل أنواع الذكريات القديمة، ووصلت في نهاية نهار أمضته غارقة في التفكير. وجُذبت عربتها إلى بقعة مهجورة تماماً، وأعلنت قدومها على لسان الرجل الذي أرشدها إلى الدار. وأقبل شاب كان في رحلة الحج إلى هاتسوسي، وساعدها على الترجل من العربة.

بعد أيام وليال كئيبة في هذا المكان المحزن، ابتهجت الشابة التي كانت قد جاءت لرؤيتها لوصول من يمكنها أن تتحدث معها عن الماضي، ودعتها مسرعة إلى الدخول، ففي نهاية المطاف كانت الراهبة قد خدمت أباها، ولم يخالجها شك في أنهما سرعان ما ستكونان مقربتين إحداهما من الأخرى. استهلت الراهبة حديثها قائلة: «لقد قدرت كثيراً ذكرى لقائنا الأول، ولم تغيبي عن بالي قط. ولكنني لا أزور سعادة الأميرة منذ نبذي للدنيا. وعلى الرغم من ذلك فقد أمر القائد بإلحاح شديد على أن أحسم أمري على المجيء، في نهاية المطاف». أحست الشابة ومربيتها اللتان أثّرت فيهما كثيراً بالامتنان إزاء هذا الدليل

على عدم نسيانه، ولكنهما مع ذلك دهشتا لسرعة مبادرته.

لم يكن المساء قد اتهى عندما أعلن طرق حذر على البوابة وصول مبعوث من أوجي. تشككت بن فيمن عساه يكون، ولكنها على الرغم من ذلك أمرت بفتح البوابة. ولدهشة الجميع تم اقتياد عربة إلى الداخل.

«أود أن أحادث سيدتي الراهبة». كان الرجل قد تلقى تعليمات بأن يُعرِّف بنفسه باعتباره المشرف على إحدى ضياع القائد القريبة. انزلقت بن خارجة إلى الدهليز. كان مطر خفيف ينهمر ورياح جليدية تهب دافعة إلى الداخل قطرات من المطر وعبقاً جميلاً على نحو يفوق الوصف. آه، لقد كان «هو». كانت هيئته تجعل قلب أي فتاة يدق سريعاً. وأحسسن بأنهن غير متأهبات لاستقباله، وفي حقيقة الأمر أن وصوله لم يكن متوقعاً بالمرة إلى درجة أنهن شعرن بالضيق. ومضت إحداهن تسأل الأخرى: «ما الذي يجري؟».

«جئت لأحدثك، من دون إزعاج، بكل المشاعر التي أفعمت فؤادي على امتداد شهور». كانت تلك هي الرسالة التي حملها للراهبة لتبلغها بها.

ما الذي يمكن أن أقوله له؟ بدا جلياً أن الحيرة تسيطر على الشابة، فأشفقت مربيتها عليها. وقالت: «الآن وقد أقبل، فليس من الممكن إبعاده على ذلك النحو مجدداً. لسوف أبلغ أمك سراً، والمسافة قصيرة، كما تعلمين».

اعترضت بن قائلة: «هذا سخف! لماذا تقومين بذلك؟ لا لشيء إلا لأن شابين يريدان تجاذب أطراف الحديث، ذلك لا يعني أنهما على حين غرة سيصبح أحدهما كل شيء بالنسبة للآخر! إن سعادته رجل صبور وواع على نحو فائق، ولن يتصرف إلا في حدود ما يُسمح له به».

في غضون ذلك، اشتد هطول المطر إلى حد ما، والتفت السماء بالظلام. ومضى الحراس في نوباتهم، وأحدهم ينادي الآخر بلكناتهم الغريبة.

«السور انهار هناك إلى الجنوب الشرقي.. وهي بقعة ينبغي مراقبتها».

«إذا كنا سندخل تلك العربة، فدعونا نفعل ذلك ونغلق البوابة!».

«الرجال الذين قدموا بصحبة الزائر في غاية البطء».

بدا هذا كله للقائد غريباً تماماً ومثيراً للإزعاج إلى حد كبير، فجلس عند نهاية الشرفة الريفية، وهو يدندن: «ليست هناك دار واحدة عند مخاضة سانو!»[1].

«هل الأعشاب كثيفة حتى لتسد بوابتك، أيها الكوخ الشرقي،

انتظرت طويلاً، فيما المطر المتدفق ينهمر!»[2].

حملت النُسيمات التي أحدثها فيما هو يزيح قطرات الندى عبقاً نفاذاً لابد أنه قد أدهش الريفيات القادمات من الشرق.

لم يكن بالإمكان إبعاده بالتعلل بالأعذار، ومن ثم فقد سمحن له بالدخول، بعد إعداد مقعد في الدهليز الجنوبي. وعندما تبين لهن أن سيدتهن مترددة في استقباله، جعلنها تتقدم نحوه، ثم فتحن قليلاً الباب المنزلق الموصد. أعرب عن شكواه قائلاً: «إني أستهجن نجار هايدا الذي صنع هذا الباب. ولم يحدث من قبل قط أن جلست إلى الجانب الخطأ على هذا النحو»[3] ثم على نحو ما دلف إلى الداخل. لم يأت على ذكر السعي إلى صورة دمية سيدة أخرى قط. وإنما قال فحسب: «لقد أردتك منذ لمحتك، لدهشتي، عبر شق في باب. ولابد أن هذا من عمل القدر، إنه لأمر مدهش أنك تعنين لي الكثير على هذا النحو!». يبدو أن هذه هي نوعية الأشياء التي حدَّثها بها. كانت لطيفة ورقيقة للغاية إلى حد أنه تأثَّر بعمق ووجدها جديرة تماماً بالاهتمام بها.

سرعان ما ساد الشعور كما لو أن الفجر قد أطل، لكنه ما من ديك تردد صياحه، وتعالت في الجادة القريبة كل أنواع الأصوات المتشدقة، طارحة أموراً لم تعن له شيئاً. بدا أصحابها له كالشياطين، وهم يحملون أغراضهم على رؤوسهم بتلك الطريقة في الضوء الأول للفجر، ولكن جدة ليلة قُضيت وسط هذه الأعشاب كانت بهيجة أيضاً.

---

(1) مانيوشو 267، من نظم ناجانو إيميكي أوكيمارو: «ياللحسرة، حيث يهمي المطر الآن، بينما في رأس ميوا ليس هناك دار واحدة عند مخاضة سانو!».

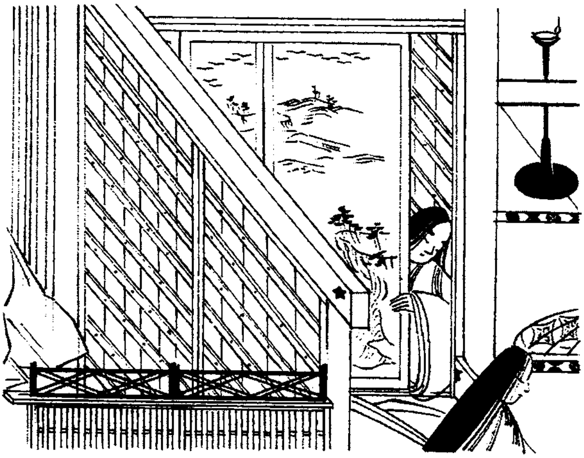
(2) تتضمن قصيدة كاورو كلمات وعبارات من أغنية سايبارا بعنوان «الكوخ الشرقي».

(3) كان من المعتقد أن أفضل النجارين يقبلون من مقاطعة هايدا، في جبل وسط اليابان. ولم يكن هناك عادة باب خشبي منزلق (ياريدو) بين الغرفة والدهليز.

تناهت أصوات حراس يفتحون البوابة ويغادرون المكان، وعندما سمع الرجال الآخرين يدخلون ويرقدون، دعا بعربته عند الباب المزدوج، ثم رفعها ووضعها فيها، فذهلت النسوة القائمات على خدمتها، فقد كان هذا كله مفاجئاً تماماً، وأبدين احتجاجهن: «لكن، يا مولاي، هذا هو الشهر التاسع![1] هذا ليس صواباً! ما الذي تفعله؟».

لم تكن الراهبة بن قد توقعت هذا، وأحست بالضيق الشديد، ولكنها بذلت قصارى جهدها لتهدئتها، فقالت: «من الواضح أن سعادته لديه خططه الخاصة. أرجو ألا تنزعجي. سواء أكان هذا هو الشهر التاسع أو لم يكن، فإن الغد فيما يتناهى إليَّ هو يوم الاعتدال الخريفي[2]. كان هذا اليوم هو الثالث عشر من الشهر.

أبلغته بقولها: «لا يمكنني القدوم معك الآن. فقد تعلم سعادة الأميرة بأنني كنت في المدينة، وسيكون من غير الحصافة من جانبي أن أعود مجدداً من دون إبلاغها».



باب منزلق

قال القائد مصراً، وقد أحرجه التفكير في قيام أي أحد بإبلاغ سعادتها بالأمر عاجلاً: «أفضل أن تقدمي اعتذاراتك في وقت لاحق. وفضلاً عن ذلك فإنني سأحتاج إلى مساعدتك عندما نصل إلى هناك».

أضاف: «هل يجيء أحد آخر أيضاً لطفاً؟». صعدت الراهبة إلى العربة مع جيجو، التي كانت مقربة من سيدتها بصفة خاصة. وبقيت المربية، والفتاة التابعة التي كانت قد جاءت مع بن والأخريات وقد غمرهن الذهول.

(1) شهر غير مناسب للزواج.

(2) بتعبير آخر، فإنه اليوم الأول من فصل الشتاء. وإذا كان ذلك صحيحاً (وهو أمر ممكن في التقويم القمري)، فإن هذا يمكن أن يجعل اللحظة أقل إيغالاً في طابعها غير المناسب للزواج.

افترضـت بـن أن المسـافة التي يتعين عليهم قطعها ليسـت طويلة، ولكـن تبين أنهم في الطريـق إلى أوجـي. وكان القائد قد أعد كل شـيء لتغييـر الثيران. ومع بـزوغ الفجر كانوا قـد غـادروا ضفة نهر كامو، وصـولا إلى هوشـوجي[1]. والآن وقد غدا بمقـدور جيجو أن تتبينه قليلاً فقد نسيت كل مقتضيات الأخلاق الحميدة، واستسلمت لدهشة مفعمة بالحنين والنشوة.

رقدت الشابة نفسها مشيحة بوجهها، وقد أصابتها الصدمة بالدوار. قال وهو يحتضنها: «الأماكن الصخرية وعرة جداً». إنسـدل ثوب طويل من الحرير ليقسـم العربة[2]، وقد تألق في ضوء الشمس البازغة، وأحست الراهبة على نحو مفعم بالعذاب بأنها في غير موضعها. ومضـت تحدِّث نفسـها في حـزن: آه، إنهـا الابنة الكبرى لسـعادة الأمير الراحـل هي التي كان ينبغـي أن أراهـا على هذا النحو مـع القائد! يالها من مفاجآت غريبـة تلك التي تجلبها الشيخوخة! تغضَّن وجهها، وعلى الرغم من أنها بذلت قصارى جهودها إلا أنها انخرطت في البكاء. أما جيجو القاسـية فقد حسـبتها فظيعة للغاية. وحدَّثت نفسها: إنها لا تنتمي إلى هنا على أي حال في مسـتهل زواج! ما شـأنها لكي تغمغم على ذلـك النحو؟ واعتبرت أن من المسلم به أن كبار السن يميلون إلى البكاء.

حظـي القائد بالشـابة الآن، ومن المؤكد أنه وجدها جميلة جـداً، ولكن تحت مثل هذه الماء لم يزدد احساسـه بالفقدان إلا تراكماً، وكلما أوغلوا في التلال، بدا أن السُـدم تنهض أشـد كثافـة من حولـه. وتدلت أكمامه من العربة فيما هو يسـتند إلى مسـند للـذراع، غارقاً فـي التفكيـر، أحدها على الآخر، مبتلة بسُـدم النهر، وبدا لون الرداء القرمزي غير مناسـب قبالـة زرقة بتلات العباءة[3]. وقد لاحظها عند قمـة منحدر فاجتذبها للداخل، وغمضم بلا وعي:

«الآن وقد حظيت بها، لإبقاء تلك الذكرى متجدِّدة، لشد ما يستقر ندى الصباح
في قطرات منهمرة سريعاً على هذه الأكمام المبتلة حزناً!».

---

(1) معبد شيده فوجيوارا نو تاداهيرا في عام 925 في موقع توفوكوجي الحالي، إلى الشرق من نهر كامو، وعلى مبعدة يسيرة إلى الجنوب من المدينة.
(2) يقسم العربة إلى مقطورة أمامية مخصصة لكارو وأوكيفوني ومقطورة خلفية لبن وجيجو.
(3) يوحي اللونان معاً ب«فوتاي» (لون بنفسجي أو رمادي - أزرق) وهو ما يذكر كاورو بالحداد.

عنـد هـذا أغرقـت الراهبة كميهـا بمزيد من الدمـوع، الأمر الـذي أثار اشـمئزاز جيجو واسـتياءها، حيث بدا لها أن رحلتها السـعيدة قد اتخذت طابعاً مقيتاً تماماً. ودفع شهيق بن المكتوم القائد إلى البكاء في هدوء بدوره.

دفعه الحرص على مشـاعر الشـابة التي ترقد إلى جواره إلى أن يشـير بقوله: «يحزنني، علـى نحو ما، التفكيـر في المرات العديدة التي سـلكت فيها هذا الدرب على مر السـنين. إجلسي قليلاً، وتأملي الألوان على التلال. إنك شديدة الصمت!». وجعلها تجلس، وبدت له الطريقة التي تطلعت بها في حياء، وقد احتجب محياها على نحو جميل وراء المروحة، مماثلة على نحو ملحوظ لأختها، باستثناء أنها بدت معتدلة وضعيفة، على نحو يدعو للقلق الشـديد. وقد كانـت لمحبوبته المفقودة طبيعتهـا الطفولية بدورها، ولكن لشـدّ ما تمتعت بعمق التفكير! بدا أن حزنه، الذي لـم يعرف له منصرفاً، قادراً على أن يملأ سـماوات رحبة خاوية[1].

حدَّث نفسـه لدى وصولهـم: آه، ربما لاتزال روحها تحوم هاهنـا، وتراقبني! خطأ مني إذاً أننـي لا أزال أمضي ضائعاً جيئة وذهاباً علـى هذا النحو؟ بعد الترجل من العربة حرص علـى التأكـد من أنها مرتاحة قبل أن يمضي إلى مكان آخر. كان لطيفاً للغاية، وتحدَّث معها برقة بالغة، حتى إنها على الرغم من تنهداتها المريرة حيال ما سـتفكر فيه أمها، اسـتجمعت الشـجاعة للنزول من العربة كذلك. وحرصت الراهبة على ألا تترجل من العربة في البقعة ذاتهـا، وإنمـا أمـرت بدفعها إلى رواقها، وهـو ما رأى فيـه القائد حرصاً زائـداً في مكان لا يقتضي حقاً مثل هذه الدقة والمراعاة.

واستدعى من ضياعه، كالمعتاد، حشداً كبيراً من الرجال. وقدمت الراهبة وجبة الشابة. وكانـت الرحلـة قد مضت بهم عبـر غابات كثيفة وكئيبة. ولكن ها هنا كان كل شـيء متألقاً ورحباً. وبعد تلك الأيام التي أمضتها في عزلة كئيبة، اسـتمتعت بمشـاهدة كيف أن تصميم الـدار والأراضـي المحيطة به قد اسـتفاد من ميـزة الموقـع القريب من ضفة النهـر وألوان التلال، ولكنها كانت لاتزال تتساءل في عصبية عما يعتزم أنه يفعله بها.

(1) كوكينشو 488: «يبدو أن حبي يملأ السماوات الرحبة الخاوية، رغم أنني أسعى لكبح جماحه، غير أنه لا مجال آخر أمامه».

بعث برسائل إلى المدينة. «كنت قد تركت زخارف المذبح من دون أن تكتمل، ولذا سارعت بالقدوم إلى هنا اليوم، حيث إنه يوم مبشر بالخير. غير أنني الآن أحس بالتوعك، وقد تذكرت أيضاً أنني ينبغي أن أعتكف. وسوف أحرص على البقاء هنا اليوم وغداً». هكذا كتب، بشكل أو بآخر، لأمه ولزوجته سعادة الأميرة.

كان الحياء يلفها عندما أقبل وقد بدا أفضل حالاً في زيه غير الرسمي، ولكنها جلست هناك من دون أن تحس بأي احتياج إلى حجب محياها. كانت الأثواب ذات البطانات الملونة التي ارتدتها هي تلك التي اعتقدت أنها تناسبها، ولكنها كانت توحي بلمسة ريفية، وكان كل ما استطاع التفكير فيه هو البهاء النبيل الذي كانت «هي» تتمتع به آنذاك، في تلك الثياب الرقيقة على نحو مريح التي كانت ترتديها. غير أنه كان بمقدوره أن يُقدِّر الانسياب الجميل والطرف المشذب على نحو بديع لشعرها. كانت سعادة الأميرة تتمتع بشعر جميل بصفة خاصة، ولكن هذا الشعر كان على القدر نفسه من الجمال. راح يتساءل: على الرغم من ذلك ماذا عساي أفعل بها؟ لست أحب تصوَّر كيف سيتحدث الناس إذا قدرتها كثيراً ومضيت بها إلى سانجو[1]، ولكنني في الوقت نفسه لست أرغب في أن أعاملها باعتبارها لا تعدو أن تكون مجرد وصيفة أخرى. لا، لابد لي من أن أبقيها هنا محتجبة عن العيون لبعض الوقت. وبحكم التعاطف معها ومع وحدتها في غيابه أمضى بقية اليوم معها في حديث حميمي. وتناول سريعاً موضوع سعادة الأمير الراحل، وحدَّثها بكل الأمور الطريفة عن تلك الأيام، ولكنها ظلت خجولاً على نحو يائس للغاية، وغير مستجيبة بفعل الحياء الشديد، بحيث إنه أحس بخيبة الأمل. ومضى يحدِّث نفسه معيداً النظر: لا بأس، من الأفضل أن أحظى بها وهي غير مصقولة بهذه الطريقة. لابد لي من تعليمها الكثير من الأمور. وهي لن تكون بديلة لها لو أنها كانت تحب الاستعراض شأن الريفيات، ولو كانت فظة وتتحدث بسرعة كبيرة.

دعا بآلتي الكين والسو نو كوتو، اللتين كانتا في الدار. ياللحسرة، لم يظن للحظة أن بمقدورها أن تعزف عليهما، ومن ثم فقد دوزنهما بنفسه. وقد دُهش هو نفسه للمس مثل هذه الآلات الموسيقية هنا، حيث لم يقم بذلك منذ دهور، ليس منذ وفاة سعادة الأمير

---

(1) باعتبارها زوجة.

الراحل. بزغ القمر، فيما كان يتلاعب في شجن بالأوتار. وكان عزف سعادته على الكين، على الرغم من أنه لم يكن قوياً قط، إلا أنه كان على الدوام جميلاً للغاية ومؤثراً في النفس بعمق! عاد ذلك إلى ذاكرته الآن، فمضى قائلاً: «كان حرياً بك أن تتمتعي بقليل من العمق الإضافي بدورك لو أنك نشأت هنا بينما كانا لا يزالان على قيد الحياة. وحتى أنا الذي لا يعد من الأقارب أتذكر سعادته بكثير من الحب. لماذا كان عليك أن تمضي كل هذه السنين في مكان كهذا؟».

كان ملمحها الجانبي، وهي راقدة إلى جواره، وقد استبدَّ بها الحرج ومضت تتلمس بأصابعها مروحتها، شديد البياض في ذاته، وأعادت الخطوط البديعة لشعرها أختها إلى ذهنه على نحو بالغ الإيلام. فحدَّث نفسه: نعم، لابد لي أن أغرس في نفسها تذوق مثل هذه الموسيقى. وسألها: «هل عزفت يوماً على آلة موسيقية كهذه ولو قليلاً؟ آه، يا عزيزتي.. تلك الكوتو[1] هي التي كان ينبغي أن تتعلميها».

ردَّت قائلة: «كيف كان يمكنني ذلك فيما لم أتعلم حديث ياماتو على النحو الصحيح؟»[2] لم تكن مفتقرة إلى اللماحية. كان بوسعه إدراك ذلك. وقد أدرك أيضاً أنه سيكون مؤلماً بالنسبة له أيضاً أن يتركها هنا وحدها وألا يكون قادراً على المجيء حسبما طاب له. نعم، من المؤكد أن مشاعر قوية قد ساورته نحوها.

نحَّى عنه آلته الموسيقية. ومضى يغني: «على شرفة ملك السو، موسيقى كين مسائية»[3] وتأثَّرت جيجو التي كانت تصغي، والتي لم تعرف إلا رجالاً يرمون النبال، أشد التأثر. وبالفعل فإن إعجابها لم يكن في موضعه لأن لون المروحة لم يعن شيئاً لها، فهي لم تكن تعرف القصة[4]. وحدَّث القائد نفسه: كل شيء على مايرام ولكن لم غنيت هذه الأبيات؟

---

(1) الواجون، المعروفة أيضاً باسم أزوما - جوتو («الكوتو الشرقية»). ويبدو أن «آه، يا عزيزتي!» (أويري واجا تسومي) تدليل لها، مستمد من الكلمات الأخيرة في أغنية السايبارا «الكوخ الشرقي».

(2) تلاعب بالكلمات. «كيف لي أن أعرف كيفية العزف على الكوتو الشرقية، فيما لم أتعلم يا ماتو كوتوبا [«لسان ياماتو»] بشكل سليم؟». ولسان ياماتو هو لغة البلاط، أي اليابانية السليمة، وليس لهجة كالتي يتحدثها أبناء شرقي اليابان.

(3) من بيتين باللغة الصينية، وكان روي شو 380، من نظم ميناموتو نو شيتاجو: «في غرفة النبيلة بان، بياض مروحة خريفية. على شرفة ملك السو، موسيقى كين مسائية».

(4) يستحضر البيتان القصة الحزينة للنبيلة هان (بان باللغة الصينية) التي تخلى عنها ملك السو (التشو باللغة الصينية)

وصلت المقبلات والمرطبات من عند الراهبة. وقد وضعت أوراق أشجار ملونة ومزوع لبلاب وما إلى ذلك مرتبة بصورة جميلة على غطاء صندوق، وكشف سنا القمر المتألق عن أن الورقة التي استقرت عليها كانت تحمل ضربات فرشاة قوية[1]. وجعله إسراعه بالمبادرة لقراءتها عندما لاحظها يبدو جائعاً بصورة غير مألوفة.

كانت قد كتبت بخط عتيق الطراز:

«تغير لون اللبلاب، الآن وقد حل الخريف،

مع ذلك يواصل الماضي الحياة في ألق البدر!»[2]

رد، وقد تأثَّر واعتراه بعض الخجل:

«يعني اسم هذا المكان ما عناه دوماً، لكن الحب الذي عرفته

اتخذ محياً آخر في سنا بدر غرفتك»[3].

لم يكن مقصوداً بها أن تكون رداً، ولكنهم يقولون إن جيجو قد مضت بها إلى الراهبة.

مثلما مروحة صينية في الخريف. وهي لكي تلطف من ألسنة لهيب الجرح والغيرة أمرت بالتهوية عليها بمروحة بيضاء كبيرة، ومروحة أوكيفوني بدورها بيضاء. وهي ليست بشير خير، ومن هنا يجيء استياء كاورو في الجملة التالية.

(1) الكتابة السميكة يفترض أنها من سمات امرأة عجوز مثل بن.

(2) يشير «تغير اللون» إلى انتقال إحساس كاورو من أويجيمي إلى أوكيفوني، ويشير القمر إلى كاورو نفسه. وهناك تلاعب بكلمة «سوميرو» («يتألق» و«يحيا»).

(3) «اسم هذا المكان» هو أوجي، الذي يعني بحسب تلاعب تقليدي بالكلمة أيضاً «مقيت» بالنسبة لشخص عقد العزم على التخلي والتنكر والهجران. وبتعبير آخر فإن «العالم لا يزال مقيتاً بالنسبة لي على نحو ما كان دوماً..».

51

أوكيفوني

قارب منجرف

تشـير أوكيفوني («قـارب منجرف» أو قـارب يمضي منجرفاً) إلى تشبيه أوكيفوني لنفسها في قصيدتها التي ردت بها على نيئو، فيما هما يعبران نهر أوجي معاً في هذا الفصل:

«قد لا يتغير اللون الباقي لجزيرة شجر البرتقال،

غير أنه ما من أحد يعرف إلام يمضي هذا القارب المنجرف».

الصلة بالفصول السابقة

تبدأ أحداث «قارب منجرف» حيث تنتهي أحداث «الكوخ الشرقي» و«اللبلاب»، وتغطي بداية العام والسابع والعشرين من عمر كاورو.

الشخوص

القائد، 27 عاماً (كاورو).

معالي وزير الحرب، 28 عاماً (نيئو).

سعادة الأميرة، زوجة معالي وزير الحرب، 27 عاماً (ناكا نوكيمي).

شابة، أختها غير الشقيقة، حوالي 22 عاماً (أوكيفوني).

فتاة تابعة لناكا نوكيمي.

شوشو، وصيفة ناكا نوكيمي.

الكاتب الرئيسي ونائب مفوض شؤون المراسم، سعادة ميتشيسادا، تابع نيئو.

ناكانوبو، والد زوجة الكاتب الرئيسي وتابع كاورو.

توكيكاتا، نائب حاكم إيزومو وتابع نيئو.

أوكون، وصيفة أوكيفوني.

جيجو، وصيفة أوكيفوني.

مربية أوكيفوني، ناني.

والدة أوكيفوني، زوجة حاكم هيتاشي (تشوجو نوكيمي).

بن، راهبة في أوجي (بن نو أما).

مبعوث كاورو، أحد مرافقيه.

مبعوث نيئو.

معالي وزير الميمنة، 53 عاماً (يوجيري).

مسؤول في القصر.

لم ينسَ معالي وزير الحرب ذلك اللقاء، الذي لفَّه الغسق على وجه التقريب قط. وراح يحدِّث نفسه: لم تبد سيدة أي لحظة عظيمة، ولكنها في ذاتها كانت بالتأكيد جميلة للغاية، ومضى يفرك يديه غيظاً، هو المتودد للنساء، الذي لا سبيل إلى أن يبرأ مما هو فيه، حيال ذلك الإحباط لرغبته.

أبدى شكواه ساخراً: «يا لها من ضجة ستثيرينها حول شيء صغير كذاك! ما كنت لأعتقد أنك تقدمين على ذلك!». فكَّرت سعادة الأميرة في غمار استيائها في أن تروي له القصة بأسرها، ولكنها ما لبثت أن عدلت عن ذلك. وحدَّثت نفسها، قائلة: لا شك في أنه «هو» لم يمنحها الاستقبال الأكثر رقياً[1]، ولكنه مرتبط بها بما يكفي لإبقائها لنفسه محتجبة بعيداً، وإذا أبلغت معاليه بأمرها، فليس بمقدوري تصوره وهو يدع الأمر يمضي وينقضي، فهو عنيد للغاية. وقد تسبب لكل النساء هنا - كل امرأة راقت له على الإطلاق- في الإساءة المتمثلة في متابعتها وصولاً إلى دارها، وفي حالتها فإنه من المؤكد أن يأتي شيئاً فظيعاً إن عاجلاً أو آجلاً، أخذاً في الاعتبار المدى الزمني لافتتانه بها. وإذا علم بالخبر المتعلق بها من شخص آخر، فإن النتيجة يمكن أن تكون كارثة بالنسبة لكليهما، ولكنه لا مجال لردعه، ولن يؤدي كونها إحدى القريبات إلا إلى جعل الأمر أكثر سوءاً. لا، لن أجعل الأمور تتردى من خلال خطأ أقع فيه. ومن هنا فإنها أحجمت مترددة عن إبلاغه أي شيء، وبما أنها لم تكن ممن يعمدن إلى الخداع، فقد عاشت حياتها كما يمكن أن تعيشها أي امرأة أخرى تغار في صمت.

في غضون ذلك، أبقى القائد على موقف متمهل بصورة ملحوظة للغاية. وقد أثار ألمه بصفة خاصة تصورها وهي تتطلع إلى قدومه، ولكن وضعه لم يكن يسمح له بحرية الاختيار إلا في أضيق الحدود، وفي غياب أي سبب معقول للقيام بالرحلة، كان من الأكثر صعوبة عليه أن يشد الرحال لإنجازها مما لو كانت الآلهة نفسها قد حظرتها[2]. وعلى الرغم من ذلك، فقد راح يؤكِّد لنفسه: لسوف أعنى بها على النحو اللائق. وستكون مصدر عزائي في تلك القرية الجبلية، لقد قررت ذلك، ولابد لي من انتحال مهام تسمح لي بقضاء

(1) لم يعترف كاورو بأوكيفوني زوجة له.

(2) آيسي مونوجاتري 131 (القسم 71): «إذا كنت تحبني، فتعال إليَّ - الرحلة ليست بالتي تحظرها الآلهة عليك».

العديد من الأيام الهانئة معها هناك. نعم، الآن وقد جعلتها تقيم حيث لا يمكن لأحد آخر أن يجدها، فلست بحاجة إلا إلى اقناعها بأن كل ذلك هو أفضل الأوضاع، وبتلك الطريقة فإنه ما من أحد سيقول أي شيء ضدي. والحذر هو الأمر المهم، فأنا أكره أن يعتقد الناس أن الأمر حدث على حين غرة، وأن يتساءلوا من عساها تكون ومتى بدأ الأمر كله، لن يكون ذلك هو ما أنشده. وبالإضافة إلى ذلك، فإنني لا أود أن أتصور كيف ستكون مشاعر السيدة المقيمة في دار معاليه عندما تكتشف الأمر، لسوف يبدو أنني تخليت للأبد عن المكان الذي عرفت فيه أختها الكبرى، وأنني نسيت الماضي تماماً. ربما كان كالمعتاد غير مبال كلية. ومع ذلك فقد أعد خططاً لإحضار الشابة إلى المدينة، وأمر سراً بإنجاز أعمال البناء الضرورية.

دُهشت وصيفات سعادة الأميرة كثيراً، إذ واصل القيام على رعايتها بالاخلاص نفسه كذي قبل، وذلك على الرغم من أنه كان مشغولاً إلى حد كبير بالكثير من الأمور. وكانت قد توصلت إلى معرفة أمور الدنيا على نحو أفضل كثيراً، وكلما رأته وسمعت عنه أكثر ازداد إعجابها بولائه الشديد للماضي، الذي بدا لها الآن نموذجاً للإخلاص لذكرى عزيزة على القلب. ولكن بينما أضفى العمر عليه جدارة شخصية وتقديراً عاماً متزايدين، فإن ضلال زوجها غالباً ما جعلها تندهش حيال مسارات القدر الغريبة. لماذا انتهى بها المطاف ليس على نحو ما تمنته أختها على الإطلاق وإنما مستسلمة لهذه المتاعب والهموم؟

مع ذلك، فإنه لم يكن بمقدورها استقبال القائد كثيراً. وقد انقضت شهور وسنون كثيرة للغاية بين ما هو قائم الآن وما كان قبلاً، وبالنسبة لمن لا يعرف ما الذي كان يعنيه بالنسبة لها فإنها ربما تبدو امرأة تنتمي إلى العامة تماماً لإبقائها على صداقة بعد بها العهد على هذا النحو، وبالإضافة إلى ذلك فإن الحساسية المؤلمة بصورة متفاقمة حيال شك معاليه الذي لا نهاية له جعلتها تخشى كثيراً أنها لن يكون بمقدورها الحيلولة دون إبعاد نفسها عنه. وعلى الرغم من ذلك، فقد واصل الإحساس بالاحترام نفسه على وجه الدقة الذي كان يستشعره نحوها. وفي غضون ذلك، وبغض النظر عن المناخ السيئ الغريب الذي أثارته طبيعة معاليه الشهوانية، فإنه كان يزداد شغفاً بابنه الصغير باعتباره طفلاً لا يُقاوم، إذ ساوره الشك في أنه سينجب طفلاً آخر مثله من أي سيدة أخرى، وسمحت عاطفته الدافئة بصورة

خاصــة نحو أم الصبي التي تعوَّد عليها كثيراً لها بالشـعور بقدر أكبر قليلاً من الأمان مقارنة بذي قبل.

جـاء إليها بعد انقضـاء الأيام الأولى من الشـهر الأول، ومضى يلاعـب ابنه، الذي كان قـد أصبـح عمـره الآن عاماً، عندما أقبلـت فتاة صغيرة تابعة منسـلة بلا حرص إلى سـعادة الأميرة، حاملة رسـالة ملفوفة مسـطرة على ورق خفيف، قاتم الخضرة، سـلة ذات حواف مرفقة بشتلة صبَّار، ورسالة رسمية مطوية باستقامة.

تساءل معاليه: «من أين جاء ذلك كله؟».

«(مـن أوجي إلى الوصيفة تايفو) هذا ما قاله المبعوث، ولكني لم أعرف ما الذي ينبغي عملـه به، ولذا أخذته، واعتقدت أنه ينبغي أن يمضي إلى سـيدتي كالمعتاد». هكذا جاء رد الفتاة، وبدا عليها الانفعال الشديد.

أوضحت الفتاة حديثها مبتهجة، وهي تبتسـم: «السـلة كلها معـدن ملون[1]، والصنوبرة منجزة على نحو بالغ الإتقان حتى لتبدو حقيقية تقريباً».

ضحـك معاليـه، مشـيراً إلى الأشـياء التي تحلمهـا: «هلمـي، أريد أن ألقـي عليها نظرة بدوري!»

«خذ الرسـائل إلى تايفو!». قالتها مسـتاءة. وكان محياها قد تضـرَّج حمرة، الأمر الذي أوحـى إلـى معاليه بأنها قد تكون رسـائل مخفية بصورة جميلة مـن القائد، ومن المؤكد أن الحقيقة القائلة إنها يفترض أن تكون قادمة من أوجي قد أوحت بذلك. وأخذها بنفسه. ومع ذلك فقد أدرك أن الأمر سيكون محرجاً حقاً إذا كانت رسائل واردة منه. وقال: «سأفضها، إذاً، هل ستغضبين مني؟».

تحدَّثـت بهدوء مصطنع قائلـة: «على الرغم من ذلك، فهذا خطأ. أي شـأن لك يدعوك إلى قراءة رسائل عابرة بين وصيفتين؟».

«فـي تلـك الحالة سـأقرأها! الآن مـا الذي يمكـن أن تكون عليه رسـالة امـرأة؟». فتح

---

(1) ربما نحاس مخضر بفعل الزنجار.

إحداها، وكان النمط موحياً بأن كاتبته في صدر العمر.

جاء في الرسالة: «انتهى العام، وانقطعت بي السبل منذ وقت طويل، هذه القرية الجبلية مكان كئيب. وهناك على الدوام سـديم يكلِّل التلال». وعلى أحد الجوانب كانت المرسلة قـد كتبـت تقـول: «أرجو أن تعطي هـذه لأميرك الصغير، وإن كنت أخشـى أنها لا تسـاوي الكثيـر». لـم يوح شـيء يتعلق بها بشـخصية كاتبتها، ولكنـه لم يتصور ممن عسـاها تكون قد جاءت، ومن هنا فقد قرأ الرسـالة المطوية باسـتقامة باهتمام شـغوف على نحو خاص. وكانت بدورها مكتوبة بخط امرأة حقاً.

«كيـف حالك فـي العام الجديد؟ لابد أن هناك أموراً من أنواع شـتى لتسـليتك. أما هنا فإن الدار جميلة للغاية حقاً، ولكنني لا أعتقد أنها تناسب سيدتي كثيراً. أتمنى لو أنها تزور سـعادتها بيـن الحين والآخر، بدلاً من العكوف علـى التفكير في اكتئاب على نحو ما تفعل هنـا. سـيفيدها ذلك، ولكن هذه الفكـرة يبدو أنها تجعلها شـديدة الخجل والعصبية. وهي ترسل مضرب كرة من جلد الأرنب البري للأمير الصغير، وتقول إن عليك بإعطائها له لطفاً عندما يكون معاليه غائباً». كانت رسـالة حافلة بالثرثرة،و وقد شدَّدت الكاتبة على ظروفها الكئيبة، بغض النظر عن الكلمات التي لا تناسب هذا الفصل من العام[1]. قرأها مرات عدة، وقد أفعم ذهنه بالتساؤلات.

قال: «الآن حدثيني! من التي كتبت هذه؟».

ردت قائلـة: «يقولـون إن ابنـة إحدى النسـاء اللواتي اعتـدن الإقامة في القريـة الجبلية قـد عـادت إلى هناك من جديد أخيراً لسـبب ما». غير أنه لاحظ أنها «هـي» التي يدور عنها الحديـث لا يبـدو أنها امرأة أخرى من العاملات العاديات في الخدمة، وعاد ذهنه إلى تلك الحادثة سيئة الطالع.

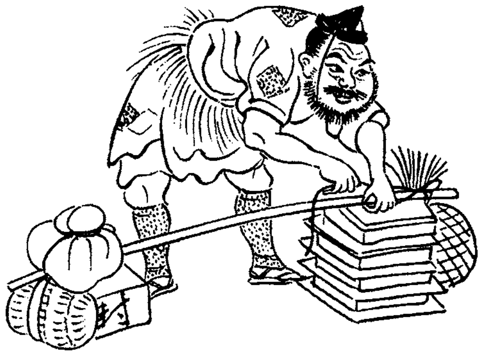
بـدا مـن الجلي أن مضرب الكـرة اللطيف هو من عمـل امرأة لديها الكثيـر من الوقت. ووجد هذه القصيدة مربوطة إلى فرع من شـتلة الصنوبر المتفرقة مشبوكة بثمار عليق زهور

(١) إنها لا تلتزم بالكوتويمي، أي تجنب كلمات من قبيل «لا تناسب» («أعتقد أنها تناسب سيدتي كثيراً») و«عصبية» و«خائفة» وما إلى ذلك.

الحربة[1]:

«بينما لم يمس نفس من العمر هذه الصنوبرة الصغيرة،

فلتعلمي أنها تحمل كل أمنية بالصحة لمولاي الصغير»[2].



سلة هدابية

لم يكن في القصيدة ما هو غير مألوف، ولكنها لفتت نظره عندما أدرك أنها لابد أن تكون من الشابة التي شغلت ذهنه كثيراً.

قال: «رُدي عليها. لابد لك من ذلك حقاً. لست أدري ما الذي يدعوك إلى حجبها عني. لماذا تبدين حزينة على هذا النحو. على أي حال فسوف أخرج». وغادر المكان.

تبادلت حديثاً هادئاً مع شوشو: «هذا يعني المتاعب، كما تعلمين. كيف أمكن أن تُدخل هذه الصغيرة رسائل لم تلفت نظر أي منكن؟».

«لو أننا كنا لاحظناها، يا سيدتي، لما كنا أعطيناها لك. وتلك الفتاة حمقاء وصفيقة للغاية. وهي لا تعد بمستقبل متألق. أما الفتيات الجيدات فهن اللواتي يلزمن الهدوء».

«رويدك. رويدك، لا ينبغي أن تغضبي منها، فهي صغيرة للغاية. كانت الفتاة قد أُعطيت لها كتابعة في شتاء العام الماضي، وكان معاليه مولعاً بها إلى حد بعيد، لأنها كانت لطيفة وجميلة للغاية.

انطلق معاليه إلى غرفته في الدار الرئيسية، ومضى يحدِّث نفسه: ياللغرابة! بلغني أن القائد واصل القيام برحلاته إلى أوجي على امتداد سنوات، وكان أحدهم يقول إنه بين الحين والآخر يقضي الليل سراً هناك. وقد حسبت في ذلك الوقت أنه من قبيل المبالغة الشديدة من جانبه أن يمضي الليالي بعيداً في مكان كان ينبغي ألا يذهب إليه على أي حال،

---

(1) ثمار عليق ياماتا تشيبانا (يا بوكوجي باليابانية الحديثة) الحمراء التي تنمو برية في التلال.

(2) تتلاعب قصيدة أوكيفوني بكلمة «ماتابوري» («شوكة») و«مادافوري [نو]» (لم يكبر بعد)، وتتلاعب بكلمة «ماتسو» («صنوبرة» و«ينتظر [مستقبلاً باهراً]»).

لمجرد التمسك بذكريات بعد العهد بها. ولكنني الآن أدرك أنه لابد يخفي إحداهن هناك! أخيراً أصبح معنى كل شيء واضحاً.

استدعى الكاتب الرئيسي، الذي كان قد عيَّنه باعتباره حجة في التعليم الصيني، والذي تذكَّـر الآن أن له صلة وثيقة بدار القائد. فأقبل الرجل. وطلب منه استخراج بعض دواوين الشعر لتخمين القوافي ووضعها في خزانة قريبة. وقال: «بالمناسبة، هل لا يزال قائد الميمنة يذهب إلى أوجي؟ يتناهى إلى سمعي أنه شيَّد المعبد الجديد على نحو جميل. أودَّ كثيراً أن أراه».

«أبلغوني بأنه جعل المعبد فسيحاً وفخماً للغاية، وقاعة الترتيل الدائم للاسم المقدس جليلة بصورة خاصة. ويبدو أنه بدأ في الخريف الماضي بالذهاب إلى هناك أكثر من ذي قبل. وكان بعض خدمه يقولون في مجالسهم الخاصة إنه أخفى امرأة هناك، امرأة من المؤكد أنه مولع بها. ويتلقى كل الرجال في ضياعه في تلك الأرجاء أوامر بوضع أنفسهم رهن تصرفها، والعمل كحراس وما إلى ذلك، وهو يبعث إليها سراً بكل ما تحتاج إليه من المدينة كذلك. وفي الشهر الثاني عشر الماضي فحسب كانوا يتساءلون من عساها تكون تلك المرأة المحظوظة، ويتحدثون بأنها لابد تشعر بالوحدة المطبقة على الرغم من ذلك، أو هذا هو ما قيل لي».

حدَّث معاليه نفسه قائلاً: حسناً. يسعدني أنني سألت. وقال: «إنك لم تسمع بوضوح من عساها تكون. أليس كذلك؟ لقد كانت هناك على الدوام راهبة تقيم هناك، وتناهى إليَّ أنه يزورها».

«لا، معاليكم، الراهبة تقيم في الرواق. أما السيدة المقصودة فهي تقيم في الدار الرئيسية الجديدة، حيث استقرت هناك بصورة موقرة تماماً، مع عدد من الوصيفات الجميلات للغاية».

«هذا أمر بديع. ولكن لماذا جعلها تقيم هناك ومن عساها تكون؟ هناك شيء مثير للفضول حقاً فيما يتعلق به.. إنه لا يشبه الآخرين. بلغني أن معالي وزير الميمنة يشكو من كيف أنه من الطيش من جانبه أن ينغمس في التدين إلى حد قضاء الليل بين الحين والآخر

في معبد جبلي، بل إنني أنا نفسي قد تساءلت عن السر في أنه يكرِّس نفسه خفية للسير في طريق بوذا على هذا النحو. وهم يقولون إن فؤاده لا يزال معلقاً بتلك القرية. ولكن هذه إذاً هي جلية الأمر! حسناً. حسناً! إن الرجل الذي يكرِّس نفسه ليكون أشد جدارة من أي شخص آخر يتبين أنه الرجل الذي يحجب سراً لا ترقى إليه الظنون!». أحس بسرور بالغ. وكان الكاتب الرئيسي هو زوج ابنة أقرب أتباع القائد إليه، ويفترض أنه قد سمع بأمور يرغب القائد في إخفائها.

راح معاليه يتساءل: ترى كيف يمكن لي المضي لأتبين بنفسي ما إذا كانت هي تلك التي صادفتها في تلك المرة؟ من المؤكد أن لديها ما هو أكثر بكثير مما لدى أي فتاة جذابة إذا كان يبقيها هناك بكل هذا الحرص. وكيف أمكن أن تكون قريبة من زوجتي؟ ضايقه بشكل خاص أن من الجلي أن زوجته والقائد قد تآمرا لحجبها عنه.

كان ذلك هو ما مضى يفكِّر فيه آنذاك. وما إن انتهت مسابقة رماية العام الجديد والمأدبة الخصوصية، وأتيح له المزيد من وقت الفراغ - ذلك أن إعلان قائمة التعيينات[1] المهمة لمصالح الكثيرين لم يكن يعنيه - فقد أمضى كل وقته في الإعداد للقيام برحلة سرية إلى أوجي. وكان الكاتب الرئيسي، الذي علَّق آمالاً خاصة به، حريصاً على القيام بأي شيء لإرضاء معاليه، ليلاً ونهاراً، واستفاد معاليه من خدماته الحميمية على نحو يفوق المعتاد.

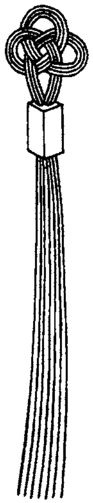
«هل أنت على استعداد لتنفيذ أي مهمة أعهد بها إليك مهما كانت صعوبتها؟». أشار الكاتب الرئيسي في إجلال إلى أنه رهن أمر معاليه، فمضى معاليه يقول: «يؤلمني كثيراً أن أقول هذا، لكن لديَّ سبباً يدعوني للاعتقاد بأن المرأة المقيمة الآن في أوجي هي من اختفت بعد أن عرفتها أنا نفسي هنا قليلاً، وأن القائد هو الذي انطلق ظافراً بها بعيداً. وعلى الرغم من ذلك، فإنني لا يمكنني أن أكون على يقين من هذا، وبالتالي فإنني أود أن أُلقي نظرة عليها لأتمكن من تحديد ما إذا كانت هي حقاً المرأة المعنية. كيف يمكنني التيقن من تجنب كشف أمري؟».

حدَّث الكاتب الرئيسي نفسه: ذلك أمر صعب! وعلى الرغم من ذلك فقد رد قائلاً:

---

(1) في منتصف الشهر الأول أو قرب نهايته.

«الطريق إلى هناك يتضمن مروراً عسيراً عبر التلال، يا مولاي. ولكن الرحلة ليست طويلة بصفة خاصة، يمكنك المغادرة مع حلول الليل والوصول إلى هناك مع حلول ساعة الخنزير البري أو الفأر[1]، ثم يمكنك أن تكون قادراً على العودة قبيل الفجر. والرجال الذين سيكونون بمعيتك بالفعل هم وحدهم الذين يتعين عليهم أن يعرفوا. وحتى هم ليس هناك من سبب يدعو إلى أن تكون لديهم فكرة عما أنت بصدد القيام به».


مضرب أرنبي

«تماماً. لقد ذهبت إلى هناك أنا نفسي مرة أو مرتين. ومع ذلك فإن كل شخص مثلما يحتمل أن ينتقد إذا أقدم على سلوك طائش من المحتم أنه سيشعر بالعصبية حيال ما قد يساور الناس من ظنون حول هذا الأمر». وفي حقيقة الأمر أنه كان يعرف حق المعرفة أنه ينبغي يقيناً ألا يفعل ذلك، ولكن الآن وقد قال هذا كله، فإنه لم يعد بوسعه التخلي عن الفكرة.

اختار أقرب أتباعه إليه لمصاحبته إلى هناك، ومن بينهم رجلان أو ثلاثة رجال كانوا قد مضوا به قديماً، والكاتب الرئيسي بالإضافة إلى أخيه الأصغير بالتبني، وهو حاجب كان قد رُقي إلى المرتبة الخامسة. ولدى انطلاقه على هذا النحو، بعد التيقن عن طريق الكاتب الرئيسي من أنه ليست هناك فرصة أمام القائد نفسه للتوجه إلى هناك في ذلك اليوم أو الغد، عاد بذاكرته إلى الأيام الخوالي. يا له من شيء يأتيه بحق الرجل الذي كان آنذاك قد اصطحبه دوماً بروح الصداقة الوثيقة على نحو فذ! كانت كل حركة يقوم بها داخل المدينة يُحتمل، بالطبع، أن تتم ملاحظتها، وكان يعرف أن القيام بهذه الرحلة لا يناسب من هو في مثل مكانته، ومع ذلك فقد انطلق في طريقه، رغم الخوف والذنب على صهوة جواد ومتنكراً[2]. وكلما أوغلوا في المسير نحو التلال، اشتد وجيب قلبه، وهو غارق في التساؤلات: هل سأصل إلى هناك أبداً؟ كيف سيمضي الأمر؟ ويا لها من خيبة أمل بائسة لو أنني اضطررت إلى العودة من دون أن ألتقيها حقاً! مضت به عربة إلى جوار هوشوجي، ولكنه بعد ذلك انطلق على صهوة جواد.

---

(1) ساعة الخنزير البري كانت على وجه التقريب من التاسعة إلى الحادية عشرة مساء، وساعة الفأر كانت بين الحادية عشرة مساء والواحدة من بعد منتصف الليل.

(2) ربما كان يرتدي عباءة صيد، وهي تشكل مستوى من الأزياء يقل كثيراً عما يليق به.

مضى يغذ السير، ووصل في وقت متأخر من المساء. كان كبير الكتّاب قد توصل إلى كل ما يحتاج إلى معرفته من أناس في دار القائد كانوا على معروفة وثيقة بالدار القائمة في أوجي، بحيث تمكّن من تجنب الحراس، وانسل داخلاً عبر السور العشبي الذي يحيط بالجانب الغربي ملحقاً ضرراً محدوداً به في غمار ذلك. ولم يدر على وجه الدقة كيف يوغل في المسير إلى أبعد من ذلك، حيث إنه لم يذهب إلى هناك من قبل قط، ولكنه وجد أن هناك القليلين في أرجاء المكان، ولاحظ على الجانب الجنوبي من الدار الرئيسية وهج مصباح، وسمع حفيف الأقمشة الحريرية.

عاد إلى معاليه، وقال: «يبدو يا مولاي، أنهن لا يزلن مستيقظات. وكل ما تحتاج إليه هو الدخول من هنا»[1] ومضى بمعاليه إلى الداخل.

صعد معاليه صامتاً، ووجد مصراعاً شبكياً به صرع، على الرغم من أن ستارة أيو حاجبة أصدرت حفيفاً موحياً بالنذير، عندما صعد وصولاً إليه. ومن المؤكد أن الدار كانت جديدة وفخمة، ولكنها لم يكن العمل فيها قد انتهى تماماً، حيث كانت ثمة ثغرات هنا وهناك لم يتم القيام بشيء لسدها، ولا شك في أنهن قد افترضن أنه ما من أحد سيود الاقتراب واختلاس النظر أبداً. وقد أُسدل قماش الستارة القائمة على القطعة المتعارضة، وجلست ثلاث نساء أو أربع بجوار أكثر أضواء المصابيح توهجاً، وعكفت فتاة تابعة جميلة على الغزل. وتعرف محيّا الفتاة، نعم، لقد سبق أن رآها من قبل في الدار بجوار باب مصباح أيضاً. لم يكن قوام الأمر أن النظرة الأولى ربما تكون خادعة، ولكن كانت هناك الشابة التي يدعونها أوكون. وكانت الفتاة نفسها راقدة، وقد أسندت رأسها إلى ذراعها، محدِّقة في المصباح. وبدا عيناها وجبينها مع شعرها المنسدل فوقه- كل ذلك بدا بالغ الروعة. وبدت شبيهة إلى حدّ كبير بالسيدة المقيمة في جناحه في نيجو.

كانت أوكون تستعد لحياكة طرف رداء. وقالت: «إذا مضيت، يا سيدتي، فسينقضي بعض الوقت قبل عودتك. وسعادته يُفترض بالقطع أن يجيء في اليوم الأول من الشهر، بعد أن ينتهي أمر قائمة التعيينات. وهذا ما أبلغنا به مبعوث أمس. ما الذي قاله في رسالته؟».

---

(1) من خلال الانقطاع في سور القصب.

بدت الفتاة حزينة تماماً، ولم تحر رداً.

واصلت أوكون حديثها: «فكِّري فحسب كم سيبدو الأمر سيئاً لو لاح أنك مضيت بعيداً للاختباء!».

أضافت المرأة الجالسة قبالة أوكون: «ينبغي على الأقل أن تبادري بالكتابة إليه لإبلاغه بأنك مضيت خارجة. كيف يمكن أن تسمحي لنفسك بالاختفاء من دون كلمة ترسلينها له؟ ولابد من أن تعودي سريعاً لدى انتهائك من حجك. إنني أعرف أنك لست سعيدة هنا، ولكنك اعتدت على أن تكوني هادئة ومرتاحة بقدر ما تشائين، وأتوقع أنه سيكون في دار أمك عما قريب شعورك بأنك بعيدة عن دارك».

غامرت أخرى بالقول: «سيبدو أفضل وأيسر كثيراً لو أنك انتظرت وقتاً أطول قليلاً قدوم سعادته. يمكنك أن تري أمك بقدر ما تشائين لدى اصطحابه لك إلى المدينة. ومع كل الاحترام، فإن مربيتك متعجلة على نحو فظيع، وقد سارعت أكثر مما ينبغي باقناع أمك بأن هذه فكرة جيدة. وقد كان صحيحاً على الدوام ولا يزال أن الصبر والحذر يسودان في النهاية».

«ترى لماذا لا تبقين ناني[1] هنا، فكبار السن يمكنهم إثارة الكثير من المتاعب!»، بدا أن أوكون تضيق ذرعاً بكل من هي على شاكلة المربية. وقد وافق معاليه من قلبه على ما تقوله عندما عاد بذاكرته إلى ذلك المساء، وساوره الشعور كما لو أن كل ذلك كان حلماً تراءى له.

بعد المزيد من الحديث نفسه ذي الطبيعة الخاصة بصورة مؤلمة، أشارت إحدى النسوة بقولها: «لقد كان معاليه في نيجو محظوظاً بصورة ملحوظة. وربما يكون معالي وزير الميمنة شديد التأثير دوماً، ولكن على الرغم من كل ضجته المتباهية تلك، فإنها هي التي علا بها النمط على نحو فائق منذ ميلاد الأمير الصغير. وليس هناك من يزعجها بأفكار متألقة. ويبدو أنها يمكنها أن تعيش في سلام، وتفكر على نحو ما ينبغي في كل ما تقوم به».

(1) ماما، اصطلاح مألوف (يفترض أن أوكيفوني استخدمته أولاً عندما كانت طفلة) لتقصد به امرأة أشارت المتحدثة الأخيرة إليها باعتبارها «أوتودو»، وهو نداء مهذب مناسب للاستخدام من قبل وصيفة تتحدث عن أخرى.

«على الرغم من ذلك فإن أمورك ستمضي على ما يرام بالقدر نفسه، إذا واصل سعادته الإبقاء على اهتمامه الراهن!».

نهضت الفتاة قليلاً، وقالت: «لن أصغي إلى مثل هذا الحديث! مرحباً بك في القيام بمقارنتي بمن هي غريبة تماماً بأي طريقة تريدينها، ولكنني سأقدِّر ألا تناقشي أمر معاليها بتلك الطريقة. سيكون أمراً فظيعاً لو أنها قُدِّر لها أن تعلم بذلك».

راح يتساءل: كيف قُدِّر لهما أن تكونا قريبتين؟ إنها تشبهها إلى حد كبير. وعلى الرغم من ذلك فإن السيدة المقيمة في نيجو تفوق بكثير الصبية الماثلة أمامه في التميز والبهاء النبيل. ومن المؤكد أن هذه جذابة من كل النواحي ولكن ليس أكثر من ذلك. وعلى أي حال فإنه الآن وقد تعرفها باعتبارها من شغلت باله بصورة مستمرة، فإنه لم يكن في مناخ يسمح له بالتخلي عنها، حتى وإن لاحظ سمة أو سمتين نافرتين ولمسة مما هو عادي، في الحقيقة، بعد أن أمعن النظر فيها، ومضى يواصل التحديق، متلهفاً على التوصل إلى طريقة للظفر بها.

قالت أوكون: «النعاس يستبد بي، فلسبب ما لم أنم جيداً البارحة. لسوف أنتهي من هذه الحياكة في الصباح. فإذا جاءت أمك بأسرع ما تستطيع، فإن عربتها لن تصل إلى هنا إلا بعد أن تعلو الشمس في السماء». جمعت كل الأشياء التي كانت عاكفة على الاشتغال عليها، وعلَّقتها على القطعة المتقاطعة الخاصة بالستارة القائمة، ورقدت في ركن كأنما لتنال سنة من النوم. وانتقلت سيدتها لترقد في مؤخرة الغرفة. ومضت أوكون لوقت قصير إلى الدهليز الشمالي، وعادت مجدداً، وتمددت عند قدمي سيدتها.

غرقت أوكون التي استبد بها النعاس في النوم تواً، وهو ما كان بوسع معاليه أن يدركه. وإذ لم يدر ما عساه يفعل غير ذلك، فقد طرق برقة على المصراع. سمعته أوكون، فتساءلت: «من هناك؟». وأدركت من الكبرياء التي يوحي بها صوته عندما تنحنح أن القائد لابد أن يكون قد وصل، فنهضت، ودنت منه.

قال: «افتحي هذا لطفاً!».

«ولكن هذا غريب! نحن لم نتوقع وصولك على الإطلاق! ولابد أن الوقت متأخر

للغاية!».

«قالت ناكانوبو إن سيدتك بسبيلها إلى القيام برحلة حج، وقد جلبتني الصدمة إلى هنا مباشرة. لقد قمت برحلة فظيعة. افتحي على أي حال!» تحدث بصوت جيد خفيض مقلداً صوت القائد ببراعة شديدة إلى حد أن الحقيقة لم تخطر ببالها قط. ففتحت قفل المصراع، ودفعته لينفتح.

«خضت غمار تجربة مخيفة تماماً في الطريق وذلك هو السر في ارتدائي ملابسي على هذا النحو. خفِّفي ضوء المصباح!».

«آه. كم هذا فظيع!» أبعدت أوكون المصباح وقد تأثَّرت كثيراً.

«لا تدعي أحداً يراني. ولا تجعلي الجميع ينهض لمجرد أنني هاهنا!». أفلح ببراعة في جعل صوته، الذي كان يشبه صوت القائد قليلاً على أي حال، يتردد تماماً مثله في الأسماع. ودلف إلى الداخل. راحت أوكون تتساءل في تعاطف عن الزي الذي يرتديه: لقد قال إن شيئاً فظيعاً حدث له، وحدَّقت فيه بمزيد من الحرص. كان زيه رقيقاً وبديعاً، وعبقه جميلاً كما تعهده دوماً.

مضى مباشرة إلى السيدة، نزع ثيابه، ورقد إلى جوارها، وكأن ذلك أكثر الأمور عفوية في الدنيا. بادرت أوكون قائلة: «من المؤكد أنك تفضل غرفتك المعتادة يا مولاي!». لكنه لم يرد، فأحكمت الأغطية حوله، وجعلت النسوة ينتقلن بعيداً بعض الشيء قبل استئناف النوم. وعلى أي حال فإنهن لم يكن معتادات على الترحيب بمرافقيه.

غمعمت النسوة: «كم هو رائع منه أن يجيء على هذا النحو في منتصف الليل! إنها لا تدري مدي قوة مشاعره نحوها!»

جعلتهن أوكون يلزمن الصمت، قائلة قبل أن ترقد بدورها: «حتماً! عليكن بالتزام الهدوء! التهامس مضجر خاصة في الليل!».

أدركت الشابة بفزع تام أنه ليس من انتحل شخصيته، ولكنه حال دون صياحها. كانت هذه الفعلة خليقة بأن يقوم بها شخص قادر على إتيان أي شيء، حتى في مكان يقتضي منه التحلي بأفضل آداب السلوك. وقد كان يمكن أن تقاومه لو أنها عرفت منذ البداية أنه

شـخص آخر، ولكنها الآن سـاورها الشـعور كما لو أنها في غمار حلم، وفي غضون ذلك راح شيئاً فشيئاً يحدِّثها كم كانت مؤلمة بالنسبة له تلك المرة، وكيف أنه واصل التفكير فيها منذ الحين، إلى أن أدركت سـريعاً أنه معالي وزير الحرب، فأذهلها الخجل، ومضت تفكر في زوجته، وراحت تبكي أحر البكاء لعجزها عن القيام بأي شيء على الإطلاق. أما معاليه فقد كان متضايقاً أكثر مما كان منتشـياً، وانخرط في البكاء بدوره لتفكيره في مدى استحالة أن يكون معها من جديد.



أغطية فراش

بزغ الفجر، وانتشـر النور، وأقبل رجاله يتنحنحون، فسمعتهم أوكون، واستعدت للقيام علـى خدمة سـيدتها. تاق معاليه، الذي لـم تكن لديه أدنى رغبة فـي الانصراف، إلى قضاء المزيد من الوقت معها فحسـب، وخشـي أشـد الخشـية مـن أن يعجز عن العـودة إلى حد أنـه قـرَّر أن يمضي النهار حيث هو على وجه الدقة. ومضى يحدِّث نفسـه: تباً لهم إذا كانوا يتدفقـون في المدينة هنـا وهناك باحثين عني، فحري بي الاسـتمتاع بالحياة خلال دوامها! الآن جعلته فكرة العودة ذاتها يحس كما لو أنه بسبيله إلى أن يموت حقاً.

مـن هنـا فقد اسـتدعى أوكون، وقـال لها: «ربمـا تظنين بـي الجنون، ولكننـي لا أعتزم المغـادرة اليـوم، فاجعلـي رجالي يمضون إلـى مكان قريب، علـى توكيكاتـا الذهاب إلى المدينة والقيام بتقديم رواية معقولة، مفادها أنني في اعتكاف سري في معبد جبلي».

غمـر الذهـول أوكون، وكافحت للسـيطرة على الفزع الذي هدَّد بأن يشـملها، فيما هي تتأمـل الغلطـة التـي وقعت فيهـا البارحة. ومضت تؤكد لنفسـها: لا معنـى لإحداث ضجة

كبـرى حـول الأمـر الآنأوفضلاً عن ذلك فإن هذا لن يسـفر إلا عن الإسـاءة للجميع. وإذا كانت تعني الكثير على هذا النحو بالنسـبة له خلال لقائهما الغريب، فإن ذلك كان أمراً من الجلي أنه متعلق بقدر محتم عليهما كليهما. وما من أحد بعينه له أي صلة بما وقع.

قالت: «يبدو، معاليكم، أن أمها بسبيلها إلى القدوم إليها اليوم. فهل لي في السؤال عما تعتزمون القيام به؟ لقد فات أوان إبلاغها بالمصير الذي حل بسـاحة ابنتها. وأقل ما يمكن قوله إن هذه ليسـت باللحظة المناسـبة. ربما يمكنني اقتراح أن تبادروا بالمغادرة اليوم وأن تعودوا على مهل، إذا كنتم لا تزالون ترغبون في القيام بذلك».

حدَّث نفسـه: أحسـنت القـول! وواصل الحديث قائـلاً بصوت عال: «كنـت أفكر فيها أخيـراً إلـى أن أصبحـت لا أدري ما الذي أفعلـه، ولـم يعد تهامس الناس وشـكاواهم يعني أي شـيء لي، فأنا رجل يائس. وهل يقطع من هو مثلي هذه الرحلة إذا كان لديه أي اهتمام بنفسـه؟ ردي على أمها، على سـبيل المثال، بالقول إنها يتعين عليها أن تظل معتكفة اليوم. كل ما هنالك إن عليك الوصول إلى شيء يوفر عليها وعليَّ أن يعرف أي شخص آخر بهذا الأمر. ويمكن أن توفري على نفسك طرح أي اقتراح آخر!» بدا أن افتتانه قد أزاح أي خوف من الانتقاد جانباً.

خرجـت أوكـون، وتحدَّثـت مع الرجال الذيـن كانوا يأملـون في إيقـاظ معاليه. قالت: «تلـك هي رغبـات معاليه. ولكنـي أرجو أن تذكِّروه كم يبدو هذا سـيئاً للغاية. ومن المؤكد أن مرافقيه يمكنهم أن يثبطوا تماماً عزيمة من يقوم على سـلوك غير لائق حتى ولو كان هو نفسـه يقصـد مواصلة الأمر. كيف أمكنكـم إحضاره إلى هنا كالأطفال؟ مـاذا لو أهانه أحد الفلاحين؟» وقف الكاتب الرئيسـي هنالك مفكِّراً كم كان الأمر مصحوبا بسـوء الطالع إلى أبعد الحدود.

«وأيكم توكيكاتا؟ حسناً، إذاً، هذا هو ما عليك القيام به». ونقلت إليه أوامر معاليه.

ضحك توكيكاتا، قائلاً: «سأنطلق، إذاً، خوفا من سخطك، سواء رغب هو نفسه في ذلك أم لـم يرغب. وعلى الرغم من ذلـك يمكنني القول جدياً إننا خاطرنا بالكثير في مصاحبته، عندمـا أدركنـا مدى تمسـكه بها. ولكن كفى حديثاً فأنا أسـمع الحراس وهـم ينهضون من

نومهم!». وسارع بالابتعاد.

لـم تكن لـدى أوكون أدنـى فكرة عن كيفيـة الحيلولـة دون معرفة الجميـع بما يجري، فأبلغت النسـوة لدى نهوضهن بقولها: «يرغب سعادته، لأسـباب معينة، في البقاء محتجباً عن العيون كلية. وما أدركته من مظهره يشير إلى أنه تعرَّض لخطب خطير، وهو في الطريق إلى هنا. وقد أمر باستقدام ملابس جديدة من المدينة الليلة».

صاحت النسـوة الأكثر سـناً، مندهشات: «كم هذا فظيع! يقولون إن تلال كوهاتا مخيفة تماماً! أحسب أنه جاء متنكراً، كالمعتاد، من دون أن يخلي أحد الطريق أمامه. آه، يا رحمتاه، آه، يا رحمتاه!».

«حتماً! حتماً! سـتكون كارثة أن يعلم الخدم ومن إليهم بشـيء من هذا». ارتجفت فرقاً حيـال الفكـرة ذاتها. وماذا سـتقول إذا حدثت فظيعـة الفظائع ووصل مبعوث من سـعادته نفسـه؟ ومضت تبتهل من كل قلبها: «آه، يا بوذيساتفا هاتسوسي، خلصني في أمان من هذا اليوم!».

كان مـن المقرَّر أن تجيء والدة سـيدة أوكون، وتمضي بابنتها فـي ذلك اليوم في رحلة حج إلى إيشـياما[1] وصامت كل الوصيفات بدورهن ومضين للتطهر. وقلن: «حسـناً، إذاً، إنها لن تتمكن من الذهاب اليوم، إنه أمر مخجل!».

علت الشـمس في السـماء، ورفعـت المصابيح، وقامت أوكون علـى خدمتهما بصورة حميمية. وأسـدلت السـتائر الحاجبة على الغرفة وكتبت كلمـات «في حالة اعتكاف» على لافتات موضوعة عليها.

ودبرت أمر رواية عن أحلام حافلة بالتهديدات، تحسـباً لقدوم أم سـيدتها بنفسـها. أما فيمـا يتعلق بماء الاغتسـال فقد قدمته إلـى معاليه على نحو ما تفعل دومـاً مع القائد، لكنها صدمت عندما تحركت سيدتها لمساعدتها.

قال: «يمكنك الاغتسـال أولاً، يا حبيبتي!» وحسـبت، هي التـي كانت قد اعتادت على

(1) المعبد الواقع عند الطرف الجنوبي من بحيرة بيوا، الذي تشير الأسطورة إلى أن موراساكي شيكيبو ألفت فيه «حكاية جينجي». وشأن هاتسوسي (هاسيديرا) فإنه مكرَّس للبوذيساتفا.

رجل بالغ اللطف وشديد الكياسة، أن رجلاً مولعاً بها بما فيه الكفاية للاعتقاد بأنه سيموت إذا انتزع للحظة منها لابد أنه يجسِّد ما يسميه الناس بـ «الحب العميق». لم يكن بمقدورها أن تصدِّق ما حدث. آه، ما الذي سيحسبه الناس عندما يسمعون بهذا؟ انصرفت خواطرها أولاً إلى سعادة الأميرة المقيمة في نيجو. ولكنه، هو الذي لم يكن يدري شيئاً عما يدور بذهنها، أصرَّ على القول: «إنك قاسية للغاية.. أرجوكِ لطفاً، حدثيني فحسب بمن تكونين! ولا تكترثي بالأمر إذا كنت ممن لا حيثية لهن تماماً، فسوف أحبك أكثر من أجل ذلك!». لكنها في موضوعات أخرى طرحت أكثر الردود عاطفية وإثارة للبهجة، فوجدها ساحرة كأشد ما يكون السحر.

كانت الشمس قد علت في كبد السماء، عندما أقبل الجمع لاصطحابها، وكانت هناك عربتان بالإضافة إلى سبعة رجال غلاظ أو ثمانية على صهوات الجياد كالمعتاد وعدد كبير من الأتباع، وقد مضوا جميعاً يثرثرون برطانتهم الفظة، ودلفوا إلى الداخل، مما أثار استياء النسوة، فقلن محذرات: «اذهبي وأبلغي سعادته بأن يبقى بعيداً عن العيان!». لم تدر أوكون ماذا عساها تفعل. وراحت تحدِّث نفسها: يمكنني القول إن سعادته هنا. ولكن إذا كان رجل على مثل هذا القدر من الأهمية غائباً عن المدينة، فمن المؤكد أن الخبر سيكون قد انتشر، وعرف به الجميع.

كتبت، من دون أن تنبس ببنت شفة إلى أم سيدتها: «البارحة فاجأ الحيض سيدتي، الأمر الذي أثار لديها شعوراً عظيماً بخيبة الأمل، وخلال الليل تراءت لها أحلام مخيفة للغاية، إلى حد أنني نصحتها بالتزام أقصى الحذر طوال اليوم، ومن هنا فإنها في حالة اعتكاف. ويؤسفني أشد الأسف القول إن شيئاً ما يبدو أنه يثير المتاعب». وبعد كتابة هذا، قدمت للجمع ما يأكله، وأعلمت الراهبة كذلك بأن سيدتها ستعتكف اليوم، وبالتالي فإنها لن تمضي في الرحلة التي كانت تعتزم القيام بها.

بالنسبة للشابة التي تحظى باهتمام معاليه، كانت معظم الأيام تمضي متطاولة، وهي عاكفة على التحديق شاردة في التلال التي تلفها السُدم، ولكن هذا اليوم لم يكن كذلك، فقد انقضى مسرعاً، وعجَّلت بمضيه حماسة لم تستطع للمغيب احتمالاً. كان يوماً ربيعياً

هادئـاً ولطيفـاً تماماً. ولـم يشـبع مـن التطلع إليها[1]، إذ بـدت له بارعة الجمال، بلا شـائبة، ومتمتعة بفتنة دافئة، تأسر القلب. ولم يكن ذلك يعني أنها تعادل السيدة المقيمة في جناحه فـي نيجـو. ومن المؤكـد يقينـاً أن ابنة معالي وزيـر الميمنة، التـي بلغـت ذروة الجمال في عمرهـا، يمكنهـا الذهاب إلى القول أيضاً إنها أرقى على نحو مميز، ولكن بالنسـبة لمعاليه الآن فإن الشابة الماثلة أمامه كانت بلا نظير، ورأت فيها عيناه مفاتن لم يعرفها من قبل قط. أما بالنسبة لها هي نفسها فقد كانت تحسب أن القائد شديد الوسامة حتى إن من المؤكد أنه لا وجود لمثله، لكنها وجدت معاليه أجمل وأشد فتنة بكثير.

اجتـذب معاليه محبرة نحوه، وجرب ممارسـة إبداع الخط، وكانت الأشـياء التي كتبها مسـرعاً جميلة للغاية والصور التي رسـمها بهيجة تماماً بحيث أنه لا شـك قد ظفر بفؤادها الصبياني.

قال: «لابد لك من النظر إلى هذه عندما أكون، ويا للحسرة، عاجزاً عن أن أكون معك». ورسـم صورة مسـلية للغاية لرجل وامرأة راقدين أحدهما إلى جوار الآخر، وأضاف: «هذا هو النحو الذي أتمنى أن نكون عليه دوماً». وانهمرت الدموع من عينيه.

«ما أعدك به قد يكون حبي للأبد، ولكنه محزن للغاية

أن الحياة تحجب عنك وعني ما إذا كان لنا غد.

لكن لا، من الخطأ الشـديد من جانبي أن تساورني مثل هذه الخواطر، فنادراً ما أستطيع القيام بما يطيب لي، وكل الإعداد والتدبر يجعلني أود أن أموت فحسب. كيف أفلحت في العثور عليك بعد أن كنت شديدة القسوة معي في تلك المرة؟».

التقطت الفرشاة التي كان قد بللّها، وكتبت:

«لن يمنحني فؤادي أي رغبة في الحداد، لو أمكنني تصديق

أن الحياة في هذه الدنيا التي تقاسمناها هي كل ما سيتغير سريعاً».

كان مـن الجلي أنها تلومه على خيانات مقبلة. فحدَّث نفسـه بأنهـا بالغة العذوبة. وقال

---

(1) كوكينشو 684، من نظم كي نو تومونوري: «شأن براعم الكرز على التلال، بادية من خلال سُدم الربيع المترامية، لن أشبع، يا عزيزتي، أبداً من التطلع إليك».

باسماً: «من الذي يمكن أن تعمل أساليبه المراوغة بذلك؟»، ثم مضى لحرجها الشديد، يضغط عليها، لتقدم له صورة عن الكيفية التي وصل بها القائد في مستهل الأمر إلى إحضارها إلى هنا.


مرافقون

احتجت بصورة صبيانية قائلة: «أتمنى ألا تسألني أسئلة لن أجيب عنها!».

قال لنفسه: آه، حسناً، سأعلم بكل شيء في نهاية المطاف. ولكنه لم يكن لطيفاً للغاية منه أن يرغب بشدة بالاستماع إلى هذا الأمر منها.

أقبل الليل، وعاد توكيكاتا من مهمته التي مضت به إلى المدينة. وسعى للقاء أوكون، وأبلغها بقوله: «كان هناك مبعوث من جلالة الامبراطور، كما لعلك تعلمين، وأعرب معالي وزير الميمنة بمرارة عن شكواه من انصراف معاليه على هذا النحو من دون كلمة لأي أحد، واعتبر ذلك غير لائق بالمرة، ويمكن أن يسفر عن توجيه إساءة خطيرة إلى مكانته، وفضلاً عن ذلك فإن العواقب قد تكون كارثية بالنسبة له أيضاً، إذا تناهى الأمر إلى مسامع جلالة الامبراطور. وقد أفلحت في التأكيد على أن معاليه قد مضى لمقابلة رجل دين في التلال الشرقية. وعلى الرغم من ذلك فإن الأمر كله غلطتها». وأضاف: «النساء يقفن وراء الكثير من الأمور! انظري أي متاعب ورطت فيها تابعاً بسيطاً، فجعلته يكذب ويقوم بكل شيء من هذا القبيل!».

«تلك كانت فكرة رائعة، أن تصف سيدتي بأنها رجل دين! إنني على يقين من أن كذبك سيغتفر من أجل ذلك. ومع ذلك فإنني أتساءل جدياً من أين جاء معاليه بأساليبه الغريبة هذه. من المؤكد أننا كان يمكن أن نتوصل إلى شيء من أجله، أخذاً في الاعتبار بمن هو، لو أننا علمنا مسبقاً بقدومه. يا لها من طريقة عجيبة في القدوم!». تواصلت ملاحظات أوكون على هذا النحو بصدد هذا الموضوع.

مضت إلى معاليه، وأبلغته بما سمعته. وكان بوسعه أن يتصور ما يجري، فأعرب عن شكواه للشابة الراقدة بجواره: «إنه لأمر مزعج ألا يكون بمقدور المرء فعل أي شيء بالمرة! لشد ما أتمنى أن يكون بمقدوري أن أصبح لبعض الوقت واحداً من أولئك الوصفاء الخصوصيين الذين يمضون على هواهم وحسبما طاب لهم! ماذا عساي أفعل؟ ليس بمقدوري أن أرضى دائماً من يفترض أن أدخل السرور على أنفسهم! وكيف سيتلقى القائد الأمر؟ أنا وهو سنظل على صلة طيبة[1]. على أي حال، ولكننا بالفعل كنا على الدوام قريبين أحدنا من الآخر بصورة ملحوظة، ولن يكون بمقدوري أن أنظر في عينيه، إذا اكتشف ما أمقته به. وهناك شيء آخر يقلقني، وهو أن بمقدوري أن أتصوره حقاً ينسى أنه قد أهملك ويلومك على هذا! ولابد لي من المضي بك إلى مكان آخر للتأكد من أنه ما من أحد سيعثر عليك». استعد للانصراف حيث إنه لم يكن بوسعه أن يقضي معها يوماً آخر مثل هذا اليوم، ولكنه بدا على الرغم من ذلك أنه فقد روحه وسط أكمامها[2].

مضى رجاله يتنحنحون للفت نظره إلى أنه ينبغي أن يكون في طريقه قبل إطلالة الفجر. وخرجا سوياً إلى الباب المزدوج، ولكنه لم يستطع المضي إلى أبعد من ذلك.

«سأضل طريقي مثلما لم يحدث لأحد قط، فأمامي

على امتداد الطريق الذي لا ينتهي حجاب دموعي الذي يعميني».

تأثّرت هي نفسها أشد التأثر.

«عندما لا تستطيع أكمامي أن تكون عريضة لتحتوي دموعي،

كيف لي أن آمل إبقاءك هاهنا؟».

امتطى جواده، فيما زفيف الريح يترامى للأسماع في الفجر البارد[3] وكان ألم الفراق

---

(1) حيث إنهما (بقدر ما يعرف نيئو) تربطهما صلة قرابة وثيقة.

(2) كوكينشو 992، من نظم ميتشينوكو: «ربما دلفت روحي إلى الأكمام التي لا أزال أرغبها، فإني أحس كما لو كنت فقدتها».

(3) كما لو أن الملابس الدافئة التي أسدلاها أحدهما فوق الآخر، فيما هما راقدان معاً، كانت كلها باردة، بعد أن انفصلا. ويظهر تعبير «أونو جا كينوجينو» («ملابسه وملابسها») في كوكينشو 637، وذلك على الرغم من صعوبة ترجمته بالطريقة نفسها: «عندما يشرع سنا الفجر على مهل في ملء السماء، يحل حزن عارم في افتراق ملابسنا».

موجعاً أشد الوجع إلى حد أنه كان حرياً به أن يرجع، لولا أن الجمع المصاحب له، والذي لم يكن في مزاج يسمح له بالتواني، قد انطلق بعيداً بسرعة بالغة، ومن ثم فقد انطلق معهم، على الرغم من أنه لم يكن يدري ماذا عساه يصنع. أمسك سيدان من المرتبة الخامسة، هما الكاتب الرئيسـي وتوكيكاتـا، بعنان جواده حتى ما بعد الممر المنحـدر عبر التلال. أثارت قرقعـة الجليد تحـت حوافر الجياد على امتداد النهر شـعوراً بالعزلـة والهجران. ولم يكن قد سـار مخترقاً أي طريق جبلي آخر كهذا، ليس في السـنوات الماضية. وحدَّث نفسـه: ما أغرب الارتباط بمثل هذه الصلة مع تلك القرية!

عند بلغ نيجو، دلف إلى الفراش في غرفته الخاصة، حيث ساوره الشعور بأنه في داره. وقد جعلته الطريقة القاسية التي أخفت بها السيدة القاطنة في جناحه الفتاة عنه غاضباً أشد الغضب، فلم يستطع التصرف إلا على هذا النحو. غير أنه لم يستطع النوم، وبمرور الوقت استسلم للوحدة والبؤس، ومضى إلى الجناح في نهاية المطاف. هنالك كانت، لم يخالجها الشك في الأمر وبدت رائعة الجمال، ولكنه بينما سلَّم لها بطبيعة نادرة تتجاوز أي شيء في الفتاة التي سـحرته، فقد رأى كذلك شـبهاً لافتاً للنظر، وبقلب مثقل ونفس يغمرها الحزن تماماً دلف إلى الفراش، الذي تحيطه الستائر ليرقد هناك، وحذت حذوه.

قـال: «إننـي لسـت على ما يـرام بالمـرة، وأحسـب بأنني أترقب شـراً. ولسـوف تتبدل حياتك سـريعاً، إذاً، بغض النظر عن مدى حبي لك. لسـوف ينال رغبته في نهاية المطاف، سينالها».

حدَّثت نفسـها: إنه يتحدث بأسـوأ الهراء، وبجدية تامة أيضاً. أشاحت عنه، وهي تقول: «لو قُدِّر له أن يسـمع الأمور الفظيعة التي تقولها لتسـاءل عما أبلغك به. الأمر مؤلم للغاية. والنكتـة العابـرة تماماً يمكن أن يصعب تحملها بالنسـبة لمن هي معتادة على سـوء الطالع مثلي».

بدأ معاليه في الحديث بجدية: «كيف ستشـعرين إذا كان لديَّ حتماً سـبب يدعوني إلى الغضـب منـك؟ ألم أعاملـك معاملة جيدة؟ بل ان بعض الناس يشـكون مـن أن قلائل هم الذيـن كان يمكـن أن يفعلوا من أجلك ما فعلته أنـا، ومع ذلك فإنه يبدو أنك لا تكترثين بي مقارنـة بـه. إنه القدر، لا شـك في هذا، وأنا أتفهـم ذلك، ولكن حتى علـى الرغم من ذلك

فإنــه مــن الصعب أن تخفي أموراً عني بالطريقة التي تفعلين بها ذلك». ويا له من قدر متميز ذلك الذي قادني إلى العثور عليها أخيراً في أوجي! هكذا مضى يحدِّث نفســه، وقد دفعت الذاكرة بالدموع إلى عينيه.

تركتهــا عاطفتــه الباديــة للعيان حائــرة. أي نوع مــن النميمــة كان يصغي إليه؟ أحســت بالاســتياء، ولــم تحــر رداً. في البدايــة أخذني وفقاً لنــزوة من نزواته، والآن يبدو أنه يســيء على نحو غير كريم تفسير كل ما أقوم به. ذلك هو ما جلب عليَّ ازدراءه، ذلك الخطأ الذي ارتكبته عندما اعتمدت أكثر مما ينبغي على إنسان لا يلزمه شيء بمساعدتي، وحينما بدأت في الشــعور بالامتنــان لكل ما قام به. جعلهــا الحزن المواكب لهذه التأمــلات الكئيبة تبدو بالغــة الرقــة حقاً. ولم يرغب في أن يدعها تعرف تواً ما اكتشــفه، ومن هنا فقد أخفى ســبب ضيقــه، بحيث إنها اعتقدت جادة أنه يشــير إلــى القائد، وافترضت أنه يصــدق بعض الهراء الــذي أبلغــه به أحدهم، وأحســت بأنها أكثر خجلاً مــن أن تواجهه إلــى أن تتبين على وجه الدقة ما إذا كان الأمر كذلك من عدمه.

أدهشــه وصول رســالة من جلالــة الامبراطورة، وعــاد إلى الدار الرئيســية وتقطيبه على حاله. كانت قد كتبت تقول: «كنت غائباً البارحة، والآن يبدو أنك لست على ما يرام. تعال، لطفاً، إذا كنت أفضل حالاً على الإطلاق، فقد طال غيابك أكثر مما ينبغي!».

لم يرغب في مضايقتها أكثر من ذلك، ولكن الأمر كان صحيحاً، فهو لم يكن يحس بأنه علــى ما يرام، ولــم يذهب إلى القصر في ذلك اليوم. وأقبل الكثيــر من كبار النبلاء لزيارته، ولكنه أمضى اليوم وراء الستائر الحاجبة.

أقبل القائد قرابة حلول المساء، فدعاه معاليه للدخول، واستقبله مرتدياً زياً بسيطاً.

اســتهل القائد الحديث: «استبد القلق الشــديد بجلالة الامبراطورة، عندما علمت بأنك مريض. فماذا هناك؟».

مــع مثول القائد أمام معاليه، أحس بمزيــد من الاضطراب أكثر من أي وقت مضى، فلم يحر رداً. حدَّث نفسه قائلاً: إنك تتحدث كرجل دين، وتبدو ناسكاً جبلياً رائعاً، وتترك فتاة جميلة كتلك هناك، تنتظرك في رقة على امتداد أيام وشــهور! ولم يســتطع احتمال الطريقة

التي لـم يهـدر القائد بهـا فرصة عظمت أو هانت لاسـتعراض نفسـه باعتبـاره أحد أعمدة الفضيلة، وبذل بانتظام قصارى جهده للتقليل من شـأنه، ولكن ماذا عساه يقول هذه المرة، بعد أن كشـفت أسـراره في مثل هذا الموضوع! غير أنه لم يخاطر بالتلميح إلى الموضوع، وبدلاً من ذلك بدا مريضاً حقاً.

اعتـرض القائـد بجدية لدى مغادرته: « هذا لن يجدي! فالتوعك البسـيط تماماً قد يظل خطيراً عندما يستمر طوال أيام. أرجو أن تعتني بنفسك!».

إنـه يجعل المرء يشـعر بالضآلة البالغة! تـرى كيف بدوت لها بالمقارنـة به. تلك كانت خواطر معاليه، إذ إنها كانت على باله دوماً بحيث إن كل شيء ذكَّره بها.

كانـت الحيـاة في أوجـي كئيبة للغايـة الآن وقد ألغيـت الرحلة إلى إيشـياما. وكتب لها رسـالة حافلـة بأكثـر التطمينات تلهفـاً، ولكن مجرد إرسـالها كان أمراً مثيـراً للقلق. وعهد بمهمـة تسـليمها إلى أحد أتبـاع توكيكاتا، والذي لـم يكن يدري بجليـة الأمر. وأوضحت أوكون الأمر للنسـوة الأخريات بقولها: «أقبل سـيد كنت أعرفه إلى هنا مع الجمع المرافق لسعادته، واكتشفني مجدداً، والآن ها هو يتودد لي مجدداً». نعم، الآن أصبحت لديها كذبة لكل مناسبة.

أقبل الشهر التالي[1]، ولم يستطع معاليه الذهاب إلى هناك، على الرغم من توقه الشديد إلى ذلك. همهم لنفسـه بائسـاً: أشـك في أنني سـأعيش أكثر من ذلك، إذا واصلت المسير على هذا النحو.

مضى القائد إلى هناك في حرص، كالمعتاد، بعد انتهاء أكثر الأوقات انشغالاً في البلاط. وعكف في المعبد على عبادة بوذا، ثم بعد توزيع الهبات على الرهبان الذين كلفهم بترتيل النصوص المقدسة، انطلق في هدوء قرابة المساء ليزور الدار. ولم يذهب إلى هناك متنكراً تنكراً محكماً، وبدا وقد اعتمر قبعته وارتدى عباءته رائعاً منذ لحظة دخوله.

لم تسـتطع تصور نفسـها معه- أفعمتها الفكرة ذاتها بالفزع والخجل- وفضلاً عن ذلك فإن ذكرى ذلك النبيل الأكثر تهوراً قد جعلت من فكرة اسـتقبال هذا النبيل شـيئاً مقيتاً على

(1) الشهر الثاني.

نحـو قـاس. كان معاليـه قد أكد لهـا: «بمقدوري أن أحس بنفسـي وأنا أفقـد الاهتمام بكل النســاء اللواتي كنت معهن طوال هذا الوقت». وكان ذلك صحيحاً، فقد نما إلى علمها أنه كان مريضـاً منـذ ذلك الحين، فلـم يعد يمضي إلى أي من الأماكن التـي كان يرتادها غالباً، وأُديت الصلوات بصوت مرتفع من أجله. ما الذي سيظنه بها إذا سـمع بالأمر؟ كانت تلك فكرة مروعة. وبالمقابل، فإن هذا الزائر كان يحظى بتميز مدهش ورقة فؤاد، وعندما اعتذر عن غيابه الطويل، فإنه فعل ذلك في أحاديث متألقة عن الحنين والأسـف، ولكن بكلمات قلائـل أشـد بلاغة مـن أي مفاجأة متقدة للنفس، حيـث كان يتمتع بموهبتـه مخاطبة أعمق تعاطـف لـدى المرء مباشـرة. كان يتمتع بتألق رائـع، بالطبع، ولكنـه كان يحظى إلى درجة مدهشـة بطبيعـة تلهم الثقة بإخلاصه الدائم. كم سـيكون فظيعاً أشـد الفظاعـة أن ينقل إليه أحدهـم كلمـة حول مدى اختـلاف شـعوري الآن. كان هذا هو ما قالته لنفسـها، سـتكون صدمة كبرى! لشـد مـا أخطأت وتصرفت بطيش فـي غمار تفضيلي عليه ذلـك الذي أصرَّ علـى مطاردتي بمثل هذه الشـهوائية المجنونـة. أضفى عليها البؤس النابـع من التفكير في احتمـال أن القائد قد يدينهـا ويتخلى عنها مناخاً مضطربا وكئيباً حتـى إنه رصد فيها نضجاً وتفهمـاً أكبـر من آخر زيارة قام بها لها بكثير. حدث نفسـه، منزعجـاً، بأنها لابد أنها تحمل عبء كل أنواع الهموم، حيث تعيش وحيدة على هذا النحو وليس لديها إلا القليل ليشغلها، فكرَّس نفسه لها بمزيد من الانتباه عما هو معتاد.

قال: «بدأت الدار التي أُشيِّدها تأخذ شكلها أخيراً، وقد ألقيت نظرة عليها أخيراً. والغدير هنـاك أقل إيحاء بالنذر من هذا النهر، وسـيكون لديك الكثير من الزهـور لتتأمليها. كما أن سـانجو، التي أقيم فيها ليست بعيدة كثيراً. ولن نكون بعيدين أحدنا عن الآخر بحيث أشعر بالقلق عليك دوماً. وإذا سار كل شيء على ما يرام، فسوف أنقلك إلى هناك هذا الربيع».

ذكَّرها حديثه عن خطته هذه أنه «هو» كان قد كتب أول من أمس حول العثور على مكان لهمـا يلتقيـان فيه على نحو مريح. وحدَّثت نفسـها حزينة: أحسـب أنه لا علـم له بأمر هذه الدار الجديدة. ولكن لا، لا ينبغي أن أسـلم نفسـي له! غير أن تذكره على نحو ما كان آنذاك أرغمها على أن تحزن على مصيرها القاسي، وانخرطت في البكاء.

قال: «كنت أكثر سـعادة بكثير، عندما بدا أنك يهيمن عليك سـلام أكبر. هل مضى أحد

يمـلأ أذنيك بتلميحـات تافهة؟ في ضوء من أكونه، ما كنت لأجـيء إلى هنا قاطعاً كل هذه المسافة لرؤيتك لو أنني كانت لديَّ أدنى نية لإهمالك، وبالتأكيد ليس عبر ذلك الطريق!».
كان ذلك في اليوم الأول من الشهر، وقد رقدا قرب الشرفة مطلين على قمر المساء. وراح يمعن التفكير صامتاً في ذكريات مؤثرة بعد العهد بها، بينما تنهدت هي في مواجهة الهموم الجديدة التي حلت بساحتها. وغرق كلاهما في متاعبهما.

اتشـحت التلال بالسـديم، ووقفت طيور بلشـون ذات أعراف على حافـة حفرة رملية، مضيفة على المشـهد لمسـة متألقة، في حين امتد النطاق الكامل لجسـر أوجي نحو البعيد، ومرت القوارب جيئة وذهاباً محملة بحطب الحريق، وهو منظر بديع للغاية جعل الماضي دوماً يتوهج بالحياة بالنسـبة له. كان حضور هذه الشـابة الجالسة بجواره يمكن أن يكتسب شـجناً غنيـاً وبديعاً حتـى ولو لم تكن هي مـا هي عليه، وأوضح له شـبهها الكبير بالسـيدة التـي كان يحبهـا وكذلـك وعيها الجديـد بالأمور الحميمية وأسـاليبها المفعمـة بمزيد من الـود- أوضـح كل ذلك بصورة أكبر إلـى أي حد كبير زادت متعة صحبتهـا منذ عرفها أول مـرة. وجعلـت الهموم العديدة التي تجمعت في فؤادها بين الحين والآخر الدموع تنهر من عينيها. وعندما أدرك أنه لم يفلح في إدخال العزاء على نفسها، قال:

«لا، لن يتهاوى ذلك الوعد الشامخ الذي قطعه جسر أوجي

لا تخافي، لأنك قد تعبرينه، فيقيناً سيجعل ثقتك في موضعها.

ما عليك إلا الانتظار وتبين جلية الأمر!».

ردت قائلة:

«عندما يبدو عبور جسر أوجي حافلاً بالمخاطر، بثغراته العديدة[1]،

هل تعني أنه لن يخذلني أبداً؟».

فكَّر في البقاء وقتاً أطول، إذ كان من المتعذر بشـكل أكبر تركها، ولكنه ما لبث أن عدل عن ذلك، فقد كانت الشـائعات تنطلق مسـرعة، وفضلاً عن ذلك لم تكن هناك حاجة لهذا، حيث إن الأمور سـتكون أكثر يسـراً عما قريب. وعاد إلى المدينة عند الفجر. وراح يحدِّث

(1) فترات غياب كاورو الطويلة عن أوجي.

نفسه فيما هو يغادر المكان بإعزاز يفوق أي وقت مضى: من المؤكد أنها امرأة ناضجة الآن!

في اليوم العاشر من الشهر الثاني، عقد جلالة الامبراطور تجمعاً للشعر الصيني في القصر. وكان كل من معالي وزير الحرب والقائد حاضرين، وتردَّد صوت معاليه جميلاً للغاية، وهو يغني «فرع شجرة البرقوق» من مقام يتماشى مع المناسبة. وفي ضوء شموخه عالياً على معاصريه، فقد كان من الخطأ من جانبه أن يحترق من أجل أي امرأة غير جديرة به.

هبت عاصفة ثلجية، على حين غرة، مع رياح عالية، فتوقفت الموسيقى في التو. ومضى الجميع إلى مقر جلالته في القصر، حيث نالوا قسطاً من الراحة، واستمتعوا بالمقبلات. واقترب القائد، الذي كانت لديه رسالة يريد أن يبعث بها، من الشرفة قليلاً، حيث لمح في ضوء النجوم الجليد الآخذ في التراكم، ومضى يدندن: «أيتها الأكمام المنتشرة على حصيرتها الضيقة، الليلة مجدداً»[1] كأنما «الظلام يكسر كل شيء»[2]دبت فيها الحياة، إذ كانت عبقريته الأصيلة متمثلة في إضفاء جاذبية فائقة على أقل الأبيات التي يرغب في إلقائها شأناً.

من بين كل القصائد التي يمكن أن يختارها اختار هذه! رقد معاليه هناك بقلب خافق، متظاهراً بالنعاس، وراح يشكو لنفسه: يبدو أنه يتعاطف معها بدوره بشدة. كنت أظن أنني الوحيد الذي يهتم بأكمامها التي تعاني من الوحدة، ولكن المسكين يساوره الشعور ذاته. الأمر صعب قليلاً! مع وجود حبيب أول على ذلك الغرار كيف أمكن أن تفضلني؟

في صباح اليوم التالي، ومع تراكم الجليد على الأرض، أقبل معاليه متألقاً بكل بهاء الشباب. ومثل بين يدي جلالة الامبراطور ليقدم قصيدته. كان القائد قريباً منه في العمر، ولكن عاميه الاثنين أو أعوامه الثلاثة الزيادة[3] بدا أنها تضفي عليه نضجاً وبهاء إضافيين.

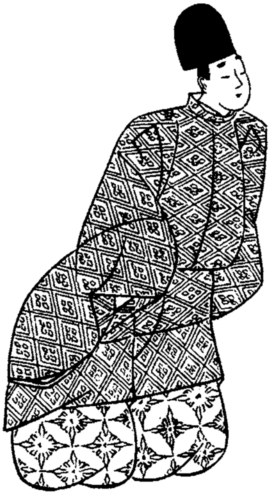
---

(1) كوكينشو 689: «أيتها الأكمام الوحيدة المنتشرة على حصيرتها الضيقة، الليلة مجدداً ستنتظرني عذراء جسر أوجي».

(2) كوكينشو 41، من نظم أوشيكوتشي نو ميتسوني: «في ليلة الربيع، الظلام يكسو كل شيء، وتظل براعم البرقوق محتجبة، لكن عبقها لا يمكن حجبه». الإشارة هنا هي إلى عطر كاورو الشخصي الذي يلازمه.

(3) «عاميه الاثنين أو أعوامه الثلاثة الزيادة» إشارة تثير الحيرة، فبقدر ما يستطيع المرء القول انطلاقاً من «براعم الربيع

بحيث إنه كان يمكن أن يبدو نموذجاً مثالياً لكل رجل في البلاط. وأقرت الدنيا بأسرها بأنه صهر رائع للامبراطور. ومن المؤكد أنه كان يفوق الجميع علماً وقدرة في الشؤون العامة. وعندما أُلقيت القصائد كافة، غادر الجميع القصر، وهم يتغنون بقصيدة معاليه، التي ساد الإجماع على أنها أفضل القصائد، ولكن ذلك لم يعن شيئاً بالنسبة له هو نفسه، ذلك أنه لم يستطع تذكر ما الذي كان في ذهنه عندما نظمها.



قبعة وعباءة

أثار ما استشرفه من مشاعر القائد قدراً أكبر من الحذر واليقظة لديه مقارنة بذي قبل، ومن هنا فإنه انطلق إلى أوجي مجدداً بحذر شديد. أصبح الجليد، الذي كان يبدو في المدينة أنه يتأخر لينتظر صديقاً فحسب[1] أكثر عمقاً لدى ولوجه التلال وكان الدرب المهجور من المتعذر سلوكه الآن إلى حد الاستحالة تقريباً، ومضى مصاحبوه في الرحلة يبكون خوفاً من الكوارث التي قد تحل بهم. وكان دليله في الرحلة، الكاتب الرئيسي، هو في الوقت نفسه نائب مفوض شؤون المراسيم، وهما منصبان رفيعان تماماً ومن ثم كان من الطريف مشاهدته وقد ارتدى زياً يناسب دوراً آخر، حيث رفع أطراف سرواله عالياً.

تلقت النسوة في أوجي ما يفيد أن معاليه قادم، ولكنهن لم يخطر ببالهن قط أنه سيقتحم الجليد للوصول، وكن غير مستعدات بالمرة عندما وصلت رسالة إلى أوكون في وقت متأخر من الليل. ودهشت سيدة أوكون بالقدر نفسه وتأثّرت، شأن أوكون نفسها. وكانت أوكون تفكِّر فيما سيصير إليه مصير سيدتها، ومن المؤكد أن القلق سيطر عليها كذلك،

2» و«السنديانة» فإن نيئو أكبر من كاورو بنصف عام تقريباً.

(1) يتأخر لتحية تساقط الجليد التالي فحسب. هذا المفهوم مستمد من قصيدتين (1) ياكاموتشي شو 284، من نظم أوتومو نو ياكاموتشي: «على أغصان شجرة البرقوق، ينتظر الجليد الذي لا يميز عن البراعم كأنما يتلبث لتحية صديق». (2) كوكين روكوجو 4131 (أيضاً تسورايوكي شو 60) من نظم كي نو تسورايوكي: «في تلال يوشينو، حيث لا يعرفون شيئاً عن أشجار البرقوق في ازدهارها، لابد أنهم يشاهدون الجليد الذي ينتظر صديقاً فحسب».

ولكنهـا لابد أنها ألقت الحـذر للريح. ولـم يكن هناك مجال لرفض اسـتقباله، ومن ثم فقد تحدَّثت مع جيجو، وهي شابة أخرى كانت سيدتها ودودة معها، ولـم تكن تفتقر إلى اللماحية والذكاء. وقالت: «هذه مسألة شائكة، وأريد منك مساعدتي في حجبه عن العيان». أدخلتاه سـوياً إلى الدار، وكان عطره نافذاً بصـورة خاصة، حيث غمره البلل من جراء الرحلة، وقد كان يمكـن أن يؤدي ذلك في يسـر إلى إثارة المتاعـب، ولكنهما نجحتا في تمريره باعتباره القائد الذي كان يشبهه كثيراً من حيث الهيئة العامة.

كان مـن شـأن الاضطرار إلـى بدء رحلة العـودة مجدداً قبـل أن ينقضي الليـل تماماً أن يكـون شـيئاً مخيباً للآمال، واسـتبد القلق بكل النسـوة فـي الدار. ولهذه الأسـباب كان قد بعـث بتوكيكاتا حاملاً تعليمات بالإعداد لإمكانية اصطحابه لها إلى دار أخرى على الضفة المقابلة من النهر.

عـاد توكيكاتا فـي وقت متأخر للغاية من تلك الليلة ليؤكد أن كل شـيء جاهز. ما الذي سـيفعل بهـا؟ أثار هذا السـؤال الاضطراب حتى في نفـس أوكون، التي كانـت قد أُوقظت لتوهـا من نومها، ومضت ترتجف خشـية وخوفاً، وراحت ترتجـف مثلما فتاة صغيرة تابعة بعد اللعب على الجليد. وكان معاليه قد مضى بسـيدتها مبتعداً حتى قبل أن تسـتطيع التفوه بكلمة احتجاج، فبعثت جيجو معهم، وبقيت للعناية بالدار.

اسـتقلوا قاربـاً صغيراً، مثل تلك القـوارب التي تبدو من الدار ضئيلـة للغاية، وبينما هم يجذفون عبر النهر، أحست الشابة بالبؤس، كأنما راحت الضفتان تتراجعان مبتعدتين عنها، فتشـبثت به بشدة وهي في أحضانه، فيما مضى يتأمل فتنتها الطاغية. وارتفع القمر عالياً في السماء المتشحة بالفجر[1]، وامتد النهر الساجي مترامياً. أخبرهما النوتي: «هذه هي جزيرة أشجار البرتقال»، ودنا بالقارب لحظة من الضفة. كانت الجزيرة على هيئة صخرة عظيمة، وقد كستها الأشجار دائمة الخضرة بصورة مذهلة[2].

قـال معاليـه: «انظري إليها! إنها صغيـرة في ذاتها، لكن خضرة كخضرتها سـتدوم ألف

(1) يتألق القمر في السماء عند الفجر حوالي العشرين من الشهر القمري، وبالتالي فإن رحلة نيئو إلى أوجي يبدو أنها تم القيام بها بعد عشرة أيام من حفل الشعر الصيني.

(2) أشجار تا تشايبانا («البرتقال») أشجار دائمة الخضرة ذات أوراق عريضة. الجزيرة لم يعد لها وجود.

عام!»، وأضاف:

«ربما تنقضي أعوام كثيرة، لكن شيئاً لن يتغير أبداً، وهو أن فؤادي لك،

بهذا أعدك قرب جزيرة شجر البرتقال».

تساءلت هي بدورها عن رحلتهما:

«قد لا يتغير اللون الباقي لجزيرة شجر البرتقال،

غير أنه ما من أحد يعرف إلام يمضي هذا القارب المنجرف».

كانت اللحظة والمرأة بالغتي الجمال حتى إن قصيدتها أيضاً بدت له بهيجة.

بلغوا الضفة النائية، وترجلوا من الزورق. وبدا له من القسوة البالغة أن يجعل أحد رجاله يحملها، بمعاونة من الجمع المرافق له، ومن هنا فقد واصل السير وهي في أحضانه، الأمر الذي أثار استياء من شاهدوه، لأنهم لم يستطيعوا تصور أي امرأة تلك التي تثيره فتدفعه إلى ذلك. كانت الدار متواضعة، وقد شيدها عم توكيكاتا، حاكم إينابا، على أرض إحدى ضياعه. ولم يكن العمل فيها قد انتهى بعد، ولم تفلح الستائر الخيزرانية- وهي شيء لم يكن معاليه قد رآه من قبل قط- في الحد من اندفاع الريح. وكان الجليد لا يزال متراكماً في هيئة بقع على امتداد السور، وانهمر المزيد منه من السماء المنخفضة.

التمعت الشمس الآخذة في البزوغ من الدلات الجليدية عند الطنف، وبدت الشابة في نورها أجمل من ذي قبل. كان قد أقبل مرتدياً زياً يناسب رحلة حافلة بالمخاطر فحسب. والآن وقد نزعت ثوبها الخارجي، فقد استطاع أن يبتهج حيال مرأى قوامها الرشيق. أما هي نفسها فقد استبد بها الحرج حيال ظهورها على هذا النحو، وهي لا تكاد ترتدي شيئاً على الإطلاق- وكم هو مزعج التفكير في أنها ماثلة هاهنا أمام هذا النبيل شديد التألق- ولكن لم يكن أمامها مجال للاختباء. وبدت أرديتها، ذات البطانات الخمس المريحة جميلة للغاية عند حاشية الثوب والكم وأبرزتها بشكل أجمل من الملابس المتعددة الألوان. ولم يكن معتاداً على رؤية امرأة ترتدي ملابس على هذا القدر من التجرد من الطابع الرسمي، بمن في ذلك من يمضي معها وقته عادة، ووجد ذلك رائعاً ومبهجاً.

كانت جيجو امرأة جميلة للغاية بدورها. وحدَّثت سيدتها نفسها بمزيد من الحزن: كم

هو مؤلم التفكير في أنها هي أيضاً تراني على هذا النحو!

تساءل معاليه: «من عساها تكون؟ ينبغي ألا تخبريها من أنا!». كانت جيجو متأثرة أشد التأثر. وفي غضون ذلك مضى القائم على رعاية شؤون الدار يكرِّم توكيكاتا باعتباره الأرفع مرتبة في الجمع، ومن ثم فقد أُفردت له الغرفة الواقعة على الجانب الآخر من الباب المنزلق الذي يفصله عن معاليه. وبصوت يرتعش إجلالاً وتوقيراً مضى هذا الوكيل يطرح على توكيكاتا أسئلة بدا له من الطريف أنه عاجز عن الإجابة عنها، فزعم أنه جاء إلى هنا لأن نبوءة لأحد معلمي الين ريانج تقتضي ليس اعتكافه فحسب، وإنما أن يكون هذا الاعتكاف خارج المدينة. وحذَّره بقوله: «لا تدع أي غريب يقترب بأي شكل من هذه الدار!».

أمضى معاليه، الذي غدا مع حبيبته وحده أخيراً، اليوم في حميمية بلا إزعاج. وأغرقته فكرة استقبالها للقائد بصورة مشابهة كثيراً عندما جاء لرؤيتها في نوبة من الغيرة، ووصف احترام القائد لزوجته، الأميرة الثانية. ومن سوء الطالع أنه لم يذكر بيت الشعر الذي كان قد تناهى إلى سمعه في ذلك الوقت، ثم أقبل توكيكاتا بماء الاغتسال والمقبلات. وحذَّره معاليه ضاحكاً: «لا ينبغي للضيف المكرَّم أن يشاهد وهو يقوم بهذا!». أما جيجو، الفتاة العاطفية الرقيقة، فقد اعتقدت أن الأمر طريف إلى حد كبير، وأمضت اليوم في خلوة مع توكيكاتا.

الآن كسا الثلج الأرض تماماً. ومضى معاليه يتطلع إلى حيث كانت تقيم فلم يلمح إلا الأطراف العليا للأشجار عبر ثغرات في السديم. تألقت التلال في الشمس الغاربة، كأنما كانت مثقلة بالمرايا. مضى يحدِّثها، بلمسات عديدة مؤثرة، عن الرحلة الحافلة بالمخاطر التي قطعها البارحة:

«الثلج على التلال، الجليد على امتداد الأنهار المتجمدة، عبرتهما من أجلك،

غير أني مع ذلك لم أضل الطريق لأذوب فيك.

هنالك كان جواد عند قرية كوهاتا»[1]. هكذا كتب في يسر وبلا عناء، بعد أن دعا بمحبرة متواضعة تصادف وجودها هناك. فكتبت كأنما لتفند ما قاله:

(1) شويشو 1243، من نظم هيتو مارو: «على الرغم من أنه كان هناك جواد عند قرية كوهاتا في ياما شينا، فقد أقبلت سيراً على الأقدام حباً لك».

«أسرع من الثلج المنحدر أخيراً إلى الغدير المتجمد،
أحسب أنني سأذوب فيما لا أزال عالية وسط السماء».

أشار إلى مجافاة قولها «فيما لا أزال عالية وسط السحاب» للصواب[1]، وأحست بالحرج لإدراكها أنه لم يكن جميلاً أن تكتبه، فمزقت الورقة. وقد أثَّر ذلك فيه أكثر، وابتهج بها، وارتفعت بلاغته ورقة أسلوبه إلى ذُرى جديدة من الفتنة الآسرة.

أمضيا يومين هادئين سوياً ليعمق خلالهما مشاعر كل منهما الرقيقة نحو الآخر، ذلك أنه رتب لدوام «اعتكافه» هذه المدة. ومضت أوكون تنتحل أعذاراً محتملة، وفي غضون ذلك بعثت إليهما بملابس جديدة. واليوم أمرت سيدتها بتمشيط شعرها المشعث، وبدَّلت ثيابها، لترتدي زياً جميلاً يجمع بين اللون الأحمر الوردي البرقوقي فوق البنفسجي والأحمر القاتم. وتخلت جيجو عن الميدعة، التي كانت تضعها، وعندئذ التقطها معاليه، وجعل حبيبته تضعها لتجلب له ماء اغتساله. وحدَّث نفسه: آه، لو أنني تركت أختي الكبرى تضمها إلى وصيفاتها لعاملتها كما لو كانت كنزاً حقيقياً! إن لديها الكثير من النسوة ذوات المنبت الكريم، ولكنني أشك في أن لديها من تتمتع بجمال كهذا! وأمضى اليوم معها مستغرقاً في أبسط الوسائل لتزجية الوقت.

راح يطمئنها مراراً إلى أنه قد أعد لإبقائها محتجبة في مكان ما، وحاول أن ينتزع منها أشد الوعود إخلاصاً في حالة قدومه «هو» في غضون ذلك. وكان ذلك مؤلماً للغاية إلى حد أنها لم تستطع الرد على الإطلاق، وملأته دموعها باقتناع مرير بأنه حتى في حضوره فإنه «هو» كان من لا يزال ساكناً فؤادها. ومضى طوال اليوم يصب دموعه ولومه، وكان الليل قد أوغل في مسيرته عندما مضى بها إلى دارها. وحملها بنفسه كما في السابق. وقال: «لن يقوم لك بهذا كله، كما تعلمين، ذلك الرجل الذي يعني الكثير لك». حدَّثت نفسها: لا، ربما لن يفعل ذلك، وأومأت برأسها في موافقة ساحرة. وفتحت أوكون الباب المزدوج لتدخلا إلى الدار. وهكذا افترق، وشرع في رحلة العودة مجدداً في غمار عذاب قوامه حنين لا سبيل إلى تهدئته.

---

(1) تشير عبارتها إلى الخوف من أنه سيتخلى عنها.

عاد إلى نيجو، على نحو ما يفعل عادة في مثل هذه الظروف. وشعر بالتوعك الشديد، فلم يتناول شيئاً على الإطلاق، وازداد شحوباً ونحولاً كل يوم، إلى أن ساد الحزن عليه فحسب في القصر وأماكن أخرى، في ضوء مظهره المتغير، بحيث إنه وسط الضجة المتزايدة لم يرسل إليها حتى برسالة مناسبة. وفي غضون ذلك، في أوجى، لم تستطع أن تقرأ في سلام ما بعث به إليها، لأن مربيتها الفضولية تلك قد عادت الآن مجدداً من حيث كانت ابنتها تلد.

كانت أمها قد أحست بالارتياح جراء علمها بأنه على الرغم من أن سكن ابنتها لم يكن مناسباً، فإن القائد سيقوم بالتأكيد بما هو أفضل من أجلها، ومضت في ابتهاجها الآن لتصور النتائج المميزة التي ستترتب على خطته لنقلها إلى مكان أقرب، وبدأت في تجميع الوصيفات والفتيات التابعات وإرسالهن إليها. أما ابنتها نفسها فقد كانت قد تطلعت دوماً بشغف إلى الانتقال، ولكنها عندما كانت تفكر في ذلك الخطيب الآخر الأكثر إلماماً، فإن أسلوبه الحافل بالاتهام ولومه الكثير لها كانا ينهضان متوهجين أمامها، وما كان عليها إلا أن تغفو لكي تحلم به. وقد تركها هذا غارقة في الاضطراب حقاً.

مضى المطر ينهمر أياماً متوالية، ووصل معاليه إلى الاقتناع الذي لا يُطاق بأنه ليس بمقدوره عبور التلال الآن. آه، كان بعيداً عن الامتنان بما يكفي لكي يحدِّث نفسه: رفقاً بدودة القز المسكينة في شرنقة أبوابها![1] وفيما بعث إليها ببعض خواطره التي لا تنتهي كتب يقول:

«آه، يالحزن الأيام عندما تتشح السماء بالظلام، ولا تسعني رؤية

السحب في الأعالي حيث أنت عبر حجاب المطر الذي لا ينتهي».

كانت الأشياء التي يكتبها بصورة عفوية للغاية هي التي تجعلها تحس بأعظم السرور والابتهاج. ولما لم تكن ممن يميلون بصفة خاصة إلى التفكير العميق، فقد أحست بتأثير مشاعره المتقدة، ومع ذلك فإن السيد النبيل الذي كان قد حظي بها قبلًا، نعم، كان هو الأكثر عمقاً ونبلاً، وكان أول من عرفته حقاً، ولا شك في أن هذا هو السبب في أنها راحت

(1) شويشو 895، من نظم هيتومارو: «غارقاً في شرنقة تشبه شرانق ديدان قز أبويَّ، لشد ما أفتقدك، يا حبيبتي، عندما لا نستطيع اللقاء!».

تتساءل: ماذا سيحدث إذا سمع بهذا الأمر الذي يواكبه سوء الطالع ونبذني بسببه؟ أي ضربة قاسية سيكون ذلك بالنسبة لأمي أيضاً، فيما هي تتوق إلى قدومه من أجلي! وذلك الرجل الذي يتقد بحماسه.. الناس يحدثونني بأنه زير نساء لا يرجى منه أمل، وهو ربما يكون كذلك، ومع ذلك فإنه ربما يحجبني في مكان ما من المدينة ويواصل الاهتمام بي بحيث لا ينساني، ولكن هناك مشاعر سعادة الأميرة التي يتعين أخذها في الاعتبار، إذ إنه ما من شيء في هذه الدنيا يبقى محتجباً مدة طويلة، وفي نهاية المطاف فإن كل ما اقتضاه الأمر هو ذلك المساء الغريب، وقد عثر عليَّ مجدداً، ومن الجلي تماماً أن سعادته سيفلح في اكتشاف ما حدث لي أيضاً. كان ذلك هو ما يدور في ذهنها، وكان كل ما تفكر فيه هو كيف أنه سيكون أمراً فظيعاً لو أن ما حدث لها سيجعل سعادته ينقلب عليها، عندما أقبل مبعوث منه حاملاً رسالة إليها.

أثارت فكرة قراءة الرسالتين كلتيهما نفورها، لكنها رقدت لتقرأ الرسالة الأطول، فتبادلت جيجو وأوكون النظرات، وكانت الرسالة التي تبادلتاها هي: «نعم، إنه هو من تريده».

أضافت جيجو: «ويمكنني فهم ذلك. فأنا نفسي اعتقدت أن سعادته أكثر الرجال الذين هم على قيد الحياة وسامة. ولكن معاليه شخصيته فذة حقاً. ويا للجاذبية التي يتمتع بها عندما يتعمد أن يكون طريفاً ومسلياً! سيكون أمراً أكثر مما أطيق احتماله لو أنني كنت مكانها وعرفت أنه يهتم بي كل هذا الاهتمام. ولسوف أمضي مباشرة للالتحاق بخدمة جلالة الامبراطور، لكي أكون معه طوال الوقت».

«إنك تثيرين قلقي. حقاً تثيرينه. ولست أدري من الذي يمكن أن يفوق سعادته. المظهر جيد للغاية، ولكن فكري فحسب في الشخصية والسلوك! لا، إن معاليه ينقصه الكثير. آه، ما الذي سيحدث لسيدتنا! «هكذا مضتا تتجاذبان أطراف الحديث. ولم تعد أوكون سعيدة بالبقاء وحيدة لتدبر أمر أكاذيبها، وكان أمراً جيداً أن يكون معها من تفضي إليه بأسرارها.

جاء في رسالة سعادته: «أرجو أن تغتفري لي صمتي، ولكنني كنت أفكِّر فيها. ولو أنك كتبت لي بين الحين والآخر لما طلبت ما هو أكثر من ذلك. هل يمكن أن تتخيلي أنك لا تهمينني؟» وما إلى ذلك. وأضاف في الهامش:

«كيف حالها في تلك القرية النائية حيث تعلو المياه،

بينما المطر الذي لا ينتهي هنا يلف السماء برداء من ظلام؟

خواطري ترفرف حولك أكثر من أي وقت مضى». كانت رسالة ملفوفة باستقامة، مكتوبة على ورق أبيض. ولم يفصح الخط عن جاذبية أو تميز كبيرين، لكنه على الرغم من ذلك عكس بهاء ملحوظاً.

أثارت رسالة معاليه، الضافية للغاية والملفوفة بإحكام، قدراً مماثلاً من السرور. أشارت جيجو بقولها: «هذه هي الرسالة التي ينبغي أن تردي عليها أولاً، قبل أن يراك أحد».

ردت في خفر: «آه، لا، لا يمكن أن أقوم بذلك، ليس اليوم!». ثم كتبت عن نفسها:

«أعرف أن اسم هذه القرية مصيري، وأوجي بالنسبة لي،

في هذه الأرض، يا ما شيرو، لا تعني إلا المزيد من البؤس»[1].

بين الحين والآخر، مضت تتطلع إلى اللوحة التي كان معاليه قد تركها لها، وتنخرط في البكاء. ولابد أن فكرة الذهاب بعيداً إلى مكان ما وعدم رؤيته أبداً قد آلمتها كثيراً، وذلك على الرغم من أنها غالباً ما ذكَّرت نفسها بكل الأسباب التي لا يمكن لهذا أن يدوم بفعلها.

«سحابة مظلمة بالمطر، تلف بالشجن التلال الكئيبة،

ذلك ما أرغب أن أكونه وأنجرف بعيداً طوال عمري.

آه، يا للحاق بالسحب!»[2]. هكذا كان الرد، فدفع معاليه إلى النحيب. ومع ذلك فقد حدَّث نفسه: يبدو أنها تريدني! وكان كل ما بوسعه أن يراه الآن هو رؤية لها وقد غمرتها الكآبة.

---

(1) عبارة «اسم هذه القرية» تتلاعب بلفظ «أوشي»، «مقيت». وقد اشتهر المعنى المزدوج من خلال كوكينشو 983، من نظم كيسين هوشي: «كوخي إلى الجنوب الشرقي من المدينة وأنا أحيا مع الغزلان في تلال أوجي، حيث يقولون إنني أنبذ الدنيا».

(2) ربما كانت عبارة من قصيدة على الرغم من أنه لم يتم تحديد مصدر مقنع. وتشير قصيدة أوكيفوني، بالنسبة لبعضهم، إلى أنها ترغب في ألا تضطر البتة إلى الاختيار بين نيئو وكاورو، وهي تشير بالنسبة إلى آخرين إلى أنها ترغب في أن ترتفع إلى السماء، مثلما سحابة تتصاعد من محرقة جنازتها.

قرأ سعادته، ذلك النبيل الجليل، ردها في هدوء، وتصور بتعاطف كبير مدى الكآبة التي لابد أنها غارقة فيها. وافتقدها كثيراً.

كانت قد كتبت تقول:

«ما من انقطاع في المطر يجلب الخلاص من الكآبة التي تلف مصيري،

والماء يعلو إلى أن يغرق أكمامي هذه»[1].

مضى يحدِّق فيها، ولم يستطع تنحيتها جانباً.

راح يحدِّث زوجته الأميرة الثانية، وقال لها: «لقد ترددت في ذكر هذا الأمر تحسباً لانزعاجك، ولكن هناك بالفعل من عرفتها على امتداد سنوات عدة، من تركتها في مكان كئيب بعيد، وهي تحس بالبؤس هناك، وهي تعنيني كثيراً حتى إنني أفكر في إحضارها للإقامة قريباً من هنا. ولقد رأيت الأمور دوماً على نحو يختلف عن الآخرين، وحرصت على ألا أعيش حياتي على غرار الجميع[2]. ولكنني الآن لا يمكنني التخلي عن كل شيء بعد أن حظيت بك، وهكذا، كما ترين، فإنني أشعر بالتعاطف والذنب حتى حيال من لم أذكرها لأي أحد من قبل قط».

ردت سمو الأميرة: «لست أفهم لماذا يتعين أن يثير ذلك استيائي».

«ربما يعطي أحدهم فكرة خاطئة لجلالة الامبراطور، على الرغم من ذلك فالناس يمكنهم التعبير عما يخالجهم بصورة قاسية للغاية، وليس مرد الأمر إلى أنني أعتقد أنها بحاجة إلى قدر كبير من الاهتمام».

عقد العزم على نقلها إلى الدار، التي كان قد شيدها، ولكنه كره تخيل إطلاق العنان للشائعات السفيهة وجعل الناس يقولون: «آه، إذاً هذا هو الغرض من مكانه الجديد!». وهكذا فقد عهد بمهمة تجهيز الأبواب المنزلقة وما إلى ذلك في حرص، من بين كل

---

(1) تستمد قصيدة أوكيفوني إلهامها من كوكينشو 617، من نظم فوجيوارا نو توشيوكي، فيما يتعلق بصورة الدموع الموحية بالوحدة، التي تتزايد متحولة إلى نهر يبلل أكمام المتحدث (ناميدا جاوا)، وإلى كوكينشو 705، من نظم أريوارا نو ناريهيرا، فيما يتعلق بصورة مطر من دموع يسفحه المتحدث إقراراً بقدر تعس (مي أو شيرو آمي). وتظهر القصيدتان كلتاهما في آيسي مونوجاتري، 107.

(2) «كنت على الدوام مهتماً بالدين، ولم أعتزم الزواج».

الناس، إلى ناكانوبو، حمي ذلك الكاتب الرئيسي، وهو مفوض الخزانة، الذي أحس بأنه يمكن أن يثق فيه. ومن هنا فإن كل ما قاله وصل مباشرة إلى معالي وزير الحرب.

أوضح الكاتب الرئيسي: «لم يختر إلا المقربين من المرافقين المنتمين إلى حراس القصر لإنجاز رسم اللوحات[1]، ولكن على الرغم من ذلك فمن المؤكد أنه يبدو حريصاً على المكان».

تذكَّر معالي وزير الحرب، في سعادة بالغة مربية عجوزاً له، هي امرأة كانت توشك على الذهاب مع زوجها إلى مقاطعة بعيدة، حيث كان زوجها سيصبح الحاكم الجديد. وقال لها راجياً: «إنني مولع سراً بإحداهن، وأحتاج إلى إخفائها بعض الوقت». راح زوجها يتساءل من عساها تكون، ولكنه على الرغم من ذلك خلص إلى أن رغبة معاليه أمر ملزم له، ورد قائلاً: «كما تشاء، يا مولاي». وأثارت موافقته بعض الارتياح.

كان من المقرر أن يغادر الجمع المرافق للحاكم في نهاية الشهر، وقرَّر نقل حبيبته في اليوم نفسه إلى هناك. أفادت رسائله المتكررة إلى أوجي: «تلك هي خطتي. فلا تقولي كلمة واحدة عنها!». وعلى الرغم من ذلك، فقد كان من المستحيل تماماً بالنسبة إليه أن يمضي إلى هناك بنفسه، وعلاوة على ذلك فقد تلقى بالمقابل تحذيراً من أن مربيتها الفضولية تلك قد تجعل الأمور صعبة للغاية.

في غضون ذلك، كان رأي سعادة القائد قد استقر على اختيار اليوم العاشر من الشهر الرابع. «لئن أقبل تيار، فسوف أمضي»[2]. لم تكن هذه هي الحالة المزاجية للشابة التي يفكر فيها، فقد سيطر عليها الفزع، واقتربت من الرعب، وراحت تتساءل عما عساها تصنع، إلى أن خلصت إلى أن البقاء في دار أمها قد يمنحها في نهاية المطاف بعض الوقت للتفكير. ومن سوء الطالع أن زوجة الملازم[3] كانت ستلد قريباً، وكانت الدار حافلة بصورة دائمة بالأصوات العالية للابتهالات وترتيل النصوص المقدسة حتى بدت الرحلة إلى إيشياما

(1) ستمضي اللوحات لتعلق على الأبواب المنزلقة. وكان الرجال الذين يُعهد إليهم رسمياً بحراسة نبلاء بارزين، مثل كاورو، غالباً بارعين في الفنون.

(2) كوكينشو 938، من نظم أونو نو كوماتشي: «وحيد أنا، عشب ماء منجرف مقطوع من الجذر، لئن أقبل تيار، فسوف أمضي».

(3) أخت أوكيفوني غير الشقيقة التي أنجبتها أمها من هيتاشي.

سوياً مستحيلة. وبدلاً من ذلك جاءت أمها إليها.

خرجت مربيتها، وقالت: «يزودنا سعادته جميعاً على نحو جميل بالملابس! وأنا نفسي أحب كثيراً أن تتم رعايتنا على هذا النحو الجميل، ولكنني على يقين من أنني سأخسر كل شيء فحسب إذا حاولت!». هكذا مضت تدمدم، ولكن انفعالها جعل سيدتها تتساءل كيف سيشعر الجميع إذا رأى السر الفظيع النور، ومضى العالم كله يسخر منها. وراحت تحدِّث نفسها: ذلك الرجل الذي يشدِّد عليَّ أنه يريدني بأي ثمن، لسوف يعثر عليَّ حتى لو اختفيت في أعماق الجبال، حيث تنهض السحب ثمانية الطيات[1]، ثم سيحزن كلانا. اليوم فحسب بعث إليَّ بكلمة مفادها أنني ينبغي أن أنسحب إلى مكان أختفي فيه! ماذا عساي أفعل؟ كان هذا كله أكثر مما يُطاق بالنسبة لها، ورقدت هنالك، وهي تحس بأنها مريضة.

سألتها أمها، التي استبد بها القلق: «ماذا دهاك؟ إنك ناحلة وشاحبة بصورة فظيعة».

أضافت مربيتها: «لم تكن على طبيعتها أخيراً. وهي ترفض تناول الطعام، وغالباً ما كانت تشعر بالتوعك».

رحن جميعاً يتساءلن: ماذا هناك؟ روح ربما؟ ماذا دهاها بالفعل؟

أشارت الأم بقولها: «لقد تخلت عن الرحلة إلى إيشياما. ولكنني أتساءل الآن لماذا أحست بأن عليها القيام بها».

كان الأمر فظيعاً للغاية. راحت تحدِّق في الأرض.

غربت الشمس، وبزغ قمر متألق. وتذكَّرت القمر الذي تألق في السماء في ذلك الفجر، ولم تستطع أن تمنع نفسها من البكاء. وحدَّثت نفسها: آه، ينبغي ألا أفعل ذلك! ينبغي ألا أفعل ذلك!

بدأت أمها في الحديث عن الأيام الخوالي، واستدعت الراهبة بن، التي وصفت ما كانت عليه ابنة سعادة الأمير الراحل الكبرى، وكيف كانت مسؤولة على نحو لا تشوبه شائبة، وكيف أنها ذوت أمام عيني المرء. وقالت: «كان يمكن أن تكون مثل السيدة الأثيرة

(1) جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشو إينو واكا 983: «على الرغم من أنك تختفين في الجبال حيث تنهض السحب ثمانية الطيات، ما إن يقر قراري، ألن أجيء للعثور عليك؟».

لـدى معالـي وزير الحرب لو أنها كانت لا تزال على قيد الحياة فحسـب! وكانتا سـتكونان علـى اتصـال إحداهما بالأخرى، ولكانتـا هما اللتان طالما خيمت عليهما مشـاعر الوحدة والحزن تستمتعان الآن بكل مباهج الحظ السعيد!».

مضت أمها تحدِّث نفسـها: هل ابنتي إذاً مختلفة عنهما؟ نعم، سـتكون على القدر نفسه من الجدارة عندما يتحقق المصير الذي هي جديرة به. وحدَّثت بن بصوت عال قائلة: «لقد شـعرت بالقلق دوماً على فتاتي في قرارة نفسـي، ولكنني أشعر بأنني أفضل حالاً الآن فيما يبدو أنها توشـك على الانتقال إلى المدينة، على الرغم من أن ذلك قد يعني أنني لن يكون بمقدوري المجيء إلى هنا بعد الآن. وهو مصدر سرور دائماً أن ألتقيك للحديث معك في هدوء عن الماضي».

«لقد أحبطني سـوء الطالع، الذي يبدو أنه يتشـبث بي دوماً عن السعي إلى صحبة ابنتك كثيراً أو على امتداد وقت طويل، ولكن على الرغم من ذلك فإن الوحشة ستهيمن على هذا المكان لدى انصرافها. وسأكون سعيدة من أجلها، مع ذلك، لأنني لا أحب مطلقاً أن أراها مضطـرة للعيش في مكان كهـذا. وآمل ألا أكون قد تجاوزت حدودي كثيـراً عندما ذكَّرتها بأنـه ممـا يعني الكثير أن سـيداً نبيلاً له مثـل هذه المكانة التي لا نظير لها يرغب في السـعي وراءها على نحو ما يفعل الآن».

«ليس بمقدور المرء، بالطبع، أن يحدِّد ما الذي سـيجلبه المسـتقبل لها، ولكنني أعرف فـي الوقـت الحاضر أنها مدينة باهتمامه المسـتمر بها كلية لتدخلك الرقيق. وقد كان شـيئاً طيباً إلى أبعد الحدود من زوجة معالي وزير الحرب أيضاً أن تستقبلها بكل هذه الرقة، وقد أسفت أشد الأسف حقاً، عندما ذكَّرتني تلك الحادثة المؤسفة بمدى هشاشتها حقاً».

ابتسمت الراهبة، وقالت: «نما إلى علمي أن تودد معاليه للنساء يسبب الكثير للغاية من المتاعب، بحيث إن الشـابات الجميلات يفضلن ألا يمضين للخدمة هناك على الإطلاق. وهـو سـيد نبيل رائع فـي كل الجوانب الأخرى، ولكن ابنة تايفو تقـول إن الأمور يمكن أن تكون شديدة الصعوبة لهذا السبب في ضوء ما يمثله من إساءة لسعادة الأميرة».

راحت الشـابة تحدِّث نفسها، وهي راقدة هناك: بمقدوري تصور ذلك جيداً. فكِّري إذاً

في الشعور الذي ينتابني!

«كم هذا محزن! إن سعادته يحظى الآن بشرف كونه زوج ابنة جلالة الامبراطور، ولكنهما ليسا مقربين أحدهما من الآخر، وقد سمحت لنفسي بأن أخلص إلى أنه ليس هناك ما يمكنني القيام به حيال هذا الأمر. وعلى الرغم من ذلك فإنها لو كانت قد أساءت التصرف على تلك الشاكلة لما أردت أن تكون لي بها صلة، مهما كان ذلك شديد الإيلام».

كان ذلك بالنسبة لابنتها ضربة قاسية، فحدثت نفسها، قائلة: أود لو أموت! إن السر الفظيع سوف يشيع إن عاجلاً أو آجلاً!

خارج الدار، تردَّد هدير النهر موحياً بالنذير. وأشارت أمها قائلة، وهي تشعر بالرضا: «ليست كل الأنهار يتردد صوت انسياب مياهها على ذلك النحو، فلا عجب أنه أشفق عليها، عندما اضطرت لقضاء كل هذا الوقت الطويل في مكان بري على هذه الشاكلة المقيتة!».

وصفت إحدى النساء كم كان النهر سريعاً في اندفاع مياهه ومفزعاً على الدوام، فقالت: «أخيراً، كما تعلمن، أساء حفيد النوتي التعامل مع مجذافه، فسقط في الماء، لقد أودى ذلك النهر بحياة الكثير من الناس!» أقرَّ الجميع بصحة قولها.

مضت تحدِّث نفسها قائلة: فهمت. لئن اختفيت، فإن الضيق سيشتد بهن لبعض الوقت، ولكنني إذا عشت لأغدو أضحوكة، في نهاية المطاف، عندما يحدث شيء فظيع، فإن هذا البؤس سيتواصل للأبد. لم يكن هناك ما يوقفها، حسبما كان بمقدورها أن ترى. ومن المؤكد أنه سينهي همومها. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المخاطرة كانت محزنة للغاية. رقدت هنالك مصطنعة الغرق في النعاس، فيما تصغي لحديث أمها، وتفاقم غرقها إلى قرار اليأس.

تحدَّثت أمها مع المربية، حول مدى نحول ابنتها ومرضها، وأصدرت إليها التعليمات حول أي الصلوات وطقوس التطهير التي يتعين القيام بأدائها[1]، وواصلت الحديث في قلق من دون أن تعرف إلى أي حد تاقت ابنتها إلى التطهر في غدير للصقل[2] «أعتقد أنها

(1) «الصلوات» بوذية، و«طقوس التطهير» هي ما يدعى الآن الشنتو.

(2) كيف تاقت ابنتها إلى تخليص نفسها من العاطفة غير المرغوب فيها نحو نيئو. كوكينشو 501: «طهَّرت نفسي في غدير للصقل، حتى لا أحب بعد الآن، ولكن الآلهة، فيما يبدو، لم تتقبل صلاتي».

ستحتاج إلى المزيد من النسوة. فاعثري على بعض من يعتمد عليهن، اللواتي تلقين تربية لائقة، واتركي الفتيات الجديدات هنا. وربما ستحمل سمو الأميرة، زوجة سعادته، الأمر كله على محمل حسن، ولكن العاقبة يمكن أن تسوء إذا ثار خلاف بينهما. تذكري دوماً أن عليك بالتزام الحرص والحذر!. «لم تدع شيئاً للمصادفة. وأضافت: «ولكنني قلقة على ابنتي الأخرى التي تقضي وقتاً صعباً في الدار». واستعدت للمغادرة. وعلى الرغم من ذلك فإن هذه الابنة الماثلة هنا كانت حزينة للغاية حقاً، لأنها اعتقدت أنها لن ترى أمها ثانية البتة.

قالت مبتهلة: «إنني أشعر بالمرض الشديد، وأنا حزينة للغاية في بعدي عنك! دعيني أنطلق معك وأمكث في الدار قليلاً!».

«أتمنى لو كان ذلك بمقدوري، ولكن كل شيء هناك في فوضى تامة. والنسوة لا يُرجى منهن أمل في القيام بأقل شيء من تلقاء أنفسهن، كما ترين، والدار صغيرة للغاية حقاً. ولسوف آتي خلسة لرؤيتك، إذا انتقلت على امتداد الطريق إلى تاكيفو[1]، ولكن، ياعزيزتي المسكينة، إنني لست من الأهمية لكي يكون بمقدوري القيام بأي شيء لك الآن!» كانت تبكي في غمار حديثها.

جاءت رسالة في ذلك اليوم من سعادة القائد: «كيف حالك؟ نما إلى علمي أنك لست على ما يرام». وجاء فيها أيضاً: «أود لو كان بمقدوري القدوم وتبين الأمر بنفسي، ولكن لسبب أو لآخر فإن هذا ليس ممكناً. وقد غدا الصبر في الآونة الأخيرة أكثر صعوبة!»[2].

في غضون ذلك، فإن عدم ردها بالأمس قد انتزع هذه الرسالة من معالي وزير الحرب: «لماذا ترددين؟إنني شديد القلق حول الطريقة التي تهب بها الريح![3] لا يمكنني الآن التفكير في شيء إلا فيك». كانت رسالته، التي استمرت على هذا النحو، أطول كثيراً.

(1) إيماءة إلى أغنية سايبارا بعنوان «حيث يبدأ الطريق» (ميتشي نو كوتشي). كانت تاكيفو عاصمة لمقاطعة إتشيزين على بحر اليابان. وقد عاشت موراساكي شيكيبو هناك عامين مع أبيها. ويمكن أن تُترجم فقرة في الأغنية على النحو التالي: «امض وقل لأمي إنني هنا في تاكيفو...».

(2) الآن وقد اقترب موعد قدومك أنت نفسك إلى هنا.

(3) آيسي مونوجاتري 193 (القسم 112، وكذلك كوكينشو 708): «الريح بالغة القوة، إلى حد أن الدخان المنبعث من نار الفتاة صانعة الملح في سوما يمضي في اتجاه مدهش» («الفتاة تحب شخصاً غير متوقع»).

وصل المبعوثان اللذان كانا قد التقيا في ذلك اليوم المطير في أوجي إلى هناك مجدداً اليوم. وتعرف أحدهما، وهو أحد أعضاء الجمع المصاحب لسعادة القائد، الآخر باعتباره رجلاً يراه كثيراً في دار الكاتب الرئيسي، وسأله: «ما الذي يأتي بك إلى هنا طوال الوقت؟».

«يتصادف أن هناك من أزورها».

«من تزورها؟ إذاً ما الذي تفعله في غمار تسليم هذه الرسائل المطولة؟ يبدو لي أن ثمة ما يدور هنا. ما الذي تخفيه؟».

«هذه الرسالة هي بالفعل رسالة من سيدي الحاكم إلى امرأة هنا».

أثارت الطريقة التي ناقض بها نفسه الشك في نفس مبعوث سعادة القائد، ولكنه لم يستطع متابعة الأمر بصورة فورية، ومن ثم فقد مضى كل منهما إلى حال سبيله. وعلى الرغم من ذلك فقد كان مبعوث سعادته رجلاً حاذقاً، وقال للتابع المرافق له: «اقتف أثر ذلك الرجل، ولكن لا تدع أحداً يراك. وتبين ما إذا كان يمضي إلى دار النبيل توكيكاتا، نائب حاكم إيزومو!».

في وقت لاحق أفاد التابع: «لقد مضى إلى دار معاليه، وسلم الرسالة إلى الكاتب الرئيسي». لم يكن الخادم الكئيب قد تصوَّر قط أنه قد يكون هناك من تابع مسيرته، وبالإضافة إلى ذلك فإنه لم يكن يعرف إلا القليل للغاية عن الغرض الحقيقي من مهمته. وكنتيجة لذلك فإنه لسوء الطالع كشف الأمر برمته.

قام مبعوث القائد بتسليم رسالته فيما كان سعادته ينطلق خارجاً في عباءة رسمية إلى روكو جو، حيث كانت جلالة الامبراطورة موجودة في ذلك الوقت، ومن هنا فلم يكن معه ركب كبير يرافقه، فأبلغ المبعوث المرأة التي قامت بالفعل بتمرير رسالة سعادته بقوله: «لقد توصلت إلى اكتشاف، استغرق مني كل هذا الوقت للتيقن منه».

تناهى إلى سمع القائد ما قاله المبعوث، فمضى إليه مباشرة، وسأله: «ما الذي اكتشفته؟» حرص المبعوث، الذي لم يرد أن يسمع أي شخص آخر ما يتعين عليه أن يقوله، على التزام موقف قوامه الصمت المفعم بالإجلال، ففهم القائد جلية الأمر، وواصل مسيرته.

كانـت جلالة الامبراطـورة متوعكة، ومن هنا فقـد أقبل كل الأمـراء، أبناؤها، لزيارتها، وكان هناك الكثير من كبار النبلاء كذلك، إذ إنه كانت هناك حركة قدوم وانصراف مستمرة، ولكنهـا في حقيقـة الأمر لم تكـن مريضة بصورة خطيـرة. ووصل الكاتب الرئيسـي، وهو مسؤول في مجلس الدولة، متأخراً، وعندما مضى لتسليم رسالته، كان معالي وزير الحرب فـي غرفة جلوس الوصيفات، واسـتدعاه إلى الباب ليتلقاها منه. وتصـادف أن ألقى القائد نظـرة عابـرة في ذلـك الاتجاه، في حين كان ينصـرف من عند جلالـة الامبراطورة، فلمحه وهـو يتلقاهـا منه، وحدَّث نفسـه، وقد بدا له طريفاً ما يشـهده: من المؤكد أن هذه الرسـالة تعني الكثير بالنسبة إليه.

فتـح معاليـه الرسـالة، التـي بدا جليـاً أنها مسـتفيضة ومكتوبـة علـى ورق أحمر وردي برقوقي، واسـتغرق في قراءتها، وأمضى بعـض الوقت ليلتفت باتجاه القائد، وقبل أن يقوم بذلك، اندفع معالي وزير الميمنة باتجاهه، فتنحنح القائد الذي كان يوشـك على المغادرة عبـر البـاب المنزلق محـذراً، فأخفى معاليه الرسـالة فيما أطل معالي وزيـر الميمنة، وأعاد معالي وزير الحرب ترتيب قيطان عباءته.

انحنى معالي وزير الميمنة مرتكزاً على إحدى ركبتيه. وقال: «سوف أنصرف، معاليكم، إذا سُمح لي. إنه لأمر مخيف أن يستمر توعك جلالة الامبراطورة على هذا النحو. ولسوف أبعث في التو في استقدام كبير رهبان الجبل». وسارع بالانصراف.

أوغل الليل في مسـيرته، وغادر الجميع. تبع معالي وزيـر الميمنة وأبناؤه، كبار النبلاء، والآخـرون معالـي وزير الحرب في جمع واحـد إلى مقر معالي وزير الميمنـة[1]، ثم غادر القائـد. حدَّث نفسـه: غريب! لقـد كان لدى رجله ذاك ما يقوله فيمـا يبدو. ولدى انصراف من كانوا بمعيته لإيقاد المشـاعل[2]، اسـتدعى هذا المبعوث ليمثل بين يديه. وسـأله: «ماذا لديك لتبلغني به؟».

«رأيـت، هـذا الصباح، يا مـولاي، رجلاً يعمل في خدمـة النبيل توكيكاتـا، نائب حاكم إيزومو، يقدم رسـالة لامرأة عند الباب الغربي المزدوج للدار القائمة هناك. وكانت مكتوبة

(1) المقر الشمالي الشرقي من روكو جو، الذي كانت تشغله هانا تشيرو ساتو في السابق.
(2) لإنارة طريق عودته إلى مسكنه في سانجو.

على ورق أرجواني رقيق ومربوطة إلى فرع شجرة كرز. وعندما سألته عنها، ناقض نفسه بطريقة أوحت بأنه يكذب، ولاكتشاف السر في ذلك جعلت تابعي يقتفي أثره، وقد مضى إلى مسكن معالي وزير الحرب، حيث مرَّر الرد الذي تلقاه من أوجي إلى النبيل ميتشيسارا، الكاتب الرئيسي».

«بأي كيفية تلقى الرجل الرسالة في المقام الأول؟».

«لم أتبين ذلك، يامولاي، فقد تصادف أنني كنت على الجانب الآخر من الدار. ويقول تابعي إنها كانت رسالة جميلة مكتوبة على ورق أحمر».

أخذاً في الاعتبار بكل الأمور، فإن الحقيقة لم يكن يعتريها الشك. لقد أحسن الرجل صنعاً للغاية باكتشاف هذا القدر. ولكن الآن هناك أناس على مقربة، لم يكن بمقدور القائد متابعة الأمر.

في الطريق إلى الدار أمعن القائد التفكير في الأمر، ومضى يحدِّث نفسه: إنها مفزعة تماماً تلك الطريقة التي يصل بها ذلك الأمير إلى كل شيء! كيف استطاع الوصول إلى العلم بوجودها؟ كيف أفلح في الاقتراب منها؟ أي أحمق كنت إذ تصورت أنه ما من شيء كهذا يمكن أن يحدث فيما هي في الريف! كان بمقدوره على الأقل أن يتواصل مع من لا تنتمي إليَّ! كيف أمكن أن يفعل هذا بي فيما كنا على الدوام قريبين أحدنا من الآخر وبعد كل المساعدة الكبيرة التي قدمتها له، إذ صحبته إلى هناك في المقام الأول وقدمته إلى تلك الدار. واستشاط غضباً.

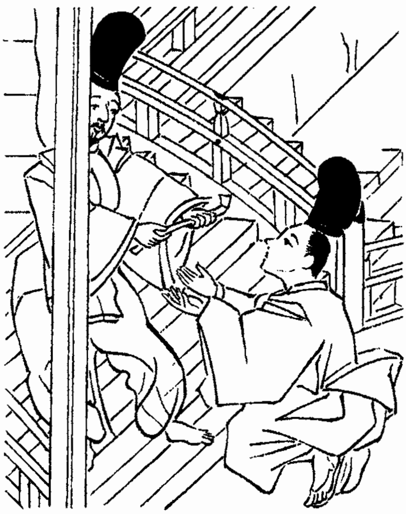
تأمل كم كنت حريصاً طوال كل تلك السنين التي أمضيتها راغباً في يأس في زوجته! وبالإضافة إلى ذلك فإن ذلك لم يكن نزوة مفاجئة يكللها العار، وإنما هناك سبب قديم ووجيه له، ولم أكبح جماح نفسي إلا لأنني كنت أعرف أنه سيكون مؤلماً أن يكون في فؤادي هذا الركن المظلم المثقل بالذنب. وعلى الرغم من ذلك فقد كنت أحمق. وها هو ذا لم يكن يشعر بأنه في خير حال أخيراً، ومع ذلك أفلح وسط كل هذا الجمع الكبير على نحو غير معتاد في أن يبعث برسالة على امتداد الطريق إلى أوجي. كيف يقوم بذلك؟ أحسب أنه يزورها هناك بالفعل. ومن المؤكد أن الحب يمضي به قاطعاً طريقاً طويلاً!

نعـم، يقولون إنه كانت هناك أيـام كان الناس يبحثون عنه فيها في كل مكان. ولابد أن ذلك هـو السـر في أنه يشـعر بالتوعك، مـن المحقق أنه في اهتيـاج حيال هذا! عـاد بذاكرته إلى الأيـام الخوالـي، وتذكَّر كـم كان معاليه في حالة يرثى لها عندما لـم يكن يفلح في الذهاب إلى أوجي، وبدأ كذلك في فهم السـر في أن الشـابة المقيمة هناك كانت في حالة بائسـة في آخـر مرة زارهـا فيها. كانت تلك خلاصات بالغة الإيلام. وراح يحدِّث نفسـه: آه، لشـد ما يمكـن للقلب أن يصبح صعب المراس. إنها تبدو بالغة الرقة والاعتدال، ولكن من الجلي أن لهـا جانبهـا المغرق فـي العاطفة كذلك. إنها وأميرها يشـكِّلان ثنائياً متكاملاً. وسـاوره الشعور بالرغبة في الانسحاب والسماح لمعاليه بالفوز بها. ولكن لا، ربما كان ذلك أمراً لا بأس به لو أنها امرأة يعتزم تكريمها حقاً[1]. ولكنه سيكتفي بتركها تواصل ما تشكِّله بالنسبة له. وقال لنفسـه: لسـوف أفتقدها إذا قطعت صلتي بها الآن فحسب. على هذا النحو كانت تأملاته المزعجة بصورة لا تليق به.

مـن المؤكد أنه سـيمضي بها إلـى مكان ما إذا خلصـت إلى أني اكتفيـت منها وتخليت عنها، ولكنني لا أستطيع تصور اكتراثه بما سيصير إليه أمرها في وقت لاحق. ويقال إنه قد أعطـى فتاتيـن أو ثـلاث فتيـات لأختـه الأميرة الأولـى بعد قصـص حب مماثلة. سأشـعر بالأسف الشديد إذا حدث هذا لها.

لا، لـم يكـن بمقدوره التخلي عنهـا. وبدلاً من ذلك، بعث إليها برسـالة ليتبين ما إذا كان بمقدوره أن يكتشـف المزيـد عـن الموضـوع. واسـتدعى الرجل الذي خدمه لتوه خدمة جليلة، وجعله يمثل بين يديه ليحادثه بنفسـه فـي الوقت الذي يتصادف عـدم وجود أحد في الجوار. وسـأله: «هل لا يزال النبيل متشيسارا يُستقبل في دار ناكانوبو؟[2]

«نعم، يا مولاي، الأمر كذلك».


تسليم رسالة

(1) اتخاذها زوجة مستقبلاً.

(2) باعتباره زوجاً لابنة ناكانوبو.

تحدَّث بأسى واضح، قائلاً: «ربما كان يرسل ذلك المبعوث الذي التقيته في أوجي مرات عدة. والسيدة المقيمة هناك تعيش حياة هادئة للغاية. أحسب أن متشيسادا يتودد إليها بالضرورة. امض إلى هناك، إذاً، ولكن احرص على التواري عن العيون. فلست أرغب في أن أبدو مثيراً للسخرية».

وافق الرجل في إجلال. وخطر له أن الكاتب الرئيسي يحيط علماً على الدوام بشؤون سعادة القائد وأنه قام باستفسارات حول أوجي أيضاً، ولكنه لم ينغمس في قول هذا. وفي غضون ذلك فإن القائد الذي لم يستشعر أي رغبة في أن يفصح عن الحقيقة لمرؤوسه التابع له، أحجم عن طرح المزيد من الأسئلة.

توافد المزيد من المبعوثين إلى أوجي أكثر من أي وقت مضى، وتراكمت الهموم على الشابة المقيمة هناك. كان القائد قد كتب لها يقول:

«ما كنت لأخمن أن الأمواج الهائلة تجتاح هذه الأيام صنوبرات سو،

أنا الذي يثق في أنك تهزلين وحيدة من أجلي[1].

أرجو ألا تجعلينني أكثر عرضة للسخرية مما أنا عليه بالفعل!».

جعلت صدمة هذه الرسالة الغريبة قلبها يخفق سريعاً. ولم يكن بمقدورها أن توضح من خلال ردها أنها تعرف ما يقصده، إضافة إلى ذلك فإنه سيبدو غريباً لو أنه كان هناك خطأ ما. وبدلاً من ذلك طوت الرسالة مجدداً، وأضافت قبل أن تعيدها: «أعتقد أن هذه الرسالة قُصد بها أن تُرسل إلى شخص آخر. من سوء الطالع أنني لست على ما يرام حتى أكتب المزيد».

حدَّث نفسه باسماً عندما قرأ ما كتبت: حسناً، لقد تخلصت من ذلك بصورة جميلة في نهاية المطاف! لم تكن لديَّ فكرة عن أنها تحظى بهذه الجسارة! وفي النهاية بدا عاجزاً عن أن يحملها مسؤولية ما جرى.

(1) كوكينشو 1093: «لئن هجرتك وأحببت أخرى، فإن الأمواج ستكتسح تل سو الذي يكسوه الصنوبر». وتظهر صورة الأمواج التي تكتسح سو نو ماتسوياما (تل قرب الساحل في مقاطعة مياجي الحالية) في العديد من القصائد التي تحمل نبرة الاتهام، مثل قصيدة كاورو.

جعلها التلميح العام الذي قام به، على الرغم من أنه لم يصل إلى حد الصراحة بالتأكيد، تشعر بأنها أسوأ حالاً بكثير، ومضت تفكر في يأس في أنها مقدر لها أن تلقى نهاية مخزية، عندما أقبلت أوكون إليها، وسألتها: «لماذا تعيدين رسالة سعادته إليه؟ لا ينبغي أن تفعلي شيئاً من هذا القبيل، فهو يجلب سوء الطالع».

«يبدو أنها أُرسلت بطريق الخطأ. وظننت أنها لابد موجهة إلى شخص آخر».

فتحت أوكون، التي استبدت بها الحيرة، الرسالة وهي في طريق خروجها. يالأوكون الخبيثة. قالت لسيدتها من دون أن تبلغها بأنها قرأتها: «هذا يعد بأن يكون أمراً صعباً بالنسبة لكما كليكما! يبدو أن سعادته قد نما إلى علمه ما يجري».

تضرَّج وجه سيدتها بحمرة قرمزية، ولزمت الصمت. لم تشك في أن أوكون قد قرأت الرسالة، وإنما افترضت بدلاً من ذلك أنها سمعت هذا من شخص قابل بالفعل سعادة القائد، بل إنها لم تستطع أن تسألها من هو، وأحست بالخجل على نحو يائس من تصور ما تظنه بها هاته النسوة الآن. ما أقسى هذا! مضت تنوح في قرارة نفسها، وهي راقدة غارقة في الكآبة. لم أطلب أن يحدث هذا لي قط!

بدأت أوكون تحادثها، وجيجو إلى جوارها: «لأختي في هيتاشي عاشقان.. هذا يمكن أن يحدث لصغار الناس أيضاً، كما تعلمين. وكان كل منهما حريصاً عليها، ولم تستطع أن تحسم رأيها فيما يتعلق بأيهما تفضل، ولكنها فضلت أكثر قليلاً أحدثهما صلة بها. وقد جعل ذلك أولهما غيوراً، وفي النهاية أقدم على قتل الآخر! ولم يزر أختي ثانية قط. وكانت النتيجة هي أن حكومة المقاطعة فقدت محارباً قديراً وأن القاتل نُفي من المقاطعة، وذلك على الرغم من أنه كان هو أيضاً محارباً قديراً، لم يكن بمقدور الحكومة أن تواصل توظيفه. أما فيما يتعلق بأختي فقد قيل لها إن عليها أن تغادر مقرها على أساس أن الأمر بكامله كان خطأها، وهكذا فقد اضطرت لمواصلة البقاء في الشرق. ولا تزال ناني تبكي من أجلها، الأمر الذي أخشى أنه لن يجديها نفعاً في حياتها المستقبلية. وأنا أعرف أن هذا ليس بالوقت المناسب لسرد مثل هذه القصة الفظيعة. ولكن ما من سيدة، رفيعة أو وضيعة، ينبغي أن تسمح لنفسها بالبقاء واقعة في مثل هذه الورطة. ربما، في هذه الحالة، لا تتعرض حياة أحد للخطر، ولكن هناك مخاطر أخرى أيضاً تتفق مع مرتبة هذين النبيلين العظيمين.

وبالنسبة لأناس مثلهما، كما تعلمين، فإن العار يمكن في بعض الأحيان أن يكون أسوأ من الموت بالفعل. وينبغي أن تستقري على أحدهما. وإذا كان معاليه هو الأكثر تلهفاً من بين الاثنين، ويبدو أكثر إخلاصاً، فعليك إذاً، يا سيدتي، باختياره، والكف عن جعل نفسك بائسة للغاية على هذا النحو! ليس هناك معنى لأن تذوي على هذه الشاكلة. هذا أمر سيئ للغاية حقاً، فيما أمك تهتم بك أشد الاهتمام، وتعرض ناني نفسها لكل أنواع المتاعب للإعداد لقدوم سعادته والذهاب بك إلى المدينة، ويحدِّث معاليه بأنه يعتزم القيام بذلك أولاً!.

احتجت جيجو: «لا تخيفيها على ذلك النحو! إن الأمر المهم هو مصيرك، يا سيدتي، أياً كان. وعليك أن تدركي في قرارة نفسك أن من تختارينه هو من تفضلينه أكثر قليلاً من الآخر. لا، أخذاً في الاعتبار مدى تلهف معاليه، وأي شرف يضفيه ذلك عليه، فإنني لست متأثرة كثيراً بكل هذه الخطط التي يعدها سعادته. عليك بأخذ من يريدك أكثر، إذا سألتني، حتى وإن كان ذلك يعني الاختباء لبعض الوقت». وبالنسبة لجوجو، التي فتنت أشد الافتنان بمعاليه فإنه لم يكن هناك شك محتمل فيما قالته.

«لا عليك، أياً كان الخيار، فإنني أدعو لهاتسوسي وإيشياما بأنك ستكونين سعيدة. إن رجال ضياع سعادة القائد هم جمع من الأوغاد، وهذه القرية مليئة بالمتحالفين معهم. وفي حقيقة الأمر، فقد تناهى إلى سمعي أن الرجال في ضياعه في ياماشيرو وياموتو على صلة بمسؤول القصر ذاك[1]، الذي يجعل زوج ابنته، مفوض حرس الميمنة[2] يقوم بكل شيء يريد سعادته إنجازه هنا. وليس من المحتمل أن نبيلاً عظيماً سيأمر بالتصرف بخشونة ضد نبيل آخر، ولكن من يقومون بنوبات الحراسة بالفعل هم ريفيون لا يفكرون، وهمهم الوحيد التيقن من أن شيئاً لن يحدث خلال نوبة حراستهم. وقد أفزعتني مشاهدة معاليه وهو يصل على تلك الشاكلة في تلك الليلة. وهو شديد الحرص على ألا تقع عليه العيون

(1) أودونيري، واحد من حوالي مئة رجل يتبعون مكتب الشؤون المركزية ويختارون من عائلات رجال من المرتبتين الرابعة والخامسة، وإذ تعهد إليهم بمهمة حراسة أرفع النبلاء قدراً، فقد كان من الممكن أن يكونوا على قدر كبير من الصلف والخشونة.

(2) أوكون نو تايفو، أحد مساعدي حراس الميمنة (أوكون نو زو، منصب ينتمي شاغله إلى المرتبة السادسة). وقد رُقي بصورة استثنائية إلى المرتبة الخامسة. وكاورو نفسه هو قائد حرس الميمنة.

إلـى حد أنه لم يجلب معه حرسـاً مرافقـاً. ولو أن الحرس انتبه إليـه، وهو متنكر على ذلك النحو، فإن النتيجة يمكن أن تكون كارثية».

أدركـت سـيدتهما بمزيد من الخجل من هـذا كله أنهما كلتيهما قـد افترضتا أنها تفضل معالي وزير الحرب، فيما هي نفسها لا تدرك أنها تميل إلى أي من الجانبين، وأحست بأنها ضائعة في غمار كابوس. لماذا يحرص معاليه بكل هذا اليأس عليَّ؟ هكذا مضت تتساءل، وهي تعرف حق المعرفة، في الوقت نفسـه، أن ترددها على وجه الدقة في ترك القائد الذي تدين له بكل شيء هو الذي يجعل الأمور صعبة على هذا النحو الفظيع بالنسبة لها. ماذا لو أن شيئاً يغمره سوء الطالع حدث؟ لم تستطع الكف عن القلق.

قالـت، وهي لا تزال راقدة وقد دسـت وجههـا في الفراش: «أتمنى لـو أنني كنت ميتة، انظـرا أي مصيـر فاجع هو مصيري! من المؤكـد أنه حتى عامة الناس نادراً ما يعانون سـوء حظ كهذا».

«لا، لا، لا ينبغـي أن تتضايقـي على هذا النحو! إنني أواصل التأكيد لك أنه ما من حاجة تدعوك إلى الشعور بهذا اليأس! في السابق، كان يبدو أن الأشياء التي يمكن أن تثير إزعاجك لا تضايقك على الإطلاق، ولكن الآن ومنذ بدأ هذا الأمر مع معاليه فإنك في حالة لم أر لها مثيلاً من قبل قط!». استبد القلق الشديد بالنسوة اللواتي كن يعرفن جلية الأمر.

في غضون ذلك، كانت المربية عاكفة على العمل في الصباغة كيفما طاب لها. واستدعت فتاة تابعة جميلة، كانت قد جاءت لتوها إلى الدار. وقالت لسيدتها: «الآن أريدكما أن تسليا نفسـيكما معاً. والطريقة التي تواصلين بها الرقاد لسـبب ما توحـي بأنه لابد أن تكون هناك روح تحاول أن تفسد كل شيء». ومضت تتنهد.

مرت الأيام من دون رد من القائد. ووصل مسـؤول القصر الجهم ذاك. كان مسـناً خشناً فظاً، غليظ الصوت، ولكن على الرغم من ذلك كان فيه ما يلفت النظر إليه. وقال: «أريد أن أحدِّث إحدى النساء» فخرجت إليه أوكون.

«لقد استدعاني سعادة القائد، ومضيت إلى هناك هذا الصباح، وقد عدت لتوي. وخلال إبلاغـي برغباتـه فيمـا يتعلق بهـذا الأمر وذاك، أبلغني بأنه لم يرسـل أي حـراس من رجال

حرسه، فيما السيدة موجودة هنا، لأنه يعلم أن رجالي يقومون بمهام الحراسة طوال الليل وصولاً إلى الفجر، ولكنه أخيراً علم بأن رجلاً غير معروف الهوية يزور إحدى النسوة هنا وان ذلك، فيما قال، أمر لا يغتفر. وذهب إلى القول إن من يتولون الحراسة يعلمون بكل شيء يتعلق بهذا الأمر، ذلك أنه لم يتبين له كيف أنهم عجزوا عن ملاحظته. وعندما سألني عن هذا، أبلغته بأنني لم أسمع به، فقد كنت مريضاً، ولم أتول مهام الحراسة بنفسي منذ شهور، وهكذا فإنني لا علم لي بالأمر، وقلت[1] إنني عهدت إلى رجال أكفاء بالقيام بهذه المهمة على الوجه المناسب، وإنه إذا كان شيء كهذا قد حدث، فإنني لا يمكنني تصور عدم إبلاغي به. ورد بأنني خير لي أن أكون حريصاً، لأنه إذا وقعت أي حادثة فإنه سيصب جام غضبه عليّ، وإني لأرتجف فرقاً لدى التفكير فيما يعنيه بذلك».

استبد بأوكون خوف يفوق الخوف الذي يثيره نعيب بومة. ولم تحر رداً، لكنها مضت مباشرة إلى سيدتها. وصاحت: «كنت أعرف هذا! أصغي إليَّ، فهذا هو على وجه الدقة ما أبلغتك بأنه لابد أن يكون قد حدث! من الواضح أن سعادته قد اكتشف الأمر. ولم تصلك أخبار منه، وذلك هو السبب!».

أشارت المربية التي تناهى إلى سمعها القليل من هذا: «يسعدني كثيراً السماع بأوامر سعادته الجديدة. إذ يُفترض أن هناك الكثير من رجال العصابات في هذه الأرجاء، والحراس لا يعملون بالطريقة التي درجوا عليها. وهم جميعاً يعملون بدلاً من آخرين فحسب، وهو لا يرسل إلا أو غاداً لا جدوى منهم بالمرة، إذ إنهم لا يعملون في تدبر أمر جولات حراستهم في الليل».

حدَّثت الشابة نفسها، قائلة: هذه هي النهاية، إذاً. وعقب ذلك وصلت، لسوء الطالع، رسالة من معالي وزير الحرب، تتقد بنفاد الصبر، وتمعن بالاحتجاجات على الأُشنة المبردة[2] على نحو أو آخر، إذاً، سيحل شيء فظيع بساحة أحدهما! والمخرج الوحيد اللائق بالنسبة لي هو أن أموت. لقد أغرقت نسوة أنفسهن من قبل، عندما لم يستطعن

---

(1) تشير صيغة الفعل إلى أن القيّم يحادث كاورو من خلال وسيط.

(2) كوكين روكوجو 3962: «أنا الذي، شأن صنوبرة، أتوق إلى إقبال لقائنا التالي سريعاً، أجد الأُشنة حول قاعدتي هذه الأيام وقد أتلفها الحنين». والقصيدة تتلاعب بكلمة «ماتسو» أي «صنوبرة» و«ينتظر».

الاختيـار بين الخطاب[1]. ولئن عشـت فسـيكون لديَّ ما يدعوني للنـدم على ذلك، فلماذا لا أرغب في أن أموت؟ لسـوف تحزن أمي وتلزم الحداد عليَّ بعض الوقت، ولكنها لديها العديـد مـن الأبناء الذيـن يتعين عليها أن ترعاهم، ولسـوف تصل بالطبع إلى نزع أعشـاب النسـيان. وسـيكون أسوأ بالنسبة لها إذا حل سـقوطي بينما لا أزال على قيد الحياة وضعت إلـى الأبد بعد تعرضي للسـخرية الشـديدة. هكـذا تواصلـت أفكارها. لم تكـن تربيتها قد منحتها الكثير من الكبرياء الحقيقية أو المعرفة بأمور الدنيا، وربما كان ذلك هو السبب في أنها كانت قادرة على التفكير في القيام بهذه الخطوة الوحشـية تقريباً، على الرغم من مناخ البراءة المعتدلة الصبيانية الذي يحيط بها.

مزقـت العديد مـن الأوراق التي تهددها بالخطر، وبدلاً مـن التخلص منها إجمالاً، في التو، أحرقتها شـيئاً فشـيئاً في لهب المصبـاح، أو أمرت بالمضي بهـا لإلقائها في النهر إلى أن لـم يعـد لهـا جميعها وجود. وحسـبت النسـوة، اللواتي لـم يعرفن بما هي بسـبيلها إلى الإقـدام عليـه، أنها تتلـف مجموعة عرضية مـن أوراق التدريب على الخـط تراكمت على مدار الشهور، استعداداً لانتقالها إلى المدينة.

تسـاءلت جيجو عندما وجدتها عاكفة على القيام بذلك: «لم تفعلين ذلك؟ إنك بالطبع لا تريدين أن يطلع أي أحد على رسـائل تم تبادلها بحب بينك وبين شـخص آخر، ولكنها متعـة مؤثرة بالنسـبة لأي شـخص، رفيعـا كان أم وضيعاً، أن يلقي نظرة بيـن الحين والآخر علـى رسـائل عتيقة تـم حفظها بأمان في قـاع صندوق. يا له من شـيء فظيـع تقومين به أن تمزقي رسائله فيما كتب إليك الكثير من الأمور الجميلة وعلى مثل هذا الورق البديع!».

«كل مـا فـي الأمر أنني لسـت أحس بأننـي على ما يـرام، كما ترين، وأنا أشـك في أنني سـأعمر طويـلاً أكثر من هذا. ولسـوف تحرجـه أيضـاً إذا عثر عليها أحد فـي وقت لاحق. ولسوف يستبد بي الخجل لو أن أحداً أبلغه بأنني أصررت عامدة على الحفاظ عليها». وبدا كذلك أنها كلما أمعنت التأمل في الفعلة التي أعدت للإقدام عليها راحت تتسـاءل عما إذا كانـت تملك الجرأة حقاً للقيام بها. ومضت تتأمل أيضاً فيما كانت قد سـمعت به، وهو أنه

---

(1) هناك أسطورة شهيرة بصفة خاصة حول هذا الموضوع في مانيوشو 1813 وما بعدها، يا ماتو مونو جاتري 147، وغيرهما.

من قبيل الخطيئة الكبرى أن يسبق الإنسان أبويه إلى الموت.

أقبل اليوم العشرون من الشهر وانقضى. وكان من المقرر أن يغادر مالك الدار التي اعتزم معالي وزير الحرب أن يأخذها إليها المدينة في اليوم الثامن والعشرين.

كتب يقول: «سأجيء لاصطحابك في تلك الليلة، فاحرصي على ألا تخمن وصيفاتك وخادماتك شيئاً. وأعد ألا أكشف من جانبي عن سرنا، فلا تشكي فيّ! مضت تنوح في قرارة نفسها: ولكن آه، لن يكون بمقدوري أن أحادثه مجدداً قط، حتى إذا أغوى القدر وجاء! لسوف أضطر إلى رده على أعقابه حتى من دون أن أراه! ليس بمقدوري حتى أن أدعوه إلى هنا لنيل قسط من الراحة! وتصورته عائداً وقد استبد به الغضب وخيبة الأمل، وكما هي الحال غالباً بدا أنها تراه ماثلاً أمامها، إلى أن غلبها الأسى. وضمت رسالته إلى محياها، وبعد محاولة قصيرة للسيطرة على نفسها، انخرطت في بكاء مرير.

صاحت أوكون: «آه، ياللهول! لسوف يدرك الناس ما يجري إذا بقيت على هذه الحال! ولابد أن بعضهم يتساءل بالفعل. أرجو أن تحسمي أمرك، وأن تكتبي له الرد الذي ترغبين فيه أياً كان! إنني ها هنا، وطالما أنني أصل إلى حيلة مجنونة من نوع ما، فأنا على يقين من أن بمقدوري جعله ينزل من السماء- فأنت ناحلة للغاية على أي حال- للمضي بك إلى المدينة!».

كفكفت سيدتها دموعها للحظة. وقالت: «أتمنى أن تكفي عن الحديث على هذا النحو! كان الأمر سيكون هيناً بما فيه الكفاية لو أنني كنت أعتقد أن ذلك هو الشيء الذي ينبغي القيام به، ولكنني أعرف تماماً أنه ليس كذلك، وفي غضون ذلك فإنه يجعل الأمور بالغة الصعوبة بالكتابة كما لو أنني التي ينحصر تفكيرها في ضرورة مجيئه لاصطحابي، إلى أن أصبحت لا أعرف ما الذي أتوقعه منه بعد ذلك، وغرقت أنا نفسي في وهدة اليأس!». ولم ترد على معاليه على الإطلاق.

عندما لم يتلق معالي وزير الحرب أي مؤشر للموافقة من جانبها، ولاحظ أنها الآن نادراً ما ترد على رسائله، فقد غلب على ظنه أن حجج القائد العميقة قد استمالتها، وأنها قد مالت إلى الخيار الأكثر أمناً إلى حد ما. ولم يلمها على ذلك، ولكنه على الرغم من ذلك

أحسَّ بالضيق الشديد، وحدَّث نفسه قائلاً: إنني أعرف أنها تحبني! ومن الواضح أنها قد استجابت لكل نسوتها اللواتي انهلن عليها همساً في غيابي! وبدا له أن الكآبة التي أفعمته يمكن أن تملأ السماء الرحبة[1] إلى أن نسى الحذر كله، وانطلق إلى أوجي.

اجتذب الاقتراب الأول من سور القصب، على نحو لم يحدث من قبل، جوقة من أصوات التحذير التي تجأر: «من الذي يمضي هناك؟» فتراجع رجل معاليه، وبعث بمن يعرف الدار جيداً. فتصدى له بدوره. كانت الأمور تختلف هذه المرة. فقال من دون يعرف ماذا عساه يقول غير ذلك: «لديَّ رسالة عاجلة من المدينة!». وهتف منادياً باسم خادمة أوكون. وفي نهاية المطاف سُمح له بدخوله الدار. كان الوضع أكثر صعوبة من أي وقت مضى.

قالت أوكون: «ليس بمقدوري الاعتذار بما فيه الكفاية لمعاليه، ولكن هذا المساء مستبعد تماماً».

بالنسبة لمعاليه الذي لم يستطع فهم انقلابهن عليه بمثل هذه الطريقة لم يكن هذا رداً مقبولاً. فقال: «توكيكاتا، امض إلى هناك، وتحدَّث مع جيجو، وقم بكل ما تمس الحاجة إلى القيام به!». وبعث به بعيداً.

شق توكيكاتا البارع طريقه بالإقناع عبر الحراس، ووصل إلى جيجو، فأوضحت له الأمر بقولها: «لسبب ما أمر سعادته بأن يلزم الحراس الحرص الشديد، وهو ما جرى الالتزام به أخيراً، ونحن نكاد نختنق. ومولاتي نفسها يبدو أنها في أسى شديد، ومن المؤلم للغاية رؤيتها متضايقة بشدة من جراء هذه الإساءة إلى معاليه، لا، لا، ليس هناك أمل بالنسبة لليلة. والأمور لن تزداد إلا سوءاً وتردياً، لذا أرجو أن تبلغه أننا نحن بدورنا نستعد لليلة التي أعتقد أنه قد ذكرها لسيدتي». وأبلغته كذلك بمدى يقظة مربية سيدتها.

رد توكيكاتا: «الأمر ليس بالمزحة، كما تعلمين، قدومه على امتداد الطريق إلى هنا، وأخذاً في الاعتبار المخاطرة التي يخوضها، فإنني سأبدو معدوم الكفاءة تماماً إذا جلبت له رداً لا جدوى منه كهذا. ليكن، تعالي معي، بإمكاننا أن نفسر له الأمر سوياً!».

---

(1) كوكينشو 448: «يبدو أن حبي يملأ السماوات الرحبة الخاوية، رغم أني أسعى لكبح جماحه، غير أنه لا مجال آخر أمامه».

اعترضت جيجو قائلة: «لكنني ليس بمقدوري القيام بذلك!»، وانقضى الليل فيما هما يتجادلان حول ذلك.

كان معاليه لا يزال ينتظر على مبعدة، من دون أن يترجل، عندما أقبلت كلاب وحشية الصوت، ومضت في النباح على نحو مفزع حوله، إلى أن استبد القلق بكل من معه - وفي هرب مجنون كهذا كان هناك عدد قليل للغاية - حول ما قد يحدث إذا انقض عليه أوغاد من نوع ما.

هتف توكيكاتا بحدة: «حسناً، ستجيئين معي الآن» وجرَّ جيجو جراً، مبتعداً بها، بدت فاتنة، وقد دست شعرها تحت ذراعها. وحاول رفعها إلى صهوة جواد، وعندما رفضت ذلك، رفع إلى أعلى قليلاً أطراف ثيابها وسار معها، وأعطاها حذاءه الجيد لتنتعله، في حين انتعل حذاء أحد مرؤوسيه. وغدا واضحاً، عندما وصلا إلى معاليه، وشرع توكيكاتا في قول ما لديه، أن الحديث سيكون مستحيلاً طالما ظل معاليه على صهوة جواده. ومن هنا فقد فرش توكيكاتا ما يسمونه ببطانية السرج تحت سور نباتي خاص بأحد الفلاحين لكي يتمكن معاليه من الترجل عن جواده. وحتى معاليه أثار هذا الموقف شعوره بالصدمة، فراح يحدِّث نفسه: أشك في أنني يمكنني الاطمئنان إلى مستقبل مضمون إذا تعرضت للأذى في مهمة كهذه، ولم يملك إلا البكاء حيال هذه المخاطرة. وقد أدخل هذا الحزن على نفس جيجو الحساسة. ولم يكن بمقدورها أن تتجاهل من هو على مثل هذا الجمال، حتى ولو كان ألد أعدائها وعلى هيئة شيطان مخيف.

مسح دموعه لحظة. وقال: «ألا يمكنني أن أتبادل كلمة معها؟ لماذا يتعين أن يكون الأمر على هذا النحو الآن؟ لابد أنكن أنتن، أيتها النسوة، من دفع بها إلى هذا!».

أوضحت له جيجو على وجه الدقة ما يجري. وقالت: «لطفاً، معاليكم، لابد لكم من التيقن من ألا تدعو أحداً يعرف اليوم الذي حددتموه. وأنا على تمام الاستعداد للقيام بكل ما يمكنني فعله من أجلكم، أياً كان الثمن بالنسبة لي، وأنا أراكم تخاطرون بكل هذا الكرم بكل شيء من أجلها بهذه الطريقة». وكان معاليه يخشى بدوره اكتشاف الأمر إلى حد كبير، ولم يكن بمقدوره الإصرار على الغضب منها.

كان الوقت الآن قد تأخر كثيراً، ولكن كلاب الحراسة كانت لاتزال تنبح، وعندما طاردها رجال معاليه بعيداً، ترددت أصوات رنين الأقواس وصياح رجال غلاظ «حذار من الحريق!». كان الأمر كله مثيراً للقلق إلى أبعد الحدود. وكانت حالة معاليه وهو يتأهب للعودة إلى المدينة تستعصي على الوصف.

«إلى أن أمضي لأنبذ حياتي، لست أدري، فالسحب البيضاء تلف

الجبال كافة ودربي مدلهم بالدموع[1].

اذهبي الآن سريعاً!». بعث بجيجو إلى الدار. كانت هيئته ساحرة وفاتنة، وما من كلمات يمكن أن تعبر عن عذوبة عبقه، بعد أن بلله ندى الليل.



بطانية سرج

كانت أوكون تحدِّث سيدتها، التي رقدت ممددة في فراشها يائسة، كيف أنها كانت قد رفضت في جفاف السماح لمعاليه بالدخول، عندما دلفت جيجو، وحدَّثتها بقصتها. ولم تحر سيدتهما رداً، ولكنها تمنت ألا يكون بمقدورهما رؤيتها وهي على هذا النحو، فيما وسادتها تطفو بعيداً. وفي صباح اليوم، رقدت طويلاً في فراشها، خجلاً من أن تلاحظا انتفاخ عينيها، ثم إعلاء لشأن أبسط الأصول المرعية أحكمت ربط قيطان كتفيها، وقرأت بعض النصوص المقدسة، مكتفية بالدعاء بأن تغتفر لها خطيئة الموت قبل أمها. وأخرجت الصورة التي كان قد رسمها، وأحست وهي تحدِّق فيها بأنه هناك ماثل أمامها، فاتناً كعهده، يعيد رسمها من جديد. كان أمراً قاسياً بصورة خاصة أنها لم يكن بمقدورها أن تقول له كلمة واحدة البارحة! وكيف، إذاً، سيكون شعوره فيما وعدني كثيراً بسنين طويلة ومفعمة بالسكينة معاً؟ بمزيد

(1) شويشو 1217: «أعرف أنه لا يمكن أن يكون هناك جبل لا تلفه السحب البيضاء الجوَّابة». القصيدة تتلاعب بلفظي «شيرا [زو]» (لا يعرف و«شيراكومو» («سحب بيضاء») وكذلك تتلاعب بلفظ «ناكو» («لا يكون / لا يكونون» و«يبكي»).

من الخجل كان بوسعها أن تتصور أن بعضهم قد يتناول سيرتها بالسوء، ولكن ذلك أفضل من أن يُرغم على سماع الناس وهم يسخرون من حماقتها الجديرة بالازدراء! دفعت هذه الخواطر بقصيدة إلى ذهنها:

«على الرغم من أنني أنبذ حياتي في يأس مظلم، فإن صفة فظيعة،

ويا للحسرة، ستلحق بي عندما أرحل».

افتقدت أمها أيضاً، وحتى أخوتها وأخواتها الذين لم يكونوا أثيرين لديها، والذين لولا ذلك لما فكَّرت كثيراً فيهم. ثم تذكَّرت سعادة الأميرة المقيمة في نيجو، حيث كان هناك الكثيرون للغاية ممن تاقت لرؤيتهم مرة أخرى فحسب. انهمكت نسوتها جميعاً في الثرثرة، وانشغلن بصباغتهن، ولكنها لم تكترث بهن كثيراً. وعندما حل الليل مجدداً، رقدت مسهدة، وهي تخطط لطريقة تنسل بها من الدار من دون أن ترصدها العيون. وعندما بزغ الفجر تطلعت إلى النهر، وأحست بالموت أشد قرباً إليها منها إلى الخروف المتردد[1].

بعث معاليه برسالة مفعمة بالاتهام الممرور، ولكن حتى الآن فقد منعها الخوف من أن يكون أحدهم عاكفاً على المراقبة من كتابة الرد الذي تتمناه. وكتبت تقول فحسب:

«إذا لم أترك أثراً في هذه الدنيا ولو قشرة خاوية،

فأين تنشد قبري، يا حبيبي، لتتهمني بما أتته يداي؟»[2]

وبعثت بها إلى الرسول. وأرادت أن تبعث إلى سعادة القائد بكلمة أخيرة كذلك، ولكنها لم تستطع تحمل فكرة أنها إذا فعلت ذلك، فإن هذين الصديقين ربما يقومان، مع مرور الوقت، بالمقارنة بين ما كتبت لكل منهما. وحدَّثت نفسها: لا، لسوف أتركهما كليهما يتساءلان عما حدث لي.

وصلت رسالة من أمها قادمة من المدينة: «تراءى لي البارحة حلم مزعج إلى أبعد الحدود، وطلبت تلاوة النصوص المقدسة من أجلك في العديد من المعابد. وأحسب أن ذلك يرجع إلى أنني لا أعاود النوم قط. ولكنني اليوم أخذتني سنة من النوم وتراءيت

(1) خروف يمضي متمهلاً لكي يتم ذبحه، التشبيه مستمد من نيهان جيو.

(2) جوسينشو 640، من نظم تشوجو نو كوي: «سأموت بعد اليوم، ولكن عندئذ، حتى في الحلم، إلى أين ستمضين يا حبيبتي لتنشدي قبري؟».

لي في الحلم مجدداً، بالطريقة التي يقولون إنها تعلن عن محنة[1]. وذلك هو السر في أنني أكتب لك، الآن وقد استيقظت مجدداً. كوني حريصة لطفاً، لطفاً. إنني أخشى كثيراً شخصاً مرتبطاً بذلك النبيل المميز الذي يزورك أحياناً في دارك المنعزلة تلك[2]، وإنه لأمر مقلق بصفة خاصة أن أحلم بك بهذه الطريقة، فيما أنت متوعكة بالفعل. أريد أن أمضي إليك، لكن زوجة الملازم لاتزال تثير قلقنا الشديد، لأنها مريضة بطريقة توحي بتأثير روح، وقد حظرت عليّ مغادرة الدار على الإطلاق. ولابد لك من التكليف بقراءة النصوص المقدسة في المعبد المجاور لك أيضاً». وقد أدرجت رسالة إلى المعبد وتبرعاً مناسباً كذلك. وقد استبد الحزن بابنتها لقراءة الأمور الذي كانت قد كتبتها من دون أن تعرف أن الحياة انتهت الآن بالنسبة إليها.

نظمت ردها، بينما انطلق أحدهم إلى المعبد. وكان لديها الكثير مما تريد أن تقوله، ولكنها في نهاية المطاف اكتفت بما يلي:

«تمنيت أن أجعلك تبتلهين كي نلتقي مجدداً، في الحياة المقبلة،

من دون أن يشوشنا أي حلم بالدنيا البائسة».

حملت إليها الريح قرع جرس المعبد، معلناً بداية ترتيل النصوص المقدسة، فرقدت هنالك مصيخة السمع له:

«أضف، يا جرس المعبد، إلى أصدائك المحتضرة صوتي المرتفع بالبكاء،

احمله إلى أمي هناك، ليبلغها بأني لم يعد لي وجود».

كتبت هذه القصيدة على قائمة تلاوة النصوص المقدسة[3]، لا لشيء إلا ليُقال لها إن المبعوث لن يعود إلى المدينة في تلك الليلة، ولذا تركتها مربوطة إلى فرع شجرة.

أشارت مربيتها في حديثها مع النسوة: «دقات قلبي تخفق على نحو غريب، وقد ذكرت والدة سيدتنا أحلاماً مخيفة. اذهبن وأبلغن الحراس بضرورة اليقظة الليلة!».

---

(1) وفقاً لأطروحة عن قراءة الحلم وردت في شرح مبكر، فإن الحلم بكون أحدهم مريضاً يعلن أن ذلك الشخص بسبيله إلى أن يلقى حتفه.

(2) إنها تخشى غيرة زوجة كاورو.

(3) قائمة يرسلها المعبد في معرض الرد، محدداً عناوين السوترات التي تُليت وعدد اللفائف التي تضمنتها.

حدَّثت نفسها، وهي راقدة غير بعيد: آه، لا!

واصلت ناني حديثها: «لست أدري لم لا تتناولين أي شيء. بعض العصيدة ربما؟». وعلى الرغم من أنها كانت دوماً شديدة الوسوسة، إلا أنها غدت الآن موغلة في العمر وبالغة القبح.

تساءلت متأثرة: ما الذي ستفعله عندما أمضي؟ لو أن بمقدوري أن ألمح لها فقط أنني لم يعد بمقدوري البقاء في هذه الدنيا! ولكنها لم تنبس ببنت شفة تحسباً للانزعاج الفوري وفيض الدموع.

رقدت أوكون إلى جوارها، وقالت: «يقولون إن روح من لها هموم كهمومك تضرب ضائعة في البعيد. ربما كان ذلك هو السر في أن أمك راودتها تلك الأحلام. أتوسل إليك أن تحسمي رأيك وتتقبلي العواقب، كائناً ما كانت». وتنهدت.

لم تحر سيدتها إلا الرقود وقد دفنت وجهها في أكمامها الرقيقة.

52

كاجيرو

ذبابة مايو

يفقس بيض كاجيرو («ذبابة مايو») في الصيف، وتموت بعد ذلك بسويعات. ويستمد هذا الفصل عنوانه من القصيدة الختامية فيه، التي ينظمها كاورو:

«هناك هي، هناك فحسب، غير أنها بعيدة دوماً، إلى أن أتطلع مجدداً
ولا يعود لها وجود، ذبابة مايو، ولا تقع عليها العيون ثانية».

الصلة بالفصول لسابقة

تتواصل الأحداث في «ذبابة مايو» من حيث انتهت أحداث «قارب منجرف» في العام السابع والعشرين من عمر كاورو.

الشخوص

القائد، 27 عاماً (كاورو).

أم أوكيفوني، زوجة حاكم هيتاشي (تشوجو نوكيمي).

أوكوني، وصيفة في أوجي، ابنة مربية أوكيفوني.

معالي وزير الحرب، 28 عاماً (نيئو).

توكيكاتا، تابع لنيئو.

مربية أوكيفوني.

جيجو، وصيفة أوكيفوني، ثم تلتحق بخدمة الامبراطورة.

مفوض الخزانة، ناكانوبي، تابع لكاورو.

سعادة الأمير، زوجة معالي وزير الحرب، 27 عاماً (ناكا نو كيمي).

معلم ضبط النفس، الخبير سابقاً (أوجي نو أجاري).

بن، الراهبة في أوجي (بن نو أما).

حاكم هيتاشي، زوج أم أوكيفوني.

كوزايشو، وصيفة في خدمة الأميرة الأولى.

جلالة الامبراطورة، 46 عاماً (أكاشي نو تشوجو).

ابنتها، الأميرة الأولى (أونا إيتشي نو ميا).

ديناجون، وصيفة في خدمة الأميرة الأولى.

ميا نو كيمي، ابنة معالي وزير شؤون المراسم الراحل، في خدمة الامبراطور.

بن، وصيفة في خدمة الامبراطورة.

تشوجو، وصيفة في خدمة الأميرة الأولى.

هناك بعيداً في أوجي، كانت النسوة قد اكتشفن أن سيدتهن لم يعد لها وجود، ومضين يبحثن عنها في اهتياج، ولكن عبثاً، ولن أصف المشهد أكثر من هذا، ذلك أنه يشبه غداة اختطاف عذراء في حكاية.

كان القلق قد استبد بأم الشابة، عندما لم يعد المبعوث الذي كانت قد أرسلته من المدينة بالأمس، فبعثت بغيره. وأوضح الرجل الموقف قائلاً: «كانت الديكة لاتزال تصيح عندما أرسلتني». ولم تدر المربية ولا أي أحد غيرها ما هي الإجابة التي يتعين إرسالها، فقد كن أكثر ضيقاً وحيرة من أن يرسلن رداً. ولكن على الرغم من أن بعضهن لم يكن بوسعهن إلا التجول في أرجاء المكان في أسى، إلا أن من كن يعرفن جلية الأمر تذكرن كيف كانت قانطة بصورة قاسية، وأدركن أنها ربما كانت قد أغرقت نفسها.

انخرطن في البكاء، فيما هن يقمن بفض رسالة أمها: «أحس بالقلق عليك إلى أن يجافيني النوم، وأحسب أن ذلك هو السبب في أنني لم أحلم بك بالصورة المناسبة البارحة. تراءت لي كوابيس فحسب، الأمر الذي تركني شاعرة بالغرابة البالغة والخوف الشديد ذلك أنني أريدك هنا طوال ما بقي من وقت، وذلك على الرغم من أنني أعرف أنك ستنتقلين عما قريب إلى المدينة. ومن سوء الطالع أن المطر ربما ينهمر اليوم».

مضت أوكون تبكي بمرارة، عندما فضت رسالة سيدتها إلى أمها، التي كتبتها البارحة. هوذا الأمر إذاً، فقد أبلغت أمها بأنها تحس بأنها لا أمل لها! لماذا لم تقل لي شيئاً؟ إنها لم تكن مستاءة مني قط، لم يحدث ذلك مرة واحدة، منذ كنا طفلتين، ولم أخف عنها شيئاً، ولكنها انطلقت في رحلتها الأخيرة من دون تلميح لي إلى ما تعتزم القيام به! هذا أمر شديد القسوة! لطمت أوكون الأرض بقدميها، وبكت مثلما طفلة صغيرة. ومن المؤكد أنها رأت سيدتها وقد استبد بها القنوط يوماً إثر آخر، ولكن ما من شيء فيها أوحى بأنها يمكن أن يدور بخلدها شيء بالغ الفظاعة على هذا النحو. ترى ما الذي حدث لها؟ تاقت يائسة إلى معرفة ذلك. وفي غضون ذلك تركت الصدمة مربية سيدتها عاجزة عن القيام بما يتجاوز الدمدمة: «ماذا عسانا نفعل؟ ماذا عسانا نفعل؟».

كان الطابع غير المألوف بالمرة لذلك الرد الأخير قد أثار انزعاج معالي وزير الحرب كذلك. ما الذي يحتمل أن تقصده؟ هل مضت تختبئ في مكان ما، على الرغم من أنها يبدو

أنها تحبني، لأنها خشيت كثيراً من أن تكون مجرد تسلية بالنسبة لي؟ وصل مبعوثه ليجد الدار بأسرها غارقة في النواح والأسى، بل إنه لم يستطع تسليم رسالته. تساءل: «ما الذي جرى؟». وجاءه الرد: «لقد قضت سيدتنا نحبها فجأة البارحة، ونسوتها جميعاً استبد بهن الحزن، فأذهلهن عن أمرهن. وليس لدينا هنا من نتطلع إليه ليرشدنا، وفي الوقت الراهن فإنه ما من أحد في خدمتها يعرف ما الذي يتعين القيام به». ولم يكن الرجل يعرف الكثير عن اهتمام معاليه بالأمر، وعاد إلى المدينة من دون أن يستفسر عما هو أكثر من هذا.

ساور معاليه الشعور بأنه لابد يحلم، عندما نقل إليه الرجل هذا الخبر. كم هذا غريب للغاية! لم أسمع قط بأنها مريضة بصورة خطيرة، وعلى الرغم من أنه قيل لي مراراً إنها لم تكن على ما يرام أخيراً، فإن ذلك الرد الذي تلقيته منها بالأمس لم يظهر مؤشراً على ما يجري، وفي حقيقة الأمر أنه كان أكثر جمالاً من المعتاد. استبدت الحيرة به حيال ما يتعين القيام به، فأمر توكيكاتا بالمضي إلى هناك واكتشاف ما يجري على وجه الدقة.

«لكن يبدو، معاليكم، أن سعادة القائد قد سمع شيئاً في هذا الصدد، لأنني بلغني أنه وبخ بصرامة الحراس على تهاونهم، وهم الآن يعترضون طريق أي أحد يصل إلى هناك، حتى وإن كان مرؤوساً. ولو أنني مضيت إلى هناك من دون عذر مناسب، ثم سمع سعادته بالأمر، فقد يفهم كل شيء. وبالإضافة إلى ذلك، فإن أي دار مات فيها أحد على غرة على هذه الحال من المحتم أنها ستشهد ضجة كبرى، وتغدو مليئة بالناس».

« لا شك في هذا، ولكن هل تتوقع مني حقاً أن أتحمل غياب اليقين هذا؟ ابذل قصارى جهدك فحسب للحديث مع جيجو أو غيرها ممن يعرفن جلية الأمر، واكتشف على وجه الدقة ما الذي تعنيه تلك القصة التي جاء بها رجلي لدى عودته، فالخدم أحياناً ينطقون بالهراء التام!».

أحس توكيكاتا بالشفقة عليه في أساه البادي للعيان، وانطلق إلى هناك في ذلك المساء. ولما كان شديد الكفاءة، فقد ارتحل مسرعاً. ولم يكن المطر ينهمر حينها، ولكنه ارتدى ثياباً تناسب رحلة شاقة، ووصل في هيئة متواضعة للغاية ليسمع العديد من الأصوات تنوح عالية بأن الجنازة ستشيع في الليلة ذاتها. وقد كانت تلك صدمة كبرى. وبعث برسالة إلى أوكون، ولكنه لم يتمكن من الحديث معها، حيث ردت عليه قائلة: «إنني أخشى أنني أكثر

تأثيراً بالدوار من أن أتمكن من رؤيتك، ويؤسفني ألا أستطيع لقاءك، لأنني لا أحسب أنك ستعود مجدداً بعد هذا المساء».

«نعم، ولكن كيف يمكنني العودة إلى معاليه من دون معرفة ما جرى؟ هل لي في الحديث مع شخص آخر إذن؟».

جعله إصراره يظفر بلقاء مع جيجو. وقد قالت: «الأمر فظيع للغاية! من المؤكد أنها هي نفسها لم تتصور الرحيل فجأة على هذا النحو، وفظاعة ما جرى تفوق كل الكلمات، الأمر يشبه كابوساً. أبلغ معاليه أننا جميعاً مذهولات. وسأحدثك عن يأسها وكيف أحست بالأسى في تلك الليلة لتبلغ بذلك معاليه، ولكن ليس قبل أن أتمالك نفسي قليلاً. أرجو أن تعود مجدداً بعد أن ينتهي اعتكاف الحداد المعتاد!» كانت تبكي في مرارة وهي تقول هذا.

داخل الدار، أيضاً، لم يسمع إلا أصوات البكاء، والتي ظن أنه تعرف من بينها صوت المربية. كانت تصيح: «آه، يا عزيزتي، إلى أين مضيت؟ آه، عودي. عودي! ما أصعب ألا يكون هناك حتى جثمانك! لم أحس بالسأم قط من رؤيتك، صباحاً ومساء، وتطلعت كثيراً إلى استقرارك في خير حال! ذلك هو ما عشت من أجله كل هذا الزمن! ما أغرب التفكير في أنك قد رحلت عني الآن وأنك لم تبلغيني حتى إلى أين تمضين! ما من إله أو شيطان يمكن أن يأخذك يا عزيزتي! يقولون إن تايشاكو نفسه يعيد من يفتقدون على نحو مؤلم![1] أياً كنت يا من أخذت عزيزتي، بشراً أم شيطاناً، آه، أعدها إليَّ، دعني على الأقل أشاهد جثمانها!». استمرت على هذه الحال، ولم يكن لكلامها في بعض الأحيان معنى.

«حدثيني بالمزيد، لطفاً! هل يمكن أن يكون أحد قد انطلق بها بعيداً؟ لقد بعثني معاليه إلى هنا لأمثله في محاولة منه لاكتشاف ما حدث على وجه الدقة. وليس هناك ما يمنع الآن دون حدوث ما جرى، أياً كانت الحقيقة، ولسوف يلومني فحسب، أنا مبعوثه، إذا سمع في وقت لاحق أي شيء يشير إلى أنني قد ضللته. وأنا على يقين من أنك تعرفين

(1) يروى نص مقدس كيف أن تايشاكو (إندرا) قد أعاد رجلاً (هوتجل سابق للبوذا) إلى الحياة مجدداً، استجابة لصلوات أم ذلك الرجل. وقد عرفت هذه الحكاية في اليابان بصفة خاصة، بفضل مجموعة الحكايات البوذية «سانبوي».

كـم يعني له أن يعرف ما جـرى، حيث إنه بعث بي إلى هناك لأتحدث إليك، وكله يقين من أنك ستبادرين إلى إبلاغي بجليـة الأمر. وهناك أمثلة قديمة فـي المملكة الأخرى[1] أيضاً على رجال خسروا بسبب حب امرأة، ولكنني أشك في أن أي رجل عرف العشق كما عرفه هو».

حدَّثت جيجو نفسـها قائلاً: نعم، إنه لأمر مميز أن أرى مبعوثه هنا، ومن المؤكد أن أي شـيء غير مألوف بهذا القدر سـوف يبرز للعيان، في نهاية المطاف، أياً كان ما يقوم به المرء لحجبه.

«هل تعتقد أن أهل الدار كلهم كانوا سـيكونون على مثل هذا الضيق إذا كان هناك أدنى سبب للاعتقاد بأن أحداً انطلق بها بعيداً؟ لقد كانت تعاني من الكثير أخيراً، ثم حسبما شاء الحظ، أرسـل سعادته إليها بتلميح مزعج أشـد الإزعاج أيضاً. وكانت أمها ومربيتها -التي تسـمعها تنوح عليهـا بتلك الطريقة- تعدانها للذهاب إلى السـيد النبيل الـذي عرفها أولاً، ولكنهـا في قرارة نفسـها أحسـت بميـل أكثر رقة إلى معاليـه، وأتوقع أن يكـون ذلك هو ما جعلها شديدة التعاسة. وأخشى أنه يبدو بالفعل أنها قد تخلصت من نفسها، وأنا على يقين من أن ذلك هو سبب دمدمة مربيتها بكل أنواع الأمور التي لا تعني شيئاً».

أبلغتـه بهذه الطريقـة الملتوية بعضاً مما حدث، ولكن توكيكاتـا وجد أنه لم يفهم الأمر تماماً بعد. وقال: «حسناً للغاية، إذاً، سأعود في وقت لاحق. البقاء واقفاً على هذا النحو[2] محبط للغاية. وأتوقع في المرة التالية أن معاليه سيحضر بنفسه».

«آه، لا، سـيكون هـذا أمراً جيداً للغاية منه! وحسـبما تمضي الأمور الآن، فإنه سـيكون تكريماً لذكراها فحسـب إذا علم الناس بما كانت تعنيه بالنسـبة لك، ولكن الأمر كان سـراً فـي نهايـة المطاف، وأنا على يقين من أنه سـيوافق على أنه ينبغـي أن يظل كذلك». حذرته بهذه الطريقة قبل أن يغادر المكان لأن أهل الدار كانوا يقومون بكل ما في وسـعهم لتجنب الكشـف عن أن سـيدتهم قد ماتـت على هذا النحو بالـغ الغرابة، وقـد أدرك بالطبع حقيقة الموقف.

---

(1) الصين.

(2) لتجنب الدنس المرتبط بالموت.

الآن وصلت والدة سيدتهن أيضاً وسط مطر منهمر. وإذ لم تجد كلمات تعبر بها عن مشاعرها، فقد غمغمت في حيرة: «إنه لحزن غامر ذلك الذي يقترن بالفعل برؤية أحدهم يقضي نحبه، ولكن مثل هذه الأمور شائعة على الأقل. ولكن ما الذي عساه يكون قد حدث في هذه الحالة؟». ولم تكن فكرة غرق ابنتها قد طرأت ببالها قط، حيث إنها لم تعرف شيئاً عن عذابها حيال ما كان يجري، لم تستطع إلا افتراض أن شيطاناً قد التهمها، أو أن مخلوقاً شبيهاً بالثعلب قد خطفها، وتذكرت أشياء غريبة كهذه تحدث في الحكايات القديمة[1]، أو ربما مربية خبيثة الذهن، على سبيل المثال، امرأة مقربة من السيدة العظيمة التي أخافتها كثيراً[2] قد علمت أن سعادة القائد يعتزم إحضار ابنتها إلى المدينة، وأحست بما يكفي من الضيق للحصول على العون من أحدهم في التآمر لاختطافها.

سألت، وقد انصب شكلها على خادمة: «هل هناك من هي جديدة هنا؟» ولكن النسوة قلن: «لا، هذا المكان معزول للغاية، بحيث إنه ما من أحد لم يعتد عليه يفلح في البقاء فيه. وهن على الدوام يعدن إلى بيوتهن من جديد في المدينة، قائلات إنهن سيعدن قريباً آخذات معهن كل ما يلزمهن للبقاء بعيداً»، بل إن نصف من كن يخدمن ابنتها قد انصرفن، وفي حقيقة الأمر أن الدار كان بها عدد قليل من الناس.

تذكرت جيجو تلك الأيام القليلة الأخيرة، وفكرت كيف أن سيدتها كانت تبكي في مرارة وتقول إنها لا ترغب إلا في أن تموت. ووجدت تحت محبرة سيدتها ورقة تحمل هذه الكلمات المكتوبة بسرعة «تذكروني عندما أرحل!». وجعل هذا نظرتها المحدِّقة تنصب على النهر، الذي غدا هديره الآن كئيباً ومقيتاً، فقالت: «من الصعب أن يتخيل الجميع هذا الأمر أو ذاك عما حدث ويتشكك في كل ما نقوله ويتساءل عما جرى لها حقاً».

ردت أوكون: «كان الأمر سراً، بالطبع، ولكنها لم تكن هي التي بدأته، وفي ضوء من هو عليه معاليه، فإنه ليس هناك حقاً سبب، بعد أن رحلت، يدعو أمها للخجل من سماعها به.

---

(1) القسم السادس من آيسي مونوجاتري يروي قصة شهيرة بصفة خاصة تدور حول شيطان يلتهم امرأة لا حول لها «في قضمة واحدة». وقصص الثعلبات السحرية التي تأخذ شكل نسوة شابات جميلات لتضليل الرجال شائعة في فولكلور هذا العهد، على الرغم من أنه ليست هناك أمثلة واضحة قُدِّر لها البقاء لحكاية عن ثعلب يخطف شابة.

(2) زوجة كاورو، الأميرة الثانية.

أعتقد أننا ينبغي أن نبلغها بما حدث، وأن نخفف عنها بعض العذاب الذي تعانيه، بما في ذلك تلك المخاوف الصغيرة التي تثير قلقها الشديد. والأمر المعتاد عندما يموت أحد هو تسجية الجثمان والمضي قدماً بما يلي ذلك، ولن يكون هناك مجال لإخفاء الحقيقة، إذا استمر الموقف الغريب الذي نواجهه الآن يوم بعد آخر. نعم، ينبغي أن نخبرها، وأن نحافظ على المظاهر على الأقل بالنسبة للدنيا كلها».

أجمعن على القيام بذلك، وأبلغن والدة سيدتهن في حديث خاص بكل شيء، وذلك على الرغم من أن الكلمات الفظيعة ماتت على شفافهن فيما هن يتحدثن. ومضت تحدِّث نفسها فيما هي تستمتع في رعب: أغرقت ابنتي نفسها في لجة ذلك النهر المخيف! ولم ترد إلا إلقاء نفسها فيه بعدها. وقالت: «ولكن لابد من أن نمضي ونبحث عنها ونتعامل مع جثمانها على النحو اللائق!».

ردت أوكون: «لا، سيكون بلا طائل أن نحاول ذلك. لابد أنها قد وصلت إلى البحر الآن. وبالإضافة إلى ذلك، فإن هذا سيطلق العنان لتقول أسوأ».

جعلت هذه النوعية من الأفكار السيدة المسكينة تحس بالغثيان، وطلبت من المرأتين الإيعاز بإحضار عربتها، حيث إنها لم تكن لديها أدنى فكرة عما يتعين القيام به غير ذلك. ووضعن فيها الحصر والفرش من غرفة سيدتهن[1]، وكذلك أدوات الزينة التي كانت تستخدمها بصورة يومية وأغطية الفراش التي كانت لا تزال هناك، كأنما نحتها لتوها، ثم أرسلن العربة على وجه الدقة على نحو ما يحدث عندما يموت أحدهم، يصحبها الراهب الموقر، وهو الأخ بالتبني لسيدتهن، وعمها الخبير والمساعدون المقربون منه وكذلك الرهبان الآخرون، الذين كانت تعرفهم منذ وقت طويل، وباختصار صحبها كل من سيكونون حاضرين خلال اعتكاف الحداد. وفي غضون ذلك مضت أم سيدتهن ومربيتها تتقلبان في برحاء حزن مزعج.

ووصل المفوض[2]، مسؤول القصر، وأشخاص جهمون على هذه الشاكلة. وقالوا: «ينبغي إبلاغ سعادة القائد بالجنازة، تحديد يوم لها، والقيام بالأمر على الوجه اللائق».

---

(1) عادة تُسجى الجثة على هذه الأشياء لحرقها.

(2) مفوض حرس الميمنة، وهو زوج ابنة القيم الذي ظهر في الفصل الأخير.

ولكـن أوكـون أبلغتهـم بـأن أهـل الـدار يريدون بصفـة خاصـة الانتهاء مـن الأمـر الليلة. وأوضحت: «لدينا أسـباب تدعونا للتكتم الشـديد على الأمر». ووجهت العربة إلى المرج الواقع أسفل التل المقابل، وأبقت الجميع بعيداً، واستدعت الرهبان للمضي قدماً بإحراق الجثة. وتبدَّد الدخان سريعاً على نحو محزن.

صُـدم الريفيـون الذين يحملون هـذه الأمور بصفة خاصـة على محمل الجـد، والذين يرعـون في حرص الوصية التي تحظر الحديث المنذر بسـوء الطالـع. وتذمروا قائلين: «ما أغـرب هـذا! إنهم لا يقومـون بالأمر على الوجـه الصحيح على الإطـلاق! إنهم يتعجلون كأنها من عامة الناس ولا قيمة لها!».

«بلغني أن الناس في المدينة يقومون بالأمر على هذا النحو عامدين، عندما يكون هناك إخـوة وأخوات على قيـد الحياة». على هذا النحـو كانت التعليقات المفعمة بالشـك التي جرى تبادلها حول هذا الموضوع.

قالـت جيجـو وأوكـون إحداهما للأخـرى: حتى حديث هـؤلاء الناس مصـدر للقلق، وحتى هناك بعيداً في الدنيا الواسـعة إذا علم سـعادة القائد أنها عندما ماتت لم تترك وراءها جثة، فإنه ستتسـاوره شـكوك جدية حول الأمر بأسـره. ولبعض الوقت قد يتسـاءل عما إذا كانت مع معاليه، الذي هو على الأقل من أقاربه، ولكنه في النهاية سـوف يكتشـف الحقيقة حول ذلك. وقد لا يشـك في معاليه وحده، ويبدأ في التسـاؤل عمن غيره يكون قد سـلبها منه. وقد تحيط بها شكوك فظيعة في رحيلها، على الرغم من حسن الطالع الذي تمتعت به وهي على قيد الحياة. وقد حرصن على أن يلزم جميع خدم الدار الذين شـهدوا اضطراب هـذا الصباح الصمت وألا يناقشـوا الأمر مـع غرباء. وقلن إحداهن للأخـرى: «في الوقت المناسب سنبلغ كل من يعنيهم الأمر بما حدث حقاً، ولكن في الوقت الراهن سيكون أمراً فظيعاً للغاية إذا علم الناس فجأة أي شـيء يشوشـهم عن الحداد عليها». وجعلهن الشعور بالذنب متلهفات على الحفاظ على السر.

كان ذلك وقتاً حافلاً بالانشـغال بالنسـبة لسـعادة القائد، لأن أمه سمو الأميرة المترهبنة كانت مريضة، ومن هنا فقد مضى للاعتكاف في إيشـياما. ولـم يؤد كونه بعيداً إلا إلى زيادة قلقـه على أوجي، ولكن ما من أحـد أبلغه بما حدث بالفعل، وكنتيجة لذلك فإن أهل الدار

هناك أحسوا بالخجل أمام الجميع من أنه حتى كارثة كبرى كهذه لم تنتزع مبعوثاً منه. وقد حمل رجل من إحدى ضياعه الخبر إليه أخيراً، فصدم، ووصل مبعوث منه إلى أوجي في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

جاء في الرسالة: «كان ينبغي لخبر هذه المأساة أن يدفعني للقدوم إليكن بنفسي، لكن أمي مريضة، ولذلك السبب التزمت بالبقاء معتكفاً هنا عدداً معيناً من الأيام. لماذا مضيتن قدماً بالجنازة على عجل مساء أمس، في حين كان ينبغي أن تبادرن إلى الاتصال بي وتأجيلها بعض الوقت؟ لقد انتهى الأمر كله الآن، بالطبع، ولكن من المؤلم للغاية بالنسبة لي أيضاً أن ينتقد ريفيو تلالكم الطريقة التي تم بها أداء الطقوس الأخيرة».

قام بتوصيل هذه الرسالة تابعه المقرب إليه مفوض الخزانة[1]، الذي أثار وصوله موجة جديدة من الحزن. وعلى الرغم من ذلك فإنه لم يكن بمقدورهن إبلاغه بما حدث بالفعل، وتجنبن تقديم أي إجابة مناسبة بالاعتصام بفيضان من الدموع.

حدَّث القائد نفسه، عندما سمع ما أفاده به موفده: يا لها من نهاية مثيرة للشفقة! ويا له من مكان فظيع! لابد أن ثمة شيطاناً هناك. ما الذي سيطر عليَّ فدفعني إلى تركها كل هذا الوقت في مكان كذاك المكان؟ وأما فيما يتعلق بأمر معاليه ذاك الأكثر بؤساً فلا شك في أن طريقتي المتواطئة التي تخليت بها عنها هناك هي التي أتاحت له الفرصة لفرض نفسه عليها في المقام الأول! ساوره الشعور بالندم على طريقته اللامبالية بصورة غريبة. كان أمراً مستنكراً من جانبه أن ينشغل بأمر كهذا فيما أمه مريضة، وعاد إلى المدينة.

لم يمض لمقابلة زوجة معالي وزير الحرب لدى وصوله، وإنما بعث إليها برسالة مفادها أن لديه خبراً كارثياً عمن هي مقربة إليها، وإن لم تكن ذات مرتبة رفيعة، وأنه في الوقت الحالي أكثر ضيقاً من أن يمثل بين يديها، ثم أسلم نفسه للحزن على قصص حبه المأساوية. عندما أتفقد الآن ملامحها الجميلة وفتنتها العذبة وبهجة حضورها كلها، لماذا لم أحبها من كل قلبي بينما كانت لا تزال على قيد الحياة وإنما تركت الوقت ينقضي في إهمال؟ عذَّبته أحزان لا حصر لها الآن، ولم يعد بمقدوره أن يخفف منها. آه، لقد قُدِّر لي

(1) ناكانوبو الذي ورد ذكره في الفصل السابق.

أن أغوص في غمار هذه الأمور في أشد الأحزان سواداً! أنا الذي انصرف تطلعه دوماً إلى اتجاه آخر انتهى بي المآل وبالدهشتي إلى العيش حسبما يحيا كل الرجال، إلى أن وصل المآل إلى أن بوذا نفسه لابد أنه ضاق ذرعاً بي! لابد أنه خفَّف من رحمته، وأعد لي هذا النوع من المحن فحسب كوسيلة بديلة للمضي بقلوب الناس إلى أمور أكثر سمواً. هكذا استرسلت خواطره، فيما أسلم نفسه كلية للصلوات والابتهالات.

في غضون ذلك، كان معالي وزير الحرب لا يزال متأثراً على نحو أكثر عمقاً. وعلى امتداد يومين أو ثلاثة أيام بدا أنه قد فقد حواسه تماماً، مما سبب قلقاً جارفاً من أن روحاً من نوع ما ربما تكون قد تملكته، إلى أن كفت دموعه عن التدفق، واستعاد قسطاً من الهدوء، على الرغم من أنه حتى حينذاك ركز على ذكراها بمزيد من الحنين المفعم بأساً. وليشغل من حوله، تظاهر ببراعة بأنه يعاني من مرض خطير، حتى لا يلاحظوا عينيه المنتفختين على نحو لا سبيل إلى تفسيره، ولكن طبيعة متاعبه كانت جلية للعيان، وراح بعض أتباعه يتساءلون بصوت عال أي امرأة أمكن أن تتردى به إلى هذا الحال من الأسى الشديد حتى تبدو حياته نفسها وقد تعرضت للخطر.

تلقى القائد، بالطبع، تقارير عن هذا كله، ومضى يحدِّث نفسه: كنت على صواب، إذاً، فهما لم يكونا يتبادلان الرسائل فحسب. فما إن رآها حتى رغب فيها. هذا هو ما كانت عليه فحسب. ما كنت لأمضي من دون أن يمسسني الضر لو أنها بقيت على قيد الحياة، ولا شك في أن شيئاً كان سيحدث فيجعلني أبدو أحمق في عيون الناس. بدا له أن تأملات من هذا النوع تطفئ إلى حد ما ألسنة اللهيب التي اندلعت في صدره.

يوماً بعد آخر أقبل البلاط بأسره للاستفسار عن صحة معالي وزير الحرب، ومن ثم فإن القائد قرَّر أن يقوم بذلك أيضاً، حيث إنه فيما تثور هذه الضجة الكبرى، فإنه سيبدو غريباً أن التزام الحداد على من لا حيثية لها يعطله عن أداء هذا الواجب. كان يرتدي على أي حال زي الحداد الأزرق - الرمادي على خاله معالي وزير شؤون المراسم، الذي كان قد توفي أخيراً، وقد ناسبه هذا الزي تماماً، ففي أعماق فؤاده شعر بأنه يرتديه عليها. وكان أكثر نحولاً مما اعتاد أن يكون عليه، الأمر الذي زاده تألقاً وبهاء.

كان غسقاً هادئاً، بعد أن انصرف كل الزوار الآخرين. ولم يستقبل معاليه، الذي لم

يشعر حتى بالرغبة في مواصلة البقاء كلية في الفراش، بنفسه إلا المقربين منه فحسب، ولم يكـن بمقدوره رفض اسـتقبال من كان معتاداً على المجيء مباشـرة عبر السـتائر الحاجبة. وانكمش من فكرة رؤيته، ذلك أنه لم يخالجه شـك في أن القيام بذلك من شـأنه أن يجلب دموعاً جديدة، ولكنه على الرغم من ذلك تمالك نفسـه بما فيه الكفاية لكي يقول: «ليسـت هناك علة بي حقاً، ولكن الجميع يتحدث كأن خطراً داهماً يحيط بي، ويؤسـفني أن جلالة الامبراطـور والامبراطورة انزعجا على هذا النحو. وعلـى الرغم من ذلك، فإنه صحيح أن الحياة بعيدة عن اليقين، وأتساءل ما الذي سيحدث لي». مسح دموعاً قصد بها تشتيت انتباه زائـر فحسـب، ولكنها لحرجه الشـديد واصلت التدفق. وعلى الرغم مـن ذلك فقد حدَّث نفسـه قائـلًا: ليس بمقدوره أن يعرف السـبب، وربما يعتقد فحسـب أننـي ضعيف ومفتقر للحزم.

حـدَّث القائد نفسـه: يقيناً! هذا كله بسـببها! متى أمكن أن يبدأ هـذا الأمر؟ لابد أنه كان يسخر مني على امتداد شهور!

اختفى الحزن من محياه على نحو بالغ الجلاء إلى درجة أن معاليه مضى يحدِّث نفسـه مندهشاً: ما أشد برود هذا الشخص! فيما شيء يزعجني على نحو خطير، حتى شيء أهون مـن هذا شـأناً، فإن صيحة طائر الأعالي يمكن أن تربكنـي[1]. ها أنا أبدو متضايقاً على نحو بالـغ الوضـوح، وإذا كان يعرف جلية الأمر، وهو ما لابد أنه يعرفـه، فإنه لا يمكنه أن يكون على هذا القدر من التجاهل للمشاعر الإنسانية! ما أشد الجمود الذي يمكن أن يصبح عليه الإنسان عندما يعرف حقاً أن كل شيء إلى زوال! حسد زائره على تمالكه لنفسه، وأعجب به في آن، ولكنه تأثَّر كذلك لتذكره للدعم الكبير الذي تلقته منه الدار القائمة في أوجي[2]. وحدَّث نفسه: إنه ذكرى منها في نهاية المطاف، ومضى يحدِّق في القائد ويتخيلهما معاً.

بعـد انقضـاء بعـض الوقت في الثرثـرة حول هذا الأمـر وذاك، خلص القائـد إلى أنه لم يعد بمقدوره التزام الصمت، فشـرع في القول: «في الأيام الخوالي لم أشـعر قط بالارتياح

---

(1) صيغة مألوفة في الشعر، وربما سيكون الطائر وقواقاً (هوتو توجيسو) في الربيع أو إوزة برية (كاري) في الخريف.

(2) النصف الثاني بكامله من الجملة: («تأثر كذلك.. إلخ») هو في الأصل ببساطة «ماكيبا شيرا أويري ناري» وهو ما يعني بصورة أكثر حرفية «كان العمود الخشبي البديع مؤثراً».

طالما أنني أحجب شيئاً عنك، حتى وإن كان ذلك لوقت قصير، وذلك على الرغم من أنني مع المرتبة التي رُقيت إليها والانشغالات العديدة التي لا تترك لي إلا وقت فراغ محدوداً للغاية، فإنني أعجز عن القيام بخدمتك ليلاً، على سبيل المثال، على نحو ما اعتدت القيام به وبالطريقة التي أتمناها. منذ بعض الوقت، تصادف أنني سمعت أن قريبة لتلك الشابة التي قضت نحبها في تلك القرية الجبلية -التي اعتدت القيام بزيارتها- تقيم حيث ما كنت لأتوقع أن أجدها، وخطر لي أن بمقدوري أن أراها بين حين وآخر، لولا أنه في ذلك الوقت كان من سوء الطالع أن يعرضني القيام بذلك لدرجة من الانتقاد. ومن هنا فقد جعلتها تقيم هناك، في ذلك المكان الموحش والنائي، وأفلحت في الالتقاء هناك بها بصورة نادرة للغاية. وفي غضون ذلك نما إلى علمي أنها ليست حريصة بصفة خاصة على الاعتماد عليَّ وحدي. غير أن ذلك ما كان يمكن أن يكون مهماً إلا لو أنني اعتزمت أن أعاملها بتقدير كبير، وهو ما لم أكن أعتزمه، ولم تكن لذلك أهمية كبيرة طالما أن رغبتي الأساسية كانت توفير الرفاه لها، والآن حدث أن هذه الشابة التي وجدت أن عذوبتها وفتنتها آسرتين قد ماتت بصورة مأساوية. ومن المحزن حقاً الاضطرار إلى تأمل غدر الحياة في مثالها. وأتوقع أن تكون أنت نفسك قد علمت بالخبر». الآن، أخيراً، بكى. ولم تكن تلك بالدموع التي كان يرغب في أن يراها معاليه، ولكنها ما أن بدأت في التدفق حتى عجز عن إيقافها.

دُهش معاليه لرؤية زائره وقد تداعى إلى حد ما، وأحس بالألم والانزعاج في آن، ولكنه حافظ على رباطة جأشه. وقال: «يؤسفني أشد الأسف أن أسمع ذلك. وقد سمعت شائعة تفيد ذلك بالأمس، وأردت أن أسألك عن المزيد من التفاصيل في هذا الصدد، لكنني أدركت أنك لا ترغب في أن يُعرف الأمر على نطاق واسع». حالت الصعوبة الكبيرة في الحفاظ على مظهر البعد عن المسألة دون أن يقول المزيد.

شيئاً فشيئاً راح يكشف عن مقاصده الحقيقية: «كنت قد فكرت في أنني سأتيح لك السرور بمعرفتها، أو ربما تكون أنت نفسك قد عرفتها بالفعل، إذ إن لديها من الأسباب ما يدعوها لزيارة سعادة الأميرة. ولكنني لابد لي من الاعتذار عن إزعاجك بحديث أجوف ومضجر في وقت لست أنت نفسك على ما يرام فيه». هكذا اختتم حديثه، واستأذن في الانصراف.

حدَّث نفسه: لقد أثَّر الأمر فيه بعمق حقاً! كم كان شامخاً قدرها، حتى على الرغم من أنها عاشت عمراً قصيراً للغاية! إنه أمير، وهو الأثير لدى جلالة الامبراطور والامبراطورة، وهو يحظى بالمظهر الجميل وبمزايا تتجاوز ما يحظى به أي أحد في زماننا. والسيدتان العظيمتان اللتان يشرفهما بولائه لهما هما معاً تتمتعان بأرفع قدر من التميز، ومع ذلك فإنها هي التي أثَّرت فيه إلى درجة تدفعه إلى الحماقة، هي التي من أجلها انغمس في مثل هذا الجنون البالغ بحيث إن الدنيا بأسرها ترددت جنباتها بالابتهالات وترتيل النصوص المقدسة وطقوس التطهير والصلوات للآلهة! حتى أنا، ومن أنا عليه، والذي تميزت بالظفر بابنة جلالة الامبراطور زوجة لي، فُتنت بها مثله، والآن وقد رحلت، فإنني لا سبيل إلى إدخال العزاء على نفسي!، لا، لن أقبل المزيد من هذه الحماقة! يا للحسرة، فقد مُنيت بالإخفاق جهوده للتعقل بكل الطرق، ورقد مدندناً لنفسه: «كل إنسان عرضة للعاطفة، فهو ليس خشباً ولا حجراً»[1].

راح يتساءل بألم وخيبة أمل كيف تلقى معاليه[2] خبر الطريقة المتواضعة التي تم إنجاز الأمور بها لاحقاً.. وقد افترض أن الأمر كله تم الإبقاء عليه بسيطاً لأن أمها من العامة وأنها لديها إخوة وأخوات على قيد الحياة، على نحو ما أدرك أن أحدهم أشار إليه، وضايقته الفكرة نفسها. كانت هناك أمور كثيرة لم يفهمها تمام الفهم، وتاق إلى أن يسأل بنفسه ما الذي حدث على وجه الدقة، ولكنه لم يستطع تبين كيف يمكن القيام بذلك، لأنه ما كان بوسعه أن يشارك في اعتكاف الحداد الطويل، وسيكون من المؤلم أشد الإيلام الذهاب إلى هناك لا لشيء إلا للعودة مباشرة.

بدأ الشهر الجديد[3]، وكان إقبال الليل في ختام النهار الذي تذكر أنها كان ينبغي أن تنتقل فيه إلى المدينة محزناً للغاية. وأعادت شجرة البرتقال في حديقته بعبقها ذكريات مفعمة بالشجن، وهتف الوقواق مرتين فيما هو ينطلق محلقاً. غمغم في غمار عذابه: «لئن زرتها حيث مضت»[4]، وحيث أن معاليه كان من المقرَّر آنذاك أن يمضي إلى نيجو، فقد

---

(1) مستمدة من قصيدة لباي جويي (هاكوشي مونجو 160).

(2) أو سعادة الأميرة ناكا نو كيمي.

(3) الشهر الرابع.

(4) كوكينشو 855: «لئن زرتها حيث مضت، أيها الوقواق، فحدِّثها بأنني قد علا صوتي دوماً لنواح».

بعث إليه هناك مع غصن كان قد انتزعه قوله:

«أحسب أنك تهتف بحزنك المكنون، طالما أن فؤادك

يمضي إلى حيث تطل على الحقول في طريق الموت»[1].

كان معاليه وزوجته عندئذ غارقين في التفكير في صمت حزين، بينما شحذ شبهها بالمحبوبة التي فقدها حزنه. لما رأى أن الرسالة مليئة بالمعاني فقد كتب يقول:

«انتبه، أيها الوقواق، عندما تفكر في الهتاف حيث ينساب العبق

من براعم البرتقال حاملاً ذكريات غالية!.

هذا كثير للغاية!».

عرفت السيدة الجالسة إلى جواره حق المعرفة جلية الأمر. فراحت تحدِّث نفسها في حزن: يا للحسرة! ما أقصر العمر الذي عاشتاه على نحو مأساوي[2] مثقلتين بكل همومهما! أنا التي لديها هموم جد قليلة بقيت على قيد الحياة بعدهما، ولكن إلى متى؟ لم يكن بمقدور معاليه أن يحجب عنها شيئاً كف عن أن يكون سراً، فرسم لها صورة منمقة إلى حد ما لما وقع. «لقد كرهتك لحجبك إياها عني!». أضاف قوله هذا، وسط الضحك والدموع، لأن الاثنتين كانتا أختين، الأمر الذي جعله يشعر بأنه قريب منها بشكل خاص. في تلك الدار الأخرى، بالغة العظمة واللياقة، لم تكن هناك نهاية للمضايقات التي يتعرض لها عندما كان يشعر بالتوعك بفعل والد تلك السيدة الفضولي بصورة مزعجة، الوزير، وإخوتها الكثيرين، ولكنه كان يعرف أنه هاهنا يمكنه على الدوام أن يشعر على نحو مريح بأنه في داره.

على الرغم من ذلك، واصل التساؤل عما إذا كان الأمر كله حلماً تراءى له، لأنه لم

---

(1) على نحو ما تشير القصيدة في الهامش السابق، فإن الوقواق كان ينظر إليه في الشعر على أنه يمضي جيئة وذهاباً بين أرض الأحياء وأرض الموتى، هاتفاً هتافه الخفيض، شينو باين، والكلمة تُستخدم أيضاً للنحيب المكتوم الصادر عن حزن خفي. ومن هنا فإن من السهولة إدماجه في «شايد نو تاوسا» (سيد الحقول في أرض الموتى»). وهو شخصية غارقة في الظل نصادفها في الفولكلور الياباني. ويفترض كاورو أنه، شأن الوقواق الذي سمعه لتوه، فإن نيئو يهتف بصيحته شينوباين، وأن فؤاد نيئو، شأن الوقواق، يمضي إلى أوكيفوني وسط الموتى.

(2) أويجيمي وأكيفوني.

يدرك كيف أمكن حقاً أن يحدث على هذا النحو المفاجئ، ومن هنا فقد استدعى مجموعته المعتادة من الرجال، وبعث بهم لإحضار أوكون. كانت أم سيدتها الراحلة قد عادت إلى المدينة، لأن هدير النهر كان يدعوها بإلحاح بالغ إلى أن تحذو حذو ابنتها، وساورها الشك في أنها سيُقدَّر لها أن تعرف في أوجي الخلاص من حزنها. وكان المكان شبه مهجور عندما وصلوا إليه، باستثناء عدد محدود من الرهبان يرتلون الاسم المقدس. لم يتصد لهم على الإطلاق الحراس، الذين ظهروا بشكل مفاجئ تماماً وعلى نحو صارم، وفكَّروا بمرارة في كيف أن هؤلاء الحراس أنفسهم قد رفضوا بقسوة السماح لمعاليه بالدخول حتى في تلك الرحلة الأخيرة إليها. نعم، لقد أدانوه هم بدورهم صامتين للاستسلام لمثل هذه الحماقة غير اللائقة، ولكن الآن تركت ذكرى تلك الليالي التي مضى فيها إليها والبهاء النبيل الذي حملها به في تلك المرة إلى القارب- تركت الأكثر شجاعة فيهم متداعياً.

استقبلت أوكون توكيكاتا، على نحو طبيعي بما فيه الكفاية، وسط فيض من الدموع. فأوضح لها توكيكاتا الأمر بقوله: «ذلك هو ما أراد مني معاليه إبلاغك به. وقد جئت للمضي بك إليه».

ردت قائلة: «أخشى أن البعض هنا قد يعتبر من الغريب أن أذهب الآن تواً، وبالإضافة إلى ذلك، وحتى إذا فعلت هذا، فإنني أشك في أنني في حالتي الراهنة سيكون بوسعي جعل أي شيء بالغ الوضوح بالنسبة له. ولسوف أبدو أفضل قليلاً إذا انتظرت إلى وقت لاحق، بعد أن ينتهي اعتكافنا، لأتيح عذراً لهم للقيام برحلة إلى المدينة، وأعد أنني سأفعل ذلك، على الرغم من أنني لا أتمنى لنفسي أن أعيش طويلاً حتى ذلك الحين، فبحلوله سأكون قد شعرت بأنني أكثر تماسكاً. وأود عندئذ أن أزوره -وليس هناك ما يدعوه إلى أن يكرِّر دعوته- وأبلغه بالقصة كلها، التي أوافق على أنها تشبه حلماً فحسب». أما بالنسبة لليوم فلم يبد أن هناك مؤشراً يوحي بأنها ستنتقل.

بكى توكيكاتا، وقال: «إني أنا نفسي لم أكن مطلعاً على ما يجري بين هذين الاثنين، وليس لمن هم مثلي الادعاء بفهمهما، ولكن عينيَّ رأتا إخلاصه الفذ، ولم أر سبباً يدعوني إلى السعي وراء صداقتك بمزيد من التعجل، إذ إنه بدا لي جلياً أنه سيتاح لي بمرور الوقت السرور بخدمتك بنفسي. وهذا الشيء الفظيع الذي حدث أكدَّ لي فحسب إصراري على

التمسك بشعوري نحوك». وختم حديثه بالقول: «سيكون عاراً كبيراً الاضطرار إلى إعادة العربة خاوية، فيما كان معاليه حريصاً بما فيه الكفاية على إرسالها إليك. وربما توافق غيرك على الذهاب».

نادت أوكون جيجو، وقالت: «اذهبي أنت، لطفاً، إذاً!».

احتجت جيجو قائلة: «ولكن ما عساي أخبره؟ لا، لا، لا ينبغي أن أفعل ذلك، ليس طالما نحن في اعتكافنا. ألا يخشى معاليه الدنس؟».

«في ضوء الضجة التي أثارها مرضه، فهناك شتى أنواع طقوس التوبة التي يجري أداؤها من أجله، ولكنه لا يبدو لي أنه هو نفسه لديه الصبر للانتظار تلك المدة. وفي حقيقة الأمر فإنه قد يفكر في الاعتكاف من أجل من يعني له الكثير. وعلى أي حال لم يبق الكثير من الأيام، فلتأت إحداكما!».

تكفل إصراره بإقناع جيجو بالموافقة، في نهاية المطاف، ذلك أنها تذكَّرت معاليه بإعزاز بالغ حقاً، وكما قالت هي نفسها: متى تتاح لي مجدداً مثل هذه الفرصة لرؤيته؟ ارتدت ملابس كلها من اللون الرمادي القاتم ورتبت نفسها على نحو متألق، فبدت جميلة للغاية حقاً. وبما أنها لم تعد لها سيدة فقد أهملت أن تصبغ لنفسها ذيل رداء باللون نفسه، وجعلت فتاة تابعة تجلب بدلاً من ذلك ذيل رداء بنفسجياً - رمادياً شاحباً. وأحزنها أشد الحزن التفكير في أن هذا هو الدرب الذي كانت سيدتها ستسلكه لو أنها بقيت على قيد الحياة، إذ إنها كانت في قرارة نفسها تميل إلى ذلك الدرب.

انتفض فؤاد معاليه عندما أعلنوا قدومها، ولكنه لم يقل شيئاً حول هذا الأمر لزوجته، فقد كان ذلك يمكن أن يكون أمراً قاسياً. ومضى إلى الدار الرئيسية، وجعل جيجو تترجل في الرواق. وفي معرض الرد على أسئلته الملحة عن أيام سيدتها الأخيرة، وصفت حالة اليأس التي سيطرت عليها، وأبلغته كيف انخرطت في البكاء في تلك الليلة. وأوضحت قائلة: «لم يكن لديها عادة إلا القليل لتقوله بصورة غير مألوفة، معاليكم، ولم تكن بالتي تعبِّر عما في قرارة نفسها بجلاء قط، وكان من النادر بالنسبة لها أن تبلغ أي أحد آخر بأمور تؤثِّر في نفسها بعمق. وأتوقع أن يكون هذا التحفظ من جانبها هو السبب في أنها لم تترك

كلمات أخيرة أيضاً، ولم نحلم بأنها يمكن أن تعد لمثل هذا الأمر قط».

أثارت الصورة المفصلة التي رسمتها المزيد من اضطراب معاليه. وراح يتساءل: ترى ما الذي دفعها إلى أن تغرق نفسها في مثل هذا النهر بدلاً من أن تسلم أيامها للمصير الذي أعدتها الكارما الخاصة بها؟ وتمنى يائساً، وإن كان ذلك بلا جدوى، لو أنه كان قد وجدها وأوقفها عن الإقدام على ما اعتزمته.

صاحت جيجو: «آه، لماذا لم يخطر ذلك ببالنا عندما مضت تحرق رسائلها وتتخلص منها؟». مضيا يتجاذبان أطراف الحديث طوال الليل، وحدَّثته عن رد سيدتها إلى أمها، الذي تُرِكَ مكتوباً على قائمة ترتيل النصوص المقدسة.

لم يكن معاليه قد أبدى من قبل أي اهتمام خاص بجيجو، ولكن حميمية حزنهما المشترك دفعته إلى القول: «التحقي بالخدمة هنا! فليس الأمر كما لو أنك لا تعنين شيئاً لسعادة الأميرة!».

«سيشرفني القيام بذلك، معاليكم، ولكن ذلك في الوقت الراهن سيحزنني كثيراً. ربما بعد أن تنتهي فترة الحداد».

«لابد، إذاً، من مجيئك مرة أخرى». لم يستطع أن يحتمل فراقها. وشرعت في رحلة العودة عند الفجر، وبعث معها بمجموعة من علب الأمشاط ومجموعة من خزائن الملابس، وهي هدايا كان من المقصود أصلاً أن تقدم إلى سيدتها. وكان قد أمر بالفعل بإعداد الكثير، الكثير من الأشياء من أجلها، ولكنه اقتصر على هذه الأشياء بالنسبة لجيجو، فهو لم يرغب في المبالغة في سخائه.

راحت تتساءل: ترى إلى أين يمضي ظنهن بي، بعد زيارتي البريئة له، عندما أعود بهذا كله؟ هذا حرج مفاجئ! وعلى الرغم من ذلك فإنها مع استيائها لم يكن بوسعها رفضها. وقامت هي وأوكون بفحصها منفردتين، إذ لم يكن لديهما الكثير خلاف هذا للقيام به، وانخرطتا في البكاء، عندما أدركتا إلى أي حد كانت رائعة وعصرية. وكانت الملابس في الخزائن بدورها جميلة للغاية. وقالت إحداهما للأخرى: «من الخير لنا أن نبقي هذه الأشياء بعيدة عن العيان خلال فترة الحداد».

ولم تعرفا حقاً ماذا عساهما تصنعان بها.

الآن وصل سعادة القائد، فهو لم يعد بمقدوره السيطرة أكثر من هذا على رغبته في معرفة المزيد. مضى على امتداد الطريق إلى هناك يفكر في الماضي، وتساءل أي رابطة من حيوات غابرة قادته أولاً إلى السعي وراء سعادة الأميرة الراحلة. وراح يحدِّث نفسه: ومنذ ذلك الحين قمت برعاية ابنتيه وصولاً حتى إلى النهاية الغريبة لهذه الابنة الأخيرة وغير المتوقعة، وعانيت بصورة متواصلة بسببهما! كان رجلاً شديد الورع، وكانت الرابطة بيننا هي على الدوام أملنا في الحياة المقبلة، في ظل إرشاد بوذا، ولكنها بالنسبة لي لم تمض بي إلا إلى الخطأ والخطيئة، وهو ما أعتقد أنها كانت طريقة بوذا في ردي إلى الحق، في نهاية المطاف.

استدعى أوكون، وقال لها: «لم أسمع على الوجه الصحيح قط بما جرى، وما قيل لي صدمني كثيراً فاعتزمت المجيء بعد انتهاء اعتكاف الحداد بالنسبة لكن، إذ إن ذلك سيحل قريباً، ولكنني لم أستطع الاحتمال أكثر من هذا، وجئت على أي حال. ما الذي كانت عليه حال سيدتكن قبل موتها؟».

حدَّثت أوكون نفسها «إن الراهبة بن تعلم بجلية الأمر، وبما أنه يحتمل أن يعرف القصة منها على أي حال فإن أي محاولة من جانبي لإخفائها عنه ستمنى بالإخفاق فحسب، عندما تبلغه بشيء مختلف تماماً. وكانت قد سلحت نفسها بالأكاذيب لإخفاء المسألة المحزنة، ولكن في ضوء هذا التخوف المبرر فقد نسيت الحكايات المستفيضة التي كانت قد اعتزمت أن ترويها، ولما لم تكن تدري ماذا عساها تفعل غير ذلك، فقد أبلغته بالحقيقة».

أذهله هذا الكشف غير المتوقع، ووجد نفسه حائراً لا يدري ماذا عساه يقول. وحدَّث نفسه: ذلك يفوق القدرة على التصديق! هي التي لم تكن تتحدث كثيراً، حتى فيما يتعلق بموضوعات يناقشها الآخرون في يسر، والتي كانت دوماً بالغة الاعتدال.. كيف استطاعت أن تحسم رأيها على القيام بمثل هذا الشيء الفظيع؟ ما الذي كانت هاته النسوة يحاولن حجبه؟ لم يزده التفكير إلا انزعاجاً. غير أن حزن معاليه كان بالغ الوضوح، والمشهد هنا في دار أوجي، لو أنهن كن يدعين الهدوء فحسب، لكان بمقدوره أن يرصد ذلك، بينما كان

بمقدوره أن يسمع في حقيقة الأمر أن وصوله غرق بهن مجدداً، على اختلاف مراتبهن، في نواح عال.

«هــل اختفـى أي أحد آخر معها؟ أخبرينـي بما حدث على وجه الدقة. إنني أشـك في أنها أرادت مغادرتي لأنها كانت تحس بخيبة الأمل فيَّ. أي عذاب يستعصي على الوصف يمكن أن يكون قد جعلها فجأة تُقدم على مثل هذا الشيء؟ لا يمكنني تصديق ذلك».

حــدَّثـت أوكون نفسـهـا قائلــة: ها نحـن آسـفـان ومضطربان فـي آن. وقالت: «ربما كنت تعرف القصة بأسـرها بالفعل، يا مولاي. إن سـيدتي بعد أن رُبيت، في المقام الأول، فـي ظل ظروف سيئة الطالع، تعرضت لاكتئاب لا ينتهي بعد أن جـاءت للإقامة هنا، بعيداً للغاية عن أي مكان آخر، ولكن على الرغم من ندرة زياراتك، فقد تطلعت إليها دوماً. وأنا أعـرف، علـى الرغم من أنها لم تقل ذلك قط، متى يكون ذهنهـا بعيداً عن متاعبها القديمة، وقـد تطلعـت إلى أن تكون قادرة على رؤيتك أكثر وعلى مهـل. ونحن اللواتي كنا نخدمها سـعدنا بمعرفة أن أملها ذاك موشك على التحقق، وانهمكنا في الاستعداد لهذا اليوم، على نحو ما فعلت أمها بسرور بالغ، عندما بدا لها أن ما أرادته لابنتها موشك على التحقق وأنها سـتنتقل إلى المدينة. ولكن بعد ذلك جاءت تلك الرسالة المحيرة منك وتوبيخك القاسي للحـراس فيمـا يتعلق ببعض المتاعب التي أثارتها إحدى النسـاء، وهو التوبيخ الذي حمله الريفيـون الغـلاظ هنا الذين لا يفقهون شـيئاً على أسـوأ محمل. وبعد ذلك لم يجئ شـيء منـك على امتـداد وقت طويل. وأصبحت، هـي التي عرفت حق المعرفـة منذ طفولتها أي قـدر تعـس ولدت من أجلـه، مقتنعة بأن جهود أمها التـي تبذلها من أجل أن تراها مسـتقرة على نحو جدير بالاحترام لن تسـفر في نهايـة المطـاف إلا عن تعرضها للهزء والسـخرية. وعرفت أي ضربة قاسـيــة سيكـون ذلك بالنسبة لأمها، وتسبَّب هذا لها في معاناة مستمرة. وبخـلاف هذا، فليـس بمقـدوري تصـور ما وضـع مثل هذه الفكـرة في ذهنهـا. ويُقال إنه إذا كانـا شـيطان قد اختطفهـا ومضى بها بعيداً، فإنهـا لابد أن تكون قد تركت وراءها شـيئاً منها». انخرطت في بكاء مرير بحيث إن شكوكه قد تبددت، ولم يستطع كبح جماح دموعه أيضاً.

رد قائـلاً: «بحكـم كوني من أنا، فلسـت حـراً في التصرف على هـواي، فكل حركة من

حركاتـي عرضـة للتدقيق فيها، وذلك هو السـر في أنه عندما كان رفاه سـيدتكن هنا يعنيني أكثـر من أي شـيء آخـر، فإنني على الأقل شـعرت بالثقة مـن أن بمقـدوري أن أضمن لها مسـتقبلاً بقربـي وعلى نحـو لا يمكن لأحد أن يجد فيـه ما يعيبـه، وإذا كان ذلك قد جعلها تحـس بأننـي أعاملها ببرود، فـإن بمقدوري إذاً أن أفترض فحسـب أن جانبـاً من عواطفها كان منصرفـاً إلـى غيري. وأنا لـم أقصد إثارة هذا الموضوع الآن، ولن أثيره إذا كان بوسـع أي شخص آخر سماعي، ولكن هناك موضوع معاليه. وأنا أتساءل متى بدأ هذا الموضوع. وعندمـا يتعلـق الأمـر بهذه النوعية من المسـائل، فمن سـوء الطالع أنه شـديد التمكن فيما يتعلـق بلفت نظر شـابة في مقتبل العمر، ومن هنـا فإنني أميل إلى الاعتقاد بأنها قد انتحرت لأنها لـم تستطع أن تحظى به طوال الوقت. وينبغي أن تحدثيني بالمزيد عن ذلك. أرجو ألا تحجبي شيئاً عني!».

حدَّثت نفسها باستياء شديد: إذاً فهو يعرف بالفعل! وقالت: «بلغني أنك كنت قد سمعت حديثاً بالغ القسـوة، يا مولاي، ومع ذلك فإنني أنا نفسـي كنت معها على الدوام، أؤكد لك ذلك». تمهلت لحظة: «حسـناً، أتوقع أن تكون قد سمعت بما حدث. في تلك المرة عندما سعت سيدتي إلى ملاذ هادئ عند سعادة الأميرة في نيجو، أقبل مباشرة إلى غرفتها، لفزعنا الشـديد، وذلك على الرغم من أننا تحدثنا معه بحدة بالغة بحيث انصرف مجدداً. وجعلها ذلـك الفـزع تقـرِّر الانتقال إلى الـدار الصغيرة الغريبـة التي تعرفها. وقـد صممت على ألا يُسـمع عنهـا شـيئاً عقب ذلـك، ولكنه علـى الرغم من هذا أفلـح على نحو ما في اكتشـاف مكانها، وتلقت في هذا الشـهر الثاني الماضي رسـالة منه. وبعد ذلك جاءت رسائل أخرى كثيـرة، ولكنهـا لـم تكن تقرأها قط. وقد حدثناها بأنها ينبغي أن تشـعر بـأن ذلك تقدير لها، وأنـه من الفظاظة من جانبها ألا ترد عليهـا، وهكذا فإنني أعتقد أنها قد ردت مرة أو مرتين. ذلك هو كل ما أعرفه».

مـاذا غيـر ذلك كان يمكنه أن يتوقع منها قوله؟ سـيكون من القسـوة أن يوِّجه لها المزيد من الأسئلة. وبدلاً من ذلك غرق في لجة من التفكير. حتى إذا كان معاليه قد أغواها، فإنها لـم تسـئ الظن بـي من أجل هذا فحسـب، ولما كانت بعيـدة عن الوضوح كحالها وسـهلة الانقياد، فلابد أن فكرة القيام بما أقدمت عليه جاءتها من قرب النهر منها. وما كانت لتسعى

البتة، إلى الهوة[1] أياً كانت المعاناة التي جلبتها لها الحياة، لو أنني لم أتركها هنا في المقام الأول. لشدما ضاق ذرعاً بذلك النهر وكل الحزن الجارف الذي عناه بالنسبة له! على امتداد سنوات عدة جلبته العاطفة إلى هنا، جيئة وذهاباً عبر هذه الطرق الجبلية الوعرة. ولكنه الآن كره المكان، بل إنه لم يرغب في سماع وقع اسمه. ارتجف فرقاً لمجرد تذكر الوقت الذي أتت فيه سعادة الأميرة في نيجو على ذكر أختها غير الشقيقة للمرة الأولى وتحدثه لأول مرة عن «دمية» الحب الذي فقده. ومضى يحدِّث نفسه: إن موتها هو خطأ ارتكبته أنا. وكان قد افترض بمزيد من عدم الموافقة أن أمها قد رتبت أداء الطقوس الأخيرة على نحو سيئ ومتواضع لأنها هي نفسها من منبت متواضع، ولكنه الآن لم يملك إلا التعاطف معها بعد أن عرف القصة بكاملها. وبدا له أن ابنتها كانت تتمتع بالجدارة تماماً، إذ كان أبوها من هو عليه، ولكنها هي نفسها التي لم تستطع معرفة سر ابنتها لابد أنها تتساءل عما أمكن أن يحدث بينها وبين المقربين منه. وكان الأمر بكامله مؤلماً. لم يكن في الأمر دنس. لقد عرف هذا القدر، ولكن حفاظاً على المظاهر أمام رجاله لم يدخل الدار بالفعل، وبدلاً من ذلك دعا بمسند عريش عربة، وجلس عليه قبالة الباب المزدوج. غير أن ذلك لم يكن يليق برجل في مكانته، ومن هنا مضى يتطلع حوله، وقد داخله الشك في أنه سيرغب في رؤية هذا المكان مجدداً:

«لو أنني تركت هذا المكان العتيق، المقيت، يغدو طللاً،

فمن الذي سيبقي في الذاكرة ظل هذه الأشجار اللبلابية؟».

كان الخبير قد غدا الآن معلماً لضبط النفس، فاستدعاه القائد، وأعلمه بالطقوس التي يتعين أداؤها، وأضاف أيضاً المزيد إلى عدد الرهبان الذين يرتلون الاسم المقدس. وأخذاً في الاعتبار بخطورة الخطيئة فقد أعطى توجيهات مفصلة فيما يتعلق بالنصوص المقدسة والأيقونات التي ينبغي تكريسها في كل سابع يوم، لتخفيف العبء الذي تفرضه هذه الخطيئة. وكان الظلام دامساً لدى رحيله، محدِّثاً نفسه بأنه يقيناً ما كان ليرحل لو أنها كانت على قيد الحياة. وبعث برسالة إلى المربية، لكنها لم تظهر للعيان. وردت قائلة: «يا

(1) كوكينشو 1061: «لئن أغرقنا أنفسنا جميعاً عندما تختبرنا الحياة على نحو شديد الإيلام، فإن الهوة سرعان ما ستمتلئ».

للحسـرة، لسـوف أواصل الرقاد هنا، فأنا الآن فظيعة حتى بالنسـبة لنفسي، ولم يبق لي من ذهنـي إلا مـا يمكنني من فهم القليل للغاية». ولم يصر على رؤيتها شـخصياً. وعلى امتداد الطريق إلى الدار سـاوره أسـف مرير على أنه لم يقم بإحضارها إلى المدينة في وقت أكثر تبكيـراً، عندما كانت أثيـرة لديه، وغلبه الاضطراب الشـديد طالما كان هديـر النهر يتناهى إليـه. ومضى يحدِّث نفسـه، متنهداً في عجز: آه، لقد انتهـت نهاية فظيعة للغاية، بل إنهم لم يعثروا حتى على جثمانها! أي خليج يستأثر بها الآن؟

كانت المخاوف التي تم الإعراب عنها بشـدة من أن الدنس قد يؤثر على الابنة الحامل في المدينة قد منعت أمها الغارقة في أحزانها من الذهاب إلى الدار، واضطرت إلى الاكتفاء بمسـكن مؤقت، فقد اسـتبد بها القلق على مصير هذا الطفل أيضاً، غير أن الولادة تمت في يسر، في نهاية المطاف. ولم تستطع المضي إليها لأن خطر الدنس ظل قائماً، ومضت تنوح علـى ظروفها التعسـة، غافلة عـن أي تفكير فـي أبنائها الآخرين، عندمـا وصل مبعوث في هدوء من عند القائد. وقد سرها ذلك كثيراً، وأثَّر في نفسها.

كان قد كتب يقول: «كنت قد أردت أن أبلغك تواً بتعاطفي الشـديد حيال المأسـاة التي حلت بسـاحتينا كلينا، ولكنني أنا نفسـي كنت أشـد حزنـاً من أن أقوم بذلـك، وبدا أنني لا أرى أمـام ناظـريَّ إلا ظلاماً، حتى وإن كنت أعرف أنك ضائعة في غمار حزن أكثر سـواداً، ومع ذلك ما أسرع ما مرت الأيام! والطابع الزائل للحياة لا يُطاق أكثر من أي وقت مضى، ولكننـي بعـد أن أفلحت على نحو ما في البقاء على قيـد الحياة كل هذا الوقت فإنني أتطلع إلى معرفة أخبارك في الوقت الذي يناسبك، تكريماً لذكراها».

كانت رسالة ضافية، ومبعوثه هو مفوض الخزانة، الذي أضاف الآن هذه الرسالة الشفهية منه: «بينما سمحت صابراً للشهور بأن تمر وللعام الجديد بأن يُقبل، فإنك أنت نفسك ربما تكونين قد وصلت إلى الشـك في إخلاص نواياي. غير أن عليك أن تعرفي، لطفاً، أنني لن أنسـاك بعد هذا. ويمكن أن تكوني في قرارة نفسـك على يقين من هذا. وعلاوة على ذلك، فإننـي أعـرف أن لديك العديد من الأبنـاء الآخرين، ويمكنك الاعتمـاد على دعمي عندما يجيئون لخدمة جلالة الامبراطور».

قالـت: «اتصالـي بالدنس كان محدوداً بالفعل»، إذ إنه لم يكن هناك احتياج كبير لالتزام

الحـذر، وأصـرت علـى دعوة المفـوض للدخول إلـى الدار، ثـم غارقة فـي الدموع كتبت ردها:

«لقد حزنت، منذ وقوع المأساة، على أنني لا أزال على قيد الحياة بصورة قاسية، ولكن كلماتك الرقيقة هي، في نهاية المطاف، ما واصلت العيش من أجله. وحتى الآن فإن مشهد تعاسة ابنتي منحني مبرراً للتفكير في أن الغلطة كانت غلطتي، في ضوء مرتبتي المتواضعة، ولكـن الرغبـة التي أعربت عنها آنذاك في أن تمنحها شـرف إحضارها إلى المدينة ألهمتني ثقة كبيرة في المسـتقبل. وتلك القرية لا تعني إلا البؤس والحزن، الآن وقد وصل هذا كله إلى لا شـيء. وقد خففت رسـائلك عبء سـنواتي، وفكرة أنني قد أسـتمر في النظر إليك، إذا قُـدِّر لحياتـي أن تمتد وقتاً أطول قليلاً، تجلب إلى عينـيَّ دموعاً غزيرة حتى لأعجز عن كتابة المزيد».

وربمـا بـدت نوعية المكافـأة التي تعطى عـادة لمبعوث في غير موضعهـا، في مثل هذا الوقت، ولكنها لـم ترغب في أن تصرفه خاوي الوفاض. وبناء على هذا وضعت في حقيبته سـيفاً بديعـاً ونطاقاً جميلاً من قرن وحيد القرن المرقـط[1] كانت تعتزم أن تعطيهما لابنتها، وبعثت بهما له، فيما كان يسـتقل عربته، مع رسالة قوامها إن ابنتها الراحلة كانت ترغب في حصوله على هذه الهدية.

أشار القائد عندما فحصهما بقوله: «ما كان ينبغي أن تفعل ذلك».

قال المفوض: «لقد كانت من اللطف فاسـتقبلتني بنفسها، يا مولاي، وبكت كثيراً وهي تتحدث. وقالت إن كلماتك عن أبنائها كانت شـرفاً رفيعاً للغاية بالنسـبة لهم وإن افتقارهم إلـى أي جدارة يثبـط عزيمتها عن التصرف وفقاً للعرض الذي تقدمت به، ولكنها سـتبعث بهم جميعاً، على نحو ماهم عليه، لخدمتك من دون الكشف عن السر في ذلك. تلك كانت رسالتها إليك».

حدَّث القائد نفسه: نعم، من المؤكد أن علاقات كهذه لا تضفي بريقاً على المرء، ولكن ألـم يقبـل أباطرة بنات مثل هـؤلاء الناس؟ ومن الذي سـينتقد إضفاءهم مثل هذا الشـرف

---

(1) كان من ينتمي إلى المرتبة الرابعة أو الخامسة يستخدم نطاقاً حجرياً مزيناً بقرن وحيد القرن.

فيما قُصد به على أي حال أن يكون كذلك؟ أما بالنسبة للعامة فقد قبل الكثير منهم نساء متواضعات المرتبة أو كن متزوجات سابقاً. لا تكترث إذا افترضت الدنيا بأسرها أنها ابنة حاكم المقاطعة ذاك، وليس الأمر كما لو أن توددي إليها أساء إليه في البداية مثل هذا الفهم. إن ما أريده هو أن تعرف أمها أنه على الرغم من الحزن النابع من فقدان ابنة، فإن صلتها بي ستشرفها.

أقبل حاكم هيتاشي، زوجها، ومكث وقتاً قصيراً، على الرغم من أنه ظل واقفاً. وهتف غاضباً: «تأملي حالك وأنت وحيدة ها هنا في وقت كهذا!». لم تكن قد أبلغته قط إلى أين مضت ابنتها أو تركته يعرف أي شيء عن ظروفها، ومن ثم فقد افترض على الدوام أن الفتاة عاكفة على حزنها، بينما كانت من جانبها تعتزم أن تبلغه ظافرة عندما يجلب القائد ابنتها إلى المدينة. أما الآن فلم يعد هناك معنى لملازمة الصمت.

ومن خلال دموعها أبلغته بكل شيء. دفعه خوفه الريفي من النبالة الحقة للدهشة والتخوف، عندما أخرجت رسالة القائد وأطلعته عليها، وقرأها مراراً. وقال أخيراً: «أي حظ حسن عظيم فقدته عندما ماتت! إنني أنا نفسي أخدم بين أتباعه البعيدين، ولكنه لم يستدعني للمثول بين يديه قط، فهو سيد نبيل عظيم وفخور للغاية حقاً. وحديثه على هذا النحو عن الأبناء يعني الكثير».

لم تستطع أمام مشهد سروره إلا أن تتلوى ألماً على الأرض، وهي منخرطة في البكاء، متمنية أن تكون ابنتها لا تزال على قيد الحياة. والآن مضى الحاكم نفسه يبكي. وعلى الرغم من ذلك فقد شك في أن رجلاً مثل القائد يمكن حقاً أن يهتم بها كثيراً لو أنها بقيت على قيد الحياة. وحدَّث نفسه: ربما كان يشعر بالذنب لأن موتها كان غلطته، وهو يريد فحسب أن يجعل أمها تشعر بالتحسن. وذلك هو السبب في أنه لا يكترث بتحمل القليل من النقد.

ما الذي حدث لها؟ راح القائد يتساءل عندما آن أوان أداء طقوس اليوم التاسع والأربعين. غير أن هذه الطقوس ما كان يمكن أن تلحق بها ضرراً على أي حال، ولذا عهد بالقيام بها من أجلها في معبد معلم ضبط النفس. وكان قد رتب تقديم عطايا سخية للرهبان الستين. وأضافت زوجة الحاكم، التي كانت حاضرة أيضاً، عطايا أخرى من عندها. وعن

طريـق أوكـون بعث معاليه بجرة فضيـة مليئة بالذهب. ولما كان مـن المتعذر عليه أن يقدم عطايـاه علـى نحو مترف بطريقة قد تجتذب الأنظار إليه، فقد قامت أوكون بذلك نيابة عنه، كأنها صادرة عنها، وعندها تساءل من لم يكونوا يعرفون الحقيقة كيف يمكنها تحمل تكلفة ذلك. وبعث سعادة القائد بكل أتباعه المقربين لتقديم المساعدة. وأشار الكثيرون ممن لم يعرفوا الراحلة من قبل إلى مدى غرابة الأمر كله. وقالوا: «انظروا كيف يكرم ذكرى من لم يسـمع أحد بها! من عسـاها كانت؟». وأقبل حاكم هيتاشـي بدوره متصدراً المكان، الأمر الـذي صـدم الجميع وأثار اسـتياءهم. وبعـد أن رأى مقدم ابـن الملازم[1] إلـى الدنيا، كان حريصـاً على الاحتفال بميلاده على نحو رائع، ولـم تكن داره مفتقرة إلى الكثير من عناصر الزينـة المسـتقدمة من كوما وكاثاي، ولكـن كان هناك فقط ما يسـتطيع أمثاله توفيره، وكان المظهـر متواضعاً فـي نهاية المطاف. وكان يعرف أن هذه الطقـوس قُصد بها أن تجري في حـرص، ولكـن عندما رأى بعينيه عظمتها المطلقة أدرك أنه لـو بقيت الابنة الأولى لزوجته علـى قيـد الحيـاة لقُدِّر لها الوصـول إلى ذُرى أرفـع بكثير مما وصل إليـه. وتكفلت زوجة معاليه بتلاوة النصوص المقدسـة والوجبات المقدمة للرهبان السـبعة. وبحلول ذلك كان جلالة الامبراطور نفسـه قد سـمع بقصة حب القائد هذه، فأسـف لأن القائد قد أبقاها طي الكتمان حرصاً على مشاعر زوجته، الأميرة الثانية.

ظل الحزن النابع من الحداد متجدداً دوماً بالنسـبة لمعاليه وللقائد، وعانى معاليه بصفة خاصة من ألم الفقدان المفاجئ لمثل هذه العاطفة المحفوفة بالمخاطر، ولكن فؤاده الذي لا يقر له قرار سرعان ما بدأ في البحث عن العزاء لدى غيرها. أما بالنسبة للقائد فقد واصل كذي قبل عنايته الفائقة المفعمة بالولاء بكل من بقوا ليستأثروا باهتمامه، وذلك على الرغم من أنه لم ينس للحظة ما الذي عنته خسارته بالنسبة إليه.

بقيـت جلالـة الامبراطـورة فـي روكوجو خـلال حدادها الهيـن[2]، وفـي غضون ذلك أصبح الأمير الثاني سيد مكتب شؤون المراسم. ولم يتح له منصبه المرهق الآن الكثير من الوقـت لزيارتهـا. وغالباً ما كان ابنهـا الآخر كذلك، معالي وزير الحرب، يسـعى إلى ملاذ

---

(1) زوج ابنته.

(2) إنها تلزم الحداد على والد أمها بالتبني، معالي وزير المراسم الراحل. وكان الحداد على عم (الفترة كانت تستغرق ثلاثة أشهر) يُنظر إليه باعتباره «هيناً» مقارنة بالحداد على أحد الأبوين.

من الوحدة والحزن في دار أخته، الأميرة الأولى، إذ لم يفلح، لأسفه الشديد، في أن يظفر بكل الحسناوات الموجودات لديها. وكانت واحدة منهن، تدعى كوزايشو، والتي أفلح سعادة القائد أخيراً في إقامة علاقة سرية معها، جميلة بصفة خاصة، وكانت من منظور القائد متكاملة الصفات كذلك، وصدرت عن أي آلة موسيقية وترية على يديها أنغام فائقة الروعة. وكانت الرسائل التي تكتبها، والأشياء المحدودة التي تقولها، تعلق دائماً بالذاكرة. وقد تأثَّر بها معاليه بدوره منذ وقت طويل، ومثلما درج عليه بذل قصارى جهده ليقنعها بتقليل تقديرها للقائد، ولكنها لم تر سبباً يدعوها للإذعان له شأن الأخريات جميعهن، وأقنع عنادها الدافع للجنون المعجب بها الأكثر وقاراً بأنها امرأة استثنائية حقاً.

لما كانت تعرف حق المعرفة مدى عمق شعور القائد بالخسارة التي مُني بها، فقد كتبت له في اندفاعة عاطفية تقول:

«سريع التعاطف فؤادي دوماً، أكثر من أي قلب آخر،

لكنني بلا أهمية والصمت لابد أن يكون قاعدتي.

لو أني كنت أنا، لا هي..»[1]

كان اختيارها للورق مناسباً تماماً، وفي هدأة هذا الغسق الخريفي تأثَّر بالدقة التي كانت قد خمنت بها حالته المزاجية.

«علمني سوء الطالع، مراراً، أنه ما من شيء يدوم،

لم أقصد أن يعلو تنهدي فيعرف الجميع».

مضى إليها مباشرة ليشكرها بإبلاغها كيف أن هذه الكلمة التي بعثت بها قد أدخلت السرور على نفسه في مثل هذا الوقت. لما كان رفيع المرتبة على نحو يدخل الرهبة في النفوس، فإنه نادراً ما كان يزور وصيفة على هذا النحو، ولم تكن غرفتها لائقة لاستقبال نبيل عظيم مثله، ذلك أنها كانت مغبرة للغاية وذات باب شديد الضيق. وقد أحرجها هذا كثيراً، ولكنها لم تبالغ في اعتذاراتها، وتحدثت معه بعذوبة شديدة حقاً. وحدَّث نفسه

---

(1) «لو أنني مت، بدلاً من أوكيفوني [لما أحسست بالأمر على هذا القدر من العمق]. وعبارة كوزايشو (كيترابا) ربما كانت مستمدة من النصف الثاني من جوسينشو 1363، من نظم تيجي نو إين (الامبراطور أودا).

قائـلاً: إن لديها الكثير ممـا يجعلها تفوق تلك الأخرى. ترى لمـاذا التحقت بالخدمة على هذا النحو. سيسعدني أن أحظى بها لنفسي! غير أن تصرفه لم يفصح عن هذه المشاعر التي اعتملت في نفسه.

في موسـم براعم اللوتس، أقامت جلالة الامبراطورة طقـس المحاورات الثماني. وقد كُـرِّس كل يوم لسـمو الامبراطور الفخري المتقاعد الذي كان مقيماً في روكوجو، السـيدة موراسـاكي، وهلم جراً، وكانت النصوص المقدسة والأيقونات التي أعدتها لهذه المناسبة شـديدة الروعة. ووعد اليوم المخصص للفئة الخامسـة بأن يكون مشهداً عظيماً للغاية إلى حد أن الناس في كل مكان استغلوا صلتهم بوصيفة أو بأخرى للقدوم ومشاهدته[1].

لدى انتهاء الطقس، بعد الجلسـة الصباحية في اليـوم الخامس، أقبل طاقم العاملين في الدار مباشرة- وقد أزيلت الأبواب المنزلقة الفاصلة بين الغرفة والدهليز الشمالي خصيصاً لهذه المناسـبة- لنزع عناصر الزينة المقدسـة وتغيير أثاث الغرفـة. ومضت الأميرة الأولى إلى طريق الجسر الغربي، وأوت وصيفاتها إلى غرفهن، وقد نالهن التعب من الاستماع إلى الكثيـر مـن المواعظ. كانت قلة محدودة بالفعل معها في الغسـق الذي ضرب أطنابه. وفي غضون ذلك بدَّل القائد ثيابه، فارتدى عباءة رسمية، ومضى إلى سرادق المعبد لمناقشة أمر عاجل مع الرهبان، لا لشـيء إلا ليجدهم قد رحلوا، فأطل على البحيرة مسـتمتعاً بالبرودة. وكان هناك القليل للغاية من الناس إلى درجة أن كوزايشـو والأخريات قد اكتفين بالسـتائر القائمة وحدها وما إلى ذلك ليتحن لأنفسهن مكاناً للراحة. فحدَّث نفسه عندما سمع حفيف الملابـس الحريرية: آه، لابد أنها هناك! اسـترق النظر عبر ثغرة ضيقة بين الأبواب المنزلقة المطلـة باتجاه المجاز، نادراً ما تجلس سـيدة عظيمة على هـذا النحو في مكان كذاك، وقد خصصوا لها مسـاحة رحبة للغاية فغدا بمقدوره النظر مباشـرة عبر الستائر المتمايلة بشدة. وكانت ثلاث نسـاء وفتاة تابعة يقطعن بهمة كبيرة أجزاء من كتلة ثلج وضعت أمامهن على صحفة[2]، وكانت ملابسهن بعيدة عن الطابع الرسمي، حيث أنهن لم يكن يرتدين سترات

(1) أتاح تفسير اللفافة الخامسة من سوترا اللوتس المناسبة للجمع للدوران حول بحيرة الحديقة (إدراجها في البحيرة الواقعة في الفردوس) فيما يحملون حزماً من الحطب ودلاء مليئة بالماء وتقدمات مرتبطة بأغصان ذهبية أو فضية. والمشهد يتم استحضاره بصورة موجزة في «الغصن الأخضر».

(2) كان الثلج المقطع يتم الحفاظ عليه خلال فصل الصيف في غرف معزولة بشكل خاص أو كهوف (هيمورو).

صينيـة ولا أردية ضافيـة، فلم يدر كيف يمكن أن يكن مع سـمو الأميرة، ومع ذلك فها هي ذي هناك في حرير شفاف أبيض[1]، ممسكة قطعة من الثلج، ومراقبة الجدال بينهن بابتسامة تغمـر محياهـا الجميل على نحو فاتن. ولابد أن شـعرها الغزير قد أثقـل عليها في مثل هذا اليـوم الحار بصورة لا تُطاق، فقد أزاحته إلى الأمام قليلاً، باتجاهه، وأحس بأنه لم ير مثيلاً لـه مـن قبل قط. وقد عـرف بالتأكيد الكثير من النسـاء الجميلات، ولكنه لـم يعرف واحدة من هذا المسـتوى. وبدت له وصيفاتها تراباً أمامها، إلى أن استجمع نفسه، ولاحظ وصيفة تحـرك مروحتهـا أمامها، وقد ارتـدت قميصاً رقيقاً من الحرير الأصفر وذيـلاً ضافياً للرداء بنفسجياً - رمادياً شاحباً. فحدَّث نفسه: آه، إنها تتمتع بالذوق، هذه الوصيفة!

«ينبغـي أن أقـول إن كل ذلك العمل يشـعركن أكثر بالحزن، لمـاذا لا تتركنه لنا لنقوم به علـى نحو ما هو عليه؟» كانت عيناها الضاحكتان جذابتين، ومن صوتها أدرك أنها صديقته كوزايشو.

في نهاية المطاف أفلحن في تكسير الثلج، وأخذت كل منهن قطعة وضعتها على جبينها أو على صدرها، ولا شـك في أن بعضهن وصلن إلى درجة من المرح العابث، وهن يقمن بذلك. ولفت كوزايشو قطعة في ورقة لتقدمها إلى سيدتها، ولكن سمو الأميرة اكتفت بمد يديها الجميلتين إلى كوزايشو لتجففهما. وقالت: «لا، شكراً، ليس لي، فالمرء يبتل كثيراً». تحدَّثت بصوت خفيض للغاية، ولكن رنين صوتها منحه سـروراً لا يُضاهى. حدَّث نفسـه قائـلاً: ذات مـرة، عندما كانت لا تزال صبية صغيرة، وكنت صغيـراً بدوري وبريئاً، لمحتها وحدَّثـت نفسـي كم هي جميلة، ولكنني لم أسـمع مجدداً حتى حفيـف أكمامها. أي إله أو بـوذا يمكن أن يكون قد أتـاح لي رؤية هذا المنظر؟ هذه القوة، كائناً من كانت، لابد أنها لم تقصد إلا أن تلقي بمشاعري في غمار الاضطراب كالمعتاد.

بينمـا وقف هناك محدِّقاً، وقد اضطرب فؤاده، تذكرت وصيفة صغيرة تقيم في الجانب الشـمالي من الجناح أنها مضت إلى غرفتها مسـرعة كثيراً إلى حد أنها نسـيت أن تغلق باباً منزلقـاً، وأقبلـت الآن مهرولة نحـوه خوفاً من أن يتـم توبيخها لتركهن معرضـات للعيان. وخفق فؤادها مسـرعاً عندما لمحت عباءته الرسـمية، وراحت تتسـاءل عمن عساه يكون،

(1) من الخصر فصاعداً، على الأقل، فإن القماش شفاف تماماً.

ولكنهـا كانت مـن القلق بما فيـه الكفاية بحيث واصلت مسـيرتها، بعد أن نسـيت أنها هي نفسـها لا ينبغـي أن تقع عليها العيون، فسـارع بالابتعاد، واختفى عـن ناظريها، ذلك أنه لم يرغب في أن تتم معرفة هويته في هذا الوضع الذي يتهدده بالخطر.

حدَّثت نفسـها قائلة: آه. لا! حتى السـتارة القائمة منحَّاة جانبـاً، وبمقدور أي أحد رؤية مـا بالداخـل. لابد أنه أحد أبناء معالي وزير الميمنـة. ما من أحد ليس له الحق في أن يكون هنا يمكن أن يجيء كل هذه المسـافة. لو أن أي أحد سـمع بهذا مجرد سماع فسوف تُطرح أسئلة عمن تركت ذلك الباب المنزلق مفتوحاً. لقد بدا قميصه وسرواله كلاهما مثل الحرير الرقيق، ومن المحتمل تماماً أن أحداً لم يسمعه. لـم تدر ماذا عساها تفعل.

فـي غضون ذلك، مضـى الجاني يحدِّث نفسـه نادماً: أتى وقت تطلعت فيـه إلى الحياة القدسـية، ولكننـي ما أن تعثرت حتـى تراكمت عليَّ هموم كثيرة، كثيـرة! ولو أنني كنت قد نبذت الدنيا آنذاك، منذ وقت طويل، لكنت أعيش الآن في أعماق الجبال، ولما كنت أعذب فـؤادي على هذا النحو. اسـتبد به الضيق. لماذا؟ أردت دومـاً أن أراها مجدداً؟ إن ذلك لـم يعن إلا الألم، ولـم يجدني نفعاً.

نهضت سمو الأميرة زوجته صباح اليوم التالي من نومها وقد بدت وسيمة للغاية حقاً.. ولـم تبـد لناظريه أقل وسـامة من الأميرة التي اسـترق النظر إليها بالأمـس. ومضى يحدِّث نفسـه مع ذلك فإنهما لا تبدوان متشـابهتين بحال. و«هي» من تعطي الإيحاء بالبهاء النبيل على نحو فذ، ما لـم أكن أتخيل ذلك، أو أنني تلقيت ذلك الانطباع بسبب المكان.

قـال: «الحر شـديد للغاية! عليك بارتداء شـيء أخف! مما يدخل السـرور على النفس رؤيـة امرأة ترتدي شـيئاً جديداً، على سـبيل التغييـر». وأضاف محدِّثاً إحـدى الوصيفات: «اذهبي واطلبي من دايني أن تجهز قميصاً من الحرير الشفاف». ابتهجت وصيفاتها لرؤيتها وهي تحظى بتقديره الشديد، حيث إنها كانت آنذاك في سمت جمالها.

عـاد قرابـة الظهيرة، بعد ذهابه إلـى غرفة لأداء صلواته المعتـادة، وهنالك كان القميص الـذي أمـر بإعـداده، معلقـاً على الخط المسـتعرض لسـتارتها القائمـة. تسـاءل: «لماذا لا ترتدينه؟ إنني أستطيع أن أفهم عدم تفضيلك ارتداء أي شيء شفاف عندما يمكن للكثيرات

رؤيتـك، ولكن من المؤكد أنه لا بأس بذلك الآن!». جعلها بنفسـه ترتدي القميص. وكان السروال قرمزياً، على نحو ما كان سروالها «هي» بالأمس، وكان شعرها الغزير طويلاً على نحـو رائـع بالمثل، ولكن يا للحسـرة، فالتأثير لم يكن هو نفسـه على الإطـلاق، ربما كانتا مختلفتين إحداهما عن الأخرى حقاً. ودعا بقطعة كبيرة من الثلج، وجعل النسوة يكسرنها، وأحس بالرضا عن نفسـه عندما أعطاها قطعة منه. وحدَّث نفسـه: هلم! ألم يقم أحد برسم محبوبتـه ليتمكـن من تأمـل لوحتها؟ من المؤكد أن السـيدة الماثلة أمامـي تتمتع بالجدارة بحيث تمنحني العزاء!

ومع ذلك فإنه تمنى لو أنه كان بمقدوره لقاء سـمو الأميرة الأولى بالأمس والاسـتمتاع برؤيتها حسبما طاب به، ولم يستطع الحيلولة دون التنهد.

قال مستفسراً: «هل تكتبين رسائل إلى سمو الأميرة الأولى؟».

«كنـت أفعل ذلك أحياناً عندما كنت أقيم فـي القصر، لأن جلالة الامبراطور طلبه مني، ولكنني لم أقم بذلك منذ بعض الوقت».

«أحسـب أنهـا لـم تعد تكتب لك لأنـك الآن من العامة. وهذا ليس لطيفاً منها، وسـوف أبلغ جلالة الامبراطورة بأنك تقولين إن ذلك يسبب جرحاً لك».

«لكن لماذا ينبغي أن أحس بذلك، لا، لا تفعل ذلك، لطفاً!»

«نعم، وأن السبب في أنها لا تبعث لك ببيت واحد هو أنها تزدريك لأنك أقل مرتبة منها بكثير!».

أمضـى اليوم في الـدار، وذهب صباح اليـوم التالي ليحدِّث جلالـة الامبراطورة. وكان معالي وزير الحرب هناك أيضاً، كما هي الحال غالباً، وقد بدا رائعاً للغاية، في عباءة رسمية قاتمة ارتداها فوق رداء من الحرير الشـفاف المصبوغ باللون القرنفلي القاتم. وكان آسـراً على نحو ما كانت عليه أخته الكبرى، وجعلته بشرته البيضاء على نحو بديع جنباً إلى جنب مـع تحول ملامحه، بهجة للناظرين. وأثار شـبهه لهـا توقاً متجدداً في نفسـه، وكان الجهد الذي بذله لكبح جماح هذه المشاعر مؤلماً أكثر من أي وقت مضى. وكان معاليه قد جلب معه عدداً كبيراً من الصور، وجعل النسوة يحملن بعضاً منها إلى غرفة سمو الأميرة الأولى،

قبل أن يذهب إلى هناك بنفسه.

خاطب القائد جلالة الامبراطورة، وأبلغها كم أثَّرت المحاورة الثامنة في نفسه أشد التأثير، وتحدَّث معها قليلاً عن الأيام الخوالي، ملقياً نظرة بين الحين والآخر على الصور التي كان معاليه قد تركها وراءه. وأشار بقوله: «يؤسفني أشد الأسف رؤية الأميرة المقيمة لديَّ وقد استبد بها الحزن الآن وهي بعيدة عن القصر. وهي لا تتلقى كلمة أبداً من سموها ابنتكم، ويحزنها افتراض أن سمو الأميرة لا ترغب في أن تكون على اتصال بها بسبب طابع زواجها. وسيكون كريماً منكم السماح لها بأن تلقي نظرة بين الحين والآخر على لوحات كهذه».

ردت جلالة الامبراطورة: «ليس يمكنني تصور السر في أن يساورها مثل هذا الشعور، وذلك على الرغم من أنه يبدو أمراً مفهوماً تماماً أن تقل مراسلاتهما لدى انفصالهما، حتى وإن كانتا على اتصال عندما كانتا جارتين في القصر. وسوف أطلب منها الكتابة لها، وذلك على الرغم من أنني لا أدرك لماذا لا تبدأ زوجتك الكتابة بنفسها».

«تكتب أولاً؟ لا. لا. إنها لن تستطيع القيام بذلك أبداً. وعلى الرغم من ذلك فإن هذا سيسعدني كثيراً إذا كانت الصلة التي تسمح لي بالقيام على خدمتكم مثلما أفعل[1] من شأنها أن تشجعكم على منحها بعض الاهتمام، حتى وإن لم تقوموا بذلك من قبل. وعلى أي حال فإنهما كانتا تكتبان إحداهما للأخرى بصورة جميلة في وقت من الأوقات، وسيكون أمراً مؤسفاً للغاية إذا فضلت سمو الأميرة الأولى ألا تفعل ذلك مجدداً». لم يخطر ببال جلالة الامبراطورة قط أن مخططاته المتعلقة بالتودد للنساء دفعته للتحدث على نحو ما فعل.

عندما انسحب من بين يدي جلالة الامبراطورة، حدَّث نفسه بأن بمقدوره السعي وراء الوصيفة التي استمتع بصحبتها أخيراً، وانطلق تحقيقاً لهذه الغاية غرباً نحو الرواق ذاته الذي علق الآمال على أن مرآه ذاته قد يمنحه نوعاً آخر من العزاء. رتبت النسوة وراء الستائر الحاجبة أنفسهن، عندما رأينه مقبلاً، حيث كان جلال مظهره فائقاً حقاً. وعندما

---

(1) يُفترض أن كاورو هو الأخ الأصغر غير الشقيق للامبراطورة.

لاحظ أبناء معالي وزير الميمنة جالسين في الرواق يتحدثون، توقف وجلس أمام الباب المزدوج. وقال[1]: «إنني أحضر إلى هنا كثيراً، ولكنني أصادفكن هنا، أيتها السيدات، نادراً للغاية حتى إنني أحس بأنني كبرت منذ آخر مرة، وهكذا فقد قررت أن ألزم جادة الصواب من الآن فصاعداً. ولا شك في أن أولئك السادة الشبان هناك لا يشعرون بأنني أنتمي إلى هنا على الإطلاق». وألقى نظرة عاجلة على أبناء أخيه.

«إذا كانت تلك رغبتك، يا مولاي، فلابد أنك تزداد شباباً من جديد!».

ذكرته لما حيتهن ببهاء سيدتهن الفائق. فواصل البقاء مثرثراً معهن في تكاسل، على الرغم من أنه لم يكن هناك حقاً ما يدعوه إلى ذلك على امتداد وقت أطول كثيراً مما كان يعتزمه.

في غضون ذلك، كانت الأميرة الأولى مع جلالة الامبراطورة. وأشارت جلالتها مستفهمة: «لكن القائد انطلق إلى جناحك!».

قالت ديناجون، التي كانت قد صحبت جلالة الامبراطورة: «إني على يقين من أن ما كان يدور في ذهنه هو تبادل كلمة أو كلمتين مع كوزايشو».

«عندما يولع رجل شديد الجدية بامرأة على أي حال، فخير لها أن تكون لـمّاحة، فسرعان ما يسبر غورها. وعلى الرغم من ذلك فليس هناك ما يدعو إلى القلق على كوزايشو». كان صحيحاً أنها هي والقائد أخت وأخوها، ولكنها كانت ولا تزال إلى حد ما تجله أعظم الإجلال، وعلقت الآمال على أن أي وصيفة يؤثرها سوف تتصرف على النحو اللائق.

أوضحت ديناجون الأمر قائلة: «إنه مولع بها بصفة خاصة، يا مولاتي، وربما يكون قد ذهب إلى غرفتها. وهو غالباً ما يبقى متجاذباً أطراف الحديث معها حتى وقت متأخر من الليل. ومن الجلي أنها تعني له الكثير على نحو يفوق الأخريات. وبالنسبة لها فإن معالي وزير الحرب هو من لا ينبغي أن تثق بكلماته العذبة، بل أنها لا ترد عليه. ومن المؤكد أن إدخال السرور على نفسها يقتضي الكثير». وضحكت ديناجون وكذلك جلالة الامبراطورة.

(1) لوصيفات الأميرة الأولى وراء الستائر الحاجبة.

قالت جلالتها: «إنني أهنئها لإدراكها أي فاسـد شرير هو. ماذا عساي أصنع لإيقافه عند حده؟ إنني أشعر بالخجل نيابة عنه حتى أمامكن جميعاً».

استطردت ديناجون: «لقد تناهى إليَّ شـيء بالغ الغرابة حقاً، فتلك السـيدة التي فقدها القائد كانت بالفعل الأخت الأصغر لزوجة معاليه المقيمة في نيجو، والأخت غير الشقيقة، فيما أتصور. ويفترض أن تكون زوجة حاكم هيتاشي السابق إما عمتها أو أمها، لا يمكن أن أحدد على وجه الدقة. وكان معاليه يزورها تحت جناح السرية البالغة أيضاً! ولابد أن سعادة القائد قد علم بالأمر، لأنه فجأة أمر بتشديد الحراسة حول دارها، استعداداً لإحضارها إلى المدينـة. وفي المرة التالية التي انسـل فيها معاليه إلى هناك، متنكراً تنكراً متقناً، لم يسـتطع دخـول الـدار، وظل ينتظر دهوراً بشـكل بائس، على نحـو ما هو عليه، ممتطيـاً جواده، ثم اضطـر للعـودة إلى داره مجدداً. وعلـى الرغم من ذلك، فربما كانت السـيدة تفضله، لأنها بعـد ذلـك اختفت تماماً، ومضى أنـاس مثل مربيتها يبكون ويهتاجـون لأنها، فيما يقولون، لابد أنها قد أغرقت نفسها».

صُدمـت جلالـة الامبراطـورة تماماً. وقالت: «من أيـن بلغك ذلك؟ يا لـه من أمر فظيع بصـورة مطلقـة! ولكن من المؤكد أن الجميع كان سـيعلم الآن بأي شـيء له أصداء مدوية علـى ذلـك النحو! والقائد لم يأت على ذكره قط، على الرغم من أنه تحدَّث بحزن بالغ عن أنه مامن شيء يدوم، وأنه مامن أحد في عائلة ذلك الأمير في أوجي يعمِّر طويلاً».

«لا، لا، يـا مولاتي، إنني أوافق تماماً على أنه لا يتعين تصديق الخدم، وكانت فتاة تابعة كانت في الخدمة هناك التحقت أخيراً بالعاملين في دار كوزايشو، وقد روت القصة بأسرها كأنما لا يمكن أن يكون هناك مجال للشـك فيها. وهي تقول إن الجميع هناك حرص على تكتم الأمر تماماً، بسـبب الطريقة الفظيعة التي لقيت بها السـيدة حتفها، والفضيحة المقيتة التي كانت ستلي ذلك إذا عُرف الأمر. بل إنهم ربما لا يكونون قد أطلعوا القائد نفسه على كل شيء».

«أبلغـي تلك الفتاة بأن عليها ألا تتفوه بكلمـة أخرى عن الأمر، فهذه النوعية من الأمور يمكن أن تكون كارثية بالنسبة لمعاليه. والناس قد يفقدون في يسر كل احترام له». انزعجت جلالتها بعمق.

في وقت لاحق، وصلت رسالة من الأميرة الأولى إلى الأميرة الثانية. وأبهجت رؤية خطها البديع القائد كثيراً، فحدَّث نفسه: أتمنى لو أنني رأيت هذا منذ وقت طويل! وجاءت صور عديدة مسلية من جلالتها أيضاً. وأضاف القائد صوراً أجمل من عنده، وبعث بها إلى الأميرة الأولى. ولابد أنه قد رأى نفسه بصفة خاصة في صورة جميلة لتوجيمي، نجل القائد شريكاوا، جالساً وحيداً في الغسق الخريفي حزيناً على أميرته الأولى[1] يا للسيد النبيل المسكين، لو أن أميرته كانت لطيفة مثل هذه الأميرة!

«لشد ما تجلب الريح الخريفية، التي تزين بالندى الأسل المنحني،

في المساء القشعريرة إلى الفؤاد المتلهف!».

أراد أن يكتب هذه القصيدة على الصورة نفسها، ولكن الحياة تشكلت بحيث أنه حتى أبسط إيماءة من هذا النوع كان يمكن أن تترتب عليها عواقب وخيمة. وعرف إنه ليس بمقدوره أن يتسبب لها في أي عاقبة من هذا النوع على الإطلاق. حدَّث نفسه بعد مثل هذه الأحزان المتوالية: آه، لو أن السيدة التي فقدتها منذ وقت بعيد بقيت على قيد الحياة فحسب، لما أحببت أبداً أحداً غيرها! ولما استطعت قبول ابنة جلالة الامبراطور حتى لو كان قد منحها لي منحاً، ولما رغب في القيام بذلك على أي حال لو أنه علم بأن لي مثل هذه الحبيبة العظيمة. وعلى الرغم من ذلك، كم كانت قاسية، عذراء الجسر تلك، وعلى أي نحو موجع ابتلت فؤادي بالمحن! ومضت به تأملاته المفعمة بالعذاب قدماً إلى حد التفكير في الأخت التي كان معاليه قد تزوجها، واجتاحه مزيج متضارب على نحو مستحيل من المرارة والحنين، بحيث أنه أدان نفسه على شعوره بمشاعر الأسى الممتزجة بالحماقة. وحتى بعد ذلك بقيت تلك التي ماتت هذه الميتة الرهيبة، وأحس بأنها كانت طفلة في قرارة نفسها ومذنبة بالحماقة التي اختارتها اختياراً، ومع ذلك فإن فكرة كيف أنها لابد قد عانت من مخاوفها وكيف أن تغير أسلوب معاملته لها قد أزعج ضميرها أكدت له، على الرغم من ذلك، كم كانت رقيقة وكم كان محقاً في رغبته فيها، وإن لم يكن ذلك حقاً باعتبارها زوجة له، فعلى الأقل باعتبارها رفيقة ساحرة دوماً. ومضى يؤكد لنفسه: لا، لن أفكر أكثر من هذا في معاليه، أو أدينها لما أقدمت عليه، لأن سبب الأمر كله كان إخفاقي

---

(1) هذه الحكاية لم تصل إلينا.

الساذج، استغرقته تأملات كهذه مرات عدة.

عندمـا يعانـي رجل هادئ، متمالك لنفسـه ووقـور، مثل القائد، من ألـوان البؤس هذه، فإن مما يمكن فهمه أن يظل معالي وزير الحرب بلا عزاء تماماً، ذلك أنه لم يكن لديه أحد يجلـب حضوره التفكيـر فيها على نحو أقرب أو يمكن أن يصارحـه بحزنه النابع من حنينه الذي لا تُروى له غُلة. وربما كان يمكن لسعادة الأميرة زوجته أن تمنحه القليل من كلمات التعاطـف، ولكنهـا لـم تعرف أختها غير الشـقيقة معرفة جيـدة قط، كما أنها بعـد تعارفهما المفاجئ والقصير لم يكن بمقدورها أن تلزم الحداد عليها بعمق حقاً. وبالإضافة إلى ذلك فقـد أحجـم عن أن يطلب منها أن ترثي لها معه بالقدر الذي تمنى أن يقوم أحد به، ومن هنا فقد بعث يستقدم جيجو من أوجي.

كانت نسـوة الدار هناك قد تفرقن كل منهن في طريق، تاركات وراءهن المربية، أوكون وجيجـو، اللواتـي كـن متـرددات في نسـيان جميل سـيدتهن. ولـم تكن جيجـو مقربة من سـيدتها كالأخريين، ولكن بعد الوقت الطويل الذي أمضينه معاً، أصبحت تستمد الارتياح مـن الأمل في أنه فـي هدير النهر المخيف لا يـزال المرء يلمح الشـلالات المدوِّمة الأكثر سـعادة المقبلة[1]. غير أنه أخيراً دفعها الخوف والمقت لهذا الهدير إلى دار صغيرة، بائسـة فـي المدينة. وقد وجدها معالي وزير الحـرب هناك، ودعاها للالتحاق بخدمته، ولكنها بدا لهـا، علـى الرغم من عرفانها، أن الأخريات، في ظل الظـروف الراهنة، قد لا يتحدثن عنها بلطـف إذا فعلـت ذلـك، وبالتالي فقد رفضت ذلـك، على الرغم من أنهـا ألمحت إلى أنها ستخدم جلالة الامبراطورة بسرور بالغ. رد معاليه: «تلك فكرة ممتازة، يمكن أن تظلي لي هناك، ولن يعلم أحد بالأمر». وجدت جيجو، الذي قدم لها هذا الاقتراح خلاصاً من القلق والوحدة، قناة مناسبة لتقديمها إلى طاقم العاملين[2] ولم يعرب أحد هناك عن شكواه، فقد كانت بهية الطلعة، حتى وإن لم تكن تحظى بمرتبة رسـمية. وقد زارها سـعادة القائد كثيراً، ولكن رؤيته كانت على الدوام تدخل التعاسة على نفسها.

---

(1) «سي» (الشلالات أو المناطق الضحلة في غدير) لفظ يشيع استخدامه ليعني «لحظة» و«مناسبة» و«مرور الزمن» وما إلى ذلك.

(2) لم يكن بمقدور نيئو وضعها هنالك فحسب، وإنما كان عليها أن تناشد من هي في طاقم العاملين لدى الامبراطورة بالفعل، أو من يمكنها الزعم بأنها على صلة بها، لتتولى تقديمها.

وقد قال الجميع إن جلالة الامبراطورة لم تجمع حولها إلا بنات أعظم البيوتات، ولكنها عندما بدأت في التطلع حولها أخيراً، لم تر هناك من هي نظيرة للسيدة التي فقدتها.

كانت هناك ابنة لمعالي وزير شؤون المراسم، الذي رحل في ذلك الربيع، لا تحظى بحب يذكر من زوجة أبيها، وفضلاً عن ذلك، فقد كان شقيق هذه السيدة، وهو القيم على الإصطبلات الذي لا يعد بمستقبل يُذكر، يسعى وراءها. وحسمت هذه السيدة، التي لزمت اللامبالاة حيال محنة ربيبتها، رأيها بأنه ينبغي أن يحظى بها. وعندما علمت جلالة الامبراطورة بالأمر قالت: «يا له من عار تركها تمضي للذوبان على ذلك النحو! لقد كان أبوها مولعاً بها أشد الولع!».

ظلت الشابة نفسها تحس بالقنوط حيال هذا الاحتمال إلى أن أعرب أخوها، وهو استشاري، عن امتنانه حيال عطف جلالة الامبراطورة. ومن هنا فقد دخلت أخيراً في خدمة جلالتها. وقد جعلها منبتها الرفيقة المثالية لسمو الأميرة الأولى، وحظيت بتقدير خاص. وعلى الرغم من ذلك، فقد كانت لا تزال وصيفة، وبالتالي عرفت باسم ميا نوكيمي[1] وقد كان مؤثراً رؤيتها وهي ترتدي ثوباً ضافياً فحسب![2].

الآن «هي» (هكذا خطر ببال معالي وزير الحرب) تستحق عن جدارة أن يتم تشبيهها بحبيبتي المسكينة! في نهاية المطاف كان أبواهما شقيقين! ولما كان من هو عليه، فقد كان له طبع غريب متمثل في التلهف على الجديد، حتى وهو يلزم الحداد على القديم، ولم يطق صبراً على لقائها.

وجد القائد أن من الصعب قبول مصيرها. وحدَّث نفسه بأن معالي والدها كان يفكر حتى النهاية ذاتها في تقديمها لولي العهد، بل إنه ألمح لي إلى اهتمامه بهذا! وأوضح مشهد هذا العار بجلاء أن من تلقي نفسها إلى الماء تهرب من الكثير من ألوان البؤس بإقدامها على هذا. وتعاطف معها أكثر من أي شخص آخر.

---

(1) نظراً لكونها وصيفة، في نهاية المطاف، فإنه يتعين إعطاءها «مشينا»، أي «لقباً للخدمة» شأن كل الأخريات. و«ميا نو كيمي» يعني شيئاً من قبيل «فتاة معاليه».

(2) ربما كانت الوصيفة المناوبة ترتدي ثوباً ضافي الذيل وسترة صينية، ولكن ميانو كيمي، التي لا تشابه الوصيفات الأخريات حقاً، لا ترتدي إلا ثوباً ضافي الذيل فحسب.



امرأة من دون سترتها الصينية

كان مقر جلالة الامبراطورة في روكوجو أكثر رحابة وفخامة من مقرها في القصر، وجاءت وصيفاتها كافة، حتى اللواتي لا يقمن على خدمتها دوماً، من أماكن بعيدة للاستمتاع بالراحة والترف هناك، إلى أن أصبح كل جناح ورواق وجسر مليئاً بمن فيه. وكان معالي وزير الميمنة يرعى الضيعة على نحو رائع كما كان أبوه يفعل. وكانت عائلته حقاً كبيرة ومزدهرة للغاية حتى إن روكوجو في الوقت الحالي تجاوز في التألق ما كانت عليه أيام أبيه. وكان معالي وزير الحرب، الذي بمقدوره أن يظل على امتداد شهور غارقاً فيما لا يعلم أحد من الغراميات الخبيثة، إذا كان على طبيعته -كان مكتئباً على نحو غير مألوف، وبدا في الحقيقة أنه قد نضج بعض الشيء. غير أن ميا نوكيمي استخرجت طبيعته الحقة مجدداً، فمضى يدبر أموره للظفر بها.

مضت جلالة الامبراطورة تتهيأ للعودة إلى القصر، الآن وقد غدا الجو ألطف، ولكن وصيفاتها الشابات اعترضن قائلات: «سيكون من العار ألا نرى أفضل ما في الخريف هنا وأوراق الأشجار الجميلة». وتجمعن كلهن حولها للاستمتاع بالبحيرة وبهجة القمر، وغالباً ما جعلن الموسيقى تصدح متجددة وعصرية بصفة خاصة حتى أن معاليه ابتهج كثيراً بمصاحبتهن في العزف. كان مثل زهرة الموسم الأولى، حتى بالنسبة للعيون التي كانت تراه ليلاً ونهاراً. وعلى الرغم من ذلك فقد وجدن جميعاً أن حضور القائد يدخل

الرهبة في النفوس إلى حد ما، لأنه لا يشارك عن طواعية في ألوان التسلية التي ينغمس فيها. وذات مرة عندما كانا كلاهما مع جلالة الامبراطورة، اختلست جيجو النظر إليهما من وراء ستارة، وهي تحدِّث نفسها في غضون ذلك: لو أن سيدتي العزيزة كانت قد حظيت بأحدهما، حيث إن كلاً منهما وعدها بمستقبل باهر، ولو أنها كانت لا تزال على قيد الحياة فحسب! أي شيء مجنون، رهيب ومقيت آثرت الإقدام عليه بدلاً من ذلك! ولكنها احتفظت لنفسها بالألم الحاد النابع من هذا الأمر، ولم تنبس ببنت شفة لأي أحد هناك يمكن أن تشير إلى أنها كانت تعرف أي شيء عن أوجي. وفي غضون ذلك، مضى معاليه يحدث جلالة الامبراطورة مطولاً عن أمور في القصر، وغادر القائد المكان. ولم ترغب جيجو في أن يراها، فبادرت إلى الاختباء، فقد كانت تخشى أنه قد يظن أنها قاسية الفؤاد، وذلك لرحيلها قبل انتهاء مدة الحداد.

مضى القائد إلى حيث كان العديد من النسوة يثرثرن بأصوات خفيضة في ممر على امتداد طريق الجسر الواقع إلى الشرق. وقال «ينبغي عليكن، أيتها النسوة، الشعور بالارتياح معي. وليس بمقدوركن الإحساس بشعور أفضل حتى مع نسوة أخريات! وبالإضافة إلى ذلك فلديَّ أمورمهمة أعلمكن إياها. ويسعدني القول إنكن ستدركن ذلك بمرور الوقت».

في غمار تساؤل النسوة عما عساهن يبادرن إلى الرد به، أجابت امرأة أطول عمراً وأكثر خبرة تدعى بن: «يا مولاي، أليست المرأة التي تجاوزت الرغبة في الحميمية معك هي التي يمكنها بالفعل أن تكون مرتاحة معك؟ على هذا النحو تمضي الأمور. وأنا لم أتطلع بصفة خاصة إلى الحديث معك على نحو حميمي للغاية، ولكنني وقد تجردت من الحياء أحسست بأنه من واجبي على الأقل أن أقوم بهذا».

رد قائلاً: «يؤسفني أشد الأسف، إذاً، أنك لا تشعرين بالحاجة إلى أن تكون خجولاً معي!». كانت قد نزعت سترتها الصينية، ونحتها جانباً، وذلك فيما يبدو للانغماس في ممارسة فن الخط، وأدرك أيضاً أنها كانت تستمتع بوريقات الخريف التي كانت قد التقطتها ووضعتها في غطاء صندوق أدوات كتابتها. كانت نسوة كثيرات قد احتجبن وراء الستائر، بينما ابتعدت أخريات بحيث لا يمكن تعرفهن من الباب المفتوح. ومضى يتأمل أخيراً رؤوسهن مستمتعاً بذلك، ثم قرَّب المحبرة منه وكتب:

«آه، يا زهرة البتول، ها أنا في مرج تتفتح فيه الكثيرات،

وما من قطرة ندى تتألق عليَّ وتسيئ إلى سمعتي!.[1]

مع ذلك فلن تبتسمي لي!». وعرض القصيدة على إحدى النسوة، والتي جلست بجوار الباب المنزلق وظهرها إليه. وبلا تردد كتبت في هدوء تواً في معرض الرد قائلة:

«تحمل زهور البتول من بين كل البراعم اسماً موحياً بالخطر،

ولا تنحني أبداً لوهم أي قطرة ندى عابرة».

تمتع هـذا النمـوذج الصغير من كتابتها بتميز لا تشـوبه شـائبة دفعه إلى التسـاؤل عمن عسـاها تكون. ولابد أنها كانت في طريقها إلى جلالة الامبراطورة عندما وجدت حضوره يعترض طريقها.

قالت بن: «أخشى أنك تتحدث كرجل أوغل في العمر».

«تمهل في رحلتك، اختبر نفسك مجدداً، وانظر ما إذا كانت زهرات البتول

في كل بهائهن المتألق سيغوين فؤادك أم لا.

وعندئذ فإنني بدوري سأحسم رأيي».

رد قائلاً:

«لئن قبلت بي فإنني سأقضي ليلة هنا، مع أن فؤادي هذا

لا يدع نفسه أبداً لجاذبية زهرة عادية».

«لمـاذا تهيننـي على هـذا النحو؟ لقـد كنت أمزح فحسـب فيما يتعلـق بمرحك بصورة عامة!».

جعلت أقل كلمة منه النسـوة يتقن إلى سـماع المزيد. قال: «أسـتميحك عفواً، لسـوف أنصـرف، إذاً، فأنـا علـى يقين من أنه سـيكون لديك في أي لحظة سـبب يدعوك للشـعور

(1) كوكينشو 229، من نظم أونو نو يوشيكي: «لئن بقيت طويلاً في مرج مليء بأزهار البتول المتفتحة لأساء ذلك إلى سمعتي دونما إنصاف».

بالحيـاء مجدداً!»[1]. انبعـث واقفاً، ومضى في طريقه. علقت بعض الأخريات الآمال على أنه لم يظن بهن سلاطة لسان كتلك التي أبدتها بن.

استند إلى الدرابزون الممتد إلى الشـرق، ومضى يتأمل الشـمس، وهي تغيب، ويتطلع إلى الحديقة بكل زهورها، وراح يغمغم محدِّثاً نفسه بصوت خفيض، وقد استشعر الحزن على نحو لا سبيل إلى تبريره: «السماء الخريفية أكثر إيلاماً»[2]. أشار حفيف أثواب حريرية إلى أن مرتديتها تمر عبر الباب المنزلق من الباب القريب من الغرفة إلى الجانب البعيد.

إذن فقد أقبلت سمو الأميرة إليه. تساءل: «من الذي دخل الآن تواً؟».

سمع إحدى الوصيفات ترد: «تلك كانت تشوجو، التي تخدم سمو الأميرة الأولى».

يـا له من شـيء يتم القيـام به! ما أغرب التفكيـر في أنها قد حدَّدت هوية تشـوجو هكذا لرجـل أبدى حرصه فجأة على أن يعرف من عسـاها تكون! داخله الشـعور بالأسـف على تشـوجو، وأزعجـه أن تقـوم النسـوة هاهنا عـن طواعية بترك رجـل ينال مـراده. وقد تركنه جميعاً، فيما يبدو، يفلت بجرأته وسـلوكه الأناني! ياللحسـرة، ليس لديَّ سبب يدعوني إلا للغضب منهما كليهما، الأخ والأخت على السواء[3]. آه، لكم تسعدني غواية إحدى النساء هاهنـا وانتزاعها منه، حسـناء يهيم بها بكل شـغفه المعتاد،وأجعله بائسـاً على نحو ما أنزل البؤس بسـاحتي! مـن المؤكـد أن أي امرأة لها قدرها سـتفضلني عليه! ولكـن لا! فقلوب النسـاء لا تقلـب علـى تلك الشـاكلة. وزوجته المقيمة فـي نيجو لا تغتفر له سـلوكه، وهي تحس بالقلق حيال ما سيظنه الناس إزاء تفضيلها المتزايد والتعس لي، ولكنني أحس بالتأثر والامتنـان لأنها هـي، على الأقل، لم ترفضنـي. هل هناك امرأة واحدة هنـا لا تزال تحتفظ بذوقها الراقي؟ لسـت أدري لأنني لم أحاول حقاً من قبل قط اكتشـاف ذلك. لن يزعجني على الإطلاق الارتباط بعلاقة عابرة، أخذاً في الاعتبار مدى أرقي أخيراً! ولكن لا، كان لا يزال يشعر بعدم الميل إلى ذلك.

من الغريب أن ما حدث على طريق الجسـر الغربي ذاك اجتذبه نحو العودة إلى المكان

---

(1) «لا شك في أن عاشقك سيصل إلى هنا سريعاً».

(2) من قصيدة من نظم باي جويي (هاكوشي مونجو 0790).

(3) نيئو لأسباب جلية، والأميرة الأولى بسبب افتتانه الذي لم تبادله إياه.

مجدداً. وكانت الوصيفات هناك يثرثرن على راحتهن إحداهن مع الأخرى، متذرعات بتأمل القمر، ذلك أن مولاتهن الأميرة الأولى كانت تمضي الليل مع أمها. وسمع بسرور أنغاماً تنساب من آلة سونو كوتو. وتساءل وقد أقبل عليهن فجأة: «ما الذي تقصدنه باجتذاب الناس بهذه الطريقة بالموسيقى التي تعزفنها؟»[1]. ولكن على الرغم من دهشتهن فإنهن لم يسدلن ستائرهن التي كانت مرفوعة قليلاً.

استقامت إحداهن في جلستها، وقالت: «هل هناك أخ أكبر هنا يبدو شبيهاً بي؟». لابد أنها كانت من يطلقن عليها تشوجو.

قال مازحاً: «لا، ولكني أنا الخال! أحسب أن سمو الأميرة مع جلالة الامبراطورة كالمعتاد. ما الذي كانت تفعله وهي وحيدة طوال كل هذا الوقت في الدار؟». كان سؤالاً بمقدوره أن يحجم عن طرحه.

«لا شيء على وجه الخصوص، هنا أو في القصر. تلك هي فحسب الطريقة التي تعيش بها حياتها، حسب علمي».

ياله من بهاء تسمح لها مرتبتها به! هكذا مضى يحدِّث نفسه بتنهيدة تلقائية استشعر في التو الندم عليها، بحيث سعى إلى إبعاد الاهتمام عنها، خشية أن يلحظها أحد ويتساءل بخصوصها، وذلك بالتلاعب بآلة واجون برزت نحوه قليلاً من أسفل الستائر. وكانت مدوزنة للعزف من مقام ريتشي، وهو مقام ملائم للموسم بصورة ملحوظة، وبدا عزفه جميلاً. وأحست من تروق لهن الموسيقى من بين من استمعن إليه بخيبة أمل حادة عندما توقف عن العزف من دون أن يستكمل المقطوعة.

هل أمي أقل شأناً منها؟ إن سمو الأميرة ابنة امبراطورة.. ذلك هو الفارق الوحيد بينهما[2]. وسموها هي الأثيرة عند جلالة الامبراطور، أبيها، لكن أمي كانت الأثيرة عند أبيها أيضاً! كم هو غريب أن تحظى إحداهما بتميز يفوق الأخرى! لابد أن يكون أكاشي

---

(1) يشير كاورو، على نحو ما تفعل تشوجو بعد قليل، إلى فقرة في قصة «يوزويان كو» الصينية العائدة إلى عهد تانج والتي يعني عنوانها «كهف الجنيات المرحات». والبطل تجتذبه موسيقى آلة الكوتو إلى عذراء غامضة يُقال إنها تشبه خالها وأخاها الأكبر، وهما كلاهما رجلان مشهوران بالوسامة.

(2) أم كاورو، أونا سان نو ميا، هي ابنة الامبراطور سوزاكو وإحدى زوجاته، وليست الامبراطورة.

مكاناً مميزاً! أفضت به تأملات كهذه إلى التفكير في مصيره، فمضى يحدِّث نفسه: لقد كنت أنا نفسي محظوظاً للغاية، ولكن كم كنت سأغدو محظوظاً أكثر من هذا لو أنها «هي» مُنحت لي أيضاً! غير أنه في هذا الصدد كان يطلب أكثر مما ينبغي.

وصل إلى الركن الجنوبي الشرقي من الجناح، وتنحنح، وعندئذ برزت وصيفة أكبر سناً لاستقباله. «لو أنني قلت إنني منجذب سراً إلى سيدتك، فذلك لن يعدو أن يكون تكراراً على نحو مرتبك للكلمات التي يستخدمها الجميع. وليس بمقدوري الحيلولة دون الرغبة في (كلمة أخرى)»[1].

لم تنقل المرأة ما قاله لسيدتها، وإنما ردت بدلاً من ذلك مترددة: «الآن وفيما تمر سيدتي بهذه الظروف غير المنتظرة، يا مولاي، فليس بوسعي إلا أن أتذكر الخواطر والمشاعر التي كان معالي الوزير الراحل والدها يكنها لك. وليس لدي شك في أن مولاتي ممتنة لأي إفصاح من هذا عن الشعور الدافئ نحوها الذي أدرك أنك تبادر في بعض الأوقات للتعبير عنه».

حدَّث نفسه، وقد استبد به الضيق: يا لقحتها إذ تعاملني كما لو كنت أي أحد! وواصل الحديث بصوت عال: «بغض النظر عن رابطة بينها وبيني تجعل من المتعذر عليها أن تنبذني كلية[2]، فإنني سيسعدني للغاية، والأمور على ما هي عليه الآن، أن تزورني عندما تشعر بالرغبة في ذلك. وعلى الرغم من ذلك فلن يكون بمقدوري الاستجابة لذلك، إذا كان لابد لها من الحديث معي عبر شخص آخر فحسب».

ببعض العناء حملت المرأة ما قاله، وأهابت بميا نوكيمي القيام بما هو أفضل.

حادثته مباشرة بصوت رقيق ومفعم بالشباب على نحو جذاب: «عندما يعيد وضعي الكئيب الحالي إلى الذاكرة «صنوبرة تاكا ساجاو العتيقة ذاتها»[3] فإني أؤكد لك أن

---

(1) كوكين روكوجو 2640: «لكم أتمنى كلمة أخرى غير أومو، لكي أستخدمها لحبي لك وحده!». وكلمة «أومو» التي تعني «يركز في إعزاز في أفكاره على أحدهم»، هي فعل شائع للغاية يمكن أن يتطابق في السياق الصحيح مع «يحب».

(2) ميا نو كيمي وكاورو يُفترض أنهما من أبناء العمومة.

(3) كوكينشو 909، من نظم فوجيوارا نو أوكياكازي: «من الذي أدعوه في الدنيا بأسرها بالصديق؟ يا للحسرة، إن صنوبرة تاكا ساجاو العتيقة ذاتها لا تمنحني الصحبة». والشاعر الذي يعرب عن حزنه على وحدة الشيخوخة

مناشدتك تلك الرابطة تلهمني الأمل والثقة. كان يمكن لمثل هذا الرد من أي امرأة عادية في دار كهذه أن يبهجه، ولكنه في حالتها أثار الضيق قليلاً في نفسه أنها هي، حتى على ما هي عليه الآن، لا تحتاج إلى الاحجام عن السماح لرجل بأن يسمع صوتها. وجعله ما استوعبه من حضورها شغوفاً برؤيتها كذلك، ذلك أنها ربما كانت جذابة المظهر على النحو نفسه. وقد افترض ببعض الاهتمام أنها بالنسبة لمعالي وزر الحرب لابد تشكّل مناسبة أخرى للحماقة، ولكن هذه الخاطرة ذكّرته بأن يتأمل مدى ندرة الوفاء. مضى يحدّث نفسه، ها هي ذي، سيدة شابة رباها بحب والد ينتمي إلى ذروة التميز، ولكنني أحسب أن هناك أخريات كثيرات مثلها. وما هو فذ يتمثل في أن أختين مماثلتين تخلوان من الشوائب قد كبرتا وسط تلك التلال في رعاية رجل دين وقور. وهي، التي بدت مزاجية للغاية ومندفعة، كان الوقت القصير الذي أمضيته معها رائعاً في نهاية المطاف. وهكذا فإن كل خاطرة تعن له كانت في النهاية تمضي به إلى ذكريات عائلة واحدة، العائلة ذاتها دوماً. وبينما راح يتأمل في هذه الصلة المؤلمة على نحو غريب حتى الغسق، مضت ذبابات مايو ترف أمامه في الهواء.

يقولون إنه مضى يغمغم لنفسه:

«هناك هي، هناك فحسب، غير أنها بعيدة دوماً، إلى أن أتطلع مجدداً

ولا يعود لها وجود، ذبابة مايو، ولا تقع عليها العيون ثانية.

قد لا تكون هناك على الإطلاق[1].

يتصور نفسه أكثر إيغالاً في العمر من صنوبرة تاكاساجو، المشهورة بعمرها المتطاول.

(1) جوسينشو 1264: «تلك التي يسمونها الدنيا لا تدوم إلا قليلاً فيما تحيا ذبابة مايو، زمناً وجيزاً للغاية إلى حد أنه قد لا يوجد على الإطلاق».

53

تيناري

إبداع الخط

لا تعني تيناري («إبـداع الخط») مجرد التدريب على الخط، من خلال نسـخ نماذج مثالية، وإنما تعني كتابة قصائـد، بما في ذلـك قصائـد جديدة ينظمهـا المرء، جلبـاً للسـرور، أو العـزاء. وفي الجـزء الثاني من هذا الفصل تواسي أوكيفوني نفسها بهذه الطريقة.

الصلة بالفصول السابقة

تغطي أحداث «إبداع الخط» الفترة الزمنية ذاتها التي يغطيها «ذبابة مايو»، وتمتد إلى ما بعدها، وصولاً إلى العام الثامن والعشرين من عمر كاورو.

الشخوص

القائد، 27 إلى 28 عاماً (كارور).

نيافة رجل الدين البارز من يوكاوا، أزيد من 60 عاماً (يوكاوا نو سوزو).

أمه، راهبة عجوز، أزيد من 80 عاماً.

أخته الأصغر، راهبة، حوالي 50 عاماً.

تابعه، خبير.

القائم على شؤون دار أوجي.

امرأة شابة، حوالي 22 إلى 23 عاماً (أوكيفوني)

النقيب، ربيب أخت رجل الدين البارز من يوكاوا في أواخر العشرينيات من عمره.

شوشو، راهبة.

كوموكي، فتاة تابعة تخدم أوكيفوني.

سايمون، راهبة.

جلالة الامبراطورة، 46 إلى 47 عاماً (أكاشي نو تشوجو).

كوزايشو، وصيفة في خدمة الأميرة الأولى.

حاكم كاي، حفيد الراهبة العجوز، 29 إلى 30 عاماً.

كان رجـل دين بارز وجليل أشـد ما يكون الجلال يقيم مع أمـه، التي بلغت الثمانينيات من عمرها وأخته التي بلغت الخمسـينيات في يـوكاوا[1]، في تلك الأيام. وقد قامت هاتان المرأتان بالحج إلى هاتسوسـي، وفاء لنذر قديم، وبصحبتهما خبير، هو التابع الأقرب إلى نيافته والأكثر تمتعاً بالاحترام والتقدير، والذي قام بأداء طقوسهما أمام الأيقونات والكتب المقدسـة. وبعـد الوفاء بهذه النذور شـرعوا في العـودة. وكانوا يعبرون مرتفعـات نارا[2]، عندما بدأت والدة نيافته، وهي الآن راهبة، في الشعور بالتوعك الشديد إلى حد أن الجمع غدا في ورطة، إذ لم يكن بوسـعهم تبين كيف سـيمكنها قطع الطريق بأسره إلى الدار. ومن هنا فقد توقفوا في دار صديق قرب أوجي، حيث قرَّروا أن تستريح باقي اليوم، ولكن عندما ظلت حالتها سـيئة، فقد بعثوا بالخبر إلى يوكاوا. ولـم يكن نيافته، الذي رغب في البقاء في الجبل فحسـب، قد خطَّط لمغادرته على الإطلاق هذا العام، ولكن الأخبار الفاجعة، التي أفادت أن أمه مريضة بصورة خطيرة، وربما تموت في رحلتها، جعلته يسرع إليها.

انغمـس هو وأتباعه الذين يتمتعون بأعظم القدرات على الشـفاء في طقوسـهم بصوت عال، على الرغم من أنها يقيناً كانت قد عاشـت بالفعل عمراً كاملاً، عندما سـمع مضيفهم ما هم عاكفون عليه، وأعرب عن استيائه لإيواء سيدة موغلة للغاية في العمر ومريضة جداً، فيمـا هـو عاكف الآن على تطهير نفسـه للقيام بالحج إلى الجبل المقـدس[3]. وأدرك نيافته محزونـاً أن الرجل لديه سـبب يدعوه إلـى الضيق، ولما كانت الـدار ضيقة على نحو يدعو لليأس، على أي حال، فقد أعد على مهل وبحذر لنقل أمه إلى مكان آخر. ومن سوء الطالع أن الإله –الوسـيط كان يسـد الاتجاه المفضي إلى الدار، وتعين تجنبه. وعندئذ تذكَّر أن ما يعـرف بـدارة أوجي[4]، التي كانت يوماً عقاراً يملكه نيافته الراحل سـوزاكو، لابد أن تكون قريبة. ولما كان يعرف القيِّم على الدارة، فقد بعث برسالة مفادها أنه يرغب في البقاء هناك

(1) أحد القطاعات الرئيسية الثلاثة في مجمع الأديرة العظيم على جبل هايي.

(2) امتداد من التلال الخفيضة يقع إلى الشمال من نارا، بين نارا ونهر كيزو.

(3) الدنس المرتبط بالموت سيناله إذا ماتت الراهبة العجوز في داره، وسيعجز عن القيام بالحج إلى ميتاكي، وهو جبل مقدس يقع إلى الجنوب من نارا.

(4) هناك دليل على أن سوزاكو التاريخي قد زار بالفعل مثل هذا المكان في أوجي. والموضع المحدد لهذه الدارة مسألة يجري التخمين بشأنها، ولكنها ربما كانت بالقرب من الضفة الشمالية لنهر أوجي، أي الجانب الواقع ناحية المدينة.

يوماً أو يومين.

قال المبعوث، الذي جلب معه رجلاً طاعناً في السن رث المظهر، هو المشرف على الدارة: «غادر القيم والجمع المرافق له بالأمس إلى هاتسوسي».

قال المشرف: «لطفاً، أقبل الآن إذا أحببت. الدار الرئيسية بسبيلها إلى أن تذوي فحسب. والحجاج غالباً ما يتوقفون هناك».

«ممتاز! إنها دارة امبراطورية، ولكننا لن نتعرض للإزعاج طالما أنه ما من أحد هناك». بعث نيافته بموفده ليلقي نظرة على المكان. كان المشرف العجوز، الذي اعتاد تماماً على استقبال الزوار، قد قام باستعدادت أولية لاستقبالهم.

مضى نيافته أولاً. وبدت له الدار، التي تداعت بصورة سيئة، مخيفة تماماً، فجعل الرهبان الذين كانوا معه يرتلون النصوص المقدسة. وجعل الخبير وراهب آخر من المرتبة ذاتها زميلاً لهما أقل درجة اعتاد على مثل هذه الأمور، يوقد مشعلاً لهم، وبعد ذلك انطلقوا لإلقاء نظرة على خلفية الدار المهجورة لتبين ما إذا كان هناك أي شيء غير مألوف[1]. بدا أنهم في غابة. أطلوا من خلال الكآبة المخيفة تحت الأشجار، وتبينوا نوعاً من المدى الأبيض، فذهلوا، وراحوا يتساءلون عما عساه يكون، وبادر رجل يحمل الشعلة إلى رفعها عالياً، كان ثمة شيء هنالك.

«لابد أنه ثعلب في هيئة متغيرة[2]. يا للوغد! سأجلعه يظهر في هيئته الحقيقية!». تقدم إلى الأمام قليلاً.

«انظر! ربما كان خبيثاً!». قام الآخر بتشكيل وضعية قهر مثل هذه المخلوقات، وفي الوقت نفسه حدَّق فيه. وساوره شعور بأن شعره كان سيقف في موضعه، لو أنه كان له شعر. ومضى حامل الشعلة نحوه مباشرة، بهدوء تام، لإلقاء نظرة أفضل. كان لهذا المخلوق شعر مسترسل، متألق، وكان يستند إلى جذر شجرة كثير العقد، وقد انخرط في البكاء بمرارة.

---

(1) مخلوقات مزعجة أو أرواح.

(2) كان يُنظر إلى الثعالب على أنها مخلوقات تغيِّر هيئتها في كل من الصين واليابان. وكانت تؤثر بصفة خاصة هيئة شابة حسناء.

«عجيب! لابـد لنا من أن نجعـل نيافته يلقي نظـرة عليه!». مضى المتحـدِّث عائداً إلى نيافته، وأبلغه بما وجداه.

«لقد سـمعت دوماً أن الثعلب يمكن أن يتخذ هيئة البشر، ولكنني لـم أر ثعلباً يفعل ذلك قط!». خرج نيافته من الدار مباشرة، ومضى لإلقاء نظرة.

لسـوف تصـل أمه عما قريـب، وكان الأكثر قدرة مـن العاملين في الدار منشـغلين تمام الانشـغال فـي المطبـخ وأماكن أخرى. كان كل شـيء هادئـاً، فيما واصل أربعة أو خمسـة مـن الرهبـان مراقبة ذلك الكائن هناك أياً كان. لم يحدث شـيء ملحوظ، فواصلوا المراقبة مندهشين. سرعان ما سيطل الفجر! لابد لنا من تبين ما إذا كان بشرياً أم ماذا!

راحـوا في صمت يرنمون الاسـم المقدس المناسـب، ويشـكِّلون الوضعيـة الملائمة، ولكن بالنسبة لنيافته كان الرد واضحاً بالفعل فيما يبدو.

قال: «إنها إنسانة، وليس هناك شيء غير مألوف أو شرير فيما يتعلق بها. امضوا وأسألوها من عسـاها تكون. لسـت أرى سـبباً يدعو للاعتقاد بأنها ميتة. ولو أنها كانت قد تُركت هنا اعتقاداً بأنها ميتة، فإنها فيما يبدو قد استردت حياتها».

«لكـن لمـاذا يترك أي أحد جثة هاهنا في هذه الدارة؟ ربما كانت إنسـانة، لكن ثعلباً، أو روح شـجرة أو شـيئاً من هذا القبيل لابد أنه قد شـوَّش وأحضرها هنا. هذا أمر خطير، وأنا على يقين من أن المكان مدنس الآن».

راحوا يهتفون منادين المشـرف العجوز، وكانـت الأصداء التي تحمل الرد مخيفة. لقد وصـل، وبـدا رث المظهر، وقـد وضع إحدى يديه علـى قبعته، ليحـول دون انزلاقها على وجهه.

«هل تقيم أي شابة قريباً من هنا؟». أطلعوه على ما يتحدَّثون عنه.

رد قائلاً: «الثعالب تفعل هذا! يمكن أن تحدث أمور غريبة تحت هذه الشجرة. في العام السـابق علـى العام الماضـي، انطلقوا بصبي لا يتجـاوز عمره عاماً أو نحـو ذلك، ابن أحد الملتحقين بالخدمة هنا، وهذا هو المكان الذي أحضروه إليه. الأمر ليس مدهشاً».

«هل مات الصغير؟».

«لا، إنه لا يزال على قيد الحياة. فالثعالب تحب أن تثير الفزع في نفوس الناس، ولكنها لا تفعل الكثير حقاً». كان قد عايش كل التجارب، وبدا أن وصول جمع من الناس في منتصف الليل يشغله أكثر من ذلك بكثير.

«فهمت. هذه، إذاً، هي نوعية ما نتعامل مع هنا. ولكن انظر مجدداً رجاء!». جعل نيافته تابعه، الذي لا يعرف الخوف سبيله إلى نفسه، يتقدم.

«هل أنت شيطان! إله؟ هل أنت ثعلب أم روح شجرة؟ لا يمكنك الاختباء، ليس مع وجود كل صانعي العجائب العظام هؤلاء حولك! حدثني من عساك تكون حدثني!». جذب طرف ملابسها، وعندئذ حجبت محياها، وازداد بكاؤها.

«يا للجرأة التي تواتيك، أنت ياروح الشجرة، أنت يا شيطان، أنت! هل تعتقد أن بمقدورك الاختباء مني؟». أراد أن يلقي نظرة على محياها، ولكنه أحس بالفزع من أنها قد تكون إحدى الكائنات التي كان قد سمع بأنهن موجودات، الكائنات التي لا أنوف لهن والمجردات من العيون، ومن هنا فإنه لكي يستعرض شجاعته حاول أن يجردها من ثيابها، فاستدارت لترقد ووجهها إلى الأرض، وانخرطت في البكاء بصوت عال.

كان التابع على يقين من أنه ما من شيء على هذا القدر من الغرابة يمكن أن ينتمي إلى العالم اليومي، كائناً ما كان، وقد أراد أن يتبين ما كانت عليه حقاً، ولكن من سوء الطالع أن مطراً غزيراً كان ينذر بالانهمار، فقال: «لسوف تموت فحسب، إذا تركناها على هذا النحو. لابد لنا من أن ننقلها إلى خارج السور»[1].

رد نيافته معترضاً: «إن هيئتها تشبه إنسانة حقيقية، وسيكون أمراً رهيباً أن نتركها لتموت على هذه الشاكلة أمام أعيننا فحسب. لا، سيكون أمراً محزناً حقاً ألا ننقذ السمكة التي تسبح في البحيرة، أو الأيل الذي ينبعث صوت جرسه في التلال، عندما يمسك بهما ويوشكان على النفوق. إن الحياة البشرية على حالها قصيرة بما فيه الكفاية، ولابد لنا من أن نوقر ما بقى من حياتها، حتى وإن لم يتجاوز يوماً أو يومين. ربما أودى بها إله أو

---

(1) نقلها إلى خارج السور المحيط بالأراضي، بحيث إن موتها لن يدنس الدار وكل من فيها.

شيطان ما، أو طُردت من الدار، أو تعرضت للخداع على نحو قاس، وربما قُدِّر لها أن تلقى ميتة غير طبيعية، ولكن رحمة بوذا جُعلت لمثلها، ويتعين علينا أن نقدم لها دواء وما إلى ذلك لمحاولة إنقاذها. وإذا قُدِّر لها أن تموت على أي حال فإننا سنكون قد بذلنا قصارى جهدنا».

في مواجهة احتجاجات من بعض الباقين، جعل تابعه الأثير يحملها إلى داخل الدار: «آه، لا، نيافتكم. لا تفعل هذا لطفاً! فوالدتكم مريضة للغاية، ومن شأن إحضار مخلوقة شريرة كهذه إلى الدار أن يفضي إلى الدنس فحسب!» دمدم آخرون: «مغبرة الهيئة من عدمه، سيكون خطأ بالغاً من جانبنا أن نكتفي بمراقبة كائن حي وهو يلقى حتفه في هذا المطر فحسب!». وبسبب الضجة التي يحدثها الخدم حول كل شيء والطريقة الفظيعة التي يتحدَّثون بها، فقد أرقدوها في ركن ناء من الدار لا يطرقه أحد.

كانت هناك ضجة كبرى عندما تم جذب العربة التي تجلب والدة نيافته، وترجلت منها، لأنها كانت آنذاك تحس بالمرض الشديد يطبق عليها. واستفسر نيافته عندما عادت درجة من الهدوء إلى الدار: «كيف حال تلك الشابة التي عثرنا عليها؟».

«إنها لا تزال منهكة، ولم تتكلم. وهي تتنفس بالكاد، يبدو أن روحاً قد سيطرت على وعيها».

تساءلت الراهبة، أخت نيافته الصغرى: «ما الذي تتحدَّث عنه؟».

أوضح نيافته الظروف، وقال: «لم أر شيئاً كهذا في سنواتي الستين وأكثر كلها».

لم تكد أخته تسمع بالقصة، حتى ردت غارقة في الدموع: «لقد تراءى لي حلم في المعبد حيث كنا. كيف تبدو؟ لابد لي من رؤيتها!».

«قومي بذلك. إنها هناك قرب الباب المنزلق إلى الجانب الشرقي!».

هرعت الراهبة إليها، ووجدت أنها قد تُركت راقدة هناك بمفردها. وألفت أمامها شابة بارعة الحسن، ترتدي ثوباً من الدمقس الأبيض وسروالاً قرمزياً. وكانت ملابسها معطرة بصورة جميلة، وأوحى مظهرها بتميز شديد للغاية. «لابد أنها الابنة التي أفتقدها أشد الافتقاد وقد عادت إليّ!». انخرطت في البكاء، ونادت النسوة من كبار السن التابعات لها،

وجعلتهن ينقلن الشابة إلى الغرفة الداخلية، وقد قمن بذلك من دون خوف، إذ إنهن لم يكن يعرفن شيئاً عما حدث.

لم تبد الشابة على قيد الحياة إلا بالكاد، ولكنها على الرغم من ذلك فتحت عينيها قليلاً. توسلت إليها الراهبة: «حدثيني! من أنت وكيف حدث هذا؟» غير أنها لم تلق رداً، فقد كانت الشابة غائبة عن الوعي، فيما يبدو، فقامت بنفسها بوضع بعض الدواء على شفتيها، ولكنها بدا أنها تذوي سريعاً.

توسلت للخبير، قائلة: «هذا كثير، إنها تحتضر! صل من أجلها، لطفاً، صل!».

«كنت أعرف جلية الأمر! ما كان ينبغي لنيافته البتة أن يكون سخياً بعونه!». وعلى الرغم من ذلك فقد بادر الخبير بالصلاة، ورتل النص المقدس من أجل الآلهة»[1].

أطل نيافته إلى الداخل، وقال: «كيف حالها؟ هل تبينتم على وجه الدقة ما الذي أوقع بها هذا وأبعدتموه؟». ولكن الشابة كانت واهنة للغاية حقاً، وكان يمكن لتنفسها أن يتوقف في أي لحظة.

أشارت امرأة قائلة: «لا يحتمل أن تعيش».

«يمكننا جميعاً الاستغناء عن إجبار أنفسنا على التزام الصمت حيال دنس كان يمكن أن نتجنبه بصورة كاملة».

«لكنها تبدو بالفعل سيدة نبيلة، ولا يمكننا التخلي عنها فحسب، حتى إذا كانت بسبيلها إلى أن تموت فعلاً. يا له من مصدر ضيق فظيع!».

ألزمتهن الراهبة الصمت: «صمتاً! ينبغي ألا تحدِّثن أحداً آخر بهذا الأمر، فهو يمكن أن يتسبب في المتاعب». أثارت حالة الشابة قلقها أكثر من حالة أمها، وحرصت على التأكد تماماً من أنها ستُكتب لها الحياة، بحيث إنها غدت الآن لا تفارقها على الإطلاق. ولم يكن ذلك راجعاً إلى أنها تعرف هويتها، ولكنها لم تستطع احتمال ترك شابة بارعة الجمال على هذا النحو تلقى حتفها، وبالروح نفسها عكفت على العناية بها النسوة اللاتي

(1) سوترا القلب، التي كانت تُرتل قبل القيام بطقس الشفاء (كيتو) بمعناه الأكثر شمولاً، لإبعاد التأثيرات الشريرة واجتذاب التأثيرات الطيبة.

أمرتهن بذلك.

كانت الشـابة تفتح عينيها بين الحين والآخر، ثم تنخرط في البكاء بلا انتهاء. وصاحت الراهبة: «آه، وارحمتاه، آه، وارحمتاه! أحسب أن بوذا قد جلبك بدلاً من الابنة التي لازلت ألزم الحداد عليها. ولكن فؤادي سـيكون أشـد انكسـاراً عن ذي قبل إذا فقدتك أنت أيضاً! ومن المؤكد أن صلة من حياة سابقة قد جعلتنا نلتقي. أرجوك حدثيني بشيء ما لطفاً!».

واصلت التوسل إليها، حتى قالت الشابة لاهثة: «أحسب أنني عدت إلى الحياة مجدداً، ولكنني لا أسـتحقها، فأنا جديرة بالازدراء، لا تدعي أحداً يراني، لطفاً، وإنما بادري الليلة إلى إلقائي في النهر!».

«هذه الكلمات النادرة الصادرة عنك بمثابة فرحة، ولكن كم هي فظيعة! لماذا تتحدَّثين على هذا النحو؟ كيف حدث أن وجدت في مثل هذا المكان؟». لكن الشابة لم تقل المزيد. وبحثت الراهبة عن أي شـيء قد يسـبب لها ضرراً[1]. ولكنها لم تجد شـيئاً من هذا القبيل، وفي حضرة مثل هذا الجمال تغلب عليها الحزن والأسى. هل يمكن إذاً حقاً أن تكون شيئاً أقبل لينوء بالمتاعب على فؤاد شديد الولع بها؟

ظلت معية نيافته معتكفة، على امتداد يومين، فيما كان الابتهال الذي لايتوقف يستدعي العـون الإلهـي للمرأتيـن المريضتين. وتسـببت هذه الواقعـة الغريبة في ضيق عـام. وأقبل النـاس المتواضعـون من الأماكن المجاورة الذين كانوا قد خدموا نيافته في السـابق لإبداء تقديرهـم واحترامهـم له،عندما علموا بأنه هناك، وأشـار أحدهم فيما هـم يتحدَّثون بقوله: «هنـاك ضجة كبرى لأن ابنة معالي الأمير الثامن الراحل، التي كان قائد الميمنة يزورها، قد ماتت فجأة بينما لم تكن بها علة حقاً، وقد ساعدت في الجنازة، وذلك هو السر في أنني لم يكن بمقدوري المجيء بالأمس».

مضى نيافته يحدِّث نفسه: «ربما أسرت كائنة روحها وأحضرتها إلى هنا، فهي بدت غير واقعية على الإطلاق بالنسبة لي، وهناك شيء غير جوهري على نحو مثير للقلق فيما يتعلق بها.

---

(1) إنها تبحث عن «كيزو»، وهي في جانب منها «جروح» عضوية، ولكنها ربما أكثر من هذا عيوب توضح أن الفتاة ليست مخلوقة بشرية حقاً.

«لم تبد النار التي رأيناها البارحة مشتعلة على نحو كبير حقاً بما فيه الكفاية لذلك».

«لقد أُبقيت محدودة عن عمد، فالجنازة لم تكن مهيبة على الإطلاق». كان المتحدِّث قد وقف في الخارج بسبب الدنس الذي تعرض له، وسرعان ما تم صرفه.

«حظي سعادة القائد بإحدى بنات سعادة الأمير الراحل، لكنها ماتت قبل سنوات. ترى أي ابنة كان يقصد؟ ما كان سعادته ليتركها ليتخذ أخرى»[1].

الآن مضى الجمع يستعد للانصراف. وكانت والدة نيافته قد استعادت صحتها، وغدا الاتجاه المفضي إلى الدار مفتوحاً أمامها أيضاً،بحلول ذلك الوقت، ولم يكن هناك ما هو جذاب في فكرة التمهل في مثل هذا المكان الموحش. وعلى الرغم من ذلك، تساءل بعضهم عن الشابة، وقالوا: «إنها لاتزال ضعيفة للغاية، ويمكن للرحلة أن تكون مرهقة أشد الإرهاق بالنسبة لها. هذا أمر مثير للقلق تماماً».

مضوا في عربتين، حيث استقلت الراهبة العجوز الأولى، ووضعوا الشابة في العربة الثانية[2]. وقامت على رعايتها وصيفة إضافية. وكان الانطلاق على امتداد الطريق وئيداً، لأنهم غالباً ما كانوا يتوقفون لإعطاء الشابة الدواء.كانت الراهبات يقمن في أونو، عند سفح جبل هايي، وكانت المسافة إليه طويلة، وقد وصلن في وقت متأخر من الليل، وتمنين لو أنهن كن قد رتبن للتوقف في مكان ما في منتصف الطريق. وساعد نيافته أمه على الترجل من العربة، وقامت أخته على رعاية الشابة أثناء قيامهم جميعاً بإنزالها من العربة. ولاشك في أن الإعياء الناجم عن الرحلة الطويلة قد أعطى الراهبة العجوز مبرراً للنواح على ألوان بؤس الشيخوخة التي لا نهاية له، ولكنها سرعان ما استردت عافيتها بما فيه الكفاية، وعاد نيافته إلى الجبل. ولم يأت على ذكر الشابة لأي أحد لم يكن هناك بالفعل، ذلك أنه لا يليق براهب أن يسافر بصحبة من هن على شاكلتها. وجعلت أخته بدورها النساء التابعات لها يعدن بالتزام الصمت، لأن فكرة مجيء أحد للبحث عن الشابة قد أثارت انزعاجها كثيراً.

كيف أمكن أن تصل مثل هذه الفتاة إلى هذه الورطة في مكان لا يقطنه بخلاف ذلك إلا الريفيون؟ هكذا راحت تتساءل. ربما كانت زوجة أبيها أو شخص على هذه الشاكلة

---

(1) المتحدِّث ليس من الممكن تحديد هويته.

(2) العربة التي تستقلها أيضاً أخت رجل الدين البارز.

قـد اصطحبتها إلـى رحلة الحج ثم خدعتها فتركتها عندما مرضـت. وبعد ذلك الطلب بأن «ألقينـي إلـى النهر!» لـم تقل كلمة واحدة أخـرى، الأمر الذي أثار حيـرة الكاهنة الأصغر، وجعلها تتوق إلى جعل الفتاة المسـكينة تسـترد صحتها. ياللحسـرة! إن الشـابة لم تجلس فـي موضعها قـط، وإنما رقدت، وعلى نحـو غريب غرقت في شـرودها، حتى بدا من غير المحتمل أنها على قيد الحياة، وذلك على الرغم من أن فكرة التخلي عنها كانت أكثر إيلاماً مـن أن تخطر لها على بال. وتحدَّثت أخت نيافـة رجل الدين الموقر عن ذلك الحلم الذي كان قد تراءى لها، وكلَّفت سـراً الخبير، الذي كانت قد ناشـدته في أول المطاف أن يصلي من أجلها، بأن يحرق بذورالخشخاش[1].

علـى هـذا النحو انقضى الشـهران الرابع والخامـس. وفي غمار يأسـها الناجم عن أنها لـم توفـق في إحداث أي تحسـن، كتبت إلـى نيافته رجل الديـن الموقر تقـول: «عُد هابطاً الجبل! أنقذها، لطفاً! إن كونها لاتزال على قيد الحياة على الإطلاق يشـير إلى أنها لا يُراد بهـا الموت. ولكن أياً كان ما تلبسـها فإنه يأبى، فيما يبـدو، أن يغادرها. أخي الغالي الأكثر قداسـة، لربمـا ترغـب في تجنب المدينـة، ولكن من المؤكـد أن القدوم إلـى هنا لن يلحق ضرراً بك».

توسـلت إليـه بتعبيرات من هذا النـوع، وراح يتأمل في مدى غرابة الأمر بأسـره.ماذا لو أننـي كنـت قد تخليت عنها فـي البدء؟ من المؤكد أن اكتشـافي لها في المقـام الأول يعني أن ثمـة رابطة تربطني بها بالفعل. نعم، لابد لي من القيام بكل ما في وسـعي لإنقاذها، وإذا أخفقت في ذلك، فسوف أفسر ذلك بأن عمرها المقدر لها قد انتهى. وهبط من الجبل.

شـكرته أخته بإجلال وتوقير، ووصفت حاله الشـابة خلال الشهر الماضي. قالت: «كل من يُقدَّر له أن يظل مريضاً مثل هذه الفترة الطويلة، فإن من الطبيعي توقع أن يكون قد عانى كثيراً، ولكن حالتها ليسـت الآن أسـوأ ممـا كانت عليه في البداية. لقـد احتفظت بمظهرها الجميل، ومامن شـيء يتعلق بها يثير الشـعور بالبؤس، وبينما يبدو أنها تحتضر، فإنها على الرغم من ذلك لاتزال على قيد الحياة». انخرطت في البكاء على نحو مرير.

---

(1) يؤدي طقس التطهير بالنار (جوما) الذي كانت بذور الخشخاش تلقى خلاله إلى نيران مقدسة.

رد قائلاً: «لقد أثارت دهشتي منذ اللحظة التي رأيتها فيها. هلمي، إذن!». اختلست نظرة داخل غرفتها، وقال: «نعم، إنها جميلة بصورة ملحوظة! لابد أنه من قبيل المكافأة على أعمال خيرة قامت بها في الماضي أن تولد بهذا المظهر! ترى أي هفوة منها أدت إلى انحدارها على هذا النحو. ألم تسمعي بأي شيء يشير إلى إجابة عن هذا السؤال».

«كلا، لاشيء على الإطلاق. حسناً، إنها بالفعل هدية من بوذيساتفا هاتسوسي».

«لا، بالتأكيد، فبوذا يخصص مثل هذه الهدايا بحسب الصلات المصيرية، وفي غياب مثل هذه الصلة، فلست أدري كيف يكون ذلك ممكناً!». وبمثل هذه الكلمات المفعمة بالدهشة من هذه النوعية استهل أداء طقوسه.

أخذاً في الاعتبار أن نيافة رجل الدين الموقر قد رفض طلبات حتى من القصر، فقد بدا لأخته أنه قد لايعزز مكانته أن يشيع أنه قد غادر معتزله العميق في الجبل للصلاة في لهفة من أجل امرأة لاتعني شيئاً بالنسبة له على الإطلاق، وبما أن أتباعه قد أجمعوا على ذلك، فقد أهابت بهم أن يلزموا الصمت.

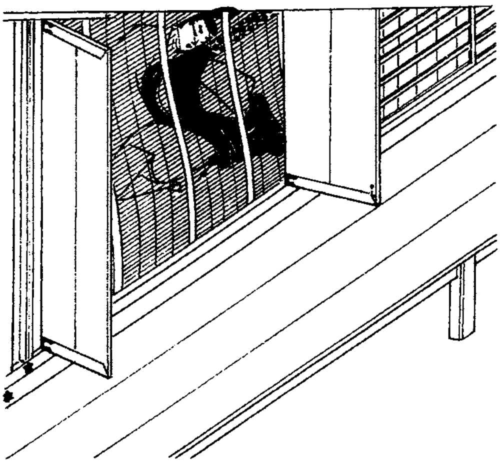
قال: «لا، لا، أيها المحترمون، لن أقبل المزيد من هذا منكم. وأنا باعتباري راهباً، أحس بالفعل بما يكفي من فقدان الأمل، وأنا على يقين من أنني أنتهك هذه الوصية أو تلك طوال الوقت، ولكنني لم أعان من اللوم بسبب امرأة، كما أنني لم أخطئ في ذلك المجال. وإذا حدث ذلك مني الآن، وقد تجاوزت الستين من العمر، فسيكون ذلك قدري المقدر لي».

احتج أتباعه قائلين: «ولكن، نيافتكم، لسوف تعاني تعاليم بوذا، إذا نشر المتقولون شائعات مغرضة». لم يكونوا مسرورين.

أقسم نيافته يميناً مغلظة أن الطقس الذي يوشك على أن يؤديه سيُكلَّل بالنجاح، أياً كان ما سيكبده ذلك، وعكف على القيام به طوال الليل. وعند الفجر نجح في إجبارالروح على الهرب إلى الوسيطة[1]. وعند ذلك ضاعف هو وتابعه الخبير جهودهما لجعلها تقول أي نوع من القوى هي، ولماذا تعذب صاحبتها على هذا النحو.

(1) ربما كانت امرأة استعان بها لهذا الغرض.

بعـد شـهور من رفض الإفصاح عن نفسـها، بدأت الـروح المهزومـة الآن في الحديث علـى نحـو صاخب: «أنا لسـت مـن تقهره هنـا وتخضعه. كنت في وقت من الأوقات راهباً يمارس العبـادة[1]. وجعلتني ضغينة أكنها حيال هذه الدنيا أواصل التجوال إلى أن استقررت في دار مليئة بالنسوة الجميلات. وقد قتلت إحداهن، ثم اختارت هذه المرأة أن تتنكر للحياة، وواصلت القول ليلاً ونهاراً إنها لاترغب إلا في أن تموت. ومنحني ذلك فرصتي، فأمسكت بها ذات ليلة، عندما كانت بمفردها. غير أن البوذيساتفا أفلحت على نحو ما في حمايتها في نهاية المطاف، والآن ها قد هزمني نيافته. لسوف أنصرف».



أبواب مزدوجة

«من الذي يتكلم؟». ولكن ربما كانت الوسيطة الممسوسة قد غدت ضعيفة حينذاك، لأنه لم تكن هناك إجابة مفيدة.

الآن غدا ذهن الشـابة صافياً، واسـتعادت حواسـها إلى حد ما، وتطلعت حولها، فلم تر وجهاً واحداً تعرفه، وقد أحاط بها على هذا النحو رهبان موغلون في الشيخوخة، فأحست بوحدة من جاء إلى عالم مجهول. وبدا جلياً أنها لم تستطع تذكَّر أين كانت تقيم أو من عساها تكـون. لقد ألقيت نفسـي في المـاء (ألم أفعل ذلك؟) لأنني لم أعـد أحتمل المزيد. ولكن أين أنا الآن؟ حاولت أن تتذكَّر مراراً، وأخيراً تذكَّرت أنها كانت في غمار يأس مظلم. كانوا جميعـاً نائميـن، ففتحت الباب المزدوج، وانسـللت خارجة. كانت هنـاك ريح قوية تهب، وكان بمقدوري سماع هدير النهر. كنت في الخارج وحيدة وخائفة، خائفة للغاية بحيث لا أستطيع التفكير بوضوح حول ما حدث أو ما سيحدث لاحقاً، وعندما خرجت إلى الشرفة،

---

(1) ليس راهباً متخصصاً في البحث والدراسة (جاكوسو)، وإنما راهب يتمثل اهتمامه الرئيسي في العكوف على العبادة.

اعترانـي الارتبـاك فيما يتعلق بمقصدي. ولـم أكن أعرف إلا أن الدخـول مجدداً لن يكون مصـدر عون، وأن كل ما أردته هو الاختفاء في شـجاعة من الحيـاة. أقبلي والتهميني، أيتها الشـياطين، أو كائناً ما كانت الأشـياء التـي تتربص هناك في البعيـد، لا تتركيني ليتم العثور عليَّ متخاذلة في جبن ها هنا! كنت أقول هذا،جالسة في موضعي بلا حراك، عندما اقترب رجل بارع الحسن مني، وقال: «هلمي معي إلى حيث أقيم!».

وبـدا لـي أنه أخـذني بين ذراعيه. أحسـب أنه السـيد النبيل الذي ينادونه بـ«معاليكم»، ولكن لابد أن ذهني قد شرد بعد ذلك، إلى أن أنزلني في مكان لم أعرفه، ثم اختفى. وعندما انتهى الأمر، أدركت أنني لم أفعل ما كنت عقدت العزم عليه، وانغمست في البكاء. حدَّثت نفسـها بأنها ليس بوسـعها أن تمضي إلى أبعد من ذلك، وقالت لنفسـها: إنني لا أتذكر شيئاً بعـد ذلـك. يقولـون إن أياماً كثيرة، كثيرة قـد انقضت، وها أنا ذي، لقيطة بائسـة، يقوم على رعايتـي الآن أناس لا أتبينهم! اسـتبد بها الخجل، وندمت علـى عودتها إلى الحياة. وعلى الرغـم من غيابها عـن الوعي خلال مرضها الطويل، إلا أنها كانت تتناول القليل من الطعام في بعض الأحيان، ولكنها الآن كانت من الضيق بحيث ترفض كل شيء، حتى أصغر قطرة من الدواء.

قالت أخت نيافة رجل الدين الموقر، وهي تبكي: «لماذا يتعيَّن أن تكوني على هذا القدر من الهزال؟ لقد اسـتبدت بك الحمى، ويسـعدني للغاية أنها قد انحسـرت وأن ذهنك يبدو صافياً!». لم تتركها قط، وقامت على رعايتها بإخلاص، واعتنت بها نسـاؤها بالقدر نفسـه من المحبة، إذ لم يردن إهدار مثل هذا الجمال.

كانت الشـابة، في قرارة نفسـها، لاتزال غيـر راغبة إلا في أن تمـوت، ولكن الحياة فيها ظلت عنيدة، حتى بعد كل ما اجتازته، وشيئاً فشيئاً رفعت رأسها وبدأت من جديد في تناول الطعـام، وذلك على الرغم من أن محياها واصل هزاله أكثر فأكثر. قالت لأخت نيافة رجل الدين الموقر، التي كان تتوقع في سـعادة أن تسـتعيد عافيتها تماماً: «اجعليني راهبة، لطفاً! تلك هي الطريقة الوحيدة التي يمكنني بها أن أواصل الحياة!».

«كيف يمكنني القيام بذلك؟ سـيكون ذلك أمراً مؤسفاً للغاية!». كانت قد قصت القليل من شـعر رأسها، وأعطتها الوصايا الخمس. لم تكن الشابة التي في رعايتها راضية، ولكنها

كانت أكثر تزعزعاً وتشتتاً من أن تصر على ما هو أفضل من ذلك.

قال نيافة رجل الدين الموقر: «سيكون في ذلك الكفاية إذاً، وما عليك الآن إلا القيام برعايتها!» وعاد إلى الجبل.

بالنسبة لأخته، كان بمثابة حلم أن تكرِّس نفسها لرعاية مثل هذه الشابة، وكانت سعيدة للغاية لأنها جعلتها تجلس في الفراش، ومشطت شعرها بنفسها. ولم يكن متشابكاً بصورة معقدة، على الرغم من إهماله وتركه ينسدل إلى جوارها فحسب، ولدى تمشيطه بالصورة اللائقة، برهن على أنه متألق على نحو جميل. خطف مرآها الأبصار هنا، حيث كانت رؤوس عديدة للغاية غزاها المشيب تقل عن المئة بعام واحد[1]. بدا الأمر كما لو أن الملاك الأكثر روعة قد هبط من عليين[2]، وأقلقت هذه الخاطرة أخت نيافة رجل الدين الموقر كثيراً.

«لماذا يبدو أنك توصدين نفسك حيالي بكل هذه القسوة بينما أحبك كثيراً؟ من أنت؟ أين كنت تقيمين وكيف جئت إلى حيث كنت؟».

«لابد أنني نسيت كل ذلك، بينما كنت في تلك الحالة الغريبة، لأنني لا أتذكر شيئاً عما ربما كانت عليه حياتي في السابق. والذكرى الوحيدة الغامضة الباقية لي هي ذكرى الجلوس مساء إثر آخر أحدِّق في الليل بلا رغبة في الحياة، إلى أن ظهر أحدهم من تحت شجرة أمامي، وكما بدا لي، حملني بعيداً. وبخلاف ذلك، فإنني لا أستطيع تذكُّر حتى من أكون». تحدَّثت ببراءة عذبة، وأضافت باكية: «لست أريد أن يعرف أحد أنني ما زلت على قيد الحياة، فسيكون أمراً فظيعاً للغاية إذا جاء أحد للبحث عني».

لم تطرح الراهبة المزيد من الأسئلة، فقد كان من الجلي أنها مؤلمة للغاية. كانت مذهولة تماماً مثلما لابد أن قاطع الخيزران العجوز كان عندما عثر على كاجويا- هايمي، وانتظرت في ترقب لترى عبر أي شق قد تختفي للأبد.

كانت أم والدة نيافة رجل الدين الموقر، وهي راهبة أيضاً، سيدة جليلة. وكانت ابنتها

---

(1) آيسي مونوجاتري 63 (القسم 30): «يبدو أنني متيم بخصلات غزاها المشيب أقل بعام من المئة، إذ تبقى صورتها في ذهني».

(2) على نحو ما فعلت كاجويا – هايمي، بطلة «حطاب الخيزران العجوز». وهذه الإيماءة ستغدو صريحة لاحقاً.

التي تزوجت من أحد النبلاء البارزين، قد واصلت بعد موت زوجها رعاية ابنتها، وزوَّجتها مـن صهـر أثير لديها، ثم ماتت ابنتها هـذه. وكانت هذه الضربة بالغة القسـوة فانكفأت إلى الداخل، وأصبحت راهبة، وعاشـت في هذه القرية الجبلية، حيث واصلت، وقد اسـتبدت بهـا الوحدة ولـم يكن لديها الكثير مما تقوم بـه، التوق إلى من تُذكِّرها بابنتها، التي افتقدتها على ذلك النحو المفعم باليأس، ولـم تسـتطع إلا بالكاد تصديق حسن حظها الآن وقد جاء في هذا الكنز غير المتوقع، في صورة شابة ربما كانت أجمل مما كانت عليه ابنتها. استبدت بها الدهشـة حقاً، ولكنها كانت سـعيدة كذلك. وعلى الرغم من أنها مضت الآن توغل في العمر، إلا أنها احتفظت بمظهرها الجميل وبما يوحي بتميز كبير.

كان النهر يتدفق بهدوء أكبر هنا مقارنة بتدفقه عند أوجي، والدار تحظى بجاذبية مؤكدة، إذ كانت تشـمخ في أجمة أشـجار جميلة، وكانت الحديقة القريبة مخططة على نحو جميل وتتـم العنايـة بها بصـورة بديعة. ومع إقبـال الخريف، فقد كانت السـماء تؤثـر في النفس، وعكفت الشابات على ترديد أغانيهن الريفية، فيما هن يحصدن الأرز من الحقول القريبة. وكان هنـاك ما يدعو للسـرور أيضاً فـي صوت المصفقات التي تطـرد الطيور. وذكَّرها هذا كله بالشرق الذي عرفته يوماً. كان المكان أكثر إيغالاً في التلال من دار الغمامات المسائية التي سـكنتها في وقت من الأوقات أم سـعادة زوجة معالي وزير الميمنة، وقد شيدت قبالة منحـدر حـاد، بحيث إن الظلال كانت قاتمة هناك تحت أشـجار الصنوبـر، وتنهدت الريح موحية بالحداد. هيمن الهدوء، فيما الراهبات يشـغلن أنفسهن بصلواتهن. فلم يكن لديهن الكثير عدا ذلك مما يمكنهن القيام به.

في الليالي المقمرة، غالباً ما كانت أخت نيافة رجل الدين الموقر تعزف على آلة الكين، وتصاحبها بالعزف على البيوا الراهبة المعروفة باسم شوشو. سألت ضيفتها: «هل تعزفين؟ لديك القليل للغاية مما يشغلك!».

عندما كانت هاته النسـوة الموغلات في العمر ينغمسـن في أسـاليب إزجائهن للوقت، كانـت تتذكَّـر تربيتهـا التعسـة والطريقة التي لـم يتح لها بها قـط الوقت لمثل هـذه الأمور. وحدَّثت نفسـها: لماذا نشـأت من دون إحراز مهارة واحدة! كان أمراً مريراً للغاية أن تكون ميؤوساً منها على هذا النحو، وكتبت عرضاً، كأنما على سبيل التدريب:

«آه، من الذي شيد ذلك السد عبر نهر الدموع، وحينما في دفقه السريع

ألقيت نفسي لأغرق احتجزني في هذه الحياة؟»[1]

ضاقت بالأمر على نحو عميق، وفي غمار الخوف من المستقبل، تذكَّرت تلك اللحظة بكراهية.

في كل ليلة، عندما يتألق القمر، كانت النسوة الموغلات في العمر ينظمن قصائد بديعة، ويتجاذبن أطراف الحديث عن ذكرياتهن. ولما لم يكن بوسعها مشاركتهن في ذلك، فقد كانت تحدِّق في السماء شاردة.

« كان قدري أن أسكن مجدداً دنيا الأحزان هذه،

غير أنه في المدينة التي ينيرها القمر لن يعرف أحد ذلك».

كان هناك الكثير ممن افتقدتهم عندما عزمت على الموت، لكنها لاتتذكَّرهم إلا بالكاد الآن، بغض النظر عن تذكُّر عذاب أمها وخيبة أمل مربيتها المريرة، بعد أن تاقت طويلاً إلى رؤيتها وقد استقرت بصورة مشرفة. راحت تتساءل: أين هما الآن؟ كيف يمكن أن تعرفا أنني ما زلت على قيد الحياة؟ وفي بعض الأحيان كانت تعاودها أيضاً ذكرى أوكون، التي كانت تتحدَّث معها عن كل شيء، إذ لم يكن لديها غيرها أحد يشاركها مشاعرها.

لا يمكن لشابة أن تسلم نفسها في يسر للتخلي عن كل أمل آخر، وأن تعزل نفسها بعيداً على هذا النحو في التلال، وكل من في خدمتها سبع أو ثماني راهبات، أوغلن جميعاً في مسيرة العمر. أقبلت بناتهن وحفيداتهن، اللواتي يخدم بعضهن في المدينة وبعضهن الآخر لايخدمن بها، لزيارتهن بين الحين والآخر. وقد تكون أي منهن في خدمة أحد السيدين اللذين عرفتهما هي نفسها، واستشرفت مسبقاً الشعور الحاد بالعار الذي ستحس به، إذا تصادف أن علم أي منهما بأنها على قيد الحياة، في نهاية المطاف، ذلك أنه سيتصور عندئذ أنها قد تدنت إلى أكثر الظروف تردياً. ولذلك السبب احتجبت تماماً عن العيان.

كانت الراهبة التي تعنى بها قد خصصت لها اثنتين من النساء التابعات لها، وهما جيجو

(1) أوكاجامي 14 (قسم «توكيهيرا – دين») من نظم سوجاوارا نو ميتشيزاني: «إنني الآن ألعوبة المياه المنبوذة، أتوسل إليك أن تجعل نفسك سداً وتحتجزني!».

وكوموكي[1]. ولكن أياً منهما لم تكن تشبه في المظهر أو اللماحية «عصافير المدينة»[2] التي كانت تعرفها. أسلمت نفسها لخاطرة مفادها أن هذا لابد أن يكون على وجه الدقة ما عنته القصيدة بالقول «مكان ليس في هذه الدنيا»[3]، وأقنع إصرارها على أن تظل بعيدة عن العيان الراهبة بأنها لابد لديها سبب قاهر يحدوها لذلك، ولم تحدِّث أحداً من أهل الدار عنها.

كان زوج ابنة الراهبة قد ترقى فأصبح نقيباً الآن. وغدا أخوه الأصغر، وهو راهب، تابعاً لنيافة رجل الدين الموقر، وكان في عزلة معه في الجبل، حيث كان إخوته يمضون غالباً لزيارته. وكان الطريق إلى يوكاوا يجعل النقيب يمر بدار الراهبات، وأعلنت صيحات مرافقيه عن وصول سيد نبيل له قدره. تطلعت الشابة إليه، فذكَّرها ما رأته على نحو متوهج بالحيوية بذلك النبيل الذي كان يجيء إليها سراً في أوجي. كان المكان الذي تقيم فيه الآن هادئاً ومنعزلاً على نحو كئيب بالقدر نفسه، ولكن إقامة الراهبات الطويلة في هذا المكان جعلته جميلاً للغاية. كان السور مليئاًبالقرنفلات وأزهار البتول وأزهارالجُريس الجذابة التي كانت توشك على التفتح. وكان بينها الآن شبان يرتدون عباءات صيد ذات ألوان عديدة.

وفي غضون ذلك، كان سيدهم الذي يرتدي ملابس مماثلة قد جلس يحدِّق حزيناً من الرواق الجنوبي الذي تم استقباله فيه. وكان رجلاً جميل المنظر في السابعة والعشرين أو الثامنة والعشرين، وقد بدا عليه التهذيب بصورة جلية.

حادثته الراهبة من وراء ستارة موضوعة أمام الباب المنزلق. قالت: «يبدو أن الأيام الخوالي تتراجع أكثر فأكثر مع مرور الأعوام، وإنها لأعجوبة بالنسبة لي أنني لست بحاجة إلى نسيانك، حتى الآن، ولكنني ما زلت أتطلع إلى ضياء حضورك في هذه القرية

---

(1) إحداهما (جيجو) وصيفة والأخرى فتاة تابعة.

(2) «أهل المدينة»، «مياكو - دوري»، نوع من النوارس يظهر في آيسي مونوجاتري 13 (القسم 9، كوكينشو 411)، من نظم أريوارا نو ناريهيرا: «هل ينطبق عليك اسمك؟ إذاً، يا عصافير المدينة، أطرح عليك هذا السؤال: هل من أحب حية أم ميتة؟».

(3) شويشو 506: «لشد ما أتوق إلى مكان ليس في هذه الدنيا على الاطلاق لأخفي فيه السنين العديدة التي تثقل كاهلي!».

الجبلية».

«قلبـي يتأثر، كعهده، بذكرى الماضي، التي لاتفارقني، لكنني آسـف على أنني أهملك كثيراً، الآن وقد أبعدت نفسك تماماً عن الدنيا. وأنا غالباً ما أزور أخي في الجبل، وأحسده على اعتزاله هناك، ولكن الكثير للغاية من الناس يتمنون القدوم معي حتى إنني عادة أفضل تجنب إزعاجهم لك. غير أنني أفلحت اليوم في تقليل عددهم»

«يبدو لي أنه عندما تقول إنك تحسـد أخاك على اعتزاله في الجبل، فإنك تكرِّر فحسب مشـاعر غدت صرعة هذه الأيام، ولكن على الرغم من ذلك فهناك أوقات كثيرة أشـعر فيها بالامتنان لك لعدم انصياعك بما فيه الكفاية لما درجت عليه الدنيا حتى تنسى كل ما انتهى الآن».

أمـرت بأن يقدم لزوارهـا الأرز وما إلى ذلك، وأحضرت للنقيـب كذلك مقبلات، مثل بـذور اللوتـس. ولما كان يعرفها حق المعرفة، فإنه لم يشـعر بضوابط ترغمه على التصرف خلافـاً لمـا يريد، بقي لتجاذب أطراف حديث هادئ معها. وحدَّثت نفسـها قائلة: «إنه أكثر إثارة للإعجاب في شـخصه من ابنتي، ومن المحـزن للغاية التفكير في أنه أصبح غريباً من جديد.ترى لماذا لم تترك لي ابنتي طفلاً لأتذكرها به. افتقدت ابنتها أشد الافتقاد إلى درجة أنه حتى زيارات النقيب النادرة لها بدا أنها تجعلها تنطلق في أحاديث لاسبيل إلى مقاطعتها حول كيف أن هذه الزيارات أبهجتها وأثرت فيها كثيراً.

بدت الشـابة، التـي كانت بحلول ذلك الوقت أشـبه بابنـة الراهبة، جذابـة للغاية، وهي تحـدِّق في هذا المشـهد، وقد أُفعمت بالذكريـات التي تدور حول الوقـت الذي كانت فيه على سـجيتها بصورة لائقة.وفي قميصها الأبيض العادي على نحو بائس والسـروال القاتم ذي اللون الرمادي المسمر اللذين أعطوها إياهما لترتديهما، لاشك لأن الجميع هنا يرتدي ملابس بلون لحاء شـجر السـرو، فقد عانت مـن المفارقة المحزنة بين حالتهـا الراهنة وما كانـت تحظـى بـه ذات يوم، وذلك علـى الرغم من أنها بـدت بارعة الجمـال حتى في هذه الملابس الخشنة البائسة.

قالت الراهبات الموغلات في العمر، وهن يقمن على رعاية سيدتهن: «ياسيدتي، الأمر

يثير الشعور كأنما ابنتك معنا من جديد، وكم هو رائع لو أن سعادة النقيب وافق على ذلك! سيكون جميلاً أن نراه يجيء إلى هنا مجدداً على نحو ما كان يفعل آنذاك! كانا سيشكِّلان ثنائياً بديعاً».

حدَّثت الشابة نفسها: آه، وارحمتاه، لا! لن أتزوج أبداً، لن أتزوج طوال عمري، فذلك سيذكرني بالماضي فحسب. لن يكون لي شأن بهذه النوعية من الأمور البتة.

عادت الراهبة إلى الدار للحظة، ومضى النقيب يرقب المطر في قلق، عندما تعرف صوت الراهبة المعروفة باسم شوشو، فناداها، وقال: «أتوقع أنكن جميعاً اللواتي عرفتهن آنذاك لاتزلن هنا، ولكن من الصعب عليَّ كثيراً أن أقوم بهذه الزيارات، لأنني أخشى أن تحسبنني متقلباً للغاية». كانت شوشو قد خدمته في وقت من الأوقات بصورة حميمية،وأعاد وجودها إلى ذهنه الأيام التي كان هو وزوجته يعيشان فيها حياة زوجية سعيدة. قال: «عندما دلفت عبر نهاية ذلك الرواق، فتحت هبة نسيم الستارة الحاجبة لحظة، ولمحت شعراً طويلاً، مسترسلاً. وبدا لي أنها لابد أن تكون جميلة. كانت تلك مفاجأة، إذ إنكن جميعاً هنا أدرتن ظهركن للدنيا، وتساءلت عمن عساها تكون».

أدركت شوشو أنه لابد قد لمح الشابة التي ترعاها سيدتها من الخلف، فيما كانت تغادر المكان، وأرادت أن تتيح له فرصة رؤيتها بشكل أفضل كثيراً، وكانت تعرف أن ذلك سيؤثِّر فيه كثيراً. وحدَّثت نفسها: يبدوأنه لم ينس زوجته بعد، وهي ليست في جمال هذه الشابة! ردت قائلة: «لقد عثرت سيدتي، التي لم يكن بمقدور شيء أن يعزيها بعد خسارتها، على شابة تدخل البهجة على نفسها ليلاً ونهاراً. وأتساءل كيف أفلحت في رؤيتها في مثل هذه اللحظة التي خلت من الحذر».

حدَّث النقيب نفسه، باهتمام متزايد:يا لها من أمور عجيبة تلك التي يمكن أن تحدث. ترى من عساها تكون؟ حفر قصر تلك اللمحة اللطيفة منها صورتها متوهجة بالحياة في ذاكرته. غير أن شوشو لم تقدِّم له رداً حقيقياً عندما سعى لاكتشاف المزيد. وكان كل ما قالته: «ستعرف كل شيء في الوقت المناسب». ولم يستطع الإصرار على سؤالها عن المزيد.وفضلاً عن ذلك فإن رجاله كانوا يعلنون: «توقف المطر، وأوشكت الشمس على أن تغرب!». ومن ثم فإنه بناء على إلحاحهم استعد للرحيل.

قطـف زهـرات البتول التي كانت تنمـو غير بعيد، ووقف يدندن لنفسـه: «كيف تفتحت زهرات البتول على هذا النحو الجميل هنا؟»[1].

قالت العجائز إحداهن للأخرى في إعجاب: «انظري كيف يلزم الحذر تحسـباً لثرثرتنا حولـه! ياله من سـيد نبيل رائع ووسـيم! كم هـو جميل أن يكون بمقدورنـا الترحيب به في الدار مجدداً!».

أشـارت سـيدتهن بقولهـا: «يقولون إنـه غالباً مـا يمضي إلـى دار مستشـار فويجيوارا، ولكنـه ليـس متلهفاً بذلك القدر حقـاً، ويمضي معظـم وقته في دار أبيـه». ومضت محدِّثة ابنتهـا الجديـدة: «من الجفاء أن تظلي على إبعادك لنـا. آمل أن توافقي على أن هذا مقدر له الحدوث، وأن تعامليه بلطف. على امتداد خمس سنوات أو ست لم أكف عن الحداد على ابنتي، ولكنني الآن نسـيت كل ما يتعلق بها بعد أن صرت لي. وليس لديَّ شـك في أن من تحبينهـم علـى قيد الحياة، ولكـن لابد أنهم الآن يفترضون أنك أنت نفسـك لم تعودي في هذه الدنيا. إن أعمق الأحزان تتلاشى بمرور الوقت».

تواثبـت الدمـوع إلى عيني الشـابة. وقالت: «لسـت أرغـب في حجب أي شـيء عنك، ولكـن العـودة إلى الحياة من جديد علـى هذا النحو بالغ الغرابة جعلت كل شـيء يبدو لي حلماً مضطرباً. ولابد أن هذا هو الشعور الذي يساور المرء عندما يبعث في عالم مجهول. وربما لا يزال هناك أناس يعرفونني، ولكني لا أتذكرهم. والشـخص الوحيد الذي يعني أي شيء لي الآن هو أنت». كم كانت عذبة وبريئة! جلست الراهبة تحدِّق فيها، وتبتسم.

وصل النقيب إلى الجبل، وسـط دهشـة نيافة رجل الدين الموقر، وأمضى الاثنان بعض الوقـت يتجاذبـان أطـراف الحديـث. وبعـد أن قرَّر قضـاء الليل هنـا، جعـل الرهبان ذوي الأصـوات الرخيمة يرتلون النصوص المقدسـة، وأمضى بقية الليل في عزف الموسـيقى. ذكـر، في غمار حديـث مطول مع أخيه، أنه توقف عند أونو. وقـال: «كان أمراً مؤثراً للغاية حقـاً. إننـي أعرف أنها قد تخلت عن الدنيـا وما إلى ذلك، ولكن علـى الرغم من هذا، فإن قلة من النسـاء هن اللواتي يتمتعن بذكائها وذوقها». وواصل القول: «رفعت نسـمة سـتارة

---

(1) شويشو 1098، من نظم سوجو هينجو (راهب)، وقد نظم هذه القصيدة عندما رأى شابة تزور حديقة معبده، فقال: «كيف تفتحت زهرات البتول على هذا النحو الجميل هنا فيما أهل هذه الدنيا خبثاء الألسنة؟».

حاجبة لحظة، ومن خلال الفتحة لمحت فتاة جميلة ذات شعر مسترسل الطول، لمحتها من ظهرها فحسب فيما كانت تغادر المكان- أحسب أنها كانت تعرف أنها قد تتعرض للعيان- ولكن من المؤكد أنه كان هناك شيء مميز فيها. ويبدو لي أن فتاة من عائلة طيبة لاتنتمي إلى مكان كذلك المكان، فالراهبات هن كل ما سيقع عليه ناظراها، ليلاً ونهاراً. وربما لا تفكر الآن في الأمر، ولكنه مثير للإشفاق للغاية».

«لابد أنها الشابة التي فهمت أنها قد عثرت عليها هذا الربيع في ظروف غير مألوفة، خلال حجها إلى هاتسوسي». هكذا رد أخوه، على الرغم من أنه لم يضف المزيد لأنه لم يكن قد رآها بنفسه.

«كم هذا غريب! من عساها تكون. أحسب أنها قد قرَّرت حتماً الاختباء هناك لأنها ضاقت ذرعاً بالدنيا. يبدو الأمر كما لو كان قصة عاطفية قديمة. أليس كذلك!».

لم يستطع مقاومة زيارة أونو مجدداً، في اليوم التالي، في طريق عودته. وكانت الراهبة مستعدة لاستقباله هذه المرة، وأبهجه استقبال شوشو المفعم بالدف المشابه إلى حد كبير للأيام الخوالي، على الرغم من لون كميها. وجالسته الراهبة بدورها، وكانت أكثر ميلاً من المعتاد إلى سفح الدموع. وغامر في أثناء حوارهما بالسؤال: «من هذه التي تجعلينها تقيم هنا وسط تكتم شديد؟».

أثار سؤاله انزعاج الراهبة، ولكنه كان قد لمحها بوضوح، وسيبدو من الغريب فحسب من جانبها أن تنكر الأمر. فردت قائلة: «لم أستطع نسيان ابنتي قط، وقد بدا لي ذلك خطيئة بالغة الخطورة، ولكنها على امتداد الشهور الأخيرة عزَّتني عن تلك الخسارة. ويبدو أن لديها الكثير من الهموم، وذلك على الرغم من أنني لست أدري ما هي هذه الهموم، ويبدو أنها تكتئب للغاية لدى التفكير في أن أي أحد قد يكتشف أنها على قيد الحياة. وليس بمقدوري أن أتخيل أحداً يبحث عنها في أعماق هذا الوادي، وأتساءل كيف علمت بأمرها!».

«إنني أعترف بأن خاطرة هي التي أحضرتني إليك، لكنني آمل أن مسافراً في هذه الجبال قد يطرح عليك توسله. ولست أعتقد أن بمقدورك تجاهل هذا التوسل، إذا كانت تعني

بالنسبة إليك ما كانت أخرى تعنيه. من هي، وما الذي أفضى بها إلى نبذ الدنيا؟ أود كثيراً أن أبعث العزاء في نفسها». كان متلهفاً إلى معرفة المزيد. قبل أن يرحل مجدداً، كتب على قطعة من الورق المطوي يقول:

«لا تنحني للنسيم الذي يتملق أداشينو، يا زهرة البتول،

فسوف تصبحين حديقتي، على الرغم من أنك نائية للغاية»[1].

وجعل شوشو تمضي بها إليها.

استحثتها الراهبة عندما قرأتها، قائلة: «ردي عليه، إنه رجل رائع للغاية، وما من شيء يدعوك إلى عدم الثقة به».

«لكن كتابتي بائسة للغاية! كيف يمكنني ذلك؟». وأبت القيام بذلك، وهو الأمر الذي وجدته الراهبة مربكاً للغاية.

كتبت في رسالتها تقول: «كما أخبرتك، إنها أكثر عزوفاً عن الدنيا من أي شخص عرفته.

لست أدري ما عساني أفعل، أنا التي غرست زهرة بتول

هنا في الكوخ العشبي حيث نبذت الدنيا».

أدرك أن الشابة ينبغي أن تكون مشاعرها على هذا النحو ، في هذه المرة الأولى، ولم يأخذ عليها ذلك، وهو في طريق عودته إلى الدار.

تردَّد في الإصرار على أن يبعث إليها برسائل، ولكنه على الرغم من ذلك لم يستطع نسيان تلك اللمحة، وعلى الرغم من أنه لم يكن يعرف شيئاً عن أحزانها، فقد استغرقه التفكير فيها إلى حد بعيد، إلى درجة أنه بعد اليوم العاشر من الشهر الثامن، انتهز فرصة رحلة قنص بالصقور الصغيرة[2] لزيارة أونو مجدداً.

(1) «لا تستجيبي لتملقات أي كان، لأني أريدك لنفسي». يشير الاسم «أداشينو» (وهي بالفعل أرض للإحراق تقع إلى الشمال الغربي من المدينة) إلى العبث الإيروتيكي.

(2) كوتاكاجاري، كان يتم القيام بها في الخريف لقنص طيور صغيرة، مثل السمان. تسورا يوكي شو 15 (كوكين روكوجو 1201)، من نظم كي نو تسورايوكي، تربط كوتا كاجاري وطلب الصياد من «زهرة بتول» أن تمنحه مأوى يقضي الليلة فيه.

استدعى شوشو كالمعتاد، وقال في معرض الإيضاح: «ساد الاضطراب فؤادي منذ رأيتها للمرة الأولى». ولكن ابنة الراهبة الجديدة لم تند عنها إشارة إلى الإجابة من تلقاء ذاتها، وبعثت إليه الراهبة تقول: «عندما أراها، أفكر في جبل ماتسوتشي»[1].

استقبلته الراهبة أخيراً. فقال: «فيما يتعلق بالشابة التي أدرك الآن أنها تجد نفسها في ظروف مؤلمة للغاية، فإني آمل أنك ستخبريني بالمزيد. فحياتي لا تمضي إلا على نحو محدود حسبما أتمنى مما يجعلني أود بدوري أن ألوذ بالتلال، إذا لم يمنعني ذلك من أن ألتزم باحترام رأيهم. وأنا أخشى أن شخصيتي الكئيبة تجعلني غير ملائم لمن هي بلا هموم في هذه الدنيا[2]. وأنا أفضل أن أفضي بمشاعري لمن لديه أحزانه الخاصة». وأخذاً في الاعتبار الطريقة التي تحدَّث بها، فإنه كان جاداً فيما يتعلق بها.

«فيما يتعلق برغبتك في من لديها همومها الخاصة، فإنني أعتقد أن حديثها سيدخل السرور على نفسك، ولكن قوة مرارتها ضد هذه الحياة تجعلها غير مألوفة إلى حد كبير. وحتى أنا، التي لم يبق أمامها إلا سنوات قليلة للغاية، أجد الأمر مؤلماً للغاية عندما أدير ظهري بالفعل للدنيا، ومن المتعذر بالنسبة لي أن أعتقد أنها، هي التي يعدها شبابها بمستقبل رائع، ستصر على موقفها الراهن». تحدَّثت كما لو كانت حقاً أم المرأة الشابة.

وجهت الراهبة اللوم لها عندما دلفت عائدة إلى الداخل: «إنك لست لطيفة. أرجو أن تردي عليه ولو بكلمة. سيكون مناسباً فحسب لمن تعيش في مكان كهذا أن تستجيب بإحساس لأدنى ملاحظة».

غير أن كل محاولة لإقناعها مُنيت بالفشل. «لست أدري كيف أحدِّث الناس. وليس هناك معنى للمحاولة وأنا على وضعي هذا». رقدت هنالك، متجاهلة الراهبة كلية.

استبد به من الغضب ما يكفي لكي يضيف: «ماذا؟ ذلك صعب للغاية! لقد قُصد بحديثك عن (الارتباط بعاشق هذا الخريف)[3] إبعادي فحسب.

---

(1) «أحسب أنها تحب شخصاً آخر». كوماتشي شو 98 (شينكو كينشو 336) من نظم أونو نو كوماتشي: «من الذي تنتظرينه، يا زهرة البتول، على جبل ماتسوتشي؟ فيبدو أنك مرتبطة بعاشق هذا الخريف».

(2) زوجته الحالية، ابنة مستشار فوجيوارا.

(3) عبارة أخرى من قصيدة «جبل ماتسوتشي» المشار إليها أعلاه.

من بعيد جئت، اجتذبني هتاف صرار الصنوبر والوعد بالترحيب

لا لشيء إلا لأضرب مجدداً عبر حقول القصب التي كساها الندى»[1].

ألحّت الراهبة عليها: «ياللمسكين! من المؤكد أن بوسعك أن تردي على هذا!». ولكنها لم تستطع احتمال فكرة الانغماس في مثل هذه الثرثرة، وبالإضافة إلى ذلك، فإنها إن بدأت فإنه سيتابعها مراراً، ولم تحب هذه الفكرة على الإطلاق. وأثار عدم ردها خيبة أمل الجميع. ولابد أن الراهبة كانت قد استعادت ذكريات ماض مفعم بالحياة على نحو أكبر لكي ترد قائلة:

«أنت يا من ابتلت عباءتك بقطرات ندى السبخات الخريفية،

لاتسع لإلقاء اللوم على دار ضائعة وسط يباب القصب!

إنني أدرك أنها تجد هذه النوعية من الأمور مقيتة».

لم تستطع الراهبات الأخريات، داخل الدار، تصور كم سيكون مؤلماً للابنة الجديدة لسيدتهن إذا بدأ في الانتشار، خلافاً لرغبتها، أنها لاتزال على قيد الحياة، وتذكرن السيد النبيل بسرور بالغ إلى حد أنهن بذلن كل ما بوسعهن للتأثير فيها. وقلن في معرض الاحتجاج: «ولكن رداً تتفضلين به في مناسبة تافهة للغاية لا يعني أنه سيحلم قطّ بالقيام بأي شيء يضايقك! ربما لا تميلين إلى مثل هذه الأساليب الدنيوية، ولكن ردي على الأقل بصورة جيدة بما فيه الكفاية، حتى لايبدو أنك بعيدة عن التحضر!».

ولكن لا، فهي لم تثق بهاته الراهبات الموغلات في العمر بأجوائهن المتصابية على نحو محزن وتظاهرهن بالاتسام بالطابع العصري من خلال نظم أشعار مكسورة الأبيات. راحت تحدِّث نفسها، وهي راقدة هناك: ما أقسى النحو الذي قُدِّرت لي النجاة عليه فيما كنت قد تمنيت وضع نهاية لسوء طالعي المروع! أي متاهات مروعة تمتد أمامي الآن؟ لو أن الجميع تيقن فحسب من أنني ميتة ونسيني! في غضون ذلك، تنهد النقيب بعمق حيال معاناتها التي لاشك فيها. وفي هدوء عزف قليلاً على نايه، ودندن لنفسه: «رنين جرس

---

(1) تسمح كلمة «ماتسوموسي» («صرار الصنوبر») بتلاعب مألوف بكلمة «ماتسو» («الصنوبر» و«ينتظر»)، وعلاوة على ذلك فإن قصة صينية معروفة في اليابان تحكي عن رجل اجتذبه هتاف صرار الصنوبر الحافل بالغواية إلى أعماق الغابة، لا لشيء إلا ليضل طريقه، من دون أن تُقدَّر له العودة مجدداً البتة. و«الندى» يشير إلى الدموع.

الأيل»[1] وهكذا أظهر نفسه بجلاء باعتباره رجل مشاعر وأحاسيس.

قال، وهو يتأهب محزوناً للرحيل: «لم تواكبني ذكريات الماضي الحزينة فحسب، ولكن أملي في حب جديد، رقيق، يبدو الآن وقد تحطم. لا، لم أعد أؤمن بالجبال التي لم تمسسها الهموم الدنيوية!»[2].

قالت الراهبة محتجة، هي تنزلق خارجة نحوه: «ولكن لم لا تحصل على المزيد من هذه الليلة الجميلة؟»[3].

قال في خفة: «لقد اختبرت مشاعر القرية النائية هناك»[4]. ولم يرغب في الإصرار على متابعة تودده إليها. قال لنفسه، وهو يتأهب للرحيل: أذهلتني تلك اللمحة منها، وخلال لحظات فراغي تذكَّرتها بسرور، ولكنها أكثر نأياً وتحفظاً بالنسبة لمكان كهذا! غير أن الراهبة عرفت أنها ستفتقد حتى موسيقى نايه، وقالت:

«ألا يعني قمر مجيد متألق من أعماق الليل شيئاً لك،

فلا ترغب في البقاء ها هنا إلى جوار حافة الجبال؟».

أشارت إلى هذا الشعر سيئ النظم إلى حد ما: «ذلك هو ما ترغب السيدة الشابة في أن تقوله لك».

أثار ذلك انتباهه:

«سأتابع المشاهدة، إلى أن يغيب القمر المتألق وراء حافة الجبال،

وربما تمسسني البركة مثلما أشعة منزلقة عبر سقف غرفتك».

في غضون ذلك، تناهت إلى سمع الراهبة العجوز، أم نيافة رجل الدين الموقر،

---

(1) كوكينشو 214، من نظم ميبو نو تاداماين: «في قرية جبلية، يُعد الخريف أكثر الأوقات وحشة، عندما يستيقظ المرء على رنين جرس الأيل».

(2) كوكينشو 955، من نظم مونونوبي نو يوشينا: «عندما أسعى إلى الهرب إلى الجبال من دون أن تمسسني الهموم الدنيوية، فإن من أحبها تعرقل مسيرتي».

(3) جوسينشو 103، من نظم ميناموتو نو سانيكيرا: «في ليلة القمر والبراعم الجميلة هذه، لشد ما أتوق لإظهارها لمن يستطيع تقديرها!».

(4) «لقد اكتشفت أن أوكيفوني لا تريدني». وربما كانت كلماته تلمح إلى كوكين روكوجو 174.

الموسيقى الصادرة عن ناي النقيب، وأقبلت في نهاية المطاف الآن. كان صوتها يرتجف، وحديثها يتخلله السعال، ولم تأت على ذكر الماضي قط، ربما لأنها لم تتعرفه. قالت لابنتها: «هلمي، لابد لك من العزف على آلة الكين الخاصة بك! ما أجمل عزف الناي في سنا القمر! أيتها النسوة، أحضرن آلة الكين!».

إنها هي! عرف النقيب صوتها. ولكن ما الذي تفعله من خلال الاختفاء بعيداً في مكان كهذا؟ آه، يالخيانة الحياة! تأثر، ومضى يعزف بصورة جميلة للغاية من مقام البانشيكي.

شجَّع ابنة السيدة العجوز: «الآن حان دورك!».

أشارت بقولها: «ينبغي أن أقول إنك تعزفين أفضل كثيراً من ذي قبل»، فقد كانت هي نفسها تعرف القليل عن الموسيقى، وأضافت: «أو ربما كان كل ما أسمعه هو الريح المنحدرة من الجبل. ولكنني سأعزف، سأعزف، وذلك على الرغم من أنني أعرف أن آلتي الموسيقية بحاجة إلى الدوزنة». وبالنسبة للنقيب كان عزفها بهجة نادرة، ففي هذه الأيام لم تعد الكين آلة موسيقية أثيرة لدى الكثيرين، وتناقصت أعداد الذين يعزفون عليها. وأضفت الريح في أشجار الصنوبر عليها صبغة جميلة بصورة خاصة، وبدا نغم الناي المصاحب وكأنه يستل ألقاً جديداًمن القمر. فابتهجت السيدة العجوز أكثر فأكثر، ولم تشعر بالنعاس على الإطلاق.

قالت: «في وقت من الأوقات، كنت أعزف بصورة جميلة للغاية على آلة الواجون، ولكنني أحسب أن الأذواق قد تغيرت الآن، لأن نيافته يقول إن عزفي يزعج سمعه، وهو يقول لي، بالإضافة إلى ذلك، إنني ينبغي أن أرتل الاسم المقدس فحسب، ذلك أن كل شيء عدا ذلك حماقة. وهو يجعلني أشعر بالذنب حيال ذلك، فتوقفت عن العزف كلياً. وعلى الرغم من ذلك فإن آلة الواجون الخاصة بي ذات نغمة جميلة».

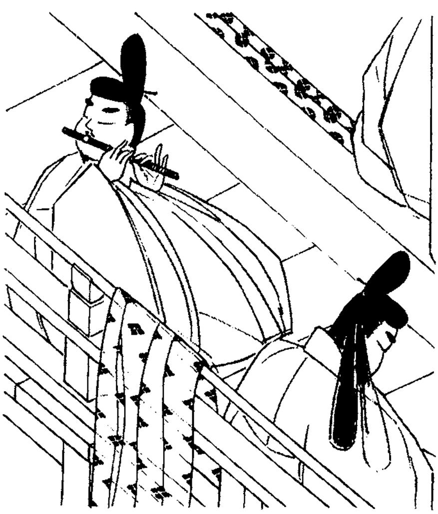
بدا جلياً أنها تشعر بالحنين إلى العزف، ورد النقيب باسماً: «من المؤكد أن نيافته يجافيه الصواب بعدم تشجيعك على العزف! في نهاية المطاف، في المكان الذي يُقال له الفردوس يعزف البوذيساتفات على آلات موسيقية كهذه، ويرقص الملائكة، ويقولون إن ذلك قدسي للغاية. أي خطيئة يمكن أن تكون في قيامك بالشيء نفسه عندما لا تكونين

منهمكة في صلواتك؟ أود أن أسمعك الليلة!».

أدخلت كلماته، التي ظفرت بقلبها، السرور عليها، فصاحت: «هلم، إذاً، ياوصيفات غرفتي[1]، أحضرن آلة الواجون الخاصة بي!». واجتاحتها نوبة من السعال.كانت نسوتها، اللواتي استبد بهن الشعور بالحرج، أكثر تألماً من أن يلمنها على شكواها المفعمة بالدموع من نيافته. وقربن منها الآلة الموسيقية، وشرعت في العزف على نحوما يروق لها، من دون أن تأخذ في الاعتبار موسيقى الناي التي عزفها النقيب قبل لحظة مضت، من مقام أزوما وبأسلوب مفعم بالحيوية والتألق. وعم الصمت الآلات الموسيقية الأخرى، وهو ما نظرت إليه على أنه تقدير لأدائها. «تاكيفو تشيشيري تشيشيري تاريتانا»[2]. واصلت العزف فيما تندفع في تنويعاتها. وكان ذلك كله عتيق الطراز على نحو فظيع.

«كم هذا مبهج! المرء لم يعد يسمع هذه الأغنية». غير أن مديح النقيب لم يصل إليها، لأنها كانت صماء، واضطرت إلى أن تسأل إحداهن، والتي كانت بقربها، عما قاله.

أعربت عن شكواها: «يبدو أن الشباب هذه الأيام لايقدرون هذه النوعية. انظر إلى تلك الشابة المقيمة معنا طوال هذا الوقت، إنها جميلة للغاية وما إلى ذلك، أعرف هذا، ولكنها ترفض المشاركة في أي من ألوان الترفيه هذه. ويبدو أنها لا تفعل شيئاً على الإطلاق!». وأطلقت ضحكة خشنة موحية بالرضا عن النفس، الأمر الذي أثار ضيق ابنتها. وتسربت الحياة من الحفل، وانطلق النقيب عائداً. وصاحبتهن الموسيقى الجميلة الصادرة عن نايه، والتي حملتها رياح الجبل، حتى الفجر.


العزف على الناي

(1) «تونوموري»، لقب من ألقاب البلاط لا يظهر في موضع آخر من الحكاية، وهو لا يرتبط بالتأكيد بالظروف الحالية للراهبة العجوز.

(2) يُفترض أنها مقاطع تنغيمية.

جاءت رسـالة منه صبـاح اليوم التالي: «إننـي أعتذر لمغادرتي سـريعاً على هذا النحو، وتدور في ذهني أمور كثيرة:

يا للحسرة، لشد ما بكيت على أيام لم تنس قط وموسيقى

ليلة مريرة، مريرة، أمضيتها موضعاً للتجاهل!

أرجـو أن تعلميهـا تفهم مشـاعر الآخريـن قليلاً! لمـاذا أواصل التودد إليهـا إذا لم يكن بمقدورها حقاً احتمال توددي؟».

لم تستطع ابنة الراهبة العجوز، التي ازداد شعورها بالحيرة حيال ما ينبغي أن تفعله، منع نفسها من البكاء، فيما هي تكتب:

أعادت أنغام نايك بتوهج بالغ إلى الذهن أياماً مضت للأبد

ثم انطلقت بعيداً، ومن جديد بللت الدموع كميَّ.

أتوقـع أن تكـون قد سـمعت أمي وهي تتحـدَّث بطريقتهـا اللامبالية عن قلـة ما تتفهمه شـابتي هذه عن أحزان الحياة». حدَّث نفسـه قائلاً:كان رداً مضجراً لايميزه شيء، ولاشك أنه نحَّاه جانباً في التو.

واصلـت الرسـائل القدوم منـه في تواتر حفيـف الرياح الخريفية وسـط القصب، الأمر الـذي كان بالنسـبة لها محنـة لاتنتهي. الآن مضـت تتذكَّر كل تلك اللحظـات التي علمتها مـدى عصبيـة مزاج الرجال الذين يهيمن عليهم اهتمام واحـد. راحت تبتهل: «لطفاً، لطفاً، اسـمح لـي الآن أن أتخـذ ذلـك المظهر الذي لابـد له حيالـه أن يتخلى عـن كل النوايا من هذه النوعية!». وعقدت العزم على تعلم ترتيل النصوص المقدسة. وصلَّت لبوذا في قرارة نفسـها. ونبذت تماماً كل أمور هذه الدنيا حتى إن الراهبة افتقدت فيها كل سـمات الشباب الجميلة، وخلصت إلى أن الكآبة كامنة في طبيعتها. غير أنها اغتفرت لها كل أوجه القصور هذه بسـبب جمالها السـاحر، وابتهجت بالنظر إليها صباحاً ومساء. وكانت كل ابتسامة من ابتساماتها النادرة أعجوبة وفرحة.

أقبل الشـهر التاسـع، وانطلقـت الراهبة في رحلة حج إلى هاتسوسـي. خـلال كل هذه السـنين من الشعور بالحزن البالغ، كانت كل خواطرها قد انصرفت إلى الابنة التي فقدتها،

والآن وقد حظيت بالعزاء النابع من أن تكون لها ابنة أخرى تشبهها تماماً، فقد أرادت أن تشكر البوذيساتفا لهذه البركة العظيمة للغاية.

أهابت بابنتها الجديدة: «تعالي معي! ليس ثمة من داع لأن يعرف أحد. بالطبع، يمكن للمرء أن يصلي للبوذيساتفا هنا أيضاً، ولكن الكثير من الأمثلة توضح أن البركات ربما تحل من جراء القيام بذلك في مثل هذا المعبد شديد القداسة». ياللحسرة، كانت أم الشابة، الراهبة، والأخريات مولعات بقول الشيء نفسه على وجه الدقة، ومضت إلى هاتسوسي مرات عديدة. قالت لنفسها:لكن ذلك لم يجدني نفعاً على الإطلاق! لم أستطع التخلص من حياتي على نحو ما أردت، وعانيت من سوء طالع رهيب! وبالإضافة إلى ذلك فقد كانت تخشى من القيام برحلة كتلك مع من لا تعرف.

قالت: «لست أشعر بأنني على مايرام، وأنا مترددة في السفر في ذلك الطريق، وأخشى أن ذلك لن يكون أمراً جيداً لي». وقد تفهمت الراهبة تماماً قلقها، ولم تواصل الإصرار على مطلبها. بين الأوراق التي كانت ابنتها تتدرب على إبداع الخط فيها وجدت الراهبة هذه القصيدة:

«متأرجحة على هذا النحو في حياة غدت مقيتة، لن أمضي

إلى حيث يتدفق نهر فورو إلى أي شجرة أرز مزدوجة الجذع!»[1].

غامرت الراهبة مسرعة بالقول: «لابد أن شجرة الأرز مزدوجة الجذع تلك تعني أن هناك من لاتزالين ترغبين في رؤيته مجدداً». وحيال ذلك احمرَّت الشابة المذهولة خجلاً، وقد بدت فاتنة بصورة خاصة.

«لا يمكنني الحديث عن شجرة الأرز المزدوجة تلك على نهر فورو،

عدا أنك الآن الابنة ذاتها التي فقدتها!».

---

(1) ربما كان المراد «لست أريد عاشقاً آخر البتة!». والقصيدة تشكِّل معارضة لكوكينشو 1009 (أسيدكو): «بجانب نهر هاتسوسي، إلى جوار نهر فورو، تنتصب عاماً إثر آخر شجرة أرز مزدوجة الجذع، وما أجمل أن تكونا معاً من جديد يا جذعا شجرة الأرز!». ويبدو أن نهر فورو هو اسم بديل لنهر هاتسوسي. ولاتزال الأشجار دائمة الخضرة ذات الجذعين المزدوجين عند المعابد والمزارات تستحضر صورة العاشقين. وتتلاعب قصيدة أوكيفوني بكلمة «سي» («موضع ضحل في غدير»، «مرور مرحلة في الحياة») و«فورو» («يواصل الحياة» واسم النهر).

لم يكن هناك ماهو متميز فيما يتعلق برد الراهبة، الذي قالته مسرعة.

كانت الراهبة قد قالت إنها تريد السفر في حرص من دون لفت الأنظار، ولكن كل من كن في الدار رغبن في الذهاب معها، وترتب على ذلك أنه أزعجها أن تبقى عدداً قليلاً للغاية في الدار، ومن ثم جعلت امرأتين حصيفتين، هما الراهبتان شوشو وسيمون، تبقيان في الدار مع فتاة تابعة.

قطعت رسالة من النقيب ضجر أيامها، فأهابت بها شوشو: «اقرأيها، لطفاً!»، ولكنها رفضت.

مع وجود هذا العدد القليل للغاية من الناس في الدار، فإن الافتقار إلى أي شيء يتعيَّن القيام به ترك لها فراغاً كاملاً، لتتأمل في اكتئاب ما مضى وما قد يحل. قالت شوشو: «أمر مؤلم أن أراك على هذا القدر من الاكتئاب، فدعينا نلعب لعبة الداما!».

قالت: «لم أكن بارعة فيها قط!». ولكنها قرَّرت اللعب على أي حال، ودعت شوشو برقعة داما، وتركتها تلعب أولاً، مفترضة أنها هي نفسها اللاعبة الأفضل، ولكنها وجدت نفسها وقد تم التغلب عليها، فاستهلت اللعب في الدور التالي.

استبد بها الانفعال، فقالت: «أتمنى لو أن سيدتي تعود عما قريب، فأنا أتطلع إلى إطلاعها على الكيفية التي تلعبين بها. وقد اعتادت اللعب ببراعة أيضاً، إذ أحب نيافته هذه اللعبة طوال عمره، واعتقد أن أداءه فيها ليس سيئاً، وإن كان ذلك لا يعني أنه تحدى الناس في لعبها كما لو كان معلم الداما المقدس[1]. وقد أكد لها أنه ليس بمقدورها أن تتغلب عليه في اللعب، ولكنه في نهاية المطاف كان هو الذي خسر مرتين. وعلى الرغم من ذلك، فإنك أفضل من المعلم المقدس، وأنا مندهشة للغاية».

أحست الشابة بالندم على عدم التزامها الحرص، إذ لم يسعدها أن تلعب الداما مع راهبة عجوز، حليقة الرأس، متلهفة على نحو لا يليق، ومستغرقة في التأمل طيلة الوقت، فقالت إنها تحس بأنها ليست على مرام، وبادرت إلى الرقاد.

---

(1) كايسي دايتوكو، باعتباره المعلم العظيم كانرين (الاسم المألوف تاتشيبانا نو يوشيتوشي) كان معروفاً في أوائل القرن العاشر.

أشــارت شوشــو بقولهـا: «ينبغـي حقاً أن تمتعي نفسـك أكثـر من هذا قليـلاً، في بعض الأحيان، فأنت شـابة وجميلة للغاية، ومن المخجل بالنسـبة لك أن تكوني مكتئبة وعاكفة على التأمل طوال الوقت. ربما كانت الجوهرة تعاني عيباً في نهاية المطاف».

مع مقدم الليل، أثار زفيف الريح الكثير من الذكريات المؤلمة.

« ما من جديد يحدِّث به يوم خريفي فؤادي هذا،

غير أني عندما أحدِّق في الغسق أجد الندى بلل كمّي».

كان قمر جميل قد بزغ عالياً، عندما وصل النقيب، الذي كانت رسالته قد جاءت خلال النهار، فاستبد بها الفزع، وهربت إلى أعماق الدار.

صاحت شوشـو مندهشة: «هذا كثير للغاية حقاً! وبصفة خاصة في وقت كهذا ينبغي أن تسـتجيبي لاهتماماتـه المفعمة بالإخلاص. ينبغـي أن تهتم على الأقـل بالقليل مما يقوله! لابد أنك تعتقدين أن مجرد الاستماع إليه يلزمك به للأبد!».

علـى الرغـم مـن ذلك، فـإن الشـابة انزعجت أشـد الانزعاج. وقـد أبلغـوا النقيب أنها بعيـدة عن الدار، ولكن لابد أن رسـوله، الذي بعث بـه في النهار، قد أبلغه بأنها كانت هناك بمفردهـا، لأنه عقب ذلك مضى ليبثها شـكوى طويلة ومريرة، وقـال: «إنني لا أطلب حتى سـماعها وهـي ترد علـيَّ! كل ما أريده أن تقرِّر لنفسـها مـا إذا كان ما أقوله لها بنفسـي يثير الاستماع إليه كل هذا الألم!». وعندما أخفق كل جهد بذله في الإقناع، أضاف بنغمة تحمل الاتهام: «لكم هي قاسية على نحو مدهش! من المؤكد أنها ينبغي أن تكون قادرة على إبداء بعض التعاطف، وهي تقيم في مكان كهذا! هذا كثير للغاية!

كل الحزن الرقيق النابع من أعماق الليل الخريفي يستحضر قرية جبلية

ينبغي أن يحس بها كل من تعلم الإحساس على الإطلاق.

من الجلي أن قلبها ينبغي أن يشارك فؤادي هذه الأمور!».

قالت شوشـو مصرة: «تصرفك غيـر مألوف بالمرة، أخذاً في الاعتبار أن سـيدتي بعيدة عن الدار، وأنه ليس لديك شخص آخر يرفه عنك!».

«أنا التي تمضي أيامها بلاشعور بأن سوء الطالع قدري،

أتعتقد أنك وجدت فيَّ من تعرف ماهية الشعور!».

لم تكن الشابة قد قالت هذه القصيدة بحيث يسمعها أحد، ولكن شوشو أبلغتها للنقيب على أي حال، فتأثر بها، وقال وقد ضايقته المرأتان على نحو غير منطقي: «أقنعيها بالقدوم للحظة واحدة!».

حذَّرته شوشو: «إنها لاتستجيب بصورة غير مألوفة، ياامولاي!». وعادت إلى الداخل لا لشيء إلا لتجد أن الشابة قد اختفت في غرفة الراهبة العجوز، التي لا تدخلها عادة على الإطلاق. وإذا لم تدر شوشو ماذا عساها تفعل، فقد أبلغت النقيب بذلك.

قال: «قلبي معها لكل الأحزان التي لابد أنها تثقل عليها، فيما هي تمضي أيامها الخاوية في مكان كهذا، ولديَّ الانطباع بأنها من حيث المبدأ ليست بلا مشاعر على الإطلاق. وسلوك كسلوكها يعود إلى أبعد كثيراً من سلوك من لاتعرف الحياة فحسب. ترى هل لقنتها الحياة درساً مريراً؟ لماذا يضيق فؤادها بالدنيا وإلى متى تتوقعين بقاءها؟. أراد أن يعرف كل شيء عنها، ولكن ما الذي كان بوسعها أن تحدِّثه به؟

قالت: «إنها إنسانة كان ينبغي على سيدتي أن تعنى بها طوال الوقت، ولكنهما لم تكونا على صلة طيبة عدة سنوات، وقد التقتها سيدتي مجدَّداً في حجها إلى هاتسوسي، ثم نجحت في جعلها تجيء إلى هنا». كان هذا هو أفضل ما استطاعت قوله.

رقدت الشابة، وقد دفنت وجهها في الفراش، متيقظة تماماً، قرب الراهبة العجوز، التي كانت وفق كل ما سمعته شخصية صعبة حقاً. كانت السيدة العجوز مستغرقة في النوم، وشخيرها يدوي كالرعد، وراهبتان مثلها تنضمان إليها في جوقة الشخير. وراحت الشابة المرعوبة تتساءل عما إذا كانت الليلة هي الليلة التي سيتم التهامها فيها، ولم يكن ذلك راجعاً إلى أنها تقدِّر حياتها كثيراً، ولكنها أحست في غمار حيائها الدائم بأنها وحيدة كتلك التي خافت من عبور الجسر الخشبي وارتدت عائدة[1]. وكانت قد أحضرت معها كوموكي، ولكن هذه الأخيرة، التي شرعت تساورها مشاعر مغناجة، كانت أكثر افتتاناً بالزائر الوسيم النادر من أن تبقى معها. لو أنها تعود فحسب! على الرغم من ذلك فإن كوموكي لم يكن

(1) لم يتم التعرف على هذه القصة، غير أن الحكاية متعلقة بشيطان يلتهم فتاة لا حول ولا قوة لها معروفة جيداً.

من المحتمل أن تكون ذات نفع كبير.

غـادر النقيـب الدار، ذلك أنه لم يعرف ماذا عسـاه يقول غير ذلك، ورقدت النسـوة معاً لينلن قسـطاً من النوم. وراحت كل منهن تشـكو للأخرى: «إنها منسحبة ومنعزلة عمداً! ما أغرب التفكير في أنها تهدر حسنها!».

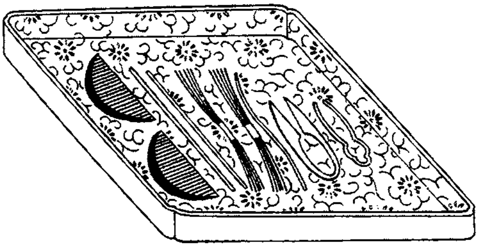
لابد أن الوقت كان منتصف الليل، عندما جلست الراهبة العجوز، بفعل نوبة من السعال، في فراشها. كانت رأسها تبدو في ضوء المصباح مجلَّلة بالشيب تماماً، وقد وضعت فوقها شيئاً أسود. انزعجت لرؤية الشابة راقدة بجوارها، فوضعت يدها على جبينها، حسبما يُقال إن ابـن عرس يفعـل، وحدَّقت فيها، وطالبت بلهجة مهيبة بأن تعرف من عسـاها تكون وما الذي تفعله هناك.

حدَّثت نفسـها: لسـوف تلتهمني الآن! فـي تلك المرة التي مضـت مخلوقة منطلقة بي، كنت فاقدة الوعي، كان الأمر أسهل بكثير! ماذا عساني أفعل؟ أحست بأنها وقعت في فخ. لقد عدت إلى الحياة في ذلك الإهاب الداعي للشـعور بالصدمة[1]، لقد أصبحت إنسـانة،، والآن تعذبنـي مـن جديد تلك الأمور الفظيعـة التي حدثت! الحيرة، الفـزع، آه، نعم، لديَّ مشاعر. ولو أنني كنت قدمت لأحاطت بي كائنات أشد فظاعة.

رقـدت هنالك مسـهدة، وفي غضـون ذلك تضاربـت خواطرها على نحو لا سـابق له، وهي تفكِّر في مسـار حياتها بأسـره. ما أقسـى أنني لـم أر الرجل الذي اعتـادوا مناداته بأنه أبي! مضينا جيئة وذهاباً على امتداد سـنوات إلى الشـرق، وعندما صادفت في النهاية أختاً منحتنـي كلاً مـن البهجة والأمـل، فقدت الاتصال بهـا على حين غرة، لا لشـيء إلا لأجد احتمـال العـزاء الآن يقدمه سـيد نبيل قرَّر القبول بـي باعتباري جديرة بـه. أي حمقاء كنت آنذاك- ذلك أنني أدرك الآن غلطتي الفظيعة- للإحسـاس بأدنى شـعور بالحب نحو ذلك الأميـر! إنـه هو مـن دمَّر حياتي! لماذا اسـتمعت بسـرور بالغ إلى تلك الوعـود التي قطعها قـرب الأشـجار الخضـراء علـى الجزيرة الصغيـرة؟ كانت قـد ضاقت ذرعاً بـه من أعماق

(1) إهاب روح مستها. «إميجيكي ساما» (إهاب يدعو للشعور بالصدمة) مماثل لـ«إميجيكي مي» (هيئة تدعو للشعور بالصدمة) و«إميجيكي مي نو كيهاي» (مظهر يدعو للشعور بالصدمة)، تعبيران يتضمنان وصفاً للذات تستخدمهما روح روكوجو في «براعم الربيع 2».

فؤادها، وقد كان ذلك النبيل الذي لم يكن عاطفياً حقاً، غير أنه كان صبوراً دوماً، هو الذي تذكَّرته الآن في بعض الأحيان بسرور بالغ. راحت تلوم نفسها في قرارة فؤادها: لسوف أشعر بأشد الخجل أمامه لو أنه قُدِّر له أن يعلم بما عليه حياتي الآن، ولكنها حدَّثت نفسها فجأة: آه، هل أراه ثانية قط في هذه الدنيا على نحو ما كان آنذاك ولو من بعيد؟


علبة أمشاط

كانت سعيدة للغاية حقاً، أخيراً، لسماع صياح الديكة. راحت تحدِّث نفسها فيما الفجر يقبل مطلاً: لشد ماكان يمكن لصوت أمي أن يجعلني أكثر سعادة. كانت في حالة تعسة حقاً. لم تظهر الفتاة التي كان ينبغي أن تعود معها إلى غرفتها، ورقدت هناك منتظرة. وفي غضون ذلك نهضت في التو النسوة اللواتي كان الشخير يصدر عنهن، لكي يشغلن أنفسهن بإعداد وجبة الإفطار الداعية للاكتئاب المؤلفة من العصيدة وما إليها. قالت إحداهن، والتي أحضرت العصيدة: «تناولي إفطارك الآن!». ولكنها لم تقدِّر مثل هذه الخدمة على الإطلاق، وما كان ماثلاً أمامها لم يبد لها طعاماً، قالت معتذرة عن تناول الطعام: «لست أشعر بأنني على ما يرام»، وذلك على الرغم من أنهن مضين في الإلحاح عليها من دون مراعاة لشعورها.

وصلت مجموعة من العاملين المتواضعين في الدير، وأعلنوا: «نيافة رجل الدين الموقر سيهبط من الجبل اليوم». وسمعت إحداهن تسأل: «لكن لماذا فجأة على هذا النحو؟»».

أوضحوا بفخر قائلين: «كانت روح تزعج سمو الأميرة الأولى، وقام رئيس رهبان الجبل بأداء الطقس العظيم من أجلها، ولكنه يقول إنه لا يمكن أن يكون له تأثير من دون نيافته. وقد تلقى نيافته أمس مرتين دعوة للذهاب إلى هناك، ثم في وقت متأخر من المساء أقبل الملازم من المرتبة الرابعة، نجل معالي وزير الميمنة حاملاً نداءً من جلالة الامبراطورة، وقد جعله ذلك يحسم رأيه».

آه، إنني أعرف أن ذلك سيكون جسارة بالغة من جانبي ولكنني آمل أنني سأتمكن من مقابلته والطلب منه أن يجعلني راهبة! تلك هي اللحظة المناسبة، الآن فيما يوجد عدد

قليل للغاية من الناس يمكنهم أن يتدخلوا! جلست في موضعها وقالت بصوت عال للراهبة العجوزة «أرجو أن تقولي لنيافته إنني أشعر باستمرار بأنني مريضة للغاية وإنه إذا هبط إلى هنا اليوم، فسأكون ممتنة لتلقي الوصايا الكاملة!». فأومأت الراهبة العجوز شاردة.


امرأة تصبح راهبة

أخيراً عادت إلى غرفتها، وأسدلت شعرها قليلاً، ذلك أن أخت نيافته كانت تمشطه لها دوماً، وقد كرهت أن تترك أي شخص آخر يلمسه، ومن المؤكد أنه لم يكن بمقدورها أن تمشطه هي نفسها. وفي غضون ذلك راحت تفكِّر في أن أمها لن تراها على هذا النحو مجدَّداً قط. وقد افترضت أن مرضها الطويل قد أسفر عن تساقط بعضه، ولكن لا، لقد كان جميلاً كعهده دوماً، كثيفاً للغاية، ويمتد ستة أقدام،وجميلاً حتى عند الأطراف. وبدت كل شعرة بديعة كما لو كانت تتمتع بألقها الخاص، وغمغمت: «متمنية أن أكون ما أنا عليه الآن»[1].

أقبل نيافته مع مقدم المساء. وكان الرواق الجنوبي قد تم كنسه وترتيبه، ووجدت كل الرؤوس الحليقة، وهي تتحرك حركة نشطة في أرجاء المكان، وقد سيطر الخوف عليها بصورة غير مألوفة. وزار نيافته أمه للاطمئنان على صحتها. واستطرد: «علمت أن أختي في رحلة حج. هل لاتزال تلك الشابة هنا؟».

ردت الراهبة العجوز: «نعم إنها هنا، وهي تقول إنها مريضة، وإنها ترغب في تلقي الوصايا الكاملة».

مضى نيافته لمحادثتها بنفسه، وتساءل وهو يجلس أمام ستارتها القائمة: «أأنت هناك؟».

---

(1) جوسينشو 1240، من نظم سوجو هينجو، عندما أصبح راهباً: «يقيناً أن أمي لم تمسد شعري الأسود قط متمنية أن أكون ما أنا عليه الآن».

تغلبت على خجلها لتنزلق نحوه ولتحادثه بنفسها.

«بـدا لـي دوماَ، منذ تلك اللحظة المدهشـة التـي رأيتك فيها لأول مـرة، أن صلة قديمة قـد ربطتنـا معاً، ومضيت أبتهل من أجلك من كل قلبـي. غير أن راهباً مثلي لايحق له القيام بمراسـلة دنيويـة مـن دون سـبب كاف، وذلـك هو السـر في أنك لـم تسـمعي الكثير مني. وأتساءل كيف تعايشت مع هاته الراهبات اللواتي لا تناسبك صحبتهن كثيراً».

ردت قائلة: «إنه عبء كبير، بالنسـبة لي، عندما عقدت العزم على ترك هذه الحياة،أنني لا أزال علـى قيد الحياة بصورة لاسـبيل إلى تفسـيرها. ولكن أياً كان مـدى افتقاري للأمل فإننـي أقـدر كثيراً لطفك وبما أنني لـم أعد أعتقد أن بمقـدوري العيش في هذه الدنيا، فإنني أطلب منك لطفاً جعلي راهبة. وليس بمقدوري، وأنا على حالتي هذه، الاستمرار كالنسوة الأخريات، حتى وإن بقيت في حياة دنيوية».

«لكنـك لاتزال أمامك سـنوات عديدة. ما الذي يمكن أن يكـون قد قادك إلى تمني هذا لنفسك؟ وبالنسبة لك فإن مثل هذه الخطوة لن تكون إلا خطيئة. ومن شأن المرأة أن تشعر بأنهـا جريئـة في عزمها عندمـا تفكِّر أولاً في طموح كطموحـك، ولكنها بحكم ما هي عليه فإنها يحتمل إلى حد كبير أن تندم على ذلك مع مضي الوقت».

«لقد عانيت من سوء الطالع منذ أن كنت طفلة، وحدَّثتني أمي بأنها قد فكرت في جعلي راهبة منذ ذلك الوقت، ولذا فإنني عندما أصبحت أتفهم الأمور قليلاً تقت ليس إلى العيش علـى نحو ما تحيا الأخريات، ولكنني اسـتغرقت في الابتهال من أجـل أن تُمنح لي الحياة الأفضل المقبلة. غير أنني الآن فيما أشـعر بأن نهايتي تدنو- وأحسـب أن هذا هو السبب- أشـعر بأن قوتي كلها تُسـتنزف مني. آه، أرجوك أتوسل إليك..». مضت تتحدَّث من خلال دموعها.

لم يسـتطع نيافته فهم جلية الأمر. ما الذي أمكن أن يدفعها، بكل جمالها، إلى أن تضيق ذرعاً بمثل هذا العمق بما هي عليه؟ تذكَّر أن الروح التي مستها قد تحدَّثت عن ذلك. نعم، لاشك في أن لديها سبباً وجيهاً! إنها لأعجوبة أنها قُدِّر لها البقاء على قيد الحياة! إنها الآن في خطر مخيف بعد أن لاحظها ذلك الشيء الشرير.

قال بصوت عال: «على أي حال، فإن الكنوز الثلاثة لا يمكن إلا أن تشيد بما عقدت العزم عليه.وليس لي، أنا الراهب، أن أعارضك، فما من شيء يمكن أن يكون أسهل من إعطائك الوصايا، ولكن أمراً عاجلاً قد جعلني أهبط من الجبل في المقام الأول، ولابد لي من المضي إلى القصر الليلة. ويتعيَّن عليَّ بدء الطقس العظيم غداً. وسوف يستغرق سبعة أيام، وعندما ينتهي فسوف أعود وأقوم بما طلبته».

كان هذا بمثابة خيبة أمل مريرة، لأنه بحلول ذلك الوقت فإن أخته ربما تكون في يسر قد عادت إلى الدار، ومن المؤكد أنها ستعترض، فقالت: «حالتي الآن سيئة تماماً كالمرة الأخيرة[1]،وأنا أحس بالمرض الشديد بالفعل، فإذا ازدادت حالتي سوءاً، فإن الوصايا لن تفيدني. وقد فكرت في أن اليوم هو فرصة مناسبة للغاية!».

مس نحيبها قلبه الرحيم، فقال: «لابد أن الليل يوغل الآن في مسيرته. في الأيام الخوالي لم أكن اكترث بهبوط الجبل، ولكن كلما أوغلت في العمر غدا أكثر تعذراً، وأحسب أنني ينبغي أن أستريح قبل مواصلة السير إلى القصر. حسناً للغاية، بما أنك على مثل هذا القدر من التعجل فسوف أفعل ذلك من أجلك الآن».

في ارتياح مفعم بالسرور، التقطت مقصها، ودفعت بغطاء أمشاطها نحوه، فنادى: «أقبلا، أيها الراهبان الموقران، أقبلا إلى هنا!». كان الراهبان اللذان وجداها، في أول الأمر، معه الآن، وجعلهما يدخلان، وقال: «أريدكما أن تقصا شعرها».على الرغم من ذلك فإن الخبير، الذي وافق على أنه ما من أحد في حالتها، التي تبدو خطيرة، ينبغي أن يطلب منه البقاء في الحياة الدنيوية، تردد في الإمساك بالمقص، لأنه أحس بأن الشعر الذي قدمته له من خلال فتحة في ستارتها كان أجمل بكثير من أن يتم قصه.

في غضون ذلك، كانت شوشو في غرفتها مع أخيها الأكبر منها سناً، وهو خبير كان قد أقبل مع نيافته كذلك، في حين كانت سايمون ترحب براهب آخر تصادف أنها كانت تعرفه. وفي مثل هذا المكان فإن أي زائر ودود كان موضع ترحيب بصورة خاصة، وحظي على الأقل باستقبال متواضع، وهو استقبال كانت كلتاهما مشغولتين به عندما أقبلت كوموكي،

---

(1) عندما تلقت الوصايا الخمس التي تُعطى للشخص العادي.

وهي الوحيدة التي تُركت مع سيدتها، لتبلغ شوشو بما يجري.

اندفعت شوشو، التي غمرها الاستياء، لترى الأمر بنفسها، ووجدتها الآن ترتدي، لاعتبارات تتعلق بالمظهر، الثوب الخارجي لنيافته وبطرشيله، في حين قال نيافته: «الآن انحني بالاتجاه الذي يوجد فيه أبواك»[1]. يا للحسرة، فلم تكن تدري أين عساه يكون ذلك الاتجاه، وجلبت هذه الخاطرة دموعاً جديدة إلى عينيها.

«لكن هذه كارثة! كيف أمكنك أن تفعل أي شيء على هذا القدر من الحماقة! ما الذي ستقوله سيدتي عندما تعود؟». لكن نيافته كان قد أوغل كثيراً حتى إنه لم يكترث بالتفكير في احتجاجات شوشو إلا بحسبانها احتجاجات في غير موضعها، وأسكتها بحزم بالغ فلم تقترب بصورة أكبر ولم تتدخل في الأمر.

«دوارة ودوارة في الأقانيم الثلاثة»[2]. مضى نيافته يرتل، وحدَّث نفسه، لكنني قطعت الالتزام والعاطفة آنذاك! وعلى الرغم من ذلك فقد أحست بانقباضة حزن. كان الخبير يواجه متاعب بالفعل في قص شعرها. قال نيافته: «لا بأس بإنجاز ذلك لاحقاً، دعه للراهبات فحسب!». قام هو نفسه بقص الشعر عند جبينها، وذكرَّها بقوله: «ينبغي ألا تندمي الآن على الظهور بهذا المظهر!». وأضاف العديد من التوجيهات الورعة بالإضافة إلى ذلك[3]. وبالنسبة لها كان بهجة القيام بما قمن بالاحتجاج بأنه لابد من تأجيله طويلاً، وأحست كأنما كانت الحياة في نهاية المطاف، جديرة بأن تُعاش من أجل هذا.

غادر الجمع المرافق لنيافته الدار، وساد الهدوء. وفي غمار زفيف الريح الليلية وجهت النسوة اللوم إليها: «كنا نتطلع كثيراً إلى أن مكوثك الموحش هنا سيتبعه سريعاً زواج متألق، ولكن الآن كيف ستقضين الحياة الطويلة الممتدة أمامك بعد ما قمت به؟ حتى من أقعدتهم الشيخوخة يشعرون بالبؤس عندما يدركون أن الحياة كما عرفوها قد انتهت بالنسبة لهم!».

---

(1) هذه اللحظة في طقس الرسامة تسبق مباشرة الرسامة نفسها.

(2) من قصيدة (باللغة الصينية) تشكِّل جزءاً من الطقس: «دوارة ودوارة في الأقانيم الثلاثة، لا يمكن أبداً [للمخلوقات الواعية] أن تنخلع من الالتزام والعاطفة، ولكنها في تخليها عن الالتزام وولوجها الامتناع عن الفعل تنسى حقاً الالتزام بأسره».

(3) شعر رأسها لا تتعين حلاقته من جذوره، وإنما سيُقص من أسفل كتفيها، ولن تكون لها الخصلات الجانبية التي تحظى بها شابة جذَّابة المظهر.

وعلى الرغم من ذلك، فإنها لم تستشعر إلا السلام والسعادة، لأنه بالنسبة لها هي التي لم تستطع تصور العيش وقتاً أطول كثيراً، فإن حالتها الجديدة كانت شيئاً رائعاً، وأفعمت نفسها بهجة.

غير أنها في اليوم التالي استشعرت الخجل من مظهرها هذا الذي لم يوافقها عليه أحد غيرها. وأحست بأطراف شعرها، في آن،خشنة ومقصوصة كيفما اتفق، وتاقت إلى أن تجيء إحداهن وتقصها بطريقة ملائمة، من دون أن تلمسها هي نفسها. ولما كانت خجولاً ومتحفظة كعهدها، فقد مكثت في غرفتها التي غمرتها الظلمة. ولم تكن بارعة في إبلاغ الآخرين بمشاعرها قط، وبما أنها الآن على أي حال لم يكن لديها من هو مقرب منها لتحادثه، فإنه لم يكن بمقدورها إلا أن تجلس أمام محبرتها، وأن تسجل بشجاعة مشاعرها، عندما تتدفق، كتدريب على إبداع الخط.

«هذه الدنيا التي بالنسبة لي لم تعن شيئاً

إلى أن نبذتها، الآن أنحيِّها من جديد عني.

لقد انتهت أخيراً». هكذا كتبت تقول، ولكنها لم تستطع إلا أن تقرأها مجدداً في حزن.

«تلك الدنيا التي عرفتها جيداً، وأصبحت أحس أنها ليست لي،

نحيَّتها بعيداً عني، والآن ها أنذا أفعل ذلك مجدداً».

كانت تدون أفكاراً كهذه، عندما جاءت رسالة من النقيب. كُن قد كتبن له يعلمنه بمدى استيائهن وضيقهن، وأدرك بخيبة أمل حادة أن إصرارها على القيام بهذه الخطوة يفسر رفضها عدم الرد عليه. وعلى الرغم من ذلك ياللعار، فهو في تلك الليلة القريبة فحسب كان يحاول إقناعهن بتركه يلقي نظرة مناسبة على ذلك الشعر الجميل، وقيل له، نعم، إن ذلك سيحدث عندما تحين اللحظة المناسبة. فكتب في معرض الرد بندم مرير يقول: «ليس هناك ما يمكنني قوله لكن.

ما أشد ما يتوق فؤادي، فيما سفينة بتول البحر تمضي مبتعدة عن هذا الشاطئ،

إلى المشاركة في تلك الرحلة ذاتها، خوفاً من ألا أبحر أبداً»

تقبلت، بصورة مفاجئة الرسالة، وقرأتها. وكان هذا وقتاً مؤثراً بالنسبة لها، وعلى الرغم

من الشعور بالارتياح لأن هذا قد انتهى الآن، إلا أنها لأسباب تعرفها هي وحدها، كتبت على امتداد حافة وريقة تقول:

«نعم، فؤادي يبحر الآن مبتعداً عن الشاطئ والدنيا المحزنة بأسرها،

غير أن عذراء البحر لا تدري إلى أين تمضي سفينتها».

عاملتها، كذي قبل، كما لو كانت تدريباً على إبداع الخط، لكن شوشو لفتها وأعدتها لإرسالها إليه.

احتجت قائلة: «كان يمكنك على الأقل أن تعدي نسخة جيدة».

«لكنني كان يمكن أن أنسخ شيئاً بصورة خاطئة». وبعثت بها شوشو، على أي حال. وما من كلمات تصف مدى أسف النقيب الذي استبد به الحزن.

عادت أخت نيافة رجل الدين الموقر من حجها، واستبد بها الضيق إلى أبعد الحدود. قالت: «إنني أوافق على أن راهبة مثلي ينبغي أن تكون مسرورة بالموافقة، ولكن كيف تجتازين كل السنين التي بقيت لك؟ وأنا التي لا تعرف البتة ما إذا كنت سأرى الغد من عدمه تضرعت إلى البوذ يساتفا لأنني أحس بالقلق عليك وأريد رؤيتك آمنة وفي خير حال!». إنهارت باكية وبدا عليها أنها قد تداعت، وانصرفت خواطر الشابة المترعة بالحزن إلى أمها هي، حيث كان بمقدورها في يسر أن تتخيل يأسها، حتى في غياب جثمان تلزم الحداد عليه. فجلست مديرة ظهرها، ملتزمةالصمت كعهدها، وقد بدت في مقتبل العمر وجميلة حقاً.

قالت الراهبة باكية، وهي ترتب إعداد ثياب راهبة لها: «لقد كنت حمقاء للغاية!». قمن بإعداد ثوب خارجي لها وبطرشيل بلونهن الرمادي المعتاد.

مضت النسوة في نواحهن، وهن يلبسنها رداءها: «الأمر صعب للغاية، فيما جلبت لنا في هذه القرية الجبلية بصورة غير متوقعة بالمرة نوراً مبهجاً تماماً!». أعربن عن اعتقادهن بأن الأمر كله إهدار فظيع، ووجهن اللوم في مرارة إلى نيافة رجل الدين الموقر.

تعافت الأميرة الأولى بفضل تدخل دراماتيكي وفعال، على نحو ما قال أتباع نيافته إن الأمر سيكون عليه، وأشاد الجميع بنيافته باعتباره معالجاً قديراً. غير أن نيافته لم يعد إلى

الجبل مباشرة، وإنما بقي قائماً على السهر والرعاية، ذلك أن الخوف من الروح قد دفع جلالة الامبراطورة إلى أن تأمر بإطالة أمد الطقس العظيم، واستدعته في مساء هادئ ومطير ليظل عاكفاً على العناية والرعاية طوال الليل. وكانت الوصيفات قد مضين إلى فراشهن، وقد استبد بهن التعب بعد الأيام القليلة الماضية،وكان هناك عدد قليل منهن على مقربة لايزلن في الخدمة. وقد اشتركت جلالة الامبراطورة وابنتها في شغل الفراش نفسه الذي تحيطه الستائر.

قالت جلالة الامبراطورة: «من بين أولئك الذين وضع جلالته ثقته فيهم طويلاً، فإنني أعتقد الآن أنه يتطلع إليك أنت، فوق الجميع، للحصول على الإرشاد المؤكد إلى الحياة المقبلة».

«لم يبق لي وقت طويل أحياه، وأنا أعرف مما تلطف بوذا بإبلاغي إياه أنني قد لا أتجاوز هذا العام أو الذي يليه، ولذلك السبب فقد كنت في عزلة صارمة، أبتهل إلى بوذا بلا انقطاع. وحده هذا الاستدعاء من جانب جلالتكم هو الذي أمكن أن يجعلني أهبط الجبل».

واصل الحديث قائلاً: «شاهدت أخيراً أغرب شيء. في هذا الشهر الثالث الماضي قامت أمي العجوز بالحج إلى هاتسوسي بسبب نذر كانت قد نذرته، وفي طريق عودتها أقامت في مكان يقابل دارة أوجي. وهي دار فسيحة، ظلت مهجورة منذ وقت طويل، وقد خشيت أن تكون مخلوقات شريرة قد سيطرت على المكان، وربما تؤذي أي شخص مريض على نحو خطير، وقد برهن هذا التخوف على أنه في موضعه». ووصف اكتشاف المرأة الشابة.

قالت جلالة الامبراطورة: «ذلك أمر غير مألوف حقاً!». استبد بها الخوف إلى حد أنها أيقظت وصيفاتها، اللواتي كن قد سيطر عليهن النعاس بحلول ذلك الوقت. كانت كوزايشو، التي يخطب القائد ودها، هي وحدها التي سمعت القصة التي رواها نيافته، أما الأخريات اللواتي أيقظتهن فلم يسمعن شيئاً على الإطلاق. وانزعج نيافته لأن الصورة التي رسمها لما حدث قد أزعجت جلالتها على هذا النحو البالغ، ولزم الصمت حيال ما لم يكن قد أبلغها به بعد.

«في هبوطي هذه المرة، فكرت في أن أزور الراهبات المقيمات في أونو، وعندما قمت بذلك توسلت إليَ الشابة وهي تبكي أن أرضي رغبتها في هجران الدنيا، ولذا فقد حققت لها ما طلبته. وكانت أختي، وهي راهبة تزوجها في وقت من الأوقات المشرف الراحل على حراسة بوابة القصر، قد سعدت بأن تشغل هذه المرأة الشابة مكان الابنة التي فقدتها، ومضت ترعاها خير الرعاية. وقد علمت أن هذا جعلها تغضب مني أشد الغضب، فهذه الشابة حقاً جميلة بصورة استثنائية. ومن المؤكد أنه أمر مزعج جعلها ترتدي ملابس الراهبات. ترى من عساها تكون». كان متحدِّثاً بليغاً، وقد واصل الحديث ببعض الاستفاضة.

سألت كوزايشو: «لكن لماذا مضت الروح بفتاة رفيعة المنبت إلى مكان على تلك الشاكلة؟ على أي حال، لابد أنك تعرف الآن من عساها تكون».

«لا. لست أعرف. ربما كانت قد قالت شيئاً لأختي. وإذا كانت حقاً رفيعة المنبت، فمن المؤكد أن الجميع سيعرف بأمرها. ولست أشك في أنه حتى ابنة فلاح يمكن أن يكون لها حسنها. ليس الأمر كما لو أنه لم يقدر لبوذا أن يولد قط وسط التنانين[1]. إنها شابة عادية فحسب تحمل على كاهلها عبئاً خفيفاً من الخطيئة المصيرية».

عندئذ تذكَّرت جلالة الامبراطورة الشابة التي قيل إنها قد ماتت منذ بعض الوقت قرب تلك المنطقة. وكانت كوزايشو بدورها قد سمعت من أختها بأمر هذه الشابة التي ماتت في ظروف غامضة. وحدَّثت نفسها قائلة: لابد أنها تلك الشابة. غير أنها لم تكن واثقة من ذلك.

«لقد أتيت على ذكر الأمر لجلالتكم فحسب، لأنني أدهشتني الطريقة التي اختبأت بها لتجنب ترك أي شخص يعرف أنها على قيد الحياة، كأنما كانت تحس بأن عدواً قاتلاً يطاردها». بدا نيافته متردداً في متابعة الحديث حول هذا الموضوع، ومن هنا فإن كوزايشو لم تقل شيئاً في هذا الصدد.

قالت جلالة الامبراطورة لكوزايشو: «لابد أنها تلك المرأة الشابة! لابد لي من إبلاغ القائد بهذا الأمر». وعلى الرغم من ذلك فقد تركت المسألة عند هذا الحد، لأنها لم ترغب

---

(1) في الأكوان البوذية، تقطن التنانين أعماق المياه، وتُعد أكثر الكائنات تدنياً، ولكن في فقرة يحتفي بها أشد الاحتفاء من سوترا اللوتس تصبح إحدى التنينات الشابة بوذا.

في أن تطرح أمام سيد مهيب كهذا أمراً ليست لديها بشأنه معرفة مؤكدة، وعلاوة على ذلك فإنها هي ونيافته يرغبان كلاهما في إخفائه.

عندما شُفيت الأميرة الأولى، عاد نيافته إلى الجبل. وفي طريقة زار أونو، حيث كالت له أخته اللوم على نحو صارم: «لا يمكنني أن أفهم لماذا لم تقل قط كلمة في هذا الشأن لي فيما حالتها الراهنة لاتستدعي إلا خطيئة أسوأ!» لكن شكواها جاءت بعد فوات الأوان.

طمأن نيافته الشابة قائلاً: «لست الآن بحاجة إلا إلى مواصلة صلواتك. فالحياة بعيدة عن اليقين بالنسبة للشباب كما هي بعيدة عنه للموغلين في العمر. وفهمك أن كل شيء فان هو فهم صحيح بالنسبة لوضعك الراهن».

غمرها الشعور بالخجل.

قال: «أرجو أن تُعدِّي ثوباً جديداً من ثياب الراهبات!». أعطاها دمقساً وحريراً شفافاً وحريراً غير مصبوغ[1]. وأضاف: «لسوف أرعاك طالما بقيت على قيد الحياة. فلا تقلقي. ما من إنسان ولد في رحاب هذه الحياة المألوفة ولا يزال غارقاً في خواطر المجد الدنيوي يمكنه الامتناع عن الاعتقاد بأن نبذ الدنيا مستحيل على وجه التقريب، ولكن لماذا ينبغي عليك وأنت تتابعين صلواتك هاهنا في الغابة أن تشعري بالمرارة أو بالخجل؟ ففي نهاية المطاف هذه الحياة طفيفة كورقة شجر». واستطرد: «القمر يجوب الآفاق حتى الفجر فوق البوابة وسط أشجار الصنوبر»[2]، فعلى الرغم من أنه كان راهباً، إلا أنه كان أيضاً رجلاً شديد التألق.

حدَّثت نفسها: تلك على وجه الدقة هي النصحية التي أردتها. دمدمت الريح على نحو موح بالحداد طوال اليوم. وسمعت نيافته يغمغم: «آه، في يوم كهذا لا يمكن لناسك الجبل إلا أن يبكي!»، فحدَّثت نفسها: إنني الآن ناسكة جبل بدوري، فلا عجب أن تتدفق دموعي مدراراً. مضت خارجة قرب الشرفة، ورأت رجالاً في عباءات صيد متعددة الألوان عند مدخل الوادي البعيد. بدا أنهم بسبيلهم إلى صعود الجبل، على الرغم من أن الناس نادراً ما كانوا يسلكون هذا الطريق. وما كان المرء يلمح مايتجاوز راهباً عابراً يهبط من

(1) هدايا قدمتها له الامبراطورة.

(2) بيتان من قصيدة من نظم باي جويي (هاكوشي مونجو 0161).

كورودانى[1]، وشكَّل هذا الجمع الذي يرتدي الملابس المدنية مشهداً غير مألوف.

كان ذلك هو النقيب الذي غضب منها كثيراً، وكان قادماً بشكوى أخرى لاطائل من ورائها، ولكن أوراق الخريف كانت شديدة الجمال هنا وأكثر ثراء في حمرتها من أي مكان آخر، فأسره جمالها فور ولوجه الوادي. كما سيكون أمراً عجباً أن يصادف فتاة جذَّابة بصورة خاصة هنا!

فسر الموقف بقوله: «لم أكن مناوباً، لذا قرَّرت إلقاء نظرة على أوراق الخريف، ذلك أنه لايوجد الكثير عدا ذلك مما يقتضي انتباهي. وهذه الأشجارتدعو المرء بصورة جميلة إلى أن يقضي ليلة تحت أغصانها الممتدة!».مضى يحدِّق في المشهد.

قالت أخت نيافته، التي انهمرت دموعها عن طواعية كالمعتاد:

«ياللحسرة، فهذا الجبل الذي تكتسحه الرياح الخريفية المهلكة،

لايقدم لك على منحدراته ملاذاً أمناً من العاصفة».

ورد قائلاً:

«قريتكم الجبلية، التي أعرف أنه ما من أحد ينتظرني فيها،

هتفت بي ألا أمرَّ بها، فيما رأيت هذه الأشجار الجميلة»

واصل الحديث، في نهاية المطاف، عن الشابة التي غدت الآن بعيدة عن مناله، وتوسل للراهبة شوشو: «أرجو أن تتيحي لي إلقاء نظرة عليها، كما هي الآن. يمكنك على الأقل القيام بذلك من أجلي، بعد وعدك لي».

دلفت شوشو إلى الداخل، وأقنعها ما رأته بأنها ترغب حقاً في التباهي بهذا المشهد، القوام الرشيق، الملتف على نحو عذب بألوان واضحة، رمادي فاتح فوق ذهبي في لون أوراق الشجر، وقد تهدل شعرها البديع على كتفيها، شأن مروحة متعددة الطيات. وتألقت ملامحها الجميلة على نحو بديع، كما تزينت بصورة رقيقة ومكتملة. تمنَّت شوشو أن تصورها على هذا النحو، وهي منهمكة في صلواتها، وقد تدلت مسبحتها على قضيب

(1) مكان في طريق الهبوط من جبل هايي باتجاه أونو.

الستارة المستعرض القريب، وقد عكفت في خشوع على قراءة النصوص المقدسة. حدَّثت شوشو نفسها: يجعلني مرآها دوماً أنخرط في البكاء. ما الذي ستبدو عليه للرجل الذي منحها فؤاده؟ بدت اللحظة مواتية بوضوح، فقد تمكنت من أن تريه ثقباً صغيراً أسفل مزلاج باب منزلق ومن إزاحة الستارة القائمة التي يمكن أن تعترض رؤيته للمشهد. لم يكن قد تخيل من قبل قط ما رآه. ياله من جمال فذ! غلبه الأسى والحزن، كأنما كان كل ما حدث بفعل خطأ ارتكبه فلم يستطع كفكفة دموعه، وتراجع خوفاً من أن يصل إليها صوت بكائه المفعم بالجنون.



صنع رداء

هل من الممكن أن من فقد مثل هذه الفتاة كائناً من كان لا يحاول العثور عليها مجدداً؟ ومن المؤكد أن الجميع سيعلم بالأمر لو أن ابنة هذا النبيل أو ذاك قد اختفت، أو نبذت الدنيا في نوبة من الغيرة. كان الأمر لغزاً غامضاً بالنسبة له. وراح يحدِّث نفسه: ما كان ليمكن لفتاة لها حسنها أن تنفرني حتى ولو كانت راهبة، وفي حقيقة الأمر أنها غدت أكثر جمالاً بسبب هذا، ولن أجدها إلا أكثر استعصاء على المقارنة. نعم، لابد لي من أن أعمل سراً على أن أحظى بها.

من هنا فقد غامر بتبني نهج خطير، وقال: «ربما كانت مترددة في السماح بتودد مألوف، ولكن من المؤكد أن بمقدوري أن أخاطبها الآن من دون كبح للجماح، الآن وقد دخلت وضعيتها الراهنة. أرجو أن تكوني من الطيبة فتذكريها بذلك. ليس بوسعي نسيان الماضي الذي أحضرني إليك، ولسوف تمنحني سبباً إضافياً لمواصلة القدوم إلى هنا».

ردت أخت نيافته قائلة: «إن التفكير فيما عساه ينتظرها في المستقبل هو مصدر هم مؤلم لي، وسيسعدني حقاً إذا واصلت اهتمامك وزياراتك بتلك الروح المفعمة بالولاء، فمحنتها ستكون محزنة للغاية عند رحيلي».

ضمن من الطريقة التي بكت بها أن الاثنتين لابد أن تكونا مرتبطتين بصلة القرابة، لكنه لم يستطع تصور من عساها تكون تلك الشابة. وقال: «فيما يتعلق باهتمامي باحتياجاتها المستقبلية، من الطبيعي أنني ليس بمقدوري أن أعرف مدى طول الحياة التي تنتظرني، ولكن ما إن أتعهد بتوفير احتياجاتها حتى يمكنك التيقن من أنني لن أغيِّر ما تعهدت به. ألا يجيء أحد لها هنا حقاً؟ ليس سؤالي راجعاً إلى أن هذه النوعية من عدم اليقين يمكن أن تردعني، ولكنني أتساءل عما إذا كنت لا تحجبين عني شيئاً».

«لو أن حياتها كانت من النوع الذي يشجِّع الارتباطات العادية، فإنني على يقين من أن أناساً كن سيجيئون إليها، ولكن بحسب حالتها الراهنة فإنها قد أدارت ظهرها لذلك كله. وذلك هو كل ما يمكنني إدراكه عن نواياها».

بعث برسالة إلى الشابة يقول فيها:

«للدنيا بأسرها أدارت ظهرها، أعلم ذلك تماماً،

غير أن كرهك البالغ لها يجعلني أمقت نفسي»

نقلت المرأة التي أحضرت الرسالة إليها كذلك حديثاً طويلاً ومفعماً بالرجاء منه. فأضاف: «أرجو أن تعتبريني أخاً لك. سيكون مصدر ارتياح كبير لي أن أتمكن من الحديث معك عن الأمور البسيطة التي تبرز في الحياة!».

ردت بقولها: «من سوء الطالع أن المغزى العميق لحديثك سيكون مما لا يمكنني فهمه»، بل أنها لم ترد على قصيدته.

لم ترد أياً من هذا كله، بعد الأمور الفظيعة التي حدثت لها. وفيما يتعلق بها، فقد فضلت أن تترك منعزلة مثل مستنقع. وذلك هو السبب في أنها ظلت على امتداد شهور كئيبة ومنطوية على نفسها. وقد ابتهجت الآن قليلاً لأنها قد أنجزت أخيراً ما رغبت في القيام به، فمضت تتبادل المجاملات مع أخت نيافته وتلعب لعبة الداما كذلك.

وكانت حريصة على صلواتها، وإلى جوار سوترا اللوتس قرأت أيضاً الكثير من النصوص المقدسة الأخرى. ومع ذلك، فإنها في موسم الثلوج، عندما لايجيء أحد إلى الدار على الإطلاق، فإنها لاتجد إلا القليل للغاية للترفيه عن نفسها.

أقبـل العـام الجديد، على الرغـم من أنه لم يحمل معه مؤشـراً للربيـع، وأوحى صمت الغـدران المتجمـدة ذاتـه بالكآبة، إلى أن وجـدت أنها على الرغم مـن كل ما تحمله حضر الرجـل الـذي قال إنـه: «لم أضل الطريق لأذوب فيـك»[1]، فإنها لاتزال عاجزة عن نسـيان ذلك الوقت، فكتبت، على نحو ما تفعل غالباً بين صلواتها ساعية للعزاء في التدريب على إبداع الخط، تقول:

«على الرغم من تحديقي في الحقول والجبال المثقلة بالثلوج

تحت السماء المعتمة فإن شجون الماضي لاتزيدني اليوم إلا حزناً».

راحـت تتسـاءل عمـا إذا كان أحـد يتذكرها الآن، وقـد أقبل عام جديد منـذ اختفت من الدنيا.

جلب أحدهم إليهن براعم ربيع جديدة في سلة خشنة، وعندئذ جعلتهن الراهبة يأخذنها إليها مع قصيدة تقول فيها:

«براعم الربيع المقتطفة في فرح بين يباب الثلج الباقي وسط الجبال

تمنحني الأمل، بطريقتها الخاصة، لكل السنوات الباقية».

وقد ردت عليها بقولها:

«منذ هذا اليوم ذاته، كل براعم الربيع من المروج الجبلية القابعة عميقة

في الثلج من أجلك عسى أن تحظى بسنوات ممتدة».

حدَّثـت الراهبة نفسـها متأثِّرة للغاية: أعتقد أنها تقصد حقـاً ما قالته، ولكن لو أن حالتها كانت أفضل بحيث تشكِّل مكافأة على عنايتي بها. وسفحت دموعاً تمس الفؤاد.

كانـت براعم البرقـوق الحمراء قرب غرفتها كعهدها دوماً رائحة ولوناً. وقد أحبت هذه الزهـرة أكثـر مـن أي زهرة أخرى، نظراً للطريقـة التي تبلغها بها أن الربيـع لا يزال ربيعاً[2]، وربما كانت لاتزال يسـحرها عبقها الحبيب، حيث إنهـا عندما تقدمت بتقدمة أواخر الليل

(1) قصيدة نيئو لها في «قارب منجرف» في الدار الواقعة على الجانب المقابل من النهر.

(2) كوكينشو 747، من نظم أريوارا نو ناريهيرا: «أليس هذا هو القمر، أليس هذا هو الربيع الذي بعد به العهد، فيما أظل وحدي على ماكنته آنذاك؟».

من الماء المقدس، دعت براهبة أقل مكانة، أصغر قليلاً من الراهبات الباقيات، لتقطف لها غصناً[1] كانت تتناثر منه آنذاك، كأنما في معرض الشكوى، ناثرة عبقها البديع.

«هو الذي لا أراه، هو الذي احتك كماه منذ وقت طويل بكمي،

لكن عبق البرعم يعيد حضوره مع استسلام ليل الربيع للفجر».

أقبل حاكم كي، حفيد الراهبة العجوز، في زيارة للدار. كان رجلاً متباهياً ووسيماً في الثلاثين من العمر. وسأل جدته: «هل كنت على ما يرام العام الماضي والذي سبقه؟». لكنها بدت شاردة تماماً، ومن ثم فقد مضى لزيارة ابنتها.

قال: «يبدو أن المسكينة لم تعد تدرك شيئاً. لقد كنت مسافراً بعيداً وقتاً طويلاً فلم أتمكن من زيارتها خلال هذه السنوات الأخيرة من عمرها. لقد كانت بمثابة أم وأب لي بعد موت أبوي. هل تتصل بك زوجة حاكم هيتاشي على الإطلاق؟». ربما كان يقصد أخته الأصغر.

«عاماً إثر الآخر يجري التخلي عنا أكثر فأكثر وتركنا لعزلتنا. لا، لم يصلنا نبأ من هيتاشي منذ دهور. وأشك أن أمي ستبقى على قيد الحياة حتى عودتها».

دهشت المرأة الشابة لسماع اللقب، الذي كانت تعرف أنه لقب أمها.

«لقد عدت إلى المدينة منذ أيام، ولكن مسائل رسمية شغلتني كثيراً، وأنا أخشى أن أكون قد أهملتك، وقد أردت بالأمس أن أكون في خدمتك، ولكنني اضطررت بدلاً من ذلك إلى الذهاب إلى أوجي مع سعادة قائد الميمنة. وقد أمضى اليوم بكامله في الدار التي كان يقيم بها في وقت من الأوقات سعادة الأمير الثامن الراحل، واعتاد أن يزور بنات سعادته الراحل هناك، ولكن إحداهن ماتت قبل سنوات مضت. وقد جعل من تلك الدار سراً مستقراً لأخت أصغر لها، لكنها ماتت في ربيع العام الماضي بدورها، وهكذا فقد وجه تعليمات لسيد المراسم في المعبد هناك حول ما يريد إنجازه في الذكرى السنوية. وأنا بحاجة إلى إعداد طاقم من الملابس النسائية[2]. ترى هل يمكنكن إنجازه لي؟ لسوف آمر

(1) شويشو 1005، من نظم توموهيرا شينو: «توقاً إلى عبقك الذي لا يزال يسكرني، قطفت هذا الصباح غصناً من البرقوق المزهر».

(2) كتقدمة في الحفل.

بإنجازالنسج الضروري بأسرع ما يمكن».

كيـف يمكـن ألا يثيـر ذلـك قلق المرأة الشـابة؟ لقد جلسـت فـي حياء مواجهـة الغرفة الداخلية، خوفاً من أن يتشكك أحد في أن أمراً ليس على ما يرام.

ردت الراهبة قائلة: «سـمعت أن الأمير الثامن له ابنتـان، فأيهما هي التي تزوجها معالي وزير الحرب؟».

«كانت الثانية الأثيرة عند سعادة القائد هي ابنة من زوجة أقل قدراً، فيما أعتقد. وهو لـم يكرمهـا بإعلان الزواج منها صراحة، لكنه حزن أشـد الحزن عندمـا ماتت. أما الأولى فقد كانت هي التي فطرت فؤاده، حتى لقد أوشك على أن ينبذ الدنيا».

لابد أنه من المقربين لدى سعادته! أدخل إدراك ذلك موجة من الفزع على نفسها.

«من الغريب أنهما كلتاهما قد ماتتا في أوجي. وكان أمراً محزناً أن أرقبه مجدداً بالأمس. مضـى إلى النهـر وراح يحدِّق في المياه، وانخرط في البكاء، ثم عـاد إلى غرفتها في الدار، وكتب قصيدة ألصقها بأحد الأعمدة».

«على هذه المياه التي لم تعد تحمل صورة حبيبتي

تنهمر الدموع التي سفحتها حداداً غديراً لايعرف الانتهاء».

قال القليل للغاية بالفعل، لكنه بدا لي حزيناً كاسـف البال. لابد أن النسـاء يقدرنه أعظم التقدير، وقد أثَّر في نفسي منذ كنت صغيراً حتى إني أوثر أن أسلم قيادي له على أن أسلمه لأقوى سيد نبيل في البلاد».

حدَّثت نفسـها بأن الرجل لايتميز بعمق كبير في التفكير، ولكن حتى هو يتمتع بقدر من الحصافة يتيح له إنصاف سعادة القائد.

أشارت الراهبة بقولها: «أشك في أنه يمكن أن يكون نظيراً لسمو قاطن روكوجو، الذي كان الناس يلقبونه بالنبيل المضيء. وقد فهمت أن المنحدرين من صلبه قد علا شأنهم في زماننا. ماذا عن المقارنة بمعالي وزير الميمنة؟».

«معاليه أشـد وسـامة على نحو رائع، ويحظى بصفة خاصة بمهابـة مميزة.ومعالي وزير

الحرب هو الذي يتمتع بجمال أخّاذ حقاً. وأتمنى مسروراً أن أكون امرأة في خدمته الحميمية».

تحدّثا كما لو كانا في غمار مناقشة معمقة لهذا الموضوع، وبدا كل شيء بالنسبة لها كما لو كان يدور حول عالم آخر. وعندما انتهت محاضرته، مضى لشأنه.

تأثّرت لأن سعادته لم ينسها، وأدركت على نحو أفضل طبيعة مشاعر أمها، ولكنها ظلت منكمشة حيال فكرة السماح لها برؤية ما أصبحت عليه حالها. فقد أحست بأنه من الغريب تماماً أن ترى النسوة وهن يصبغن الملابس التي طلبها الحاكم، ولكنها تجنبت في حرص قول أي شيء.

طلبت منها الراهبة عندما انتقلن إلى الحكاية: «هلا تلطفت بالعناية بهذا؟ إنك بارعة للغاية في إنجاز الحاشية!». مدّت لها رداء نسائياً. وعلى الرغم من ذلك، فقد كان في هذا الكثير من التجاوز، فلم تلمسه المرأة الشابة، وإنما رقدت، قائلة إنها ليست بخير حال.

وضعت الراهبة العمل أرضاً، وتساءلت في قلق: «ماذا هنا؟» وضعت امرأة قميصاً قرمزياً فوق رداء مبطن بلون براعم الكرز. وقالت: «تلك هي النوعية التي ينبغي أن ترتديها. كم هو مخجل أنك ترتدين اللون الرمادي!».

«آه، يا ثياب الراهبة الرمادية، الآن فيما غدوت كل ما أرتديه،

لشد ما تعود حياتي السابقة إلى ذاكرتي في ألوان هذه الأكمام!»

هكذا كتبت تقول وقد أحزنها، والدنيا هي ما عليه، أن الراهبة ستعلم، بلاشك، الحقيقة، إذا ماتت، وأنها ستؤلمها الطريقة التي حجبت بها ابنتها الجديدة السر عنها.

قالت في براءة: «لقد نسيت كل شيء عن ماضيَّ، ولكن الآن وأنت تعدين هذه الأشياء فإنني أحس بأن ذكريات حزينة قليلة تعاودني».

ردت الراهبة: «لكن لابد أنك تتذكّرين الكثير من الأمور! من القسوة من جانبك ألا تبلغيني بأي منها. وأنا نفسي نسيت منذ وقت طويل هذه الألوان التي يرتديها الناس في الدنيا، ولكن على الرغم من كآبتي، فليس بمقدوري منع نفسي من تمني أن تكون ابنتي على قيد الحياة! أليس هناك أحد كنت له على نحو ما كانت لي؟ حتى أنا، التي ماتت ابنتها

بالفعل، لازلت أتساءل إلى أين مضت، وأتوق إلى الذهاب إلى هناك للعثور عليها. لابد أنه لا يزال هناك أناس يفكرون فيك، فأنت في نهاية المطاف اختفيت فحسب».

«نعم، هناك بالفعل أحدهم، ولكنني أخشى أنها ربما تكون قد ماتت في الأشهر الأخيرة». انخرطت في البكاء، ولتحجب دموعها استطردت: «على الرغم من ذلك فليس بمقدوري أن أحدِّثك بشيء عن ذلك كله، حيث يؤلمني أشد الألم أن أحاول تذكُّره. وأعد بأنني لن أحجب أي شيء عنك.. صمتت كعهدها، فلم تقل المزيد.

الآن وقد قام القائد بإحياء الذكرى السنوية، فقد راح يفكِّر في الهشاشة البالغة التي كانت عليها هذه الصلة. لقد فعل كل ما بوسعه للابنين القادمين من هيتاشي، واللذين كانا قد كبرا الآن، حيث جعل أحدهما حاجباً والآخر مساعداً في حرس القصر الذي يتولى رئاسته. وكان قد قرَّر أن يجعل أكثرهما وسامة، والذي لا يزال صبياً، في خدمته الحميمية.

ذات مساء مطير هادئ مضى لزيارة جلالة الامبراطورة، والتي كانت بصحبتها في ذلك الوقت مجموعة محدودة من النسوة. وخلال الحديث أشار بقوله: «لقد تعرضت للانتقاد في وقت من الأوقات لانطلاقي بعيداً عاماً إثر آخر إلى قرية جبلية نائية، ولكنني واصلت القيام بذلك لأنني أحببت الاعتقاد أن بعض الأمور هي قدر مقدَّر، وأن المرء يحتاج أحياناً إلى أن يتبع فؤاده، ولكنني وصلت في نهاية المطاف إلى كره المكان، ربما بسبب طبيعته الخاصة، ثم إن الرحلة إلى هناك بدت طويلة. وقد توقفت وقتاً طويلاً عن المضي إلى هناك كلية، ولكنني ذهبت مجدداً أخيراً، ووجدت مناسبة متجددة للتفكير في الطابع العابر للحياة. وبدت لي الدار هناك كما لو كانت بيت ناسك شيد عن عمد لإثارة الطموح القدسي».

تذكَّرت جلالة الامبراطورة ما كانت قد سمعته من نيافة رجل الدين الموقَّر، وأشفقت على القائد، فقالت: «لابد أن روحاً مخيفة تقيم هناك؟ كيف خسرتها؟».

حدَّث نفسه:آه، لابد أنها لاحظت أن تلك لم تكن المرة الأولى. «ربما كانت تفعل ذلك. فهناك دوماً أشياء شريرة تقبع في أماكن منعزلة من ذلك القبيل. لقد كانت غريبة تلك الطريقة التي ماتت بها». لم يحدِّثها بالمزيد. فأحست بالألم لتخيله وهو يخمن أنها تعرف

بالفعل ما علَّق الآمال على أن يخفيه. فكَّرت في مدى انشغال وزير الحرب وكيف كان مريضاً في ذلك الوقت، وتعاطفت معه في نهاية المطاف. وخلصت إلى أنه من أجلهما كليهما فإن هذا الموضوع أكثر دقة وحساسية من أن تتم متابعته.

قالت بهدوء لكوزايشو: «تحدَّث القائد عن تلك المرأة الشابة بإحساس عظيم للغاية، وأحسست بأسف بالغ عليه حتى أوشكت أن أحدِّثه عنها، ولكنني فكرت في أن من الأفضل الإحجام عن ذلك، تحسباً لأنها قد لاتكون المرأة الشابة ذاتها. وأنت من سمعت القصة بالفعل، وفي المرة المقبلة التي تحادثينه خلالها أبلغيه بما قاله نيافته، ولكن احتفظي لنفسك بالأجزاء الصعبة».

«ولكن، جلالتكم، كيف يمكنني أن أناقش معه شيئاً ترددتم جلالتكم في الحديث عنه؟».

«لا، لا، كل شيء في موضعه. وفضلاً عن ذلك فإن لديّ سببا محدداً لالتزام الحرص».

أدركت كوزايشو جلية الأمر، وأعجبت بحرص جلالة الامبراطورة.

في المرة التالية التي رأت كوزايشو خلالها القائد أبلغته بالامر. كيف كان يمكن ألا ينعقد لسانه من فرط الدهشة؟ راح يتساءل في مرارة: لابد أن ذلك السؤال الذي طرحته عليَّ جلالة الامبراطورة كان يعني أنها سمعت شيئاً عما حدث، ولكن لماذا لم تبلغني به؟ بالطبع، أنا لم أقل لها أي شيء في ذلك الوقت، وفي حقيقة الأمر أنني قد حسبت أنني سأبدو أحمق على نحو أسوأ عندما يعرف الناس، ولم أبلغ أي أحد على الإطلاق. وعلى الرغم من ذلك فقد علم الناس بالأمر على أي حال. ووفقاً لحال الدنيا فإن الأسرار التي يرغب الناس في حجبها تُنشر دائماً في نهاية المطاف.

على الرغم من ذلك، فإنه لم يستطع إجبار نفسه على الاعتراف بكل شيء لكوزايشو، فقال: «الإنسانة التي تصفينها تبدو شبيهة إلى حد كبير بمن حيرني مصيرها. هل تعتقدين أنها لاتزال هنا؟».

«جعلها نيافة رجل الدين الوقور راهبة في اليوم الذي هبط فيه من الجبل. والقائمون

على رعايتها رفضوا السماح بذلك حتى عندما اشتد بها المرض، لأن ذلك بدا أمراً مزعجاً للغاية. وقد فهمت أنها هي نفسها التي أبلغت نيافته بأن تلك هي رغبتها التي تصر عليها».

كان المكان هو نفسه، والتفاصيل متطابقة. كم سيكون الشعور غريباً لو أن هذه المرأة الشابة تبين أنها هي! كيف يمكنني التيقن من ذلك؟ قد يعتقد الناس أنني أبله إذا شرعت شخصياً في طرح الاستفسارات، ولو أن معالي وزير الحرب علم بالأمر، فإنه سيفعل كل ما بوسعه لمنعها من المضي في الطريق الذي اختارته. ربما لم تقل جلالة الامبراطورة شيئاً، على الرغم من معرفتها بهذا الموضوع غير المألوف، لأنه هو طلب منها ألا تفعل ذلك. وإذا كان هو ضالعاً في الأمر، فسوف اضطر إلى اعتبارها في عداد الأموات حقاً مهما كانت قوة شعوري حيالها. وإذا كانت بين الأحياء مجدداً، فإنه عند اكتمال الوقت ستتاح لي أنا وهي الفرصة للحديث سوياً عن الينابيع الصفراء[1]. ولن أرغب في أن أحظى بها لنفسي مجدداً. وأفضت به هذه التأملات المفعمة بالعذاب إلى الشك في أن جلالة الامبراطورة ستبلغه بالأمر، ومن هنا فقد قرَّر انتهاز لحظة لمناقشة الأمر معها.

«دُهشت، أخيراً، لمعرفة أن أحد من أحزنني فقدهم أشد الحزن لا يزال على قيد الحياة في ظل ظروف مؤلمة. وقد وجدت الخبر مما يصعب تصديقه، ولكنني لم أتخيل أنها ستتحرك بهذه السرعة لهجراني، ومن هنا فقد اعتقدت أن الأمر ممكن إلى حد كبير، حيث إن هذا السلوك بدا في نهاية المطاف مما يتفق مع ما درجت عليه». وأبلغ جلالة الامبراطورة بأكثر من ذلك قليلاً، محجماً بكبرياء مثيرة للإعجاب عن الحديث بصورة غاضبة عن الدور الذي كان معالي وزير الحرب قد لعبه في القصة. «من المؤكد أن معاليه سيعتقد أنني ممسوس بصورة تدعو للسخرية، إذا سمع بأنني أبحث عنها مجدداً، ولذا فإنني أعتزم التظاهر بأنني لا أعرف شيئاً».

«لقد وصف نيافته ليلة مفزعة للغاية إلى درجة احتفظت في ذاكرتي بالقليل مما قاله. وإنني أشك في أن معاليه قد سمع بأي شيء من هذا. وما فهمته من موقفه يدعو للشعور بالصدمة، وسأكون آسفة حقاً إذا ما قُدِّر له أن يعرف بهذا قط. ويؤسفني أشد الأسف أن يكون معروفاً بعبثه الداعي للاستنكار».

---

(1) أرض الموتى.

كانت شديدة الحرص في حديثها، وعرف أنه حتى في غمار حوار حميم فإنها لن تفصح عن أي شيء تم ائتمانها عليه.

راح يمعن التفكير في الأمر ليلاً ونهاراً. أي قرية جبلية يمكن أن تكون مقيمة فيها؟ كيف يمكنني المضي في هدوء في البحث عنها؟ أحسب أن أفضل شيء سيكون المضي ورؤية نيافته والسماع منه بما حدث بالفعل.

زار بانتظام القاعة الرئيسية[1] على الجبل، فيما يتعلق بالطقوس التي قام بأدائها هناك شهرياً، في اليوم الثامن، تكريماً لبوذا ياكوشي[2]، ومن ثم فقد قرّر الانطلاق من هناك إلى يوكاوا. واصطحب أخاها الأصغر معه. خلص إلى القول، ربما لتصعيد الطابع الحلمي للقائهما الفعلي معاً، لن أبلغ أمها على الفور، وخير لي أن أتبين أولاً طبيعة الأمور حالياً. ومع ذلك فقد مضى يفكّر متخوفاً طوال الطريق إلى هناك في كيف سيكون مؤلماً، حتى إذا تعرفها أن يجدها في إهاب مثير للشفقة بين نسوة غريبات المظهر وبحكاية محزنة ترويها.

---

(1) تشودو (كونبون تشودو) مبنى المعبد المركزي على جبل هايي. وهو على مسافة ليست كبيرة إلى الجنوب من يوكاوا.

(2) بوذا الطب، الذي ازدهرت عبادته في الأزمنة الهايانية. وكان اليوم الثامن من الشهر أحد أيام الاحتفال به.

54

يومي نو يوكيهاشي

جسر الأحلام العائم

لايظهـر تعبيـر يومي نو يوكيهاشـي («جسـر الأحلام العائم») فـي هذا الفصل، وأهميتـه كعنوان له موضع جدل ونقاش.

الصلة بالفصول السابقة

يواصل «جسر الأحلام العائم» القصة التي يرويها «إبداع الخط» من دون أي انقطاع، خلال عام كاورو الثامن والعشرين.

الشخوص

القائد، 28 عاماً (كاورو)،

نيافة رجل الدين البارز يوكاوا، أزيد من 60 عاماً (يوكاوا نو سوزو).

الأخ غير الشقيق الأصغر ليوكيفوني (كوجيمي).

امرأة شابة، حوالى 22 عاماً إلى 23 عاماً (أوكيفوني).

أخت نيافة رجل الدين البارز، راهبة.

مضى القائد إلى الجبل، وأمر بتكريس أيقونات ونسخ من النصوص المقدسة هناك، وفقاً لعادته. وفي اليوم التالي واصل مسيرته إلى يوكاوا، حيث استقبله نيافة رجل الدين البارز بإجلال واندهاش. ولم يكن الاثنان مقربين بصورة خاصة من قبل قط، على الرغم من أن القائد كلَّفه بأداء الصلوات على مر السنين، ولكن الآن، بعد أن شاهد الأعاجيب المميزة التي أنجزها نيافته من أجل الأميرة الأولى المريضة، فمن المفترض أنه قد استشعر احتراماً جديداً له وإيماناً أعظم إلى حد ما من ذي قبل، ومن المؤكد أن نيافته قد قال لنفسه، وهو يسرع للترحيب به، إن ذلك لابد أنه يفسر هذه الزيارة من جانب سيد نبيل له وزنه. وقد تحدَّث القائد مطوَّلاً، وقدم له نيافته الأرز وما إلى ذلك.

سأل القائد لدى استقرار رجاله قليلاً: «هل لديك بالمصادفة دار في أونو؟».

«نعم، لديَّ دار هناك. ليست بالدار الفخمة. أمي راهبة وقد تقدَّم بها العمر الآن، وقد اعتقدت أن هذه الدار تناسبها، فيما أنا معتكف في الجبل، ذلك أنه ليست لديَّ دار مناسبة في المدينة. ويمكنني أن أزورها هناك في أي وقت نهاراً أو ليلاً».

«علمت أن عدداً كبيراً من الناس كانوا يقيمون في ذلك المكان حتى وقت قريب، ولكنه مهجوراً تقريباً الآن». دنا من نيافته، وواصل الحديث بصوت منخفض للغاية: «أخشى أنك قد توافق بالكاد، وأنا متردد في طرح الموضوع على أي حال، ولكن كما ترى فقد سمعت أن من أشعر بأنني مسؤول عنها تختبئ هناك. وقد حرصت على الحديث معك لدى تيقني من الأمر فيما يتعلق بها، ولكن قيل لي إنك قد منحتها الوصايا وإنها الآن تابعة لك. هل ذلك صحيح؟ جوهر الأمر أنها لاتزال في مقتبل العمر، ولها أم، ويجري اتهامي بأنني تسببت في موتها».

قال نيافته لنفسه: فهمت، كنت أعرف أنها لا تبدو مثل أي فتاة عادية، ومن خلال الحكم استناداً إلى الطريقة التي يتحدَّث بها عنها فإنها تعني الكثير بالنسبة إليه. وعلى الرغم من أنه راهب، إلا أنه ندم على قيامه بصورة مفاجئة وبلا إمعان للتفكير، بجعلها ترتدي مسوح الراهبات، واقتضى توصله إلى رد بعض الجهد منه. ومضى يحدِّث نفسه: من الجلي أنه لديه معلومات جيدة، وسيكون مما لا طائل وراءه حجب أي شيء عنه، إذا كان يعرف هذا

القدر ويرغب الآن في معرفة المزيد. وأي محاولة للقيام بذلك لن تسفر إلا عن المزيد من المتاعب.

هكـذا فإن نيافتـه رد قائلاً، بعد لحظات من التأمل: «أتسـاءل عمن عسـاك تقصد. ربما كنت تعني المرأة الشـابة التي حيَّرتني كثيراً بصورة شـخصية على امتدد الأشهر الماضية». واصـل الحديـث: «لقد مضت الراهبات المقيمات هناك إلى الحج لصلاة في هاتسوسـي، وفـي طريـق عودتهن أقمن في مكان يُدعى دارة أوجي. وبينما كن هناك، تلقيت خبراً مفاده أن أمـي حل المرض بسـاحتها فجأة، فذهبـت إليها. وقمت باكتشـاف غريب فور وصولي إلـى هناك». ومضى في الحديث همسـاً: «تخلـت أختي عن أمها المحتضـرة لترعاها برقة بالغـة بـدلاً منهـا. وبدت المرأة الشـابة ميتة، لكنها كانـت لاتزال تتنفس، وتـم تذكيري في غمار دهشتي بالحكاية القديمة عن عودة أحدهم إلى الحياة بعد وضعه في ملتجأ الروح[1]. واسـتدعيت أتباعاً يتمتعون بقوى شـفائية، وجعلتهم يؤدون الطقوس من أجل عودتها شيئاً فشـيئاً. أمـا فيما يتعلـق بي، فإن أمـي، بالطبع، من الإيغال فـي العمر فلا يحتـاج المرء إلى الأسف على رحيلها، ولكنني صليت لبوذا لكي يوفر عليها مثل هذه المعاناة فيما هي بعيدة عـن الدار ولكي يسـمح لها بترتيل الاسـم المقدس بلا تشـويش، وفي غضـون ذلك لم أر الشـابة إلا قليـلاً. وافترضت لدى التأمل فـي الأمر أن روحاً مخادعة[2] أو روح شـجرة قد اصطحبتهـا إلـى هذه البقعة عن طريق الخداع. وقد ظلت تبدو كما لو كانت ميتة طيلة ثلاثة أشهر، حتى بعد أن تم إنقاذها واصطحابها إلى المدينة[3]. وكانت أختي، وهي أرملة مراقب حراسـة البوابة الراحـل والراهبة حالياً قد فقـدت ابنتها الوحيدة منذ وقـت طويل، ولزمت الحداد عليها بعمق منذ ذلك الوقت. وبالنسبة لها فقد كان الأمر هدية رائعة من البوذ يساتفا تمثلت في العثور على فتاة من العمر نفسه، وتتمتع بجمال ملحوظ فضلاً عن ذلك، وبذلت قصارى ما وسعها لتبقيها على قيد الحياة، وتوسلت إليَّ بدموع بالغة الغزارة للقدوم بنفسي إلى حد أنني فعلت ذلك، وقمت بأداء طقس للحماية، انتعشـت الشابة بعده أخيراً، وغدت إنسـية، ولكنها أبلغتني محزونة بأنها تحس كما لو أن الشـيء الذي مسـها لا يزال معها، في

(1) تامادونا، حيث يُسجى الجثمان قبل إحراقه. والحكاية التي يشير إليها المتحدِّث مجهولة.

(2) تينجو، روح مخادعة تُغيِّر شكلها، غالباً ما يرد ذكرها في الفولكلور الياباني.

(3) طريقة غريبة في الإشارة إلى أونو، حتى إذا نظر إليها من مسافة أوجي.

نهاية المطاف، وأنها تريد الهرب من تأثيره الشـرير وتكريس نفسها للصلاة من أجل الحياة المقبلـة. ووجـدت أن رغبتها جديرة بالإشـادة، بما أنني راهب بدوري، وسـمحت لها بأن تصبح راهبة. وبالطبع لم يدر بخلدي قط أنكم بأنفسـكم سـتعلنون المسـؤولية عنها. ولم أقل شـيئاً للجميع طوال هذه الشـهور، لأن راهباتي الموغلات في العمر قد شددن على أنه سـتكون هناك متاعب إذا سـمع الناس بأمرها، وأن الظروف غير مألوفة بالمرة بحيث إنهم سيتحدَّثون عن الأمر بالتأكيد، إذا سمعوا به».

أحس القائد، بعد أن قطع بالفعل هذا الشوط الطويل للتأكد من شائعة تناهت من بعيد، كأنمـا لابـد أن يكون في حلم، عندما أدرك أن الشـابة التي كانت على يقين من موتها كانت في حقيقة الأمر على قيد الحياة، ولم يستطع الحيلولة دون تدفق الدموع إلى عينيه. غير أنه لـم يرغـب في أن يبـدي أي ضعف من هذا القبيل في حضور نيافتـه المهيب، ومن ثم أفلح في استعادة تمالكه لزمام نفسه.

في غضون ذلك شعر نيافته كما لو كان قد أخطأ خطأ جسيماً بتحويل شابة بالغة الأهمية بالنسـبة للقائد إلى مخلوقة تتسـاوى حياها مع موتها،فقال: «لاشك في أنها قد مستها روح شريرة، ولكن لابد أن قدرها من حيوات سابقة هو الذي قادها إليها. وأحسب أنها قد ولدت لعائلة نبيلة. ترى أي انزلاقة من جانبها هي التي أكسبتها هذا المصير؟».

«أعتقـد أن المـرء يمكنه القـول إنها تنحدر من منبـت امبراطوري بشـكل أو بآخر. وأنا نفسـي لـم أقصد تكريمها بشـكل خـاص، ولكن على الرغم مـن أن ما جلبها إلـيَّ لم يكن يتجـاوز الصدفـة كثيـراً، فإننـي لم أشـعر قط بأنها تسـتحق التـردي إلى هذه الحـال. وبعد اختفائها العجيب، فكرت ضمن أموركثيرة أخرى في احتمال أن تكون قد أغرقت نفسـها، ولكـن لم تكن لديَّ معلومات ذات مصداقية يمكن الاعتمـاد عليها. وفيما يتعلق بي فإنني سـعيد فحسـب بأنها ما هي عليه الآن، بما أن ذلك سـيخفِّف من خطيئتها، ولكنني فهمت أن أمهـا حزينة أشـد الحزن، وأود أن أبلـغ أمها بما علمته، ولكنني أخشـى أن قيامي بذلك مـن شـأنه أن يلغي العنايـة التي حرصت من خلالها علـى إخفائها طوال هـذا الوقت، وأنه قد لا يسـفر إلا عن المتاعب، فمن شـأن محنة تعيشـها أن تجعلها ترغـب يقيناً في المضي لرؤيتها».

عندئذ وصل القائد إلى جوهر الموضوع، فقال: «إنني أعتذر لطلب جميل يقل كثيراً عن مكانتك الرفيعة. ولكن كن من لطف الحاشية، رجاء، واصحبني إلى أونو. إنها ليست بالتي يمكنني الآن الاكتفاء بتنحيتها جانباً، بعدما سمعته، وأود أن أناقش معها كل هذه الأمور التي تبدو لي إلى حد بعيد كما لو كانت حلماً».

تحدَّث كما لو كان يحبها حباً جماً، فأحس نيافته بأنه يقف في أسوأ المواقف. فهي تعتقد الآن أنها راهبة، وأنها نبذت الدنيا، ولكن حتى الراهب حليق الرأس تظل له رغباته التي لا تليق به، فماذا عنها إذاً وهي امرأة؟ ياللحسرة، إن الوضعية الراهنة للفتاة المسكينة لا تفضي بها إلا إلى الخطيئة. قال: «لا يمكنني النزول إلى هناك في الأيام القليلة المقبلة. ولسوف أكون على اتصال بك في وقت مبكر من الشهر المقبل».

لم يكن القائد في وضع يسمح له بالإصرار على ما طلبه بصورة تعكس صبراً نافداً، أياً كانت درجة إحباطه، ومن هنا فقد تقبَّل ما طرح عليه، واستعد للرحيل. وكان قد أحضر معه أخاها الصغير - وهو فتى أكثر وسامة من أخيها غير الشقيق الآخر - واستدعاه الآن للمثول في حضرته. وأوضح لنيافته الأمر: «إنه قريب للمرأة الشابة، وأنا أعتزم إرساله إلى هناك تواً. أرجو أن تعطيه رسالة ليحملها معه ولا تأت على ذكري مباشرة، وإنما دعها تعرف فحسب أن هناك من يبحث عنها».

«ستكون خطيئة بالنسبة لي أن أقوم بأي دور مثل هذا في جلبك إليها. وقد أبلغتك بالفعل بكل شيء. والأمر وقف عليك إن أردت الذهاب بنفسك، ومن ثم التصرف وفق تقديرك. ولست أرى خطأ في قيامك بذلك».

ابتسم القائد، وقال: «إنه ليجرح مشاعري أن يبدو لك طلبي حاملاً لخطر الخطيئة. وأنا نفسي لست أدرك كيف أمكنني أن أعيش كل هذا الوقت كرجل عادي، فقد كانت أعمق رغباتي منذ يفاعتي أن أترك هذه الدنيا، ولكن لسوء الطالع أن سمو الأميرة المترهبنة المقيمة في سانجو ليس لها أحد سواي، وإن لم يكن ذلك راجعاً لجدارتي وتميزي، وهي صلة لم أتمكن من تجاهلها قط. وبينما كنت أقوم برعايتها، واصلت مرتبتي الارتفاع، والآن لم أعد سيد نفسي حقاً. وهذا الأمر يشغلني كعهده دوماً، ولكن اهتمامات جديدة تواصل البروز لتحول بيني وبين التحرك، إلى أن لم يعد هناك الكثير مما يمكنني القيام به لتجنب هذه

الاهتمامات، في أي من حياتي الخاصة أو العامة. غير أنه فيما يتعلق بما تبقى فإني أحرص علـى ألا أقـوم البتة بما يحظره بوذا، بقدر ما أتفهم هذه الأمـور، وفي قرارة فؤادي فإنني لا أقـل عـن رجل دين، فكيف يمكنني أن أضع نفسـي موضع المخاطـرة بارتكاب خطيئة في مثل هذا الأمر الهين؟ لا، هذا لا يمكن أن يكون! لاينبغي أن تشـك فيَّ. وسـأكون سـعيداً تماماً إذا أمكنني أن اكتشف ظروفها لنفسي فحسب، ولأضمن الراحة لقلب أمها».

أومأ نيافته معلناً موافقته، وقال: «إن نواياك جديرة بأعظم الثناء». كانت الشمس بسبيلها إلـى المغيب. وكان يمكن لأونو أن تكون مكاناً جيداً لقضاء الليل في طريق العودة، ولكن القائد لم يشعر بأنه على استعداد للذهاب إلى هناك بنفسه، وهو لا يزال مشوَّش الأحاسيس، وتأهب للعودة مباشرة إلى المدينة.

في غضون ذلك، وقعت عينا نيافته على الفتى. وأشـار القائد بقوله: «يمكنك أن تجعله يعلمها فحسـب بما تتوقعه». وهكذا فقد كتب نيافته الرسـالة، وأعطاها للفتى، وقال: «لابد لك من القدوم ورؤيتي أحياناً على الجبل، فقد تحس بأنني لست غريباً عنك حقاً». لم يدرك الفتـى ما قصده، ولكنه أخذ الرسـالة، وانطلق مع القائـد. وطلب هذا الأخير من مرافقيه أن ينتشروا قليلاً، عندما وصلوا إلى أونو، وقال: «لست أريد لفت الأنظار».

كان المشـهد في أونو تسوده الخضرة والجبال التي تكسوها أوراق الأشجار، ولم يكن هناك غير ذلك مما يمكن أن يسـتقطب النظر. وكانت الشـابة تلوذ بعزاء الذكريات القديمة فـي الحُباحُب على امتـداد غدير الحديقة، وتحدِّق كالمعتاد باتجـاه مدخل الوادي، عندما لاحظت جمعاً كبيراً يحمل مشاعل متألقة ويشق طريقه بصورة حافلة مجتازاً المكان.

خرجت أخت نيافته إلى الشـرفة، وقالت إحدى نسائها: «ترى من عساه يكون، يبدو أنه جمع كبير حقاً».

ردت الراهبـة: «اليوم عندما شـكرني نيافته على عشـب البحر المجفَّـف الذي بعثت به إليه، قال إنه جاء في الوقت المناسب لأنه يستضيف سعادة القائد».

«أتقصدين القائد الذي تزوج سعادة الأميرة الثانية؟».

كم هو ناء هذا المكان وما أشد اتسامه بالطابع الريفي المقيت! نعم، لابد أنه هو. كانت

قـد تعرفـت بجلاء أصـوات الأتبـاع الذين قدمـوا معه في بعـض الأحيان فـي رحلاته إلى أوجي. لم يمح الزمن تلك الذكريات، ولكن أي جدوى منها لها الآن؟ انزعجت، وبحثت عن ملاذ في التفكير في أميدا، وجلسـت في صمت أكثر عمقاً من المعتاد. كان الوحيدون الذين يسلكون هذا الطريق هم الذين يسافرون إلى يوكاوا والذين يعودون منها.

أراد القائـد أن يبعـث بالفتى إليها مباشـرة، ولكن كان هناك الكثير مـن الناس معه فكان ذلك مما لا يُنصح به. وبدلاً من ذلك عاد إلى الدار، وبعث به سراً في اليوم التالي مع اثنين أو ثلاثة من الأتباع المراقبين بصفة خاصة ومرافق اعتاد أن يبعث به إلى أوجي.

دعـا بالفتـى فيما لم يكن هناك من يسـتمع إليهما. وقال له: «هـل تتذكَّر ما كانت أختك تبـدو عليه.. الأخـت التي ماتت؟ لقد كنت توصلت إلى أنها لم تعـد في هذه الدنيا، ولكن يبدو الآن أنها على قيد الحياة بالقطع، فامض وشاهدها، إذاً. إنني أريد تجنب السماح لأي أحـد ليـس مقرباً منها بأن يعرف. فلا تبلغ أمك الآن، فالوقـت لا يزال جد مبكر على القيام بذلك، وكل ما سـتفعله هو إثارة ضجة كبيرة، وسـوف يكتشف الأمر أناس لا ينبغي لهم أن يعرفوا به. وأنا لا أتابع هذا الأمر إلا لأنني أحس بالأسـف عليها». وجعل الفتى يقسـم على التزام الصمت مجدداً.

كان للفتـى الكثير مـن الإخوة والأخوات، ولكن الجمال الاسـتثنائي الذي يتمتع به أثَّر بعمـق دوماً في نفس القائد بأسـلوبه الطفولي، وجعلته أخبـار موتها حزيناً للغاية. وجعلت كلمـات القائـد الدموع تبدأ في الانهمار من عينيـه، وأدت محاولته المحرجة لإخفائها إلى تلفظه بكلمات جافة: «كما ترغبون!».

وصلـت رسـالة من نيافتـه إلى أونو، فـي وقت مبكر مـن ذلك الصبـاح. وكان قد كتب يقـول: «هل وصل فتى، مبعوث من سـعادة القائد، إليكم البارحة؟ أرجو أن تبلغي السـيدة الشـابة بأنني مستاء، الآن وقد سـمعت بما حدث، وأنني أحس بالفعل ببعض الندم، ولديَّ أنا نفسي الكثير مما يتعين إبلاغها به، وسأكون في خدمتكم في الأيام القليلة المقبلة».

ما الذي يمكن أن يعنيه هذا؟ حملت الراهبة المندهشـة الرسـالة إلى الشـابة، وجعلتها تقرأها، فجلست هناك في صمت، وقد تضرَّجت بحمرة قرمزية، من جراء الخاطرة المؤلمة

القائلة إن سرها قد ذاع، وإن الراهبة ستضيق ذرعاً بحجب الأمر عنها، ولم تدر بم عساها ترد».

ضغطت عليها الراهبة في غضب، قائلة: «لابد لك من إبلاغي بجلية الأمر! لقد كنت قاسية للغاية لمعاملتي بهذه الطريقة!». كانت قد وصلت إلى حالة من الانفعال الشديد، وهي تجهل الظروف، عندما أعلن صوت تناهى إليها: «جاء أحدهم إلى هنا من الجبل حاملاً رسالة من نيافته».

كانت هذه مفاجأة جديدة، ولكنها افترضت أن هذه الرسالة لابد أن تكون الرسالة الحقيقية، وطلبت جعل الرسول يدنو منها، وعندئذ أقبل فتى وسيم للغاية ومهذب يرتدي ثياباً جميلة. ووضعت له وسادة ليجلس عليها، وانحنى محيياً أمام الستائر الحاجبة، وقال: «أبلغني نيافته بأنني لن يتم استقبالي بهذه الطريقة»، ومن هنا فإن الراهبة حدَّثته بنفسها. أخذت الرسالة وقرأت «إلى السيدة الشابة الراهبة من الجب»، وكان نيافته قد وقعها باسمه.

لم تستطع الشابة الزعم بأن الرسالة ليست موجهة لها. تراجعت بصورة أكبر في الغرفة، وقد استبد بها الحرج، لم تنظر في عينيّ أحد. «من المؤكد أنك هادئة للغاية على الدوام، لكن هذا أكثر بكثير مما ينبغي». قرأت الراهبة رسالة نيافته.

«أقبل سعادة القائد إلى هنا هذا الصباح ليستفسر بصورة أكبر في الغرفة، وقد استبد بها الحرج، ولم تنظر في عيني أحد». من المؤكد أنك هادئة للغاية على الدوام، لكن هذا أكثر بكثير مما ينبغي». قرأت الراهبة رسالة نيافته.

«أقبل سعادة القائد إلى هنا هذا الصباح ليستفسر عنك، وحدَّثته بكل ما أعرفه. لقد أدرت ظهرك لإخلاصه العميق، لتنبذي الدنيا وسط ريف جبلي خشن، ومن خلال الحكم بما أزعجني الآن أن أعرفه فإن هذا يمكن، على العكس، أن يجلب عليك إدانة من بوذا. ولا مفر من هذا. أود أن تعرفي أنك لا ينبغي أن تعرضي للخطر بصورة أكبر صلتك به، وأنك ينبغي أن تبعدي عن خطيئة ارتباطه بك، وأن تتقي في غضون ذلك أن يوم التنكر للدنيا يخلع عليك جدارة لا سبيل إلى قياسها. لسوف أناقش هذا الأمر معك بنفسي بتفصيل

أكبر. ولاشك في أن الفتى الصغير الذي يجلب لك هذه الرسالة سوف يبلغك بالمزيد». كان قد تحدَّث بوضوح تام في رسالته، ومع ذلك فإنه ما من أحد غيرها كان يمكنه أن يفهم بصورة كاملة ما كتبه.

طلبت الراهبة في إلحاح معرفة المزيد: «من هو هذا الصبي؟ أليست هناك نهاية لقسوتك؟ إنك تحجبين كل شيء عني الآن.

نأت الشابة قليلاً، ونظرت إلى الخارج. كان هذا الأخ هو الذي افتقدته كثيراً في تلك الأمسية التي ظنت أنها أمسيتها الأخيرة. كان صبياً صغيراً، متصلفاً وعابثاً عندما كانوا يقيمون جميعاً سوياً، ولكن أمها كانت مولعة به للغاية، بل إنها قد جلبته معها بين الحين والآخر إلى أوجي. وقد أحب كل منهما الآخر فيما هو يكبر، والآن بدت ذكرى تصرفاته الصبيانية بالنسبة لها كالحلم. كان ما أرادته في المقام الأول هو أن تسأله عن حال أمهما، لأنه على الرغم من أنها سمعت بعض الأخبار عن الآخرين، فإنها لم تصلها كلمة واحدة عنها. ومن هنا فإن مرأى أخيها غمرها بالحزن، فانفجرت باكية.

كان صبياً جذاباً للغاية، وظنت الراهبة أنها قد لاحظت شبهاً طفيفاً بينهما. «إنه أخوك. أليس كذلك؟ إنني على يقين من أن لديه الكثير ليبلغك به. سأجعله يدخل إلى هنا».

«آه، لا! سأكون أشد خجلاً من أن أسمح له بأن يراني فجأة وقد تغيرت على هذا النحو بالغ الفظاعة، فيما هو الآن لا يعتقد أنني على قيد الحياة!». كفت عن البكاء لحظة. «كما ترين، فإن السبب في أنني لم أبلغك بشيء هو أنني كرهت تصورك وأنت تعرفين مدى ما حجبته عنك. ولابد أن المشهد المحزن الذي لاشك في أنني قد ظهرت به قد ضايقك، ولكنني لم أستطع آنذاك تذكُّر أي شيء من ماضيَّ، وأحسب أن ذلك يرجع إلى أنني لم أكن في حالة ذهنية سليمة وإلى أن روحي، إن كانت تلك هي الكلمة المناسبة، لم تعد على ما كانت عليه، ولكنني عندئذ سمعت السيد النبيل الذي حدثوني بأنه حاكم كي وهو يحدثك عن أناس أحسست بأنني عرفتهم ذات يوم، وبدا لي أنني بدأت في تذكُّر أشياء، وواصلت التفكير في الأمر كله بعد ذلك، ولكنني لم أستطع تبين أي شيء بوضوح. وعلى الرغم من ذلك فقد كانت هناك سيدة لا تتوق إلى شيء إلا إلى أن أكون سعيدة، وواصلت التساؤل عما إذا كانت لاتزال على قيد الحياة. ووسط أحزاني لم أكف عن التفكير فيها. والآن

يمنحني محيا هذا الصبي هنا الشعور بأنني عرفته عندما كنت صغيرة، ولكن الذكرى مؤلمة للغاية، ولست أريد أحداً مثله أن يعرف أنني لا أزال على قيد الحياة. والسيدة التي ذكرتها هي الوحيدة التي أريد رؤيتها، إذا كانت لاتزال تحيا، ولا أريد أن يعرف ذلك السيد النبيل الذي ذكره نيافته أي شيء عني. أرجوك، أرجوك أن تبلغيه أن خطأ ما قد حدث وواصلي إخفائي!».

ردت الراهبة في معاناة شديدة: «ليس ذلك ممكناً، فنيافته صريح على غير المعتاد حتى بالنسبة لرجل دين، وأنا على يقين من أنه قد أبلغ ذلك السيد النبيل بكل شيء. وسرعان ما سيعرف كل ما يتعلق بك، ومثل هذا النبيل العظيم ليس بالذي يمكن العبث معه».

قالت النسوة إحداهن للأخرى: «من الذي سمع قط بمن هي على هذا القدر الوحشي من العناد؟». أسدلن ستارة عند حافة الغرفة، ودعون الصبي للدخول[1].

قيل للصبي إن أخته هناك، ولكن نظراً لكونه صغير السن للغاية فقد كان أكثر خجلاً من أن يخاطبها من تلقاء نفسه. وقال وعيناه منكستان: «لديَّ رسالة أخرى يُفترض أن أعطيها لها. وقد كان نيافته واثقاً تماماً من أنها هنا، ولكنني أخشى أنني ليس بمقدوري أن أحدِّد ما إذا كان ذلك صحيحاً!».

هتفت الراهبة: «ياللفتى المسكين! نعم، أعتقد أن السيدة التي وجهت إليها الرسالة موجودة هنا. ونحن الأخريات لانتفهم جلية الأمر تماماً، ولذا فلابد لك من أن تحادثها بنفسك. إنك صغير في السن للغاية، ولكنني واثقة من أن سعادة القائد محق في ثقته بك».

«ما الذي يمكنني أن أقوله لها بينما هي لا تقر حتى بأنها تعرفني؟ إذا لم ترد أن تكون لها صلة بي، فليس لديَّ ما أقوله لها. لقد قال لي إن عليَّ أن أعطيها بنفسي هذه الرسالة، ولذا فلابد لي من القيام بذلك».

ألحت الراهبة على الشابة بقولها: «بالطبع، لابد له من ذلك. لا تكوني شديدة العناد،

(1) بعد أن كان الصبي في الشرفة، خارج الستائر الحاجبة بين الشرفة والدهليز، فإنه الآن يتم إحضاره ليجلس في الدهليز، خارج الستائر الحاجبة بين الدهليز والغرفة. والستارة القائمة إلى الداخل من الغرفة مباشرة، بعد تلك الستائر الحاجبة ذاتها.

لطفاً! إن موقفك مخيف تماماً حقاً». تحركت باتجاه الستارة القائمة، حيث جلست الشابة كأنما هي ليست موجودة على الإطلاق، وهي سمة أعطت الصبي بالفعل الإحساس بأنه يتعرفها حقاً، فوضع الرسالة بجانب الستارة.

«أود أن أطلب رداً سريعاً حتى يمكنني عندئذ المضي في طريقي».

كان بعد هذا الاستقبال الفاتر بصورة قاسية متلهفاً إلى المضي لشأنه. فتحت الراهبة الرسالة، وقدمتها إليها. كان خطه كعهده دائماً، والعبق الذي عطرت به الورقة يتسم بكثافة توشك أن تكون رهيبة. ولاشك في أن النسوة، اللواتي كن يسارعن دوماً إلى الإشادة والمديح، قد حلقت بهن الفرحة عالياً عندما لمحنها من بعيد.

كان قد كتب يقول: «من أجل نيافة رجل الدين الموقر، فإنني أغتفر لفؤادك خطاياك العديدة والثقيلة على نحو لا يفصح عنه اللسان، وخطايا فؤادي، الذي يتوق الآن على الأقل إلى الحديث عن تلك الأيام الرهيبة، الأيام التي تبدو حلماً، والتي تتركني، على الرغم من نفسي، لقلق عظيم. ما الذي سيظنه الناس فيَّ إذاً؟» لم يفلح في صياغة مشاعره في كلمات.

«منطلقاً في الطريق الذي أيقنت من أنه سيمضي بي إلى معلم الشرع،

ضللت طريقي وضربت في جبل لم أنشده قط[1].

هل نسيت هذا الصبي؟ إنني أبقيه معي تذكاراً لمن اختفت بلا أثر».

كانت الرسالة عميقة المشاعر ودقيقة بما فيه الكفاية إلى درجة أن تثبِّط أي تفكير في التظاهر بأنها ليست موجهة لها، ولكن على الرغم من ذلك فإن الإحساس بالخجل من تركه يراها في إهابها الحالي المتغير على نحو محزن ألقاها في رحاب تشوش بالغ مما أغرقها في كآبة أعمق، ولم تحر قولاً، وبدلاً من ذلك رقدت هنالك منخرطة في البكاء.. ولم تستطع النسوة تصور مايمكنهن القيام به نحوها، واعتقدن أنها بالغة الغرابة.

ألحَّت الراهبة في السؤال: «كيف أرد عليه؟».

---

(1) جبل الهوى.

«أحسب أنني لست على مايرام، لست على مايرام على الإطلاق. وسأرد في وقت لاحق، عندما أحس بأنني أفضل حالاً، فأنا أحاول أن أتذكر، ولكن ما من شيء يعود إلى ذاكرتي، ولا يمكنني تبين ما حلمت به. ربما سأتعرف هذه الرسالة عندما أكون قد استعدت القليل من الهدوء. أما بالنسبة لليوم فعليك باستردادها، لطفاً. فسوف يكون أمراً فظيعاً إذا تبين أنها موجهة إلى شخص آخر».

دفعت الرسالة بلطف نحو الراهبة.

«موقفك فظيع! إذا كان لابد لك من أن تكوني مفرطة في الوقاحة، فإنك ستورطيننا بدورنا نحن اللواتي نقوم على رعايتك!». رقدت المرأة التي لم ترغب في الاستماع إلى عبارات اللوم الحادة هذه، وقد دفنت وجهها في ملابسها.

تبادلت الراهبة حديثاً قصيراً مع الصبي. قالت: «ربما كانت هناك روح تلحق الضرر بها، فهي لاتبدو البتة في حالة ذهنية عادية، وهي ليست على ما يرام بصورة مستمرة، ومنذ اتخذت هذا الإهاب غير المألوف، ساورني القلق حول أنه قد تقع متاعب خطيرة، إذا جاء أحد بحثاً عنها. وكنت على حق أيضاً، لأنه الآن فيما أوضح سعادة القائد بصورة مؤثرة كيف أنها تعني له الكثير، فإنه لا يمكنني إلا التقدم باعتذارات بائسة. لقد كانت مريضة تماماً أخيراً، وأحس أن هذا كله ربما زادها ارتباكاً، لأنها تبدو في اللحظة أقل صفاء من المعتاد».

قدَّمت له وجبة شهية من المقبلات المجلوبة من الجبال القريبة، ولكنه كان صغير السن للغاية، وظل مرتبكاً تماماً. وتساءل: «ما الذي يمكنني الآن إبلاغه به كل المتاعب التي تجشمها؟ لو أنها قدمت لي كلمة فحسب!».

ردت الراهبة: «بالطبع»، وكرَّرت ما كان قد قاله للمرأة الشابة، ولكن بلا جدوى، حيث إنها لم تحر رداً.

«أحسب أنه بمقدورك فحسب أن تصف لسعادة القائد الحالة البائسة التي هي عليها. لا يفصلنا أمد رحب من السحاب عن المدينة، وأياً كانت الرياح الجبلية التي قد تهب، فإنني آمل أنك ستجيء مجدداً».

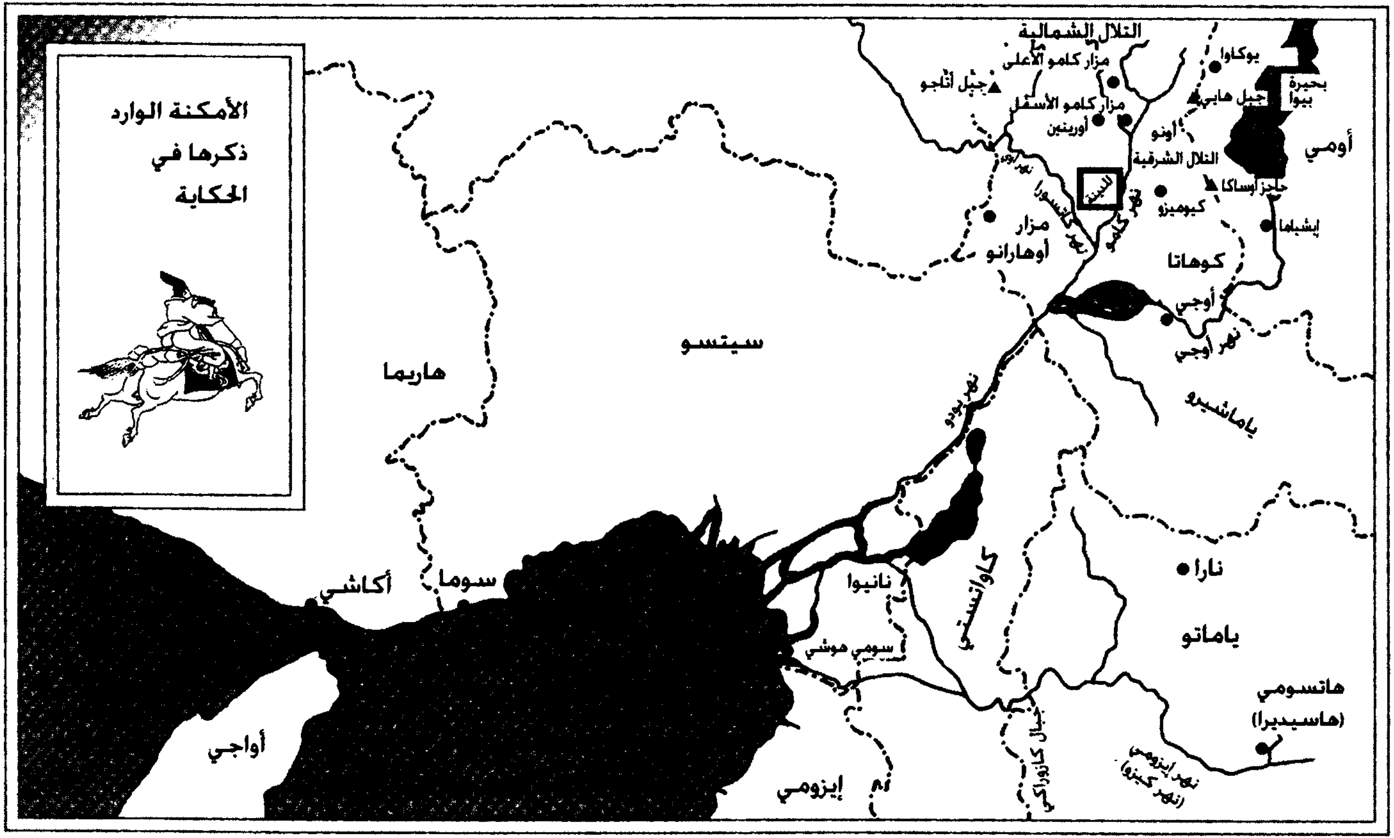
كان البقاء حتى المساء، بالنسبة له تطفلاً متسماً بالحماقة، ومن هنا فقد استعد للرحيل. عاد إلى القائد بفؤاد مثقل، وقد أحس بخيبة الأمل على نحو مرير، ذلك أنه لم يرها، وقد كان في قرارة نفسه يتوق للقائها مجدداً.

ذُهل القائد، الذي كان ينتظره مشوقاً، حيال هذه النتيجة غير الحاسمة، وراح يحدِّث نفسه بأنه كان حرياً به أن يحجم عن القيام بأي شيء، ومضى يمعن التفكير، بين أمور أخرى، في خاطرة مفادها أن شخصاً آخر ربما كان يخفيها هناك، تماماً على نحو ما فعل هو في وقت من الأوقات، وبعد إمعان التفكير أسلم نفسه لاحتجابها عن العيون.

ذلك يبدو أنه ما هو في الكتاب[1].

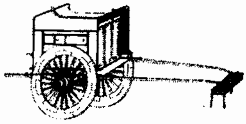
---

(1) إما أنها ملاحظة ختامية من جانب أحد النسَّاخ، تشهد بصحة النسخة وسلامتها، أو صيغة ختامية تقليدية لحكاية. وتنتهي «حكاية الشجرة الجوفاء»، وهي عمل أقدم عهداً إلى حد ما من «حكاية جينجي» ويقع من حيث الطول في حوالي ثلثيها، بالكلمات نفسها.

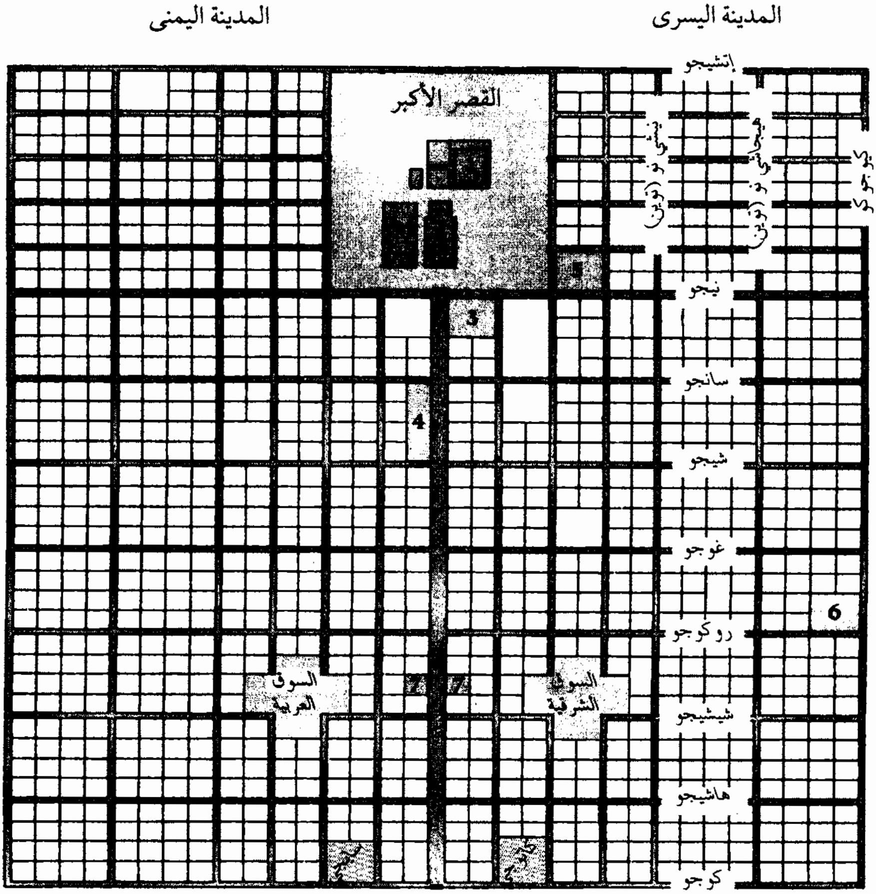


الأمكنة الوارد
ذكرها في
الحكاية
التلال الشمالية
مزار كامو الأعلى
مزار كامو الأسفل
جبل أتاجو
أورينين
أونو
يوكاوا
جبل هاي
بحيرة بيوا
أومي
التلال الشرقية
حاجز أوساكا
كيوميزو
إيشياما
مزار أوهارانو
نهر كاتسورا
نهر كامو
كوهاتا
أوجي
نهر أوجي
سيتسو
هاريما
نهر يودو
ياماشيرو
كاواتشي
نانيوا
سومي يوشي
نارا
ياماتو
هاتسومي
(هاسيديرا)
نهر إيزومي
(نهر كيزو)
جبال كاتوراكي
إيزومي
سوما
أكاشي
أواجي

المدينة

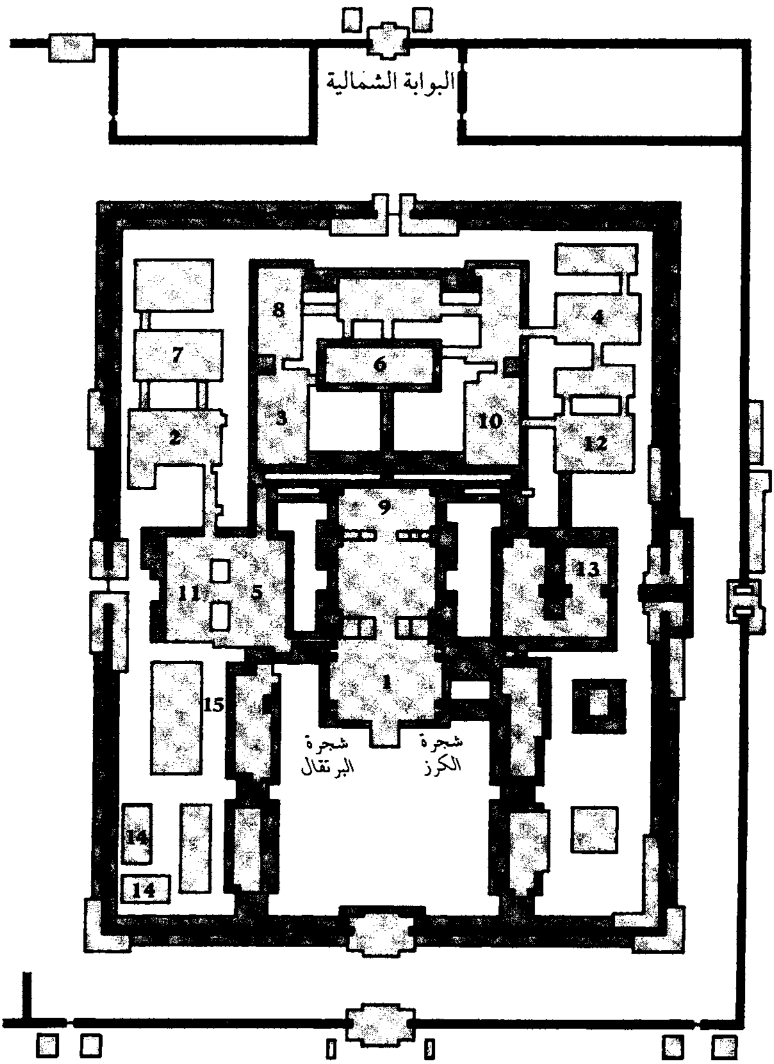


1. القصر الداخلي
2. المكاتب الثمانية قاعة الدولة العظمى
3. المجمع الدراسي
4. قصر سوزاكو
5. قصر رايزي
6. كاوارا نو إن
7. كوروكان



القصر الداخلي

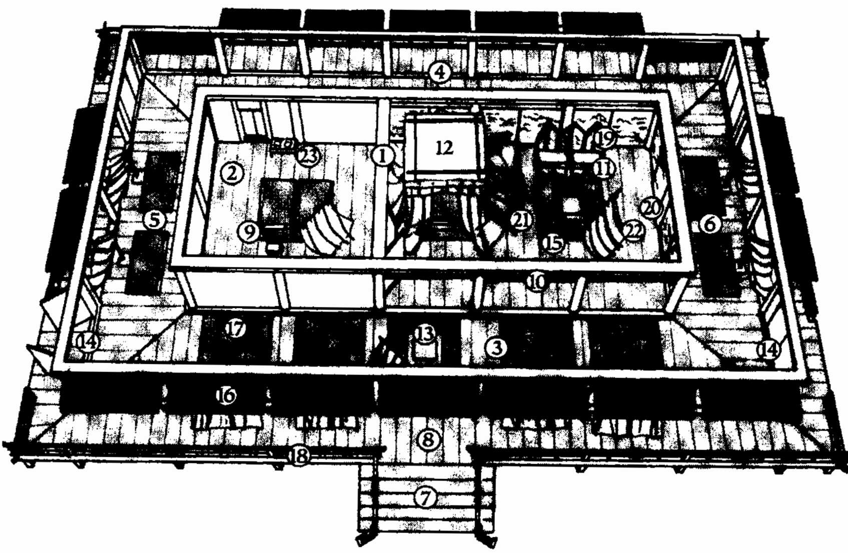
1. شيشندين
2. فوجيتسوبو
3. كوكيدين
4. كيريتسوبو
5. سايرودين
6. جونيدين
7. أوميتسوبو
8. توكادين
9. شوكايودين
10. ريكيدين
11. كورودين
12. ناشيتسوبو
13. أونميدين وردهة المرآة المقدسة
14. المحترف
15. مكتب الحُجَّاب



منزل نبيل رفيع الرتبة



داخل المنزل الرئيسي



1. حجرة
2. معتزل
3. الممشى الجنوبي
4. الممشى الشمالي
5. الممشى الغربي
6. الممشى الشرقي
7. درجات
8. شرفة
9. مسند
10. ستائر مرفوعة
11. خزانة
12. فراش ذو ستائر
13. وسادة
14. باب مزدوج
15. كين
16. مصراع شبكي
17. حصيرة
18. درابزون
19. ستارة حاجبة
20. ألواح
21. إطار قماشي
22. ستارة قائمة
23. رف من طبقتين

ثبت زمني بالأحداث

الفصل	العمر جينجي	الحدث
1	الميلاد:	- جينجي يرى النور
	3	- والدة جينجي تموت، وتُمنح المرتبة الثالثة بعد وفاتها.
	4	- الامبراطور يختار ابنه الأكبر (7 سنوات) ولياً للعهد. وأم الصبي هي الزوجة كوكيدين، ابنة وزير الميمنة.
	6	- جدة جينجي لأمه تموت.
	7	- جينجي يُقدم قراءته الأولى.
	8-11	- خبير فراسة كوري يتنبأ بمستقبل جينجي، الامبراطور يستبعد جينجي من السلالة الامبراطورية، ويمنحه لقب ميناموتو (جينجي). تصبح فوجيتسوبو (16 عاماً)، وهي الابنة الرابعة لامبراطور سابق، زوجة الامبراطور.
	12	- ينضج جينجي، ويتزوج من أوي (16 عاماً)، وهي ابنة وزير الميسرة.
		- يتزوج تو نو تشوجو، شقيق أوي الأكبر، من الابنة الرابعة لوزير الميمنة.
		- يُعاد بناء الدار التي كانت ملكاً لوالدة جينجي، وتصبح مقره المعروف باسم نيجو («الجادة الثانية»).
2	17	- الشهر الخامس: يناقش جينجي وتو نو تشوجو وغيرهما من الشبان أمر النساء (حوار الليلة المطيرة).
		- جينجي يكتشف في مساء اليوم التالي أوتسو سيمي.
		- جينجي يعود إلى دار أوتسو سيمي، وهي تتجنبه.
3		- زيارة ثالثة إلى دار أوتسو سيمي. وعن طريق الخطأ يضاجع جينجي نوكيبا نو أوجي بدلاً منها.
4		- الصيف: جينجي يكتشف يوجاو (19 عاماً).
		- السادس عشر من الشهر الثامن: تُقتل روح يوجاو. يبقى جينجي مريضاً حتى اليوم العشرين من الشهر التاسع.
		- يلتزم جينجي بحداد التسعة والأربعين يوماً على وفاة يوجاو.
		- الشهر العاشر: تصحب أوتسو سيمي زوجها إلى مقاطعة أيو.

- الربيع الباكر: جينجي يستمع للمرة الأولى إلى عزف سويتسوموهانا على آلة الكين.

5 أواخر الشـهر الثالث: يسـعى جينجي للاستشـفاء مـن حمى الملاريا فـي معبد جبلي، ويرى موراساكي للمرة الأولى.

- تمضي فوجيتسوبو من القصر إلى الدار. ويضاجعها جينجي هناك.

- الشهر السادس: فوجيتسوبو في الشهر الثالث لحملها.

- الشهر السابع: فوجيتسوبو تعود إلى القصر.

6 - حوالي العشرين من الشهر الثامن: لقاء جينجي مع سويتسوموهانا.

5 - أواخر الشهر التاسع: موت جدة موراساكي.

- ينقل جينجي موراساكي على جناح السرعة إلى نيجو.

7 - حوالـي اليوم العاشـر من الشـهر العاشـر: الرحلـة الامبراطورية إلى قصر سـوزاكو. جينجي يؤدي رقصة «أمواج البحر الأزرق».

- يرتقي جينجي إلى المرتبة الثالثة، وتو نو تشوجو إلى المرتبة الرابعة.

19 - حوالي اليوم العشـرين من الشـهر الثاني: تلد فوجيتسـوبو ابناً لجينجي، لا يعلم أحد بحقيقة سره، وهو الذي سيغدو الامبراطور رايزي.

- الشهر الرابع: زيارة الوليد الأولى للقصر.

- الشهر السابع: تصبح فوجيتسوبو امبراطورة. ويُعين جينجي استشارياً.

20 - حوالي اليوم العشرين من الشهر الثاني: الحفل الذي يُقام تحت براعم الكرز. جينجي يضاجع أوبوروزوكيو للمرة الأولى.

- حوالي العشـرين من الشـهر الثالث: حفل براعم الوستارية يُقام في دار وزير الميمنة. جينجي يعثر على أبوروزوكيو مجدداً.

بين التاسع والثامن

21 - جينجي يُرقى إلى رتبة القائد. الامبراطور، والد جينجي، يتقاعد. سوزاكو (25 عاماً) يرتقي سـدة العـرش خلفاً له. الامبراطور رايزي المسـتقبلي (4 أعـوام) يصبح ولياً للعهد. يهيمن وزير الميمنة والزوجة كوكيدين الآن على البلاط.

9 22 - الربيـع: تصبـح أكيكونومـو (13 عاماً) ابنة مـلاذ روكوجو كاهنة آيسـي. وأوي تغدو حاملاً.

- الابنة الثالثة التي أنجبها والد جينجي من الزوجة كوكيدين تصبح كاهنة كامو.

- الشهر الرابع: تتعرض ملاذ روكوجو للإذلال على يد أوي في الشجار على العربة في كامو.

– يوم مهرجان كامو: جينجي يقص شعر موراساكي ويصحبها لمشاهدة المهرجان.

– الشهر الثامن: أوي تضع يوجيري.

– حوالي العشرين من الشهر الثامن: أوي تموت فجأة، ويلزم جينجي الحداد في دار حميه.

– الشهر التاسع: أكيكونومو تنتقل إلى المزار في السبخة.

–الشهر العاشر: جينجي يعود إلى مقره في نيجو، حيث يبني بزوجته موراساكي.

23 – اليوم الأول من الشهر الأول: جينجي يزور أباه وولي العهد، ثم يزور والدي أوي.

10 – حوالي اليوم السابع من الشهر التاسع: جينجي يزور ملاذ روكوجو في المزار القائم في السبخة.

– اليوم السادس عشر من الشهر التاسع: روكوجو وابنتها أكيكونومو تغادران إلى آيسي.

– اليوم الأول من الشهر الحادي عشر: والد جينجي يموت.

– اليوم العشرون من الشهر الثاني عشر: نهاية الأيام التسعة والأربعين لطقوس الحداد. فوجيتسوبو تنسحب إلى دارها.

24 – الشهر الثاني: أوبورو زوكيو تصبح سيد طاقم العاملين في القصر.

– كاهنة كامو تستقيل، وتحل أساجاو محلها.

– الخريف: جينجي يمضي إلى المعتزل في يورينين.

– اليوم الأول من الشهر الحادي عشر: ذكرى وفاة والد جينجي.

– اليوم العاشر، أو نحو ذلك، من الشهر الثاني عشر: تقيم فوجيتسوبو طقس المحاورات الثماني، وتصبح راهبة.

25 – الشهر الأول: جينجي يزور فوجيتسوبو، التي أصبحت الآن راهبة.

– وزيرة الميسرة (والد أوي) يستقيل من منصبه.

– الصيف: تتقاعد أوبوروزوكيو من الخدمة في القصر، وتنتقل إلى دارها بسبب المرض. جينجي يزورها بصورة متكرِّرة، ويعثر أبوها، وزير الميمنة، عليه معها.

11 – بعد العشرين من الشهر الخامس: جينجي يزور هاناتشيروساتو.

12 26 – جينجي يقرِّر نفي نفسه إلى سوما، ويزور والد أوي، وفوجيتسوبو وقبر أبيه.

– بعد العشرين من الشهر الثالث: جينجي يغادر إلى سوما.

– الشهر السابع: أوبوروزوكيو تعود إلى القصر.

- الشهر الثامن: نائب دازايفو يمر بسوما، وجينجي يتبادل القصائد مع ابنته، راقصة جوسيتشي.

27 - بعد العشرين من الشهر الثاني: تونو تشوجو، وهو الآن نقيب استشاري، يزور جينجي في سوما.

- اليوم الأول من الشهر الثالث (يوم الثعبان): جينجي يمضي للتطهر على الشاطئ، وعاصفة هائلة تبدأ.

13 - بعد عدة أيام يصل رسوما موراساكي قادماً من المدينة.

- جينجي يحلم بأبيه، الذي يبلغه بضرورة مغادرة سوما.

- اليوم الثالث عشر من الشهر الثالث: مترهبن أكاشي يمضي بجينجي إلى أكاشي.

- اليوم الأول من الشهر الرابع: يعطي مترهبن أكاشي ملابس جديدة لجينجي بمناسبة الفصل الجديد.

- الامبراطور سوزاكو والزوجة كوكيدين يستبد مرض خطير بهما كليهما.

- المستشار (وزير الميمنة السابق، والد الزوجة كوكيدين) يموت.

- اليوم الثالث عشر من الشهر الثامن: جينجي يمضي ليلته الأولى مع النبيلة أكاشي.

28 - حوالي الشهر السادس: السيدة النبيلة تصبح حاملاً.

- بعد العشرين من الشهر السابع: جينجي يُستدعى للعودة إلى المدينة.

- الشهر الثامن: جينجي يعود إلى المدينة، ويُمنح لقب القائم بأعمال المستشار الكبير.

- اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن: جينجي يزور الامبراطور سوزاكو أولاً.

14 و15 - الشهر العاشر: جينجي يأمر بأداء طقس المحاورات الثماني من أجل أبيه.

14 29 - الشهر الثاني: يصل ولي العهد (رايزي، 11 عاماً) إلى سن البلوغ.

- بعد اليوم العشرين من الشهر الثاني: سوزاكو يتنازل عن العرش، ورايزي يصبح امبراطوراً.

- ابن سوزاكو من الزوجة شوكايودين يصبح ولياً للعهد.

- جينجي يُعين وزيراً للقصر، ويُعين أوي نائباً للامبراطور ومستشاراً، ويُعين تو نو تشوجو قائماً بأعمال الاستشاري.

- يبدأ جينجي بناء السرادق الشرقي لمقره في نيجو.

- السادس عشر من الشهر الثالث: السيدة النبيلة أكاشي تضع ابنة.

15 - الشهر الرابع: يمضي جينجي لزيارة هاناتشيروساتو، ويكتشف دار سويتسوموهانا

المتداعية في الطريق إلى هناك.

14 - اليوم الخامس من الشهر الخامس: جينجي يبعث رسولاً إلى الاحتفال باليوم الخمسين لميلاد ابنته الجديدة.

- فوجيتسوبو تتلقى مرتبة امبراطور متقاعد.

- الشهر الثامن: ابنة تونو تشوجو تصبح زوجة للامبراطور.

- الخريف: جينجي يمضي في رحلة حج إلى سوميوشي، وفي اليوم نفسه تصل السيدة أكاشي في رحلة حجها، ولكنهما لا يلتقيان، روكوجو وأكيكونومو تعودان إلى المدينة من آيسي. وتعهد روكوجو بابنتها إلى جينجي، وتموت.

16 - اليوم الثامن والعشرون من الشهر التاسع: أوتسو سيمي وزوجها يعودان إلى المدينة. وأوتسوسيمي تقابل جينجي، الذي يمضي الآن في طريقه خارجاً من المدينة إلى إيشياما.

- 30 ———

- أكيكونومو تصبح زوجة للامبراطور.

17 31 - اليوم العاشر، أو نحو ذلك، من الشهر الثالث: مسابقة الصورة أمام فوجيتسوبو.

- بعد اليوم العشرين من اليوم الثالث: مسابقة الصورة أمام الامبراطور رايزي.

- جينجي يبدأ بناء معبد خارج المدينة.

18 - الخريف: الانتهاء من سرادق جينجي الشرقي، وهاناتشيروساتو تنتقل إلى جناحه الشرقي.

- السيدة أكاشي تنتقل إلى أوي، حيث يزورها جينجي.

- الشهر الثالث عشر: السيدة أكاشي تتخلى لموراساكي عن ابنتها.

32 - والد أوي يموت.

- الشهر الثالث: مرض خطير يستبد بفوجيتسوبو ثم تموت.

- في اليوم التاسع والأربعين بعد وفاة فوجيتسوبو، يبلغ راهب عجوز الامبراطور رايزي بسر ميلاده.

- في اليوم نفسه يموت والد أساجاو.

- الامبراطور رايزي يلمِّح إلى التنازل عن العرش لصالح جينجي، فيرفض جينجي، ويأبى أيضاً تعيينه مستشاراً.

20 - الشهر التاسع: أساجاو تستقبل باعتبارها كاهنة كامو بسبب وفاة أبيها، وتعود إلى مقرها.

		– جينجي يزور الأميرة الخامسة وأساجاو.
		– الشهر الحادي عشر: جينجي يزور الأميرة الخامسة مجدداً، ويزور أساجاو بصفة خاصة. ويتراءى له حلم عن فوجيتسوبو.
21	33	– الشهر الثالث: الذكرى السنوية الأولى لوفاة فوجيتسوبو.
		– الشهر الرابع: أساجاو تبدِّل ثياب الحداد، وجينجي يزورها.
		– يوجيري يكبر، ويُمنح المرتبة السادسة، ويدخل مجمع الدراسة.
		– ابنة سيد المراسم (أخت موراساكي الأصغر غير الشقيقة) تصبح زوجة للامبراطور.
		– أكيكونومو تصبح الامبراطورة.
		– جينجي يصبح مستشاراً.
		– تونو تشوجو يُرقى إلى مرتبة وزير القصر. وهو يفصل كوموي نو كاري (ابنته) عن يوجيري (ابن جينجي).
		– الشهر الحادي عشر: جينجي يُقدِّم ابنة كوريميتسو باعتبارها راقصة جوسيتشي.
		– يوجيري يلاحظ ابنة كوريميتسو، ويعطيها رسالة.
		– جينجي يعهد بيوجيري إلى هاناتشيرو ساتو لترعاه.
	34	– بعد العشرين من الشهر الثاني: الامبراطور رايزي يزور الامبراطور المتقاعد سوزاكو.
		– يوجيري يجتاز امتحانه. وفي الخريف يُمنح المرتبة الخامسة، ويُعين استشارياً.
		– جينجي يُشيِّد دارة روكوجو.
	35	– جينجي يُعِدُّ للاحتفال بالعام الخمسين لوالد موراساكي.
22		– تاماكازورا، إبنة يوجاو، التي نشأت في كيوشو، يتودد إليها المفوض المدقِّق، أحد العتاة المحليين.
		– الشهر الرابع: مربية تاماكازورا تمضي بها إلى المدينة.
21		– الشهر الثامن: العمل ينتهي في دارة جينجي في روكوجو، وتنتقل إليها سيداته البارزات.
22		– تاما كازورا تصادف، أخيراً، أوكون، خلال رحلة حج إلى هاسيديرا، وتنتقل إلى دار أوكون المطلة على كوجو.
		– يوجيري يُعيَّن نقيباً.
21		– الشهر العاشر: جينجي يمضي بتاماكازورا لتقيم في روكوجو، ويعهد بها إلى هانا تشيروساتو.

22 – السيدة أكاشي تنتقل إلى روكوجو.

– في نهاية العام، يبعث جينجي بهدايا من الملابس إلى سيداته.

23 36 – اليوم الأول من الشهر الأول: جينجي يزور كل سيدة من السيدات المقيمات في روكوچو.

– في اليو الثاني من الشهر الأول: جينجي يرحب بضيوفه في العام الجديد.

– اليوم الرابع عشر من الشهر الأول: مهرجان مرح الرجال وقصفهم.

– اليوم الخامس عشر من الشهر الأول: جينجي يحتفي بالمشاركين في مهرجان مرح الرجال وقصفهم.

24 – بعد العشرين من الشهر الثالث: حفل يُقام في حديقة موراساكي الربيعية.

– اليوم التالي: القراءة الربيعية للنصوص المقدسة في دار أكيكونومو.

– الشهر الرابع: تاماكازورا تتلقى رسائل من هوتارو، هيجيكورو وكاشيواجي. وجينجي يلاحقها كذلك.

25 – الشهر الخامس: في مساء مطير، هوتارو يزور تاماكازورا، ويراها في ضوء الحُباحُب التي أطلقها جينجي.

– اليوم الخامس من الشهر الخامس: مسابقة في ركوب الخيل في مضمار روكوجو.

– سيدات روكوجو تستغرقهن الحكايات. وجينجي يحدِّث تاماكازورا عن قيمة هذه الحكايات.

26 – الشهر السادس: جينجي يسمع بقبول تو نو تشوجو لابنته أومي.

– جينجي يتساءل عما عساه يفعله بتاماكازورا، وتو نو تشوجو يتساءل عما عساه يفعله بانته أومي.

27 – الخريف الباكر: جينجي وتاماكازورا يتحدثان على ضوء المشاعل.

– جينجي يقيم حفلاً موسيقياً مع يوجيري وكاشيواجي.

28 – الشهر الثامن: إعصار. في أعقابه يلمح يوجيري موراساكي من بعيد، ويرى كذلك جينيجي وتاماكازورا.

– يوجيري يزور جدته أوميا. تو نو تشوجو يزور أوميا للمرة الأولى منذ وقت طويل.

29 – الشهر الثاني عشر: الامبراطور يقوم برحلة إلى أوهارانو.

37 – اليوم الأول من الشهر الثاني: جينجي يزور أوميا، التي تعاني من المرض، ويلتقي تو نو تشوجو، ويبلغه أخيراً بأمر تاماكازورا.

– اليوم السادس والعشرون من الشهر الثاني: عقد نطاق خاصرة تاماكازورا تحت

رعاية أبيها تو نو تشوجو.

30 - اليوم العشرون من الشهر الثالث: أوميا تموت.

- اليوم الثالث عشر من الشهر الثامن: حداد تاماكازورا على جدتها أوميا ينتهي، ويتقرر ذهابها إلى القصر في الشهر العاشر، أو نحو ذلك.

- تاماكازورا يتودد إليها هوتارو، وهيجيكورو وآخرون.

31 - حوالي الشهر العاشر: هيجيكورو يتزوج تاماكازورا.

- ضجة في بيت هيجيكورو. زوجته (الأخت الكبرى غير الشقيقة لموراساكي) تهيل عليه الرماد. وتعود إلى دار أبيها.

38 - الشهر الأول: مهرجان مرح الرجال وقصفهم. تمضي تاماكازورا إلى القصر باعتبارها سيدة لطاقم العاملين فيه. يمضي هيجيكورو بها إلى الدار.

- الشهر الحادي عشر: تاماكازورا تضع ابناً.

32 39 - اليوم الأخير من الشهر الأول: يطلب جينجي من مختلف السيدات خلط البخور، لاستخدامه في حفل عقد نطاق خاصرة ابنته.

- اليوم العاشر من الشهر الثاني: هوتارو (معالي وزير الحرب) يحكم على خلط البخور، وتعقب ذلك إقامة حفل.

- استعدادات لدخول ابنة جينجي إلى القصر في الشهر الرابع، ويوجيري يتوق إلى كوموي نو كاري.

33 - اليوم العشرون من الشهر الثالث: الذكرى السنوية لوفاة أوميا.

تو نو تشوجو يتجاذب أطراف الحديث مع يوجيري.

- اليوم السابع من الشهر الرابع: تو نو تشوجو يدعو يوجيري إلى حفل تفتح الوستارية، وفي ذلك المساء يزوِّجه كوموي نو كاري.

- اليوم الثامن من الشهر الرابع: طقس تألق بوذا.

- موراساكي تمضي إلى (الميلاد الرباني) (مياري) في كامو.

- موراساكي تشهد مهرجان كامو.

- بعد العشرين من الشهر الرابع: ابنة جينجي تدخل القصر، وموراساكي تصحبها.

- بعد ثلاثة أيام: موراساكي تغادر القصر، والسيدة أكاشي تحل محلها، والاثنتان تلتقيان للمرة الأولى.

- الاستعدادات للاحتفال بالعام الأربعين لجينجي تبدأ.

- الخريف: جينجي يصبح امبراطوراً فخرياً متقاعداً.

- تو نو تشوجو يصبح مستشاراً، ويوجيري يُعيَّن استشارياً.
- بعـد اليوم العشـرين من الشـهر العاشـر: الامبراطور رايـزي والامبراطـور المتقاعد سوزاكو يزوران دارة جينجي في روكوجو. جينجي في ذروة مجده.
- الامبراطور المتقاعد سوزاكو يسقط مريضاً، بعد زيارته لروكوجو.

34 - قـرب نهايـة العام: الابنة الثالثة لسـوزاكو (أونا سـان نـو ميـا، 13 أو 14 عاماً) يجري الاحتفال بعقد نطاق خاصرتها.
- بعـد ثلاثة أيام: سـوزاكو يسـير على درب الديـن، ويعهد برعاية أونا سـان نو ميا إلى جينجي.

40 - اليـوم الثالث والعشـرون من الشـهر الأول: تاماكازورا تقدِّم لجينجـي براعم الربيع، بمناسبة عامه الأربعين.
- اليوم العاشر، أو نحو ذلك: أونا سان نو ميا تنتقل إلى روكوجو، فقد تزوجها جينجي.
- نهاية الشهر الثاني: سوزاكو ينتقل إلى معبد جبلي.
- جينجي وأوبوروزوكيو يلتقيان.
- الصيـف: زوجـة الامبراطـور (ابنة جينجـي) حامل، وهي تنسـحب مـن القصر إلى روكوجو.
- الشهر العاشر: موراساكي تُهدي أيقونة ياكوشي بمناسبة عام جينجي الأربعين.
- اليوم الثالث والعشرون من الشهر العاشر: مأدبة في نيجو.
- بعد العشـرين من الشهر الثاني عشر: أكيكونومو تُكلِّف بقراءة السوترات في المعابد الكبرى السبعة في نارا بمناسبة العام الأربعين لجينجي.
- الامبراطور رايزي يحتفل بالعام الأربعين ليجنجي، ويوجيري يُعيَّن قائداً للميمنة.

41 - الشهر الأول: طقس عظيم مستمر يبدأ من أجل الميلاد الآمن لابن زوجة الامبراطور.
- اليوم العاشـر، أو نحو ذلك، من الشـهر الثالث: زوجة الامبراطور (ابنة جينجي) تلد ابناً، هو ولي العهد المستقبلي.
- مترهبن أكاشي يبعث إلى ابنته السيدة أكاشي برسالة، ويختفي في رحاب الجبال.
- الشـهر الثالث: حفل للكرة الخشـنة في روكوجو. كاشـيواجي (25 أو 26 عاماً الابن الأكبر لتو نو تشوجو) يلمح أونا سان نو ميا، ويرغب فيها.

35 - نهاية الشهر الثالث: مسابقة في الرماية بالسهام في روكوجو.
- هوتارو يبدأ علاقته العاطفية بما كيباشيرا.

42-45 - فراغ يمتد أربعة أعوام.

46 - الامبراطور رايزي يتنازل عن العرش، بعد ثمانية عشر عاماً. ولي العهد (ابن سوزاكو) يصبح امبراطوراً. ابن زوجة الامبراطور (إبنة جينجي) يصبح ولياً للعهد، تو نو تشوجو يستقيل من منصب المستشار. هيجيكورو، قائد الميسرة، يصبح وزيراً للميمنة ونائباً للامبراطور. يوجيري يصبح مستشاراً كبيراً وقائداً للميسرة.

- اليوم العشرون من الشهر العاشر: جينجي يمضي في رحلة حج وإعراب عن الشكر إلى سوميوشي، مع موراساكي وزوجة الامبراطور والسيدة أكاشي وأمها.

- أونا سان نوميا تُرقّى في مرتبتها.

47 - استعدادات للاحتفال بالعام الخمسين للامبراطور سوزاكو.

- اليوم التاسع عشر من الشهر الأول: سيدات جينجي يعزفن سوياً في حفل موسيقي يُقام في روكوجو.

- المرض يحل بموراساكي. الاحتفال بخمسينية سوزاكو يؤجل.

- الشهر الثالث: جينجي ينقل موراساكي إلى نيجو.

- كاشيواجي يتزوج أوتشيبا، أميرة سوزاكو الثانية.

- اليوم العاشر، أو نحو ذلك، من الشهر الرابع: كاشيواجي ينجح في لقاء أونا سان نو ميا.

- الشهر السادس: حالة موراساكي تتحسن قليلاً، وجينجي يسمح لها بتلقي الوصايا البوذية لعامة الناس. أونا سان نو ميا حامل بطفل من كاشيواجي.

- أوبوروزو كيو تصبح راهبة.

- زوجة الامبراطور (ابنة جينجي) تلد نيئو.

- اليوم العاشر، أو نحو ذلك، من الثاني عشر: تجربة الاحتفال بخمسينية سوزاكو. جينجي يدعو كاشيواجي، ثم يحل المرض بهذا الأخير.

- اليوم الخامس والعشرون من الشهر الثاني عشر: خمسينية سوزاكو يُحتفل بها.

36 48 - الربيع: أونا سان نو ميا تلد كاورو، نجل كاشيواجي.

- أونا سان نو ميا تصبح راهبة.

- كاشيواجي يُرقى على فراش موته إلى قائم بأعمال المستشار الكبير، ثم يموت.

- الشهر الثالث: الاحتفالات باليوم الخمسين لميلاد كاورو.

- الشهر الرابع: يوجيري يزور أوتشيبا، أرملة كاشيواجي.

- الربيع: جينجي ويوجيري يقومان بإحياء الذكرى السنوية الأولى لوفاة كاشيواجي.

- الخريف: يوجيري يزور أوتشيبا، ويتلقى من أمها الناي الذي كان كاشيواجي يُقدِّره.

– يوجيري يحلم بكاشيواجي.

38 50 – الصيف: تكريس الأيقونة المقدسة للمصلى الخاص لأونا سان نو ميا. جينجي يقوم شخصياً بنسخ سوتراتها.

– الخريف: إطلاق صرارات الليل الجرسية في حديقة أونا سان نو ميا في روكوجو.

– اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن: مأدبة البدر.

– أكيكونومو تقيم طقس المحاورات الثماني لأمها الراحلة، ملاذ روكوجو.

– والدة أوتشيبا تنتقل إلى أونو، في التلال، بسبب مرضها.

– منتصف الشهر الثامن: يوجيري يزور أونو، ويعلن اهتمامه بأوتشيبا.

– والدة أوتشيبا (ملاذ أتشيجو) تموت.

– يوجيري يعيد أوتشيبا، التي ترغب في أن تصبح راهبة، إلى مقرها في اتشيجو، بدلاً من ذلك، باعتبارها زوجته، تستبد الغيرة بزوجته كوموي نو كاري، تعود إلى دار أبيها.

40 51 – موراساكي، التي تظل ضعيفة بعد مرضها الخطير، ترغب في أن تصبح راهبة. جينجي يأبى السماح بذلك.

– اليوم العاشر من الشهر الثالث: موراساكي، في نيجو، تُكرِّس ألف نسخة من سوترا اللوتس.

– الصيف: الامبراطورة (ابنة جينجي) تزور موراساكي.

– اليوم الرابع عشر من الشهر الثامن: موراساكي تموت.

– اليوم الخامس عشر من الشهر الثامن: جنازة موراساكي.

جينجي يعقد العزم على اعتزال الدنيا.

41 52 – الربيع: جينجي يظل ملتزماً العزلة، في حداد على موراساكي.

– اليوم الرابع عشر من الشهر الثامن: الذكرى السنوى الأولى لموت موراساكي.

– الشهر الثاني عشر: جينجي يستعد للالتزامات الدينية.

هوة تمتد ثمانية أعوام. يبدو أن جينجي قد أمضى عامين أو ثلاثة أعوام في عزلة في معبده المعروف بمعبد ساجا، قبل وفاته. الامبراطور المتقاعد سوزاكو، هوتارو، تونو تشوجو وهيجيكورو يموتون.

كاورو

42 14 – الشهر الثاني: كاورو يبلغ سن النضج ويُعيَّن استشارياً ويُمنح المرتبة الرابعة.

44 – الخريف: كاورو يُعيَّن نقيب الميمنة.

15 – الشهر الأول: يوجيري (41 عاماً) وأبناؤه يزورون تاماكازورا (48 عاماً).

– المساء نفسه: كاورو يزور تاماكازورا.

– بعد اليوم العشرين من الشهر الأول: كاورو يزور ابن تاماكازورو الثالث. يلي ذلك حفل تفتح البرقوق.

– الشهر الثالث: بنات تاماكازورا يلعبن لعبة الداما، ويرقبهن خلسة الملازم الحاجب (الابن السادس من أبناء يوجيري).

– اليوم التاسع من الشهر الرابع: ابنة تاماكازورا الكبرى يتزوجها الامبراطور المتقاعد رايزي. الملازم الحاجب ينعى حظه في الحب.

– الشهر السابع: ابنة تاماكازورا الكبرى تصبح حاملاً.

16 – اليوم الرابع عشر من الشهر الأول: مهرجان مرح الرجال وقصفهم وحفل موسيقي بحضور الامبراطور المتقاعد رايزي.

– الشهر الرابع: ابنة تاماكازورا الكبرى تلد بنتاً.

– ابنة تاماكازورا تمضي للخدمة في القصر.

42 – نيئو وكاورو، المتنافسان غالباً، يُقدمان كندين.

19 – كاورو يُرقّى إلى المرتبة الثالثة ونقيب استشاري.

20 – الشهر الأول: يوجيري يقيم مأدبة في روكوجو.

– 21 ———

45 22 – أواخر الخريف: هاتشي نو ميا (الأمير الثامن)، الذي يقيم في أوجي، يمضي إلى العزلة الدينية، كاورو يزور مقره خلال غيابه، ويلمح من بعيد ابنتيه، أويجيمي (24 عاماً) وناكا نو كيمي (22 عاماً).

– في تلك الليلة، يستمع كاورو من بن، وهي وصيفة عجوز في خدمة هاتشي نو ميا، إلى تلميحات تتعلق بميلاده.

– لدى العودة إلى المدينة، كاورو يبلغ نيئو (23 عاماً) بأمر أوجي.

– اليوم الخامس أو السادس من الشهر العاشر: كاورو يمضي إلى أوجي، ويعزف الموسيقى مع هاتشي نو ميا، ثم يسمع من بن القصة الكاملة لميلاده.

46 23 – بعد العشرين من الشهر الثاني: نيئو يمضي إلى هاسيديرا، ويزور أوجي في طريق عودته.

– كاورو يزور هاتشي نو ميا.

- نيئو يبعث برسائل متتابعة إلى أوجي، وناكا نوكيمي ترد.
- الخريف: كاورو يُرقَّى إلى استشـاري، ويوجيري إلى وزير الميسـرة (عرض محتمل لمشكلة نصية)، وكوباي يُرقَّى إلى وزير الميمنة وقائد الميسرة، والملازم الحاجب إلى نقيب استشاري.
- منتصف الخريف: هاتشي نو ميا يمضي إلى المُعتزل.
- بعد العشرين من الشهر الثاني: هاتشي نو ميا يموت.
- الشتاء: نيئو يكتب بصورة متتابعة إلى أوجي.
- نهاية العام: كاورو يزور أوجي، ويعترف بمشاعره لأويجيمي.

43 24 - الربيع: ابنة كوباي الكبرى تمضي إلى ولي العهد.

46 - الحريق يأتي على مقر أونا سان نو ميا في سانجو، فتنقل إلى روكوجو.

49 - الصيـف: وفاة أم الأميرة الثانية للامبراطور الحاكم، التي يؤجل الاحتفال بعقد نطاق خاصرتها.
- الامبراطور يتحرك لترتيب زواج كاورو من الأميرة الثانية.

47 - الخريف: الذكرى الأولى لوفاة هاتشـي نو ميا. كاورو يضغط مجدداً على أويجيمي، ولكنها لا تستجيب.
- اليوم الثامن والعشرون من الشهر الثامن: كاورو يصطحب نيئو إلى أوجي. كاورو لا يوفق مع أويجيمي، وفي غضون ذلك يضاجع نيئو ناكا نو كيمي.
- حوالي اليوم العاشـر من الشـهر التاسـع: نيئو وكاورو يمضيان إلى أوجي. أويجيمي ترفض مجدداً الاستجابة لكاورو.
- اليوم الأول من الشـهر العاشـر: نيئو وكاورو يمضيان لمشـاهدة أوراق الخريف في أوجي، نيئو يعجز عن لقاء ناكا نو كيمي.
- المفاوضـات تبـدأ لترتيـب زواج نيئـو من روكو نو كيمـي (ابنة يوجيري السادسـة)، الامبراطورة توبِّخ نيئو على استسلامه لرغباته. نيئو ينتقل إلى القصر.
- أويجيمي تسقط مريضة في أوجي. كاورو يزورها.
- الشهر الحادي عشر: الأختان المقيمتان في أوجي تحزنان على إهمال نيئو لهما.
- كاورو يزور أويجيمي مجدداً. حالتها تغدو خطيرة، فيبقى في أوجي.
- أويجيمي تموت. الجنازة. كاورو يظل في أوجي للاستغراق في الطقوس البوذية.
- الشهر الثاني عشر: نيئو يزور أوجي، ويستعد لإحضار ناكا نو كيمي إلى نيجو.

48 25 - اليوم السابع من الشهر الثاني: ناكا نو كيمي تنتقل إلى مقر نيئو في نيجو.

- بعد العشرين من الشهر الثاني: روكو نوكيمي يُحتفل بعقد نطاق خاصرتها.
- كاورو يتحرك لبناء مقر أمه في سانجو.
- الشهر الخامس: ناكا نو كيمي حامل.
- اليوم السادس عشر من الشهر الثامن: نيئو يتزوج روكو نو كيمي في روكوجو.
- ناكا نو كيمي تتوسل إلى كاورو لإعادتها إلى أوجي.
نيئو يشك في أنهما تجمعهما صلة.
- كاورو يزور ناكا نوكيمي. ناكا نوكيمي تأتي لأول مرة على ذكر أوكيفوني، أختها غير الشقيقة.
- بعد العشـرين من الشهر التاسع: كاورو يذهب إلى أوجي، ويقرِّر تحويل مقر هاتشي نو ميا هناك إلى معبد، ويسأل بن عن أوكيفوني.
- كاورو يبعـث إلـى ناكا نو كيمي بأوراق شـجر حمراء من أوجي. تتفاقم شـكوك نيئو بصورة متزايدة.
26 - اليـوم الأول مـن الشـهر الثاني: كاورو يصبـح القائم بأعمال المستشـار الكبير وقائد الميمنة. ناكا نوكيمي تلد ابناً لنيئو.
- بعـد اليوم العشـرين من الشـهر الثاني: الاحتفـال بعقد نطاق خاصـرة الأميرة الثانية. كاورو يتزوجها في اليوم التالي.
- اليـوم الأخير من الشـهر الثالث: الأميرة الثانية تقيم حفلاً لتفتح الوسـتارية في جناح فوجيتسوبو. وتنتقل في تلك الليلة إلى مقر كاورو في سانجو.
- بعـد العشـرين من الشـهر الرابـع: كاورو يمضـي إلى أوجـي لتفقد المعبـد الجديد. أوكيفونـي تصـل إلـى أوجي في طريـق عودتها من الحـج إلى هاسـيديرا، وكاورو يرصدها.
- خطة لتزويج أوكيفوني من شخص يحمل رتبة ملازم تمنى بالفشل.
- أم أوكيفوني تطلب من ناكا نوكيمي حماية أوكيفوني.
ناكا نو كيمي توصي كاورو بأوكيفوني. نيئو يكتشف أوكيفوني، ويبدأ في ملاحقتها.
- الخريف: يتم الانتهاء من المعبد الجديد في أوجي.
كاورو يذهب إلى هناك، ويطلب من بن التوسط بينه وبين أوكيفوني.
- اليوم الثالث عشر من الشهر التاسع: كاورو ينقل أوكيفوني إلى أوجي.
51 27 - أواخر الشهر الأول: نيئو يلاحق أوكيفوني إلى أوجي ويضاجعها مدعياً أنه كاورو.
- كاورو يستعد لإحضار أوكيفوني إلى المدينة في الشهر الرابع.

- حوالي اليوم العاشر من الشهر الثاني: تجمع للشعر الصيني في القصر. نيئو يمضي في اليوم التالي إلى أوجي، ويقضي يومين مع أوكيفوني في دار على الجانب الآخر من النهر، ويخطط للمضي بها إلى المدينة قبل أن يتمكن كاورو من القيام بذلك. كاورو يكتشف العلاقة الغرامية بين الاثنين، ويضع حراساً في أوجي. تجد أوكيفوني نفسها وقد وقعت بين كاورو ونيئو، فتقرر إغراق نفسها في نهر أوجي.

- يمضي نيئو إلى أوجي، لكن حراس كاورو يمنعونه من لقاء أوكيفوني.

52 - أوكيفوني تختفي. تُشيَّع جنازة بلا جثمان.

53 - يعثر رجل الدين البارز من يوكاوا، الذي يزورأوجي، على شابة (أوكيفوني) راقدة تحت شجرة، فيصحبها عائداً بها إلى دار أمه في أونو، عند سفح جبل هاييي.

52 - كاورو ونيئو يعلمان بانتحار أوكيفوني، ويلزمان الحداد عليها.

- يأمر كاورو بأداء طقوس التسعة وأربعين يوماً حداداً على أوكيفوني.

- الامبراطورة تقيم طقس المحاورات الثماني في روكوجو.

53 - اليوم الرابع من الشهر الخامس: تُطرد الروح الشريرة من أوكيفوني، وتستعيد حواسها.

- الخريف: يقوم نقيب، كان يوماً متزوجاً من ابنة أخت رجل الدين البارز (التي تغدو راهبة الآن) بزيارة أونو، ويلمح أوكيفوني، فيلاحقها، ولكنها تتجنبه.

- الشهر التاسع: أوكيفوني تصبح راهبة.

- رجل الدين البارز من يوكاوا يبلغ الامبراطورة بأمر أوكيفوني.

28 - كاورو يحيي الذكرى السنوية الأولى لوفاة أوكيفوني المفترضة.

- كاورو يزور الامبراطورة، التي تبلغه بأن أوكيفوني على قيد الحياة، ثم يزور يوكاوا، حيث يبلغه رجل الدين البارز بأمر أوكيفوني.

- كاورو يسعى للقاء أوكيفوني، ويبعث إليها برسالة، وهو يعود إلى المدينة، لكنه في اليوم التالي يبعث إليها بأخيها الصغير كرسول منه إليها. وهي ترفض لقاء أخيها غير الشقيق، وترفض الرد على رسالة كاورو. فيعود الفتى خالي الوفاض، ويستبد الحزن بكاورو.

مسرد عام

صاحب الأسلوب المدرسي Academic Style (أزانا Azana)- اسم صيني الطراز، مؤلف من حرفين، يُطلق على من يرشح لنيل درجة علمية في المجمع الدراسي.

المجمع الدراسي Academy (دايجاكو Daigabu) - مؤسسة لتدريب أبناء الارستقراطية، وبصفة خاصة من هم أدنى من المستوى الأرفع، في ميادين المعرفة ذات الأساس الصيني، المطلوبة للحياة المهنية في شغل المناصب. ويعمل فيها كبار الأساتذة ومن يقلون عنهم درجة. وقد خضعت لإشراف مكتب المراسم، وقد درجت على قبول أي شاب يتراوح عمره بين الثالثة عشرة والسادسة عشرة، والذي يشغل أبوه المرتبة الخامسة فما فوق، وكذلك الشبان المختارين من خلفية من يشغل آباؤهم المرتبة الثامنة.

«آه، أيها اليوم الرائع Ah, Wondrous Day» (أناتوتو Anatoto) - أغنية سايبارا للتهنئة، تُختصر بالبيت الأول فيها وبمحتوى سردي بسيط.

الممشى Aisle (هيساشي Hisashi)- المساحة في الدار التي تحيط بالغرفة (مويا Moya)، بين الغرفة والشرفة (سونوكو Sunoko). وكانت تُقسَّم عادة إلى أقسام، أو حجرات. وكان الممشى أكثر انخفاضاً بمقدار عمق الأسكفة أو عتبة الباب (ناجيشي Nageshi). وكان من الممكن بصورة استثنائية أن يكون هناك عرض ممشي ثان وراء الأول، أكثر انخفاضاً مجدداً بمقدار عمق الأسكفة.

الصبر Aloeswood (جين Jin) - خشب حظي بالتقدير في معرض استخدامه للبخور وأيضاً لإعداد قطع أثاث صغيرة مختلفة.

أميدا Amida- بوذا الضياء اللامتناهي، الذي يهيمن على فردوس يقع بعيداً إلى الغرب على نحو لا سبيل إلى قياسه. ووفقاً لقسمه العظيم، فإن كل من يناديه باسمه (في صيغة نامو أميدا بوتسو المعروفة باسم نينبوتسو) سيحقق البعث إلى رحاب فردوسه، وهذا الاستحضار كان بالتالي الممارسة البوذية الأكثر شيوعاً في زمان المؤلفة. وعلى الرغم من أن الصوت كان يعلو به عادة، إلا أنه كان يُردَّد بصورة صامتة في الجنازات.

حجرة الانتظار Anteroom (أون ياسومي دوكورو On Yasuroi Dokoro)- حجرة تواجه الجنوب متصلة بالغرفة الخصوصية.

قائمة التعيينات Appointments List (جيموكو تسوكاساميشي Jimoku Tsukasameshi)- التعيينات والترقيات التي تعلن مرتين في العام، في الربيع والخريف. وكان وزير الميسرة يتولى رئاسة هذه الفعالية.

الجسر المقوس Arched Bridge (سوريباشي Soribashi)- جسر فوق غدير حديقة.

مسند للذراع Armrest (كويو سوكو Kyosoku)- قطعة أثاث شائعة، للاستناد عليها عند الجلوس على الأرض.

تجمع الأسماء المقدسة Assembly of the Holy Names (بوتسو مايو – إي Butsumyo-e فعالية دينية تُقام على امتداد ثلاثة أيام في القصر وفي الدور الارستقراطية الأخرى، تبدأ في اليوم التاسع عشر من الشهر الثاني عشر. ويتضمن هذا الحفل ترديد أسماء بوذات الماضي والحاضر والمستقبل، بروح الندم والاستغفار.

أتاجو، جبل Atago, Mount – جبل مقدس (ارتفاعه 3049 قدماً) يقع إلى الشمال الغربي مباشرة من كيوتو.

«عند كاوا جوتشي At Kawaguchi» («كاواجوتشي نو Kawaguchi no»)– أغنية سايبارا على لسان فتاة تتباهى بالهرب عبر «السور النباتي الخشن لحاجز كاواجوتشي» على الرغم من عين أبيها الراصدة، لترقد مع حبيبها.

«ريح الخريف Auntumn Wind» (شوفوراكو Shufuraku)– مقطوعة بوجاكو صينية تعود في قالبها الراهن إلى عهد الامبراطور ساجا (الذي حكم بين عامي -809 823).

أزوما Azuma – «الشرق»– على وجه التقريب إقليم كانتو الذي تقع فيه طوكيو. وكان ينظر إليه، في ذلك الحين،على أنه ناء وغريب.

مقام أزوما Azuma Mode– مقام موسيقي مرتبط بشرقي اليابان وبآلة الواجون الموسيقية، وطابعه مجهول.

النرد Backgammon (سوجوروكو Sugoroku) – لعبة تُلعب بالاستعانة برقعة مرتبطة بالطاولة، وكانت شائعة في عالم الحكاية.

مقام بانشيكي Banshik Mode – مقام موسيقي مناسب للشتاء بصفة خاصة.

ألواح اللُحاء Bark Shingles (هيوادا Hiwada) – ألواح من لحاء السرو (هينوكي Hinoki) يُستخدم، بعمق عدة طبقات، لإعداد أسقف المنازل.

العربة السلالية Basketwork Carrage (أجيرو جوروما Ajiro Guruma) – عربة ضُفِّر غطاؤها من شرائح من خشب السرو (هينوكي Hinoki) والخيزران. وبينما كانت مناسبة للاستخدام الرسمي من قبل وصيف خصوصي، فإنها كانت تُعد غير رسمية بالنسبة لنبيل رفيع المقام.

الستار السلالي Basketwork Screen (أجيرو بايوبو Ajiro Byobu) – قطعة مستطيلة من الخشب يبلغ طولها حوالي قدم، تميل إلى الدقة نزولاً مع قوامها ومستديرة الطرفين، والتي كان الموظفون بالبلاط يمسكون بها أمامهم في وضعية رأسية عندما يكونون في وضع رسمي.

البلاطة Bay (ما Ma)– وحدة الطول الممتدة بين عمودين في بناء. وكانت معظم البيوت تتألف من خمس بلاطات طولاً، ثلاث منها للغرفة (مويا Moya) واثنتين (واحدة على كل جانب للممشى (هيساشي Hisashi).

حسك السنابل Beardgrass (هاروكايا Harakaya)– نوع من العشب العالي له حسكات طويلة، يرتبط

من بعيد بالأرز.

الحريـر المقصـور Beaten Silk (أوتشـيموني Uchimoni)- حريـر مضروب على كتلـة لقصر القماش لإبراز تألقه.

الصرَّار الجرسـي Bell Cricket (سوزوموشـي Suzumushi) - نوعية من الصـرَّار ذات نداء مُنغَّم بصفة خاصة.

الدخـل المنصبي Benegice (كوبـوري Koburi) - دخل مماثل لـ«الوظيفة العاطلة»، وذلك على الرغم من أنه من مصدر مختلف قليلاً.

الملـك الخيِّـر، طقس Benevolent King, Rite of the (نينو -إي Ninno- e) - طقس بوذي جليل يؤدى في القصر لحماية البلاد.

المصفقات Bird Clappers (هتا Hita)- شـرائح من الخشـب أو الخيزران، توصل بخيط، بحيث يمكن التصفيق بها معاً لإخافة الطيور وإبعادها عن الحقول.

الاحتفـال بالميـلاد Birth Celebration (أوبوياشـيناي Ubuyashinai) - سلاسـل مـن التجمعـات الاحتفاليـة في مسـاءات اليوم الثالث، الخامس، السـابع والتاسـع بعد الميلاد. ويجلـب الضيوف هدايا من الطعام والملابس للوليد.

البيوا Biwa - آلة موسيقية رباعية الأوتار من عائلة العود، من الصين.

مغني البيوا Biwa Minstrel (بيوا هوشي Biwa Hoshi) - موسيقي متجول يرتدي ملابس بوذية، ويغني بمصاحبة عزفه على البيوا.

الستائر الحاجبة Blinds (سوداري Sudare، ميسو Misu)- ستائر دقيقة من الخيزران تتدلى من الأسكفة العليا بين الغرفة والممشى، وبين الممشى والشرفة.

زهرة الجُريس الزرقاء Bluebell (أسـاجاو Asagao) - حرفياً «وجه الصباح». هذا هو الآن اسـم الزهرة المعروفة بمجد الصباح، لكن الكثير من الباحثين يشكون في أن أساجاو المرتبطة بالفصول الأولى، وبصفة خاصـة المرتبطة على نحو مباشـر بالأميرة أسـاجاو هي تلك الزهرة. والإمكانية الرئيسـية بخلاف ذلك هي الكيكيـو (Kikyo)، (زهـرة الجُريـس الصينية)، وهي نوع مـن زهرة الجُريس الزرقاء، وفـي «زهرة الحريس الزرقـاء» فـإن جمـال أسـاجاو يوصف من خـلال نيـوي (Nioi)، وهي كلمة ترتبـط بالأحمـر، الأرجواني، البنفسجي أو الأصفر، ولكن ليس بالأزرق أو الأبيض الخالصين، وهما اللونان الوحيدان المعروفان بالنسبة لمجد الصباح في العهود الهاينية (لم يظهر الأحمر والبنفسجي وما إلى ذلك إلا بعد أربعة أو خمسة قرون). ومـن هنا فـإن (زهرة الجُريس الزرقاء) تظهر في هذه الترجمة في الفصـول التي تغطي حياة جينجي. غير أن أساجاو المنتمية إلى «اللبلاب» تبدو حقاً مجد الصباح، تشدِّد كثيراً على الطابع شديد الزوال الذي تُعرف به مجد الصباح، وعلاوة على ذلك فإن (كيكيو) يرد ذكرها بالاسم في «إبداع الخط».

الجيـاد الغبراء الزرقـاء، مهرجان Blue Roans, Festival of the أونا Aouna (نو سيتشـي No Sechie)-

واحد وعشرون جواداً، هي مبدئياً جياد غبراء زرقاء نادرة، تقاد أمام الامبراطور، الامبراطور المتقاعد، كبار السيدات الامبراطوريات وولي العهد، في اليوم السابع من الشهر الأول. وكان يُنظر إلى مشهدها على أنه خلاب. وقد كانت الجياد حقاً غبراء زرقاء حتى عهد موراكامي (946-967)، خلال الزمن الذي تغطيه الحكاية، ولكنها بعد ذلك كانت بيضاء. وقد كان هذا هو الاحتفال الوحيد بالعام الجديد الذي تمت إقامته عندما كان الامبراطور في حالة حداد. وقد كانت هذه العادة صينية أصلاً.

«أمواج البحر الزرقاء Blue Sea Waves» («سايجيها Seigaiha») مقطوعة بوجاكو (صينية) تُعزف لراقصين، ويُقال إن التلويح بأكمام الراقصين هو لاستحضارأمواج البحر.

«سور الألواح Board Fence» (كيركاكي Kirkake)- سور رخيص الكلفة يُتخذ من ألواح خشبية متداخلة، موضوعة بصورة مائلة.

«المسكن المسقوف بالألوح Board- Rooged Fwelling» (إيتاتا Itaya)- مسكن مسقوف على نحو بسيط وبكلفة رخيصة بألواخ خشب رفيعة ومتداخلة تثبتها في موضعها أغصان وأحجار.

المجمرة Brazier (هيوكي Hioke) وعاء نقَّال يُتخذ بصفة عامة من الخشب، ويصمَّم لاحتواء الفحم المتقد في رماد عازل.

الإفطار Breakfast (أونكايو Onkayu)- عصيدة أرز أو أرز مطبوخ (كاتا جايو Katagayu).

غرفة الإفطار Breakfast Room (أساجاري Asagarei) ملحقة بغرفة جلوس الوصيفات إلى الشمال في مسكن الامبراطور بالقصر.

طريق الجسر Bridgeway (واتادونو Watadono)- ممر قصير، مرفوع كان يربط الدار الرئيسية بأحد الأجنحة. وكان من الممكن أن يطوَّق بأبواب، بل وبحجرات، أو يمكن أن يكون جسراً مفتوحاً، مسقوفاً.

شجرة الوزال Broom Tree (هاها كيجي Hahakigi)- في اليابانية الحديثة هوكيجوسا Hokigusa نبتة سنوية ارتفاعها حوالي ثلاثة أقدام، كان من الممكن حقاً أن تتخذ مكانس من سوقها.

البوكاجو Bukagu مخزون من الرقصات من القارة تصاحبه موسيقى الجاجاكو Gagaku وقرع طبل كبير. وتقسَّم هذه الرقصات إلى مخزونات فرعية: توجاكو Togaku (موسيقى من ملكية التانج في الصيف). ويُعرف بالميسرة وكوماجاكو Komagaku (موسيقى من كوما [كوريا] ويُعرف بالميمنة.

مكتب (الشؤون المركزية، المراسيم، الشؤون المدنية، الخزانة، الحرب) Bureau of Central Affairs, Ceremonial, Civit Affairs, Treasury, War.

انظر ثبت «المناصب والألقاب».

المرقئة Burnet (وريموكو Waremoko)- نبتة دائمة، يتراوح طولها بين قدمين وثلاثة أقدام، ذات أوراق ريشية الشكل. تنبت من كل غصن فيها في أواخر الصيف، كرة صغيرة، مستطيلة، من زهور صغيرة، قاتمة.

البوتوكودين Butokuden - سرادق في مجمع القصر الكبير يتابع منه الامبراطور مسابقات الرمي بالسهام، وسباقات الخيل وهلم جراً.

الخزانة Cabinet (ميزوشي Mizushi)- خزانة ذات أبواب، غالباً ما يعلوها صف من الرفوف المفتوحة.

المبخرة Censer (هيتوري Hilori)- وعاء من الفضة أو البرونز المذهب يحرق فيه البخور. وفي أثناء الاستخدام كان يوضع داخل حاوية أكبر من الخشب المطلي باللك (هيتوريمو Hitorimo) ويُغطى بغطاء هو عبارة عن شبكة معدنية.

إطار المجمرة Ceser Frame (كو أو فوسيجو Ko or Fusego)- هيكل شبيه بالقفص يوضع فوق المبخرة. ويمكن وضع الملابس عليه لتدفئتها وتعطيرها.

امتحان مكتب المراسم Ceremonial Bureau Wxamination (شيكيبو نو تسوكاسا نو كوكورومي Skikibu no Tsukasa no Kokoromi)- امتحان المستوى الثاني للطلاب في المجمع الدراسي. وقد كان يُسمح للطالب بالانتقال من جيمونجو Gimonjo أي من مرتبة المرشح المؤقت إلى مونجوشو Monjosho أي مرتبة المرشح المنتظم. انظر مادة الامتحان الأساسي Foundation Examination.

الغرفة Chamber (مويا Moya)- المساحة الهيكلية والسكنية المركزية في داخل الدار، وهي تُقسَّم في بعض الأحيان إلى الغرفة الأصغر والغرفة الأكبر. ومساحة الإقامة كانت تمتد من الغرفة إلى الممشى (هيساشي Hisashi). وكان يمكن أن تقسَّم إلى غرف منفصلة، وامتداداً إلى شرفة (سونوكو Sunoko) يغطيها طنف (نوكي Noki). وكانت الحجرة الأصغر في الغرفة (المعتزل) نورجومي Nurigome في حالة وجودها يمكن أن تستخدم للرقاد أو للتخزين.

تغيير الملابس بمناسبة الموسم الجديد Change of Clothes for the New Season (كوروموجي Koromogae)- تغيير الملابس المعمول به إلى ملابس الصيف (بما في ذلك تغيير الزينة الداخلية للدار) في اليوم الأول من الشهر الرابع، وإلى ملابس الشتاء في اليوم الأول من الشهر العاشر.

ألعاب تخمين الشخصية Character- Guessing Gemes (هين تسوجي Hen- Tsugi)- ألعاب تتضمن تخمين شخصيات محتجبة بصورة جزئية أو ابتكار شخصيات جديدة بإضافة عناصر إلى أدوار معينة.

«رجل برعم الكرز Cherry Blossom Man» (ساكورابيتو Sakurabito)- أغنية سايبارا في قالب حواري:

«(الزوج) امكث في قاربك، يا رجل برعم الكرز، فعليَّ رؤية حقولي في الجزيرة، وسأعود غداً، نعم، سأعود غداً! (الزوجة) تقول غداً، ولكن من له امرأة هناك لن يعود غداً حقاً، لا، لن يعود غداً حقاً».

خزانة Chest (كارابيتسو Karabitsu) خزانة طويلة على قوائم، تُستخدم بصفة أساسية لتخزين الملابس. وكانت هناك أيضاً «خزانة ضيقة» (هوسوبيتسو Hosobitsu) أطول إلى حد ما.

مهرجان الأقحوان Chrysan the Muon Festival (تشويو نو سيتشي Choyo no Sechie مهرجان يُقام في اليوم التاسع من الشهر التاسع، وذلك على الرغم من أنه تعرض للإهمال بحلول زمن المؤلفة. وفي جلسة مزخرفة بزهور الأقحوان (التي كانت ترتبط بالعمر الطويل والطالع الحسن) كان الامبراطور يُقدم نبيذ الأقحوان إلى رجال بلاطه، وينظم الجمع قصائد باللغة الصينية.

المصفقة Clappers (هايوشي Hyoshi) عصاتان من الخشب يصفق بهما معاً لإحداث الإيقاع في

الموسيقى.

حاجـز قماشـي Cloth Panel (زيجـو Zejo أو زينجـو Zenjo) حاجز من القماش يُعلّق لحماية شـخص من أن تقع عليه الأنظار، وربما يرسـم منظر على الجانب الداخلي منها قبالة الشـخص الذي يتم حجبه عن الأنظار.

حفل البلوغ Coming- of- Age (جينبوكو Genbuku) الاحتفال ببلوغ فتى سن الحلم، وهو الحفل الذي يتم فيه للمرة الأولى ضم خصلات شـعره ورفعها، وخلع ملابس الكبار وغطاء رأسـهم عليه، ويُتخذ الاسم الذي سيحمله في مرحلة الرشد.

سـيد مهـذب مـن العامـة Common gentleman (نابيتـو naobito) رجـل ينتمي إلـى المرتبـة الرابعة أو الخامسة.

أحد العامة Commoner (تادابيتو tadabito) سيد مهذب ليس عضواً في العائلة الامبراطورية.

المأدبة الختامية Concluding Bauquet (جوين Goen)- المأدبة التي يقيمها الامبراطور، وعادة ما يكون ذلك في الشهر الثاني أو الثالث، لمن شاركوا في الاحتفال المرح والصاخب بالعام الجديد.

خليلة Concubine (ميشـيودو Meshiudo) سـيدة مهذبة (نايوبو Nyobo) يُتخذها سـيدها محظية له من درجة أقل في التميز الاجتماعي.

طقس الاعتراف (Confession (Rite of) Hokke) (سـينبو Senbo)- طقس كان يجمع بين ترتيل سـوترا اللوتس والاعتراف بالخطايا، لإزالة الخطايا كافة عن راعي الطقس.

البـلاط Court - مـا مـن كلمة فـي النص تميز بيـن (القصر) (انظر مـادة (القصر)، وبيـن (البلاط) وهي الكلمة التي تظهر في هذه الترجمة الماثلة بين يدي القارئ عندما يبدو أن التشديد ينصب بصفة خاصة على الرفاق الموجودين في القصر.

مستودع البلاط Repository Court (كورازوكاسا Kurazukasa) مكتب في القصر مكلف برعاية الكنوز والهدايا المقدمة للبلاط.

غطاء Cover (هايوشي Hyoshi)- غطاء للفافة مضمومة من الورق، وقد يُستخدم كذلك كعلامة تجارية، وكان من الممكن أن يُتخذ من الورق أو من الحرير.

مُحترف Crafls Workshap (تسوكومودوكورو Tsukumodokoro)- مكتب في القصر مسؤول عن صنع الكماليات وقطع الأثاث، وقد خضع لإشراف مكتب الحجاب.

المشعل Cresset (كاجاريبي Kagaribi)- نيران توقد في الخشب داخل قفص حديدي، تستخدم لإضاءة حديقة ليلاً، أو من قبل الصيادين لاجتذاب الأسماك.

الفراش المحاط بالسـتائر Curtained Bed (ميتشـوداي Michodai)- منصة محاطة بالستائر، تشبه غرفة صغيرة داخل غرفة، كانت تُستخدم كمخدع.

وسـادة Cushion (شـيتوني Shitone) حشـية مربعة، منجَّدة، تبلغ أربعة أقدام في أحد جوانبها، تُتخذ من

قماش محشو بحشو من القطن ومحدد بخيطان القصب، وكانت تُتخذ للجلوس أو الرقاد.

صندوق السرو Cypress Box (هيواريجو Hiwarigo) صندوق مربع أو مستدير أو يشبه المروحة يضم عدة طبقات، ويُتخذ من شجر سرو منشور على نحو دقيق.

خنجر Dagger (ميهاكاشي Mihakashi) خنجر يُقدم لطفل نبيل المحتد عند ميلاده.

داينتشي نايوراي Dainichi Nyarai بوذا الهائل في مجمع شينجون البوذي.

داراني Darani رقية منقولة من السنسكريتية عبر الصينية، ومن هنا فإنها غير مفهومة من الناحية اللغوية، وتستخدم لاتقاء الأمراض أو الكوارث.

يوم (الفأر، الثور، إلخ) Day of the Rat, Ox, etc انظر مادة (الساعة).

الزهرة النهارية Dayflower (تسوكيكوسا Tsukikusa)- في اليابانية الحديثة (تسويوكوسا Tsuyukosa) نبتة شائعة لها زهور زرقاء، تعطي صبغة زرقاء، يغدو لونها ناصلاً على نحو سريع.

الصلاة المكرَّسة Dedicatory Prayer (جانمون Ganmon)- نص كان يصيغه راع طقس ما، لكي يواصل القصر من الطقس إلى الإله أو الآلهة التي تجري مخاطبتها.

الشيطان Demon (أوني Oni) مخلوق فائق للطبيعة، كان يتم تخيله بصور مختلفة، ولكن تقليدياً بتنويع مخيف أحمر أو أسود مائل للزرقة على الهيئة البشرية.

القمطر Desk (بونداي Bundai)- مائدة منخفضة للكتابة في مناسبة رسمية، عندما يُقدم الشعر لمضيف. وكان القمطر يوضع أسفل الدرج المفضي صعوداً إلى مركز الجانب الجنوبي من المسكن، وكان كل مشارك يمضي بعد سابقه ليضع مقطوعته على القمطر.

الاتجاه المحظور Directional Taboo (فوتاجاري Futagari، كاتايمي Kataimi، كاتاجاي Katagae)- انظر مادة (الإله الأوسط Mid- God).

العربة الاستعراضية Display Carriage (إيداشيجوروما Idashiguruma)- عربة كانت الوصيفات يسمحن لأكمام أثوابهن بالتدلي من تحت ستائرها في استعراض بديع اللون.

الغواص Diver - انظر مادة (أهل البحر Seafalk)

الميلاد الإلهي عند نهر كامو Divine Birth at Kamo (كامو نو مياري Kamo no Miare)- طقس ليلي كان يعيد تجسيد الظهور على الأرض من قبل واكيكازوتشي، إلهة أعلى نهر كامو. وكان يؤدى في منتصف يوم القرد في الشهر الرابع، ويتبعه في اليوم التالي مهرجان كامو.

الدمية Doll (هيتوجات Hitogata) صورة زائفة عن الكائن البشري، ثلاثية الأبعاد أو من الورق المقصوص، كانت تُستخدم في طقوس التطهير، وكانت المؤثرات الشريرة تُدس طقوسياً في الدمية، التي كانت عقب ذلك تُلقى في نهر أو في البحر، لتنطلق طافية على أمواجه.

عقد نطاق الخصر Donning of the Train (موجي Mogi) الاحتفال ببلوغ الفتاة سن الحلم، وهو

الاحتفال الذي كانت ترتدي فيه للمرة الأولى رداء منافياً، مسترسلاً (مو Mo)، وغالباً ما كان ذلك يتم في غمار الاستعداد لزواج الفتاة.

عقد رباط السروال Donning of the Trousers (هاكاما جي) طقس مرور يتم خلاله بصورة تقليدية ارتداء صبي أو صبية صغيرين في الثالثة أو الرابعة من العمر السروال للمرة الأولى.

الباب المزدوج Double Doors (تسومادو Tsumado) باب مؤلف من قسمين متساويين معلقين على مفصلات، يُفتحان إلى الخارج، قرب أركان الدار الرئيسية (شيندين Shinden) بحيث يستطيع المرء اجتيازهما والسير عبر طريق الجسر (واتا دونو Watadono) إلى الجناح (تاي Tai) على أي من الجانبين).

صينية مزدوجة Double Tray (تسو ساني Tsuiga sane)- صينية (أوشيكي Oshiki) مع منصة حمل مستطيلة.

الشرق East (أزوما Azuma)- الإقليم الشرقي من الجزيرة الرئيسية في اليابان منظوراً إليه من المدينة. وكان يتمحور حول منطقة كانتو الحالية.

«الكوخ الشرقي Eastern Cottage» (أزومايا Azomaya)- أغنية سايبارا يصل فيها رجل إلى باب امرأة وسط المطر المنهمر، ويطالب بإدخاله الدار، وترد المرأة في الداخل بأن الباب غير موصد، وتدعوه للدخول. وكان (الكوخ الشرقي) شكلاً من أشكال الدور المسقوفة بالقش ونحوه الشائعة في شرقي اليابان.

الرقصات الشرقية Eastern Dances (أزوما أسوبي Azuma Asobi)- مجموعة من الرقصات التي تقوم على أساس رقصات شعبية من أزوما، وكانت بارزة في مخزون الرقص الخاص بالبلاط الهاييني.

التلال الشرقية Eastern Hills (هيجاشي ياما Higashi Yama)- التلال الواقعة على الجانب الشرقي من المدينة.

السرادق الشرقي East Pavilion (هيجاشي نو إين Higashi no In) الدار الجديدة التي شيَّدها جينجي على أرض نيجو، التي كان قد ورثها من أمه ليسكن فيها بعض نسائه.

المكاتب الثمانية Eight Bureaus (هاسشو Hassho)- المكاتب الحكومية الثمانية الكبرى: الشؤون المركزية، المراسم، الشؤون المدنية، الشؤون الشعبية، العقوبات، الخزانة، الحرب، وشؤون القصر، وكانت هذه المكاتب تقع في مجمع يتواصل مع قاعة الدولة الكبرى (دايجو كودين Daigo Kuden) وهو المبنى الرسمي الأكثر بروزاً في تخوم القصر.

طقس المحاورات الثماني Eight Discouses, Rite of (مي - هاكو Mi- Hako)- طقس يستغرق أربعة أيام يحتفي بسوترا اللوتس. وفي كل يوم من أيام السجال الرسمي، الذي يُقام في جلسات صباحية ومسائية، كان يجري تطوير محتوى لفافتين من اللفافات الثماني التي تقع فيها السوترا.

التعويض Emolument (ميفو Mifu)- دخل مرتبط بمرتبة في البلاط ومستمد من العمل الذي تقوم به مجموعة من العائلات.

الاعتدال Equinox (هيجان Higan) مدة سبعة أيام في الشهر الثاني (الربيعي) والثامن (الخريفي) حول

يوم الاعتزال نفسه. وكان اليومان الأول والأخير من الـ«هيجان» يعتبران محظوظين بصفة خاصة.

المرافقون Escort (ساكي Saki)- رجال كانوا يسبقون نبيلاً عظيماً، ويطلقون صيحات لتحذير الآخرين وإبعادهم عن طريق سيرهم.

الصلاة المسائية Evening Service (سويا نو تسوتومي Saya no Tsutome)- صلاة بوذية كانت تبدأ حوالي الساعة السادسة مساء، وتنتهي حوالي العاشرة ليلاً.

الملحق Extension (هاناتشيدي Hanachiide)- امتداد لفضاء المعيشة في دار ما، على الرغم من أن الطبيعة المحددة لهذا الامتداد يكتنفها شيء من الغموض، ويبدو أن تحقيقه كان يتم من خلال إزالة الحواجز (الستائر، الأبواب المنزلقة) بين الغرفة والممشى، ولكن الكلمة قد تشير في بعض الأحيان إلى ملحق يشكل امتداداً للمبنى الحالي.

الصيام Fasting (سوجين Sojin)- الامتناع عن شرب الخمر وأكل اللحم، والقيام في الوقت نفسه بتلاوة النصوص المقدسة البوذية (سور الأسل Fence of Rushes) (أشيجاكي Ashigaki) أغنية سايبارا عن عاشق يأتي لسرقة عروسه من دار أبيها، فيتم الإمساك به.

سرخسيات (الذاكرة) Berns of Memory (شينوبو Shinobu)- انظر مادة (أعشاب التذكر Grasses of Remembering) المهرجان The Festiual انظر مادة (مهرجان كامو Kamo Festival).

مذبح النار Fire Altar (دان Dan)- مذبح كان يشمل موقد طينياً لنار جوما Goma المقدسة.

القراءة الأولى First Reading (فومي - هاجمي Fumi- Hajime)- احتفال كان أمير أو ولي للعهد أو امبراطور شاب يُقدم فيه قراءة أولى، رسمية، من الأعمال الكلاسيكية الصينية.

سرادق صيد السمك Fishing Pavilion (تسوريدونو Tsuridono)- سرادق مبني فوق ركائز تعلو بحيرة الحديقة في مسكن على الطراز الهاييني، وملحق بأحد الأجنحة (تاي Tai) عبر رواق مفتوح. وكان يُستخدم لإزجاء الوقت الباعث على الاسترخاء.

طقس المذابح الخمسة Five Aftar, Rite (جودان ميزوهو Godan Mizuho)- انظر مادة (الطقس العظيم Great Rite).

الأعمال الكلاسيكية الخمسة Five Classics كتاب التغيرات (يتشينج Yiching)، كتاب الأناشيد (شيجينج Shijing) كتاب الوثائق (شوجينج Shujing)، حوليات الربيع والخريف (شونكيو Chunqiu) وكتاب الطقوس (ليجي Liji).

كعكات الألوان الخمسة Five- Calour Cakes (فوزوكو Fuzuku) كعكات بالألوان الخمسة البوذية المعترف بها (الأحمر، الأبيض، الأسود، الأصفر، والأزرق أو الأخضر) وكانت تعد من خمسة أنواع مختلفة من الحبوب تُطحن وتُحول إلى عجينة بإضافة سائل مُحلي (أمازورو Amazuru).

النواهي الخمسة Five Percepts (إتسوتسو نو إيماشبمي جوكاي)- المحظورات البوذية التي تُحرِّم القتل، السرقة، الزنا، الخداع والسكر، وكان يمكن أن يلتزم إنسان عادي أو راهب مبتدئ (نايودو Nyudo)

بقواعد السلوك البسيطة هذه، ولكن بالنسبة للرهبان والراهبات مكتملي الرسامة كانت هناك قواعد أخرى كثيرة.

الجسر الطافي Floating Bridge (يوكيهاشي)- جسر مؤقت (ألواح خشبية مثبتة على امتداد قوارب أو أطواف) على سطح نهر.

دوائر زهرية Floral Circles (كيمونرايو Kemonryo)- دوائر تضم شكلاً زهرياً على أرضية عادية، فاتحة.

ناي Flute (يوكوبو Yokobue)- ناي مستعرض ذو سبعة ثقوب.

الورق المطوي Falding Paper (تاتوجامي، فوتو كوروجامي)- نوع من الورق الذي يُستخدم لمختلف الأغراض، وعادة ما يتم الاحتفاظ به مطوياً في الطية الأمامية لرداء المرء. وكان من الممكن استخدامه عندما يكون ذلك ضرورياً بدلاً من ورق الرسائل.

التسعة والأربعون يوماً Forty- Nine Days فترة بعد الموت كان يتم خلالها أداء الطقوس المختلفة لبعث سعيد الطالع. انظر كذلك مادة (الطقوس التذكارية Memorial Rites).

الامتحان الأساسي Foundation Examination (رايوشي Ryoshi) امتحان مستوى دخول المجمع الدراسي في مسار دراسة الأدب (كايدين Kiden). وقد كان يغطي التاريخ الصيني على نحو ما هو متضمن في كتاب (شيجي Shiji) (انظر مادة سجلات المؤرخ The Records of Hislorian) وكتاب (هانشو Hanshu) وكان اجتياز ثلاثة من أجزاء هذا الامتحان الخمسة يمنح الطالب الوضعية الموقتة (جيامونجو giamonjo) أي يؤهله لأن يصبح (بعد امتحان إضافي من مكتب المراسيم [شيكيبو نو تسوكاسا نو كوكورومي Shikibu no Tsukasa no Kokoromi] مرشحاً منتظماً (مونجوشو Monjosho) للدرجة الكاملة الأولى من المجمع الدراسي.

الثعلب Fox – مخلوق فائق للطبيعة ارتبط بصورة الثعلب المألوف، وفي اليابان، كما هي الحال في الصين، كان من المعتقد أن الثعلب السحري يأخذ شكل كائن يُغيِّر هيئته، ويُفضِّل بصفة خاصة شكل امرأة شابة جميلة.

الخزانة العطرة Fragrant Chest (كو نو نو كارابيتسو Ko no no Karabitsu)- إما خزانة تضم خشب بخور لتعطير محتوياتها أو خزانة مصنوعة بالفعل من خشب البخور.

السلة ذات الحواف الحادة Fringed Basket (هيجيكو Higeko)- سلة أو صندوق من الخيزران، تُترك حوافه من دون ترتيب أو تشذيب، وكان يُستخدم للفاكهة أو الزهور.

سلة الفاكهة Fruit Basket (كومونو Komono)- سلة مبطنة بورق خفيف، وتحتوي على خمسة أنواع من الفاكهة والمكسرات (اليوسفي) [كوجي Koji]، البرتقال [تاتشيبانا Tachibana]، الكستناء، البرسيمون و[الناشي Nashi] أو الكمثري اليابانية، جنباً إلى جنب مع أغصان صنوبر تتخذ لأغراض الزينة.

فودو Fudo – إله بوذي يعني اسمه (الثابت)، فهو يجلس أو يقف على صخرة محاطاً بألسنة لهب. ولونه

أسـود مائل للزرقة على نحو غير مألوف، ويُشـهر سيفاً بيده اليمنى، ليضرب شياطين الرغبة التوّاقة، وفي يده اليمنى أنشـوطة ليشد وثاقها. وهو الإله الرئيسـي للطقوس الكهنوتية الجبلية وأيضاً الإله المحوري للطقس العظيم.

فوجين Fugen – بوذيساتفا يمثل تعاليم البوذا وممارساته، ويرتبط عن كثب بسوترا اللوتس.

ومن الناحية الرمزية فإنه يمتطي فيلاً أبيض.

فوجيتسـوبو Fujitsubo – أحـد الأجنحـة في مجمع القصر، والـذي كان مخصصاً لزوجـة امبراطور أو لامبراطـورة، ويقع إلى الشـمال من مسـكن الامبراطور (سـيرايودين Seeiryoden) وإلـى الغرب من جناح كوكيدين. وكان يضم الوستارية (فوجي Fuji) النامية في حديقته.

فوجيـوارا Fujiwara – لقـب القبيلـة غيـر الامبراطورية السـائدة في زمـن المؤلفة وقبله وبعـده بقرون. وكانـت المؤلفة نفسـها من الشـخصيات غير البـارزة المنتمية إلى هـذه القبيلة. وفي الحكايـة نجد أن وزير الميسـرة (والـد زوجة جينجـي) وبالتالي أيضاً أوي وأخيها تو نو تشـوجو ينتمون إلى هـذه القبيلة، وكذلك الحال بالنسبة لوزير الميمنة وعائلته وكذلك شخصيات أخرى كثيرة.

جاجاكو Gagaku مخزون الموسيقى المعروفة والتي كانت تُعزف في البلاط الهاييني بما في ذلك ليس الموسـيقى المصاحبة لمخزون رقص البوجاكو (Bugaku) فحسـب، وإنما أيضاً أغاني السايبارا (Saibara) والروي (Roei) أيضاً.

الرواق Gallery (رو Ro)– شـكلت هذه المماشـي المسقوفة ذات الأشـكال المختلفة مداخل إلى أبنية مختلفة من مجمعات سـكنية كبيرة، تمتد من الدار الرئيسـية (شيندين Shinden) أو الأجنحة (tai) إلى وفيما وراء البوابات، إلى الأبنية الملحقة والمساكن التابعة. ويمكن أن تكون هناك مجرات تُطل عليها.

فنـاء الحديقـة Garden Court (تسـوبو سـينزاي Tsubo Senzai)– فضـاء الحديقـة الواقـع بين مسـكن الامبراطور (سيرايودين) وجناح كورودين، الواقع إلى الغرب مباشرة.

«حديقـة الأزهار والصفصاف Garden of Flowers and Willows» (رايوكين Ryukaen) رقصة بوجاكو عرف أنها قد أديت للمرة الأخيرة عام 960.

حرس البوابة Gate Wach انظر ثبت (المناصب والألقاب).

جينجـي Genji عضـو فـي قبيلة (جـي J) ميناموتـو (جيـن Gen) وكان الجينجي أو الميناموتـو المنتمي إلـى الجيل الأول رجلاً، شـأن جينجي الحكاية، قد تم إبعاده عن العائلـة الامبراطورية من خلال منحه لقباً، وبالتالي جعله من العامة، وامتداداً في الاستخدام الوارد في الحكاية. كان رجلاً لا ينتمي إلى قبيلة فوجيوارا (وبصفـة خاصـة منحدراً من أصـل امبراطوري) يتطلع إلى منصـب يُعتبر عادة حقاً مقصـوراً على أبناء قبيلة فوجيـوارا. وقـد قـام الامبراطور بخلع لقـب ميناموتو للمرة الأولـى في عام 814، وتلقـى الكثير من الإخوة والأبناء والأحفاد الامبراطوريين الفائضين هذا اللقب عقب ذلك.

زهرة الجنطيانا Gentian (رايوتان Ryutan)– وفي اليابانية الحديثة (ريندو Rindo).

وصيفة Gentleaoman (نايوبو Nyobo)- امرأة من عائلة طيبة تخدم نبيلاً رفيع المرتبة أو سيدة نبيلة المحتد. وقد كانت موراساكي شيكيبو وصيفة في خدمة امبراطورة. وفي بعض الحالات كان يمكن أن تكون المرأة من مرتبة يُعتد بها، وفي فصل «ذبابة مايو» تصبح أميرة وصيفة للامبراطورة.

غرفة جلوس الوصيفات Gentlewomens Witting Room (دايباندوكورو، سابوراي Daibandokoro, Saburai)- الغرفة الواقعة إلى الشمال الغربي من مسكن شخصية عظيمة، حيث تكون الوصيفات في الخدمة.

عقدة الهدية Gift Knot (كوكوروبا Kokoroba)- نوع من العقدة الزخرفية أو زهرة ورقية أو مجموعة أوراق الشجر المتخذة من الورق أو إبر الصنوبر تُرفق بهدية.

زهرة المنثور Gilly Flower (توكوناتسو Tokonatsu)- زهرة من العائلة القرنفلية، وهي العائلة نفسها التي تنتمي إليها القرنفلة (ناديشكو Nadeshiko). والاصطلاحان يمكن التمييز بينها من خلال استخدامهما في الحكاية. ويرجع ذلك في جانب منه إلى تورية راسخة حول (مكان رقاد) العاشقين (توكو Toko)، وتشير توكوناتسو إلى العاشقين وناديشكو إلى طفل.

لعبة الداما Go لعبةٌ تلعب على رقعة على جانب كبير من التعقيد والتركيب، وتُلعب على رقعة بأحجار بيضاء وسوداء صغيرة.

الطفل الإلهي Godchild (أماجاتسو Amagatsu)- دمية أدت بالنسبة للطفل غرضاً مماثلاً لغرض دمية التطهير، وكان يتعين على الطفل حتى حوالي عامه الثالث أن ينقل أي تأثيرات ضارة إلى هذه الدمية.

جوكوراكوجي Gokurkuji – معبد جنائزي للنبالة العليا من قبيلة فوجيوارا.

جوسيتشي Gosechi (مهرجان، راقصة) (Festival, Dancer)- مهرجان كان يواكب مهرجان التتويج (دايجوساي Daijosai) في عام ارتقاء امبراطور جديد إلى سدة العرش، أو مهرجان الفواكه الأولى (نيناميساي Ninamesai) في سنوات أخرى، وكان يُقام في الأيام الوسيطة، وهي أيام الثور، النمر، الأرنب، والتنين في الشهر الحادي عشر. وفي الحالة الأولى كانت هناك خمس راقصات، وفي الحالة الأخيرة كانت هناك أربع راقصات، ومن بين هاته الراقصات، في عام نيناميساي، جاءت راقصتان من صفوف عائلات النبلاء رفيعي القدر (ثلاث في عام دايجوساي) من صفوف عائلات الوصفاء الخصوصيين وحكام الأقاليم. وفي يوم الثور دخلت الراقصات ومن برفقتهن من الوصيفات غرفة الجوسيتشي في جونيدين. وفي اليوم الأخير (يوم التنين) كانت هناك هناك مأدبة كبرى من مآدب البلاط تُعرف باسم (دفء الخمر Toyo no akari) وفي هذه المناسبة رقصت راقصات الجوسيتشي رقصة العذارى السماويات. وفي يوم الأرنب شاهد الامبراطور الفتيات التابعات (واراو Warawa).

أعشاب النسيان Grasses of Forgetting (واسوريجوسا Wasuregosa)- الزهرة المسماة في اليابانية الحديثة يابوكانزا Yabukanza، زنبقة نهار برتقالية.

أعشاب التذكر Grasses of Remembring (شينوبو Shinobu)- نوع من السرخس ينمو عن طواعية

في الأسـقف المتخذة من لحاء الشـجر أو القش. وهذه الكلمة متجانسة مع كلمة تعني (التركيز بشغف على ذكرى الماضي).

قاعـة الدولة الكبـرى Great Hall of State (دايجوكودين Daigokuden)- القاعة المسـتخدمة لاحتفال التتويج وغيره من المناسبات الكبرى الأخرى التي يشهدها الامبراطور.

«السلام العظيم Great Peace» (تايهيراكو Taiheiraku) رقصة بوجاكو «صينية»، عسكرية الروح، يؤديها أربعة راقصين.

الطقـس العظيـم Great Rite (ميزوهـو Mizuho)- طقـس للحمايـة لإبعـاد سـوء الطالـع وتطوير القوة الحيويـة، وغالبـاً ما يراد منه تشـجيع الميلاد الآمن. وهو يُعرف بصورة أكثر اتسـاماً بالطابع الرسـمي باسـم (جودان ميزوهو Godan Mizuho) (طقس المذابح الخمسـة)، وكان يُؤدى من قبل خمسـة كهنة قبالة مذابح الإله فودو وآلهته الأربعة حامية الاتجاهات. وفي الحالات الخطيرة كان يُمكن أن يُؤدى في القصر.

طائـر الغـواص المائي Grebe (نيو، نيودوري Nio, Niodori)- طائر غواص اشـتهر بوفائه لوليفته طوال عمره، الأمر الذي أعطى نيو نو أومي (بحيرة طيور الغواص)، وهي بحيرة بيوا الحديثة، اسمها.

«الصفصافة الخضراء Green Willow» (أيواجي Aoyagi)- أغنية سـايبارا تسـتحضر هازجة (يوجويسو Uguisu) تنسج إكليلاً من زهور الربيع بفروع صفصافة باكية.

تخميـن القوافي Guessing Rhymes (فوتاجـي futagi)- لعبة تتضمن تخمين القوافي في قصيدة صينية مجهولة للمتسابق.

هاجي Hagi - نبتة خريفية ذات سعفات طويلة، رشيقة، وزهور وردية قاتمة أو بنفسجية أو بيضاء. وعلى الرغم من أن كلمة هاجي غالباً ما تُترجم على أنها «برسيم الأدغال»، فإنه لا وجود بالفعل لمثل هذه النبتة.

خزانة تصفيف الشعر Hairdressing (كاكيج نوهاكو Kakage no Hako) خزانة لأدوات تصفيف الشعر.

دبوس الشـعر Hairpin (كوجاي Kogai)- أداة لتصفيف الشعر تُشكّل في بعض الأحيان على هيئة تشبه عود تناول الطعام، وتُصنع من الفضة أو من مادة ثمينة أخرى.

المصراع نصف اللوحي Half- Panel Shutter انظر (المصراع الشبكي Fattice Shutter).

قاعة المرآة المقدسة Hall of the Sacred Mirror (ناشيدوكورو Nashidokoro)- غرفة في (الأونميدين the Unmeiden) حيث كان يتم الاحتفاظ بالمرآة المقدسة (ياتا نو كاجامي Yata no Kagami) وهي رمز من الرموز الامبراطورية الثلاثة.

العربـة اليدويـة Hand Carriage (تيجوروما Teguruma)- نوع مـن المحفة على عجلتين للاسـتخدام داخـل أراضي القصر، وكان اسـتخدامها يقتضي إذناً امبراطورياً، وكان يقتصر عادة على الشـخصيات ذات المرتبة الأرفع. وكانت زوجة الامبراطور الجديدة تصل دوماً إلى القصر في عربة من هذا النوع.

المشـعل اليدوي Hand Torch (شينسـوكو Shisoku)- شقة من خشـب الصنوبر يغمس أحد طرفيها في الزيت، بينما يُلف بالورق الطرف الذي يمسك به حامل المشعل.

مضـرب الأرنب Hare Mallet (أوزوتشـي Uzuchi)- قطعة مسـتطيلة من خشـب شـجر الخوخ، يصل طولها إلى أربع بوصات تقريباً، ذات شُرابة مؤلفة من خيوط خماسية الألوان تتدلى منها، تستخدم في القصر وفي الدور الكبرى لطرد الشياطين في اليوم الأول، يوم الأرنب من الشهر الأول.

هاريما Harima – مقاطعة تتطابق مع جزء من محافظة هايوجو الحديثة، في البحر الداخلي.

هاتسوسـي Hatsuse – اسـم المكان المرتبط بـ(هاسـيديرا Hasedera) وهو معبد في الجبال يقع بصورة تقريبية إلى الشرق من نارا. وهاسيديرا مكرَّس للبوذيساتفا ذي الرؤوس الإحدى عشرة. (جويتشيمين كانون Jaichimen Kannon) وتحظى أيقونته المقدسة بإجلال خاص. وكان هذا المعبد مركزاً كبيراً للحج.

طقوس الشـفاء Healing Rites (كاجي Kaji)- طقوس تؤدى للشـفاء من قبل الرهبان البوذيين. وكانت تتضمن مناشدة قوة آلهة بعينها.

قلباً لقلب Heart- lo- Heart (أوي Aoi)- نبتة صغيرة (آسـاروم كوليسـيتر Asarum Caulescens) وتعد مقدسـة لـدى مـزار كامو. وهي نبتة مـن نباتات الغابات، وتتألـف من زوج مـن الأوراق العريضة التي تأخذ شـكل القلب في وضعية متناظرة، كان الناس يزينون بها أغطية رؤوسـهم وعرباتهم بمناسـبة مهرجان كامو (على نحو ما كانوا يفعلون بالغار) (كاتسـورا Katsura) ويمكن لكلمة أوي في هجائها الذي يعود للمرحلة الهايينية (أفوهي Afahi) أن يعني «يوم لقاء (العشاق)» وغالباً ما يُستغل هذا المعنى المزدوج في الشعر.

هايتشو Heichu – بطل كوميدي بليد ينتمي إلى فولكلور البلاط الهاييني.

الكـرات النباتيـة Herbal Bạlls (كوسـوداما Kusudama)- انظـر (مهرجان قصب الذريـرة Sweet Flag Festival).

نجم الفتى الراعي Herdbay Star (هيكوبوشي Hikoboshi).

هيتشـيريكي Hichiriki – مزمار صغير، لكنه عالي الصوت، يُتخذ من قصب الخيزران و(الهيتشـيريكي الأكبر) المذكور في فصل «القرطم»، وهو شكل أكبر من المزمار التقليدي، لم يكن يعزف عليه عادة النبلاء المتميزون، وبحلول زمن المؤلفة كان استخدامه قد انقطع تدريجياً.

هايي، جبل Hiei, Mount – جبل (يبلغ ارتفاعه 2799 قدماً) يقع إلى الشمال الشرقي من المدينة مباشرة، وهو موقع مجمع معبد كبير كان مركزاً لبوذية تينداي.

هيجو Higo مقاطعة كوماموتو الحالية، على وجه التقريب، في جنوب غربي كيوشو.

هيتاشي Hitachi – مقاطعة في إقليم أزوما (كانتو حالياً) تتطابق مع الجزء الشمالي من محافظة إيباراكي.

هايزين Hizen – مقاطعة في كيوشو، مقسمة الآن بين محافظتي ساجا وناجا الحديثتين.

الرجـل المقدس Holy Men (هايجيري Hijiri)- كلمة شـائعة تطلق علـى راهب بوذي يحيا متنحياً عن الدنيا، وتؤدي عبادته إلى تراكم القوة الروحية.

الجبـل المقـدس Holy Mountain (ميتاكـي Mitake)- (الآن سـانجو – ما – تاكي، يبلـغ ارتفاعه 5676 قدماً)- جبل في سلسلة أومايني، الواقعة إلى الجنوب من نارا. وكانت عبادة ميتاكي توجه إلى ميروكو، بوذا

المستقبل.

رف الماء المقدس Holy - Water Shelf (أكادانا Akadana)- رف لقرابين الماء المقدس والزهور، يوضع خارج شرفة الدار مباشرة.

هوراي Horai – جبل رائع في وسط البحر، تقطنه كائنات خالدة في (أنشودة الحزن الذي لا ينتهي) لباي جويي، يبعث الامبراطور الذي يغمره الحزن بساحر إلى هناك للعثور على محبوبته يانج جويفي.

«هوسوروجوسيري Hosaroguseri»- مقطع من موسيقى لمصاحبة رقصة بوجاكو يُقال لها «تشوهوراكو Chohoraku» ويبدو سياق مقاطع هذا الاسم غريباً في اللغة اليابانية.

هوسهوجي Hosshoji معبد شيَّده فوجيوارا نو تاداهيرا في عام 925 على موقع معبد (توفوكوجي Tofukuji) الراهن إلى الشرق من نهر كامو وعلى مبعدة قليلة من جنوب المدينة. وكان على الطريق المفضي من كيوتو إلى أوجي.

ساعة (الأرنب، الثور، إلخ) Hour of the (Rat, Ox, etc) – كانت دورة ساعات الليل والنهار في الشهر تُسمَّى حسب تتابع علامات دائرة البروج الاثنتي عشرة، وهي: الفأر، الثور، النمر، الأرنب، التنين، الثعبان، الحصان، الخروف، القرد، الطائر الكلب والخنزير. وكانت الدورة اليومية تبدأ بساعة الفأر (التي تبدأ عند منتصف الليل على وجه التقريب) وتنتهي بساعة الخنزير (التي تبدأ على وجه التقريب عند الساعة العاشرة ليلاً. ولما كان عدد علامات دائرة البروج لا يتطابق مع عدد الأيام في الشهر (ثمانية وعشرون) فإن الأسماء المستمدة من دائرة البروج للإشارة إلى الأيام كانت تختلف من شهر إلى آخر.

مكتب شؤون الدار Househald Office (ماندوكورو، سابوراي Mandokoro, Saburai)- المكتب الذي تُدار منه شؤون الدار، بما في ذلك في بعض الحالات الضياع ومصالح أوسع نطاقاً.

الجُنجُل Humulus (موجورا Muegura) (Humulus Japonicus)- أحد أعضاء العائلة القنبية ومرتبط بحشيشة الدنيار، وهي نبتة ذات أوراق كبيرة إلى حد بعيد تبلغ خمس أوراق أو سبعاً تشبه شحمة الأذن. وهي تظهر في الحكاية باعتبارها عشبة مألوفة.

مقام هايوجو Hyojo Mode – مقام من مقامات (جاجاكو Gagaku) الستة.

مقام إتشيكوتسو Ichikotsu Mode – مقام من مقامات (جاجاكو Gagaku) الستة.

«أحبه كثيراً» I love Him So (سوفورين Sofuren) مقطوعة من أحد مقامات جاجاكو. وربما اعتادت الشخصيات كتابة عنوانها لتقصد شيئاً من قبيل (اللوتس في حديقة الوزير)، لكن اليابانيين كانوا يفضلون استخدام حروف أخرى (متجانسة لفظياً) تشير إلى هذا المعنى الرومانسي.

«خالد في السديم Immortal in the Mist» (سينوكا Senyuka)- مقطوعة من أحد مقامات جاجاكو. يومي عنوانها على نحو ما استخدم في الحكاية من طرف خفي إلى مكانة جينجي باعتباره امبراطوراً فخرياً متقاعداً، حيث إن الامبراطور المتقاعد كان من الشائع تصوره بحسبانه خالداً طاوياً ويسكن (سنتو جوشو Sento Gosho) (قصر كهف الخالد)، وكان الخالدون (سينين Sennin) يُفترض أنهم يتجولون وسط سُدم

ذرى الجبال، وأنهم لا يحتاجون إلى طعام آخر.

«خالد العمق Immortal of the Deep» (كايسنركو Kaisenraku)– مقطوعة جاجاكو من مقام (الأوشيكي the Oshiki).

الهُـري الامبراطوري Imperial Granary (كوكوسـوين Kakusoin) مخزن للأرز والنقد المحصلين من المقاطعات الداخلية (كيناي Kinai).

المطبـخ الامبراطـوري Imperial Kitchen (ميزوشـيديكورو Mizushidokoro)– مسـؤول عـن إعـداد وجبات الامبراطور.

المخازن الامبراطورية Imperial Stores (أوسـاميدونو Osamedono)– مكتب لشـؤون دار الامبراطور مسؤول عن خزانته الشخصية.

إيشياما Isheyama– معبد عند الطرف الجنوبي لبحيرة بيوا، ومقصد ذائع للحج بالنسبة لسكان المدينة. وتفيد الأساطير أن فكرة الحكاية قد استلهمتها شيكيبو موراساكي هناك. والمعبد مكرَّس للبوذيساتفا كانون.

اللبـلاب ivy (يادوريجـي Yadorigi)– كلمـة تعني الآن (نبـات الهلال) ولكن من الجلـي أنها تعني في الحكاية (اللبلاب) وربما تعني أنواعاً أخرى من النباتات المتسلقة للأشجار.

أيو Iyo – مقاطعة في جزيرة شيكوكو، تتوافق مع محافظة إيهايمي الحالية.

سـتارة أيو Iyo Blind (أيو سـو Iyo su)– نوع من السـتائر الحاجبة الخشـنة، مناسـبة للريف، تتخذ من الخيزران المجدول (شينوتاكي Shinotake).

جونيدين Joneiden – جناح سـكني في مجمع القصر، مناسـب لامبراطـورة أو لزوجة امبراطور. وكان يضم كذلك غرفة تستخدمها راقصات جوسيتشي.

«بهجة الربيع Joy of Spring» (كيشوراكو Kishuraku) مقطوعة بوجاكو لم يُقدَّر لرقصتها ولا موسيقاها الوصول إلينا.

اليوبيل Jubilee – العام الأربعون أو الخمسـون لميلاد شـخصية عظيمة، كان يمكن أن يُقام، احتفاء به، احتفال أو سلسلة من الاحتفالات (جا ga).

كاجورا Kagura موسيقى ورقص يُقدمان في مزار لجانب من جوانب الألوهية الشنتوية.

كاجويـا – هايمـي Kaguya- Hime بطلة «حطاب الخيزران العجـوز The Old Bambo Cutter»– (انظر المـادة الخاصـة بهـا)، وهي وليدة متألقة يكتشـفها حطاب خيـزران عجوز في أجمة من أشـجار الخيزران. ويعني اسـمها شـيئاً من قبيل «سـيدة الضيـاء». وتكبر كاجويا – هايمـي لتصبح بارعة الجمـال، ويتودد إليها العديد من الخطاب، الأمر الذي يتوَّج بتودد الامبراطور نفسـه إليها، وفي النهاية تعود إلى موطنها الحقيقي، القمر.

مهرجـان كامو Kamo Festival (كامو نو ماتسـوري Kamo no Matsuri)– المهرجان السـنوي لمزاري كامـو (كامـو الأعلـى وكامو الأدنـى) الواقعين على نهر كامو، إلى الشـمال مـن المدينـة. وكان يُقام في يوم

الطائـر، وهـو اليوم المتزامن مع منتصف الشـهر الرابع. وفي ذلك اليوم كان موكـب حافل ينطلق من القصر لزيارة كل من المزارين، ليشـكل مشـهداً فائقاً بالنسبة لجموع الناس. وكان يُعرف كذلك باسم مهرجان أوي لأن الناس كانوا في هذه المناسـبة يزينون أغطية رؤوسـهم وعرباتهم وما إلى ذلك بأوراق الأوي المقدسـة لدى كامو. وكان هناك بالإضافة إلى ذلك مهرجان كامو خاص (كامو نو رينجي ماتسوري Kamo no Rinji Matsuri) في يوم الطائر، وهو اليوم الأخير في الشـهر الحادي عشـر، وكانت بعض الرقصات الشرقية تؤدى للإلهة من قبل موسيقيي القصر، وكانت تجارب الأداء تؤدى في القصر.

كانا Kana – حروف المقاطع المنطوقة، التي تخالف الحروف الصينية.

البوذيسـاتفا كانـون Kannon بوذيسـاتفا الشـفقة، البـارز بصفة خاصة فـي الحكاية مرتبطاً بها تسوسـي وإيشياما.

العوائـق الكارميـة Karmic Impediments (جوشـو Gosho)– الاصطـلاح البـوذي للعوامل التي تعوق التقدم نحو الاستنارة، وعلى رأسها الطمع، الغضب والحمق.

مزار كاسوجا Kasuga Shrine – يقع في نارا، وهو مزار الأسلاف بالنسبة لقبيلة فوجيوارا.

ملازم كاتانو Katano Eieutenant (كاتانو نو شوشـو Katano on Sho Sho)– بطل عاشق لم تصل قصته إلينا.

(كازوراكي Kazuraki)– أغنية سايبارا.

جبـال كازوراكـي Kazuraki Mountains – سلسـلة جبال تقع إلى الجنوب من أوسـاكا الحالية. وكانت كازوراكـي معروفـة بالسـحرة وصانعي الأعاجيب، حيـث إن (إن نو جايوجـا En no Gyoja) (أواخر القرن السـابع) جاء من هناك، وهو المؤسـس شـبه الأسـطوري للعرف النُسـكي الجبلي في اليابان. ويُقرأ الاسـم باليابانية الحديثة (كاتسوراجي: Katsurag).

الكرة الخشـنة Kichball (كيمـاري Kemari)– لعبة يقف فيها اللاعبون في دائـرة، ويركلون كرة (ماري Mari) عالياً في الهواء. وكان جوهر اللعبة هو الإبقاء على الكرة في الهواء بحيث لا تقع على الأرض البتة.

كي Kii – مقاطعة قديمة تتطابق، على وجه التقريب، مع محافظة واكاياما الحالية.

كيـن Kin – آلـة كوتو (انظر المادة الخاصة بها)، ذات سـبعة أوتار، وبلا عتب، مـن الصين.. وقد كانت ذائعـة خـلال النصـف الأول من القـرن التاسـع، وكان يُعزف عليهـا كجزء مـن الإنجازات العاديـة للرجل الأرسـتقراطي حتى منتصف القرن العاشـر (وهو الزمن الحاضر بالنسبة للحكاية). وبحلول نهاية القرن كان قد تم التخلي عنها تقريباً.

كيريتسـوبو Kiritsubo – مسـكن تضم حديقته شجرة البولفينية (كيري Kiri) في الركن الشمالي الشرقي البعيـد لمجمـع القصـر الداخلـي. وكان مخصصاً لزوجـة امبراطـور تنتمي إلى مرتبـة أكثر تواضعـاً. وكان الوصـول إلى سـكن الامبراطور من هذا المسـكن يعني السـير عبر مناطـق مجاورة بصورة مباشـرة لأماكن معيشـة زوجات أخريات للامبراطور. وكان (شيجيشـا Shigeisha أو شيجيسـا Shigeisa) اسـماً صينياً آخر

لهذا السكن نفسه.

الرسـالة المعقودة Knotted Letter (موسـوبي- بومي Musubi- Bumi) رسـالة حب، مكتوبة على رقعة من الورق الرفيع، ثم تُطوى بإحكام، وتُعقد.

كوكيدين Kokiden - جناح سـكني في مجمع القصر، تشـغله عادة امبراطورة أو امبراطورة أم أو زوجة امبراطور.

كوما Koma (كوجورايو Koguryo)- مملكة كورية قديمة.

نـاي كومـا Koma flute (كومابـو Kombue)- ناي ذو سـتة ثقـوب، أقصر وأنحف من (النـاي) العادي (يوكوبو Yokobue).

كورودين Koroden - جناح سـكني فـي مجمـع القصـر يقـع إلـى الغـرب مباشـرة مـن (سـيرايودين Seiryoden). وكانت تشغله عادة زوجة امبراطور أو سيدة امبراطورية أخرى.

«كوريـو Koryo» مقطوعـة موسـيقية تُعـرف تقليديـاً بأنهـا المقطوعـة الصينيـة «السـرية» (كوريوسـان Koryosan).

كوتو Koto - اصطلاح قد يشير في الحكاية إلى أي آلة موسيقية وترية، بما في ذلك (البيوا Biwa) (انظر المادة الخاصة بها). وهو يشـير بصورة أكثر اعتياداً إلى نوعية آلة موسـيقية طويلة، تشبه آلة القانون تُسند إلى الأرض أمـام العازف. وهذه النوعية تشـمل (الكين Kin والسـو نـو كوتـو So no Koto والواجون Wagon) (انظر المواد الخاصة بكل آلة من هذه الآلات الموسيقية).

لوحات السـيدات Ladies Paintings (أونائي Onnae)- لوحات ملونة ذات محتوى سـردي، رومانسي بصورة عامة.

القناديل Lanterns (تورو Toro) قناديل من الخشب أو الخيزران أو المعدن تتدلى من طنف الدار وتضم مصابيح زيتية.

ابتهـالات الليل المتأخرة وصلواتـه Late- Night Devotion, Prayers (جويا Goya)- ابتهالات منتظمة كانت تدوم على وجه التقريب من منتصف الليل حتى الفجر.

المصـراع الشـبكي Lattice Shutter (كوشـي Koshi) وكذلـك (شـيتوميدو Shilomido وهاجيتومـي Hajtami)- مصاريـع أو مصاريـع نصف لوحية متخذة من شـبك مربع مدعم بخشـب رفيع أو ورق، ولدى إنزالهـا فإنهـا تقـوم مقـام الجـدران، وبصفة خاصـة على الجانـب الخارجي مـن المباني، ولكـن في بعض الأحيـان بيـن الغرفـة (مويـا Moya) والممشـى (هيساشـي Hisashi). وهي تعلق أفقيـاً من العارضـة العليا للأسـكفة (ناجيشـي Nageshi) وكانت تُرفع مفتوحة وتُشـبك من أعلى، أو كان بالإمكان إزالتها كلية. وفي بعـض الحالات كانـت تطوى للداخل، كما هي الحال على امتداد الجانب الجنوبي من مسـكن الامبراطور (سـيرايودين Seiryoden) وفـي بعض الحالات كانـت تُطوى للخارج، كما كانت الحـال عندما تكون قريبة من الشرفة (سونوكو Sunoko). وفي الأصل كان مصراع لوحي مفصلي يملأ الامتداد الكامل بين الأعمدة،

وفي وقت لاحق كان المصراع نصف اللوحي (هاجيتومي Hajitomi) يملأ الجزء العلوي، ولوحي شبكي قابل للإزالة (كوشي Koshi أيضاً) يملأ الجزء السفلي.

الغار Laurel (كاتسورا Katsura)- نوعية من الشجر ذات أوراق على شكل القلب، تشبه شجرة الغار، وكان يُعتقد في شرقي آسيا أنها تنمو في ضوء القمر.

وكانت أوراقها تُستخدم مع أوراق قلباً لقلب (أوي aoi) كعناصر زخرفة وزينة من أجل مهرجان كامو.

طفل العلق Leech Child (هيرو نو كو Hiru no Ko) الابن الأول لـ(إزاناجي Isanagi) و(إزانامي Izanami) وهما الزوجان الأصليان في أسطورة الخلق. وقد كان معيباً، حيث إنه كان بلا عظام، وفي عامه الثالث تُرك في البحر لينجرف بعيداً.

المكتبة Library (فونو تسوكاسا Funnotsukasa)- مكتب دار الامبراطور الشخصية الذي كان يقوم بالاعتناء بالكتب، الورق، الفراش، والآلات الموسيقية.

المرطبات الخفيفة Light Refreshments (ميزو موما يا Mizu Mumaya)- (انظر مادة التوقف للارتواء Water Stop).

الأسكفة Lintel (ناجيشي Nageshi)- أخشاب بناء تثبت أفقياً فوق الأعمدة وبينها في إطار البناء عند مستوى الأرضية وفوق الرأس. وفي بناء العمود والأسكفة، قد تستخدم عناصر فصل خفيفة وقابلة للنقل بين الفراغات، بدلاً من الجدران.

ستائر الأسكفة Lintel Curtain (كابيشيرو kabeshiro)- ستائر تتدلى من أسكفات المبنى، وغالباً ما يكون ذلك داخل الستائر الحاجبة (ميسو، سوداري Misu Sudare). وعادة ما كانت لها زخارف بسيطة، ولكنها كان يمكن أن تكون رمادية أو سوداء من أجل الحداد أو بيضاء ونقية من أجل ميلاد طفل.

الصومعة Lodge (بو Bo، سوبو Sobo)- المباني التي يقطنها رهبان مجتمع المعبد.

الجسر الطويل Long bridge (ناجاهاشي nagahashi)- الجسر الممتد بين سكن الامبراطور (السيرايودين Seiryoden) و(الشيشينرين Shishinden).

سوترا اللوتس Lotus Sutra (هوكي - كايو Hoke Kyo)- النص المحوري لبوذية التينداي، والذي يُعد النصف الأكثر أهمية في البوذية اليابانية.

بوذا التطهير Lustration Buddha (كانبوتسو Kambutsu)- تمثال لبوذا على هيئة وليد كان يحتل مكاناً بارزاً في طقس التطهير (كانبوتسو - ئي Kanbutsu- e) الذي كان يُقام في اليوم الثامن من الشهر الرابع تكريماً لميلاد بوذا. وكان الطقس يشمل التطهير (صب الماء أو الشاي المحلى) على التمثال.

غدير التطهير Lustratio Stream (ميتارا شيجاوا، ميسو جيجاوا Mitarashigawa Misog, Gawa) غدير قرب مزار، يُستخدم للتطهير.

(سحر الخمر Magic of Wine) (كانسويراكو Kansuiraku)- مقطوعة بوجاكو كورية يبدو أنها لم يُقدَّر لها البقاء إلى وقت يتجاوز منتصف القرن الرابع عشر.

الخادمة maid (ميوتشيكي نو هيتو Muichiki no Hito)- امرأة مكلفة بمساعدة الامبراطور على تبديل ثيابه، أو (شيموتسوكاي Shimotsukae) أي خادمة شابة.

زهرة البتول Maidenflower (أومينيشي Ominaushi)- نبتة من عائلة الناردين تنبت لها مجموعات عدة من الزهور الصغيرة ذات اللون الأصفر غير المتوهج.

الدار الرئيسية Main House (شيندين Shinden)- البنية المركزية لمنزل هاييني، وعادة ما يتم ربطها عن طريق طرق جسور (واتادونو Watadono) على أي من الجانبين بأجنحة (تاي Tai) متناسقة بشكل أو بآخر.

المانترا Mantra (شينجون Shingon)- سلاسل من المقاطع، لها معناها في الأصل السنسكريتي أحياناً، وليس لها معنى في أحيان أخرى، تحتوي في الصوت طبيعة إله بوذي.

الحصيرة Mat (تاتامي Tatami)- حصيرة مضفورة من قش الأرز.

ذبابة مايو Mayfly (كاجيرو Kagero)- ذبابة طويلة الأجنحة يفقس بيضها بأعداد هائلة، قرب الماء بصفة عامة، في فصل الصيف. وهي تموت بعد ساعات قلائل فحسب، بعد أن تتزاوج وتضع بيضها.

مائدة الوجبة Meal Stand (داي، كاكيبان Dai, Kakeban)- الأوزين O- Zen الحديثة، نوع من الموائد الصغيرة، الفردية، لتناول وجبة.

الطقوس التذكارية Memorial Rites - طقوس لإرشاد الروح نحو بعث سعيد، أو في نهاية المطاف نحو البعث في الفردوس. وكانت تُقام كل سبعة أيام خلال الأيام التسعة والأربعين التي تعقب الوفاة وعلى مراحل متباعدة عقب ذلك. وكانت أيقونات جديدة للآلهة البوذية المعنية تعد لكل صلاة خلال فترة الأيام التسعة والأربعين الأولى. وأثناء هذه الفترة كانت الروح تتجول في (حالة انتقالية) (تشوو Chuu) ثم تمضي إلى بعثها المستقبلي، وفقاً للكارما الخاصة بها، في واحد من الأقانيم الستة للتقمص، وهي: الكائنات السماوية، البشر، الهولات المتحاربة، الوحوش، الأشباح الجائعة، أو الجحيم.

ورق متشينوكوني Michinokuni (متشينوكوني - جامي Michinokuni - Gami) ورق أبيض يُصنع بصفة خاصة في شمالي اليابان (متشينوكوني، متشينوكو Michinokuni, Michinoku) من لحاء الشجر، ويُستخدم لأغراض أقرب إلى أنشطة الأعمال.

البوابة الوسطى Middle Gate (تشومون Chumon)- إحدى البوابتين المتساوقتين في الأروقة الممتدة جنوباً من أجنحة الدار، وكانت تتيح الدخول إلى المنطقة بين الدار الرئيسية وبحيرة الحديقة.

الإله الوسيط Mid- God (ناكاجامي Nakagami)- إله ين- يانج (أونميودو Onmyodo) يتحرك في دائرة منتظمة تستغرق ستين يوماً، فبعد ستة عشر يوماً في السماء يهبط هذا الإله إلى الأرض ويدور مع دائرة البروج، حيث يقضي خمسة أيام أو ستة في كل اتجاه من اتجاهات هذه الدائرة، وكان المرء يتجنب (إيمو Imu) الرحيل في اتجاه (أوصد) أو (أغلق) (فوتاجارا Futagara) على هذا النحو. وفي فصل (شجرة الوزَّال) تنتهك نية جينجي قضاء الليل في دار أصهاره هذا المحرم، ولابد له من أن (يتجنب) (تاجاو Tagau) الاتجاه الموصد باللجوء إلى مكان آخر، في اتجاه آخر من نقطة رحيله، أي القصر.

ميناموتو Minamoto – انظر مادة (جينجي Gengi).

ميروكو Miroku – بوذا المستقبلي الذي سيهبط إلى عالم متغير بعد دهور عديدة من الآن. وكان من المعتقد أن موقع هبوطه سيكون الجبل المقدس (ميتاكي Mitake).

المقدمة المقامية Model Prelude (كاكي – أواسي، تشوشي Kaki- Awase, Choshi)– مقطوعة موسيقية قصيرة تُعزف على آلة وترية. (كاكي – أواسي Kake- Awase) أو تعزفها فرقة موسيقية (تشوشي Choshi) للتنويع على النغم وتكريس المقام الموسيقي.

دجاجة الماء Moorhen (كوينا Kuina)– نوع من دجاج الماء، أو التفلق، تتردد صيحته، في فصل الصيف، شبيهة بطرق أحدهم بخفة على بوابة، وفي الشعر يعتقد المستمع أنه بإزاء شاب يزور محبوبته سراً.

مجد الصباح Morning Glory (أساجاو Asagao)– انظر مادة (زهرة الجُريس الزرقاء Bluebell).

تحية الصباح Morning Salutation (تشوهاي Chohai)– احتفال كان أعضاء البلاط المجتمعون يحيون فيه الامبراطور في صباح اليوم الأول من العام الجديد.

(موتوميجو Motomego)– إحدى الرقصات المنتمية إلى الرقصات الشرقية، ويبدو أن كلمات أغنيتها لم تكن مستقرة.

الجبل Mountain, the – انظر مادة (هايي Hiei).

ناسك جبلي Mountain Rustic (ياماجاتسو Yamagatsu) (يامابوشي Yamabushi)– ممارس للبوذية متواضع المرتبة، غالباً ما يكون معالجاً، ربما لا تكون رسامته قد تمت بصورة كاملة، وتمضي ممارسته للعبادة به إلى الجبال المقدسة.

ساكن الجبل Mountain Rustic (ياماجاتسو Yamagatsu)– الاصطلاح العام لساكن فظ لـ «قرية جبلية» (انظر المادة المتعلقة بها) على نحو ما يُنظر إليه من المدينة.

قرية جبلية Mountain Village (يامازاتو Yamazato)– بقعة ريفية، كان من المحتم بحكم جغرافية اليابان إما أن تكون في التلال أو الجبال، أو عند سفوحها على امتداد نهر أو على شاطئ البحر. وتشمل الأمثلة عليها، في الحكاية سوما، أكاشي، أوي، أوجي، وأونو.

ختام الحداد Mounting, Close of (أون– هاتي On- Hate)– نهاية فترة الحداد الرسمي، وكان امتداد مثل هذه الفترة يتراوح حسب العلاقة بين من يلزم الحداد والمتوفى.

الاعتزال الحدادي Mourning Confinement (أون– إيمي On- Imi)– عزلة طقوسية، عادة ما تدوم ثلاثين يوماً، لتجنب انتشار الدنس الراجع إلى الاحتكاك بالموت.

الاعتكاف الحدادي Mourning Retreat (إيمي Imi)– مدة التسعة والأربعين يوماً (انظر المادة الخاصة بها) التي تعقب الموت.

مودرا Mudra (إن In)– وضعية محددة للأيدي والأصابع تشير إلى حضور إله بوذي في طقس ما.

راية لحاء شجر التوت Mulberry - Cloth Stramer (يوو Yu)- راية مقصوصة على نحو متعرج من قماش لحاء شجر التوت أو من الورق، وتستخدم في طقوس الين - يانج أو الشنتو.

مهرجان المرح Mumming (أوتوكو توكا Otoko taka)- عادة منتظمة متعلقة بالعام الجديد درج عليها القصر. وفي اليوم الرابع عشر من الشهر الرابع يظهر ستة من قادة مجموعات الغناء (كاتو Kato من الميمنة أو الميسرة) وكذلك راقصون وعازفون موسيقيون مختارون من صفوف الوصفاء (تينجوبيتو Tenjobito) وذوي المراتب الأقصى (جيجي Jige) أمام مسكن الامبراطور، الامبراطورة، الامبراطور المتقاعد..

إلخ، راقصين ومغنين أغنيات (سايبارا Saibara) وقد انتهت ممارسة هذه العادة في عام 983. وكانت النساء يقمن بممارسة تقاليد المرح، ولكن ليس في الحكاية.

موراساكي Murasaki - نبتة (Lithospermum Erythrorohizon) تُعطي جذورها صبغة أرجوانية، والاسم يطلق أيضاً على الصبغة ولونها، وهذا اللون يرمز للعلاقة والعاطفة الدائمة.

الأرضية الموسيقية Musical Ground (هايوشي أواسي Hyoshi Awase) أرضية يُعزف الإيقاع حيالها.

ناكاجاو Nakagawa. يُقال إنه نهر كايو جوكو الواقع إلى الشمال من نيجو.

اسم (أميدا) Name (of Amida) the - التضرع إلى بوذا أميدا (انظر مادة أميدا Amida).

مرتفعات نارا Nara Heights (نارازاكا Narazaka)- امتداد من التلال يقع إلى الشمال من نارا، بين نارا ونهر كيزو.

الخزانة الضيقة Narrow Chest (هوسو بيتسو Hosobitsu)- شكل طويل وضيق إلى حد ما من الخزانة ذات القوائم (هيتسو Hitsu).

ناشيتسوبو Nashitsubo - يُقال له أيضاً (شويوشا Shoyosha) سرادق في مجمع القصر، توجد في حديقته أشجار كمثري يابانية (ناشي Nashi).

الحديقة القريبة Near Garden (سينزاي Senzai)- الجزء من الحديقة الواقع قرب الدار، والذي يختلف عن المتنزه، الذي يقع على مسافة أبعد من الدار في إطار حديقته.

مسابقة العام الجديد للرماية بالسهام New Year Archery Contest (نوريومي Noriyumi)- مسابقة كانت تُقام في اليوم الثامن عشر من الشهر الأول من قبل الرماة بالسهام التابعين لمراقبي البوابة وحراس القصر (بعد شهر أو شهرين كان الوصفاء الخصوصيون يقيمون مسابقة مماثلة). وكان قائد الجانب الذي انعقد له لواء الفوز يقيم مأدبة (نوريومي نو كيري أروجي Noriyumi no Kaeri Aruji) ويبدو أنه بحلول زمن المؤلفة أصبحت هذه المسابقة شيئاً ينتمي إلى الماضي.

قيام الليل، أداء الصلاة الليلية Night Attendance, Night Prayer Duty (ياي Yai)- واجب مهم يضطلع به الكاهن التابع لسيد أو سيدة نبيلين، حيث كان هذا الراهب يقوم بأداء هذا الواجب على امتداد الليل، في غرفة قريبة من موضع رقاد السيد الراعي، بحيث يتمتع هذا الأخير، خلال رقاده، بالتأثير الحميد لصلواته. وكان الكهنة يقومون بذلك للامبراطور في غرفة صغيرة (فوتاما Futama) يفصلها حاجز تقسيم عن وسادته.

القصـر تسـاعي الطيـات Ninefald Palace (كوكونوي Kakonoe)- أحد الأسـماء التي تطلق على قصر الامبراطور في معرض الإشادة والتقدير.

البوابـة الشـمالية north gate (كيتـا نـو جيـن kita no jin)- يُشـار إليها كذلـك على أنها (سـاكوهيمون Sakuheimon) البوابة الشـمالية المفضية إلى مجمع القصر الداخلي. وكانت النسـوة اللواتي يدخلن القصر أو يغادرنه يُستخدمن هذه البوابة عادة.

التلال الشمالية Northern Hills (كيتا ياما Kita Yama)- الجبال الواقعة إلى الشمال من كيوتو.

(نهر نوكي Nuki River) (نوكيجاوا Nukigawa) أغنية (سـايبارا Saibara) شـكوى عاشـق يحول والدا فتاته دون رؤيته لها.

المرضعـة Nurse (مينوتو Menoto)- هي، من حيث المبدأ، امرأة تقوم بإرضاع وليد رفيع المنبت، بدلاً مـن أمـه، حيـث إن مثل هـذه الأم لم تكن ترضـع طفلها عـادة، وذلك على الرغـم من أنه ربما لـم تكن كل (المينوتـو Menoto) مرضعـات، حيث إن الطفل كان يمكن أن يكون له أكثر من واحدة منهن. وكانت علاقة الطفل رفيع المنبت بمرضعته علاقة دائمة وحميمية، وكذلك علاقته بأبنائها.

انحناءة (الشكر) Obeisance (of Thanks) (بوتو Buto)- انحناءة قريبة من الرقص للإعراب عن الشكر الرسمي يؤديها، في المناسبات الرسمية متلقي إنعام من الامبراطور أو من نبيل عظيم.

المحترف Office of Artisans (تاكوميزوكاسـا Takumizukasa)- مكتب تابع لمكتب الشـؤون العامة، مسؤول عن صنع الأثاث وصيانته في القصر.

مكتب الطب Office of Medicine (تنياكو رايو Tenyaku Kyo)- مكتب تابع للقصر مسؤول عن الطب والمنتجات الطبية والرقي الشافية.

مكتب الموسيقى Office of Music (أوتازوكاسا Utazukasa)- مكتب القصر المسؤول عن الموسيقى والرقص.

مكتب التصوير Office of Painting (إيدوكورو Edokoro)- ورشة التصوير التابعة للقصر.

مكتـب شـؤون العاملين بالقصـر Office of Staff (نايشيزوكاسـا Naishizukasa)- مكتـب تابع للقصر تعمل به النسوة اللواتي كن مسؤولات أمام الامبراطور عن شؤون متنوعة، وبصفة خاصة تلك الشؤون ذات الصلة بالسيدات الامبراطوريات.

مكتـب الصيانـة Office of Upkeep (سـوري شـيكي Sari Shiki) المكتب المسـؤول عـن أعمال البناء والصيانة الخاصة بالقصر.

مزار أوهارانو Oharano Shrine – المقابل في كيوتو لمزار كاسوجا في نارا، وهو يضم مزار الآلهة ذاتها، وقد تم بناؤه في نهاية القرن الثامن، إلى الغرب من المدينة مباشرة، عند سفح جبل أوشيوا، وهو يمكّن نبلاء قبيلة فوجيوارا من تكريم آلهة قبيلتهم من دون قطع الطريق الطويل إلى نارا.

حطاب الخيزران العجوز Old Bamboo Cutter (تاكيتوري مونوجاتري Taketori Monogatri)- يسـود

الإجماع بصفة عامة على أنها أقدم حكاية يابانية قُدِّر لها البقاء، وهي ربما تعود إلى القرن الثامن. انظر مادة (كاجويا – هايمي Kaguya- Hime) شجرة البرتقال Orange (تاتشيبانا Tachibana) (ستروس تاتشيبانا Citrus Lachibane)- نوع من أشجار الحمضيات الزيتية، التي كانت تحظى بالتقدير بصفة خاصة لبراعمها العطرة. وكان عبقها يعيد إلى الأذهان قصص الحب الغابرة.

حاجز أوساكا معبر Osaka Barrier, Pass (أوساكا نو سيكي Osaka no Seki)- ممر خفيض إلى الشرق من كيوتو، بين المدينة وبحيرة بيوا. وكان الطريق إلى المقاطعات الشرقية يمضي في ذلك الاتجاه، وكان عبور أوساكا يعني حقاً مغادرة المدينة، وحرف (أوو O) المشدَّد في الاسم كان غالباً ما يُستخدم للتلاعب بلفظة (أوو) التي كانت تُنطق بالطريقة ذاتها، وتعني (يلتقي).

مقام أوشيكي oshiki mode – مقام موسيقي يُقال إنه قريب من مفتاح (إيه A).

أوشوكون Oshokun (وانج زاوجون Wang Zhaojun)- محبوبة يوان امبراطور الهان، الذي تم استدراجه بالخديعة لإرسالها هدية إلى أحد زعماء البرابرة.

أوتاجي Otagi – أرض للحرق، بمعبدها المرتبط بها، ربما تقع إلى الشمال الغربي من المدينة على نحو ما كانت آنذاك، في منطقة جامعة كيوتو بصورة عامة.

«جلالة عاهلنا Our Sovereigns Grace» (جاوون Gaoon)- مقطوعة بوجاكو (صينية).

الستائر الحاجبة الخارجية Outer Blinds (هاشي نو سوداري Hashi no Sudare)- الستائر الحاجبة بين الممشى (هيساشي Hisashi) والشرفة (سونوكو Sunoko).

الأم الخارجية Outside Mother (سوتوبارا Sotobara)- أم أخرى غير زوجة الأب الرسمية.

الحصيرة المبطنة Padded Mat (أواموشيرو Uwamushiro)- حصيرة مبطنة تبطيناً رفيعاً تفرش لشاغل فراش محاط بالستائر (ميتشوداي Michodai) للرقاد عليها.

القصر Palace (أوتشي، دايري Uchi, Dairi)- ليس مبنى وحيداً منيفاً، وإنما مجمع كبير من المباني الأصغر، بعضها سكني، وبعضها إداري، وبعضها مراسيمي، ترتبط ببعضها عن طريق ممرات وأروقة. وغالباً لا يميز النص بين القصر وساكنه العظيم، الامبراطور، ويمكن أيضاً أن يسمى (الدايري Dairi) القصر الداخلي في تمايز عن (القصر بمفهومه الأكبر) (دايرايري Daidairi)، وهو مجمع أوسع كثيراً، يتضمن مباني كبرى، مثل قاعة الدولة الكبرى (دايجو كودين Daigokuden) والمكتب الثامن (هاسشوين Hasshoin).

حراس القصر Palace Guards – انظر ملحق «الألقاب والمكاتب Offices and Titles».

جبل القصر Palace Mountain (أوتشي ياما Ouchi Yama)- اصطلاح أدبي لقصر الامبراطور المتربع على سدة العرش أو امبراطور متقاعد.

المحفة Palanquin (ميكوشي Mikoshi)- أداة نقل تتألف من قمرة صغيرة محمولة على عريشين متوازيين ويرفعها حمالون.

عربة سعف النخيل Palm- Leafcarriage (بيروجي Biroge)- نوع من عربة الثيران تغطى بسعف

النخيل، وتستخدمها الشخصيات رفيعة المقام.

ورشة الورق Paper Work Shop (كامويا Kamuya) ورشة تابعة للقصر تعد الورق للاستخدام من قبل القصر.

البقدونس Parsley (سيري Oenanthe Javanica) (Seri)- (البقدونس الياباني) نبتة تؤكل تنتشر في الأماكن الخفيضة.

الرطبة، الصندوق المقسم Partitioned Box (واريجو Warigo)- صندوق مقسم من خشب عادي، يُستخدم لحمل الطعام.

الممر Passageway (ميدو Medo) مجاز مبني عبر وسط مبان معينة تابعة للقصر.

الكفارة Penance (تسوتسو شيمي Tsu Tsu Shimi)- أنواع من التقشف الطقوسية تؤدي للحفاظ على سلامة شخص آخر من الضرر.

التوسل Petition (مياكاشي - بومي miakashi- bumi) صلاة مكتوبة يرفعها رسمياً كهنة مكلفون بذلك على نحو مناسب.

الطبيب Physician (كوسوسي Kusushi) اختصاصي في الأدوية والعلاجات الطبيعية، خلافاً للمعالج الشافي (ممارس الشفاء بالطقوس).

صرَّار الصنوبر Pine Cricket (ماتسوموشي Matsumoshi)- نوع من الصرَّار منغم الصوت، وربما كان صوته هو نفسه صوت (صرَّار زهرة الجرس Bell Crichet).

القرنفلة Pink (ناديشكو Nadeshiko) انظر مادة (المنثور Gillyflower)- انظر كذلك ثبت «الملابس والألوان».

يوم الشرك Pitfall Day (كانيتشي Kannichi)- يوم يحدده تقويم الين- يانج (أونميودو Onmyodo) كان من المقدر فيه لكل المشاريع أو الجهود أن تمنى بالفشل. وكان هناك يوم من هذا القبيل كل شهر.

العشبة الريشية Plume Grass (أوبانا Obana، سوسكي Susuki (Miscanthue Sinensis)- عشبة ذات ريشة طويلة، مائلة.

«غصن شجرة البرقوق Plum Tree Branch, the» (أوميجاي Umegae)- أغنية (سايبارا Saibara) «إلى شجرة البرقوق تجيء الهازجة، لتشدو طوال الربيع، طوال الربيع، مع أن الثلج لا يزال يهمي، انظر، يا للجمال! الثلج يهمي».

صور القصائد Poem Pictures (وتاي Utae)- رسوم إيضاحية كانت القصيدة تكتب فيها فوق لوحة مستمدة من معنى القصيدة وتُنجز بحبر أخف كثافة.

الوصايا Precepts (إيمو كوتو Imu Koto، كاي Kai) قواعد السلوك البوذية، وبصفة خاصة الوصايا الخمس التي تحظر القتل، السرقة، الزنا، الخداع والسُكر. وكان يمكن التمسك بقواعد السلوك البسيطة هذه من قبل رجل عادي أو راهب مبتدئ (نايودو Nyudo) ولكن بالنسبة للرهبان والراهبات الذين تمت

رسامتهم بصورة كاملة كانت هناك قواعدة كثيرة أكثر من هذه الوصايا.

المأدبة الخصوصية Privy Bunguet (نين Naien)- مأدبة يقيمها الامبراطور بصفة شخصية في يوم الفأر، الذي يوافق الحادي والعشرين أو الثاني والعشرين أو الثالث والعشرين من الشهر الأول، وكان الضيوف ينظمون الشعر باللغة الصينية.

الغرفة الخصوصية Privy Chamber (تينجو نو ما Tenjo no Me)- الغرفة التي يرتادها أعضاء البلاط المناوبون للقيام بخدمة الامبراطور، في القصر، أو امبراطور متقاعد في قصره. ويكون الامبراطور في مسكنه الخاص (سيرايودين Seiryode).

التطهر Purification (ميسوجي Misogi)- طقس تمهيدي لمهرجان كامو. وكان المهرجان يُقام في يوم الطائر، أما في اليوم الذي يتوسط الشهر الرابع، بينما كان التطهر يتم في اليوم الذي يسبقه، أي في يوم الحصان، أو يوم الخروف.

الدرابزون Railing (كوران Koran)- الحاجز الممتد خارج شرفة (سونوكو Sunoko) الدار.

سجلات المؤرخ Records of the Hislorian the (شيجي Shiji) (شيكي Shiki باليابانية)- التاريخ الرسمي للصين منذ البداية حتى عهد الامبراطور وو المنتمي إلى صدر ملكية الهان، التي أكملها سيما كويان (شيبا سين باليابانية) في عام 91 م.م. وهي تغطي الأحداث حتى صدر عهد عائلة الهان المالكة، وتعد نموذجاً لكل الكتابات التاريخية الملكية التي أعقبت ذلك. وكان هذا العمل نصاً أساسياً في المجمع الدراسي (جنباً إلى جنب مع الهانشو Hanshu) ويُعد مادة جوهرية للقراءة من جانب المسؤولين في العصر الهاييني، وقد ترك آثاراً في الحكاية نفسها.

غرفة الاستقبال Reception Room (آيدي Idei)- غرفة في الجناح الجانبي الجنوبي في الدار الرئيسية، كانت تستخدم بصفة خاصة لاستقبال الضيوف.

الاستدراك Rectification (ناو شيمونو Naoshimono) ملحق للإعلان الدوري للتعيينات الرسمية (ميشينا Meshina) الذي يُطرح في الاحتفال بقائمة التعيينات (جيموكو Jimoku) مرتين في العام.

خشب الصندول الأحمر Red Sandal Wood (شيتان Shitan)- القلب الأحمر القاتم الذي يحظى بتقدير كبير لشجرة خشب الصندل.

سور القصب Reed Fence (أشيجاكي Ashigaki)- سور حاجز من القصب المضفور، الذي يُعد نموذجاً تقليدياً لما هو موجود في المساكن المطلة على ضفاف الماء.

كتابة القصب Reed Writing (أشيدي Ashide)- طريقة لرسم منظر على ضفاف الماء (يحفل بالقصب، تموجات الماء، الصخور وما إلى ذلك) على نحو تشكل معه خطوط الرسمة حروف (الكانا Kana) التي تشكل قصيدة.

رايكيدين Reikeiden - جناح داخل مجمع القصر الداخلي تشغله زوجة امبراطور أو امبراطورة. وكان موقعه المتميز، على الجانب الشرقي، متساوقاً مع موقع جناح كوكيدين، على الجانب الغربي.

المعتـزل Retreat (نوريجومـي Nurigome)- فضاء مسـور، عادة ما يكون باتسـاع بلاطتيـن، ويقع عند أحد طِرفي غرفة (مويا Moya) ويمكن أن يُستخدم كمخزن أو كغرفة نوم، وقد يضم فراشـاً محاطاً بالسـتائر (ميتشـوداي Michodai) وكان هناك باب مزدوج صغير (تسـومادو Tsumado) بينه وبين الغرفة، وربما أيضاً بينه وبين الممشى الشمالي.

«عـودة الربيـع Return of Spring, the» (كيشـوراكو Kishunraku)- مقطوعة بوجاكـو «صينية» لأربعة راقصين.

الأرز Rice (مي- يوزوكي Mi- Yuzuke)- أرز بني في الماء السـاخن، طعام شـتوي، أو بالنسبة للصيف (سويبان Suiban) أرز مبرد في الماء البارد.

زلابيـة الأرز Rice Dumplings (تونجيكـي Tonjiki)- كـرات مـن الأرز، بيضاوية الشـكل، كانت تُقدم للخدم الأدنى مرتبة كهدايا، بعد فعالية احتفالية.

مقام ريتشـي Richi Mode مقام يُعطي الإحسـاس بالدرجات الأدنى، كان من الشائع استخدامه في زمن الحكاية للأغنيات، وكان يفضل بصفة خاصة في الخريف.

المحور Roller (جيكو Jiku)- المغزل الذي كانت لفافة الرسالة تلف حوله.

الأحمر Rouge (بيني Beni)- خلاصة الصبغة المستخرجة من براعم القرطم.

الحصيرة الدائرية Round Mat (وارافودا Warafuda)- حصيرة دائرية للجلوس، تُتخذ من قش الأرز.

«الغزالـة الملكيـة Royal Deer, The» (أوجـو Ojo)- مقطوعـة بوجاكـو احتفاليـة لم يبـق منها الآن إلا الموسيقى.

مقام رايو Ryo Mode في «نهر الخيزران» ربما على سبيل الخطأ والخلط مع «مقام ريتشي».

الحبـل المقـدس Sacred Rope (شـيميناوا Shimenawa) الحبـل المتخذ من قـش الأرز الذي يُحاط به شيء أو فضاء مقدس.

سايبارا Saibara - كيان من الأغنيات الشعبية المنتمية إلى مرحلة نارا (القرن الثامن) التقطته الارستقراطية الهايينية، وأدرجته في المخزون الموسيقي الهاييني (جاجاكو).

سـاكاكي Sakaki - شـجيرة دائمة الخضرة ذات أوراق عريضة، أو شجرة صغيرة كانت ولا تزال مقدسة في إطار الشنتو.

ساكوهاتشـي Sakuhatchi ناي منتفخ الطرف ينتمي إلى عائلة (شاكوهاتشـي Shakuhatchi) العائدة إلى أزمان لاحقة. ولـم يعد يُستخدم في زمن المؤلفة.

ساسا Sasa - كلمة عامة تُراد بها نوعيات عدة من النباتات التي تغطي الأرض، والمرتبطة بالخيزران.

السـتار Soreen (بايوبـو Byobu)- ما يتـراوح بين حاجزيـن وثمانية حواجز مزخرفة تضـم عند حوافها الرأسية معاً لتشكل عندما تفتح حاجز تقسيم مؤقت ومتحرك.

الحاجز الساتر Screening Fence (سويجاي Suigai)- سور من شرائح الخشب أو الخيزران المجدول، كان ينتصب بين المباني كنوع من الستار.

النص المقدس Scripture سوترا Asutra، نص بوذي مقدس.

صندوق النص المقدس Scripture Case (كايوباكو Kyobako)- صندوق لاحتواء النصوص البوذية المقدسة.

قراءة النص المقدس Scripture Reading (مي- دوكايو Mi- Dokyo)- فعالية تستغرق أربعة أيام تُقام مرتين سنوياً، في الشهرين الثاني والثامن أو الثالث والتاسع، في القصر وكذلك في دور أرفع النبلاء قدراً. وكانت السوترا التي تُقرأ على نحو احتفالي هي (دايهانايا- كايو Daihannya- Kyo) (السوترا حول كمال الحكمة).

القصبات الشجيرية Scrubby Reeds (أساجي Asaji)- نبتة عشبية خفيضة، توصف أحياناً بأنها قصبة، ويشيع ربطها بالسبخات أو الحدائق التي اعتراها الإهمال، وهي شكل منخفض النمو من النبتة المعروفة باسم (تشيجايا Chigaya) (Imperata Cylindrica).

أهل البحر Seafalk، فتاة البحر Sea Girl (أما Ama)- الناس الذين يقطنون الشاطئ ويعيشون على فيض البحر، سواء أكانوا رجالاً أم نساء، صيادين، غواصين على المحار وأعشاب البحر، أو صانعي ملح. وفي الشعر غالباً ما تكون (الأما Ama) فتاة جذابة وفي مقتبل العمر. وصور شاطئ البحر المرتبطة بهذه الكلمة كان من الممكن في يسر أن تكون لهما نغمات إيروتيكية. ولما كا هناك جناس بين كلمة (أما Ama) وبين الكلمة التي تعني (راهبة) فإن الكثير من القصائد قد استغلت هذا المعنى المزدوج.

«بحر آيسي Sea of Ise» أغنية (سايبارا Saibara).

العزلة Seclusion (مونويمي Monoimi)- وقت يعزل المرء خلاله نفسه داخل الدار، لكي يتجنب التأثيرات الشريرة، وكانت فترات العزلة الدورية تُفرض بحسب تعاليم عرافة الين- يانج (أونمايودو Onmyodo).

سيدوكا Sedoka - قالب شعري أكبر قليلاً من (التانكا Tanka) ورد ذكره في المقدمة. وقصيدة السيدوكا تتألف من ثمانية وثلاثين مقطعاً، في إطار النمط 5-7-7-5-7-7 .

سيرايودين Seiryoden - السكن الخاص للامبراطور، في مجمع القصر الداخلي.

قاعة الخدم Servants hall (شيموايا)- مبنى منفصل، أقرب إلى مؤخرة الدار، حيث يقيم العديد من الخدم.

مائدة التقديم Seruing Table (دايبان daiban)- مائدة مستطيلة كانت توضع عليها حوامل الوجبات.

منصة العريش Shalf Bench (شيجي Shiji)- منصة صغيرة لوضع عريش العربة عليها، عند نزع النير عن الثيران.

شاكا Shaka (شاكيامونو Shakyamuni)- بوذا التاريخي.

شيجي Shiji – انظر مادة (سجلات المؤرخ Records of the Historian).

شيشيندين Shishinden قاعة الاحتفالات الرئيسية لمجمع القصر الداخلي.

شـو Sho – أداة نفـخ موسـيقية، تتألـف من سـبعة مزامير رفيعة متخـذة من القصب تنبعـث من صندوق موسيقي مركزي.

شوكايودين Shokyoden – جناح من أجنحة القصر يحتل موقعاً مركزياً، غير بعيد عن سكن الامبراطور، أي السيرايودين.

المصراع Shutter (شـيتوميدو Shitomido، هاجيتومي Hajitomi، كوشي Koshi)– انظر مادة (المصراع الشبكي Lattice Shutter).

الشـلال الصامت Silent Cascade (أوتوناشـي نو تاكي Otonashi no Taki) شلال أوتوناشي الشهير في الشـعر والواقع قرب أونو، إلى الشـرق من المدينة مباشـرة، حيث ينزلق الماء من دون أن يحدث صوتاً على وجه صخرة زلقة.

الخطيئة Sin (تسـومي Tsumi)– إساءة محددة على الصعيد الديني. وتتباين المعايير التي تحكم تعريف الخطيئة بحسب أعراف دينية وشبه دينية معقدة.

الوظيفة العاطلة Sinecur (تسوكاسـا tsukasa)– دخل للبلاط مسـتمد من الرسـوم التي يدفعها شـخص يعين في وظائف عاطلة، وكان هذا الدخل يُعاد توزيعه على شاغلي مناصب رفيعة، بمن في ذلك النساء.

الباب المنزلق Sliding Door (ياريدو Yarido)– باب خشبي منزلق.

حاجز منزلق Sliding Panel (شـوجي Shoji، سـوجي Soji) معادل (فوسـوما Fusuma) الحديث، وهو حاجز خفيف، عادة ما يُغطى بالورق في إطار مثبت في مجار في الأعلى والأسـفل، ويُسـتخدم لتقسيم غرفة ما.

ينزلـق Slip (خارجـاً أو إلـى الوراء وهلم جراً) (إيـزاري Izari)– ينزلق على مقدمتي السـاقين، من دون النهوض، بالطريقة التي تتحرك بها سيدة داخل غرفة.

قـوس صغيـر Small Bow (كويومـي Koyumi، كان القـوس الصغيـر، الذي اسـتخدم في المسـابقات فحسب، يُشد في وضعية نصف الجثو.

التنغيم Solfege (ساجا Saga أو شوجا Shoga)– غناء لحن وفق المقاطع الصولفاوية.

مقام سو So Mode (سوجو Sojo – أحد مقامات (جاجاكو Gagaku) الستة.

سو نو كوتو So no Koto – آلة كوتوموسيقية ذات ثلاثة عشر وتراً (انظر المادة الخاصة بها).

المغني الأول Song Leader (كاتو Kato) انظر مادة (مهرجان المرح Mumming).

«أنشـودة هازجـة الربيـع Song of the Spring Warbler» (شـونودين Shunoden)– مقطوعـة بوجاكـو (صينية) يُقال إن من أمر بتأليفها هو الامبراطور المؤسس لعائلة تانج المالكة.

«أغنية الحزن الذي لا ينتهي Song of Unending Sorrow the» (تشانجينج Changhenge باللغة الصينية، و(تشوجونوكا Chogonoka) (باللغة اليابانية)- قصيدة سردية من إبداع باي جويي (-772 846) منتشرة إلى حد بعيد في اليابان الهايينية. وهي تروي قصة حب امبراطور التانج الصيني زوانزونج ليانج جويفي (باليابانية يوكيهي). وقد أفضى به شغفه بها إلى إهمال الدولة وتسبب في تمرد خطير، وهو الأمر الذي أجبره جيشه بسببه على أن يأمر بإعدامها.

ملاذ الروح Soul Sanctuary (تامادونو Tamadono)- مكان في أرض الإحراق، حيث كان الجثمان يُسجَّى قبل عملية الإحراق.

ثمرات الزهرة الرمحية (ياماتاتشيبانا yamatchibana)- الثمار الحمراء لنبتة (يُقال لها في اليابانية الحديثة يابوكوجي Yabukoj) تنمو برية في التلال.

الرقي Spells (ماجيناي Majinai)- سحر شاف يمارسه معلمو الرقي من مكتب الطب.

الشجرة المغزلية Spindle Tree (مايومي نو كي Mayumi no ki)- شجرة مساقطة تحمل زهوراً صغيرة تجمع بين اللونين الأزرق والأخضر وتحمر بصورة جميلة في الخريف.

الروح Spirit (مونونوكي Mononoke)- كان المرض ونوبات الجنون يُعزى في يسر إلى تصرفات روح تعذب الشخص الممسوس.

وكان طرد الأرواح الشريرة يمكن أن يخرج الروح لتتحدث وتعبر عن غبنها، وعادة ما كان ذلك يتم من خلال وسيط، ثم يتم تهدئتها أو طردها.

رحلات الربيع والخريف Spring and Autumn Progresses (هاروكي نو جايوجو Haruaki no Gyogi)- زيارات رسمية كان الامبراطور يقوم بها في كل ربيع وخريف إلى أمه وإلى الأباطرة الأحياء المتقاعدين.

مكتب شؤون العاملين بالقصر Staff Office (كورودودوكورو Kurododokoro)- مكان التجمع للعاملين بالقصر من ذوي المرتبة الأدنى.

الرماية بالسهام من وضعية الوقوف Standing Archery (كاتشيومي Kachiyumi) الرماية بالسهام باستخدام القوس الطويلة، والتي كانت تمارس من وضعية الوقوف، وذلك خلافاً لـ(أو مايومي Umayami) أي الرماية بالسهام باستخدام القوس الطويلة من فوق صهوات الجياد.

الستار القائم Standing Curtain (كيتشو Kicho) ستار ضاف على قائمة قابلة للتحريك، مناسب للوضع بحيث يحجب شخصاً جالساً عن العيان. وكانت هذه النوعية تأتي بارتفاعات عديدة مختلفة أكثر ارتفاعاً أو أقصر. وكان الستار القائم شيئاً أساسياً في الأثاث المنزلي.

الحاجز القائم Standing Panel (كوسوجي Kosoji)- حاجز خفيض، صلب مركب على قائمة بحيث يمكن نقله في أرجاء المكان.

الصراع القائم Standing Shutter (تاتيجيتومي Tatejitomi)- مصراع شبكي تدعمه ألواح كان يوضع

بين الدار والحديقة كستار.

اليانسون النجمي Star Anise (سيكيمي Sikimi) (Illicium Religisum)- نبات دائم الخضرة ذو أوراق عريضـة عـادة ما يوضـع كقربان على المذبح البـوذي الياباني، ومن هنا فإنه يتم ربطه بصورة قوية بممارسـة العبادة البوذية.

الأرز المطهـو علـى البخار Steamed Rice (كـواي Kowaii)- أرز مطبوخ في وعـاء للتعريض للبخار، خلافاً للأرز المطهو في وعاء للغلي.

الوكيل Steward (أزوكاري Azukari، إنموري Inmori)- القيم على دار أو ضيعة من خلال الإقامة بها.

رسـالة مسـتقيمة الطـي Straight- Falded Letter (تاتـي بومـي Tate Bumi)- رسـالة مطويـة باسـتطالة واسـتقامة، ومن هنا فإنها تعد بجلاء رسـالة رسمية أو متعلقة بنشاط الأعمال، وليست رسالة عاطفية، والتي من شأنها أن تُعقد.

(اضـرب الكـرة Strike the Ball) (دايجايوراكـو Dagyuraku) أو (تاجايوراكـو Tagyuraku)- رقصـة بوجاكـو (صينيـة) لأربعـة راقصين، غالباً ما تؤدى في لقاءات الرماية بالسـهام، سـباقات الخيل، مسـابقات المصارعـة ومـا إلى ذلك. وهي تسـتحضر لعبة تلعب من فـوق صهوات الجياد، وتُعد قريبـة للغاية من لعبة البولو.

قصر سـوزاكو Suzaku Palace (سوزاكو- إن Suzaku-in)- قصر الامبراطور المتقاعد، الذي ورد ذكره للمرة الأولى فيما يتعلق بامبراطور متقاعد ربما كان جد جينجي لأبيه. وعلى امتداد جانب كبير من الحكاية فإنه يقطنه الامبراطور المتقاعد سـوزاكو. وكان يشـمخ على قطعة أرض كبيرة لا تبعد كثيراً باتجاه الجنوب عن مجمع القصر الامبراطوري.

السـمك الحلو Sweet Fish (هيو Hio)- الأسـماك الصغيرة الشفافة تقريباً، التي يبلغ طول الواحدة منها حوالي البوصة من سمك (أيو Ayu) الذي يُعد من الأكلات المحببة التي تُقدمها أنهار اليابان وبحيراتها.

مهرجـان قصـب الذريـرة Sweet Flag Festival (تانجـو نوشـيتي Tango no Sechien)- مهرجـان كان يُقام في اليوم الخامس من الشـهر الخامس. وكان الامبراطور يمضي إلى (جناح البوتوكودين Butokuden) ويمنـح كـرات نباتيـة (كوسـوداما Kusudama) لأعضـاء البلاط المجتمعيـن، الذين كانـوا يتوجون بقصب الذريرة (أيامي Calamus, Ayame، وهي نبتة طبية عطرة). وكانت سباقات الخيل (كورابيوما Kurabeuma)، وهي سـباقات بيـن أزواج من الخيل، تُقام كذلك. وقـد أُلغيت هذه الفعالية في عـام 968، ولكن عادة تزيين سقف دار المرء أو شخصه بجذور قصب الذريرة استمرت وقتاً طويلاً بعد ذلك.

تايشـاكو Taishaku (إنـدرا بالسنسـكريتية Indra)- إلـه سـماء تـوري Tori، على قمة شومايسـين (جبل سوميرو Mount Sumeru) الجبل المركزي للكون البوذي.

حاملـة مرتفعـة Tall Stand (تاكاتسـوكي Takatsuki، داي Dai)- حاملـة عاليـة يوضع عليهـا الطعام أو الشراب، تستند إلى قائم واحد.

تاناباتا Tanabata – مهرجان تاناباتا The Tanabata Festival في الليلة السابعة من الشهر السابع. وكان ذلك، بحسب أسطورة صينية أصلاً، هو الموعد الذي يلتقي فيه العاشقان السماويان (نجمة النساجة ونجم الراعي، على جانبي درب التبانة) لقضاء ليلتهما مرة كل عام. وكان المهرجان يحتفي بصفة خاصة بالشعر، الخط، والحياكة.

سيدة تاتسوتا Tatsuta Lady (تاتسوتا- هايمي Tatsuta - Hime)- ربة الخريف وراعية فن الصياغة التي كان حضورها ينقل من خلال (تطريز) وريقات الخريف.

الخيمة Tent (هيراباري Hirabari)- مساحة محاطة بالستائر مع حواجز مسطحة من القماش تنشر فوقها لتشكل سقفاً.

«عشرة آلاف عام Ten Thousand Years» (مانزايراكو Manzairaku)- رقصة بوجاكو رائعة تؤدى في مناسبات عظيمة بشكل خاص.

«جوادي ذاك Thal Horse of Mine» (سونو كوما Sono Koma)- أغنية سايبارا.

«هنالك يقطن الرب There Dwells the God» (كامي نو ماسو Kami no masu)- أغنية شعبية تأتي على ذكر (سهل السماء السامق) (تاكاما جا هارا Takama ga Hara) وتأتي مراراً على ذكر «ثماني عذارى سماويات» (ياو تومي Yaotame).

«هذا السيد النبيل This Gentleman» (كونو تونو وا Kono Tono wa)- أغنية سايبارا رائعة.

زهرة الكمال Thorough Wort (فوجيباكاما Fujibakama) (Eupatorium Forunei) زهرة برية مرتبطة عن كثب ببونسيه أمريكا الشمالية (E. Perfaliatum) وهي تزهر أعداداً من زهور صغيرة بنفسجية فاتحة في الخريف.

خزانة الأقدام الثلاث Sanshaku no Mizushi خزانة ارتفاعها ثلاثة أقدام، لها أبواب.

التواريخ الثلاثة Three Histories كتب التاريخ الصينية الملكية الثلاثة الأساسية، وهي سجلات المؤرخ (شيجي Shiji) تاريخ عائلة الهان المالكة (هانشو Hou Hansnu).

الأقانيم الثلاثة Three Realms (سانجاي Sangai)- اصطلاح في الخطاب البوذي يختزل الكون الذي تقطنه الكائنات رقيقة الحس، وهذه الأقانيم تُحدَّد كهنوتياً باعتبارها أقانيم الرغبة، الشكل، واللاشكل.

الكنوز الثلاثة Three Treasures (سانبو Sanbo)- البوذا، الدارما (التعاليم) والسانا (مجتمع الرهبان والمؤمنين العاديين).

العرش Throne (إيشي Ishi)- قطعة أثاث تشبه المقعد، يجلس عليها الامبراطور أو شخص آخر رفيع المقام خلال حفل مهيب.

توكادين Tokaden – جناح سكني في مجمع القصر، يقع إلى الشمال من كوكيدين. وكانت تقطنه عادة امبراطورة أو زوجة امبراطور.

الشعلة Torch (تيماتسو Taimatsu)- حزمة من شرائح خشب الصنوبر المشبعة بالراتينج.

توريبينو Toribeno أرض للإحراق تقع إلى الشرق مباشرة من المدينة.

توري Lorii البوابة المميزة لمزار الشنتو.

الحضور المتحول Transformde Presence (هينجي Henge)- التجلي المؤقت، المحدود (المتحول) لكائن إلهي.

الصفحة Tray (أوشيكي Oshiki)- صينية خشبية مربعة عادية.

العقـدة ثلاثية الوريقـات Trefoil Knot (أجيماكي Agemaki)- عقدة على شـكل ثـلاث وريقات نباتية تستخدم لتزيين شيء ما لتقديمه رسمياً. وهناك أيضاً أغنية سايبارا تحمل هذا الاسم كذلك.

تسـوكوبا، جبل Tsububa, Mount (تسوكوبا ياما Tsukuba Yama) جبل شهير على الصعيد الشعري في هيتاشي، وهي المقاطعة التي كان زوج أم أوكيفوني قد انتدب لها في وقت من الأوقات.

تسوكوشي Tsukushi – الاسم القديم لجزيرة كيوشو.

حسناء الشفق Twilight Beauty (يوجاو Yugao)- (محيا المساء)، زهرة اليقطين.

«التينـان التوأم Twin Dragons» (راكوسـون Rakuson)- تعرف كذلك باسـم (سـورايو Soryu) رقصة بوجاكو (كورية) تؤدى في نوعية المناسـبات ذاتها التي تؤدى فيها رقصة (اضربوا الكرة). وهي تضم راقصاً أو راقصين يضعان الأقنعة.

الخصل التوأم Twin Tresses (ميزورا mizura)- كتل الشعر التي ينقسم إليها شعر الرأس بصورة متعادلة على كل من جانبي الرأس. وكان الصبية يمشطون شعرهم على هذا النحو حتى سن البلوغ.

الرف ذو الصفين Two - Tiered Shelf (نيكاي Nikai) (دانا Dana)- قطعة من الأثاث تشبه خزانة كتب مفتوحة من الخلف ولهارفان مفيدان.

أوجـي uji منقطة محلية مطلة على نهر أوجي، إلى الجنوب من المدينة. كانت أوجي موقعاً يضم الكثير من الدارات الريفية المملوكة للنبلاء. وعلى الرغم من ذلك فقد اكتسبت صيتاً أدبياً كئيباً بسبب قصيدة لقيت احتفاء كبيراً (كوكينشـو 983) من نظم كيسـين هوشـي، يتلاعب فيها الشـاعر باسـم المكان وبكلمة (أوشي Ushi) أي (مقيت).

دارة أوجـي Uji Villa (أوجـي نو إن Uji no In)- دارة ريفية كانت فيما يبدو ملكاً للامبراطور سـوزاكو، الذي يظهر في الحكاية. وهناك برهان على أن الامبراطور سوزاكو التاريخي قد زار بالفعل مثل هذا المكان. وربما كانت هذه الدارة قرب الضفة الشمالية لنهر أوجي، باتجاه المدينة.

أوميتسـوبو Umetsubo – كان أوميتسوبو (جناح البرقوق) جناحاً طويلاً وضيقاً نسبياً (الشرق- الغرب) قرب مركز مجمع القصر الداخلي. وقد قسـمه مجاز (ميدو Medo، شـمال جنوب) إلى شـقتين، كل منهما تتألف من غرفة وفضاءات ممشـى على ثلاثة جوانب. وقد نمت خلفه أشـجار خوخ مزدهرة متألقة باللونين الأحمر والأبيض.

أونميدين Unmeiden – مبنى القصر الذي كان يضم قاعة المرآة المقدسة (نايشيدوكورو Naishidokoro).

أوراشيما، سيد Urashima, Master (أوراشيما نو كو Urashima no Ko)- صياد ضرب بسفينته في عرض البحر إلى جزيرة الخالدين، وتزوج من عذراء جميلة هناك. وبعد ثلاث سنوات عاد، وقد استبد به الحنين إلى موطنه، إلى قريته، حاملاً صندوقاً كانت زوجته قد أعطته إياه مع تحذير بألا يفتحه أبداً. وكانت ثلاثمئة عام قد انقضت وتغيَّر كل شيء. وفي غمار اليأس فتح الصندوق، فخرج منه طيف زوجته طافياً إلى السماء، وفي تلك اللحظة أوغل في العمر ثلاثمئة عام. ويعود أقدم ورود للقصة إلى وجودها بين الشذرات الباقية من عمل يعود إلى أوائل القرن الثامن (تانجو فودوكي Tango Fudoki).

ورق متعدد المنافع Utility Paper (كامويا - جامي أو كويا - جامي Koya- Gami أو Kamuya- Gami) «ورق من ورشة الورق الحكومية» رمادي اللون بصفة عامة ومصنوع من مواد معاد تدويرها لاستخدام المكاتب الحكومية.

الشرفة Verada (سونوكو Sunoko)- الفضاء المفتوح الذي كانت أرضيته تغطى بالخشب أو الخيزران وتتم كسوتها بالطنف (نوكي Noki) الذي يُشكل حافة الدار.

موسيقى الفوز Victory Music (راجو Rajo)- موسيقى كانت تُعزف على الناي والشو والهيتشيريكي لإبراز الكسب الذي حققه الجانب الفائز في مسابقات (الميسرة) و(الميمنة) وكانت الراجو (الكورية) تعزف لإبراز فوز (الميمنة) والراجو (الصينية) تعزف لإبراز فوز (الميسرة).

آلة الواجون الموسيقية Wagon آلة «الكوتو اليابانية» ذات الستة أوتار (انظر مادة كوتو Koto) وتعرف أيضاً باسم (أزوماجاتو Azumagoto) أي (كوتو الشرق).

الهازجة Warbler (أوجيسو Uguisu)- هازجة صغيرة تشدو في الربيع، وهي بارزة في الشعر.

دفء الخمر Warmth of Wine (تويو نو أكاري Toyo no Akari)- ملتقى كان يُقام في الشهر الحادي عشر، بعد مهرجان الفواكه الأولى (نيناميساي Ninamesai) أو مهرجان التتويج (دايجو ساي Daijosai). وكان الامبراطور يدعو أعضاء بلاطه لاحتساء الخمر (الفاتحة) و(القاتمة). وكانت هذه المناسبة من الفعاليات الكبرى في تقويم البلاط، حيث كانت تصحبها رقصة الجوسيتشي (انظر المادة الخاصة بها).

(الملك المحارب Warrior King, the (رايو Ryoo)- رقصة بوجاكو (صينية) منفردة تستحضر محارباً قوياً.

الحرس Watch (انظر ملحق (المناصب والألقاب).

الأرز المسقي watered rice (يوزوكي yuzuke)- أرز بني مطهو على البخار في ماء ساخن، وهو طعام شتوي.

التوقف للارتواء water stop (ميزوموما يا mizumumaya) يعني بصورة حرفية (الإرواء والاستراحة في الاسطبل بالنسبة للخيل) ولكنه بالفعل كان تقديم الخمر وعصيدة الأرز للمشاركين في مهرجان المرح بمناسبة العام الجديد (انظر المادة الخاصة بهذا المهرجان). وكان يُشار إلى بعض نقاط التوقف على امتداد الطريق على أنها (ميزوموما يا) بينما كانت أخرى تدعى (إيموما يا Imumaya) ويمكن للمشاركين في

المهرجان أن يتوقعوا الحصول على وجبة طعام فيها.

الأعشاب Weeds (يوموجي، موجورا Yomogi, Mugura)- نباتات تعد في الحكاية مؤشراً على مسكن مهمل أو حقل جرى التخلي عنه. انظر مادتي (الجنجل Humulus، الأفسنتين Wormwood).

سياج صيد السمك Weir (أجيرو Ajiro)- حاجز من شرائح الخشب أو الخيزران يُقام عبر نهر لاحتجاز السمك.

«حيث يبدأ الطريق» (ميتشي نو كوتشي Michi no kuchi) أغنية سايبارا.

إطار اللف Winding Frame (تاتاري Tatari)- ثلاثة أوتار تثبت في قاعدة يلف عليها الخيط لتكوين شلة.

جناح Wing (تاي Tai)- مبنى سكني متصل بالدار الرئيسية (شيندين Shinden) في مسكن هاييني من خلال طريق جسر أو أكثر (واتادونو Watadono) وكان المسكن العادي، الذي يواجه الجنوب، يضم جناحاً شرقياً وجناحاً غربياً.

سرادق الموسيقى الخاص بالنساء Womens Music Pavilion (نايكيوبو Naikyobo)- المكان الذي كانت موسيقيات القصر وراقصاته يتدربن فيه.

الأفسنتين Worn Wood (يوموجي Yomogi) (Artemisia Vulgaris) وتعرف بالإنجليزية كذلك باسم mugwort، أي كوز الورت، وهي نبتة تقترن تماماً بحديقة تمتلئ بالأعشاب.

رسالة ملفوفة Wrapped Letter (تسوتسومي – بومي Tsutsumi- Bumi) رسالة معقودة (موسبي بومي Musugi - Bumi) ملفوفة في ورق رفيع (أوسويو usuyo) ومناسبة رسالة الرحيل الصباحي (كينوجينو نو فومي Kinuginu no Fumi) كان يبعث بها الرجل إلى المرأة التي أمضى الليل لتوه معها.

دورة مصارعة Wrestling Tournament (سوماي نو سيتشي Sumai no Sechi)- كانت تُقام قرب نهاية الشهر السابع، عندما كان المصارعون يتجمعون من كل المقاطعات للتنافس بحضور الامبراطور. وكانت مأدبة تعقبها.

ياكوشي Yakushi – بوذا الطب، الذي كانت عبادته قد ازدهرت في الأزمنة الهايينية. وكان اليوم الثامن من الشهر هو أحد أيام أعياده.

ياما شيرو Yamashiro – المقاطعة التي تقع فيها أوجي.

ياماتو Yamato – المقاطعة الواقعة إلى الجنوب من أوجي، وتحيط نارا بصورة تقريبية.

معرفة الين – يانج التقليدية Yin- Yang Lore (أونميودو Onmyodo)- كيان معقد من المعرفة التقليدية الهندسية والكهنوتية والتنجيمية وغيرها المكتسبة من الصين، والتي كان يمارسها محترفون يُدعون بالعرافين أو معلمي الين- يانج (أونميوجي Onmyogi).

يوكاوا Yokawa – أحد الأقسام الثلاثة الرئيسية في مجمع الدير الكبير على جبل هايي.

الملابس والألوان

يستحيل ترجمة الكلمات المستخدمة للملابس إلا بمصطلحات عامة لا تنقل، في أفضل الأحوال، إلا انطباعات غامضة. والألوان والمركبات اللونية (طبقات الثياب التي ترتدي معاً بألوان مختلفة) المدرجة هنا هي أكثر إثارة للذكريات والعواطف، ولكنها ليست بالضرورة أكثر دقة. وقد كان نطاق الألوان الشائعة في زمن الحكاية أكثر اتساعاً من أن يسمح بترجمة دقيقة بصورة مفيدة، وعلى أي حال فإن الكثير فيما يتعلق بأسماء هذه الألوان يظل بعيداً عن التيقن منه. وعلاوة على ذلك، فإن الكثير من الاصطلاحات لألوان واحدة تشير إلى مصدر الصبغة (القرطم، القرنفل، خشب السابان أو خشب السابونج، فتنة النهار، بذور الجردينيا وما إلى ذلك، بأكثر مما تشير إلى اللون الناتج.. الذي كان من الممكن عملياً أن يتباين على نطاق واسع. ومن هنا فإن اصطلاحات الألوان هذه لا تعدو أن تكون مقاربات من بعيد.

المئزر Apron (شيبيرا، أوامو Shibira, Uaumo)- ترتديه وصيفة لدى خدمة سيدتها.

الأخضر الرمادي Ash Green (أوجي Aoji).

تبطين بألوان النجمية Aster Layering (شيون Shion) (كاساني Kasane)- تركيب للألوان بارتداء ملابس ذات ألوان مختلفة (ربما البنفسجي - الرمادي الشاحب (أوسيرو Usuiro) فوق الأزرق أو الأخضر (أو Ao) الذي يعطي الانطباع بالبنفسجي - الأزرق، مثل هذه الزهرة.

تبطين بالأخضر الخريفي autumn green layering (أوكوتشيبا aokuchiba)- قماش منسوج من سداة خضراء بلون ورق الشجر وخيوط لُحمة صفراء فوق أخضر بلون ورق الشجر.

اللازوردي Azure (هانادا Hanada) أزرق نجمة الصباح المتوسط الذي يُستمد من النيلة.

تبطين شجرة الخرز Bead Tree Layering (أوتشي Ochi)- ربما كان لوناً أرجوانياً مبطناً بظل فاتح على نحو أكبر من اللون نفسه. و«أوتشي» هو الاسم القديم لشجرة الخرز اليابانية (سندان Melia Azedarach, Sendan) التي يصل طولها إلى حوالي ستة وعشرين قدماً، وتزهر في الربيع أزهاراً أرجوانية فاتحة ذات خمس بتلات.

الحرير المضروب Beaten Silk (أوتشيمونو Uchimono)- حرير مضروب على كتلة القصار (كينوتا Kinuta) لإبراز بريقه.

الأزرق blue (كوكي هانادا Koki Hanada).

الأزرق - الرمادي Blue- Gray (أونيبي Onibi)- يمكن أيضاً تصوره في النطاق الأخضر (الرمادي - الأخضر)، حيث أن (أو ao) يغطي في مجال الممارسة النطاقين كليهما.

نقش حالق كاثاي Cathay Tendril Pattern (كاراكوسا Karakusa)- عائلة من نقوش النسيج، تتألف من حوالق ورقية شبيهة بالعربسة، وفي بعض الأحيان من أزهار.

تبطين برعم الكرز Cherry Blossom Layering (ساكورا جاساني Sakura Gasane)- لون أبيض قرمزي (كوريناي Kurenai) أو إذا كان من يرتديه شاباً، فوق بنفسجي (فوتاي Futaai) السترة الصينية Chinese Jacket (كاراجين Karaginn)- سترة قصيرة، أطول في الأمام منها في الخلف، كانت تُشكل الطبقة الخارجية للرداء الرسمي للمرأة.

مصبوغ القرنفل Dove- Dyed (تشوجيزومي Chojizome، كوزومي Kozome)- لون أسمر ضارب إلى الصفرة موح بالدفء.

رداء البلاط Court Dress (نوشي سوجاتا Noshi Sugata)- الرداء المعتاد الذي يرتديه أحد النبلاء في القصر، أو عندما يتأنق في داره، وكان من الممكن أن يتعدد مستوى الطابع الرسمي للرداء، فهو مع قلنسوة رسمية (كانموري Kanmuri) كان يغدو أكثر اتساماً بالطابع الرسمي منه مع اعتمار قبعة (إيبوشي eboshi). وكانت العباءة الرسمية يُحكم ربطها وتُرتدى فوق بُرد (أوتشيكي uchiki)، أكومي Akome، أونزو Onzo، كينو Kinu) وقميص (هيتوي Hitoe) مع سروال ملموم (ساشينوكي Sashinuki).

الغطاء Cover (كينو Kinu)- برد يُستخدم للتغطية ليلاً.

لون لحاء السرو Cypress Bark (هيوادا إيرو Hiwada Iro)- لون لحاء شجرة السرو اليابانية (هينوكي Hinoki)، لون بني- أحمر قاتم.

القماش الدمقسي، أي الأحمر الضارب إلى الرمادي Damask (أيا Aya)- وبالأصح القماش المضلع البارز. وكان نسج هذا القماش صينياً في الأصل.

الأزرق القاتم Dark Blue (كون Kon)- لون يرتبط في الحكاية بـ(روري Ruri) (اللازورد أو الزجاج).

الرمادي القاتم Dark Gray) (تسوروبامي Tsurubami).

فتنة النهار Dayflower (تسويوكوسا Tsuyukusa، تسوكيكوسا Tsukikusa)- صبغة زرقاء سريعة الزوال تتخذ من زهور فتنة النهار الزقاء السماوية، وهي نبتة برية شائعة في اليابان.

الأزرق العميق Deep Blue (كوماياكو نارو Komayaka Nara)- ظل عميق (كومايـاكا Komayaka) للون اللازوردي (هانادا Hanada).

الأزرق - الرمادي العميق Deep Blue- Gray (كوكي أو بني Koki Aonibi)- انظر مادة الأزرق الرمادي.

الأخضر العميق Deep Green (ميدوري Midori)- نطاق لوني يمتد بصورة فعلية من الرمادي إلى الأزرق - الأخضر والأزرق العميق.

القبعة العميقة deep hat (تسوبو سوزوكو tsuba sozoku)- غطاء الرأس لامرأة محترمة خارج الدار. وكانت تسدل طرف رداء غير مبطن على رأسها وشعرها، ثم تعتمر قبعة عميقة، عريضة الحافة، كما أنها كانت ترفع تنوراتها قليلاً أيضاً من أجل المشي.

الأحمر - البنفسجي العميق Deep Red- Vialet (كوكي إيرو Koki Iro).

التبطين القرمزي العميق Deep Scarlet Layering (كوكي هيتو كاساني Kok Hito Kasane)- قميصان

قرمزيان قاتمان للغاية، يرتدي أحدهما فوق الآخر.

تبطين الدُّتزية Deutzia Layering (أونوهانا Unohana)- اللون الأبيض فوق الأخضر العشبي (مويجي Moegi) تزهر نبتة الدتزية في الشهر القمري الرابع، في صورة مجموعات طويلة من البراعم البيضاء الصغيرة.

العباءة الرسمية Dress Doak (نوشي Noshi)- الرداء الخارجي الذي يرتديه عادة أحد رجال البلاط في البلاط، أو لدى ارتداء زيه الكامل في الدار. وكانت العباءة الرسمية وعباءة المناسبات (هو Ho) زيين مناسبين ضافيين، يُعقدان عند العنق، ويُوصلان أماماً وخلفاً عند الطرف السفلي بشريط دائري من القماش (ران Ran) يُضغط فيغدو مسطحاً. غير أن لون العباءة الرسمية لم تكن تحدده مرتبة مرتديها، فقد كان من الممكن أن تتخذ من طبقة واحدة من قماش قاتم في الصيف وقماش مبطن فاتح اللون، في الشتاء. وكانت تُرتدى بصورة عامة مع سروال ملموم (ساشينوكي Sashinuki).

الثوب النسائي الرسمي Dress Gown (كوتشيكي Kouchiki)- ثوب نسائي من قماش مميز يأخذ الشكل ذاته الذي يأخذه الثوب النسائي (أوتشيكي Uchiki) ولكنه أقصر إلى حد ما، وترتديه المرأة في الدار عندما يكون الطابع الرسمي مرغوباً فيه إلى حد ما. وهناك أيضاً (كازامي Kazami) وهو رداء طويل يُرتدى فوق الملابس الأخرى وخاصة من قبل الفتيات التابعات في الزي الرسمي.

أخضر ترابي Earth Green (أوني Aoni).

لون الكستناء الساقطة Fallen Chestnut (أوتشيجوري Ochiguri)- لون كان يعتقد أنه بني محمر عميق.

القلنسوة الرسمية Formal Cap (كانموري Kanmari)- قلنسوة صغيرة مع متعلقات عديدة توضع مع الزي المدني الكامل ومع زي البلاط الأكثر اتساماً بالطابع الرسمي.

العباءة الرسمية Formal Cloak (هو Ho)- الرداء الخارجي الذي يرتديه الرجال في المهام الرسمية وعندما يُشاركون في احتفالات البلاط. ولم تكن العباءة الرسمية مبطنة (كاساني Kasane) وإنما كانت تُتخذ إما من قماش غير شفاف مع شكل منفذ باللون نفسه، أو باللون نفسه تقريباً، أو بمقطع من القماش الخالص. وكان لونها يتوافق مع مرتبة مرتديها في زمن الحكاية.

الزي النسائي الرسمي Formal Dress – الزي النسائي الكامل الذي ترتديه النسوة في البلاط أو ترتديه الوصيفات في الدور الأرستقراطية، وكانت السترة الصينية (كاراجينو Karaginu) تُرتدى فوق تنورة ضافية (مو Mo) تُعقد عند الخصر فوق رداء خارجي (أواجي Uwagi) والذي كان الأكثر تعقيداً من طبقة من الأردية متطابقة الشكل (أوتشيكي Uchiki، كينو Kinu، أونزو Onzo) ترتدى فوق قميص (هيتو Hitoe) وسروال طويل ومناسب (هاكاما hakama) يُربط عند الخصر بحزام. وكانت طبقات الأردية تصغر مع اقترابها من الزي الخارجي بحيث يمكن أن تبدو أطراف الطبقات الداخلية للعنان.

الزي المدني الكاملي Full Civil Dress (سوكوتاي Sokutai)- الزي الذي كان يرتديه النبلاء في المهام الرسمية وعندما يُشاركون في حفلات البلاط. وكانت العباءة التي تُرتدى في المناسبات (هو Ho) ذات

اللـون الموافـق لمرتبة مرتديها تُلبس مع سـيف وحزام حجري (سـيكيتاي Sekitai) يتوافق بالمثل مع مرتبة مستخدمه.

وكانت ترتدى فوق ثوب ضاف (شيتاجاسـاني Shilagasane) وهو ثوب يصل طوله إلى منتصف الفخذ مـع ذيـل ممتد (كايو kK) يرتدى فـوق أردية أخرى (أكومـي Akome، أونزو Onzo، كينو Kinu، أوتشـيكي Uchiki) وقميـص (هيتـو Hitoe) مـع زوجيـن من السـراويل الواسـعة المفتوحة مـن عند السـاقين (هاكاما Hakama). وكان هذا الزي يكتمل بقلنسـوة (كانموري Kanmuri) وعصا (شـاكو Shaku). وعلى الأقل في عهود لاحقة، ولمناسـبات أقل اتسـاماً بالطابع الرسـمي، بما في ذلك احتفالات تُقام في الدار، كان الجانب الرسـمي لهذا الزي يمكن تقليله بارتداء سـروال مربوط (ساشينوكي Sashinuki) بدلاً من السروال الرسمي (هاكاما hakama) وتزداد انخفاضاً (إيكان ikan) من خلال اسـتبعاد الحزام والسـيف واستخدام حزام ضيق بدلاً منهما، وحمل مروحة بدلاً من العصا.

السـروال المربوط Gathered Trousers (ساشـينوكي Sashinuki) سروال واسـع يُربط حول الكاحلين، ويُرتدى مع عباءة رسمية (نوشي Noshi) أو مع عباءة صيد (كاريجينو Kariginu).

الأصفر الذهبي Golden Yellow (يامابوكي Yamabuki) لون أزهار وردة الكيريا.

حرير نسـيج العنكبوت Gossamer Silk (سوزوشـي Suzushi)- حرير خفيف، غير مصبوغ، يُتخذ لرداء غير مبطن.

رداء 1) Gown (أوتشيكي Uchiki، أونزو Onzu، كينو Kinu)- أي رداء نسائي يُرتدى غالباً في طبقات عدة بين الرداء الرسـمي (أواجي Uwagi) والقميص (هيتـو 2) (Hiloe) (أكومي أونزو Akome Onzo، كينو Kinu، أوتشـيكي Uchiki) ثـوب رجالـي يرتدى فـوق القميص (هيتـو Hitoe) ولكن تحت الـرداء الضافي (شيتاجاسـاني Shitagasne) أو العبـاءة الرسـمية (3) (أكومـي Akome) رداء ترتديـه الفتيات الشـابات بين الرداء الرسمي والقميص. غير أن كلمة (أكومي Akome) تُترجم في بعض الأحيان إلى (سترة) لأن الفتيات التابعات كان بمقدورهن ارتداء الأكومي الخاص بهن فوق ثيابهن الأخرى.

العنب (لونه) (Grape (Coloured (إيبي Ebi، إيبيزومي Ebizome)- أرجواني عنبي إلى البني المحمر.

التبطين العنبي Grape Layering (إيبيزومي كاساني Ebizome Kasane) تبطين شتوي من اللون الأحمر المتخذ من خشـب السـابان (سـو Suo) فوق اللـون اللازوردي (هانـادا Hanada) الأخضر العشـبي Grass Green (مويجي Moegi).

الرمـادي Gray (نيهيـرو Nihiro) (رمـادي فاتـح، أوسـونيبي Usunibi، رمـادي قاتـم، تسـوروبامي Tsurubami).

الأخضر (أساميدوري Asamidori).

زخرفـة البـرد Hail Pattern (أراري – جي Arare- Ji)- نمط زخرفـي تبادلي من مربعات قاتمة وفاتحة، يُقال له كذلك (إيشيدا تامي Ishidatami) «أحجار الرصف».

القبعة hat (إيبوشـي Eboshi) قبعة عالية تُعتمر مع رداء البلاط (نوشـي سوجاتا Noshi Sugata) مع رداء غير رسمي (كاريجينو سوجاتا Kariginu Sugata).

عبـاءة الصيـد Hunting Cloak رداء خارجـي كان يُرتـدى أصـلاً للصيـد، ثـم اتخـذه النبـلاء زيـاً يومياً غيـر رسـمي. وكانت لعبـاءة الصيد قيطانات تمـرر عبر الأكمام للسـماح بتجميعها عند الرسـغ، ولها كمان شـبه مفصوليـن عـن بدن الـرداء لتمكين مرتديها مـن التحرك في يسـر، وكانت ترتدى مع سـراويل مربوطة (ساشـينوكي Sashinuki) أو مع سـراويل صيد (كاريباكاما Karibakama) وقبعة (إيبوشـي Eboshi). وكان السيد النبيل يرتدي عادة عباءة صيد خلال السفر، وكان أتباعه يرتدونها حتى عندما يكون مرتدياً زي البلاط (نوشي سوجات Noshi Sugata) كما أنه كان يمكن أن يرتديها كرداء للتنكر.

النيلة Indigo (آي Ai)- نبتة تعطى صبغة زرقاء.

السترة Jacket (أكومي Akome)- نوع من الثياب كانت الفتيات التابعات يرتدينه كرداء خارجي.

وردة الكيريا Kerria Rose (يامابوكي Yamabuki)- اللون المدرج أيضاً في هذا الثبت على أنه «الأصفر الذهبي» والذي كان يتم الحصول عليه من صبغة بذر الغردينية.

تبطيـن وردة الكيريـا Kerria Rose Layering (يامابوكـي كاسـاني Yamabuki Kasane)- لـون المغـرة (كوتشيبا Kuchiba) فوق الأصفر (كوتشيناشي Kuchinashi).

التبطين Layering (كاساني Kasane)- عادة جمع بين ثوبين من لونين مختلفين، أو ثوب وبطانة، بحيث إنـه تمكـن رؤية لون من خلال اللون الآخر. وكانت للبطانات أسـماء، ولكن الألوان الموجودة فيها تغيرت بمرور الزمن، وهي غالباً غير مؤكدة. وغالباً ما يُشير الاسم إلى التأثير الكلي. وعلى سبيل المثال فإن «برعم الكـرز»، أي الأبيـض فوق القرمزي، كان يُعطى لون برعـم الكرز الأحمر الوردي الشـاحب. وكانت بطانات كثيرة موسمية، وتأثرت كذلك بعمر مرتديها ومرتبته.

ذهب ورق الشجر Leaf Gald (كانزو إيرو).

أخضـر ورق الشـجر Leaf Green (أو Ao، أو- إيـرو Ao- Iro)- أخضر ورق الشـجر الفاتح المائل إلى الأصفر.

ويُعـرف هـذا اللون أيضاً بـ(كيكوجيـن Kikujin) (على الرغـم من أن هذه الكلمـة لا تظهر في الحكاية) وكان الامبراطور يؤثر ارتداؤه في الثياب التي تُستخدم يومياً.

الأزرق الفاتح Light Blue (أساجي Asagi).

الرمادي الفاتح Light Gray - اللون الأسمر المصفر أو المحمر Light Russet.

(أكاكوتشيبا Akabuchiba).

القماش الحرير الخفيف المضلع Light Silk Twill (كي Ki).

الرداء الضافي Long Dress (هوسـوناجا Hosonga)- رداء نسائي خارجي منقسم على نفسه من الأمام، مع قطع قماش طويلة وعريضة تتدلى إلى الوراء على كل من الجانبين.

أحمـر الفـوه Madder Red (هيـرو Hiiro)- اللون الأحمر المتـراوح بين الفاتح والقاتـم الذي يصبغ بـ (أكاني Akane).

تبطيـن زهـرة البتـول Maiden Flower Layering (أومينيشـي Ominaeshi)- تبطيـن يُعيـد إلى الأذهان العائلة الناردينية للزهرة التي تحمل ذلك الاسم، والطبقة الخارجية لها سداة من لون أخضر ورق الشجر (أو Ao) ولحمة صفراء (كي Ki). أما الطبقة التحتية فهي من لون أخضر ورق الشجر.

البنفسـجي - الرمادي Mauve - Gray (ورق Paper) (موراسـاكي نو نيباميرو Murasaki no Nibameru (كامي Kami).

أعشـاب الحداد Mourning Weeds (فوجيجورومـو Fujgoromo)- ثياب حداد متخذة من لحاء عروق فوجي البرية (الوستارية) بشكل تجسيدي.

موراسـاكي Murasaki نبتة (Lithospermum Erythrohizon)- تعطى جذورها صبغة أرجوانية، وكذلك الصبغة ولونها يرمز اللون إلى العلاقة والعاطفة الدائمة.

رداء الخدمـة الليليـة Night Service Wear (تونوي سـوجاتا Tonoi Sagata)- رداء بسـيط، ربما كان لا يتجاوز رداء أبيض فحسب ترتديه فتاة تابعة في نوبة خدمة ليلية.

المغر Ocher (كوتشيبا Kuchiba)- تعني الكلمة اليابانية (أوراق الشجر الميتة).

البنفسجي - الرمادي الشاحب Pale Gray - Violet (يوسيرو Usuiro).

الأزرق التويجي Petal Blue (هانا Hana) (إيرو Iro)- الأزرق النيلي الشاحب.

التبطين الأحمر الوردي Pink Layering (ناديشـكو Nadeshiko) (كاسـاني Kasane)- تبطين يشـير إلى اللون الأحمر الوردي، أو لون زهرة المنثور. وبحسب بعض المراجع، فإنه يشير إلى الأحمر الوردي القاتم فـوق الأرجواني الفاتح، وتشـير مصادر أخرى إلـى الأحمر الوردي البرقوقي (كوبـاي Kobai) فوق أخضر ورق الشجر (أو Ao).

الأحمر الوردي البرقوقي Plum Pink (كوباي Kobai)- أحمر وردي يميل إلى اللون البنفسجي القريب من براعم البرقوق.

الأحمر البرقوقي Plum Red (إيمايو Imayo).

الملابـس النقيـة Pure Raiment (جـو Joe)- أثـواب يرتديها الرهبـان خلال أداء طقس مـا، وقد تكون سوداء - زرقاء، صفراء، حمراء، بيضاء، رمادية أو بنية، بحسب الإله الذي يُخاطب بالطقس.

الأرجوانـي Purple (موراسـاكي Murasaki)- اللون المسـتمد مـن جذور نبتة الموراسـاكي، وهي نبتة حقلية شـائعة ذات ذهور بيضـاء، وفي الشـعر تعد المورسـاكي مرادفاً للعلاقـة الوثيقة. ويبرز هذا اللون على نحو جلي في الحكاية باعتباره لون الحب الذي يبقى طويلاً.

الأحمر Red (أكا Aka).

تبطيـن برعم البرقوق الأحمر Red Plum Blossom Layering (كوباي كاسـاني Kobai Kasame) اللون القرمزي (كوريناي Kurenai) فوق اللون الأرجواني (موراسـاكي Murasaki) أو الأحمر المستمد من شجر الساپان (سو Suo).

أحمـر الصقـل Rouge Red (بينيـرو Beniiro)- لـون قرمزي يتـم الحصول عليه بصبغـة القرطم (بنيبان Benibana)، مصدر اللون القرمزي (كوريناي Kurenai).

الوردي المحمي Sanctioned Rose (يورو شيرو Yurushiro)- لون قرمزي شاحب.

وكان اللـون المقابـل وهو (اللـون المحظور) (كينجيكي Kinjiki)، الذي لا يـرد ذكره في الحكاية، ظلاً عميقاً من الأحمر أو الأرجواني القاتم الذي لا يسمح به إلا للامبراطور وكبار النبلاء.

تبطين أحمر الساپان Sappan Layering (سو جاساني Suo Gasane)- تبطين شتائي من الأحمر الساپاني فوق الساپاني القاتم (وهو لون أرجواني محمر كئيب).

الساپان (خشب) (Sappan Wood) (سو Suo)- لون أحمر مستمد من شجرة الساپان التي كانت تستورد من جنوب شرق(آسيا).

الحزام Sash (أوبي Obi).

القرمـزي Scarlet (كوريـنـاي Kurenai)- اللون المسـتمد من صبغة الزعفران، وهو لون أحمر شـاحب يُتخـذ من القرطـم (كارثامـوس تنكتوريـوس Carthamus Tinctorius) وهـذه الصبغة لهـا مكونات صفراء وحمـراء، وببعـض الصعوبة يمكن اسـتبعاد اللون الأصفر، ويمكن اسـتخدام المكون اللوني المسـتمد من الزهور في إنتاج اللون الأحمر الذي يُستخدم في التجميل.

التبطين القرمزي Scarlet Layering (كينيري كاسـاني Kaineri Kasane)- قرمزي (كوريناي Kurenai) فوق قرمزي.

شـاطئ البحر Seaside (كايفو Kaifu) زخرفة نسـيجية تظهر فيها الأمواج، أشـجار الصنوبر على شاطئ البحر، أعشاب البحر، القواقع وما إلى ذلك.

زي الخدمـة Service Dress (تونوي سـوجاتا Tonoi Sugata)- الزي الـذي يرتديه الرجال المنخرطون في الخدمة المنتظمة في القصر، والذي يتميز بصفة خاصة بالعباءة الرسمية (نوشي Noshi).

القميص Shift (هيتو Hitoe)- قطعة ملابس غير مبطنة يرتديها الرجال والنساء تحت الطبقات الخارجية مـن الملابـس والمفصلة بشـكل أكبر، وشـأن كل الملابس المدرجة في هـذا الثبت كان مفتوحـاً من الأمام كالسترة، بحيث إن كلمة «قميص» لا تعدو أن تكون تقريباً ملائماً.

قيطـان الكتـف Shoulder Cords (أوبـي Obi) أو بصـورة ملائمة علـى نحو أكبـر (كاكيأوبي Kakeobi) قيطـان حريرية حمـراء يتم تمريرها فوق كل كتف وتربط معاً عند الظهـر، وتضعها المرأة لدى قيامها بالحج أو عندما تؤدي طقوساً دينية.

شـاش حريري Silk Gauze (أوسـوموني Usumono)- حرير منسـوج على نحو رفيع للغاية، يُسـتخدم

بصفة خاصة للملابس الصيفية، الأزرق السماوي Sky Blue (أسا هانادا Asa Hanada).

الحرير الملين Softered Silk (كينيري Kaineri)- حرير مغلي مع مادة القلي من أجل تليينه.

تبطين الأخضر الربيعي Spring Green Layering (واكاني كاساني Wakanae Kasane)- أخضر عشبي فاتح (مويجي Moegi) فوق أخضر عشبي فاتح.

حزام حجري Stone Belt (سيكيتاي Sekitai، شاكوتاي Shakutai)- حزام جلدي أسود عريض يوضع مع عباءة المناسبات (هو Ho) وهو مزود بصف من الدوائر أو المربعات المتخذة من الحجر أو اليشب أو القرون المثبتة فيه لتبدو للعيان عند ظهر من يلف خصره به (كانت طية من (الهو) تغطي المقدمة). وكان (الحجر) يختلف بحسب مرتبة مرتدي الحزام.

عصابة ظل الشمس Sunshade Band (هيكاجي Hikage)- عصابة من الخيوط البيضاء أو الخضراء - الزرقاء المضفورة والمتدلية (كانت أصلاً من سعف خاصر الأشنة) تضعها راقصة جوسيتشي وكذلك النساء الأخريات، مثل كاهنة كامو اللوات كن يضطلعن بوظائف قدسية معينة.

تبطين قصب الذريرة Sweet - Flag Layering (أيامي جاساني Ayame Gasane)- ربما كان الأخضر فوق الأحمر الوردي البرقوقي.

الذيل Tail (آي Ei)- ملحق طويل وضيق ولين لقلنسوة البلاط الخاصة برجل، يُتخذ من قماش قاتم. وعادة ما يكون مستقيماً، لكنه يلف كإشارة لالتزام الحداد.

لون أسمر ضارب إلى الصفرة Tan (كورومي إيرو Kurumi Iro، كو- إيرو Ko- Iro) سمرة مصفرة تستمد من القرنفل.

ذيل الرداء Train (كايو Kyo، مو Mo)- كان ذيل رداء الرجل (كايو Kyo)، عبارة عن قطعة طويلة مربعة من القماش تمتد من الرداء الضافي (شيتاجاساني Shitagasane) الذي يرتدى مع الزي المدني الكامل (سوكوتاي Sokutai) وكان ذيل رداء الرجل (مو Mo) عبارة عن قطعة طويلة مزينة من القماش تطوى لتدس في حزام يربط من الأمام، عند الخصر، فوق الرداء (أوتشيكي Uchiki، أواجي Uwagi) وتحت السترة الصينية (كاراجينو Karaginu).

وكانت المرأة ترتدي ثوباً له ذيل وهي في الخدمة أو المناسبات الرسمية للإشارة إلى وضعية ثانوية.

الرداء الذيلي Train- Robe (شيتاجاساني Shitagasane)- رداء رجالي الذي كان يلبس ضمن الزي المدني الكامل (سوكوتاي Sokutai) فوق الرداء الوسيط وتحت عباءة المناسبات السروال Trousers (هاكاما Hakama، ناجاباكاما Nagabakama) كان الرجال يرتدون زوجين من السراويل الواسعة عند الساق، والتي تصل إلى الكاحل من حيث الطول (سروال داخلي وسروال خارجي يوئي نو هاكاما Ue no Hakama) مع الزي المدني الكامل ونوع مختلف من السراويل التحتية يُرتدى تحت سروال مربوط (ساشنيوكي Sashinuki) في الزي الأقل اتساماً بالطابع الرسمي.

وكانت النساء ترتدي سراويل طويلة (ناجاباكاما Nagabakama) ذات سيقان تمتد إلى ما يتجاوز

أقدامهن.

القماش المضلع Twill (أيا Aya)- انظر مادة القماش الدمقسي.

البنفسجي Violet (فوتاي Futaai) لون (مضاعف الصباغة) ينتج عن طريق صبغة القرطم (مصدر اللون القرمزي كوريناي Kurenai) ثم في النيلة (آي ai). وكان اللون النهائي متنوعاً، حيث كان الشبان يرتدون الثياب ذات اللون الأكثر تألقاً وعمقاً مع قليل من الزرقة المصبوغة بهذا اللون، بينما كان الرجال الأكبر سناً يرتدون الملابس المصبوغة به ذات اللون الأكثر شحوباً وأقل تألقاً مع قليل من اللون الأحمر.

الأزرق - البنفسجي Violet- Blue (شيون Shion)- لون قريب من لون نبات زهرة النجمة (شيون Shion).

التبطين الأبيض White Layering (شيراجاساني Shiragasane)- الأبيض فوق الأبيض.

النيلي البري Wild Indigo (ياماي Yamaai)- اللون الأخضر المشتق من نبتة النيلة البرية.

اللون الصفصافي Willow (ياناجي Yanagi)- خيوط لحمة بيضاء وشداة خضراء شاحبة.

تبطين صفصافي Willow Layering (ياناجي كاساني Yanagi Kasane)- أبيض فوق أخضر.

تبطين الوستارية Westria Layering (فوجي جاساني Gugi Gasane)- بنفسجي فوق أخضر.

الأصفر Yellow (كي Ki)- اصطلاح عام، أو (كوتشناشي Kuchinashi) أصفر كان يستمد من صبغة بذر الغردينية. واللون هو لون زهور وردة الكيريا (يامابوكي Yambuki) (اللون المذكور تحديداً في النص على أنه يامابوكي يُترجم إلى «الأصفر الذهبي».

أوراق القرنفل الصغيرة Young Pink Leares (ناديشكو نو واكابا نو إيرو Nadeshiko no Wakaba no Iro)- لون أخضر - أصفر فاتح (أوسومويجي Usumoegi) .

المناصب والألقاب

يتضمن هذا الثبت كل الألقاب الرسمية أو المتعارف عليها، التي تظهر في «حكاية جينجي»، ويوضح معناها، ويشير في غالبية الأحوال إلى المرتبة المرقمة التي تتوافق مع المنصب المعني. وقد كانت لكل منصب مرتبة مرقمة ومحددة رسمياً. وكانت المراتب تتدرج من الأعلى إلى الأسفل، ابتداء من الأولى وحتى التاسعة، وقد قُسمت جميعها إلى مستويين، المستوى الكامل (الذي يُشار إليه أدناه بالرقم وحده) والمستوى الأدنى، وفيما يلي المرتبة الثالثة قُسِّم كل من هذين المستويين بالمثل تقسيماً فرعياً إلى الدرجة العليا والدرجة الدنيا. غير أن الامبراطور كان خارج هذا النسق المرقم. ويصف النص في بعض الأحيان المكانة الامبراطورية أنها «بلا مرتبة»، أو بكلمات تفيد هذا المعنى، وقد كان هذا صحيحاً بصورة حرفية. ولمزيد من المعلومات حول المناصب والتنظيم الحكومي الهاييني، يمكن للمرء الرجوع إلى مصادر من قبيل الملحق أ («بعض الملاحظات حول المرتبة والمنصب») في المجلد الثاني من كتاب وليام هو. وهيلين كريج ماكولو) «حكاية حظ مزهر» (الترجمات المتبناة هنا ليست على الدوام ترجمات ماكولو) وهناك المزيد من المعلومات متوافرة باللغة اليابانية.

وحتى على الرغم من ترجمتها بهذه الطريقة، فإن معظم الاصطلاحات المتبناة لن تعني في بداية الأمر الكثير للقارئ. غير أنها على الأقل مؤلفة من كلمات إنجليزية، بحيث يغدو أسهل في المدى الطويل تفهمها وتذكرها. وهي جانب له مغزاه من الترجمة في إجمالها، لأن الناس في الحكاية أنفسهم على وعي حاد بالمرتبة والمنصب. وكان المرتبة والمنصب، وبشكل أكثر عموماً درجات السلطة والمكانة، يحدد هيكل عالمهم الاجتماعي.

وتبدو خاصيتان من خواص تسمية التعيينات الرسمية لافتتين للنظر بصفة خاصة، الخاصية الأولى هي أن الكثير من الأجهزة الحكومية كانت مقسمة إلى مكونات الميمنة والميسرة. وعلى سبيل المثال، فإن الوزيرين الأقدم كانا وزيري الميمنة والميسرة. وهذا النمط صيني، فعندما كان الامبراطور يجلس في مناسبة رسمية، كان يواجه الجنوب، مع وجود وزيريه بصورة متماثلة على يساره (الشرق) ويمينه (الغرب). ولما كان الشرق له أولوية من حيث المبدأ، فإن وزير الميسرة كانت له عادة الأولوية على زميله وزير الميمنة، وقد استمر هذا التمييز، مجدداً من حيث المبدأ، وصولاً إلى أدنى المستويات. وفي حقيقة الأمر إن هذا التماثل امتد إلى ما وراء الأمور المتعلقة بالحكم. فقد كانت كل المسابقات، من المصارعة (سوماي) إلى الشعر، تقسَّم إلى جانبين (شرقي) و(غربي) وكذلك كانت الحال بالنسبة للمخزونات من موسيقى البلاط ورقصاته. وكانت المدينة نفسها مقسمة إدارياً إلى ميسرة وميمنة.

والخاصية الثانية التي تلفت النظر في هذه التسمية هي أن ألقاب الكثير من الشبان الذين ورد ذكرهم في الحكاية، وبصفة خاصة الشبان ذوو المنبت الرفيع، تشير إلى تعيين مزدوج، أي أن هؤلاء الرجال يشغلون منصبين في أجهزة رسمية مختلفة، غالباً ما يكون أحدهما (مدنياً) والآخر (عسكرياً). وعلى سبيل المثال فإن تو نو تشوجو، الصديق العظيم لجينجي في شبابه، يمضي بعض الوقت باعتباره في آن أمين (تو) في

مكتب الحجاب ونقيباً (تشوجو) في حرس القصر. وقد ترجمت هذا اللقب المزدوج إلى النقيب أمين السر. ومن الأمثلة الأخرى النقيب الاستشاري، الحاجب المراقب، الملازم المراقب، والمفتش المستشار الكبير.

ويمكن للكثير من الألقاب الرسمية، حتى تلك التي لا تشير إلى تعيين مزدوج، أن تصبح طويلة في الترجمة، إذا أراد المرء الوصول إلى كل عناصرها البارزة، ومن هنا فقد جعلتها مقتضبة بقدر استطاعتي. والمثال في هذا الصدد هو تسمية نطاق «المستشار» الذي نجد له ثلاثة مستويات. والمستوى الأرفع من بين هذه المستويات هو (ديناجون Dainagon). والذي يترجم عادة إلى «المستشار الأقدم» ولكنني اخترت بدلاً من ذلك «المستشار الكبير» لأن هذه الترجمة أقصر من سابقتها بمقطع صوتي. وللأسباب ذاتها المتعلقة بالاقتضاب فقد تبنيت ترجمة المستشار لكلمة (تشوناجون Chunagon) وآثرتها على اللقب الأكثر تواتراً وحرفية «المستشار الوسيط» يرد لقب تشوناجون أو المستشار الأحدث مرة أو مرتين باعتباره لقب رجل).

أخيراً، فإنني لم أتبن بالضرورة كل لقب على نحو ما يرد في الأصل، حيث يصادف أن شخصاً واحداً يُشار إليه في صفحات متقاربة بلقبين مختلفين تماماً يحملهما أو تحملهما بصورة متزامنة، وفي مثل هذه الحالات قمت عادة بتكرار اللقب الذي يرد أولاً، دعماً لوروده إلى الذهن وإمكانية فهمه. وعملية «التجانس» الأكثر دأباً التي قمت بها للألقاب أو المخاطبات التشريفية تتعلق بفوجيتسوبو، بعد أن كفت عن أن تكون امبراطورة، وفي المقام الأول تتعلق بجينجي نفسه، فبعد عودته من المنفى يُشار إليه على أنه «سموه» وهو لقب اخترته أصلاً ليتطابق مع تعيينه في وقت لاحق امبراطوراً فخرياً متقاعداً. وهذا الاستخدام بأثر رجعي للقب يقر بالمكانة المميزة التي يتمتع بها فور عودته من أكاشي، ويجعله قابلاً للتعرف في التو على امتداد النص.

كبير رهبان (الجبل) Abbot (of the Mountain) (ياما نو Yama no) زاسو Zasu – كبير رهبان مجمع معبد هايي بأسره.

النائب.. Acting (جون Gon)– سابقة للقب مسؤول معين، تشير إلى أن التعيين زائد على العدد المعتاد من شاغلي ذلك المنصب.

نائب النقيب Acting Captain (جون تشوجو Gon Chujo).

الخبير Adept (أزاري Azari)، (أجاري Ajari)– لقب كان الامبراطور يخلعه، ويحمله راهب مميز يمارس العبادة، وخبير في العلاج وغير من الطقوس لإبعاد المرض والكارثة واستجلاب الحظ الحسن.

المرشد Adviser (جيجو Jiju)– مسؤول أحدث (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأدنى) في مكتب الشؤون المركزية والذي كان يعمل مساعداً للامبراطور، وكان هناك بصفة عامة ثمانية من هؤلاء المرشدين.

الاستشاري المرشد Adviser Consultant (جيجو نو سايشو Jiju no Saisho)– تعيين مزدوج كمرشد واستشاري.

المساعد Aide (زو Zo، جو Jo)– موظف يعين في المستوى الثالث في المكاتب وبعض وحدات

الحرس (حراسة البوابة، الحراسة) ولكنه ضابط من المستوى الرابع في حرس القصر.

مساعد شؤون المراسم Aide of Ceremonial (شيكيبو نوجو Shikibu no Jo)- منصب من المستوى الثالث في مكتب شؤون المراسم (نطاق المرتبة السادسة).

مساعد حراسة البوابة Aide of the Gate Watch (يوجي نو جو Yugei no Jo) (المرتبة السادسة الأحدث).

مساعد حراس ميمنة القصر Aide of the Right Palace Guards (أوكون نو زو ukon no Zo) (المرتبة السادسة، الدرجة الأدنى).

مساعد الحراسة Aide of the Watch (هايوي نو زو Hyoe no Zo) (الدرجة السابعة).

المفوض المدقق Commissioner Audit (تايفو نو جين Taifo no gen)- كان منصب المدقق منصباً في الإدارة الإقليمية يتولى شاغله المسؤولية عن اكتشاف المخالفات المختلفة وتصحيحها. وكان بمقدور أقدم شاغل لهذا المنصب أن يحصل على المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى وفي هذه الحالة يُضاف (المفوض) (تايفو Taifu) إلى اللقب.

المربية المخصصة للحمام Bath Nurse (موكايو Mukaeyu) المربية التي تقوم بالدور (المساعد) في استحمام الطفل حديث الولادة ذي المنبت الرفيع.

نائب حاكم بونجو Bungo Deputy (بونجو نوسوكي Bungo no Suke)- من حيث المبدأ، كان منصب نائب حاكم بونجو (محافظة أويتا الآن) منصباً ينتمي شاغله إلى نطاق المرتبة السادسة. غير أنه من غير الواضح أي ثقل كان يتمتع به هذا اللقب حيث يرد في الحكاية (الإكليل).

مكتب الشؤون المركزية Bureau of Central Affairs (ناكاتسوكاسا شو Nakatsukasa Sho) المكتب الذي يتولى إدارة القصر. ولما كان المكتب الأرفع شأناً بين المكاتب الحكومية الثمانية البارزة، فقد كان يتولى رئاسته أمير دوماً.

مكتب شؤون المراسم Bureau of Ceremonial (شيكيبو شو Shikibu Sho) أحد المكاتب الحكومية الثمانية البارزة، وكان يتولى مسؤولية الاحتفالات، التعيينات والمكافآت.

مكتب الشؤون المدنية Bureau of Civil Affairs (مينبو شو Minbu Sho)- أحد المكاتب الحكومية الثمانية البارزة، وكان يتولى مسؤولية سجلات السكان، عمل السخرة والضرائب.

مكتب الخزانة Bureau of the Treasury (أوكورا سو Okura Sho)- أحد المكاتب الحكومية الثمانية البارزة، وكان يتولى مسؤولية إدارة السلع المحصلة كضرائب من الأقاليم.

مكتب الحرب Bureau of War (هايوبو شو Hyobu Sho)- أحد المكاتب الحكومية الثمانية البارزة، وكان يتولى مسؤولية الشؤون العسكرية والتجهيز.

النقيب Captain (تشوجو Chujo)- ضابط من المستوى الثاني في حرس ميمنة القصر أو ميسرته (المرتبة الرابعة الأحدث، الدرجة الأدنى).

نقيب حرس ميسرة القصر Captain of the Left Palace Guards (ساكون نو تشوجو Sakon on Chujo).

الحاجب Chamberlain (كورود Kurodo)- موظف من المرتبة الخامسة أو السادسة، كان مسؤولاً أمام مكتب الحجاب (كورودو دوكورو Kurodo dokoro) وتحت إشراف اثنين من أمناء السر (كورودو نو تو Kurodo no to) من مرتبة أرفع إلى حد ما. وكان يسمح للحاجب بدخول الغرفة الخصوصية، ويحظى بالوصول المباشر إلى الامبراطور، كما كان يُسمح له كذلك بارتداء ملابس ذات ألوان وأقمشة تحظر عادة على من هم في مرتبته.

مساعد حاجب حراسة ميسرة القصر Chamberlain Aide of the left Gate Watch (كورودو نو سيمون نوجو Kurodo no Saemon no Jo)- تعيين مزدوج كحاجب وضابط من المستوى الثالث (ديجو Daijo) أو المستوى الرابع (شوجو Shojo) في حراسة ميسرة القصر.

مساعد حاجب حراسة ميمنة القصر Chambelain Aide of the Right Palace (أوكون نو زونو كورودو Ukon no Zo no Kurodo)- تعيين مزدوج كحاجب وضابط من المستوى الرابع (المرتبة السادسة الدرجة العليا) في حرس ميمنة القصر.

المراقب الحاجب Chamberlain Controller (كورود نو بن Kurodo no Ben)- تعيين مزدوج كحاجب ومراقب.

الملازم الحاجب Chamberlain Lieutenant (كورود نو شوشو Kurodo no Shosho)- تعيين مزدوج كحاجب وملازم في حرس القصر.

المسؤول الثاني في الحرس الحاجب Chamberlain Second of the Watch (كورودو هايوي نو سوكي Kurodo Hyoe no Sake)- تعيين مزدوج كحاجب ومسؤول ثان في الحرس.

مكتب الحجَّاب Chamberlains Office (كورودو دوكورو Kurodokord)- مكتب يعمل كأمانة سر امبراطورية، حيث يخدم الامبراطور، وينقل الرسائل والأوامر الامبراطورية. ويتألف موظفوه من اثنين من أمناء السر ذوي مرتبة رفيعة (كورودو نو تو Kurodo no To)، حجاب كورودو Kurodo) من المرتبتين الخامسة والسادسة وعدد من الموظفين الأقل مرتبة. وكان الحاجب يتحرك في دوائر تعلو مرتبته الرسمية، يخدم الامبراطور بصورة مباشرة، ويتمتع بامتيازات من قبيل ارتداء ملابس ذات ألوان لا يُسمح بها عادة لمن هم في مرتبته. وكان مكتب الحجاب يقوم كذلك برعاية صقور الامبراطور والاهتمام بآلاته الموسيقية، كتبه، عملاته (النقود المعدنية) وملابسه.

المستشار Chancellor (أوكيوتودو Okiotodo، ديجوديجين Daijodaijin)- أعلى منصب مدني متاح (المرتبة الأولى أو المرتبة الأولى الصغرى) وهو منصب غير مدرج في الجدول الخاص بالتنظيم الحكومي. ومن الناحية النظرية لم يكن يشغله إلا مرشح قادر على أن يكون نموذجاً للفضيلة، وكان يُفترض بشاغله أن يكون أعلى من الإدارة الفعلية.

الراهب البارز Chaplain (إينوري نو شي Inori no Shi)- الراهب الذي كان يؤدي بصورة منتظمة طقوس الصلاة من أجل نبيل أو نبيلة عظيمين.

كبير الكتبة Chief Clerk (دينيكي Dainaiki)- موظف (من المرتبة السادسة، الدرجة العليا) في مكتب الشؤون المركزية، مكلف بكتابة الإيصالات الامبراطورية، والحفاظ على سجلات البلاط وما إلى ذلك.

كبير قيمي الاسطبلات Chief Equerry (كامي Kami)- الضابط الأقدم (المرتبة الخامسة الصغرى، الدرجة الأعلى) المسؤول عن اسطبلات الميسرة (سامانو كامي Sama no Kami) أو الميمنة (أوما نو كامي Uma no Kami) الامبراطورية (ميريو، أوما نو تسوكاسا Meryo, Uma no Tsukasa) وكان شاغل هذا المنصب ينتمي إلى المرتبة الخامسة الصغرى، الدرجة العليا. وفي «شجرة الوزال» أيضاً نجد «كبير قيمي اسطبلات الميسرة Chief Left Eqyerry».

كبيرة الوصيفات Chief Lady in Waifing (نيشي Naishi)- ترجمة مبتكرة لتناسب السياق في «الحج إلى سوميوشي» والطبيعة المحددة لهذا المنصب غير واضحة.

نيافة المترهبن Cloistered Eminence انظر مادة نيافة Eminence.

القائد Commander (تايشو Taisho)- الضابط المنوط به قيادة (المرتبة الثالثة، الدرجة الأدنى) ميمنة (يودايشو Udaisho) أو ميسرة (سادايشو Sadaisho) حرس القصر.

المفوض Commissioner (تايفو Taifu أو دايبو Daibu)- لقب يُطلق على رئيس جهاز حكومي أو شبه حكومي، مثل مكتب رعاية دار الامبراطورة ومسؤول المستوى الثاني في أجهزة أخرى، مثل مكتب الحرب. وكان هذا اللقب يرتبط بصورة ملائمة بالمرتبة الخامسة، الدرجة العليا أو الدنيا.

مفوض شؤون المراسم Commissioner of Ceremonial (شيكيبو نو تايفو Shikibu no Taifo)- الضابط الثاني في الترتيب (المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى) في مكتب شؤون المراسم.

مفوض الشؤون المدنية Commissioner of Civil Affairs (مينبو نو تايفو Minbu no Taifu)- الضابط الثاني في الترتيب (المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى) في مكتب الشؤون المدنية.

مفوض الدار Cammissione of the Housesald (دايبو Daibu) (تشوجو نو دايبو Chgu no Daibu)- كبير الإداريين في دار الامبراطورة.

مفوض الحرب Commissioner (هايوبو نو تايفو Hyobu no Taifu)- الضابط الثاني في الترتيب (المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى) في مكتب الحرب.

زوجة الامبراطور Consort (نايوجو Nyogo)- زوجة للامبراطور كان ينبغي أن يكون أبوها وزيراً أو أميراً على أقل تقدير. وكانت الامبراطورة تختار عادة من بين زوجات الامبراطور.

المسؤول الأمني Constable (أودونيري Udoneri)- واحد من بين حوالي مئة رجل تابعين لمكتب الشؤون المركزية ومختارين من بين عائلات رجال المرتبتين الرابعة والخامسة، وإذ كان يعهد إليهم بحراسة أرفع النبلاء شأناً، فقد كان يمكن أن يتسموا بالصلف والخشونة.

الاستشـاري Consultant (سـانجي Sangi، سايشـو Saisho)- المنصـب الأحـدث (المرتبـة الرابعـة، الدرجـة الأدنـى) في مجلس الدولة، حيث يُعد في مرتبة أقل من المستشـار والوزير. وكان هناك عادة ثمانية استشاريين.

النقيـب الاستشـاري Consultant Captain (سايشـو نـو تشـوجو Saisho no Chujo)- تعييـن مـزدوج كاستشاري ونقيب في حراس القصر.

المرقـب Controller (بـن Ben)- واحد من كيان من المسـؤولين تحت إشـراف مجلـس الدولة. وكان المراقبون ملحقين بالمكاتب الحكومية الثمانية الكبرى، ومقسـمين إلى ميسـرة وميمنة (أربعة مكاتب لكل جانـب). وكانـت هناك ثلاثـة درجات، هي المراقـب الكبير (دايبـن Daiben المرتبة الرابعـة الدنيا، الدرجة العليـا) المراقب (تشـوبن Chuben، المرتبة الخامسـة، الدرجة العليا) والمراقب الثانوي (شـوبن Shoben، المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى).

الحاجـب المراقـب Controller Chamberlain (كـورودو نـو بـن Kurodo no Ben)- تعييـن مـزدوج كمراقب وحاجب من الدرجة الخامسة، المراقب الملازم (بن نو شو شو Ben no Shosho)- تعيين مزدوج كمراقب وكملازم في حراس القصر.

مجلس الدولة Council of State (دايجوكان Daijokan)- كان أعضاؤه ثلاثة وزراء (وزير الميمنة، وزير الميسـرة، وزير شـؤون القصر) مستشارين (مستشـار، مستشار كبير) واستشـاريين. وكان المكتب التنفيذي لمجلس الدولة يوظف استشاريين ومراقبين من بين موظفين آخرين أقل مرتبة.

الاستشـاري Counselor (تشوناجون Chunagon)- منصب متوسط المستوى (المرتبة الثالثة الدنيا) في مجلـس الدولـة القائمون بطقوس البـلاط Court Ritualis (جيشـيكيكان Gishikikan) موظفون من مراتب مختلفـة مكلفون بأداء احتفالات البلاط. وكانوا في وقفتهم الرسـمية يبـرزون أكواعهم بصورة متصلبة فيما هم يمسكون بعصي.

سـيدة العامليـن فـي البـلاط Dame of Staff (نايشـي نوسـوكي Naishi no Sake)- إحـدى أربع نسـاء مسـؤولات (من المرتبة الرابعة الدنيا، الدرجة الأعلى أو الأدنى) تحت رئاسـة رئيسـة العاملين في القصر في مكتب العاملين بالقصر.

مسـاعد (دازايفـو) Dazaifu) Assistant) شـوني (دازاي نـو) Dazaino) Shoni) مسـاعد (مـن المرتبـة الخامسة، الدرجة العليا).

نائـب (دازايفـو) Dazaifu) Deputy) (دازي نـو) دايني Dazai no) Daini) النائـب (المرتبـة الرابعـة الأحـدث، الدرجـة الأدنى) الـذي كان يمثل البلاط في دازايفو في جزيرة كيوشـو. وكان رئيسـه الأعلى هو نائب الامبراطور، الذي كان منصبه وظيفة عاطلة، ولم يكن شاغله، وهو أمير عادة، يغادر المدينة.

نائب مفوض شـؤون المراسـم Deputy Commissioner of Ceremomial (شـيكيبو نو شو Shikibu no sho)- مسؤول من المستوى الثالث (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الدنيا) في مكتب شؤون المراسم.

نائب (الحاكم) Deputy (Governor) (سوكي Suke)- نائب حاكم في الأقاليم. وفي حالة هيتاشي، كازوسا وشيمبوسا. كان الحاكم حامل اللقب أميراً، ولكن بما أن هذا المنصب كان وظيفة عاطلة، فإن نائب الحاكم وحده هو الذي كان يذهب بالفعل إلى المقاطعة (حاكم هيتاتشي الذي يبرز في «اللبلاب» والفصول الذي تليه هو نائب من هذا النوع). وكانت مرتبة نائب الحاكم، شأن مرتبة الحاكم، تعتمد على مكانة مقاطعته، ولكنها كانت في نطاق المرتبة السادسة.

مدير المحاسبة Director of Reckoning (كازوي نو كامي Kazoe no Kami)- مدير (من المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى) مكتب في داخل مكتب الشؤون المدنية، الذي كان مكلفاً بتقدير وتخصيص أنواع معينة من العائد الضريبي.

مدير الصيانة Director of Upkeep (سوري نو كامي Suri no Kami)- رئيس (من المرتبة الرابعة الأحدث، الدرجة الأدنى) مكتب الصيانة.

الأستاذ Doctor (هاكاسي Hakase)- باحث بارز كان يكلف بالتدريس في المجمع الدراسي، حيث كان يدرس تقليدياً اللغة الصينية (المكتوبة)، الأدب، التاريخ، القانون وما إلى ذلك. وكان التعيين في نطاق المرتبة الخامسة الأحدث. وكذلك أستاذ الأدب (مونجو هاكاسي Monjo Hakase).

أستاذ التقويم Doctor of the Almanac (كويومي نو هاكاسي Kayomi no Hakuse)- اختصاصي في التقويم من مكتب ين - يانج.

النيافة (صاحب النيافة، المترهبن، صاحبة النيافة، المترهبنة) Eminence (His, His Cloistered, Her Cloistered اصطلاح تشريفي تمت صياغته لأغراض الترجمة، ليطلق على امبراطورة سابقة أو امبراطور متقاعد. وإذا كان الشخص المعني قد أدى قسم راهبة أو راهب، فإنه يدعى المترهبن أو المترهبنة كذلك، وذلك على الرغم من أن هذا الاصطلاح يُحذف حيثما كان ذلك ممكناً. و(صاحبة النيافة المترهبنة) (نايودو كيساي نو ميا Nyudo Kisai no Miya) الوحيدة في الحكاية هي فوجيتسوبو، وليست هناك (صاحبة نيافة).

الامبراطورة Empress (تشوجو، كيساكي Chugu, Kisaki)- زوجة الامبراطور الأعلى مرتبة. وكان يمكن أن تكون هناك امبراطورة واحدة. وكانت تُعين عادة من بين زوجات الامبراطور.

الامبراطورة الأم Empress Mother (أوكيساي نو ميا، أوكيساكي Okisai no Miya, Okisaki)- أم امبراطور. ولم تكن قد حملت بالضرورة لقب امبراطورة في ظل العهد السابق.

المعالي Excellency انظر مادة صاحب المعالي His Excellency.

ملازم من المرتبة الرابعة Fourth Rank Lieutenant (شي نو شوشو Shi no Shosho) ملازم (عادة في نطاق المرتبة الخامسة) كان ينتمي بصورة استثنائية إلى المرتبة الرابعة.

مساعد فوجيوارا لشؤون المراسم Fujiwara Aide of Ceremonial (تو شيكيبو نو جو To Shikibu no Jo).

استشاري فوجيوارا Fujwara Consultant (تو سايشو To Saisho).

مستشار فوجيوارا الكبير Fujiwara Grand Couselor (تو دايناجون To Daineagon).

ملازم فوجيوارا (تو شوشو To Shosho).

حراسة البوابة Gate Watch (إيمونفو Emonfu، يوجي Yugei)- قوات الحرس التي كانت تقوم بحراسة بوابات مجمع القصر. وكانت تقسَّم إلى حراسة بوابة الميسرة (سايمون Saemon) حراسة بوابة الميمنة (يوئيمون Uemon). وكان الضابط الذي يتولى الرئاسة على كل جانب هو المشرف (المرتبة الرابعة الأحدث، الدرجة الأدنى) يليه نائب (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى) ومساعد (المرتبة السادسة الأحدث، الدرجة الأعلى).

الحاكم Governor (كامي Kami)- المسؤول الذي يعينه الامبراطور للقيام بحكم مقاطعة.

وكان يمكن لمرتبته، التي اعتمدت على مكانة مقاطعته (كانت المقاطعات تُصنف إلى عظيمة، كبرى، وسيطة أو صغرى) أن تختلف من المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة العليا، نزولاً إلى المرتبة السادسة الأحدث، الدرجة الأدنى. وكان هذا الاصطلاح يُستخدم أحياناً ليس لحاكم بالمعنى الأشمل، وإنما أيضاً لنائب حاكم، في الحالات التي يمضي فيها النائب وحده إلى المقاطعة. وكان الحكام بصفة عامة يُشار إليهم باعتبارهم (زورايو Zuryo) (حامل المنحة).

السمو Grace انظر مادة صاحب السمو His Grace.

المستشار الكبير Grand Counselor (ديناجون Dainagon)- شاغل المنصب (المرتبة الثالثة) الأقل مباشرة من الوزير في مجلس الدولة.

الملاذ Haven (مياسو دوكورو Miyasu dokoro)- في الحكاية لقب غير رسمي لامرأة (بصفة خاصة زوجة أو خليلة) أنجبت طفلاً لولي عهد أو امبراطور أو امبراطور متقاعد. ويشير الاصطلاح الياباني إما إلى «موضع (شخص) تجد العاطفة النبيلة مستقراً فيه» أو «موضع (شخص) تجد النطفة السامية مستقراً فيه». وتشمل الأمثلة الواردة في الحكاية والدة جينجي بعد ميلاده، ملاذ روكوجو التي أنجبت ابنة لولي عهد رحل في زمن الرواية، ابنة جيجي بعد حملها بابن ولي العهد، أم أوتشيبا، ابنة الامبراطور سوزاكو، وإبنة تاما كازورا الكبرى، التي تحمل طفلاً من الامبراطور المتقاعد رايزي.

ولي العهد Heir Apparent (بو Bo، توجو Togu) الخلف المكرَّس رسمياً للامبراطور الذي يتولى الحكم. ولم يكن بالضرورة الابن البكر للامبراطور.

سمو (سموه أو سموها) (Highness (His, Her - اصطلاح شرفي للمخاطبة، يُستخدم في الترجمة لمخاطبة أمير أو أميرة.

الكاهنة العليا (لآيسي) (High Priestess (of lse انظر كاهنة آيسي Ise Priestess.

الكاهنة العليا لمزار كامو High Priestess of the Kamo Shrine انظر كاهنة كامو Kamo Priestess.

صاحب النيافة His Eminence (انظر نيافة Eminence.

صاحب المعالي His Excellency (أويتونو Oitono، أوتودو Otodo)- يشير إلى وزير أو مستشار.

واستخدام (الوزير) وليس (صاحب المعالي) يُفترض ضمناً مسافة أكبر بين الشخص المعني والراوية (أو الجانب الذي ينصرف إليه تعاطفها أو تعاطف جمهورها). والمثال في هذا الصدد هو وزير الميمنة، في مفارقة لصاحب المعالي (وزير الميسرة) في الفصول المفضية إلى نفي جينجي.

صاحب السمو His Grace - اصطلاح تشريفي، صيغ لأغراض الترجمة، لجينجي في «الحج إلى سوميوشي» وما بعده عقب عودته من المنفى.

وزير الشؤون المركزية His Highness of Central Affairs (ناكاتسوكاسا نو ميكو Nakatsukasa no Miko)- الأمير الذي كان يتولى رئاسة مكتب الشؤون المركزية.

معالي وزير شؤون المراسم His Highness of Ceremonial (شيكيبو كيو نو ميا Shikibukyo no Miya)- الأمير الذي كان الرئيس الحامل للقب رئيس مكتب شؤون المراسم (المرتبة الرابعة، الدرجة الدنيا).

سعادة حاكم كانزوكي His Highness of Kanzuke (كانزوكي نو ميكو Kanzuke no Miko) حاكم مقاطعة كانزوكي (كذلك كاموتسوكي أو كوزوكي، على وجه التقريب محافظة جوما الحالية) شأن حاكم هيتاشي وكازوسي، كان أميراً، ولكن المنصب كان وظيفة عاطلة، وكان نائب هو الذي يدير المقاطعة بالفعل.

معالي وزير الحرب His Highness of War (هايو بوكيو نو ميا Hyobukyo no Miya)- الأمير الذي كان الرئيس حامل اللقب لمكتب الحرب (المرتبة الرابعة، الدرجة الأدنى).

المبجل His Reverence انظر الراهب البارز Prelate.

نائب الحاكم الفخري Honorary Deputy Governor (يومي نو سوكي Yomei no Suke).

الامبراطور الفخري المتقاعد Honorary Retired Emperor (جونديجوتونو Jundaijotenno) - لقب غير مألوف مُنح لجينجي (في «أوراق الوستارية الجديدة») من قبل ابنه في الخفاء، الامبراطور رايزي.

نائب القيم على شؤون الدار Hiusehold Deputy (سوكي Suke)- الضابط من المستوى الثاني (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأدنى) المكلف بشؤون دار الامبراطورة.

المفتش Inspector (أزيتشي Azechi)- مفتش رفيع المستوى يُعيَّن لمراجعة إدارة المقاطعة.

وبحلول الأزمنة الهايينية كان هذا المنصب قد بقي بالنسبة للمقاطعات الأكثر إيغالاً باتجاه الشمال، وكان منصباً فخرياً بصورة رئيسية.

المفتش المستشار الكبير Inspector Grand Counselor (أزيتشي نو ديناجون Azechi no Dainagon)- تعيين مزدوج كمفتش ومستشار كبير.

المشرف على حراسة (الميمنة، الميسرة) Intendant of the (left, Rigth) Watch (هايوي (ساهيوي، يوهاوي)، نوكامي Hyoe (Sahyoe, Uhoye) no Kami - الضابط الأقدم رتبة في حراسة البوابة.

خليلة الامبراطور Intimate (كوي Koi)- زوجة امبراطورية من مرتبة أدنى من الزوجة Consort، وكان والدها في غالب الأحيان مستشاراً كبيراً. وتشير كلمة (كوي) بصورة حرفية إلى من يعهد إليه بمهمة

الإشراف على ارتداء الامبراطور لملابسه.

الزوجة آيسي Ise Consort (سايكو نو نايوجو Saiku no Nyogo)- حرفياً (الزوجة كاهنة آيسي) وهو خطاب موجه إلى أكيكينومو باعتبارها زوجة للامبراطور، حيث إنها كانت كاهنة آيسي العليا.

كاهنة آيسي Ise Priestess (سايكو Saiku)- أميرة غير متزوجة، كانت تمثل الامبراطور باعتبارها الكاهنة الرئيسة لمزار آيسي، حيث كان مقر إله أسلاف العائلة الامبراطورية.

المستشار الأحدث Junior (شوناجون Shonagon)- موظف أحدث في الأقدمية (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى) كان يُلحق بمجلس الدولة.

كاهنة كامو Kamo Priestess (سايين Saiin)- الكاهنة الرئيسة لمزارات كامو العليا والدنيا، إلى الشمال مباشرة من المدينة. وشأن كاهنة آيسي، كانت أميرة.

المحاضر Lecturer (كوجي Koji)- الراهب المتولي للرئاسة في طقوس بوذية كبرى معينة.

مفوض ميسرة المدينة Left City Commissioner (ساكيو نو ديبو Sakyo no Daibo)- الضابط الرئيسي (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الدنيا)، المكلف بتسجيل السكان، تحصيل الضريبة، الالتماسات القانونية، الأمن وما إلى ذلك في القطاع الأيسر (الشرقي) من المدينة.

مراقب الميسرة Left Controller (ساتشوبن Sachuben).

حراسة بوابة الميسرة Left Gate Watch. انظر حراسة البوابة Gate Watch.

مراقب الميسرة الكبير Left Grand Cantrolle (ساديبن Sadaiben) انظر المراقب Controller.

ملازم الميسرة Left Lieutenant (ساشوشو Sashosho)- ملازم في حراس ميسرة القصر (المرتبة الخامسة، الدرجة الدنيا).

نقيب حراس ميسرة القصر Left Palace Guards Captain (ساكون نوتشوجو Sakon no Chujo).

الملازم Lieutenant (شوشو Shosho)- ضابط من المستوى الثالث (المرتبة الخامسة، الدرجة الدنيا) في حراس القصر، ويشغل المرتبة الأقل من القائد والنقيب.

سيد شؤون المراسم Lord of Ceremonial (شيكيكيبوكايو Shikibukyo)- رئيس (المرتبة الرابعة الدرجة الأدنى) مكتب شؤون المراسم. وقد كان حامل هذا اللقب أميراً.

سيد الشؤون المدنية Lord of Civil Affairs (كونيكايو Kunaikyo)- رئيس (المرتبة الرابعة، الدرجة الأدنى) المكتب من بين المكاتب الحكومية الكبرى الذي يعنى بكل الأمور المتعلقة بدار الامبراطور.

سيد الخزانة Lord of the Treasury (أوكورا كايو Okura Kyo)- رئيس (المرتبة الرابعة، الدرجة الأدنى) مكتب الخزانة.

الجلالة (صاحب، صاحبة) (Majesly (His, Her - لقب يُستخدم لمخاطبة الامبراطور والامبراطورة.

سيد سلك الرهبنة Master of Discipline (ريسشي، ريشي Risshi, Rishi)- الدرجة الأسفل في سلم

المراتب الرهبانية التي يمكن أن يصل إليها الرهبان النخبويون، مكتملو الرسامة. وفي زمن الحكاية كان لا يزال تعييناً مميزاً، أكثر منه في أوقات لاحقة. و(السلك) هنا اصطلاح يعني سلك الرهبنة البوذية.

سيد (شؤون الدار) Master (of the Household) (سابوراي نو بيتو) (Saburai no Beto) الرئيس الإداري لشؤون دار أحد أعضاء العائلة الامبراطورية، مثل أمير أو امبراطور متقاعد.

سيد الرُّقي Master of Spells (جوجونشي Jugonshi)- اختصاصي في الرُّقي (ماجيني Majinai) كسحر شاف، كان يوظفه مكتب الطب (تنياكو رايو Tenyaku Ryo).

الوزير Minister (أوتودو Otodo)- أعلى منصب غير امبراطوري (المرتبة الثانية) كان يدرج في جدول التنظيم الحكومي الرسمي، على حين لم يكن منصب المستشار كذلك، غير أن منصب وزير القصر (نيداجين، أوتشي نو أوتود Naidajin, Uchi no Otodo) كان أيضاً إضافة لاحقة. وكان وزير الميسرة (ساديجين هيداري نو أوتودو Sadaigin Hidari no Otodo) عادة، ولكن ليس بالضرورة، أقدم مرتبة من وزير الميمنة (أودايجين ميجي نو أوتودو Udigin, Miji no Otodo) وكان وزير القصر أحدث في المرتبة إلى حد ما.

رئيسة العاملين في القصر Mistress of Staff (نيشي نو كامي Naishi no Kami)- المسؤولة الأقدم (المرتبة الثالثة) في مكتب العاملين في القصر، ومن حيث المبدأ فإن شاغلة هذا المنصب كانت تشرف على العاملات في القصر واحتفالاته ونقل الالتماسات والمراسيم. وفي الممارسة العملية فقد كانت زوجة متواضعة المرتبة للامبراطور.

سيدة شؤون الدار Mistress of the Househald (نايو بيتو Nyobetto) مسؤولة بارزة في دار سيدة نبيلة عظيمة.

سيدة خزانة الملابس Mistress of the Wardrobe (ميكو شيجيدونو Mikushigedono)- المسؤولة عن المكتب التابع للقصر الذي يُعد ملابس الامبراطور.

أم البلاد Mother of the Realm (كوني نو هاها Kuni on Haha) تعبير أو لقب يُستخدم للإشارة إلى امبراطورة أو امبراطورة أم.

مايوبو Myobu - لقب تحمله في خدمة القصر وصيفات متوسطات المرتبة (ينتمين إلى المرتبة الخامسة أو ما فوقها) أو زوجات نبلاء ينتمون إلى هذه المراتب. ولما كانت أعداد من الوصيفات يحملن هذا اللقب في الوقت ذاته، فقد قام الناس بتمييز إحداهن عن الأخرى بربط لقبها باسم المكتب البارز المرتبط بزوجها، أبيها أو أخيها.

الراهب المبتدئ Novice (نايودو Nyudo)- رجل أو امرأة من أصل نبيل أدى القسم الأولى الذي بمقتضاه يصبح راهباً أو تصبح راهبة، ولم يكن الراهب المبتدئ ينضم إلى جماعة رهبان المعبد، وإنما كان يتبع الممارسات البوذية في الدار.

أوميوبو Omyobu - سيدة نبيلة بالقصر من أصل امبراطوري.

فتـى تابـع، أو فتـاة تابعـة Page, Page Girl (واراو Warawa)- فتى أو فتاة من عائلـة طيبة، في خدمة دار نبيلـة. وبصفـة خاصة فيما يتعلـق بجانب الذكور كان هنـاك أتباع (واراو) في سـنوات النضج كذلك، يعمل الواحد منهم كخادم لمدة طويلة، لكن هؤلاء الأتباع لا يبرزون في الحكاية إلا بالكاد. انظر أيضاً مادة التابع الخصوصي Privy Page.

حـراس القصـر Palace Guards (كونويفو Konoefu)- القوات المزدوجة (الميسـرة والميمنة سـاكون Sakon وأوكـون Ukon) التـي يُعهـد إليها بحمايـة القصر الكبير والتـي تتمركز في أقصى مناطقـه توغلاً في الداخل. وكان حراس القصر يحظون بالأولوية على القائمين بنوبة الحراسة ونوبة حراسة البوابة. وكان قائد الحرس (المرتبة الثالثة، الدرجة الأدنى). وكان الضابط من المسـتوى الثاني نقيباً (تشـوجو Chujo، المرتبة الرابعـة الدرجـة الأدنـى). وكان الضابط من المسـتوى الثالـث ملازماً (شوشـو shosho المرتبة الخامسـة، الدرجة الأدنى)، وكان الضابط من المستوى الرابع مساعداً (زو Zo المرتبة السادسة، الدرجة الأعلى).

وزير شؤون القصر Palace Minister (نايدايجين، أوتشي نو أوتودو Naidaigin, Uchi no Otodo)- كان عادة الوزير الأحدث بين الوزراء الثلاثة الذين شكّلوا المستوى الأرفع في مجلس الدولة.

رجل الدين البارز (نيافة رجل الدين البارز) Prelate (His Reverence) (سوزو Sozu)- صاحب المرتبة الدينية الأرفع التي يرد ذكرها في الحكاية. وكانت توجد مرتبتان أرفع، ولكنهما في زمن الحاية نادراً ما كان يتم شغلهما (على عكس ما كان يحدث في وقت لاحق).

الأمير (سـمو الأمير) Prince (His Highness) (ميا Miya) ابن امبراطوري يُعيِّنه أبوه ليحمل هذا اللقب (ومـن هنا فـإن جينجي ليس أميراً بهـذا المعنى). وعلى الصعيـد التاريخي كان معظم الأمـراء يُدرجون في أربع درجات، ويتلقون راتباً امبراطورياً وفقاً لذلك، ولكن بعضهم لم يكونوا مدرجين في درجات (موهون Muhon). والحكاية لا تقول شيئاً عن إسناد هذه الوضعية لحفيد امبراطوري.

الأميرة (سمو الأميرة) Princess (Her Highness) (ميا Miya)- ابنة امبراطورية يُعينِّها أبوها لتحمل هذا اللقب، أو الحفيدة المعترف بها لامبراطور في تسلسل النسب الذكوري. ومن هنا فإن سويتسوما هانا، التي كان أبوها أميراً هي بالتالي أميرة. وبالمقابل فإن أوي التي كانت أمها أميرة ليسـت هي نفسـها أميرة، والنص يتعامل معها باعتبارها من العامة بصورة خالصة. وأوكيفوني، وهي ابنة أمير، ليست أميرة لأن أباها لم يعترف بها.

الوصيف الخصوصي Priry Gentleman (أوييتو، تنجوبيتو Uebito, Tenjobito)- وصيف مخوّل بصفة فردية من الامبراطور لدخول الغرفة المخصوصة. وكان هذا الاصطلاح يشير بصفة أكثر تحديداً إلى أولئك الوصفاء المنتمين إلى المرتبتين الرابعة والخامسة، جنباً إلى جنب مع الحجاب (كورودو Kurodo) المنتمين إلى المرتبة السادسة الذين ما كانوا لولا ذلك يتمتعون بهذه الميزة التي تُمنح تلقائياً لشاغلي المراتب الثلاث العليـا. وكان عـدد الوصفاء الخصوصيـن يتباين بين مرحلة وأخـرى، ولكنه عادة كان يقـل عن مئة وصيف خصوصي، وفي بعض الأحيان كان أقل من ذلك الرقم.

التابع الخصوصي Privy Page (تنجو واراوا Tenjo Warawa)- فتى من عائلة طيبة، لم يبلغ سـن الحلم

بعد، يخدم في الغرفة الخصوصية لكي يتعلم تقاليد البلاط وأخلاقه.

القارئ Reader (توجي Koji)- المسؤول المكلف بقراءة القصائد الصينية المؤلفة في تجمع احتفالي بصوت عال.

نائب الامبراطور Regent (سيشو Sessho)- نبيل رفيع المرتبة لا ينتمي إلى العائلة الامبراطورية يُعيَّن للعمل نيابة عن الامبراطور، فيما هذا الأخير لم يبلغ السن الذي يسمح له بأن يرتقي سدة العرس (لقب «كانباكو Kanpaku» الذي يترجم أيضاً إلى «نائب الامبراطور» وكان يشغله شخص ينوب بصورة مماثلة عن امبراطور بلغ سن الحلم، لا يظهر في الحكاية).

الامبراطور المتقاعد (نيافة الامبراطور المتقاعد المترهبن) (Retird Emperor (His Cloistered Eminence - امبراطور تنازل عن العرش، وأقام في قصر منفصل. وغالباً ما تظهر مثل هذه الشخصية في هذه الترجمة تحت لقب صاحب النيافة أو صاحب النيافة المترهبن، إذا كان قد أدى القسم البوذي.

نقيب الميمنة Right Captin (أوتشوجو Uchujo) انظر مادة النقيب Captain.

مفوض ميمنة المدينة Right City Commissoner (أوكايو نو كامي(دايبو) (Ukyo no Kami (Daibu) الضابط الرئيسي (المرتبة الرابعة الأحدث، الدرجة الأدنى) المكلف بتسجيل السكان، جمع الضرائب، الالتماسات القانونية، الأمن وما إلى ذلك في قطاع الميمنة (الغربي) من المدينة.

مراقب الميمنة Right Controller (أوتشوبين Uchuben).

نائب الميمنة Right Depnly (ميجي نو سوكي Migi no Suke)- ضابط من المستوى الثاني في حراسة بوابة الميمنة (المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى).

حراسة بوابة الميمنة Right Gate Watch انظر مادة بوابة الميمنة Gate Watch.

مراقب الميمنة الكبير Right Grand Conlroller (أودايبن Udaiben) انظر مادة المراقب Controller.

مفوض حراس الميمنة Right Guards Commissioner (أوكون نو تايفو Ukon no Taifu)- مساعد لحراس ميمنة القصر، رُقي بصورة استثنائية إلى المرتبة الخامسة، ولذا فهو يحمل لقب مفوض الذي يرتبط بالمرتبة الخامسة.

مسؤول الاسطبلات الثاني Second Equerry (أوما نو سوكي Uma no Suke)- ضابط من المستوى الثاني (المرتبة السادسة، الدرجة الأدنى) في ميمنة الاسطبلات الامبراطورية أو ميسرتها.

المسؤول الثاني في حراسة بوابة الميسرة Second of the left Gate Watch (سايمون نو تايفو Saemon no Taifu) الضابط الذي يحمل ثاني أعلى رتبة (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى) في حراسة بوابة الميسرة (اللقب «تايفو Tafu» يُقر بالتعيين في المرتبة الخامسة).

المسؤول الثاني في الحراسة Second of the Watch (هايوي نو سوكي Hyoe no Sake)- ضابط من المستوى الثاني في الحراسة (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى).

أمين السر Secretary (كورودو نو تو Kurodo no to)- موظف رفيع الرتبة في مكتب الحجَّاب. ومن بين

أميني السـر، كان أحدهما مراقباً بصورة متزامنة (المرتبة الخامسـة، الدرجة الأعلـى) وكان الآخر عادة نقيباً (المرتبة الرابعة الأحداث، الدرجة الأدنى).

النقيب أمين السر Secretary Captain (تونو تشوجو To no Chjo)- تعيين مزدوج كأمين سر ونقيب في حرس القصر.

المراقب أمين السر Secretary Controller (تو نو بن To no Ben)- تعيين مزدوج كأمين سر ومراقب.

الملازم أمين السـر Secretary Lieutenant (تونو شوشـو To no Shosho)- تعيين مزدوج كأمين للسـر وملازم (المرتبة الخامسة، الدرجة الأدنى) في حرس القصر.

نبيـل رفيع المسـتوى Senior Noble (كانداشـيمي Kandachime)- نبيل ينتمي إلـى المرتبة الثالثة على الأقل (سانمي Sanmi) ويشغل منصباً على مستوى استشاري على الأقل (سانجي Sangi).

مفـوض الخزانـة Treasury Commissioner (أوكـورا نـو تايفـو Okura no Taifu)- المسـتوى الثانـي (المرتبة الخامسة الدرجة الأدنى) في مكتب الخزانة.

استشـاري الصيانـة Upkeep Consultant (سـوري نو سايشـو Suri no Saisho)- تعييـن مزدوج كمدير للصيانة واستشاري.

النائب Viceray (دازاي نو سوتشي Dazai no Sochi)- الموظف الأعلى مرتبة المعيَّن في دازايفو، وهو الموقع الحكومي الأكثر نأياً في جزيرة كيوشـو، والذي كان مسـؤولاً بصفـة خاصة عن العلاقات الخارجية لليابـان في ذلك الوقت. وكان هذا المنصب (المرتبة الثالثة الأحدث) يشـغله أمير. ولما كان وظيفة عاطلة، ولم يذهب شاغله بالفعل قط إلى كيوشو فإن ممثل الحكومة الحقيقي هناك كان نائب دازايفو.

الحراسـة Watch (هايويفـو Hyoefu)- قوات الحرس (المقسـمة إلى ميسـرة [سـاهايويفو Sahyoefu] وميمنـة (أوهايويفـو Uhyoefu) والمكلفة بالحفاظ على الأمن العام في مجمـع القصر وفي المدينة عموماً. وكان الضابط الأرفع رتبة هو المشـرف (المرتبة الرابعة الأحدث، الدرجة الأدنى) يليه المسـؤول الثاني عن الحراسة (المرتبة الخامسة الأحدث، الدرجة الأعلى).

معلـم اليـن - يانـج Yin- Yang master - خبير في ثقافة الين - يانج، مرتبـط بمكتب الين يانج (أونمايو رايو Onmyo Ryo) وهو فرع لمكتب الشؤون المركزية مكلف بالأمور المتعلقة بالتنجيم، الطقس، التقويم، تحديد الوقت والعرافة.

موجز الإشارات الشعرية
التي تم تحديدها في الهوامش

مقدمة

يعتبر عالم «حكاية جينجي» الشعر («أوتا Uta» أي بصورة حرفية «أنشودة» أرفع أشكال الفن، ومن حيث المبدأ، النمط الأكثر كمالاً للتواصل الإنساني. وكان المثقفون يحفظون عن ظهر قلب الكثير من القصائد، ومن الطبيعي أن هذه القصائد زحفت إلى حديثهم، كتابتهم وإلى القصائد التي نظموها. وعندما كانوا يتأثرون أو يضطربون، ربما كانوا يبادرون إلى تدوين قصائد قديمة جلبتها إلى ذهنهم حالتهم المزاجية، مختلطة بقصائد أخرى من إبداعهم. ومن هنا فإن نص الحكاية يتضمن عدداً كبيراً للغاية من الإشارات الشعرية، التي تتألف أقلية صغيرة ولكنها مهمة منها من إشارات إلى الشعر الصيني، وبصفة خاصة شعر باي جويي (772 - 846).

والكثير من هذه الإشارات بارزة وجلية، ولكن في حالات أخرى قد يكون من غير الواضح ما إذا كانت الإشارة إلى قصيدة محددة، أو ما إذا كانت هذه الصورة أو التلاعب بالعبارة قد أصبحت دارجة في اللغة الأدبية. ولهذه النوعية من الأسباب فإن الشواهد المختلفة قد تتباين فيما يتعلق بالإشارات التي تتعرفها أو تستبعدها. ومن هنا فإن الإشارات التي يتم تحديدها في الهوامش وإدراج موجز بها هنا ليست شاملة ولا جازمة بصفة خاصة.

ومجمل الشعر الياباني التقليدي متاح في طبعات تضمها الكتب والأقراص المدمجة التي تحمل اسم «شنبن كوكا تايكان Shinpen Kokka Taikan». (طوكيو: كادوكاوا). وقد اعتمدنا في تحديد الإشارات على طبعة الأقراص المدمجة الصادرة عام 1996 . وفيما يتعلق بالإشارات الخاصة بقصائد الشاعر باي جويي عدنا إلى طبعة هانابوسا هايديكي Hanabusa Hideki بعنوان هاكوشي مونجو نو كيستوكي كينكايو Hakushi Monju no Kisoteki Kenkyu (طوكيو: هايو شوتن، 1974).

ترد عمليات التحديد التي قمنا بها في الهوامش كل قصيدة إلى مجموعة شعرية محددة، والتي يضم مجمل الشعر الياباني التقيلدي عدداً كبيراً منها. غير أن هذا غالباً ما يكون بمثابة مراعاة لمقتضى الحال. فكل شخص متحضر في زمن المؤلفة لابد أنه كان يُعرف «كوكنشو» (مجموعة القصائد القديمة والحديثة، 905) ويحفظها عن ظهر قلب، ويُعرف بدقة «آيسي مونوجاتري» (حكايات آيسي، القرن العاشر). ولكن بخلاف ذلك فإنه ليس من اليسير على الدوام التيقن من طبيعة السياق الذي وصلت فيه قصيدة معينة إلى المؤلفة والطبيعة الملائمة لبعض عمليات التحديد هذه واضحة من الحقيقة القائلة إنها تشير إلى مجموعات سابقة على «حكاية جينجي» نفسها.

والحكاية تشير إلى بعض القصائد أكثر من مرة. والأرقام الموضوعة بين أقواس عقب أرقام القصائد تشير إلى عدد مرات التكرار المنتمية إلى مثل هذه النوعية. وبعض أرقام القصائد يتم أيضاً إتباعها بمصدر

بديل مهم بصفة خاصة للقصيدة نفسها.

قصائد مدرجة بالمجموعة

فوكورو نو سوشي Fukoro no Soshi

بحث حول فن الشعر كتبه فوجيوارا نو كايوسوكي (-1014 72؟) 140.

جينجي مونوجاتري كوتشو شاكوشا إينو واكا Genji monogatari Kochuchakusho Ib'yo Waka ليست هـذه مجموعة شـعرية، وإنما عمل تجميعي متعلق بشـنبين كوكا تايـكان Shinpen Kokka Taikan. وعنوانه يعني «قصائد مقتطفة في شـروحات قديمة على حكاية جينجي». والكثير من الإشارات الواردة في الحكاية هي إلى قصائد معروفة فقط من الشروحات العائدة إلى الفترة من القرن الثاني عشر إلى القرن الرابع عشر.

1، 76، 126، 148، 157، 160، 165، 177، 186، 199، 205، 244، 275، 300، 304، 367، 381، 382، 392، 394، 448، 464، 475، 514 (2)، 639، 745، 927، 983، 1394، 1481 (2)، 1933 .

جوسينشو Gosenshu.

مجموعة أُنجزت بتكليف امبراطوري واكتملت في عام 951 .

64 (3)، 100، 103 (3)، 199، 372، 468، 479، 481، 563، 608، 640، 683، 705، 718، 719، 731، 809، 899، 900، 938 (2)، 960، 1036، 1089، 1093 (2)، 1102 (كوكين روكوجو Kokin Rokyjo 1412)، 1107، 2)، 1187، 1173، 1143 كوكين روكوجو 3133)، 1188، 1224، 1240، 1264، 1333، 1364.

جوشويشو Goshuishu مجموعة أنجزت بتكليف امبراطوري في عام 1086،

82، 216 (شيجيوكي شو 264)، 894 (كاجيرو نيكي 93) 1041.

هاكوشي مونجو Hakushi Monju.

الأعمـال الشـعرية الكاملة للشـاعر الصينـي باي جويـي Bai Juyi على نحو ما هي مصنفة في هانابوسـا هايديكـي Hanabusa Hideki (محـرر)، هاكوشـي مونجـو نوكيسـوتيكي كينكايـو Hakushi Monju no Kisoteki Kenkyu. وتحفـل الحكاية بالإشـارات إلى موضوعات مسـتمدة من شـعر بـاي جويي، والأمثلة المدرجة هنا هي الأمثلة الأكثر وضوحاً فحسب.

0004، 0075، 0076، 0131، 0144، 0160 (3)، 0161، 0498، 0569 (3)، 0603، 0631 (واكان روي شـو Wakan roei Shu 52)، 0695، 0790، 0850، 0911، 0920، 0975، 0978، 1055، 1107، 1280، 1287، 2392، 2392، 2821، 3564 .

إتشيجو نو شيشو جورشو Ichijo no Sesho go – shu.

المجموعة الشخصية فوجيوارا نو كوريماسا (-924 972).

132 .

آيسي مونوجاتري Ise Monogatari.

مجموعـة هائلة التأثير من الحكايات القصيرة العائدة للقرن العاشـر، تدور حول قصائد، وبصفة خاصة مـن نظم أريوارا نـو ناريهيرا (825-880). والرقم المدرج أولاً هو رقم القصيدة المفردة، يتبعه عدد المرات التي يُشار فيها إليها (إذا كانت هناك أكثر من مرة) يليه رقم القسم أو المقطوعة الذي ترد فيه تلك القصيدة.

1 (القسـم 1)، 6 (2، القسـم 5، كوكينشـو 632)، 8(2، القسـم 7)، 13 (القسـم 9، كوكينشـو 411)، 63 (القسـم 30)، 90 (القسـم 49)، 119 (2، القسم 65، كوكينشو 501)، 131 (القسم 71)، 145 (القسم 82)، 154 (القسم 84، كوكينشو 901)، 174 (القسم 99، كوكينشو 476)، 193 (القسم 112، كوكينشو 82)، 154 (القسم 84، كوكينشـو 901)، 174 (القسـم 99، كوكينشـو 476)، 193 (القسم 112، كوكينشـو 82)، 154 (القسم 84، كوكينشو 901)، 174 (القسم 99، كوكينشو 476)، 193 (القسم 112، كوكينشو 708).

آيسي شو Ise Shu

المجموعة الشخصية لشاعرة معروفة باسم آيسي. منتصف القرن العاشر.

55 (2)، 176 (كوكين روكوجو 2476 483، 424، Kokin Rojkyo) .

إيزومي شيكيبو شو Izumi Shikibu Shu

المجموعة الشخصية لشاعرة بارزة معاصرة للمؤلفة.

132 (كذلك شيكاشو 109 150، Shikashu) (شويشو 1342 Shuishu).

كاجيرو نيكي Kagero Nikki

اليوميات الشعرية لامرأة تدعى (أم ميتشيتسونا) أواخر القرن العاشر.

93 (أيضاً جو شويشو 894 Goshui shu).

كو كين روكوجو Kokin Rokujo.

خلاصة وافية من الشعر من منتصف القرن العاشر أو أواخره.

174، 371 (2)، 423، 593 (شـينكو كينشـو 757)، 987 (2)، 1049 (تسـورايوكي شـو 15)، 1296، 1412 (جوسينشـو 1102)، 1796 (2، شـينكو كينشـو 1379)، 1888 (2)، 1980، 1986، 2096 (2)، 2122، 2223، 2345، 2479 (آيسـي شـو 176)، 2571، 2640، 2749، 2804 (2)، 3241 (3)، 3333، 3360، 3507، 3508، 3874، 3916 (2، مانيوشـو 1428)، 3962، 3984، 4131 (تسـورايوكي شـو 60) 4155، 4268، 4385، 4417 (مانيو شو 1447) 4488 (2).

كوكينشو

أول مجموعة أُنجزت بتكليف امبراطوري، وتم إكمالها في 905، وكان الشـخص المتحضر يحتاج إلى معرفتها عن ظهر قلب (حوالي ألف قصيدة).

13، 28، 31، 32 (2)، 33 ، 37، 38 (2)، 41 (5)، 44، 66، 68، 70، 97 (2)، 139 (2)، 153، 167 (2)،

171، 200، 204 (2)، 214، 223، 229، 241، 243، 244، 248، 262، 279، 292، 297، 349، 356، 389، 405، 409 (2)، 411 (آيسي مونوجاتري 13) 415 (تسورايوكي شو 764)، 476 (آيسي مونوجاتري 174)، 488 (3)، 498، 500، 501 (2، آيسي مونوجاتري 119)، 503، 506، 508، 509 (2)، 535 (3)، 546، 582، 603، 611، 617، 631، 632 (2، آيسي مونوجاتري 6)، 636، 637، 647، 683، 684، 685، 689 (3)، 694 (2)، 695، 699، 701، 705، 706، 708 (آيسي مونوجاتري 193) 713، 727، 732 (3)، 743، 747، 756، 792، 806، 831 (2)، 832 (3)، 838، 839، 841، 853 (2)، 855، 861، 867 (4)، 868، 870، 875، 878، 829(2)، 901 (آيسي مونوجاتري 154)، 907، 909 (2)، 934، 935، 938، 944، 948 (2)، 951 (2)، 952 (3)، 955 (2)، 961 (3)، 962، 965، 967، 968، 970، 977، 981، 982 (3)، 983 (3)، 987، 992 (2)، 1007، 1008، 1009 (2)، 1025 (2)، 1037، 1041، 1061، 1080، 1086، 1091، 1093 (2)، 1098، 1108، 1110 (2).

كوماتشي شو Komachi shu

المجموعة الشخصية لشاعرة بارزة تنتمي إلى القرن العاشر.

98 (شينكوكينشو 336)

مانيو شو Manyo Shu

مجموعة شعرية كبيرة وذات أهمية بالغة، أُنجزت في القرن الثامن، ولم تكن تُقرأ على نطاق واسع في زمن المؤلفة، لأن لغتها كانت عتيقة للغاية ونصها صعب في قراءته إلى حد بعيد.

267، 1234، 1398 (شويشو 967) ، 1228 (2 كوكين روكوجو 3916)، 1477 (كوكين روكوجو 4417) 2325، 2429 (2 شويشو 1243، صياغة متأخرة زمنياً)، 3829، 4482 .

موتويوشي شينو شو Motoyoshi Shinno shu

المجموعة الشخصية للأمير موتويوشي (890- 943).

150

ناكاتسوكاسا شو Nakatsukasa

المجموعة الشخصية للشاعرة ناكاتسوكوسا (القرن العاشر).

نيهون شوكي Nihon Shoki

تاريخ لليابان حظي برعاية البلاط، جرى تدوينه باللغة الصينية. وتم إكماله في عام 720 .

66 (2)

أوكاجامي Okagami

عمل تاريخي باللغة اليابانية، يعود إلى عام 1100 تقريباً.

14 (قسم (توكيهيرا - دن).

سانياكيرا شو Saneakira

المجموعة الشخصية لميناموتو نو سانياكيرا (-910 970).

28، 50

شيجيوكي شو Shigeyuki Shu

المجموعة الشخصية لميناموتو نو شيجيوكي (القرن العاشر).

264 (جو شويشو 216)

شيكاشو Shika shu

مجموعة أنجزت بتكليف امبراطوري، تنتمي إلى منتصف القرن الثاني عشر.

109 (إيزومي شيكيبو شو 132)

شينكوكينشو Shinkokinshu

مجموعة مهمة بصفة خاصة، أُنجزت بتكليف امبراطوري، وتم إكمالها في عام 1205.

55، 336 (كوماتشي شو 98)، 757 (كوكين روكوجو 593)، 1013، 1052، 1379، (2، كوكين روكوجو 1796)، 1494، 1515 (2)، 1599، 1703 (واكان روي شو 722).

شينسينزايشو Shinsenzaishu

مجموعة أُنجزت بتكليف امبراطوري، وتم إكمالها في عام 1359.

526، 599

شويشو Shuishu

مجموعة أنجزت بتكليف امبراطوري تنتمي إلى أواخر القرن العاشر.

5، 9، 62، 183، 351، 451 (2، واكان روي شو 469)، 477، 506 (2)، 511، 545، 577، 579، 662، 665، 668، 685، 727، 735، 736، 844، 853، 870، 867، 894، 895 (2)، 967 (مانيو شو 1398)، 985، 1005، 1063، 1068، 1210 (2)، 1217، 1243 (2 مانيوشو 2429)، 1342 (إيزومي شيكيبو شو 150)، 1350.

تسورايوكي شو Tsurayuki Shu

المجموعة الشخصية لكي نو تسورايوكي (-868 945) الذي قام بتجميع مجموعة كوكينشو.

15 (كوكين روكوجو 1201) 60 (كوكين روكوجو 4131) 764 (كوكينشو 415).

أوتسوبو مونوجاتري Utsubo Monogatri

حكاية طويلة يمكن رد تاريخها إلى القرن العاشر.

212

واكان روي شو Wakan Roei Shu

مجموعة من القصائد المؤثرة إلى حد كبير بكل من اللغتين الصينية واليابانية، تعد معاصرة على وجه

التقريب للمؤلفة. حوالي عام 1012 .

25، 52 (هاكوشـي مونجـو 0631) 187، 267، 380، 469 (2 شويشـو 451)، 536، 587، 701، 703، 722 (شينكوكينشو 1703)، 783.

ياكاموتشي شو Yakamchi Shu

المجموعة الشخصية لأوتومو نو ياكاموتشي (-716 85).

(2) 284

ياماتو مونوجاتري

مجموعة من الحكايات تنتمي إلى منتصف القرن العاشر مصاغة حول قصائد.

-161 (القسم 106)

قراءات إضافية

Bargen, Doris. A Woman's Weapon: Spirit Possession in "The Tale of Genji". Honolulu: Universily of Hawaii Press, 1997.

بارجن، دوريس، سلاح امرأة: «تلبس الروح في (حكاية جينجي)» هونولولو: مطبعة جامعة هاواي، 1997.

Bowring, Richard. Murasaki Shikibu: "The Tale of Genji" Lanmarks of World Literature Cambridge. Cambridge University Press, 1988.

باورينج، ريتشارد. موراساكي شيكيبو: «حكاية جينجي» معالم الأدب العالمي. كامبردج. مطبعة جامعة كامبردج، 1988.

Bowring, Richard. trans. The Diary of Lady Murasaki. New York: Penguin, 1999.

باورينج، ريتشارد. مترجم. يوميات السيدة موراساكي. نيويوك: بنجوين، 1999.

Childs, Margaret H. "The Value of Vulnerability: Sexual Coercion and the Nature of Love in Japanese Court Literature". Journal of Asian Studies 58: 4 (November 1999).

تشايلدز، مرجريت هـ. «قيمة القابلية للانجراح: الإكراه الجنسي وطبيعة الحب في أدب البلاط الياباني». جورنال أوف إيشيان ستديز 58:4 (نوفمبر 1999).

Dalby, Liza. "The Cultured Nature of Heian Colors" Transactions of the Asiatic Society of Japan, 4 the Series, Vol.3 (1988)

دالبي، ليزا. «الطبيعة المتحضرة للألوان الهايانية» محاضر جلسات الجمعية الآسيوية في اليابان. السلسلة الرابعة، المجلد 3 (1988).

Fiel d, Norma. The Splendor of Longing in "The Tale of Genji". Princeton. Princeton University Press, 1987.

فيلد، نورما. روعة الحنين في «حكاية جينجي». برنستون. مطبعة جامعة برنستون 1987

Gatten, Aileen. "The Order of the Early Chapters in the Genji Monogatri". Harvard Journal of Asiatic Studies 41:1 (June 1981)

جاتن، إيلين، «ترتيب الفصول الأولى في جينجي مونوجاتري» هارفارد جورنال أوف إيشيتك ستديز 41:1 (يونيو 1981).

Kamens, Edward, ed. Approaches to Teaching Murasaki Shikibus "The Tale of Genji". New York. Modern Language Association, 1993

كامنـز، إدوارد، محـرر، مداخل لتدريس رائعة موراسـاكي شـيكيبو «حكاية جينجـي». نيويورك، رابطة اللغة الحديثة، 1993.

Keene, Donald. Seeds in the Heart: Japanese Literature from Earliest Times to the Lats Sixleenth Century. New York. Henry Holta and Co. 1993

كيـن، دونالـد. بـذور فـي القلـب: الأدب الياباني من أقـدم العصور حتى أواخر القرن السـادس عشـر. نيويورك. هنري هولت وشركاه 1993.

Konishi, Jinichi. A History of Japanese Literature Vol. 2, The Early Middle Ages. Translated by Aileen Gatten. Princeton. Princeton Universily Press, 1984

كونيشـي، جينيتشـي. تاريـخ الأدب الياباني، المجلـد 2، أوائل القرون الوسـطى. ترجمـة إيلين جاتن. برنستون: مطبعة جامعة برنستون. 1984.

McCulloiugh, William H. "Japanese Marriage Institutions in the Heian Period". Harvard Journal of Asiatic Studies 27 (1967).

ماكولو، وليام هـ. «مؤسسات الزواج اليابانية في العهد الهاييني». هارفارد جورنال أوف إيشيتك ستديز 27 (1967).

Miner, Earl. "Some Thematic and Structural Features of the Genji Monogatari". Monumenta Nipponica 24:1 (1969)

ماينر، إيرل «بعض السمات الموضوعية والهيكلية لجينجي مونوجاتري» مونيمنتا نيبونكا 24:1 (1969)

Morris, Ivan. The World of the Shinrng Prince: Court Life in Ancient Japan. Various Editions.

موريس، إيفان. عالم الأمير المتألق: حياة البلاط في اليابان القديمة. طبعات عديدة.

Nickerson, Peter. "The Meaning of Matrilocality: Kinship, Property and Palitics in Mid-Heian" Monumenta Nipponica 48: 4 (1993)

نيكرسـون، بيتـر. «معنـى تموضـع الأمومـة، القرابة، الملكية والسياسـة فـي منتصف العهـد الهاييني». مونيمنتا نيبونكا 48: 4 (1993)

Okada, Richard H. Figures of Resistance: Language, Poetry and Narrating in "The Tale of Genji" and other Mid- Heian Texts. Durham, N.C: Duke Univerity Press, 1992.

أوكادا، ريتشـارد هــ شـخصيات المقاومـة: اللغة، الشـعر والسـرد في «حكايـة جينجـي» وغيرها من النصوص العائدة إلى منتصف العصر الهاييني. دورهام، إن. سي: مطبعة جامعة ديوك، 1992.

Pekarik, Andrew, ed. Ukefune: Love in "The Tale of Genji". New York: Columbia University Press, 1982

بيكاريك، أندرو، محرر: أوكيفوني: الحب في «حكاية جينجي». نيويورك: مطبعة جامعة كولومبيا، 1982

Pollack, David. "The Informing Image: China in Genji Monogatri Monuonenta Nipponica" 38:4 (1983)

بولاك، ديفيد «الصورة الواشية: الصين في جينجي مونوجاتري» مونيمنتا نيبونكا 38:4 (1983).

Rowley, G.G. Yasano Akiko and "The Tale of Genji". Ann Arbor: Center for Japanese Studies, University of Michigan, 2000.

رولي، جي. جي. ياسانو أكيكوو «حكاية جينجي». آن أربور: مركز الدراسات اليابانية، جامعة ميتشجان، 2000.

Seidensticher, Edward trans. The Tale of Genji. New York: Alfred A. Knopf, 1976

سندنستكر، إدوارد، مترجم. حكاية جينجي. نيويورك: الفريد م. نوف، 1976

Shirane, Haruo. The Bridge of Dreams: A Poetics of "The Tale of Genji". Stanford: Stanford University Press, 1987

شيرين، هارو. جسر الأحلام: فن الشعر في «حكاية جينجي» ستانفورد. مطبعة جامعة ستانفورد، 1987

Stinchecum, Amanda Mayer. Who Tells the Tale. 'Ukifune': A Study in Narrative Voice". Monumenta Nipponica 35:4 (1980)

ستينتشكوم، أماندا مايور «من الذي يحكي الحكاية؟ أوكيفوني: دراسة في الصياغة السردية» مونيمنتا نيبونكا: 35:4.

Tyler, Royall. "I am I: Genji and Murasaki". Monumenta Nipponica 54:4 (1999)

تايلر، رويال: (أنا هو أنا: جينجي وموراساكي) مونيمنتا نيبونكا: 54: 4

Waley, Arthur, trans. The Tale of Genji. Varions Edition

ويلي، أرثر، مترجم. حكاية جينجي. طبعات عديدة.

Yoda, Tomiko. "Fractured Dialogues: Mono no Aware and Poetic Communication in the Tale of Genji". Harvard Journal of Asiatic Studies 59:2 (1999).

يودا، توميكو «الحوارات المتمزقة: الوعي بالرفض الأحادي وجماليات التواصل في حكاية جينجي». هارفارد جورنال أوف إيشيتك ستديز. 59:2 (1999).

محتويات الكتاب

حكاية جينجي

يلقي هذا العمل بعض الأضواء على العلاقات الثقافية العربية اليابانية، بل على مجمل علاقة العرب بالثقافات الآسيوية، والتي ينفي بعض الباحثين وجودها أصلاً. فأهمية هذه الحكاية بالنسبة إلى العرب تكاد تكون غير محدودة، وهذا من شأنه أن يدفعنا إلى مزيد من الاهتمام بالأعمال المماثلة من كنوز الآداب الشرقية.

وتكمن أهمية هذه الحكاية في أنها الرواية الأولى بالمعنى الصحيح في الأدب العالمي، فهي تقع فيما يزيد على ثلاثة أرباع مليون كلمة، مقسمة إلى أربعة وخمسين فصلاً، تتميز بحبكة بسيطة، تدور حول حياة البطل جينجي وغرامياته، وتهتم بأدق تفاصيل الأحداث، بوصف ممتع للحياة اليومية، وتشابك العلاقات والغوص في أعماق الشخصيات.

ونجد اهتماماً بالغاً باللغة الواضحة والدقيقة التي كتبت بها الرواية، وتتحول هذه اللغة إلى نور يُسلَّط في مواجهة مفاهيم مركبة ومعقدة في ذلك العصر، فهي لا شك تؤلف تطوراً نوعياً لا مثيل له في مسار الأدب الياباني.

السعر 60 درهماً

9 789948 019640

أبوظبي للثقافة والتراث
ABU DHABI CULTURE & HERITAGE